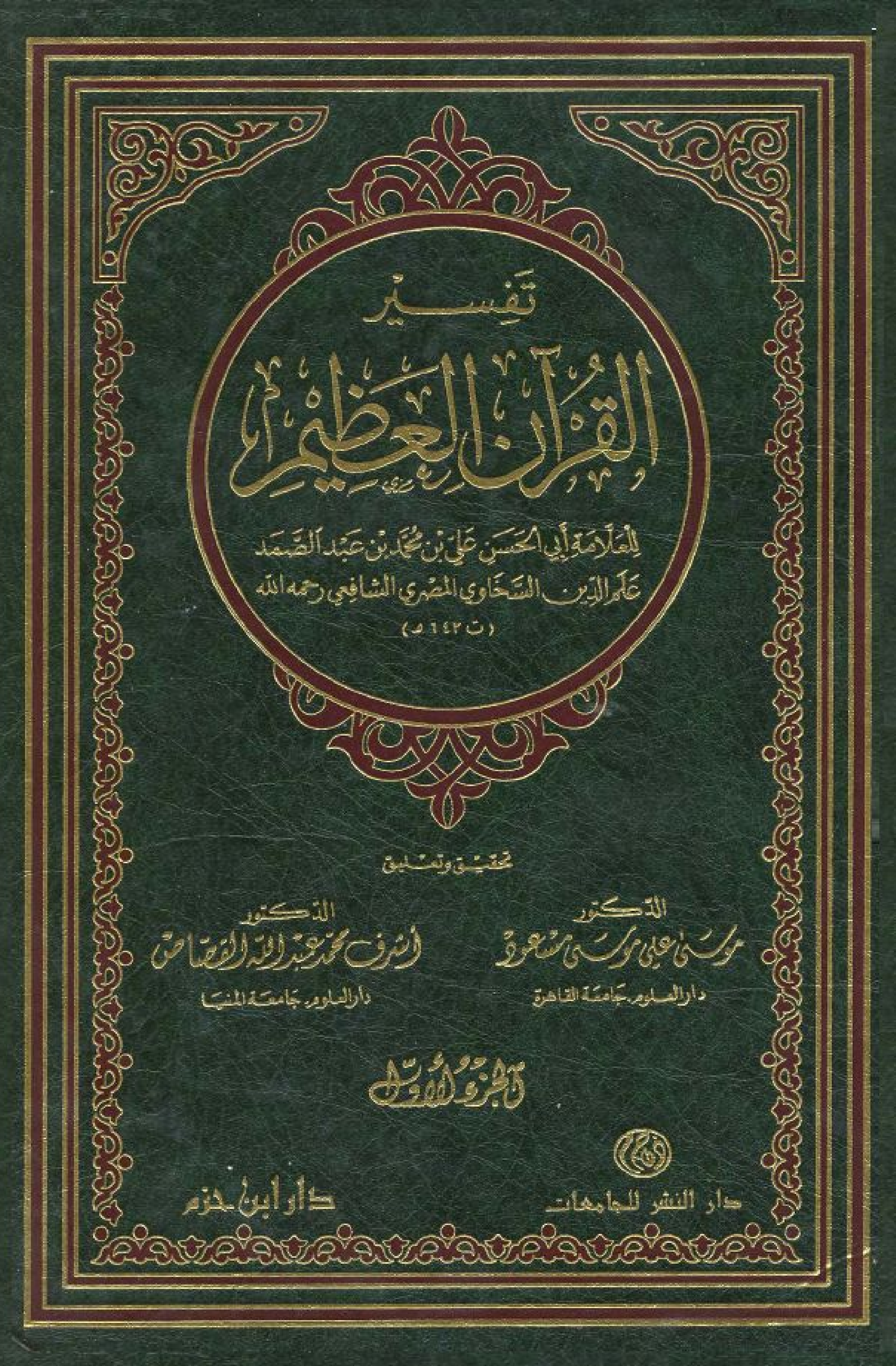
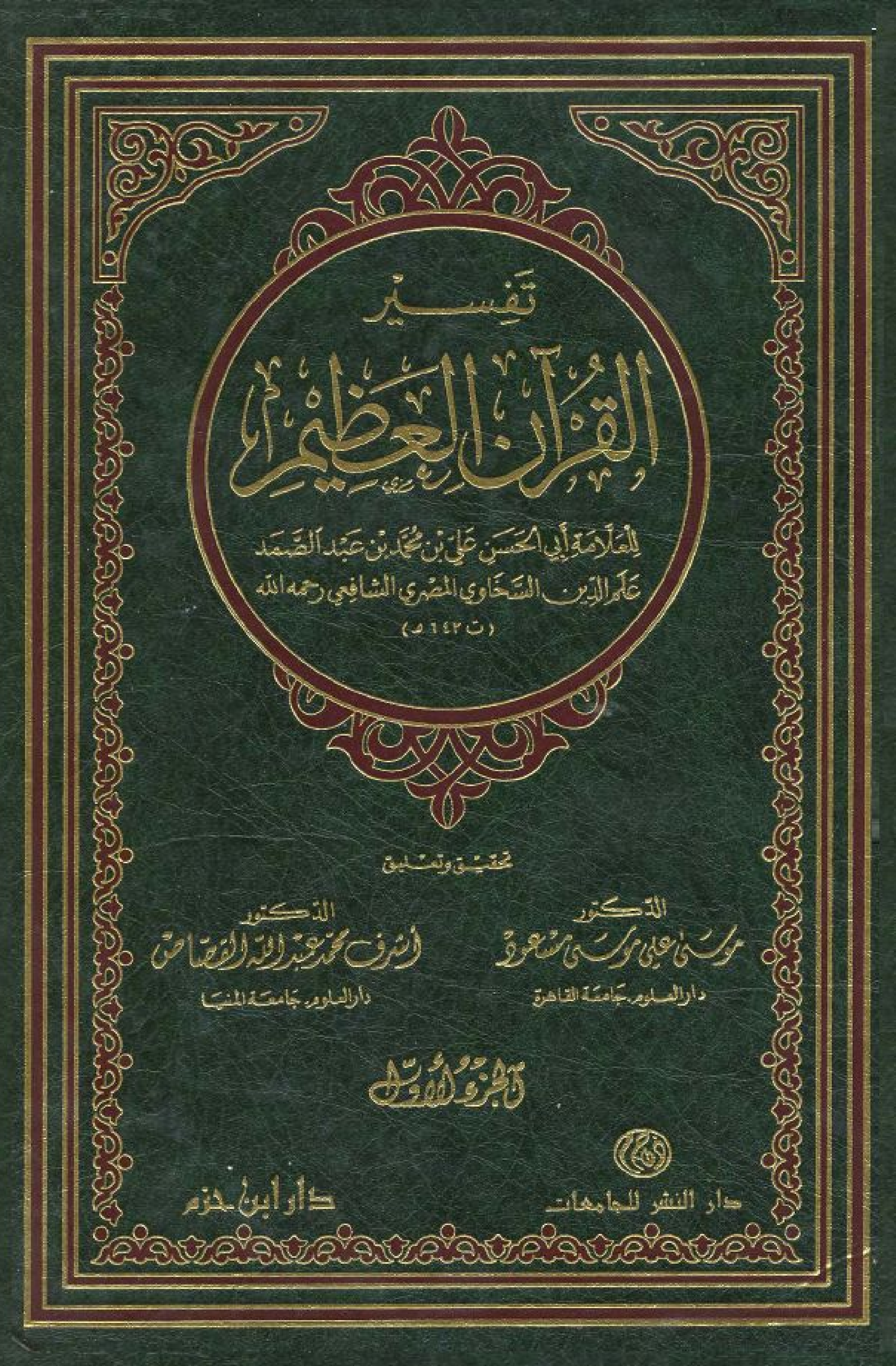


تفسير
القرآن العظيم
للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
(ت ٦٤٣ هـ)
تحقيق وتعليق
الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم جامعة القاهرة
الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم جامعة المنيا
الجزء الأول
دار النشر للجامعات
دار ابن حزم


تفسير
القرآن العظيم
للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
( ت ٦٤٣ هـ )
تحقيق وتعليق
الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم، جامعة القاهرة
الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم، جامعة المنيا
الجزء الأول
دار النشر للجامعات
دار ابن حزم


تفسير
القرآن العظيم
١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

# تفسير
# القرآن العظيم

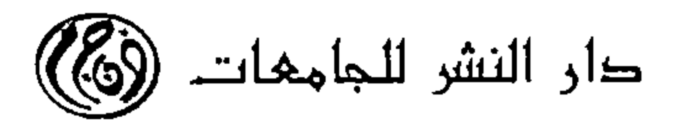
للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
( ت ٦٤٢ هـ )

تحقيق وتعليق

الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم - جامعة القاهرة

الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم - جامعة المنيا

## الجزء الأول


دار النشر للجامعات

**بطاقة فهرسة**

**فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية**

**إدارة الشئون الفنية**

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ١١٦٣ – ١٢٤٥م

تفسير القرآن العظيم / لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي؛ تحقيق وتعليق موسى علي موسى مسعود، أشرف محمد عبد الله القصاص. – ط١ – القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.

تدمك X ٢٨٠ ٣١٦ ٩٧٧

١ – القرآن – تفسير

أ – مسعود، موسى علي موسى (محقق ومعلق).

ب – القصاص، أشرف محمد عبد الله (محقق ومعلق).

جـ – العنوان ٢٢٧

تاريخ الإصدار: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٦٧٥٧م

الترقيم الدولي: ISBN: ٩٧٧ – ٣١٦ – ٢٨٠ – X

الكود: ٢/٢٠٠





دار النشر للجامعات

ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨

ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ – ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤

E-mail: darannshr@link.net

بسم الله الرحمن الرحيم

## نبذة عن تفسير السخاوي

١- تفسير القرآن العظيم للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد الشهير بعلم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت ٦٤٣هـ) رحمه الله .

٢- لعله من أوائل التفاسير التراثية لمفسر مصري إن لم يكن أولها . ولم تسبق طباعته . للبس في نسبته وقد أثبتنا النسبة بأدلة قوية والحمد لله .

٣- تفسير لغوي أثري .

٤- اهتم السخاوي فيه بـ :

* الجانب اللغوي والنحوي وفيه شواهد شعرية كثيرة .
* التفسير بالمأثور (بالقرآن - والحديث - والأثر) .
* ذكر أسباب النزول .
* يتعرض لمسائل فقهية وكلامية وبلاغية بطريقة السؤال والجواب .

٥- جمع الأقوال في تفسير الآية .

٦- يرجح بين الأقوال .

٧- يعتني بالقراءات القرآنية عناية فائقة ويوجهها .

٨- ينبه على المكي والمدني من السور .

٩- متعدد المصادر .

١٠- ينسب الكثير من الأشعار .

١١- خال من الإسرائيليات إلا قليلا .

١٢- يرد على الزمخشري في الآراء الاعتزالية .

**للتفسير نسختان :**

١- بدار الكتب المصرية - مكتبة أحمد تيمور رقم (١٥٩) عددها ٣٥١ ورقة - كشف الظنون ص ٤٤٨ .

٢- بمكتبة ولي الدين - السليمانية - تركيا - رقم (١١- ١٦٦) - ٦٠٠ ورقة - فهارس آل البيت (١/ ٢٤٨) .

# تقديم

## للشيخ العلاَّمة عبد السلام بن محمد بن حبوس (رحمه الله)

## (عضو المقارئ المصرية ورابطة القراء

## ومدرس القراءات وعلم السند بوزارة الأوقاف بدولة الكويت )

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، جعل من تيسير فهم القرآن الكريم إعانة على حفظه وحفاظه مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال في كتابه العزيز: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص:٢٩]، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله الذى أُنزل عليه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم:٤] فما أكرم وما أبرك مما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ مما عرفوه ودروه من قدوتهم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، اللهم فصلِّ وسلّم وباركْ وأنعِمْ على هذا النبي الكريم ، والرسول السيد السند العظيم، سيدنا محمدٍ ، وعلى آله وأصحابه الغرِّ الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

**أما بعد:**

فمن يوم أن أعطت ثمارُ الدعاء المبارك لحبر الأمة الصحابي الجليل ابن عباس- رضي الله عنهما : « اللهمَّ فقِّهْهُ في الدينِ وعلِّمْهُ التأويل » ، من يومها وجاء بعد القطر سيل ، فجاء مجاهد بن جبر- رحمه الله- بتفسيره وكان من أوثق أصحاب ابن عباس؛ ولذا اعتمد عليه الإمامان الشافعي والبخاري- رضي الله عنهما.

ثم جاء الإمام ابن جرير الطبري و كتب تفسيره بأسانيده عن ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير ، والحسن البصري ، وعكرمة ، والضحاك ، وعن جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن مسعود ، وأبو هريرة ، وابن عمر وغيرهم .

وبعد ابن جرير الطبري اشتهر جماعة من المفسرين منهم أبو الليث السمرقندي والثعلبي والواحدي والماوردي وابن كثير الدمشقي وآخرون ـ رحمهم الله جميعا.

واليوم تُشْرِقُ علينا شَمْسٌ مشرقة الضياء لتفسير آيات الله للحافظ العلامة فريد دهره ، ودرة عصره ، وقمر المفسرين وإن كثروا بعد ذلك ، المفسر الماهر والقارئ المسند أبو الحسن

علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي المتوفى سنة ( ٦٤٣هـ) رحمه الله تعالى.

أطلعني الشيخان الوقوران من خيرة الأئمة في عصرهما صاحب الفضيلة سعادة الدكتور موسى علي موسى مسعود ، وصاحب الفضيلة سعادة الدكتور أشرف محمد عبد الله القصاص ، والنجيب الأول ( الدكتور موسى علي ) قد تشرَّفتُ بأن قرأ عليَّ القرآنَ الكريمَ عن ظهر قلبٍ برواية حفصٍ عنْ عاصم ، وحضر معي شرح أصول القراءات السبع من الشاطبية للإمام القاسم بن فيرة – رحمه الله .

اطلعت على عجالة على بعض تحقيقهما لهذا السفر العظيم في تفسير القرآن الكريم وأول ما شدني في مقدمتهما قولهما : « بدأنا العمل في هذا الكتاب منذ ما يزيد على سبع سنوات » وطول المدة خاصة من المتخصصين تستوجب التدقيق والتوثيق ، فكانا كما قالا بحمد الله- تعالى- فخرج الكتاب في صورةٍ مرضية بفضل الله- تعالى- وأعجبني ما كتبا عن فضل التفسير ومكانته ومراتب المفسرين، وما ذكرا من ترجمة للإمام السخاوي ، وعصره ، ومصنفاته القيمة، ومكانته العلمية- رحمه الله تعالى رحمة واسعة- ثم ذكرا من الأدلة القطعية التي لا تحتمل الرد ما يثبت نسبة التفسير كله لمصنفه السخاوي ، كما اطلعت على الصور المخطوطة لأصل هذا التفسير ، وقرأت مقدمة السخاوي لتفسيره على قلة حروفها وكثرة معانيها .

**وبعد :**

فإنى أُبَشِّرُ الأمةَ الإسلاميةَ بهذا السِّفْر الجليل ، وهذا التفسير العظيم كما ذكره صاحبه ، وأسأل الله – تعالى – أن يجعل هذا العملَ المُضْني الذي بذله المحققان في إخراج هذا الكتاب في ثوبٍ قشيبٍ يغني مَنْ طالعَه عن طلبِ غيرِه ، أسألُ الله- تعالى- أنْ يجعلَ ذلك في صحائفِهما وأنْ يجعلَه خالصاً لوجهه الكريم ، وأنْ يحشرَنا مع أهل التفسير الصادقين ، وأنْ ينوِّرَ قلوبَنا ، وأنْ يجعلَنا وإياهم في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئك رفيقا ، والحمد لله رب العالمين .

**كتبه بقلمه** فضيلة الشيخ العلامة عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن حبوس المصري الشافعي ( عضو المقارئ المصرية ورابطة القراء ).

**في الكويت ٢٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠ يونية ٢٠٠٦ م**

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل كتابه المبين كافلاً ببيان الأحكام ، شاملاً لما شرعه لعباده من الحلال والحرام، مرجعًا للأعلام عند تفاوت الأفهام وتباين الأقدام وتخالف الكلام ، قاطعًا للخصام ، شافيًا للسقام ؛ فهو العروة الوثقى التي من تمسك بها فاز بدرك الحق القويم ، والجادة الواضحة التي من سلكها فقد هدي إلى الصراط المستقيم ، فأي عبارة تبلغ أدنى ما يستحقه كلام الحكيم من التعظيم ، وأي لفظ يقوم ببعض ما يليق به من التكريم والتفخيم .

والصلاة والسلام على من نزل إليه الروح الأمين بكلام رب العالمين محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيين ، وعلى آله المطهرين وصحبه المكرمين .

**وبعدُ ....**

فإنَّ شرفَ العلومِ على قدرِ شرفِ المعلوم ، وإنَّ علمَ كتابِ الله – تعالى- أمتنُ العلوم حبالاً ، وأرسخُها جبالاً ، وأجملُها آثارًا ، وأسطعُها أنوارًا ، وهو العلمُ الذي جُعِل للشرعِ قِوَامًا ، وصارتْ كلُّ العلومِ له خُدَّامًا .

وإنَّ مِنْ أَجَلِّ علومِ القرآنِ ما يُؤدي إلى فهمِ معانيه ، ويكشفُ عن مقاصدِهِ ومراميه ، ويبينُ للناس بعضَ أسرارِه ، ويظهرُ شيئًا من وجوهِ إعرابِهِ وأنوارِه .

من أجل ذلك عقدنا العزم وشحذنا الهمم ـ مستعينين بالله تعالى ـ على تحقيق هذا السفر العظيم في تفسير الذكر الحكيم ، للعلامة الشيخ أبي الحسن علم الدين السخاوي ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

وقد بدأنا العمل في هذا الكتاب منذ ما يزيد على تسع سنوات ، كان يتخللها بعض الفتور أحيانا ، وبعض الانشغال في أعمال أخرى ، حتى يسر الله ـ تعالى ـ إتمامه ، وها هو يخرج بفضل الله تعالى في صورة – إن شاء الله تعالى – مرضية لائقة بموضوعه وبمصنفه ؛ ليكون إضافة جديدة مفيدة للمكتبة العربية والإسلامية، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

وقبل أن نتحدث عن المصنف وتفسيره وقيمته ومنهجه في التفسير نقدم موجزًا عن فضل التفسير ومكانته ومراتب المفسرين فنقول وبالله التوفيق :

يقول الله– عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة:٢٦٩].

قال أبو العالية رحمه الله : الحكمة : الفهم في القرآن . وقال قتادة : الحكمة : القرآن

والفقه فيه . وقال غيره : الحكمة : تفسير القرآن [1] .

وذكر علي بن أبي طالب ﷺ جابر بن عبد الله فوصفه بالعلم ، فقال لـه رجـل : جعلـت فداك ، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت ؟ فقال : إنه كان يعرف تفسير قوله تعـالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [2].

وقال الشعبي : رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية ، فقيل له : إن الذي يفسرها رحـل إلى الشام ، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها [3].

وقال إياس بن معاوية : مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمـون تفسيره كمثـل قـوم جاءهم كتاب من ملكهم لـيلاً ولـيس عنـدهم مـصباح فتـداخلتهم روعـة لا يـدرون مـا في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب [4].

وقال مجاهد : أحب الخلق إلى الله أعلمهم بما أنزل . وقال الحسن : والله ما أنـزل الله آيـة إلا أحب أن يعلم فيمن أنزلت وما يعني بها [5].

وقال الحسن : أهلكتهم العجمة ، يقرأ أحدهم الآية فيعيى بوجوهها حتـى يفـتري علـيّ فيها . وكان ابن عباس يبدأ في مجلسه بالقرآن ثم بالتفسير ثم بالحديث .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ : ما من شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن رأي الرجل يعجز عنه [6] .

**الجرأة في تفسير القرآن ومراتب المفسرين :**

روي عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: « ما كان رسول الله ﷺ يفسر مـن كتـاب الله إلاّ آياً بعددٍ علّمَه إياهنّ جبريل » [7].

قال ابن عطية الأندلسي: ومعنى هذا الحديث : في مغيبات القرآن ، وتفسير مجمله ، ونحو هذا مما لا سبيل إليه إلا بتوقيف من الله – تعالى – ومن جملة مغيباته ما لم يُعْلِم اللهُ به كوقـت قيام الساعة ونحوه ، ومنها ما يستقرأ من ألفاظه ؛ كعدد النفخات في الـصور ، وكرتبـة خلـق السماوات والأرض .

---

(١) روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره (٣/ ٨٩) .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٨٥ ) والأثر ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره ( ١ / ٥٩ ) .

(٣) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير ( ١ / ٢٠ ) .

(٤) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير ( ١ / ٢٠ ) .

(٥) ذكره الشوكاني في مقدمة تفسيره فتح القدير ( ١ / ٢٠ ) .

(٦) ذكر ذلك ابن عطية في مقدمة تفسيره المحرر الوجيز .

(٧) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره ( ١ / ٦٦ ) .

وكان كبار العلماء من السلف كسعيد بن المسيب ، وعامر الشعبي ، وغيرهما ، يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم ، مع إدراكهم وتقدمهم ، وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه ، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك - رضي الله عنهم .

فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب ﷺ ، ويتلوه عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه ، وتبعه العلماء عليه ؛ كمجاهد ، وسعيد ابن جبير ، وغيرهما ، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب ﷺ .

وقال ابن عباس : ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب [١]. وكان علي ابن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويحث على الأخذ عنه .

وكان عبد الله بن مسعود يقول : « نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس » [٢].

وهو الذي يقول فيه رسول الله ﷺ : « اللهم فقهه في الدين » [٣] وحسبك بهذه الدعوة. وقال عنه علي بن أبي طالب : « ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق » [٤]، ويتلوه عبد الله بن مسعود ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهم أجمعين .

ومن المبرزين في التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعلقمة ، ويتلوهم عكرمة ، والضحاك بن مزاحم ، وإن كان لم يلق ابن عباس ، وإنما أخذ عن ابن جبير . وأما السُّدي - رحمه الله - فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى أبي صالح ؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر ، ثم حمل تفسير كتاب الله - تعالى - عدولُ كُلِّ خلفٍ ، وألَّف الناس فيه ؛ كعبد الرزاق ، والمفضل ، وعلي بن أبي طلحة ، والبخاري ، وغيرهم .

ثم جاء محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ فجمع على الناس أشتات التفسير ، وقرب البعيد وشفى في الإسناد . ومن المبرزين في المتأخرين : أبو إسحاق الزجاج، وأبو علي الفارسي فإن كلامهما منخول ، وأما أبو بكر النقاش ، وأبو جعفر النحاس ، فكثيراً ما استدرك الناس عليهما . وعلى سننهما مكي بن أبي طالب - رحمه الله تعالى - وأبو العباس المهدوي - رحمه الله - وكلهم مجتهد مأجور ، رحمهم الله ونضر وجوههم ، وألحقنا بهم في الصالحين .

---

(١) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١/ ٦٦) .

(٢) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١/ ٦٦) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٣) ، ومسلم رقم (٢٤٧٧) .

(٤) ذكره القرطبي في مقدمة تفسيره (١/ ٦٦).

وبعد هذا الموجز نعرِّف بصاحب هذا الكتاب في إيجاز أيضا في ثلاث نقاط :

**أولاً ـ علم الدين السخاوي ( ٥٥٨ هـ – ٦٤٣ هـ ) [١] من المولد إلى الوفاة :**

*** اسمه ولقبه وكنيته ونسبه :**

هو الشيخ الإمام العلامة شيخ القراء والأدباء علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب بن غطاس الهمداني المصري السخاوي الشافعي نزيل دمشق .

فأما ( الهمداني ) ؛ فنسبة إلى همدان بن مالك بن زيد بن ربيعة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وأما ( السخاوي ) فنسبة إلى مسقط رأسه ( سخا ) وهي بليدة بكفر الشيخ من محافظات مصر ( وقديما كانت تتبع محافظة الغربية ) .

ولقبه ( علم الدين ) ، وكنيته أبو الحسن وقلما يذكر لقبه دون كنيته أو العكس .

* مولده : ولد بـ ( سخا ) من قرى محافظة كفر الشيخ إحدى محافظات مصر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة من الهجرة ( ٥٥٨ هـ ) وقيل : سنة تسعٍ وخمسين .

*** عصره [٢] :**

**أولاً ـ الحالة السياسية :**

عاش علم الدين السخاوي في أواخر القرن السادس الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري .

وشهدت هذه الفترة الزمنية عصرين من عصور التاريخ الإسلامي وهما عصر الأيوبيين

---

(١) **تنظر** ترجمته في: إنباه الرواة للقفطي ( ٢ / ٣١١ ، ٣١٢ ) ، البداية والنهاية لابن كثير ( ١٣/ ١٧٠ ) ، بغية الوعاة للسيوطي ( ٢ / ١٩٢ – ١٩٤ ) ، حسن المحاضرة للسيوطي ( ١ / ٤١٢ – ٤١٣ ) ، الذيل على الروضتين لأبي شامة ( ١٧٧ ) ، سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢٣ / ١٢٢–١٢٤ ) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ( ٥/ ٢٢٢/ ٢٢٣ ) ، طبقات الشافعية للإسنوي ( ٢/ ٦٨، ٦٩ ) ، طبقات الشافعية للسبكي (٨ / ٢٩٧ ) ، طبقات المفسرين للداودي ( ١/ ٤٢٥–٤٢٨ ) ، غاية النهاية لابن الجزري ( ١ / ٥٦٨ – ٥٧١ ) ، معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٣ / ١٩٦ ) ، وفيات الأعيان لابن خلكان ( ٣ / ٣٤٠ ، ٣٤١).

**قال ابن خلكان** : وقياسه : سخوي ، لكن الناس أطبقوا على النسبة الأولى .

(٢) **ينظر** : تاريخ العصر الأيوبي للدكتورة أمينة بيطار ( ص : ٣٩ ـ وما بعدها ) ، ط . دار الطباعة الحديثة ـ دمشق ـ ١٩٨١م ، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي ، للدكتور عبد اللطيف حمزة (ص : ١٥٠ ـ وما بعدها ) ، ط ٢. دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٦٨ م .

وعصر المماليك . واتسم هذان العصران بكثرة الفتن الداخلية والخارجية؛ تمثلت الفتن الداخلية في الخلاف والصراع على تقاسم السلطة بين أبناء صلاح الدين بعد موته ، مما أدى إلى سقوط دولتهم في نهاية الأمر سنة ٦٤٨هـ . وقامت على إثرهم دولة المماليك ، التي لم تخل أيضا من القلاقل والفتن والخلاف حول تولي السلطة والحكم بين الأمراء والسلاطين ، حتى وصل الأمر إلى التقاتل والصراعات التي أودت بحياة البعض منهم .

أما الفتن الخارجية فقد تمثلت في الخطرين الرهيبين اللذين أحدقا بالأمة في ذلك العصر وهما : الخطر الصليبي الأوربي ، وما نتج عنه من حروب شديدة طاحنة عرفت في التاريخ ( بالحروب الصليبية ) ، وقد استمرت زمنا طويلا ، وانتهى الأمر إلى الهزيمة الشديدة للصليبيين على يد البطل المسلم صلاح الدين الأيوبي في موقعة حطين الخالدة سنة ٥٨٣ هـ وأعاد الأقصى وبيت المقدس للمسلمين بعد احتلال زاد على تسعين عاما تحت أيدي الصليبيين .

ثم جاء الخطر الثاني وهو خطر التتار الذين هجموا هجمة شرسة على العالم الإسلامي، واستولوا على عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك بغداد وقتلوا الخليفة العباسي ، واتجهوا نحو الاستيلاء والسيطرة على العالم الإسلامي كله ، ولكن الله ـ تعالى ـ رد كيدهم في نحورهم ، وهيَّأ من الأمة من يرد هذا الخطر الرهيب ، وظهر القائد البطل المصري المظفر قطز الذي وحَّد بين جيش المسلمين في مصر والشام ، وتصدى للتتار وألحق بهم هزيمة منكرة في موقعة ( عين جالوت ) سنة ٦٥٨ هـ .

**ثانيًا ـ الحالة الاجتماعية والاقتصادية :**

إن الحالة الاجتماعية والاقتصادية في أي عصر تكون تابعة للحالة السياسية ، وقد انعكس ذلك الأمر في تلك الفترة التي عاشها السخاوي فقد عاش في الشام ومصر، وكانت البلاد في القطرين تمرّ بظروف متشابهة اجتماعيًا واقتصاديًا ؛ فاجتماعيًا كان المجتمع يتألف من مجموعة من الطبقات وهي :

ـ **الحكام وأعوانهم** : وكانوا يعيشون في بحبوحة من العيش والترف والبذخ ، وظهر في هذه الطبقة بعض المظالم والمفاسد .

ـ **العلماء والفقهاء** : وكانوا حلقة الوصل بين الحكام والعامة ، وكان الناس يُجِلُّونهم ويحترمونهم لا سيما أهل الحق و الشجاعة منهم ، الذين لا يخافون في الحق لومة لائم كعلم الدين السخاوي- رحمه الله - وأمثاله فيناصحون الحكام وينكرون عليهم المنكر الذي يظهر منهم . وكان منهم مجموعة من المداهنين للحكام فلا يأمرونهم بمعروف ولا ينهونهم عن منكر، مما أظهر بعض الخلاف بين الفريقين من العلماء .

ـ **العامة** : وهم أصحاب المهن والحرف والتجار والزراع وغيرهم من العاملين والكادحين .

ـ **أهل الذمة** : وهم اليهود والنصارى الذين يعيشون في الدولة الإسلامية ، وكانوا يشاركون في تقدم البلاد ، ولهم دور مهم في التجارة والأعمال الحرفية ، وبرز منهم كثير من الأدباء وأصحاب الأموال والأعمال .

**ثالثًا ـ الحالة العلمية :**

لم يؤثر الوضع السياسي للدولة الإسلامية في عصر السخاوي على الوضع العلمي، بل على العكس لقد نشطت الحياة العلمية نشاطًا ملحوظًا ، وذلك لاهتمام الحكام والأمراء بالعلم والعلماء ، وتقريبهم لهم ، وتشجيعهم لطلبة العلم بإعطائهم المكافآت ، وبناء المدارس ، وخزائن الكتب ، ومساكن الطلاب . واشترك في ذلك السلطان نور الدين زنكي، وسلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين ، وسار سلاطين المماليك في الدولة المملوكية على نهج الأيوبيين . وأفرز هذا النشاط العلمي العديد من العلماء والجهابذة في شتى مجالات العلم وكان من أشهر علماء عصره :

١ ـ فخر الدين الرازي المفسر ت ( ٦٠٦هـ ) .

٢ ـ ابن الأثير الجزري اللغوي ت ( ٦٠٦هـ ) .

٣ ـ ابن قدامة ت ( ٦٢٠ هـ ) .

٤ ـ الرافعي ت ( ٦٢٤هـ ) .

٥ ـ عز الدين بن الأثير المؤرخ ت ( ٦٣٠ هـ ) .

٦ ـ السهروردي ت ( ٦٣٢هـ ) .

٧ ـ جمال الدين الحصيري الحنفي ت ( ٦٣٧ هـ ) .

٨ ـ ابن العربي المالكي ت ( ٦٣٨ هـ ) .

٩ ـ أبو عمرو بن الصلاح ت ( ٦٤٣ هـ ) .

١٠ ـ العز بن عبد السلام ت ( ٦٦٠ هـ )

١١ ـ أبو عمرو بن الحاجب النحوي المالكي ت ( ٦٤٦ هـ ) .

١٢ ـ مجد الدين بن تيمية ت (٦٥١ هـ ) .

١٣ ـ ابن مالك النحوي صاحب الألفية ت ( ٦٧٢ هـ ) وهو من تلامذته .

١٤ ـ محيي الدين النووي ت ( ٦٧٦ هـ ) .

وغيرهم كثيرون من شيوخ السخاوي وتلامذته الذين سيأتي ذكرهم في هذا التعريف الموجز له .

*** أخلاقه :**

وصفه الكثيرون من معاصريه وممن جاءوا بعده وأثنوا على أخلاقه ومن هؤلاء :

قال السيوطي في نعته : « طويل الباع في الأدب ، مع التواضع في الدين والمودة وحسن الأخلاق ، من أفراد العالم ، وأذكياء بني آدم ، مليح المجاورة ، حلو النادرة ، حادُّ القريحة ، مطَّرح التكلُّف »[١] .

وقال ابن الجزري بعد تعداد العلوم التي برع فيها السخاوي : « وكان مع ذلك ديِّنًا خَيِّرًا متواضعاً ، وافر الحرمة ، كبير القدر ، محبباً إلى الناس ، ليس له شغل إلا العلم والإفادة »[٢] .

*** منزلته العلمية :**

كان الإمام علم الدين السخاوي إماماً في العربية ، بصيراً باللغة ، فقيهاً ، مفتياً ، عالماً بالقراءات وعللها ، مجوّداً لها ، بارعاً في التفسير ، صنف وأقرأ وأفاد ، وروى الكثير وبعُدَ صيته ، وتكاثر عليه القراء . فهو إمام في القراءات ، والحديث ، والتفسير ، واللغة ، والأدب .

قال الإمام الذهبي : « كان إماماً كاملاً ، ومقرئاً محقِّقاً ، ونحويًّا علاَّمةً ، مع بَصره بمذهب الإمام الشافعي ﷺ ومعرفته بالأصول ، وإتقانه للغة ، وبراعته في التفسير ، وإحكامه لضروب الأدب ، وفصاحته بالشعر ، وطول باعه في النثر »[٣] .

وقال ابن خلكان : « ورأيته بدمشق والناس يزدحمون عليه في الجامع لأجل القراءة ولا يصح لواحدٍ منهم نوبة إلا بعد زمان ... ولم يزل مواظباً على وظيفته إلى أن تُوفيَ بدمشق »[٤] .

ونقل السيوطي قول بعضهم : « كان إماماً عالماً مقرئاً محققاً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها ، إماماً في النحو واللغة والتفسير ، عارفاً بالفقه وأصوله ، طويل الباع في الأدب »[٥] .

---

(١) بغية الوعاة ( ٢/ ١٩٢ ) .
(٢) غاية النهاية (١/ ١٩٢) .
(٣) معرفة القراء ( ص ٥٠٤ ) ، بغية الوعاة ( ٢ / ١٩٢ ) .
(٤) وفيات الأعيان ( ٣ / ٣٤٠ ) .
(٥) بغية الوعاة ( ٢ / ١٩٢ ) .

وليس أدلّ على مكانته العلمية من مصنفاته وتلاميذه وآثاره ؛ فقد نقل ابن الجزري العلوم التي برع فيها السخاوي ، ثم قال : « أتقن هذه العلوم إتقاناً بليغاً ، وليس في عصره من يلحقه فيها ، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك ، مفتياً ، أصوليًّا ، مناظرا » .

وقال أيضاً: « أقرأ الناس نيِّفاً وأربعين سنة بجامع دمشق عند رأس يحيى بن زكريا- عليهما السلام ـ ثم بتربة أم الصالح ، ولأجله بُنيتْ وبسببه جعل شرطها على الشيخ أن يكون أعلم أهل البلد بالقراءات ، فقصده الطلبة من الآفاق ، وازدحموا عليه ، وتنافسوا في الأخذ عنه » [١].

وذكر الإسنوي أنه « كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي ، إماماً في القراءات والتفسير والنحو واللغة » [٢] . وقول الإمام الذهبي الذي ترجم له في أكثر من كتاب يشير إشارة صريحة إلى إمامة السخاوي وتفوقه على أقرانه حيث قال : « وانتهت إليه رئاسة الإقراء والأدب في زمانه بدمشق ، وقرأ عليه خلق لا يحصيهم إلا الله ، وما علمت أحداً حمل عنه القراءات أكثر مما حمل عنه وله تصانيف متقنة » [٣].

*** شيوخه وتلاميذه :**

**أولاً - شيوخه :**

أخذ علم الدين السخاوي العلم عن جماعة كبيرة من جِلَّة العلماء في مصر والشام نذكر منهم :

**- من شيوخه في مصر :**

١ ـ الحافظ أبو الطاهر السِّلَفِي [٤] : صدر الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سَلِفة الأصبهاني ، أحد الحفاظ المكثرين ، رحل في طلب العلم والحديث ولقي أعيان المشايخ ، وكان شافعي المذهب ، تُوفيَ بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ .

٢ ـ صدر الإسلام أبو الطاهر بن عوف بن إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري الإسكندراني المالكي [٥]، تُوفيَ سنة ٥٨١هـ .

٣ ـ أبو الجيوش عساكر بن علي الشافعي[٦] : فقيه مقرئ كامل ، وإمام صادق صالح ، تُوفيَ ٥٨١هـ .

---

(١) غاية النهاية (١/ ٥٦٩) .
(٢) طبقات الشافعية (٢/ ٦٨) .
(٣) العبر في خبر من غبر (٥/ ١٧٨) .
(٤) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان ( ٢ / ١٠٥ ) .
(٥) تنظر ترجمته في: شذرات الذهب (٤/ ٢٦٨) .
(٦) تنظر ترجمته في: غاية النهاية (١/ ٥١٢) .

٤ ـ أبو القاسم البوصيري [(١)]: هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت بن هاضم بن غالب ابن ثابت الأنصاري الخزرجي المعروف بالبوصيري ، كان أديباً كاتباً ، له سماعات عالية ، وروايات تفرد بها ، وألحق الأصاغر بالأكابر في علوِّ الإسناد ، ولم يكن في آخر عصره في درجته مثله ، تُوفيَ سنة ٥٩٨هـ .

٥ ـ الشاطبي [(٢)]: هو الإمام أبو القاسم – وقيل أيضاً : أبو محمد القاسم بن فيّرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير المقرئ صاحب (حرز الأماني ) في القراءات، وكان عالماً بكتاب الله – تعالى– قراءةً وتفسيراً ، وبحديث رسول الله ﷺ مبرزاً فيه عالماً بالنحو واللغة ، وتصدر للإقراء بمصر ، فعظم شأنه ، وبعد صيته ، وانتهت إليه الرئاسة في الإقراء ، تُوفيَ سنة ٥٩٠هـ وهو من أكبر أساتذة السخاوي ، ومع ذلك فقد قيض الله –تعالى– لقصيدته في القراءات أن تذاع على يدي تلميذه ، وكأنه كان يخصه بذلك حينما قال : « يُقَيِّضُ اللهُ لَهَا فَتىً يَشْرَحُهَا » .

لازمه السخاوي مدة وقرأ عليه القرآن بالروايات ، وتلقن منه ، وقرأ عليه النحو واللغة. ثم شرح قصيدته المشهورة بالشاطبية في كتابه العظيم ( فتح الوصيد في شرح القصيد ) .

٦ ـ أبو الجود اللخْمِي [(٣)]: هو غياث بن فارس بن مكي المقرئ النحوي العروضي الضرير شيخ القراء بديار مصر ، تُوفيَ سنة ٦٥٠هـ .

٧ ـ الشهاب الغزنوي [(٤)] : محمد بن يوسف بن علي ، أبو الفضل الغزنوي ، المقرئ الفقيه النحوي ، نزيل القاهرة ، تُوفيَ سنة ٥٩٩هـ .

**ـومن شيوخه في دمشق :**

٨ ـ ابن طبرزد [(٥)]: أبو حفص عمر بن أبي بكر بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حسان المحدث المشهور البغدادي ، كان عالي الإسناد ، وأفاد أهلها ، وألحق الأصاغر بالأكابر ، وطبق الأرض بالسماعات والإجازات ، وامتدت له الحياة فخلا له العصر ، وكان فيه صلاح وخير ، تُوفيَ ببغداد سنة ٦٠٧هـ .

٩ ـ حنبل بن عبد الله الرصافي [(٦)] أبو بكر عبد الله المكبر المحدث راوي المسند بكماله عن

---

(١) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان ( ٦ / ٦٧) .
(٢) تنظر ترجمته في: وفيات الأعيان ( ١ / ٧٤ ) .
(٣) تنظر ترجمته في : معرفة القراء الكبار ( ٤٧٠ ) .
(٤) تنظر ترجمته في : معرفة القراء الكبار ( ٥٦٢ ) .
(٥) تنظر ترجمته في : وفيات الأعيان ( ٣/ ٤٥٢ ) .
(٦) تنظر ترجمته في : شذرات الذهب (١٢/٥) .

ابن الحصين ، وسمع المسند في نيف وعشرين مجلساً بقراءة ابن الخشاب ، تُوفيَ سنة ٦٠٤هـ.

١٠ ـ أبو اليُمْن الكندي [1] : هو زيد بن الحسن تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي التاجر المقرئ النحوي الحنفي ، شيخ القراء والنحاة بدمشق ، كان عالي الإسناد في القراءات والحديث ، تُوفيَ سنة ٦١٣هـ .

عاود السخاوي قراءة القرآن الكريم عليه بالروايات ، ولازمه وقرأ عليه جملة من سماعاته في الأدب وغيره ، قال عنه في المفضل : « لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي – رحمه الله – وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره ، وأخذت عنه كتاب سيبويه ، وقرأت عليه كتاب ( الإيضاح ) لأبي علي الفارسي مستشرحاً ، وأخذت عنه كتاب ( اللمع ) لأبي الفتح بن جني ، وكان واسع الرواية وافر الدراية . كما أخذ عنه ( الحجة ) لأبي علي الفارسي ، وذكره في سفر السعادة في مواضع متعددة من الكتاب ، كما ذكره في المفضل مادحاً ونقل عنه كثيراً من آرائه [2] .

**ثانياً ـ تلاميذه :**

قال الذهبي : « وقرأ على السخاوي خلق لا يحصيهم إلا الله ، وما علمت أحداً في الإسلام حمل عنه القراءات أكثر مما حمل عنه ، وله تصانيف متقنة ، وكان له حلقة بجامع دمشق يقرأ عليه فيها القرآن الكريم والعربية والحديث ، فإذا خرج من الجامع إلى قاسيون ركب حماراً ، والطلبة يقرؤون عليه القرآن في الطريق » [3] .

ومن هنا فإن تلاميذه يفوقون الحصر نذكر هنا بعضهم على سبيل التمثيل :

١ ـ ابن مالك [4] أبو عبد الله ، جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الشافعي النحوي ، نزيل دمشق . الإمام العالم النحوي الذي طبقت شهرته الآفاق ، ولد بجيان سنة ٦٠٠هـ وتُوفيَ سنة ٦٧٢هـ .

قال ابن الجزري بعد أن ترجم له : وأشهر هؤلاء الشيوخ الذين كان لهم الفضل الكبير في نبوغه في النحو والقراءات أبو الحسن السخاوي ، وابن يعيش الحلبي ».

٢ ـ أبو شامة [5]: شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي

---

(١) **تنظر** ترجمته في : معرفة القراء الكبار للذهبي (٤٦٧) .

(٢) سفر السعادة وسفير الإفادة للسخاوي ، تحقيق الأستاذ محمد أحمد الدالي (١/ ١٥) .

(٣) **تنظر** ترجمته في : مرآة الزمان لليافعي ( ٨ / ٧٥٨ ) .

(٤) **تنظر** ترجمته في : بغية البغاة ( ١ / ١٣٠ ) ، شذرات الذهب ( ٥ / ٣٣٩ ) .

(٥) **تنظر** ترجمته في : البداية والنهاية ( ١٣ / ٢٥٠ ) ، شذرات الذهب ( ٥ / ٣١٨ ) .

ثم الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي ، الإمام الحافظ العلامة ، صاحب ( إبراز المعاني ) في شرح قصيدة الشاطبي في القراءات ، ولد سنة ٥٩٩هـ ، وتُوفيَ سنة ٦٦٥هـ.

٣ ـ أبو الفتح محمد بن علي بن موسى[(١)]، شمس الدين الأنصاري الدمشقي ، أجلُّ أصحاب السخاوي ، قرأ عليه السبع ، إفراداً وجمعاً.

٤ ـ أبو الفداء إسماعيل بن عثمان المعلم[(٢)] ، إمام عالم بالقراءات قرأ بالروايات على السخاوي تُوفيَ سنة ٧١٤هـ.

٥ ـ جمال الدين أحمد بن عبيد الله بن شعيب التميمي الصقلي[(٣)]، ولد سنة ٥٩٠هـ ، ولازم السخاوي مدة وأتقن القراءات عليه . تُوفيَ سنة ٦٦٧هـ.

وغير هؤلاء الكثير من العلماء والمشهورين في علوم القراءات واللغة .

*** مذهبه في العقيدة والفقه والنحو :**

**أولا - مذهبه في العقيدة :**

كان السخاوي ـ رحمه الله ـ يقول بقول الأشاعرة في مسائل الإيمان والاعتقاد لاسيما في القول في صفات الله ـ تعالى ـ التي كانت مثار الجدل والخلاف بين طوائف المسلمين من حيث كيفية الإيمان بها .

فمنهم من أثبتها كما وردت في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تشبيه ولا تعطيل ، ويُمررونها كما أتتْ على مراد الله - تعالى - في إطار قوله -تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ونفوا عن الله ـ تعالى ـ ما لم يثبته لنفسه ، مراعين تنزيه الله - تعالى - عن مشابهة خلقه في صفاته ، كما لا يشبهه أحد في ذاته . وهذه هي عقيدة الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المشهورين: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد - رحمهم الله . وهي أيضا عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى ـ كما جاء في كتابيه : ( الإبانة عن أصول الديانة ) ، و ( مقالات الإسلاميين ) ، وهما آخر ما كتب الشيخ أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله تعالى .

وهناك طائفة أخرى خالفوا هذا المنهج في الإيمان بصفات الله ـ تعالى ـ وأدى بهم إعمال عقولهم بطريقة مُبالَغ فيها إلى نفي الكثير من صفات الله - تعالى- بدعوى التنزيه . وقام على إثر هذا الخلاف طوائف أخرى كالمعتزلة والجهمية والمعطلة وغيرهم ، وكان المذهب

---

(١) تنظر ترجمته في : طبقات القراء ( ٢ / ٢١١ ) .

(٢) تنظر ترجمته في : طبقات القراء ( ١ / ١٦٦ ) .

(٣) تنظر ترجمته في : الذيل على الروضتين ( ٢٣٥ ).

الأشعري في بعض الأوقات يعده البعض مذهب أهل السنة والجماعة لردهم على المذاهب الأخرى وخاصة المعتزلة الذين بالغوا في تعطيل كثير من الصفات بجانب تبنيهم لآراء جديدة تتعلق بالتوحيد والقدر وموقف أهل الكبائر من المسلمين وغيرها . وقد أعجب السخاوي ـ رحمه الله ـ بآراء الأشاعرة في هذه الأمور والتزم مذهبهم وأقوالهم .

وقد صنف السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ بعض المصنفات في العقيدة منها : الكوكب الوقاد في الاعتقاد في أصول الدين ، كما سيأتي في ذكر مصنفاته وآثاره. وظهر مذهبه العقدي واضحا في هذا التفسير ؛ فأوَّلَ صفات الله ـ تعالى ـ على النحو الذي يليق بها ـ من وجهة نظره ـ بحيث تنتفي أي شبهة أو إيهام بتشبيه صفات الله تعالى بصفات المخلوقين ، كما ردَّ على المعتزلة في العديد من الأمور ، والمتتبع لتفسيره يرى ذلك واضحًا جليًّا ، وقد علقنا على ذلك في الحاشية وبينا مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في تلك الأمور .

**ثانيا – مذهبه الفقهي :**

تقدم الحديث عن مكانته العلمية ومما ذكر في علومه أنه كان مهتمًّا بالفقه عالمًا بأصوله ومفتيًا ومناظرًا كما قال الذهبي : « مع بَصره بمذهب الإمام الشافعي ﷺ ومعرفته بالأصول ». وذكر الإسنوي أنه « كان فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي » . ونقل السيوطي قول بعضهم : « كان إماماً عالماً مقرئاً محققاً مجوداً بصيراً بالقراءات وعللها ، إماماً في النحو واللغة والتفسير ، عارفاً بالفقه وأصوله » ونقل ابن الجزري العلوم التي برع فيها السخاوي ثم قال : « أتقن هذه العلوم إتقاناً بليغاً ، وليس في عصره من يلحقه فيها ، وكان عالماً بكثير من العلوم غير ذلك ، مفتياً ، أصوليًا ، مناظرًا » . وقد كان مبدأ اشتغاله بالفقه على مذهب الإمام مالك بمصر ، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي ـ رحمهم الله جميعًا . وقد ظهر اهتمامه بالفقه ومسائله في تفسيره من خلال إيراده للكثير من المسائل والأحكام المستنبطة من الآيات القرآنية ، ومن خلال نقله لآراء العديد من الفقهاء ، وذكر بعض كتب الفقه ، وكان واضحًا من خلال عرضه لذلك اتباعه لمذهب الشافعي ـ رحمه الله تعالى .

**ثالثا – مذهبه النحوي :**

كان علم الدين السخاوي إمامًا في النحو واللغة والأدب ، وهذا أمرٌ جليٌّ في ضوء كتبه ومصنفاته ، وحسبه كتابه ( المفضل في شرح المفصل ) ، ويعد السخاوي من نحاة القرنين السادس والسابع الهجريين ، وكان النحو في هذه الفترة قد وصل إلى مرحلة النضج ، وأصبح علمًا متكاملاً شامخ البنيان مكتمل الأركان ، مما جعل دور نحاة هذه الفترة يغلب عليه الترجيح والاختيار والشرح والتحليل والتبويب والتنظيم لمصنفات السابقين وآرائهم ،

ومع ذلك فقد أبدع النحاة في تلك الفترة في جمع آراء وأقوال العلماء المتقدمين ، من خلال كتبهم ، وعرضها مع المناقشة والترجيح والاختيار ، على أساس الدليل القوي والحجة على ما يختارونه - وامتاز نحاة هذه الفترة بالمنهجية في التأليف والإبداع في التنظيم والتبويب والشرح والتحليل .

ـ وقد دارت معظم المصنفات والمؤلفات في تلك الفترة في فلك شروح مصنفات المتقدمين ، ومن أبرزها : ( كتاب سيبويه ) ، ومصنفات أبي علي الفارسي ، وغيرهما .

ـ وكان الاتجاه الغالب في تلك الفترة على النحاة عدم التقيد بمذهب نحوي معين ، بل قام مذهبهم على الاختيار والانتقاء من كل مدرسة ما يرونه صوابًا ، مستندًا على الأدلة والشواهد التي تؤيد هذا الرأي أو ذاك . وهو ما كان يمثّل اتجاه المدرسة البغدادية[1]، مع وجود طائفة أخرى من النحاة كانوا يتقيدون بمذهب معين من المذاهب النحوية المعروفة.

وكان علم الدين السخاوي ـ الذي عاش في تلك الفترة ـ يذهب مذهب غالب نحاة عصره ، وهو اتجاه المدرسة البغدادية ، مع ميله بصورة أكثر إلى المدرسة البصرية .

ـ وكان اتجاه البغداديين يقوم على الأخذ من المدرستين الأصليتين مدرسة الكوفة ومدرسة البصرة ـ هو المذهب الغالب على نحاة تلك الفترة ، من أمثال : الزمخشري ( ت ٥٣٨ هـ )، وابن الشجري ( ت ٥٤٢ )، وأبو البركات بن الأنباري ( ت ٥٧٧هـ )، وأبو البقاء العكبري ( ت ٦١٦هـ ) ، وابن يعيش شارح المفصل ( ت ٦٤٣هـ ) ، وغيرهم [2].

ـ والحق أن السخاوي ـ رحمه الله ـ لم يصرح بمذهبه النحوي في مصنفاته وكذلك لم يصرح بميله وانتمائه إلى مدرسة نحوية معينة ، ولكن ما دعانا إلى الحكم ببغداديته في النحو ما استنبطناه من خلال مصنفاته وتفسيره ، ويمكن إجمال الأدلة والشواهد على ما ذهبنا إليه في النقاط التالية :

**١ ـ مصادره .**

**٢ ـ موقفه من المدارس النحوية ومسائل الخلاف .**

**٣ ـ اختياراته ومخالفاته .**

**٤ ـ مصطلحاته [3].**

---

(١) **ينظر** : المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف ( ص : ٢٤٥ ) .

(٢) **ينظر** : المدارس النحوية ( ص : ٢٧٧ ) .

(٣) **ينظر** : تفصيل ذلك في : السخاوي وجهوده النحوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم ( ص : ٣٤١ وما بعدها ) للدكتور أشرف محمد عبد الله . رسالة ماجستير – بدار العلوم – المنيا .

*** وفاته :**

قال أبو شامة أحد تلاميذ الإمام السخاوي : « وفيها ـ أي في سنة ٦٤٣هـ ـ ليلة الأحد ثاني عشر من جمادى الآخرة تُوفيَ شيخنا علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي ـ رحمه الله ـ علاَّمة زمانه ، وشيخ عصره وأوانه بمنزله بالتربة الصالحية . وصُلِّي عليه بعد الظهر بجامع دمشق ، ثم خُرج بجنازته في جمع متوفر إلى جبل ( قاسيون ) ، فدفن بتربته التي في ناحية تربة بني صصري خلف دار ابن الهادي . حضرت الصلاة عليه مرتين بالجامع وخارج باب الفرج ، وشيعته إلى سوق الغنم ، ثم رجعت لضعف كان من أثر مرض قريب العهد وكان يوماً مطيراً وفي الأرض وَحْلٌ كثير ، وكان على جنازته هَيْبَةٌ وجلالةٌ ورقَّة وإخبات . وختم بموته موت مشايخ الشام يومئذٍ . وفقد الناسُ بموته علماً كثيراً ، ومنه استفدت علوماً جَمَّةً ؛ كالقراءات والتفسير وعلوم العربية ، وصحبته من شعبان سنة أربع عشرة ، ومات وهو عني راضٍ ، والحمد لله على ذلك - رحمه الله - وجمع بيننا وبينه في جنته آمين »[1] . اهـ .

**ثانيا - آثاره ومصنفاته :**

ذكر المترجمون له العديد من المصنفات نذكر منها :

١ ـ الإفصاح وغاية الإشراح في القراءات السبع[2] .

٢ ـ أقوى العدد في القراءة[3] .

٣ ـ التبصرة في صفات الحروف وأحكام المد[4] .

٤ ـ تحفة الفراض وطرقة المرتاض[5] .

٥ ـ تفسير القرآن العظيم : وهو الذي بين أيدينا ، وسيأتي حديث مستقل عنه إن شاء الله تعالى .

٦ ـ تنوير الظلم في الجود والكرم[6] .

٧ ـ جمال القُرَّاء وكمال الإقراء وهو مطبوع[7] .

---

(١) الذيل على الروضتين ( ١٧٧ ) .

(٢) **ينظر** : كشف الظنون ( ١ / ٨١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٣) **ينظر** : كشف الظنون ( ١ / ٨١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٤) ذكر بروكلمان أنَّ منه نسخة في الآصفية رقم ( ٢٦٦ ) .

(٥) **ينظر** : كشف الظنون ( ٢ / ١١٧١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٦) **ينظر** : كشف الظنون ( ١ / ٥٠١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٧) مطبوع بمطبعة المدني ـ مكة المكرمة ـ تحقيق : د . حسين علي البواب ـ ١٩٨٧ م .

٨ ـ الجواهر المكملة في الأخبار المسلسلة [١] .

٩ ـ ذات الحلل ومهاة الكِلَل[٢] : ذكره ابن الشعار، ومنه نسخة في دار الكتب المصرية، ونسخة مصورة عن دار الكتب المصرية بمعهد المخطوطات العربية ، وقد ألحقها الأستاذ الدالي بكتاب سفر السعادة .

١٠ ـ سفر السعادة وسفير الإفادة [٣] .

١١ ـ شرح مشكاة المصابيح للبغوي [٤].

١٢ ـ شكوى الاشتياق إلى النبي الطاهر الأخلاق [٥].

١٣ ـ الطود الراسخ في المنسوخ والناسخ في القراءة [٦].

١٤ ـ عمدة المفيد وعدة المجيد في معرفة التجويد : منظومة في أحكام التجويد ، وهي مضمنة في كتاب ( جمال القراء ) ، وأفاد منها من بعده كثيراً [٧] .

١٥ ـ فتح الوصيد في شرح القصيد [٨] : شرح فيها قصيدة الإمام الشاطبي المسماة بـ ( حرز الأماني ووجه التهاني ).

١٦ ـ القصائد السبع ، في المدائح النبوية : ذكره ابن الجزري وحاجي خليفة [٩].

١٧ ـ الكوكب الوقّاد : ذكره بروكلمان ، باسم ( الكوكب الوقاد في الاعتقاد في أصول الدين ) ، وذكره السيوطي في البغية باسم ( الكوكب الوقاد في أصول الدين ) ، وفي هدية العارفين : الكوكب الوقاد في تصحيح الاعتقاد [١٠] .

---

(١) **ينظر** : كشف الظنون ( ١ /٦١٧ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٢) **ينظر** : كشف الظنون ( ١ /٦١٧ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٣) مطبوع ـ مجمع اللغة العربية بدمشق بتحقيق الأستاذ محمد أحمد الدالي . ط. ١٩٨٣ م .

(٤) **ينظر** : كشف الظنون ( ٢ /٦٩٨ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٥) **ينظر**: هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٦) **ينظر** : كشف الظنون ( ٢ /١١١٨ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٧) **ينظر** : كشف الظنون ( ٢ /١١٧١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٨) مطبوع بدار البيان – الكويت – تحقيق: د. أحمد عدنان الزغبي – ٢٠٠٢م .

(٩) ذكره البغدادي في هدية العارفين بأكثر من اسم منها: ذات الأصول في مدح الرسول – ذات الأصول والقبول في مفاخر الرسول – ذات الدرر في معجزات سيد البشر .
**ينظر**: هدية العارفين (١/٣٧٨) ومنه نسخة في برلين (٧٧٥٢) .

(١٠) **ينظر**: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (١/٧٢٨) ، كشف الظنون (٢/١٥٢٣) ، هدية العارفين (١/٣٧٨).

١٨ ـ لواقح الفكر في أخبار من غبر [١] .

١٩ ـ مراتب الأصول وغرائب الفصول في القراءة [٢] .

٢٠ ـ المفاخرة بين دمشق والقاهرة : ذكره ابن الجزري ، وهو من كتب السخاوي المفقودة .

٢١ ـ المفضل في شرح المفصل :

ذكره أكثر من ترجم للسخاوي والكتاب حُقِّق في عدد من الرسائل العلمية [٣] .

٢٢ ـ منازل الإجلال والتعظيم في فضائل القرآن العظيم [٤] .

٢٣ ـ مناسك الحج : ذكره ابن الشعار باسم ( تحفة الناسك في معرفة المناسك ) [٥] .

٢٤ ـ منهاج التوقيف في القراءة [٦] .

٢٥ ـ منير الدياجي في تفسير الأحاجي : ذكره الذهبي وابن الجزري وابن الشعار ، وذكره السخاوي في كتابه سفر السعادة ، وسماه السيوطي في البغية بـ ( شرح أحاجي الزمخشري ) [٧] .

٢٦ ـ نثر الدرر في ذكر الآيات والسور [٨] .

٢٧ ـ هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في نظم متشابه الكتاب منظومة في متشابه كلمات القرآن الكريم [٩] .

٢٨ ـ الوسيلة إلى كشف العقيلة [١٠]: هو الشرح الشهير على قصيدة الإمام الشاطبي ، ذكره ابن الجزري ، والذهبي والسيوطي ، وابن قاضي شهبة وابن العماد الحنبلي

---

(١) **ينظر**: هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٢) **ينظر**: كشف الظنون (٢/ ١٦٥٠) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٣) منها: رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة – يوسف محمد محمود – ١٩٨١م– رقم (٢٦٧٨) ، رسالة دكتوراه – كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة – محمود السيد الدريني – ١٩٩٢م– رقم (٢٨٥٥) .

(٤) **ينظر**: كشف الظنون (٢/ ١٨٢٧) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٥) **ينظر**: كشف الظنون (٢/ ١٨٣٠) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٦) **ينظر**: كشف الظنون (٢/ ١١٧١) ، هدية العارفين (١/ ٣٧٨) .

(٧) حققه الدكتور سلامة عبد الغفور المراقي بالسعودية .

(٨) **ينظر** : كشف الظنون ( ٢ / ١٩٢٧ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٩) **ينظر** : كشف الظنون ( ٢ / ١١٧١ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) وهي مطبوعة محققة .

(١٠) **ينظر** : كشف الظنون (١/ ١١٥٩ ) ، هدية العارفين ( ١ / ٣٧٨ ) ومنه نسخة في تركيا – مكتبة سليم أغا رقم ( ٢٢ ) .

وحاجي خليفة .

**ـ ومن نظمه وشعره:**

١ ـ منظومة في نظم الأحاجي تعقيباً على أحاجي الزمخشري .

٢ ـ منظومة في نظم متشابه آي الكتاب . وهي هداية المرتاب .

٣ ـ منظومة في نظم علم التجويد وأحكامه .

٤ ـ منظومة في نظم الأدب واللغة المسماة بـ ( ذات الحلل ) وهي منظومة عدة أبياتها ثلاثة وأربعون بيتاً ومائتا بيت ، جمع فيها ثمانية وسبعين لفظاً ومائتي لفظ مما اتفق لفظه ، واختلف معناه ، ويظهر فيها مقدرته الفائقة وسيطرته على نواصي اللغة ، ومع غرابة موضوعها وطرافته وصعوبته إلا إنها نظم رقيق على نغمة بحر جميل ـ البسيط ـ تؤنس السماع وتمتعه ويصعب على من بدأ قراءتها ألا يتمها ؛ لما لها من عذوبة وجرس وكذا لما تضمنته من فوائد لغوية وأدبية ... إلخ . وله عليها شرح جميل استوفى فيه الألفاظ الغريبة فيها .

٥ ـ وذكر أنَّ له قصيدة في مدح السلطان صلاح الدين ، وأخرى في مدح الأديب الفارقي .

وذكر السيوطي في البغية للسخاوي نظماً متناثراً . وله قصيدة نونية جمع فيها فضائل شيخه أبي اليمن الكندي ، رواها تلميذه أبو شامة [١] ، وعدة أبياتها أربعة وعشرون بيتاً .

وله أيضاً أبيات متناثرة من إنشائه في سفر السعادة . وأنشد له في مرآة الزمان أحد عشر بيتاً من ميمية له طويلة في مدح الرسول ﷺ.

وقال السيوطي عن نظمه في بغية الوعاة : ( ونظمه في الطبقة العليا ) .

ومن شعره ما نقلته لنا مصادر ترجمته عندما حضرته الوفاة قال [ من السريع ] :

قالوا : غداً نأتي ديار الحمى ... وينزل الركب بمغناهمُ

وكل من كان مطيعاً لهم ... أصبح مسروراً بلقياهمُ

قلت : فلي ذنب فما حيلتي ؟ ... بأيِّ وجهٍ أتلقاهمُ

قالوا : أليس العفو من شأنهم ؟ ... لا سيَّما عمَّن ترجَّاهمُ [٢]

---

(١) **ينظر** : الذيل على الروضتين ( ٩٦ ) .

(٢) **ينظر** : معجم الأدباء ( ١٥ / ٦٥ ) .

ومما نسب إليه وليس له : نظم الضوابط النحوية . وهو مما نسب إلى السخاوي وليس له [(١)].

**ثالثا - السخاوي في مصنفات الآخرين :**

السخاوي عالم موسوعي برز وتقدم في علوم كثيرة ، ومن أكبر الأدلة على هذا كثرة مصنفاته وتنوعها في علوم الشريعة واللغة والأدب كما سبق من ذكر مصنفاته.

ومما يدل على شهرته وإمامته أيضا ما نقله عنه الآخرون من العلماء في مصنفاتهم وقد أشار بعض الباحثين إلى آثار السخاوي في بعض المصنفات وإلى تأثيره في كثير من العلماء ومن تلك الدراسات :

١ ـ أثر السخاوي في ابن يعيش وشرحه على المفصل [(٢)] .

٢ ـ أثر السخاوي في الزنجاني وكتابه ( الكافي شرح الهادي ) [(٣)].

٣ ـ أثر السخاوي في المزهر للسيوطي [(٤)].

٤ ـ أثر السخاوي في المصباح المنير للفيومي [(٥)].

٥ ـ أثر السخاوي في ( شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي [(٦)] .

---

(١) هو مخطوط يقع في ثماني ورقات ، قال الدكتور عبد الكريم جواد كاظم : ولم أجده للسخاوي ، ونسبه الدكتور أحمد هريدي للمهلبي ولم يترجم له . والحق أن معظم أبيات هذه المنظومة نسبها السيوطي في الأشباه والنظائر للمهلبي وهو مهلب بن حسن بن بركات البهنسي ، **ينظر** ترجمته في : البغية ( ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥) والكتاب يسمى( نظم الفرائد وحصر الشرائد ) ، قال الدكتور عادل خلف : لم يذكر صاحب البغية في ترجمته لقب ( المهلبي ) ، وذكره بروكلمان ( ٥ / ٣٠٤ ) أنه تلميذ ابن بري وقال الدكتور عادل خلف : لم يحدد السيوطي ولا بروكلمان تاريخ حياته . **ينظر** دراسة في مصادر السيوطي في الأشباه والنظائر الدكتور عادل خلف ( ٦١ ) .

(٢) قدم الدكتور عبد الكريم كاظم أدلة قطعية على تأثر ابن يعيش بالسخاوي من خلال شرحيهما على المفصل وكذا الدكتور محمود السيد الدريني في مقدمة تحقيقه للجزء الرابع من كتاب المفصل .

(٣) الزنجاني : عز الدين بن عبد الوهاب بن إبراهيم وقيل : هو تاج الدين عبد الوهاب بن إبراهيم بن عبد الوهاب الزنجاني أقام بالموصل ثم انتقل إلى بغداد وتُوفيَ بها سنة ٦٦٠هـ ألف كتاب ( الهادي لذوي الألباب في علم الإعراب ) ثم شرحه وسمى الشرح ( الكافي شرح الهادي ) وقد حقق الشرح الدكتور محمود فجال يوسف في رسالته للدكتوراه بكلية اللغة العربية بالأزهر . **ينظر** تفصيل ذلك في قسم الدراسة من المفصل وأثره في الدراسات النحوية للدكتور عبد الكريم جواز كاظم .

(٤) **ينظر** تفصيل ذلك في مقدمة تحقيق سفر السعادة للدكتور أحمد هريدي .

(٥) **ينظر** المصدر السابق .

(٦) **ينظر** المصدر السابق .

٦ ـ أثر السخاوي في ابن الجزري [(١)].

ونذكر هنا نقل بعض المفسرين عن علم الدين السخاوي :

١ـ السخاوي في البحر المحيط لأبي حيان :

أ ـ نقل أبو حيان في البحر المحيط عن السخاوي رأياً فقهيًّا تفسيريًّا حول الصلاة الوسطى فذكر أنه قيل: إنها الوتر . قال : « واختاره أبو الحسن علي بن محمد السخاوي النحوي المقرئ »[(٢)].

ب ـ كما احتج أبو حيان بقول السخاوي عند تعرضه لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ [المائدة:١٠٦]، فنقل عن السخاوي قوله بإشكال هذه الآية .

قال أبو حيان : « وقال أبو الحسن السخاوي : لم أر أحداً من العلماء تخلَّص كلامه فيها من أولها إلى آخرها » [(٣)].

جـ ـ كما نقل عنه أيضاً رأيه في تفسير قوله تعالى : ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ ﴾[الأنعام:١٢١] بأن ظاهر الآية العموم في المعاصي كلها قال: قال السخاوي: «قال مكحول : وروي عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت مثل ذلك » [(٤)].

٢ ـ السخاوي في تفسير ابن كثير :

ذكر الحافظ ابن كثير علم الدين السخاوي وذلك عند تفسير سورة التوبة عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ﴾ [التوبة:٣٦].

فقال : ذكر الشيخ علم الدين السخاوي في جزء جمعه سماه المشهور في أسماء الأيام والشهور أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرًا محرمًا ، وعندي أنه سمي بذلك تأكيدا لتحريمه لأن العرب كانت تتقلب به فتحله عاما وتحرمه عاما .

قال : ويجمع على محرمات ومحارم ومحاريم . وصفر سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حين

(١) **ينظر** : مقدمة تحقيق جمال القراء وكمال الإقراء للدكتور علي حسين البواب (ص :٨ ) وما بعدها ، طيبة النشر لابن الجزري ( ١/ ٩٧ ) .

(٢) **ينظر** : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ( ٢/ ٢٥٠ ) تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرين ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٣م .

(٣) البحر المحيط ( ٤/ ٤٣ ) ، وكذا نقله السمين الحلبي في الدر المصون ( ٢/ ٦٢٤ ) .

(٤) البحر المحيط ( ٤/ ٢١٤ ) .

يخرجون للقتال والأسفار ، يقال : صفر المكان إذا خلا ويجمع على أصفار كجمل وأجمال وشهر ربيع الأول سمي بذلك لارتباعهم فيه والارتباع الإقامة في عمارة الربع ويجمع على أربعاء كنصيب وأنصباء وعلى أربعة كرغيف وأرغفة . وربيع الآخر كالأول . جمادى سمي بذلك لجمود الماء فيه قال : وكانت الشهور في حسابهم لا تدور وفي هذا نظر إذ كانت شهورهم منوطة بالأهلة ، فلابد من دورانها فلعلهم سموه بذلك أول ما سمي عند جمود الماء في البرد كما قال الشاعر [ من البسيط ] :

وليلة من جمادى ذات أندية ... لا يبصر العبد في ظلمائها الطنبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة ... حتى يلف على خرطومه الذنبا

ويجمع على جماديات كحبارى وحباريات وقد يذكر ويؤنث فيقال جمادى الأولى والأول جمادى الآخر والآخرة . رجب من الترجيب وهو التعظيم ويجمع على أرجاب ورجاب ورجبات . شعبان من تشعب القبائل وتفرقها للغارة ويجمع على شعابين وشعبانات . رمضان من شدة الرمضاء وهو الحر يقال : رمضت الفصال إذا عطشت ويجمع على رمضانات ورماضين وأرمضة ، قال : وقول من قال إنه اسم من أسماء الله خطأ لا يعرج عليه ولا يلتفت إليه . شوال من شالت الإبل بأذنابها للطراق قال : ويجمع على شواول وشواويل وشوالات . القعدة بفتح القاف قلت : وكسرها لقعودهم فيه عن القتال والترحال ويجمع على ذوات القعدة . الحجة بكسر الحاء قلت : وفتحها سمي بذلك لإقامتهم الحج فيه ويجمع على ذوات الحجة .

أسماء الأيام أولها الأحد ويجمع على آحاد وأوحاد ووحود ، ثم يوم الاثنين ويجمع على أثانين ، الثلاثاء يمد ويذكر ويؤنث ويجمع على ثلاثاوات وأثالث ، ثم الأربعاء بالمد ويجمع على أربعاوات وأرابيع ، والخميس يجمع على أخمسة وأخامس ، ثم الجمعة بضم الميم وإسكانها وفتحها أيضا ، ويجمع على جمع وجماعات ، السبت مأخوذ من السبت وهو القطع لانتهاء العدد عنده . وكانت العرب تسمي الأيام أول ثم أهون ثم جبار ثم دبار ثم مؤنس ثم العروبة ثم شيار [1] .

٣ ـ السخاوي في تفسير روح المعاني للألوسي [2] :

---

(١) تفسير ابن كثير ( ٢ / ٤٦٥ ) .

(٢) تجدر الإشارة إلى أن المفهرس لطبعة دار الكتب العلمية قد خلط بين علم الدين السخاوي المفسر النحوي وبين شمس الدين السخاوي المحدث المشهور صاحب ( المقاصد الحسنة ) وغيرها وذكرهما معا تحت: السخاوي .

ذكر الألوسي علم الدين السخاوي في مواضع متعددة من التفسير في اللغة وأسباب النزول، كما استعان برأيه في قضايا تفسيرية ، ومن ذلك :

أ ـ عند قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة:٧١] ذكر بعض التوجيهات واختار منها توجيهاً ونسبه إلى السخاوي وغيره .

قال الألوسي :

﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ صفة ﴿بَقَرَةٌ﴾ ، وهو من الوصف بالمفرد ، ومن قال : هو من الوصف بالجملة فقد أبعد عن الصواب ، و﴿لَّا﴾ بمعنى ( غير ) وهو اسم على ما صرح به السخاوي وغيره ، لكن لكونها في صورة الحرف ظهر إعرابها فيما بعدها ، ويحتمل أن تكون حرفاً كإلاَّ التي بمعنى غير في مثل قوله تعالى : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢][1].

ب ـ وعند قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤].

قال الألوسي في اشتقاق يأجوج ومأجوج : « وقال أبو الحسن علي بن عبد الصمد السخاوي : الظاهر أنه عربي وأصله الهمز وتركه على التخفيف ، وهو إما من الأجة وهو الاختلاف كما قال تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف:٩٩]، أو من الأج وهو سرعة العدو قال تعالى : ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦] أو من الأجة وهي شدة الحر أو من أج الماء يأج أجوجا إذا كان ملحًا مرًّا ، انتهى »[2].

* * *

(١) وينظر : روح المعاني ( ١/ ٢٩٠ ) ط دار الفكر .

(٢) روح المعاني ( ١٦ / ٣٩ ) .

## تفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي

وبعد هذه الجولة مع المصنف وحياته ومصنفاته وذكره في كتب الآخرين نركز الحديث هنا عن التفسير ونبدأ بأهم نقطة في هذا الأمر ، وهي توثيق نسبة التفسير لعلم الدين السخاوي فنقول ـ وبالله التوفيق :

ذكر المترجمون لعلم الدين السخاوي أن له تفسيرًا وصل فيه إلى سورة الكهف [1]. وكان ياقوت الحموي هو أول من أشار إلى ذلك [2]، ثم تبعه في قوله من جاء بعده ممن ترجم لعلم الدين السخاوي . وقد كانت هذه النقطة سببًا من أسباب تأخرنا وترددنا في إخراج هذا السفر العظيم ، وبعد البحث وتتبع أقوال المترجمين للسخاوي تبين لنا أن ( تفسير القرآن العظيم ) لعلم الدين السخاوي تفسير كامل وهو الذي نقدمه كاملاً إلى المكتبة الإسلامية ، وقد بنينا هذا الرأي على عدة أدلة نوجزها في النقاط الآتية :

**أولاً**– الحصول على نسخة مخطوطة كاملة للتفسير من أول المقدمة وسورة الفاتحة حتى سورة الناس آخر القرآن الكريم ، في مجلدين ، وجاء على غلاف كل مجلد منهما ( تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل ، العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين ).

**ثانياً**– اعتمد القائلون بأن السخاوي توقف عند الكهف ولم يتمَّ تفسيره على ما ذكره ياقوت الحموي عند ترجمته للسخاوي ، وتابع كل من ترجم للسخاوي ياقوت الحموي في كلامه ، وهو قول نجزم ـ بعد البحث والتحقيق ـ بعدم صحته وذلك بناء على مجموعة أمورٍ من أهمها :

١ ـ أن ياقوت الحموي الذي ذكر هذا القول تُوفيَ ( ٦١٩ هـ ) أي في حياة العلم السخاوي الذي تُوفيَ ( ٦٤٣ هـ ) والفارق الزمني بين وفاتيهما ربع قرنٍ من الزمان تقريباً، وهي فترة كفيلة بأن يتم السخاوي تفسيره ؛ بل ويكتب تفسيراً آخر غيرَ هذا الذي بين أيدينا على ما سنبين لاحقاً .

٢ ـ وجود التفسير كاملاً – كما تقدم – متحدًا في أسلوبه وطريقة تصنيفه ومنهجه في تفسيره وآرائه ، من أول التفسير إلى آخره ، وسيأتي ذكر أمثلة على ذلك في هذه المقدمة .

---

(١) **ينظر** : كشف الظنون لحاجي خليفة ( ١ / ٤٤٨ ) ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي ( ١ / ٣٧٨ ) .

(٢) **ينظر** : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٣ / ١٩٦ ) .

٣ ـ تطابق آراء السخاوي في تفسيره مع آرائه في مصنفاته الأخرى ، كالمفضل في شرح المفصل ، وغيره وقد أشرنا إلى ذلك في مواضع من التحقيق ، ومن ذلك مثلاً ما عرضه السخاوي حول الواو في إعراب قوله تعالى في سورة الجاثية : ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الجاثية:٥] الآيات [١].

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة ص] أورد اعتراضًا على الزمخشري وذكر رأي الزجاج وهو بنصه في المفضل أيضاً [٢].

ثالثا- من أهم ما يمكن ذكره أن المصنف ذكر في سورة الكهف [٣] رأي كلٍّ من القاضي الفاضل وأبي الجود حول مسألة نحوية ، والذي يعنينا هنا أن كلاًّ منهما شيخ المصنف وكثيراً ما ذكرهما في مصنفاته ، والأكثر أهمية أن ذلك في الجزء الذي قال الزاعمون إن السخاوي لم يفسره .

رابعا- وردت إشارات من المصنف في تفسير السور من سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم يقرر أنه تقدم كلامه في السور التي قبل سورة الكهف وهذا من أقوى الأدلة على أن التفسير الذي بين أيدينا هو تفسير كامل لمصنفه علم الدين السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ ومن ذلك :

ونبه قبل ذلك أن المصنف ـ رحمه الله ـ له عبارة في النصف الأول من تفسيره ـ وهو الجزء الذي لم يشك أحد في نسبته إليه – عبارة تدل على أنه ـ رحمه الله ـ كان في تفسيره عازما على استكماله كله ، وهذه العبارة وردت في سورة الأنعام ، حيث قال المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام:١٢٨] .

قال السخاوي : واتخذتموهم أتباعًا . وقيل : المراد : استعاذة الإنس بالجن على ما يأتي شرحه في سورة ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الجن:١] [٤].

ـ أما إشارات المصنف في الجزء الثاني والذي يبدأ من سورة الكهف إلى آخر القرآن الكريم وهو الجزء محل الشك ـ لدى من يشكون ـ فقد كانت كثيرة سنكتفي بذكر بعضها

---

(١) وينظر : المفضل في شرح المفصل للسخاوي ( ١ / ٢٠٨ ) فقد ورد هذا النص في كتاب المفضل ( جـ٢/ الورقة ظـ من المخطوط ) .

(٢) المفضل في شرح المفصل للسخاوي ( ٢ / ١٩٥ ) .

(٣) وذلك عند قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢].

(٤) أي : سورة الجن ، الآية (١) وقد فصل المصنف ذلك هناك . وفي ذلك إشارة منه ـ رحمه الله ـ أنه بصدد تفسير القرآن الكريم كله ، حيث تقع سورة الجن في الجزء التاسع والعشرين .

على سبيل التمثيل لا الحصر، وهي تشير إلى ما سبق وتقدم تفسيره وذكره في الجزء الأول ، وفي بعضها تكرار لتفسيرات وردت في بعض الآيات التي يتكرر ذكرها في القرآن الكريم في عدد من السور وسنشير إليها عند ذكرها ومن تلك الإشارات :

* عند قوله تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف:٣٢].

قال السخاوي ـ رحمه الله : « ( مَثَلاً ) و ( رجلين ) مفعولان لـ ( اضرب ) ومعناها : صيِّر ؛ كقولك : ضربت الطين لبنا ، وقد سبق أن الزمخشري قال : إن الجنة من النخل [١] .

* وعند قوله تعالى : ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم:٤٧] .

قال السخاوي : هي الموعدة التي وعد بها إبراهيم أباه ، وقد بسط عذره وشرح قصته في سورة التوبة [٢] .

- وعند قوله تعالى : ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء:٦٧].

قال السخاوي : ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا﴾ إن سألتموه النفع ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن تركتم عبادته ( أُفٌّ لكُم ) مذكور في (سبحان) » [٣].

ـ وعند قوله تعالى في سورة الحج : ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ [الحج:٥] قال السخاوي : « تفسير الأشدّ مذكور في سورة يوسف » [٤].

**خامسا** : يوجد كلام للسخاوي في تفسيره لسور ما قبل سورة الكهف تطابق مع كلامه في تفسير بعض سور ما بعد سورة الكهف ومن ذلك على سبيل التمثيل :

ـ في سورة النساء عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦] قال السخاوي : « وابتداء السلام سنة ، وجوابه فرض كفاية ، إذا قام به بعض سقط عن الباقين ، وإذا التقى رجلان ، أو قال أحدهما للآخر : سلام عليكم ، وقال الآخر كذلك في وقت واحد ، وجب على كل واحد منهما الرد على صاحبه . وسلام المتاركة لا يقتضي جوابا لقوله : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] ، ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ﴾ [الزُّخرُف:٨٩] ، وكذلك إذا انصرف عن جماعة فقال: سلام عليكم . لم

---

(١) وذكر ذلك في تفسير سورة الرعد ، الآية ( ٤ ) .

(٢) وذكر ذلك في تفسير سورة التوبة ، الآية ( ١١٤ ) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ٢٣ ) حيث قال السخاوي هناك : « أُفّ : كلمة يتضجر بها ».

(٤) سورة يوسف ، الآية ( ٢٢ ) عند قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ حيث قال السخاوي هناك : « قويت قواه وهو جمع شد ، وشدُّ النهار: وسطه ؛ لأن ضوء الشمس فيه أقوى» .

يستحق جوابا » .

ـ وقال في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَ ﴾ [مريم:٤٧] : « سلام موادعةٍ ومفارقة »، وقال بعض أصحاب الشافعي: « إن سلام المتاركة لا يجب جوابه على السامع ».

ـ وعند قوله تعالى : ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم].

قال السخاوي: «وقال ـ سبحانه وتعالى ـ في حق فرعون: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس:٩٢] أي : نلقيك على مكان مرتفع عن الماء ، وكانت بنو إسرائيل قد قالوا بعد غرق فرعون : ما يموت فرعون أبداً ؛ لِما ثبت في قلوبهم من الرُعب منه ، فألقاه الموج على شاطئ البحر،وكان عليه درعٌ من ذهب معروفة لا يلبسها إلا هو، فعرفوه وتحققُوا موته ، فقوله : ﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي : نرفعك على مكانٍ عالٍ ، وإلا ففرعون ما نجا » .

ـ وقد ذكر السخاوي هذا الكلام في تفسير سورة يونس فقال : ﴿نُنَجِّيكَ﴾ : نلقيك على نجوة مكان مرتفع من الأرض ؛ لأن بني إسرائيل قالوا : ما غرق فرعون ؛ لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه . فألقاه البحر على مكان مرتفع، وكان عليه درع من ذهب، فرآه بنو إسرائيل وعرفوه ، وأيقنوا بموته ».

ـ وفي سورة يونس عند قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ [يونس:٨١] قال السخاوي : «يدل على أن السحر حق ؛ لأنه وعد بإبطاله بسين الاستقبال ولو كان باطلا لاستحال إبطاله ؛ لأنه تحصيل الحاصل . وقد سحر رسول الله ﷺ . ومذهب الشافعي أن من قَتَل بسحرٍ يَقْتُلُ غالباً ـ يجب عليه القصاصُ».

ـ وقال عند قوله تعالى : ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفَلَق]: « النفاثات : النساء السواحر ، أو النفوس ، أو الجماعات السواحر ، وأنكر الحنفية تأثير السحر ، وقالوا: هو تخييل ؛ لقوله ـ تعالى : ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾[طه:٦٦]. واحتج الشافعي على تأثير السحر بقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ [يونس:٨١] فجعل إبطاله مستقبلا ، فدل على تحققه قبل الإبطال وبأن النبي ﷺ سحر، كما جاء في الحديث الصحيح».

ـ ومما تطابق فيه كلام السخاوي ما ذكره في سورة هود عند قوله ـ تعالى : ﴿ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ﴾ [هود:٧١] حيث قال السخاوي – رحمه الله : « وفيه دليل على أن الذبيح إسحاق ؛ لأن الذبيح هو المبشَّر به ؛ لقوله : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾ [الصافات:١٠٢] ولم تبشر إلا بإسحاق ، ومن ذكر أنه إسماعيل قال : لو كان الذبيح إسحاق لما شك إبراهيم في أنه لا ينذبح ؛ لأن الله قد بشَّره بأن يولد من إسحاق ولد اسمه يعقوب ، فكان يعلم أنه لا يموت حتى يرزق الولد » .

ـ وفي سورة الصافات بعد تفسير الآيات التي تناولت قصة الذبيح [1] قال الشيخ علم الدين السخاوي – رحمه الله : « فإن قلت : من الذبيح ؟ قلت : فيه قولان :

**أحدهما** : أنه إسماعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين محتجين بأن الكبش والذبيح كانا بمكة، ولم ينقل أن إسحاق وصل إلى مكة ، بل إسماعيل ، وبنى هو وأبوه البيت .

**والقول الثاني** : أنه إسحاق وبه قال علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والعباس وعطاء ، وعكرمة ، وأن المذبوح هو المبشر به ؛ لقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡىَ﴾ [الصافات:١٠٢] .

وقد قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَـٰهَا بِإِسۡحَـٰقَ﴾ [هود:٧١] وقد ثبت أن المذبوح هو المبشر به، ولأن الله ـ تعالى ـ ما ذكر نبيًّا في هذه السورة إلا سلم عليه ، أو بارك ، وقد بارك على إسحاق بقوله: ﴿وَبَـٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَـٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات:١١٣] ، ولأن الله بشر إبراهيم بولد ، وبأن ذلك الولد يعيش إلى أن يولد له ولد ، فلو كان الذبيح إسماعيل لكان يقول : إن الله وعدني أن يعيش هذا حتى يرزق ولدًا ، ولم يرزق بعد ولدًا ، وأكثر العلماء على أن الذبيح إسحاق ».

**سادسًا** – يوجد تطابق في تسمية بعض السور في التفسير مع تسمية السخاوي لها في كتبه الأخرى؛ كما في تسمية سورة الشورى مع تسميته في جمال القراء وكمال الإقراء له [2].

**سابعًا**– جاء مخطوط تفسير السخاوي الذي اعتمدنا عليه في التحقيق في مجلدين ، وكان من المفترض أن ينتهي المجلد الأول عند سورة الكهف ـ كما قد يفهم من كلام ياقوت الحموي ومن تبعه في ترجمته لعلم الدين السخاوي ـ وهذا لم يحدث ؛ بل بدأ المجلد الثاني بسورة النمل إلى آخر سورة الناس ، و قد حمل غلاف المجلد الثاني العنوان الآتي : « الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين » .

ـ أمَّا قول ياقوت الحموي إن السخاوي وصل في تفسيره إلى سورة الكهف فيمكن أن نفسره بما يلي :

لعل الحموي اعتمد في ذكر ما قال على ما وُجِدَ مكتوباً عند أول سورة الكهف على

---

(١) سورة الصافات ، الآيات ( ١٠٠ – ١١٣ ) .

(٢) **ينظر** : جمال القراء وكمال الإقراء للسخاوي ( ص : ٢١٥ ) حيث سماها سورة ﴿حمٓ ﴿١﴾ عسٓقٓ﴾، وكذا ورد اسمها في التفسير الذي بين أيدينا ، وهذا للتمثيل .

لسان محمد بن منصور ، وهو ناسخ هذه النسخة وهو أحد تلاميذ الشيخ علم الدين السخاوي ؛ حيث قال : « إلى هنا انتهت قراءتي على المصنف من أول الكتاب من النسخة التي نقلت هذه منها ، كتبه محمد بن منصور مالكها »[1].

ومن كلام الناسخ يمكن أن نؤكد أن الذي لم يتم هو قراءة الناسخ ـ الذي هو تلميذ المصنف ـ التفسير عليه ، لا أن التفسير لم يتم ، وهذا بيِّنٌ جدًّا من سياق الكلام ، كما لا يُسْتبعَدُ – في نظرنا – أن الحموي وغيره لم يدققوا في هذه العبارة ، وسار المتأخرون على ما ذكر المتقدمون في هذا الأمر .

* وهناك احتمال آخر قد نفسر به كلام ياقوت ومن اتبعه وهو احتمالٌ قويٌّ كذلك ، وهو أننا من خلال قراءتنا لترجمة السخاوي وأخباره وقفنا على أن للسخاوي تفسيراً آخر مطوَّلاً ومن الممكن أن هذا التفسير المطوَّل هو الذي لم يتم ، أو أن المصنف وصل فيه إلى سورة الكهف ؛ ويؤيد هذا أن بعضهم نقل عن السخاوي آراء في التفسير لم نجدها في تفسيره الذي بين أيدينا نحققه ، ومن ذلك ما أورده أبو شامة ( وهو من كبار تلاميذ السخاوي ) في تاريخه عند الحديث عن فتح بيت المقدس ؛ حيث قال أبو شامة : « رأيت أنا في كتاب تفسير القرآن لأبي الحكم بن برجان[2] ذكر في تفسير أول سورة الروم أن بيت المقدس استولت عليه الروم عام سبعٍ وثمانين وأربعمائة ، وأشار أنه يبقى بأيديهم إلى تمام خمسمائة وثلاث وثمانين سنة .

وهذا الذي ذكره أبو الحكم الأندلسي في تفسيره من عجائب ما اتفق لهذه الأمة المرحومة، وقد تكلم عليه شيخنا أبو الحسن علي بن محمد في تفسيره الأول ؛ فقال : « وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي في أول سورة الروم إخبارٌ عن فتح بيت المقدس ؛ وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف وإنما أخذه فيما زعم من قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم : ١-٤] فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون، فذكر أنهم يغلبون في سنة كذا وكذا ويغلبون في سنة كذا وكذا على ما تقتضيه دوائر التقدير.

---

(١) **ينظر** : تفسير السخاوي الورقة ( ١٠٥ ) من المخطوط .

(٢) هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن أبو الحكم اللخمي الإفريقي ، ثم الإشبيلي المشهور بابن برجان . كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة ، ومن مصنفاته : تفسير القرآن و شرح الأسماء الحسنى . تُوفيَ سنة ست وثلاثين وخمسمائة . **تنظر** ترجمته في : طبقات المفسرين للسيوطي ( ١ / ٥٧ ) .

ثم قال: وهذه نجابة وافقت إصابة إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه وكان في كتابه قبل حدوثه قال: وليس هذا من قبيل علم الحروف ولا من باب الكرامات والمكاشفات ولا ينال في حساب. قال: وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه . قلت : ابن برجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال : إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة فتهيأ لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبرًا عظيمًا لبيت المقدس إذا فتحه والله أعلم » (١).

ـ ولأبي شامة نص آخر في ترجمة كمال الدين الدزماري يقول فيه : « وهو الذي ذكره شيخنا السخاوي في خطبة تفسيره وأثنى عليه ، وكان ملازمًا حلقة شيخنا وقت سماع التفسير وفي أيام ختمات الطلبة » (٢).

**ولم يرد ذكر لذلك في مقدمة التفسير الذي بين أيدينا .**

ومن يقرأ ويمعن النظر ـ بقليل من الدقة ـ في هذين النصين لأبي شامة وهو من أقرب الناس لشيخه السخاوي وأدراهم بمصنفاته يمكن أن يقف على الحقائق الآتية :

ـ أن للسخاوي تفسيراً آخر ، وهو ما عبَّر عنه أبو شامة بقوله : « تفسيره الأول » ، ويحتمل أنه المقصود في كلام ياقوت بأن السخاوي لم يتمه ووصل فيه إلى الكهف . والله تعالى أعلم .

ـ أن الذي بين أيدينا تفسيرٌ كاملٌ للسخاوي ؛ لما تقدم ذكره منذ قليل .

وإذا أضيف إلى كل ما سبق أن القارئ والمحقق لن يجد فرقًا بين أول التفسير وآخره من حيث المنهج وطريقة العرض والآراء الفقهية واللغوية وكذا مذهب المصنف الفقهي والعقدي والنحوي كما سبق بيانه ؛ فهو شافعي يذكر مذهب الشافعي ويؤيده من أول التفسير إلى آخره ، وكذا فهو في العقيدة يتبنى رأي أصحاب التأويل لا سيما في الآيات التي تتناول صفات الله تعالى التي قد يوهم ظاهرها ـ وهذا في رأي السخاوي ومدرسته ـ تشبيها

---

(١) ينظر كلامه في : الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة ( ٣ / ٣٩٤ - ٣٩٥ ) ط . مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٩٧ م – تحقيق إبراهيم الزيبق . وذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/ ٣٢٦ ) نقلاً عن أبي شامة .

(٢) نقله عن أبي شامة ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ( ٨ / ٣٠ ) ، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية ( ٢ / ١٠٠ ) ، وذكره الدكتور عبد الكريم جواد كاظم في مقدمة رسالته للدكتوراه ( ص : ٩٤ ) من الدراسة ، بعنوان : ( المفضل للسخاوي وأثره في الدراسات النحوية في القرن السابع الهجري) كلية اللغة العربية ـ الأزهر ـ القاهرة رقم ( ١٤٠٧ ) نقلاً عن أبي شامة .

لله تعالى بخلقه .

وقد بينا في غير موضع من التفسير عند تعليقنا على كلام السخاوي ـ رحمه الله ـ المذهب الذي نراه أحق بالاتباع ، وهو أيضا أسلم وأحكم وهو مذهب أهل السنة والجماعة من السلف والخلف .

وقد استمر السخاوي على مذهبه هذا في تفسيره كله في النصف الثاني كما هو في النصف الأول .

كما أن هناك ملمحاً عامّاً في التفسير كله وهو العناية بآراء الزمخشري والتعليق عليها .

**وأخيرًا** : كتبت عدة دراسات علمية موثقة وقد ذكرت نسبة التفسير إلى السخاوي كاملاً ومن هذه الإشارات والدراسات :

* التفسير في القرن السابع الهجري (١) .
* مقدمة تحقيق كتاب سفر السعادة (٢) .
* الاتجاهات الأدبية في تفسير السخاوي (٣) .
* السخاوي وجهوده النحوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم (٤) .
* السخاوي وجهوده اللغوية من خلال تفسيره للقرآن العظيم (٥) .

ومجمل القول وخلاصته التي يمكن أن تقال بعد هذا الاجتهاد منا : إننا لم نجد مسوِّغاً ينفي نسبة ما بعد سورة الكهف لعلم الدين السخاوي إلا ما قدمناه من ترجمة ياقوت ونقل التابعين قوله بلا برهان غير ما ذكرناه من الفهم الخاطئ لعبارة الناسخ .

وبعد ... فإن التراثَ العربيَّ المحققَ زاخرٌ بمصنفات غير منسوبة أو مختلف في نسبتها إلى أصحابها ، ولم يقلل ذلك أو ينقص من قيمة المصنفات ؛ بل ظلت مصدر نفع وخير للقراء ، وهذا أمرٌ يفوق الحصر ، يكفي التمثيل لذلك بإعراب القرآن المنسوب للزجاج ، وكذا الحدائق في النحو لمجهول ، وبعض مصنفات الخليل ؛ كالجمل والمنظومة النحوية وغير ذلك من الكتب . وهذا لا يعني أن لدينا شكًّا في نسبة النصف الثاني من تفسير السخاوي ؛ بل فقط نقول : تبقى مادة الكتاب معبِّرة عن قيمته ، ولو لم يُنسب ، فما بالنا وقد ثبت لدينا بما

---

(١) رسالة دكتوراه ـ بدار العلوم ـ جامعة القاهرة .

(٢) للدكتور أحمد عبد المجيد هريدي رسالة دكتوراه بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة .

(٣) رسالة ماجستير للدكتور أحمد عثمان أحمد ـ بكلية دار العلوم ـ جامعة المنيا .

(٤) رسالة ماجستير للدكتور أشرف محمد محمد عبد الله - بدار العلوم - جامعة المنيا .

(٥) رسالة دكتوراه للدكتور أحمد طه ـ دار العلوم ـ جامعة القاهرة ـ فرع الفيوم ـ ٢٠٠٣م.

ذكرنا من أدلة صحة نسبة التفسير كله للعلامة علم الدين السخاوي .

**وبعد :**

فهذا ما أدى إليه اجتهادنا المتواضع والله يعلم أننا بذلنا ما في وسعنا للوصول إلى الحق، فإن وفقنا فمن الله تعالى وله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبنا أننا اجتهدنا ونسأل الله بفضله ألا يحرمنا الأجر الواحد وإنا به راضون ، والباب مفتوح لمن لديه رأي يخالفنا أو يؤكد ما ذهبنا إليه أو يضيف جديدًا لما ذكرنا ، ونسأله ألا يبخل علينا برأيه ، فالعلم رحم بين أهله، والدال على الخير كفاعله، هذا والله أعلم ، وهو المستعان ، وعليه التكلان، والحمد لله رب العالمين .

ولا ننسى في الختام أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من أعاننا في إخراج هذا التفسير ، ونخص منهم: فضيلة الشيخ العلامة الشيخ عبد السلام بن محمد بن حبوس الذي قدم للتفسير ، والأخ الدكتور أحمد طه الذي أعاننا في الحصول على النسخة المخطوطة، والأخ الدكتور محمد عبد الكريم الذي أشرف على طباعة جزء من التفسير، والأخ الأستاذ محمد شتا ، والأستاذ المستشار ممدوح الشريف ، والأستاذ المحامي وائل غنيم ، وجميع الزملاء والباحثين وطلاب العلم ، وكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب، ونسأل الله أن يجعله نافعًا للمسلمين وأن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل .

* * *

## منهج السخاوي في تفسيره

أشار الإمام علم الدين السخاوي إلى منهجه في مقدمة تفسيره وذلك في قوله ـ رحمه الله : « فالعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة لا تحصى ، وأجلها ما يبحث فيه عن ألفاظه ومعانيه ويستقصى ، والمصنفات فيه بين أمرين ؛ طويلة لا تنضبط للآمل ، وقصيرة لا يحصل منها ذو الأرب على طائل ، فاستخرت الله - تعالى - في سلوك طريق متوسط ، لا بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، ساعيًا في تهذيب الألفاظ وتحريرها ، وإيجازها وتيسيرها ، مشيرًا إلى عيون القصص بأحسن إشارة ، متوخيًا في الإعراب والأقوال وغيرهما أوجز عبارة ، وهو عمدة لمن اعتمد عليه ، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه ، موجبًا للفوز لديه ، وهو حسبي ونعم الوكيل » .

ومن خلال تحقيقنا لتفسير السخاوي واستقرائه يمكن إجمال منهجه في ( تفسيره للقرآن العظيم ) في النقاط الآتية :

١ ـ الاعتماد على التفسير بالمأثور ( بالقرآن الكريم ـ والحديث النبوي الشريف ـ والأثر عن الصحابة والتابعين ) .

٢ ـ جمع الأقوال في تفسير الآية الواحدة والترجيح والاختيار منها .

٣ ـ الاعتناء بالقراءات عناية فائقة ، وتوجيهها ، وإسنادها إلى أصحابها أحيانا.

٤ ـ التنبيه على المكي والمدني من السور .

٥ ـ ذكر أسباب النزول .

٦ ـ الاعتناء بالجانب اللغوي والنحوي ؛ فكان يورد الأصل اللغوي للكلمات واشتقاقها واستعمالاتها ، ويعتني بالقضايا النحوية ، والإعرابية ، ويناقشها ، ويقوم بالاختيار والترجيح في بعضها ، والمخالفة والاعتراض في البعض الآخر .

وأورد على ذلك شواهد شعرية كثيرة وكان ينسب الكثير منها لأصحابها.

٧ ـ ذكر بعض المسائل الكلامية والأصولية والرد على معارضيه أو مخالفيه كالزمخشري وغيره في الآراء الاعتزالية ، وفي بعض الأحيان كان يشتد إنكارُه عليهم .

٨ ـ عرض المسائل الفقهية والكلامية والبلاغية بطريقة السؤال والجواب .

٩ ـ تعدد المصادر ونسبة الأقوال إلى أصحابها.

١٠ ـ عدم إيراد الإسرائيليات إلا في مواضع قليلة مع التنبيه على ضعفها .

والقارئ للتفسير سيقف على جوانب هذا المنهج وستتضح له هذه الأمور ويمكن الاستدلال على ذلك أيضا من خلال ما ورد في الفهارس من ذكر القراءات والأحاديث والأشعار والأقوال اللغوية والأعلام والكتب .

## نُسَخُ الكتاب وأماكنُ وجودها ومنهجنا في التحقيق

لتفسير القرآن العظيم لعلم الدين السخاوي نسختان :

١ ـ نسخة بدار الكتب المصرية – مكتبة أحمد تيمور رقم ( ١٥٩ تفسير ) عدد أوراقها ٣٥١ ورقة ، وهي التي اعتمدنا عليها في التحقيق .

٢ ـ نسخة بمكتبة ولي الدين ـ السليمانية ـ تركيا ـ رقم ( ١١ ـ ١٦٦ ) ـ ٦٠٠ ورقة ـ كما جاء في فهارس آل البيت ( ١ / ٢٤٨ ) – الأردن [١] .

**ـ وأما عملنا في التحقيق فقد قمنا بما يلي :**

ـ نسخ المخطوط الذي اعتمدناه في التحقيق ، وهو نسخة دار الكتب المصرية .

ـ مقابلة النسخة المخطوطة بكتب التفسير الأخرى ، وعلى رأسها النكت والعيون للماوردي ، والكشاف للزمخشري ، وذلك لإتمام ما كان فيه من بياض أو سقط ، وذلك لكثرة نقل المصنف السخاوي عنهما .

– ذكرنا نسبة السورة – مكية أو مدنية – فيما لم يذكره المصنف؛ زيادة في الفائدة .

ـ تخريج الآيات القرآنية والقراءات القرآنية وضبطها .

ـ تخريج الأحاديث النبوية والآثار .

ـ تخريج الأشعار والأمثال والأقوال اللغوية .

ـ ترجمة الأعلام غير المشهورين .

ـ توثيق النقولات من أماكنها .

ـ توثيق المسائل الفقهية الخلافية والتعليق على بعضها .

ـ توثيق القضايا الكلامية والتعليق عليها .

ـ تفسير الغامض من الكلمات والمصطلحات .

ـ التعليق على المسائل النحوية وتوثيقها من مراجعها المعتمدة .

---

(١) حاولنا الحصول على هذه النسخة من المكان المشار إليه في تركيا ، وبعد بحث وعناء أخبرنا أخونا وصديقنا الدكتور أحمد طه أنه حصل على هذه النسخة عن طريق أحد الأفاضل بالرقم المثبت هنا في المكتبة بحسب إشارة فهارس آل البيت ، لكن وجد أن النسخة ، وإن كتب على غلافها علم الدين السخاوي ، ليست له ؛ فقد احتوت ذكر بعض العلماء من القرن العاشر الهجري أي بعد علم الدين السخاوي ، وغير ذلك مما يقطع بأنها لغيره ، وهذا شائع في فهارس المخطوطات ، فاكتفينا بنسخة دار الكتب المصرية التي اعتمدناها ، والحمد لله .

ـ ضبط النص وتقسيمه إلى فقرات وترقيمه بعلامات الترقيم المناسبة ومنها :

(  ) القوسان الهلاليان للآيات المفسرة ولأرقام الحواشي ، ولأسماء الكتب والبلدان .

[  ] المعقوفان لما زاد على النص من كتب التفسير في المواضع غير الواضحة أو ليست في النسخة المخطوطة . ولبحور الشعر للأبيات الشعرية الشواهد في التفسير أو في الحواشي .

/ (  ) الخط المائل والقوسان الهلاليان علامة انتهاء الصفحة المخطوطة ورقمها .

"  " علامتا التنصيص للنقولات .

ـ  ـ الشرطتان الأفقيتان للجمل الاعتراضية .

ـ بالإضافة إلى العلامات الأخرى المعروفة كالنقطة ، والفاصلة ، والفاصلة المنقوطة ، وعلامتي التعجب والاستفهام ، وغيرها .

**ـ عمل فهارس عامة ، وشملت :**

ـ فهرس القراءات القرآنية .

ـ فهرس الأحاديث والآثار .

ـ فهرس الأشعار والأمثال .

ـ فهرس الأعلام المعرَّفة .

ـ فهرس الأماكن والبلدان .

ـ فهرس المحتويات .

**وصف النسخة المخطوطة وعرض نماذج لبعض صورها**

تقع نسخة دار الكتب المصرية - التي اعتمدناها في التحقيق - في ثلاثمائة واثنتين وخمسين ورقة ( ٣٥٢ ) ، في كل ورقة صفحتان ، وأسطر الصفحة الواحدة واحد وعشرون سطرا ( ٢١ ) ، في مجلدين :

بدأ المجلد الأول بصفحة العنوان كتب عليه : ( تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل العلامة فريد دهره ووحيد عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين ).

ثم بدأ بمقدمة للمصنف - رحمه الله تعالى - ثم شرع في التفسير من أول سورة الفاتحة إلى سورة الشعراء في مائة وستين ورقة ( ١٦٠ ) في كل ورقة صفحتان كتب بخط واضح ، وبه

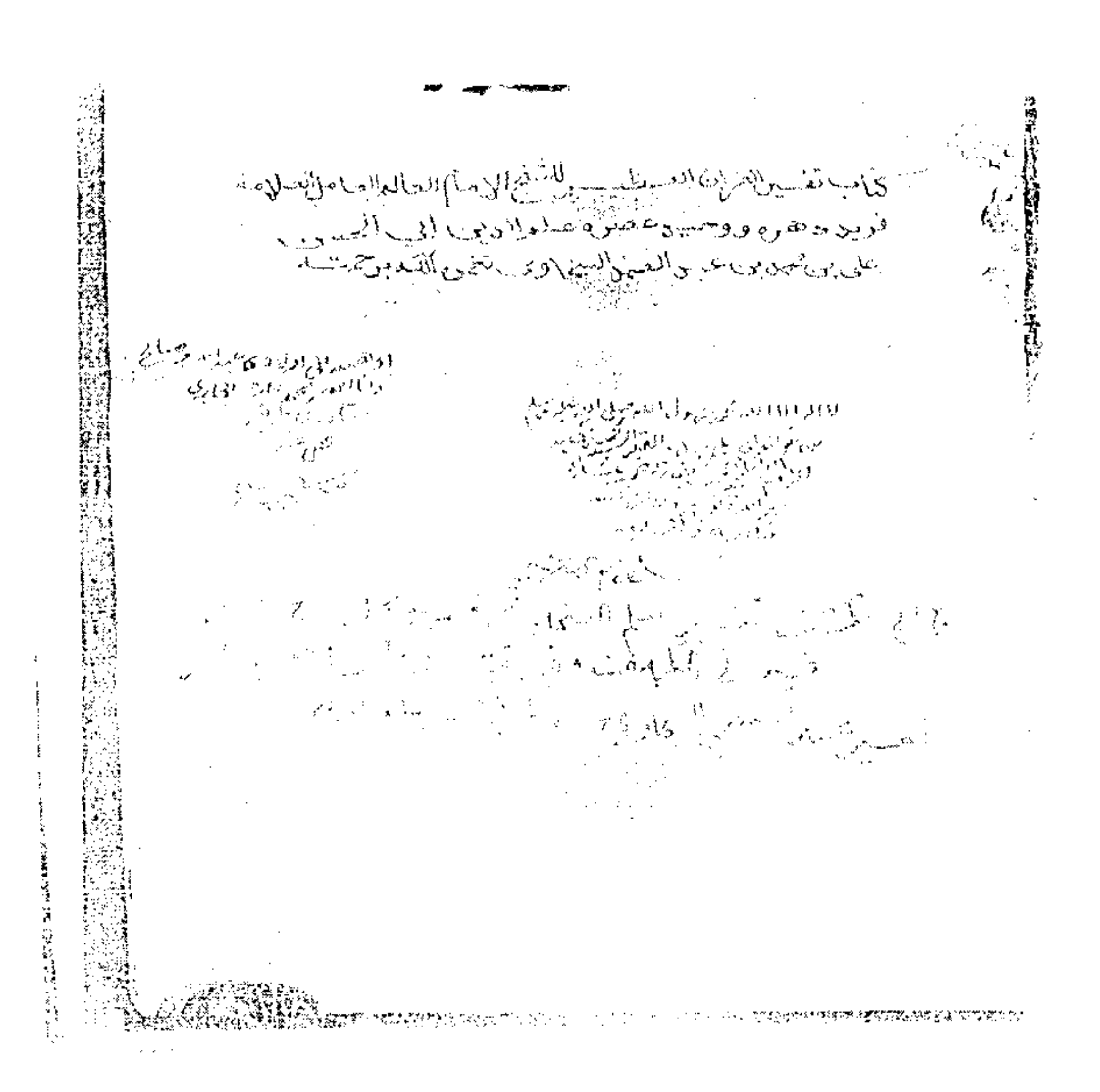
بعض السقط والبياض القليل .

ثم بدأ المجلد الثاني بصفحة العنوان كتب عليه : ( الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل ، العلامة ، فريد دهره ، ووحيد عصره ، علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته آمين ).

ثم بدأ بتفسير سورة النمل إلى سورة الناس وجاء في مائة وتسعين ورقة (١٩٠) في كل ورقة صفحتان . كتب بخط واضح ، وجاء في آخره : « وليكن آخر الكلام الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف السابقين والمصلين ، محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين » .

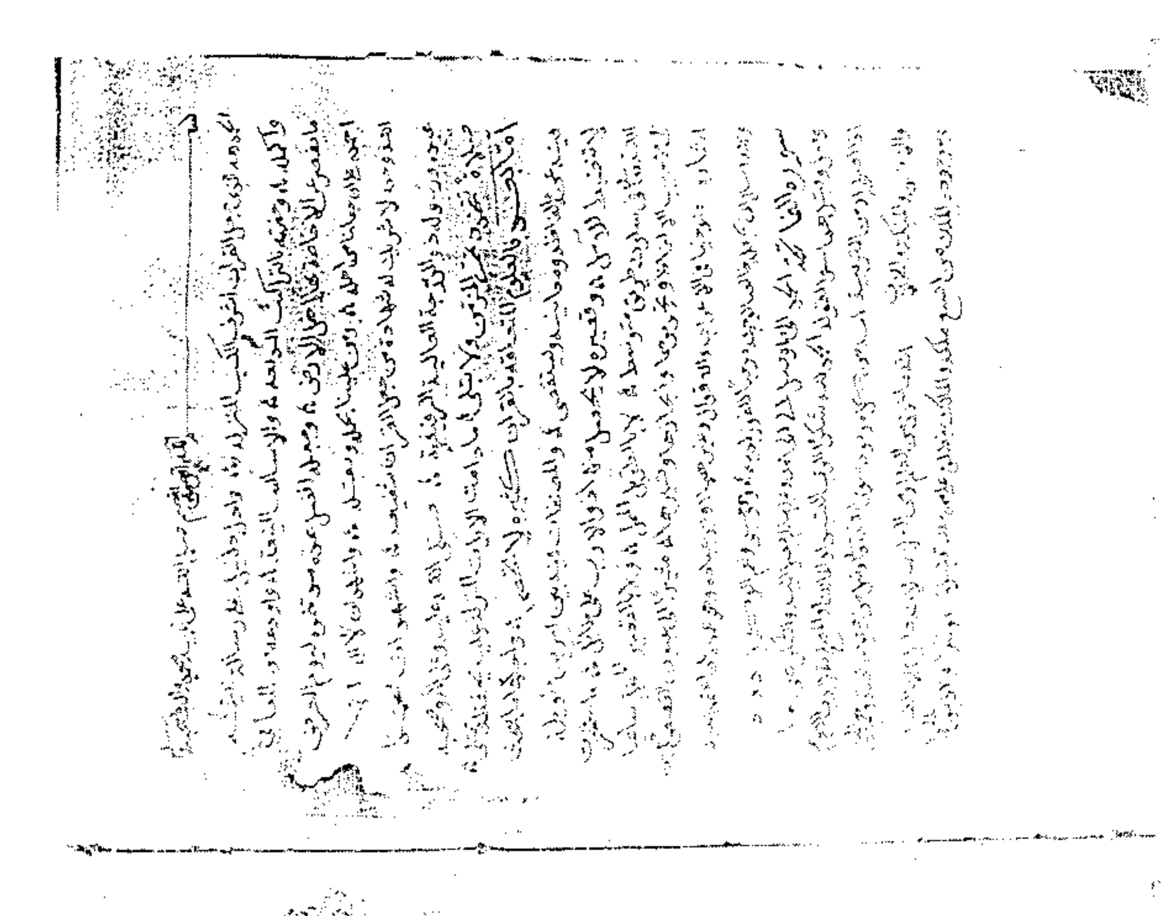
* * *

# المصورات



كتاب تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العالم العامل العلامة
فريد دهره ووحيد عصره علم الدين أبي الحسن
علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي تغمده الله برحمته

صفحة العنوان من الجزء الأول من تفسير الإمام العلامة السخاوي

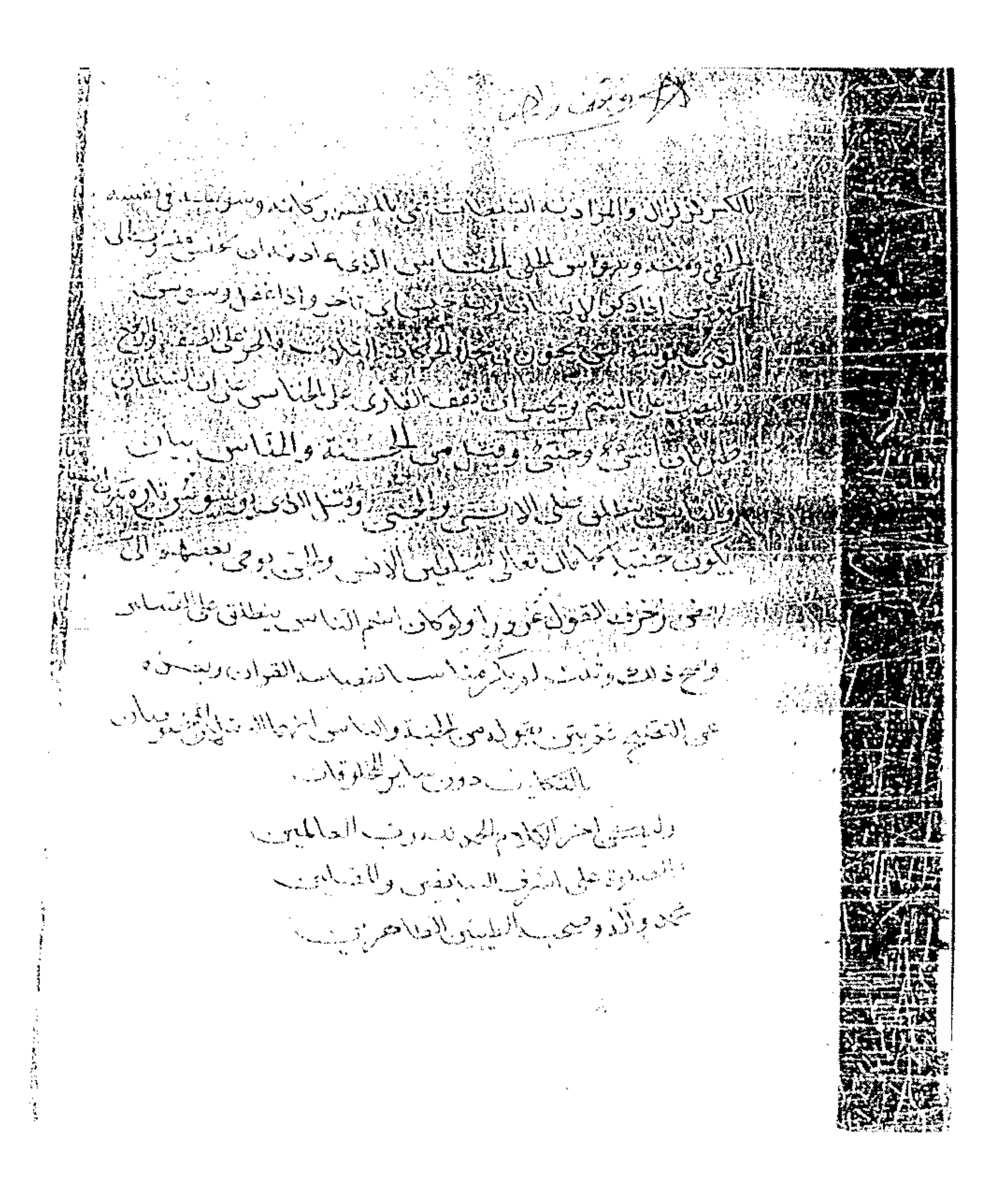


**الصفحة الأولى من الجزء الأول من تفسير الإمام العلامة السخاوي**

الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من تفسير الإمام العلامة السخاوي

الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم
للشيخ الإمام العالم العلامة فريد دهره ووحيد
عصره علم الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
السخاوي نفعنا الله ببركته آمين

صفحة العنوان من الجزء الثاني من تفسير الإمام العلامة السخاوي



الصفحة الأخيرة من تفسير الإمام العلامة السخاوي

## سند المحقق للعلاَّمة علم الدين السخاوي

أقول أنا محقق هذا الكتاب ـ العبد الفقير إلى عفو ربه الغفور الودود ـ موسى بن علي بن موسى بن مسعود : « لقد منَّ اللهُ عليَّ فجعلني في نظم سلسلة نورانية مباركة تبدأُ من العبد الفقير بسندي المتصلِ عن فضيلة الشيخ العلامة المسند حسنة العصر ، وفريد الدهر الشيخ عبد السلام بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن حبوس إلى رسول الله ﷺ وذلك بقراءتي ختمةً كاملةً للقرآن الكريم حفظًا وتلاوة على الشيخ عبد السلام حبوس ، فأجازني بالقراءة والإقراء والإجازة برواية حفص عن عاصم .

ثم كان من تمام المنة أن وُصِلتُ بسند إلى الشيخ الإمام علم الدين السخاوي ، حيث أخبرني شيخي الشيخ عبد السلام بن محمد بن حبوس قال : أخبرنا شيخنا الشيخ عبد الله ابن محمد الصديق الغماري ، عن الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي ، عن الشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي ، عن الشيخ محمد السمباوي الشهير بالأمير الكبير . ( ح ) قال: وأخبرنا الشيخ أبو الفيض محمد بن ياسين الفاداني إجازة عامة وإجازة خاصة فقال : أخبرنا الشيخ عمر بن حمدان المحرثي قال : أخبرنا شيخاي الشيخ السيد علي الوتري المدني ، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي كلاهما عن الشيخ أحمد منة الله العدوي المالكي عن الشيخ الأمير الكبير .

( ح ) قال : وأخبرنا شيخ مشايخنا الشيخ أحمد بن رافع الطهطاوي بالإجازة العامة لأهل العصر ، عن الشيخ محمد بن مصطفى الدمياطي ، عن الشيخ الأمير الكبير قال : أخبرنا الشيخ محمد بن عقيلة المكي ، عن الإمام نور الدين علي بن محمد الأجهوري ، عن العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الرملي ، عن شيخ الإسلام قاضي القضاة زكريا الأنصاري عن الحافِظَيْن نجم الدين عمر بن فهد ووالده العمدة الرحلة تقي محمد بن النجم محمد فهد المكي قال : أخبرنا الحافظ قاضي القضاة أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري شِفَاها عن أبي العباس أحمد بن الحسين الحنفي قال : أخبرنا به والدي سماعاً قال : أخبرنا الإمام أبو القاسم عبد الرحمن أبو شامة ، عن الشيخ علم الدين السخاوي بما له من مصنفات .

## ( مقدمة المصنِّف )

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم ، الحمد لله الذي جعل القرآن أشرف الكتب المنزلة، وأدل دليل على رسالة نبيه وأكمله، وخصه بالتراكيب البديعة، والأساليب المنيعة، وأودعه من المعاني ما يقصر عن الإحاطة بها أهل الأرض ، وجعله أفضل عدة مدخرة ليوم العرض .

أحمده على أن جعلنا من أهله ، ومنَّ علينا بحمله ونقله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة من جعل القرآن شفيعه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ذو الدرجة العالية الرفيعة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بمر الزمان ولا تبلى ، ما دامت الآيات المنزلة عليه تحفظ وتتلى .

**أما بعد** : فالعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة لا تحصى ، وأجلُّها ما يبحث فيه عن ألفاظه ومعانيه ويستقصى ، والمصنفات فيه بين أمرين؛ طويلة لا تنضبط للآمل ، وقصيرة لا يحصل منها ذو الأرب على طائل ، فاستخرت الله - تعالى - في سلوك طريق متوسط ، لا بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل ، ساعيًا في تهذيب الألفاظ وتحريرها ، وإيجازها وتيسيرها ، مشيرًا إلى عيون القصص بأحسن إشارة ، متوخيًا في الإعراب والأقوال وغيرهما أوجز عبارة ، وهو عمدة لمن اعتمد عليه ، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه ، موجبًا للفوز لديه ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

* * *

# تفسير سورة الفاتحة [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾على[1] ما وصل إلى الحامد ، وعلى ما لم يصل إليه . والشكر : على ما وصل .

وقيل : هما سواء ؛ لقوله : الحمد لله شكرا ..................[2]

---

(١) في الأصل : «إلى» والصواب ما أثبتناه ؛ لأن الحمد ومشتقاته يتعدى إلى مفعولين، أولهما بنفسه، وثانيهما بواسطة حرف الجر « على» دون غيره .

(٢) هذا صدر بيت ذكره الحافظ العراقي في تاريخ بغداد ( ١٤ / ٣٢٢ ) ط . دار الفكر ـ بيروت ـ بدون تاريخ ، لأبي نصر يوسف بن عمر بن محمد القاضي في أبيات له ومنها :

يا محنة الله كفي ... إن لم تكفي فخفي
ما آن أن ترحمينا ... من طول هذا التشفي
ذهبت أطلب بختي ... فقيل لي: قد توفي
كم من عالم في الثريا ... وعالم متخفي
الحمد لله شكرا ... على نقاوة حرفي

واختلف العلماء في «الحمد والشكر» هل هما من المترادف أو من المتباين على قولين :

الأول – قول من يقول : هما بمعنى واحد مستدلين بقولهم : فشكراً الحمد لله شكرًا نائب عن المصدر «الحمد» في باب المفعول المطلق ، والتقدير : الحمد لله حمدًا ، وهو قول ابن جرير ونصره القرطبي .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ١ / ٢٣ ) : « وهذا الذي ادَّعاه ابن جرير فيه نظر ؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية ويكون بالجنان واللسان والأركان » .

الثاني – قول من يقول : هما متباينان .

واختلفوا في الفرق بينهما على أقوال :

الأول – الحمد يكون باللسان وحده ، بينما الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ومنه قوله ـ تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ : ١٣] وقول الشاعر [من الطويل] :

وما كان كريش وافياً بنوالكم ... ولكنني حاولت في الجهد مذهبًا =

( الرب ) : السيد أو المالك أو المصلح ؛ يقال : رب الأديم : إذا أصلحه أو من التربية .
﴿ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ : قيل إنه من كل موجود سوى الله تعالى [1].

---

=أفادتكم النعماء مني ثلاثةً يدي ولساني والضمير المحجبا

فيكون بين الحمد والشكر عموم وخصوص ؛ إذ الشكر أعم من الحمد متعلقا ؛ لتعلق الشكر باللسان والجنان والأركان ، في حين يتعلق الحمد باللسان فقط ، ويكون الشكر أخص من الحمد سبباً ؛ لأن سبب الشكر نعمة مسداه إلى الشاكر لا إلى غيره ، بينما سبب الحمد نعمة مسداة إلى الحامد أو إلى غيره . وهذا هو العموم والخصوص الوجهي .

**وقيل :** إن الحمد: هو الثناء على الجميل الاختياري بقصد التعظيم سواء أُسدي الجميل إلى الحامد أو إلى غيره . أما الشكر : فلا يكون إلاّ على جميل مُسدىً إلى الشاكر .

**الثاني : قيل** : بينهما عموم وخصوص مطلق ؛ فالحمد هو الثناء على الله – تعالى – بالفضيلة .

وقالوا : المدح أعم من الحمد وهو ـ أي الحمد ـ أعم من الشكر ؛ إذ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره وبغير اختياره ، فقد يمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه ، كما يمدح ببذله ماله وشجاعته وعلمه . أما الحمد فيكون فيما يكون من الإنسان باختياره سواء وصلت النعمة إلى الحامد أو إلى غيره . والشكر يكون في مقابلة نعمة وصلت إلى الشاكر لا إلى غيره، فكلُّ شكرٍ حمدٌ، وليس كلُّ حمدٍ شكراً ، وكلُّ حمدٍ مدحٌ وليس كلُّ مدحٍ حمداً . وهذا هو العموم والخصوص المطلق .

**وقيل** : الحمد مقلوب من المدح ، وينقل هذا عن ثعلب، وليس بسديد ؛ فقد أورد عليه أن المقلوب أقل استعمالا من المقلوب منه . وهذان مستويان في الاستعمال ، فليس ادعاء قلب أحدهما من الآخر أولى من العكس فكانا مادتين مستقلتين بينهما عموم وخصوص مطلق ، كما سبق بيانه. وأيضا فإنه يمتنع إطلاق المدح حيث يجوز إطلاق الحمد ، فلا يقال : مدحت الله ، ويقال : حمدت الله. فلو كان مقلوبا منه لما امتنع ذلك.

**الثالث** : قيل : بين الحمد والشكر مباينة ، فالحمد هو الثناء على الله – تعالى- بأوصافه بما لا اختيار فيه .

والشكر : هو الثناء على الله – تعالى – بأوصافه .

**وينظر** في ذلك : تفسير ابن جرير الطبري ( ١ / ٦٠ ) ط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ، تفسير ابن كثير (١/ ٢٢، ٢٣ ) ط ، مكتبة مصر الفجالة، القاهرة ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٦٣ ) ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م ، تحقيق : على محمد معوض وآخرون .

(١) عاقلاً أو غير عاقل ، فيصح أن يكون «عالمون» جمع عالم جمع سلامة ؛ لأن العالم يطلق على ما سوى الله ـ تعالى ـ سواء كان عاقلاً أو غير عاقل ، فيكون الجمع قد جرى على مفرده ، وهذا ظاهر كلام الراغب، وصححه السمين الحلبي . **ينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٦٨ ) ، معجم ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني ( ص : ٣٥٧ ) ط . دار المعرفة، بيروت ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

وقيل : من يعقل خاصة وهم الجن والإنس والملائكة [١] .

والخلاف : أنه مأخوذ من العِلم أو من العلامة ؛ لأنه دليل على خالقه وموجده .

( الملك ) : من اتسع ملكه . و(المالك): ينطبق على من ملك قليلا أو كثيرا [٢] .

و ﴿ٱلدِّينِ﴾ : الجزاء (٢/أ) .

و( العبادة ): غاية الذلة والخضوع ، ويخص استعمالها بالخضوع لله – تعالى – فيقال : ذللت لزيد وخضعت له ، ولا يقال : عبدته .

﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريق . والمنعم عليهم : الأنبياء . وقيل : النبيون والصديقون والشهداء والصالحون .

﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: اليهود .

و ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ : النصارى .

---

(١) فيكون «عالمون » على هذا القول اسم جمع ، لا واحد له من لفظه ، إنما واحده من معناه كالناس ، ولا يجوز أن يكون جمعا لـ «عالم» ؛ لأن الصحيح في «عالم» أنه يطلق على كل موجود سوى الباري ـ سبحانه وتعالى ـ لاشتقاقه من العلامة، بمعني أنه دال على صانعه . و «عالمون» بصيغة الجمع لا يطلق إلا على العقلاء دون غيرهم ، على هذا القول ، فاستحال أن يكون «عالمون» جمع عالم ؛ لأن الجمع لا يكون أخص من المفرد ، وهذا نظير ما فعله سيبويه في أن أعراباً ليس جمعا لـ «عرب»؛ لأن «عربا » يطلق على البدوي والقروي ، و«أعرابا » لا يطلق على البدوي دون القروي .

**ينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٦٨ ) .

(٢) قرأ « مَلِكِ » أبو عمرو ، ونافع ، وابن كثير، وابن عامر، وحمزة ،وأبو جعفر، من العشرة ، وقرأ باقي العشرة : عاصم والكسائي ويعقوب وخلف «مالك» . و قرأ « مَلَكَ » بلفظ الفعل الماضي ونصب «يوم» علي ﷺ وأبو حيوة وأبو حنيفة وجبير بن مطعم وأبو عاصم عبيد بن عمير الليثي ، والحسن وعاصم الجدري ويحيى بن يعمر .

**وتنظر** القراءات في : إعراب القرآن للنحاس ( ١ / ١٧٢ ) ط . عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية، بيروت ، تحقيق : الدكتور زهير غازي زاهد ط٢ ، ١٩٨٥م ، إملاء العكبري ( ١ / ٤ ) ط . مكتبة الدعوة، القاهرة ، البحر المحيط ( ١ / ٢٠ ) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩٣م تحقيق : علي معوض وآخرون ، وط . دار الفكر ، بيروت ١٩٨٣م ، الحجة لابن خالويه (ص : ٦٢) ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٩٠م ، تحقيق : عبد العال سالم مكرم ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١/ ٧١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٠٤) ط . دار المعارف ، القاهرة ، تحقيق : شوقي ضيف ، ١٩٨٨م ، الكشاف للزمخشري (١ / ٥٧ ) ط . دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٤٧ م . و ط . دار المعرفة ، بيروت ، المحرر الوجيز لابن عطية ( ١ / ٦٨ ) ط . مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٩٩٢ م .

## سورة البقرة [مدنية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾

﴿الٓمٓ﴾ والحروف التي في أوائل السور أسماء السور . وقيل : أسماء القرآن .

وقيل : من أسماء الله – تعالى . وقيل : هي حروف لو جمعت حصل منها معنى مقصود لأنك لو جمعت ﴿الٓر﴾، و﴿حمٓ﴾ ، و﴿نٓ﴾ صارت "الرحمن".

**الريب:** قلق يحصل عند الشك والتردد ومنه : ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور : ٣٠] .

وقيل: إنه من القلق . والوقوف على قوله ﴿فِيهِ﴾ . وقيل : على قوله ﴿لَا رَيْبَ﴾.

**التقوى:** الحظر والتشمير. وسأل عمر بن الخطاب [كعب الأحبار] [١] عن التقوى فقال : يا أمير المؤمنين ، هل سلكت طريقا فيه شوك ؟ قال : نعم . قال وكيف صنعت ؟ ، قال: حذرت وشمرت ، قال : كذلك التقوى [٢] وقيل : يدخل فيه عمل الطاعات واجتناب المعاصي وقيل : تخص باجتناب المعاصي .

**والغيب:** ما لا يطلع العباد عليه إلا بالوحي كالصراط والميزان والجنة والنار . أما ما

---

(١ ) هكذا ثبت في المخطوط والصواب – كما في تفسير ابن كثير والكشاف للزمخشري – أن المسؤول أُبيُّ بنُ كعب، وليس كعب الأحبار كما وقع هنا ، فلعله اختلط على الناسخ ؛ لاشتراكهما في اسم "كعب" **ينظر** : تفسير ابن كثير (١/ ٤٠) .

(٢ ) زاد الحافظ ابن كثير بعده فقال : وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز ، فقال [من مجزوء الكامل] :

**خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى**
**واصنع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى**
**لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى**

أخفاه الله من غيره ، فلا يسمى غيبا[١] .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ مرفوع ، أو مجرور ، صفة لـ «المتقين» أو منصوب بإضمار «أعني» . «وإقامة الصلاة» : الإتيان بها بأركانها وشروطها وآدابها . وقيل : تقيم الأمة شعارها . وقيل : سميت باسم القيام الذي هو جزء منها ، كما سميت «قرآنا» في قوله : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] . وتسبيحا في قولهم : «سبحة الضحى»[٢] .

وقوله ﴿يُنفِقُونَ﴾ : يريد به النفقات الواجبات . وقيل : إلى الواجبات والتطوعات.

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [يجوز أن يكون] مبتدأ ، وخبره : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى ﴾ ، ويجوز أن يكون معطوفا على ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ في هذه الثلاثة [٣] وقيل : ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ لمن آمن من عبدة الأوثان ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ لمن أسلم من اليهود والنصارى . والفلاح : البقاء ؛ كقول الشاعر [من الكامل] :

لو كان حيٌّ مدركَ الفلاحِ ... أدركه ملاعبُ الرماحِ[٤]

(٢/ ب) فمعنى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الباقون في الجنة . وقيل : معناه : الفوز بالمطلوب .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ عام أريد به الخاص ، وهو من علم الله أنه لا يؤمن، وإلا فكثير من الكفار قد نفع فيهم الإنذار، وآمنوا بالله الواحد القهار .

---

(١ ) كذا بالأصل وذكر المناوي في كتاب التوقيف في مهمات التعاريف (١/ ٥٤٣) أن الغيب : « ما غاب عن الحس ولم يكن عليه علم يهتدي به الفعل فيحصل به العلم » .

(٢ ) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٣٦) ، وأبو داود رقم (١٢١٠) ، وابن ماجه رقم (١٣٢٣) من حديث أم هانئ بنت أبي طالب : « أنه لما كان عام الفتح أتت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة ، قام رسول الله ﷺ إلى غسله ، فسترت عليه فاطمة ، ثم أخذ ثوبه ، فالتحف به ، ثم صلى ثمان ركعات ، سبحة الضحى» . وهذا لفظ مسلم في صحيحه .

قال النووي في شرح مسلم (٢/ ٢٦٥) : «**والسبحة** : هي النافلة سميت بذلك للتسبيح الذي فيها» .

(٣ ) أي : ما وصف الله به المتقين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

(٤ ) البيت للبيد **ينظر** في : ديوانه (ص:٣٣٣) ، الدرر اللوامع على همع الهوامع ، لأحمد بن الأمين الشنقيطي، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٢ . ١٩٩٤ م – تحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرم (١/ ١١٥) ، لسان العرب (لعب) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٢٧٠ ، ٤٣٥) همع الهوامع للسيوطي (١/ ١٣٨) ويروى : لو أن حيا ......

الإنذار : الإخبار بما يخاف منه .

وقوله : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[1] استعارة للاشتقاق من منع الشيء لما يقفل عليه ؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد :٢٤] أو يطبع عليه بطابع ، أي : يختم عليه بختم، كقوله تعالى : ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء : ١٥٥] .

وقوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ هذا وقف على قوله : ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾[2] والغشاوة مخصوصة بالأبصار ، كما قال تعالى : ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية :٢٣].

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾

العذاب يكون تارة عظيمًا ، وتارة مهينًا كمن ضرب رئيسًا ضربات يسيرة في محفل .

وتارة يكون أليمًا مؤثرًا في الجلد . والعذاب موصوف بهذه الصفات الثلاث في الكتاب العزيز .

قدم الله – سبحانه وتعالى – ثلاث آيات في وصف المتقين ، وآيتين في الكفار المطبوع على قلوبهم ، ثم ثلَّث بذكر المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر بقوله : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ﴾ الآيات . واقتصر على الإيمان بالله وباليوم الآخر ؛ لأن الإيمان بالله أول الواجبات ، واليوم الآخر من آخر الواجبات في الوجود .

**والخداع**: إظهار ما يسر المخاطب مع قصده ضرره في الباطن ؛ فقيل: أصله من الإخفاء، ومنه المَخْدَع يخفى فيه مالا يشتهى إظهاره من الزوجات والأموال .

**وقيل** : أحوال الفساد ؛ كقول الشاعر [من الرمل] :

---

(١) بالأصل بدل ما بين المعقوفين : « ختم على قلوبهم وقلبه وجعل على بصره غشاوة » والصواب ما أثبتناه .

(٢) وهو وقف تام ، كما قاله العلامة أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني في كتابه (منار الهدى في بيان الوقف والابتدا) (ص : ٣٢) ط . مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

طيبُ الريقِ إذا الريقُ خدعْ (١)

والله - تعالى - لا يخادع ولا يخادع فيما معاملته معاملة الخادع. وأما المؤمنون فلا يخادعون ولكنهم قد يُخدعون ، وما رجع الخداع إلا على المخادع .

**والشعور** : العلم بالحواس ، فهم لفرط جهلهم بعد عنهم العلم بالمحسوسات .

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ أي : آلام من استقامة أمور الدين ، أو في قلوبهم مرض من اعتقاد الحق .

**والفساد في الأرض**: العمل بالمعاصي، ويطلق كثيرا في سفك الدماء، وإفساد الزراعات؛ كقوله : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] وقوله : ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾ [البقرة : ٢٠٥] .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

وهؤلاء قد اعتقدوا أن ما يفعلونه صلاح (٣/أ) لا فساد وهو جهل مركب . وقد حقق الله كذبهم بدخول «ألا» التي للتنبيه ، و« إن» المؤكدة ، ودخول «هم» التي هي فصل أو عماد، ودخول الألف واللام في الخبر .

قوله : ﴿ كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴾ أي : رسول الله والمؤمنون . وكذلك أكد سفههم بما أكد فسادهم من دخول «ألا» ، و «إن» ، و«هم» ، وتعريف الخبر .

وقوله : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ﴾ مغاير لقوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ؛ لأن هذه في صفة اعتقادهم مع المؤمنين ، وتلك في صفة

---

(١) هذا عجز بيت لسويد بن أبي كاهل وصدره : أبيض اللون لذيذ طعمه ........

**ينظر** في : ديوانه (ص:٢٤) ، تاج العروس (خدع) ، ديوان الأدب (٢/ ٢٠٨) ، شرح اختيارات المفضل (ص:٨٦٨) ، لسان العرب (خدع) ، مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ١٦١).

اعتقادهم في أنفسهم ، ومخالفة قولهم فعلهم ، وقد أكدوا بهذه الآية جوابهم للمشركين بقولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ وقالوا في جواب المؤمنين : ﴿ ءَامَنَّا ﴾ غير مؤكد ويسمى الشيء باسم مقابله ؛ كقوله : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى:٤٠] . ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة :١٩٤] . ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران :٥٤] ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة : ٦٧] كذلك هاهنا ﴿ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ .

**الطغيان** : مجاوزة الحدِّ ؛ كقوله : ﴿ لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴾ [الحاقة :١١] ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [النازعات:١٧] .

**والعمه** : التردد والحيرة ، ولا يستعمل إلا في البصيرة . وأما العمى فإنه يطلق على فقد البصيرة ، وفقد البصر . ﴿ ٱشْتَرَوُاْ ﴾ استبدلوا ، ولما سمى الاستبدال شراء ، استعار له الربح في قوله : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ .

والمثل : صفة ، فقوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ ﴾ أي : صفتهم كصفة الذي استوقد نارًا.

«استوقد» و«أوقد» بمعنى ، و«أضاء» يستعمل لازمًا ومتعديًا ؛ فـ «ما» من قوله : ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ يجوز أن تكون مفعولة ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

**أعدْ نَظَرا يا عبدَ شمسٍ فربَّما أضاءتْ لكَ النارُ الحمارَ المقيَّدا** (١)

ويجوز أن تكون ظرفا ؛ لأن ما حول المستوقد أماكن . ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ بمعنى : أذهبه بخلاف قوله : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ ﴾ [يوسف :١٥] ؛ لأن المراد هناك : استصحبوه .

و«ترك» بمعنى : صير ، فيتعدى إلى مفعولين أحدهما : الضمير ، والثاني : المجرور ، قال

---

(١ ) البيت للفرزدق ، **ينظر في** : ديوانه (١/ ١٨٠) ، الأزهرية في الحروف للهروي (ص : ٨٨) مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١هـ – تحقيق : عبد المعين الملوحي ، الدرر اللوامع (٢١/ ٢٠٨) ، شرح شواهد الإيضاح (ص:١١٦) ، شرح شواهد المغني (ص :٦٩٣) ، شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٥٧) ، وبلا نسبة في : رصف المباني (ص:٣١٩) ، شرح شذور الذهب لابن هشام (ص:٣٦١) ، قطر الندى لابن هشام (ص :١٥١) مغني اللبيب لابن هشام (ص : ٢٨٧، ٢٨٨) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ١٤٣) ويروى الشطر الأول : أعد نظرا يا عبد قيس لعلما .......
والشاهد فيه : ورود الفعل « أضاءت» متعديًا .

عنترة [من الكامل] : فَتَرَكتُهُ جَزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ........ [١] .

وقوله : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ إخبار عن مبتدأ محذوف تقديره : المنافقون صم بكم عمي ؛ لأنهم لما لم ينتفعوا بأبصارهم في النظر في ملكوت السماوات والأرض صاروا (٣/ب) كالأعمى ، ولما لم ينطقوا بألسنتهم بالثناء على الله جُعِلوا بكمًا ، ولما لم يسمعوا ما أنزل الله سماع مقبل كانوا صمًا ؛ لفوات المقصود الأعظم من هذه الخواص ، قال الشاعر [من الكامل] :

خُلِقوا وما خُلِقوا لَمكْرُمةٍ    فكأنهم خُلِقوا وما خُلِقوا
رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ    فكأنهم رُزِقوا وما رُزِقوا [٢]

---

(١) البيت من معلقته ، وعجزه : ......................    يَقضمِنَ حُسنَ بنانِهِ وَالمِعصَمِ

ويروى : فَتَرَكتُهُ جَزَرَ السباعِ يَنُشنَهُ    ما بين قُلَّة رأسهِ والمِعْصَمِ

ينظر في الأغاني للأصفهاني (١/ ٢٦٢) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص :٢٢٦) ، روح المعاني للألوسي (٢٠/ ١٣٣) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٧٥) .

وجزر السباع أي : قتيلا تنتابه السباع ، وإنما سموها جزرة ؛ لأنها تجزر أي : تقطع أوصالها وتفصل ، وأصل الجزر القطع ومنه جزر الماء وهو انقطاعه بعد المد ، ولذلك سميت البقاع المرتفعة التي لا يغمرها الماء وسط البحور جزائر . وقلة الرأس : أعلاه . ينظر : غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٩٠) .

(٢) البيتان من الشواهد على نوع من أنواع البديع وهو طباق السلب وهو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي أو أمر ونهي كقوله – تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ وقول الشاعر :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم    ولا ينكرون القول حين نقول

وقول البحتري :

يقيض لي من حيث لا أعلم النوى    ويسري إلي الشوق من حيث أعلم

وقول أبي الطيب :

ولقد عرفت وما عرفت حقيقة    ولقد جهلت وما جهلت خمولاً

ينظر البيتان في : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني (١/ ٣٢٠) ط . دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٩٨م ، خزانة الأدب وغاية الأرب لأبي بكر الحموي (١/ ١٥٩) ط . دار ومكتبة الهلال ، بيروت ١٩٨٧م، تحقيق : عصام شعيتو .

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾

وقوله ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ ﴾ المعنى فيه : أنك إن أردت تشبيه المنافقين في انتظارهم رسول الله ﷺ أنه يبعث ويؤمنون به ، وكانوا من قبل يستفتحون ، ويستنصرون على عدوهم ، ويقولون : «اللهم انصرنا عليهم بالنبي الذي تبعثه في آخر الزمان»[1] ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾ فهذا مثلهم .

وإن أردت تمثيل القرآن والهدى الذي جاءهم ، وما فيه من التخويفات ، ولم يكن حظهم من ذلك إلا الخوف والحذر ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة :٦٤] فمثلهم مثل الصيب الذي حظ المسافر منه الخوف من رعوده وصواعقه ، ومقصوده الأعظم : ري الأرض ، ونجابة زراعتها .

وقوله : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم ﴾ الضمير في ﴿ يَجْعَلُونَ ﴾ لأصحاب الصيب .

**والمحيط** : مشتق من الإحاطة بالشيء ، ومن أحاط بالشيء من جميع جهاته ، حصل له العلم به والاستيلاء عليه ، والتمكن منه غالبًا ، فقوله ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ يريد : أنه مهلكهم؛ كقوله : ﴿ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ ﴾ [يوسف: ٦٦] ، ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ [الكهف:٤٢] ويجوز أن يريد أنه عالم ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [فصلت:٥٤] ﴿ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق :١٢] .

وذكر في الإضاءة ﴿ كُلَّمَا ﴾ ؛ لأنهم كانوا حراصًا على الحركة ، فإذا لاح لهم أدنى نور

---

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (ص :٣١) رقم (٣٨) عن ابن عباس ، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٦٣) ، من طريق عبد الملك بن هارون بن عنترة ، عن أبيه عن جده ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : كانت يهود خيبر تقابل غطفان فكلما التقوا ، هزمت يهود خيبر ، فعاذت اليهود بهذا الدعاء : اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأُمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم.قال : فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء ، فهزموا غطفان ، فلما بُعث النبي ﷺ كفروا فأنزل الله : وقد كانوا يستفتحون بك يا محمد على الكافرين .

قال الذهبي معقبًا : لا ضرورة في ذلك أي لإخراجه ، فعبد الملك متروك هالك .

بادروا إلى اغتنامه ، وقال في الإظلام : ﴿ وَإِذَآ أَظۡلَمَ ﴾ ؛ لأنهم لم يكونوا حراصًا على التوقف، وأظلم يستعمل لازما ومتعديا . وقوله : ﴿ قَامُواْ ﴾ امتنعوا من الحركة ، وليس المراد القيام الذي يضاد القعود ، ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ لزاد في قصيف الرعد ، فذهب بسمعهم أو زاد في وميض البرق ، فذهب بأبصارهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ (٢١) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٢٢) وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ (٢٤) ﴾

وأكثر ما في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ يراد به أهل مكة ، وأكثر ما فيه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يراد به : أهل المدينة ، وقوله : ﴿ خَلَقَكُمۡ ﴾ يجوز أن يريد به : اعبدوا الرب الذي خلق ولا تعبدوا ربًا غيره (٤/أ) ؛ كقوله : ﴿ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾ [يوسف :٣٩] ويجوز أن يراد به الثناء ؛ كقوله : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:١].

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ معطوف على مفعول ﴿ خَلَقَكُمۡ ﴾ . وقوله ﴿ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يجوز أن يكون مفعول قوله : ﴿ رِزۡقٗا لَّكُمۡ ﴾ ، ويجوز أن يكون المجرور ، وقد سدَّ مسدَّ الخبر ؛ كقوله : ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا ﴾ [مريم: ٥٠] وتقديره : أخرج به بعض الثمرات. و﴿ رِزۡقٗا ﴾ على هذا : مفعول من أجله ، و﴿ لَّكُمۡ ﴾ معمول للمفعول من أجله .

**الند** : المثل المناوئ ، مأخوذ من : ند البعير إذا نفر .

وقوله : ﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ يجوز أن يكون محذوف المفعول لا يراد ، تقديره كأنه قال : وأنتم من أهل العلم ، ويجوز أن يراد له مفعول ، ويحتمل وجهين :

**أحدهما** : وأنتم تعلمون أنه متعال عن الأنداد ، **وثانيهما**: أن تكون تلك الآلهة التي عبدت لا تصلح أن تكون له أندادًا .

وقوله : ﴿ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ الهاء في ﴿ مِّثۡلِهِۦ ﴾ تعود إلى القرآن . وقيل : تعود إلى النبي ، والتقدير: ائتوا بقرآن يلقي به رجل أمي لم يصحب العلماء ولم يقرأ الكتب كقوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ ﴾ [العنكبوت :٤٨] وهذا ضعيف ؛ لأنه يخرج القرآن عن أن

يكون معجزا، وإنما المعجز عنده صرف الداعي عن الشروع في الإتيان بمثله، ويبطله قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء:٨٨] . ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [1] [الطور: ٣٤] . ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [يونس:٣٨] .

وقوله: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ أي : من يشهد لكم بأن الذي أتيتم به يصلح للمعارضة .

أو فادعوا من بحضرتكم من جلسائكم الفصحاء وخطبائكم البلغاء . وقوله : ﴿ وَلَن تَفْعَلُوا﴾ جملة معترضة بين الشرط والجزاء وهي إخبار بغيب ، وجعل جزاء الشرط الأمر باتقاء النار، والتقدير : فإن لم تأتوا بسورة من مثله ، وعجزتم أنتم ومن بحضرتكم – وجب الخلود في النار – فعليكم أن تتقوا النار باجتناب معارضة القرآن .

المراد بالحجارة : حجارة الكبريت ؛ لأنها تزيد النار التهابًا ورائحة منكرة ، وقيل : المراد الأصنام ؛ لأنها تلقى في النار مع الكفار إرغامًا لمن عبدها ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٨- ٩٩] (٤/ب) ونار جهنم – أعاذنا الله منها – لشدة حرِّها يتقد فيها ما لا يتقد في غيرها من الحجارة وأشباهها . والوقود والحطب ، وأتى هاهنا بـ ﴿الَّتِي﴾ وهي إنما يؤتى بها حيث تكون الصلة معلومة للمخاطب ، كقولك : أكرم زيدًا الذي أنقذك بالأمس من فتنة كذا.وقد علم ذلك بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم : ٦] وهذه الآية دليل على أن النار مخلوقة ، وقالت المعتزلة: لا فائدة من خلقها الآن وقوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ يرد عليهم ظاهرًا[2].

---

(١) في الأصل: « قل فأتوا بحديث مثله إن كنتم صادقين » وليس بآية ، وما أثبتناه من سورة الطور: الآية:٣٤ .

(٢) مسألة خلق الجنة والنار الآن من المسائل التي دار حولها خلاف بين متكلمي المسلمين ، فاتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن . ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة القدرية فأنكرت ذلك ، وقالت : بل ينشئهما الله يوم القيامة ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله ، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا . وقاسوه على خلقه في أفعالهم ، فهم مشبهة في الفعال ، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة ، وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث ؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة ، فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب – تعالى – وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدَّعوا من خالف شريعتهم. وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة التي تدل على بطلان هذا القول.=

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾

**والبشارة**: أول خبر سار صادق . والجنة : البستان المظلل بأغصانه وأوراقه ؛ لأنه يستر ما حواه ، **وجن الليل** : أظلم وستر بظلامه ، **والجِنة** : الجن ؛ سموا بذلك لاستتارهم عن الأعين، **والجنة** : الترس ؛ لأنه يستر من وراءه . الألف واللام في «الأنهار» عوض عن الإضافة ، أي : أنهارها ؛ كقوله : ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ ﴾ [مريم : ٤] أي : رأسي . وقيل : هما للعهد المذكور في سورة القتال : ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾ الآية [محمد :١٥] .

﴿ مِن تَحْتِهَا ﴾ أي : تجري من تحت غرفها ؛ كقوله : ﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ ﴾ [الزمر:٢٠]. وقيل : من تحت أشجارها ؛ كما في بساتين الدنيا . وقيل : أنهار الجنة تجري في غير أخدود ، وأهل الجنة يفجرونها تفجيرًا كيف شاؤوا.

﴿ كُلَّمَا رُزِقُواْ ﴾ من البستان ﴿ مِن ثَمَرَةٍ ﴾ فابتداء الرزق من البستان ، وابتداء الرزق الحاصل من البستان من الثمرة ﴿ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ أي: في الدنيا؛ لأن ذلك يشاركه في الاسم خاصة لا في الطعم واللون والرائحة. وقيل : كلما جنوا ثمرة تخلفها أخرى فيشيرون إلى الحادثة ويقولون: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ ﴾ بسط لعذرهم في قولهم: ﴿ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ ؛ كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل : ٣٤] ثم صدقها الله بقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ : من البول والغائط والحيض ومن مساوئ الأخلاق وفساد الأحوال بمخالطة من لا يصلح .

---

= **ينظر** : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص : ٤٢٤-٤٢٢) تحقيق جماعة من العلماء وتخريج الشيخ الألباني ، ط ٣ ، المكتب الإسلامي .

لما ذكر الله في كتابه البعوض والعنكبوت تضاحكت اليهود وقالوا : هذا لا يشبه كلام الله ، وكيف يذكر (٥/أ) العلي الأعلى هذه الأشياء المحقَّرة ، وغلطوا في ذلك ، فإن الحقير إنما يضرب له المثل بالحقير ، وضرب المثل اعتماده وتصييره ، كقولك : «ضربت الطين لبنًا ، والفضة خاتمًا» فهو يتعدى إلى مفعولين . والبَضْع والبَعْض :القطع ، والبعوض : فعول من القطع ؛ لأنه يشق اللحم فيمتص الدم . ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أكبر منها . وقيل :أصغر ؛ لأنه فوقها في الحقارة .

﴿فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ الضمير يرجع إلى المثل أو إلى ضربه . وإنما قال : ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ والمهديون قليل بالنسبة إلى الضالين وإن كانوا في أنفسهم كثيرًا [1].

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧) كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)﴾

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢٥] وهو صلة الأرحام . وقيل : تصديق جميع الأنبياء فيما جاؤوا به. ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفًا ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ فيها ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ يبعثكم يوم القيامة ، والتقدير : كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذا الترتيب ؟ وإنما جاء بلفظة : «كيف» التي هي إنكار للأحوال ، ولم ينكر أصل الكفر ؛ لأنه إذا أنكر أحوال الكفر كلها لم يوجد الكفر ؛ كما لو ادَّعى خامل[2] اجتماعه بالسلطان وخوضه معه في مصالح الدولة ، فيقال له : أين اجتمعت به في داره أم في الموكب؟ تقديره : إن قلت: إنك اجتمعت به في الموكب . فهناك حُجَّاب يمنعونك من الاجتماع به . وإن قلت : في داره . فكذلك . فإذا بطلت جهات الاجتماع بطل الاجتماع به.

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف ( ١ / ١١٨ ) : « فإن قلت : لم وُصف المهديون بالكثرة ـ والقلة صفتهم ؟ قلت: أهل الهدى كثير في أنفسهم وحين يوصفون بالقلة إنما يوصفون بها بالقياس إلى أهل الضلال . وأيضا فإن القليل من المهديين كثير في الحقيقة وإن قلوا في الصورة فسموا ذهابًا إلى الحقيقة كثيرًا» .

(٢) **الخامل من الرجال :** الخفي الساقط الذي لا نباهة له ، ولا إرادة مستقلة تحمله على الاجتراء ، يقال: هو خامل الذكر والصوت ، والجمع : خملة . **ينظر** : لسان العرب ( خمل ) .

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ فيه دليل على أن أصل الأشياء بعد ورود الشرع على الإباحة[1].

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ ثم قصد بعد خلق الأرض إيجاد السماوات ، ولم يحدث بين إيجادهما خلق شيء آخر .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) ﴾

وقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ استفهام ، معناه : أتخلق هؤلاء العصاة مع بقائنا نحن على وظائف التسبيح والتقديس ، أم تمكر بنا أيضا ، وإنما شهدوا على البشر بالمعصية ، لجواز أن يعلمهم الله ذلك بطريق من الطرق ، أو بأن يروه في اللوح المحفوظ مكتوبًا .

---

(١) الأصل في الأشياء الإباحة ؛ لأن الإباحة هي الحكم الأصلي لموجودات الكون ، وإنما يحرم ما يحرم منها بدليل من الشارع لمضرتها، والدليل على أن الحكم الأصلي للأشياء النافعة هو الإباحة : قوله - تعالى- ممتنا على عباده : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية :١٣] وقوله - تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة :٢٩] ولا يتم الامتنان ولا يكون التسخير إلا إذا كان الانتفاع بهذه المخلوقات مباحًا. أما الأشياء الضارة فالأصل فيها التحريم لقوله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار». **ينظر** في ذلك: الأشباه والنظائر للسيوطي (١/ ٦٠)، الوجيز في أصول الفقه لعبد الكريم زيدان (ص : ٢٦٨) .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾ أسماء المسميات بمنافعها ، ثم عرض المسميات على الملائكة .

﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ في زعمكم أن الله لا يخلق خلقًا أفضل منكم ، أو خلقًا يعلمون ما لا تعلمون ، وهو الذي قال فيه : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ .

(٥/ب) وقوله : ﴿ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ ﴾ هو وضع الجبهة على الأرض تعظيما لآدم ، وكان ذلك جائزًا وقد سجد يعقوب وبنوه ليوسف [(١)] . وقيل : اسجدوا لسجود آدم ، فجعله إماما يصلي بهم ، وقيل : اسجدوا لجهة آدم وجعله قبلة ، وإبليس كان من الملائكة . وقيل : لم يكن منهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الكهف: ٥٠] والجن ليسوا ملائكة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ [سبأ : ٤٠] تبرأت الملائكة ونسبوا العبادة إلى الجن ، فلو كانوا ملائكة ، لم تحصل البراءة لهم . وقوله: ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ أي: في علم الله. وكان بمعنى صار .

قوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا ﴾ مبالغة في التحريم ، والتحفظ من الوقوع فيه ، وأشار بهذه الشجرة إلى شجرة واحدة . وقيل: إشارة إلى جنس بجملته حرمه عليهم ، فقيل : شجرة العنب . وقيل : القمح، وكان شجرًا ، ولا يتعلق بتعيين الشجرة غرض صحيح .

وقوله : ﴿ فَتَكُونَا ﴾ يجوز أن يكون مجزوما معطوفًا ، وأن يكون منصوبًا ، جوابًا للنهي .

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ أي: أوقعهما في الزلة ﴿ عَنْهَا ﴾ : قيل عن الشجرة . وقيل : عن الجنة .

﴿ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ يريد ما عليه الناس من التعادي والتحارب . وقيل: أراد: آدم وحواء وإبليس . قيل : والحية أيضا، والأول أصح ؛ لقوله : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ﴾ أي: فإن يأتكم مني هدى على لسان رسول أبعثه إليكم فمن اتبع ما جاء به كان مفلحا ، ومن خالفه فكفر به وكذب بالآيات خُلِّد في النار ، وهذا إنما يليق بالمكلفين لا بالحية .

﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ

---

(١) ورد ذلك في قوله –تعالى– في سورة يوسف الآية:١٠٠: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ .

ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

يا بني آدم ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ﴾ أي : اشكروها ﴿ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ ﴾ بها ﴿ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ ﴾ بالعهد الذي عاهدتكم عليه من الإيمان بالرسل وتصديق ما جاؤوا به من الكتب ﴿ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ الذي عاهدتكم عليه من الثواب والعقاب . والعهد : يضاف إلى الموثق والموثق عليه .

والرهبة: الخوف ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ ﴾ من القرآن ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ ﴾ مثل ﴿ أَوَّلَ كَافِرٍ ﴾ أو كل واحد منكم مثل أول كافر ، والمراد أول فريق كافر أو أول فوج .

﴿ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ هو ما كانوا يأخذونه من عوامهم من الهدايا ( ٦/أ ) والرشا وما يأخذونه من كبرائهم على التحريف والتبديل . ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم ﴿ وَتَكْتُمُواْ ﴾ يجوز أن يكون مجزومًا معطوفًا ، وأن يكون منصوبًا بالواو في جواب النهي .

وقوله: ﴿ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ أمر بالصلاة بعد الأمر بها بقوله : ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ مبالغة في وجوبها . وقيل معناه : ولتكن صلاتكم في جماعة . ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : حال يقتضي زيادة قبح ما فعلوه ، وأنه لا يفعله من له أدنى عقل ولهذا قال بعده : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ والتقدير: أسلبتم العقول فلا تعقلون ، أو أجننتم فلا تعقلون . ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ ﴾ عند المصائب . وقيل: بالصبر على الصلاة ومداومتها ؛ كقوله : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] ، وقيل: إذا أصابتكم شدة فافزعوا إلى الصلاة والصبر . وكان الرسول ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [١] . ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ وإن الاستعانة . وقيل : وإن الصلاة ، وإنما لم تكبر على الخاشعين فلم تثقل عليهم لما يجدون من حلاوة المناجاة ، وقال النبي ﷺ : «وجعلت قرة عيني في الصلاة »[٢] .

---

(١) رواه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره ( ١ / ٢٩٨ ) ، والبيهقي في دلائل النبوة ( ٣ / ٤٥٣ ) . وبلفظ : « إذا حزبه أمر صلى » رواه أحمد في المسند (٥/٣٨٨) ، وأبو داود رقم ( ١٣١٩ ) .

(٢) هذا جزء من حديث ولفظه : «حبب إلي النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة» رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في المسند ( ٣ / ٢٨٥ ) ، والنسائي في المجتبى (٧/٦٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/١٦٠)، ورواه أحمد ( ٣ / ١٢٨ ، ١٩٩) ، والنسائي ( ٧ / ٦١ ) ، وذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٣ / ٢٤٩ ) بلفظ : « وجعل قرة عيني في الصلاة »قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وقال الحافظ ابن حجر : وإسناده حسن ، ثم قال الحافظ في التلخيص=

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يستيقنون؛ كقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف:٥٣] أي:أنهم ملاقوا جزاء ربهم،وأنهم إلى معاد جزائه ﴿رَٰجِعُونَ﴾. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم. ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾: كافرة. العدل: الفدية، ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ أي: في إنجائكم ﴿بَلَآءٌ﴾ أي: نعمة؛ كقوله: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]. وقيل: وفي ذلكم التعذيب بلاء أي: شدة.

﴿فَرَقْنَا بِكُمُ﴾ أي: بسببكم ﴿ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ القبط، ومن وافقه على دينه ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ﴾ [1] انقضاء أربعين يومًا ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ من بعد انطلاقه إلى الجبل ليسمع كلام

---

=(٣/ ٢٤٩، ٢٥٠): وقد اشتهر على الألسنة زيادة: «ثلاث» وشرحه الإمام أبو بكر بن فورك في جزء مفرد على ذلك، وكذلك ذكره الغزالي في (الإحياء) ولم نجد لفظ «ثلاث» في شيء من طرقه المسندة.

قرأ وعدْنا بدون ألف: أبو عمرو وعاصم الجحدري وأبو جعفر وعيسى بن عمر ويعقوب وغيرهم.

(١) وقرأ الباقون «واعدنا» **تنظر في**: إتحاف فضلاء البشر (١/ ٣٩١)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٢٣، ٢٢٤)، الإملاء للعكبري (١/ ٢١)، البحر المحيط لأبي حيان (١/ ١٩٩)، جامع القرطبي (١/ ٣٩٤)، الحجة لابن خالويه (ص ٧٦)، الحجة للفارسي (٢/ ٥٦)، الدر المصون (١/ ٢٢٢)، السبعة لابن مجاهد (ص ١٥٤)، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٠) ورجح أبو عبيد قراءة «وعدنا» بأن المواعدة إنما تكون من البشر، وأما الله – تعالى – فهو المنفرد بالوعد والوعيد، وكذلك رجح هذه القراءة مكي وأبو حاتم، ورجح قوم آخرون القراءة الأخرى، **وينظر** تفصيل ذلك في: الدر المصون (١/ ٢٢٢).

الله مع سبعين رجلاً من خيار قومه ، ﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ من بعده إلها ﴿ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ أي : قوم عادتكم الظلم .

**والفرقان** : قيل : انفراق البحر حين ضربه بعصاه فانفرق اثني عشر فرقاً لكل سبط فرق وقيل : الفرقان هاهنا: التوراة ؛ لأنها فرقت بين الحق والباطل .

﴿ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ أمر من لم يعبد العجل أن يقتل من عبده . وقيل: أمر كل من عبد العجل أن يقتل نفسه. (٦ / ب) [ وحين نزلت ] التوبة على بني إسرائيل ، فسقطت السيوف من أيديهم حين تاب الله عليهم . وقيل: وبلغ القتلى سبعين ألفاً .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

ولما توجه موسى بسبعين رجلاً ، اختارهم موسى من قومه إلى الجبل فأسمعهم الله كلامًا له فسألوا رؤية الله ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقال موسى: ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ﴾ [الأعراف : ١٥٥] : ماذا أقول لبني إسرائيل إذا عُدتُ إليهم فأحياهم الله -تعالى-

بدعاء موسى .

﴿ ٱلْغَمَامَ﴾ جَعلْنا الغمام مظللاً عليكم في التيه . والسلوى : طائر يشبه السُّمَّاني[١] ، كان يسقُطُ عليهم فيأخذون منه كفايتهم .

كانوا فلاحين معتادين لأكل العدس والبصل وغيره فسألوا عادتهم . والفُوم : الخبز . وقيل: الثُّوم . ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ أي : بلداً ، أي بلد كان تجدوا فيه ما سألْتم . وجُعِلتِ الذّلّة كالقبة المحيطة المشتمِلةَ عليهم ﴿ وَبَآءُو﴾ أي : رجعُوا . وقيل: احتملوا ، أي : تلك الذّلّةَ والمسكنة بسبب كُفرِهم وقتْلهم الأنبياء ، وذلك الكفْرُ والقتْلُ والجرأةُ عليهما ، بسبب عصيانهم ومجاوزتهم الحَدَّ .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي: بألسنتهم . ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ أي : بقلْبه . وقيل : من آمن، أي: دام على الإيمان . وقيل: إنَّ الذين آمنُوا بالتوراة والإنجيل منْ غير تبديلِ منْ آمن منهم بالقرآن ، ومحمّد عليه الصلاة والسلام . ﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ مأخوذ من قولهم: صبأت النجومُ : إذا خرجت منْ مراكزها ، فقيل: الصابئون من النصارى، والسّامرة من اليهود ، كالمعتزلة[٢]من المسلمين أصحاب بدْعة لم يخرجوا بها عن أصل الإسلام والشريعة .

---

(١) **السماني** : ضرب من الطير، واحدته : سماناة وقد يكون السماني واحدًا قال الجوهري : ولا تقل سماني بالتشديد وهو طائر صغير من رتبة الدجاجيات ، جسمه منضغط ممتلئ ، وهو من القواطع التي تهاجر شتاء إلى الحبشة والسودان ويستوطن أوربا وحوض البحر المتوسط .

**ينظر** : لسان العرب ( سمن ) .

(٢) **المعتزلة:** قال شارح الطحاوية : هم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما ، سموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في أوائل المائة الثانية ، وكانوا يجلسون معتزلين ، فيقول قتادة وغيره : أولئك المعتزلة . وقيل : إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة ، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري ، فلما كان زمن هارون الرشيد صنف لهم أبو الهذيل كتابين ، وبيَّن مذهبهم ، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة وهي: العدل ، والتوحيد ، وإنفاذ الوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولبسوا فيها الحق بالباطل ، إذ شأن البدع هذا ، اشتمالها على حق وباطل . وهم مشبهة الأفعال ؛ لأنهم قاسوا أفعال الله – تعالى– على أفعال عباده ، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه ، وما يقبح من العباد يقبح منه – تعالى الله=

فعلى هذا : يقرُّون بالجزية وتحلُّ مناكحتهم وذبائحهم وقيل : بل هم أصحابُ مذهب مستقلّ فلا يقرون بالجزية ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

ولما جاء موسى بالتوراة ، ورأى اليهود ما فيها من التكاليف الشاقة قالوا : ما نقبل هذه الأحكام، فراودهم موسى ، فأبوا فرفع الله الجبل عليهم وصار كالظلة فوق رؤوسهم، فخروا ساجدين خوفاً أن يسقط عليهم ، وقبلوا أحكام التوراة .

﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أي: بجدٍّ ولما كان الصيد محرماً على اليهود في يوم السبت فابتلاهم الله بأن صارت [ ظاهرة ما كان يبقى حوت في البحر إلا أخرج خرطومه يوم السبت ] [1] لاتمتنعُ ممنْ يأخذها ، فإذا انقضى السبت (٧/أ) تفرقت في البحر فعملت اليهود حياضاً واسعة كبيرة إلى جانب البحر ، وفتحوا ماء البحر إليها يوم السبت ، فاجتمع في الحياض سمك كثير ثم سدُّوا الحياض ، وبقي السَّمَكُ فيها ، فأخذوه يوم الأحد وذلك في أيلة [2] .

---

= عما يقولون – وقالوا : يجب عليه أن يفعل كذا ، ولا يجوز له أن يفعل كذا بمقتضى ذلك القياس الفاسد !! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبيده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك لعد إما مستحسنًا للقبيح وإما عاجزًا فكيف يصح قياس أفعاله ـ سبحانه وتعالى ـ على أفعال عباده ؟! والكلام في هذا المعنى مبسوط في موضعه . **ينظر**: شرح العقيدة الطحاوية ( ص : ٥٢١ ) .

(١) بياض في الأصل وما بين المعقوفين مثبت من الكشاف ( ١ / ١٤٧ ) لتمام السياق .

(٢) أيلة – بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . وهي مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير . وقيل : سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام . =

وكان داودُ ﷺ عندهم ، فسبهم ، ولعنهم بعد أنْ نهاهم ، فلم ينتهوا فمسخ الله الذين فعلوا ذلك . ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ خسأت الكلب : إذا طردته وأبعدته . ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من القرى ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ وقيل : نكالاً لمن يأتي بعدهم من القرون فيخاف من المخالفة أن يحلَّ به مثل ما حلَّ بالأول . وقيل : لمنْ يأتي بعدهم من الأمم ولمن مضى قبلهم أخبرتهم أنبياؤهم أنه سيمسخ قوم قردة فخافوا وارتدعُوا .

كان في بني إسرائيل شيخ موسر قتله أبناء عمه ، وأخذوا ماله وأصبحوا يطلبون دية قتيلهم، فسألوا موسى ﷺ عن الحكم في ذلك فأمره الله- تعالى- أن يذبحوا بقرة ، فعجبوا وقالوا : ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ . أي : مهزوًّا بنا . والاستهزاء جهل استعاذ موسى ﷺ منه ، فقالوا: ما هذه البقرة ؟ فقال: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ أي : كبيرة السن ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ أي: صغيرة. والعوان: وسط الأسنان .

﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ﴾ شديدة الصفرة . وقيل: سوداء . ﴿لَّا ذَلُولٌ﴾ أي : ليستْ مذللة بالعمل ، فلا هي تحرث الأرض فتثيرها ، ولا تستعمل في النواضح ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب لا لون فيها يخالف الصفرة ، حتى قيل : إن قرنها وظلفها [١] كانا أصفرين .

كان في بنى إسرائيل رجل صالح حضرته الوفاة ، وكان له عجلة فتركها في غيضة[٢] موفرة[٣] عن العمل، فقال: اللهم إني أستودعك هذه العجلة لابني هذا، ثم اتفقت لهم حاجة بعد موته فقالت أم الصبي: إن أباك قد استودع لك عجلة في الغيضة، فاذهب إليها في

---

= **ينظر** : معجم البلدان لياقوت الحموي (١ / ٢٩٢ ) .

(١) **الظلف** : ظفر كل ما اجتر وهو ظلف البقرة والشاة والظبي وما أشبهها والجمع أظلاف . قال ابن السكيت: يقال : رجل الإنسان وقدمه، وحافر الفرس ، وخف البعير والنعامة ، وظلف البقرة والشاة .
**ينظر**: لسان العرب ( ظلف ) .

(٢) **الغيضة** : هو الموضع يكثر فيه الشجر ويلتف والجمع : غياض وأغياض .
**ينظر** : لسان العرب ( غيض ) .

(٣) **الوفر من المال والمتاع** : الكثير الواسع . وقيل : هو العام من كل شيء ، والجمع : وفور وقد وفر المال والنبات والشيء بنفسه وفرا ووفورا وفرة . وأرض وفراء في نباتها فرة، وهذه أرض في نباتها وفر ووفرة وفرة أيضا أي : وفور لم ترع ، والوفراء : الأرض التي لم ينقص من نبتها .
**ينظر** : لسان العرب ( وفر ) .

الغيضة ، وادعها بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فإنها تطيعك فذهب ودعاها، فأتت فقالت أمه: اذهب بها إلى السوق واعرضها للبيع ولا تبعها حتى تشاورني ، وكان الولد بارًّا بأمه ، وكانت البقرة تساوي ثلاثة دنانير ، فذهب بها إلى السوق ، فبعث الله ملكاً في صورة رجل فقال للصبي : أتبيعها بثلاثة دنانير [ فرجع إلى أمه ليعرفها ] ( ٧/ب ) فقالت له : اطلب زيادة، فجاء فعرفه فزاده فقال : بعنيها ، ولا تشاور أمك فلم يفعل وشاورها فطلبت زيادة فقال الملك للشاب : إن هذه البقرة لها شأن فلا تبعها إلا بما تختار فلم يجد بنو إسرائيل بقرة بالصفة التي ذكرها موسى عليه السلام سوى هذه البقرة فقيل: باعها الصبي لهم بملء جلدها ذهبًا .

ثم ذبحوا [(١)] بنو إسرائيل وضربوا الميت بجزء منها فقام وأوادجه تشخب[(٢)] دماً ، وقال : قتلني هؤلاء الذين يطلبون ديتي من غيرهم ، فحرموا الميراث وفي الآثار : لم يورث قاتل بعد قصة البقرة[(٣)] .

وقوله: ﴿ وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ إما أن يكون لغلاء ثمنها ، أو لكثرة تعنتهم وأسئلتهم .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

---

(١) كذا في الأصل «ذبحوا» وهي على لغة طيئ وأزد شنوءة وبلحارث ، وهي مسألة مشهورة من مسائل الخلاف النحوي وهي «إلحاق علامتي التثنية والجمع بالفعل المسند إلى فاعل أو نائب فاعل ظاهرين»؛ وقد منع جمهور النحاة إلحاق علامتي التثنية والجمع بالفعل المسند إلى فاعل أو نائب فاعل ظاهرين، وعدُّوا ذلك لغة ضعيفة وشاذة وقليلة ولا يجوز القياس عليها . وأجازها فريق آخر من النحويين واللغويين منهم : ابن يعيش والزمخشري وابن مالك والسيوطي ، وأدلتهم قوية من السماع . وهو الصحيح ؛ لورودها في القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب شعره ونثره . **وينظر** تفصيل ذلك في : أوضح المسالك ( ١ / ٣٥١ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ١ / ٢٣٦ ) ، المغني لابن هشام ( ٢ / ٣٦٥ ) ، همع الهوامع ( ١ / ٥١٣ ) .

(٢) **الشُّخْبُ** : السَّيَلانُ وأَصلُ الشَّخْبِ : ما يخرج من تحت يدِ الحالِبِ عند كل غَمْزَةٍ وعَصْرَة لضَرعِ الشاةِ . **ينظر** : لسان العرب ( شخب ) .

(٣) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ( ٨ / ١٤١ ) عن ابن سيرين عن عبيدة بهذا اللفظ .

وقوله: ﴿ فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ ﴾ أي: تدافعتم ، والدرء: الدفع أي: كل واحد يطرح القتيل على غيره ويتبرأ منه . ﴿ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَا ﴾ أي: بلسانها ، وقيل : بالغضروف[1] . وقيل : بأي جزء منها كان . ﴿ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴾ .

وفي هذه القصة فوائد منها: أنه ينبغي أن نتقبل الأوامر الإلهية ، ونسارع إليها ، وألا نكثر من الأسئلة . وأن يكون الذي نتقرب به إلى الله متوسطاً لا هرمًا ولا صغيرًا قليل اللحم ، وأن يكون حسن الصورة يعجب من رآه وأن يغالى في ثمنه . وقد اختلف في البقرة المأمور بذبحها : فقيل : كانت متعينة من أول الأمر ، ولهذا اشتريتْ بملء جلدها ذهبًا . وقيل : لوَ ذبحوا أيَّ بقرةٍ شاؤوا من أول الأمر أجزأت لكنهم شددوا فشدد الله عليهم . وفيها دليل على جواز النسخ قبل العمل بالأمر[2] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ١٩٤ ) ونسبه لوكيع والفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : « ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف» . والغضروف : كل عظم رخص لين في أي موضع كان ، وغضروف الكتف : رأس لوحها . ينظر : لسان العرب ( غضرف ) .

(٢) وهذا خلاف ما ذهبت إليه المعتزلة حيث منعوا جواز ذلك . قال العلامة ابن القيم في مفتاح دار السعادة ( ٢ / ٤٠ ) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت : «ومنعوا ـ أي : المعتزلة ـ النسخ قبل وقت الفعل ونازعهم جمهور هذه الأمة في هذا الأصل ، وجوزوا وقوع النسخ قبل حضور وقت الفعل ، ثم انقسموا قسمين : فنفاة التحسين والتقبيح بنوه على أصلهم ، ومثبتو التحسين والتقبيح أجابوا عن ذلك بأن المصلحة كما تنشأ من الفعل فإنها أيضا قد تنشأ من العزم عليه وتوطين النفس على الامتثال، وتكون المصلحة المطلوبة هي العزم وتوطين النفس لإيقاع الفعل في الخارج ، فإذا أمر المكلف بأمر فعزم عليه وتهيأ له ووطن نفسه على امتثاله فحصلت المصلحة المرادة منه لم يمتنع نسخ الفعل وإن لم يوقعه ؛ لأنه لا مصلحة له فيه وهذا كأمر إبراهيم الخليل بذبح ولده ، فإن المصلحة لم تكن في ذبحه وإنما كانت في استسلام الوالد والولد لأمر الله وعزمهما عليه وتوطينهما أنفسهما على امتثاله ، فلما حصلت هذه المصلحة بقي الذبح مفسدة في حقهما فنسخه الله ورفعه ، وهذا هو الجواب الحق الشافي في المسألة ، وبه تتبين الحكمة الباهرة في إثبات ما أثبته الله من الأحكام ونسخ ما نسخه منها بعد وقوعه، ونسخ ما نسخ منها قبل إيقاعه ، وأن له في ذلك كله من الحكم البالغة ما تشهد له بأنه أحكم الحاكمين، وأنه اللطيف الخبير الذي بهرت حكمته العقول فتبارك الله رب العالمين » .

و قال الإمام الشيرازي في كتاب ( اللمع في أصول الفقه ) ( ١/ ٢٩ ) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م : « أما نسخ الفعل قبل دخول وقته فيجوز وليس ذلك ببداء، ومن أصحابنا من قال: لا يجوز ذلك وهو قول المعتزلة وزعموا أن ذلك بداء والدليل على جواز ذلك أن الله – تعالى- أمر=

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) ﴾

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ أي : ما كان ينبغي أن تقسو بعد رؤية هذه الآية العظيمة ، وهو كقوله : ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام:١] ، ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴾ [الأنعام :٢] ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ﴾ [الجاثية :٨] كله استبعاد لما جرى منهم بعد رؤية ما سبق .

قوله: ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ليست «أو» للشك ؛ بل لأن قساوة القلوب مختلفة جدًا فبعضها يشبه الحجارة ، وبعضها أشد قساوة من الحجارة . ثم بين فضل الحجارة على قلوبهم ، فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) فإن للحجارة خشية ، ولله - تعالى - علم في هذه الجمادات . لا نعلمه (٨/ أ) كقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وقال ﷺ : «إني لأعرفُ حَجَراً كان يسلِّمُ عليَّ قبلَ أنْ أُبْعَثَ» [١] .

وفي الحديث: «كنا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤْكَلُ» [٢] .

---

= إبراهيم ﷺ بذبح ابنه ثم نسخه قبل وقت الفعل فدل على جوازه ، والدليل على أنه ليس ببداء ما بيناه من أن البداء ظهور ما كان خفيًا عنه وليس في النسخ قبل الوقت هذا المعنى » . **وتنظر** المسألة في ( الإحكام في أصول الأحكام) لابن حزم (٤/ ٥١٢) ط . دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ ، (الفصول في الأصول) للجصاص ( ٢ / ٢٢٩ ) ط. وزارة الأوقاف الكويتية ـ ١٤٠٥ هـ تحقيق : الدكتور عجيل النشمي .

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٩٥، ١٠٥)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٢٧٧) ، والترمذي رقم (٣٦٢٤)، وأبو نعيم في دلائل النبوة رقم (٣٠٠، ٣٠١) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٦٤٨٢ - بترتيب ابن بلبان ) ، والبيهقي في دلائل النبوة ( ٢/ ١٥٣ ) ، والبغوي شرح السنة ( ٧/ ٦٥ ) رقم ( ٣٦٠٣ ) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٩٦ ، ٤٠١)، والبخاري في صحيحه رقم (٣٥٧٩)، والترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٦٣٣)، والنسائي في المجتبى (١/ ٦٠)، كتاب : الطهارة ، باب: الوضوء من الإناء، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٢٠٤) ، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٢/ ٥٢١)، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٩٣)، البيهقي في دلائل النبوة (٤/ ١٢٩ ، ١٣٠) ، والبغوي في شرح السنة (٧/ ٦٧) رقم=

«وقد سبح الحصى في كفه ﷺ »[1]

﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ ﴾ بعدما ذكرنا من بغيهم ومخالفتهم أن يؤمنوا لأجل أمركم لهم بالإيمان، وحالهم العجيبة أنهم كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد فهمهم له ، وعلمهم بالوعيد على مخالفته ، ويلقون المؤمنين يخبرونهم أنهم يؤمنون ، وإذا خلوا قال الذين يلقون المؤمنين لمن لا يلقاهم : أتحدثون بأمر دينكم مع من يبلغ المؤمنين ، فيحتجون علينا به .

---

=(٣٦٠٧) ، من حديث ابن مسعود ﷺ قال : «كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فقلَّ الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده في الإناء ، ثم قال : حي على الطهور المبارك ، والبركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل». وهذا لفظ البخاري .

(١) إسناده ضعيف ، رواه الطبراني في ( المعجم الأوسط ) (٤/ ٢٤٥)، رقم (٤٠٩٧)، والبزار كما عزاه لـه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٣٠١ ، ٣٠٢)، والبيهقي في دلائل النبوة (٦/ ٦٤ ، ٦٥)، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح البـاري (٧/ ٢٩٢)، مـن حـديث أبـي ذر الغفـاري ﷺ قـال : «كنـا عنـد النبـي ﷺ فأخـذ حصيات، فسبحن في يده، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أخذهن ، فسبحن في يـده ، ثـم أعطـاهن أبـا بكـر فسبحن في يده ، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده ، ثم وضعهن فخرسن ، ثم أعطاهن عمـر فـسبحن في يده ، ثم أخذهن النبي ﷺ فسبحن في يده ثم وضعهن فخرسن ، ثم أعطاهن عثمان فسبحن في يـده ، ثم أعطاهن عليا فوضعهن في يده فخرسن» وهذا لفظ الطبراني في الأوسط .

قال البيهقي في الدلائل : كذا رواه محمد بن بشار عن قريش بن أنس عـن صـالح بـن أبـي الأخـضر ـ وصالح لم يكن بالحافظ ـ عن الزهري عن سويد بن يزيد السلمي عن أبي ذر. والمحفوظ : ما رواه شعيب بن أبي حمزة عن الزهري قال : ذكر الوليد بن سويد أن رجلا من بني سليم كان كبير السن ممن أدرك أبا ذر – بالربذة – ذكر له عن أبي ذر بهذا . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه البزار بإسنادين، ورجـال أحدهما ثقات ، وفي بعضهم ضعف . وقال الحافظ ابن حجر في فـتح البـاري : وأمـا تـسبيح الحـصى ، فليس له إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها.

قلت : والحديث في إسناده الكديمي ، وهو محمد بـن يـونس الكـديمي ؛ ذكـره ابـن حبـان في المجـروحين (٢/ ٣١٢، ٣١٣) فقال عنه : أحد المتروكين كان يضع على الثقات الحديث وضعاً، ولعله وضع أكثر من ألف حديث ، وفي إسناد الحديث أيضا صالح بن أبي الأخضر، وهو ضعيف ومتكلم فيـه ، وذكـره ابـن حبـان في المجـروحين (١/ ٣٦٤) ، والعقيلـي في الـضعفاء (٢/ ١٩٨) ، والـذهبي في ميـزان الاعتـدال (٣/ ٣٩٥) . فحسب الإسناد ضعفا أن يكون فيه هذان الرجلان .

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَـٰرَىٰ تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

وقيل: قال الذين لا يلقون المؤمنين من المنافقين للذين يلقونهم منهم: أتحدثون المؤمنين بما علمتم من أحوالنا ؛ ليحاجوكم به في دين ربكم. ثم قال - سبحانه: أقالوا ذلك ﴿أَوَلَا[1] يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ نفاقهم الباطن وكفرهم الظاهر.

ومن المنافقين طائفة أميون لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة من غير فهم وتدبر. وقيل: إلا

---

(١) في الأصل: «وهم»، والمثبت هو الصواب كما تدل عليه الآية المفسرة هنا.

أكاذيب. قال عثمان ﷺ: « ما تمنيت منذ أسلمت »[١] أي: ما كذبت . وقيل: هو استثناء منقطع ، أي: لا يعلمون الكتاب لكنهم يتمنون أمورا منها: أن آباءهم تشفع لهم . ومنها: أنَّ ما يعملون بالنهار يكفر عنهم بالليل، وما يعملونه ليلاً يكفر عنهم نهاراً . ومنها قولهم: ﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا ﴾ بذلك ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ صحته ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي: معصية. وأحاطت به خطيئته أي: أهلكه كفره فاستمر عليه إلى الموت فهم من أصحاب النار المخلدين، وأما من آمن وعمل صالحاً فهو من الخالدين في النعيم المقيم .

أخذ الله على بني إسرائيل بالتوراة ألا يقتل بعضهم بعضاً ، ولا يخرج بعضهم بعضاً من دياره، وأنهم إذا وجدوا أسيرا من بني إسرائيل يباع أن يشتروه ويعتقوه ، ثم خالفوا فقتل بعضهم بعضاً ، وأخرج بعضهم بعضاً من دياره ، لكنهم ثبتوا على فداء من وجدوه أسيرا منهم يباع . أي: وأشهدهم على الإقرار بالوفاء بهذا العهد ، فقيل لهم : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ والخزي : الذلة والهوان .

﴿ ٱشْتَرَوُاْ ﴾ أي : استبدلوا ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ﴾ ( ٨ / ب ) بما يخالف شهوات نفوسكم ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عن طاعته فقتلتم بعضهم ، وكذبتم أكثرهم ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ .

أي : عليها غطاء وغشاء يمنع من فهم ما يقولون ؛ كقوله: ﴿ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ ﴾ [فصلت:٥].

وقيل: معناه : قلوبنا أوعية للعلم فمنعنا منه ما يغنينا عما جئت به ، ﴿فَقَلِيلًا﴾ نعت مصدر محذوف، أي : فيؤمنون قليلا . وقيل: المراد بالقلة: العدم ، وهو كقوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [سورة ق:٣] كنوا بالبعد عن الاستحالة . والوَقْر[٢] بفتح الواو: الثقل في الأذن، وبكسرها الحمل ؛ كقوله : ﴿ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴾ [الذاريات:٢] .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١ / ٤١٩ ) قال ابن الأثير في ( النهاية في غريب الحديث والأثر) -( ٤ / ٣٦٧ ) ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ تحقيق : الدكتور محمود الطناحي و الشيخ طاهر الزاوي- : التمني : التكذيب ، تفعل من مني يمني : إذا قدَّر ؛ لأن الكاذب يقدر الحديث في نفسه ، ثم يقوله ، ويقال للأحاديث التي تتمنى: الأماني. واحدتها أمنية .

(٢) لا توجد كلمة الوقر في الآيات هنا ، وإن وجدت في مواطن أخرى منها ما ورد في الآية (٥) من سورة فصلت : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ ﴾ القرآن ﴿ مُصَدِّقٌ لِّمَا ﴾ في التوراة من بعث النبي ﷺ ومن صفاته ، وكانوا إذا دهمهم[١] عدو ، قالوا : «اللهم انصرنا ببركة النبي المبعوث في آخر الزمان فينصرون»[٢]. ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ﴾ .

﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ أي: باعوها. و «ما» : نكرة غير موصولة ولا موصوفة ، والتقدير: بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم كفرهم . ﴿ بَغْيًا ﴾: مفعول من أجله أي: كرهوا أن تكون النبوة في غيرهم من بني إسماعيل ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ ﴾ المذكورين أو لجميع الكفار ، ويدخل المذكورون فيه دخولا أولويًا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ من القرآن ﴿ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ من التوراة ﴿ وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ﴾ بما عداها .

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ ﴾ وعدل عن الماضي إلى المضارع ؛ لدلالته على التكرر ؛ كقولك: هو يصلُ الرَّحِمَ ويحْمِلُ الكَلَّ[٣].

وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك في إيمانهم ، ثم حقق بعدهم عن الحق باتخاذهم

---

(١) الدهم : الجماعة الكثيرة. وقد دهمونا أي : جاؤونا جماعة ، و دهمهم أمر : إذا غشيهم فاشيا .

ينظر : لسان العرب ( دهم ) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير الآية ( ١٧ ) .

(٣) الكلّ : الثقل من كل ما يتكلف والكل : العيال . ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ١٩٨١) .

العجل إلها بعدما جاءهم موسى بالبينات ، ثم زادك تحقيقاً بقوله : ﴿ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ ﴿ وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ﴾ حب العجل .

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

كانوا يزعمون أن نعيم الآخرة خالص لهم ، فقيل لهم : إن كان كذلك فتمنوا الموت لتصلوا إلى النعيم المقيم في زعمكم ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا ﴾ بسبب ما اكتسبوه من المعاصي ، والاستكبار عن طاعة الرسول . وكيف يتمنونه وهم ﴿ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ ﴾ زيادة في العمر وأحرص من الكفار عبدة الأوثان على ذلك ؛ لأن عبدة الأوثان لا يؤمنون ببعث ولا جزاء، ولا يخشون من الموت إلا فقد هذه الحياة ( ٩/أ ) .

أما اليهود فيعلمون أنهم بعد الموت يعاقبون على الكفر والعناد. وقيل: الوقف عند قوله : ﴿ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ ﴾ ثم يبتدئ ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾[1] أي : قوم أو فريق ﴿ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ ﴾ فحذف الموصوف وأقيمت الصفة وهي فعل مقامه ؛ كقوله [ من الوافر ] :

أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثَّنايا متى أضَعُ العِمامةَ تعْرفُوني[2]

أي : أنا ابن رجلٍ جلا ، وتقول العرب : ما منهما مات حتى جرى له كذا ، أي : ما منهما رجل[3] . ﴿ هُوَ ﴾ مبتدأ ، ﴿ أَن يُعَمَّرَ ﴾ بدل منه والخبر : ﴿ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ﴾

---

(١) قال الأشموني في (منار الهدى ) في بيان الوقف والابتداء (ص: ٤٤) الوقف على «حياة» تام عند نافع، والأكثر على أن الوقف على «أشركوا» وهم المجوس، كان الرجل منهم إذا عطس قيل له: «زي هزه رسال» أي : عش ألف سنة ، فاليهود أحرص على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك .

(٢) البيت لسحيم بن وثيل **ينظر في** : الأصمعيات ( ص : ١٧ ) ، جمهرة اللغة (ص : ٤٩٥ ) ، خزانة الأدب (١/ ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٦) ، الدر (١/ ٩٩) ، شرح المفصل (٣/ ٦٢) ، الشعر والشعراء (٢/ ٦٤٧)، الكتاب (٣/ ٢٠٧)، وبلا نسبة في الاشتقاق (ص: ٣١٤) ، أوضح المسالك (٤/ ١٢٧)، خزانة الأدب (٩/ ٤٠٢)، شرح الأشموني (٢/ ٥٣١) ، لسان العرب (ثنى) ، مغني اللبيب (١/ ١٦٠) ، همع الهوامع (١/ ٣٠) وقد استشهد به الحجاج في إحدى خطبه بالعراق متلثما ، ويقال : في أول خطبة له بالبصرة .

(٣) إذا كانت الصفة جملة أو شبه جملة وحُذف الموصوف، فالبصريون يقدرون موصوفا محذوفا، بينما =

«كان عمر يجلس لليهود في بيت مدراسهم [١] ليسمع ما يقولون ، ويتبين له رأيهم، فقالوا له: إنا لنطمع فيك يا عمر فقال: والله ما أجلس فيكم إلا لأعلم صدق محمد، ويتبين لي أنكم مبطلون، ثم سألهم عن جبريل وميكائيل، فقالوا: أحدهما عن يمين الله والآخر عن يساره، وكل واحد منهما عدو لصاحبه، وقالوا: لو كان ميكائيل أو غيره من الملائكة سوى جبرائيل يأتي إلى محمد برسالة لآمنا به، لكن جبريل عدونا يأتي بالزلزال والعذاب، وهو الذي خسف مدائن قوم لوط، وصاح بقوم صالح صيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين فأنزل الله : ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾» [٢] .

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

---

= يقدّر الكوفيون موصولا مثل« الذي» أو مَنْ. ورجّح ابنُ هشام مذهب البصريين بأن اتصال الموصول بصلته أشد من اتصال الموصوف بصفته ؛ لتلازمهما . **وينظر** ذلك في: الإملاء للعكبري (١/ ٥٣ ) ، البحر المحيط (١/ ٤٨٢) الدر المصون ( ١ /٣٠٩ )، معاني الفراء ( ١ / ٦٣ ) ، مغني اللبيب ( ٢ / ٣٥٨ ) .

(١) **المدراس** : الموضع يقرأ فيه القرآن ومنه مدراس اليهود . **ينظر** : القاموس المحيط ( درس ) .

(٢) إسناده فيه انقطاع ، رواه ابن جرير الطبري في التفسير (١/ ٤٧٨) ، والواحدي في أسباب النزول (ص:٣٢، ٣٣) رقم (٤٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٧٤)، وعزاه لابن أبي شيبة في مصنفه وإسحاق بن راهويه في « مسنده» ، وابن أبي حاتم عن الشعبي عن عمر بن الخطاب ﷺ. قال السيوطي: صحيح الإسناد ولكن الشعبي لم يدرك عمر ، فهو منقطع .

وفي جواب الشرط وجهان :

**أحدهما:** من كان عدوًّا لجبريل فقد أخطأ الطريق ؛ لأنه نزل الكتاب على قلب محمد مصدقاً لما معكم من التوراة .

**والثاني:** من كان عدوًّا لجبريل فهو حقيق بمعاداته له ؛ لأنه بين زيف اليهود ، وبما أنزله الله معه من الكتاب وقوله بعد ذلك : ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ جزاؤه محذوف، التقدير : لم يعبأ الله بعداوته .

﴿ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ يعني التوراة . وقيل : القرآن . ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ أي: لم يعملوا بما فيه ولقد وضعوه على الكراسي وذهَّبوه بالذّهب ، وحلوا غلافه وخريطته[1] بالذهب والفضة، وطيبوه بالمسك والعنبر، ولم يعملوا به فقيل فيهم : ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران : ١٨٧] ثم استبدلوا به ما أخذوه من الرِّشا على كتمان صفة النبي ﷺ وتغيير آية الرجم وغيرهما .

﴿ وَٱتَّبَعُواْ ﴾ معطوف على ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ﴿ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ أي : تتبع ، وقيل: ما تقرأ ، أي: على عهد ملك سليمان . ( ٩ / ب ) ﴿ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ﴾ اسمان أعجميان ، ولذلك منعا من الصرف مع العلمية ، ولا وجه لاشتقاقهما من الهرت والمرت[2] . ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ أي: سبب فتنة . وقيل: شيء مستحسن ؛ كقولهم في الشابة الجميلة : إنها فتنة.

وقد علق على فعل العلم باللام في قوله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾ والخلاق: النصيب ﴿ وَلَبِئْسَ مَا ﴾ باعوا ﴿ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ ؛ كقوله : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ ﴾ [يوسف:٢٠] أي : باعوه .

---

(١) **الخَرِيطةُ** : مثل الكِيسِ تكون من الخِرَقِ والأَدَمِ تُشْرَجُ على ما فيها ، ومنه خَرائِط كُتب السلطانِ وعُمَّاله .

**ينظر** : لسان العرب : ( خرط ) .

(٢) ذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) ( ٥ / ٣٨٨ ) أن هاروت من الهرت وهو الشق . قال السمين الحلبي في الدر المصون ( ١/ ٣٢١ ) : « ويجمعان على هواريت ومواريت وهوارتة وموارتة ، وليس من زعم اشتقاقهما من الهرت والمرت وهو الكسر بمصيب ؛ لعدم انصرافهما ، ولو كانا مشتقين كما ذكر لانصرفا ».

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾

كانت اليهود يقولون : راعنا يا محمد ، يزعمون أنهم يطلبون المراعاة ، وكانت «راعنا» لفظة ذم باليهودية ، فنهى الله المؤمنين أن يقولوها ؛ لما فيها من إيهام الذم والوصف بالرعونة، ﴿ وَلِلْكَـٰفِرِينَ ﴾ القائلين : راعنا ، أو لجميع الكفار . «من» في قوله : ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ لبيان الجنس ، و﴿ مِّنْ خَيْرٍ﴾ زائدة ، ومن في قوله : ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ لابتداء الغاية.

النسخ: بيان انتهاء مدة الحكم (أو ننسأها) بالهمزة [1] أي: نؤخرها وسميت

---

(١) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن محيصن وعاصم الجحدري ومن الصحابة عمر وابن عباس وأبي بن كعب ، وقرأ العامة « نُنسِهَا» . تنظر القراءة في : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ١ / ٤١١ ) ، إعراب النحاس ( ١ / ٢٥٥ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ١ / ٣٤٣ ) ، جامع القرطبي ( ٢ / ٦٧ ) ، الحجة للفارسي ( ٢ / ١٨٦ ، ١٨٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٣٣٥ – ٣٣٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٠٣ ) ، معاني الفراء ( ١ / ٦٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢١٩ ) .

العصاة[١] منسأة؛ لأنها تؤخر عنك ما تكرهه . ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ أي : نجعلها منسية من القلوب بعد حفظها ويجوز نسخ الحكم والتلاوة معا ، ونسخ التلاوة دون الحكم، ونسخ الحكم دون التلاوة ، ويجوز نسخ الفعل قبل مجيء وقته ؛ لقصة الذبيح، خلافا للمعتزلة [٢]، ويجوز نسخ الحكم إلى أخف منه ؛ لأنه خير للمكلف في تخفيف المشقة عنه ، وإلى أثقل منه ؛ لأنه خير للمكلف في كثرة الثواب . ﴿ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وسطه ؛ كقوله ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات :٥٥ ] .

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾ « لو » بمعنى : أن ؛ كقوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] ﴿ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ منسوخ بنزول القتال ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾ تجدوا ثوابه عند الله . الهود: جمع هائد ، كالعود : جمع عائد ﴿ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ جملة حالية . ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ من كفار المشركين وعبدة الأوثان ، فشبه هؤلاء مع كونهم أهل كتاب مع عبدة الأوثان من غير شبهة ظاهرة .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾

---

(١) قيل: إن أول لحن سمع : هذه عصاتي . قال الأزهري : ويقال للعصا عصاة بالهاء ، يقال: أخذت عصاته . قال: ومنهم من كره هذه اللغة ؛ روى الأصمعي عن بعض البصريين قال : سميت العصا عصا ؛ لأن اليد والأصابع تجتمع عليها مأخوذ من قول العرب : عصوت القوم أعصوهم إذا جمعتهم على خير أو شر . قال : ولا يجوز مد العصا ولا إدخال التاء معها وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتي بالتاء .

ينظر : لسان العرب ( عصا ) .

(٢) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير الآية ( ٧٣ ) من سورة البقرة .

أي : لا أحد في المانعين أظلم ممن منع مساجد الله ﴿ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ بدل اشتمال من قوله : ﴿ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ قيل : المراد بالمساجد الكعبة ، وجمعها؛ لأن المساجد كلها تتوجه نحوها ، وأراد: أنهم منعوا رسول الله ﷺ والمؤمنين عام الحديبية (١٠/أ) وصدوهم عن المسجد الحرام[١]. وقيل: المراد بيت المقدس[٢].وقيل: جميع المساجد وهو ظاهر اللفظ[٣] .

﴿ وَلِلَّهِ ﴾ بلاد المشرق والمغرب ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ ﴾ من الجهات ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ قيل : المراد فأينما تولوا وجوهكم للدعاء . وقيل : أراد صلاة النافلة في السفر.

وقيل : أراد أنه إذا التبست القبلة في السفر وأدى الاجتهاد إلى جهة فهي القبلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ ﴾ العطاء ﴿ عَلِيمٌ ﴾ بالمصالح . الهاء في ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ مجرورة بالإضافة إلا أنه مضمر مبني ، ولو ظهر في اسم ظاهر ؛ كقولك : سبحان الله لكان في موضع اسم الله قولان: النصب بتقدير : سبَّحْتُ اللهَ . والرفع بتقدير : ينزهُ اللهُ ، واستدل بعضهم بهذه الآية على أن من ملك ولده عتق عليه[٤]، فإنك لا تقول : فلان ليس بعالم ، بل هو من أهل البصرة ، ما لم يكن كونه من أهل البصرة مانعا من العلم.

والقنوت: السكوت. وقيل: الخشوع. ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أي: بديعة سماواته كقولك : حسن الوجه ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ ﴾ لأجل تكوينه ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

﴿ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ﴾ نقترحها .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١ / ٤٩٩ ) عن ابن زيد ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ٣٩ ) رقم ( ٥٦ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٢٦٤ ) ونسبه لابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس —رضي الله عنهما .

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره ( ١ / ٤٩٧ ) : والواحدي في أسباب النزول ( ص : ٣٩ ) رقم ( ٥٥ ) عن مجاهد وقتادة والسدي .

(٣) قال ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١ / ٥٠٠ ) : « كل مانع مصليا في مسجد لله فرضا كانت صلاته فيه أو تطوعا وكل ساع في إخرابه فهو من المعتدين الظالمين » .

(٤) ينظر: الأم للشافعي (١٢٨/٤)، بدائع الصنائع للكاساني(٥٨٣/٣)، المغني لابن قدامة (٢٤٩/٧) .

﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [1] فإنهم في شدة لو وصفتها لك لم تتمالك، أو لو وصفتها لك [ لم أستطع أن أستوعب أوصافها ؛ لما يحصل بخاطري من التكدر بذلك][2].

وقيل : سأل رسول الله ﷺ الله بأن يأذن له في الاستغفار لأبيه، فلم يأذن له، وقيل : قال: «ليت شعري، ما فعل أبواي » ؟! فنزلت ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[3] أي : أنت غير مسؤول عنهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ .

---

(١) كذا بالأصل، ولعلَّ ذلك من كلام الملك جبريل عليه السلام للنبي ﷺ وفي الكشاف للزمخشري (١/ ١٨٢): وقيل: معناه : تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان ؟ سائلا عن الواقع في بلية، فيقال لك : لا تسأل عنه . ووجه التعظيم : أن المستخبر يجزع أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته ، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره ، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره ، فلا تسأل .

(٢) قرأ نافع ويعقوب «ولا تسأل» ـ بفتح التاء على البناء للمعلوم والنهي ، وقرأ الباقون «ولا تُسأل» ـ بضم التاء على البناء للمجهول والنفي . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ١ / ٣٦٨ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص:٨٧ )، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٣٥٦)، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٦٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١/ ٩١) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٢١ ) .

(٣) إسناده ضعيف ، رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١ / ٥١٦ ) وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٢٠٩ ) ونسبه لوكيع وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر ، عن محمد بن كعب القرظي مرسلا . وقال السيوطي : هذا مرسل ضعيف الإسناد ، ورواه الواحدي في أسباب النزول ( ص : ٤٢ ) رقم ( ٦٤ ) عن ابن عباس بنحو ذلك .

وهذه الرواية على قراءة من قرأ « ولا تَسألْ» بالجزم ، قال الطبري في تفسيره : «والصواب عندي من القراءة في ذلك قراءة من قرأ بالرفع على الخبر ؛ لأن الله جل ثناؤه قص قصص أقوام من اليهود والنصارى وذكر ضلالتهم وكفرهم بالله وجراءتهم على أنبيائه ثم قال لنبيه ﷺ : إنا أرسلناك يا محمد بشيرا من آمن بك واتبعك ممن قصصت عليك أنباءه ومن لم أقصص عليك أنباءه ، ونذيرا من كفر بك وخالفك فبلغ رسالتي فليس عليك من أعمال من كفر بك بعد إبلاغك إياه رسالتي تبعة ولا أنت مسؤول عما فعل بعد ذلك . ولم يجر لمسألة رسول الله ﷺ ربه عن أصحاب الجحيم ذكر فيكون لقوله ولا تسأل عن أصحاب الجحيم وجه يوجه إليه ، وإنما الكلام موجه معناه إلى ما دل عليه ظاهره المفهوم حتى تأتي دلالة بينة تقوم بها الحجة على أن المراد به غير ما دل عليه ظاهره فيكون حينئذ مسلما للحجة الثابتة بذلك ولا خبر تقوم به الحجة على أن النبي ﷺ نهي عن أن يسأل في هذه الآية عن أصحاب الجحيم ولا دلالة تدل على أن ذلك كذلك في ظاهر التنزيل . والواجب أن يكون تأويل ذلك الخبر على ما مضى ذكره قبل هذه الآية وعمن ذكر بعدها من اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الكفر دون النهي عن المسألة عنهم . فإن ظن ظان أن الخبر الذي روي عن محمد بن كعب صحيح فإن في استحالة الشك من الرسول عليه السلام في أن أهل الشرك من أهل الجحيم وأن أبويه كانا منهم ما يدفع صحة ما قاله محمد بن كعب إن كان الخبر عنه صحيحا مع أن ابتداء الخبر=

﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما تعتقدونه أنه هدى فهو هوى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ ولم يقل : هداهم .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يتبعونه حق اتباعه[1]؛ كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس :٢] وقيل : يقرؤونه حق القراءة بالترتيل ، وإعطاء كل حرف حقه .

﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ ثلاث نكرات في حيز النفي يفيد العموم ، أي : لا تجزي نفس قط عن نفس قط شيئا من الأشياء ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ و «هم» في قوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾ راجع إلى مرجع الضميرين من قبله . (١٠/ب) ﴿يُنصَرُونَ﴾ أي: يُخلَّصون، ومنه : ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ ، [هود :٦٣] ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٧٧] فمتى عدي الجزاء بلفظة «من» كان بمعنى التخلص ، وإن عدي بـ «على» كان بمعنى الظهور والغلبة.

﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ امتحن ﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ قيل : هي قوله : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخر الكلام

---

= بعد قوله : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بالواو بقوله: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ وتركه وصل ذلك بأوله بالفاء وأن ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أوضح الدلائل على أن الخبر بقوله : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أولى من النهي والرفع به أولى من الجزم . وقد ذكر أنها في قراءة أبي : « وما تسأل» وفي قراءة ابن مسعود : «ولن تسأل» وكلتا هاتين القراءتين تشهد بالرفع والخبر فيه دون النهي» . انتهى من تفسير الطبري ( ١/ ٥١٦ ) .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١ / ٥١٩ ) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما . ورواه في ( ١ / ٥٢١ ) عن عكرمة قال : «يتبعونه حق اتباعه أما سمعت قول الله ـ عز وجل : ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ قال : إذا تبعها» .

وقيل: هي الفطرة ، وهي عشر: خمس في الرأس، وخمس في الجسد[١] ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾أي: قام بهن . سأل إبراهيم الإمامة لذريته ، فقال : ليس يصلح كل ذريتك للإمامة .

﴿مَثَابَةً﴾ مرجعا يثوب الناس إليه . وقيل : يرجع كل حاج ؛ لأنه يأتيه لطواف القدوم ، ثم يرجع إليه لطواف الركن بعد الوقوف بعرفة ، ثم يرجع إليه لطواف الوداع . ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ قيل: فيه دليل على وجوب ركعتين بعد الطواف[٢]. وقيل: مصلى: مدعى ، أي : موضع دعاء ؛ حملا على الصلاة اللغوية . بدأ بالطائفين ؛ لاختصاص الطواف بما حول البيت من حرمة، ثم بالعكوف ؛ لأنه مختص بالمساجد ولا يختص بالكعبة ، ثم بالركع السجود به الذي لا يختص بالكعبة ولا بالمساجد ؛ كما قال ﷺ : «وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»[٣].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾﴾

---

(١) روى مسلم في صحيحه رقم ( ٢٦١ ) عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « عشر من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء». قال زكريا ـ هو ابن أبي زائدة أحد رجال السند في هذا الحديث ـ قال مصعب ـ هو ابن شيبة من رجال السند : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة . زاد قتيبة: قال وكيع : انتقاص الماء يعني: الاستنجاء. والحديث رواه أيضا أحمد في المسند ( ٦ / ١٣٧ )، وأبو داود رقم ( ٥٣ ) ، والترمذي رقم ( ٢٧٥٧ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٩٣ ) .

(٢) هذا مذهب الأحناف وأحد قولين للشافعية وذهب المالكية والحنابلة إلى أنهما سنة مؤكدة غير واجبة . **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٣٣٤ ) ، المغني لابن قدامة ( ٣ / ٤٠٤ ) ، المهذب للشيرازي (١/ ٤٠٢) .

(٣) هذا جزء من حديث رواه البخاري رقم ( ٣٣٥ ) ، ومسلم رقم ( ٥٢١ ) وتمامه عند البخاري: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» .

نزلَ إبراهيمُ بهاجرَ وإسماعيلَ بين جبال مكة ، وليس هناك بنيان ، فسأل الله أن يجعل ذلك المكان بلداً، ثم جاء لزيارة ابنه فرآها قد صارت بلدا فسأل الله – تعالى- أن يجعل ذلك البلد آمنا، وسأل إبراهيم الرزق لمن آمن منهم بالله ، فقال – تعالى : ﴿ وَمَن كَفَرَ﴾ يعني : إني لا أقطع الرزق عن الكافر بسبب كفره ، بل أرزق المؤمن ، والكافر أمتعه قليلاً .

قوله : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ رفع البنيان سافا فوق ساف [1] وإذا رفع البنيان بالأساس فارتفع فقد رفعت القواعد . وقيل: يقال : قعد البناء ثبت بالقواعد وهي الأساس والأصل لما فوقه . وقيل : يرفع إبراهيم ما سقط من جدران البيت .

أي : قائلين : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ وهذا الفعل في محل النصب على الحال .

وقوله: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ إلى آخره ، جمل ثلاث بعد القول [ حال أي : يرفعانها قائلين ] هذا القول . وقوله ﷺ : «أنا دعوة إبراهيم»[2] حين قال : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ ﴿ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾. أهانها وبخسها ؛ كما تقول: سفهت نفس زيد ، فحول وصار «سفه زيد نفسا» (١١/أ) كقولك : تصبب عرق زيد ، وتصبب زيد عرقا ، ثم اتصل الضمير بالنفس، فصار: سفه نفسه .

﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ تقديره: وإنه صالح في الآخرة من الصالحين، ولا يجوز أن تعمل الصالحين في قوله : ﴿ فِي الْآخِرَةِ ﴾ ؛ لأن اللام في الصالحين موصولة ، ومعمول الصلة لا يجوز أن يتقدم على الموصول . كذلك قوله : ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ [يوسف:٢٠].

وأجاز ابن السراج[3] أن يعمل فيما تقدم من المجرور وغيره ، وجعل الألف واللام غير

---

(١) **الساف في البناء** : كل صف من اللبن يقال : ساف من البناء سافان وثلاثة آسف . وقيل : كل سطر من اللبن والطين في الجدار ساف ومدماك . **ينظر** : لسان العرب ( سوف ) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/١٢٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠) ، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ٨٣-٨٤ ) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ( ١٥٤٥ ) .

(٣) هو محمد بن السري أبو بكر بن السراج النحوي ، أحد العلماء المشهورين باللغة والنحو والأدب، أخذ عن المبرد ، وأخذ عنه أبو القاسم الزجاجي والسيرافي والفارسي ، وله مصنفات منها: الأصول وغيره=

موصـولة ، وإنمـا هـي لمجـرد التعريـف ، ومثـل هـذه الآيـات : ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٨] .

أي : إنـي قـالٍ لعملكـم مـن القـالين . وقولـه : ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠] أي: ناصح من الناصحين ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:١١٣] أي: شاهدين عليها من الشاهدين ، وأمثالها كثير(١) .

---

=وتوفي سنة ست عشرة وثلاثمائة . **تنظر** ترجمته في : أخبار النحويين البصريين ( ص : ١٠٨ ) ، إنباه الرواة ( ٣ / ١٤٥ ) ، بغية الوعاة (١/ ١٠) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي ( ١٨ / ١٩٧ ) .

**وينظر** قوله في : الأصول في النحو ( ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤) وعبارته : وقد كان بعضُ مشايخ البصريين يقول: إنَّ الألف واللام ها هنا ليستا في معنى ( الذي ) وأنَّهما دخلتا كما تدخلُ على الأسماء للتعريف وأجاز أن يقدم عليها إذا كانت بهذا المعنى ومتى كانت بهذا المعنى لم يجزْ أن يعمل ما دخلت عليه في شيءٍ فيحتاج فيه إلى عامل فيها .

(١) هذه مسألة تقديم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول ، والخلاف بين النحويين في هذه المسألة على ثلاثة مذاهب: الأول : المنع مطلقا ، وعليه البصريون . الثاني : الجواز مطلقا ، وعليه الكوفيون واختاره أبو حيان والسمين الحلبي والسيوطي ؛ للتوسع فيهما . الثالث : الجواز مع« أل» إذا جُرَّت بـ « من» .

قال الزجاجي في كتاب اللامات ( ١ / ٥٨ ) ط . دار الفكر ـ دمشق ١٩٨٥ م ط ٢ ـ تحقيق : الدكتور مازن المبارك: باب في تبيين وجوه دخول الألف واللام على الأسماء المشتقة من الأفعال : اعلم أنها تدخل على ثلاثة أوجه : أحدها : أن تكون بتأويل الذي فتحتاج إلى صلة وعائد وتجري في ذلك مجرى الذي ، كقول القائل : ضرب زيد عمرا ، فقيل : أخبر عن زيد ، فقال : الضارب عمرا زيد ، ففي الضارب مضمر يعود على الألف واللام اللذين بمعنى الذي وأنت لم تذكر الذي وإنما ذكرت ما يدل عليه فجئت بالعائد لذلك . والوجه الثاني : أن تدخل لتعريف هذه الأسماء المشتقة من الأفعال لا بتأويل الذي ولكن كما تعرف أسماء الأجناس نحو الرجل والفرس فتقول : الضارب والقائم تريد به التعريف لا معنى الذي قال أبو عثمان المازني : والدليل على صحة هذا التأويل أنك تقول : نعم الضارب ونعم القائم وغير جائز أن تقول : نعم الذي عندك لأن نعم وبئس لا يدخلان على الذي وأخواتها ودخولهما على القائم والضارب يدل على أن الألف واللام فيهما ليستا بمعنى الذي ومن هذا الوجه الثاني : قول الله ـ عز وجل: ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ قال المبرد والمازني وغيرهما من البصريين : ليست الألف واللام بمعنى الذي ؛ لأنه لو كان التقدير : وأنا من الشاهدين على ذلك بمعنى من الذين شهدوا على ذلك لم تقدم صلة الذي عليه . وكذلك لو كان التقدير: وكانوا من الذين زهدوا فيه لم يجز تقديم صلة « الذي » عليه . ولكن الألف واللام للتعريف لا بمعنى «الذي » . واختار هذا أيضا العكبري في التبيان ( ١ / ٦٤ ) .

ثم ذكر الزجاجي الوجه الثالث وهو مذهب الكوفيين: أنها تكون بمعنى «الذي» ويصلونها بما توصل به الذي. وهم يجوزون أن يتقدم الظرف والجار والمجرور المتعلق بالصلة على الموصول مطلقا ؛ للتوسع فيهما . وقد قال بهذا=

﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾

﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أعطاكم صفوته ، فالزموا الإسلام حتى إذا أدرككم الموت، أدرككم وأنتم عليه كأن الميتة التي ليست على الإسلام منهي عنها، ولذلك قال: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ . وقد جعل إسماعيل من بني إسرائيل، وإنما هو عم لهم ، فجعل العم بمنزلة الأب ، كما جعلت الخالة أما في قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف :١٠٠] وإنما كان المرفوع أبوه وخالته [(١)] .

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ بل نكون أهل ملة إبراهيم حتى نطابق هوداً أو نصارى .

---

= القول أبو حيان في البحر المحيط ( ٥ / ٢٩١ ) ، والسمين الحلبي في الدر المصون ( ٤/ ١٦٥ ) ، واختاره السيوطي في همع الهوامع ( ١ / ٢٨٧ ) .

(١) روى البخاري في صحيحه رقم ( ٢٦٩٩ ) ، وأحمد في المسند ( ٤ / ٢٩٨ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٢٧٨ )، والترمذي رقم ( ١٩٠٤ ) عن البراء بن عازب ﷺ في حديث طويل وفيه : «الخالة بمنزلة الأم» .

لو آمنوا بمثل ما آمنا به لكفروا ، فنحن آمنا بالله ، وليس لله مثل نؤمن به ، بل لفظة مثل زائدة ، أي : فإن آمنوا بما آمنتم به . وقيل : ليست زائدة . والتقدير: فإن دخلوا في الإيمان بمثل ما دخلتم فيه من الثبات على الحق ، وعدم الريب والشك.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر ، والتقدير : صبغ الله صبغته . ﴿شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي : شهادة حصلت من جهته وبتوفيقه .

ومثل هذا التفضيل جعلناكم أمة وسطا ، أي : خياراً ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [القلم :٢٨] أي: أفضلهم. وقدم «شهداء» على «الناس» ؛ لأن شرفهم في كونهم شهداء، وأخر «شهيدا» في قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ لأن الشرف في تزكية الرسول لهم ، وثنائه عليهم .

﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ . وقوله : ﴿لِنَعْلَمَ﴾ أي : لنرى[١] . وقيل : لنميز . وقيل : لنعلم العلم (١٢/ أ ) واقعا، وفيه نظر[٢] . ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ التحويلة ﴿لَكَبِيرَةً﴾ لما حصل بسببها من استهزاء أصحاب الأديان ؛ لأنهم جعلوا النسخ يقتضي البداء وهو لا يليق بالله - جل جلاله[٣] .

---

(١) قال الطبري في تفسيره ( ٢ / ١٤ ) : «وهذا تأويل بعيد من أجل أن الرؤية وإن استعملت في موضع العلم من أجل أنه مستحيل أن يرى أحد شيئا فلا توجب رؤيته إياه علما بأنه قد رآه إذا كان صحيح الفطرة فجاز من الوجه الذي أثبته رؤية أن يضاف إليه إثباته إياه علما وصح أن يدل بذكر الرؤية على معنى العلم من أجل ذلك ، فليس ذلك وإن كان في الرؤية لما وصفنا بجائز في العلم فيدل بذكر الخبر عن العلم على الرؤية ؛ لأن المرء قد يعلم أشياء كثيرة لم يرها ولا يراها ويستحيل أن يرى شيئا إلا علمه كما قد قدمنا البيان مع أنه غير موجود في شيء من كلام العرب أن يقال : علمت كذا بمعنى رأيته وإنما يجوز توجيه معاني ما في كتاب الله الذي أنزله على محمد من الكلام إلى ما كان موجودا مثله في كلام العرب دون ما لم يكن موجودا في كلامها فموجود في كلامها رأيت بمعنى علمت وغير موجود في كلامها علمت بمعنى رأيت فيجوز توجيه «إلا لنعلم» إلى معنى «إلا لنرى» .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ١ / ٢٠٠ ) .

(٣) قال الإمام ابن حزم في كتاب الإحكام ( ٤ / ٤٧١ ) : « فإن قال قائل : ما الفرق بين البداء والنسخ ؟ قيل له ـ وبالله تعالى التوفيق ـ الفرق بينهما لائح وهو أن البداء هو أن يأمر بالأمر والآمر لا يدري ما يؤول إليه الحال والنسخ هو أن يأمر بالأمر والآمر يدري أنه سيحيله في وقت كذا ولا بد قد سبق ذلك في علمه وحتمه من قضائه فلما كان هذان الوجهان معنيين متغايرين مختلفين وجب ضرورة أن يعلق على كل واحد منهما اسم يعبر به عنه غير اسم الآخر ليقع التفاهم ويلوح الحق فالبداء ليس من صفات الباري - تعالى ... وأما النسخ فمن صفات الله - تعالى =

ولما حولت القبلة قال بعض المسلمين: ما يفعل الله بصلوات من مات مستقبلاً بصلاته بيت المقدس ، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ (١) أي : صلاتكم إلى بيت المقدس ؛ لأنهم محسنون باستقباله بالأمر الأول ، والله لا يضيع أجر المحسنين .

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

﴿قَدْ نَرَىٰ﴾ ؛ كقوله : ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨] ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

قدْ أترُكُ القِرنَ مُصفَرًّا أناملُهُ (٢)

قدْ يُدْرِكُ المُتأنِّي بعضَ حاجَتِهِ (٣)

قدْ نخضِبُ العسرَ من مكنونِ قائِلِهِ     وقدْ يشطُّ على أرماحِنا البطلُ (٤)

---

= من جهة أفعاله كلها وهو القضاء بالأمر قد علم أنه سيحيله بعد مدة معلومة عنده عز وجل كما سبق في علمه - تعالى .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ١٧ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٣٥٣) عن ابن عباس والبراء ابن عازب ﷺ.

(٢) هذا صدر بيت لعبيد بن الأبرص وعجزه : ......... كأن أثوابه مجت بفرصاد

**ينظر في:** خزانة الأدب للبغدادي (١١/ ٢٥٣)، ديوان لبيد (ص:٦٤)، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (٢/ ٣٦٨) ، وبلا نسبة في : تذكرة النحاة لأبي حيان (ص:٧٦) ، رصف المباني (ص: ٣٩٣) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٠٢) ، لسان العرب ( أسن ) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٣٥) **والفرصاد:** نوع شجر.

(٣) هذا صدر بيت للقطامي وعجزه : .................. وقد يكون مع المستعجل الزلل

**ينظر في** : جمهرة أشعار العرب ( ٢ / ٨٠٥ ) ، ديوان القطامي ( ص : ٢٥ ) ، ديوان المعاني (١/ ١٢٤)، وللأعشى **في** : تلخيص الشواهد ( ص : ١٠٢ ) ، خزانة الأدب ( ٥ / ٣٧٧ ) ، وبلا نسبة في : لسان العرب ( بعض ) ، مجالس ثعلب ( ص: ٤٣٧ ) .

(٤) هذا البيت للأعشى ، **ينظر في** : تاج العروس للزبيدي ( شيط ) ، ديوان الأعشى ( ص : ١١٣)، شرح المفصل لابن يعيش ( ٥ / ٦٤ ) ، لسان العرب ( شيط ) .

وقد أغتدي والطيرُ في وُكناتِها [١]

في أن التوقع ، وقلة ما يأتي بعد قد ليس مراداً في هذه الأمثلة ، بل المراد الكثرة .

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ ﴾ في جهات ﴿ ٱلسَّمَآءِ ﴾ تنتظر نزول الوحي باستقبال الكعبة .

﴿ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ أي : جهته . واحتج بعضهم بهذه الآية على أن من بعد عن القبلة ففرضه جهتها ، لا استقبال عين الكعبة ؛ لأنه أمر هاهنا باستقبال المسجد، وهو أوسع من الكعبة [٢] . ﴿ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ لكونه مذكوراً في كتبهم .

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

قال عمر لعبد الله بن سلام ـ رضي الله عنهما: يقول الله في كتابه : ﴿ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ نشدتك الله ، هل كنت تعرف رسول الله ﷺ كما تعرف ابنك ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين؛ لأنني عرفته بصفاته المذكورة في التوراة، وأما ابني فما أدري ما صنع النساء ، فقبل

---

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : .................. بمنجرد قيد الأوابد هيكل
ينظر في : إصلاح المنطق لابن السكيت ( ص : ٣٧٧ ) ، خزانة الأدب ( ٣ / ١٥٦ ) ، ديوان امرئ القيس ( ص: ١٩ ) ، شرح المفصل ( ٢ / ٦٦ ) ، لسان العرب ( قيد ) ، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر للسيوطي ( ٢/ ٤١٠)، خزانة الأدب (٤/ ٢٠٥) ، الخصائص لابن جني ( ٢/ ٢٢٠ ) ، رصف المباني ( ص : ٣٩٢ ) ، شرح شواهد المغني ( ٢ / ٨٦٢ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ١٦٨ ) ، مغني اللبيب ( ٢ / ٤٦٦ ) .

(٢) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٣٢٩ ) ، المغني لابن قدامة ( ١ / ٤٩٠ ) .

عمر رأسه وقال : وفقك الله يا ابن سلام[١] .

﴿ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أنه حق ، وأن الكتمان محرم .

﴿ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ﴾ إلى الخيرات الفاضلات من الجهات . ﴿يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ ليجازيكم على امتثال الأمر باستقبال الكعبة . أو بامتثال جميع الأوامر.

﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ أي : شبهة ؛ لأن كتابهم يدل على أنهم سيحولون إلى الكعبة ، فيقولون : هؤلاء لا أمجاد لهم باقية ، يقولون : فإن كان استقبال بيت المقدس (١٢/ أ) هو الحق فلم صرفوا عنه الآن ؟ وإن كان استقبال الكعبة هو الحق فلم لا تعبدوا به من قبل ؟ وجهلوا أن الله يفعل ما يشاء ، فيحرم الشيء في وقت ، ويحلله في آخر، كما ينهى الطبيب المريض في أول المرض عن الزفر[٢] ، ثم يأمره بعد الأسبوع .

قوله : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ معناه : لأتم نعمتي عليكم كما أتممتها ببعثة الرسول. وقيل: هو متعلق بما بعده ، أي : كما أرسلنا فيكم رسولاً ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ ﴾ في الرخاء ﴿ أَذْكُرْكُمْ ﴾ في الشدة. أو: اذكروني بالتبجيل والتعظيم أذكركم بمثله، وفي الحديث فيما يرويه النبي ﷺ عن ربه - سبحانه وتعالى : «من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعاً ، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[٣] .

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٣٥٧ ) للثعلبي من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن ابن عباس- رضي الله عنهما .

(٢) الزفر ـ بالكسر : الحمل والجمع أزفار ، وهو مصدر زفر الحمل يزفره زفرًا ، أي : حمله .

**ينظر** : لسان العرب ( زفر ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ١٦٤٣ ) ، ومسلم رقم ( ١٢٧٧ ) .

ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ﴾ أي : عمن يقتل ؛ كقوله : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف :١١] ولم يقل : ما سبقتمونا وكقوله : ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ﴾ [آل عمران:١٦٨] ولو كانوا مخاطبين لإخوانهم لقال : لو أطعتمونا ما قتلتم .

﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ أي : بل هم أحياء . وعن بعضهم : «عجبت لمن ابتلي بأربع ، كيف لا يفزع إلى أربع ، من ابتلي بمصيبة كيف لا يقول : ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ والله تعالى يقول : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٧] وعجبت لمن خاف من ظالم كيف لا يقول : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [ غافر: ٤٤ ] والله – تعالى- يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: ٤٥]، وعجبت لمن تمالأ عليه الناس كيف لا يقول: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ والله – تعالى- يقول : ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ [آل عمران:١٧٤] وعجبت لمن ابتلي بالغم كيف لا يقول : ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والله يقول : ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]» .

﴿ٱلصَّفَا﴾ أصله: الصلب ، ثم خص به الحجر المعروف بمكة . ﴿وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الحجر ثم فعل به ما فعل بالصفا ، وهو كتخصيص الكتاب بسيبويه، والبيت بالكعبة ، وابن عمر (١٢/ب ) وابن عباس وابن الزبير بالعبادلة دون إخوانهم . والشعائر: أعلام الدين .

وقال عروة لعائشة : قوله تعالى : ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فلا أرى بأسا على من حج البيت أن لا يطوف بهما .

فقالت عائشة: بئس ما قلت يا ابن أختي ، لو كان كما قلت لكان : فلا جناح عليه ألا يطوف بهما ، وإنما تحرجوا من الطواف بهما ؛ لأنه كان على الصفا صنم ، وعلى المروة آخر، فإذا سعوا بينهما تمسحوا بهما، فتحرج المسلمون من ذلك ، فرفع الحرج عنهم[(١)] .

---

(١) رواه أحمد في المسند ( ٦ / ٤٢١ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٤ / ٧٠ ) وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل رقم ( ١٠٧٢ ) .

والسعي ركن من أركان الحج لا يتم إلا به، ولا يجبر بدم . وسعى رسول الله ﷺ وقال: «أيها الناسُ اسعوا فإنَّ اللهَ كتبَ عليكُمُ السَّعْيَ».

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة. ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهما ، يذهب هذا ويخلفه الآخر .

وقيل : اختلافهما في الطول والقصر. ﴿وَبَثَّ فِيهَا﴾ معطوف على ﴿وَمَآ أَنزَلَ﴾ أي : وفيما بث فيها . وقيل : معطوف على ﴿فَأَحۡيَا﴾ والتقدير: وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض، وبث به الدواب ؛ لأن الماء سبب عيش الحيوان .

﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ بين جنوب وشمال ، وصبا[١] ودبور[٢] . وقيل: تصريفها: يجعلها

---

(١) **الصبا:** ريح معروفة تقابل الدبور الصحاح . الصبا ريح ومهبها المستوي: أن تهب من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار . **ينظر :** لسان العرب ( صبا ) .

(٢) **الدبور ـ** بالفتح : الريح التي تقابل الصبا والقبول ، وهي ريح تهب من نحو المغرب والصبا تقابلها من ناحية المشرق . **ينظر :** لسان العرب ( دبر ) .

عاصفة ، أو رخاء لينة [١] . ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ كحبهم لله ؛ لقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

﴿ وَمَثَلُ﴾ داعي ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾ وقيل: ومثل الذين كفروا ، كمثل مدعو الذي ينعق . وقيل : الوجهان ضعيفان ؛ لأن البهائم التي تنعق بها تسمع الصوت، وتسمع منه طلب الانتهاء عما نهيت عنه، وأما الأصنام فلا يقرع سمعها صوت ولا غيره، فلا يقع التشبيه مطابقا، بل التقدير: مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام عند ضروراتهم، كمثل الذي ينعق بسائر الجمادات. قوله : ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ بعد قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ .

والمؤمنون لا يعبدون إلا الله ؛ قيل : هو بعث لهممهم ، وتهييج لعزائمهم ، وهو كما تقول لابنك : إن كنت ابني فأطعني ، وأنت غير شاك في بنوته ، لكن مرادك : أن قضية البنوة تقتضى طاعة الأب ، ويمكن أن يقال: إن تقديم خبر كان يدل على الحصر، والتقدير : إن كنتم ممن يخصه بالعبادة ، لا ممن يعتقد الشركة .

ويروى عن داود الظاهري أنه أباح شحم الخنزير ومخه ، وكل ما لا [ يؤكل منه ، فإنما ] يخص ذلك بالتحريم [٢] . والإهلال: رفع الصوت ، وكانوا إذا ذبحوا ( ١٣/أ ) لأصنامهم رفعوا أصواتهم بذكر اللات والعزى . ويقال : المستهل : المولود صارخا ، وسمي الهلال هلالاً ؛ لأنهم كانوا إذا رأوه رفعوا أصواتهم بالتكبير [٣] .

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ على إمامه ﴿ وَلَا عَادٍ﴾ متجاوزًا حدَّ الشبع .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى

(١) **الرخاء من الرياح** : اللينة السريعة التي لا تزعزع شيئا . **ينظر** : لسان العرب ( رخا ) .

(٢) **ينظر** : المحلى لابن حزم ( ٧ / ٣٩١ ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ٨٥ ) .

ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

﴿ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ ﴾ استبدلوها. ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ ﴾ أي : فما أطول حبسهم في النار، والصبر: الحبس ، ومنه يقال: قتله صبرا إذا أمسكه ليقتل بين يديه . وقيل : ما استفهامية ، وليست تعجبية.

قوله: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ يريد: الزكاة . وقيل: يريدها هي والتطوع. قوله : ﴿وَٱلْمُوفُونَ ﴾، ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ منصوب ، وهو من باب عطف الصفات بالواو، واقتطاعها بالرفع والنصب جائز.

﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ﴾ عما يجب له من الدم على مال، فالواجب من الطالب اتباع المعروف، ومن المطلوب أداء بإحسان .

وكان في القتل العمد على عهد موسى القصاص لا غير، وعلى عهد عيسى الدية لا غير، وخيرت هذه الأمة بينهما، والتخيير تخفيف . ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ وقتل بعد العفو على مال، قتل قصاصا.

﴿ ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أفصح من قول العرب : القتل أنفى للقتل ؛ لأنهم جعلوا القتل كله نافيا للقتل ، وليس النافي على التحقيق إلا قتل القصاص ؛ ولأنه جعله أنفى ، وأفعل التفضيل تقتضي الاشتراك غالبا ، فيكون ترك القتل نفيا للقتل ، وليس كذلك ؛ ولأن القصاص حياة يحصل المعنى ، وهو عشرة أحرف ، وقولهم : القتل أنفى للقتل أربعة عشر حرفا ؛ لأنه أخصر ؛ لأنه بين كل حركتين من كلام العرب ساكن فلا ينبسط اللسان بالنطق؛

لأن السكون قطع للحركة ، واحتباس عنها[١]. والمراد : ولكم في القصاص حياة أي: حياة مضمومة إلى الحياة الأصلية ، فلو عرف الحياة فقال: «ولكم في القصاص الحياة» لاختل المعنى، وكان يظن أن الحياة الأصلية مستفادة من القصاص، ونظيره قوله ـ تعالى ـ في العسل: ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ [النحل: ٦٩] ولم يقل: فيه الشفاء ؛ لئلا يظن أن الشفاء منحصر في العسل [٢].

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

كانت الوصية بما يخلف الإنسان فرضا عليه قبل نزول آيات المواريث . ﴿حَضَرَ﴾ كناية عن حضور أسبابه . والخير: المال والاكتساب ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ٣٣ ] فلما نزلت آية المواريث نسخت وجوب الوصية[٣]. ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ من

---

(١) قال البيهقي في كتاب الاعتقاد ( ١ / ٢٦٠ ) : وقد استحسن الناس في الإيجاز قولهم : القتل أنفى للقتل وبينه وبين قول الله – سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ تفاوت في البلاغة والإيجاز ، وبيان ذلك: أن في هذا الكلام كل ما في قولهم القتل أنفى للقتل وزيادة معان ليست فيه منها: الإبانة عن الفداء لذكر القصاص، ومنها الإبانة عن الغرض المرغوب فيه لذكر الحياة ، ومنها بعده عن التكلف وسلامته من تكرار اللفظ الذي فيه على النفس مشقة وعلى السمع مؤونة .

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٧٦): قال بعض من تكلم على الطب النبوي: لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال: فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيء يداوى بضده .

(٣) **ينظر**: الأم للشافعي ( ٧ / ٤٦٠ ) ، المغني لابن قدامة ( ٦/ ٤٤٤) قال ابن قدامة في المغني : ولا تجب الوصية إلا على من عليه دين أو عنده وديعة أو عليه واجب يوصي بالخروج منه فإن الله –تعالى– فرض أداء الأمانات وطريقه في هذا الباب الوصية فتكون مفروضة عليه ، فأما الوصية بجزء من ماله فليست بواجبة على أحد في قول الجمهور ، وبذلك قال الشعبي والنخعي والثوري ومالك والشافعي وأصحاب الرأي وغيرهم ، وقال ابن عبد البر: أجمعوا على أن الوصية غير واجبة إلا على من عليه حقوق بغير بينة وأمانة بغير إشهاد إلا طائفة شذت فأوجبتها روي عن الزهري أنه قال : جعل=

الشاهدين (١٣/ ب) للوصية والمتولين لأمرها، فالإثم عليهم لا على الموصي.

كان الواجب في ابتداء الإسلام صوم ثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء ، وأيام البيض، وهو المراد بقوله : ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ ثم نسخ ذلك بصيام شهر رمضان[1].

﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني : أصل الصوم ، لا وقته وعدده ، فإن العرب كرهوا عبادة الصوم ، فقيل لهم : هو عبادة قديمة لم تخصوا بها دون سائر الأمم .

و﴿ أَيَّامًا ﴾ ظرف ، والعامل فيها الصيام الذي أنزل فيه أي : في شرفه وفضله .

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾

﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي: كان مقيما غير مسافر فالواجب عدة، أو فعليه عدة. ومنع داود المسافر

---

= الله الوصية حقا مما قل أو كثر وقيل لأبي مجلز: على كل ميت وصية ؟ قال : إن ترك خيرا وقال أبو بكر عبد العزيز: هي واجبة للأقربين الذين لا يرثون وهو قول داود وحكي ذلك عن مسروق وطاوس وإياس و قتادة و ابن جرير واحتجوا بالآية وخبر ابن عمر وقالوا : نسخت الوصية للوالدين والأقربين الوارثين وبقيت فيمن لا يرث من الأقربين .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ١٣٠ ) .

والمريض أن يصوموا رمضان، وقال: الواجب في حقه وحق المسافر عدة من أيام أخر[١].

كان في ابتداء الإسلام إن شاء القادر أن يصوم فعل ، وإن شاء أن يفطر ويكفر جاز. ومنه : ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ ، ثم قال : ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ ثم نسخ بقوله : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فتحتم الصيام .

قوله : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ يريد الاطلاع وقربه ـ سبحانه ـ ليس معلقا على شرط، بل الجواب محذوف ، والمراد: وإذا سألك عبادي عني فقل : إني قريب.

وكان في ابتداء وجوب الصوم يجوز الأكل إلى العشاء ما لم ينم ، فإن نام قبل العشاء حرم عليه الأكل إلى المغرب من الليلة القابلة ، وكذلك الجماع ، وإن بعض الصحابة جامع امرأته بعد العشاء وشكا ذلك إلى النبي ﷺ فنزل تحليل الأكل والجماع إلى طلوع الفجر[٢]. وعنى بالخيط الأبيض: الفجر ، وبالخيط الأسود: الليل. ﴿وَتُدْلُوا﴾ يجوز أن يكون مجزوماً، عطفا على قوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا﴾ أو منصوبا بالواو.

---

(١) ذكر ابن عبد البر في الاستذكار ( ٣ / ٢٩٨ - ٣٠٠ ) عن أنس بن مالك أنه قال : «سافرنا مع رسول الله ﷺ في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم» . وأن عمرو الأسلمي قال لرسول الله ﷺ : «يا رسول الله إني رجل أصوم أفأصوم في السفر ؟ فقال له رسول الله ﷺ : إن شئت فصم وإن شئت فأفطر» وأن عبد الله بن عمر كان لا يصوم في السفر ، وعن هشام بن عروة عن أبيه: «أنه كان يسافر في رمضان ونسافر معه فيصوم عروة ونفطر نحن فلا يأمرنا بالصيام» . ثم قال أبو عمر بن عبد البر : قوله : وكانوا يأخذون بالأحدث فالأحدث من أمر رسول الله ﷺ يقولون : إنه من كلام ابن شهاب ، وفيه دليل أن في حديث رسول الله ﷺ ناسخا ومنسوخا ، واحتج من ذهب إلى أن الفطر أفضل في السفر لأن آخر فعل رسول الله ﷺ الفطر في السفر ، ورواه معمر عن الزهري وقال فيه : قال الزهري فكان الفطر آخر الأمرين ، وفي هذا الحديث إباحة السفر في رمضان . وفي ذلك رد لقول من قال : من دخل عليه رمضان لم يجز له أن يسافر فيه إلا أن يصوم ؛ لأنه قد لزمه صومه في الحضر ولو دخل عليه رمضان في سفره كان له أن يفطر في سفره ذلك ، قال: وفي هذا الحديث أيضا رد لقول من زعم أن الصيام في السفر لا يجزئ ؛ لأن الفطر عزيمة من الله - تعالى- روي معنى ذلك عن عمر وابن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس على اختلاف عنه وعن الحسن البصري مثله ، وبه قال قوم من أهل الظاهر ، وأحاديث هذا الباب تدفع هذا القول وتقضي بجواز الصوم للمسافر إن شاء وأنه مخير إن شاء صام وإن شاء أفطر ؛ لأن رسول الله ﷺ صام في السفر وأفطر ، وعلى التخيير في الصوم أو الفطر للمسافر جمهور العلماء وجماعة فقهاء الأمصار .

وقال ابن قدامة في المغني (٣/ ٩٠) : والأفضل عند إمامنا ( يعني: الإمام أحمد بن حنبل ) - رحمه الله - الفطر في السفر وهو مذهب ابن عمر وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والأوزاعي وإسحاق ، وقال أبو حنيفة ومالك والشافعي : الصوم أفضل لمن قوي عليه ويروى ذلك عن أنس وعثمان بن أبي العاص .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ١٦٦) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٧٧) .

سأل معاذ بن جبل فقال: ما بال الهلال يكون صغيرا ، ثم يكبر ، ثم يصغر ، فهلا بقي على حالة واحدة، كالشمس والكواكب؟! فأجيب بأنه: جعل ذلك ميقاتاً لديون الناس وآجالهم، وعددهم [(١)].

والعرب ما كانت تحسن الكتابة ، فكانوا إذا رأوا الهلال عرفوا انقضاء الشهر. وكانت العرب إذا أحرموا بالحج لا يدخل الإنسان منهم داره من بابها لكن يفتح من ظهر البيت بابا يدخل منه ويخرج ، وإن كان في بيت شعر دخل من خلف الخباء إلا قريشا وكنانة ، فكانوا لا يوجبون عليهم ذلك ، ويسمونهم الحمس[(٢)] ثم دخل (١٤/أ) النبي ﷺ وهو محرم بيتاً من بابه، فتبعه رجل أنصاري، فأنكر عليه السلام ذلك فقال النبي: أنا أحمس. فقال: وأنا على دينك ومذهبك، فنزلت [(٣)]. وقيل: ﴿ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ أي: من الوجوه التي توصل إليها.

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَـٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٩٠) ونسبه لابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عباس .

(٢) **الحمس والمتحمس:** الشديد والأحمس أيضا: المتشدد على نفسه في الدين وعام أحمس وسنة حمساء: شديدة وأصابتهم سنون أحامس ، والحمس: قريش لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون. وقيل: كانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون. **ينظر:** لسان العرب ( حمس ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ١٨٧ ) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٨٣) ، والواحدي في أسباب النزول (ص:٥٦) رقم (١٠٠، ١٠١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٩١) لابن أبي حاتم ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ كان قتال المشركين محرما ، ثم نزل الإذن بقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ [الحج:٣٩] وأوجب في هذه الآية قتال من قاتل، دون من كف. وقيل: ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ الذين هم أهل للقتل بخلاف النساء والصبيان، وتكون الآية محكمة .

﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ بقتل من لم يقاتل على القول الأول ، وبقتل النساء والصبيان على الثاني . وقرئ : ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ [1] أي: فإن قتلوا بعضكم . ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين قاتلوا بعد النهي والانتهاء . ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ قيل: بترك القتال ؛ فإنه متى ترك تسلط الكفار على المسلمين فقتلوا وسبوا .

قال بعض الصحابة [2] : أراد أن من قاتل وكسب فاستقل بالحرث والزرع ، فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة . ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ أي : ائتوا بهما تامين ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ الإحصار في المرض ، والحصر في العدو وقد جاءت هذه الآية في إحصار العدو وهي لغة. ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ فالواجب ما استيسر ، أو فعليكم ما استيسر، وهذا الدم الواجب في التمتع عند أبي حنيفة : دم قربان فيأكل منه كما في الهدايا والضحايا ، وعند الشافعي: دم جبران فإن المتمتع ذبح أحد الميقاتين، فلا يأكل منه كسائر دماء الجبرانات [3] .

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ الباقون « تقاتلوهم حتى يقاتلوكم » . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٦٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٩٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٤٨١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٧٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٢٣٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٢٦ ) .

(٢) روى الطبري في تفسيره (٢/ ٢٠٤) عن أسلم أبي عمران قال: غزونا من المدينة نريد القسطنطينية وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قال: فصففنا صفين لم أر صفين قط أعرض ولا أطول منهما والروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة قال: فحمل رجل منا على العدو فقال الناس: مه لا إله إلا الله يلقي بيده إلى التهلكة قال: أبو أيوب الأنصاري: إنما تأولون هذه الآية هكذا أن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة أو يبلي من نفسه إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار إنا لما نصر الله نبيه وأظهر الإسلام قلنا بيننا معشر الأنصار خفيا من رسول الله إنا قد كنا تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها حتى نصر الله نبيه هلم نقيم في أموالنا ونصلحها فأنزل الله الخبر من السماء وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة الآية فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد .

(٣) قال ابن رشد في بداية المجتهد ( ١ / ٢٧٧ ) : «واختلفوا في الأكل من الهدي الواجب إذا بلغ محله ؛ فقال الشافعي : لا يؤكل من الهدي الواجب كله ولحمه كله للمساكين ، وقال مالك : يؤكل من كل الهدي الواجب إلا جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى . وقال أبو حنيفة : لا يؤكل من الهدي الواجب إلا هدي المتعة وهدي القرآن ، وعمدة=

﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ يعني : الهدي ولا ثمنه فاضلاً عن قوته وقوت من تلزمه نفقته، فعليه صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع . قيل : إذا استقر في منزله بعد الحج ، وقيل : إذا شرع في العود متوجهاً إلى وطنه . وقيل : إذا فرغ من أعمال الحج .

قوله: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ ﴾ بين أن مجموع الصومين كفارة واحدة ؛ لئلا يتوهم أن الواجب أحد الأمرين، إما ثلاثة أيام في الحج أو سبعة إذا رجع ، وقوله: ﴿كَامِلَةٌ﴾ يريد أن العشرة مع تفرقها كاملة في التكفير، بخلاف تتابع الصوم في كفارة القتل الخطأ فإن التتابع شرط فيها[1].
﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي﴾ أشار ( ١٤/ ب ) إلى وجوب الكفارة وهو عند الشافعي مختص بمن لم يكن من أهل مكة، أو كان من مكة على مسافة لا تقصر فيها الصلاة ، فإن كان من أهلها لم يذبح ميقاتا فلا فدية عليه ، وعند أبي حنفية: أشار بقوله ذلك إلى جواز التمتع ، فعنده أن التمتع لا يصح من المكي[2].

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ

---

= الشافعي تشبيه جميع أصناف الهدي الواجب بالكفارة وأما من فرق فلأنه يظهر في الهدي معنيان أحدهما أنه عبادة مبتدأة . والثاني: أنه كفارة وأحد المعنيين في بعضها أظهر فمن غلب شبهه بالعبادة على شبهه بالكفارة في نوع من أنواع الهدي كهدي القران وهدي التمتع وبخاصة عند من يقول : إن التمتع والقران أفضل لم يشترط أن لا يأكل ؛ لأن هذا الهدي عنده هو فضيلة لا كفارة تدفع العقوبة ومن غلب شبهه بالكفارة قال لا يأكله لاتفاقهم على أنه لا يأكل صاحب الكفارة من الكفارة». وقال الشوكاني في نيل الأوطار (٥/ ١٩٢) : «والظاهر أنه يجوز الأكل من الهدي من غير فرق بين ما كان منه تطوعا وما كان فرضا لعموم قوله تعالى : ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ ولم يفصل » .

(١) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٢١٠ ) ، المغني لابن قدامة ( ١١ / ٢٧٧ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٥١٣/١ ) .

(٢) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٣٧٧ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١/ ٤٦٣ ) ، المبسوط للسرخسي (٤/ ٢٧ ) ، المغني لابن قدامة ( ٣ / ٢١٥ ) .

كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ أي: من الإحرام بالحج أشهر ، وجعل بعض شهر ذي الحجة بمنزلة شهر كامل . الرفث : الجماع ، وكل لفظ يستحيى من ذكره . وقوله : ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ خبر معناه النهي . قوله : ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خبر عن نهي . ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني : التجارة في مواسم الحج . وقوله :﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ أي : لأجل أنه هداكم ، كقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء :٢٤] ثم لتكن إفاضتكم من عرفات . كانت الحمس تقف بالمزدلفة ، فيفيضون منها ويقولون : نحن خدام الحرم فلا نخرج منه ، عرفة من الحل والعلمان في أول عرفة علامة على أنها الحرم وابتداء الحل . ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ من يكون سؤاله مقصوراً على أمر دنياه ، ومنهم من يطلب الحسنة في الدنيا والآخرة وقوله : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ يرجع إلى الفريقين . وقيل : إلى أحدهما .

﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ يريد التكبير في أيام التشريق ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ وهما الحادي عشر والثاني عشر فنفر قبل الغروب ليلة الثالث عشر سقط عنه الرمي في اليوم الثالث ، ويكون قد رمى تسعا وأربعين حصاة سبعاً يوم النحر وإحدى وعشرين يوم الحادي عشر وإحدى وعشرين يوم الثاني عشر ﴿وَمَن تَأَخَّرَ ﴾ حتى غربت عليه شمس ليلة الثالث عشر لزمه أن يرمي يوم الثالث عشر . ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ ﴾ أي : في الحياة الدنيا ﴿قَوْلُهُۥ﴾ لفصاحته . وقيل : إذا تحدث في أمور الدنيا كان فصيحاً ، وأما

في أمور الآخرة فهو كالألكن[١]، وعلى الأول: إذا وقف في موقف القيامة جعلت الحبسة في لسانه[٢]، وزال ما كان يوصف به من الفصاحة .

**الخصام**: المخاصمة أي : وهو ألد في الخصومة . وقيل: الخصام جمع خصم أي : وهو ألد الخصوم . ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ ﴾ عنك وقيل له : ﴿ اتَّقِ اللَّهَ ﴾ أي: حملته على الإثم ؛ كما تقول : أخذت فلانا بالاشتغال (١٥/أ) بالعلم .﴿ يَشْرِي نَفْسَهُ ﴾ أي : يبيعها وهو رجل قام بكلمات الحق عند الولاة الجائرين فقتل[٣].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ۖ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ

---

(١) **اللكنة** : عجمة في اللسان يقال : رجل ألكن بين اللكن . **والألكن** : الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه ، يقال: لكن لكنا ولكنة ولكونة ، ويقال : به لكنة شديدة ولكونة ولكنونة . **ينظر** : لسان العرب ( **لكن** ) .

(٢) الحبسة والاحتباس في الكلام : التوقف وتحبس في الكلام : توقف . والحبسة : تعذر الكلام عند إرادته . **ينظر**: لسان العرب ( حبس ) .

(٣) روى الحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٣ / ٢١٥ ) عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ قال : «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله». وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾

السلم : الصلح . وقيل : استأذن ابن سلام أن يقرأ في التوراة في الصلاة فنزلت نهيا له ولأمثاله (١) . ﴿ يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي : أمره (٢) .

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ على الضلال ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ وقيل: كانوا على الحق فاختلفوا ، فبعث الله ؛ كقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ [يونس:١٩] ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي : الكتب . وقوله : ﴿لِيَحْكُمَ ﴾ أي : الله أو الكتاب .

سألوه عما ينفقونه فبين لهم المصرف ؛ لأنهم إلى بيانه أحوج .

بعث رسول الله ﷺ سرية مع عبد الله بن جحش فلقوا المشركين فقتلوا رجلاً من المشركين ، وكانوا يظنون أن الشهر الحرام قد فرغ ودخل شهر الحل فشنع اليهود على المسلمين وقالوا: استحل محمد الشهر الحرام، وسألوا عن ذلك تعنتاً، فقال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ (٣) أي : إثم كبير . وقوله : ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ لا معطوف ، وكأنه يقول : الذي فعلتموه من صدّ النبي وأصحابه عن المسجد الحرام أكبر مما فعله المسلمون .

قوله: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ شرط في إحباط العمل بالردة: الموت على الكفر، ولم يشترطه أبو حنيفة (٤) لقوله – تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ [المائدة:٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ٣٢٤ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ٦٩ ) ، رقم ( ١٢٩ ) عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) الصواب في ذلك : إثبات ما أثبته الله – تعالى- لنفسه في كتابه وما وصفه به نبيه ﷺ من غير تمثيل ولا تشبيه ، وفي إطار قوله – تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ وهذه عقيدة السلف الصالح ﷺ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ٣٤٨ ).

(٤) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٢٦٥ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٢ / ٩٦ ) .

وروي أن عبد الله بن جحش قال: يا رسول الله ، هل تعتد لنا بهذه السرية غزوة ؟

فنزلت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1].

﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

الميسر : القمار . ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ هو ما صفا من أخلاق الناس . قال الشاعر [ من الطويل ] :

خُذي العفوَ مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ [2]

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يفسر الآيات . وقيل : يفسر آيتين .

ولما نزل قوله - تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ [النساء : ١٠] الآية تحرج المسلمون من مخالطة اليتامى ومؤاكلتهم وأن يخلطوا نفقتهم بنفقتهم فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ٣٥٦ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٦٠٣ ) لابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي.

(٢) ينظر البيت في : تاج العروس للزبيدي ( عفا ) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٦٢) ، لسان العرب ( عفا ) ، بلا نسبة . ونسبه الأصفهاني في الأغاني (٢٠/ ٣٧٦) ، والبيهقي في شعب الإيمان ( ٦ / ٤١٩ ) لأسماء بن خارجة الفزاري في أبيات قالها لزوجته وينصح بها ابنته عند زواجها وبعد هذا البيت يقول :

فإني رأيت الحب في الصدر والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ ﴾ الآية[١] ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾ لكلفكم المشقة ، وأصل العنت أن يكسر العظم ثم يجبر معوجا ، فيكسر ثانياً ليعاد جبره مستقيمًا فيقيمه بكل مشقة [٢] (١٥/ ب) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ عام مخصوص بقوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة:٥] . ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي: فأولياء الله يدعون إلى الجنة والمغفرة حتى يطابق قوله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ .

«كانت اليهود إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها وأفردوا لها أوعية تستعملها تلك المدة فسأل المسلمون رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾[٣] أي : شيء مستقذر ﴿ فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ أي: في زمن الحيض ، أو في محل الحيض ، وهو الفرج . ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ أي : ينقطع ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي : اغتسلن بالماء . فلحل الوطء شرطان: فلو اغتسلت قبل انقطاع الدم لم يحل ، ولو انقطع الدم ولم تغتسل ، لم يحل هذا مذهب الشافعي ومالك ، وقال أبو حنيفة : إذا انقطع دمها في وقت عادته ، وغسلت الفرج من آثار الأذى حل وطؤها ؛ لأنها قبل الغسل كالجنب[٤] .

﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي : في الغسل في محل البذر ، وهو الفرج .

﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٧٣ – ٧٤) رقم (١٣٤) ، وأبو داود رقم (٢٨٧١) ، والنسائي ( ٦/ ٢٥٦ )، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٢٧٨ ) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) يقال للعظم المجبور إذا أصابه شيء فهاضه: قد أعنته فهو عنت ومعنت . قال الأزهري : معناه أنه يهيضه وهو كسر بعد انجبار وذلك أشد من الكسر الأول . **ينظر** : لسان العرب ( عنت ) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٣٠٢) ، وأبو داود في سننه رقم (٢٥٨) ، والترمذي رقم (٢٩٧٧) .

(٤) **ينظر** : الأم للشافعي (١/ ١٣٠) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٨٨) ، المغني لابن قدامة (١/ ٢٤١ ) .

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ عُرْضَةً ﴾ أي : مانعا من البر ؛ فيحلف أنه لا يكلم فلانا ولا يصلي التطوع، أو لا يبر أمه ، فإذا عيب اعتذر باليمين وجعلها عرضة مانعة من البر، أي : لا تجعلوا اسم الله معرضا للحلف ، كقول الشاعر [ من الطويل ] :

فَلا تَجْعلَنِّي عُرضةً للَّوائمِ [١]

﴿بِٱللَّغْوِ﴾ عند الشافعي: قول الرجل: لا والله ، بلى والله من غير قصد إلى عقد اليمين[٢] وهو مأخوذ من اللغو ، وهو إذا جاء في الدية بناقة معها فصيل يقال : هذا الفصيل لغو لا يعتد به . إذا حلف أنه لا يطأ زوجته مدة لا تزيد على أربعة أشهر لم تتوجه عليه من الزوجة مطالبة حتى تمضي أربعة أشهر، فإذا مضت فإنه يطالب بالوطء أو الطلاق ، فللزوج أن يتربص أربعة أشهر.

والمطلقات الخاليات من الحمل ، للصغر والإياس يتربصن مدة العدة ، وهي ثلاثة أطهار عند الشافعي ، وثلاث حيض عند أبي حنيفة[٣].

---

(١) هذا عجز بيت لأبي تمام وصدره: دعوني أنح وجدا كنوح الحمائم ..................

**ينظر في**: تفسير القرطبي (٣/ ٩٤) ، تفسير أبي السعود (١/ ٢٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٥٤٨) بنحوه ، الكشاف لزمخشري (١/ ٢٦٧) .

(٢) **ينظر**: الأم للشافعي (٧/ ١١٠) .

(٣) اختلف السلف والخلف والأئمة في المراد بالأقراء ما هو على قولين : أحدهما : أن المراد بها الأطهار ، وروي ذلك عن ابن عباس وزيد بن ثابت وسالم والقاسم وعروة وسليمان بن يسار وأبي بكر بن عبدالرحمن وأبان بن عثمان وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهري وبقية الفقهاء السبعة ، وهو مذهب مالك والشافعي وغير واحد وداود وأبي ثور وهو رواية عن أحمد واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق :١] أي : في الأطهار ولما كان الطهر الذي يطلق فيه محتسبا دل على أنه أحد الأقراء الثلاثة المأمور بها .

والقول الثاني : أن المراد بالأقراء الحيض فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة زاد آخرون : وتغتسل منها، وهذا مذهب أبي حنيفة وأصحابه وأصح الروايتين عن الإمام أحمد بن حنبل وحكي عنه الأثرم أنه قال : قال الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ : الأقراء : الحيض وهو مذهب الثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة والحسن بن صالح وأبي عبيد وإسحاق بن راهويه . واستدلوا بما روي عن فاطمة بنت أبي حبيش أن رسول الله ﷺ قال لها : « دعي الصلاة أيام أقرائك » فهذا لو صح لكان صريحا في أن القرء هو الحيض ولكن في سند الحديث المنذر بن المغيرة ؛ قال فيه أبو حاتم : مجهول ليس بمشهور وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن جرير : أصل القرء في كلام العرب : الوقت لمجيء الشيء المعتاد مجيئه في وقت معلوم ولإدبار الشيء المعتاد =

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾ يريد أن للزوج أن يراجعها ما دامت في العدة ، ولم تستوف الطلاق، ولم يكن الفراق خلعا ، ﴿وَلَهُنَّ﴾ من استحقاق المعاشرة بالمعروف﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ . ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ بقيامه بمصالحها ، ومنعها من الخروج من منزله (١٦/أ) وإدخال من لا يريد دخوله ، وتأديبها إذا نشزت .

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢) ﴾

الطلاق الذي يستحق فيه الرجعة مرتان إذا كان المطلق حرًّا ، له الرجعة. ولا يحل لكم أن تضاروها ، تفتدي بصداقها أو بغيره ﴿ إِلَّا أَن يَخَافَا ﴾ خصص جواز الخلع بحالة الشقاق ، وهو مذهب جماعة من العلماء , والشافعي يجيزه من غير شقاق كالطلاق[1].

---

= إدباره لوقت معلوم وهذه العبارة تقتضي أن يكون مشتركا بين هذا وهذا ، وقد ذهب إليه بعض الأصوليين والله أعلم . وهذا قول الأصمعي : أن القرء هو الوقت . وقال أبو عمرو بن العلاء : العرب تسمي الحيض قرءا وتسمي الطهر قرءا وتسمي الطهر والحيض جميعا قرءا . وقال الشيخ أبو عمر بن عبد البر : لا يختلف أهل العلم بلسان العرب والفقهاء أن القرء يراد به الحيض ويراد به الطهر وإنما اختلفوا في المراد من الآية ما هو على قولين . **ينظر** تفصيل ذلك في :الاستذكار لابن عبد البر ( ٦/ ١٤٥ ) ، الأم للشافعي ( ٥ / ٣٠٢ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٣/ ٣٠٥ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٨١٤ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٣/ ١٥٢ ) ، المغني لابن قدامة ( ٣/ ٢٦٨ ) .

(١) قال طائفة كثيرة من السلف وأئمة الخلف: أنه لا يجوز الخلع إلا أن يكون الشقاق والنشوز من جانب المرأة فيجوز للرجل حينئذ قبول الفدية واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴾ قالوا : فلم يشرع الخلع إلا في هذه الحالة فلا يجوز في غيرها إلا بدليل . والأصل عدمه وممن ذهب إلى هذا : ابن عباس وطاوس وإبراهيم وعطاء والحسن والجمهور حتى قال مالك والأوزاعي : لو أخذ منها =

﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي : ثالثة أو ثانية , إذا كان عبدًا ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ ثم يطؤها ذلك الزوج ، ثم تنقضي عدتها ، ثم يعقد عليها الزوج الأول ، فتحل حينئذ . ﴿فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾ أي : إذا قاربن بلوغ أجلهن ، أما إذا بلغن الأجل فليس له عليها إمساك بغير رضاها . وكان الرجل يطلق المرأة فيصبر حتى إذا أشرفت على انقضاء العدة راجعها ، ثم يطلقها ، فتشرع في عدة ثانية ، حتى إذا قاربت فراغها راجعها ، ثم يفعل في الثالثة كذلك ضرارا ، فنهى الله عن ذلك وقال : ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعۡتَدُواْ﴾ .

**أصل العضل** : احتباس البيضة في الدجاجة ، فلا تخرج ، فشبه به كل أمر فظيع ، وكل مرض تعسر معالجته .

وقوله: ﴿أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ يريد: نهي الولي عن أن يمنع المرأة من الرجوع إلى زوجها، وطلب عودها إلى العصمة. ويحكى: «أن معقل بن يسار زوج أخته من زوج فتركها الزوج حتى انقضت عدتها فجاء يخطبها من أخيها ، فقال له أخوها معقل: أفرشتك أنكحتك ففارقتها، ولم تراجعها حتى انقضت العدة ثم جئت تخطبها، لا أعيدها إليك فنزلت الآية[1]».

وقيل : أزواجهن تسمية للشيء بما يؤول إليه أي : لا تمنعوهن من التزويج بأي رجل كان كفؤا ويكون «أزواجهن» مجازا .

﴿۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ

---

= شيئا وهو مضار لها وجب رده إليها وكان الطلاق رجعيا. قال مالك : وهو الأمر الذي أدركت الناس عليه . وذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ إلى أنه يجوز الخلع في حال الشقاق وعند الاتفاق بطريق الأولى والأحرى وهذا قول جميع أصحابه قاطبة . ينظر تفصيل ذلك في : الأم للشافعي ( ٥/ ١٦٤) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٣ / ١٤٩ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٧٨١ ) ، المغني لابن قدامة ( ٨ / ١٧٧ ) .

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٥٢٩ ) ، والترمذي رقم ( ٢٩٨١ ) .

وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ خبر معناه الأمر، قال بعضهم: إن كان الحمل تسعة أشهر فترضع واحدًا وعشرين شهراً عملاً بقوله: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وإن كان الحمل ستة أشهر فترضع أربعة وعشرين شهراً. وقيل: الآية على عمومها سواء طالت مدة الحمل أو قصرت. والمولود له: هو الأب ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ أي: الوالدات المستمرات على الزوجية. وقيل: المطلقات. وقيل: الأمهات. (١٦/ب).

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ قيل: معناه لا تضارر ﴿وَٰلِدَةٌ﴾ فاعل ﴿وَلَا﴾ يضار أب ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ﴾ بأن يريد قلعه منها وقد ألف ثديها. وقيل: معناه لا تضارر «ووالدة» مفعول لم يسم فاعله. أي: لا ينتزع الولد منها كرها وهي راغبة في رضاعته بأجرة مثله ولا يضارر الأب أيضاً. وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ قيل: المراد: وعلى الباقي من الأبوين. وقيل: وعلى العصبة الوارثين إرضاعه، كما لهم ميراثه لو مات وله مال. وقيل: وعلى الوارث مطلقاً عصبة كان أو غير عصبة. ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ من غير ضرر يلحق الولد ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟﴾ الولد أي: لأولادكم ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ﴾ قررتم من الأجرة، وليس التسليم شرطاً فلو قرر لها في ذمته شيئاً ورضيت به جاز.

أي: وأزواج ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ فإذا انقضت العدة فلها أن تتصرف بالخروج من المنزل وترك الإحداد. والتصريح بخطبة المعتدة حرام. وأما التعريض كقوله: رب راغب فيك، مثلك ما تبقى بغير زوج، ولعل الله أن ييسر لي تزويجاً ـ فهو جائز في عدة الوفاة؛ إذ لا زوج يتأذى بالخطبة، وهو حرام في الرجعية وفي البائن قولان للشافعي[1]. ﴿لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحاً؛ كقول الشاعر [ من الطويل ]:

---

(١) ينظر في ذلك: الأم للشافعي (٥/ ١٩٠)، بدائع الصنائع (٣/ ٣٢٢)، المبسوط للسرخسي (٧/ ٦١٨)، المغني لابن قدامة (٧/ ٥٢٤).

ألا زعمت بسباسةُ القوم أنني كَبِرْتُ وأن لا يُحسِنَ السِّرَّ أمثالي [(١)]

وقيل : لا تساروها . ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ أي : حتى تنقضي العدة . ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي : لا تبعة ولا مطالبة بمهر﴿إِن طَلَّقْتُمُ ﴾ قبل المسيس والفرض ، بل الواجب المتعة ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ وظاهر هذه الآية اعتبار حال الزوج في قدر المتعة .

وقيل : تعتبر المتعة بحال المرأة قياسا على المهر ، والأول أشبه بنص القرآن .

﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ ﴾

﴿ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ وهو الزوج . وقيل : الولي [(٢)] . ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ يقال : إن الذي بيده العقد هو الولي ؛ لأنه لم يقل أحد أنه يستحب للولي العفو، وإنما الكلام في الجواز . و﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ﴾ يعني: الفضلى من قوله تعالى: ( ١٧/أ ) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ [القلم: ٢٨] أي : أعدلهم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]

---

(١) البيت لامرئ القيس ، **ينظر في** : جمهرة اللغة لابن دريد ( ص : ١٢١ ) ، ديوان امرئ القيس ( ص : ٢٨ ) ، غريب الحديث لابن سلام ( ١ / ٢٣٨ ) وفيه الشطر الأول : ألا زعمت بسباسة اليوم أنني ......................
وفي لسان العرب (لها) يروى الشطر الثاني: .......... كبرت وأن لا يحسن اللهو أمثالي
وبسباسة : اسم المرأة . والسر هنا الجماع .

(٢) الجديد من قولي الشافعي ومذهب أبي حنيفة وأصحابه والثوري وابن شبرمة والأوزاعي واختاره ابن جرير أن الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج ، ومأخذ هذا القول : أن الزوج بيده عقدها وإبرامها ونقضها وانهدامها وكما أنه لا يجوز للولي أن يهب شيئا من مال المولية للغير فكذلك في الصداق. والوجه الثاني وهو مذهب مالك وقول الشافعي في القديم ويروى عن الحسن وعطاء وطاوس والزهري وربيعة وزيد بن أسلم وإبراهيم النخعي وعكرمة في أحد قوليه ومحمد بن سيرين في أحد قوليه أنه الولي، ومأخذه: أن الولي هو الذي أكسبها إياه فله التصرف فيه بخلاف سائر مالها . تنظر في : الأم للشافعي ( ٥ / ١٠٩ ) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٥٧٩) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٦٩١) ، المغني لابن قدامة (٨/ ٧٠).

أي : خيارا ؛ ولأن الأطراف تعتريها الجوائح والخلل ، والوسط محمى ، قال الشاعر يصف عمورية(١)[ من البسيط ] :

كانتْ هي الوَسَطُ المَحْمِيُّ فاكتنفَتْ بها الحوادثُ حتَّى أصْبَحَتْ طَرَفاً(٢)

وهي صلاة العصر . وقيل: الصبح. وقيل: المغرب. وقيل العشاء. وقيل: صلاة الجمعة. وقيل: أبهمها الله ؛ ليواظب الناس على الكل فتحصل لهم الوسطى قطعا كما أبهم ساعة الجمعة ، وأبهم الولي من أوليائه في جملة خلقه .

القنوت: طول القيام. وقيل: السكوت في الصلاة. ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ فصلوا رجالا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ وهذه صلاة المسابقة (٣) وهي أشد أحوال صلاة الخوف ويصلون مستقبلي القبلة، وغير مستقبليها.

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم﴾ لأجل أنه علمكم ؛ كقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤] .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)﴾

﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ هذه منسوخة بالآية السابقة. والآية السابقة وإن كانت

---

(١) **عمورية** ـ بفتح أوله وتشديد ثانيه : بلد في بلاد الروم فتحها المعتصم ، قيل : سميت بعمورية بنت الروم ابن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام وقد ذكرها أبو تمام فقال :

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلا معسولة الحلب .

**ينظر:** معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٤ / ١٥٨ ) .

(٢) البيت لأبي تمام ، **ينظر في:** فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي ( ٢ / ١٨٨ ) ط. المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ١٣٥٦هـ ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ١٩٨ ) .

(٣) أورد الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢ / ١٩٦) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : صلاة المسابقة ركعة أي وجه كان الرجل يجزئ عنه أحسبه قال: فعل ذلك لمن بعده . وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه محمد بن عبد الرحمن بن البيلماني وهو ضعيف جدًّا .

سابقة في التلاوة فهي متأخرة في التنزيل . وقيل : لا نسخ ، بل المتوفى عنها زوجها إن اختارت المقام في بيتها سنة لم يجز إخراجها للولي ، ولا للورثة ، إلا إذا شاءت . وإن شاءت مفارقة المنزل بعد أربعة أشهر وعشر جاز لها ذلك .

﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ المطلقات ثلاثة أنواع :

**الأولى** : مطلقة قبل الفرض والمسيس ، فلا مهر لها ، و لها المتعة .

**الثانية** : مطلقة بعد الفرض وقبل المسيس ، فلها نصف المهر دون المتعة .

**الثالثة** : المطلقة بعد الفرض والمسيس ، ففيها قولان للشافعي وظاهر القرآن وجوبها ، لقوله ها هنا: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ [1] .

﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٩٨): استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى وجوب المتعة لكل مطلقة سواء كانت مفوضة أو مفروضا لها أو مطلقة قبل المسيس أو مدخولا بها وهو قول عن الشافعي ـ رحمه الله ـ وإليه ذهب سعيد بن جبير وغيره من السلف واختاره ابن جرير ومن لم يوجبها مطلقا يخصص من هذا العموم مفهوم قوله - تعالى : ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وأجاب الأولون بأن هذا من باب ذكر بعض أفراد العموم فلا تخصيص على المشهور المنصور .

وتنظر المسألة في: الاستذكار لابن عبد البر ( ٦ / ١٢٠ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢/ ٥٩٩) ، السيل الجرار للشوكاني ( ٢ / ٢٨٣ ) ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ ـ تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، المبسوط للسرخسي ( ٥ / ١٩ ) .

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ معناه : أعجب ﴿ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾ جمع ألف من العدد أي : أكثر من عشرة آلاف . وقيل : الألوف : جمع إلف ، أي : قلوبهم مجتمعة على تحسين ما فعلوه . ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ فروا من الطاعون . وقيل : من القتال . والآية التي قبل هذه ، والتي بعدها تدلان على أن الفرار من القتال ، فأماتهم الله إماتة رجل واحد ، فكأنه قيل لهم : موتوا . فماتوا ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ بإحيائهم بعد موتهم . أو على الناس الذين رأوهم ؛ ليعتبروا . شبه الله ما يعطى صدقة بالقرض وأنه يعطيه ؛ ليأخذ بدله (١٧/ب) في الآخرة ، والقرض الحسن : أن يكون حلالا طيبا ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، وأن يكون في زمن الجوع والقحط وأمام قضاء الحاجات ، وأن يخص به اليتيم والقريب والأحوج وأن لا يتبعها منًّا ولا أذى . و﴿أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ سبعمائة ضعف.

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة :٢٦١] زيادة على ذلك؛ لقول النبي ﷺ في الصدقة: «إنها تقع في يد الرب قبل أن تقع في يد العبد ، فيربِّيها كما يربي أحدكم فلوه - أو فصيله - حتى تكون مثل جبل أحد»[1] . وجبل أحد أكبر من قدر صدقته بسبعين ألفا ، أو بسبعمائة ألف ضعف . ﴿ وَاللَّهُ يَقْبِضُ ﴾ الرزق ويبسطه، ويقبض القلوب ويبسطها، ويقبض كل ما شاء أن يقبضه ، ويبسط كل ما شاء أن يبسطه ، وإلى دار جزائه يرجعون الملإ الأشراف ؛ سموا بذلك لأنهم يملؤون القلوب مهابة ، والعيون جمالا .

وقيل : لأنه يمالئ بعضهم بعضا ، أي : يعاونه . وقيل : هو من الملاة ، أي : هم مليُّون بما يراد منهم من الجاه والمال .

﴿لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾ هو أشمويل . ﴿ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ كانت العمالقة قد غلبت على بني إسرائيل ، وسبوا نساءهم وأولادهم ، وأخذوا منهم التابوت ، وكان فيه عصا موسى ، وعمامة هارون ، وشيء من رضاض الألواح ، وقفيز من المن[2] . وكانوا يقدمون التابوت ويقاتلون من ورائه فينصرون ، فلما أخذته العمالقة وضعوه في بلد فأصاب أهله

---

(١) رواه البخاري رقم ( ١٤١٠ ) ، ومسلم رقم ( ١٠١٤ ) بنحوه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ٦١٣ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٧٥٨ ) ورضاض الشيء : فتاته وكل شيء كسرته فقد رضرضته ، والقفيز : مكيال يتواضع الناس عليه وهو عند أهل العراق ثمانية مكاكيك ، والمنُّ : طل ينزل من السماء وقيل : هو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل وقيل : هو شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب . **ينظر** : لسان العرب (منن) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ٩٠) .

الناسور[١] ثم إلى أخرى فأصابهم ذلك ، فاجتمع رأيهم على إعادة التابوت ، فقيل: جاءت الملائكة يحملونه من السماء والأرض. وقيل: وضعوه على عجلة وشدوها بثورين، وضربوها متوجهين إلى بني إسرائيل .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ فأنكروا ذلك ؛ لأنه لم يكن من سبط المملكة ، وكان فقيرا أضاع حماره ، فخرج في طلبه ، فمر بدار أشمويل، فدخل عليه يسأله الدعاء، وكان الله قد أوحى إليه : إذا جاءك من طوله طول هذه العصا، ونشَّ الدهن الذي في القرن الذي عندك فذاك هو الملك، فلما دخل طالوت نشَّ الدهن، فقام النبي أشمويل وقاسه بالعصا ، فكانت طوله ، فقال : أنت الملك[٢]. وقوله : ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي :

---

(١) **الناسور** ـ بالسن والصاد جميعا : علة تحدث في مآقي العين يسقي فلا ينقطع ، وقد يحدث أيضا في حوالي المقعدة وفي اللثة وهو معرب . **ينظر** : لسان العرب ( نسر ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢ / ٦٠١ ، ٦٠٢ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ١ / ٧٥١،٧٥٢ ) ونش الدهن والماء والخمر نشا ونشيشا : سمع له صوت على المقلى أو في القدر و نشيش اللحم : صوته إذا غلي والقدر =

بالحروب وتدابيرها. وقيل: بل (١٨/أ) كان عالما بأمر الشريعة . ﴿ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ ﴾ أي: سكون وطمأنينة أن النصر يحصل بتقدم التابوت ، بدليل قوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٤] .

ابتلى الله- تعالى- أصحاب طالوت بتحريم شرب ماء نهر مع شدة عطشهم ، ولم يسمح لأحد منهم إلا باغتراف غرفة بيده ، فلم يطعه إلا قليل منهم ، وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أصحاب بدر.

﴿ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ ﴾ أي : يعلمون . ﴿ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ بالنصر والعون. ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ وآتى الله داود ﴿ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ . ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ لاستولى الكفار على بلاد المسلمين ، ودثرت[1] كلمة الحق .

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾

﴿ تِلْكَ ﴾ إشارة إلى ما سبق ذكره ، إما في هذه السورة ، وهم موسى وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وداود ، وإما في سائر ما سبق نزوله من القرآن .

---

= تنش : إذا أخذت تغلي . ونش الماء : إذا صببته من صاخرة طال عهدها بالماء والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلي . والقرن ـ بالتحريك : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز وإنما تشق لتصل الريح إلى الريش فلا يفسد . ينظر : لسان العرب ( نشش ، قرن ) .

(١) الدثور : الدروس وقد دثر الرسم وتداثر ودثر الشيء يدثر دثورا واندثر : قدم ودرس . لسان العرب ( دثر ) .

﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾ يريد به : النبي ﷺ فذكره بالكناية دون التصريح باسمه ؛ لأنه العلم المشهور الذي لا يلتبس ، وهو المفضل بالدرجات حتى عدت معجزاته وآياته ألفا . وفي تأييد عيسى بروح القدس وجهان: أحدهما : أنه روح عيسى الطاهرة . والثاني: أنه جبريل وكل بحفظه .

﴿ٱلۡحَيُّ﴾ الواجب الحياة ﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ القائم بمصالح كل شيء ، والسنة : النعاس؛ قال الشاعر [ من الكامل ] :

وَسْنانُ أرصدَهُ النُّعاسُ فرنَّقَتْ    في عَيْنِهِ سِنَةٌ وليسَ بِنائِمِ[1]

وقدم السنة على النوم ، وهو عكس الترقي ؛ كقوله : ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ أي : لا تسلبه صحة النظر السنةُ ، ولا أقوى منها ، وهو النوم . وهذا ترق صحيح وهذا مكمل لقيوميته، كما جاء في الحديث : «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام»[2] .

ولا يتجاسر أحد على الشفاعة عنده إلا بالإذن . يعلم ما سبق من أمور خلقه، وما يأتي، ولا يعلمون من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أن يعلمهم إياه . ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ أي : ملكه ، وقيل: علمه ، مأخوذ من كرسي الملك ، والعالم . وقيل : الكرسي مخلوق ، ليس بعد العرش أعظم منه والسماوات والأرض بالنسبة إليه كحلقة في فلاة [3] . ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: ولا يثقله القيام بمصالح كل ذلك . وفي آية الكرسي ستة عشر اسماً ، ما بين ظاهر

---

(١) البيت لعدي بن الرقاع ، **ينظر في** : تاج العروس ( نعس ) ، تهذيب اللغة للأزهري ( نعس ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٠٠ ) ، جمهرة اللغة ( ص : ٨٦٣ ) ، ديوان عدي بن الرقاع ( ص : ١٠٠ ) ، لسان العرب ( نعس ) وأقصده النعاس : أصابه . ورنقت : كدرت .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٧٩ ) ، وأحمد في المسند ( ٤ / ٣٩٥ ) ، وابن ماجه رقم ( ١٩٠ ) عن أبي موسى الأشعري ﷺ .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٣ / ١٠ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١٧ ) ونسبه لأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي ذر أنه سأل النبي ﷺ عن الكرسي ، فقال: «يا أبا ذر ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ( ١ / ٢٢٣ ) رقم ( ١٠٩ ) وقال : لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث وأنه أعظم المخلوقات بعد العرش وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويًا .

ومضمر(١٨/ ب) والسابع عشر خفي، فزعم بعضهم أنها أحد وعشرون اسما، وهو غلط[(١)] . وفضلت آية الكرسي على غيرها ؛ لأنها مقصورة على أوصاف الإله سبحانه .

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦) ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥٧)﴾

وفي الحديث الصحيح : «إذا ذهبتَ إلى فراشِكَ فاقرأْ آيةَ الكُرْسِيِّ ؛ فإنه لن يـزالَ عليـكَ منَ اللهِ حافظٌ ، ولا يقربَك شيطانٌ حتى تُصبِحَ»[(٢)] . وسأل النبي ﷺ أبي بن كعب عن أعظم آية في القرآن فقال : آية الكرسي ، فضرب بيده إلى صدره ، وقال :« لِيَهْنِكَ العلمُ يا أبا المُنذِر»[(٣)] .

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ قيل : نسخت بآية السيف[(٤)] . وقيل : لا يتصور الإكراه على العقائد ، فإنها باطنة لا يطلع عليها . والطاغوت : كل معبود سوى الله – تعالى- وجاء تذكيره وتأنيثه وجمعه وإفراده . فتأنيثه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا ﴾ [الزمر: ١٧]

---

(١) قال العز بن عبد السلام في كتاب الفوائد : فائدة : قيل: سبب شرف آية الكرسي وكونها سيدة آي القرآن أنها تضمنت واحدا وعشرين اسما لله. وهي: الله وهو والحي والقيوم والضميران فيهما لأنهما صفتان يتحملان الضمير، والهاء في لا تأخذه سنة : والهاء في « له» والهاء في «عنده» والهاء في «بإذنه» والضمير في «يعلم» والهاء في «علمه» والضمير والهاء في «كرسيه» والهاء في « يؤوده» والهاء في «حفظهما» ؛ لأن الناس اختلفوا في أن المصدر كالفعل أم لا ؟ فهذا على أحد القولين وليس المشهور . و« هو »و« العلي العظيم» وضميراهما .

**ينظر**: الفوائد للعز بن عبد السلام (ص:٢٣٠) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٣٠٣٣ ) ، والترمذي رقم ( ٢٨٠٥ ) وفيه قصة عن أبي هريرة ﷺ قال : وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب ذاك شيطان » .

(٣) رواه مسلم رقم (٨١٠) ، وأبو داود رقم (١٤٦٠) .

(٤) هي الآية ( ٢٩ ) من سورة التوبة ، قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ (٢٩) ﴾ .

وتذكيره : ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١] وجمعه كقوله : ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ وإفراده في الآيتين السابقتين ، وهو مأخوذ من الطغيان ، وهو مجاوزة الحدّ ومنه : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقة: ١١] ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة:٥] وهي الصيحة التي تجاوزت الحدّ . ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ ولم يكن لهم نور حتى يخرجوا منه ، لكنهم لما تمكنوا منه صار كالخارج من أيديهم . وهو كقوله : ﴿ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] ولم يكن معهم هدى، لكن كانوا متمكنين منه ، وجمع الظلمات، وأفرد النور ؛ لأن طرق الضلال متعددة، وطريق الحق واحدة .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾

﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ فجعل نعمة الله عليه سببا في المجادلة في آياته . ولما احتج عليه إبراهيم بعجزه عن الإحياء والإماتة ، أحضر من وجب عليه القتل فعفا عنه ، وبريئا فقتله وهو جواب فاسد ؛ لأن قتل المستحق ليس بإحياء . انتقل إبراهيم في تعجيزه إلى ما لا يستطيع المكابرة فيه ، وهو الآيات السماوية، وليس ذلك بانقطاع من إبراهيم ، ولكنه انتقال من مثال الإحياء ، إلى مثال التصرف في الشمس ، والحجة بالتعجيز باقية .

أو هل رأيت ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ وهي قرية بجبل بيت المقدس ، تسمى قرية العنب ، وهي خاوية على عروشها. أي : سقطت عروشها أولا ، ثم سقطت الجدران فوق العروش قيل : كان المار كافراً لقوله : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ دل على أنه قبل ذلك لم يكن عالماً بقدرة الله . وقيل : لم يكن كافرا ، وهو المشهور[1] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ١ / ٣١٥ ) : «اختلفوا في هذا المار من هو ، فروي عن علي بن أبي طالب أنه قال : هو عزير ، وهذا القول هو المشهور وقال وهب بن منبه وعبد الله بن عبيد : هو إرميا بن حلقيا، وعن=

قيل: أحياه الله ( ١٩/أ ) في آخر النهار ، وكان قد قبض روحه في أول النهار ، فلما قال : ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا﴾ التفت فرأى الشمس لم تغرب فقال : ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ .

قيل : قاله وعنده تردد هل هو يوم أو بعض يوم ، كما قال أهل الكهف : ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩] وأصل السنة : سنوة ، أو نسهة ، فيه قولان . فإذا قلت : عاملته مساناة ، جاء فيه مسانهة ، ومساناة جاء على الوجهين . ﴿وَلِنَجْعَلَكَ﴾ معطوف على علة محذوفة ، أي : جعلنا ذلك لهدايتك ولنجعلك . وقيل: التقدير: وفعلنا ذلك لنجعلك . وقيل : ولنجعلك فعلنا ذلك . وأمثلة هذه الآية في القرآن كثيرة . من قرأ «اعلم» على الأمر[1] فقد خاطب المار بذلك رفيقا معه ، جادله في القدرة على إحياء الموتى .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠) مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ

---

=وهب بن منبه أنه قال : هو اسم الخضر ﷺ ، وذكر أقوالا أخرى ، ثم قال : وأما القرية فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها ... ولما تبين له هذا كله قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير أي : أنا عالم بهذا وقد رأيته عيانا فأنا أعلم أهل زماني بذلك» .

(١) قرأ بذلك على الأمر حمزة والكسائي ، وقرأ الباقون « أعلم» على المضارع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٢٩٦ )، الحجة لابن خالويه (ص:١٠٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٦٢٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ١٨٩)، الكشاف للزمخشري (١/ ٣١٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٣١) .

ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾

سأل إبراهيم أن يريه الله إحياء الموتى لتنضم إلى الدلائل العقلية المشاهدة . وقيل : وعده الله بأن يتخذه خليلاً ، فقال : متى يا رب ؟ فقال : إذا أحييت الموتى بدعائك ، فسأله أن يريه إحياء الموتى ؛ ليتحقق حصول الخلة ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ أي : اجمعهن ، وأراد بذلك أن يتحقق نظره في الطيور ، حتى إذا فرق لحمها على الجبال أحياها الله وجاءت تسعى ، ولا يرتاب أنها هي، ولا يظن أنها طيور غيرها التبست؛ لأنه قد شاهدها من قبل ، ولذلك قال : ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ولم يصفها بالطيران ؛ لئلا يظن أنها طيور أخر جاءت من الجو . ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ كمثل زارع حبة أو مثل نفقة الذين ينفقون ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ «وجاء رجل إلى النبي ﷺ بناقة مخطومة فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ : «لَكَ بها يومَ القيامةِ سبْعُمائة ناقةٍ مَخْطومةٍ»[1] .

اعلم أن العبادات بعد الفراغ منها لا تقبل البطلان عند كثير من الفقهاء إلا فيما يستدام حكمه كالوضوء ، وهذه الآيات تدل على قبولها للبطلان بالمنِّ والأذى بعد صحتها وقبولها. وقاس الإبطال الطارئ على المقارن ، فإن المقارن يبطل قولاً واحداً ، وهو الرياء، فقال: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ الطارئين على الرياء المقارن ، ثم ضرب لهما مثلين . ضرب للمقارن مثل صخرة صماء لا يثبت فوقها تراب ينبت فأصابها مطر كثير وهو الوابل، ففرق التراب عن ظاهرها فلم يثبت مع أن المطر والتراب كانا صالحين (١٩/ ب) للإنبات . ومثل للطارئ برجل له ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ فوصفها بالكمال ووصف صاحبها بأنه أدركه الكبر ، وعجز عن إنشاء مثلها ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ عاجزون عن إنشاء مثلها ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ وهي الريح المستديرة على نفسها وتسميها العامة «زوبعة»[2] ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ثم قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في مطابقة المثلين إلى ما مثل بهما ، وقل من يدرك هذه المطابقة .

---

(١) رواه مسلم رقم ( ١٨٩٢) ، والنسائي في سننه ( ٦ / ٤٩ ) عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) **الزوبعة** : ريح تدور في الأرض لا تقصد وجها واحدا تحمل الغبار وترتفع إلى السماء كأنه عمود، وصبيان الأعراب يكنون الإعصار أبا زوبعة يقال: فيه شيطان مارد، زوبعة اسم شيطان مارد أو رئيس من رؤساء الجن ومنه سمي الإعصار زوبعة . **ينظر**: لسان العرب (زبع) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧) ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ (٢٦٨) يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٢٦٩) وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ (٢٧٠) ﴾

﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ ﴾ إن أريد به الفرض وحده دخلت فيه زكاة التجارة ﴿وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ يدخل فيه زكاة الحبوب والمعادن والركاز [1].

﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ﴾ أي : ولا تقصدوا ﴿ٱلۡخَبِيثَ﴾ ولو كان لك دين على رجل ، فقال لك : هذا مال حلال ، وهذا مال حرام ، فخذ حقك من أيهما شئت ما كنت تأخذ الحرام وتختاره على الحلال إلا بإغماض[2] ومسامحة ، فكيف تتقرب إلى الله بالصدقة بالحرام ﴿ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ ﴾ ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ ويخوفكم أن تبذلوا أموالكم في الصدقة ﴿ وَيَأۡمُرُكُم ﴾ بالخصلة الفحشاء، وهي البخل ويسمى البخيل فاحشا ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات:٨ ] قال طرفة [ من الطويل ]

أرى الموتَ يعتامُ الكريمَ ويصطفي    عقيلةَ مالِ الفاحشِ المتشددِ[3]

---

(١) **الركاز:** قطع ذهب وفضة تخرج من الأرض أو المعدن . قال أبو عبيد بن سلام : اختلف أهل الحجاز والعراق فقال أهل العراق في الركاز: المعادن كلها فما استخرج منها من شيء فلمستخرجه أربعة أخماسه ولبيت المال الخمس قالوا: وكذلك المال العادي يوجد مدفونا هو مثل المعدن سواء ، قالوا : وإنما أصل الركاز: المعدن والمال العادي الذي قد ملكه الناس مشبه بالمعدن . وقال أهل الحجاز : إنما الركاز كنوز الجاهلية وقيل: هو المال المدفون خاصة مما كنزه بنو آدم قبل الإسلام ، فأما المعادن فليست بركاز وإنما فيها مثل ما في أموال المسلمين .

**ينظر:** غريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٨٤) ، لسان العرب ( ركز ) .

(٢) **الإغماض:** المسامحة والمساهلة وغمضت عن فلان : إذا تساهلت عليه في بيع أو شراء .

**ينظر :** لسان العرب ( غمض ) .

(٣) **ينظر** البيت في : روح المعاني للألوسي ( ٤ / ٦٠ ) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ( ١٧٢ ) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص: ١٥٤٥) ، غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٨)، لسان العرب ( شدد ) .

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ ﴾ أي : السنة ؛ لقوله : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٤] ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقيل: الحكمة: العلم والعمل به.الألباب:العقول ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ أي : يجازي عليه. وذكر الوفاء بالنذر كما قال : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ [الإنسان: ٧] ولم يقل : ينذرون، فلا يوصف النذر بأنه مستحب ، ففيه إساءة أدب يقول : إن شفى الله مريضي فلله عليَّ دينار، فكأنه يقول : وإن لم يشف مريضي فلا أعطي شيئا. وإذا جاء جواب الشرط بالفاء ، وبعده جملة اسمية وعطف عليها بفعل مضارع جاز في الفعل المضارع الجزم عطفا على موضع الفاء ، والرفع عطفا على ما بعد الفاء؛ لأنه مستحق الرفع [1] ؛ كقوله : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ وجاء في هذه الآية الوجهان : ﴿ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ ﴾ «ويكفرْ» قرأ بهما في السبعة[2] (٢٠/أ) .

وكذلك قوله : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ ﴾ «ويذرْهم» قرئ بهما [3].

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣) ﴾

---

(١) قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية ( ٢ / ١٥٩ ) : إذا أخذت أداة الشرط جوابها ، وذكر بعده مضارع بعد فاء أو واو جاز جزمه عطفا على الجواب، ورفعه على الاستئناف، ونصبه على إضمار «أن».
**وينظر**: الكتاب لسيبويه (٣ / ٨٩ ، ٩٠) ، همع الهوامع للسيوطي (٢/ ١٣١٨- ١٣١٩ ) .

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «ونكفرْ» ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة ويعقوب «ونكفر» وقرأ الباقون «ويكفرُ» . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٣٢٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٠٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٦٥١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٩١ ) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٣١٦) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٣٦ ) .

(٣) سورة الأعراف، الآية ( ١٨٦ ) وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب ويذرُهم بالرفع ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «ويذرْهم» بالسكون ، وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر «ونذرهم» بالجمع والرفع . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤/ ٤٣٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص: ١٦٧ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٠٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٩٨ )، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٠٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٣ ) .

﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ أي : جزاؤه ﴿ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ حبسهم العذر والفاقة عن الضرب في الأرض والسعي في المكاسب . ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ أي : لا سؤال فلا إلحاف كقوله [ من الطويل ] :

على لاحبٍ لا يُهتدَى بمنارِهِ ... (١)

وكقوله [ من السريع ] : ولا ترى الضبَّ بها يَنجَحِر (٢)

أي : لا منار فلا هداية ، ولا ضب فلا انجحار . وقوله : ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠] أي : لا وجود لها ، فلا نزول ، والأكثر خلاف هذا . ألحف في المسألة إذا أطالها وكررها .

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ

---

(١) هذا صدر بيت لامرئ القيس ، وعجزه : ...................... إذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا

ينظر في : أساس البلاغة للزمخشري ( سوف ) ، تاج العروس للزبيدي ( ديف ، سوف ) ، تهذيب اللغة للأزهري ( ٥ / ٧٠ ) ، ديوان امرئ القيس (ص: ٦٦) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣١٨ ) ، لسان العرب ( ديف - سوف ) ، مقاييس اللغة لابن فارس ( ٢ / ٣١٨ ) أي: لا منار ولا اهتداء .

(٢) هذا عجز بيت لابن أحمر ، وصدره : لا تُفزِعُ الأرْنَبَ أَهْوَالُهَا ......................

ينظر في: الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ١٧٦) ، تاج العروس (فلت) ، روح المعاني للألوسي ( ٤/ ٨٨ ) ، الفائق للزمخشري (١/ ١٣) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٤٢٦ ) والمعنى: لا تخيف الأرنب أهوال تلك الصحراء ، أي : لا هول فيها حتى يفزعه ، ولا ترى الضب فيها يدخل جحره ، أي : لا ضب ولا انجحار .

إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾

﴿ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ ذكروا أنها أربعة أنواع . والحق أنها اثنان ؛ لأن المنفق سرًّا إما في ليل أو نهار ، والمنفق جهراً كذلك والمنفق ليلاً إما سرًّا أوجهراً ، والمنفق نهارا كذلك ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ من قبورهم إلا كقيام ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ سبب قولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ . فإن قيل : قياسه : إنما الربا مثل البيع .

قيل: ما أشبه شيئا فقد أشبهه ذلك الشيء . ومنه قول مريم : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ [آل عمران: ٣٦] وقوله : ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] وقوله : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾ [النحل ١٧] وقولهم : ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ قياس في معرض النص ، فكان باطلا .

لما حرم الله الربا قال قوم : لا ننشئ ربا ، لكنا نستخرج بقية ما استحققناه بمعاملة الربا فنزلت ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ [(١)] وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بعد قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بعث لهممهم ، وقد تقدم نظيره . ﴿ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ يعني : مخالفة . ويقال : إنه يقوم يوم القيامة كالمتهيئ للحرب . ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ أي : وجد فالواجب نظره . وقيل: فنظرة إلى ميسرة أولى .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٣ / ١٠٧ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١٠٧ ) .

قيل: آخر ما نزل من القرآن :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ الآية . فقال ﷺ : «ضعوها على رأس ثمانين ومائتين من البقرة»[١] قال ابن عباس: أشهد أن السلم أحله الله في كتابه، وأنزل فيه أطول آية[٢] قوله: ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾ أمر إرشاد ، قوله: ﴿ أَوْ ضَعِيفًا﴾ يريد : ضعف العقل ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ ويقبل إقرار الولي على الصبي فيما عامل الولي عليه ولا يشترط (٢٠/ب) في قبول شهادة رجل وامرأتين أن لا يوجد شاهدان . ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ لأن النساء أقل ضبطا وأقرب إلى النسيان . وقيل: فتذكر إحداهما الأخرى ، أي: تجعلها كالذكر .

﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ﴾ للتحمل أو للأداء أو لهما . «أقسط ، وأقوم »: جاءا في أفعل التفضيل من فعل رباعي من أقسط الرجل : إذا عدل ، وذلك جائز: إذا كان الرباعي مزيدا فيه ؛ كقولهم: ما أعطاه للمائة وفعل التعجب وأفعل التفضيل سواء في ذلك ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ﴾ محتمل: ولا يضارر ، ولا يضارر، بكسر الراء الأولى وفتحها. ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ كلام مستأنف ، لا تعلق له بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ولو تعلق به لكان منصوبا.

﴿ ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٣ / ١١٥ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١١٦ ) ونسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس أنها آخر آية نزلت ، دون زيادة « ضعوها على رأس ثمانين ومائتين » . وذكر هذه الزيادة الفراء في معاني القرآن (١/ ١٨٣ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٣ / ١١٦ ) ، والطبراني في المعجم الكبير ( ١٢ / ٢٠٥ ) رقم ( ١٢٩٠٣ ) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٢ / ٣١٤ ) وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١١٧ ) ونسبه للشافعي وعبد الرزاق وعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم والبيهقي عن ابن عباس – رضي الله عنهما . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

ولا يشترط في الرهن كونه في السفر، ولا عدم الكاتب، بل جرى ذلك مجرى الغالب .

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قيل : من كتمان الشهادة ؛ لأنها من أعمال القلوب.

وقيل: شقت على الصحابة حين نزلت وقالوا : أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا [ فنسخ ذلك ] بقوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [1] والوقف عند قوله : ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ .

وقيل : الوقف على ﴿مِن رَّبِّهِۦ﴾ والمؤمنون مبتدأ [2] .

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ بتكذيب بعض ، وتصديق بعض . ويقال في الخير : كسبت، وفي الشر: اكتسبت ؛ لأن المعاصي موافقة لشهوات النفس ، فعملها فيه أتم وأكثر اجتهاداً . والافتعال أتم من الفعل . والإصر: الثقل مثله ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الأعراف:١٥٧ ] ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ [ آل عمران: ٨١] أي: عهدي ؛ لأن العهود يثقل الوفاء بها.

* * *

(١) رواه مسلم رقم ( ١٢٥) ، والترمذي رقم ( ٢٩٩٢ ) ، وابن حبان رقم ( ٥٠٦٩ ) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٦) .

(٢) قال الأشموني في منار الهدى ( ص : ٦٨ ) : الوقف على « والمؤمنون » تام ، وعلى «من ربه» حسن .

## سورة آل عمران [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ① اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ② نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ③ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ④﴾

﴿الٓمٓ﴾ فيها الأقوال التي في الحروف التي في أوائل السور إلا كونها أسماء لله؛ فإنه يصير التقدير " الم الله " كذا قيل.

وذكر في القرآن ﴿نَزَّلَ﴾ ؛ لنزوله منجما، وفي التوراة والإنجيل أنزل؛ لأن كل واحد منهما نزل جملة ، والفرقان: مصدر فرق؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل وهو من المصادر ، كالغفران والرجحان.

**العزيز:** الغالب ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [ص:٢٣] قال الشاعر [ من الوافر ] :

كأن القلبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى … بليلى العامرية أو يُراحُ

قطاةٌ عزَّها شرَكٌ فباتتْ … تجاذِبُهُ وقد علَقَ الجناحُ

فلا في الليل نالت ما تُرَجِّي … ولا في الصبح كان لها براح[1]

وفي البيت الثاني تنبيهان: أحدهما: أن قوله «عزها» قد تصحف «غرها» .

الثاني: أن ابن عبد البر قال في «الاستذكار»[2] إن الرواية : «وقد غلق الجناح »، بالغين

---

(١) الشعر لتوبة بن الحمير ، **ينظر في:** الأغاني للأصفهاني (٢/ ٤٥) ، ديوان الحماسة (٢/ ١٠٩) والمعنى: **يغدى:** يذهب بها في الصباح . **ويراح:** يذهب بها في العشي . **وعزها:** غلبها . **والشرك:** من حبال الصيد. والمعنى: لما أحسست بالليلة التي همت ليلى بالفراق في صبيحتها أو في الرواح من عشيتها صار قلبي في الخفقان كقطاة وقعت في شرك فبقيت ليلتها تجاذبه والجناح قد علق لا متخلص له .

(٢) **ينظر:** الاستذكار لابن عبد البر (٢٢/ ٩٦) رقم (١٩٥٦) .

المعجمة ، من قوله ﷺ: «لا يغلق الرهن من راهنه الذي رهنه [١] »وهو غريب ، والمشهور هو الأول .

تقول العرب: من عز بزّ [٢] أي : « من غلب سلب » والعزيز أيضا : الممتنع . ويقال: تعزز في قلعته ، أي: امتنع بها. والعزيز: الذي لا يوجد مثله. تقول : هذا صنف عزيز فيفسر كل مكان بما يليق به واللائق هنا الغلبة .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾

جاء وفد نجران يجادلون رسول الله ﷺ في أمر عيسى فقال لهم : « ألستم تعلمون أن عيسى صور في الرحم ، وكان لا يعلم من العلم إلا ما علمه الله » فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [٣] .

﴿ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ وهي النصوص التي لا تحتمل إلا معنى واحداً ، والظواهر التي تحتمل معنيين فصاعدا ، إلا أن أحدهما سبق إلى الذهن ، فالنص والظاهر يشتركان في الرجحان ، إلا أن النص مانع من النقيض ، والظاهر غير مانع.

---

(١) رواه الشافعي في مسنده رقم (٥٦٨)، والدارقطني في سننه (٣/ ٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٣٩) عن سعيد بن المسيب، وصححه الشيخ الألباني - رحمه الله - في إرواء الغليل رقم (١٤٠٦) .

(٢) ينظر المثل في: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢/ ٢٢٩) رقم (٢٩٢٩) ، مجمع الأمثال للميداني (٢/ ٢٧٤) ، المستقصى في الأمثال للزمخشري (٢/ ٣٥٧) رقم (١٣١٣) .

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٩٩ ، ١٠٠) رقم (١٩٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٥) لابن جرير الطبري وابن أبي حاتم .

والمتشابه: الذي يحتمل معنيين فصاعدا ، فإن تساويا ، فهو مجمل ، وإن ترجح أحدهما فالمرجوح مؤول ، فالمجمل والمؤول يشتركان في عدم الرجحان ، إلا أن المجمل ليس بمرجوح ، والمؤول مرجوح. والقدر المشترك بينهما هو المتشابه .

واعلم أن لفظ المتشابه متشابه ، فيطلق المتشابه على الملتبس ، وهو اللائق بهذه الآية ويطلق فيراد به الذي يشبه بعضه بعضا ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[1] فلذلك جاء ها هنا انقسام الآيات إلى محكم ومتشابه ، وجاء في آيتين جعل الكتاب كله متشابهاً ، وجعله كله محكما ، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر:٢٣] .

﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يعني: الآيات المحكمات يرجع إليها في كل المتشابه .

﴿ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ الزيغ واللحد والحنف في اللغة هو الميل ، لكن جاءت الشريعة باستعمال الزيغ واللحد في الشر، واستعمال الحنف في الخير.

﴿شَيۡـٔٗا﴾ يجوز أن يكون مفعولا (٢١/ب) به ، ويجوز أن يكون مصدراً.

﴿ كَدَأۡبِ﴾ كعادة وكثر استعمال الأخذ في القرآن في العقوبة.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ .

﴿فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً﴾ [الحاقة ١٠] ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ

(١) سورة البقرة ، الآية (١١٨) .

رَبِّكَ ﴾ [هود :١٠٢] [النازعات] ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ ﴾ [القصص: ٤٠] .

تقول: حلف زيد بالله لأفعلن، فتحكي لفظه، وليفعلن فتحكي معناه كذلك (سيغلبون) حكى معناه بقوله لهم، أي: قل لهم لفظا يؤدي معنى ما قلته لك .

ومن قرأ ﴿سَتُغْلَبُونَ ﴾ [1] حكى لفظه . ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ يريد يوم بدر ، وكان المسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر، والكفار ما بين التسعمائة إلى الألف ، يرى المؤمنون الكفار مثلي أنفسهم ، قللهم في أعينهم ؛ ليهجموا عليهم . وقيل: يرى الكفار المؤمنين مثلي الكفار، ليزداد عظمهم .

قوله : ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ﴾ ليس معطوفا علي البنين ؛ لأن المراد حب الشهوات من النساء والبنين وحب القناطير. ﴿مَتَٰعُ ﴾ أي: شيء استمتع به ، ويراد به: القلة ، والمآب : المرجع. الإشارة بذلكم إلى ما زين للناس حبه من الشهوات المذكورة.

﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ من الحيض والنفاس والبول ومساوئ الأخلاق ، وقبائح الأفعال ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ مبتدأ ، وليس بصفة للعباد . وجعلوا الإيمان سببا للغفران والخلاص من النيران. وكذلك في آخر السورة ، وزاد فيه : الوفاة مع الأبرار، بعد قوله : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٣] .

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ أقام الأدلة الشاهدة على وحدانيته من عجائب أفعاله ، وتنوع مخلوقاته، فقام ذلك مقام الشهادة بالوحدانية ، فعبر عن الشهادة بالإعلام ، أو بإقامة الشهادة .

﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾ عائد إلى الله وحده ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ كما تقول : عندي في هذه المسألة كذا .

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " سيغلبون "، وقرأ باقي العشرة " ستغلبون ". **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٩٢) ، حجة ابن خالويه (ص : ٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٠١) ، الكشاف للزمخشري (١/ ١٧٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٣) .

وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ في نبوة محمد ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ﴾ بإخبار أنبيائهم بصفاته في كتبهم ، ولم يحملهم على ذلك إلا البغي، وهو المفعول لأجله ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يحاسبه الله ويعذبه ، وجاز العطف على ضمير أسلمت بقوله: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ﴾ لحصول الفصل بينهما.

﴿ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ همزة إنكار . وقيل: استفهام ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ أي: مع علمهم بأن قتلهم واقع بغير حق ، لم تقع شبهة تورطهم في ذلك.

وروي أن أنبياء بني إسرائيل قاموا في الناس فوعظوهم في قتل الأنبياء ، فقام جماعة من المؤمنين فأنكروا قتل الأنبياء ، فقتلوا الآخرين ، وأقاموا سوق بقلهم في آخر النهار.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي: فاجعل عوض البشارة بالخير إنذارهم بعذاب أليم ؛ كقوله [ من الوافر ] : ............... تحيةُ بينِهم ضرْبٌ وجيعُ[1] .

والتغيُّر يكون بخير وبشر، فهو حقيقة بالنسبة إلى أصل الوضع ، لكنه صار منقولا في العرف إلى أحد الأنواع وهو الخير ، فالإخبار بالشر حقيقة بالنسبة إلى أصل الوضع ، مجاز بالإضافة لنسبته إلى العرف ، وهو كالدابة كانت عامة في كل ما دب ودرج في أصل الوضع ، ثم خصصها العرف بذوات الأربع ، فصارت مجازا عرفيًا فيما عداها .

---

(١) هذا عجز بيت لعمرو بن معدي كرب وصدره : وخيل قد دلفت لها بخيل ......................
**ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨ ) ، ديوان عمرو بن معدي كرب ( ص : ١٤٩) ، شرح أبيات سيبويه ( ٢ / ٢٠٠ ) ، الكتاب لسيبويه (٣ / ٥٠) ، **وينظر** بلا نسبة في : أمالي ابن الحاجب (١/ ٣٤٥) ، الخصائص لابن جني ( ١ / ٣٦٨ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٢ / ٨٠ )، الكتاب لسيبويه ( ٢ / ٣٢٣ ) ، المقتضب للمبرد ( ٢ / ٢٠ ، ٤ / ٤١٣ ) .

أصل «الحبط» انتفاخ البطن، وهو مجوف، ومنه: الحبنطي، للكبير البطن، بزيادة النون والألف، بدليل قولك في تصغيره: حبيط أو: حبينط، شبه حبوط أعمالهم بهلاك من حصل له الحبط.

ونفي الناصر الواحد أبلغ من نفي الجمع. وإنما قيل: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ردًّا لما كانوا يعتقدونه من شفاعة الأصنام ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس: ١٨]، ونصرتها لهم ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ [يس] ذلك بسبب استهانتهم بعذاب الآخرة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

وظنهم قصر مدته في حقهم، وزعمهم أنهم لا يعذبون ﴿إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ وهو افتراء اختلقوه واغتروا به. ﴿فَكَيْفَ﴾ يكون حالهم إذا جمعوا في القيامة ووفي كل أحد جزاء كسبه. ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ أعظم من الملك؛ لأنه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، ولا يلزم أن يكون الملك كذلك.

وقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ أدب مع الله عز وجل؛ لأن قسيمه وهو الشر مخلوق لله، لكن

الأدب: الانكفاف عن إطلاق نسبته إلى الله – تعالى- كما لا يقال: يا خالق الكلاب والذباب اغفر لي ، وإن كان حقًا في نفسه .

﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ ﴾ أي: ما نقص من أحدهما زاد في الآخر . وقيل: يغشي الليل النهار، ويغشي النهار الليل. ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ ﴾ أي : وتخرج المؤمن من الكافر. وقيل: الآدمي من النطفة ﴿ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾ الكافر من المؤمن . وقيل : النطفة من الحيوان. ﴿ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴾ أي كثير.

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾ يخصونهم بالمودة ، أي: يطلعونهم على عورات المسلمين ، ويودون لو ظهر الكفار على المؤمنين ﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ﴾ ولاية ﴿ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ ﴾ ذلك في صحبتهم ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ عقوبته ؛ فإن ذاته لا تخشى كما قال: ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء: ٥٧] . ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ مستأنف ، لا يجوز عطفه على جواب الشرط ؛ لأن علمه بذلك ليس معلقا بإبدائنا وإخفائنا ، ولو كان متعلقا به لكان مجزوما . قيل : الوقف على قوله : ﴿ مُّحۡضَرٗا ﴾.

وقيل: بل الوقف على قوله: ﴿ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ ﴾ لأن كليهما يحضر يوم القيامة[(١)].

وأما قوله: ﴿ تَوَدُّ ﴾ فهو خبر على القول الأول؛ لقوله: ﴿ وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ ﴾ . وعلى الثاني: حال، أي:وادّة .لكن يقوي الأول قوله: ﴿ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا ﴾ ؛ لأنها لا تود ذلك في الخير، فيختص وادّه بقسم ما عملت من سوء. والرأفة: أشد الرحمة . ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ ﴾ تريدون محبة الله فأطيعوا رسوله يحببكم ، ويغفر لكم . ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ يجوز أن يكون مضارعا مجزوما خطابا ، وأن يكون ماضيا . قيل : يقال : آل زيد ، ويعنون زيدا ، ومنه : آل إبراهيم، وآل عمران . وقيل : آل إبراهيم : ذريته . وإن أريد بعمران : أبو موسى وهارون فهما آله ، وإن أريد بعمران : أبو مريم ، فآلهُ يحيى وعيسى ومريم ، وإن أريد بالعالمين : عالمي زمانهم .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ

(١) ينظر : منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ٧٥ ) .

إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ في اتباعهم للحق، فصار كل واحد منهم كالجزء من الجملة، ومنه قوله ﷺ: «من غشنا فليس منا»[1] وقال الشاعر [ من الوافر ]:...............

فإني لستُ منكَ ولستَ منِّي.

كانت حنة أم مريم نذرت وهي حبلى أن ولدها يكون خادما للكنيسة، وكان ذلك جائزاً في شرعهم، فولدت أنثى وهي مريم، فشكت إلى ربها إخلاف ظنها أن يكون حملها ولدا ذكرا يخدم الكنيسة. فمن قرأ ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ ﴾ بضم التاء، كان من كلامها، يعني: وأنت يا رب العالم بذلك. ومن قرأ ﴿ بِمَا وَضَعْتِ ﴾[2] وهو شاذ، كان من الله، أو من كلام الملائكة. قيل لها: لا تحتقري هذه المولودة، فالله أعلم بجلالة قدرها وأنه يخرج من ذريتها نبي كريم على الله، يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ومن قرأ ﴿ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ كان من كلام الله، وليس خطاباً لها (٢٣/أ) ومعناه: أعلم بشرف هذه المولودة. ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ ومريم هي الخادمة. وقيل: مريم الكثيرة الزيارة للرجال والأول أشبه بهذه المولودة.

﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من مولود يولد إلا ويمسه الشيطان غير مريم وابنها؛ لأنه جعل بينه وبينهما حجاب، فأراد الشيطان الطعن عند ولادة كل واحد منها فطعن في الحجاب، ولم يصل»، ثم تلا ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٠١)، وأحمد في المسند ( ٢ / ٤١٧ )، وابن ماجه رقم ( ٢٥٧٥ ) بهذا اللفظ ورواه بلفظ «من غشنا فليس منا »مسلم رقم (١٠٢)، وأحمد في المسند (٢/٢٤٢)، وأبو داود رقم (٣٤٥٢)، والترمذي رقم ( ١٣١٥ )، وابن ماجه رقم ( ٢٢٢٤ )، واللفظان عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قرأ ابن عامر وشعبة ويعقوب «وضعتُ»، وقرأ ابن عباس «وضعتِ»، وقرأ باقي العشرة «وضعتْ».

تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٣٩)، الحجة لابن خالويه ص (١٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٧٣ )، السبعة لابن مجاهد ( ص: ٢٠٤ )، فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٣٥)، الكشاف للزمخشري (١/ ١٨٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٩).

ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[١] .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

قرئ شاذا ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ ﴿وَأَنۢبَتَهَا ﴾ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ بالنصب[٢] ، وعلى صيغة الدعاء في الأفعال الثلاثة . فحملتها حنة عند وضعها ، وكان أبوها عمران صاحب قربانهم ، فتنافس فيها أحبارهم أيهم يكفلها فتقارعوا ، وكانوا يكتبون التوراة ، وهم على شاطئ نهر، فألقوا أقلامهم ، وقلم زكريا معهم ، فثبت قلم زكريا ، وسارت أقلامهم مع الماء وهو معنى قوله : ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ .

وقولها: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ إشارة إلى أنه مما لا يكتسب بفعل الآدميين ، وإلا فالأرزاق كلها من عند الله ، ونظيره : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ من لَّدُنَّا علمًا ﴾ أي: ليس ذلك العلم مما يكتسب بالمباحث ولا بالدراسة.﴿ هُنَالِكَ ﴾ أصلها أن تكون للمكان ، وتستعار للزمان ، وهما في هذا الوضع محتملان ، وكذا قوله : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ .

﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ مذهب البصريين: أن النداء لا يغني فيه القول ، بل لابد من صريح القول ، فالتقدير: فنادته الملائكة قائلين . وقال الكوفيون: لا يحتاج إلى إضمار القول ؛ لقيام النداء بمعناه ، ومثله قول الشاعر [ من الرجز ] :

إنــا لقينــا رجــلاً عُريانــا ... رَجُــلان مِــنْ ضَبّــةَ أخبرانــا[٣]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٥٤٨) ، ومسلم في صحيحه رقم (٢٣٦٦) .

(٢) قرأ بها مجاهد ، تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٤٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٧٦) ، فتح القدير للشوكاني (١/ ٣٣٥)، الكشاف للزمخشري (١/ ١٨٧) .

(٣) ينظر الرجز بلا نسبة في: خزانة الأدب للبغدادي (٩/ ١٨٣) ، الخصائص لابن جني (٢/ ٣٨٨)، شرح شواهد المغني (٢/ ٨٣٣) ، الكشاف للزمخشري (١/ ١٩١) ، المحتسب لابن جني (١/ ١٠٩، ٢٥٠) ، مغني اللبيب لابن هشام (٢/ ٥٩) .

فالبصري يقول: أخبرانا فقالا: إنا لقينا. والكوفي لا يحتاج إلى ذلك[1]. فمن فتح أن فالتقدير: فنادته بأن الله[2]. والمحراب: صدر المجلس. وقيل: المجلس الحسن ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ قيل: بعيسى. وقيل: بالتوراة والإنجيل ﴿ وَحَصُورًا ﴾ منع نفسه من إتيان النساء. وقيل: كانت به عِنَّة[3]. والأول أصح؛ لأن العِنَّة مرض لا يثاب من بلي بها على ترك الزنى، ولا يمدح بها، وإنما يمدح على مجاهدته نفسه فيما يستطيعه.

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

---

(١) **ينظر** تفصيل ذلك في: الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٨٢)، الكشاف للزمخشري (١ / ٣٥٩)، مغني اللبيب لابن هشام (٢ / ٥٩).

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة ونافع «إن الله يبشرك»، وقرأ الباقون «أن الله يبشرك». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤٤٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٨٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٠٥)، الكشاف للزمخشري (١/ ٣٥٩)، المحتسب لابن جني (١ / ١٦١).

(٣) **العنين**: الذي لا يأتي النساء ولا يريدهن، والاسم منه العنة وهو: الاعتراض والحبس، كأنه اعترضه ما يحبسه عن النساء، وامرأة عنينة كذلك: لا تريد الرجال، ولا تشتهيهم. **ينظر**: لسان العرب: (عنن).

**العاقر**: الرملة التي لا تنبت ، شبهت بها المرأة التي لا تلد ، ولم يقل : عاقرة ؛ لاختصاص الوصف بالمؤنث ؛ كالطامث والحائض .

﴿رَمْزًا﴾ أي: إشارةً ، وكان يستعصي عليه الكلام ولسانه كما قال: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم] وكان إذا أراد ذكر الله انطلق لسانه .

﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ يريد الألفاظ التي يدل عليه هذا المجموع ، وإلا فالاسم عيسى وحده . سمي مسيحًا ؛ لأنه وُلد ممسوحا بالدهن. وقيل: مسيح القدم أي : ليس لرجله أخمص ، وهذا ضعيف ؛ لأن الأخمص به تستمسك الرجل عند زللها ، ولا يمدح به من ابتلي به . وقيل : هو مأخوذ من السياحة في الأرض وهذا يقتضي تأخر التسمية بذلك حتى يصير سائحا . وقيل: سمي مسيحا ؛ لأنه يمسح أرباب العاهات والأمراض فيعافون وعليه الإشكال الذي قبله.

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ فإن قلت: الكلام في الكهولة ليس بعجب ! فجوابه من وجوه : ويكلم الناس في المهد وكهلا كلاما متساويًا لا يختلف في الصغر والكهولة. وقيل : يكلم الناس في المهد وكهلاً إذا نزل من السماء في آخر الزمان . وقيل : كل من تكلم في المهد مات قبل أن يصير رجلا ؛ لئلا يفتتن به إلا عيسى ، فيكون هذا بشارة بحياته إلى الكهولة . وقيل : يكلم الناس في المهد بالحكمة ، وكهلا بالنبوة . الهاء في فيه تعود على الكاف في «كهيئة» ، أي : ينفخ في الذي هو مثل الطير.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ من لحمان الإبل، والتصرف في السبت، وغيرهما من الأحكام التي خالفت شريعة عيسى عليه السلام فيها دين اليهود ، وسمي ما أوتيه عيسى آية ؛ لأن كل واحد منها آية ، تقول: كسانا الأمير حلة ، أي : كل واحد ؛ لأن عيسى عليه السلام أوتي إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وشفاء كل واحد من أولئك المرضى وأرباب العاهات آية .

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ

وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ ﴾ أي : علم علمًا جليًّا يشبه المعلومات بالحس ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ ﴾ ذاهبا أو متوجها ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ﴿ ٱلۡحَوَارِيُّونَ ﴾ أصحاب عيسى، وكانوا قصَّارين يحورون الثياب أي: يبيضونها ، قيل : ﴿ مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ بذلك . وقيل : مع أمة محمد ؛ لأنهم شهدوا على الناس ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ وأخفى الله ما يريده منهم من الشر ، وسمي جزاء المكر مكرا ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٦٧] .

﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ أي : مُنيمُك . فرفع إلى السماء نائما ؛ كي لا يجزع عند بُعده عن الأرض صاعدًا. وقيل: متوفيك: ملاقيك بأنبيائي و ملائكتي. وقيل: متوفيك بعد نزولك إلى الأرض، والواو لا تقتضي الترتيب [1] . والتقدير: إني رافعك إليَّ ومميتك .

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن

---

(١) الواو لا تقتضي الترتيب : هذا على قول جمهور النحاة ، وقال جماعة : إنها للترتيب ، ونقل السيرافي الإجماع على ذلك ، ورد ذلك ابن هشام في قطر الندى . **وينظر** تفصيل هذه المسألة في : أسرار العربية لابن الأنباري (ص : ٣٠٢-٣٠٤) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١/ ٤١٧، ٤١٨) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٣/ ١٥٥ ، ١٥٦ ) .

تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ أمة محمد ﷺ ؛ لأنهم صدقوا بجميع ما في الإنجيل من صفات النبي ﷺ

﴿ذَٰلِكَ﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع أو نصب ؛ لاشتغال الفعل بضميره ؛ كقوله : ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: ٣٩] بالرفع والنصب[(١)] .

﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أي: المحكم ، كقول الشاعر [ من الكامل ] :

وقصيدةٍ تـأتي الملـوكَ حكيمـةٍ ... قـد قلتُهـا ليُقـالَ مَـنْ ذا قالَهـا [(٢)]

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في حصوله بغير الأم ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ وزاد آدم بفقد الأم .

﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ أي : قدّر خلقه. ولذلك قال : ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بخلاف قوله في سورة الفرقان : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان] فإنه عطف التقدير على الخلق ،

---

(١) سورة يس ، الآية ( ٣٩ ) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو « والقمرُ» ، وقرأ باقي العشرة «والقمرَ».
تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٣٦) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٩٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٨٥)، السبعة لابن مجاهد (ص:٥٤٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٢) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٥٣ ) .

(٢) البيت للأعشى ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( حكم ) ، تفسير القرطبي ( ٨ / ٢٧٧ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٤/ ٢٥٩)، الدرر اللوامع للشنقيطي ( ١/ ٢٦٩ ) ، ديوان الأعشى (ص: ٧٧)، روح المعاني للألوسي (٢١/ ٦٥) ، شرح شذور الذهب (ص: ١٧٩ ) ، العين للخليل ( ٣ / ٦٧ )، قطر الندى لابن هشام ( ص : ١٠٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٢٦ ) ، لسان العرب ( حكم ) .
ويروى الشطر الأول منه : وغريبة تأتي الملوك غريبة . وسيأتي بهذه الرواية في أول سورة يونس .

فكانا متغايرين. ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾أي : من وفد نجران وغيرهم .

أصل « تعالوا» أن يقال لمن كان في مكان منخفض ، فتناديه من مكان عال : تعال أي: ارتفع حتى أجتمع بك ، ثم كثر استعماله فصار يدعو به المساوي من ساواه في المكان ، ويدعو به الذي هو أسفل للذي فوقه .

الكلمة: الجملة المقيدة وهو من قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ فتزعمون أنه كان يهوديًا أو نصرانيًا ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ﴾اللذان شرح فيهما شريعة موسى وعيسى ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ من بعد موت إبراهيم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بمحمد ﷺ ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يتولى مصالحهم ﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ «لو» بمعنى «أن» .

أجمع رأي جماعة من اليهود على أن يجتمعوا ويؤمنوا بالنبي ﷺ ، ويقولوا : وجدنا نعته في التوراة ، يفعلون ذلك أول النهار ، ثم يرتدون آخر النهار ويقولون : تبين لنا فساد ما اعتقدناه أول النهار، فيحصل بذلك ريبة في قلوب أهل الكتاب والمشركين[1] .

﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣/ ٣١٢)، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٢) رقم ( ٢١٤، ٢١٥).

﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ متعلق بـ ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ ﴾ أي : لا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، أو متعلق بما بعده مضمر ، أي : إلا أن يؤتى أحد مثلكم ما أوتيتم شككتم وتركتم دين آبائكم ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ ﴾ العطايا .

﴿ قَآئِمًا ﴾ بالمطالبة والإلحاح ، وكان اليهود يقولون لأوليائهم : ليس علينا في أخذ أموال الأميين جناح. ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي: يحبهم ، فعوض الضمير بالاسم الظاهر ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾ نزلت في الأشعث بن قيس[1] اختلف هو ورجل آخر في حدود أرض، فقال النبي ﷺ لخصم الأشعث : تحلف ، فقال الأشعث : يا رسول الله إنه فاجر لا يبالي على ماذا حلف[2] .

﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ نظر رحمة . وقيل: هو كناية عن الغضب ، تقول: فلان لا ينظر إلى فلان أي : يبغضه ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ ولا يثني عليهم ، أي : ولا يطهرهم .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ قولك: «ما كان له أن يفعل تارة» يكون في المستقبل ؛ كقوله: ﴿ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾ [النمل: ٦٠] ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١] وتارة يكون للممنوع شرعاً والممنوع شرعا كالممنوع حسًّا ؛ كقوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١] ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ١٧] ﴿ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [يوسف : ٣٨] .

**والرباني**: الذي يعلم الناس الخير ، وكان يقال لابن عباس: هو رباني هذه الأمة. وقيل: هو الذي يُربى في التعليم بصغار العلم قبل كباره ، ويقويه قراءة ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ﴾ بالتشديد[3] .

---

(١) هو الأشعث بن قيس بعد معد يكرب الكندي ، أبو محمد ، وفد على الرسول ﷺ سنة عشر في ثمانين راكبا من كندة ليعلنوا إسلامهم ، وقد ارتد مع من ارتد من الكنديين ، وأسر في حروب الردة ، فلما أحضر إلى أبي بكر أسلم فأطلقه ، وشهد كثيرا من وقائع الإسلام منها اليرموك والقادسية ، قطن الكوفة وتوفي بها في آخر سنة أربعين من الهجرة . **تنظر** ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/١٠٩-١١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٣٥٨، ٢٤١٧، ٢٥١٦، ٢٦٦٧، ٢٦٧٧)، ومسلم رقم ( ١٣٨ ).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بما كنتم تعلَمون الكتاب بالتخفيف ، أي : بعلمكم الكتاب ، وقرأ=

﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ اللام: لام الابتداء، ودخلت على «ما» الشرطية. و«جاءكم»: معطوف على « أتيتكم» ﴿ إِصْرِى ﴾ أي : عهدي .

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ احتج به من زعم أن الإيمان هو الإسلام؛ لأنه لو ابتغى الكافر الإيمان لقبل ، فلو كان غير الإسلام لما قبل[1].

---

= الباقون بالتشديد «تعلِّمون» أي : تعلمون الناسَ الكتاب . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٢/٥٠٦) ، الحجة لابن زنجلة (ص : ١٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/١٤٨) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢١٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٧٨ ) .

(١) اختلف العلماء في هذين المصطلحين الإيمان والإسلام هل هما واحد أو مختلفان ؟ وصنفوا في ذلك تصانيف متعددة ؛ فمنهم من يقول : إن جمهور أهل السنة على أنهما شيء واحد ، منهم محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر، ومنهم من يحكي عن أهل السنة التفريق بينهما كأبي بكر بن السمعاني وغيره . وقد نقل هذا التفريق بينهما عن كثير من السلف ، على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما. قال=

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: في اللعنة . ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ يريد به ما قال مشايخ الصوفية : إن من دام على فسق أو كفر إلى أن هرم ، فبَعُد أن تصح منه توبة ، أو يدوم عليها فأخبر ها هنا أن من كفر بعد الإيمان ، ثم ازداد كفرا لا تصح له توبة نصوح ، فلا تقبل توبته ؛ لعدم نصوحها .

قوله : ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ يعني : ولو بذله لما قبل ، وليس المعنى أنه يحصل له الفداء به ؛ فقد قال في آية أخرى : ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾ [الزمر: ٤٧] أي : لبذلوه ، ويدل على عدم قبول الفدية قوله : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ١٢٣] والعدل: الفدية ، وفي الأنعام : ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام: ٧٠] .

«كان لأبي طلحة[١] حائط بالمدينة ملتف الأشجار ، فنظر يوما إلى طائر قد دخل بين الأشجار ، وطلب مخلصا ، فلم يجده ، فأعجبه ذلك ، فلما نزل قوله: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال يا رسول الله: إني سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء ، وإنها صدقة لله ولرسوله ، يعني بها ذلك الحائط فقال رسول الله ﷺ : «بخ بخ» ، ذلك مال رابح فقال : ضعها يا رسول الله حيث شئت ، قال النبي ﷺ: إني أرى أن تجعلها في الأقربين . فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه »[٢].

واسم هذا الحائط: بَيْرُحاء ـ بفتح الباء ، وسكون الياء ، وضم الراء ، ممدود لا ينصرف. وبير مضافة إلى حا. وقيل: كالوجه الثاني مقصورة الألف، بوزن فيعلى. كذا ضبطه

---

=ابن رجب الحنبلي : وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف فيقال : إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، وإن قرن بين الاسمين كان بينهما فرق . والتحقيق في الفرق بينهما : أن الإيمان هو تصديق القلب وإقراره ومعرفته ، والإسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له ، وذلك يكون بالعمل وهو الدين .

**ينظر** : جامع العلوم والحكم للحافظ ابن رجب ( ص : ٤٤ ) .

(١) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري الخزرجي ، اشتهر بكنيته ، وهو من أفاضل الصحابة ، شهد بدرًا وأحدًا ، وأبلى في الإسلام بلاءً حسنًا ، توفي في خلافة عثمان بن عفان ، وقيل : بعد وفاة النبي ﷺ بأربعين سنة . **تنظر** ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ( ٤/ ١١٣-١١٥ ) ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ١/ ٥٦٦، ٥٦٧ ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٦١) ، ومسلم رقم (٩٩٨) من حديث أنس بن مالك ﷺ .

الزمخشري[١] وقيل : بيرُحاء بكسر الباء ، وسكون الياء ، وضم الراء ، إلا أنه مصروف .

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾

روي : أن يعقوب عليه السلام أصابه عِرْق النِّسا [٢]، وتألم منه ، فنذر لئن شفاه الله ، لَيُحَرِّمَنَّ على نفسه أحب الطعام إليه ، وكان يحب ألبان الإبل ولحومها ، فلما شفي حرمها[٣]، وأما بقية المحرمات فسببها ظلمهم وصدهم عن سبيل الله ، وأخذهم الربا بعد تحريمه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل، فلما سمع اليهود ذلك قالوا: إن هذه المحرمات ما كانت عقوبة ، وإنما هي شريعة شرعها الله ، فقال عليه السلام : ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ ونزلت ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] الآيتين، ونزلت ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] إلى قوله : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام] وفيه تعريض بأنهم الكاذبون .

---

(١) **ينظر** : الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٨٤ ) .

(٢) **عِرْقُ النَّسا** : وجَعٌ يبتدئ من مفصل الورك وينزل من خلف على الفخذ ، وربما امتد إلى الكعب ، وكلما طالت مدته زاد نزوله ، ويهزل الرجل والفخذ . قال الأصمعي: لا يقال : عرق النسا. والعرب لاتقول: عرق النسا. كما لا يقولون: عرق الأكحل. ولا: عرق الأبجل: إنما هو النسا والأكحل والأبجل. وقال ابن بري : فإذا ثبت أنه مسموع فلا وجه لإنكار قولهم : عرق النسا قال : ويكون من باب إضافة المسمى إلى اسمه كحبل الوريد ونحوه . **ينظر** : زاد المعاد لابن القيم ( ٢ / ٨٦ ) ، لسان العرب ( نسا ) .

(٣) رواه الترمذي رقم ( ٣١١٧ ) ، والطبري في تفسيره ( ٤/ ١ـ٢ ) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٢ / ٣٢٠ ) وحسنه الترمذي ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال في هذه الآيات : ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ﴾ أي : وكذبتم أنتم في دعواكم أن تحريمها لم يكن عقوبة ، والفرية إن كانت في معنى التكذيب فنصب الكذب بأنه مصدر ، على معنى الفعل كقولهم : قعدت جلوسًا . وإن كانت الفرية أخص من الكذب ؛ لأنها الكذب المختلق الذي لم يسبق قائله إليه فنصب الكذب بالمفعولية .

﴿ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ في التوحيد ؛ لقوله : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن الأديان إلا عن الإسلام .

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ متعبدًا ومتوجها إليه للصلاة ومحجوجًا . قيل : بكة مكة.

وقيل: مكة البلد ، وبكة موضع المسجد سميت بكة ؛ لأنها تدق أعناق الجبابرة ، من قصدها من جبار قصمه الله .

﴿ مُبَارَكًا ﴾ يجوز أن يكون مباركا فيه ؛ كقوله : ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء] عنه، ويجوز ألا يحتاج إلى إضمار جار ومجرور ويقال : باركك الله . ومنه ﴿ شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [النور: ٣٥] . وقوله: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[النمل:٨] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ ولم يذكر إلا مقام إبراهيم ، وأمن من دخله، فقيل: في مقام إبراهيم آيات: إحداها : بقاؤه من العهد القديم ما يقارب ألفي سنة ، ومنها : بقاء أثر رِجْل إبراهيم في الحجر، ومنها: تأثير رِجْل الآدمي في الحجر الصلب . وقيل: إذا دلت القرينة على الثالث ، جاز حذفه لفظا ؛ كقول الشاعر [ من البسيط ] :

كانتْ حنيفةُ أثلاثا فثلثُهُمُ    منَ العبيدِ وثلثٌ منْ مَواليها[1]

فيعرف أن الثالث من كان حرّ الأصل .

قوله: ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ ﴾ بدل البعض من الكل، والضمير المصحح محذوف ، والتقدير: من استطاع منهم ؛ كقولك: السمن منوان بدرهم ، أي : منه . ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تبغون لها عوجا ﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ على استقامتها .

---

(١) البيت لجرير ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ١٧٠) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٨٨) .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

«مر شاس بن قيس اليهودي على ملإٍ فيه المهاجرون والأنصار ، فساءه تآلف قلوبهم واجتماعهم بعد قتالهم بالسيوف في يوم بعاث[1]، فجلس إليهم، وأنشد ما تقاولت به الأنصار في حروبهم، وما افتخرت به الأوس على الخزرج ، والخزرج على الأوس، فغضب الفريقان ، وأخذتهم الحمية ، وقام بعضهم إلى بعض ، وقال : السلاح السلاح، فسمع النبي ﷺ ، فجاء إليهم ، فوعظهم ، وذكرهم وقال : «أتدعون بدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم» فأصلح بينهم ، فقاموا فتعانقوا وتباكوا ، وعلموا أن تلك نزعة من الشيطان ، ونزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا ﴾ الآيتين»[2] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ

---

(١) **يوم بعاث** : يوم معروف من أيام الأوس والخزرج ، اقتتلتا فيه ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج وقد تفاخر الأوس والخزرج ذات يوم بهذا اليوم وكادوا يقتتلون فخرج عليهم الرسول ﷺ مع نفر من أصحابه وقال لهم : يا معشر المسلمين الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بين قلوبكم.
**ينظر** : تفسير الطبري ( ٤ / ٢٣ ) ، غريب الحديث لابن الجوزي ( ١ / ٧٨ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٦/٤) ، والواحدي في أسباب النزول (ص:١١٩ ، ١٢٠) رقم (٢٣٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٧/٢) لابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾

ولما نزلت ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ شقت على الصحابة ، وقالوا: أينا يطيق أن يتقي الله حق تقاته ، فنزلت ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦] فقيل: نسختها. وقيل: قيدت مطلقها. وقيل: تقوى الله حق تقاته المراد به: ما كان مستطاعا، أي : ودوموا على الإيمان، حتى إذا جاء الموت صادفكم مؤمنين ، وإلا فالموت لا ينهى عنه .

﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ قبل بعثة النبي ﴿ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ ببعثته .

﴿يَوْمَ﴾ ظرف لا يعمل فيه عذاب الذي هو المصدر ؛ لأن المصدر إنما عمل ؛ لشبهه بالفعل ، والفعل لا يوصف ، فإذا وصف المصدر، بعد عن شبه الفعل. بل العامل في الظرف هو العامل في المجرور المقدر في لهم والتقدير : استقر لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه .

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾أي : فيقال لهم: ﴿ أَكَفَرْتُمْ ﴾﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ خبر. ويجوز أن يكون معناه الأمر، أي: ارجعوا بأموركم كلها إليه؛ كقوله : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ ﴾ [البقرة:٢٣٣] ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿كُنْتُمْ﴾ أي: في الأزل عند الله ، أي: كنتم للناس خير أمة تقاتلونهم بالسيوف ، وتأتون بهم في السلاسل فيدخلون في

الإيمان[1] . ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ولا يستطيعون أن يقهروكم . وقوله : ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ مستقبل ليس معطوفا على ﴿يُوَلُّوكُمُ﴾ ؛ لأنه مرفوع بثبوت النون، ويقاتلوكم، ويولوكم مجزومان بالشرط والجزاء ، ويوضح ما ذكرته : أن تولية الأدبار إنما هو في القتال ، فلذلك جعل جزاء له . وأما كونهم لا ينصرون ، فهو أمر مستقر ليس معلقا على شرط .

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ أي : أحاطت بهم إحاطة الخيمة بمن فيها ، أينما قدر عليهم إلا بسبب وحبل من الناس بالأمان .

﴿وَبَآءُو﴾ احتملوا ، وكانوا كفوًا له. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ﴾ أي : لن تدفع عنهم من عذاب الله شيئا . ﴿مَثَلُ﴾ مهلك ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح فيها صر ، أي : باردة . وقيل: لها صوت .

﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾من غير أهل ملتكم يطلعونهم على عورات المسلمين ، لا يقصرون في إفساد ما بينكم ﴿وَدُّواْ مَا﴾ يشق عليكم ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ﴾ يريد به الرخاء والأمن والسعة ، وليس المراد : الطاعة ؛ إذ لا يقال لمن صلى : أصابته حسنة .

﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي : قحط وخوف وفاقة ؛ إذ لا يقال لمن عصى : أصابته سيئة .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨) هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١١٩) إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠) وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ (١٢٤) بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم

(١) روى البخاري ( ٤١٩١ ) عن أبي هريرة ﷺ : « ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام » .

مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ إلى أُحُد ﴿مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ مواضع يحلون فيها قائمين وقاعدين. ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ﴾ بنو سلمة وبنو الحارث . قال جابر بن عبد الله : فينا نزلت معشر الأنصار، وما أود أنها لم تنزل؛ لقوله في آخرها: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[1].

﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العَدَد والعُدَد، ولم يكن معهم في يوم بدر إلا فرسان. قيل: فلم يصبروا، وفارقوا المركز الذي وضعهم رسول الله ﷺ فيه، فانهزموا . وقيل : أمدهم بالملائكة، ولكنهم لم يقاتلوا إلا في وقعة بدر .

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ وما جعل الإمداد بالملائكة ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ وإلا فملَك واحد وهو جبريل عليه السلام حمل مدائن قوم على جناحه وقلبها بهم ، وصاح بقوم ثمود صيحة واحدة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

**كبته** : إذا غاظه أشد الغيظ . «وكان رسول الله ﷺ يقنت في الصلاة ويقول : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنيِّ يوسف»[2] فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فكان كذلك ؛ هدى الله منهم قوما للإسلام .

قوله : ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ : مع أنه يحرم الربا وإن كان أقل من ذلك ؛ لأنه أراد أن يحكي قبيح ما صنعوا ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا﴾ [النساء: ٦] ويحرم أكل

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٥٥٨) ، ومسلم رقم (٢٥٠٥) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري رقم (١٠٠٦، ٤٥٦٠) ، ومسلم رقم (٢٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

مال اليتيم سواء أسرف وبذّر أو لم يكن ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ إلى أفعال أو أقوال تكون سببا للمغفرة والرضوان. ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: مثل عرضها لو انضمت كل واحدة إلى بواقيها ﴿أُعِدَّتْ﴾ هيئت وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة الآن، خلافا للمعتزلة[١].

﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ نعت مجرور، ويجوز فيه النصب بإضمار أعني، والرفع على الابتداء والخبر، أي هم الذين. يقال: كظم القربة: إذا ملأها وسد فاها، والكظام: الخيط الذي يشد به فم القربة، والغيظ يحمل الإنسان على أقوال وأفعال لا تليق، فشبه مانع نفسه منها بمن كظم القربة أي: منعها من التبدد ﴿إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ أي:كبيرة ﴿أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالصغائر. والإصرار: الربط والتصميم على ملازمة أمر، ومنه: الصرة لما تجمع من الدراهم وتربط شبه المصر على المعصية بالرابط على الشيء، المانع من تبدده.

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: مضت من قبلكم عادة الله في إهلاك المكذبين وأنه إذا حل بهم العقاب لم تفد التوبة ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ٨٥].

﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ﴾ آثار المهلكين وكانت قريش ومن معهم يجلبون الميرة[٢] في

---

(١) تقدم الحديث عن هذه المسألة في أول سورة البقرة عند قوله – تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

(٢) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. وقيل: هي جلب الطعام. وقيل: جلب الطعام للبيع وهم يمتارون =

رحلة الشتاء والصيف ؛ فإن مكة واد غير ذي زرع ، فيذهبون في الصيف إلى الشام ؛ لأنها بلاد باردة ، فيمرون على بلاد ثمود ، وإلى مواضع بلاد قوم لوط التي قلبت بهم . ويسافرون في الشتاء إلى بلاد اليمن ؛ لأنها بلاد حارة فيمرون على بلاد عاد بالأحقاف.

والمراد بالهداية ها هنا : حصولها في القلب بخلاف قوله : ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[فصلت: ١٧] فالمراد فيها البيان . وها هنا جعل البيان عامًّا والهدى خاصًّا . والوهن: الضعف . القَرح بالفتح المصدر . والقُرح : الموضع المجروح ، أو نفس الجراحة ، وكان قد قتل من المسلمين بأحد سبعون ، وقتل المسلمون من الكفار ببدر سبعين ، وأسروا سبعين ، فلذلك قال : ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال ها هنا: ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أراد المماثلة في ألم القلب ، لا في العدد ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾ذنوب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ أي : مع أنه يعلم ؛ كقوله : ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ [الشورى: ٣٤-٣٥] ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ والشهادة .

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

---

= لأنفسهم ويميرون غيرهم . ينظر: لسان العرب (مير).

لما انهزم المسلمون في نوبة أحد صرخ صارخ : إن محمدا قد قتل فضعفت قلوب أقوام وانهزموا فعاتبهم الله بقوله : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ فيحتمل أن يراد به الحقيقة ، أي: وليتم مدبرين ، ويجوز أن يراد : رجعتم عما أنتم عليه من التصميم على الحق .

وقد روي أن ناسا من ضعفاء المؤمنين قالوا: وددنا لو وجدنا من يأخذ لنا أماناً من عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول[١] ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. أي : بقضائه وقدره .( وكائن ) على وزن فاعل ، وكأيِّن[٢] ، وهما لغتان معناهما : وكم . قرئ « قاتل معه» ، وقرئ «قُتِلَ معه»[٣] .

﴿رِبِّيُّونَ﴾ أي : علماء . فقيل : معناه : وكأين من نبي قتل ، وكان معه جماعة فثبتوا على دينهم بعد قتل نبيهم ، فهلا فعلتم مثل ما فعلوا ، فالمفعول الذي لم يسم فاعله مضمر في قُتل. وقيل : المفعول الذي لم يسم فاعله «ربيون» . قالوا : وما سمعنا بنبي قُتل في حرب. وقوله : ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ فما ضعفوا . ظاهره يدل على إخلاف الوهن والضعف أي : لم يشغلهم ذلك عن طلب المغفرة فبدؤوا بطلبها ، ثم سألوا تثبيت الأقدام في اللقاء، والنصرة على الكفار ، مع أن مثل الشدة (٢٧/ ب) تنسي الإنسان ما سواها ووصف ثواب الآخرة بالحسن ، دون ثواب الدنيا ؛ لأن ثواب الآخرة أكمل وأحسن وأجمل .

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ

(١) هو عبد الله بن أبي مالك بن الحارث من بني عوف بن الخزرج ، وسلول جدته نسب إليها ، وهو رئيس المنافقين . توفي سنة ٩هـ ، وابنه عبد الله من فضلاء الصحابة شهد بدرا ، وكان قد همَّ بقتل أبيه فمنعه الرسول ﷺ . **تنظر** ترجمته في : السيرة النبوية لابن هشام ( ١ / ٥٢٦ ) ، جمهرة الأنساب (ص:٣٥٤) .

(٢) قرأ ابن كثير «وكائن» وقرأ الباقون «وكأين» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٧٢ ) ، حجة القراءات لابن زنجلة ( ١ / ١٧٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٢٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢١٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٤٢٤ ) .

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب «قُتِلَ» ، وقرأ باقي العشرة «قاتل» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٧٢ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ١٧٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢١٧ ) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٢٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٤٢ ) .

ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ۞

﴿ تَحُسُّونَهُم ﴾ تقتلونهم وكان في جبل أحد فرضة[1]، فجعل النبي ﷺ فيها خمسين من الرماة ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير[2]، وقال لهم : «كونوا من ورائنا»، وقال لهم: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تزايلوا مركزكم واثبتوا ، وكذلك «إن رأيتمونا قد هزمناهم وتقدمنا فلا تزايلوا المركز». وشرع المسلمون في القتال ، فانهزم الكفار أولا وكان خالد بن الوليد إذ ذاك كافرا ، فأخذ جماعة من خيل المشركين ، وجاء من وراء جبل أحد ، فدخل من الفرضة وكان بعض الرماة قد زايل المركز ؛ طالبا للغنيمة ، فنهاهم مقدمهم عبد الله بن جبير، وقال : أنسيتم وصية رسول الله ﷺ ، فلم تطيعوه ، ولم يبق معه إلا القليل ، فلما جاء خالد لم يجد من الرماة إلا قليلا ، فقتل عبد الله بن جبير وناسا من أصحابه ، وخرج فجاء إلى المسلمين من ورائهم ، فعادت الهزيمة على المسلمين[3]. وقوله : ﴿ وَعَصَيْتُم ﴾أي : في مزايلة المركز . ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ من هزيمة الكفار ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ﴾

---

(١) **فُرضة الجبل** : ما انحدر من وسطه وجانبه ، **والفرضة من النهر** : مشرب الماء ، **ومن البحر** : محط السفن، والجمع فرض وفراض . **ينظر** : لسان العرب ( فرض ) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٣/ ٤٣٣)، لسان العرب ( فرض ) .

(٢) هو عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري أخو خوات بن جبير ، شهد العقبة وبدرًا ، واستشهد بأحد وكان أمير الرماة يومئذ وهم خمسون رجلا وثبت حين ذهبت الرماة ليأخذوا من الغنيمة فاستشهد يومئذ ومُثّل به قتله عكرمة بن أبي جهل. **تنظر** ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ٤ / ٣٥ ) ، سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢ / ٣٣١ ) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٢٨١٢ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٢٨٨ ) .

وجعل الهزيمة عليكم .

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ ذاهبين هاربين من الكفار ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ يا عباد الله إليَّ ، فجازاكم ﴿غَمًّا﴾ في صدوركم بما حصل من الهزيمة ، وبسماع الصريخ بموت النبي ﷺ ﴿بِغَمٍّ﴾ حصل من جهتكم لرسول الله ﷺ بهزيمتكم .

﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من الجراحات. الوقف على قوله : ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ [1] وقوله : ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ مستأنف مرفوع ، ولو كان معطوفا لانتصب . قال بعض الصحابة : «لقد سقط سيفي من يدي ثلاث مرات من النعاس [2]».

«وكان النبي ﷺ قد استشار الصحابة لما سمع بمجيء المشركين ، فأشار قوم ممن فاتته وقعة بدر : اخرج بنا يا رسول الله إلى هؤلاء الأكلب . وقالت طائفة كبيرة : اثبت بنا يا رسول الله في منازلنا ، فوالله ما خرجنا منها لعدو إلا انهزمنا ، ولا دخل علينا عدو المدينة إلا هزمناه . فلم يزالوا بالنبي ﷺ حتى دخل، فلبس لأمة [3] حربه، فلما خرج قالوا : يا رسول الله افعل ما بدا لك ، فإن شئت فاثبت في المدينة ، فقال : ما كان لنبي أن ينزع لأمته إذا لبسها حتى يلقى العدو [4]». فلما انهزم المسلمون قال الفريق الذين أشاروا بالقعود: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾، ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ .

---

(١) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ٩٠ ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٣٨٤١ ) عن أنس عن أبي طلحة - رضي الله عنهما - قال : « كنت فيمن تغشاه النعاس يوم أحد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط وآخذه ويسقط فآخذه » .

(٣) **اللأمة** : الدرع . **وقيل** : السلاح ، **ولأمة الحرب** : أداته وقد يترك الهمز تخفيفا . **وقيل** : هي أداة الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع .

**ينظر** : لسان العرب ( لأم ) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ( ٤/ ٢٢٠ ) .

(٤) رواه البخاري تعليقا (١٥/ ٢٨٣) في كتاب الاعتصام:باب قوله- تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨] ، وقوله - تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩] قال الحافظ في الفتح : وصله الطبراني والحاكم وصححه عن ابن عباس وأخرجه أحمد مرفوعا (٣/ ٣٥١)، من حديث جابر ﷺ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ بنو سلمة، وبنو الحارث، وقد مر ذكرهم[1].

﴿ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾ أي: قالوا عنهم بعد موتهم؛ كقوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١] ولم يقل: ما سبقتمونا. أي: قالوا لأجلهم وبسببهم.

ولو كان القول مع إخوانهم لقال: لو أطعتمونا لما قتلتم ﴿ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ تحصل من الشهادة خير مما تجمعون من الأموال. «ما» في ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ زائدة، وقد تخطاها العامل ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾. قال الحسن: «كان رسول الله عن مشاورتهم غنيًا، وإنما أراد به أن يستن به الحكام بعده»[2]، ولأن من استشرته فقد استملت قلبه، واجتلبت حبه.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ

---

(١) عند الآية (١٢٢) من سورة آل عمران.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور (٢/٣٥٨) ونسبه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن الحسن قال: قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده.

قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾

قيل : فقدت قطيفة حمراء من المغنم ، فقال قائلون : لعلَّ رسول الله يكون قد أخذها من صفي المغنم فنزلت ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾[1] والغلول: الأخذ من الغنيمة قبل القسمة. وقرئ « أن يُغَلَّ »[2] مبني لما لم يسم فاعله ، أي : ينسب إلى الغلول .

﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حاملا له على رقبته. ﴿ هُمْ ﴾ ذوو ﴿دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾.

﴿ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعلمون صدقه وأمانته وطهارة نشأته . ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾ بمزايلة المركز ﴿فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي : بقضائه . ﴿ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ﴾ عن أنفسكم ﴿ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ ﴾ مكان قتال ﴿ لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ وهذا قول عبد الله بن أبي وأصحابه ، ومن كان رأيهم المقامُ في المدينة ﴿ فَادْرَءُوا ﴾ فادفعوا .

﴿ بَلْ﴾ هم ﴿ أَحْيَاءٌ﴾ ﴿ مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ من ذريتهم وجميع مخلفيهم ، فإن الله يخلفهم أحسن الخلافة . ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ ﴾ أي : وبأن الله . ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بذلك أيضا .

لما انهزم المسلمون في وقعة أحد وذهب الكفار راجعين ، فتشاوروا فقالوا : ماذا صنعتم؟ قتلنا أصحاب محمد ، حتى إذا لم يبق منهم إلا الشريد تركناهم ، ارجعوا بنا حتى نستأصلهم ( ٢٨/ ب ) فأمر النبي ﷺ أصحابه أن يخرجوا لطلب الكفار فخرجوا وبهم الجراحات ،

---

(١) رواه أبو داود رقم ( ٣٩٧١ ) ، والترمذي في الجامع الصحيح رقم ( ٣٠٠٩ ) وحسنه .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم « أن يَغُلَّ » ، وقرأ باقي العشرة «يُغَلَّ». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ١٠١ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص: ١١٥، ١١٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ١٧٩، ١٨٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٢٤٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢١٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٢٢٧ ) النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٤٣ ) .

منهم من يتوكأ على صاحبه ، وقال ﷺ: «لا يخرجن معنا إلا من كان شهد الوقعة» ، وخرج المسلمون سالمين ، وجاء نعيم بن مسعود[١] وكان إذ ذاك كافرا ، لكنه كان محبًّا للنبي ﷺ ، فقال : يا محمد ، عز علينا ما جرى على أصحابك ، إني ذاهب إلى أبي سفيان بن حرب أخذله عنكم[٢]، فقال له: افعل. فلحق بأبي سفيان وهو يريد الرجوع إلى المدينة، فقال له: ليس هذا برأي ، قد قاتلتموهم وانتصرتم عليهم ، ألا ترجعوا ؛ لئلا تكون الكرة عليكم، فيذهب ما انتشر لكم في البلاد من السمعة، ولقد رأيت محمدا وأصحابه قد جمعوا خيلا ورجلا كثيراً وهم يتحرقون عليكم تحرقا، حتى قلت أبياتاً منها:

كادتْ تهدُّ من الأصواتِ راحلتي  إذا سالتِ الأرضُ بالجُردِ الأبابيلِ

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَـٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾

---

(١) هو نعيم بن مسعود بن عامر ، أسلم أيام الخندق ، وموقفه في تخذيل المشركين وبني قريظة يوم الأحزاب مشهور مشهود له ، سكن المدينة وتوفي في خلافة عثمان ﷺ.

**تنظر** ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ٣ / ٥٦٨ ) .

(٢) **أخذله عنكم** : يقال : خذل فلانا وخذل عنه : تخلى عن عونه ونصرته، وخذله : حمله على الفشل وترك القتال، وخذل عنه أصحابه حملهم على خذله . **ينظر** : لسان العرب ( خذل ) .

فانثنى رأي أبي سفيان عن العود للقتال ، فرجع النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة سالمين ، فأنزل الله : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ ﴾ (١) من ها هنا لبيان الجنس ، فإن كل من استجاب لله وللرسول فقد أحسن ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ ﴾ يعني أبا سفيان . ﴿ حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾ كافينا الله ﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ﴾ طاعة الرسول بالخروج .

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ يخوفكم أولياءه ؛ لأنه إنما يخوف المؤمنين .

وقوله : ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تهييج للعزيمة ، وبعث للهمة . ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ إملاءنا لهم خيرا لهم . والإملاء : الإمهال .﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ فتبين طاعة المطيع وعصيان العاصي . ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ فيطلعه على ما يشاء من غيوبه .

﴿ هُوَ خَيْرًا ﴾ «هو» فصل أو عماد ، وفي الحديث الصحيح : «ما من صاحب مال لا يؤدي زكاته إلا مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع يأخذ بلهزمتيه ، يعني: شدقيه ، ويقول : أنا مالك ، أنا كنزك ، حتى يقضى بين الناس ثم تلا : ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٢٩/أ) الآية» (٢).

لما نزل ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ قالت اليهود : أفقير ربك يا محمد حتى يطلب منا القرض ، فنزلت هذه الآية . وهذا جهل من اليهود ، أو تجاهل ؛ لأن الله - تعالى- إنما شبه ما يعطى في سبيل الله بالقرض ؛ لأنه يعطيه ليأخذ بدله وما يلزم من تشبه الشيء بالشيء من وجه أن يشبهه من كل الوجوه . لما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي قيل : ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠] ولو كان الفعل مكتسبًا بغير اليد .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٠٧٧) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (١٤٠٣، ٤٥٦٥، ٤٦٥٩) ، ومسلم رقم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ .

كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

وقال : ﴿لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ وهو كقولك : أغلقت الأبواب ، وغلقت الأبواب ، كان القربان في عهد موسى يجعل في مكان منفرد ، فتنزل نار من السماء تأكله إذا كان حلالا .

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ شيء يستمتع به مدة ثم يزول فيغيّر صاحبه به. ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي : من الأمور التي تحتاج إلى عزم قوي ، ومجاهدة للنفس . وجواب الشرط محذوف ؛ لأن كونه من عزم الأمور ليس معلقا على شرط .

﴿ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ نسبه إليهم ؛ لأنه مأخوذ عليهم ؛ كقوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ كسوه بالذهب ، وغشوه بالحرير ، وطيبوه بالمسك ، ولم يعملوا به فنبذوه وراء ظهورهم ، ولو عملوا به لم يكونوا نابذين له وراء ظهورهم .

وقيل لابن عباس : لئن كان كل من فرح بما أوتي معذبا فقد هلكنا ! فقال : هذه الآية نزلت في اليهود ؛ لأن قبلها : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، وبعدها ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ ﴾ وذلك أن النبي ﷺ سأل اليهود عن شيء فأخبروه بخلاف الحق ، وأروه أنهم قد نصحوه واستحمدوا له فيما نقلوا ، فنزلت هذه الآية

﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾[(١)].

﴿بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾ موضع الخبر الثاني لقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تكرير للعامل لبعد العهد به ؛ كقوله : ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المؤمنون] .

﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ قيل: في الصلاة . وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين[(٢)] : «صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب»[(٣)].

أي : قائلين : ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ أي : لا يكون لأعمال العباد ثواب ولا عقاب .

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ١٢٩)، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٣٧)، رقم (٢٧٥)، وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٠٥) نسبته لابن أبي حاتم وابن المنذر،عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد بن خلف ، أسلم قديما هو وأبوه وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات ولم يزل في بلاد قومه وينزل إلى المدينة كثيرا إلى أن قبض رسول الله ﷺ فتحول إلى البصرة فنزلها وولي قضاءها إلى أن مات بها . ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر( ٤ / ٧٠٥ ) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (١١١٧) ، وأحمد في المسند ( ٤ / ٤٢٦ ) ، وأبو داود رقم ( ٩٥٢ ) ، والترمذي رقم ( ٣٧٢ ) من حديث عمران بن حصين .

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ مخلداً ﴿ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ . وقوله : ﴿ يُنَادِى ﴾ أي : يرفع صوته يدعو الناس إلى الإيمان . ﴿مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ أي: في زمرتهم . ﴿ مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل : على تصديق رسلك . وقيل : على ألسنتهم . روي أن أم سلمة [1] قالت : «يا رسول الله لو كان في النساء خيرا لأنزل فيهم قرآناً ، فنزلت ﴿ لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ونزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] [2] ».

﴿تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ ﴾كالتجارة ، وكثرة أموالهم ، فذلك ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ جهنم . النزل : دار الضيافة التي تهيأ للوافد قبل وصوله .

﴿ٱصْبِرُواْ﴾ عند الشدائد ﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ عند اللقاء ﴿وَرَابِطُواْ﴾ قيل : المراد : ورابطوا الثغور. وقيل : هو من رباط الخيل ، أي : سابقوا إلى مرابطتها كل سابق .

* * *

(١) هي السيدة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية أم المؤمنين ، تزوجها أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال ، وأسلما وهاجرا الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة فمات زوجها ، فتزوجها ﷺ سنة أربع من الهجرة . وتوفيت سنة ستين هجرية .
**تنظر** ترجمتها في : الإصابة لابن حجر ( ٤ / ٤٥٩ ، ٤٦٠ ) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٥ ) والحديث رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم ( ٣٠٢٣ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٣٠٠ ) ، وابن جرير في تفسيره (٤ / ١٤٣ ) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٤٣) رقم ( ٢٨٥ ) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١٩٧ ) ، لسعيد بن منصور وابن المنذر وعبد الرزاق وابن أبي حاتم ، من حديث أم سلمة وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٢٠ ) .

## سورة النساء [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا (١)﴾ .

قوله : ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ معطوف على فعل محذوف ، التقدير : خلقكم من نفسٍ واحدة أنشأها ﴿ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ ، فحذف المعطوف عليه أولا ؛ لدلالة الكلام عليه ، ثم فسر كيفية خلق الكل من نفس واحدة ، بأنه خلق منها زوجها ﴿ وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾ وقيل: قوله : ﴿وَخَلَقَ﴾ معطوف على قوله ﴿ خَلَقَكُم ﴾ والتقدير: الذي خلقكم من نفس واحدة، والذي خلق منها زوجها ، والذي بثَّ منهما رجالا كثيرا ونساء فيكون الخطاب على الأول لبني آدم كلهم ، وعلى الثاني لقريش . قرئ « والأرحامِ »[1] بالخفض عطفا على الهاء في «به» وهو عطف المجرور الظاهر على المجرور المضمر ، والأكثر أن يكون بإعادة الجار، وخلافه جائز ؛ كقوله [ من البسيط ] :

.................... ...... فما بِكَ والأيامِ منْ عجبِ [2]

وقول الآخر [ من الوافر ] :

أكـرُّ علـى الكتيبـةِ لا أُبالـي أَحَتْفـى كـانَ فيهـا أمْ سِواهـا [3]

---

(١) قرأ حمزة بن حبيب من العشرة «والأرحامِ» ، وقرأ باقي العشرة «والأرحامَ». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ١٥٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص: ١١٨، ١١٩ ) ، حجة أبي زرعة (ص: ١٨٨)، السبعة لابن مجاهد ( ص: ٢٢٦ ) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٢٤١ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٧) .

(٢) هذا عجز بيت وصدره : فاليوم قد بتَّ تهجونا وتشتمنا فاذهب ..........

**ينظر** بلا نسبة في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٤٦٤)، خزانة الأدب للبغدادي (٥/ ٢٣)، شرح الأشموني للألفية (٢/ ٤٣٠)، شرح أبيات سيبويه (٢/ ٢٠٧)، شرح المفصل لابن يعيش (٣ / ٧٨،٧٩) ، الكتاب لسيبويه ( ٢ / ٣٩٢ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ١ / ٣٨٢ ) .

(٣) البيت للعباس بن مرداس ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٤٨ ) ، خزانة الأدب للبغدادي (٢/ ٤٣٨)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٥٣٠ ) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص ١٥٨)، وبلا نسبة في الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٢٩٦)، خزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٤٣٨) .

ويروى الشطر الثاني : ...................... أفيها كان حتفي أم سواها

﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾.

لا يجوز إعطاء اليتيم ماله قبل البلوغ ، وبعد البلوغ لا يسمون أيتاما حقيقة .

وقوله : ﴿وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾ سماهم يتامى ، مجازا باسم ما كانوا عليه ، وفيه تلويح بسرعة (٣٠/ أ) الإعطاء عقب البلوغ والرشد ؛ لأنه أقرب إلى إطلاق هذا المجاز، فلا يقال لابن خمسين عاما : إنه يتيم . ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ فإن علمتم . ويحرم أكل مال اليتيم ﴿إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ﴾ وبغير إسراف ولا بدار ، وإنما خصص الأول بالنهي ؛ لأنه أقبح ؛ كقوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا﴾ [آل عمران: ١٣٠] ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ كان ولي اليتيم يأخذ شاة سمينة من غنم مولاه ويعطي مكانها مهزولة ؛ ليبقى العدد بحاله ، فنهوا عن ذلك ، أي : ولا تأكلوا أموالهم مضمومة إلى أموالكم .

والحوب : الإثم . كانوا يتحرجون من أكل مال اليتيم ، ويتزوجون نسوة ولا يعدلون فيهن فقيل لهم : وإن خفتم التحرز في أموال اليتامى فاعدلوا أيضا في أمر الزوجات .

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ بالواو ، ولو قال : أو ثلاث أو رباع لفسد المعنى ؛ كما إذا أعطى رجل رجلا ألفا ، وقال : فرقها ثلاثة ثلاثة , أو أربعة أربعة ، أو خمسة خمسة ، لم يجز أن يخالف بينهم في العطاء ، فيعطي هذا أربعة وهذا خمسة . ولو قال : فرقها ثلاثة ثلاثة ، وأربعة أربعة، وخمسة خمسة ، جاز أن يعطي هذا ثلاثة وهذا أربعة وهذا خمسة . ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ أي: فانكحوا واحدة ، أو ما شئتم من السراري ؛ فإن السراري لا حجر على مالكهن فيهن في قسم ولا مبيت . ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ أي : أن لا تجوروا . وهذا قول الأكثرين .

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾﴾

قال الشافعي – رحمه الله : أي : لا يكثر من تعولون [١]، واحتج به الشافعي على وجوب نفقة الزوجات ، وأنكر جماعة من أهل اللغة ذلك ، فقالوا : يقال في الجور : عال يعول ، وهو المراد ها هنا ؛ كقوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ وانتصر الزمخشري للشافعي ، مع أنه حنفي ، وقال: روي ذلك عن أهل اللغة أنه يقال: من كثر عياله عال يعول ، وأعال يعيل [٢].

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ أي : طابت أنفسهن . وقال بعض العلماء : لا يجوز

---

(١) **ينظر** : أحكام القرآن للشافعي ( ١/ ٢٦١ ) .

(٢) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (١/ ٤٩٧، ٤٩٨ ) أورد هذا القول جماعة كأبي بكر بن داود الرازي ، والزجاج وغيرهما ؛ قال الرازي : «هذا غلط من جهة المعنى واللفظ ؛ أما الأول: فلإباحة السراري ، وإنه مظنة كثرة العيال كالتزوج . وأما اللفظ : فلأن مادة «عال» بمعنى : كثر عياله ، من ذوات الياء ؛ لأنه من « العيلة » ، وأما «عال» بمعنى : جار ، فمِنْ ذوات الواو ، فاختلفت المادتان ، وأيضاً فقد خالف المفسرين».

وقد رُدَّ على هؤلاء: أما قولهم : التسري أيضاً يكثر معه العيال ، مع أنه مباح ، فممنوع ؛ وذلك لأن الأَمَةَ ليست كالمنكوحة ، ولهذا يعزل عنها بغير إذنها ، ويؤجرها ، ويأخذ أجرتها ينفقها عليه وعليها وعلى أولادها . قال الزمخشري في «الكشاف» : وجهه أن يُجْعَل من قولك : عال الرجل عياله يعولهم؛ كقولك : مانهم يمونهم ، أي : أنفق عليهم ؛ لأن من كثر عياله ، لزمه أن يعولهم ، وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب ، وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين ( يعني: الشافعي رحمه الله ) حقيق بالحمل على الصحة والسداد ، وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا ، ثم أثنى على الشافعي قائلاً : بأنه كان أعلى كعباً ، وأطول باعاً في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ، ولكن للعلماء طرقاً وأساليب ، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات . وأما قولهم : خالف المفسرين ، فليس بصحيح ، بل قاله زيد بن أسلم وابن زيد. وأما قولهم: اختلفت المادتان ، فليس بصحيح أيضاً ، فقد حكي عن العرب: عال الرجل يعول: كثر عياله. وتعولوا : تفتقروا ، وكثرة العيال سبب للفقر . وقال ابن كثير : والصحيح قول الجمهور : ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ أي : لا تجوروا ، يقال : عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار .

**وينظر** في ذلك : تفسير ابن كثير ( ١ /٥٩٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٣٠٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٤٩٧ ، ٤٩٨ ) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٢ / ١١ ) ، مفاتيح الغيب للفخر الرازي ( ٩ / ١٤٤- ١٤٦ ) وقد رد السمين الحلبي في الدر المصون على قول أبي بكر الرازي ، ونصر تفسير الشافعي ـ رحمه الله ـ ووجَّهَهُ .

للمرأة أن تفتدي بجميع صداقها ، بل ببعضه ؛ لقوله : ﴿عَن شَيْءٍ مِّنْهُ﴾ [(١)].

﴿ هَنِيٓـًٔا﴾ غير منغص ، ﴿ مَّرِيٓـًٔا﴾ يحسن استمراؤه . ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ يعني : النساء والصبيان . وقوله : ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أي : اتجروا لهم فيها ؛ لئلا تأكلها النفقة .

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١) ﴾

وقال في المحتضر: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ لأن القصد (٣٠/ب) بهذا الأمر أن يواسى القريب المحجوب بشيء من المال الحاضر الذي امتدت عينه إليه ، وليس المراد أن يتجر في المال حتى يعطى من الفائدة .

وإذا حضر أحد عند من حضرته الوفاة ، ورآه يوصي ويجحف بالورثة ، فعلى الوارث أن ينهاه ، ويقدر في نفسه أنه هو المحتضر وإن رأى شخصا يغري الموصي بالإجحاف بالورثة، فعليه أن ينهاه وليدله علي الصواب بلطف .

﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ أي : سبب عذاب نار . والصلي : الدخول في النار ، ثم الإطباق عليها كما يفعل في تنور الشواء ، ومنه : شاة مصلية .

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾ يريد بالأنثيين : ما إذا كن في مسألتين ، وكانوا إخوة لأب وأم أو لأب ، فأما الإخوة لأم ، فذكرهم وأنثاهم سواء ، وأما إذا اجتمعت أختان من أب ، فلهما الثلثان وليس للأخ الواحد إذا انفرد الثلثان ، بل له المال كله ، وكذلك الأولاد.

﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ ﴾ قيل : «فوق» زائدة ؛ كقوله : ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [الأنفال: ١٢] وقيل : هذه الآية دلت على فرض البنت الواحدة ، وفرض ما زاد عن

---

(١) نقله الزمخشري في الكشاف ( ١ / ٤٧١ ) عن الليث بن سعد : أنه لا يجوز أن تتبرع المرأة إلا باليسير .

البنتين، وأما البنتان فاستحقاقهما الثلثين مأخوذ من الخبر والمعنى ؛ أما الخبر فروي : «أن زوجة سعد جاءت ومعها ابنتان ، وقالت : يا رسول الله هاتان ابنتا سعد ، وقد توفي وأخذ عمهما مالهما، والله لا ينكحان إلا بمال، فأعطى الرسول ﷺ البنتين الثلثين وللزوجة الثمن، وللعم الباقي[(١)]».

وأما المعنى : فإن الله – تعالى- فرض للأختين الثلثين بقوله : ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ [النساء: ١٧٦] فإذا فصل ذلك في الأختين ، فالبنتان أولى بذلك ؛ لأن الأخوات مع البنات عصبة ، لا تأخذ الأخوات إلا ما فضل عن فرض البنات .

قوله : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ ولو قال :لأبويه السدس. لظن أنهما يشتركان في السدس . ولو قال : ولأبويه الثلث لما عرف كيف يقسم؛ بالسوية بينهما ، أم للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾ والأخوان والأختان (٣١/أ) والأخ والأخت ، كل فريق منهم يحجب الأم من الثلث إلى السدس .

وقال ابن عباس : لا يحجبها إلا ثلاثة فصاعدا ثلاثة إخوة ، أو ثلاث أخوات ، أو أخوان وأخت، أو أخ وأختان ؛ لقوله – تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾ والإخوة جمع وأقل الجمع ثلاثة [(٢)] . وقال الحسن البصري : لا يحجب الأم من الثلث إلى السدس إلا ذكور الإخوة أو ذكورهم مجتمعين مع الإناث ، وأما الأخوات الخلص فلا يحجبونها إلى السدس ؛ لقوله – تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ ﴾ لأن الإخوة تشمل الذكور المنفردين ، وتشمل الذكور المجتمعين مع الإناث ، ولا يدخل فيه الإناث الخلص[(٣)].

﴿ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾ فلا توصي لأحد من الورثة زيادة على ما أعطاه الله ؛ رجاء منك أنه ينفع أولادك ، وينفع من يخلفه بعدك من إلزامك ، فإنك لا تدري أيهم أقرب لك نفعا وأبعد ضررا. ﴿ فَرِيضَةً ﴾ مصدر التقدير : فرض الله ذلك فريضة .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٥٢)، وأبو داود رقم (٢٨٩١، ٢٨٩٢)، والترمذي رقم (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٣٤)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٤٩، ١٥٠)، رقم (٢٩٨).

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (٥/ ٦٢) ، والبيضاوي في تفسيره (١/ ١٥٣) ، وذكره ابن قدامة في المغني (٧/ ٢٨) من المسائل التي خالف ابن عباس فيها الصحابة ﷺ جميعا .

(٣) تنظر : المراجع السابقة .

للزوجتين والثلاث والأربع ما للواحدة من الربع أو الثمن ، ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ ﴾ أو امرأة ﴿ يُورَثُ كَلَٰلَةً ﴾ يعني يرثه من عدم عمود النسب من أعلاه وأسفله فلا كلالة له مع وجود الأب والجد والأم والجدة وإن علوا ، ولا إن وجد الابن أو البنت أو بنت الابن ، أو ابن الابن .

والكلالة التي في آخر السورة [1] وهم الإخوة من الأب والأم ، أو من الأم . والكلالة ها هنا من الأم خاصة ، فيأخذون ما لأمهم ، فإن زاد أولاد الأم على واحد حصلت لهم القوة بالكثرة ، فأعطيناهم نصيب الأم في أكمل أحوالها، وهو الثلث وإن كان واحدا أو واحدة من الإخوة للأم، أعطي أقل فروض الأم وهو السدس .

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾

﴿ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ يجوز أن يكون مصدرا : يوصيكم الله في أولادكم . أو مفعولاً به . ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ أي : لا يضار بوصية من الله ، ولا يزد عليها ، ولا ينقص فيها . قوله : ﴿ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ ﴾ بزيادة أو نقص ، ويعتقد جوازه ﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ﴾ .

---

(١) في الآية ( ١٧٦ ) قوله – تعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَـٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ ﴾

كانت عقوبة الزنى في أول الإسلام على النساء : الحبس حتى يتوفاهن الموت ، أو يجعل الله لهن سبيلا . وعلى الرجال : الإيذاء بما يراه الإمام (٣١/ب) حتى يتوبوا ، أو يصلحوا، فقال النبي ﷺ: خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا؛ البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم [١] .

وظاهر هذا الخبر أن يجمع المحصن بين الجلد والرجم ، وليس كذلك لأن النبي ﷺ رجم ماعزاً والغامدية ، ولم يجلدهما [٢]، فنسخ فعله ذلك الخبر .

قوله : ﴿ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ أي : بإقدام ، وليس يريد بالجهل : ضد العلم ، فإن الجاهل بالتحريم، لا حد عليه ، ولا إثم ، وإنما هو كقول الشاعر [ من الوافر ] :

ألا لا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ علينا فنجهلَ فَوْقَ جَهْلِ الجاهلينا [٣]

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٩٠) ، وأحمد (٥/ ٣١٣، ٣١٧) ، وأبو داود رقم ( ٤٤١٥)، والترمذي رقم (١٤٣٤) ، وابن ماجه رقم (٢٥٥٠) عن عبادة بن الصامت ﷺ .

(٢) أما رجم ماعز : فرواه البخاري في صحيحه رقم (٦٨٢٥)، ومسلم رقم (١٦٩١) ، وأحمد في المسند (٢/ ٤٥٣)، وأبو داود رقم ( ٤٤١٩)، والترمذي رقم (١٤٢٨). وأما رجم المرأة الغامدية : فرواه مسلم في صحيحه رقم (١٦٩٥) ، وأحمد في المسند (٤/ ٤٢٩، ٤٣٥)، وأبو داود رقم (٤٤٤٢) ، والترمذي رقم (١٤٣٥) .

(٣) البيت لعمرو بن كلثوم ، **ينظر في** : أمالي المرتضي (١/ ٥٧)، بهجة المجالس (٢/ ٦٢١)، جمهرة أشعار العرب (١/ ١٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٤٣٧)، ديوان عمرو بن كلثوم (ص:٧٨)، شرح شواهد المغني (١/ ١٠) ، شرح القصائد السبع ( ص : ٤٢٦) ، لسان العرب ( رشد ) .

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ أي : بالغرغرة . وفي الحديث : «إن الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر[(١)]». فإذا حضر أسباب الموت لم يقبل من الكافر إيمانه ولا من المؤمن توبته .

كان الرجل إذا تُوفيَ وله زوجة طرح ابنُه أو وارثُه على خبائها ثوبه أو مئزرا ، ويعتقد أنه ورثها كذلك كما يرث أموال مورثه ومنافعه ، فإذا أراد دخل عليها وأبقاها في عصمته بغير مهر ، وإن شاء زوَّجها لمن شاء وأخذ المهر ، فنزلت ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [(٢)] .

وقوله : ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ يجوز أن يكون مجزوما بالنهي، ومنصوباً بالعطف على أن ترثوا. ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ فله حينئذ أن يضيق عليها ويمنعها من الخروج ، لتفتدي إن شاءت .﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ ﴾ فلا تعجلوا بالطلاق . ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ .

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾

روي أن عمر قال على المنبر: يا أيها الناس لا تغالوا في مهور النساء ، فلو كان خيرا لسبقكم به رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لا أعلم أحدا زاد على مهورهن إلا علوته بالدرة ، فكانت مهورهن خمسمائة درهم ، فقامت امرأة وقالت : يعطينا الله ويمنعنا عمر ، فقال لها عمر : وأين أعطاك الله ؟ فقالت : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، كل الناس أفقه من عمر[(٣)] !

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٣٢، ١٥٣)، والترمذي رقم (٣٥٣٧)، وابن ماجه رقم (٤٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٧)، من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٨٠٢ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٤ / ٣٠٦ ) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ١٥١)، رقم (٣٠٠) .

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٢٣٣) وقال: هذا منقطع . وذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٣٧) ونسبه لسعيد بن منصور وأبي يعلى وقال السيوطي : بسند جيد . =

قيل في قوله : ﴿ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ هو قول الولي للزوج : أزوجك على ما (٣٢/أ) أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، ومن دأب الإنسان إذا تزوج ثيبًا أن يبغض زوجها الأول ، ويود أن ينتقصه كلما ذكر ، فلو جوز له أن يتزوج امرأة أبيه ، لأفضي إلى بغضه لأبيه ، وانتقاصه ومقته ، وكانوا يسمون الوالد من زوجة الأب : المقتي . ولذلك قال – تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا ﴾ وقوله : ﴿ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم ﴾ يعني بالنكاح : العقد .

وقال أبو حنيفة : المراد به الوطء ، فإذا زنى رجل بامرأة ، حرمت على ابنه عنده ، وعند الشافعي : الزنى لا يحرم الحلال [(١)].

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ

---

= وهو جزء من قصة المرأة التي اعترضت أمير المؤمنين عمر ﷺ عندما أراد أن يحدد قدرًا معينًا من المهور في الزواج ، وهو أمر شائع ومشهور بين الناس ، وقد قال العلامة الشيخ ناصر الألباني – رحمه الله – في إرواء الغليل ( ٦ / ٣٤٧ – ٣٤٨ ) : أما ما شاع على الألسنة من اعتراض المرأة على عمر فهو ضعيف منكر ، يرويه مجالد عن الشعبي عن عمر ، وله طريق عند عبد الرزاق في المصنف ( ٦ / ١٨٠ ) ، رقم (١٠٤٢٠ ) وقال الشيخ الألباني عن هذا الطريق : إسناده ضعيف .

(١) قال الشيخ رشيد رضا في تفسير المنار (٤ /٤٧٩) : يرى الأحناف أن من زنى بامرأة ، أو لمسها أو قبلها أو نظر إلى فرجها بشهوة حرم عليه أصولها وفروعها وتحرم هي على أصوله وفروعه ، وتثبت حرمة المصاهرة عندهم بالزنى ومقدماته ودواعيه ، ولو زنى الرجل بأم زوجته أو بنتها حرمت عليه حرمة مؤبدة . ويرى جمهور العلماء أن الزنى لا تثبت به حرمة المصاهرة . واستدل الجمهور على هذا بما يأتي : بقوله – تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ فهذا بيان عما يحل من النساء بعد بيان ما حرم منهن، ولم يذكر أن الزنى من أسباب التحريم. وقال النبي ﷺ : «لا يحرم الحرام الحلال ، إنما يحرم ما كان بنكاح» وقد سأله رجل زنى بامرأة وأراد أن يتزوجها أو يتزوج ابنتها . ثم إن هذه مسألة مما تمس إليها الحاجة وتعم بها البلوى وما كان الشارع ليسكت عنها أو يفصل فيها ، وقد كانوا قريبي عهد بجاهلية تفشى فيها الزنى ، فلو فهم أحد منهم أن لذلك مدركا في الشرع أو تدل عليه علة وحكمة لسألوا عن ذلك وتوفرت الدواعي على نقل ما يفتون به. **وينظر** في ذلك : المبسوط للسرخسي (٤/ ٤١)، مختصر المزني (١/ ١٨١) ، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٤٩٢ ).

مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ هذا عام لم يدخله تخصيص ، ويدخل فيه أمهات النسب وأمهات الرضاعة ، وإن علون . كذلك الكلام في بناتكم وكذلك الأخوات الأشقاء، ومن الأب أو الأم من النسب والرضاع ذكر من المحرمات سبعا .

ومن المصاهرة : أمهات نسائكم ، وربائبكم ، وحلائل أبنائكم ، وزوجة الأب ﴿ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ ﴾ ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ فذكر من المصاهرة خمسا وبقي من المحرمات اثنان بالرضاع ، وهما ﴿ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ فالجملة : أربعة عشر . ويشترط في تحريم بنت الزوجة الدخول بأمها ، ولا يشترط في تحريم أم الزوجة الدخول ببنتها وهو ظاهر في الكتاب العزيز.

ومن جهة المعنى : أن المرأة إذا عقد عليها ، فالعادة جارية بذهاب الأم إلى بيت الأصهار والاجتماع بهم في تقرير أمر الدخول ، والسكن وغير ذلك مما جرت العادة بالحديث فيه فاحتيج إلى كون الأم محرما عقب العقد على ابنتها .

ولم تجر العادة أنه إذا عقد على امرأة تذهب ابنتها إلى بيت الأصهار ؛ لتقرير مصالح الدخول ، فلم يحتج إلى مقدم المحرمية .

وقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾ يحترز به عن زوجة الابن المتبنى ، وهو حلال بمفهوم هذه الآية وبصريح قوله - تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب] .

﴿ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ أي : في عهد الجاهلية ، فلا يؤاخذون به بعد الإسلام . أو : إلا ما قد سلف بعد الإسلام وقبل نزول هذه الآية .

قوله : ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ ويحرم تزويج المتزوجات . وقوله : (٣٢/ ب) ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ يريد به السبايا المزوَّجات ، فإنا إذا سبينا امرأة مزوجة ، ولم يكن زوجها معها

انفسخ نكاحها ، وحل للمسلمين أن يتزوجوها .

﴿ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ نصب على المصدر ، ولا ينتصب على الإغراء ؛ لأن معمول المجرور لا يتقدم عليه . ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا ﴾ عدا ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ ثم فسره بقوله : ﴿ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم ﴾ ﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ غير واطئين بالزنى . وكانت المتعة في ابتداء الإسلام بقوله : ﴿ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ .

ثم نهى رسول الله ﷺ عنها يوم خيبر[1] .

ومن لم يكن تحته حرة ولا قدر على مهر حرة مسلمة جاز له أن يتزوج الأمة إذا خاف من الوقوع في الزنى ، فإن قدر على نكاح حرة كتابية ، فقد اختلف فيه مذهب الشافعي ووجه اشتراط إيمانها قوله : ﴿ أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ وكذلك الأمة التي ينكحها في جواز كونها كتابية وجهان[2] لقوله - تعالى: ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ . قوله : ﴿ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي : أعطوا ساداتِهن مهورَهن .

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧٤) : زواج المتعة كان مشروعا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك ، وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين . وقال آخرون : أكثر من ذلك . وقال آخرون : إنما أبيح مرة ثم نسخ ولم يبح بعد ذلك ، وقد روي عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة ، وهو رواية عن الإمام أحمد وكان ابن عباس وأبي كعب وسعيد بن جبير والسدي يقرؤون : ( فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة ) وقال مجاهد : نزلت في نكاح المتعة . ولكن الجمهور على خلاف ذلك . والعمدة ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب قال : «نهى رسول ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر». وروى مسلم عن سبرة بن معبد الجهني: «أنه غزا مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقال:يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا.

**وينظر** في ذلك : الأم للشافعي ( ٥ / ٢٥٦ )، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٥٧١ ) .

(٢) **ينظر** : الأم للشافعي (٥/ ١٥) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٥٤٦)، المغني لابن قدامة (٧/ ٥١١).

خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾

والمسافحات: التي تزني بمن وجدت ، ومتخذات الأخدان : التي يكون لها شخص معين.

وقوله : ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ ﴾ أي : إذا أسلمن فإن المحصنة والبكر في أمر حد الأمة سواء.

والعنت : المشقة الشديدة . ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ يعني : عن نكاح الأمة ؛ فلما فيه من استرقاق الولد ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ اللام بمعنى أن أي : يريد الله أن يبين لكم ؛ كقوله: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ ﴾ [غافر: ٦٦] . وهذا يقع بعد الأمر والإرادة كثيرا .

السنن جمع سنة ، وهي الطريقة . وقوله : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً ﴾ استثناء من غير الجنس ومن قرأ تجارةً بالنصب تقديره : إلا أن تكون التجارة تجارة . ومن قرأ تجارةٌ بالرفع، جاز أن تكون كان ناقصة وتامة(١) .

وقوله : ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ يعني : من خالف أوامر الله هان عليه تعذيبه ؛ فإن الله – تعالى- لا يمتدح بقدرته على فاسق ؛ كقوله في نساء النبي : ﴿ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الأحزاب] يعني : إن المعصية تضع قدرهن إذا فعلن ذلك حتى صار تعذيبهن هينًا عليه.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «تجارةً» وقرأ باقي العشرة «تجارةٌ» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٣١)، حجة أبي زرعة (ص : ١٩٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٣٥٤ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣١) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٠٢ )، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٩) .

نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ تمسكت المعتزلة بهذه الآية في أن من مات مُصرًا على كبيرة (٣٣/أ) يخلد في النار ولا يدخل الجنة ؛ لأنه يُشترَطُ في دخوله مدخلا كريما أن يجتنب الكبائر ، وأهل السنة تمسكوا بقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ويدخل فيه مرتكب الكبيرة ، والمصر على الصغيرة ، وأمر الكل موكول إلى المشيئة [١] . والكبائر : ما ثبت فيه حد .

وقيل: ما هدد فيه بدخول النار . وقيل : الكبائر أمهات المعاصي ، والصغائر توابعها فالزنى كبيرة ، وملامسة المرأة والخلو بها ومضاجعتها وتقبيلها صغائر ، وشرب الخمر كبيرة، وقد: «لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة ؛ حاملها ، وبائعها ، ومشتريها ، وآكل ثمنها ، والمحمولة إليه ، وحاضرها ، وعاصرها ، ومعتصرها [٢]».

قوله : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ هذا هو الحسد ، وهو أن يتمنى الحاسد نعمة المحسود ، فأما إذا طلب مثلها ، فهو غبطة غير محرمة . غير أن في هذه الآية زيادة ، وهو النهي عن تمني ذلك .

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ

---

(١) قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في العقيدة الطحاوية : "وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون فيها إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين ، وهم في مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر - عز وجل- في كتابه : ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وإن شاء عذبهم في النار بعدله ، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته. فعلى هذا فإن فاعل الكبيرة والمصر على الصغيرة لا ينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه، ولا يوصف بالإيمان الكامل ، ولا يحكم عليه في الآخرة بجنة ولا بنار ، بل هو في مشيئة الله - عز وجل- وإن مات بغير توبة ، إن شاء الله -عز وجل- غفر له بفضله ورحمته ، وإن شاء عذبه بعدله وحكمته".

**ينظر**: شرح الطحاوية ( ص : ٣٦٩، ٣٧٠ ) **وينظر** عن رأي المعتزلة: الكشاف للزمخشري (١/ ٥١٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٧١،٢٥)، وأبو داود رقم (٣٦٧٤)، وابن ماجه (٣٣٨٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٤٤، ١٤٥) من حديث ابن عمر . ورواه الترمذي رقم (١٢٩٥)، وابن ماجه رقم(٣٣٨١) ، عن أنس. وقال الشيخ الألباني في الإرواء (١٥٢٩، ٢٣٨٥) : وإسناده صحيح .

حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾﴾

وقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ [1] . استدل به أبو حنيفة على أن الحليف يرث السدس من مال محالفه ، وعند الشافعي وغيره : أن آية المواريث نسخت ذلك[2].

وقوله: ﴿ مِمَّا تَرَكَ ﴾ أي: مما ترك المتوفَّى، أو المولى عليه. وقوله: ﴿ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ﴾ تفسير للمضمر بعد كل الذي جعل التنوين في كُلٌّ بدلا عن الإضافة إليه [3].

وقوله : ﴿ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ جاء في سببها أن رجلا كره من امرأته أمرا فلطمها لطمة طلب أهلها القصاص ، فنزلت هذه الآية[4]. وإن خاف نشوز المرأة اقتصر على ضربها، فإن نشزت مرة واحدة وعظها وهجرها في الفراش . وهل له أن يضربها؟ فيه قولان، ولا يحل هجران كلامها أكثر من ثلاث، لا هي ولا غيرها، فإن تكرر منها النشوز جاز له ضربها، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾ تعريض بالعفو عن المرأة ، وعمن

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب «عاقدتْ» ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف «عقدت» . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٣٨)، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٣) ، حجة أبي زرعة (٢٠١) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٣٥٧ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣٣) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٠٤)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٩) .

(٢) ذهب أبو حنيفة وأصحابه وروي عن أحمد في رواية عنه إلى التوارث بالحلف ، وذهب الجمهور ومالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه إلى رد ذلك . ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ٤ / ٧ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٦ / ٤٩ ) ، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٨٣ ) .

(٣) قال ابن عاشور في تفسيره التحرير: والتنوير (١/ ٩٣٩): «وشأن كل إذا حذف ما تضاف إليه أن يعوض التنوين عن المحذوف فإن جرى في الكلام ما يدل على المضاف إليه المحذوف قدر المحذوف من لفظه أو معناه، فيجوز أن يكون المحذوف مما دل عليه قوله قبله ( للرجال نصيب ) و( للنساء نصيب ) فيقدر: لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ من رزق الله أو: ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لأنهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل ثم فسر الموالي بقوله: «الوالدان والأقربون» كأنه قيل: من هم؟ فقيل: الوالدان والأقربون .

وينظر في ذلك أيضا : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٣٥٦ ) ، روح المعاني للألوسي (٥/ ٢١) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٥ / ٥٨ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٥١٢ ) لعبد بن حميد عن الحسن .

يذنب، بمعنى: أنه مع علوه وكبريائه يعفو عن المذنبين ، فأنتم أولى بالعفو .

وقوله : ﴿ تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ ﴾ بمعنى: بأمارة دلت على ذلك ، فأما إذا لم يكن عليه دليل فلا يجوز مؤاخذتها به . والواو في قوله : ﴿ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ﴾ للتنويع .

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥) وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) ﴾

﴿ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ والأولى أن يكونا من أهلهما ؛ لأنهما أخبر بمصالحهما من الأجنبي .

وفي قول : هما وكيلان للزوج، فيوكل الرجل (٣٣/ ب) حكما في الطلاق وقبول العوض، وتوكل المرأة حكما في بذل العوض . وفي قول : هما حكمان يحكمان بما يريانه صوابا من الإصلاح والتفريق . وفي التنبيه : صحح هذا القول ، وغيره صحح الأول[1] .

﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ يجوز أن يعود الضميران الأول إلى الحكمين والثاني إلى الزوجين ، إن يريد الحكمان مجرد الإصلاح يوفق الله بين الزوجين ببركة بعث [الصالحين] وقيل عكس هذا ، إن يرد الزوجان إصلاحا يوفق الله بين الحكمين .

---

(١) **ينظر** : التنبيه للشيرازي (١/ ١٧٠) ط عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٤٠٣ هـ ـ تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، وعبارته : «وإن ادعى كل واحد منهما على صاحبه الظلم والعدوان أسكنهما الحاكم إلى جنب ثقة ينظر في أمرهما ويمنع الظالم منهما من الظلم فإن بلغا إلى الشتم والضرب بعث الحاكم حرين مسلمين عدلين والأولى أن يكونا من أهلهما لينظرا في أمرهما ما فيه المصلحة من الإصلاح أو التفريق وهما وكيلان لهما في أحد القولين فلا بد من رضاهما فيوكل الزوج حكما في الطلاق وقبول العوض وتوكل المرأة حكما في بذل العوض وهو الأصح» . وقال في المهذب ( ٢ / ٧٠ ) ط . دار الفكر ـ بيروت : «واختلف قوله في الحكمين فقال في أحد القولين : هما وكيلان فلا يملكان التفريق إلا بإذنهما لأن الطلاق إلى الزوج وبذل المال إلى الزوجة فلا يجوز إلا بإذنهما . وقال في القول الآخر : هما حاكمان فلهما أن يفعلا ما يريان من الجمع والتفريق بعوض وغير عوض؛ لقوله - عز وجل: ﴿فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ فسماهما حكمين ولم يعتبر رضا الزوجين» . **وينظر** كذلك : الأم للشافعي ( ٥ / ١١٦ ) .

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ العبادة : غاية الذلة ولا تقال إلا في حق الله - تعالى- تقول : ذللت لزيد وخضعت له، ولا تقول: عبدته، يقال: ذو قرابة ، ولا تقول : قرابتي قال الشاعر [ من البسيط ]:

يبكي الغريبُ عليه ليسَ يعرفُهُ وذو قَرابتِهِ في الحيِّ مسرورُ [١]

أما القرابة فهي نسبة بين الاثنين ، ولا يخبر عن الرجل بها .

﴿ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ تضمنت وصفين يستحق بهما الجوارُ والقرابةُ ﴿ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ ﴾ له حق واحد . ﴿ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾ قيل : هو المجالس لك في الحضر والسفر ، وأكثر الأحوال طمعا في برِّك . ﴿ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ المسافر أو المريد للسفر في غير معصية . ﴿وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ يعاملون بالرفق والإحسان .

﴿ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ ﴾ قيل: المراد به : النهي عن كتمان صفة الرسول ﷺ، وهم اليهود ، وأمروا سفلتهم بكتمانها. وقيل: المراد بالبخل: صدقة الأموال . وقيل : أراد جميع ذلك .

المثقال : هو المقدار ، والذرة : النملة الصغيرة الحمراء لا يكاد يتأثر من يجعلها في إحدى

---

(١) البيت لعثير بن لبيد العذري ، أو لحريث بن جبلة العذري ، أو لغيرهما .

**ينظر في**: تاج العروس (دهر)، روح المعاني للألوسي (٨/ ١٤٣) ، لسان العرب (دهر) .

كفيه ﴿ حَسَنَةً ﴾ قرئ بالرفع والنصب[1] بناء على أن كان تامة .

﴿ مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ أي : كيف يكون حالهم ﴿ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ ﴿ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ ﴾ أي : يصيروا ترابا ؛ كقوله ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾ [النبأ: ٤٠].

وقيل : يودون لو انشقت الأرض فتبلعهم ، أولو سويت الأرض المنخفضة بجثثهم .

﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قيل : المراد مواضع الصلاة ؛ لقوله : ﴿ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ ﴾ (٣٤/أ) وعند أبي حنيفة : لا تقربوا الصلاة نفسها وأنتم سكارى ، ولا تقربوا الصلاة وأنتم مجنبون ، إلا أن تكونوا مسافرين قد عدمتم الماء ، فتصلون مع الجنابة [2].

قيل : «كانت الخمرة مباحة في أول الإسلام ، ثم صلى رجل بقوم وهو سكران ، فحذف «لا» من سورة «قل يا أيها الكافرون» ، وقال : أعبد ما تعبدون ، وأنتم عابدون ما أعبد إلى آخرها ، فنزلت تحريم السكر في أوقات الصلوات ، ثم نزل بعد ذلك تحريم الشرب مطلقا»[3]. وقوله : ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾ [المائدة: ٦] مجنبين أو محدثين حدثا أصغر ، وهو معنى قوله : ﴿ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ وقرئ «أو لمستم» ومن قرأ «لامستم» [4] فهي للمفاعلة التي لا تكون إلا من اثنين ، فينتقض وضوء اللامس والملموس . ومن قرأ «أو لمستم» فلا حجة فيه على وضوء الملموس ﴿ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً ﴾ ولا يقال : لم نجد ، إلا بعد الطلب ، والمعنى : فلم تجدوا ماء فاضلا عما يحتاج إليه لعطشه ، أو لعطش رفيقه ، أو عطش حيوان محترم ، كان وجود الماء كعدمه

---

(١) قرأ «حسنةٌ» ابن كثير ونافع وأبو جعفر، وقرأ باقي العشرة «حسنةً» .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٢٥١ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٣٣ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٢٠٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٣٦٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٣٣ )، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٥١١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٤٩ ) .

(٢) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ١٠٥ ) .

(٣) رواه الترمذي رقم ( ٣٠٢٦ ) ، والطبري في تفسيره (٥/ ٩٥) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٢/ ٥٤٥) لعبد بن حميد وأبي داود والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب ، وحسنه الترمذي .

(٤) قرأ حمزة والكسائي وخلف «لمستم»، وقرأ باقي العشرة «لامستم». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٢٥٨)، والحجة لابن خالويه (ص: ١٢٤) حجة أبي زرعة (ص: ٢٠٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٣٧٠ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٣٤)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٠) .

فيتيمم ، وكذلك إذا وجد الماء يباع بأكثر من ثمن المثل ، لم يلزمه شراؤه ويتيمم. ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أي : اقصدوا ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧] أي : تقصدوا ويجب في التيمم القصد إلى الصعيد فلو نوى ووقف في مهب الرياح ، وسفت عليه الرياح لم يجزه ، ولو نوى ووقف عند ميزاب[١] ، وانصب عليه الماء جاز الوضوء . والمراد بالصعيد عند الشافعي : ما صعد على وجه الأرض من تراب له غبار يعلق بالوجه واليدين ؛ لقوله : ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] وعند غيره : بكل ما صعد على وجه الأرض[٢] .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)﴾

﴿أَلَمْ﴾ معناه : اعجب ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ فيستبدلونها بالهدى الذي تمكنوا منه ، وصار كالحاصل لهم ﴿وَلِيًّا﴾ فعيل يجوز أن يكون بمعنى الفاعل ، أو وكفى بالله متوليا لأموركم . أو متولى ، أي : كفى بالله يتولونه ؛ كقوله - تعالى : ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٥٦] ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ أي : قوم يحرفون ؛ كقوله : ( ٣٤/ب ) [ من الرجز ] : .

جـادَتْ بكفَّـيْ كـانَ مـنْ أرْمَـى البَشَرْ[٣]

---

(١) **الميزاب:** أنبوبة من الحديد ونحوه تركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع ويسمى المزراب . **ينظر** : لسان العرب ( زرب ) ، المعجم الوسيط ( زرب ) .

(٢) **ينظر** : الأم للشافعي ( ١ / ١١٤ ) وعبارته : وكل ما وقع عليه اسم صعيد لم تخالطه نجاسة فهو صعيد طيب يتيمم به وكل ما حال عن اسم صعيد لم يتيمم به ولا يقع اسم صعيد إلا على تراب ذي غبار قال الشافعي : فأما البطحاء الغليظة والرقيقة والكثيب الغليظ فلا يقع عليه اسم صعيد وإن خالطه تراب أو مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد . ويجوز التيمم عند أبي حنيفة ومحمد - رحمهما الله- بكل ما كان من جنس الأرض كالتراب والرمل والحجر والجص والنورة والكحل والزرنيخ . وقال أبو يوسف : لا يجوز إلا بالتراب والرمل . **ينظر** : الهداية للمرغيناني ( ١ / ٢٧ ) .

(٣) **ينظر** الرجز بلا نسبة في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ١١٤-١١٥) ، الخزانة للبغدادي (٥/ ٦٥) ، الخصائص لابن جني (٢/ ٣٦٧)، شرح الأشموني ( ٢ / ٤٠١ ) ، شرح التصريح ( ٢ / ١١٩ ) ، شرح شواهد المغني (١/ ٤٦١) ، شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ٦٢) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦١٦ ) ، لسان العرب (كون ) ، المغني لابن هشام (١/ ١٦٠) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ١٢٠ ) .

وكقوله [ من الوافر ] :

أنــا ابــنُ جــلا وطَــلاعُ الثَّنايــا متَــى أضَــعُ العِمامَــةَ تعْرفــوني[1]

المعنى : بكفي رجل كان ، وأنا ابن رجل جلا ، فحذف الموصوف ، مع أن الصفة جملة وحكى ابن السراج عن العرب : ما منهما مات حتى جرى له كذا[2].

وقولـه تعـالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ [البقـرة: ٩٦] أي : قـوم ، أو فريـق . ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يزيلون ﴿ٱلْكَلِمَ﴾ المنزلة في التوراة والإنجيل ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي يجب تقريره فيها . وأما قولـه : ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائـدة: ٤١] فالتقـدير : يحرفـون الكلـم بعـد استقرارها في مواضعها المرادة بها . ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أصله مـن لـوى يلـوي لويـاً، اجتمعـت الواو والياء ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبـت الـواو يـاء، وأدغمـت الأولى في الثانيـة، ومثله: كوى كيًّا، وشوى شيًّا، وحوى حويًّا . وعكسه: سيد وميت، أصله : سيود ، وميوت. سبقت الياء بالسكون ، فقلبت الواو وأدغمت .

وقوله : ﴿غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ يوهمون أن المراد: غير مسمع ما تكره ، وهم يريدون : اسمـع لا سمعت . ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا إيمانا ببعض وكفرا ببعض وأولئك هم الكافرون حقا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾

روي: «أن كعب الأحبـار لمـا سمـع قولـه - تعـالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟﴾ الآية أسرع بالاجتماع بالمسلمين وأسلم، وقال: خشيت أن يحـول وجهـي إلى قفـاي قبـل أن أصل إلى المسلمين». ﴿كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ حين مسخوا قردة .

وقوله : ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ أي : الذين اعتدوا في السبت ، فنسب السبت إليهم .

---

(١) تقدم تخريج البيت عند تفسير الآية ( ٩٦ ) من سورة البقرة .

(٢) ينظر : الأصول في النحو لابن السراج ( ١ / ٩٥ ) .

﴿ ٱفۡتَرَىٰٓ ﴾ اقتطع واختلق موجب إثم عظيم ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ﴾ تمدح التزكية إذا أريد بها التطهير من المعائب كقوله : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ ﴾ [الشمس] وأطلق وأراد بها نسبة المحاسن إلى الرجل حقًّا كان أو باطلا، كما في هذه الآية . الفتيل: ما في شق النواة . والقطمير : هي القشرة البيضاء التي على النواة . والنقير : نقرة في ظهر النواة ، يقال : منها تطلع النخلة ، ومعنى ﴿ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ أي : لا تظلمون شيئا وكذلك القطمير والنقير .

﴿ مُّبِينًا ﴾ إما أن يكون بمعنى ظاهرا ، وإما مظهرا ، إن كان ( ٣٥/أ ) من بان فهو بمعنى ظاهر ، وإن كان من أبان فهو بمعنى : مظهر .

الجبت: كل معبود سوى الله .وقيل: الجبت والطاغوت اسما صنمين كانا في الجاهلية . وقيل: الجبت : الساحر ، والطاغوت : الكاهن . الطاغوت: فعلوت لكل ما تجاوز الحد ، والمراد ها هنا: كل معبود سوى الله . وقيل : هو كعب بن الأشرف [١] وسبب الآية : أن مشركي قريش سألوا اليهود وقالوا : أهل كتاب وشريعة ، فأنتم أعلم منا فننشدكم الله أينا أقرب إلى الصواب ، نحن أم محمد ؛ فإنا نصل الرحم ، ونكرم الضيف ، ونفك العاني[٢]، ونسقي الماء ، ومحمد فرق جماعتنا وسفه أحلامنا[٣] وأحلام أسلافنا ، فقالت اليهود لهم : أمركم أصوب من أمر محمد فعجَّب[٤] الله نبيه من ذلك ، وأنزل هذه الآية [٥] .

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ

---

(١) هو أحد أعداء الرسول ﷺ والمحرضين عليه من طيئ ، وهو أحد بني نبهان وأمه من بني النضير، كان شاعرا ، وآذى بشعره نساء المسلمين وشبب بهن ، فأمر الرسول ﷺ بقتله فقتل سنة ثلاث من الهجرة . **تنظر** ترجمته في : تاريخ الإسلام للذهبي(١/ ١٧٦-١٨٢) ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي (ص: ٢٨٢-٢٨٤ ).

(٢) **العاني** : الأسير . لسان العرب (عنى ) .

(٣) **أحلامنا** : عقولنا، والمفرد (حلم) ومنه قوله – تعالى: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ ﴾ [الطور: ٣٢] .

**ينظر** : لسان العرب (حلم).

(٤) كذا بالأصل ولعله يريد أن هذا أمر عجيب من هؤلاء الضالين والمشركين يدعو إلى العجب .

(٥) رواه الواحدي في أسباب النزول ص (١٦٠، ١٦١) رقم (٣٢٠، ٣٢١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٧١) لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم .

ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾ يعني : محمدا ﷺ على ما أوتي من النبوة .

وفي قوله: ﴿ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ قولان :

أحدهما : يخلق الله لهم جلودا جديدة ليذوقوا العذاب . والقول الثاني : غَيَّرَ اللهُ صفاتِ تلك الجلود المحترقة فرجعت كأن النار لم تمسها ؛ إذ لا يعذب إلا الجلود التي عُصي الله بها . وقوله : ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ ﴾ جعل تغير الصفات بمنزلة تغير الذات . تقول : جاء فلان بوجه غير الوجه الذي ذهب به، ومثل هذين القولين في قوله: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وفي كون الظل ظليلا وجهان: أحدهما : ظل مضاعف . والثاني: ظل لا تنسخه شمس ، بل هو دائم الثبوت لا يتغير .

لما فتح رسول الله ﷺ مكة طلب مفتاح الكعبة من عثمان بن أبي شيبة [1] فأبى أن يعطيه فلوى عليٌّ يده ، وأخذه منه قهرا ، فلما قضى رسول الله ﷺ حاجته من الدخول في الكعبة سأل العباسُ رسولَ الله ﷺ أن يوليه السدانة[2] ويعطيه المفتاح ، وقال : اجمع لي بين السدانة والسقاية ، فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ فأمر النبي ﷺ عليًّا ، فرد المفتاح إلى عثمان بن أبي شيبة ، فقال : أخذت بقوة وآذيت ثم جئت ترده فقال : قد أنزل الله -- تعالى- في شأنك هذه الآية ، فقال : إن هذا لدينٌ شريفٌ فأسلم ، وتقرر مفتاح الكعبة

---

(١) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسمه عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، حاجب البيت، أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر مع خالد بن الوليد ، وشهد الفتح مع النبي ﷺ وتوفي سنة ٤٢هـ بالمدينة ، وقيل : بمكة . **تنظر** ترجمته في : الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (٣/ ٩٢، ٩٣)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٢/ ٤٦٠) .

(٢) **السدانة** : خدمة الكعبة ، **والسادن** : خادم الكعبة القائم بأمر نظافتها وكسوتها وحفظها.
**ينظر** : لسان العرب ( سدن ) .

بيد بني شيبة إلى الآن[١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنٗا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغٗا ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ هم الحكام القائمون بأحكام الشريعة وقيل : هم أمراء الأجناد وقيل: هم العلماء . قوله: ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ أحسن عاقبة ؛ كقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] .

كان بين يهودي ومسلم منازعة ، واليهودي محق ، فطلب اليهودي المحاكمة إلى محمد ﷺ، وطلب المسلم المحاكمة إلى كعب بن الأشرف اليهودي؛ لعلمه أن كعب بن الأشرف يقبل الرشا، فنزلت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية[٢] .

وروي: «أن المسلم واليهودي وأصحابهما مروا على عمر بن الخطاب فسأل عن خبرهم، فسألوه أن يصلح بينهم ، فقال: رويدكم ، ثم دخل فأخذ سيفه وضرب المسلم حتى برد[٣]، وقال : هكذا أحكم فيمن امتنع من طاعة الله ، وطاعة رسوله فسمي عمر الفاروق لذلك ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٤٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص :١٦١- ١٦٣) رقم (٣٢٣ -٣٢٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٥٢) ، والواحدي في أسباب النزول (ص: ١٦٦) رقم (٣٣١) وفي إسناده الكلبي وهو ضعيف .

(٣) برد الرجل يبرد بردا : مات . **ينظر** : لسان العرب ( برد ) .

(٤) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ١٦٦) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٢/ ٥٨٢ ) للثعلبي عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

واعتذر أصحاب المسلم المنافق ، وحلفوا أنهم ما أرادوا بالذهاب إلى كعب إلا أن يصلح بينهم ، وهو معنى ﴿ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ ﴾ الآية ، فأكذبهم الله - تعالى .

﴿ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ أي : قولا مؤثرا في أنفسهم ؛ لغلاظته وقوته.

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

وحكى العُتْبي قال : كنت جالسا عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فسلم ، وقال : يا رسول الله ، سمعت الله يقول : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ قد جئتك مستغفرا من ذنبي ، مستشفعا بك إلى ربي ، ثم أنشد [ من البسيط ] :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطابَ مِنْ طيبِهِنَّ القاعُ والأكَمُ

نفسي الفِداءُ لِقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ... فيهِ العَفافُ وفيهِ الجودُ والكَرمُ

قال العُتبي : فنِمتُ ، فرأيتُ النبيَّ ﷺ ، فقال : يا عتبي ، أدرك الأعرابي وبشره بالجنة [١].

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ لا زائدة ، أي :فوربك لا يؤمنون .

كان بين الزبير وبين رجل من الأنصار تشاجر في مسقى ماء ، وكانت أرض الزبير عالية، وأرض الأنصاري مستفلة ، فتحاكما إلى رسول الله ﷺ ، فقال : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك ، فقال الأنصاري : أن كان ابن عمتك يا رسول الله ؛ فإن الزبير هو ابن صفية عمة النبي ﷺ ، فتغيَّر وجهُ رسول الله ﷺ ، ثم قال : اسق يا زبير واحبس الماء حتى (٣٦/أ)

---

(١) ذكر هذه القصة محب الدين الطبري في كتاب القِرى لقاصد أم القرى ( ص : ٦٢٨، ٦٢٩ ) ، ونسبه لأبي أحمد بن عساكر ، ونسبه ابن كثير في تفسيره ( ١ / ٥١٩ ) للشيخ أبي منصور الصباغ في كتابه الشامل ، ونسبه المتقي الهندي في كنز العمال لابن السمعاني في الذيل بسند فيه الهيثم بن عدي الطائي وهو متروك . قال الذهبي في المغني في الضعفاء ( ٢ / ٧١٧ ) : الهيثم بن عدي الطائي أبو عبد الرحمن الأخباري ، قال أبو داود السجستاني : كذاب . وقال ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ١٠٤) : متروك الحديث .

يصل إلى الجَدْرِ»[1] فكان في الحكم الأول قصد الإصلاح بينهما ، فلما أغضب الأنصاري رسول الله ﷺ استوعب له جميع حقه . كذا قالوا . وفيه دليل على أن القاضي يجوز أن يقضي وهو غضبان فنزلت هذه الآية في حديث الزبير والأنصاري . والتشاجر : الاختلاط بين المتخاصمين ؛ لأن كلام هذا يختلط مع كلام هذا .

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا (٧١) وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧٣) ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (٧٤) وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا (٧٥)﴾

جعل الله الخروج من الأوطان قرين القتل ؛ كما جعله في سورة الحشر قرين التعذيب .

﴿ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ [الحشر: ٣] وعن عمر : لو كلفت أن أقتل نفسي لفعلت ، ولكن الله رحيم ، ولم يكلفنا ذلك ، فعمر من القليل[2] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٢٣٥٩ ) ، ومسلم رقم (٢٣٥٧ ) عن عبد الله بن الزبير. والجدر : ما وضع بين شربات النخل ، كالجدار . وقيل : المراد : الحواجز التي تحبس الماء . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٥/ ٣١٠) وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٤٦) : هو ما رفع حول المزرعة، كالجدار وقيل : هي لغة في الجدار. وقيل: هو أصل الجدار .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٦٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ) عن غير واحد من الصحابة أنهم قالوا ذلك . وذكره البغوي في تفسيره (١ / ٢٤٦) عن الحسن ومقاتل : لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من أصحاب النبي ﷺ وهم القليل: والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : إن من أمتي لرجالا الإيمان في قلوبهم أثبت من الجبال .

﴿ثُبَاتٍ﴾ أي : جماعات في تفرقة كأشتات وأبابيل ، وواحده : ثبة . وقوله : ﴿كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾ جملة معترضة بين القول والمقول .﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ أي : يبيعون الحياة الدنيا ، ويستبدلون بها الآخرة فالذين يشرون فاعل ، ويشرون بمعنى يبيعون . وقيل: الذين مفعول ، ويشرون بمعني يبتاعون . أي : فليقاتل رسول الله الذين يشرون . والأول أصح ؛ لقوله بعده : ﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ وقوله : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وفي سبيل تخليص المستضعفين .

﴿ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ مكة قبل أن يفتحها رسول الله ﷺ .

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾

﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ وضعفه من جهة أنه لا يقدر على إلزامك بما وسوس به إليك، فقبول وسوسته من سوء نظر الناظر ، لا من قوة فعل الشيطان .

كان الإسلام في ابتدائه قليل الناصرين فنهي المؤمنون عن القتال ؛ لقلتهم ، ولما كثر المؤمنون وأمروا بالقتال كرهه بعضهم، فنزلت هذه ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ (١) أي: كخشيتهم الله .

وقوله: ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ لابد من تأويله ؛ لأن أفعل التفضيل إن أضيفت ، وخفضت ما بعدها ، كان الموصوف بأفعل جزءا مما أضيفت إليه ، وإن نصب ما بعدها ، لم يكن الأول جزءا من الثاني ، فإذا قلت : هذه النخلة أطيب من هذه رطبا جاز ؛ لأن لها رطبا . ولو قلت : هذه النخلة أطيب رطبٍ ، لم يجز ؛ لأنه يقتضي أن تكون النخلة رطبا وإذا قلت : زيد

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٥ / ١٧٠ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧٠ ) رقم ( ٣٣٨ ) وفي سنده الكلبي وهو ضعيف .

أكرم أبٍ ، فزيد أب ، وهو أكرم الآباء . وإن قلت : زيد أكرم أبًا ، فلزيد أب وأبوه أكرم الآباء . ففي هذه الآية كأنه حصل للخشية خشية مجازا ، كقولهم : شعر شاعر ، وذيل ذايل[(١)] .

﴿ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ ﴾ هلا أخرتنا . ﴿ بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ أي : عالية . وقيل : مبنية بالشيد وهو الجير ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ أي: نعمة ورخاء ؛ كقوله: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم ﴾ [الأعراف: ١٦٨] ليس المراد بالحسنة الطاعة ، ولا بالسيئة المعصية ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ يتشاءمون به ، ويقولون : ما أصابنا هذا السوء إلا منك حين جئتنا ؛ كقول ثمود لصالح : ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾ [ النمل:٤٧ ].

وكقول أهل أنطاكية لأصحاب عيسى : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ ﴾ [يس: ١٨] .

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٧٩) مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٨١) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا (٨٢) وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا (٨٣) فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا (٨٤) ﴾

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ أي : من نعمة وعافية ورخاء ﴿ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ وأنت لا تستحقه ﴿ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ ﴾ أي:من شدة ومرض وقحط فمن نفسك أي: بذنوب أتيتها ، فعوقبت عليها بذلك ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] ﴿ وَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ فعاقبه الله ، ولست بمسؤول عنه ﴿ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أمرنا ﴿ طَاعَةٌ ﴾ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ لكنه كتاب أحكمت آياته، وما نظر المقصر من أن فيه اختلافا في بعض المواضع فهو من سوء فهم

---

(١) ينظر تفصيل ذلك في: الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ ) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٣٦) .

الناظر [من الوافر] :

وكَــمْ مِــنْ عائــبٍ قَــولاً صَــحيحًا وآفَتُــهُ مِــنَ الفَهْــمِ السَّقيــمِ [(١)]

كان المنافقون يلقون في عسكر المسلمين أخبارا ردية عن السرايا ، ويذيعون ذلك، فيحصل الوهم في قلوب المؤمنين ، وكان ينبغي إذا اطلعوا على خبر أن يطلعوا عليه أكابر الصحابة وأمراء الأجناد ، فيعلمون صحته أو فساده ، ويعلمون ما ينبغي أن يذاع منه وما ينبغي أن يخفى . والاستنباط : إخراج الماء بالحفر عليه . ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ هذا يوهم أن ثم قليلا استغنوا عن فضل الله ورحمته ، ومعاذ الله من ذلك ، بل التقدير : أذاعوا به إلا قليلا ، أو لعلمه الذين يستنبطون إلا قليلا . أو لكان أكثركم ( ٢٧ / أ ) يتبعون الشيطان ، لكن فضل الله ورحمته صار بها جَعْلُ اتباع الشيطان أقل ، واتباع الحق أكثر .

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا (٨٥) وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (٨٦) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (٨٧) ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٨٩) ﴾

ادعى بعض المفسرين أن النصيب يستعمل في الخير والشر ، وأن الكفل لا يستعمل إلا في الشر ، واحتج بهذه الآية ، ويرد عليه قوله : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ [(٢)].

---

(١) البيت للمتني ، **ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي ( ١ / ١٩٢ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ١٦ ) ، قرى الضيف لابن أبي الدنيا ( ١ / ١٥٨ ) ط . أضواء السلف ـ الرياض ـ ١٩٩٧ م ـ تحقيق عبد الله المنصور .

(٢) سورة الحديد ، الآية ( ٢٨ ) قال الألوسي في روح المعاني (٥/ ٩٨): «كفل منها أي : نصيب من وزرها» وبذلك فسره السدي والربيع وابن زيد وكثير من أهل اللغة فالتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة وبالكفل في الشفاعة السيئة للتفنن وفرق بينهما بعض المحققين بأن النصيب يشمل الزيادة والكفل هو المثل المساوي فاختيار النصيب أولا لأن جزاء الحسنة يضاعف والكفل ثانيا لأن من جاء بالسيئة لا يجزى إلا مثلها ففي الآية إشارة إلى لطف الله – تعالى- بعباده وقال بعضهم : إن الكفل وإن كان بمعنى=

وابتداء السلام سنة ، وجوابه فرض كفاية ، إذا قام به بعض سقط عن الباقين، وإذا التقى رجلان ، أو قال أحدهما للآخر : سلام عليكم ، وقال الآخر كذلك في وقت واحد ، وجب على كل واحد منهما الرد على صاحبه . وسلام المتاركة لا يقتضي جوابا ؛ لقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ﴾ [الزخرف:٨٩] وكذلك إذا انصرف عن جماعة فقال سلام عليكم، لم يستحق جوابا ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قيل: يجمعنكم في البرزخ ، جيلا بعد جيل ، وقرناً بعد قرن ، إلى يوم القيامة .

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ نزلت في الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يوم أحد ، وقالوا: لو نعلم قتالا لاتبعناكم. وقيل: نزلت في قوم قدموا المدينة وأظهروا الإسلام ، ثم رجعوا إلى مكة ، فأظهروا الشرك. وقيل: في قوم أظهروا الإسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المسلمين. وقيل: في قوم من أهل المدينة أرادوا الخروج عنها[١] ﴿أَرْكَسَهُم﴾: ردهم ، ومنه سمي الرجيع ركسا. «وذهب رسول الله ﷺ لقضاء حاجته وقال لرجل: ابغني أحجارا أستنقص بها . فأتاه بحجرين وروثة ، فأخذ الحجرين ، وألقى الروثة ، وقال: «إنها ركس»[٢] . أي: رجيع . وقيل: أركسهم عذبهم وأهلكهم . وقيل : أوقعهم . وقيل: أضلهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَـٰتِلُواْ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَـٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ أي : أمان وعهد ، فلهم منه مثل ما لكم .

---

=النصيب إلا أنه غلب في الشر وندر في غيره كقوله – تعالى : ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ فلذا خص بالسيئة تطرية وهربا من التكرار .

(١) ذكر هذه الأسباب الواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧١ ، ١٧٢ ) رقم ( ٣٤١ ، ٣٤٢ ) ، والسيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ١٩٠ ) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٥٦ ) ، وأحمد في المسند (١/ ٣٨٨ ، ٤٦٥ ) ، والترمذي رقم (١٧) ، وابن ماجه رقم (٣١٤) ، والنسائي في المجتبى ( ١/ ٤٠ ) عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ قال قوم : حصرت في موضع الحال ، وسيبويه يرى أن الفعل الماضي لا يكون حالا إلا مع قد والواو ، أو مع قد وحدها[1] .

وقوله : ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ هاهنا دعاء عليهم ، فقيل له : يحسن أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتالكم ؛ فإن ذلك مصلحة للمسلمين ، ولا يحسن أن يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتال قوم فإنهم إذا لم تحصر صدورهم عن قتال قوم وقعت الفتنة بين المشركين وذلك مما يوهن المشركين وينفع المؤمنين فكيف يدعى عليهم بأن تحصر صدورهم عن قتال قومهم ( ٣٧ / ب ) قال سيبويه[2]: إنما دعا عليهم بالضعف والوهن ؛ حتى لا يقدروا عن قتالهم ، ولا قتال قومهم . ووهنهم وضعفهم مما ينتفع به المؤمنون .

وقوله : ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ قيل : إنه منسوخ بآية السيف .

قوله – تعالى : ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ قيل : من أهل مكة . وقيل : من أهل تهامة . وقيل: من المنافقين . وقيل : هو نعيم بن مسعود الأشجعي ومن تابعه .

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾

---

(١) **مذهب البصريين** : أن الفعل الماضي لا يكون حالا إلا بقد مظهرة أو مضمرة ؛ لأن الحال إما مقارنة أو منتظرة والماضي منقطع عن زمن العامل وليس بهيئة في ذلك الزمان و قد تقربه من الحال . ومذهب الكوفيين ومن تبعهم من البصريين كالأخفش يجوِّز ذلك ؛ لأن أكثر ما فيه أنها غير موجودة في زمان الفعل وذلك لا يمنع كما لا تمنع الحال المقدرة واحتجوا لمذهبهم بالسماع والقياس . ونرى أن الحق معهم.

**ينظر** تفصيل المسألة في : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٢٣٣ ) ، المسألة (٣٢) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٢ / ٦٥ ) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ( ١ / ٢٩٣ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ٢٥٢ـ ٢٥٣ ) ط . المكتبة العصرية ـ بيروت ـ سنة ١٩٩٩م .

(٢) كذا وقع هنا ونسب ابن السراج في الأصول في النحو ( ١ / ٢٥٤)، وابن هشام في مغني اللبيب (٢/ ٢٣١) هذا الرأي للمبرد .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا﴾ قيل : نزلت في عياش بن أبي ربيعة[١] قتل رجلا كان يعذب عياشا على إسلامه ، فضربه عياش ، ولم يشعر بأنه أسلم[٢] . وقيل : في أبي الدرداء[٣] قتل رجلا من المشركين بعد أن قال : لا إله إلا الله ، فشك في إسلامه ، هل هو خوفا من السيف ، أو رغبة في الإسلام[٤]. وفي قوله : ﴿ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ قولان : أحدهما: أنه أراد الإيمان حقيقة ، فلا يقبل في الرقبة إلا من بلغت وآمنت وصلَّتْ وصامتْ. والثاني: تقبل من حكم بإيمانها، فيجزئ عتق الصغير الذي حكم بإسلامه تبعا لأبويه . ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ أي : عقد ذمة . والثاني: أمان . والثالث: أنه عام في كل ما يمنع القتل ؛ كمجيء الحربي في رسالة أو تجارة .

قوله - تعالى : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ ﴾ وصوم الشهرين بدل من العتق خاصة. قال الماوردي[٥] : وعن مسروق[٦]: أن صوم الشهرين بدل من الدية والعتق معا[٧].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ

---

(١) هو عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله القرشي ابن عم خالد بن الوليد وكان عياش أخا لأبي جهل بن هشام لأمه وعذبه أبو جهل على إسلامه . وكان عياش من السابقين في الإسلام ، وهاجر الهجرتين ، توفي سنة ١٥هـ . **تنظر** ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ١٢٢، ١٢٣ ) ، الإصابة لابن حجر ( ٣ / ٤٧ ) .

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول ( ص: ١٧٣، ١٧٤) رقم ( ٣٤٣ )، والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٧٢) ، وقال : رويناه من حديث جابر موصولا ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور ( ٢ / ١٩) لابن المنذر.

(٣) هو عويمر بن عامر بن زيد بن قيس من بني عدي بن كعب بن الخزرج ، تأخر إسلامه قليلا ، وكان آخر أهل داره إسلاما ، وكان فقيها حكيما شهد ما بعد أحد من المشاهد . توفي سنة ٣١ هـ وقيل : ٣٢هـ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٤ / ٢٠٤ ) .

(٥) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الإمام الفاضل الفقيه الشافعي، سمي الماوردي نسبة إلى بيع ماء الورد ، وقد اشتهر بها ونسب إليها، وهو صاحب التصانيف الحسان منها التفسير والحاوي في الفقه الشافعي والأحكام السلطانية وغيرها . توفي سنة ٤٠٥هـ . **تنظر** ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢ / ١٠٢)، طبقات الشافعية للسبكي ( ٥ / ٢٦٧ ) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ( ٣ /٢٨٦ ) .

(٦) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي أبو عائشة ، أحد الأعلام ، روى عن أبي بكر ومعاذ وابن مسعود توفي سنة ٦٣هـ .

**تنظر** ترجمته في: تهذيب التهذيب (١٠ / ١٠٩)، طبقات الحفاظ (ص:١٤١) .

(٧) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٤١٦ ) .

وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾

قوله - تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ قيل : نزلت في مقيس بن صبابة[1] قتل أخوه وصولح على الدية فأخذها ، ورضي بها ، ثم وجد قاتل أخيه ، فقتله فأمر رسول الله ﷺ بقتل مقيس ، وإن كان متعلقا بأستار الكعبة ، فوجد كذلك فقتل[2] .

وابن عباس يرى أن القاتل عمدا لا تقبل توبته[3] وظاهر كلام ابن زيد موافقته[4] .

وقال : نزلت الآية الشديدة ، يعني : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ بعد الهدنة، يعنى: قوله: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] . وكان قد ظن آية النساء ناسخة لآية الفرقان ، وهذا ليس بنسخ ، بل هو تقييد مطلق ، والتقدير : فجزاؤه جهنم خالداً فيها إن لم يتب .

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ ﴾ نزلت في سرية بعثهم النبي ﷺ إلى طائفة من الكفار، فنزل رجل منهم إلى المسلمين، فقال: السلام عليكم ، لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أنا مسلم، فقتلوه ( ٣٨ / أ ) وأخذوا غنيمات له فلما رجعوا ، وأخبر النبي ﷺ بالحال قال لقاتله: لم قتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟! فقال : يا رسول الله ، إنما قالها تعوذا . فقال: هلا شققت عن قلبه؟! ثم حمل رسول الله ﷺ ديته إلى ورثته، وأعاد عليهم غنمه[5]. واختلفوا في القاتل من هو ؟

---

(١) هو مقيس بن صبابة من بني كلب بن عوف بن كعب ، كان شاعرا وقد قتله ابن عمه نميلة بن عبد الله بعد إهدار الرسول ﷺ دمه.

تنظر ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي ( ١ / ٣١١ ) ، جمهرة الأنساب (ص: ١٨٢ ) .

(٢) رواه الواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧٤ ) رقم ( ٣٤٤ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٣٠٩ ) ، والنسائي في سننه رقم ( ٣٩٠٠ ) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور( ٤ / ٣٥١ ) لابن أبي شيبة وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص . وفي سنده الكلبي وهو ضعيف .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٥ / ٢١٨ ـ ٢١٩ ) .

(٤) ابن زيد هو خارجة بن زيد بن ثابت وقد روى الطبري في تفسيره ( ٥ / ٢٢٠ ) بسنده عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن زيد بن ثابت قال : نزلت سورة النساء بعد سورة الفرقان بستة أشهر .

(٥) رواه البخاري رقم ( ٤٥٩١ ) ، ومسلم رقم ( ٣٠٢٥ ) .

فقيل : أسامة بن زيد[1] . وقيل : المقداد بن الأسود[2] . وقيل : أبو الدرداء .

وقيل : عامر بن الأضبط[3] . وقيل : مُحلِّم بن جثامة [4].. نقل هذه الأوجه الماوردي[5] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤) لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٩٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا (٩٧) ﴾

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ أي: كفارا تستباح دماؤكم ، وإنما عصمكم الله بلا إله إلا الله ، فلم لا قبلتم عصمة هذا الذي شهد بالوحدانية ؟ ويقال : «إن القاتل لفظته الأرض ، ثم دفن ، فلفظته ثلاث مرات ، فقال النبي ﷺ : إن الأرض لتقبل من هو شر منه ، وإنما

---

(١) هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو محمد وهو الذي أمَّرَه الرسول ﷺ على جيش وهو شاب ومات الرسول ﷺ قبل أن ينفذه ، فأنفذه أبو بكر ﷺ . مات سنة ٥٤هـ .

**تنظر** ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر ( ١ / ٥٧ ـ ٥٩ ) ، الإصابة لابن حجر ( ١ / ٣١ ) .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة واشتهر بالمقداد بن الأسود نسبة إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري لأنه تبناه ، أسلم قديما ، وشهد بدرا والمشاهد بعدها توفي سنة ٣٣هـ .

**تنظر** ترجمته في : الإصابة لابن حجر ( ٣ / ٤٥٤ ، ٤٥٥ ) .

(٣) هو عامر بن الأضبط الأشجعي، وهو الذي قتله أحد أفراد السرية وهو مسلم يظنونه متعوذا، وقد وهم الذي عده هنا من القاتلين .

**تنظر** ترجمته في: الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣/ ١٤ ) ، الإصابة لابن حجر (٢/ ٢٤٧ ).

(٤) هو مُحلِّم بن جثامة بن قيس الليثي ، توفي في زمن النبي ﷺ ودفن فلفظته الأرض مرة بعد مرة ، وهو صاحب القصة هنا .

**تنظر** ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (٣/ ٤٩٦) ، الإصابة لابن حجر (٣/ ٣٦٩) .

(٥) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٤١٧ ) .

جعل الله ذلك عبرة لكم ، ثم أمر أن يجعل على جثته أحجار تسترها»[١].

نزل أولا : ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ ﴾ فجاء ابن أم مكتوم[٢] وشكا أنه ضرير عاجز عن الجهاد ، فنزلت ﴿ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾ قال زيد بن ثابت : كنت أكتبها عند النبي ﷺ وركبته على ركبتي ، فثقلت عليَّ حتى كادت ترض[٣] وركي من ثقل الوحي المنزل عليه، ثم قال : ألحقها في طرف الكتف [٤]. فألحقتها[٥].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ بإقامتهم في دار الحرب ، مع أنهم لا يقدرون على إظهار الأذان فيه ، ولا صلاة الجمعة ، ولا الجماعات في الصلوات ، فمن قدر على إظهار الدين في دار الحرب جاز أن يقيم فيها ، والأفضل أن يتحول عنها .

﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (٩٩) ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٠٠) وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا (١٠١) وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ

---

(١) رواه أحمد في مسنده ( ٤/ ٤٣٨ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣٩٣٠ ) ، والطبراني في المعجم الكبير( ١٨/رقم ٥٦٢) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ( ٣ / ٢٢٢ ) : إسناده حسن .

(٢) هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي العامري وهو ابن أم مكتوم المؤذن وأمه أم مكتوم : اسمها عاتكة بنت عبد الله . واختلف في اسم ابن أم مكتوم فقيل : عبد الله بن زائدة . وقيل : عمرو ابن قيس بن شريح وهو الأكثر عند أهل الحديث . شهد فتح القادسية وكان معه اللواء يومئذ وقتل شهيدًا بالقادسية .

**تنظر** ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (١١٩٨/٣) ، الإصابة لابن حجر (٨٧/٤) .

(٣) رضَّ الشيء يرضه رضًّا : كسره . وارتض الشيء تكسر . **ينظر** : لسان العرب ( رضض).

(٤) يعني : كتف الشاة وكانوا يكتبون عليها قديما بعد أن تكون عظاما .

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٥٤٩ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٧٩ ) رقم ( ٣٥٤ ).

لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾﴾

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ الآية ، نزلت في قوم هاجروا من مكة إلى المدينة ، فأدركهم الموت قبل الوصول إلى المدينة ، فقال المشركون : ما أدرك هؤلاء ما طلبوا ، ولا بقوا على ما كانوا عليه ، فأنزل الله – تعالى- ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ ﴾ الآية[1] .

ظاهر الآية يقتضي أنه لا يجوز قصر الصلاة في السفر إلا مع الخوف ، قال عمرو بن أمية الضمري[2] : قلت لعمر بن الخطاب : ما بالنا نقصر ، وقد أمِنَّا ؟ فقال : عجبتُ مما عجبتَ منه يا ابن أخي، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال:صدقة تصدق بها الله عليكم، فاقبلوا صدقته[3] .

وظاهر الآية التي تليها[4] أن صلاة الخوف إنما تجوز إذا كان الرسول فيهم ، وقد صلت الصحابة صلاة الخوف ( ٣٨ / ب ) بعد رسول الله ﷺ .

وقوله : ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ ﴾ قيل: هو أمر إيجاب. وقيل: هو إرشاد إلى المصالح ، فيكون حمل السلاح في صلاة الخوف واجبا على الأول ، مستحبًّا على الثاني .

وقوله : ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ﴾ وأخذ الأسلحة حقيقة ، وأخذ الحذر مجاز .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ١٨٠ ، ١٨١) ، رقم ( ٣٥٧ ) .

(٢) هو عمرو بن أمية بن خويلد بن عبد الله بن ضمرة الضمري أبو أمية صحابي مشهور ، أسلم حين انصرف المشركون من أحد وكان شجاعا وكان أول مشاهده بئر معونة، وبعثه النبي ﷺ إلى النجاشي في زواج أم حبيبة ، وإلى مكة فحمل خبيبا من خشبته ، وله ذكر في عدة مواطن وكان من رجال العرب جرأة ونجدة وعاش إلى خلافة معاوية فمات في المدينة . قال أبو نعيم : مات قبل الستين .

**تنظر** ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ٤ / ٦٠٢ ) .

(٣) رواه مسلم رقم (٦٨٦) ، وأحمد (١/ ٢٥ ، ٣٦) وأبو داود رقم (١١٩٩) ، والترمذي رقم (٣٠٣٤) .

(٤) الآية رقم ( ١٠١ ) .

ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

روي: «أن طعمة بن الأبيرق[(١)] سرق درعا في جراب ، وفي الجراب دقيق ، وفي الجراب ثقب ، فتبدد الدقيق في الطريق فجاء طعمة بالدرع إلى بيت زيد السمين اليهودي فأودعه عنده ، فلما طلب صاحب الدرع درعه فلم يجده فتتبع أثر الدقيق في الطريق فهداه إلى بيت زيد السمين ، فطلبه منه ، فقال : أحضره إليَّ طعمة بن الأبيرق ، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ ، وصار مع طعمة جماعة ، ومع زيد جماعة .

وقالت طائفة المسلمين : يا رسول الله ، احكم على زيد السمين ، فإن القصص أدى إلى داره ، وافتضاح اليهودي أولى من افتضاح المسلم ، وجادلوا عن طعمة ، وأكثروا حتى خطر ببال النبي ﷺ يوافقهم على رأيهم ، فنزلت هذه الآيات ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[(٢)] أي : بما علمك ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ أي : مخاصما معهم الطائفة الأخرى . ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾ مما خطر ببالك من ذلك ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ ﴾ يوقعونها عن الخيانة ، وهم طعمة وأصحابه .

(١) هو طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري ، ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة ، وقال : شهد المشاهد كلها إلا بدرا ، وقد تكلم في إيمان طعمة . تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة ( ٣ / ٥١٨ ) .

(٢) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم ( ٣٠٣٦ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٤ / ٣٨٥ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٨٣) رقم ( ٣٦١ ) وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

﴿ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ في التحامل على زيد السمين ، ثم عرض لطعمة بالتوبة بقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾ الآيات ﴿ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ أي: يحملونك على التحامل على زيد السمين ثم اجتمع أصحاب طعمة يتشاورون ، فنزلت ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

وفي الحديث: «كلام ابن آدم كله عليه لا له ، إلا أمر بمعروف ، أو نهي عن منكر ، أو ذكر لله – تعالى»[1] .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾

ثم إن طعمة افتضح ، ولحقه الحياء فرجع إلى مكة ، وكفر بعد إسلامه ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾[2] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ هذه الآية مطابقة لمذهب أهل السنة في أن الله – تعالى- لا يغفر الشرك إلا بالإسلام ، وأما الكبائر والصغائر فأمرها موكول إلى المشيئة إن شاء الله عذب ، وإن شاء عفا ، ومذهب المعتزلة : أن من مات وفعل كبيرة ولم يتب أو أصر على

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٢) وقال : غريب ، وابن ماجه رقم ( ٣٩٧٤ ) ، والحاكم في المستدرك (٢/٥١٢) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٢٢٠ ) ، وزاد نسبته لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن أبي الدنيا في الصمت ، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أم حبيبة ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٤٢٤ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٥ / ٢٦٧ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٦٧٢ ) لعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة . وفيهما فنافق بدل كفر .

صغيرة ، فهو مخلد في النار ، ولا يدخل الجنة أبدا ، واحتجوا بقوله - تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء] وهو الجنة فمن لم يجتنب الكبائر لا يدخل المدخل الكريم عندهم[١] .

والضال عن الطريق متى كان قريبا منها ، تيسَّر عودُه إلى الطريق ، ومتى بعد عن قصد الطريق ، تعسَّر عودُه إليها ، فشبه الله ضلال هؤلاء بالضلال إلى مكان بعيد عن الطريق كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الإناث ويقولون : أنثى بني فلان ، يعني: صنمهم ؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدون الملائكة ، وكانوا يسمون الملائكة تسمية الأنثى ﴿ إِن يَدْعُونَ ﴾ بدعائهم الأصنام ﴿ شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ عاريا من الخير ، يقال : شجرة مردا : إذا سقط ورقها . وصرح ممرد : أي : زجاج أملس ، وسمي ماردا ؛ لخلوه عن الخير ، والأمرد أمردا ؛ لخلو وجهه عن الشعر . ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ قيل : بالخصاء . وقيل : بالوسم . والتبتيك : القطع ، يريد به البحائر ، وكانوا إذا ولدت الناقة عشرة أبطن بحروا أذنها ، أي : شقوها ، وتركوها ، لا يركبها أحد[٢] .

﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾

﴿ غُرُورًا ﴾ مفعول من أجله . ﴿ مَحِيصًا ﴾ مخلصا ، نصب على المصدر . القيل والقول

---

(١) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير الآية ( ٣١ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٧ / ٨٩ ) .

والقال بمعنى واحد . ﴿ لَّيْسَ ﴾ حصول الثواب وخير الدنيا والآخرة حاصلا ﴿ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ بل ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ والنقير : نقرة في ظهر النواة ﴿ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ ﴾ أي : أخلص عمله ﴿ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾ مائلا عن كل مذهب إلا الإسلام.

قيل : سمي الخليل خليلا بما قاله الشاعر [ من الخفيف ] :

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسْلَكَ الرُّوحِ مِنِّي ... وبِهَذا سُمِّيَ الخَلِيلُ خَلِيلا (١)

﴿ مُّحِيطًا ﴾ عالما ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ ﴾ ويفتيكم ما يتلى عليكم في الكتاب فما : فاعل لفعل مضمر . قالت عائشة - رضي الله عنها: نزلت في اليتيمة تكون في حجر الرجل، فيريد أن يتزوجها ، ولا يوصلها إلى مهر مثلها ، فنهوا عن تزويجهن إلا أن يقسطوا لهن الصداق ، وفي المستضعفين من الولدان وفي أن تقوموا لليتامى بالعدل (٢) .

﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨) وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (١٢٩) وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا (١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١) ﴾

يقال : نشزت المرأة على زوجها ، ونشز الزوج على امرأته ، ومنه هذه الآية ﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ . ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ يعني : أنه قريب منها ، غير بعيد عنها . ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ عِشْرة النساء ﴿ وَتَتَّقُوا۟﴾ النشوز والإعراض. وقوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ يشير إلى أن العدل بكل طريق متعذر ، كما قال : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ فما لا يقدر عليه من ذلك مسموح به ، وهو مفهوم من قوله : ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟

---

(١) البيت لبشار ينظر في : تفسير القرطبي (٥/٢٥٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/٤٣١) ، فتح القدير للشوكاني ( ١ / ٧٨٢ ) .

(٢) رواه البخاري مختصرا رقم (٥٠٦٤) ، ومسلم رقم (٣٠١٨) ، وأبو داود رقم ( ٢٠٦٨ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ١٨٦ ، ١٨٧ ) رقم ( ٣٦٨ ) .

﴿كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ .

وقوله : ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ التي هي غير مزوجة وغير مطلقة . ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ وما روي عن الحسن بن علي ﷺ أنه كان منكاحاً مطلاقا ، ويقول : وعد الله الغنى في كل واحد من الأمرين ؛ أما النكاح فقوله : ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور:٣٢] الآية إلى أن قال : ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ [النور: ٣٢] وأما في الطلاق فلهذه الآية ـ بعيد جدًّا ؛ فإن الطلاق لا يلتمس به الرزق، وليس المراد ها هنا كثرة المال ، بل المراد غنى أحدهما عن صاحبه [١].

وكان الله واسع العطاء ، جعل الأمر بالتقوى عاما في الشرائع ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن عبادتكم محموداً تحمده أهل السماوات والأرض .

﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ ففوض الأمور إليه وهو الغني القادر الرحمن كما قال : ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل] ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ فليطلبه من الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ كقوله – تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢] وأتى بصيغة المبالغة في قوله: ﴿قَوَّٰمِينَ﴾ أي ليكن ذلك متكررا منكم . القياس فالله أولى به ؛ لأن المراد أحدهما ، لكن لما جرى ذكر

(١) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ( ٣ / ٢٥٣ ) في ترجمة الحسن ﷺ فقال : وقد كان هذا الإمام سيدًا وسيمًا جميلاً عاقلاً رزينًا جوادًا خيرًا دينًا ورعًا محتشمًا كبير الشأن وكان منكاحًا مطلاقًا تزوج نحوًا من سبعين امرأة وقلما كان يفارقه أربع ضرائر .

الفريقين أعاد الضمير عليهما ﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ كراهة أن تعدلوا ﴿ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ ﴾ يقال : لويت الرجل إذا مطلته بحقه. وقرئ ( وإن تلوا ) بواو واحدة [1] من الولي ﴿ أَوْ تُعْرِضُوا۟ ﴾ عن هذه القضية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ بالكتاب الأول ﴿ ءَامِنُوا۟ ﴾ بالقرآن . أو ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ بألسنتهم ﴿ ءَامِنُوا۟ ﴾ بقلوبكم ، أو﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ دوموا على الإيمان .

ومثله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ ﴾ ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ اجعل مكان بشارة المؤمنين بالجنة إخبار هؤلاء بالتعذيب ، فسماه باسم (٤٠/أ) مقابله ؛ كقوله: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] والمجازاة ليست بسيئة ، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٩٤] ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٧] ﴿فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾ [السجدة: ١٤] .

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فلتطلب منه دون غيره،كقوله: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠] ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي : في سورة الأنعام قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ [الأنعام: ٦٨] إلى قوله : ﴿ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] .

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة ، وقرأ الباقون بلام ساكنة وواوين بعدها أولاهما مضمومة (تلْوُوا) .

تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٣٧٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٤٤١) ، حجة ابن زنجلة (ص : ١٥) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٧٠) .

فإن سورة الأنعام مكية ، وسورة النساء مدنية ؛ فلذلك قال فيها : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ إذا رضيتم قولهم . ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ ﴾ ينتظرون ، وسمي ما يناله المؤمنون فتحاً ؛ تعظيما لجزائهم بالخير .

﴿ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ ﴾ أي : نستولي عليكم . ﴿ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ قيل : المراد ما ذكره آنفا من تسمية الشيء باسم مقابله . وقيل : يعطون في القيامة نورا ويسعى المؤمنون في نور أعمالهم ، ثم يضرب بينهم بسور ، وينطفئ نور المنافقين . وقيل : تفتح أبواب النار ، فيهمون بالخروج، فتغلق أبوابها دونهم .

﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ قال النبي ﷺ : «مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه أخرى»[(١)] .

منازل النار تذهب إلى أسفل ، وتسمى دركات ، والمنافقون في الدرك الأسفل منها ومنازل الجنة تذهب علوًّا ، وتسمى درجات . وشرط في توبة المنافقين الإصلاح والاعتصام بالله وإخلاص الدين لله ، فلما تكاملت هذه الشروط أعرض عنهم وقال: هؤلاء إذا استكملت شروط توبتهم يكونون مع المؤمنين .

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ ﴾

﴿ وَسَوْفَ ﴾ أكافئ المؤمنين بالخير ، وهذا يدل على غضب شديد فإنه وإن قبل توبتهم ،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٧٨٤) ، والنسائي (٨/ ١٢٤) ، من حديث ابن عمر . قال النووي في شرح مسلم ( ٩ / ١٤٢) : العائرة : المترددة الحائرة ، لا تدري لأيهما تتبع . وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ( ٣ / ٣٢٨ ) : المترددة بين قطيعين ، لا تدري لأيهما تتبع .

يعرض عنهم .

أي شيء ﴿ يَفۡعَلُ ٱللَّهُ ﴾ بتعذيبكم إن كنتم مؤمنين شاكرين فإنه – تعالى- شاكر يثيب على العمل اليسير بالجزاء الكثير ، ويضاعف الثواب حتى يكون بقدر سبعمائة ضعف . قال بعض المفسرين من التابعين : يجوز لمن شتم أن يرد على من شتمه قبله ، فإن ظاهر هذه الآية يقتضي أن من ظلم جاز له الجهر بالسوء من القول . وقد أعمل المصدر الذي هو الجهر في الجار والمجرور ، فادعى بعض النحويين أنه ليس في القرآن إعمال المصدر المعرف بالألف واللام إلا في هذا الوضع ، وليس بصحيح ؛ لأن قوله : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة:١٨٣] إلى أن قال : ﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ [البقرة: ١٨٤] إنه ظرف والعامل فيه الصيام المعرف بالألف واللام[١].

وقوله : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴾ ( ٤٠/ب ) ليس جوابًا للشرط ؛ لأن وصفه بالعفو والقدرة مستمر سواء أبدوا خيرا أو أخفوه ، أو عفوا عن سوء أو لم يعفوا ، والتقدير : أو تعفوا عن سوء فقد اتصفتم بصفات الحق جل جلاله في العفو والقدرة . في (أحد) معنى العموم ؛ فلذلك دخلت من عليها ، ولفظة بين تستدعي شيئين فصاعداً .

﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا (١٥٣) وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ

---

(١) هذا قول العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب ( ١ / ٤٤٨ – ٤٥٠ ) : ويعمل المصدر وإنّ لم يعتمد بخلاف اسم الفاعل ؛ لأنّه قوي بكونهِ أصلاً للفعل وأنّه موصوف لا وصف ، ثم قال : وأقوى المصادر عملا المنون؛ لأنه أشبه بالفعل إذ كان نكرة ، وإن الفعل لا يضاف، ثم يليه المضاف ؛ لأن الإضافة في حكم الأسماء، وقد لا تعرّف وإذا عرفت كان التعريف ساريا من الثاني إلى الأوّل بعد أن مضى لفظه على لفظ النكرة بخلاف الألف واللام ، ثم ما فيه الألف واللام وعمله ضعيف ؛ لأنّ الألف واللام أداةٌ زائدة في أوّله تنقله من التنكير إلى التعريف في أوّل أحواله ومع ذلك فعمله جائز ؛ لأنّ الشبه فيه باقٍ وهو قليل في الاستعمال ، ولم يأت في القرآن منه مُعْمَلٌ في غير الظرف فيما علمنا وإنّما جاء معملاً في الظرف كقوله – تعالى : ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ **وينظر** تفصيل هذه المسألة في : الأصول لابن السراج (١/١٣٧) ، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (١/ ٢٧٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٤٥٠ ) .

ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴿١٥٦﴾﴾

﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ بعد أن أتيتهم بآيات تدل على صدقه وادعاء النبوة ، فلا وجه لاقتراحهم آيات أخر ، كما لو قامت بينة على خصم بحق فقال : أريد أن يشهد فلان وفلان فإنه لا يسمع منه هذا الاقتراح بعد قيام البينة .

﴿ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾ تعنتا بعد رؤيتهم انفراق البحر ، وانقلاب العصا حية ، واليد السمراء بيضاء ، من غير سوء .

وأصل أرنا : أرءنا ، حذفت الهمزة ؛ لكثرة دورانها على الألسنة ، كما حذفت في قوله يرى ، وأصله : يرءى ، ثم نقلت حركة الهمزة إلى الراء التي قبلها ، فصارت أرنا ﴿جَهۡرَةٗ﴾ عيانا ﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ توهَّمَ الزمخشري[1] أن رميهم بالصاعقة كان عقوبة لهم لسؤالهم الرؤية المستحيلة عنده ، وإنما هو لتعنتهم ، وطلب آيات أخر بعد رؤية الآيات السابقة .

﴿ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ ﴾ إلها ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ ﴾ بأن الله – تعالى- ليس بجسم ، ولا مصور. وقوله : ﴿ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَ ﴾ أي : أخرنا عقوبته وإلا فالله – تعالى- لا يعفو عن الشرك إلا بالإسلام . ﴿ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا ﴾ حجة ﴿ مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ عهدا مؤكدا . (ما) في فبما : زائدة .

أي : فبنقضهم ميثاقهم . مضى الكلام في قوله : ﴿ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ ﴾ [البقرة: ٨٨] هل هي جمع أغلف ، أي : لا نفهم ما تقول . أو جمع غلاف ، أي : قلوبنا أوعية للعلم حافظة فلا حاجة إلى ما جئت به .

﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ

---

(١) ينظر : الكشاف ( ١/ ٥٨٥ ) وعبارة الزمخشري : بظلمهم : بسبب سؤالهم الرؤية ، ولو طلبوا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة .

شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾

وقوله : ﴿ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ إخبار من الله ، وإلا فهم لم يقولوا إنه رسول ، بل زعموا أنه ابن الله ، أو هو الله ، أو أحد الأقانيم الثلاثة[١] ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ألقى الله شبه عيسى على الذي دل عليه ، فأخذ وصلب ، فرفع الله عيسى إلى سمائه .

﴿ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ فيه وجوه : أنه عبد الله ورسوله قبل موت عيسى حين ينزل حكما عبدا[٢]. وقيل : قبل موت الكتابي ( ٤١/أ ) يتبين له الحق ، فيؤمن به حتى لا ينفعه إيمانه[٣]. أو ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ أي : بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي[٤].

---

(١) **الأقانيم** : الأصول واحدها : أقنوم ، والأقانيم الثلاثة : هي أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - قال ابن جرير وغيره : والطوائف الثلاث من الملكانية واليعقوبية والنسطورية تقول بهذه الأقانيم وهم مختلفون فيها اختلافا متباينا ليس هذا موضع بسطه وكل فرقة منهم تكفر الأخرى والحق أن الثلاثة كافرة .
**ينظر** : تفسير ابن جرير (٦/٣١٣)، تفسير ابن كثير (٢/ ٨٢) ، لسان العرب ( قنم ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٦ / ١٩ ) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وعن الحسن وقتادة ـ رحمهما الله .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٦ / ٢٠ ) عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٦ / ٢١ ) عن عكرمة ثم قال ابن جرير بعد ذكر هذه الأقوال : وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال ؛ لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون منهم من أهل الإسلام إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم كان ميراثه مصروفا حيث يصرف مال المسلم يموت ولا وارث له وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره ؛ لأن من مات مؤمنا بعيسى فقد مات مؤمنا بمحمد وبجميع الرسل وذلك أن عيسى صلوات الله عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين فالمصدق بعيسى والمؤمن به مصدق بمحمد وبجميع أنبياء الله ورسله كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء الله ورسله فغير جائز أن يكون مؤمنا بعيسى من كان بمحمد مكذبا . ثم قال : وأما الذي قال: عني بقوله : ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ ليؤمنن بمحمد قبل موت الكتابي فمما لا وجه له مفهوم لأنه مع فساده من الوجه الذي دللنا على فساد قول من قال عنى به ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي يزيده فسادا أنه لم يجر لمحمد عليه الصلاة والسلام في الآيات التي قبل ذلك ذكر فيجوز صرف الهاء التي في قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ إلى أنها من ذكره وإنما قوله : ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ في سياق ذكر عيسى وأمه واليهود فغير جائز صرف الكلام عما هو في سياقه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل أو خبر عن الرسول تقوم به حجة فأما الدعاوي فلا تتعذر على أحد .
فتأويل الآية إذ كان الأمر على ما وصفت وما من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن بعيسى قبل موت=

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾

﴿وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون متعديا و( كثيرا ) مفعول به ، أي : وبمنعهم كثيرا عن الإيمان ، وأن يكون صد لازما ، ويكون كثيرا نعتا لمصدر محذوف ، والتقدير : وبصدهم صدودا كثيرا حرمت عليهم محرمات كثيرة ؛ لظلمهم وكذبهم ، وقد بين ذلك في قوله : ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام] أي : وهم الكاذبون في دعواهم : أن هذا التحريم كان شرعا مستأنفا ، ولم يكن عقوبة .

وقوله : ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ إن كانت شريعة من قبلنا شرعا لنا ، فيجب الإيمان بكل جزء منها ، إلا ما نسخ ؛ كالسبت وأكل لحوم الإبل ، وإن قلنا : إنه ليس شرعا لنا ، فيجب الإيمان بأنها نزلت من عند الله ، ولا يجب الإيمان بما فيها من الشرائع

وقوله : ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ من باب عطف الصفات بالواو، وانقطاع بعضها بالنصب بإضمار أعني أو بالرفع بإضمار هو ؛ كقول الشاعر [ من الكامل]:

لا يَبْعَدَنْ قومي الذينَ هُمُ ... سَمُّ العُداةِ وآفةُ الجُزْرِ
النازلينَ بكلِّ معتَرَكٍ ... والطيبونَ معاقِدَ الأُزْرِ[1]

فعطف بالواو واقتطع . قوله : ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ التشبيه وقع في أصل

---

=عيسى وحذف من بعد إلا لدلالة الكلام عليه فاستغني بدلالته عن إظهاره كسائر ما قد تقدم من أمثاله التي قد أتينا على البيان عنها .

(١) البيتان للخرنق بنت بدر بن هفَّان ، ينظران في : الأشباه والنظائر للسيوطي (٦/ ٢٣١) ، الإنصاف لابن الأنباري ( ٢ / ٤٦٨ ) ، أوضح المسالك لابن هشام ( ٣ / ٣١٤ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٥/ ٤١ ، ٤٢)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٤٦٢ ) ، ديوان الخرنق ( ص : ٤٣ ) ، الكتاب لسيبويه (١/ ٢٠٢) ، لسان العرب ( نضر ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٣ / ١٢٥ ) و الآفة : العلة والمرض . والجزر : جمع جزور وهي الناقة . والمعترك : موضع الزحام في القتال . والمعاقد : موضع عقد الإزار وثنيه . والأزر : جمع إزار ، وهو ما يستر نصف البدن من أسفل .

الوحي إليهم لا في نفس المفروض .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ ﴾

وقوله : ﴿ وَرُسُلًا ﴾ منصوب بفعل مضمر ، أي : وأرسلنا رسلا قد قصصنا نبأهم بالحق، ورسلا لم نقصص نبأهم .

وقوله : ﴿ رُّسُلًا ﴾ الثاني بدل من الأول ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ ﴾ فيقولوا ﴿ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩] ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء:١٥] ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [طه: ١٣٤] إلى آخر السورة .

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ ﴾ يعني : إن توقفوا على الشهادة لك ، فالله يشهد ، وفيه ما في قوله: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨] قوله : ﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ لا يمتدح الله بالقدرة فإن في مخلوقاته الداخلة تحت قدرته ما هو أشد منهم ، لكن المراد : أنهم هانوا عليه ؛ لكفرهم ، فهانت عقوبتهم ، وهذا كقوله في نساء النبي : ﴿ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٠] أي : تهون عليه عقوبتهن إذا فعلن ذلك .

قد تقتضي التوقع ، وإن كان الفعل بعدها ماضيا ؛ لأنها لا تستعمل إلا حيث يكون ذلك الفعل مترقبا .ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ولا تقول: قد ركب الأمير؛ إلا لقوم ينتظرون ركوبه ، والكفار كانوا ينتظرون بعثة النبي ﷺ، فإنه مذكور في كتبهم القديمة .

قوله : ﴿ خَيْرًا ﴾ مفعول بفعل مضمر ، والتقدير : وائتوا خيرا لكم ، ولا تضمر : يكن خيرا .

و(خيرا) منصوب بـ (يكن) ؛ لأن كان لا تعمل مضمرة .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا (١٧١) لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا (١٧٢) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا (١٧٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا (١٧٤) ﴾ .

﴿ لَا تَغۡلُواْ ﴾ لا تجاوزوا الحد في اعتقادكم. ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي : من عنده ، كقوله ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣] ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ﴾ أي : لا تقولوا : معبودنا ثلاثة . ولا تقدر : آلهتنا ثلاثة ؛ لأن المبتدأ لا يدخله تصديق ولا تكذيب، فتكون قد قدرت أن ثم آلهة وأخبرت أنها ثلاثة ، وهذا لا يجوز. ﴿ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا ﴾ أي : انتهوا وائتوا خيرا .

الهاء في سبحانه في موضع جر ؛ كقولك : سبحان الله ، وهذا المجرور هل هو في موضع رفع أو نصب ؟ فيه قولان ، التقدير : سبحت الله ، أو تنزه الله .

قوله : ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فيه تلويح بأن الإنسان لا يملك ولده . ومثله: ﴿ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾ [الأنبياء] استنكف عن الأمر : إذا ترفع عنه .

وقوله ﴿ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ ادعى بعض الناس أنه يدل على أن الملائكة أفضل من البشر، كقولك : لا تستنكف عن صحبتي زيد ولا السلطان ، ولا تقول : لا تستنكف عن صحبتي السلطان ولا زيد ؛ لأنه لا ترقي فيه . وجوابه : أنه إذا ذكر عن شخصين أنهما ترفعا عن صحبتك رددت عليه وقلت : لا تستنكف عن صحبتي زيد ولا عمرو ، لا تدريج فيه . والملائكة قد عُبِدوا ، والمسيح قد عُبِد ، فأخبر الله – تعالى- أن هذين المعبودين لا يستنكفان عن عبادته .

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا (١٧٥) يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ

﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةً رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾

أما حرف تفصيل ، ولابد بعدها من وجود شيئين تقول : أما زيد فعالم ، وأما عمرو فجاهل . ولا يجوز الاقتصار على قولك : أما زيد فعالم وهاهنا وقع الاقتصار على قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ الآية ، وإنما جاز الاقتصار ها هنا ، فإنه قد مضى ذكر الفريقين بعد قوله : ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ١٧٢ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ﴾
(٤٢/أ) ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ تنازع العاملان على المجرور في الكلالة والتقدير : يستفتونك في الكلالة ، قل الله يفتيكم فيها ، فجاءت حجة البصريين في إعمال الثاني ، ولو عمل الأول لقال : يستفتونك في الكلالة قل الله يفتيكم فيها [1] . ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ امرؤ : فاعل ؛ فإن الشرط يطلب الفعل ، والتقدير: إن هلك امرؤ . وقد امتنع بعض الناس أن يقال : هلك إلا في الكفار ، وهو غلط؛ لقوله هاهنا : ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ﴾ هو عام في الكفار والمؤمنين ، ولقوله : ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ﴾ [غافر: ٣٤] .

قوله : ﴿لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ﴾ لابد أن يكون: ولا أب ؛ لأن الأب يحجب الإخوة . وجعل للأختين هاهنا الثلثين ، فجعل الثلثين للبنتين من باب الأولى ؛ لأن البنات يحجبن الأخوات عن الفرض فلا يرثن إلا بالتعصيب. ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ كراهة ﴿أَن تَضِلُّواْ﴾ أو: لئلا تضلوا. فمن أضمر كراهة قال : أضمرت كلمة واحدة ، وأنت أضمرت كلمتين ؛ لام كي،

---

(١) هذه المسألة تعرف بمسألة التنازع ومعناه : أن يتوجه عاملان متقدمان أو أكثر إلى معمول واحد متأخر أو أكثر كما في هذه الآية ، حيث إن ﴿فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ في الكلالة تقدمه عاملان وهما ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ﴾ ويفتيكم، وقد اختلف النحاة في أي العاملين منهما يعمل في المعمول ، الأول أم الثاني ؟ فذهب البصريون إلى أن العامل هو الثاني ؛ لقربه من المعمول . وذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الأول ؛ لسبقه . ولا يقع التنازع إلا بين فعلين متصرفين ، أو اسمين يشبهانهما ، أو فعل متصرف واسم يشبهه ، ولا يقع بين حرفين ولا بين حرف وغيره ولا بين جامدين ولا بين جامد وغيره . وإذا جاء الفعل الثاني لمجرد التقوية والتأكيد ، فلا عمل له وإنما يكون العمل للأول ولا يكون حينئذ من باب التنازع .
تنظر المسألة في : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٨٧ ) ، المسألة ( ١٣ ) ، أوضح المسالك ( ٣ / ١٨٦ ) شرح الأشموني ( ٢ / ١٧٥)، همع الهوامع ( ٣ / ٩٤ ) .

ولا. قال الثاني : أنا أضمرت ثلاثة أحرف ؛ لام كي حرف ، ولا : حرفان ركب أحدهما مع الآخر ، وأنت أضمرت خمسة أحرف ، وهي كراهة .

﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾ ﴾ .

* * *

## سورة المائدة [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ (١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٢) حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ﴾

قوله: ﴿ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ بما عاهدتم الله عليه وعقدتم الأيمان ، يدخل فيه الوفاء بمقتضى العقود الشرعية. ﴿ بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ﴾ الأزواج الثمانية . وقيل: الظباء . وقيل: الجنين الذي يوجد في بطن الأم عندما تذبح وفي الحديث : « ذكاة الجنين ذكاة أمه »[(١)].

﴿ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ من تحريم المنخنقة والمتردية والنطيحة. روي أن رجلا يقال له: الحطم أغار على المسلمين ، وأخذ أموالا لهم ، ثم جاء في صورة حاج أو معتمر، وقلد الهدي ، وقلد نفسه ، وهو باق على كفره على عادة العرب في حج البيت وهم كفار ، فأراد المسلمون أن يخرجوا عليه ويأخذوه ؛ لبغيه عليهم أول مرة فنزلت[(٢)] ﴿ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ﴾ ولا قاصدين البيت الحرام .

﴿ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ ﴾ أمر إباحة ؛ لأنه جاء بعد التحريم ، فهو كقوله: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[(٣)].

﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ ﴾ ولا يحملنكم. ﴿ شَنَـَٔانُ ﴾ أي: بغض و ﴿ أَن تَعۡتَدُواْ ﴾ مفعول ثان

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣١ ، ٣٩ ، ٥٣) ، وأبو داود رقم (٢٨٢٧) ، والترمذي رقم (١٤٧٦)، وابن ماجه رقم (٣١٩٩) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٥٨٨٩) ، من حديث أبي سعيد الخدري وصححه الألباني في إرواء الغليل رقم (٢٥٣٩) بمجموع طرقه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٨) ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ١٩١) ، رقم (٣٧٩) .

(٣) سورة الجمعة ، الآية (١٠) .

لـ «يجرمنكم» ، أي : لا يكسبنكم العدوان التعدي . ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا ﴾ أي : ولا تتعاونوا على موجبات الإثم .

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ إلا السمك والجراد ، والجنين يوجد في بطن الأم بعد ذبحها ، ﴿ وَالدَّمُ ﴾ إلا الكبد والطحال ﴿ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾ وكذا عظمه ومخه وسائر أجزائه[1] ، والإهلال : رفع الصوت ، وكانوا إذا ذبحوا لأصنامهم رفعوا أصواتهم بالذبح باسمها .

﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ۚ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤) الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) ﴾

﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ ﴾ المقتولة بالمثقل ﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ بمعنى: المنطوحة ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ ولم يبق فيه حياة مستقرة . وفي «النصب» قولان:

أحدهما : الأصنام ، قال الأعشى [من الطويل] :

وذا النُّصُبِ المنصوبَ لا تعبُدَنَّهُ ... ولا تعبُدِ الشَّيْطانَ واللهَ فاعبُدا[2]

والثاني: أن النصب : حجارة كان يذبح عليها للأصنام ، وهو ظاهر قوله : ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ والقائل الأول يقول : معناه : وما ذبح على اسم النصب ، يعني: الصنم .

(١) تقدم القول في ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية (١٧٣) .

(٢) ينظر البيت في: تذكرة النحاة لأبي حيان (ص: ٧٢)، سر صناعة الإعراب (٢/ ٦٧٨) دارالقلم، دمشق ، ١٩٨٥م ، تحقيق: الدكتور حسن هنداوي ، ديوان الأعشى (ص: ١٨٧) ، شرح التصريح (٢/ ٢٠٨) ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٠) ، لسان العرب (نصب) ، المقتضب للمبرد (٣/ ١٢) ويروى الشطر الأول منه: فإياك والميتات لا تقربنها .

الاستقسام: طلب القسم والنصيب. الأزلام: سهام صغار ، وكان يوجد منها ثلاثة يكتب على أحدها: أمرني ربي ، وعلى الثانية : نهاني ربي ، والثالث غفل لا يكتب عليه شيء وتوضع السهام في خريطة عند رجل عند البيت ، فمن أراد سفرًا أو نكاحًا أو أمرًا مهمًّا ، جاء لذلك الرجل فوهبه شيئا ، فيأخذ تلك الخريطة ، فيحركها تحريكا يتغير كل سهم عن مكانه ، ثم يدخل يده ، فيخرج سهما ، فإن خرج: «أمرني» توجه للأمر الذي طلبه ، وإن خرج : «نهاني ربي» كف عنه ، وإن خرج السهم الذي لا كتابة عليه أعاد الاستقسام بالسهام .

﴿ ٱلْيَوْمَ ﴾ يعني: هذا الوقت ﴿ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ من رجوعكم ﴿ مِن دِينِكُمْ ﴾ لما رأوا من استقامة دينكم وعلو كلمتكم . ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ نزلت هذه الآية يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة من حجة الوداع ، وعاش بعدها ﷺ نيفا وثمانين يوما ، ولم يتجدد بعدها نزول فرض ولا تحريم[١] .

والمخمصة: المجاعة. والمتجانف: المائل ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ له. ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ذبائحهم حلال لنا وذبائحنا حلال لهم .

﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ ﴾ يريد العفائف ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ هم اليهود والنصارى، أو الكتاب: هو التوراة والإنجيل ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا ﴾[٢] ﴿ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ أي: إذا سميتم لهن في العقد مهرًا ، وإن لم تقبضوه ﴿ مُحْصِنِينَ ﴾ متزوجين ﴿ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ غير زانين مع كل من طلب ذلك منهم ﴿ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ أي: صديقا يقع الزنى معه خاصة .

﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ ﴾ بهذا احتج أبو حنيفة على أن من كفر بعد الإيمان حبط عمله ، فلو كان حج حجة الإسلام ثم ارتد ، ثم عاد إلى الإسلام ، لزمه إعادة الحج وعند الشافعي: لا تحبط الردة إلا بشرط أن يموت عليها ؛ لقوله: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ

(١) روى البخاري في صحيحه رقم (٤٥٤) عن عمر بن الخطاب أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا ، قال: أي آية؟ قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة.

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٥٦) .

عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ [١] فحمل الشافعي المطلق في هذه الآية على المقيد في تلك[٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٦ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝٨ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠ ﴾

﴿ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ أي: إذا أردتم ؛ كقوله: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ ﴾ [٣] وكقوله: إذا لقيت الأسد فاستعد ، أي: إذا أردت القراءة ، ولقاء الأسد. من قرأ «وأرجلكم» بالخفض ، وعطفه على الرؤوس . ومن قرأها بالنصب [٤] عطفه على «وجوهكم وأيديكم» وتكون الأرجل مغسولة على هذا ، وعلى الأول ممسوحة أي: إذا كان لابس خف .

﴿ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ ﴾ أو مسافرين مجنبين ، أو محدثين حدثا أصغر بمجيء أحدكم من الغائط أو بملامسة النساء ، فاقصدوا صعيدًا طاهرًا ، واللام في «ليجعل»

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

(٢) ينظر: الأم للشافعي (٤/ ١٨٧) وتقدم قول أبي حنيفة في تفسير سورة البقرة ، الآية (٢١٧).

(٣) سورة النحل ، الآية (٩٨) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب «وأرجلَكم» ، وقرأ الباقون «وأرجلِكم» .
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٣/ ٤٣٧) ، حجة ابن خالويه (ص: ١٢٩) ، حجة أبي زرعة (ص: ٢٢٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٤٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٤) .

و «ليطهركم» بمعنى «أن» .

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ ولا يكسبنكم بغض قوم . الضمير في ﴿ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ راجع إلى مصدر «اعدلوا» ، التقدير: العدل أقرب للتقوى .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ فقال : ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٢) فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣) وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٨) ﴾

روي: «أن النبي ﷺ نزلا منزلا ، واختار ظل شجرة ، فأوى إليها ، وتفرق أصحابه تحت الشجر ، فجاء أعرابي والنبي ﷺ مضطجع ، فسل السيف من غمده ، وقال للنبي ﷺ : من

يمنعك مني ، فقال: «الله» فأغمد السيف وجلس ونادى رسول الله ﷺ أصحابه ، فأخبرهم، فنزلت ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ﴾ الآية [١].

وقيل: نزل من التنعيم سبعون شابًا لابسين السلاح ، أرادوا أن يوقعوا بالمسلمين، فكفهم الله ، وأنزل هذه الآية ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ على الإيمان بمحمد وأخذ منهم اثنى عشر نقيبًا . ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ أي : منعتموهم ممن يؤذيهم ، وأصل التعزير المنع، وكذلك قوله: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [٢] ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ [٣] والتعزير الذي يذكره الفقهاء على من أتى معصية لا حد بها ، ولا كفارة ، فسمي به ؛ لأنه يمنع من العود إلى الذنب .

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ قد مضى شرحه [٤]. ما في ﴿فَبِمَا﴾ زائدة . وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ لا تتأثر بالمواعظ . وفيه دليل على أن الله – تعالى- فاعل الخير والشر .

﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ ومثله من المصادر التي على «فاعلة» ؛ العاقبة ، والعافية ، والكاذبة في قوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [٥] واللاغية في قوله: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [٦].

﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ فألصقنا بهم التعادي والتباغض ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ ويجازيهم عليه .

﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي : سبل السلامة . وقد أخبر عن «من» بالمفرد في قوله : ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ ثم بالجمع في قوله: ﴿وَيُخْرِجُهُم﴾ ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ ، وهو كثير وعكسه قليل. ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من رد أمره. ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ﴾ أنبياء ﴿ٱللَّهِ﴾.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤١٣٩) ، ومسلم برقم (٨٤٣) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما.

(٢) سورة الفتح ، الآية (٩) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٥٧) .

(٤) في الآية (٢٤٥) من سورة البقرة .

(٥) سورة الواقعة ، الآية (٢) .

(٦) سورة الغاشية ، الآية (١١) .

﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿ عَلَىٰ فَتْرَةٍ ﴾ متعلق بـ﴿ قَدْ جَآءَكُمْ ﴾ كراهة ﴿ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ .

وقوله : ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ ﴾ ، كقول الشاعر [من البسيط]:

قالوا خُراسانَ أقصَى ما يُرادُ بِنا ... ثمَّ القفولَ فقد جِئْنا خُراسانا[1]

فضل بني إسرائيل بكثرة الأنبياء فيهم ﴿ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾ زعم بعضهم أن من ملك دارا وخادما وكفاية من الرزق فهو ملك ، والأحسن أن الملك كان في القبط ، وكانوا يستعبدون بني إسرائيل ؛ فلما أغرق الله – تعالى- فرعون وقومه، انتقلت المملكة إلى بني إسرائيل فهو كما يقول أكابر أصحاب الملك: نحن الملوك.

﴿ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ من انفراق البحر ، وتظليل الغمام ، وإنزال المن والسلوى وغير ذلك ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ أراد العمالقة ، وكانوا كبار الأجسام جدًّا .

﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ هما يوشع بن نون ، وكالب بن يوفنا ، وقولهم: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ

(١) البيت للعباس بن الأحنف ، ينظر في: روح المعاني للألوسي (١/ ٣٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧١) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٢/ ٣٥٣) .

فَقَـٰتِلَآ ﴾ جرأة على الله ، وإطلاق اللسان ، حيث يجب حبسه .

قيل: ﴿وَأَخِى﴾ لا يملك إلا نفسه . وقيل: «وأخي» معطوف على «نفسي» ، فكأنه مالك لأمر أخيه . قيل: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ظرف ، والصحيح أنها متعلقة بـ «يتيهون» تحريمها عليهم ليس بمؤقت ، وإنما المؤقت مقامهم في التيه أربعين سنة[1]. ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزن .

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ ﴾ قيل: المراد ولدا آدم لصلبه وهما: قابيل وهابيل . وقيل: هما بني إسرائيل ، والناس كلهم بنو آدم ، ويقوي هذا قوله في آخر القصة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ وكانت القرابين على عهد الأنبياء الأولين إذا قربت وأراد الله قبولها نزلت نار من السماء فأكلت ما تقرب له . وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ جواب لقوله: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾ كأنه قيل: إنما امتنع قبول قربانك ؛ لأنك لم تتق الله عز وجل فيه ، فلذلك لم تقبل ، ولم يمتنع قبوله لسبب من جهتي ، حتى تقتلني ، وعمل الحسن البصري عبادة ، فقال له قائل: تقبل الله منك ، قال: لو علمت أن الله قبل مني ذرة لاطمأن قلبي ، لكن الله – تعالى- يقول: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [2].

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال النبي ﷺ : « إذا التقى

---

(١) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٤ ، ١٨٥): « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الأربعين منصوبة بالتحريم وإن قوله : ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ معنى به جميع قوم موسى لا بعض دون بعض منهم ؛ لأن الله عز ذكره عم بذلك القوم ولم يخصص منهم بعضا دون بعض. وقد وفى الله بما وعدهم به من العقوبة فتيههم أربعين سنة وحرم على جميعهم في الأربعين سنة التي مكثوا فيها تائهين دخول الأرض المقدسة ، فلم يدخلها منهم أحد لا صغير ولا كبير ولا صالح ولا طالح حتى انقضت السنون التي حرم الله – عز وجل – عليهم فيها دخولها ، ثم أذن لمن بقي منهم وذراريهم بدخولها مع نبي الله موسى والرجلين اللذين أنعم الله عليهما» .

(٢) جاء في كتاب الزهد لابن المبارك (١/ ١٩) رقم (٧٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٥٧) لابن أبي الدنيا عن فضالة بن عبيد قال : لأن أكون أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إلى من الدنيا وما فيها .

المسلمان بسيفيهما ، فالقاتل والمقتول في النار ، قالوا: يا رسول الله ، هذا القاتل، فما بال المقتول ؟! قال : «إنه كان حريصا على قتل صاحبه»[(١)].

فإن قيل: كيف استجاز أن يريد أن يبوء صاحبه بالإثم ، وإرادة المعصية معصية؟

قلنا: كأنه يقول: إذا كان ولا بد من أن نقتتل حتى يقتل أحدنا الآخر ، فأنا أختار أن أكون عند الله المقتول ، ولا أكون عند الله القاتل . واعلم أن من طلب منك مالك ، جاز لك أن تبيحه له ولا تقاتله ، وجاز أن تقاتله ، وإن قصد نفسك ففي جواز الاستسلام قولان للشافعي ، وهذه الآية حجة الجواز . وكذلك فعل عثمان بن عفان حين تسوروا عليه الجدار ونزلوا ليقتلوه ، كان عنده عبيد فقاموا دونه ، فقال: من ألقى سلاحه ، فهو حر[(٢)] والقائل الآخر يقول : لا يجوز إباحة الدماء [(٣)].

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٣١ ، ٦٨٧٥ ، ٧٠٨٣) ، ومسلم رقم (٢٨٨٨) عن أبي بكرة. ورواه أحمد (٤/ ٤٠١ ، ٤٠٣) ، والنسائي (٧/ ١٢٤ ، ١٢٥) ، وابن ماجه رقم (٣٩٦٤) عن أبي موسى الأشعري .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/ ٨٦) : «حديث أن عثمان منع من عنده من الدفع يوم الدار وقال: من ألقى سلاحه فهو حر» لم أجده وفي ابن أبي شيبة من طريق عبد الله بن عامر سمعت عثمان يقول: «إن أعظمكم عندي حقا من كف سلاحه ويده» .

وقال الصنعاني في سبل السلام (٤/ ٤٠) : «وصح أن عثمان -رضي الله عنه- منع عبيده أن يدافعوا عنه وكانوا أربعمائة وقال: من ألقى سلاحه فهو حر» .

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٦/ ٤٦) ، المبسوط للسرخسي (٧/ ٣١١) .

﴿ فَطَوَّعَتْ ﴾ فسهلت. وقيل: زينت . قوله: ﴿فَأَصْبَحَ ﴾ خرجت عن أصل الاشتقاق وصارت بمعنى «صار» . يقال لما حدث وقت الصبح ، ولما حدث وقت المساء ، ووقت الظهيرة . وقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ أبلغ من قوله: «فقد خسر» لأن من ربح في نهاره مائة درهم ، وخسر في سلعة خمسة دراهم يقال: إنه قد خسر ، ولا يقال: أصبح من الخاسرين إلا إذا غلب عليه الخسران ، ومثله ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ [(١)] ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾ [(٢)] هو أبلغ من أن تقول: ندم ، أو نادما ، ومسجونا ، وقاليا . وقوله: ﴿يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ حال مقدرة ؛ لأنه حين بعثه لم يكن باحثا في الأرض . سميت السوأة سوأة ؛ لأن صاحبه يسوءه كشفها ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا ﴾ متعلق بقوله: ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ . وقيل: هو متعلق بـ «كتبنا» .

﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ أو بغير ﴿ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ عند المقتول ؛ لأنه فقد الدنيا بأسرها ، ولم يبق له انتفاع بحياة غيره هو. وقيل: من استحل قتل نفس بغير حق ، فهو في الكفر كمن استحل الجميع «قدم المدينة نفر من عكل ، فأصابهم وباء المدينة فأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى لقاح الصدقة ؛ ليشربوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا فصحوا ، فقتلوا الراعي واستاقوا الإبل ، فأمر النبي ﷺ بطلبهم ، فطلبوهم فأدركوهم ، فلما جيء بهم إلى النبي ﷺ قطع أيديهم وأرجلهم ، وسمر أعينهم ، وتركهم بالحرة ، يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا، فأنزل الله - تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية» [(٣)] «فما قام رسول الله ﷺ بعدها مقاما إلا ونهى عن المثلة» [(٤)] .

وقيل: إنهم كانوا صنعوا بالرعاة مثل ذلك ، فاقتص لهم ، وقوله: ﴿ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ ﴾ هي عند غير الشافعي للتخيير ، وعند الشافعي منزل على أحوال ؛ فإن أخذ المال وقتل قتل وصلب ، وإن أخذ المال ولم يقتل ، قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى ، وإن أخاف السبيل ولم يأخذ شيئا طلب إلى أن يحضر به فيؤدب ، وهذا معنى النفي من الأرض عنده . وقيل: أراد النفي من الأرض : الحبس ، وهو

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢٩) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٦٨) .

(٣) رواه البخاري رقم (٤١٩٢) ، (٥٧٢٧) ، ومسلم رقم (١٦٧١) عن أنس ﷺ .

(٤) هذه زيادة في رواية أبي داود في سننه رقم (٤٣٦٨) .

مذهب أبي حنيفة[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

الخزي: الهوان. من تاب في المحاربة قبل الظفر قبلت توبته، ومن سرق ففي قبول توبته قولان: إذا أصلح؛ لقوله - تعالى- في السارق: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ ﴾ وكذا في الزاني قوله - تعالى: ﴿ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ ﴾[2] علل الأمر بالتقوى وابتغاء

---

(١) ينظر: الأم الشافعي (٦/ ٢٠٢)، بدائع الصنائع للكسائي (٦/ ٥٠)، المبسوط للسرخسي (٦/ ١٢١)، المغنى لابن قدامة (١٠/ ٣٠٧).

(٢) سورة النساء، الآية (١٦).

الوسيلة إلى الله - تعالى - بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآيتين بدأ في السرقة بالسارق ، وفي الزنى بالزانية ؛ لأن أكثر السرقة تقع من الرجال ؛ لما أوتوا من القوة ، ولولا إطماع المرأة في نفسها بلين الكلام وغيره ، لما وقع الزنى غالبا . قدم ها هنا ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ ؛ لأن السابق قبلها ذكر قاطع الطريق والسارق ﴿ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ أي: يسمعون انتقلوا إليهم. قوله: ﴿ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ صفة لقوم آخرين. وكان في التوراة الرجم في الزنى على المحصن ، فغيروه وقالوا: يسود وجهه فزنى منهم رجل فاختلفوا في الحد الذي يقام عليه ، ثم قالوا: ائتوا محمدًا ، فسلوه فإن أفتاكم بالرجم ، فلا تقبلوه، وإن اختار تسويد الوجه والتطويف فاقبلوا . فجاؤوا إليه ، فقال: ما عندكم في التوراة في ذلك ؟ قالوا: يسود وجهه ، ويطوف . قال: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [1] فجاؤوا بها ، فوضع رجل منهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع يده ، فإذا آية الرجم ، فأمر النبي ﷺ باليهودي واليهودية فرجما[2] .

﴿ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ﴾ رد أمر الله شيئا ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ الإمام مخير بين الأمرين . ﴿ ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ ﴾ وصف الأنبياء بالإسلام ، وهو دليل على عظمة وصف الإسلام ، كما وصف النبيين في سورة «الصافات» بالإيمان ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3] وكذلك في إبراهيم وموسى وهارون وإلياس . اختلف العلماء في شريعة من قبلنا ؛ هل هي شرع لنا؟ فإن اتصل بها تقرير وجب العمل بها ، وإن اتصل بها إنكار فلا عمل بها ، وإن أطلقت مجردة عن الأمرين ففيه الخلاف في شريعة من قبلنا، وهذه الآية اتصل بها التقرير ؛ لقول النبي ﷺ لأنس بن النضر : «كتاب الله القصاص»[4] وليس القصاص في كتاب الله في السِّنِّ إلا في هذه الآية[5] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٩٣) .

(٢) رواه أبو داود رقم (٤٤٥٠ ، ٤٤٥١) ، والواحدي في أسباب النزول (٣٩٢) ، عن أبي هريرة ﷺ بهذا السياق . ورواه البخاري رقم (٣٦٣٥ ، ٦٨٤١) ، ومسلم رقم (١٦٩٩) عن ابن عمر - رضي الله عنهما - بنحو ذلك .

(٣) سورة الصافات ، الآية (٨٠) .

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٠٣ ، ٤٤٩٩ ، ٤٥٠٠) ، ومسلم رقم (١٦٧٥) عن أنس ﷺ .

(٥) قال الإمام الشيرازي في كتاب اللمع في أصول الفقه (١/ ٣٤) ط. دار الكتب العلمية ، بيروت،=

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾

وقوله: ﴿ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾ يجوز أن يعود إلى الذي تصدق ، تكفر عنه سيئاته ، ويجوز أن يرجع إلى المتصدق عليه إذا وهبه أصحاب الحق ، كفر عنه ذنب الجناية .

---

= ١٩٨٥م: «اختلف أصحابنا في شرع من قبلنا على ثلاثة أوجه: فمنهم من قال: ليس بشرع لنا دون غيره، ومنهم من قال: شرع موسى شرع لنا إلا ما نسخ بشريعة عيسى صلوات الله عليه ، ومنهم من قال: شريعة عيسى ﷺ شرع لنا دون غيره . وقال الشيخ الإمام - رحمه الله ونور ضريحه: والذي نصرت في التبصرة أن الجميع شرع لنا إلا ما ثبت نسخه والذى يصح الآن عندي أن شيئا من ذلك ليس بشرع لنا والدليل عليه أن رسول الله ﷺ لم يرجع في شيء من الأحكام ولا أحد من الصحابة إلى شيء من كتبهم ولا إلى خبر من أسلم منهم ولو كان ذلك شرعا لنا لبحثوا عنه ورجعوا إليه ولما لم يفعلوا ذلك دل ذلك على ما قلناه » .

واختلف العلماء هل نسخ شرع موسى أو قرره ، فاختار الماوردي [١] أنه ناسخ لا مقرر؛ لأن عيسى دعا الناس إلى إنجيله ، وحلل السبت ، وحرم الأحد ، وأحل لحوم الإبل وألبانها. و «المهيمن» : الشديد .

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ تطلعونهم على عورات المسلمين ، وتودون أن تكون الدولة لهم على المؤمنين .

﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ شك أو نفاق ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ في مرضاتهم ، معتذرين بقولهم: ﴿ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ ﴾ أي: بالحكم بينكم بالحق ، فندم المشركون على مسارعتهم في رضائهم ، وتكشف حال الكفار للمؤمنين ، فيقول المؤمنون: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ . ﴿ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ لم يضر الله شيئا ، وإذا جاء وصف النكرة بمفردات وجمل ، فالأولى تقديم المفردات ، وتأخير الجمل، ويجوز خلافه ؛ لقوله هاهنا : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ ﴾ وأعزة ولقوله: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [٢] ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ﴾ إنكار لما سبق من موالاة اليهود والنصارى ؛ لأنه حصر الولاية في الله ورسوله والذين آمنوا بلفظة «إنما».

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ (٥٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٥٦) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ (٥٨) قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ (٥٩) ﴾

قوله: ﴿ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾ يجوز أن يكون حالا من ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ وقد روي: أن عليًّا تصدق في الصلاة بخاتمه [٣]. ويجوز أن يكون وصفا لهم بالركوع الذي هو جزء من الصلاة ؛

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي (١/ ٤٦٨ ، ٤٦٩) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٩٢) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٦/ ١٨٨) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ١٠٥) لأبي الشيخ وابن=

كما سميت الصلاة قرآنا في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [(١)] وتسبيحا : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [(٢)] وقد سماها ركوعا في قوله : ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [(٣)] ، أي: ومن يتول الله ورسوله فقد تولى حزب الله ، ومن يتول حزب الله يغلب ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ بالخفض ؛ عطفا على ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وبالنصب[(٤)] ، على ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ﴾ وكان بعض النصارى إذا سمع الأذان قال: حرق الكاذب فأضرمت داره عليه نارا واحترق ، ونزلت ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية[(٥)] .

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ فإن علمكم بفسق أنفسكم ، وبأنا قائمون بدين الحق ، هذا الذي كرهتموه منا ، وعبتموه علينا ، وهو مما لا يكره مثله ولا يعاب ؛ كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [(٦)] ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [(٧)] ﴿تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ [(٨)] ومن هذا الباب قول الشاعر [من الطويل]:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنَّ سيوفَهُم ... بهِنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ[(٩)]

فإن فلول السيف وإن كان عيبا في السيف تنقص به قيمته فليس عيبا فيهم ، بل ذلك

---

= مردويه عن علي بن أبي طالب ﷺ .

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٨) .

(٢) سورة الطور ، الآية (٤٨) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٤٣) .

(٤) قرأ بالخفض «والكفارِ» أبو عمر والكسائي ، وقرأ الباقون «والكفارَ» . **تنظر** القراءة في: حجة ابن زنجلة (ص: ٢٣٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٥٥٢) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٦٢٤) .

(٥) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٠٣) ، رقم (٤٠٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٤) لابن جرير وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

(٦) سورة التوبة ، الآية (٧٤) .

(٧) سورة البروج ، الآية (٨) .

(٨) سورة الأعراف ، الآية (١٢٦) .

(٩) البيت للنابغة الذبياني ، **ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٣٢٧) ، ديوان النابغة (ص: ٤٤) ، العين للخليل (٨/ ٣١٦) باب الفاء واللام ، الكتاب لسيبويه (٢/ ٣٢٦) ، لسان العرب (قرع) ، همع الهوامع (١/ ٢٣٢) .

دال على كثرة ضربهم بالسيف .

﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿ مَثُوبَةً ﴾ مرجعا . من قرأ « وعبد الطاغوت » على الفعل الماضي ، فهو معطوف على ﴿ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ [(١)] و ﴿ سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ وسط الطريق .

﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ﴾ هلا ينهاهم ، وجعل فعل الربانيين والأحبار أبلغ من المسارعة في الإثم والعدوان وأكل السحت ؛ لأنه ختمه بقوله : ﴿ يَصْنَعُونَ ﴾ ولا يطلق اسم الصانع إلا على من اتقن العمل ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [(٢)].

قالت اليهود: إن الله لن يبسط النفقة علينا ، وله القدرة وسعة المملكة ، فلعنهم الله ، ورد عليهم بقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ أي: هو أكرم الكرماء ، وهذا مثل لجوده وكرمه ، بحال من يعطي بيديه كلتيهما[(٣)] وإيقاد نار الحرب وإطفاؤها أيضا من باب الاستعارة .

---

(١) هذه قراءة عامة القراء غير حمزة ؛ فقد قرأ «عَبُدَ» بضم الباء وفتح الدال . وفي هذه الآية أربع وعشرون قراءة كما قال السمين الحلبي في الدار المصون ، وتنظر القراءة في : حجة ابن زنجلة (ص: ٢٣١) ، البحر المحيط لأبي حيان (٣/٥١٨) ، الدر المصون (٢/٥٥٨) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٦٢٥) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٨) .

(٣) هذه الآية من جملة الآيات التي اشتملت على صفة من الصفات التي وصف الله – تعالى – بها نفسه العلية ، وقد ثبت في صحيح البخاري رقم (٧٤١٩) ، وصحيح مسلم رقم (٩٩٣) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : «يمين الرحمن ملأى سَحّاء ، لا يغيضها الليل والنهار . قال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض ، فإنه لم يغض ما في يمينه ، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان يرفع ويخفض» . قال الترمذي – رحمه الله – في جامعه (٣٠٤٥) بعد هذا الحديث : « وهذا حديث قد روته الأئمة ، نؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم ، هكذا قال غير واحد من الأئمة ؛ الثوري =

﴿ فَسَادًا ﴾ يجوز أن يكون مصدرا ، والعامل فيه «يسعون» من غير لفظه ، وأن يكون مفعولا من أجله . وعد الله أهل الكتاب على الإيمان والتقوى بتكفير السيئات ودخول الجنة على إقامة التوراة وصيانتها عن التحريف بسعة الأرزاق.

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ متوسطة الحال في الطاعة والمعصية . ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ ﴾ في بعض ، فكأنك لم تفعل شيئا من الرسالة ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال ذات ليلة : «ليت حارسا يحرسني الليلة ، فجاء الزبير بن العوام عليه سلاحه ، قال النبي ﷺ : من هذا ؟ قال: أنا الزبير جئت لأحرسك ، فلما كان بعض الليل أخرج النبي ﷺ رأسه من القبة ، وقال: أيها الحارس، اذهب فقد عصمني الله ، وتلا ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [(١)] يعني : من القتل بأيديهم ،

---

= ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك ، أنه تروى هذه الأشياء ، ويؤمن بها فلا يقال كيف ؟! وقال ابن حبان في صحيحه : «هذه أخبار أطلقت من هذا النوع توهم من لم يحكم صناعة العلم أن أصحاب الحديث مشبهة ، عائذ بالله أن يخطر ذلك ببال أحد من أصحاب الحديث ، ولكن أطلق هذه الأخبار بألفاظ التمثيل بصفاته على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم ، دون تكييف صفات الله جل ربنا أن يشبه بشيء من المخلوقين ، أو يكيف بشيء من صفاته ؛ إذ ليس كمثله شيء » .

(١) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم (٣٠٤٦) ، والطبري في تفسيره (٦/ ٣٠٨) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣١٣) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٨) ، وفي دلائل النبوة (٢/ ١٨٤) ، وصححه الألباني - رحمه الله - في صحيح الترمذي رقم (٢٤٣٨) .

وإلا فقد شج وجهه ، وكسرت رباعيته ﷺ.

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ أي: لستم على شيء من الدين ﴿ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ تلاوة وعملا . ﴿ فَلَا تَأْسَ ﴾ فلا تحزن . وإذا عطف على اسم «فلا تأس» فلا تحزن . وإذا عطف على اسم «إن» بعد استيفاء الخبر، جاز النصب والرفع ؛ كقولك: إن زيدا قائم وعمرا وعمرو ، فأما قبل استيفاء الخبر فالنصب أرجح ، والرفع قليل ، ومنه هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ وأنشد سيبويه [من الوافر] :

وإلا فاعلَموا إنَّا وأنتُم ... بغاةٌ ما بقينا في شقاقِ[1]

والقياس على اللغة الفصيحة : إنا وإياكم[2]. ﴿ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ فيما يستقبل. ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على ما مضى. ﴿ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ قرئ بالرفع والنصب[3] .

وإذا وقع قبل «أن لا» فعل يقين تعين الرفع ، وتكون مخففة من الثقيلة ؛ كقوله: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ [4] . وإن كان قبلها فعل خوف أو طمع وجب النصب ؛ كقوله : ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ﴾ [5] وإن كان قبلها فعل ظن وحسبان ففيه قولان ؛ كهذه الآية . ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ أمرهم بعبادة الله دونه وجعله ربه وهو ضد ما تقوله النصارى .

---

(١) البيت لبشر بن أبي خازم **ينظر في**: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ١٧٥)، خزانة الأدب للبغدادي (١٠/ ٢٩٣ ، ٢٩٧) ، ديوان بشر بن أبي خازم (ص: ١٦٥) ، شرح أبيات سيبويه (٢/ ١٤) ، شرح التصريح (١/ ٢٢٨) ، الكتاب لسيبويه (٢/ ١٥٦) ، المقاصد النحوية (٢/ ٢٧١) ، وبلا نسبة في : أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ١٥٤) ، شرح المفصل لابن يعيش (٨/ ٦٩) .

(٢) ذهب البصريون إلى عدم جواز العطف على موضع اسم «إنّ» قبل تمام الخبر ، بخلاف الكوفيين الذين يجوزون ذلك . **تنظر** المسألة في : الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ( ١ / ١٧٥ ) ، أوضح المسالك لابن هشام ( ١ / ٣٥١ ) .

(٣) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب «تكونُ» ، وقرأ باقي العشرة «تكونَ» .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٥٣٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٣٣ ، ١٣٤ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٢٣٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٤٧ ) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٣٥٥) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٥).

(٤) سورة طه ، الآية (٨٩) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٢٩) .

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّآ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ «من» زائدة ؛ لتأكيد النفي ، فإن قيل : لو قيل : وما للظالمين من نصير لكان أبلغ ، فإنه يلزم من نفي النصير نفي الأنصار، ولا يلزم من نفي الأنصار نفي النصير؟ فالجواب : أنهم زعموا أن لهم أنصارا وهم ما أشركوه مع الله في الإلهية ، وآباءهم الأنبياء زعموا أنهم يشفعون فيهم ، فنفى ما اعتقدوه من الأنصار .

«من» في ﴿ مِنْ إِلَـٰهٍ ﴾ مزيدة . الصِّدِّيق : الكثير التصديق ؛ لقوله – تعالى– في حقها: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾ [(١)] وقيل: الكثيرة الصدق ، كالشرِّيب ، والخمِّير ، والعِرْبيد [(٢)] .

---

(١) سورة التحريم ، الآية (١٢) .

(٢) **العربدة** : سوء الخلق ورجل معربد : يؤذي نديمه في سكره ، والعربد : الذكر من الأفاعي ، ويقال : بل هي حية حمراء خبيثة ، ومنه اشتقت عربدة الشارب . **ينظر** : لسان العرب (عربد ).

﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ كناية عن احتياجهما إلى خروج الخبث الذي يستحيى من التلفظ به ﴿ يُؤْفَكُونَ ﴾ يقلبون عن الحق . والمؤتفكات : قرى قوم لوط ؛ لأنها قلبت بهم . كان النبي ﷺ قد مُني[1] بمجاورة اليهود ، وكانوا يدَّعون العلم بما في التوراة، فلما ظهرت معجزات النبي ﷺ وصدقه عادوه ، ولم يكن بجواره أحد من النصارى ، فكان يجد أشد الناس عداوة اليهود ، وأما المشركون فهم جهلة ، نقلوا عن آبائهم عقائد فاسدة ، فاقتدوا بهم فيها ، ولم يرجعوا عنها، وعادوا كل من يروم منهم الرجوع عنها ، وكان قد ورد المدينة جماعة من النصارى يجادلون في دينهم ، فلما تلوا عليهم القرآن بكوا وصدقوا وجعل علة تصديقهم بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم غير مستكبرين ، فإنهم إذا سمعوا القرآن بكوا، واعترفوا بأنهم عرفوا أنه الحق ، وسألوا الله – تعالى- أن يميتهم في زمرة من يشهد لمحمد بالرسالة ، وأقبلوا على نفوسهم باللوم ، وإن أخروا الإجابة والقبول ، فمن لم يكن علمه وتعبده بهذه الصفة فليس مراعيا للإذعان بالحق ، ولم يكن مستكبرا ، وكان خاشع القلب ، سريع الدمعة ، أعد له الثواب المذكور في آخر هذه الآية . والقسيس: العالم . والراهب: الخائف من الله .

﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩) ﴾

قوله : ( ونطمع ) جملة حالية ، وتقديرها : ونحن نطمع ، ويكون الحال جملة اسمية ،

---

(١) يقال : منيت بكذا وكذا : ابتليت به ، ومناه الله بحبها يمنيه ويمنوه أي : ابتلاه بحبها منيا ومنوا . ينظر : لسان العرب ( مني ).

وإلا فالفعل المضارع إذا وقع حالا مثبتا لم يجز دخول الواو فيه . روي أن جماعة أتوا بيوت أزواج النبي ﷺ فسألوهن عن أعماله في الليل والنهار ، فذكرن لهم ذلك ، فكأنهم استقلوها ، فقال أحدهم : «أما أنا فأصوم فلا أفطر ، وقال الآخر : أنا لا آكل لحما ، ولا دسما ، وقال الآخر : أنا لا آتي النساء ، فجاء النبي ﷺ ، فأطلعه الله على ما قالوا ، فقال: أما والله إني لأتقاكم لله ، وأشدكم له خشية ، أما أنا فأصوم وأفطر ، وآكل اللحم والدسم ، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني»[1] فنزلت ﴿ لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ ﴾ الآية[2] . والاعتداء : مجاوزة الحد .

أصل اللغو في لغة العرب : أنهم إذا أتوا بإبل الدية ، ومع النوق فصلان صغار لها ، فلا يعتد بالفصلان في الدية، ويقال: هذه لغو، فاستعير ذلك في الكلام الذي لا تعقد فيه النية من الأيمان ، وهو قول الرجل : لا والله ، وبلى والله ، وهو مخير في كفارة اليمين بين العتق والإطعام والكسوة، فإن عجز عن الجميع صام ثلاثة أيام . ﴿ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ﴾ فلا تحلفوا ، أو احفظوها إذا حلفتم فلا تحنثوا ، أو احفظوها إذا حلفتم وحنثتم فلا تتركوا الكفارة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿ وَٱلْمَيْسِرُ ﴾ ، القمار، وكانوا يتفاءلون به للغنى ، فاشتق له الميسر ، من اليسار.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم (٥٠٦٣) ، ومسلم رقم (١٤٠١) عن أنس ﷺ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٧ / ٧)، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨ ) رقم (٤١١) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٣٠٧ ) لابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾ الأصنام . وقيل: حجارة تذبح عليها للأصنام . ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾ سهام صغار وقد تقدم ذكرها [١]. والرجس : المبعد من عمل الشيطان مما وسوس به ، وقد عدد - سبحانه وتعالى - صوارف موانع من شرب الخمر، والاستقسام بالأزلام ، ومعاناة الميسر منها : أنها رجس، ومنها : أنها من عمل الشيطان ، ومنها : الأمر باجتناب ذلك ، ومنها : أن باجتناب ذلك يحصل الفلاح ، ومنها : أن فعل ذلك يورث العداوة والبغضاء ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ثم أتبع ذلك استفهام الإنكار ، بقوله : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ ولهذا قال عمر لما نزلت هذه الآية : انتهينا يا رسول الله ، انتهينا[٢] . ولما نزل تحريم الخمر ، قال بعض المسلمين : كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر قبل تحريمها ؟ فنزلت ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾ الآية[٣] .

ابتلى الله المؤمنين عام الحديبية ، وهم يحرمون بالصيد فكانت الغزلان وحمر الوحش تدخل بين الإنسان وبين رجله ، فيتمكن الإنسان من إمساكها بيده [٤] ، كما ابتلى أصحاب طالوت بتحريم شرب ماء نهر ، مع شدة العطش إلا من اغترف غرفة بيده ، وكذلك ابتلى أهل «أيلة» بتحريم الصيد يوم السبت، فكانت الحيتان تأوي ليلة السبت إلى شاطئ البحر كأنها كباش سمان؛ ليظهر بهذا الابتلاء المطيع من العاصي .

﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ علما يتعلق به الجزاء ، فإن علمه في الأزل أن زيدا سيعصي لا يستحق عقوبة. أو ليرى ؛ فإن الرؤية لابد فيها من وجود المرئي .

أراد بالصيد: المصيد . وقوله: ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ خبر لقوله: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ﴾ .

وروي أن سائلا سأل عمر بن الخطاب عن محرم قتل أرشا ، وكان عبد الرحمن بن عوف حاضرا ، فسأل عمر بن الخطاب عبد الرحمن بن عوف عن جزائه ، فاتفقا على أمر ، فأفتاه عمر بما اتفقا عليه، فقال المستفتي لرجل كان معه : ما درى أمير المؤمنين ما تقول حتى علمه

---

(١) في الآية (٣) من سورة المائدة .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٧ / ٣٣ ) .

(٣) رواه الترمذي في الجامع الصحيح رقم ( ٣٠٥١ ) ، والطبري في تفسيره ( ٧ / ٢٥ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ٢١٢ ) رقم ( ٤١٦ ) وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٤) ينظر : الكشاف للزمخشري (١/٦٤٣) .

هذا الشيخ، يشير إلى عبد الرحمن بن عوف فسمعه ، فقال: يا عدو نفسه تغمص الفتيا[١] ، وتقتل الصيد وأنت محرم ، وقد قال الله – تعالى : ﴿ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ فها أنا عمر وهذا عبد الرحمن بن عوف ، ثم ضربه ضربات [٢].

﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ يريد الكعبة وما حولها . ويجب سوق جزاء الصيد إلى منى وذبحه بها ، وتفرقة لحمه على من حضر. ﴿ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا ﴾ وهو مخير بين الأمور الثلاثة .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ ﴾ قيل: طعامه: ما مات فيه وهو حلال عند الشافعي[٣]. ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ أي: يقوم مصالحهم ، فلا يصح الحج إلا بالطواف بها ولا الصلاة إلا باستقبالها . قيل : والقلائد : أي : وذوات القلائد .

﴿ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ ﴾ بحكم الله في هذه الجزئيات إنه سبحانه يعلم الكليات والجزئيات، فإن القائل قائلان : قائل يقول : لا يعلم الجزئيات ، ولا شيء منها ، وهو مذهب الفلاسفة. وقائل يقول : يعلم جميعها ، فالقول إنه يعلم بعضها دون بعض خلاف الإجماع .

ومثل ذلك أي : ذلك الذي ذكر في هذه السورة من الأحكام من أولها ؛ من الوفاء بالعقود إلا ما يتلى من المنخنقة والموقوذة وأخواتها ، وتحريم الصيد حالة الإحرام ، وعدم انتهاك حرمة الحجاج ، وأن العداوة لا تكون سببا للجور ، والأمر بالتعاون على البر والتقوى ، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان ، وتحريم الميتة وما يتبعها ، وتحليل ما

---

(١) **غمص الناس** أي : احتقرهم ولم يرهم شيئا ، وتغمص الفتيا ، أي : تحتقر الفتيا وتستهين بها .
**ينظر** : لسان العرب ( غمص ) ، والأرش : دية الجراحات . **ينظر** : لسان العرب ( أرش ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٧ / ٤٥ ) .

(٣) **ينظر** : الأم للشافعي ( ٢ / ١٧٦ ) .

أمسكه الصيد على صاحبه إذا كان معلَّما ، وتحليل طعام اليهود والنصارى وذبائحهم ومناكحتهم وتحريم السفاح ، وتحريم اتخاذ الأخدان ، وكيفية الوضوء ونواقضه ، والتيمم عند عدم الماء ، والأمر بالقيام بالقسط والشهادة به ، وتذكار نعم الله وشكرها ، وهلم جرا ... إلى حد المحاربين والسارقين ، والتخيير في الحكم بين أهل الكتاب وتركه ... إلى ما ذكره آنفا من كفارة اليمين ، وتحريم صيد البحر حالة الإحرام ، وتحليل ميتة البحر ، وكيفية جزاء الصيد وكفارة اليمين ، فقال ذلك المذكور كله ، والخبيث والطيب: الحرام والحلال .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٠٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾

روي أن الأقرع بن حابس [١] قال : يا رسول الله : أحجنا هذا لعامنا هذا أم للأبد ؟ فسكت زمنا طويلا ، ثم قال : «بل للأبد ولو قلت : نعم لوجبت ، ولو وجبت لما استطعتم» فنزلت ﴿ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [٢].

وفي الحديث : أن النبي ﷺ قال: «أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم ، فحرم من أجل مسألته» [٣] الضمير في «سألها» يعود إلى المصدر ، أي : قد سأل هذه المسألة قوم.

---

(١) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي ، وفد على النبي ﷺ ، وشهد فتح مكة وحنينا والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه . وقيل : كان الأقرع حكما في الجاهلية وشهد مع خالد حرب أهل العراق ، وقتل باليرموك في عشرة من بنيه.

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ١ / ١٠١ ) .

(٢) رواه أحمد ( ١ / ٢٥٥ ، ٣٥٢ ) ، وأبو داود رقم ( ١٧٢١ ) ، والنسائي في سننه ( ٥ / ١١١ )، وابن ماجه رقم ( ٢٨٨٦ ) ، والحاكم في المستدرك ( ١ / ٤٤١ ) ، عن ابن عباس - رضي الله عنهما . وله شاهد من حديث أبي هريرة عند مسلم في صحيحه رقم ( ١٣٣٧ ) ، والنسائي (٥/ ١١١) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٧٢٨٩ ) ، ومسلم رقم ( ٢٣٥٨ ) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ .

إذا ولدت الناقة خمسة أبطن : بحروا أذنها أي : شقوها وحرموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وكانوا ينذرون إن شفى الله مريضه أن يجعل ناقته سائبة على حكم البحيرة في عدم الانتفاع ، وكانوا في الجاهلية يعتقون سائبة ، يعني بغير ولاء ، وكانوا إذا ولدت الناقة أنثى فهو لهم ، وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم ، وإذا ولدت ذكرا وأنثى قالوا: وصلت أخاها ، وإذا نجب من ظهر الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حميَ ظهره ، فلا يركب ، ولا يحمل عليه ، ويسمونه : الحامي ، فأبطل الله جميع ذلك وهذه أحكام ما نزل الله بها من سلطان ، وهم مقبلون عليها. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أعرضوا، أو يتبعون أهواءهم ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ .

﴿ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ نصب على الإغراء ، أي : ألزموها الخير . قوله : ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ من الاهتداء للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فمن تركهما ضرَّهُ تركُهُما . روي أن تميما [١] وعدي بن بدَّاء [٢] سافرا مع رجل مسلم في تجارة ، فحضرت المسلم الوفاة في الطريق ، فجعل تجارته في عدل كبير، وكتب جملته وتفصيله في ورقة وتركهما في العدل ، ثم سلم العدل إلى الرجلين ؛ ليوصلاه إلى أهله ، ولم يشعرهما بالورقة[٣]. فقوله: ﴿ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ ﴾ أي : ليحضر الوصية اثنان .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ

---

(١) هو أبو رقية تميم بن أوس بن خارجة الداري ، صاحب رسول الله ﷺ والدار : بطن من لخم ولخم فخذ من يعرب بن قحطان ، كان نصرانيا فأسلم سنة تسع من الهجرة ، وكان عابدا تلاَّء لكتاب الله ، سكن المدينة ، ثم انتقل منها إلى الشام بعد مقتل عثمان ﷺ. تنظر ترجمته في : الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ١٩٣) ، سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢ / ٤٤٢ ) .

(٢) هوعدي بن بدَّاء – بتشديد الدال قبلها موحدة مفتوحة – لا يعرف له إسلام . قال ابن عطية : لا يصح لعدي عندي صحبة ، وقد وضعه بعضهم في الصحابة ، قال الحافظ ابن حجر : ولا وجه لذكره عندي ، ومات عدي بن بداء نصرانيا . تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ٤ / ٤٦٨ ) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٧٨٠) ، وأبو داود في سننه رقم (٣٦٠٦) ، والترمذي في سننه رقم (٣٠٦٠) .

ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

﴿ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ عند أبي حنيفة : من غير أهل ملتكم ، فتقبل شهادة أهل الذمة في السفر عنده ، وعند الشافعي : من غير قبيلتكم [١].

﴿ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ سافرتم . ﴿ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ ﴾ يريد بعد صلاة العصر ، والريبة : هو أن وجدت الورقة في العدل فقابلوا بها ما حضر ، فعدم منه إناء من فضة مخوض بالذهب ، فقال الرجلان الوصيان : ما نعرف ذلك . فحلّفوهما ، بعد ذلك وُجِد الجام[٢] عند رجل في السوق يبيعه ، فقيل له : من باعك هذا ؟ فقال : تميم وعدي بن بداء[٣] فهو معنى قوله : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾ حلف الورثة أن الجام ملكهم . وقوله : ﴿ فَـَٔاخَرَانِ ﴾ خبر مقدم . والأوليان : تثنية الأولى هو المبتدأ ، تقديره : فالأوليان آخران يقومان مقامهما . واعلم أن هذا الحكم موافق للقواعد الشرعية ، فإن القول قول من يترجح جانبه مع يمينه ، فإذا ادَّعى عليك دين ، فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن الأصل البراءة فإن كانت العين في يدك ، فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن اليد مرجحة ، فإن شهد بذلك شاهد واحد فالقول قولك مع يمينك ؛ لأن جانبك ترجح بالشهادة ، وهاهنا ترجح جانب الورثة بظهور الجام الذي أنكره الرجلان ثم بقول المشتري : أنه اشتراه من الرجلين المذكورين فحلف الورثة واستحقوا .

وقوله: ﴿ لَشَهَٰدَتُنَآ ﴾ أي: يميننا أحق من أيمانهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي الحكم برد اليمين أقرب إلى ﴿ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ﴾ إذا عثر على أنهما استحقا إثما . إنما قالوا : ﴿ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ وقد علموا أن الأمم كذبوهم ؛ لأنهم دهشوا من هول الموقف . وقيل : تأدبوا مع الله ؛ لأنه عالم الخفيات .

---

(١) ينظر : الأم للشافعي ( ٦/ ١٩١ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢/ ٥٢٤ ) ، المبسوط للسرخسي (٧/ ٤٩٢) ، المغني لابن قدامة ( ١٠ / ١٦٩ ) .

(٢) الجام : إناء للشراب والطعام من فضة أو نحوها وقد غلب استعماله في قدح الشراب .
ينظر : لسان العرب (جوم) .

(٣) رواه ابن جرير في التفسير (٧/ ١١٥) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٢١٥) ، رقم (٤٢١) ، وزاد السيوطي نسبته في الدر المنثور (٢/ ٢٤٢) لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (١٠٨) ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (١٠٩) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (١١٣) قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ (١١٤) قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ (١١٥) ﴾

﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ بجبريل و ﴿ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ فسِّر في آل عمران[1] .

﴿ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ أي: مثل. (وتنفخ) في الذي هو مثل هيئة الطير. ومن قرأ (هل تستطيع)[2] فمعناه : هل تستطيع سؤال ربك . وقول عيسى لهم : ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ تشكيك في إيمان الحواريين ، ويقوي ذلك قوله في آخر الآية : ﴿ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا ﴾ فهذا يدل على أنهم لم يكونوا يعلمون أنه صدقهم ، ومن شك في نبوة نبي فقد كفر ، لكنهم بعد ذلك قوي إيمانهم ، ونصحوا في صحبة عيسى ﷺ . قوله: ﴿ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ العامل في المجرور مضمر والتقدير شاهدين عليه من الشاهدين ؛ لأن اسم الفاعل إذا كان فيه الألف واللام ، فهو موصول ، ومعمول الصلة لا يجوز تقديمه عليها[3].

---

(١) عند الآية (٤٦) .

(٢) قرأ بها الكسائي ، وقرأ الباقون «هل يستطيع ربُّك» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٥٤)، حجة ابن خالويه ( ص : ١٣٥ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٢٤٠ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٢٤٩) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٥٦ ) .

(٣) تقدم التعليق على هذه المسألة في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٣٠ ) .

قوله: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ الآية. قيل : لما سمعوا أن الله يعذب من كفر بعد نزول المائدة عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين ، استقالوا وسألوا ألا تنزل المائدة ، فلم تنزل وقال الأكثرون: بل نزلت بين غمامتين ، فقال عيسى للحواريين: ليتقدم من يكشفها ، فقالوا له: أنت أولى بذلك منا ، فتوضأ وصلى ركعتين وكشفها ، فوجد فيها سمكة وأرغفة من الخبز وزيتونا وخلاً وملحا فأكلوا منها، واستمر أكلهم منها ، فكانت تنزل كل يوم[1] .

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قيل: المراد بـ (ما في نفسك) ما في نفسي ؛ لأن نفسه ملك لله ، والتقدير : تعلم ما في نفسي ، ولا أعلم أنا ما في نفسي ، أنت أعلم به مني.

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾ في أمر الدعوة ﴿ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ ﴾ ولم يرد نفي النطق بأمر أجنبي عن الدعوة . قوله : ﴿ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ولم يقل : الغفور الرحيم ؛ لأنه لو قال ذلك ، كان كالشفيع لهم ، والطالب لرحمتهم ، وهو في مقام الاعتذار ، لا في مقام الشفاعة .

---

(١) روى تلك الأقوال الطبري في تفسيره ( ٧ / ١٣٥ ) ثم قال : والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال : إن الله – تعالى- أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن رسول الله ﷺ وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم غير من انفرد بما ذكرنا عنه وبعد ، فإن الله – تعالى- لا يخلف وعده ولا يقع في خبره الخلف وقد قال –تعالى- مخبرا في كتابه عن إجابة نبيه عيسى ﷺ حين سأله ما سأله من ذلك: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ وغير جائز أن يقول – تعالى ذكره – إني منزلها عليكم ثم لا ينزلها ؛ لأن ذلك منه – تعالى- خبر ولا يكون منه خلاف ما يخبر ، ولو جاز أن يقول: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ . ثم لا ينزلها عليهم جاز أن يقول: فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين . ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة وغير جائز أن يوصف ربنا – تعالى – بذلك .

﴿ يَوْمُ يَنفَعُ ﴾ قرئ بنصب يوم ورفعه[١] وإن أضيف الظرف إلى الفعل المضارع، جاز إعرابه وبناؤه ، ومثله : ﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ ﴾ بالرفع والنصب[٢] .

قال قتادة : متكلمان تكلما يوم القيامة وصدقا ، لكن كان أحدهما كذابا في الدنيا ، فلم ينفعه صدقه في الآخرة ، وهو إبليس ، حيث قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ إلى آخر الآية[٣] والآخر كان صادقا في الدنيا، فنفعه صدقه في الآخرة ، وهو عيسى عليه السلام قال الله: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾[٤]. أتى في بعض الألفاظ بما يدل على ملكه - سبحانه - السماوات والأرض ، قوله : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وفي بعضها ما يدل على ملكه لما فيهما: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٥] . وجاء في هذه الآية بالأمرين معا فقال: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ .

* * *

---

(١) قرأ نافع من العشرة "هذا يومَ " ، وقرأ باقي العشرة " هذا يومُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ٦٣ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٣٦ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٢٤٣ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٥٠ ) ، النشر لابن الجزري (٢/٢٥٦).

(٢) سورة الانفطار ، الآية ( ١٩ ) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب " يومُ " ، وقرأ الباقون "يومَ" . **تنظر في** : البحر المحيط ( ٨ /٤٣٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٩ / ٢٤٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٣٦٥ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٧٥٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٧٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٩٩ ) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية ( ٢٢ ) والكوفيون يجيزون بناء الظرف إذا أضيف إلى جملة فعلية ، والبصريون لا يجيزون بناءه إلا إذا صُدِّرت الجملة المضاف إليها بفعل ماض . **وتنظر** المسألة في: الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٦٥٩ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ١٧٢ ) .

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٢٤٢ ) لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ عن قتادة .

(٥) سورة النساء ، الآية (١٢٦) .

## سورة الأنعام [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٥) أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨) وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (٩) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (١٠)﴾

قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ يدل على أن الظلمات مخلوقة، خلافًا لمن زعم أن الظلمة عدم النور؛ فإن الظلمة لا تفتقر إلى سبب سوى منع أسباب النور[1].

﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ مدة العمر. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ مدة بقاء الدنيا. ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون قيل: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقة بـ «يعلم» أي: ليعلم سركم وجهركم في السماوات والأرض. وقيل: قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: أمره وسلطانه، كقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[2].

---

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (١/ ٤٩٢).

(٢) سورة الملك، الآية (١٦) وعقيدة السلف الصالح من أصحاب النبي ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأربعة وغيرهم في مثل هذه الآية هي: إمرار الصفات الذاتية التي وصف الله - تعالى- بها نفسه أو وصفه بها نبيه ﷺ في أحاديثه الثابتة الصحيحة - من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف، وفي إطار قوله - تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١]، وقد دل على صفة الفوقية لله - تعالى- وأنه تعالى فوق السماء السابعة على عرشه وهو بائن من خلقه وقدرته وعلمه في كل مكان - العديد من الآيات القرآنية الكريمة منها هذه الآية، كما ثبت في السنة الصحيحة ذلك ومنه ما رواه مسلم في صحيحه =

﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ «من» زائدة ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ «من» للتبعيض. ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ آثار من ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ قوله: ﴿فَلَمَسُوهُ﴾ اجتمع لهم رؤية نزول الكتاب ولمسه باليد ومثله: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ [1] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لأن نزول الملك آية خارقة، فإذا لم يؤمنوا بها عذبوا، ولم يؤخروا. ولو جعلنا الرسول ملكا، فإما أن يبقى على صورته، فلا يستطيعون النظر إليه. ولما رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته التي خلق عليها سقط مغشيًا عليه [2]، فما ظنك بغيره، ولو حولناه إلى صورة البشر لم يعلموا كونه ملكا، فملبس عليهم.

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

أمروا بالسير ليروا آثار المهلكين ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فإن لم يجيبوك فقل أنت: لله. وإذا كان الجواب مجيبا معلوما فسواء قال المدعي أو السامع. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ

= رقم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي وفيه: «وكانت لي جارية ترعى غنما لي قبل أحد والجوانيةفاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها. قال: «ائتني بها» فأتيته بها فقال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنها مؤمنة». **ينظر**: اعتقاد أهل السنة للبيهقي (ص: ٤٠١).

(١) الحجر، الآية (١٤).

(٢) رأى النبي ﷺ جبريل ﷺ على صورته مرتين وقد ثبت ذلك في صحيح البخاري رقم (٣٠٦٣)، وصحيح مسلم رقم (١٧٤).

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي : ليجمعنكم في البرزخ جيلا بعد جيل إلى أن ينفخ في الصور . وقيل : ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنى في . ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟﴾ نصب على الذم ، أو رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنتم الذين. ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾ من السكنى. ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ﴾[١] .

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لكل مسموع ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بكل مسموع . وقوله ﴿أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ﴾ فصل بها بين الموصوف الذي هو اسم الله ، والصفة التي هى فاطر . وقرئ ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[٢] والضمير يعود إلى غير الله . زعم الرمانى[٣] أن قوله : ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ جملة معترضة بمعنى الحال ، ولا جواب لـ "إن" وهذا خلاف المشهور[٤] ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ المستعلي عليهم علوا معنويا . ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ يدل على أن الله – تعالى- يسمى شيئا ومنهم من منع ذلك ؛ لأن الله -تعالى- له الأسماء الحسنى ، ولفظ الشيء لا مدح فيه . قوله : ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ كل من سمع القرآن ، فهو مخاطب به من جهة الله - تعالى .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٤٥) .

(٢) القراءة المشهورة وهي قراءة العامة من القراء : «وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ» والضمير لله – تعالى- والمعنى: وهو يرزُقُ ولا يُرْزَقُ . وقرأ سعيد بن جبير ومجاهد والأعمش وتروى عن أبي عمرو بن العلاء «ولا يَطْعَمُ» بمعنى : ولا يأكل، والضمير لله – تعالى- أيضا . وقرأ ابن أبي عبلة ويمان العماني وتروى عن يعقوب « وهو يُطْعَمُ ولا يُطْعِمُ» والضمير عائد على غير الله كما ذكر هنا. وهناك قراءات أخرى **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٨٥ ، ٨٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ١٠٤ ) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٩) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص:٣٦).

(٣) هو علي بن عيسى بن علي بن عبد الله النحوي ، أبو الحسن الرماني ، إمام في اللغة والنحو ، صنف كتباً كثيرة منها شرح كتاب سيبويه في سبعين مجلداً وكتاب الحدود ومعاني الحروف وشرح أصول ابن السراج ، مات سنة ٣٨٤هـ . **تنظر** ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي ( ٢/ ١٧٠) ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة للفيروزبادي ( ص : ١٥٤ ) رقم ( ٢٤٠ ) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٤/ ٧٣ ) .

(٤) والمشهور في إعراب إن عصيت أنها شرط حذف جوابه ؛ لدلالة ما قبله عليه ، ولذلك جيء بفعل الشرط ماضيا ، وهذه الجملة الشرطية فيها وجهان : أحدهما : أنها معترضة بين الفعل أخاف و بين مفعوله عذاب والثاني : أنها في محل نصب على الحال . قال أبو حيان : كأنه قيل: إني أخاف عاصيا ربي . وفيه نظر ؛ إذ المعنى يأباه .

**ينظر** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٨٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢٢ ) .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ أي: لا أحد في المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا، كما أنه ليس في المانعين أظلم ممن منع مساجد الله . الهاء في ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ ضمير الشأن . ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴾ أو لم تكن فتنتهم إلا قولهم، ضمن ﴿يَسْتَمِعُ ﴾ معنى ﴿يصغى﴾ ، فعداه بـ ﴿ إلى ﴾ والأكنة : جمع كنان ، كراهة أن يفقهوه .

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ما سطره الأولون ، والأساطير: جمع أسطورة ، كالأحاديث والأعاجيب جمع أحدوثة وأعجوبة . وكان أبو طالب عم النبي ﷺ يمنع النبي ويذب عنه ، ويأبى أن يوافقه في الدين ، فنزلت ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ [(١)] .

من قرأ ﴿وَلَا نُكَذِّبُ﴾ بالرفع فقد التزموا عدم التكذيب مطلقاً ، ومن قرأ ﴿وَلَا نُكَذِّبَ﴾ [(٢)] جعله شرطا والتقدير: إن رددتنا لم نكذب قال سيبويه [(٣)] : إذا قال اللص: أطلقني ولا أعودَ بالنصب ، كان تقديره : إن أطلقتني لم أعد . ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ ﴾ تمثل بحال

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ( ٢ / ٣١٥ ) ، والطبراني في المعجم الكبير ( ١٢/ ١٣٣) ، وابن جرير الطبري في التفسير (٧/ ١١٠) .

(٢) قرأ حفص وحمزة ويعقوب «ولا نكذبَ» ـ ونكونَ «وقرأ ابن عامر» ولا نكذبُ ونكونَ «وقرأ باقي العشرة » ولا نكذبُ ـ ونكونُ . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٠٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٣٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٢٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٥٥) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٧) .

(٣) ينظر : الكتاب لسيبويه ( ٣ / ٢٢ ) .

الجاني إذا وقف بين يدي رب الأمر وهو ذليل منكّس الرأس . وقيل: هو من مجاز الإضمار، تقديره : إذ وقفوا على جزاء ربهم ، والهمزة في (أليس) للإنكار .

﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ أي : في العمل لها. قوله : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ فإنهم كانوا يسمونه محمدا الأمين . وقال أبو طالب [ من الكامل ] :

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ ... من خيرِ أديانِ البريةِ دِينا

لولا المَلامةُ أو حَذارُ مَسَبَّةٍ ... لوجَدْتَني سَمْحًا بذاكَ مُبينا[1]

فعرف الحق وامتنع من قبوله ، ومثله : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ﴾[2] .

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وضع الظاهر موضوع المضمر، والتقدير: ولكنهم . ﴿ وَأُوذُوا۟ ﴾ معطوف على ﴿ كُذِّبُوا۟ ﴾ وليس معطوفا على قوله: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ ﴾ . وقوله: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكَ

(١) تنظر الأبيات في : روح المعاني للألوسي (٧/ ١٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٤) ، لسان العرب ( كفر) ، النكت والعيون للماوردي (١/ ٥١٧) .

(٢) سورة النمل ، الآية (١٤) .

﴿مِن نَّبَإِي ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: نبأ من نبأ المرسلين . وقيل : «من» للتبعيض ، والتقدير: جاءك بعض نبأ المرسلين . ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ﴾ . سبباً تصل به إلي إقبالهم عليك فأت به ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ فلا يخف عليك ذلك فإنك متي كنت مستحضراً لذلك خف عليك الحزن . ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أيأسه بذلك وعلله بأنهم لا يسمعون ، ثم أضاف إلى ذلك عدم الحياة بقوله : ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ ثم إلى دار جزائه يحشرون . ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ اقترحها. قل : إنما اختيار الآيات إلى الله ، وهو القادر على الإتيان بها ، وليس ذلك إلى اختياري ولا اختياركم . وقيل: هو القادر على إنزال ما تقترحونه . وقوله: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ تصوير لهيئة طيرانه التي أقدره الله عليها ، كأنك تشاهده وهو يطير. كقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[(١)] ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ أي: في القرآن من شيء يحتاج إليه العباد في أمر معاشهم وسعادتهم . وقيل: أراد بالكتاب اللوح المحفوظ ، وقد كتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة استعار الصَّمم والبكم والسير في الظلمات للكفار ؛ لأنه لم ينتفع بسمعه ولا بنطقه ، ولا بالنور الذي أنزل على رسوله. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يجعله كذلك . الكاف والميم في ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ ليست باسم ولا مفعول ، وإنما هي موضوعة للخطاب ؛ كقوله: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[(٢)] وقوله: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[(٣)] و﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾[(٤)] ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن له شريكا في الإلهية ، بل تخصونه بالعبادة فيفعل ما يشاء من إجابتكم أو رد دعائكم ، ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[(٥)] .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٤٥) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٩) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٦٢) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٦٧) .

(٥) سورة النحل ، الآية (٥٤) .

وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ثم سلّى رسوله وهدد الكفار ووعد المسلمين النصرة عليهم بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ وذكر أنه ابتلاهم بالشدة ليتضرعوا، وابتلاهم بالنعمة ليشكروا فخالفوا المطلوب في الحالين ، وقال: ﴿ فَلَوْلَآ ﴾ فهلا ﴿إِذْ جَآءَهُم ﴾ أي: وقت مجيء الناس ﴿تَضَرَّعُوا۟ ﴾ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ ما ذكروا به من الشدة وإزالتها ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ ﴾ النعمة والرخاء والسعة وكل شيء يحتاجون إليه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً ﴾ ففاجأهم بالإبلاس ، وأراد بالفرح البطر، وإلا فما تخلو نفس من السرور بما عود به الله من الخير .

وَالدَّابِرَ: الآخر. ولما كان إهلاك الدابر إنما يتأتى بعد قطع ما دونه ، جعل قطع الدابر كناية عن إهلاك الجميع ، وعن ابن عطية[1] : الدابر من الطائر الصائد، كالإبهام في يد الإنسان ، فإذا قبض الطائر بمخالبه شيئا أخذه بإبهامه ، كالمطبق عليه كما يطبق الكف بالإبهام ، وإذا قطع دابر الصائد من الطائر لم يقدر على الاصطياد ، فجعل قطع الدابر كناية عن إثخانهم بالجراح ، وعجزهم عن القتال بسببها، وقد حمد الله نفسه على إهلاك الظلمة . ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي: بذلك ، والقياس بها. صدف عن الأمر: أعرض . ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴾ بكونهم يصدفون ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ مصدران في موضع الحال. ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ وإنما عليهم البلاغ ، احتج بعضهم على أن المَلَكَ أفضل من البَشَرِ بهذه الآية . أي : لا أدعي ما لم أعط فلا ﴿ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ وقد سبق جوابه في أواخر سورة النساء[2] ، فكما لا يستوي الأعمى والبصير لا

---

(١) **ينظر** : المحرر الوجيز لابن عطية ( ٦ / ٥٢ ) وهو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي ، عالم مفسر فقيه عارف بالأحكام والحديث واللغة والنحو والأدب. توفي سنة ٥٤١ وقيل ٥٤٦ هـ . ومن أشهر مصنفاته : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .

**تنظر** ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي (ص: ٢٩٥) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري ( ٩/ ٣٠٧ ) .

(٢) عند تفسير الآية (١٧٢) قوله – تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

يستوي المسلم والكافر . ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ﴾ أي : بالقرآن .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾

وقوله : ﴿ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ حال من ضمير «يُحْشَرُونَ» .

﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ متعلق بـ «أنذر» وكان الفقراء من المؤمنين أكثر مجالسة للنبي ﷺ من الأغنياء، فقال الأغنياء: لو أفردت لنا مجلسا نسألك عما في أنفسنا ولا يكون للفقراء في مجلسنا نصيب ، فنزلت ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ ﴾[1] ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ أي ذاته[2] . ﴿ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ فتطردهم . وقوله: ﴿ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ متعلق بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ﴾ .

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٤١٣) ، وابن ماجه في سننه رقم ( ٤١٢٨ ) ، وابن جرير في تفسيره ( ٧ / ١٢٨ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ٢١٩، ٢٢٠) رقم (٤٣١ ـ ٤٣٤) .

(٢) هذه من آيات الصفات التي يذهب المصنف ـ رحمه الله ـ إلى تأويلها وصرفها عن ظاهرها ، ولعله – يرحمه الله – يريد التنزيه وعدم التشبيه ، وقد سبق غير مرة أن نبهنا إلى مذهب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة في مثل هذه الآيات التي تخبر عن صفات الله – تعالى- وهو الإثبات لكل ما أخبر الله – تعالى- عن نفسه ، وما صح من حديث النبي ﷺ في ذلك من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل .

﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ابتلى الغني بالفقير ؛ لينظر كيف صبر هذا وشكر هذا ، وقوله: ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ أي: ليقول الأغنياء عن الفقراء : ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ فرد الله عليهم : ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ الهاء في ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ﴾ ضمير الشأن. ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ أي: بإقدام وقلة نظر في العاقبة .

وقوله: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ليس جوابا للشرط والتقدير: من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده فإن الله غفور رحيم . ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ﴾ السبيل هي الفاعلة ، والسبيل كالطريق تذكر وتؤنث ، وقرئ ﴿سَبِيلُ﴾ بالنصب[1] . والتقدير: ولتستبين يا محمد سبيل المجرمين وهي مفعولة . ﴿يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ وقرئ ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾[2] أي: يخبر الخبر الحق .

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ﴾ استعارة ، أي : يطلع على الغيوب كما يطلع من بيده المفاتح على ما حوته مفاتحه. عبر بقوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ عن قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ ولا يجوز أن يتعلق﴿فِى كِتَٰبٍ﴾بـ تَسْقُطُ فإنه يصير التقدير: لا يسقط شيء من ذلك إلا في الكتاب ، وليس ذلك

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر «ولتستبينَ سبيلَ» ، وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف «وليستبينَ سبيلُ» ، وقرأ باقي العشرة «ولتستبين سبيلُ» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٤١) ، حجة أبي زرعة ( ص: ٥٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٧٦ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٥٨) الكشاف للزمخشري (٢/ ١٧) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٥٨ ) .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر «يقصُّ الحقَّ» ، وقرأ باقي العشرة «يقضِ الحقَّ». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ /١٤٣) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٤٠) ، حجة أبي زرعة (ص : ٢٥٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ ٧٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٥٩ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٥٨) .

مراداً ﴿ جَرَحْتُم ﴾ أي : كسبتم بالنهار ومنه ﴿ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الجاثية:٢١] وجوارح الصيد : كواسبه ﴿ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ وهو أجل الحياة ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ ﴾ المستعلي على عباده علوًّا معنويًا[١]. ﴿ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ يكتبون أعمالكم . قال هاهنا : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ وفي أخرى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾[٢] وفي أخرى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾[٣] فالأعوان يعالجون الروح حتى تصل إلى الشراسيف[٤] فيتجلّى لها ملك الموت فتخرج ، والله هو الذي سبب ذلك ، فنسب ذلك إليه ؛ لأنه المسبب ، وإلى الأعوان ؛ لأنهم المعالجون ، وإلى ملك الموت ؛ لأنه المباشر فإذا قبضت الروح من الرجل الصالح صعد بها إلى السماء فتفتح لها أبوابها. وأما روح الكافر فتغلق دونها أبواب السماء ، وتلقى إلى حيث جاءت منه. ﴿ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ احتج به من زعم أن إخفاء الأذكار أفضل من إظهارها. وقد قال في حق زكريا : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ .

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) يسير المصنف - رحمه الله - على ما عليه معتقده في صفات الله - تعالى- التي يرى أن إثباتها يوهم تشبيها لصفاته -تعالى- بصفات المخلوقين ، وفي هذه الآية يؤول صفة العلو لله - تعالى- وقد مضى الكلام على ذلك غير مرة ، وبيان عقيدة السلف من أهل السنة والجماعة في ذلك .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١١) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٤٢) .

(٤) **الشرسوف** : واحد الشراسيف وهي أطراف الأضلاع المشرفة على البطن . وقيل : هو غضروف معلق بكل بطن **ينظر** : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ( ٢ / ٤٥٩ ) ، لسان العرب ( شرسف ) .

يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

روي أنه لما نزل ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك» ولما نزل ﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ولما قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي: فرقا ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالحرب، قال: النبي ﷺ: «هذه أهون»[1] ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ أي: يفهمون. ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ استقرارا، أو: موضع قرار، أو: زمن قرار. ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟﴾ لأن يخوضوا، «مَا» في ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ زائدة. الضمير في ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ للذين يخوضون. لكن ذكرناهم ذكرى.

﴿ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ قيل: أعيادهم ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ﴾ تؤخذ نظير كسبها، وإن تفد كل فدية لا يقبل منها.

**والعدل**: الفدية وما يعادل به المفدي. **الْحَمِيمُ**: الماء الحار. ﴿مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ إن عبدناه. ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ إن تركناه. ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ كالذي تاه عن الطريق، وأصحابه الذين على الطريق ينادونه: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب:١٨] الطريق معنا، والجن ينادونه: إلينا، فإن الطريق معنا. ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي: أن نسلم. ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ مبتدأ وخبر، ولا يكون ﴿قَوْلُهُ﴾ اسم كان؛ إذ كان يجب نصب الحق، وكان يلزم حدوث قوله ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ دائما، وإنما خص يوم النفخ في الصور بالملك؛ لأنه انقطعت فيه دعاوى المدعين؛ كقوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[2] مع أن الأمر له دائما. ﴿ءَازَرَ﴾ اسم أبي إبراهيم. ومثل ما أرينا إبراهيم الحق وبطلان عبادة الأصنام نريه ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٦٢٨، ٧٣١٣)، والترمذي رقم (٣٠٦٥) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما.

(٢) سورة الانفطار، الآية (١٩).

ليستبصر ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ أو: وفعلنا ذلك ؛ ليكون . أو: ليكون من الموقنين فعلنا ذلك .

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٧٩) وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠) وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١) ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٦) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧)﴾

جن الليل أي: ستر بظلامه، ومنه سمي الجن ؛ لاستتارهم . والجنة: البستان؛ لستره بالأوراق والتفاف الأغصان .

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي: غاب. ابتدأ بألطف العبارة بقوله : ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعا من المشرق ، ثم شدد الأمر يسيرا فقال : ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ﴾ فلما أفلت الشمس أغلظ لهم القول وتبرأ من قومه. ﴿وَجْهِيَ﴾ أي : عملي وقصدي .

﴿فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أنشأها على غير مثال سبق ﴿حَنِيفًا﴾ مائلا إلى الحق. وجادله قومه بالباطل فرد عليهم بقوله: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ وفي (أتحاجُونّي) ثماني كلمات. الهمزة للإنكار ، والتاء حرف مضارعة ، وحج أي: أقام الحجة وغلب، وألف حاج للمفاعلة بين اثنين ، والواو ضمير الفاعل ، والنون الأولى المدغمة في النون الثانية علامة رفع ، والنون الثانية نون الوقاية ، والياء: ضمير المفعول.

﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أي: في دين الله وفي توحيده، وكان قومه قد هددوه بأن آلهتهم تهلكه فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾. وقوله: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محول، أي: وسع علمه كل شيء. ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من أنكم أشركتم بالله ما لم تتم به حجة ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنا أو أنتم، ثم بين الأحق بالأمن بقوله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ الآية. وهذه المحاجة ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾. وقرئ ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتِ مَن نَّشَآءُ﴾[1] على أنه ظرف مكان أو أنه المصدر، كقوله ضربته سوطا.

قال الفقهاء: لو أوصى لبنيه أو لأولاده لم يدخل أولاد البنات، ولو أوصى لذريته دخل أولاد البنات؛ لقوله - تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ إلى قوله ﴿وَعِيسَىٰ﴾[2].

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ لحبطت أعمالهم؛ كقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[3] وقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾[4] وذلك بشرط الموت

---

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف «نرفع درجاتٍ من نشاء» بالتنوين، وقرأ باقي العشرة «نرفع درجاتِ من نشاء» بالإضافة. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٤ / ١٧٢)، الحجة لابن خالويه (ص:١٤٤)، حجة أبي زرعة (ص: ٢٥٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ١١٤)، السبعة لابن مجاهد (ص:٢٦١)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٥)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٦٠).

(٢) **ينظر**: بدائع الصنائع للكاساني (٦/ ٤٣٩)، مغني المحتاج للشربيني (٢/ ٣٨٦).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٤) سورة إبراهيم، الآية (١٨).

على الكفر ؛ لقوله : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾[١] ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ فإن الله غني عنهم ، فقد وكل ﴿بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ كقوله: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾[٢] قال العلماء : لم يكن النبي ﷺ متعبداً بشريعة أحد من الأنبياء قبل النبوة ولا بعدها ؛ لأنه لو كان كذلك لاجتمع بعلماء تلك الشريعة وسألهم عن أوضاعها، وهذا هو الأصح . وقيل: تعبد بشريعة الجميع ؛ لقوله بعد عدد من الأنبياء هنا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ وقيل: تعبد بشريعة إبراهيم؛ لقوله : ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[٣] وقيل: بشريعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى لقوله - تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[٤] الآية . الهاء في ﴿ٱقْتَدِهْ﴾ للسكت ؛ كقوله : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾[٥] ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾[٦] هي بهذا الموضع أحق؛ لأنها كالعوض من حرف العلة المحذوف .

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي : على التبليغ ، ويدل عليه السياق . ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ مفرقة حتى تكون بصدد الضياع.

وقوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ احتج به قوم على ما يعتمدونه من ذكر الله غير موصوف بصفة من صفاته ، فيقولون : الله ، الله ، الله ، ولا حجة فيه ؛ لأن قوله : ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب لقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فإن لم يجيبوك فقل أنت : الله ، فإعراب اسم الله في قوله : ﴿ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ، التقدير: الله أنزله . يرد على من قال من المتأخرين: إن النكرة إذا وصفت بجمل ومفردات تعينت البداية بالمفردات فتقول: مررت برجل فاضل يكتب، ولا تقول : برجل يكتب فاضل.وقد جاء القرآن بخلافه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ﴾[٧] وقال هاهنا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الذي مضى قبله من التوراة والإنجيل

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٣٨) .

(٣) سورة النحل ، الآية (١٢٣) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (١٣) .

(٥) سورة القارعة ، الآية (١٠) .

(٦) سورة الحاقة ، الآية (٢٩) .

(٧) سورة المائدة ، الآية (٥٤) .

وسائر الكتب المنزلة ؛ لتقرأه ولتنذر به، أو لتنذر فعلنا ذلك ، أو: فعلنا ذلك لتنذر به ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ مكة . ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ جميع العالم .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ هذه الآية بجملتها دالة على كيفية تقاضي الملائكة إخراج روح الكفار بالعنف والغلظة ، كما يقول صاحب الدين الألد لغريمه : أدِّ حقي إليَّ وإلا نزعتُهُ من أحداقك .

﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ فيه منتقلا عنكم ، فهو كالمخلف قِبَل الظَّهْر. والبين : الوصل ، كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [1] أي : وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا. فالمعنى هاهنا : لقد تقطعت أسباب وصلكم . ومن قرأ «بينَكم» بالنصب[2]، فقوله : ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ معطوف على تَقطَّع والفاعل ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ وقد تنازعه ﴿تَّقَطَّعَ﴾ ﴿وَضَلَّ﴾ . وإن قيل : لم قال ﴿وَمُخْرِجُ﴾ ولم يقل : (ويخرج) ؟ قلت : لأن قوله : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ تفسير لـ ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ أي : إن الله فالق الحب والنوى بإخراج الحي من الميت. وأما قوله : ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ فهو معطوف على قوله : ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ وهو عطف اسم فاعل على اسم فاعل ، وهو أنسب[3].

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٥٢) .

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وخلف ويعقوب «بينُكم» ، وقرأ باقي العشرة «بينَكم» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ١٨٢ ) ، الحجة لابن خالويه (ص : ١٤٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ١٢٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٦٣)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٨ )، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٦٠ ) .

(٣) هذه مسألة خلافية حيث أجاز بعض النحاة عطف الاسم على الفعل إذا اتحد المعطوف والمعطوف عليه=

﴿ تُؤْفَكُونَ ﴾ يقلبون عن الحق إلى الباطل.

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٠٣) قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (١٠٤) وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥) ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ (١٠٦) وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (١٠٧) وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٠٨) ﴾

﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ ذوي حسبان. ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ ﴾ في أرحام النساء ﴿ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ في أصلاب الرجال والمستودع: أرحام الأمهات.

---

= بالتأويل بأن كان الاسم يشبه الفعل، وهو رأي ابن مالك، واختاره السيوطي في الهمع وقال: يجوز في الأصح. ومنع المازني والمبرد والزجاج عطف الاسم على الفعل وعكسه؛ لأن العطف أخو التثنية فكما لا ينضم فيها فعل إلى اسم، فكذا لا يعطف أحدهما على الآخر. وقال السهيلي: يحسن عطف الاسم على الفعل ويقبح عكسه؛ لأنه في الصورة الأولى عامل لاعتماده على ما قبله فأشبه الفعل، وفي الثانية لا يعمل فتمحض فيه معنى الاسم ولا يجوز التعاطف بين فعل واسم لا يشبهه ولا فعلين اختلفا في الزمان. ونميل إلى رأي القائلين بالجواز؛ لما علله السهيلي. **وينظر** تفصيل ذلك في: الإملاء للعكبري (٢ / ٢٥٦)، البيان لابن الأنباري (٢ / ٤٢٢)، شرح التسهيل لابن مالك (٣ / ٣٨٣)، همع الهوامع للسيوطي (٣ / ١٩١، ١٩٢).

وقيل : المستقر : ظهر الأرض ، والمستودع : القبور ؛ كقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ [(١)] وقيل: المستقر ظرف زمان ، أي : زمن استقرار . وقيل : ظرف مكان.

وقيل: مصدر، أي : ولكم في الأرض استقرار ( يخرج منه ) أي : من ذلك الخضر ﴿ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ وقوله : ﴿ وَجَنَّٰتٍ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا ﴾ ويقال : أينعت الثمرة : إذا طاب أكلها. ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ قدم أحد مفعولي «جعل» ليكون الإنكار متوجها ، أي : اتخاذ الشركاء جنًّا كانوا أو إنسًا ، ولو قدم الجن لكان الإنكار على اتخاذ الجن دون غيرهم . ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي: بديعة سماواته. من أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة . ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ولا تحيط به ، ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية ، أو يقال : الأبصار جمع معرف فيقتضى الاستغراق والأمر كذلك . ليس كل الأبصار تدركه . قال في حق الكفار: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [(٢)].

( دارسْتَ ) أي : اشتغلت بالدروس مع من يشتغل به. فجاءت المدارسة من اثنين فأكثر. ومن قرأ ( دَرَسْتَ ) لم يكن فيه مفاعلة ، ومن قرأ ( دَرَسَتْ ) [(٣)] أي : أخبار قديمة قد درس أثرها ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ من خير أو شر ؛ كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [(٤)] قل لهم: إنما الآيات عند الله ، وما يدريكم أنها إذا جاءت تؤمنون ؛ فإن الله قادر على تقلب القلوب والأبصار ، وعلى صرف دواعيهم إلى الشر، كما صرفها عن الإيمان قبل نزول الآية .

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة المطففين ، الآية (١٥) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بن العلاء دَارَسْتَ ، وقرأ عاصم ونافع وحمزة والكسائي دَرَسْتَ ، وقرأ ابن عامر دَرَسَتْ . تنظر القراءات في : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ٢ / ٢٥ ) ، البحر المحيط لأبي حيان (١٩٧/٤) ، حجة ابن خالويه ( ص :١٤٧ ) ، حجة أبي علي الفارسي ( ٣ / ٣٧٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ١٥١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٦١ ) .

(٤) سورة النمل ، الآية (٤) .

فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

و «لا» في ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ زائدة ، وقرئ إِنَّهَا بالكسر وتكون خبرا مستأنفا من جهة الله – تعالى- بذلك . وقيل : «لا» زائدة [(١)] في قوله «أنها» بالفتح [(٢)]. و«أنَّ» بمعنى لعل ، تقول العرب: اذهب إلى السوق أنك تشتري لنا لحما، أي : لعلك[(٣)].

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ ﴾ كما قلبناها من قبل ، فلم يؤمنوا بها. ﴿ وَنَذَرُهُمْ ﴾ نتركهم في مجاوزة الحد ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون . والعمه في البصيرة ، والعمى: يستعمل في البصر والبصيرة. رد الله سبحانه على الذين أقسموا ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ فقال: القلوب بيد الله ، وما يشعركم أنه يصرفها عن الحق ، ولو جاءت الآيات المقترحة ، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ كما زعموا في قوله:﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ﴾ [(٤)] وقوله : (قبلا) من قرأها بكسر القاف فمعناها معاينة، ومن قرأ بضمها وضم الباء[(٥)] ففيها وجهان، أحدهما: أنه مأخوذ من القبيل وهو الكفيل . يقال: قبيل وضمين وكفيل وزعيم بمعنى.

والوجه الثاني : أن المراد قبيلته قبيله . وقيل: أراد مقابلة لما حصل إيمانكم . ﴿إِلَّآ أَن

---

(١) هذا قول الفراء في معاني القرآن (١/ ٣٥٠) ، وغَلَّطَهُ الزجَّاجُ في معاني القرآن ( ٢/ ٢٨٣) .

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالكسر «إنها» واستجودها الخليل وغيره ؛ لأن معناها إخبار بعدم إيمان من طبع على قلبه ولو جاءتهم كل آية. وقرأ عامة القراء بالفتح «أنها» . **تنظر** القراءة في: إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ٢ / ٢٦) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٢٠١، ٢٠٢ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٤٧ ) ، حجة أبي علي الفارسي (٣ / ٣٧٥، ٣٧٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ١٥٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٤ ) ، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٦١ ) .

(٣) حكاها الخليل عن العرب . **ينظر** : الكتاب لسيبويه ( ٣ / ١٢٣ ) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية (٨) .

(٥) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر من العشرة «قِبلا» ، وقرأ الباقون «قُبُلا» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٢٠٥) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٤٨) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٢٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ١٥٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٦٥) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٦٢ ، ٢٦١) .

يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ يعني : الكفار . وقيل: بعض ضعفاء المؤمنين . ﴿ يَجْهَلُونَ ﴾ فيعتقدون أنهم لو جاءت الآيات المقترحة لآمنوا .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ أي : ومثل ما جعلنا لك أعداء جعلنا ذلك لمن قبلك من الأنبياء. والعدو: لفظ يصلح للجمع والمفرد. قال : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ ﴾ [(١)] وقال : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ [(٢)] ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ ﴾ يوسوس . وفي قوله : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ وجهان: أحدهما : أنه شياطين الجن الذين مع الإنس . والثاني : أنه مردة الجن والإنس مطلقا. و﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ ﴾ ما زينوه بباطلهم . الهاء في ﴿ فَعَلُوهُ ﴾ وفي ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ ﴾ فيه قولان: أحدهما: يرجع إلى جعل الأعداء للأنبياء . والثاني : لإيجاد زخرف القول والغرور.

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ ﴾ ولتميل إليه قلوب الضعفاء . الحكم : هو المتقن للحكم ، ولا يطلق إلا على من يحكم بالحق . والحاكم : على المحق والمبطل فالحكم أمدح، قاله الماوردي[(٣)] .

﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ﴾ أيها السامع لهذا الكلام من الشاكّين في ذلك . وقيل : هو كقولك لابنك: إن كنت ابني فأطعني. ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ [(٤)] القرآن. وقيل: جميع الوحي على جميع من

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٦٧) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣٧) .

(٣) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي (١/ ٥٥٦) .

(٤) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالجمع «كلمات» ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب والحسن والأعمش «كلمة» بالإفراد . **تنظر في** : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ١ / ٢٨ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٢٠٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص ١٤٨ ) ، الحجة لأبي علي الفارسي ( ٣ / ٣٨٧ ) الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ١٦٥ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٦٢ ) .

أوحي إليه ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في تقليد آبائهم . وقيل : في قولهم : ما لكم تأكلون ما قتلتموه وذبحتموه ، ولا تأكلون ما قتله الله من الميتة وهذا الذي أوحته الشياطين إلى أوليائهم ليجادلوا به المؤمنين . وقوله : ﴿هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ مشكل ؛ لأن أفعل التفضيل إذا أضيفت كانت جزءاً مما بعدها. وإن نصبت بالتمييز لم تكن جزءاً ، تقول: هذه النخلة أطيب رطبًا ، ولا يجوز: أطيب رطبٍ ، فإنه يلزم أن تكون النخلة رطبا ، فقوله : ﴿رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ [1] لا إشكال فيه ؛ لأن الله جاء بالهدى ، ولا يجوز أن يكون أعلم من يضل . فقيل في تأويله : إنه جاء في لغة إعمال اسم الفاعل في المفعول بإضمار من جنسه قال الشاعر [ من الطويل ] :

............ وأضربُ مِنَّا بالسيوفِ القوانِسا[2]

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

أي: يضرب القوانس كذلك هاهنا: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ﴾ يعلم من يضل[3].

---

(١) سورة القصص ، الآية (٣٧) .

(٢) هذا عجز بيت لعباس بن مرداس وصدره : أَكَرَّ وأحمى للحقيقة مِنْهُمُ ......................

ينظر في : الأشباه والنظائر للسيوطي (١ / ٣٤٤) ، الأصمعيات ( ص : ٢٠٥) ، خزانة الأدب للبغدادي (٨/ ٣١٩ ، ٣٢١ ) ، التصريح للشيخ الأزهري ( ١ / ٣٣٩ ) ، ديوان عباس بن مرداس (ص: ٦٩)، شرح الأشموني للألفية (١/ ٢٩١) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧٠٦ )، المغني لابن هشام (٢/ ٦١٨).

(٣) وهذا قول بعض الكوفيين ، والزجاج ، ونسبه السمين الحلبي في الدر المصون للكسائي والمبرد ومكي . قال السمين : والراجح نصبها بمضمر ، وهو قول الفارسي ، وقواعد البصريين موافقة له .

ينظر : الدر المصون ( ٣ / ١٦٧ ) ، معاني القرآن للزجاج ( ٢ / ٢٨٦ ) ، معاني القرآن للفراء (١/ ٣٥٢ ) ، مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ( ١ / ٢٦٦ ) .

وظاهر الإثم : ما أعلن ، وباطنه : ما أسر. وقيل : ظاهر الإثم : ما فعل ، وباطنه : ما أضمر، نقله الماوردي[(١)] . وقيل : ظاهر الإثم : الزنى بالبغايا. وباطنه : ذوات الأخدان.

استحسن الماوردي[(٢)] أن لا تؤكل الذبائح إلا إذا سمي الله عليها ، لما يرى في الآية من التشديد ، والمذاهب فيها ثلاثة : أحدها: مذهب الشافعي يجوز أكل متروك التسمية سهوا وعمداً . والثاني : مذهب ابن سيرين[(٣)] وداود : يحرم متروك التسمية سهواً وعمداً. والثالث: مذهب أبي حنيفة : يحرم متروكًا عمدًا ويحل سهوًا [(٤)] .

﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ مشكل ؛ فإن الشرط المجرد عن القسم لا يجاب إلا بأحد ثلاثة أمور: إما بالفعل ، أو بالفاء ، أو بإذا التي للمفاجأة وقد جاء هاهنا عاريا عن الثلاثة ، فقيل في تأويله : ولئن أطعتموهم ، فقدر لام القسم محذوفة وغلب القسم ، فأجاب بجواب القسم. وإن صح باب هذا الاعتذار لم يصح اشتراط أحد الأمور الثلاثة في الجواب ، بل مهما فقدت الثلاثة أوّلناها بهذا التأويل .

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ

---

(١) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٥٥٧ ) .

(٢) ينظر : النكت والعيون للماوردي ( ١ / ٥٥٧ ) .

(٣) هو محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء أبو بكر ، إمام زمانه في علوم الدين بالبصرة ، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا توفي سنة ١١٠ هـ . ومن أشهر مصنفاته : تعبير الرؤيا وتفسير الأحلام .
تنظر : ترجمته : الأعلام (٦/ ١٥٤ ) ، وفيات الأعيان ( ٤/ ١٨١ ) .

(٤) ينظر : بدائع الصنائع للكاساني ( ٤ / ١٦٦ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٦٣٢) ، المغني لابن قدامة ( ١١ / ٤ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٤ / ٢٦٥ ) ، المهذب للشيرازي (١ / ٣٦).

أَجَّلْتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

يطلق المثل ويراد به الصفة ؛ كقوله : ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ ﴾ [(١)] أي : هذه صفتها ، كذلك قوله : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [(٢)] ثم قال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [(٣)] أي : الصفة العليا.

الياء في ﴿ مُجْرِمِيهَا ﴾ إما علامة الجر بالإضافة ، وإما علامة النصب بالمفعولية. أي : جعلنا مجرميها أكابر . والصغار: الذل . ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ كأنما يحاول أمراً معجوزا عنه ، والرِّجْس ها هنا : العذاب .

و﴿ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ الجنة ، سميت بذلك ؛ لأنها دار الله ، والله هو السلام ، أو دار السلام من الآفات ، أو دار يحيي بعضهم بعضا بالسلام ، وتحييهم الملائكة حين يدخلون عليهم من كل باب . ويحييهم الله -عز وجل- بالسلام : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [(٤)].

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ واتخذتموهم أتباعا . وقيل : المراد : استعاذة الإنس بالجن على ما يأتي شرحه في سورة ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ ﴾ [(٥)] .

﴿ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ هو مسافة تحويلهم من الجحيم إلى الزمهرير. وقيل : من الجحيم إلى الحميم ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [(٦)] ومثل ذلك القول ﴿ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا ﴾ .

---

(١) سورة محمد ، الآية (١٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية (٧٤) .

(٣) سورة النحل ، الآية (٦٠) .

(٤) سورة يس ، الآية (٥٨) .

(٥) يعني سورة الجن ، وذلك عند تفسير قوله - تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ، الآية (٦) وقد فسره المصنف هناك كما قال، وقد جعلنا هذه النقطة من أدلة نسبة التفسير بكامله للسخاوي - رحمه الله تعالى .

(٦) سورة الرحمن ، الآيتان (٤٣ ، ٤٤) .

﴿ يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾ احتج به من زعم أن الله بعث رسلا من الجن ولا حجة فيه؛ لأنه قد يقال عن الشيء إنه بعض الأشياء ، وإن لم يكن من جميع تلك الأشياء . تقول : فلان من بلاد مصر، وإنه من واحدة منها.احتج القائلون بأن الله لم يبعث رسولا من الجن بقوله : ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ [(١)] ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا ﴾ [(٢)]. والجن ليسوا رجالا . وأجيبوا بقوله : ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ فسمَّى الجن رجالا . وقيل: المراد برسل منكم : رجل من الأنبياء إلى الجن؛ لقوله – تعالى– في قصة الجن : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَـٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ الآيتين [(٣)] .

﴿ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا ﴾ ببهجتها وزينتها . وقيل: غرتهم: أشبعتهم فبطروا . يقال: غر الطائر فرخه ، إذا زَقَّهُ [(٤)] فأشبعه .

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَأٓتٖۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَامِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

---

(١) سورة الجن ، الآية (٦) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (١٠٩) .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٣١) .

(٤) زقه: أطعمه بفيه، وزق بسلحه يزق زقا وزقزق: حذف ، وأكثر ذلك في الطائر .

ينظر : لسان العرب ( زقق).

قوله : ﴿بِظُلْمٍ﴾ حال من الفاعل ، ويجوز أن يكون من المفعول ، والأول أصح. ﴿وَلِكُلٍّ﴾ واحد من فريقي الجن والإنس ﴿دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتنين . ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على تمكنكم ، و﴿عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ إذا أطلقت فالمراد بها الخير . كانوا يعينون من زرعهم ومواشيهم شيئا لله ، وشيئا لآلهتهم ، فإن جاء نصيب آلهتهم زاكيا لا يردوه إلى الله وإن جاء نصيب الله زاكيا ردوه لآلهتهم ، فنزلت ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾ [1].

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل ذلك التزيين في التحليل والتحريم ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ أن يقتلوا أولادهم ، إما تقرباً ، وإما كراهة للإنفاق عليهم . وفي الشركاء الذين زينوا أقوال : قيل: هم الشياطين . وقيل : سدنة الأوثان وخدمها. وقيل : الغواة من الجن والإنس. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [2] اللام في ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ لام كي . وقيل : لام العاقبة ؛ لأنهم لم يقصدوا إرداءهم. ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ما كانوا يزعمون أنهم عليه من دين إسماعيل، أو دينهم الذي كان يجب أن يكون لهم وهو الحق ، أو يوقعوهم في دين ملتبس. ﴿حِجْرٌ﴾ أي : منع ، ومعناه : ذو منع .

﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ يريدون : البحائر والحوامي . ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يريدون : السوائب[3] ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ بل يذكونها باسم آلهتهم ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ أي : دعواهم أن الله حرم هذا أو ذبحهم إياها على اسم الآلهة .

﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨/ ٤٠) .

(٢) سورة الليل ، الآية (١١) .

(٣) **البحائر**: جمع البحيرة: كانوا في الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن فكان آخرها ذكرا بحروا أذنها أي: شقوها وأعفوا ظهرها من الركوب والحمل والذبح ولا تمنع عن ماء ترده ، ولا تمنع من مرعى وإذا لقيها المعيي المنقطع به لم يركبها . والسوائب : جمع السائبة: كانوا إذا تابعت الناقة بين عشر إناث لم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها ، وتركوها مسيبة لسبيلها وسموها السائبة وأصله من تسييب الدواب وهو إرسالها تذهب وتجيء كيف شاءت البحيرة .

**ينظر**: لسان العرب ( بحر) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (١/ ١٠٠- ٤/ ٤٣) .

﴿ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٤٠ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾

أنث ﴿خَالِصَةٌ﴾ حملا على المعنى ؛ لأن ما في بطون الأنعام أنعام ، ثم ذكر ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ حملاً على لفظ ما، ونظيره ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ﴾ قاله الزمخشري[1] وفيه نظر؛ لأن قوله : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ حمل فيه أولا على اللفظ، وثانيا على المعنى ، وهو كثير في القرآن لا يحصى. وأما هاهنا فحمل على المعنى أولا ثم على اللفظ ، وهو قليل وإنما فضلوا الذكر على الأنثى فجعلوا له ما ليس للأنثى؛ لأنهم يخدمون الآلهة ، وهم سدنتها. وقيل: لتفضيل الذكر على الأنثى ، وسمي الذكر ذكرا إما من الذكر الذي هو ضد النسيان ؛ لأن به يذكر الأب ، أو من الذكر بمعنى الشرف ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[2] ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾[3].

﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ أي : مرفوعات ، ومنه سمي السرير عريشا وعرشا .

في الحق الذي أمر بإيتائه أقوال :

أحدها : أنه الزكاة من العشر ونصف العشر ، وهو الأشهر.

والثاني : أنه حق واجب غير الزكاة ، وهو ترك ما تساقط من الثمار ، وترك إلقاط الزرع لمن لقطه ، وعلل بأن سورة الأنعام مكية ، وإنما وجبت الزكاة بالمدينة .

وقيل : هذه الآية خاصة من سورة الأنعام مدنية .

والثالث : أنه مطلق على الاستحباب .

والرابع : كان واجبا قبل الزكاة ، ثم نسخ بوجوب الزكاة[4].

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧١ ) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٤٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ( ١٠) وهذا كلام الماوردي في النكت والعيون ( ١ / ٥٦٩ ) .

(٤) ذكر الماوردي في النكت والعيون ( ١ / ٥٧٠ ) الأقوال الأول والثاني والرابع ، ونسب الأول=

وقوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ هو أن يتكلف رب المال أن يخرج فوق ما يجب عليه زيادة تجحف . والثاني : بأن يأخذ السلطان زيادة عن الزكاة بما يجحف . والثالث: أن يمنع رب المال من إعطاء القدر الواجب . وقيل : الإسراف إخراج نصيب من أموالهم لآلهتهم .

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٤٢) ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٤٤) قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤٥)﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ الحمولة : الإبل والبقر. والفرش : الغنم وصغار الإبل، والبقر. وقيل : الحمولة: الكبار. والفرش: الصغار ؛ لأنها قريبة من الأرض ، فتشبه الفرش .

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ في تحريم السوائب والبحائر . إذا اقترن بالشيء ما يماثله في الاسم سمي الاثنان زوجا ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [(١)] ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [(٢)] ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أي : ثمانية أفراد. فأي هذه الأشياء جاء تحريمه إليكم.

وقوله: ﴿فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ تلويح بأن التحريم والتحليل إنما يكون بالوحي . الدم إن كان

---

= للجمهور، والثاني لعطاء ومجاهد ، والرابع لابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم .

وروى هذه الأقوال الطبري في تفسيره ( ٨ / ٥٤ - ٥٨ ) ، ثم قال : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدياس والتنقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الجفاف.

(١) سورة هود ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة النجم ، الآية (٤٥) .

جامدا كالكبد والطحال كان حلالا بالحديث [١] وإن كان مسفوحا فهو حرام ، إلا ما كان في العروق ، أو في أثناء اللحم . واليهود يبيعون الدم في العروق ، فيستخرجونه ويحرمونه ، وفسر الفسق بأنه سمّي على ذبحه اسم غير الله ، ولا خلاف أن ما كان كذلك فهو حرام .

﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ على مضطر مثله يمنعه مساهمته في الميتة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوزا قدر .

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (١٤٦) فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٤٧) سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩) قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠) ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾

﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ لو قال: حرمنا عليهم الشحوم لفهم المقصود لكن قوله: ﴿شُحُومَهُمَآ﴾ لزيادة الربط ، ونظيره ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [٢]

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم ( ٥٤٦٥ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣٣٠٥ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٥٧) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال» . قال البوصيري في مصباح الزجاجة في التعليق على سنن ابن ماجه ( ٤ / ٢١ ) : هذا إسناد ضعيف فيه عبد الرحمن بن زيد قال فيه أبو عبد الله الحاكم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة . وقال ابن الجوزي : أجمعوا على ضعفه. قلت ( أي : البوصيري ) : لكن لم ينفرد به عبد الرحمن بن زيد عن أبيه فقد تابعه عليه سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قوله ... قال البيهقي : إسناده الموقوف صحيح وهو في معنى المسند ، قال : وقد رفعه أولاد زيد بن أسلم عن أبيهم وهم كلهم ضعفاء جرحهم ابن معين. وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٢٣٢) وفي السلسلة الصحيحة رقم (١١١٨) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (١) .

أي : اقترب للناس الحساب . تقول : من زيد أخذت ماله . والْحَوَايَا : المباعر. هل هي مستثناة ، أو مستثنى منها ؟ فيه مذهبان؛ وكانوا بنو إسرائيل قد أحدثوا بدعاً فحرم عليهم بعض الحلال عقوبة ، وهو معنى قوله : ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾.

﴿هَلُمَّ﴾ عند الكوفيين تثنى وتجمع وتؤنث وتذكر ؛ فيقال : هلم وهلما وهلموا وهلمي. والحجازيون يجعلونها على صورة واحدة [1] ؛ كقوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾[2] وقال هاهنا: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾. وفي الحديث الصحيح: «ليذادن أقوام عن حوضي ، كما يذاد البعير الضال ، فأناديهم : ألا هلم ألا هلم» [3] .

(تعال) خاص أريد به العام ، وأصله أن يقول المستعلي للمستفل : تعال ، ثم اتسع فقيل لمن هو معك في أرض مستوية ، ثم اتسع فيه فقيل لمن هو مستعل عليك وأنت في مكان أخفض ، تقول له : تعال ، وصار معناه : جيء. والمذكور في هذه الآيات الثلاث منه ما هو محرمات ، ومنه ما هو واجبات كقوله - تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ تحريم للشرك . وقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ تحريم للعقوق ، وتحريم قتل الأولاد ، وركوب الفواحش ، وقتل النفس ، وقربان مال اليتيم بغير حق ، وبخس الكيل والوزن ، وتحريم الإخلال بالقول ، ونكث العهد ، وسلوك غير سبيل المؤمنين ، واتباع السبل المتفرقة ، ونصب ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر ، أي : وأحسنوا للوالدين إحسانا. الإملاق : الفقر.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا

---

(١) ينظر : الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٢١٢) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (١٨) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم ( ٢٤٩ ) ، وأحمد في مسنده ( ٢ / ٣٠٠ ) ، وابن ماجة رقم (٤٣٠٦ ) ، والنسائي في المجتبى (١ / ٩٤ ) ، وابن خزيمة رقم (٦) ، وابن حبان رقم (١٠٤٦) عن أبي هريرة ﷺ .

ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَاۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾

أشار إلى أن الوفاء بمقتضى الوزن يعسر جدًّا ، فإن بين الحبتين تفاوتاً لا ينضبط وكذلك الكيل ، فيعفى عما لا يتأتى ضبطه ، من ذلك نبه على ذلك بقوله : ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قوله: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ أتى بـ «ثم» ليدل على تفاوت الرتب ؛ فإن إيتاء موسى الكتاب يتضمن من المصالح والحكم أكثر مما تضمنته هذه الآيات الثلاث ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ موسى في عبادة ربه . وقيل : على الذي أحسن الله إليه بتوفيقه لها . وفي الشاذ ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ بضم النون [(١)] أي: تماماً على الذي هو أحسنُ ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه .

وقوله: ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي : مبارك فيه ، تقول : باركك الله، ويدل عليه قوله : ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [(٢)] وقياس : بارك الله فيك أن تقول : بورك فيمن في النار ، وفيمن حولها. ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ أي : كراهة أن تقولوا . وقيل : لئلا تقولوا ، والمراد بالكتاب : التوراة والإنجيل ﴿لَوْ أَنَّآ﴾ أي : لو ثبت لنا ؛ فإن «لَو» تطلب الفعل ، وأن في موضع رفع بالفاعلية ، والفاء في قوله : ﴿فَقَدْ جَآءَكُم﴾ مثلها في قول الشاعر [ من البسيط ] :

قالوا خُراسانَ أقصى ما يُرادُ بنا ثمَّ القفولَ فقدْ جِئْنا خُراسانا[(٣)]

---

(١) قرأ بها الحسن والأعمش ويحيى بن وثاب وابن أبي إسحاق . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٥٥ ) ، تفسير القرطبي ( ٧/ ١٤٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢٢١ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٢٣٤ ) ، معاني القرآن للفراء (١/ ٣٦٥ ) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨) .

(٣) تقدم عند تفسير سورة المائدة ، الآية ( ١٩ ) .

﴿وَصَدَفَ﴾ أعرض . لما كانوا بصدد وقوع إتيان الملائكة ، وما بعده من التهديد ، جعلوا منتظرين لهم وإن لم يكونوا منتظرين ، التقدير: أو يأتي أمر ربك ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ من طلوع الشمس من مغربها ، أو خروج الدابة ، لا ينفع نفسًا لم تكن آمنت من قبل إيمانها ، ولا نفسًا لم تكسب في إيمانها خيرًا كسبها. وقوله : ﴿لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ في موضع نصب صفة لـ «نفسًا» . ﴿شِيَعًا﴾ أضرابًا يشايع بعضهم بعضًا في الباطل . ﴿لَّسْتَ﴾ من عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة ﴿فِي شَيْءٍ﴾ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ هذا أقل المضاعفة ، وإن شاء ضاعفها إلى سبعمائة ، كما في قوله : ﴿أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ الآية[1] ﴿دِينًا﴾ نصب على القطع. و﴿حَنِيفًا﴾ حال من المضاف إليه ، وهو إبراهيم . والحال من المضاف إليه قليل ؛ لأنه لم يأت إلا لتعريف المضاف ، وليس أحد جزئي الكلمة[2] .

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٦١ ) .

(٢) تجيء الحال من المضاف إليه بشروط ثلاثة : أحدها : أن يكون المضاف عاملا عمل الفعل . والثاني: أن يكون جزءا نحو : ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا﴾ والثالث: أن يكون كالجزء؛ كهذه الآية ؛ لأن إبراهيم لها لازمها تنزلت منه منزلة الجزء . والنحويون يستضعفون مجيئها من المضاف إليه ، ولو كان المضاف جزءا ، قالوا : لأن الحال لابد لها من عامل ، والعامل في الحال هو العامل في صاحبها ، والعامل في صاحبها لا يعمل عمل الفعل . ومن جوز ذلك قدر العامل فيها معنى اللام أو معنى الإضافة ، وهما عاملان في صاحبها عند هذا القائل . وفي إعراب حنيفا أوجه أخرى ، منها : النصب بإضمار فعل ، أي: نتبع حنيفا، وقدره أبو البقاء العكبري بـ «أعني» ، وهو قول الأخفش الصغير وجعل الحال خطأ . النصب على القطع ، وهو رأي الكوفيين ، وكان الأصل عندهم : إبراهيم الحنيف ، فلما نكره لم يمكن اتباعه . النصب على الحال من ملة وتكون حالا لازمة ؛ لأن الملة لا تتغير عن هذا الوصف. وهذا الأخير الذي اختاره السمين الحلبي في الدر المصون (١/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤ ) **وينظر في ذلك**: أوضح المسالك لابن هشام ( ٢ / ٣٢٤ ) ، شرح ابن عقيل للألفية (٢/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨)، الكشاف للزمخشري (١/ ١٩٤).

النسك : العبادة . وقيل: الحج . وقيل : الذبائح ﴿وَمَحْيَايَ﴾ أي : حياتي ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي : لا تحمل نفس حاملة ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾ أي : فيجازيكم ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي : في الأرض .

﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليظهر كيف شكركم في الرخاء ، وصبركم في البلاء . أكد كونه غفورًا رحيمًا ولم يذكر في العقاب ذلك، إشارة إلى قوله ﷺ حكاية عن ربه عز وجل : « إن رحمتي غلبت غضبي »[1] .

* * *

(١) رواه البخاري رقم ( ٧٤٠٤ ، ٧٤٢٢ ) ، ومسلم رقم ( ٢٧٥١ ) عن أبي هريرة ﷺ .

## سورة الأعراف [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٌ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣) وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ (٤) فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٥) فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ (٦) فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ (٧) وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٨) وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ (٩) وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ (١٠) ﴾

قوله: ﴿ كِتَٰبٌ ﴾ خبر عن ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ إذا قلنا: إنه اسم للسورة أو اسم القرآن ، أو (كتاب) خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذا كتاب ، و ﴿ وَذِكۡرَىٰ ﴾ مرفوع المحل عطفها على (كتاب) أو: منصوب مفعولاً من أجله معطوف على ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ أو مجرور معطوف على موضع ﴿لِتُنذِرَ﴾ أي : للإنذار والذكرى . مَا في قوله : ﴿ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ زائدة ﴿ قَلِيلٗا ﴾ نعت مصدر محذوف ، أي : تتذكرون تذكراً قليلاً. و ﴿ وَكَم ﴾ مرفوع المحل أو منصوبه، من باب اشتغال الفعل عن المفعول وضميره .

فإن قلت : القياس : جاءها بأسنا فأهلكناها . فجوابه : أن قوله : ﴿ أَهۡلَكۡنَٰهَا ﴾ أي : أردنا إهلاكها. ﴿ أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾ من القيلولة ، كقوله: ﴿إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [١] قال الزمخشري[٢]: يجوز أن يكون ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾ مرفوع المحل ؛ اسم كان. و ﴿ أَن قَالُوٓاْ ﴾ في موضع نصب ، ويجوز العكس على القاعدة في باب كان. وفيه نظر ؛ لأنه إنما جاز في باب كان في المعرفتين تقديم الخبر، لفهم المعنى بالإعراب ، وأما ﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ ﴾ و ﴿ أَن قَالُوٓاْ ﴾ لا يظهر فيهما إعراب [٣] فهو كمسألة: ضرب موسى عيسى .

---

(١) سورة يونس ، الآية (٥٠) .

(٢) **ينظر** : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٨٨ ) .

(٣) يعني أن قوله : ( أن قالوا ) مصدر مؤول ، وقوله : ( دعواهم ) اسم مقصور ، وكلاهما معربان بعلامة مقدرة غير ظاهرة .

قال الزمخشري[1]: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ الْحَق : صفة للوزن ؛ أي : الوزن الحق يومئذ . ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ أي : ثقلت موزونات حسناته ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ ﴾ موزوناته ، والكافر يوزن له ولا مقابل للموزون من الحسنات ؛ ليظهر نقص حاله وخسران عاقبته .

واختلف في الموزون ما هو ؟ فقيل : الأعمال ، يجعل الله للحسنات صورة منيرة بثقلٍ يرضاها المكلف ، ويجعل للسيئات صورة مظلمة بثقلٍ يرضاها المكلف. وقيل : الموزون الصحف ، تجعل صحف الحسنات في كفة ، وصحف السيئات في كفة ، ويدل عليه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى برجل يوم القيامة فيخرج له تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر، مملوء من السيئات ، فيوقن بالهلاك ، فيقول الله تعالى : إنك لا تظلم ، ويؤتى بصحيفة فيها : لا إله إلا الله . فتوضع في كفة الحسنات ، فترجح على التسعة والتسعين سجلا »[2] .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ أي : خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ تعظيما له ، وذلك مما تختلف فيه الشرائع ، وقد رفع يوسف ﴿ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ .

(لا) في قوله ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ زائدة . قوله تعالى: ﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ احتج به من اعتقد أن الأمر للوجوب ، واحتج به من زعم أنه على الفور؛ لقوله ﴿ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ وقوله: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ تعليل للجواب وليس هو الجواب ؛ بل التقدير: منعني معرفتي بأنه لا يذل الشريف لمن هو دونه ، وأنا خير من آدم ، فلذلك امتنعت . وزعم أن النار تحكم على الطين وتحرقه ، ونسيَ

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٨٨ ) وعبارته: « ورفعه » أي : الوزن على الابتداء ، وخبره « يومئذ »، و «الحق» صفته ، أي : والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق ، أي : العدل » .

(٢) رواه أحمد ( ٢ / ٢١٣، ٢٢١ ) ، والترمذي رقم ( ٢٦٣٩ ) ، وابن ماجه رقم ( ٤٣٠٠ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٢٢٥ ) ، والحاكم في المستدرك (٦/١، ٥٢٩) ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، وصححه الشيخ الألباني – رحمه الله – في السلسلة الصحيحة رقم (١٣٥ ) .

أن الطين أصل في التربية والنمو ويحرم التكبر فيها وفي غيرها ، لكن السماء محل الطاعة والتسبيحات والأذكار، فلا يدخل فيها متكبر . والصغار: الذل ؛ كقوله: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ (١) .

وأراد إبليس ألا يموت بقوله : ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لأموت بعد البعث ، فقيل : ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ المؤخرين ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ (٢) وهي النفخة الأولى التي يموت بها كل حي.

﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي : بسبب إغوائك لي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ نصب بحذف حرف الجر، أي : على صراطك ، كقوله: [ من الكامل ] :

.................. كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ (٣)

﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٢٤) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٣٨) .

(٣) هذا عجز بيت لساعدة بن جؤية الهذلي يصف رمحا بأنه لين يضطرب صلبه في كفه بسبب هزه فلا يبس فيه كما اضطرب الثعلب في الطريق ، وصدره :

لدْنٌ بهزِّ الكفِّ يعسِلُ متنَهُ فيه ..................

**وينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي ( ٣ / ٨٣ ، ٨٦ ) ، التصريح للأزهري ( ١ / ٣١٢ ) ، شرح أشعار الهذليين ( ص : ١١٢٠ ) ، شرح الأشموني للألفية ( ١ / ١٩٧ ) الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٩٢ ) ، لسان العرب ( عسل ) مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ١١ ) .

وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

أي : عسل في الطريق ، **والعَسَلان** : ضرب من السعي .

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ ولقد صدقه الله في ذلك بقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [1] **والمذؤوم**: المعيب ، **والمدحور**: المطرود .

﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ﴾ [2] أي: طردًا . اللام في ﴿ لِيُبْدِيَ ﴾ لام كي ، ويجوز أن تكون لام العاقبة ؛ كقوله : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ [3] .

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَا ﴾ إلا كراهة أن تكونا. ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ ﴾ حالفهما ﴿ إِنِّى ﴾ ناصح ﴿ لَكُمَا ﴾ من الناصحين ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا ﴾ توصل إلى إضلالهما كتوصل من يدلي دلوه في البئر ليتوصل به إلى أخذ الماء . ﴿ يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ يجعلان بعضه على بعض ليستر سوءتهما. ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ آدم وحواء وإبليس . وقيل: والحية . وقيل: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ ﴾ خطاب لآدم وحواء خاصة ؛ لقوله في مكان آخر : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا ﴾ [4] وإنما جمعه لأن آدم وحواء أصل لجميع البشر . ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ مكان ، أو استقرار. ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ ﴾ أي: في الأرض. ﴿ وَرِيشًا ﴾ شبه لباس الثياب بريش الطائر الذي يستره ويزينه .

ومن قرأ (لِبَاسَ) بالنصب ، فهو إخبار عن الله بأن الله جعل لباس التقوى خيرًا .

ومن قرأ ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ فهو مبتدأ خبره ﴿ خَيْرٌ ﴾ [5] وقوله ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يتنزل منزلة قوله هؤلاء. ﴿ يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ هو كقوله: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ بأن زين لهما

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان (٨ ، ٩) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٨) .

(٤) سورة طه ، الآية (١٢٣) .

(٥) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر «ولباسَ التقوى» ، وقرأ الباقون «ولباسُ التقوى» .

**تنظر في** البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٢٨٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٥٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢٥٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص: ٢٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٩٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٦٨ ) .

أكل الشجرة المنهي عنها فكان ذلك سببا في خروجهما ، وذلك تسبب في نزع اللباس ؛ لأنه لم يباشر خلع ثيابهم ؛ بل تسبب إلى ذلك .

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩) فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٠) يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾

وكانت الحمس يطوفون بالبيت عراة ويقولون : لا نطوف بيت الله بثياب عصينا الله – تعالى– فيها ، وكانوا لا يعيرون ثيابهم لمن يجيء حاجًّا إلا بشيء كثير يأخذونه منه ، فنزلت: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾ الآية[1].

﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ تقولون : إن الله أمركم ؛ فلا يدخل فيه مسائل الفقه المظنونة، فإنها ليست معلومة ؛ لأنها مستثناة بعمل الصحابة – رضي الله عنهم – بالقياس وهو ظن. ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ تبعثون غرلا [2] حتى لو قطع عضو من آدمي في حياته بعث يوم القيامة كامل الأعضاء . ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ قيل: هي اللباس .

وقيل : تسريح اللحية ، قال بعضهم : وجمع الله طِبَّ الأولين والآخرين في قوله : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية يعني : هي للمؤمنين في الدنيا يشاركهم فيها الكفار، وفي الآخرة تخلص للمؤمنين ﴿وَالْإِثْمَ ﴾ هو المعصية ؛ لأنه يوجبه . وقيل : الإثم : الخمر ؛ قال الشاعر [ من الوافر ] :

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٨ / ١٥٤ ) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٤٣٦ ) لابن المنذر وأبي الشيخ عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) الغرل – بضم الغين المعجمة وإسكان الراء – معناه : غير مختونين ، جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته ، وهي الجلدة التي تقطع في الختان . **ينظر** : لسان العرب (غرل ) .

شـربتُ الإثـمَ حتَّـى ضَـلَّ عقلـي  كـذاكَ الإثـمُ تـذهبُ بـالعُقولِ[1]

وهذا ضعيف ؛ لأنه غريب في الاستعمال ؛ ولأن هذه السورة مكية ، ولم تحرم الخمر إلا بعد الهجرة إلى المدينة[2] . ﴿ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ ﴾ أي: ما لم يقم به حجة وبرهانا .

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ

---

(١) البيت أنشده الأصمعي ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ١٥٧ ) ، تاج العروس للزبيدي ( إثم)، تهذيب اللغة للأزهري ( ١٥ / ١٦١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٢٨٥ ، ٣ / ٢٦٣ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٨ / ١١٢ ) لسان العرب ( أثم ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٢٥ ) .

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ١٠ / ٣١ ، ٣٢ ) : قال أبو جعفر النحاس : وقول من قال: إن الخمر تسمى الإثم لم نجد له أصلا في الحديث ولا في اللغة ولا دلالة أيضا في قول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلي  كذاك الإثم تذهب بالعقول

فإنه أطلق الإثم على الخمر مجازا بمعنى أنه ينشأ عنها الإثم .

وقال السمين الحلبي في الدر المصون ( ٣ / ٢٦٣ ) : والذي قاله الحذاق : أن الإثم ليس من أسماء الخمرة ؛ قال ابن الأنباري : الإثم لا يكون اسما للخمر ؛ لأن العرب لم تسم الخمر إثما في جاهلية ولا إسلام .... وكيف يكون ذلك ، وكانت الخمر حين نزول هذه السورة حلالا ؛ لأن السورة مكية ، وتحريم الخمر إنما كان في المدينة بعد « أحد » ، وأما ما أنشده الأصمعي من قوله :

فقد نصوا أنه مصنوع ............ شربت الإثم حتى ضل عقلي

هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾

(ما) في ﴿ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ زائدة ، وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ ﴾ شرط جوابه ﴿ فَلَا خَوْفٌ ﴾ وهذا الشرط وجوابه جواب ﴿ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ . ﴿ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي: مما كتب لهم من خير وشر . ﴿ يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ أي: يتوفون أزواجهم . ﴿ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا ﴾ غابوا عن أعيننا فلا نراهم ، وقد رأوهم في موقف العرض ؛ لقوله: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ ﴾ الآية[1] . ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ ﴾ أي: مع أمم ، أو في زمرة أمم. ﴿ ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا ﴾ أي: تداركوا ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ ﴾ التي دخلت أخيرًا ﴿ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا ﴾ يعني: الأكابر والسادات من المشركين ، كانوا يدعونهم إلى الضلال فيتبعونهم ، ولو آمن الرؤساء لآمن هؤلاء الأتباع. ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ أي : لا تفتح لدعائهم ، أو لا تفتح لأعمالهم التي تصعد بها الحفظة و ﴿ ٱلْجَمَلُ ﴾ هو الحيوان المعروف ، وقيل: ﴿ سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ : ثقب الإبرة ، والمراد إبعاد فتح السماء لهم. وقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ خبر عن ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ . وقوله: ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ ﴾ جملة معترضة بين المبتدأ والخبر، ووجه اعتراضها أنه يقول: لا يظن في قول الذين آمنوا وعملوا الصالحات استغراق جميع الأوقات في العمل ، بل المراد في حق كل مكلف ما يليق به.

﴿ هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ أي: لعمل حصل منه هذا. ﴿ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ يريد المنازل المخصوصة ، فإنها تترتب على الأعمال ؛ لقوله: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾[2] وأما دخول الجنة فإنه بفضل الله وبرحمته ، وقال عن المؤمنين: ﴿ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا ﴾ وفي حق الكفار: ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ ﴾ فإن الكفار يتألمون بنعيم المؤمنين ، كما يتألمون بألم أنفسهم .

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا

(١) سورة النحل ، الآية (٨٦) .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية (١٩) .

يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعرضون عنها أو يمنعون الناس من سلوكها. ﴿ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا ﴾ من أهل السعادة والشقاوة . ﴿ بِسِيمَىٰهُمۡ ﴾ أي : بعلامتهم من بياض الوجوه وسوادها أو غير ذلك . ﴿ وَنَادَىٰٓ ﴾ أو وينادى أصحاب الأعراف ﴿ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ . وقوله: ﴿ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا ﴾ أي : المؤمنون المسلم عليهم . وقيل: هم أصحاب الأعراف ، إذا قلنا هم أصحاب اليمين ، أوهم الشهداء ، أو أولاد المؤمنين، أو أولاد الكافرين الذين لم يبلغوا ﴿ تِلۡقَآءَ ﴾ أي: جهة. ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ ﴾ يجوز أن تكون (ما) نافية ، وأن تكون استفهامًا بمعنى الإنكار . ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أشاروا به إلى فقراء الصحابة ، كخبَّاب وسلمان وبلال وابن مسعود . ﴿ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ منعهم منها كقوله: ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ ﴾ (١). وجاءت: ﴿ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ ﴾ ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ بلفظ الماضي ؛ لأن أمور القيامة وغيرها من المستقبلات معلوم عنده علم يقين ؛ لأن علم الله ليس فيه ماض ولا استقبال ، فاختير لفظ الماضي ؛ لأنه أدل على التحقيق في عرف استعمالنا .

﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا ﴾ قيل: أراد به أعياد الكفار . وقيل : إن الرجل منهم كان يعبد الصنم فإذا رأى صنماً أحسن منه ترك الأول ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ ﴾ نجازيهم على نسيانهم بما أهملوا العمل للقاء يومهم هذا ، وبكونهم بآيات الله يجحدون . ﴿ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ ﴾ يجوز أن يكون مصدراً محذوف الفعل ، وأن يكون مفعولاً من أجله ، ويجوز أن يكون حالا من

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٩٥) .

ضمير جئنا[١] للفاعل أو المفعول. ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ إلا عاقبته ، يؤمن به الكفار حين لا ينفعهم الإيمان. وقوله : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ ﴾ تمنٍّ من الكفار، ولا ينفع في حق الكفار شفاعة ، كما أن ردهم إلى الدنيا ممتنع. ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ثم قهر واستولى [٢] ؛ كقوله [من الرجز] :

---

(١) يعني في قوله – تعالى : ﴿ جِئْنَٰهُم ﴾ في أول الآية .

(٢) اختلف الناس في الاستواء المذكور هنا فقالت المعتزلة: معناه : الاستيلاء بالقهر والغلبة واحتجوا بقول الشاعر: قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

قال ابن بطال : فأما قول المعتزلة فإنه فاسد لأنه لم يزل قاهرا غالبا مستوليا وقوله : ثم استوى يقتضي افتتاح هذا الوصف بعد أن لم يكن ولازم تأويلهم أنه كان مغالبا فيه فاستولى عليه بقهر من غالبه وهذا منتف عن – الله سبحانه – وقالت المجسمة : معناه الاستقرار . قال ابن بطال : وأما قول المجسمة ففاسد أيضا ؛ لأن الاستقرار من صفات الأجسام ويلزم منه الحلول والتناهي وهو محال في حق الله – تعالى– ولائق بالمخلوقات لقوله – تعالى : ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ وقوله : ﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ قال : وقال بعض أهل السنة : معناه : ارتفع ، وبعضهم معناه : علا، وبعضهم معناه : الملك والقدرة ومنه استوت له الممالك يقال لمن أطاعه أهل البلاد . وقيل : معنى الاستواء : التمام والفراغ من فعل الشيء ، ومنه قوله – تعالى : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ فعلى هذا فمعنى استوى على العرش: أتم الخلق ، وخص لفظ العرش لكونه أعظم الأشياء . وقيل : إن (على) في قوله : ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ بمعنى إلى فالمراد على هذا : انتهى إلى العرش أي : فيما يتعلق بالعرش ؛ لأنه خلق الخلق شيئا بعد شيء . قال ابن بطال : وأما تفسير استوى علا فهو صحيح وهو المذهب الحق وقول أهل السنة ؛ لأن الله – سبحانه– وصف نفسه بالعلي ، وقال : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وهي صفة من صفات الذات .

وأما من فسره : ارتفع ففيه نظر ؛ لأنه لم يصف به نفسه ، قال : واختلف أهل السنة هل الاستواء صفة ذات أو صفة فعل ؟ فمن قال : معناه علا . قال : هي صفة ذات . ومن قال غير ذلك قال : هي صفة فعل ، وإن الله فعل فعلا سماه استوى، على عرشه لا أن ذلك قائم بذاته لاستحالة قيام الحوادث به .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وقد ألزمه من فسره بالاستيلاء بمثل ما ألزم هو به من أنه صار قاهرا بعد أن لم يكن فيلزم أنه صار غالبا بعد أن لم يكن والانفصال عن ذلك للفريقين بالتمسك بقوله – تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فإن أهل العلم بالتفسير قالوا : معناه: لم يزل كذلك ، وقد نقل أبو إسماعيل الهروي في كتاب الفاروق بسنده إلى داود بن علي بن خلف قال : كنا عند أبي عبد الله بن الأعرابي يعني محمد بن زياد اللغوي فقال له رجل : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال : هو على العرش كما أخبر ، قال : يا أبا عبد الله إنما معناه: استولى ، فقال : اسكت لا يقال: استولى على الشيء إلا أن=

قد استوى بشر على العراق ............ [١]

يجعل الليل غاشيا للنهار، ومغط له ، وكل واحد منهما كالطالب للآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ الطلب هاهنا استعارة . ومن نصب الشمس والقمر والنجوم فقد عطفه على

---

= يكون له مضاد . وقال غيره : لو كان بمعنى استولى لم يختص بالعرش ؛ لأنه غالب على جميع المخلوقات، ونقل محيي السنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس وأكثر المفسرين أن معناه: ارتفع. وقال أبو عبيد والفراء وغيرهما بنحوه. وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت : «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإقرار به إيمان والجحود به كفر» .

ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن: « أنه سئل كيف استوى على العرش ؟ فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول وعلى الله الرسالة وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم» . وأخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال : «كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله على عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته» . وأخرج الثعلبي من وجه آخر عن الأوزاعي: «أنه سئل عن قوله - تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ فقال : هو كما وصف نفسه» .

وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال : «كنا عند مالك فدخل رجل فقال : يا أبا عبد الله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ كيف استوى ؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال :كيف وكيف عنه مرفوع وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه» .

**نقول : والمذهب الصحيح في جميع ذلك** : الاقتصار على ما ورد به التوقيف دون التكييف وإلى هذا ذهب المتقدمون ومن تبعهم من المتأخرين وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب في غير آية ووردت به الأخبار الصحيحة وقبوله من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه وطلب الكيفية له غير جائز ، وهذا هو مذهب السلف الصالح وما عليه أئمة المسلمين من الأئمة الأربعة والثوري والأوزاعي وغيرهم من أئمة المسلمين : وهو إمرار هذا الآية في الاستواء وما شاكلها من آيات الصفات كما أتت دون تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف . **وينظر** في ذلك : الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي ( ١ / ١١٥ ) ، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٢٠ ) ، تفسير القرطبي ( ٧ / ٢١٩ ) ، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص: ٢٠٠ ) ، فتح الباري لابن حجر ( ١٣ / ٤٠٥ - ٤٠٧ ) .

(١) هذا صدر بيت للأخطل وعجزه : ................ من غير سيف ودم مهراق

وليس في ديوانه ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ١ / ١٣٤) ، تاج العروس للزبيدي ( سوا)، تفسير القرطبي (١ / ١٧٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ١٧٢ ) ، رصف المباني للمالقي (ص: ٣٧٢ ) ، لسان العرب ( سوا ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٣٢ ) .

السماوات والأرض ، ومن رفعها [١] فهي مبتدأ ، و ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ الخبر ﴿أَلَا لَهُ﴾ الإيجاد والتصرف في الموجودات بالأمر والنهي ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ جاء بكل بركة . وقيل: تبارك بمعنى تعالى.

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله: ﴿وَخُفْيَةً﴾ يدل على تفضيل دعاء السر؛ كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [٢] ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين الحد في رفع الصوت . وقيل: هو عام في النهي عن كل اعتداء ومجاوزة حدٍّ . ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل. وقيل: الفساد في الأرض: إهلاك الحرث والنسل وسائر أنواع الظلم بعد إصلاح الله إياها بالأمر بالعدل. ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ذات قرب .

من قرأ ( نُشُراً ) بضم الشين فهو جمع نَشور بفتح النون ؛ كصبور وصبر. ومن سكن الشين فهو تخفيف ، كعضد في عضد ، ومن قرأ ﴿بُشْرًا﴾ فإنها تبشر بالمطر [٣] ؛ كقوله: ﴿يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ [٤] . ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ كثيرة الماء ، دانية من الأرض ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ المنبت ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ الأرض الملح ، وهذا مثل ضربه الله للقلوب [ يُعْرَض ] عليها القرآن فيثمر لبعضها الخضوع والانقياد ومعرفة الله بالوحدانية

---

(١) قرأ ابن عامر بالرفع هنا في الأعراف وفي النحل ، ووافقه حفص عن عاصم في النحل ، وقرأ الباقون بالنصب في الموضعين ، وقرأ أبان بن تغلب برفع «النجوم» وما بعدها . تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢٨١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٨٣ ) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٣) .

(٣) قرأ عاصم «بُشْرا» ، وقرأ ابن عامر «نُشْرا» ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «نَشْرا»، وقرأ الباقون «نُشُرا» تنظر القراءات في : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ٢ / ٥٢ ) ، البحر المحيط لأبي حيان (٤/٣١٦) ، التبيان للعكبري ( ١ / ٢٧٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٥٧) ، الحجة لأبي علي الفارسي ( ٤ / ٣١ ، ٣٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٨٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٠ ).

(٤) سورة الروم ، الآية (٤٦) .

والقدرة وعظم الملك ، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً . لما قال : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ ببعثة الرسل شرع في قصص الأنبياء وما جاؤوا به من الإصلاح وما قابلهم به قومهم من العناد .

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

ولقد صرح بهذا في قصة شعيب حيث قال: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ﴾ ﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾ الأشراف ، وقد ذكر اشتقاقه في سورة البقرة [1] جعلوا نوحاً منغمسا في الضلالة قد أحاطت به وصارت ظرفا له، وكما بالغوا في ذلك بالغ نوح في التبري، فأتى بالباء التي للإلصاق، فكأنه يقول : والله ما التصقت بي ضلالة قط ولا مسّتني. وأيضاً نسبوه إلى الضلال ، المصدر الذي يصلح للقليل والكثير، فبالغ نوح فقال : ما مستنى ضلالة واحدة ، ويلزم من نفي المتعدد نفي الواحد ، ومثله في قصة عاد ، قالوا لهود: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ ﴾ ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾ أكفرتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر بذكر وموعظة

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ﴾ الآية (٢٤٦) .

أو شرف ؛ كقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [(١)] أي: شرف ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ تعرفون صدقه ودينه ، فهو أحق بالاتباع من أن يجيئهم رجل غريب لا يعرفون صدقه فيما سبق من عمره . ﴿ عَمِينَ ﴾ جمع (عم) . ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ ﴾ نعمه ، أنكروا توحيد الإله وأنكروا على من اعتقده وطلب من الناس من يتابعه عليه ، وهو كقوله : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [(٢)] ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم ﴾ أي : قرب وقوعه ؛ كقوله: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [(٣)] والرجس هاهنا : العذاب ، كالرجز ، بالزاي. ﴿ وَغَضَبٌ ﴾ هذا يقوى قول من زعم أن غضب الله انتقامه وبطشه ، أما من زعم أنه إرادة الانتقام فيبعده هذه الآية ؛ لأن الإرادة قديمة لا توصف بالوقوع ﴿ أَتُجَٰدِلُونَنِى ﴾ في تسمية الأصنام آلهة وهو مما لم ينزل الله به حجة ، ومضى ذكر الدابر في الأنعام[(٤)] .

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة ص ، الآية (٥) .

(٣) سورة النحل ، الآية (١) .

(٤) يعني في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ الآية (٤٥) .

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

أي: وأرسلنا ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ فقال: يا قوم اعبدوا الله . ﴿ءَايَةً﴾ نصب على الحال ، والعامل فيه اسم الإشارة. ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ يريد أن الناقة ناقته، والأرض ملكه أفتمنعون ناقته أن ترعى في ملكه ! ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أسكنكم فيها ومكنكم من التصرف ، وأصله من باء : إذا رجع ، فجعل الأرض مباءة ترجعون إليها في حوائجكم ومنه ﴿بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[1] ﴿بُيُوتًا﴾ حال ؛ لأنها صارت بالنحت بيوتا، وهو كقوله: بريت الأنبوبة قلما. ﴿تَعْثَوْا۟﴾ من عثي يعثي ، وهو كقولك: لا ترضوا ، من رضي يرضى. ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن الإيمان .

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل بعض من الكل بإعادة العامل وهو اللام ؛ كقوله: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾[2] بخلاف قوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ﴾[3] و﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾[4] فإنه لم يعد العامل فيهما. العاقر للناقة واحد ، ونسب الفعل إلى الجماعة ؛ لأنهم كانوا راضين به. ﴿جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب .

﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ

---

(١) سورة يونس ، الآية (٩٣) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٣٣) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (٩٧) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢١٧) .

أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ غنيَ بالمكان إذا أقام به ، وتسمى المنازل المغاني. ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ﴾ مخاطبا لهم وهم موتى متحزنا متأسفا على هلاكهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى﴾ وقد رتب قوم لوط على الوصف ضد مقتضاه ، فإنهم إذا كانوا أناساً يتطهرون من الخبائث وأفعال السفهاء ، فكان ينبغي أن يتقرب إلى قلوبهم ، وأن يكرموا .

قيل في قوله : ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ إن أمطر في الشر ، ومطر في الخير . ولم يبين بينة شعيب ، فقيل : إنه كان أعمى ثم أبصر ثم عمي ثم أبصر ، وهذا ضعيف ؛ لأن البصر بعد العمى يقع لنفر من المسلمين ، ولنفر من الكفار فلا يكون معجزاً ، وكذلك قالوا في معجزة نوح: إنه عاش ألف سنة وستين سنة ، وهذا فاسد ؛ لأنه إذا ادعى النبوة بعد أربعين من عمره قالوا له : ما معجزاتك ؟ قال : إني أعيش ألف سنة ، فيقولون له : حتى تستكملها ونعلم حينئذ صدقك ، والصواب ما جاء في الحديث : « إذا استأثر الله بشيء فاله عنه »[1]. فإذا لم يذكر الله معجزتهم لم نختلقها.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾ وتمنعون ، والمفعول ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ وتطلبون بها اعوجاجا. ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ من الأمم الذين قبلكم ، فإنهم كذبوا فأهلكناهم . ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أي: لابد من وقوع أحد أمرين ؛ إما إخراجنا إياكم ، وإما رجوعكم إلى اعتقادنا. الواو في ﴿أَوَلَوْ﴾ واو الحال ، أي: تخرجوننا ولو كنا كارهين ، وتحتمل أن تكون واو عطف على محذوف ، أي : أتخرجوننا إذا كنا

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٢/ ٣٦٨) ، وابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٤/ ٢٨٣) وقال: فاله عنه ، أي: اتركه وأعرض عنه ولا تتعرض له.

طائعين، وتخرجوننا إذا كنا كارهين ، ويصح الإكراه مع الكراهية والطواعية .

وقوله : ﴿إِنْ عُدْنَا﴾ يريد به: إن صرنا . وكذلك ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ فإن من آمن معه لم يكونوا في ملتهم حتى يعودوا إليها ، وكذلك قوله: ﴿أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ .

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ الحاكمين. ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا﴾ كرره للنداء عليهم بوصف التكذيب. ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ فكيف أحزن؟ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ إلا ابتلي أهلها بالبأساء ليظهر كيف صبرهم ؟ ثم ابتلوا بالنعماء ، فيظهر كيف شكرهم ؟ المراد بالحسنة هاهنا : ما يحسن عندهم من صلاح الأحوال وسعة الأرزاق ، والمراد بالسيئة ما يسوؤهم، كالأعلال والأمراض والغلاء وغير ذلك . ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ حتى كثروا . قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ توكيد لمعنى بغتة ، أي : أجهل أهل القرى فأمنوا أن يأتيهم بأسنا وهو نائمون غافلون ، أو وهم ضاحكون لاعبون ؟ ثم بين أن الأمن من مكره مطلقاً لا يفعله إلا الخاسرون . أو لم يبنْ لمن جاء بعدهم أنا لو شئنا أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا أولئك فطبعنا على قلوبهم فلا يوفقون لصلاح أعمالهم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ و ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾ صفة. و ﴿نَقُصُّ﴾ الخبر ، ويجوز أن يكون ﴿تِلْكَ﴾ منصوبة بفعل مضمر من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ، ويجوز أن يكون

﴿ تِلْكَ ﴾ مبتدأ و ﴿ ٱلْقُرَىٰ ﴾ خبرًا و ﴿ نَقُصُّ ﴾ حالاً ، أي: تلك القرى مقصوصًا عليك من أنبائها ، وإن كان المعنى على الحال ؛ كقوله: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ﴾ (١) ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ (٢). لأنه ليس المقصود الإخبار بأن هذه بيوتهم ، وأن هذا بعلها ، بل الإخبار بخواء البيوت وشيخوخة البعل. ﴿ مِّنْ عَهْدٍ ﴾ أي: من وفاء عهد ؛ كقوله: ﴿ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ﴾ (٣) أي: لا وفاء بالأيمان ؛ كقول الشاعر [من الطويل] :

وإنْ حَلَفَتْ لا تَنْقُضُ الدَّهْرَ عهدَها ... فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ (٤)

أي: ليس لها وفاء يمين ، وإلا فهي قد حلفت ، ومنه: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ ﴾ (٥) في فتح همزة «أيمان» فلا وفاء أيمان لهم. «إن» في ﴿ وَإِن وَجَدْنَآ ﴾ مخففة من الثقيلة، واللام في ﴿ لَفَٰسِقِينَ ﴾ هي الفارقة بينها وبين النافية ، وقوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ أي: من بعد إهلاكهم ، وهو توكيد لمعنى ﴿ ثُمَّ ﴾ فإن «ثم» دلت على المهلة والترتيب ، ولم يزدد معنى بقوله : ﴿ مِنۢ بَعْدِهِم ﴾ إلا قوة. ضمن ﴿ فَظَلَمُواْ ﴾ معنى ﴿ كَذَّبُواْ ﴾ فعداه بالباء ؛ كقوله [من الرجز] : قد قتلَ اللهُ زيادًا عني (٦)

ضمن قتل معنى صرف ، فعداه بعن ، يجوز أن تكون ﴿ كَانَ ﴾ تامة ، و﴿ عَٰقِبَةُ ﴾ هي الفاعل ، ويجوز أن تكون ناقصة ، و ﴿ كَيْفَ ﴾ خبر مقدم ؛ لأنه استفهام ، و ﴿ عَٰقِبَةُ ﴾ اسم كان ﴿ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ ﴾ ضمن حقيقًا معنى واجب في قراءة من قرأ ﴿ عَلَيَّ ﴾ بالتشديد ، ومن قرأ ﴿ عَلَىٰٓ ﴾ فمن كان حقيقا بشيء كان ذلك الشيء حقيقا به (٧) وقوله:

---

(١) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

(٢) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١٢) .

(٤) **ينظر البيت في** : تفسير القرطبي ( ٨ / ٧٦ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ١ / ٢٣٧ ) ، ديوان الحماسة للمرزوقي ( ٢ / ١٠٧ ) ، صبح الأعشى للقلقشندي ( ١٤ / ٣١٣ ) ، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ( ٢ / ٣٠٧ ) .

(٥) سورة التوبة ، الآية (١٢) .

(٦) الرجز للفرزدق ، وقبله : كيف تراني قالبا مجني ... أقلب أمري ظهره للبطن .

**ينظر في** : تاج العروس ( ظهر ، قتل ، جنن ) ، شرح الأشموني (١/ ٢٠٠) ، لسان العرب (ظهر، قتل ، جنن ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٥٢ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ٢/ ٦٨٦ ).

(٧) قرأ نافع من العشرة " حقيق عليَّ " ، وقرأ باقي العشرة " حقيقٌ علَى " . **تنظر في** : البحر المحيط =

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ﴾ يجوز أن تكون الباء للحال ؛ كقوله: خذ هذا الفرس بسرجه ولجامه. ويجوز أن تكون الباء للتعدية ، أي : أحضر البينة إن كنت جئت بآية. ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ ليس تكراراً ، بل معناه : إن كنت مدعيا مجيئك بالآية فأظهر ما ادعيت مجيئك به ، وقوله : ﴿إِن كُنتَ﴾ من باب دخول الشرط على الشرط ؛ كقوله: ﴿إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [(١)] وكقوله تعالى : ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ [(٢)] وكقول الرجل لزوجته : أنت طالق إن ركبت إن لبست ، فإن ركبت ثم لبست لم تطلق ، وإن لبست ثم ركبت طلقت على الصحيح من المذهب خلافاً للإمام أبي المعالي[(٣)] ، فإنه أوقع الطلاق في الحالتين [(٤)].

ذكر هاهنا أنها ثعبان وفي موضع ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ﴾ [(٥)] وفي موضع ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [(٦)] يُسأَلُ عن وجه الجميع ، وجوابه من وجهين : أحدهما : أنها كانت كبيرة الجثة كالثعبان وخفيفة في الحركة كالجان والحية . والثاني : أن كل موضع ذكر فيه الجان والحية فهو في عود العصا كذلك بين يدي الله عز وجل في حال مخاطبة موسى لربه في الطور، وكل موضع ذكر فيه الثعبان المراد به بين يدي فرعون حين طلب السحرة بلقف عصاه حيتهم ، والجان والحية: الصغير من هذا النوع ، والثعبان الكبير منه.

---

= لأبي حيان ( ٤ / ٣٥٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٥٩ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٢٨٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣١٣ ) ، السبعة ( ص : ٢٨٧) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٠ ) .

(١) سورة هود ، الآية (٣٤) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٥٠) .

(٣) هو الإمام الكبير إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري الشافعي صاحب التصانيف . كان إمام الأئمة على الإطلاق مجمعا على إمامته شرقا وغربا . توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، ومن مصنفاته : كتاب نهاية المطلب في المذهب ، والإرشاد في أصول الدين ، والرسالة النظامية في الأحكام الإسلامية ، والشامل في أصول الدين ، والبرهان في أصول الفقه وغيرها . **تنظر** ترجمته في : سيرأعلام النبلاء للذهبي (١٨ / ٤٦٨) .

(٤) **ينظر** في ذلك : المغني لابن قدامة ( ٨ / ٣٥٣ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٣ / ٣١٣ ) ، المهذب للشيرازي ( ٣ / ٣١ ) .

(٥) سورة طه ، الآية (٢٠) .

(٦) سورة النمل ، الآية (١٠) .

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾

وقرئ ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ ﴾[1] وهذا يدل على أمرين:

أحدهما: أن (إذا) التي للمفاجأة ظرف مكان حتى يصح كونه خبرًا عن ﴿هِيَ﴾ فإنها جثة ، وظرف الزمان لا يكون خبرًا عن الجثث.

والثاني: صحة قول الكسائي[2] : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها[3]. ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ ﴾ أي : من درعه . وقوله: ﴿بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ وهي بيضاء لمن نظر ، ولمن لم ينظر . لكن يريد بذلك أنها خرجت بيضاء بياضاً يستوقف الناظرين للتعجب منه ، وهو بياض شديد له شعاع ، والظاهر أن الملأ عرفوا أن هذا ليس من صنع البشر ، وأنه صنع الله الذي أتقن كل شيء ، ولهذا قالوا : ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ﴾ فهل سمعوا قط أن ساحراً أخذ مملكة من صاحبها وأخرج ملك المملكة من مملكته ؟

---

(١) قال مكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن ( ١ / ٢٩٧ ) : ويجوز نصب " ثعبان " على الحال.

(٢) هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي ، الكوفي ، أبو الحسن الكسائي ، إمام في اللغة والنحو والقراءة يعد إمام الكوفيين في النحو واللغة، وأحد القراء السبعة المشهورين، وكان مؤدب الرشيد وابنه الأمين. قيل عنه: كان أعلم الناس ، ضابطا ، عالماً بالعربية، قارئا صدوقاً من تصانيفه: معاني القرآن، القراءات ، النوادر ، المصادر، الحروف ... وغيرها. مات سنة تسع وثمانين ومائة علي خلاف في سنة موته ١٨٩هـ . **تنظر** ترجمته في : بغية الوعاة للسيوطي ( ٢ / ١٦٢-١٦٤ ) ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/ ٤٠٣).

(٣) وهذه مسألة نحوية مشهورة تعارف النحاة علي تسميتها بالمسألة الزنبورية ، لورود لفظة الزنبور فيها، ومجمل المسألة : أن الكسائي يجيز نصب الضمير في ( فإذا هو إياها ) وعامل النصب عنده ما في معنى (إذا) من المفاجأة ، علي حين لا يجيزه سيبويه ، وقد دبر الكسائي مكيدة لسيبويه واحتج ببعض العرب الذين اتفقوا معه على الكيد لسيبويه عند الخليفة هارون الرشيد فقالوا : القول ما قال الكسائي ، فرجع سيبويه مغتما فمرض في طريق ولم يكمله ، بل مات كمداً . **تنظر في** : الإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٢٠٩) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١ / ٤٩٧ ) ، المغني لابن هشام ( ١ / ١٢١ ).

قوله: ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ يقوله بعض الملأ لبعض. ﴿ أَرْجِهْ ﴾[1] أخره، والحاشر: الجامع، ويوم الحشر: يوم الجمع، و ﴿ نَحْنُ ﴾ في ﴿ نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ فصل أو عماد. ﴿ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ يعني: لا أقنع لكم بحصول الأجر، بل تكونون أول داخل عليّ وآخر خارج عني. تأدبوا مع موسى، فجعلوا الخيرة له إدلالاً منهم بأنهم غالبون كيف وقع الأمر.

﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُواْۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَاۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ خوفوهم. ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ما يكذبون أي: ما يأفكون فيه. ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي: تبين وظهر. ﴿ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ ﴾ أي: في ذلك الموضع، أو في ذلك الزمان.

﴿ صَٰغِرِينَ ﴾ ذليلين. ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ خروا على وجوههم ساجدين كأن ملقيا ألقاهم لسرعة وقوع جبهتهم على الأرض. قيل: كشف لهم في حال تلك السجدة عن جزاء

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو بضم الهاء من غير إشباع مع الهاء، وقرأ ابن عامر بالهمز أيضا ولكن مع كسر الهاء من غير إشباع أيضا، وقرأ ابن كثير وهشام عن ابن عامر بالهمز مع الواو بعد الهاء، فهذه ثلاث قراءات مع الهمز وهناك ثلاث قراءات أخر مع غير الهمز. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٥٩ )، حجة القراءات لابن زنجلة ( ٢٨٩ – ٢٩١ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣١٧ )، السبعة لابن مجاهد (ص:٢٨٧)، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٣٩).

المؤمنين وجزاء الكافرين فآمنوا عن عيان ، وصمموا على الثبوت حتى أجابوا فرعون حين قال : ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ . ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ ﴾ أي : ما تعيب وتكره منا إلا الإيمان ، وهو شيء لا يكره ، وهو كقوله : ﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [1] ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [2] ﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [3]

وكقول الشاعر [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنَّ سُيوفَهُمْ بهِنَّ فلول مِنْ قِراعِ الكَتائِبِ[4]

وفلول السيف من قراع الكتائب ليس عيبا فيهم ، وفي قوله: ﴿لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ إشارة إلى سرعة انقيادهم ، وسجودهم لله عند مجيء الآية لم يبطئوا ولم يتلعثموا.

﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ اصببه علينا حتى يكون كثيرا شاملا لأجسادنا . ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ قيل: كان لفرعون آلهة يأمر الناس بعبادتها ويقول: أنا ربكم الأعلى وإله الآلهة، وقرئ ﴿ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [5] أي: وعبادتك ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ﴾ شكوا ذلك إلى موسى ، فقال لهم موسى: ﴿ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ ﴾ الآية. و ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ الحسنى ﴿ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ .

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا

---

(١) سورة البروج ، الآية (٨) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٧٤) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة ، الآية (٥٩) .

(٥) قرأ بها علي وابن عباس والضحاك وأبو رجاء والجحدري .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٦٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٢٥ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٢٣٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٨٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٢٥٦ ) ، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ٤٥ ) ، معاني القرآن للفراء ( ١ / ٣٩١ ) .

عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا ﴾ بقتل الأبناء واستحياء النساء ﴿ مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ ﴾ بعثتك رسولاً وهو كقوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ﴾[(١)] ﴿ فَيَنظُرَ ﴾ أي: فنرى. ﴿ بِٱلسِّنِينَ ﴾ أي: بالقحط ويقال لمن أصابهم القحط: أصابتهم السنة. ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ ﴾ فيقولوا: ما جاءنا هذا البلاء إلا من حيث رأيناك وهو كقول قوم صالح: ﴿ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾[(٢)] وقول أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾[(٣)]. ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ أي: يصيبهم ذلك عند الله فعليهم عقوبة على تكذيب الرسل. ﴿ ٱلطُّوفَانَ ﴾ قيل: عذاب أطاف بهم وقيل: أراد النيل حتى عم البقاع، وصار الماء يأخذهم إلى حلوقهم، وابتلوا بضفادع فملأت أوانيهم وأوعيتهم حتى كان الضفدع يلقي نفسه في القدر وهي تغلي.

﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ صار الماء لآل فرعون دما، ولبني إسرائيل ماء، كان القبطي يقول للإسرائيلي: ضع الماء في فيك ومُجَّه في فيَّ، فإذا مَجَّه فيه صار في فم القبطي دماً، والرجز: العذاب. ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ ﴾ هذه الفاء للتفسير؛ لأنه لم يتأخر الإغراق عن الانتقام بل هو نفس الانتقام، ويقرب منه: قال فلان فأحسن، وخطب فأوجز. ﴿ وَكَانُوا۟ عَنْهَا ﴾ أي: عن تدبرها ﴿ غَٰفِلِينَ ﴾.

﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾

---

(١) سورة غافر، الآية (٢٥).

(٢) سورة النمل، الآية (٤٧).

(٣) سورة يس، الآية (١٨).

﴿إِنَّ هَٰؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

﴿مَشَٰرِقَ﴾ أرض مصر ومغاربها . وقيل : مصر والشام . وقوله : ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ يحتمل أن يكون ﴿فِرْعَوْنُ﴾ فاعل يصنع وأن يكون ﴿كَانَ﴾ فيها ضمير الشأن ، وأن يكون ﴿يَصْنَعُ﴾ خبرًا مقدما ، و ﴿فِرْعَوْنُ﴾ اسم كان ، وأن يكون كان زائدة ، ومثله ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ (1) ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ (2) ﴿تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ (3) ﴿بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ (4) لكن لا يجيء الوجه الثاني في قوله: ﴿يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ لأنه لو كان خبرًا مقدمًا لقال: عما كان يعبدون. والعكوف على الشيء : ملازمته طاعة كان أو معصية ، ولهذا قال : ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ و ﴿مَّا﴾ في ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ كافة كفت الكاف عن الجر ؛ كما في قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ﴾ (5) وهيأتها لدخولها على الجمل والأفعال .

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عظمة الله . ﴿مُتَبَّرٌ﴾ مهلك مكسر ، ومنه التبر ؛ لأنه قطع مكسرة . ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء ﴿بَلَآءٌ﴾ أي: أو وفي ذلك السوم ، وقتل الأبناء واستحياء النساء بلاء ، أي : نعمة ، وتقول : سمته خسفا ، أي : كلفته إياه ، قال عمرو بن كلثوم [ من الوافر ] :

---

(1) سورة الجن ، الآية (٤) .

(2) سورة سبأ ، الآية (٤٣) .

(3) سورة إبراهيم ، الآية (١٠) .

(4) سورة التوبة ، الآية (١١٧) .

(5) سورة الحجر ، الآية (٢) .

إذا مـا المْلِـكُ سـامَ النـاسَ خـسفًا أبيْنـا أنْ نُقِـرَّ الخَـسْفَ فينـا[١]

والخسف: الظلم . ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ﴾ وضربنا لموسى ميقاتا لكلامه عند انقضاء الميقات فصام ثلاثين يوماً ، فوجد من فيهِ رائحةً كريهةً من الخُلُوف[٢] ؛ قيل : فمضغ عشبا، ليذهب الخُلُوف . وقيل : تسوَّك فأوحى الله إليه : أما علمت أن خُلُوفَ فمِ الصائم عندي أطيب من ريح المسك ، صم عشرًا أخر ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ ﴾[٣] الميقات يجوز نسبته إلى الله وإلى موسى ، لكن لما قال : ﴿ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ ﴾ قال: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا ﴾ وقياسه أن يقول : وكلمناه ، لكن فيه التفات . لما سمع موسى الكلام هاج به الشوق وطلب الرؤية من غير استئذان على طلبها ، فقيل له : سنتجلَّى لما هو أقوى منك فإذا لم يستقر فأنت أضعف من ذلك ، وقرئ ﴿ جَعَلَهُۥ دَكّٗا ﴾[٤] والدكاء: الناقة التي لا سنام لها ، أي: جعل مكانه مستويا بالأرض. ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ ﴾ مغشيًّا عليه من غير موت ، ولهذا قال: ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ وقال في حق السبعين: ﴿ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ ﴾[٥] فكانت صعقة أولئك موتا ﴿ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ لا ينبغي لأحد أن يطلب ما لم يؤذن له فيه ، وكذلك قال لنوح : ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ وقال نوح: ﴿ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ ﴾[٦]. ﴿ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ باجتماع أمرين : بالرسالة والكلام ، وغيره من الأنبياء السابقين وإن أرسل فلم يكلم من غير واسطة ﴿ وَكَتَبۡنَا ﴾ تقديره وكنا قد كتبنا ؛ لأن كان قد استصحبها مكتوبة ، والواو لا تقتضي الترتيب[٧]. ﴿ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾ يحتاج إليه في أمر المعاش والمعاد. ﴿ فَخُذۡهَا

---

(١) البيت من معلقته ، **ينظر في** : تفسير القرطبي ( ١ / ٤٢٤ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ١ / ٤٢٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٢١٨ ) ، شرح المعلقات لابن الخطيب التبريزي (ص : ٣٩٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ١٣٧ ) .

(٢) **الخلوف**: تغير طعم الفم لتأخر الطعام . **ينظر** : لسان العرب (خلف) .

(٣) ذكره البغوي في تفسيره معالم التنزيل ( ١ / ٢٧٥ ) ، والزمخشري في الكشاف ( ٢ / ١٥١ ) .

(٤) هذه قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ باقي العشرة " دكا " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٣٨٤ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٦٣ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٢٩٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٣٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٩٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٩١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧١ ) .

(٥) سورة البقرة ، الآيتان (٥٥ ، ٥٦) .

(٦) سورة هود ، الآيتان (٤٦ ، ٤٧) .

(٧) تقدم الكلام على ذلك عند تفسير الآية (٥٥) من سورة آل عمران .

﴿بِقُوَّةٍ﴾ واعمل بما فيها بجد واجتهاد. قوله: ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ قيل: هي المأمورات كلها . وقيل : إذا جاز العفو والقصاص يؤخذ بأحسن الأمرين .

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

﴿سَأُو۟رِيكُمْ﴾ وقرئ (سأورثكم) [١] لقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ الآية [٢] وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [٣] .

﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [٤] ﴿دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ قيل: المراد مصر والشام . واعلم أن ذلك لا يفيد نقصاً لا في مصر ولا في الشام . وقيل : دار الفاسقين جهنم. ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ﴾ تدبر ﴿ءَايَٰتِيَ﴾. والتكبر قد يكون [ مباحاً ] كالتكبر على الذمي وأن يلجأ إلى أضيق الطرق ، ولا يبدأ بالسلام ، ترفعاً عليه بحق . ﴿وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: ولقائهم للآخرة ، والآخرة صفة لموصوف محذوف وهي الدار؛ لقوله : ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [٥] وقيل: النشأة ؛ لقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [٦] ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد

---

(١) هذه قراءة ابن عباس وقسامة بن زهير ، وقرأ الحسن " سأوريكم " ، وقرأ الجمهور "سأريكم" .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٨٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٤٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢/ ٩٣) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٢٨٥ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٥٧ ).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٣٧) .

(٣) سورة الدخان ، الآيات (٢٥ – ٢٨) .

(٤) سورة الشعراء ، الآية (٥٩) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية (٣٢) .

(٦) سورة العنكبوت ، الآية (٢٠) .

انطلاقه إلى الجبل ، قيل : كان عجلاً ذا لحم ودم . وقيل : بقي على لونه ذهباً أو فضة من حلي القبط ، ولما ألقى فيه السامري من تراب حافر فرس جبريل صار له خوار. وقرئ (جؤار) بالجيم وهمزة الواو[(١)] ، أي: رفع صوت ، ومنه: ﴿ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ﴾[(٢)].

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾

يقال لمن ندم على أمر فاته استدراكه : سقط في يده . وقيل : إن أصله أن من جرى له ذلك يكبُّ على يديه يعضهما ندماً. ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ﴾ لأنه كان خليفته على القوم؛ لقوله: ﴿ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ قيل: أخذ بأذنيه ، احتج به من زعم أن الأذنين من الرأس ، وهو ضعيف ؛ لأنه يتوقف على ثبوت النقل ، وهو منقطع ، وبيننا وبينه أكثر من ألفي عام . ترقق له بالنسب إلى الأم ، وكان هارون أخاه شقيقه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ ﴾ إلهاً ﴿ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ ﴾ ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ على الله . ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾ قيل : سكت بمعنى سكن . وقيل : إن الغضب جعل كآمر يقول له: ألق الألواح ، خذ برأس أخيك. فلما سكنت فورة الغضب سكت

---

(١) قرأ علي بن أبي طالب وأبو السمال " له جُؤار " ، وقراءة الجمهور " خُوَار " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٣٩٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٤٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٩٤ ) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٦٥) .

ذلك الآمر. دخلت اللام في ﴿لِرَبِّهِمْ﴾ لضعف عمل الفعل بتقدم معموله ، ومثله ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[1] كما يدخل في معمول اسم الفاعل والمصدر لضعف عملهما. ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ حين سألوا رؤية الله تعالى. ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ يعني الذين طلبوا الرؤية هم بعضنا لا كلنا ، وأنت أهلكت الجميع . ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي : امتحانك واختبارك . ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أنت متولينا أو متولانا. هاد يهود إذا رجع . ﴿مَنْ أَشَاءُ﴾ وقرئ (من أساء)[2] والمشهود لمذهب أهل السنة ؛ لأنهم يعتقدون أن الله – تعالى– له تعذيب البريء ، وموافق لقوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[3] .

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨) وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩) وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠) وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٤٣) .

(٢) قرأ بها الحسن البصري وزيد بن علي وطاوس وسفيان بن عيينة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤/ ٤٠٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٥٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٩٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٢٦١ ) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٤٨) .

ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾

قيل: لما نزلت ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ طمع فيها كل أحد حتى إبليس، فلما نزلت ﴿ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ أيس منها إبليس ومردة الشياطين، وطمع فيها اليهود والنصارى فلما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ﴾ علم أنها لأمة محمد ﷺ [(١)] وأميته ﷺ من تمام معجزته؛ لأنه لو كان يقرأ ويكتب لكان يقال: إنه طالع القصص والأخبار من الكتب ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴾ [(٢)] الذين يجدون نعته مكتوبا. قوله: ﴿ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ هذه قاعدة الشافعي في باب الأطعمة؛ فإنه جعل كل ما استخبثته العرب حرامًا [(٣)].

والإصر: الثقل ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا ﴾ [(٤)] وسمي العهد إصرًا لثقل الوفاء به، ومنه: ﴿ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِي ﴾ [(٥)] أي: عهدي، ومضى الكلام على عزر في المائدة في قوله: ﴿ وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ ﴾ [(٦)]. قوله: ﴿ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ جملة فصل بها بين الصفة والموصوف. والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب وكالشعوب في العجم.

(انبجس الماء) خرج بكثرة. وسلهم سؤال تقريع وتوبيخ ﴿ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ ﴾ وهي أيلة. ﴿ إِذۡ يَعۡدُونَ ﴾ يتجاوزون ما أمروا به في السبت، نسب الحيتان إليهم بقوله: ﴿ حِيتَانُهُمۡ ﴾ لأنهم ابتلوا بها. ﴿ شُرَّعٗا ﴾ ظاهرة.

﴿ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٩/ ٧٩، ٨٠).

(٢) سورة العنكبوت، الآية (٤٨).

(٣) ينظر: الأم للشافعي (٢/ ٣٧٧).

(٤) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٨١).

(٦) سورة المائدة، الآية (١٢).

خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾

انقسم أهل القرية ثلاث فرق : فرقة تعدت وأكلت ، وفرقة نهت ، وفرقة سكتت ؛ فنجت الناهية ، وهلكت المخالفة ، واختلف في الساكتة . وحكى عكرمة[١] مباحثة له مع ابن عباس في الفرقة الساكتة ظهر بها لابن عباس أنها نجت فأعجبه البحث ، وكساه ثوبين[٢] .

(قَالُوا مَعْذِرَةٌ) وقرأ حفص[٣] ﴿مَعْذِرَةً﴾ بالنصب[٤] على المفعول من أجله. و﴿تَأَذَّنَ﴾ أعلم. وقوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ وضع الظاهر في موضع المضمر

---

(١) هو عكرمة بن عبد الله البربري ، أبو عبد الله مولى ابن عباس ، يروي عن ابن عباس وعائشة وأبي هريرة - رضي الله عنهم أجمعين - وهو ثقة عالم بالتفسير ، توفي بالمدينة سنة ١٠٤هـ . تنظر ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزري ( ١ / ٥١٥ ) ، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ٩٤ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٩٠ ) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة قال : قال ابن عباس : « ما أدري أنجا الذين قالوا: لم تعظون قوما أم لا ؟ قال : فما زلت أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا فكساني حلة » .

(٣) هو حفص بن سليمان ، أبو عمر الأسدي الكوفي البزاز أعلم أصحاب عاصم بقراءته ، كان ربيبه ابن زوجته ، ثقة في الإقراء ثبت ضابط بروايته يُقرئ أهل المشرق ، قال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت عن قراءة عاصم هي رواية حفص بن سليمان . **تنظر** ترجمته في : غاية النهاية لابن الجزري ( ١ / ٢٥٤ ) ، تهذيب التهذيب لابن حجر ( ٢ / ٤٠٠ ).

(٤) قرأ جمهور القراء: أبو عمرو ونافع وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر عنه وأبو جعفر وخلف ويعقوب « معذرةٌ » ، وقرأ حفص عن عاصم « معذرةً » . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٤١٢ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٦٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٠٠)، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٩٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٢ ).

تقديره : إنا لا نضيع أجرهم ، لكن أفاد هذا الوضع أنهم مصلحون ومثله ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1] . أي : لا يضيع أجرهم ، وأفاد دخولهم في حيز المحسنين. ﴿ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ ﴾ أي : سحابة ، وقلنا: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ واجتهاد ، وليكن منكم على ذكر. جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : « إن الله – تعالى- لما خلق آدم استخرج من ظهره فرقتين : فرقة من الجانب الأيمن وهم المؤمنون ، وفرقة من الجانب الأيسر وهم الكفار، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم لا إله غيره ، فشهدوا كلهم بذلك وأقروا به »[2] . فاختلف المفسرون فقال بعضهم : هو المراد بهذه الآية ، وقال المحققون : الحديث صحيح ، ولكن ليس المراد بهذه الآية ؛ لأن في الحديث أنه استخرج من ظهر آدم ، والذي في الآية ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ﴾ ولأن بقية الآية وهو قوله : ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ لا يجوز أن يكون مراداً بالخبر ؛ لأن أحداً لا يتذكر ذلك الميثاق حتى يتوجه عليه اللوم ، بل المراد بالآية : واذكروا إذ استخرج الله ذرية آدم بطنا بعد بطن ، وقرناً بعد قرن ، وركز في عقولهم أدلة الوحدانية كما قال [ من المتقارب ] :

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ  تدلُّ على أنَّهُ واحدُ[3]

﴿ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ١٧٤ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾

﴿ فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ قيل إنه رجل أعطاه الله اسمه الأعظم ، فقصده جماعة أن يدعو على

---

(١) سورة يوسف ، الآية ( ٩٠ ) .

(٢) رواه أحمد في المسند ( ١ / ٤٤ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٧٠٣ ) ، والترمذي رقم ( ٣٠٧٥ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٦١٦٦ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٣٢٤ ) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلا مجهولا ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٥٩٤ ) .

(٣) البيت لأبي العتاهية ، وقيل : لابن المعتز وقبله :

فيا عجبا كيف يعصى الإله  أم كيف يجحده الجاحد

**ينظر في:** الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ( ٤ / ٣٩ ) ، تفسير القرطبي ( ٤ / ٣٠١ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ٧٨ ) ، صبح الأعشى للقلقشندي ( ١٢ / ٤١٣ ) .

موسى وقومه ، وأعطوه رشوة جزيلة ، فركب دابته وجاء إلى جبل الحسبان يشرف على الغور ، وكان موسى وبنو إسرائيل في غور الحسبان ، فجاء ذلك الرجل وقال لأصحابه في الطريق : إني أرى الملائكة تضرب وجه دابتي تصرفها عن هذا القصد حتى أشرف على موسى وقومه فدعا عليهم بالاسم الأعظم فوقع موسى وقومه في التيه ، وتدلى لسان ذلك الداعي وسلب ما كان معه من اسم الله الأعظم [١].

وقيل : هو رجل أعطاه الله ثلاث دعوات مستجابات ، وكانت له زوجة قد صارت عجوزة، فسألته أن يهبها دعوة من الثلاث ؛ سألته أن تعود شابة جميلة الصورة فدعا لها بذلك ، فترفعت عليه على عادة النساء الشباب في كراهة الأزواج الشيوخ فتضجر منها ، ودعا عليها الدعوة الثانية أن تصير كلبة نباحة ، فصارت كذلك ، فبكى بنوها وقالوا: نعير بأن أمنا صارت كذا وكذا ، وسألوه وبكوا بين يديه ، فدعا لها بأن صارت عجوزاً كما كانت فذهبت الدعوات الثلاث ، وبقي كما كان [٢].

ويجوز ألا يكون المراد شخصاً معيناً بل كل من أوتي فهماً في آيات الأنبياء ولم يعمل بما فهمه منها ؛ فهو مراد بهذه الآية [٣] . ومعنى انسلخ : خرج منها ؛ كما تخرج الحية من جلدها .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ١٢٣ – ١٢٤ ) .

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٦٠٨ ) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٣) قال أبو جعفر الطبري في تفسيره ( ٩ / ١٢٣ ) : « والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله – تعالى- ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهي الآيات، وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم بن باعوراء ، وجائز أن يكون أمية بن أبي الصلت وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم وجائز أن يكون أمية ؛ لأن أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه الصلاة والسلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنيا به أمية لأن أمية لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئا من ذلك ، ولا خبر بأي ذلك المراد وأي الرجلين المعني يوجب الحجة ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعني به من أي ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله » .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : مال إلى الدنيا ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ في استواء حاليه في الحمل عليه وترك الحمل ، فإنه يلهث في الحالين جميعاً ، كذلك هذا ، سواء عليه أفهم أم لم يفهم ، فهو لا يعمل بمقتضى الآيات . واعلم أن الأمثال يقصد بها إيضاح المعنى، وقد يقصد بها الإهانة مع ذلك ؛ فيضرب له المثل بأحسن الأشياء ، قال الله - تعالى : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ (١) ولم يقل كأنهم غزلان ، فإن الغزال في النفور كحمار الوحش ، لكن قصد إهانتهم بتشبيههم بحيوان يضرب به المثل في البلادة ، وقال - تعالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ﴾ (٢) .

وقال هاهنا بعد تشبيههم بالكلب : ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ . ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ خلقهم ليدخلوا النار. قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ لأنهم أوتوا ما يفهمون به فضيعوه ، والأنعام لم يؤتها الله ما يحصل به الفهم ، فكانوا أضل من الأنعام ، وقال : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ بغير واو ؛ وقال في البقرة:

---

(١) سورة المدثر، الآيتان ( ٤٩ ، ٥٠ ).

(٢) سورة الجمعة ، الآية ( ٥ ).

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [(١)] بالواو ؛ لأن كونهم على هدى من ربهم وصف حالهم في الدنيا، ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وصف حالهم في الآخرة ، فالوصفان متغايران ، وأما هاهنا فتشبيه بالأنعام ووصف بالغفلة . وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ تقوية لذلك المعنى الأول فلا معنى للعطف . ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ فيسمون اللات من تأنيث اسم الله والعزى من العزيز ، ومناة من المنان ، فيميلونها عن معانيها. واللحد في اللغة : الميل ، ومنه لحد القبر ، لكن لا يستعمل إلا في الشر ، وكذلك الزيغ بخلاف الحنف ، فإن أصله الميل ، ولا يستعمل إلا في الخير. ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ سننقلهم درجة بعد درجة بكثرة المال والأولاد والخصب . ﴿ وَأُمْلِى لَهُمْ ﴾ أمهلهم زمانا ، والملاوة ومنه الملوان في الليل والنهار. ﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أي : جنون ﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ ﴾ أي : وفي أن عسى .

﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧) قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠) أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٢) ﴾

قرئ ﴿ وَيَذَرُهُمْ ﴾ بالجزم عطفا على موضع الفاء في قوله : ﴿ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ﴾ وبالرفع [(٢)] عطفا على ما بعد الفاء ؛ كقوله : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ ﴾ [(٣)] ومثله قوله : ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ ﴾ ﴿ وَيُكَفِّرْ ﴾ [(٤)] ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ متى ثبوتها واستقرارها؟ ثقل علمها على أهل السماوات والأرض ، فلا يعلمها أحد منهم . ﴿ كَأَنَّكَ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٥ ).

(٢) تقدم تخريجها في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ٢٧١ ) .

(٣) سورة المائدة ، الآية ( ٩٥ ) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ٢٧١ ) .

﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ كأنك قد أكثرت السؤال وأحفيت في المسألة عنها. ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ واجتنبت الشر.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ وطئها.

﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ في أول الحمل ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فذهبت وجاءت ولم يثقلها الحمل.

﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ دعا آدم وحواء ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحًا﴾ وقيل: إن إبليس جاء إلى حواء، وكانت قد مات لها أولاد، فقال لها: أنتم تسمون أولادكم بعبد الله، وعبد الرحمن وإذا كان عبد الله أخذه سيده، فسموا أولادكم: عبد الحارث، وكان إبليس اسمه الحارث فسموا فعتبوا بهذه الآية، وهذا بعيد؛ لأن مجرد التسمية من غير اعتقاد لا ينبغي أن يقال لمن فعله ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقيل: هو الذي خلقكم يا معشر العرب من نفس واحدة، وهي قصي، وجعل من جنسها زوجها إلى أن قال: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ فسموا أولادهم عبد مناف وعبد شمس وعبد الدار، وهذا مال إليه الزمخشري [(١)]، وهذا لا يبقى عليه سؤال إلا بعد اللفظ عن إرادة قصي بن كلاب بن مرة. قوله: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ ولم يقل: أم صمتم؛ كقوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [(٢)] فإن ذكر اسم الفاعل يدل على استقرار الأمر وثبوته بخلاف الفعل الماضي، فإنه يصدق بمرة واحدة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ﴾ تدعونهم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ آلهة ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ في كونهم عبيداً. وقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ استهزاء، فإنهم لو كانت لهم أرجل يمشون بها وأيد يبطشون بها، وأعين يبصرون بها، وآذان يسمعون بها - ما استحقوا العبادة، ولم يقتصر على هذه الأعضاء، بل قال ينتفعون بها، لأن الصنم تصور له هذه الأعضاء ولكن لا ينتفع بها. قوله: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ﴾ إن متولي أمري هو الله، ولا يجيء: إنني أتولى الله؛ كقوله أولا: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ إن الله يتولى أمري، وكقوله بعد ذلك: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

---

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري (٢ / ١٨٧).

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٣٦).

﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ (١٩٥) إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ (١٩٧) وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا ۖ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨) خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢) ﴾

النظر بقلب الحدقة إلى المرئي سواء حصل رؤيتهم أم لم تحصل ، تقول : نظرت إلى الهلال فلم أره ، ولا تقول : أبصرته فلم أره. ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ أي : ما صفا من أخلاق الناس. قال الشاعر [ من الطويل ] :

خذي العفوَ منّي تستديمي مَودَّتي ولا تنْطِقي في سَوْرَتي حينَ أغضبُ [١]

النزغ : النخس ﴿ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ وجه الصواب ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾ من الشياطين ، قرئ «يُمِدُّونَهم» و« يَمُدُّونَهم »[٢] وهو رد لقول من زعم أن الإمداد في الخير والمد في الشر لقوله في الخير : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ ﴾[٣] ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾[٤] وقال : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٥] فقراءة ﴿ يَمُدُّونَهُمْ ﴾ هاهنا ترد على هذا القول.

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ٢١٩ ) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر " يُمِدُّونهم " ، وقرأ باقي العشرة " يَمُدُّونهم " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٤٥١ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٠٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٣٩٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٠١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١١١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٥ ) .

(٣) سورة الطور ، الآية ( ٢٢ ) .

(٤) سورة نوح ، الآية ( ١٢ ) .

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ١٥ ) .

﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

﴿ اجْتَبَيْتَهَا ﴾ اختلقتها ، والآصال : جمع أصيل ، وهو ما بين المغرب والعشاء .

وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ هو كقوله تعالى : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [1].

* * *

(١) سورة فصلت ، الآية ( ٣٨ ) .

## سورة الأنفال [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾﴾

قوله : ﴿ٱلْأَنفَالِ﴾ جمع نفل ، وهو العطاء ، قال الشاعر [ من الرمل ] :

إنَّ تقْوى ربِّنا خَيْرُ نَفَلْ [١]

وكانت غنائم بدر لرسول الله ﷺ يفعل فيها ما يشاء . قال بعض الصحابة : نزلت فينا أهل بدر حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا، وجعله للنبي ﷺ فقسم بيننا على بواء[٢] ، أي : على سواء.

وعن سعد بن أبي وقاص قال : قتل أخي يوم بدر فقتلت قاتله وأخذت سيفه ، وجئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله شفيت غليلي ، قتلت قاتل أخي وهذا سيفه ، فنفلني

(١) هذا صدر بيت للبيد بن ربيعة وعجزه : ............... وَبِإِذْنِ اللهِ رَيْثِي وَالْعَجَلْ

ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٣٩٢ ) ، ديوان لبيد ( ص : ١٣٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٩٣ ) ، لسان العرب ( نفل ) ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ١ / ٢٤٠ ) ، مقاييس اللغة ( ٢ / ٤٦٤ ).

(٢) رواه أحمد في المسند بهذا اللفظ رقم ( ٢١٦٨٥ ) والصحابي هو عبادة بن الصامت ﷺ .

إياه . فقال : اذهب فاطرحه في القَبَض - والقبض - بفتح البـاء- : هـو الـشيء المقبـوض ، كالنقص والحسد : الشيء المنقوص والمحسود - فقلت : يا رسول الله: نفلني السيف . فأعـاد عليّ القول بصوت أغلظ من الأول : اطرحه في القَبَض . فذهبت لأطرحه وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي ومنعي السيف ، فقبل أن أصـل ردني رسـول الله ﷺ فقـال : إنـك (٦٥/أ) سألتني السيف وليس إليّ ، والآن فقد جعل الله غنـائم بـدر لـي أتـصرف فيهـا ، اذهب فخذ السيف[١]». ولما حصل لقاء يوم بدر جلس النبي ﷺ في العرش هـو وأبـو بكـر واجتمع إليه الشيوخ وأرباب الرايات وتقدم الشباب فقاتلوا وقتلوا وغنموا ، فلمـا انقـضت الحرب قال الشباب : نحن حُزْنا الغنيمة بأسيافنا فهي لنا ، وقال الشيوخ : نحن كنا ردءا لكـم وفئة تنحازون إليهـا ، وتنـازعوا في ذلـك فنزلـت ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾.

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ بالعظمـة وسـرعة الانتقـام. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ آيـات الرحمة والمغفرة قويت آمالهم واطمأنت قلوبهم ، وازداد أثر إيمـانهم ، ولا يتوكلـون إلا علـى الله ، وجاء الحصر من جهة تقديم المعمول.

﴿ حَقًّا ﴾ مـصدر أي: يحـق ذلـك حقـا ، الكـاف في قولـه : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ ﴾ للتـشبيه ، ومعناه: كما جعل الأنفال والرسول يفعل فيها ما يراه ، وإن كرهوا ذلـك - أخرجـك ربـك لقتال أهل بدر وهم كارهون . وقيل ترجع إليّ ﴿ حَقًّا ﴾ أي: يحق ويثبت أيهـا الرسـول وإن كرهوا، كما حق خروجك من بيتك إليهم وإن كرهوا. ﴿يُجَٰدِلُونَكَ ﴾ في موضع الحال .

لما بلغ رسول الله ﷺ أن عير قريش قد قرب مرورها عليهم ذاهبة إلى مكة وفيهـا أربعـون راكباً منهم أبو سفيان بن حرب فندب النبي ﷺ أصحابه ليخرجـوا لطلـب العـير ، فـسمعت قريش بمكة بذلك ، فأسرعوا يطلبون حماية العير، وقالوا : إن أخذها محمد اسـتغنى واسـتعان بها على قتالنا ، وألزموا كل أحد بالخروج أو أن يقيم بدلاً مكانه وهم النفير، فوعـد الله نبيـه إحدى الطائفتين ، إما العير وإما النفير، وكان عرض أكثر الصحابة أن ينالوا العير ؛ لأنه مال يوجد من غير قتال ، ولأنهم لم يخرجوا يوم بدر للقتال ، وإنما خرجـوا لطلـب العـير ، وأمـا

(١)رواه مسلم رقم ( ١٧٤٨ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٧٤٠ ) ، والترمذي رقم ( ٣٠٧٩ ).

النفير فإنهم جاءوا بسلاحهم وشوكتهم ليقابلوا ويمنعوا العير[(١)]. وقد مضى في الأنعام[(٢)] شرح الدابر .

الخائف لا ينام وكان أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا ليلة على كثيب أعفر[(٣)] ينهال رملاً وتراباً لا تثبت عليه أقدامهم للقاء ، وليس هناك ماء وأجنب كثير منهم تلك الليلة ، فوسوس إليهم الشيطان قوة الخوف ، وأنكم تلقون ربكم وأنتم على جنابة (٦٥/ب) ولستم على طهارة ، وأن هذه الكثيب لا تثبت فيه الأرجل ، فأرسل الله عليهم نعاسا يدل على حصول الأمن في القلوب ، وأمطرت السماء حتى سال الوادي ، واجتمع ماء كثير فاغتسلوا ، وتجلدت الأرض ، فثبتت عليها الأقدام[(٤)].

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قيل: بما تلقون في قلوبهم من الثبات والنصر. وقيل: كان الملك يتصور في صورة رجل ويمر بطوائف المسلمين فيقول: يا عباد الله اثبتوا، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم[(٥)]، فقوله على هذا القول حقيقة.

﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ أي: أعاليها. وقيل: اضربوا الرؤوس، كقول الشاعر [من الوافر]:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ١٨٢ ).

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٤٥) عند قوله – تعالى : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

(٣) العفرة : غبرة في حمرة ، وصلابة الأرض، وأرض عفراء: بيضاء لم توطأ . **ينظر**: لسان العرب ( عفر ).

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ١٩٥ – ١٩٦ ).

(٥) نسبه السيوطي بنحو ذلك في الدر المنثور ( ٤ / ٣٤ ) لابن مردويه والبيهقي في الدلائل .

وأَضْرِبُ هامةَ البطلِ المُشيحِ[(١)]

وقيل: ﴿فَوْقَ﴾ زائدة، وهو بعيد؛ لأن الأسماء لا تزاد غالبا[(٢)].

وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر ذلكم، أو مبتدأ وخبره ما دلت عليه الجملة، وأن يكون منصوبا بقوله: « فذوقوا » مضمر دل عليه «فذوقوه» وهو من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره وهو الأحسن هاهنا؛ لأن الأمر لا يصلح أن يكون خبراً إنما الخبر ما يدخله التصديق والتكذيب.

﴿زَحْفًا﴾ حال من الفاعل والمفعول معاً، أي: متزاحمين. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ﴾ فلا تجعلوهم ولاة على ظهوركم بالانهزام، ويدل عليه قول بعض المنهزمين من الكفار يوم بدر وقد سئلوا عن كيفية قتالهم فقال: والله ما هو إلا أن لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلون ويأسرون، ويجوز أن يكون من الولي.

﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ فقد رجع.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ

---

(١) عجز بيت لعمرو بن الإطنابة، وصدره: وإقحامي على المكروه نفسي وضربي ... ....

**ينظر في**: تاج العروس للزبيدي ( شيح )، تهذيب اللغة للأزهري ( ٥ / ١٤٧ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٤٠٤ )، العمدة لابن رشيق القيرواني ( ١ / ٢٩)، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٠٩، ٢ / ٢٠٤ )، اللسان ( شيح ) ويروى: «وإقدامي» بدل «وإقحامي»، «وضربي» بدل وأضرب. **والمشيح**: الجاد في القتال، والشاهد فيه: عطف المصدر المؤول « وأضرب» على المصدر الصحيح «وإقحامي».

(٢) يرى جمهور النحاة أن الأسماء لا تزاد، وأجاز ذلك أبو الحسن الأخفش. **ينظر في ذلك**: الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٤٠٤ )، سر صناعة الإعراب لابن جني ( ١ / ٣٠١ )، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٣٩٧ ).

﴿أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَمَا﴾ أوصلت المرمى ﴿إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ﴾ أوصله ، وكان النبي ﷺ قد أخذها من حصى وتراب ، فرمى بها إلى ناحية القوم ، فامتلأت أعين جميع المشركين تراباً ورملا ، وأعان ذلك على انهزامهم .

البلاء يكون في الخير ؛ لقوله : ﴿بَلَاءً حَسَنًا﴾ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ﴾ [١] أي : مضعف. روي أن أبا جهل قال يوم بدر: «اللهم انصر أهدى الحزبين ، وأعلى الفئتين» فدعا على نفسه وجماعته[٢].

وقوله: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ إن تستنصروا، أي: فقد جاءكم النصر عليكم لا لكم . ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ ﴾ شر ما دبَّ على الأرض حتى يدخل الكافر، فهو بالنظر إلى أصل الوضع حقيقة في الكافر ، ولكن في عرف الاستعمال بما يحمل (٦٦/أ) على بعض ذوات الأربع ، كما لو حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث ، وكما لو حلف لا يجلس في ضوء سراج لم يحنث بالجلوس في الشمس ، وقال الله - تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [٣] ولا يقعد على

---

(١) قرأ « مُوهِنٌ » بالتنوين مع الرفع ابن عامر وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو « مُوَهِّنٌ » بالتنوين مع تشديد الهاء ، وقرأ حفص عن عاصم « مُوهِنُ » بالإضافة .

**تنظر** القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٤٧٦ ) ، حجة ابن زنجلة ( ص : ٣٠٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٤٠٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٠٥ ) ، الكشاف للزمخشري (٢٠٨/٢).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ٢٠٧ - ٢٠٩ ) عن غير واحد أن أبا جهل قال يوم بدر : « اللهم انصر أحب الدينين إليك ديننا العتيق أم دينهم الحديث » فأنزل الله ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٢ / ٣٥٧ ) أن أبا جهل قال حين التقي القوم : « اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحِنْهُ الغداة » فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأحنه : أهلكه ، من حانت النفس : إذا هلكت والحَيْنُ - بالفتح - : الهلاك .

**ينظر**: لسان العرب ( حين ).

(٣) سورة نوح ، الآية ( ١٦ ).

بساط فقعد على الأرض لم يحنث مع قوله -تعالى : ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ [(١)] ولا يمس وتدا فمس جبلا ، لم يحنث مع قوله - تعالى : ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [(٢)] أو لا يأكل ميتة فأكل سمكا أو جرادا لم يحنث مع قوله ﷺ : « أحل لنا ميتتان » الحديث[(٣)] وإنما الأيمان على عرف الاستعمال . ثقفت القوم : أخذتهم بقوة . إني فاعل بهم من النكال ما يوجب هرب من خلفهم لما يخشون من حلول مثل ذلك بهم.

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ سماع قبول ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ سماع قبول لارتدوا .

دعاء الله يصل إلينا على لسان رسوله ، ودعاء رسوله يخبر عن الله ، فلذلك قال : ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ قيل: المراد القرب ، كقوله: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [(٤)]. وقيل: يمنعه فهم القرآن وتدبر الآيات . ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً ﴾ مقولاً فيها: ﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ بل تعم.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ وَتَخُونُوٓا۟ ﴾ يجوز أن يكون مجزوما ، معطوفا على ﴿ لَا تَخُونُوا۟ ﴾ وتكون نهيا عن الجمع

---

(١) سورة نوح ، الآية ( ١٩ ).

(٢) سورة النبأ ، الآية ( ٧ ).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأنعام ، الآية ( ١٤٥ ).

(٤) سورة ق ، الآية ( ١٦ ).

بين الأمرين . المراد بالفرقان هاهنا نور يقذفه الله في القلوب.

﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ليحبسوك. وقولهم : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ﴾ دليل على مبالغتهم في التكذيب ، وليس المراد تعليق إمطار السماء على كونه حقا ، بل إبعاد ذلك؛ كقوله : والله لا أكلمك حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط .

وقوله : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يعني به : لو كانوا مستغفرين لما عذبوا، وليس المراد باستغفارهم .

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾

ثم قال : ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أي : يعرضون أو يمنعون. المكاء: الصفير ، والتصدية : رفع الصوت ، وكانوا إذا قرأ رسول الله ﷺ القرآن جاءوا وصفقوا حوله وصفروا حتى يخلطوا عليه قراءته. وقيل : كانوا يجعلون ذلك في طوافهم عوضاً عن الأذكار في طوافنا[1] .

وقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ إشارة إلى فاعل الخبيث ؛ لدلالة الفعل على الفاعل .

﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ عذبوا ( ٦٦ / ب ). ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ بذلك . ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي : لا توجد فتنة ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ تقديره : وإن تولوا

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٩ / ٢٤١ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٦١ ) لعبد بن حميد .

عن الطاعة ولم ينتهوا لم يضروكم شيئا.

﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله - تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ الآية ، قسم الغنائم على ستة أنواع ؛ فقال أبو العالية الرياحي[١] بظاهر الآية ، وقال: تقسم الغنائم على ستة: سهم لله - تعالى - يقسم في مصالح الكعبة وعمارتها. وسهم لرسول الله ﷺ كان يأخذه ويدخر منه قوت سنة ثم يصرف الباقي في الكراع[٢] والسلاح ، ثم بعد وفاته صار هذا السهم لمصالح المسلمين، وسهم لذوي قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل ، فإن عبد مناف كان له أربعة أولاد : أحدهم هاشم ، وهو جد النبي ﷺ . والثاني المطلب وهو أخو هاشم شقيقه. والثالث والرابع عبد شمس ونوفل[٣].

---

(١) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي البصري المقرئ مولى امرأة من بني رياح ، رأى أبا بكر وسمع من عمر - رضي الله عنهما - ثقة كثير الإرسال وله تفسير رواه عنه الربيع عن أنس . توفي سنة ٩٣هـ وقيل : سنة ٩٠ . **تنظر** ترجمته في : طبقات المفسرين للداودي ( ١ / ١٧٢، ١٧٣ ) ، معرفة القراء الكبار للذهبي ( ١/ ٤٩ ).

(٢) **الكراع** : اسم لجميع الخيل. **ينظر**: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ( ٤ / ١٦٥ ).

(٣) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال ( ١ / ٤٠٨ ) عن أبي العالية ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٦٧) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بنحوه .

وكانت قريش لما حصروا رسول الله ﷺ في شعب، وكتبوا كتابا ألا يعاملوا ولا يخالطوا - دخلت بنو المطلب مع بني هاشم في الشِّعْب الذي حصروا فيه، فلما جاءت الغنائم بعد ذلك أعطى رسول الله ﷺ بني هاشم وبني المطلب ولم يعط بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئا، فجاء عثمان بن عفان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وجبير بن مطعم من بني نوفل ابن عبد مناف، فقالا: يا رسول الله، أرأيت إخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم، لمكانك الذي وضعك الله فيه منهم، ولكن إخواننا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا، وإنما قرابتنا وقرابتهم واحدة. فقال النبي ﷺ: « إن بني هاشم وبني المطلب ما افترقوا في جاهلية ولا إسلام، وشبك بين أصابعه »[1]. وسهم ليتامى المسلمين، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل. وقال بقية العلماء: إنما تقسَّم الغنائم على خمسة أسهم، وأسقطوا السهم المختص بالكعبة، وأبقوا الخمسة الباقية[2].

﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، وصور حالهم، كأنك تشاهده، وقال: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ و(الْعُدْوَةِ) جانب الوادي. والدنيا: القريبة، ﴿وَهُم﴾ يعني: الكفار ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ أي: البعيدة ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ يعني: العير. ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ فإن كفار قريش جاءوا بين رسول الله ﷺ وبين العير، وحموا بذلك أموالهم. يعني: ليهلك من هلك عن بينة، فقتل صناديد قريش، وأعلى كلمة الله. ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ (٦٧/أ) قال الأكثرون بظاهرها، وأن رسول الله ﷺ رأى في المنام أنهم قليلون[3].

وعن الحسن: أن المنام للعين؛ لأنها موضع النوم، فرآهم بعينه في اليقظة قليلين في ظنه، حتى تقدم عليهم المؤمنون، وقلل المؤمنين في أعين الكفار في أول الأمر، حتى هجموا وقاتلوا، فلما اختلطوا كثر الله المؤمنين في أعين الكفار، حتى جبن الكفار، وهو معنى قوله: ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾[4] ومستحب ذكر

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٠/٦) وقال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لأن حليف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله ».

(٢) **ينظر**: الأم للشافعي ( ٤ / ١٤٧ )، بدائع الصنائع للكاساني ( ٦ / ١٠٠ )، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٥١٧ )، المبسوط للسرخسي ( ٣ / ١٧ )، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٢٩٩ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٠/١٢) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤ / ٧٤ ) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) سورة آل عمران، الآية ( ١٣ ) ورواه الطبري في تفسيره ( ٣ / ١٩٥ ) عن ابن مسعود.

الله – تعالى – عند لقاء العدو ، وأن نطلب منه النصر والعون، وأن نقلل من التنازع والاختلاف.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: دولتكم، قال الشاعر [ من الوافر]:

إذا هبَّتْ رياحُك فاغتنِمْها فإنَّ لكلِّ خافقةٍ سكونُ[1]

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦) فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)﴾

﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ مثل كفار قريش ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا﴾. روي أن قريشا لما اجتمعت للنفير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر من العداوة، وهم على طريقهم فتمثل لهم الشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم[2] كبير بني بكر، وقال لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ

---

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٥٢٣ ) ، تاج العروس للزبيدي ( روح ) ، تفسير القرطبي ( ٨ / ٢٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٤٢٥ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٧/ ١٠٩ ).

(٢) هو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو الكناني ، أسلم يوم الفتح ، وكان شاعرا وقصته في=

﴿ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ فخرجوا، فلما لاقوا المسلمين رأى إبليس جبريل قد نزل من السماء لينصر المؤمنين فخاف على نفسه أن يقتله جبريل، ففر فقيل له: أين تذهب يا سراقة؟ فقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ فاشتهر بين كفار قريش أنه لم يهزم الناس إلا سراقة بن مالك فلما رجعوا اجتمعوا بسراقة وعتبوه، فقال: والله ما كنت هناك حتى أنهزم [(١)]. ﴿إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ وقت اللقاء ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ إذا أقبلوا. ﴿وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ إذا ولوا، ولم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر، وكانوا ينزلون في غيرها، مدداً ولطمأنينة القلوب.

﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة، أي: عادة هؤلاء منازعة الأنبياء كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله وأخذه ونقمته. ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ أي: فإن تثقفهم، والثقف: الأخذ بشدة. ﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾ أي: فافعل بهم فعلاً يوجب فرار من حولهم. وقوله: ﴿فَشَرِّدْ﴾ مأخوذ من شرد البعير إذا فر. ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ بأمارات تدل على ذلك، فانقض عهدهم وعرفهم بذلك كي لا يكون عذراً. من قرأ ﴿إِنَّهُمْ﴾ بكسر، فهو استئناف كلام، ومن قرأ ( أَنَّهُمْ ) بالفتح[(٢)] أي: لا تحسبهم لأجل أنهم لا يعجزون. وفي الحديث الصحيح (٦٧/ب) أن النبي ﷺ قال وهو على المنبر: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال: «ألا إنَّ القوةَ الرميُ، ألا إنَّ القوةَ الرميُ، ألا إنَّ القوةَ الرميُ»[(٣)].

قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ قيل: فارس والروم. وقيل: كفار الجن، إلا أن قوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ يرد على القائلين. ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه.

---

= ملاحقة النبي ﷺ في الهجرة مشهورة ترويها كتب السير. توفي سنة ٢٤هـ. **تنظر** ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢/ ١٩).

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٨ )، وأورده السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٧٩ ) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر عن معمر قال: «ذكروا أنهم أقبلوا على سراقة بن مالك بعد ذلك فأنكر أن يكون شيء من ذلك».

(٢) قرأ جمهور القراء أبو عمر وابن كثير ونافع وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ويعقوب «إنهم»، وقرأ ابن عامر « أنهم ». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٤ / ٥١٠ )، الحجة لابن خالويه ( ص: ١٧٢ )، حجة أبي زرعة ( ص: ٣١٢ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٤٢٩ )، السبعة لابن مجاهد ( ص: ٣٠٨ )، الكشاف للزمخشري ( ٢/ ١٣٢ )، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٧ ).

(٣) رواه مسلم رقم ( ١٩١٧ )، وأبو داود رقم ( ٢٥١٤ )، والترمذي ( ٣٠٨٣ ) عن عقبة بن عامر ﷺ.

﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ وإن مالوا للصلح ، والسلم يذكر ويؤنث. ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ فإن كافيك الله . قوله : ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ معطوف على اسم الله ، أي: يكفيك الله ، ويكفيك المؤمنون. وقيل: معطوف على الكاف، أي: حسبك الله وحسب المؤمنين الله، إلا أنه لا يلزم منه العطف على المضمر المجرور بغير إعادة الجار[1]. وكان قد وجب في ابتداء الإسلام أن يصبر المؤمن في القتال لعشرة من الكفار، ثم نسخ ذلك ووجبت مصابرة الواحد لاثنين خاصة.

قوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ما عند الله من ثواب الشهداء، فلا يهون عليهم بذل نفوسهم، وأما أنتم فترجون من الله ما لا يرجون.

لما جيء بالأسرى يوم بدر استشار الصحابة في أمرهم فأشار أبو بكر بأن يؤخذ منهم الفداء يستعين به المؤمنون، ولعل الله أن يهدي من هؤلاء الأسرى قوماً، وقال عمر بن الخطاب: هؤلاء رأس الضلالة وحزب الكفر ، قدمهم فاضرب أعناقهم ، فأحب رسول الله ﷺ ما قاله أبو بكر ، وأخذ منهم الفداء، فعتب على ذلك ، وأنزل الله - تعالى: ﴿مَا كَانَ

---

(١) تقدم في سورة النساء، الآية (١).

لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [(١)]. أي: يكثر القتل، والله يريد أن تريدوا الآخرة ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ ﴾ من الرأي ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ قال عمر: دخلت على رسول الله ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت : ما يبكيكما؟ خبروني ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما. فقال النبي ﷺ: « أبكي لما عرض عليَّ من عذاب قومك ، لقد عرض عليَّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة ، وأشار إلى شجرة قريبة من المسجد » [(٢)].

وقال ﷺ: « لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر» [(٣)].

وكان العباس عم النبي ﷺ يظهر الكفر ويبطن الإسلام، وكان من المطعمين يوم بدر، والمطعمون عشرة، كل واحد يطعم يوماً فينحر عشرة جزائر ، فأسر العباس ، فلما جاء الفداء ، قال النبي ﷺ للعباس : افد نفسك وافد عقيلاً فقال : يا رسول الله ، ما لي شيء ، فقال ﷺ : فأين الذهبية التي أعطيتَها لأم الفضل في ظلام الليل ، وقلت : إني ذاهب ، فإن هلكت فلفلان كذا ( ٦٨/ أ ) ولفلان كذا، ولفلان كذا ، فقال : يا رسول الله ، والله ما اطلع على هذا أحد من خلق الله ، وأظهر الإسلام . وفي رواية: أنه لما قال له: (افد نفسك) قال: كنت مسلماً في الباطن ، فقال النبي ﷺ: « أما في الظاهر فقد كنت علينا » ، وأنزل الله - تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾ يعني العباس ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا ﴾ محبة الإسلام ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ قال العباس بعد ذلك بسنتين: «والله لقد آتاني الله خيراً مما أخذ مني ، فإن لي اليوم عشرين عبداً مضارباً مع كل عبد عشرون ألفا ، وإني لأرجو المغفرة من ربي» [(٤)].

وروي أنه جاء مال من البحرين فنثر في المسجد فجاء العباس فقال: يا رسول الله أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلاً ، فقال : خذ . فأخذ ثوبا فملأه دراهم ، وطلب أن يحمله

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ٤٣ ).

(٢) رواه مسلم ( ١٧٦٣ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٦٩٠ ) ، والترمذي رقم ( ٣٠٨١ ).

(٣) نسبه بهذا اللفظ الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٣٩ ) للواقدي في كتاب المغازي ، ورواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ٤٨ ) بلفظ : «لو عذبنا في هذا الأمر يا عمر ما نجا غيرك» .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ٤٩ )، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم ( ٩١٧٧ ) ، وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٢٤٥ ) رقم ( ٤٨٩ ) ، وفي سنده الكلبي وهو ضعيف في الحديث .

فلم يستطع ، فقال : يا رسول الله، مُرْ بعضهم يحمله معي ، قال : لا ، قال : فاحمله أنت معي ، قال : لا ، فنثر منه ما عجز أن يحمله ، فلم يقدر ، فقال : مر بعضهم أن يحمله معي ، قال : لا ، قال : أو احمله أنت عليَّ ، قال : لا ، فنثر منه شيئا نثراً حتى استطاع حمل الباقي ، وحمله على كتفه فأتبعه النبي ﷺ ببصره تعجباً منه ومن حرصه (١).

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾

﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ ﴾ يمكنك الله منهم. ﴿ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ وكان في أول الإسلام لا ولاء بين المهاجر ومن لم يهاجر، وهو قوله: ﴿ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ فلا تولوهم. ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ ﴾ ما أمرتكم به ﴿ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ من المهاجرين والأنصار. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ثم ذكر من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤١١ ) عن أنس ﷺ ، ولفظه : قال أنس : « أتي النبي ﷺ بمال من البحرين فقال : انثروه في المسجد وكان أكثر مال أتي به رسول الله ﷺ فخرج رسول الله ﷺ إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال: يا رسول الله أعطني ؛ فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا. فقال له رسول الله ﷺ : خذ . فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال: يا رسول الله مر بعضهم يرفعه إليَّ . قال : لا. قال : فارفعه أنت علي. قال: لا. فنثر منه ثم ذهب يقله فقال : يا رسول الله مر بعضهم يرفعه عليَّ . قال : لا . قال : فارفعه أنت علي. قال: لا. فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه ، فما قام رسول الله ﷺ وثم منها درهم» .

سيهاجر فيما بعد بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ ﴾، فجعلهم بالصدر الأول ، وأنهم مشاركون لهم فيما حصل من نصر.

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ ﴾ النسب بالإناث وهذه الآية عام مخصوص ، فإن بعض ذوي الأرحام يرث كالأم والجدة والأخت ، ولا يرث الخال ولا الخالة ، وكلهم من ذوي الأرحام.

* * *

## سورة التوبة [ مدنية ]

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (١) فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢) وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ (٤) ﴾ .

تسمى الفاضحة؛ أنها فضحت المنافقين[1]، وعن بعض الصحابة: ما زال يقول ﴿ وَمِنْهُم ﴾ حتى خشينا ألا يبقى منا أحد، أراد قوله: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾[2]، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى ﴾[3] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾[4] ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾[5] وأمثالها.

﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ متعلق بمحذوف أي: كائنة، أو واصلة، ولا يجوز (٦٨/ ب) أن يتعلق ببراءة فيفضي إلى الكفر والتبرِّي من الله.

وكان رسول الله ﷺ قد صالح كفار قريش في نوبة الحديبية على أن من أحب أن يدخل في حلف رسول الله ﷺ دخل ، ومن أحب أن يدخل في حلف الكفار دخل ، وألا يعين فريقًا على حلف صاحبه ، وكانت خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ وبنو بكر حلفاء الكفار، وكان بين بني بكر وخزاعة اختلاف فاقتتلوا وأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، فانتقض عهدهم ، وجاء قوم من خزاعة [ من الرجز ] :

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٢٤١ ): " لها عدة أسماء: براءة ، التوبة ، المقشقشة ، المبعثرة ، المشردة ، المخزية ، الفاضحة ، المثيرة ، الحافرة ، المنكلة ، المدمدمة ، سورة العذاب ؛ لأن فيها التوبة على المؤمنين ، وهي تقشقش من النفاق أي : تبرئ منه ، وتبعثر عن أسرار المنافقين ، تبحث عنها ، وتثيرها ، وتحفر عنها، وتفضحهم ، وتنكلهم ، وتشرد بهم ، وتخزيهم ، وتدمدم عليهم .

وعن حذيفة ﷺ : «إنكم تسمونها سورة التوبة ، وإنما هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحدا إلا نالت منه ".

(٢) التوبة ، الآية ( ٥٨ ).

(٣) التوبة ، الآية ( ٤٩ ).

(٤) التوبة ، الآية ( ٧٥ ).

(٥) التوبة ، الآية ( ٦١ ).

إنَّ قريــشًا أخلفــوكَ الموعِــدا ونقــضوا ميثاقَــك المؤكَّــدا

هــمْ بيَّتونــا بالوتيــرِ هُجَّــدا وقتــلونا رُكَّعــا وسُــجدا

والوتيــر: ماء من مياههم .

فقال النبي ﷺ حين سمع شعرهم : " لا نصرتُ إن لم أنصركم " ثم جاء أبـو سـفيان بـن حرب ، فأراد أن يجدد العهد والعقد ، وهو إذ ذاك مشرك فلم يجد إلى ذلـك سـبيلاً ، فبعـث رسول الله ﷺ عليًّا ومعه أبو هريرة وجماعة من الصحابة يقرءون على الكفـار سـورة بـراءة ، ويعرفونهم أن العهد بينهم قد انتقض ، وأنه لم يأخذهم بغتة ، بل أمهلهم أربعة أشهر ليرجع من كان غائبا في البادية ؛ ليستعدوا للحـرب بوجـوه الاسـتعداد [1] .﴿مُخۡزِي﴾ مهـين ومـذل. ﴿ وَأَذَٰنٌ ﴾ وإعلام.

﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ يوم النحر ؛ لأن فيه طواف الزيـارة ، ورمـي جمـرة العقبـة ، ونحر الهدي أو ذبحه ، وحلق الرأس . وقيل : يـوم الحـج الأكـبر : يـوم عرفـة ؛ لأن الحـج يفـوت بفواته ، بخلاف بقية الأركان .

قرئ ﴿ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالعطف على اسم الله ، وقرئ بالجر [2] على القسم بالرسول ، كقوله : ﴿ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾ ثم استثنى الله - تعالى - من ثبت على العهـد ولم ينقـضه

---

(١) نسبه الزيلعي بهذا السياق في تخريج الأحاديـث والآثـار الـتي في الكـشاف ( ٢ / ٥٤ ) لابـن هـشام في سيرته في غزوة مؤتة من طريق ابن إسحاق والبيهقي في دلائل النبوة ، ونسبه السيوطي في الدر المنثـور ( ٤ / ١٣٨ ) لابن إسحاق والبيهقي في الدلائل عن مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة .

(٢) قرأ " ورسولِه " بالجر الحسن البصري ، والواو واو القسم ، أو على الجوار، وقرأ الجمهـور " ورسـولُهُ " بالرفع ، وقرأ عيسى بن عمر وزيد بن علي وابن أبي إسحاق "ورسولَهِ" عطفا على لفظ الجلالـة ، أو على أنه مفعول معه تنظر في : إتحاف فضلاء البشر بـالقراءات الأربـع عـشر للبنـا ( ١ / ٢٤٠ ) ، البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٦) ، تفسير القـرطبي (٨/ ٧٠ ) ، الـدر المصون للـسمين الحلـبي ( ٣ / ٤٤٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٧٣) ، واستبعد السمين الحلبي صـحة نـسبة قـراءة الجـر للحـسن وقال : "تبعد صحتها عن الحسن ؛ للإيهام ، حتى يحكى أن أعرابيا سمـع رجـلا يقـرأ " ورسـولِه " بالجر فقال الأعرابي : إن كان الله قد برئ من رسوله فأنا بريء منه ، فلبَّـبه القـارئ إلى عمـر - ﷺ - فحكى الأعرابي الواقعة ، فحينئذ أمر عمر بتعليم العربية . وتحكى أيضا هذه القصة عن أمير المـؤمنين علي وأبي الأسود الدؤلي - رضي الله عنهم ".

بقولـه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ ﴾ ولم يعـاونوا كقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم﴾ [1] أي : عاونوهم .

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ (٥) وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ (٦) كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ (٧) كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ (٨)﴾.

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ يريد بها أشهر الحج ، ولا يراد بها الأشهر التي يحرم القتال فيها ؛ لأن هذه الأربعة متوالية ، والأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ يعني: استأسروهم ، ويقال للأسير: أخيذ.

﴿وَإِنۡ﴾ استجارك ﴿أَحَدٞ﴾ ليسمع قراءة القرآن منك أو من الصحابة ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ﴾ (٦٩/ أ). فإن لم يسلم فلا تقتله حتى ترده إلى مكان يأمن فيه على نفسه.

﴿قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ فلذلك أمهلوا حتى يسمعوا كلام الله، فيعلموا صدق الرسول ﴿كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾ أي: لا يصلح ولا ينبغي ﴿إِلَّا﴾ في حق ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ فما داموا مستقيمين لكم على الوفاء ﴿فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ بمثله، ثم قرر أنه لا ينبغي أن يبقى العهد مع المنافقين، ومن شأنهم أنهم لو ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة. قيل: الإل: هو الله. ولما سمع أبو بكر ما زعم مسيلمة أنه قرآن أنزل عليه تبسَّم، وقال: ما خرج هذا من إل[2]. وقيل: الإل: العهد.

الفسق هو الخروج؛ يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها، وكل الناقضين كفار فاسقون، وإنما قال: ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ﴾ لأنه أراد بالفسق الطغيان ومجاوزة الحد في الطغيان

(١) سورة الأحزاب ، الآية ( ٢٦ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٤٣٨) ولم يرتض هذا الزجاج قال: " لأن أسماءه - تعالى - معروفة في الكتاب والسنة، ولم يسمع أحد يقول: يا إل افعل لي كذا" . ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٣٣).

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ﴾ استبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا﴾ فيه رد على من زعم أن الثمن ما دخلت عليه باء الثمنية ، فإذا قلت : اشتريت عبداً بجارية ، فالجارية الثمن ، والعبد مثمن ، وإن قلت: اشتريت جارية بعبد ، فبالعكس ، وهاهنا دخلت الباء على المثمن(١).

﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿فَصَدُّواْ﴾ يجوز أن يكون لازماً ومتعدياً كما سبق . ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ﴾ أي: فهم إخوانكم. ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ أي: لا وفاء أيمان ، كقول الشاعر [ من الطويل ] :

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن ( ١ / ٣٠ ): " وكل ما في القرآن من هذا قد نصب فيه الثمن، وأدخلت الباء في المبيوع أو المشترى، فإن ذلك أكثر ما يأتي في الشيئين لا يكونان ثمنا معلوما من الدنانير والدراهم، فمن ذلك: " اشتريت ثوبا بكساء " أيهما شئت تجعله ثمنا لصاحبه؛ لأنه ليس من الأثمان، وما كان ليس من الأثمان مثل الرقيق والدور وجميع العروض فهو على هذا، فإن جئت إلى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن كما قال في سورة يوسف: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۢ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ لأن الدراهم ثمن أبدا والباء إنما تدخل في الأثمان، فذلك قوله ﴿ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ﴿ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ " اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة " فأدخل الباء في أي هذين شئت، حتى تصير إلى الدنانير والدراهم فإنك تدخل الباء فيهن مع للعروض ".

وقال السمين الحلبي في الدر المصون ( ١ / ٢٠٦ – ٢٠٧ ) : " وضُمِّن الاشتراء معنى الاستبدال ، فلذلك دخلت الباء على الآيات ، وكان القياس دخولها على ما هو ثمن؛ لأن الثمن في البيع حقيقته : أن يشتري به ، لا أن يشترى ، لكن لما دخل الكلام معنى الاستبدال جاز ذلك ؛ لأن معنى الاستبدال أن يكون المنصوب فيه حاصلا والمجرور بالباء زائلا .ونقل عن المهدوي قوله: دخول الباء على الآيات كدخولها على الثمن ، وكذلك كل ما لا عين فيه . وإذا كان في الكلام دراهم أو دنانير دخلت الباء على الثمن ".

وإن حلفتْ لا تنقضُ الدهرَ عهدَها ... فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ[1]

أي: وفاء يمين. ومن قرأ (لا إيمان) بكسر الهمزة [2] فهي شهادة عليهم بالكفر، وأنهم ليسوا من الإيمان في شيء. ثم حرَّضَ المؤمنين على قتال الناقضين، فقال: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا﴾ وما لكم لا تقاتلونهم ؟ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ ؟ ثم بين فوائد قتالهم بقوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

هاهنا انتهت الوعود على قتال الناكثين، ثم أخبر الله خبراً مستأنفاً: أنه يتوب على من يشاء، وليس ذلك متعلقا بالشرط، كما في الأفعال الخمسة السابقة المجزومة بجواب الأمر ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن أخلص في التوبة ﴿حَكِيمٌ﴾ قبل التوبة ليتهيأ الرجوع إلى الله في كل وقت.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف، الآية ( ١٠٢ ).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ويعقوب " لا أيمان لهم " ، وقرأ ابن عامر وحده من العشرة " لا إيمان لهم " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥ ) ، حجة ابن خالويه (ص : ١٧٤ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣١٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٤٥١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣١٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٧٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٨ ).

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا ﴾ من غير امتحان ولا اختبار، ولما يظهر الله بالامتحان والاختبار. ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ﴾ ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين معدلا يلجئون فيه، ومكان الولوج: وليجة. ولما أسر العباس يوم بدر (٦٩/ ب) عيره عليٌّ وقال: كذبتم الرسول وقاتلتم المؤمنين الذين يوحدون الله ويعظمونه، وقطعتم الرحم بالقتال. فقال العباس: تذكرون مساوئنا وتتركون محاسننا، إنا لنسقي الحاج، ونطعم الجائع، ونفك العاني، ونعمر المسجد الحرام، فنزلت ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ ﴾ (1) ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ ﴾ كإيمان من آمن، أو: جعلتم أهل سقاية الحاج، ثم بين قبول عبادات المؤمنين وحبوط عمل الكافرين فقال في الكفار: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢١٧) ﴾ وفي حق المؤمنين ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ الآيتين. ثم نهى المؤمنين أن يداخلوا الكفار، أو يطلعوهم على بواطنهم ولو كانوا ذوي قربى.

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ (٢٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٦) ﴾.

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ فانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ بعقوبة من آثر هذه الأمور على حق الله - تعالى. ﴿فِى مَوَاطِنَ﴾ أي: في أيام مواطن؛ لأنه لو أراد المكان لم يعطف عليه ظرف الزمان في قوله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ لأنك تقول: ضربت زيداً يوم الجمعة عند المسجد، ولا تقول: وعند المسجد، إلا أن يسبق ظرف مكان فتقول: ضربته خلف الدار وعند المسجد، ولك أن تضمر في الثاني، فتقول: في مواطن كثيرة وموطن حنين(2).

(1) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ٩٥ ) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور( ٤ / ١٤٥ ) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(2) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٢٥٩ ) وجوز السمين الحلبي عطف ظرف الزمان من غير=

وكان النبي ﷺ لما فتح مكة معه عشرة آلاف، وعفا عن أهل مكة، وقال: " أنتم الطلقاء " وأخذ من الطلقاء ألفين فتوجه إلى حنين باثني عشر ألفا ، فقال قائل : لن نغلب اليوم من قلة . فوكلهم الله إلى أنفسهم ، فاستقبلتهم هوازن وهم رماة فرموا المسلمين بالنبل فانهزم المسلمون في أول الحال ، فأمر النبي ﷺ العباس وكان جهوري الصوت فنادى : يا أصحاب الشجرة ، يا أصحاب السمرة . وهي الشجرة التي بايعوا رسول الله ﷺ على القتال عندها ، فذكرهم ما عاهدوا الله عليه فنادى : يا أصحاب البقرة . يريد : من حفظ سورة البقرة وما فيها من الأمر بالقتال في مواضع ، فتراجع المؤمنون ، قال الراوي : كعطفة البقر على أولادها. وكان النبي ﷺ على بغلته والعباس آخذ بركابه، وعبيدة بن الحارث آخذ بالركاب الآخر، فنزل ودعا واستنصر، وقال:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.

ورماهم بقبضة من تراب، وقال: شاهت الوجوه. قال الراوي: فمذ رماهم رسول الله ﷺ بتلك الحصيات ما زلت أرى أحدهم ( ٧٠ / أ ) كليلاً ثم انهزموا "[1].

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾

= واسطة " في" على ظرف المكان المجرور بها ، وقال : ولا غرو في نسق ظرف الزمان على مكان أو العكس ، تقول : سرت أمامك يوم الجمعة . إلا أن الأحسن أن يترك العاطف في مثله " .

(١) رواه البخاري رقم ( ٢٨٦٤ ، ٢٨٧٤ ) ، ومسلم رقم ( ١٧٧٦ ) .

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ وعد منه سبحانه بقبول التوبة على من يشاء. ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ شيء مبعد فأبعدوهم عن المسجد ، وكان في نداء عليٍّ في السنة التاسعة : " ألا لا يحجنَّ بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريانٌ " (١).

و«العيلة» : الفقر ، والعائل : الفقير، كقوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ (٢) وأما الزوجة والأولاد فيقال لهم عائلة .

ولما نهي المشركون ومنعوا أن يقربوا المسجد الحرام ، وهم الذين كانوا يجلبون الميرة إلى مكة ، خاف الناس أن ينقطع ذلك عنهم ، فوعد الله باستمرار ذلك ، فأسلم أهل جرش (٣) وحملوا الميرة ، وأغنى الله عما يحمله الكفار.

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ ويصدقون به ، وكذلك اليوم الآخر ، لا يؤمنون به كإيماننا لأنهم يزعمون أن المعاد روحاني ليس فيه شيء من الجسمانيات ، كالأكل والشرب والجماع واللباس (٤).

---

(١) رواه الترمذي رقم ( ٣٠٩١ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٣ / ٥١ ) وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٤٦٨).

(٢) سورة الضحى ، الآية ( ٧ ).

(٣) **جرش** - بالضم ثم الفتح وشين معجمة - : من مخاليف اليمن من جهة مكة وهي في الإقليم الأول . وقيل : إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة وذكر بعض أهل السير أن تبعا أسعد بن كليكرب خرج من اليمن غازيا حتى إذا كان بجرش وهي إذ ذاك خربة ومعد حالة حواليها فخلف بها جمعا ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفا وقال : اجرشوا ههنا . أي : البثوا فسميت جرش بذلك .
**ينظر** : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٢ / ١٢٦ ).

(٤) قال الإيجي في كتاب المواقف ( ٣ / ٤٧٨ - ٤٧٩ ) : " اعلم أن الأقوال الممكنة في مسألة المعاد لا تزيد على خمسة : الأول: ثبوت المعاد الجسماني فقط ، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة . والثاني : ثبوت المعاد الروحاني فقط ، وهو قول الفلاسفة الإلهيين . والثالث : ثبوتهما معا ، وهو قول كثير من المحققين كالحليمي والغزالي والراغب وأبي زيد الدبوسي ومعمر من قدماء المعتزلة وجمهور من متأخري الإمامية وكثير من الصوفية فإنهم قالوا : الإنسان بالحقيقة هو النفس الناطقة ، وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب ، والبدن يجري منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن فإذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ويتصرف فيه كما كان في الدنيا . والرابع: عدم ثبوت شيء منهما ، وهذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين . والخامس: التوقف في هذه الأقسام ، وهو المنقول عن جالينوس فإنه قال : لم يتبين لي أن النفس هل=

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ، حتى يقروا بلزوم الجزية والتزامها في كل حول. ولا يشترط أداؤها ، لكن نزل الالتزام بمنزلة الأداء ، وهو كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [(١)] .

ولا يشترط التسليم ، بل الالتزام مع طيب نفس المرضع كاف . ﴿صَٰغِرُونَ﴾ ذليلون. قال الشافعي: الصغار جريان الإسلام عليهم [(٢)] .

وقالت المراوزة[(٣)] : فيه وجهان : أحدهما : ما ذكره العراقيون . والثاني : أن تؤخذ منه الجزية ، وهو قائم والآخذ قاعد [(٤)]، ويأخذ بلهازمه ويضربه ضربة أو ضربتين ، ويقول : أدِّ الجزية يا عدو الله ، وهذا واجب على أحد الوجهين . فعلى هذا لا يجوز التوكيل في أداء الجزية[(٥)].

﴿ وَقَالَتِ ﴾ طائفة من ﴿ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ من نوّن عزيراً فلا إشكال عليه ، ومن حذف التنوين[(٦)] منه فقيل هو تخفيف ؛ كقوله : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ

---

= هي المزاج فينعدم عند الموت فيستحيل إعادتها أو هي جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد حينئذ " .

**ينظر** تفصيل ذلك في : كتاب المواقف لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي – ط . دار الجيل – بيروت– الطبعة الأولى، ١٩٩٧– تحقيق : د .عبد الرحمن عميرة ، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول لحافظ بن أحمد حكمي (٢/ ٧٧٩ ) ط . دار ابن القيم – الدمام – الطبعة الأولى ١٩٩٠ – تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.

(١) سورة البقرة، الآية ( ٢٣٣ ).

(٢) **ينظر**: أحكام القرآن للشافعي ( ٢ / ٥٩ – ٦٠ ) ، الأم للشافعي ( ٤ / ١٧٦ ) وعبارته : " فلم يأذن الله عز وجل في أن تؤخذ الجزية ممن أمر بأخذها منه حتى يعطيها عن يد صاغرا . قال: وسمعت رجالا من أهل العلم يقولون:الصغار أن يجري عليهم حكم الإسلام وما أشبه ما قالوا بما قالوا لامتناعهم من الإسلام فإذا جرى عليهم حكمه فقد أصغروا بما يجري عليهم منه ". ونقله عنه الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ١٢٩ ).

(٣) **المراوزة** – بالفتح وبعد الواو زاي : هي نسبة إلى المروزيين نسبة إلى مرو مثل المهالبة والمسامعة والبغاددة وهي محلة كانت ببغداد متصلة بالحربية خربت الآن كان قد سكنها أهل مرو فنسبت إليهم .

**ينظر**: معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٥ / ٩٦ ).

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١١٠ ) عن عكرمة .

(٥) **ينظر**: الأم للشافعي (٤/٣٩٨)، المبسوط للسرخسي (٦ / ١٣٠)، المغني لابن قدامة ( ١٠ / ٦٢٠ ) .

(٦) قرأ عاصم والكسائي " عزيرٌ " بالتنوين ، وقرأ الباقون " عزيرُ " بغير تنوين . **تنظر** في : إتحاف=

﴿ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[(١)] وعن بعضهم أنه قرأ ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [(٢)] فقيل له: هلا قرأت كذلك، قال: كان يكون أوزن. وقيل: ابن الله: أعني: المقول فيه: إنه عزير بن الله، والخبر محذوف، أي: معبودنا أو إلهنا؛ كقول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ۝٢٧﴾[(٣)].

والتنوين إنما يحذف إذا وقع " ابن " صفة، فأما إذا وقع خبراً فتقول: زيد بن عمرو[(٤)].

﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ وكل قول هو بالفم، ولكنه إنما يأتي في الكتاب تلويحاً بأن هذا القول لم يواطئ عليه القلب.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ ( ٧٠ / ب ) يشابهون ، والمضاهاة المشابهة وقد تهمز ، فيقال: مضاهأة. وقرئ ( يُضَاهِئُون )[(٥)] ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ كيف تقلبون عن الحق إلى الباطل.

وروي: «أن عدي بن حاتم[(٦)] طيئ دخل على رسول الله ﷺ وفي عنقه صليب من ذهب، فقرأ النبي ﷺ : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ

---

=فضلاء البشر للبنا ( ٢ / ٨٩ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٣١ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٧٤ ) ، حجة أبي علي الفارسي ( ٤ /١٨١ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٤٥٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣١٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٨٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٩ ).

(١) سورة الإخلاص، الآية ( ١ ) وقرأ الجمهور " أحدٌ " بالتنوين ، وقرأ زيد بن علي وأبان بن عثمان وابن أبي إسحاق والحسن وأبو عمرو في رواية عنه" أحدُ " بحذف التنوين لالتقاء الساكنين . **تنظر في:** البحر المحيط لأي حيان (٨/ ٥٢٨)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٥٨٨ )، السبعة لابن مجاهد (ص:٧٠١ ) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٨١٨)، معاني القرآن للفراء ( ١ / ٤٣٢ ).

(٢) سورة يس، الآية ( ٤٠ ) وقرأ بها عمارة بن عقيل الخطفي. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٣٨)، تفسير القرطبي (١٥/ ٣٣ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٦ )، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ١٧ ).

(٣) سورة الشعراء، الآية ( ٢٧ ).

(٤) قال العكبري في كتاب اللباب علل البناء والإعراب ( ٢ / ٤٨٩ ): " وأمّا ألف ابن فتثبت في الخطّ في كل موضع إلا إذا كان ابن صفةً مفرداً واقعاً بين علمين أو كنيتين على ما هو شرط فتح ما قبله في النداء فإنّه يُكتب بغير ألفٍ فعلى هذا تكتبه بالألف إذا كان مثنّى أو كان خبراً لمبتدأ ، وتكتب ابنة تأنيث ابن بالألف في كلّ حال" .

(٥) قرأ جمهور العشرة "يضاهُون" ، وقرأ عاصم وحده" يضاهئون" **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣١ )، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٧٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٤٥٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣١٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٨٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٩ ).

(٦) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي ولد الجواد=

مَرْيَمَ ﴾ فقال : ما اتخذنا أحبارنا أربابا ، فقال النبي ﷺ: أليسوا يحرمون عليكم الشيء مما أحله الله فتحرمونه ؟ ويحللون الشيء مما حرمه الله فتحللونه ؟ قال : نعم "[1]. قوله : ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يدل على أن اليهود والنصارى يسمون مشركين.

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ ضرب لهم مثلاً في عنادهم للحق والله ناصره بمنزلة من ينفخ في وجه عين الشمس ، ليطفئ نورها ، وذلك مما لا يؤثر شيئا.

قوله : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ مع أن بلاد الكفر أكثر من بلاد المسلمين بأضعاف كثيرة ! وفي تأويله وجوه : أحدها : أن ذلك يكون حين ينزل عيسى بن مريم معززاً لدين الإسلام ، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. والثاني : ليظهره بالحجة ، فالكفار وإن غلبوا على بعض الأطراف - مقهورون بالحجة . وقيل : ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي : ليطلعه ؛ كقوله

---

= المشهور أبو طريف أسلم في سنة تسع ، وقيل: سنة عشر. وكان نصرانيا قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي ومات بعد الستين وقد أسن قال خليفة : بلغ عشرين ومائة سنة . وقال أبو حاتم السجستاني: بلغ مائة وثمانين. **تنظر ترجمته في:** الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٤/ ٤٦٩ - ٤٧٠).

(١) رواه الترمذي ، رقم ( ٣٠٩٥ ) ، والطبري ( ١٧ / ٢٨٨، ٢١٩ ) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٧١)

تعالى : ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [١] أي : أطلعه ، يعني ليظهر نبيه على قواعد الدين كلها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ .

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ وهي المآكل التي كانوا يأكلونها على تحريف كتاب الله وتبديله ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن يكون " يَصُدُّونَ " متعديا ، أي : يصدون الناس ، ويجوز أن يكون لازماً ، أي : يعرضون عن سبيل الله . وجاء في الحديث: " كل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز " [٢] يعني: ولو كان ظاهراً على وجه الأرض، وكل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض، وهذا وضع شرعي ليس من الوضع الأصلي في شيء. ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الفضة؛ لأن أكثر النفقات بها. جعل عوض البشارة بالخير البشارة بالعذاب الأليم. ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ أي: يوقد عليها ، وخص هذه المواضع بالكي لأنهم كانوا إذا جاءهم السائل ظهرت الكراهة في وجوههم ( ٧١ / أ ) ويظهر القبول في الأسارير ، ثم يعرض بجنبه عن السائل ، ثم يوليه ظهره .

﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ﴾ يجوز أن يشار به إلى الذهب والفضة، فيقال لهم: هذا الذي أعددتموه لشدائدكم عذبتم به. ويجوز أن يقال: هذا الكي جزاء ما كنزتموه لأنفسكم، ولهذا قال: ﴿فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: جزاءه.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

---

(١) سورة التحريم ، الآية ( ٣ ).

(٢) رواه الشافعي في مسنده ( ١ / ٦١٢ )، والبغوي في شرح السنة ( ٣ / ٣٠٩ ) موقوفا على ابن عمر.

كانت الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد، ولكن كانوا إذا احتاجوا إلى تحليل شهر من الأشهر الحرم، جاءوا إلى رجل منهم معروف، فيحلل المحرم مثلا، ويجعل مكانه صفر محرَّما، لتبقى الأشهر الحرم أربعة كما كانت، فحافظوا على عدد الأربعة، ولكنهم أحلوا ما حرم الله وهو المحرم في مثالنا هذا، وحرموا ما أحله الله وهو صفر، وهذا النسيء. والنسيء: التأخير، فنزلت ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [(١)].

﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ ليوافقوا ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهي الأربعة ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهو المحرم. كانوا إذا دعوا إلى الجهاد اعتذر كثير من المنافقين وغيرهم بأعذار ضعيفة ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدلاً ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ثم هدد على ترك النصرة بقوله : ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي : يستبدل بكم ثم هدد على ترك النصرة بقوله : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ وجواب الشرط محذوف ، التقدير: إلا تنصروه ينصره الله كما فعل ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي : ألجئوه إلى الخروج ، ولم يباشروا إخراجه ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي : أحد اثنين ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر ؛ لقوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ﴾ [(٢)].

﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ كلام مستأنف ، فلذلك رفع بالابتداء ، ولو نصب لكان جعل كلمة الله عليا معلقا بالشرط ، وهو أمر حاصل مستقر .

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٣٠ )

(٢) قال العلامة ابن حجر الهيثمي : " أجمع المسلمون على أن المراد بالصاحب هنا أبو بكر ومن ثم من أنكر صحبته كفر إجماعا " . **ينظر** كلامه في كتابه : الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (١/ ١٩٠) ط . مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ – تحقيق : عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط .

ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ شبابا وشيوخا، موسرين ومتوسطين، محبين وكارهين.

أخبر الله نبيه أنه إذا رجع إليهم اعتذروا وحلفوا ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتخلف عن النبي ﷺ والكذب في العذر.

بدأ رسول الله ﷺ بالعفو قبل العتاب ؛ تخفيفا عن خاطره الشريف أن يؤلم بالعتب قبل السبق بالعفو .

قوله : ﴿أَن يُجَـٰهِدُوا۟﴾ (٧١ / ب ) أي : لا يستأذنك في ألا يجاهدوا ، وفي سورة النور ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [(١)] وهاهنا : ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لأن الاستئذان في سورة النور هو في الحضور في المشورة ، وهاهنا هو في ترك الجهاد .

﴿ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ خروجهم معكم . ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ صرف عزائمهم عن الغزو ، وكأنهم قد أمروا بالقعود ، والقاعدون : النساء والصبيان ، كقول الشاعر [ من البسيط ]:

دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها ... واجْلسْ فإنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكاسي [(٢)]

يعني : مثل النساء والصبيان يأكلون ويلبسون ولا يقاتلون .

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن

---

(١) الآية ( ٦٢ ) .

(٢) البيت للحطيئة يهجو الزبرقان ، **ينظر في** : الأغاني للأصفهاني ( ٢ / ١٧٦ ) ، تاج العروس للزبيدي (طعم ) ، تفسير القرطبي ( ٩ / ٣٦ ) ، دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ( ١ / ٣٤١ ) ، لسان العرب ( طعم ).

يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ إلا فساداً، وهذا استثناء من غير الجنس ؛ لأنه لم يكن بالنبي - ﷺ - ولا بصحابته خبال حتى يزدادوا. والإيضاع : ضرب من السير حثيثٌ.

﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي : يسمعون لينقلوا إليهم ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ تربصوا بكم الدوائر، وانتظروا آفات الزمان حتى جاء الأمر بخلاف ما ظنوه ، ولما طلب رسول الله ﷺ الناس للجهاد في غزوة تبوك ، وإلى قتال بني الأصفر ، قال الجد بن قيس - وهو أحد المنافقين - : يا رسول الله ، قد علمت قريش أني مولع بالنساء ، وإني أخشى إن قاتلوا بني الأصفر ورأيت حريمهم ونساءهم لا أصبر ومت حسرةً ، وربما فتنوني ، فقال الله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ أي : برؤية بنات الأصفر[1] ﴿أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ بالاعتذار عن الخروج مع النبي ﷺ .

﴿يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ أي : يقول القاعدون قد أخذنا بالأحوط ولم نخرج معكم. ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ أي : تنتظرون ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ وهو الشهادة إن قُهِرْنا ، والغنيمة إن قَهَرْنا. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ إحدى السوءتين ، وهو إما إهلاككم بأيدينا ، وإما عذاب ينزله الله بالمخالفين .

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٤٨ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢١٣ ) لابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿فَٰسِقِينَ﴾ خارجين عن الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ وقوله: ﴿أَن تُقْبَلَ﴾ يجوز أن يكون مفعولاً ثانيا لمنع، تقول: منعت زيداً مطلوبة، ويجوز أن يكون بدل اشتمال، و﴿أَنَّهُمْ﴾ فاعل منع.

﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالمصائب والآفات التي يصب فيهما. ﴿قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون العواقب فيتقون، وجهاً معكم ووجها معهم. (٧٢ / أ) ﴿مُدَّخَلًا﴾ مكانا. ﴿يَجْمَحُونَ﴾ معرضين عن موافقتكم. ﴿يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك. ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ﴾ فاجئوا بالسخط، وجواب لو محذوف، تقديره: لكان خيرا لهم. ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ لا لغيرهم فلذلك قال أبو حنيفة ومالك: إنما سيقت الآية لبيان أن هؤلاء هم المستحقون لا غيرهم، فيجوز المفاضلة بين الأنواع الثمانية. وقال الشافعي: لا بد من المساواة بينهم؛ لأن الله تعالى أضافها إليهم بلام التمليك، وشرك بينهم بواو التشريك[1]. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: مستمع لكل ما يحدّث به ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ من قرأ بالإضافة فتقديره: مستمع خير لكم. ومن قرأ بالتنوين [2] فتقديره: كونه مستمعاً خير لكم من كونه معرضاً عما يحدث به.

---

(١) **ينظر**: الأم للشافعي (٢ / ٩٤)، بدائع الصنائع للكاساني (٤ / ٢٣٢)، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٤١٣)، المبسوط للسرخسي (٣ / ٢).

(٢) قرأ نافع من العشرة " أُذْنُ خيرٍ " بسكون الذال وضم النون، وقرأ باقي العشرة " أُذُنُ خيرٍ " بضم الذال وبالإضافة وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم " أُذُنٌ خيرٌ " بالتنوين.
**تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٦٢، ٦٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٧٦)، حجة أبي زرعة (ص: ٣١٩، ٣٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٣ / ٤٧٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣١٥)، الكشاف للزمخشري (٢ / ١٩٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢١٦)

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾

إنما وحَّد الضمير في قوله : ﴿أَن يُرْضُوهُ﴾ لأن رضا الله فيه رضا رسوله ، ورضا رسوله فيه رضا الله . ﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ يكون في حد ، والرسول ﷺ في حد آخر . ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ﴾ توضح للناس ما أضمروه من النفاق، فكأنها تنبئهم بذلك ، وسببه أن المريب خصم نفسه ، وهو كقوله : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [(١)] وقوله : ﴿اسْتَهْزِئُوا﴾ ليس طلباً للاستهزاء ، وإنما هو تهديد ؛ كقوله : ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ اجتمع ناس من المنافقين ليلة العقبة فتحدثوا منفردين بأنفسهم فيما ينكرونه من أحوال النبي ﷺ وأحوال الصحابة رضي الله عنهم ، فقال لهم النبي ﷺ: " أما أنت يا فلان فقلت كذا ، وأما أنت يا فلان فقلت كذا " ، فقال بعض المؤمنين المخلصين: يا رسول الله مرنا فنضرب أعناقهم . فقال : " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه " وقالوا: يا رسول الله ، إنما كنا نتحدث حديث الركب ، ونقطع الطريق بأنواع الحديث ، فنزلت ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم﴾ [(٢)] فجعل الاستهزاء بالدين كفر . ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ بعد إظهاركم الإيمان . ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بالتوحيد ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ مصرة على نفاقها. ﴿بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾

---

(١) سورة المنافقون ، الآية ( ٤ ).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ( ص : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ) رقم ( ٥١١ – ٥١٣ ) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٢٥٤ ) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ .

يعني أنهم كالجسد الواحد ، وهكذا أهل المذاهب الفاسدة يعين بعضهم بعضاً. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن العطاء في سبيل الله.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أهملوا (٧٢ / ب ) أوامره فجازاهم على إهمالهم بالإهمال. ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ أي: هي الكافية في تعذيبهم ومجازاتهم .

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي : يعذب المكذبون من قومك كما عذب المتقدمون ولعنوا. ﴿بِخَلَاقِهِمْ﴾ بنصيبهم. ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ أي: كالخوض الذي خاضوه. وقيل: وضع (الذي) موضع (الذين) كقول الشاعر [ من الطويل ] :

فإنَّ الذي حانتْ بفَلْجٍ دماؤُهُم[1]

أي: فإن الذين. ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ قرى قوم لوط؛ لأنها قلبت بهم. ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ بالآيات الواضحات، فكذبوا فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بالإهلاك.

---

(١) هذا صدر بيت للأشهب بن رميلة وعجزه : ................ هم القوم كل القوم يا أم خالد

**ينظر** في : البيان والتبيين للجاحظ ( ١ / ٥٨٤ ) ، تفسير الطبري ( ١ / ١٤١ ) ، تفسير القرطبي (١/ ٢٥٦ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٣ / ٣٥ ) ، لسان العرب ( لذا ) ، وفلج : اسم بلد ومنه قيل لطريق يأخذ من طريق البصرة إلى اليمامة طريق بطن فلج . وفلج : هو واد بطريق البصرة إلى مكة ببطنه منازل للحاج . **ينظر** : لسان العرب ( فلج ) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٤ / ٢٧٢ ).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في القيامة بالنجاة من العذاب وبرفع الدرجات. وقوله تعالى: ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ أي: في جنات إقامة، فتكون الجنات نكرة لإضافتها إلى نكرة، ويجوز أن تكون عدن علماً على جنة مخصوصة ، فتكون جنات معرفة ، ورضا الله أعظم من الجنة ؛ لأن الجنة من ثمرات رضا الله ، ولقوله بعد وصف الجنة : ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧٣) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤) وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٧٥) فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ (٧٧) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ (٧٨) ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)﴾

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجة. يجوز أن تكون ﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ مفعولاً ، ويكون ﴿قَالُوا۟﴾ بمعنى ذكروا وأظهروا ، ويجوز أن تكون مصدراً. ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ وما عابوا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ﴾ بالغنائم ، وذلك مما لا يعاب ، وهو كقوله: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٨)﴾ (١) وسأل ثعلبة بن قيس رسول ﷺ أن يدعو له بكثرة المال ، فقال له : " قليل يكفيك خير من كثير لا تقدر على شكره" ، فأعاد السؤال ، فأعيد الجواب ، فأعاد السؤال ثالثاً ، فدعا له رسول الله ﷺ ، فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود ، فانقطع بها في الأودية وأماكن المرعى ، وانقطع عن الصلاة في الجماعة مع النبي ﷺ ، فسأل عنه النبي ﷺ ، فأخبر فلما توجه السعاة لأخذ الصدقات مروا به وطلبوا زكاة ما معه ، فحسبه فاستكثره ، وقال: اذهبوا إلى غيري ، فإذا رجعتم فمروا عليَّ ، فلما عادوا ومروا عليه قال لهم : ما هذه إلا أخت الجزية، وقال النبي ﷺ قبل أن يصل رسله إليه : " يا ويح ثعلبة " فجاء الرسل ، فأخبروه بما قال ، فقال : يا ويح ثعلبة ، ثم إن ثعلبة خاف على نفسه ، فأحضر ما طلب منه من الزكاة فلم يقبله النبي ﷺ ، وأنزل الله (٧٣ / أ) ﴿وَمِنْهُم مَّنْ

---

(١) سورة البروج ، الآية ( ٨ ).

عَٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ فوضع ثعلبة التراب على رأسه فلم يقبل منه النبي ﷺ شيئاً ، ثم جاء في خلافة أبى بكر بزكاته ، فلم يقبلها ، ثم جاء زمان عمر، فلم يقبلها، وتوفي في خلافة عمر[(١)].

ووجه امتناعهم من قبول زكاته من قوله تعالى : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ فدل على استمرار النفاق إلى الموت ، والمنافق كافر لا تقبل له زكاة.

لما حث رسول الله ﷺ الناس على الإنفاق في سبيل الله – جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم ، وجاء عثمان بألف دينار ، وعمل أبو عقيل يومه في الجرير[(٢)] فحصل له صاع ، فأوصل إلى عياله نصف صاع ، وأحضر للصدقة نصف صاع ، فقالوا : ما أراد عثمان وعبد الرحمن بن عوف إلا الرياء ، وما أراد أبو عقيل بهذا القدر اليسير إلا أن يذكر ويعوض إذا جاءت الصدقات ، فنزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٣)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٩٠ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٤٦ ) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والباوردي وأبي نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن أبي أمامة الباهلي ﷺ . قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٨٦ ) : " قال البيهقي : وفي إسناده نظر ، قال : وهو مشهور بين أهل التفسير قال : وكان النبي ﷺ عرف نفاقه قديما ثم زيادته حديثا وموته عليه بما أنزل الله عليه من الآية فلم يأخذها منه ، انتهى كلامه . وأعله السهيلي في الروض الأنف وقال: قال البخاري: علي بن يزيد أبو عبد الملك منكر الحديث ، قال السهيلي : وقد عده ابن إسحاق في المنافقين وذكر هذه الآية التي نزلت في ثعلبة بن حاطب لكنه ذكر في البدريين ثعلبة بن حاطب ولم ينسبه فلعله رجل آخر وافق اسمه وإن كان هو فذكره في البدريين وَهْمٌ والمنافق هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس" . انتهى كلامه.

(٢) يريد أنه كان يستقي الماء بالحبل، والجرير : حبل مفتول من أدم يكون في أعناق الإبل ، والجمع : أجرة وجران و أجره .

**ينظر**: لسان العرب ( جرر ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (١/ ٢٥٩).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٩٤ ) ، وروى نحوه البخاري رقم ( ٤٣٩١ ) ، ومسلم رقم ( ١٠١٨ ) عن أبي مسعود قال : " أمرنا بالصدقة قال كنا نحامل قال : فتصدق أبو عقيل بنصف صاع قال : وجاء إنسان بشيء أكثر منه فقال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ ولم يلفظ بشر بالمطوعين " .

واللمز: العيب، ومنه قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ (١) وقوله: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ (٢).

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ بقعودهم ﴿فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا﴾ فسيكون بكاؤهم كثيراً ﴿مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ مع النساء والصبيان، وأراد النبي ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أُبيٍّ المنافق، فجذبه عمر، فقال: أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا؟! فنزلت ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ (٣).

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ

---

(١) سورة الهمزة، الآية (١).

(٢) سورة الحجرات، الآية (١١).

(٣) رواه البخاري رقم (١٢١٠)، ومسلم رقم (٢٤٠٠).

تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

قوله تعالى : ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ مع النساء والصبيان والعاجزين عن القتال. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ منعها أن تصل إليها الألطاف(1) .

﴿الْمُعَذِّرُونَ﴾ المعتذرون.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۚ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ ﴾

﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ نهي عن الاعتذار ، وعلل ذلك بأنا لا نصدقكم ، وعلل عدم التصديق بقوله : ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ وهذا يشبه قوله : ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ وعلل فيض الدمع بما حصل من الحزن بقوله : ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ ففي كلا الموضعين ذكر العلة وعلة العلة . ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ويجازيكم عليه ؛ لأن التهديد والوعيد بالعذاب أشد من التهديد بالإنباء بما كانوا يعملون .

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ فإن حصل لهم رضاكم فقد فاتهم ما هو أعظم منه من رضا الله . ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ لبعدهم من أهل العلم ، ولشدة غلظ طباعهم مما يكابدونه من شدة الحر وشدة البرد .

---

(1) **الألطاف** : جمع اللطف وهو البر والتكرمة والتحفي ، يقال : لطف به لطفا ولطافة وألطفه وألطفته أتحفته وألطفه بكذا أي : بره به والاسم اللطف بالتحريك ، وجاءتنا لطفة من فلان أي : هدية .
**ينظر** : لسان العرب ( لطف ).

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾ ولا يعتد الزكاة مغنماً ، بل (٧٣ / ب ) يعدها من آفات الأموال . ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ بالمؤمنين أن يموتوا فينقطع الطلب بموتهم ثم دعا عليهم بقوله : ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ والدعاء من الله دليل على الغضب ؛ لأن الإنسان إنما يدعو على من غضب عليه وأما حقيقة الدعاء فلا تليق بجلال الله ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ ودعوات الرسول . ﴿أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ كما طلبوا.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٠٠) وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ (١٠١) وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٠٢) خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ (١٠٤) وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠٦)﴾

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ يريد : والسابقون من الأنصار.

قال عمر : كنت أظن أنها والأنصار، بالرفع عطف على ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وأقول: قد خصصنا معشر المهاجرين بأن السابقين منا ، ثم نبئت أنها ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ عطفاً على ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ أي : والسابقون الأولون من المهاجرين والسابقون الأولون من الأنصار[1].

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ بالقرب من المدينة ﴿مُنَٰفِقُونَ﴾ قد ضربت أنفسهم بالكفر ومردوا عليه ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ قال بعض النحويين : علم هاهنا بمعنى عرف ؛ لأنها تعدت إلى مفعول واحد ، وعليه إشكال ، وهو أن الله تعالى لا يقال في علمه معرفة ؛ لأن التعرف يستدعي تقدم جهل ، ويستدعي بحثاً ، حتى يحصل به المطلوب ، وقد أخذ على القاضي أبي بكر بن الباقلاني[2] في قوله في حد العلم : " أنه معرفة المعلوم

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١١ / ٨ ) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٤٨٣ ) لأبي عبيد وابن المنذر وابن مردويه وأبي الشيخ عن محمد بن كعب .

(٢) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر القاضي الباقلاني ، من كبار علماء الكلام ، انتهت إليه=

على ما هو به "، فقيل له : العلم أعم من المعرفة ، وعلم الله ليس بمعرفة ، فلا يدخل في حدك[١].

ومثل هذه الآية قوله في الأنفال : ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [٢]﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ أي: في الأموال والأنفس في الدنيا. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ في الآخرة ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ﴾ كل واحد منهما مخلوط ، ولو قيل : خلطوا عملاً صالحاً بآخر كان العمل الصالح مخلوطاً ، والسيئ مخلوطاً به.

﴿صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ تدحض عنهم أوصاف الذنوب . ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم إن دعواتك تسكن إليها أنفسهم .

﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ جاء في الحديث : " إن الصدقة تقع بيد الرب قبل أن تقع بيد العبد فيربيها كما يربي أحدكم فَلُوَّهُ ، أو فصيله " [٣]. وأخذه تعالى الصدقات كناية عن تقبلها والاعتداد بها. ﴿مُرْجَوْنَ﴾ مؤخرون.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ

---

= رئاسة مذهب الأشاعرة ، وكان جيد الاستنباط سريع الجواب . ومن كتبه : إعجاز القرآن ، الإنصاف، الملل والنحل . توفي سنة ٤٠٣ هـ . **تنظر ترجمته في** : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥/ ٣٧٩ ) ، وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١ / ٤٨١ ).

(١) **ينظر** قول الباقلاني في كتابه " تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل " ( ١ / ٢٥ ) ط . مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ١٩٨٧ م - تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، ونقله عنه الإيجي في كتاب المواقف ( ١ / ٥٣ ) ، والقنوجي في كتاب أبجد العلوم ( ١ / ٢٦ ) وزاد الباقلاني فقال : " فإن قال قائل : فلم رغبتم عن القول بأنه معرفة الشيء على ما هو به إلى القول بأنه معرفة المعلوم على ما هو به ؟ قيل : لما قام من الدليل على أن المعلوم يكون شيئا وما ليس بشيء ولأن المعدوم معلوم وليس بشيء ولا موجود فلو قلنا حده أنه معرفة الشيء على ما هو به لخرج العلم بما ليس بشيء من المعلومات المعدومات عن أن يكون علما وذلك مفسد له فوجب صحة ما قلناه وبالله التوفيق " .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ( ٦٠ ) .

(٣) رواه أحمد ( ٢ / ٢٦٨، ٤٠٤، ٤٧١ ) ، والترمذي رقم ( ٦٦٢ ) ، وابن خزيمة رقم ( ٢٤٢٦ ) .

خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾

وكان جماعة من المنافقين يودون أن يكون لهم مسجد منفرد عن المسلمين الخلص يفضي بعضهم إلى بعض أسرارهم، فقالوا: يا رسول الله ، إنه يكون المطر والسيل فيمنعنا من الوصول إلى مسجدك (٧٤/ أ) فاستأذنوه في بناء المسجد الضرار بناء على ظاهر الأمر، فنزلت ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [(١)]. وكان أبو عامر الراهب يعد الناس قبل بعثة النبي ﷺ أنه سيأتي نبي نقاتل معه الكفار ونكون من حزبه ، فلما بعث النبي ﷺ حسده ، فلما انهزم المشركون يوم بدر همَّ بالدخول في الإسلام ، ثم قال : أثبت حتى تقع واقعة أخرى ، فانهزم المسلمون يوم أحد ، فاستمر على كفره وقال: هذا محمد ليس هو الذي كنت أعدكم به ، وتوجه إلى الشام ليستنصر بقيصر على النبي ﷺ ، وكان المنافقون ينتظرونه ، وهو معنى قوله : ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [(٢)].

﴿لَا تَقُمْ﴾ في مسجد الضرار ﴿أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وهو مسجد المدينة[(٣)]. وقيل: هو مسجد قباء[(٤)]. قوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ سألهم النبي ﷺ عما يصنعون؟ فقالوا: نتبع الحجارة الماء"[(٥)].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١١ / ٢٣ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١١ / ٢٤ - ٢٥ ).

(٣) هذا قول ابن عمر وزيد بن ثابت وأبي سعيد - رضي الله عنهم - رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٢٧ ).

(٤) هذا قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره رواه الطبري في تفسيره ( ١١ / ٢٧ - ٢٨ ) ثم قال : " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال هو مسجد الرسول ﷺ لصحة الخبر بذلك عن رسول الله ﷺ " .

(٥) ذكره بهذا اللفظ الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١ / ٢١٢ ) عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال : "رواه البزار وفيه محمد بن عبد العزيز بن عمر الزهري ضعفه البخاري والنسائي وغيرهما " .

ورواه أبو داود رقم ( ٤٤ ) ، الترمذي رقم ( ٣١٠٠ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣٥٧ ) بنحوه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ قال : كانوا=

روي أنه حفر موضع الضرار فخرج منه دخان كثير، وهو معنى قوله: ﴿عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [(١)].

﴿رِيبَةً﴾ حسرة، حيث لم ينالوا ما أملوا. ﴿اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ وهي ملكه بثبوت الجنة لهم وهي عطاؤه، ومن قرأ ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [(٢)] فهو إما لأن الواو لا تقتضي ترتيبا أو تقتضيه [(٣)] ولكن المعنى يُقتَل بعضُهم ويُقاتِل الباقونَ الكفارَ، وهذا كقراءة من قرأ في آخر آل عمران ﴿وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ [(٤)] وقراءة من قرأ في البقرة ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ [(٥)].

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ

---

= يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية". وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم ( ٣٤ )، وفي صحيح ابن ماجه رقم ( ٢٨٥ ).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١١ / ٣٣ ) وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٢٩٣ ) لمسدد في مسنده وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: " لقد رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حيث انهار على عهد رسول الله ﷺ ".

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف " فيُقتَلونَ ويَقتُلونَ " ، وقرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " فيَقتُلونَ ويُقتَلونَ ".
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٠٢ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٧٨ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣١٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢١٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٤٦ ) .

(٣) تقدم الحديث عن هذا عند تفسير سورة آل عمران ، الآية ( ٥٥ ).

(٤) الآية ( ١٩٥ ) وقرأ حمزة والكسائي " وقُتِلوا وقَتلوا " وقرأ ابن كثير وابن عامر " وقاتلوا وقُتِّلوا " ، وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم " وقَتَلوا وقُتِلوا " .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ١٤٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٢٨٩) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٢٢١ ) ، الكشاف للزمخشري (٤٥٧/١).

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٩١) وقرأ كذلك بغير ألف حمزة والكسائي ، وقرأ باقي العشرة بألف " ولا تقاتلوهم – حتى يقاتلوكم – فإن قاتلوكم " .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٦٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٤٨١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٧٩ - ١٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٢٣٦ ).

لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

قيل : ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ في الآية الصائمون . كان النبي ﷺ لما علم أن أبا طالب مات على الكفر قال: "والله لأستغفرنَّ لك ما لم أنه عنك" ، فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الآية[1].

واعتذر من استغفار إبراهيم لأبيه بأن ذلك كان بوعد سبق بقوله في سورة مريم : ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [2] وقرئ في الشاذ " وَعَدَهَا أباهُ " [3] بنقطة واحدة من أسفل . وقيل : كان الوعد من أبي إبراهيم لإبراهيم ، وعده أن يؤمن ، لقوله : ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [4].

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

---

(١) رواه البخاري رقم ( ١٢٩٤ ) ، ومسلم رقم ( ٢٤ ) .

(٢) سورة مريم ، الآية (٤٧ ).

(٣) قرأ بها الحسن وحماد الراوية وابن السميقع وأبو نهيك .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ١٠٥)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٥٠٨ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ١٧٤)، مفاتيح الغيب للرازي (١٦/ ٢١٠).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ١٧١ ).

قوله تعالى : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ وهم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة ابن الربيع كانوا قد تخلفوا عن السفر (٧٤/ب) عن النبي ﷺ في غزوة تبوك ، فلما قدم همُّوا بأن يعتذروا بأعذار كاذبة ، ثم قالوا : الصدق أقرب إلى النجاة فاعترفوا بتقصيرهم ، فنهى النبي ﷺ عن كلامهم ، فأقاموا خمسين ليلة لا يكلمهم أحد حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، ثم قبل الله توبتهم وبشرهم[1].

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وقالوا : لو كنا اعتذرنا بأعذار كاذبة لدخلنا في زمرة من قيل فيهم : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ الآيات[2].

من نوى عبادة تشتمل على أنواع من التعبد لم يحتج إلى النية عند كل جزء منها، فلا ينوي في الصلاة ركوعها ولا سجودها، ولا ينوي في الحج سعيه ولا وقوفه، ولا في الجهاد في كل نفقة وكل قطع واد[3].

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ المجاورون لأهل المدينة ومن حولهم أن يَنْفِرُوا إلى رسول الله ﷺ ليتعلموا العلم ؛ لما في ذلك من الخوف على عيالهم أن يغار عليهم ، وعلى أموالهم أن تذهب ، فإذا تعذر نفير الجميع فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ الفئة النافرة ، وتعلم ما تجدَّدَ من الوحي ، وما نسخ من الأحكام . ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ المقيمين ﴿إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الجهل بأحكام الله .

وقيل : وما كان المؤمنون المقيمون في المدينة ومن حولهم أن ينفروا عن رسول الله ﷺ في الغزوات والسرايا التي يبعثها ؛ لئلا يبقى النبي ﷺ وليس معه أحد ، فيطمع فيه اليهود والمنافقون ، فإذا تعذر نفير الجميع عنه ، فهلا نفر من كل فرقة من المقيمين طائفة في السرايا والبعوث لتتفقه الفئة المقيمة عند الرسول ﷺ ، ولتنذر الفئة المقيمة قومهم إذا رجعوا إليهم من السرايا، ويعرفونهم ما تجدد من الأحكام.

---

(١) رواه البخاري رقم (٤١٥٦) ، ومسلم رقم (٢٧ ٦٩) في حديث طويل .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١ / ٦) عن كعب بن مالك قال : " والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ .

(٣) **ينظر** : الأم للشافعي (١/ ٨٤) ، بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٢٢٦) ، المغني لابن قدامة (٣/ ٢٣).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾

ثم أمر الله المؤمنين بقتال الكفار كافة، وأن يبدأ منهم بالذين يلونهم؛ لأن ضررهم أقرب فقتالهم أهم. وقوله: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ إنما ينهى عن الفعل فاعله، فكيف يأمرنا أن يجد المنافقون فينا غلظة ؟! وهو كقول سيبويه: لا أرينك هاهنا [(١)]، وكقوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [(٢)] ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [(٣)].

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ﴾ ما زائدة ، ومن المنافقين من يقول : ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لأنه لما نزلت الآية فآمنوا بها وبما فيها من الأحكام - تجدد لهم إيمان بما نزل . وقد اختلف الناس في أن الإيمان هل يزيد وينقص ؟ والذي يظهر أن الإيمان على عهد رسول الله ﷺ يزيد بزيادة الوحي ، ووجوب التصديق بما يتجدد [(٤)]. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم

---

(١) **ينظر** : الكتاب لسيبويه ( ٣ / ٤٩ ).

(٢) سورة لقمان ، الآية ( ٣٣ ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ٢٧ ).

(٤) قال صاحب شرح العقيدة الطحاوية ( ١ / ٣٤٢ ) : " والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جدًّا : منها : قوله - تعالى : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ ، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ ، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ **وينظر** في هذه المسألة في: الاعتقاد للبيهقي (١/ ١٧٤) ، شرح العقيدة الطحاوية ( ١ / ٣٤٢ ).

﴿مَّرَضٌ﴾ وهم المنافقون ﴿فَزَادَتْهُمْ﴾ الآية المتجددة ﴿رِجْسًا﴾ لتكذيبهم بها ﴿إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ السابق بتكذيبهم بالآيات السابقة .

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يمتحنون ويبتلون.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ حلوا محل من يدعى عليه بصرف قلوبهم عن الخير؛ بسبب أنهم لا يفقهون سر هذه الأحكام ، فيكذبون ما لا يوافق خواطرهم .

﴿رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ تعلمون صدقه وأمانته ، يعز عليه كل ما يشق عليكم ، ويحرص على هداكم، شديد الرأفة من المؤمنين ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَقُلْ﴾ يكفيني الله فلا أحتاج إلى عونكم ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي : لا أتوكل إلا عليه ؛ لأن تقدم المجرور يدل على الاختصاص. والله أعلم .

* * *

## سورة يونس [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعًاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٌ مِّنۡ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله - تعالى : ﴿ٱلۡحَكِيمِ﴾ المحكم ، قال الأعشى[(١)] [ من الكامل ] :

وقصيدةٍ تأتي الملوكَ حكيمةٍ ... قد قلتُها ليقالَ مَنْ ذا قالَها[(٢)]

تعجب الكفار أن يبعث إليهم بشر مثلهم ، وتعجبهم هو العجب ؛ لكون الرسول منهم ، يعلمون صدقه وأمانته يكون أقرب إلى الإيمان به. ﴿أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ هو ما قدموه من الأعمال الصالحة ، والصدق وصف له بالكرم والشرف ؛ كقوله : ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾[(٣)] .

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ في مقدار ﴿سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ إذ لا أيام قبل خلق السماوات والأرض ، فإن اليوم إنما هو دورة الشمس ولا شمس ، فلا يوم .

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ استولى ، قال الشاعر [ من الرجز ] :

قد استوى بشرٌ على العراقِ ... مِنْ غيرِ قهرٍ ودمٍ مِهْراقِ[(٤)]

---

(١) هو ميمون بن قيس بن جندل ، أبو بصير ، يقال له : أعشى قيس ، وأعشى بكر بن وائل ، والأعشى الكبير، من شعراء الجاهلية وأحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة ، سمي : صنَّاجة العرب ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات سنة ٧ هـ . تنظر ترجمته في : الأغاني للأصفهاني ( ١٢ / ٥ ) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ( ص : ٢٦٣ ) ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ( ص : ٦٥ ) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة آل عمران ، الآية ( ٥٨ ) .

(٣) سورة القمر ، الآية ( ٥٥ ) .

(٤) تقدم تخريج الشعر والتعليق على هذه المسألة في سورة الأعراف ، الآية ( ٥٤ ) .

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ فيه دليل على أن المفرد المعرف بالألف واللام يعم . لا يستطيع أحد الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [1] ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوف بهذه الصفات ﴿ٱللَّهُ فَٱعْبُدُوهُ﴾ فذلوا له واخضعوا ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر.

﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ﴾ عند إعادته ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بالعدل ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ ما يشاء. (٧٥/ب) الحميم : الماء الحار، قال الشاعر يصف امرأة تغتسل بماء حار [ من المتقارب ] :

كأنَّ الحميمَ على مَتْنِها إذا اغترَفَتْهُ بأَطْسَاسِهَا

جُمانٌ يَجُولُ على فِضَّةٍ جَلَتْهُ حَدائدُ دُوَّاسِهَا[2]

﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بسبب كفرهم . الضياء أقوى من النور؛ لقوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ ولقوله : ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [3] وهو أبلغ من أن يقول ضوءهم .

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥) إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ (٧)﴾

﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ أي : في منازل ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ وكانت العرب لا تقرأ ولا تكتب ، فلو كلفوا معرفة الشهور الشمسية أو الرومية لم يعرفوا ذلك ، ولم يحفظوه ، فجعل لهم رؤية الهلال ثم زيادة نوره شيئا فشيئا ، حتى يكمل ثم يعود ينقص قليلاً قليلاً

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٥ ) .

(٢) ينظر البيتان في : النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٧٢ ) ويروى البيت الثاني :

جمان يجل على وجنة علته حدائد دواسها

**ومتنها** : ظهرها ، **والأطساس** : جمع " طس " وهو وعاء من نحاس لغسل الأيدي . **والجمان** : اللؤلؤ الصغار . وقيل : حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ . **ينظر** : لسان العرب ( جمن - طسس ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ١٧ ) .

حتى يستتر فيعلمون انتهاء الشهور وتوسطها بالقمر.

﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بالطول والقصر وأن كل واحد منها يخلف الآخر عند ذهابه ؛ لقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ [1]﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الشمس والقمر والكواكب والأفلاك ﴿وَٱلْأَرْضِ ﴾ من العشب والنبات والجبال والبحار والأنهار.

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ﴾ لا يطمعون في ثواب الجنة . وقيل : ﴿لَا يَرْجُونَ ﴾ لا يَخَافُون قال الشاعر يصف جاني العسل [ من الطويل ] :

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يرْجُ لَسْعَها[2]

أي : لم يخَفْ ، والدَّبْر: الزنابير.

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ( ٦٢ ) .

(٢) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب يصف عسَّالا يجتني عسلا ، وعجزه :

وحالفها في بيت نوب عواسل

**ينظر في** : تاج العروس للزبيدي ( نوب ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ٢٤٩ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٢٠ / ١٣٧ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٧٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٤١ ) ، لسان العرب ( نوب ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ١٨١ ) **والدبر** : ذكر النحل ، ولم يرج : لم يخف ، **وحالفها** : لازمها ، ويروى : خالفها أي : خالف مرادها أو جاء خلفها بعد خروجها ، **والنوب** : نوع من النحل ، **وعواسل** : كثير العسل ، ويروى : عوامل أي : تعمل العسل .

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟﴾ سكنت نفوسهم إليها. ﴿عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ عن تدبرها والعمل بما فيها ﴿تَجْرِى﴾ من تحت أشجارها أنهار كعادة البساتين، أو: من تحت غرفهم؛ لقوله: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [1].

قيل: كان إذا أعجبهم شيء في الجنة، وأرادوا حصوله لهم قالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾[2] ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ يحيي بعضهم بعضاً بالسلام. وقيل: الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم. وقيل: يسلم الله عليهم لقوله - تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[3].

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لكنا لا نعجل للناس استعجالهم بالشر ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ على حسب اختلاف أحواله: مضطجعاً أو قاعداً (٧٦/ أ) أو قائماً. ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ فاحذروا يا أهل مكة أن تفعلوا مثل فعلهم، فيحل بكم ما حل بهم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ ليظهر للعباد ما انطوت عليه سرائركم. قوله: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ﴾ أي: يحرم عليَّ؛ كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾[4] تقدم قول الرماني أن قوله: ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ جملة حالية معترضة بين الفعل ومفعوله، أي: إني أخاف عاصياً ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[5] والقياس: عذاب يوم عظيم، لكن عظم اليوم يحسب بما يقع فيه من العظائم، فكل ما عظم به اليوم عظم العذاب.

---

(١) سورة الزمر، الآية (٢٠).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٨٩ - ٩٠).

(٣) سورة يس، الآية (٥٨).

(٤) سورة آل عمران، الآية (١٦١).

(٥) تقدم في سورة الأنعام، الآية (١٥).

قرئ ﴿وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦ﴾ عطفاً على ﴿مَا تَلَوۡتُهُۥ﴾ وكذلك قراءة من قرأ (ولا أدرأكم)[١]. لكنه في الأول نفي الدراية ، وفي الثاني إثبات لها لكن انقلب بدخول " لو " فصار الأول المنفي إثباتا ؛ فإنه تلاه عليهم . والثاني المثبت نفيا ؛ لأن المراد : ولا أدراكم به على لسان غيري ، ولم يدرهم به على لسان غيره .

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡ فِيمَا فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ فَقُلۡ إِنَّمَا ٱلۡغَيۡبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ في المفترين ﴿مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ وقوله : ﴿كَذِبًا﴾ يجوز أن يكون مصدراً ، كقولك : قعد جلوساً ، ويجوز أن يكون مفعولاً لـ ﴿ٱفۡتَرَىٰ﴾ اقتطع كذباً .

﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ﴾ إن تركوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ إن عبدوه . ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ﴾ ويلزم من نفي علم الله بالشيء نفيه ، لأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

وقد ادعى فرعون مثل هذا حماقة منه بقوله : ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾[٢] فيقال له : لا يلزم من عدم علمك بالشيء عدمه.

---

(١) قرأ ابن كثير بخلف عن البزي " ولأدْراكم به " وقرأ باقي العشرة وهو الوجه الثاني عن البزي " ولا أدراكم به" ورواها الفراء " ولا أدرأتكم به" ، وقرأ الحسن " ولا أدْرَأْتُكم " .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٣٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ١٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢/ ١٨٤) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٢ ) .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٣٨ ) .

الهاء في ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ في موضع خفض بالإضافة ولو ظهر ذلك المضمر مجروراً لكان في موضعه قولان : نصب أو رفع ؛ لأن معنى قوله : سبحان الله : نزهت الله ، أو: تنزه الله ، ويترجح الثاني بقوله : ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ﴾ فيعطف عليه الفعل الماضي.

﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الحق ﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فبعث الله النبيين. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ بتأخير العذاب لعجل لهم وفرغ منهم . ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ ولولا بمعنى هلا ، أي : لو نزلت الآية لآمنا . ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ فقال الله – تعالى : لا تحلفوا ، فإن إيمانكم بتقدير نزول الآية عبث ، فيجوز أن يُقلِّبَ اللهُ الأفئدة والأبصار ( ٧٦ / ب ) فلا تؤمنوا . ثم حقق هذا بقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ﴾ الآية[1] ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ فاجأهم المكر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾

من قرأ ﴿يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [2] فمعناه: يفرقكم . وقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ ليس كونهم في الفلك علة ليسيركم ولا لينشركم ، لكن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ دخلت على هذه الجملة

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ١١١ ) .

(٢) قرأ بها ابن عامر وحده ، وقرأ الباقون " يسيركم " .

**تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٥/ ١٣٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١٦) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٥ )، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٣٨ ) .

إلى آخرها ، فكأنه قال : هو الذي يسيركم في البر والبحر، حتى وقعت هذه الجملة ، والفلك هاهنا مفرد ، وصيغة إفراده وجمعه سواء .

﴿وَجَرَيْنَ﴾ أضمر الفلك جمعاً. وجواب إذا : ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ﴾ أو ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ إذا للمفاجأة. وعن بعضهم : ثلاث من كن فيه كن عليه : النكث والمكر والبغي[1] والبغي بقوله : ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ والمكر بقوله : ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[2] ، والنكث بقوله : ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[3] .

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه . مَثَلُ الدنيا في سرعة إقبالها وزينتها وبهجتها بهذه الجملة ، ولم يشبه الدنيا بالماء وحده كما ظنه بعضهم وقال : الدنيا تشبه الماء من وجهين : أحدهما : لو قبضت بكفك على الماء لم تجد منه شيئاً. والثاني : أنك إن أخذت منه أكثر من الحاجة أضر بك. ﴿أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ كأنها حسنت نفسها بما تريد .

﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الجنة ، والسلام اسم من أسماء الله - تعالى - كأنه قال : دار الله . وقيل: هي دار تحييهم الملائكة فيها بالسلام ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ الآية[4] .

وقيل : دار السلامة . والزيادة : النظر إلى وجه الله . وقيل : ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[5] .

المعنى : والذين كسبوا السيئات جزاء . وقيل : التقدير : والذين كسبوا السيئات لهم جزاء سيئة . من قرأ (قطْعا) بسكون الطاء فـ "مظلم" صفته ، ومن قرأ ( قطَعا) بفتحها[6]، فهو حال من ﴿ٱلَّيْلِ﴾ .

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٣٥٣ ) لأبي الشيخ عن مكحول .

(٢) سورة فاطر ، الآية ( ٤٣ ) .

(٣) سورة الفتح ، الآية ( ١٠ ) .

(٤) سورة الرعد ، الآية ( ٢٣ ) .

(٥) سورة السجدة ، الآية ( ١٧ ) .

(٦) قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب " قِطْعا " ، وقرأ باقي العشرة " قِطَعا " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص :١٨١ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٣٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٥ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٣٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٢ ) .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣٤) ﴾

﴿مَكَانَكُمْ﴾ أي : الزموا مكانكم ﴿فَزَيَّلْنَا﴾ فرقنا ، وأنكرت الأصنام عبادتهم لها بقوله : ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ لأنهم كانوا لا يعقلون ، وهو معنى قوله : ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ . من قرأ ( تبلو ) بالباء بواحدة ، فمعناه : تخبر ، ومن قرأ بتاء باثنتين[1] من فوق ، ففيه وجهان : أحدهما : تتلو كتاب عملها. والثاني : تتلو، أي : تتبع ، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [2] أي : تبعها . ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ بالمطر ، ومن الأرض بالنبات . ﴿يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ يقدر على إبقائهما وأخذهما.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ﴾ ومضى الكلام في توحيد السمع وجمع الأبصار، وفي إخراج الحي ( ٧٧ / أ ) من الميت والميت من الحي[3] .

﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذاب الله في تشريككم معه في الإلهية من لم يفعل شيئا من هذه الأمور ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فمن أين صرفتم عن الإقرار بالوحدانية .

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي : حقت كلمة ربك حقًا مثل ذلك ، والكاف في موضع نصب على النعت لمصدر محذوف . من قرأ ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بفتح الهمزة ، فهو: إما بدل وإما منصوب

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " تتلو " وقرأ باقي العشرة " تبلو " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥/ ١٥٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٨١ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٣١ ) ، الدر المصون للسمين ( ٤ / ٢٩ ) السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٣٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٣ ) .

(٢) سورة الشمس ، الآية (٢) .

(٣) تقدم في تفسير سورة آل عمران ، الآية (٢٧) .

أو مجرور على حذف حرف الجر. ومن كسر الهمزة [١] فهو كلام مستأنف ، وفيه معنى التعليل. وقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وهم لا يعترفون بأن الله يعيد الخلق ؛ لأنهم اعترفوا بأن الله بدأ الخلق ، ومن لازم ذلك جواز إعادته . وقد قيل : كل موضع أمر الله نبيه بالسؤال عن أمر ، ثم أجاب عنه ، فإنه يكون في غاية الظهور . الإفك : القلب .

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٥) وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ (٣٦) وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٧) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٣٨) بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ (٣٩) وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ (٤٠) وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٤١)﴾

هدى تتعدى بإلى وباللام وبنفسها ، وها هنا عداها باللام وبـ " إلى " .

﴿يَهِدِّيٓ﴾ أصله : يهتدي ، أدغمت التاء في الدال ؛ لقرب مخرجيهما ، ومن كسر الهاء من ( يهدي ) فقد أتبعها بكسرة الدال ، ومن كسر الياء أيضاً فقد أتبعها بكسرة الهاء [٢]، ومثل هذه اللغات في يتخطف .

---

(١) قرأ بها ابن أبي عبلة ، وعبد الله بن مسعود . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٣٠ ) معاني القراء للفراء ( ١ / ٤٦٤ ) .

(٢) في هذه الآية قراءات كثيرة ؛ فقرأ أبو عمرو وقالون بخلف عنه " لا يَهدى " بفتح الياء ، واختلاس فتحة الهاء مع تشديد الدال ، وقرأ أبو جعفر وقالون " لايَهْدِّي " بفتح الياء وإسكان الهاء مع تشديد الدال ، وقرأ ابن كثير وابن عامر وورش " لاَ يَهَدِّي " فتح الياء والهاء وتشديد الدال ، وقرأ شعبة " لا يهِدِّي " بكسر الياء والهاء وتشديد الدال وقرأ حفص عن عاصم ويعقوب " لا يَهِدّي " بفتح الياء وبكسر الهاء وتشديد الدال ، وقرأ الباقون "لا يَهْدِي" بفتح الياء وإسكان الهاء وكسر الدال بلا تشديد . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٥٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص :١٨١ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣٣١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٣١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٤٦ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٥ / ١٠٨ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٨٣ ) .

﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ﴾ حال ﴿أَن يُهْدَىٰ﴾ أو زمن أن يهدى . ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ جملتان. ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ في العقائد ، أما الأحكام الشرعية فأكثر أدلتها ظنون . ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ افتراءً ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ لا سبب ريب فيه ، بل أتقولون افتراه ، تحداهم بالقرآن كله : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ﴾ الآية[1]، ثم تحداهم بعشر سور في سورة هود[2] ، ثم تحداهم بسورة واحدة في هذه السورة وقيل : تحداهم أيضاً بقصة أو حديث مستقل أقصر من السورة كقوله : ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[3] ولم يأتهم عاقبته ﴿عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يجوز أن يكون اسم كان وخبرها الاستفهام المتقدم ، ويجوز أن يكون فاعلاً وكان تامة ، و ﴿كَيْفَ﴾ نصب على الحال. ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ﴾ الآية لا وجه لقول من زعم أنها منسوخة ، فإن كون عمله له وعملهم هم أمر ثابت لم يتغير حكمه ، ومن تخيل نسخها جعل قوله : ﴿وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ يدل على أنه أهملهم ولا يقاتلهم ، لكن سورة يونس مكية ، ولم يشرع القتال قبل الهجرة ، فكيف تكون منسوخة ؟! فإن قيل : لم جعل مع فقد السمع عدم العقل ، وجعل مع عدم البصر نفسه ؟ قلنا : المراد بعدم البصر في البصر عدم البصيرة والمعنى أن ( ٧٧ / ب ) الأصم قد يحدس ويحرز ما يتكلم به مَنْ سمع صوته ، والأعمى يفعل مثل ذلك إذا كان الأعمى والأصم باقي العقل .

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾

وقوله : ﴿أَفَأَنتَ﴾ إنكار على الفاعل ، والتقدير: لا تستطيع أنت أن تحول هذين إلى كمال السمع والبصر، بل القادر على ذلك هو الله وحده ؛ لأن الفعل ممكن في نفسه ، ولو كان المراد إنكار الفعل لقال : أفتسمع الصم ، أفتهدي العمي ؟

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .

(٢) الآية (١٣) في قوله - تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ .

(٣) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

﴿شَيْـًٔا﴾ يجوز أن يكون مفعولاً به ، وأن يكون مصدراً . فإن قيل : كيف يستقصرون مدة لبثهم في القبور؟ وأين عذاب القبر وأيام الشدائد طوال ؟ فالجواب : أن في قوله : ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ ثلاثة أوجه : أحدهما : أنه روي أن العذاب يرفع فيما بين النفختين ، فإذا نفخ في الصور قاموا وفي أعينهم طعم النوم ، فيقولون : يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا هذا ؟ فأشاروا بقوله : ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ إلى ما بين النفختين.

الوجه الثاني : أراد : كأن لم يلبثوا في الدنيا. والثالث : كأن لم يلبثوا في القبور، قالوا: ولا دليل على عظم أمر القيامة أدل من هذا ؛ لأنه جعل التعذيب في القبور كأيام النعيم التي تستقصر، ولأن عذاب القبر عرض ، ومنه قوله : ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [(١)] فجعل دخول النار في يوم القيامة . وفي الحديث: "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ويقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله " [(٢)].

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ جملة حالية. قوله تعالى : ﴿يَتَعَارَفُونَ﴾ ثانية . ويجوز أن يتعلق بـ ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ كأن التعارف ينقضي ويعود تناكراً ؛ لشدة الأمر عليهم .

وقوله : ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ مقدر فيه القول ، والتقدير: قائلين : قد خسروا .

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَمَا﴾ في قوله : ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ زائدة ، فالمعنى: إن أريناك فيهم ما يسرك فجيدا ، وإن توفيناك قبل ذلك لم يفوتونا ﴿فَإِلَيْنَا﴾ يرجعون ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾ قوله : ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ﴾ يريد

---

(١) سورة غافر ، الآية ( ٤٦ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٣٧٩ ) ، ومسلم رقم ( ٢٨٦٦ ) عن ابن عمر - رضي الله عنهما .

بالشهادة : العلم ، ويريد بالعلم: المجازاة ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ﴾ وهي تقتضي الترتيب والمهلة، وعلم الله ليس زمانيًا ولا متأخرًا عن شيء ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ فيه وجهان: أحدهما: جاء في الدنيا وأظهر المعجزة ، فكذبوا وأذن له في الدعاء عليهم ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ في إهلاكهم. والثاني : فإذا جاء رسولهم في موقف القيامة فشهد عليهم بما عاملوه به من التكذيب ؛ كقوله : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [(١)] قضي بينهم بشهادة نبيهم . ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ﴾ دفع ضرر ولا جلب نفع . ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ (٨٧/أ) أن يملكني . وكان بعض المتأخرين يقف على قوله : ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً﴾ ويقول: انتهى جواب إذا ، ويستحيل أن يكون قوله : ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ جواباً ؛ لاستحالة تقدم العذاب عند فرض مجيئه ؛ لقوله : ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ فيقال له : وكذلك يستحيل تأخيره بعد مجيء الأجل المذكور. فإنه لو تأخر لم يكن الذي جاء أجلاً [(٢)].

البيات : هو الإغارة على العدو ليلاً وهم غافلون . ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ وهم ينظرون ، ومثله قوله : ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ من القيلولة. وقوله : ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ الآيتين[(٣)] .

أي شيء يستعجل منه المجرمون ؟ ولا شيء من الخير في مجيء العذاب فلا وجه لاستعجاله ، وقد أنكر عليهم أنهم يؤمنون عند نزول العذاب الذي استعجلوه بقوله : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ الآية ، و( ثم ) مجاز ، استعير التباعد في الرتبة للتباعد في الزمان ؛ كقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [(٤)] . ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [(٥)] ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [(٦)] وقول الشاعر [ من الطويل ] :

ولاَ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ     يَرى غَمَراتِ الموت ثُمَّ يزورُها[(٧)]

---

(١) سورة النحل ، الآية ( ٨٤ ) .

(٢) ينظر : منار الهدى في الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ١٧٧ ) .

(٣) سورة الأعراف ، الآيتان ( ٤ ، ٩٧ ) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ٧٤ ) .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ( ١ ) .

(٦) سورة الجاثية ، الآية ( ٨ ) .

(٧) البيت لجعفر بن علبة الحارثي ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( غمى ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٩٩ ) ، ديوان الحماسة ( ١ / ١٠ ) ، روح المعاني للألوسي (٢١ / ١٣٦ ) ، الكشاف=

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿ظَلَمُواْ﴾ أي: كفروا. ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي : لبذلته للفدية ، ولكنه لا يقبل لقوله في آية أخرى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾[1] ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ ﴾ أي : أخفوها ؛ حذاراً من الشماتة.

وقيل: أسروا ، أي : أظهروا.

قوله : ﴿فَبِذَٰلِكَ ﴾ توكيد لقوله : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ وقد استشكلت قراءة حمزة في قوله : ( فلتفرحوا ) بتاء معجمة[2] ، باثنتين من فوق . وجاء مثلها في الحديث : " لتأخذوا مصافكم "[3].

= للزمخشري ( ٣ / ٥١٥ ، ٤ / ٢٨٦ ) **والغماء** : الشديدة من شدائد الدهر ، ويكنى بها عن الداهية . **وابن حرة** : كريم ، **وغمرات الموت** : شدائده وأهواله ، **ويزورها** : يلاقيها برغبة .

(١) سورة المائدة ، الآية ( ٣٦ ) .

(٢) وقرأ بها عثمان بن عفان وأبي وأنس والحسن وأبو رجاء ويعقوب ورويت عن ابن عامر ، وقال ابن مجاهد : ولم يذكر عنه في " فليفرحوا " شيء . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٧٢ ) ، الحجة للقراء السبعة لابن خالويه ( ص : ١٨٢ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٣٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٥ – ٤٦ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٢ / ٤٥٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ١٩٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٣١٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٥ ) .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ١٢٧ ) وقال : غريب .

وروى الترمذي في سننه رقم ( ٣٢٣٥ ) عن معاذ بن جبل قال : «أبطأ عنا رسول الله ﷺ في صلاة الفجر حتى كادت الشمس أن تطلع قال : ثم خرج وأقيمت الصلاة فصلى بنا صلاة تجوز بها فلما سلم قال: كما أنتم على مصافكم . فثبت القوم على مصافهم ثم أقبل عليهم بوجهه فقال: إني منبئكم بطئي عنكم الغداة إني قمت من الليل فتوضأت ثم صليت ما شاء الله ، وإني رأيت ربي – عز وجل– في منامي=

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا ﴾ هو ما جعلوا لله بزعمهم ﴿ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [(١)] وذلك مما لم يقم به البرهان. ﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ ﴾ كقوله : ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [(٢)] ﴿ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ ﴾ أي : من الشأن أو من القرآن أو يكون إضماراً له قبل ذكره ،

= فرأيته في أحسن صورة فقال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري . قالها ثلاثا قال: فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال: يا محمد . قلت : لبيك رب . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : في الكفارات . قال : ما هن ؟ قلت : مشي الأقدام إلى الحسنات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء حين الكريهات . قال : فيم ؟ قلت : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، قال : سل قل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة قوم فتوفني غير مفتون ، أسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك . قال رسول الله ﷺ: إنها حق فادرسوها ثم تعلموها " .وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ١٣٦ ) .

(٢) سورة الصافات ، الآية ( ٨٧ ) .

وتفخيماً لشأنه ، والوقف عند قوله : ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [(١)] وإلا لزم أن يكون الذي يعزب عن علم الله لا يغيب إلا في كتاب مبين ، وهو كلام فاسد ، فإذا وقفنا على قوله : ﴿وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ ويكون ﴿وَلَآ أَصۡغَرَ﴾ ﴿وَلَآ أَكۡبَرَ﴾ مستأنف ، فمن فتحهما فهما مثل قولك : لا رجلَ في الدار ، ومن رفعهما[(٢)] فهما كقوله : لا رجلٌ في الدار (٧٨/ ب) وكقول الشاعر [ من مجزوء الكامل ] :

مَنْ صَدَّ عَنْ نيرانِها فأنا ابنُ قيسٍ لا براحُ[(٣)]

﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ على ما خلفوه ، والبُشْرى في الدنيا: الرؤية الصالحة يراها المؤمن أو تُرَى له . الوقف على قوله : ﴿قَوۡلُهُمۡ﴾ [(٤)] ولا تكون إن مكسورة بعد القول لفساد المعنى ، وإنما " إن " كسرت لابتداء كلام . ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في عقائدهم ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والخرص: الكذب ، وأصله من خرص النخل والكرم ، وهو أن يحرز ما عليه من التمر عند تقدير جفافه ، وذلك الحرز لا بد أن يخطئ ولو بقدح .

قوله : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ فيه ؛ كقوله : ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً﴾ [(٥)] أي : مبصراً بها. ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ والملك ينافي الولادة ، وقد بين ذلك فيما سبق . ﴿إِنۡ عِندَكُم﴾ ما عندكم من حجة بهذا .

﴿مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي

---

(١) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ١٧٧ ) .

(٢) قرأ حمزة " ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ " بالرفع ، وقرأ الباقون " بالنصب .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٧٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٨ )، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٥٥ ) .

(٣) البيت لسعد بن مالك ، **ينظر في** : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٣٤٢ ) ، خزانة الأدب للبغدادي (١/ ٤٦٧ ) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ( ص : ٥٠٩ ) ، شرح شواهد المغني ( ص : ٥٨٢ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ١ / ١٠٩ ) ، لسان العرب ( برح ) .

(٤) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ١٧٨ ) .

(٥) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٩) .

بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾﴾

﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي: هو متاع . ﴿وَٱتْلُ﴾ أي : اقرأ . وقد أتى بالفعل الماضي في جواب كان ، وإنما جوز ذلك دخول الشرط على كان[1].

﴿مَّقَامِى﴾ بمعنى قيامي ، والتقدير: إن شق عليكم ذلك مني فاجتهدوا على قتلي ، فإنني قد توكلت على الله لا على غيره. ومن قرأ ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ بقطع الهمزة ، فمعناه : اعزموا .

و﴿أَمْرَكُمْ﴾ منصوب مفعول معه ، ومن قرأ ( فَاجْمَعُوا ) بألف الوصل وفتح الميم [2] ، ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ مفعول ، وجواب الشرط في قوله : ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ محذوف ، تقديره : فإن

---

(١) وذلك في قوله - تعالى : ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ ومن قواعد النحو : إذا وقع خبر كان وأخواتها جملة فعلية ، فالأكثر أن يكون فعلها مضارعا ، وقد يجيء ماضيا بعد " كان وأمسى وأضحى وظل وبات وصار " والأكثر فيه إن كان ماضيا أن يقترن بـ " قد " ، وقد وقع مجرَّدا منها ، وكثر ذلك فخبرا عن فعل الشرط ، ومنه قوله - تعالى: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [ المائدة : ١١٦ ] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الأنعام:٣٥ ] ، وقوله تعالى في هذه الآية التي في سورة يونس .

(٢) قرأ العامة " فأجمِعوا " بهمزة القطع وكسر الميم ، ويروى عن نافع " فاجمَعوا " بهمزة الوصل وفتح الميم.

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٧٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٥٩ ) .

توليتم فقد ظلمتم ؛ لأنني ما سألتكم من أجر على التبليغ . ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ جعلناه ومن معه يخلفون الهالكين . ﴿لِيُؤْمِنُوا﴾ هي لام الجحود مؤكدة لنفي إيمانهم . ﴿مُّبِينٌ﴾ بمعنى ظاهر ومظهر، يقال : بان الأمر وبين وأبان . ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ﴾ أي : عن الحق وبسببه كقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [(١)] .

وكقوله : ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا﴾ [(٢)] أي : عنهم ، والتقدير: أتقولون للحق لما جاءكم إنه سحر ، والهمزة في (آلسحر) همزة إنكار.

﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي : لتصرفنا. ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ الرياسة. من قرأ ( السِّحْرَ) مقصوراً ، فـ﴿مَا جِئْتُم بِهِ﴾ مبتدأ و﴿السِّحْرُ﴾ خبر. ومن قرأ ( آلسحر) ممدوداً [(٣)] فهي همزة إنكار دخلت على لام التعريف ، فمدت ؛ كقوله : ﴿آلْآنَ﴾ [(٤)] ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [(٥)] والخبر محذوف، والتقدير: آلسحر هو؟

﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨٢) فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ (٨٣) وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٨٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٨٨) ﴾

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية (١١) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ( ١٦٨ ) .

(٣) قرأ أبو عمرو وأبو جعفر " آلسحر " على الاستفهام ، وقرأ باقي العشرة " السحر " على الخبر .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ١٨٢ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٨٣ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٣٣٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٢٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٦٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ١ / ٣٨٧ ) .

(٤) سورة يونس ، الآية ( ٩١ ) .

(٥) سورة يونس ، الآية ( ٥٩ ) .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ يدل على أن السحر حق ؛ لأنه وعد بإبطاله بسين الاستقبال ولو كان باطلا لاستحال إبطاله ؛ لأنه تحصيل الحاصل . (٧٩/أ) وقد سحر رسول الله ﷺ[(١)]. ومذهب الشافعي أن من قَتَل بسحرٍ يَقْتُلُ غالباً يجب عليه القصاصُ[(٢)].

وقوله : ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [(٣)] لا يدل على أن السحر كله تخييل بل ذلك الشيء فعلوه بين يدي فرعون تخييل .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ يدل على أن السحر إفساد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ويظهر ويعلى . أراد بفرعون : هو ومن بايعه وأعانه ، ولهذا قال ﴿وَمَلَإِيْهِمْ﴾ بالجمع.

قوله : ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ مثل قولك: إن كنت ابني فأطعني ، وهو تهديد لعزم المخاطب، وبعث همته على التوكل على الله لا على غيره ؛ لتقديم المجرور على الفعل العامل فيه. ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تهلكنا بأيديهم فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق لما سلطنا عليهم ، فيفتتنوا بذلك . وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ هذه لام العاقبة ؛ كقوله : ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [(٤)] ويجوز أن تكون لام كي ، فإن الله خالق الخير والشر ومسببهما.

﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ امسخها ، ويوجد في آخر العمران بظاهر قرافة مصر صورة دراهم ودنانير منقوشة ، وهي حجر ، وصورة نخل وراء جبلها وهو حجر خفاف يشدونه على قبورهم . ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ الآية ، هذه الآية تدل على أن فرعون في النار، لأنه أخبر أنه أجاب دعاءه ، ومن دعائه: أنهم لا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ، فقد قال : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [(٥)] .

---

(١) حديث سحر النبي ﷺ ثابت رواه البخاري رقم (٥٧٦٦) ، ومسلم رقم ( ٢١٨٩ ) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٢) ينظر: الأم للشافعي (١/ ٤٢٦) .

(٣) سورة طه ، الآية (٦٦) .

(٤) سورة القصص ، آية ( ٨ ) .

(٥) سورة غافر ، الآية ( ٨٥) .

حكى الزمخشري [١] أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل أنعم عليه مولاه بأنواع من النعم ، فجعله ملكا ، فأنكر ذلك العبد مولاه وادعى الربوبية ؟ فأفتى فيها فرعون فقال : يستحق هذا العبد أن يغرق في البحر. فلما أراد الله أن يطبق عليه وعلى قومه البحر وإهلاكهم جاءه جبريل بالورقة ، وقال: أنت العبد الذي استفتى فيه .

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةًۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾

﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ أي : أتؤمن الآن وقد عصيت قبلُ .

﴿نُنَجِّيكَ﴾ نلقيك على نجوة مكان مرتفع من الأرض ؛ لأن بني إسرائيل قالوا : ما غرق فرعون . لما ثبت في قلوبهم من الرعب منه . فألقاه البحر على مكان مرتفع ، وكان عليه درع من ذهب ، فرآه بنو إسرائيل وعرفوه ، وأيقنوا بموته. وقيل : أراد بالبدن: الدرع. بوَّأه : اتخذ له مباءة ، وهي مكان يرجع إليه . ﴿ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾ ( ٧٩ / ب ) أي : مبوأً كريما شريفا . ﴿ فَإِن كُنتَ ﴾ أيها السامع لهذا الكلام ، كقول الخطيب : " يا ابن آدم عندك ما يكفيك ، وتطلب ما يطغيك "[٢] . لا يريد شخصاً معيناً ، بل كل سامع ، وكذلك قوله : ﴿فَلَا

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٦٨ ) .

(٢) ورد ذلك في حديث رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٩٤) رقم ( ١٠٣٦٠ ) ، والطبراني في المعجم الأوسط ( ٨/ ٣٦١ ) رقم (٨٨٧٥) عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : "ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ، ابن آدم لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع، ابن آدم إذا أصبحت معافى في=

تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟﴾ الآية .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ هم قوم علم الله أنهم لا يؤمنون ﴿وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ فهلا ، أي: لم تكن قرية آمنت عند نزول العذاب . ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ روي أنهم لما رأوا العذاب اعتزلهم يونس ومن معه من المؤمنين ، ورأوا دخاناً قد أحاط بالمدينة التجأوا إلى شيخ لهم ، فقال لهم: قولوا بأجمعكم : يا حي حين لا حي ، ويا حي محيي الموتى ، ويا حي يا قيوم ، ويا حي لا إله إلا أنت . فقالوها وكرروها فرفع عنهم العذاب[1] .

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿أَفَأَنتَ﴾ دخلت همزة الإنكار على فاعل الفعل ، ولو أنكر الفعل نفسه لقال : أفتكره الناس ، ولدخلت همزة الإنكار على الفعل. ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي : بقضائه ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾ أي : العذاب .

---

= جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء " .

وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٥٠) : موضوع .

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد ( ١ / ٣٤ ) ، والطبري في تفسيره ( ١١ / ١٧٢ ) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٣٩٣ ) لابن المنذر وابن أبي حاتم .

﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات ﴿وَمَا تُغْنِى﴾ يجوز أن تكون "ما" نافية وأن تكون استفهاماً بمعنى الإنكار. قوله : ﴿مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ أي : لا يملك ذلك ، بل هو سبب ، والله المسبب المالك . وقيل: ما لا ينفعك إن عبدته ، ولا يضرك إن تركته . قوله : ﴿وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ منسوخ بآية السيف .

* * *

## سورة هود [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ (٢) وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (٣) إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٤) أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٥) ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٦) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٨)﴾

قوله : ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ﴾ أي : من عذابه. ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بثوابه. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى انقضاء الأعمار ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أصله : وإن تتولوا . ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي : إلى دار جزائه من جنة أو نار رجوعكم .

كانوا إذا رأوا هودًا النبي ﷺ تغطوا بثيابهم ، وجعلوا أصابعهم في آذانهم ﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾(١) ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: المضمرات ذوات الصدور . ويجوز إفراد " ذات " وجمعها كقوله: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾(٢) ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ مكانها من أصلاب الآباء ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ مكانها من أرحام الأمهات . وقيل بالعكس (٨٠/أ) وقيل : المستقر في الأرض ، والمستودع في القبر . وقيل : المستقر : دار الآخرة؛ كقوله : ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾(٣) ومثله في الأنعام: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾(٤) يروى أن أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها فذابت ثم سلط عليها

(١) سورة نوح ، الآية ( ٧ ) .

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٦٠ ) .

(٣) سورة غافر ، الآية ( ٣٩ ) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٨ ) .

الهواء فاضطربت أمواجها فحصل من الاضطراب زبد ودخان فخلق الأرض من الزبد والسماء من الدخان .

قوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلق بقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ولا يتعلق بكون عرشه على الماء ؛ إذ لا مناسبة للتعليل بذلك. والأمة : المدة ؛ كقوله : ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [١] ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ﴾ استهزاء. وقوله : ﴿ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ تقدم الظرف على خبر ليس دليل على جواز تقديم خبر ﴿ لَيْسَ ﴾ عليها ؛ لأن العامل متقدم على المعمول[٢] .

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ الآيتين كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [٣] .

وقوله: ﴿ لَفَرِحٌ ﴾ فعل أحد أبنية المبالغة وهي: فعول وفعال ومفعال وفعل وفعيل، ويجوز إعمال الثلاثة الأول ، وأما الرابع فقد أجاز إعماله سيبويه وأبو عمر الجرمي ، ومنعه الأكثرون وأما فعيل فلم ير إعماله إلا سيبويه وحده . وعلة المنع أن فعيلاً مستعمل فيما هو

---

(١) سورة يوسف ، الآية ( ٤٥ ) .

(٢) ذهب الكوفيون إلى أنه لا يجوز تقديم خبر " ليس" عليها وإليه ذهب المبرد والزجاج وابن السراج والسيرافي والفارسي والجرجاني وأكثر المتأخرين ومنهم ابن مالك ؛ لعدم تصرفه وذهب البصريون إلى جواز ذلك ، وهو الذي اختاره المصنف هنا وعللوا بالعلة التي ذكرت هنا في هذه الآية . **وينظر** تفصيل المسألة في: أسرار العربية لابن الأنباري (ص:١٤١،١٤٠) ، الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١/ ١٥١) المسألة (١٨) ، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (١/ ١٦٨، ١٦٩) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٣٧٣ ) .

(٣) سورة المعارج ، الآية (٢١) .

خلقة ، كالسمين والهزيل ، أو صفة ثابتة ، كالشريك والنبيل ، فإذا نقلنا راحماً إلى رحيم مبالغةً فقد جعلنا وصفه بالرحمة كالخلقة . والأوصاف التي بهذه المثابة لا تعمل في المفاعيل ، فنقل راحم إلى رحيم يعطي هذه المبالغة ، فلو أعملناه لفاتت هذه المبالغة[١] . ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة . يقال : ضاق الشيء فهو ضائق ، وإذا بالغت قلت ضيق ، ولما ذكر الله ضيق صدر الكافر قال : ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[٢] وقال في نبيه ﷺ : ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟﴾ فأتى بلفظة ﴿وَضَآئِقٌۢ﴾ التي هي أخف وقرنها بلعل ؛ ليكون الذي هو فيه من الضيق كالمشكوك فيه. ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾ لأن تقولوا . ﴿لَوْلَآ﴾ بمعنى هلا . استدل على فصاحة القرآن وبلاغته وإعجازه بقوله : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ ثم عجزهم ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾[٣] ، ثم عجزهم ﴿بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾[٤] . قال فخر الدين ابن الخطيب[٥] : ثم عجَّزهم بقصة من جملة آية ؛ كقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾[٦] (٨٠/ ب ) .

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن

---

(١) **ينظر** رأي سيبويه في إعمال " فعيل ، وفعِل " في الكتاب (١٠٨/٤) **وتنظر** المسألة والخلاف فقيها في : همع الهوامع للسيوطي ( ٣ / ٥٨ ، ٥٩ ) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ١٢٥ ).

(٣) سورة هود ، الآية (١٣) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .

(٥) **ينظر** قوله في تفسيره مفاتيح الغيب (١/ ١٣٨، ١٧/ ٢٠٤) وهو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير كان فريد عصره ومتكلم زمانه رزق الحظوة في تصانيفه التي بلغت نحوا من مائتي مصنف منها تفسير كبير ، سماه مفاتيح الغيب والمحصول والمنتخب وتأسيس التقديس وغيرها. توفي سنة ٦٠٦ هـ .

**تنظر** ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير(١٣/ ٥٥) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٣/ ٢١) ، طبقات الشافعية للسبكي (٨/ ٨١) .

(٦) سورة الطور ، الآية (٣٤) .

كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ ﴾ أي : فإن لم يجيبوكم ، استجاب وأجاب بمعنى واحد ، قال الشاعر [ من الطويل ] :

وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى ... فلم يستجبْهُ عندَ ذاكَ مُجيبُ[1]

أي : فلم يجبه . ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ أي : جزاء أعمالهم ؛ كما جاء في الحديث : "فأما الكافر فيطعم بجزاء ما عمل في الدنيا حتى يأتي إلى الآخرة وليس له حسنة"[2].

﴿ لَا يُبْخَسُونَ ﴾ لا ينقصون . ﴿ وَحَبِطَ ﴾ أي : بطل .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ أي : كمن ليس كذلك ؛ لأن السياق يدل عليه ؛ كقوله : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ الآية[3]. ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ يعني: القرآن . ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ يعني: الملائكة . ﴿ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يعرضون أو يمنعون .

---

(١) البيت لكعب بن سعد الغنوي . **ينظر في** : الأصمعيات ( ص : ٩٦ ) ، تاج العروس ( جوب ) ، جمهرة أشعار العرب ( ص :١٣٤ ) ، خزانة الأدب للبغدادي (١٠ / ٤٣٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ١٣٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٣٣٠ ) ، لسان العرب ( جوب ) ويروى الشطر الثاني منه : .................... فلم يستجب عند النداء مجيب
**والندى**: الغاية ، وبعد ذهاب الصوت ، والجود .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٥٨٥ ) ، وعزاه لأبي الشيخ عن ميمون بن مهران .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٢٢) .

﴿ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ لثقله عليهم ، كما تفعل بمن غضبت عليه: ما أستطيع أن أسمع كلامك . ﴿ وَضَلَّ ﴾ وبطل . ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ بمعنى: حقاً. الخبت: المكان المنخفض ، ثم استعير للرجل المتواضع المتطامن من خشية الله .

﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ ﴾ الأعمى والبصير في شبههما بالكافر والبصير والسميع في شبههما بالمؤمن، فهما مثلان لكل واحد .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ نُوحًا ﴾ مصروف ، وخرجه الزمخشري[١] على الخلاف في هند ؛ لأن كون الوسط عارض إحدى العلتين ، وأكثر النحويين جزموا بصرفه . ﴿ إِنِّي لَكُمْ ﴾ تقديره : قائلا ، وهذا الحال المضمر قد عمل في قوله : ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ فهو في موضع نصب بالمصدر، أي: قائلاً بهذا القول أن يعبدوا غير الله وعلله بقوله : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾ وصف اليوم بالألم ، والمراد ألم من فيه ، ومثله : ﴿ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[٢]. قرئ (بادئ) بالهمزة ، و﴿ بَادِىَ ﴾ بغير همزة[٣]، فالمهموز من : بدأت الأمر إذا ابتدأته ، وغير المهموز من البدو وهو الظهور ، فالتقدير على الأول : اتبعك هؤلاء الأراذل بأول وهلة من غير تأمل ولا تثبت . وعلى الثاني : اتبعوك ظاهراً ولم يفكروا في باطن الأمر وعاقبته .

---

(١) **ينظر**: الكشاف للزمخشري (١/ ١٤٥) عند قوله – تعالى: ﴿ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا ﴾ [سورة البقرة:٦١]
قال: " ويحتمل أن يريد العلم وإنما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتأنيث لسكون وسطه ؛ كقوله : " ونوحا ولوطا " وفيهما العجمة والتعريف ".

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ١٥ ) .

(٣) قرأ جمهور العشرة " بادى الرأي " ، وقرأ الدوري عن أبي عمرو " بادئ الرأي " .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢١٥ ) ، الحجة لابن خالويه (ص:١٨٦) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٣٣٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٩١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٦٥ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٥ / ١٥٣ ) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ١١) .

﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ ﴾ لك ولمن آمن بك . ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني ؛ كقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[1] وأمثلته كثيرة ، وأتي بـ ﴿عَلَىٰ﴾ في قوله ﴿ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ ﴾ أي : ركبتها واستعليت عليها ؛ كقولهم : فلان على البصرة ، أي: واليها.

وقوله : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ تقديره : فعميتم عن تأملها ( ٨١/ أ ) وفي الحديث : " يأتي فتية عمياً بكماً صماً " ، وعكسه ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾[2] ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾[3] أي : مبصراً بها. ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ إذا تحمل الفعل ضميري مفعول جاز في ثانيها الاتصال والانفصال ، ومنه : ﴿ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ و﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾[4] و﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾[5] ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ واو الحال .

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾

---

(١) سورة الملك ، الآية ( ٣٠ ) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٩ ) .

(٣) سورة النمل ، الآية ( ١٣ ) .

(٤) سورة محمد ، الآية ( ٣٧ ) .

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٧ ) .

﴿ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ وعلل امتناعه من طرد فقراء المؤمنين بأنهم ﴿مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ ولكنهم قوم يجهلون فيجعلون الرفعة والمنزلة لأصحاب الحال . نصره بمعنى منعه ، وأكثر ما يأتي معدى بـ"من" ، ونصره بمعنى قواه ، وأكثر ما يعدى بـ "على ". وقالت الكفار لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك . وقال ها هنا: ﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ ﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ .

وطلبوا منه طرد المؤمنين ازدراءً بهم . قال : ﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ ﴾ إن فعلت شيئاً من ذلك ﴿ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ﴾ الفاء ها هنا عارية عن الترتيب والتعقيب ؛ كقوله : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾[(١)] ﴿ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي : لا يأتيكم بالتعذيب إلا الله ، والأمر فيه معلق بمشيئة الله. وقد دخل الشرط على الشرط في قوله : ﴿ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ ومثله : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا ﴾[(٢)] وإذا قال الرجل لزوجته : أنت طالق إن ركبت إن لبست ، فركبت ثم لبست لم تطلق ، وإن عكست طلقت هذا هو الصحيح. وعند إمام الحرمين الطلاق معلق على كلا الأمرين سواء إن فعلت على ترتيب ما ذكر أو عكست[(٣)] ﴿ فَعَلَىَّ﴾ لا على غيري جزاء ﴿إِجْرَامِى﴾ . ابتأس: افتعل من البأس . ﴿ٱلْفُلْكَ ﴾ يجوز أن يراد المركب الذي أمر بصنعته ، ويجوز أن يراد الجنس . ﴿ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي : بمرأى منا وموافقا لما أوحينا إليك ، فإنه أوحى إليه أن يصنعها على مثل جؤجؤ ، أي : مثل صدر الطائر[(٤)] ﴿ وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾ نجاة ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ وعلل ذلك بكونه حكم ﴿ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾. وكان الملأ من كفار قومه إذا مروا به وهو يصنعها في فلاة من الأرض تضاحكوا من ذلك ، فيقول لهم : ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ لكن العاقبة الحسنى لنا. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ﴾ يهينه .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٣٦ ) .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ( ٥٠) .

(٣) تقدم ذلك في تفسير سورة الأعراف ، الآية ( ١٠٦ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٢ / ٣٤ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ٤١٨ ) لابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما . **والجؤجؤ** : عظام صدر الطائر .
**ينظر** : لسان العرب (جأجأ) .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ (٤٠) ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (٤١) وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ (٤٢) قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (٤٧) ﴾

واستمر في صنعه (٨١/ب) الفلك حتى جاء أمر الله، وكان من علامات مجيء العذاب لهم أن يفور الماء من التنور. وروي عن علي: ﴿ وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ﴾ طلع الفجر. وهو غريب.

﴿ مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ فكل واحد من الزوجين قام به الازدواج، ومنه ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴾ [1] ﴿وَأَهۡلَكَ ﴾ أي: واحمل أهلك، واحمل من آمن.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ يجوز أن يتعلق بـ ﴿ ٱرۡكَبُواْ ﴾ أي: اركبوا فيها متبركين باسم الله، ويجوز أن يكون خبراً لقوله: ﴿ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ ﴾. ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ ﴾ زعم الزمخشري[2] أن السفينة كانت مطبقة، وأنها كانت تجرى بهم في الماء كجري السمكة في البحر، ولم أر هذا لغيره.

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ يعني: الله - عز وجل، ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن ﴾ رحمه الله، ويجوز أن يكون مفعولاً، أي: لا معصوم، كـ ﴿ مَّآءٖ دَافِقٖ ﴾ [3] بمعنى مدفوق، و﴿ عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴾ [4] بمعنى مرضية. مثل الله - سبحانه وتعالى- طاعة المخلوقات التي لا تعقل بمأمور

(١) سورة النجم، الآية (٤٥).

(٢) ينظر: الكشاف (٢ / ٣٩٦).

(٣) سورة الطارق، الآية (٦).

(٤) سورة الحاقة، الآية (٢١).

مطيع بادر إلى الامتثال ، فقال : ﴿ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ ﴾ الآية . غاض الماء: يتعدى ، تقول : غضته ، بضاد ساقطة، ومنه : ﴿ وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ ﴾ .

﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ فرغ من عذابهم . ﴿ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ من قوم نوح ، أو: الظالمين مطلقاً. ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾ يريد : أعظمهم حكمة ، أو أعدلهم حكماً .

﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ﴾ وكان عليك أن تعلم حين سمعت ﴿ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ ﴾ أن في أهلك من يهلك ، فلا تحتج عليَّ بقولك : ﴿ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي ﴾. وجعل هذا السؤال كالذنب الذي يستغفر منه ؛ لأن مقامات الأنبياء في أدبهم مع الله في كل حركة وسكون ليس كمقام غيرهم .

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾﴾

﴿ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ ﴾ أي : بسلامة ﴿ وَبَرَكَٰتٍ ﴾. وقوله : ﴿ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ وقف تام[1]؛ لأن الذي بعده ليس لهم من السلام والبركات شيء ، وهو قوله : ﴿ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ﴾ .

﴿ تِلۡكَ ﴾ القصة ﴿ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ لم تكن ﴿ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ ﴾ فإتيانك بها على ما يوافق الكتب المنزلة ، مع أنك لم تحاضر العلماء دليل على أن ذلك من الله ﴿ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ ﴾

---

(١) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ١٨٦ ) .

الحسنى للمتقين . ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾.

﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ قرئ بالرفع والنصب والجر، وقد ذكر في الأعراف[1] .

﴿ مُفْتَرُونَ ﴾ كاذبون على الله . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي : على التبليغ ، ﴿ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ﴾ ( ٨٢ / أ ) ثم دوموا على التوبة. ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ ﴾ أي: المطر. ﴿ مِّدْرَارًا ﴾ من الدر. ﴿ وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً ﴾ في الأجساد والأموال . ولما كان المتولي قد يذهب عنك وهو مستمع لما تقول بعد ذهابه أخبر عن هؤلاء أنهم تولوا وقد ولوا هودًا الدبر. قوله : ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ كذب منهم وجحود لأن يكون ما يأتي به آية ، وصرحوا بالعصيان وأنهم لا يتركون آلهتهم عن قول هود . ﴿ إِن نَّقُولُ ﴾ في شأنك ﴿ إِلَّا ﴾ أن آلهتنا أصابتك بسوء وخبل في عقلك ، لسبِّك إياها ، فصرح هود بأنه لا يعبأ بتلك الآلهة ولا بمن عبدها ، كما قال نوح : ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ [2] ثم علل كونه بأنه لا يعبأ بهم بقوله : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ ﴾ وأن التعليل والأخذ بالناصية كناية عن القدرة عليها.

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أصلها : تتولوا. وجواب الشرط محذوف ، تقديره : لم يضرني توليتكم فقد قضيت ما عليَّ ﴿ وَيَسْتَخْلِفُ ﴾ كلام مستأنف ، وليس معطوفاً على جواب الشرط ، وكذلك: ﴿ وَلَا تَضُرُّونَهُ ﴾ للإتيان بهما مرفوعين .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٦٠) ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦١) قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

---

(١) قرأ الكسائي وأبو جعفر بالجر " من إلهٍ غيرِهِ " على النعت أو البدل من " إله " ، وقرأ باقي العشرة بالرفع " من إلهٍ غيرُهُ " على النعت أو البدل من موضع " إله " ؛ لأن من مزيدة فيه ، وقرأ عيسى بن عمر " غيرَه " بالنصب على الاستثناء . **تنظر في** : إتحاف فضلاء البشر للبنا (١/ ٢٥٧ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٣٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ٢٨٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٨٤) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٧٥ ) ، مفاتيح الغيب للرازي (١٨/ ١٠) .

(٢) سورة يونس ، الآية ( ٧١ ) .

وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ عذابنا . مما أجراه – سبحانه– أنه إذا أراد إهلاك قوم أذن لنبيهم ومن معه من المؤمنين أن يخرجوا عنهم ، فبذلك نجوا . والغليظ حقيقة في الأجسام مستعار في المعاني ﴿وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ﴾ لأن من كذب نبيًّا لكونه بشراً ، فقد كذب سائر المرسلين ، ومثله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) ، ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٢) واستفتاح الجملتين بلفظة ﴿ أَلَآ ﴾ دليل على أنه أمر يهتم بالإصغاء إليه ، والخوف من حلول مثله بمن عصا وقوله : ﴿ قَوْمِ هُودٍ ﴾ يحترز به عن عاد الثانية؛ كقوله : ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (٣) وفي تسميتهم ثمود وجوه ؛ قيل : مأخوذ من الثمد وهو الماء القليل . وقيل: هو اسم أبيهم وأمهم ، فإن قلنا بالأول أو الآخر لم ينصرف ، وإن قلنا بالثاني انصرف .

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم ﴾ أنشأ أباكم . ﴿ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ ﴾ أطال أعماركم . وقيل: جعلكم عمارها، مأخوذ من العمرى ، وهي أن يجعل الدار أو الفرس للمعمر مدة عمره ، فإذا مات رجعت إلى المُعْمِر أو إلى ورثته إن كان قد مات . ﴿ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا ﴾ نرجو فيك التقدم والرياسة ، فلما ادعيت النبوة أخلفت ما كنا نؤمله . وقيل: مرجو أي : مؤخر والتقدير: إنك لم تكن من ذوي الرياسة والرفعة بل أنت من آحاد الخلق ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني ( ٨٢ / ب ) ﴿فَمَن يَنصُرُنِي ﴾ فمن يمنعني؟

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ( ١٠٥ ) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ( ١٢٣ ) .

(٣) سورة النجم ، الآية ( ٥٠ ) .

﴿ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ مني . ﴿ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ نصب على الحال ، والعامل فيها ﴿هَٰذِهِۦ﴾ كأنه يقول : الناقة لله ، والأرض له ، فذروا ناقته تأكل في أرضه . ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ ﴾ بعقر. ﴿ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٍ ﴾ فقد وعدناهم بعذاب قريب ، والثلاثة في حد القرب. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ﴾ الذي لا يطاق رد ما أراد . ﴿ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب ومنه : ﴿ وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾[1] ﴿ ٱلصَّيۡحَةُ ﴾ صاح بهم جبريل . ﴿ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآ ﴾ من قولهم: غنى بالمكان ، إذا أقام به ، والمغاني: المنازل ، ثم استفتح الجملتين بـ ﴿ أَلَآ ﴾ التي للتنبيه ، كما فعل بقوم هود . ﴿ بِٱلۡبُشۡرَىٰ ﴾ بالولد لإبراهيم ، وبشارته بإهلاك قوم لوط .

ومن آداب الضيافة : الإسراع بالطعام ؛ لقوله : ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ ﴾ . ومن آدابها : ألا يظهر للضيف أنه يذبح له أو يهتم به ؛ لقوله: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾[2] ومنها : أنه يتخير أجود ما عنده ؛ لقوله : ﴿ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾.

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾

---

(١) سورة ص ، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) سورة الذاريات ، الآية (٢٦) .

وكان الضيف ملائكة فلم يمدوا أيديهم إلى الطعام فارتاب بهم إبراهيم وكانوا إذا لم يأكل الرجل من طعامهم خافوا منه الغدر. يقال : أنكرت الشيء ونكرته . ﴿ وَأَوْجَسَ ﴾ أضمر. وكانت امرأة إبراهيم قائمة على الضيفان تخدمهم بنفسها. ﴿ فَضَحِكَتْ ﴾ تعجبا من غفلة قوم لوط والعذاب قد أظلهم .

وقيل: ضحكت أي : حاضت ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ ﴾ وأنه يعيش حتى يأتي منه ولد يسمى يعقوب، وفيه دليل على أن الذبيح إسحاق ؛ لأن الذبيح هو المبشَّر به ؛ لقوله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴾ [١] ولم تبشر إلا بإسحاق ، ومن ذكر أنه إسماعيل قال : لو كان الذبيح إسحاق لما شك إبراهيم في أنه لا ينذبح ؛ لأن الله قد بشَّره بأن يولد من إسحاق ولد اسمه يعقوب ، فكان يعلم أنه لا يموت حتى يرزق الولد[٢].

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٠١، ١٠٢) .

(٢) هذا خلاف ما ذهب إليه الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ١٨ – ١٩ ) حيث ذهب إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام وقال : " وهو الصحيح المقطوع به ". ثم أورد كثيرا من الأقوال والآثار التي تدلل على ذلك ، ومنها ما ذكره محمد بن إسحاق قال: سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول: إن الذي أمر الله – تعالى- إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل ، وإنا لنجد ذلك في كتاب الله – تعالى ؛ وذلك لأن الله – تعالى- حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم فقال تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ويقول الله – تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ يقول : بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الموعد بما وعده ، وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل ، قال ابن إسحاق : سمعته يقول ذلك كثيرا . وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة إذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وإني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديًا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر : أي ابني إبراهيم أمر بذبحه فقال : إسماعيل والله يا أمير المؤمنين ، وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله – تعالى- منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان ، وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله – عز وجل- . وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله- سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال: إسماعيل ، ذكره في كتاب الزهد وقال ابن أبي حاتم: وسمعت أبي يقول: الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام . قال: وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير=

وقيل : الوراء ولد الولد[(١)].

﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ نصب ﴿شَيْخًا﴾ على الحال ، و ﴿بَعْلِي﴾ هو الخبر ، وليس بمحط الفائدة لأن العجب إنما هو من ولادتها وهي عجوز وزوجها شيخ ، فقالت لها الملائكة: إنما يعجب من خرق العوائد من لم ينشأ في بيوت الأنبياء وأنت من بيت النبوة ، فلا تعجبوا من تعلق قدرة الله بذلك . ﴿ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ أهل إبراهيم .

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ ﴾ (٨٣/أ) شرع ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ وقال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ الآيات[(٢)]﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب . ﴿ سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ ظهر على وجهه المساءة لما رأى من حسن الأضياف ، ولما علم من جرأة قومه على طلب الفاحشة . ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي : شديد ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي ﴾ حقيقة ، فتزوجوهن أو: بناتي أهل ملتي وشريعتي ، وكل نبي فهو أبو أمته . وقرئ "﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ وهو أب لهم "[(٣)].

﴿ مِنْ حَقٍّ ﴾ من طلب . ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ لدفعتكم بقوتي أو بركني الشديد، وفي الحديث : " يرحم الله لوطاً ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد "[(٤)]. قالوا: فما بعث الله نبيًا بعد ذلك إلا في منعة من عشيرته ، كما قال في قصة شعيب : ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ وقال لهم : ﴿ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

---

= والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح - رضي الله عنهم- أنهم قالوا الذبيح إسماعيل". ثم قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى : "وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق ، وليس ما ذهبوا إليه بمذهب ، ولا لازم ، بل هو بعيد جدا ، والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى ، والله أعلم" .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٢ / ٧٤ – ٧٥ ) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ( ٣٢ ) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ( ٦ ) وقرأ بها أبي بن كعب وابن عباس . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢١٢ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨١)، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٣٣٥ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٢٠٧ ) ، ومسلم رقم ( ١٥١ ) عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم أتاني الداعي لأجبته ".

قال قوم : من قرأ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتُكَ ﴾ بالرفع فهو فاعل يلتفت ، ومن قرأ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ بالنصب(١) فهو مستثنى من قوله : ﴿ فَأَسْرِ ﴾ ولم يسر بها ، وعلى الأول قد سرى بها لكنها التفتت ، فلزم اختلاف القراءتين المتواترتين والواقعة واحدة ، والصواب أن الاستثناء على كل حال من ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ ﴾ والاستثناء من النهي يجوز فيه الرفع على البدل ، والنصب على الاستثناء(٢) . ولما همَّ الكفار بمدِّ أيديهم إلى الملائكة أضياف لوط طمس الله أعينهم حتى صار موضع العينين لحماً مساوياً لحم الوجه ، فقالوا : يا لوط عندك أسحر الناس، لتبصرن غداً ما نصنع بك . فقال لوط للملائكة : متى تهلكون ؟ قالوا : الصبح ، قال لوط: أريد أعجل من ذلك ﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ فرفع جبريل مدائنهم حتى سمعت الملائكة صياح كلابهم ، ثم أتبعها الحجارة. وقيل : بل إنما رمى بالحجارة من كان في البلاد من قوم لوط.

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو " إلا امرأتُك " بالرفع ، وقرأ باقي العشرة " إلا امرأتَك " بالنصب . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٤٨ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٩٠ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٤٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ١٢١ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٨٤ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩٠ ) .

(٢) **ينظر** : شرح شذور الذهب لابن هشام ( ١ : ٣٤٣ ) .

﴿ سِجِّيلٍ ﴾ اسم السماء الأولى . ﴿ مُّسَوَّمَةً ﴾ معلّمة بما يدل على أنها ليست من حجارة الدنيا. ﴿ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الكفار .

وقيل : بمن فعل مثل قوم لوط .

﴿ مَدْيَنَ ﴾ ابن إبراهيم كان قد نزل بذلك المكان فسمي به ، وبعث شعيب إليهم وإلى أصحاب الأيكة فعذبت مدين بالرجفة ، وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة ، وهي سحابة أظلتهم أووا إلى ظلّها من شدة الحر ، فأمطرت عليهم ناراً ، ولا تعطوا الكيل والوزن ناقصاً ، وكان شعيب كثير الصلاة فاستهزءوا به ، وقالوا : ﴿ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ﴾ ؟! وتهكموا بكونه (٨٣/ ب) حليماً رشيداً. ﴿ أَرَءَيْتُمْ ﴾ أخبروني . تقول : خالفت زيداً إلى كذا ، أي : فعلت مثل فعله بعد تركه له و" مَا " في ﴿ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾ مصدرية، ولو أظهر المصدر لكان إما مضافاً إلى زمن أو حال ، أي : مدة استطاعتي ، أو حالة استطاعتي. وقيل : التوفيق عزيز، ولم يأت في القرآن إلا هاهنا. فإن قيل : قوله : ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ (٢) في الآيتين ذكر التوفيق ، قلنا: ليس هو التوفيق المشار إليه هاهنا ؛ فإن المراد هاهنا هداية القلب إلى الصواب وتيسيره عليه، وفي الآيتين يريد الوفاق بين المتخاصمين ، وتقدم المجرورين في " عليه وإليه " دليل الاختصاص. ﴿ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ لا يكسبنكم . ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ أي : وما قريتهم بل هي قرية يمرون عليها في أسفارهم . ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾(٣)، ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ﴾ (٤) .

﴿ وَدُودٌ ﴾ مبالغة في واد . وقيل : مودود بمعنى محبوب .

﴿ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ

---

(١) سورة النساء ، الآية ( ٣٥ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٦٢ ) .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ( ٤٠ ) .

(٤) سورة الصافات ، الآية ( ١٣٧ ) .

رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٩٦)﴾

قولهم : ﴿ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ رد قبيح كما تقول لمن تكلم بما لا يعجبك : لا أدري ما تقول . ﴿ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ﴾ ضعيف الفهم والعقل . ونبذتم جناب الله وراء ظهوركم ، وهو معنى قوله : ﴿ ظِهْرِيًّا ﴾ وكسر الظاء من تغيرات النسب ؛ لقوله في النسب إلى البصرة: بصري ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على قدرتكم وتمكنكم . ﴿ إِنِّي عَٰمِلٌ﴾ في الإبلاغ على مكانتي وقدرتي .

وقوله : ﴿ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ ﴾ الآية إنصاف من العارف ؛ كقوله : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) .

يقال في المكان : بعِد يبعُدُ ، وفي الهلاك : بعِد بكسر العين يبعَد بفتحها ، ومصدرهما : البُعد ، بضم الباء ، قال الشاعر [ من الطويل ] :

يقولونَ لا تبعَدْ وهم يدفنونَهُ ... وما البُعْدُ إلا ما تجنُّ الصفائحُ (٢)

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧) يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ (٩٨) وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ (٩٩) ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١)﴾

---

(١) سورة سبأ ، الآية ( ٢٤ ) .

(٢) **ينظر** البيت في: تاج العروس للزبيدي ( بعد ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٧٣ ) ، لسان العرب ( بعد ) ويروى: ولا بعد إلا ما توارى الصفائح . ولا تبعَد : كلمة جارية على لسانهم عند المصيبة تدل على شدة الجزع والصفائح : أحجار عراض يسقف بها القبر ، والمعنى : البعد الحقيقي هو ما يستره القبر كناية عن الموت .

﴿ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ﴾ ما يأمرهم به . ﴿ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ ﴾ وما شأنه وطريقه . وصفة أمره بنفي الرشاد مجاز ؛ لأن الرشيد هو فاعل الرشد لا فعله . ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ ﴾ يتقدمهم وهم وراءه ؛ كقوله: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ [(١)] وقوله : ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ﴾ أتى فيه بالفعل الماضي ؛ لأن أحوال القيامة جاء أكثرها بلفظ الماضي ؛ لأنها عند الله محققة الثبوت ( ٨٤/ أ) ومنه : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ ﴾ ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [(٢)] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[(٣)] ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ ﴾[(٤)] .

﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [(٥)] وأمثلته كثيرة . وقال عمرو بن معدي كرب [ من الوافر ] :

بأني قد لقيتُ الغولَ تسعَى ... بشُهْبٍ كالصَّحيفةِ صَحْصَحان

فأَضْرِبُها فأقتلُها فخرَّتْ ... صريعاً لليدينِ وللجرانِ[(٦)]

﴿ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ بئس العطاء المعطى . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ مبتدأ . ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ﴾ خبر بعد خبر ، ويجوز أن يكون ﴿ ذلك ﴾ منصوبا بفعل مضمر يفسره ﴿ نَقُصُّهُۥ ﴾ من باب : زيداً ضربته . ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾ ما نافية ، ويجوز أن تكون استفهامية ، ومثله ﴿ مَآ

---

(١) سورة النمل ، الآية ( ٨٣ ) .

(٢) سورة الزمر ، الآيتان ( ٦٨ ، ٦٩ ) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ٤٤ ) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ( ٤٨ ) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١) .

(٦) وينسب البيت لتأبط شرًّا. **ينظر في** : الأغاني للأصفهاني ( ١٠ / ١٤٠ ) ، البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٨٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ٢٨٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٦٠ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٧ / ٢٢٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٦٠١ ) ويروى : ............ بسهب كالصحيفة صحصحان، **والغول** : أنثى الشياطين ، **وتهوي** : تسقط ، **والسهب** : الفضاء المستوي ، **والصحيفة** : الكتاب ، **والصحصحان** : المستوي من الأرض ، **والجران** : مقدم عظم العنق من الحلق إلى اللبة ، وقبل هذين البيتين يقول الشاعر :

فمن ينكرْ وجودَ الغولِ ... إني أخبرُ عن يقينٍ بل عيانِ

**والمعنى** : يا من تنكر وجود الشياطين إني أخبر عن يقين أني لقيتها تسرع في مكان متسع مستو أي : فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنقها . ( وعدل عن الماضي إلى المضارع ليحكي الحال الماضية كأنها موجودة الآن مشاهدة فيتعجب منها وتعلم شجاعته ) .

﴿أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾[١] ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[٢] ﴿تَتْبِيبٍ﴾ تخسير ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[٣].

الكاف في كذلك يجوز أن تكون في موضع رفع على الابتداء، و﴿أَخْذُ﴾ خبره. ويجوز أن تكون نعت مصدر محذوف، أي: نأخذهم أخذاً مثل ذلك.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩)﴾

﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ أي: ظالم أهلها. ﴿ٱلنَّاسُ﴾ مفعول لم يسم فاعله بـ ﴿مَّجْمُوعٌ﴾. جعل الزفير والشهيق صادرين من أهل النار وفي قوله: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾[٤] جعله من فعل جهنم، والأمران ثابتان بالاثنين. ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ كناية عن الدوام. وقيل: المراد: سماوات الجنة وأرضها. وقرئ ﴿سُعِدُوا۟﴾ بضم السين[٥] مثل قولهم: مسعود، وهو قليل، والأكثر في سعد أنه لا يتعدى.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: من وقت طوافهم بين جهنم ومياه الحميم، ومنه قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[٦] وفي الجنة مدة الزيادة. وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ من تأخير

---

(١) سورة المسد، الآية (٢).
(٢) سورة القمر، الآية (٥).
(٣) سورة غافر، الآية (٣٧).
(٤) سورة الملك، الآية (٧).
(٥) قرأ حمزة والكسائي وحفص بن عاصم وخلف "سُعِدوا"، وقرأ باقي العشرة "سَعِدوا". **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥ / ٢٦٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ١٩٠)، حجة أبي زرعة (ص: ٣٤٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ١٣١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٣٩)، النشر لابن الجزري (٢ / ٢٩٠).
(٦) سورة الرحمن، الآية (٤٤).

العذاب بعد النفخة إلى الاستقرار في النار. وفي أهل الجنة من وقت النفخة إلى الاستقرار في الجنة. ﴿ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ غير مقطوع .

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ﴾ بطلان عبادة ﴿ هَٰؤُلَاءِ ﴾ ولا حجة لهم فيها إلا اتباع الآباء .

﴿ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ من الجزاء ، ونقص يتعدى ومنه ﴿ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ ، ﴿ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾[1].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾

﴿فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾ فمنْ مصدِّق ومن مكذِّب كما فعل قومك . ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ (٨٤/ ب) في تأخير العذاب إلى البعث لفرغ من حسابهم .

﴿ فَاسْتَقِمْ﴾ أي : فدم على ما أنت عليه من الاستقامة . ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ ثم لا تخلصون من العذاب .

﴿ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ أوله وآخره . ﴿ وَزُلَفًا﴾ وقربا ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ قيل : نزلت في نبهان التمّار ، جاءته امرأة تشترى تمراً فقال لها: في البيت أجود من هذا ، فذهب بها إلى البيت ونال منها ما ينال الرجل من امرأته إلا الجماع ، ثم جاء فشكى إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية[2]. وفي الحديث الصحيح: " مثل الصلوات الخمس ، كمثل نهر على

---

(١) سورة التوبة ، الآية ( ٤ ) .

(٢) رواه الترمذي رقم ( ٣١١٥ ) وقال : حسن صحيح ، والطبري في تفسيره ( ١٢ / ١٣٧ ) والصحابي هو أبو اليسر بن عمرو الأنصاري . وأما ما ذكره المصنف عن نبهان التمار هنا فقد ذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤١٨) في ترجمة نبهان التمار وقال : ذكر مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس في قوله - تعالى : =

باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، أترون ذلك يبقي من درنه شيئاً؟ قالوا : لا ، قال : كذلك الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا "(١).

﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : الصابرين . وقيل: أعم من ذلك والصبر داخل فيه . ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ، والمعنى: فلم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية إلا قليلاً.

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾

﴿ أُتْرِفُوا۟ ﴾ نعموا ، واللام في ﴿ لِيُهْلِكَ ﴾ لام الجحود ، والواو في ﴿ وَأَهْلُهَا ﴾ واو الحال . ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ قيل: للرحمة. وقيل: خلقهم لما هم عاملون ، فإن كل موجود حادث فهو بقدرة الله . ﴿ وَكُلًّا ﴾ مفعول ﴿ نَّقُصُّ﴾ . و﴿ مَا نُثَبِّتُ ﴾ بدل من ﴿ وَكُلًّا ﴾ و﴿ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ﴾ السورة ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ . ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ على تمكنكم .

---

= ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ الآية قال: هو نبهان التمار أتته امرأة حسناء جميلة تبتاع منه تمرا فضرب عجيزتها فقالت: والله ما حفظت غيبة أخيك، ولا نلت حاجتك فسقط في يده فذهب إلى النبي ﷺ فأعلمه فقال له: إياك أن تكون امرأة غاز ، فذهب يبكي ثلاثة أيام يصوم النهار ويقوم الليل ، فأنزل الله – عز وجل- في اليوم الرابع هذه الآية فأرسل إليه فأخبره فحمد الله وأثنى عليه وشكره وقال : يا رسول الله هذه توبتي ، فكيف لي بأن يقبل شكري فأنزل الله – عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ وهكذا أخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن عن بن جريج عن عطاء عن ابن عباس مطولا قال الحافظ ابن حجر: " ومقاتل متروك والضحاك لم يسمع من ابن عباس وعبد الغني وموسى هالكان وأورد هذه القصة الثعلبي والمهدوي ومكي والماوردي في تفسيرهم بغير سند لكن ذكر قتادة بعض هذا مختصرا وورد تسمية صاحب القصة في نزول الآية الثانية لأبي اليسر وغيره ".

(١) رواه أحمد في المسند ( ٣/ ٣٠٥ ، ٣١٧ ) ، ومسلم رقم ( ٦٦٨ ) عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما.

﴿ وَلِلَّهِ ﴾ علم ما غاب في السماوات والأرض ﴿وإليه يَرْجِعُ الأمر كله﴾ وقرئ ﴿يُرْجَعُ ﴾[1]. ويجوز أن يكون خبراً بمعنى الأمر ؛ كقوله : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾[2] ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾[3].

* * *

(١) قرأ جمهور القراء ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه وأبو جعفر ويعقوب " يَرْجِعُ " ، وقرأ نافع وحفص عن عاصم " يُرْجَعُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٧٥ ) الحجة لابن خالويه ( ص : ١٩١ ) ، حجة أبي زرعة (ص:٣٥٣)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ١٤٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٤٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٠٨ ، ٢٠٩ ) .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٢٨ ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ٢٣٣ ) .

## سورة يوسف [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ (٤) قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٨) ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ (٩) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (١٠) قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ (١١) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (١٢)﴾

قوله : ﴿ تِلْكَ ﴾ أي : هذه ﴿ ٱلْقَصَصِ ﴾ بالفتح : المصدر، وبكسر القاف : جمع قصة .

﴿ بِمَآ أَوْحَيْنَآ ﴾ أي : بإيحائنا . ﴿ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ عن معالم الشريعة .

اذكر ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ ﴾ فإذ مفعول لا ظرف . ﴿ رَأَيْتُهُمْ ﴾ نظرية . إذا بعُد العهد بالعامل أعيد ذكرُه؛ كقوله : ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴾ [(١)] وقيل : إنما أعاد ﴿رَأَيْتُهُمْ﴾ لأنه ذكرها أولاً مقترنا بالرؤية من غير قيد ، وذكرها ثانياً مقيدةً بكونها ساجدة ويكون السجود له . الرؤيا : ما يُرَى في النوم ( ٨٥ / أ ) والرؤية بالعين ، وقد قيل في قوله : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾ [(٢)] أنها رؤية عين ، قال الشاعر [ من الطويل ] :

مضى الليلُ والفضلُ الذي لكَ لا يمضي ورؤياكَ أحلَى في فؤادي من الغُمْضِ [(٣)]

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ( ٣٥ ) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٦٠ ) .

(٣) ينظر البيت في: روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ١٧٩ ) ، لسان العرب ( رأى ) .

أي : ورؤيتك . ومثل ذلك الاصطفاء بإسجاد النيرين والكواكب ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ﴾ .

﴿ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ جمع أحدوثة ، كالأضاحيك . ﴿ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ينتفع باجتماعنا في مصالحه وكنا أحق بمحبته . ﴿ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ لفي بعد عن الحق والإنصاف . ﴿ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ ليس فيها قوت ولا أنيس ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ كأن أباهم كانت قصوده منصرفة إلى يوسف وأخيه ، فإذا هلك يوسف خلا قلبه من الموانع التي تشغله عنهم .

والغيابة : ما يخفي فيه موضع الشيء الغائب . ﴿ لَا تَأْمَنَّا ﴾ في موضع نصب على الحال. وأكدوا نصحهم له وحفظهم بأن واللام . ﴿ نرْتَع ﴾ من رتع البهائم ، قرئ ﴿ نرْتع ﴾ بغير ياء مجزوم بجواب الأمر ، وهو من الرعي . وقرئ ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ بالياء فيهما ؛ لأن يوسف كان أصغر سنًّا فهو أحق بنسبة الرتع واللعب إليه ، وقرئ ﴿ نرْتع ويلعب ﴾[1] لأنهم أقوياء قادرون على الرعي ، ويوسف يلعب .

﴿ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ ﴾ فاعل ﴿ لَيَحْزُنُنِىٓ ﴾ والواو في ﴿ وَأَنتُمْ ﴾ واو الحال ، وكذلك الواو في ﴿ وَنَحْنُ ﴾ قيل : الواو في ﴿ وَأَجْمَعُوٓا۟ ﴾ زائدة . وقيل : هي أصل ، والزائدة في قوله : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ ﴾ وجواب ﴿ لَمَّا ﴾ محذوف ، أي: لما كان ذلك جرى ما لا يقدر قدره من الخطب الذي يعظم شرحه ، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴾[2] ﴿ لَتُنَبِّئَنَّهُم

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر «يرتعِ ويلعَبْ»، وقرأ أبو عمرو وابن عامر «نرْتع ونلعب» ، وقرأ ابن كثير "نرتعِ ونلعبْ" وقرأ باقي العشرة «يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ» . تنظر القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٨٥) ، الحجة لابن خالويه ( ص: ١٩٣) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٥٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١٥٩) ، السبعة لابن مجاهد ( ص: ٣٤٥ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٠٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٣) .

(٢) سورة الصافات ، الآيتان (١٠٣، ١٠٤) .

بِأَمْرِهِمْ﴾ هو قوله لهم : ﴿ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ [(١)] .

﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنه يوسف . قيل: أوحي إلى يوسف وهو في السجن ، وهو صبي بعد [ إلقائه في الجب ] وإنما جاءوا عشاء ؛ لأن التلبس في الظلمة يروج أكثر من رواجه في النهار، ويظهر من صفحات وجه المعتذر صدقُه أو كذبُه .

ويحكى أن رجلاً وامرأة تحاكما إلى شريح القاضي[(٢)] فشكت حالها وبكت ، فقال بعض من حضر مجلسه : أظنها كاذبة ، أما تراها تبكي ؟ فقال: قد جاء إخوة يوسف عشاء يبكون وكانوا ظلمة[(٣)] .

﴿ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق . ﴿ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: مكذوب عليه . ﴿ سَوَّلَتْ﴾ سهّلتْ . ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ مبتدأ وصفة ، والخبر محذوف ، تقديره: أولى بي. وقيل: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ خبر، والتقدير: فالواجب صبرٌ جميلٌ .

استعان ( ٨٥ / ب) يتعدى بنفسه ومنه قوله: ﴿ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ ومنه : "اللهم إنا نستعينك"[(٤)] .

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٩) وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ (٢٠) وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢١) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٢٢)﴾

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٩) .

(٢) هو الفقيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي قاضي الكوفة . يقال : له صحبة ولم يصح بل هو ممن أسلم في حياة النبي ﷺ وانتقل من اليمن زمن الصديق . وصح أن عمر ولاه قضاء الكوفة فقيل: أقام على قضائها ستين سنة ، وقد قضى بالبصرة سنة وفد زمن معاوية إلى دمشق وكان يقال له: قاضي المصرين . تُوفيَ سنة ٧٨ هـ . **تنظر** ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ١٠٠) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٥١٢) ونسبه لابن المنذر عن الشعبي ﷺ.

(٤) رواه البيهقي في سننه (٢/ ٢١٠) في حديث القنوت . ولفظه: "اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخضع لك ونخلع ونترك من يكفرك اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك – ونخاف عذابك – الجد إن عذابك بالكافرين ملحق " . وقال البيهقي: هذا مرسل وقد روي عن عمر بن الخطاب ﷺ صحيحا موصولا .

الوارد : الذي يتقدم فيحصل الماء للرفقة . ﴿ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ﴾ أرسلها ودلاها . أخرجها فتعلق يوسف بالحبل فانسحب ، فلما رأوا حسنه البديع ، ووجهه الجميل اغتبطوا به ، وخافوا أن يشاركهم الركب فيه ، فقالوا: هذه بضاعة أعطاناها بعض أهل الماء لبيعها لهم . ﴿ يَٰبُشْرَىٰ ﴾ كأنه قال : يا قوم بشرايَ . وقيل : يا بُشْرَى[1] تعالي فهذا وقتك . ﴿ وَشَرَوْهُ ﴾ أي : باعوه ﴿ بِثَمَنٍ ﴾ ذي ﴿ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ قيل: كانت اثنين وعشرين ، خص كل واحد من الإخوة درهمان . وقيل: دراهم قليلة ؛ لأن القليل يعد والكثير يوزن ، عبَّر عن قلتها بعددها .

﴿ وَكَانُواْ فِيهِ ﴾ المجرور متعلق بمحذوف ، التقدير: وكانوا زاهدين فيه من الزاهدين ؛ لأن الألف واللام هاهنا موصولة ، ولا يعمل ما بعد الصلة فيما قبلها ، لا تقول: أنا زيداً الذي ضرب ، ومثله : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴾[2] ﴿ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾ هو العزيز. ﴿مَثْوَىٰهُ﴾ موضع إقامته . ﴿ أَن يَنفَعَنَآ ﴾ فاعل ﴿ عَسَىٰٓ ﴾ وهي هاهنا تامة ، بخلاف قوله : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ ﴾[3] فهي هناك ناقصة . ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ فعلنا ذلك . وقيل : التقدير: وفعلنا ذلك لنعلمه . وقيل: لنكرمه ونعلمه من تأويل الأحاديث . ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ ﴾ أمر يوسف ، أراد إخوته إهلاكه فسهل له أسباب العزِّ والرفعة. وقيل: الهاء في ﴿ أَمْرِهِۦ ﴾ تعود إلى الله – تعالى. ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ﴾ قويت قواه ، وهو جمع شدٍ ، وشدُّ النهار: وسطه ؛ لأن ضوء الشمس فيه أقوى . قال عنترة [ من الكامل ] :

عَهدي بِهِ شَدَّ النَهارِ كَأَنَّما ... خُضِبَ البَنانُ وَرَأسُهُ بِالعِظْلِمِ[4]

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء نجزي من أحسن عبادة الله ونشأ في

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وابن كثير " يا بُشْرَايَ " ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي " يَا بُشْرَىٰ " ، وقرأ ورش عن نافع " يا بُشْرايْ " . **تنظر** القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٢٩١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١٦٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٤٦) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٥٢) .

(٢) سورة الشعراء ، الآية (١٦٨) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٥٢) .

(٤) **ينظر** البيت في: تاج العروس للزبيدي (شدد) ، تفسير القرطبي ( ٧ / ١٢٠) ، جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص: ٢٢٧) ، روح المعاني للألوسي (٨/ ٥٥) ، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٢١)، لسان العرب (شدد) . **والعظلم**: صبغ أحمر . **ينظر**: لسان العرب (عظلم) .

الطهارة والعفة ، وكذلك قال الله – تعالى- في حق موسى في سورة القصص[١] .

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٢٣) وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ (٢٤) وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٢٥) قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ (٢٨) يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ (٢٩)﴾

﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ﴾ مفاعلة من واحد ؛ لأنه لم يشاركها في المراودة ، وقالت : ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ ﴾ لما كانت الأبواب جمعاً ضعّف الفعل في قوله : ﴿ وَغَلَّقَتِ ﴾ لا تقول: غلقت الباب ، ومثله: ﴿ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ ﴾[٢] .

﴿ هَيۡتَ ﴾ تعال فأقبل . واللام في ﴿ لَكَ ﴾ لبيان مَنْ ( ٨٦ / أ ) هيئت له ، كأنها قالت : تعال، والحديث لك ، ومثله : ﴿ أُفّٖ لَّكُمۡ ﴾[٣] فإن معنى أفٍ : تضجرت ، أي: تضجرت والحديث لكم ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ﴾ مصدر لا يذكر فعله .

﴿ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ ﴾ يعني: العزيز سيدي ﴿ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ ﴾ مقامي . وقيل: الضمير في ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ عائد إلى الله تعالى . ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ خطر بباله خاطرٌ ثم صرفه عنه الله – عز وجل – ولم يزد يوسف على الهمِّ، وما حكي أنها راودته حتى قعد منها مقعد الرجل من المرأة فانشق الحائط وخرج منها كفٌّ مكتوب عليها ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾[٤] فقام هارباً فلاطفته حتى عاد لما كان عليه ، فانشق الحائط وبان منه صورة يعقوب أبيه عاضًّا على إبهامه ، يقول : تزني وأنت مكتوب في ديوان المخلصين فقام هاربا ثم أدركته فلاطفته ،

---

(١) سورة القصص ، الآية (١٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٤٩ ) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ( ٦٧ ) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية ( ٣٢ ) .

فقال الله : يا جبريل أدرك يوسف، فنزل جبريل فخفقه بجناحه خفقة ذهبت بها الشهوة من نفسه حتى إن أولاد يعقوب كل منهم رزق اثني عشر ولداً إلا يوسف فإنه لم يرزق إلا أحد عشر لتلك الخفقة – فهذه حكاية نعوذ بالله منها، فإنها لو حكيت عن أفجر الفجار لكان حقيقا بألاّ نسلم عليه بعد أن ظهرت له المعجزات بانشقاق الحائط وتلاوة القرآن ثم يعود . ويرد هذه الحكاية أن الله – تعالى- برّأهُ بقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ [(١)] ولو نظر إليها بشهوة لكان حراماً عليه ، فكيف وهو يرى الآيات ثم يأتي لمواقعتها ، ثم يجلس مجلس الرجل من المرأة ؟!

وبرّأه الشاهد بقوله : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ ﴾ أو: من دبر ، وبرّأه العزيز بقوله : ﴿ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾ وبرّأه النسوة بقولهن: ﴿ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ وبرّأ هو نفسه بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ ولو حدّق إليها مستحسنا لها لكان ذلك خيانة بالغيب ، وبرأته امرأة العزيز بقولها : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ ثم إن الله سبحانه لم يذكر عن نبي معصية إلا وأعقبها بذكر توبته واستغفاره ومغفرته له ، ولم يعقب ذكر يوسف بشيء من ذلك . وزعم بعضهم أن قوله : ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ متعلقٌ بقوله : ﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ والتقدير : لولا أن رأي برهان ربه لهمَّ بها ، فما همَّ يوسف . وهذا فاسد ؛ لأن جواب « لَو» لا يتقدم عليها .

قرئ ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ و﴿المخلِصين﴾ فمن قرأ بالكسر فهو من قوله : ﴿ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾[(٢)] ومن قرأ ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ ( ٨٦ /ب ) بالفتح[(٣)] فهو من قولهم : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [(٤)] ﴿ وَأَلْفَيَا ﴾ وجدا . استعملت الحياء والحفز بقولها : ﴿ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا ﴾ ولم تذكر نفسها ولا يوسف، ولولا تورطها وافتضاحها برؤية

---

(١) سورة يوسف ، الآية ( ٢٤ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ١٤٦ ) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب " المخلِصين " ، وقرأ باقي العشرة " المخلَصين " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٢٩٦ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ١٩٤ ) ، حجة أبي زرعة (ص : ٣٥٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ١٧٠ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٤٨) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣١٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩٥ ) .

(٤) سورة ص ، الآية ( ٤٦ ) .

العزيز على تلك الحالة لما احتاجت إلى مثل هذا الكلام، واضطر يوسف إلى أن يدفع عن نفسه ما عرَّضتْ به من قذفه ، فقال: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي﴾ ﴿ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ قيل : هو رجل كان في صحبة العزيز. وقيل: صبي كان في المهد أنطقه الله ببراءته. وهذا فاسد؛ لأنه ورد في الحديث أنه لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى بن مريم ، وصاحب الأخدود ، وصاحب جريج[1]، وهذا ليس واحداً منها . الخاطئ فاعل الخطيئة ، وهو العاصي ، يقال : منه خطأ يخطأ فهو خاطئ ، مثل : ضحك يضحك فهو ضاحك ، وأما أخطأ يخطئ فهو المضاد للعمد .

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿ قَدْ شَغَفَهَا ﴾ قد خرق حبُّه حجابَ قلبها ، والشغف : جلدة رقيقة تغشى القلب . ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا﴾ لنعلمها. ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ ﴾ قيل : قلن هذا القول لتريهم إياه ، فلذلك سمي مكراً . ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ ﴾ ما يتكأ عليه . ﴿ أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمنه . وقيل : حضن لما هالهن من جماله . وقال الشاعر [ من الطويل ] :

خَـفِ اللَّـهَ وَاسـتُر ذا الجَمـالَ بِبُرقُـعٍ    فَإِن لُحتَ حاضتْ في الخُدورِ العَواتِـقُ [2]

وهذا بعيد ، فإنه لا يقال : حضنه . ﴿ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ أبنَّها . وقيل: جرحنها ، وهو

---

(١) رواه البخاري برقم ( ٢٤٨٢ ، ٣٤٣٦ ، ٦٤٨٩ ) ، ومسلم برقم ( ٢٥٥٠ ) عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) البيت للمتنبي ، **ينظر في** : روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ٢٢٩ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٦٥)، قرى الضيف لابن أبي الدنيا (١/ ١٠٨) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني (ص: ١٥٢) .

الأصح . وقد احتج بعض من فضل المَلَكَ على البشر بأن هؤلاء النسوة لما عظَّموا يوسف جعلوه ملَكاً ، فدل على أن المَلَكَ أشرف وأفضل ، وليس بحجة ؛ لأن النسوة إنما رجحن يوسف من حيث الجمال والصورة ، ونحن لا ندَّعي أن البشر أحسن من الملائكة ، بل ندعي أنه أفضل ، والنسوة في بعدٍ بعيد عن ذلك . ﴿ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ فاستمسك بعصام التقوى. ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ﴾ قدم اللام الموطئة للقسم على الشرط ، فجاء الجواب للمتقدِّم . ﴿ مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ الأذلاء. يجوز أن يكون ﴿ أَحَبُّ ﴾ من باب ما لا مشاركة فيه ؛ كقوله - تعالى: ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[1] ولا خير لأهل النار في مستقر ولا مقيل! ويجوز أن تكون من باب المشاركة، وتكون الإشارة بالمحبة إلى ما تقتضيه البشرية من الميل (٨٧/ أ) إلى مستحسنات الصور ، وإن كانت العصمة الإلهية حافظة للنبي من ذلك . ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ من المقدمين على خلاف أمر الله غافلين عمَّا توعَّد به من العقاب. ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائه ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بإخلاصه .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ( ٢٤ ) .

﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْآيَٰتِ ﴾ فاعل " بدا " بداء ، وقوله : ﴿ لَيَسْجُنُنَّهُۥ ﴾ تفسير لذلك البداء . قيل : تفعَّل الفتيان المنامين ، ولم يكونا رأيا شيئا ، فنفذت الكلمة النبوية .

وقيل : بل رأيا ما قصَّه الله - عزَّ وجل . ﴿ أَعْصِرُ ﴾ عنباً يصير بعد مدة ﴿ خَمْرًا ﴾ من تسمية الشيء بما يؤول إليه . قال المفسرون : وبعض العرب يسمي العنب خمراً . قلت : فيه نظر ؛ لأن المنقول عن العرب أنهم أطلقوا على العنب اسم الخمر ، ولم يقولوا هو مجاز عن أصل الوضع ، ولا هو حقيقة ، ونحن قد قلنا : إن تسميته خمراً مجاز عن تسمية الشيء بما يؤول إليه . ﴿ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ قيل: في عبارة الرؤيا ، يعبرها على أحسن وجه . وقيل: ﴿مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلى أهل السجن ، كان يذكرهم بالله ويعظهم ويزور مريضهم . وكان يوسف عليه السلام يحدِّث أهل السجن بما يبعثه أهلهم إليهم من المأكل والملابس وغيرها ، ثم إن يوسف دعاهم إلى الله وأقام الدلالة على وحدانيته قبل أن يشرح لهما ما اقتضته رؤياهما تقديماً للدعاء إلى الله وإقامة حجج الوحدانية على ما طلباه من تفسير المنامين .

قوله : ﴿ مَا كَانَ لَنَآ ﴾ في معنى ما ينبغي ؛ كقوله : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [1] .

﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ وهو الذي رأى نفسه يعصر العنب ، والآخر هو الذي حمل الخبز على رأسه وأكلت الطير منه ﴿ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ فرغ ممَّا قصصته عليكم وأنه كائن لا محالة . ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ ﴾ وهو الساقي ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ سيدك . ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: أنسى يوسف ذكر ربه ، أي : رب يوسف ، ومن قال : أنساه الشيطان يعني : الساقي ذكر ربه ، أي : تذكير سيده ﴿ فَلَبِثَ ﴾ يوسف ﴿ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قيل : البضع من الثلاثة إلى العشرة . وقيل: إلى التسعة ، فلما أراد الله تخليص يوسف هيَّأ سببه ، فأرى الملكَ في المنام سبعَ بقراتٍ سمانٍ يأكلهن سبعٌ عجافٌ مهازيل ، ورأى سبع سنبلاتٍ خضرٍ قد التفت عليها سبع سنابل يابسات ، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٨٧/ ب) يقال : عبر الرؤيا مخففا يعبرها فهو عابر ، ومنه الحديث : " الرؤيا لأول عابر "[2]. ودخلت اللام في قوله : ﴿ لِلرُّءْيَا ﴾ لتقدم المفعول ؛

---

(١) سورة مريم ، الآية (٣٥) .

(٢) رواه ابن ماجه رقم ( ٣٩١٥ ) ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده رقم ( ٤١٣١ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٤ / ٣٩١ ) ، عن أنس وفي سنده يزيد بن أبان الرقاشي ، وهو ضعيف وضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة ( ٣ / ٢١٦ ) ، والألباني في ضعيف ابن ماجه ( ٨٤٩ ) .

كقوله : ﴿ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ [١] .

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ (٤٤) وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ (٤٩) وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٥١) ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ (٥٢)﴾

﴿ قَالُوٓاْ ﴾ هذا ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ . ﴿ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا ﴾ يعني: الساقي ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ بعد زمن طويل . ﴿ فَأَرْسِلُونِ ﴾ فأرسلوه ؛ فقال له الرسول : ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ ﴾ الكثير الصدق ، أو : الكثير التصديق ؛ قال الله تعالى في مريم : ﴿ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [٢] وقال في حقها : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا ﴾ [٣] ﴿ إِلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الملك وأصحابه ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ صدقك ويقيمون عذرك .

﴿ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ اجتهادا ؛ فأي شيء حصد ﴿ فَذَرُوهُ ﴾ فاتركوه ﴿ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ ليكون أكثر بقاء . ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ ﴿ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ ﴾ سنين ذوات قحط ﴿ شِدَادٌ ﴾ على الناس، يؤكل فيهن ما ادخرتم من الزرع في السنبل .

﴿ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ ﴾ من الغوث ، أي : يغيثهم الله ، أو : من الغيث ، يمطرون . ﴿ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ من السمسم الشيرج [٤] ومن الزيتون الزيت وغير ذلك . ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٥٤ ) .

(٢) سورة المائدة ، الآية ( ٧٦ ) .

(٣) سورة التحريم ، الآية ( ١٢ ) .

(٤) **الشَّيْرَجُ** : الدُّهنُ الأبيض ، وهو دهن السمسم ، ويقال للعصير أو النبيذ قبل أن يتغيَّر: شَيْرجُ أيضاً وهو تعريب شيرَهْ **ينظر** : لسان العرب ( سلط ) ، المغرب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي المطرزي ( ١ / ٤٣٧ ) ط . مكتبة أسامة بن زيد – حلب – الطبعة الأولى ، ١٩٧٩ –=

بيوسف ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ توقف عند الخروج ، وقال للرسول : ارجع إلى سيدك ، وقل له : ﴿ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ وأراد بذلك أنه كان قد حبس على تهمة ، وكثر القول من النسوة وغيرهن في تهمته مما هو بريء منه ؛ فأراد يوسف ألا يخرج إلا بعد أن يكشف الحق وتظهر البراءة ؛ فسأل العزيز النسوة فقلن : ﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ فقالت امرأة العزيز : ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾ أي : ثبت واستقر ؛ قال الشاعر يصف بعيرا [من الطويل ] :

فحَصْحَصَ في صُمِّ الصَّفا ثفَنَاتِهِ[1]

وإن يوسف ﴿ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ في قوله: ﴿ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ﴾ ثم اختلف الناس في قائل ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ فقال قوم : هو من قول يوسف ، والتقدير : ذلك التوقف عن الخروج لما طلبني الملك أول مرة ﴿ لِيَعْلَمَ ﴾ الملك ﴿ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وقال بعض المفسرين تفريعا على هذا : لما قال : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قال له جبريل : ولا حين هممت بها يا يوسف[2] . وقال قوم : هو من قول امرأة العزيز ؛ فإنها لما قالت : ﴿ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ قالت : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ ﴾ أي : يوسف ﴿أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ﴾ ( ٨٨ / أ ) في حال غيبته لما ذكر ، وعلى هذا يكون الكلام متصلا بعضه ببعض، وعلى القول الأول انقطع كلام امرأة العزيز.

﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾

---

= تحقيق : محمود فاخوري وعبد الحميد مختار .

(١) هذا صدر بيت لحميد بن ثور ، وعجزه : ............ وناء بسلمى نوأة ثم صمها .

**ينظر في** : تاج العروس للزبيدي ( حصحص ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ٢٥٩ ) ، غريب الحديث لابن سلام ( ٤ / ٣٠٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤٧٩ ) ، لسان العرب ( حصحص – صمم )

**والصم** : الصلبة . **والثفنات** : كل شيء ولي الأرض من البعير إذا برك وهي الركبتان والفخذان وغيرهما ، **وناء** : قام متثاقلا بسلمى محبوبته ، **نوأة** : نهضة واحدة لم يتردد ، ثم صمم على السير .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٣/٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥٤٨/٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ ﴾ إلا من رحم ربي . في المثل : "يستدل على الرجل بكلامه وبشعره" ، ومن هذا قوله : ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا ﴾ جعل العلة في مكانته عنده أنه علم من فصاحة كلامه وحسن إيراده أنه حقيق بالمكانة ، فعجل يوسف والتمس النيابة في تدبير أمر الأوقات ؛ فيقال : إنه أخر إجابته مدة ، والحق أن يوسف علم من نفسه الكفاية والأمانة ، وأنه متعين لتدبير ما يطرأ على الناس من الشدة ، وعلل ذلك بكونه حفيظا عليما ، وإذا تم الوصفان تعين للولاية ، ومن علم التعيين للولاية وجب عليه ، ويجوز للمسلم قبول الولاية من الكافر لما يترتب عليه من المصلحة (١).

ومثل ذلك التمكين ﴿ بَوَّأۡنَا ﴾ جعلناها مباءة ينزل منها حيث يشاء .

﴿ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ ﴾

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوي ( ٢٠ / ٥٦ -٥٧) : "ومن هذا الباب تولي يوسف الصديق على خزائن الأرض لملك مصر، بل ومساءلته أن يجعله على خزائن الأرض ، وكان هو وقومه كفاراً كما قال - تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ﴾ الآية ، وقال - تعالى- عنه : ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم ﴾ الآية . ومعلوم أنه مع كفرهم لا بد أن يكون لهم عادةٌ وسنةٌ في قبض الأموال ، وصرفها على حاشية الملك ، وأهل بيته وجنده ورعيته ، ولا تكون تلك جارية على سنة الأنبياء وعدلهم ، ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد ، وهو ما يراه من دين الله فإن القوم لم يستجيبوا له ، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته مما لم يمكن أن يناله بدون ذلك ، وهذا كله داخل في قوله : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ .

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ ﴾ أكبر وأعظم مما حصل له من الولاية . ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ ﴾ في طلب الميرة؛ لأن بلادهم أصابها من القحط ما أصاب الناس . ﴿ فَعَرَفَهُمْ ﴾ ولم يعرفوه ؛ لأن يوسف كان يتفحص عنهم ويترقبهم ، وكانوا يظنون بيوسف أنه هلك ، واستعبده من اشتراه ؛ ولأن زيَّ المملكة يورث في القلوب أبهة تمنع من استيفاء النظر . والجَهاز بفتح الجيم : ما يتجهز به . ﴿ بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ وكان بنيامين ، وكان شقيق يوسف دون بقية إخوته ، روي أنه كان أنزلهم وأضافهم ، وإنما مدح نفسه بأنه ﴿ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴾ ليرغبهم في إحضار أخيهم ولعل الله كان قد أوحى إليه بذلك ليضاعف ليعقوب الثواب على البلاء . ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ لأتباعه . وفي الحديث: " لا يقل أحدكم عبدي ولا أمتي ، بل يقل : فتاي وفتاتي» [(١)] ومنه ﴿ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [(٢)] ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ ﴾ [(٣)] وإنما رد البضاعة لعلمه بفاقة أبيه وفاقة العائلة ، ولما يعلم من دين أبيه وإخوته إذا رأوا البضاعة قد أعيدت إليهم أن يظنوا ذلك غلطا فيعودوا لإعطائها، ولهذا قال: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ ﴾ و﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ بتقدير: إن لا يحضر الأخ.

﴿ مَا نَبْغِى ﴾ ما نافية ، والبغي: تجاوز الحد ، ويجوز أن تكون ﴿ مَا ﴾ استفهامية ، أي : أيّ شيء نطلب ؟ ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ معطوف على مضمر . ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا ﴾ يطلق لنا الكيل (٨٨/ ب) ﴿ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا ﴾ ﴿ وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ لبنيامين ، وكان يوسف لا يعطي كل رجل أكثر من حمل بعير .

﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ

---

(١) رواه مسلم رقم ( ٢٢٤٩ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٩٧٥ ) ، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٢٥ ) .

(٣) سورة النور ، الآية ( ٣٣ ) .

لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿ مَوْثِقًا ﴾ عهدا يتوثق به ﴿ إِلَّآ أَن يُحَاطَ ﴾ إلا أن تهلكوا ، ومنه : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ﴾ [(١)] ﴿مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ قيل: خاف عليهم العين ؛ لأنهم كانوا حسان الصور والملبس ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ لا أتوكل إلا عليه، ولا يتوكل المتوكلون إلا عليه .

﴿ إِلَّا حَاجَةً ﴾ أي : ليس يدفع عنهم تفرقهم في الأبواب من مقدورهم شيئا ، لكنه يقضي عنهم ما وجب عليهم من طاعة الأب ﴿ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ لتعليمنا إياه .

﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ فلا يلحقك بأس ، وكانوا يكرهون بنيامين بعض الكراهة ؛ لأنه خصيصٌ بيوسف، ويسمعونه ما يكرهه. ﴿ ٱلسِّقَايَةَ ﴾ صاع من فضة كان يكتال به ﴿ٱلْعِيرُ ﴾ القافلة وكانوا جمالا . وعن مجاهد : كانوا حميرا [(٢)]. وقد احتج على جواز الجعالة بقوله: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ [(٣)] وكان حمل البعير قدرا معلوما عندهم ، فصحَّ جعله عوضا في الجعالة ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ ﴾ علق العلم بـ ﴿ مَّا ﴾ النافية ، كما علق باللام في قوله : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ ﴾[(٤)] وإنما احتجوا بعلمهم بأنهم لم يجيئوا مفسدين ولا

---

(١) سورة الكهف ، الآية ( ٤٢ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٣ / ١٨ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور( ٤ / ٥٥٩ ) ونسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد ﷺ .

(٣) **الجعالة** : هي أن يجعل جعلا لمن يعمل له عملا من رد آبق أو ضالة أو بناء أو خياطة وسائر ما يستأجر عليه من الأعمال . وقد اختلف العلماء في منعه وجوازه فقال مالك : يجوز ذلك في اليسير بشرطين : أحدهما : أن لا يضرب لذلك أجلا . والثاني : أن يكون الثمن معلوما . وقال أبو حنيفة: لا يجوز . وللشافعي قولان وعمدة من أجازه قوله تعالى : ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ وإجماع الجمهور على جوازه في الإباق والسؤال . وما جاء في الأثر من أخذ الثمن على الرقية بأم القرآن . وعمدة من منعه الغرر الذي فيه قياسا على سائر الإجارات ولا خلاف في مذهب مالك أن الجعل لا يستحق شيء منه إلا بتمام العمل وأنه ليس بعقد لازم .

**ينظر** تفصيل ذلك في : بداية المجتهد لابن رشد (١/ ١٠٠١) ، المغني لابن قدامة (٦/ ٣٧٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ١٠٢ ) .

سارقين ؛ لأنهم كانوا أول من جعل الكمام على أفواه الإبل لئلا تأكل من زرع الناس ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ أي: يؤخذ بجريرته ويسترقُّ ، وقوله : ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: لا جزاء له غيره . وقيل : تقديره : جزاؤه مأخوذ من هذه الجملة ﴿مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ فبدأ بتفتيش أوعيتهم واحدا واحدا ، وجعل رحل بنيامين آخرا ، فلما وصل إليه قال : ما أظن هذا سرق شيئا ؛ ليبعد الظن عن نفسه ، قالوا : لابد من تفتيشه .

﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ (٧٦) ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ (٧٩) فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ (٨٠) ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ (٨١) وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٨٢) قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ (٨٣) وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ (٨٤) قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٨٦) يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ (٨٧) فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ (٨٨)﴾

﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ هيأنا له سببا يأخذ به أخاه ، فإن إخوته أقروا أن جزاء السارق استرقاقه ، فلما وجد الصاع في رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء .

قوله : ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ يعنون يوسف ، وكان يخبئ شيئا من الخبز يطعمه للمساكين . وقيل : كانت سارة عمته قد أخذت يوسف من يعقوب وربته عندها ، فطلبه

يعقوب ، فأخذت حياصة كانت لإسحاق جده ، فشدتها بين أثوابه وردته إلى يعقوب ، ثم قالت: فقدت الحياصة. فوجدها في ثياب يوسف [1] فعدوا ذلك سرقة منه ، ثم استعطفوا يوسف وقالوا : ﴿ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ﴾ ( ٨٩ / أ ) ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ ﴾ غير السارق ، فإن أخذنا غيره إنا لظالمون . ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ ﴾ من رد يوسف أخاهم إليهم انفردوا يتشاورون سرًّا فيما يصنعون ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ﴾ أرض مصر. ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ أي : أهلها؛ كقوله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ ﴾ الآية [2] وقيل : اسأل القرية بعينها ؛ فسينطقها الله وتخبرك، وليس ذلك ببعيد من الأنبياء .

قال يعقوب بناء على غلبة الظن : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ ﴾ بل سهلت وزينت ﴿ عَسَى ﴾ هاهنا ناقصة وفي قوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [3] تامة لا خبر لها . وأعرض يعقوب عن بنيه إعراض المتألم والكاره لما جرى ﴿ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ ﴾ قيل : نادى الأسف وقال : تعال يا أسف فهذا وقتك . وقيل: المنادى محذوف ، والتقدير : يا قوم أسفا على يوسف .

﴿كَظِيمٌ ﴾ كاظم غيظه وأصل الكظام : ما تشدُّ به القِربة فيمنع ما فيها من الخروج والسيلان ﴿تَٱللَّهِ﴾ ما يقسم بالتاء إلا فيما يتعجب منه . ﴿ تَفْتَؤُا۟ ﴾ أي : لا تزال . البَثُّ هو الألم ؛ لأنه سبب الشكوى والبث . ويقال : إن ملك الموت زار يعقوب فقال له يعقوب هل: قبضت روح يوسف؟ فقال : لا ، فهو معنى قوله : ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ فَتَحَسَّسُوا۟ ﴾ اطلبوا بحواسكم كلها . ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾ من رحمته وتنفيسه الكربات . ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ ﴾ أي : على يوسف . ﴿ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ مسوقة يدفعها قوم إلى قوم أي : ليست بمرغوب فيها. ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ﴾ برد أخينا ؛ لأن الصدقة كانت محرمة على الأنبياء.

﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢٩ ) وفيه أنه أخذ منطقة إسحاق ، والمنطقة والنطاق والمنطق : كل ما شد به وسطه غيره . والحياصة من حاص الثوب يحوصه حوصا وحياصة : خاطه .

**ينظر** : لسان العرب ( حوص - نطق ) .

(٢) سورة الطلاق ، الآية ( ٨ ) .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ( ١١ ) .

يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًاۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾

ولطف بإخوته بقوله: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم﴾ إلى قوله : ﴿ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴾ يعني : حملكم الشباب، وهوى النفس والحسد الذي يحمل على مثل ما فعلتم .

قوله : ﴿ وَهَٰذَآ أَخِي﴾ فيه إشارة إلى ما كانوا يعتمدونه معه من الإغلاظ في القول . ﴿مَن يَتَّقِ﴾ قرئ بإشباع كسرة القاف[١] فتولدت منها الياء ﴿ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : أجره ، وضع الظاهر موضع المضمر. ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ تعجباً من انتقال يوسف عما كان عليه من الحال حين باعوه بثمن بخس إلي مملكة مصر. ﴿ لَا تَثْرِيبَ﴾ لا لوم ، و﴿ ٱلْيَوْمَ﴾ متعلق بـ " تثريب " ووقف بعضهم على قوله: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ وابتدأ ﴿ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ وهو بعيد[٢] ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ (٨٩ / ب ) وكان القميص من حرير الجنة لا يلبسه

---

(١) قرأ الجمهور " يتق "، وقرأ قنبل عن ابن كثير " يتقي" في الوصل والوقف .

**تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٣٤٢ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ١٩٨ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٣٦٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢١٢ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص:٣٥١)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧).

(٢) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ١٩٧ ) .

مبتلى إلا عوفي[١]. ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ من العريش قال يعقوب: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن ﴾ تنسبوني إلى الفند والهرم . ﴿ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ﴾ أي : في بعدك عن الصواب .

﴿ فَٱرْتَدَّ ﴾ فعاد ﴿ بَصِيرًا ﴾ قال لهم : ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ ﴾ وإنما أخر يعقوب الاستغفار إلى وقت السحر . وقيل : إلى ليلة الجمعة ، دعا وقال: " اللهم اغفر لي شدة أسفي على يوسف ، واغفر لبني ما جنوه عليَّ وعليه ، فأوحى الله – تعالى- إليه أن قد استجيب دعاؤك "[٢].

﴿ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ ضمهما ، وكان يوسف قد خرج للقاء أبيه فتلقاه في الطريق ، ودخل يعقوب عليه وأراد بأبويه: أباه وخالته ، وقال لهم : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ ﴾ فدل على أنه كان خارجا من مصر ، وكان السجود للإنسان تحية من كان قبلنا ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ الآية . وجعل الانتقال من البدو إلى الحضر نعمة تشبه الخلاص من السجن .

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٥٠٣ ) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٠٤ ) .

﴿ مِنَ ٱلْمُلْكِ ﴾ من للتبعيض . ﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ مبتدئهما على غير مثال سبق ﴿ أَنتَ وَلِيِّۦ ﴾ متولي أمري، وأنا متوليك . ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ يجوز أن يكون في موضع نصب بفعل دل عليه ﴿نُوحِيهِ﴾ من باب : زيدا ضربته . ﴿ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿وَكَأَيِّن﴾ وكم ﴿ وَهُمْ عَنْهَا ﴾ عن الاعتبار بها ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ . ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ ﴾ وما يصدق ﴿أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ معه غيره . قال الحسن : " ما بعث الله نبيًّا من البادية ولا من النساء ولا من الجن "[١] ؛ لقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ فاعترض عليه بأن الجن يسمون رجالا ؛ قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[٢] أرسلناهم بالبينات والزبر فاستمر قومهم على تكذيبهم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ ﴾ وظن الرسل أن قومهم الذين آمنوا قد كذبوهم وشكوا فيما وعدوهم ، أو ظن قومهم المؤمنون بالرسل أن الرسل كذبوهم فيما وعدوهم به من النصر.

* * *

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٣١٢ ) ، والقرطبي في تفسيره ( ٩ / ٢٣٣ ) .

(٢) سورة الجن ، الآية ( ٦ ) .

## سورة الرعد [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله : ﴿ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ ﴾ مبتدأ ﴿ ٱلْحَقُّ ﴾ خبره ( ٩٠ / أ ) ﴿ تَرَوْنَهَا ﴾ جملة مستأنفة .

وقيل : في موضع الوصف لـ ﴿ عَمَدٍ ﴾ أي : بغير عمد مرئية ، وقالوا : تلك العمد هي قدرة الله – عز وجل - لأن تمام الأعمال القدرة ؛ كما أن تمام ما فوق العمد بالعمد .

﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يوم القيامة . ﴿ ٱلْأَمْرَ ﴾ جنس ، وهو أبلغ من صيغة الجمع ؛ لأن استرسال اسم الجنس على ما تحته لا يشذ منه شيء ، وفي صيغة الجموع اضطراب ؛ لأنها تأتي مستغرقة وغير مستغرقة ، وإذنه للشافع أن يشفع ، أو إذنه للمشفوع فيه أن يُشْفَعَ فيه.

﴿ مَدَّ ٱلْأَرْضَ ﴾ دحاها وبسطها ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ ﴾ ثابتات ، ويقال : مثبتات ، وهو بعيد من حيث اللفظ حسن من حيث المعنى . والوقف عند قوله :﴿ وَأَنْهَٰرًا ﴾ [(١)] ﴿ زَوْجَيْنِ ﴾ صنفين من الطعوم والألوان وغيرها . ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ﴾ ويغشي النهار الليل ؛ فاكتفى بأحدهما ؛ كقوله: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [(٢)].

قرئ ﴿ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ ﴾ بالجر[(٣)] ، وهو مشكل ؛ لأن الجنة لا تكون من الزرع ، وعند

---

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ٢٠٠ ) .

(٢) سورة النحل ، الآية ( ٨١ ) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم «وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ» بالرفع ، وقرأ باقي العشرة «وزرعٍ ونخيلٍ» بالجر. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٣٦٣ ) ، حجة ابن خالويه (ص: ١٩٩ - ٢٠٠) ، حجة أبي زرعة ( ص:٣٦٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٢٢٥)، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٤٩ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٧) .

الزمخشري والأخفش الجنة لا تكون إلا من النخل[1] وأنشد قول زهير [ من البسيط ] :

................ ......... تَسْقِي جَنَّةً سُحُقا[2]

أي: نخيلا طوالا ، ويرد عليه قوله - تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ ﴾[3].

وكذلك قوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾[4] .

**الصنوان** : هما الفرعان الناتئان من أصل واحد ، كنخلتين من نواة . وتثنية الصنو صنوان ؛ وكذلك جمعه ، إلا أن إعرابه مجموعا بالحركات على النون ، وإعرابه مثنى بالألف في الرفع ، والياء في النصب والجر ، ومثله : قنوان في التثنية والجمع .

وإعراب ﴿ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ هو مَثَلٌ ضربه الله - تعالى- للقرآن نزل على قوم قلوبهم مختلفة ، فيثمر في قلوب أهل الخير المعارف الإلهية ، وينبت في قلوب أهل الزيغ التكذيب والعناد والافتراء ؛ كما أن الماء الواحد يسقي رطبا جنيًّا وحنظلا مرًّا ، والأُكل: الشيء المأكول .

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) ﴾

﴿ وَإِن تَعْجَبْ ﴾ من شيء فقولهم : ﴿ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ مما ينبغي أن يتعجب منه الناظرون فيه ، والتعجب على الله محال ؛ لأنه رؤية ما خفي سببه ، والله

---

(١) **ينظر** : الكشاف للزمخشري ( ١ / ١٠٥ ، ٣ / ٣٢٧ ) .

(٢) هذا عجز بيت لزهير في أبيات يتحسر فيها على فراق محبوبته وصدره :

كأنَّ عَيْنَيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلة من النواضحِ ............

**ينظر في**: تاج العروس (قتل) ، تفسير القرطبي (١٣/ ١١٧) الكشاف للزمخشري (١/ ١٠٥)، لسان العرب (سحق) والمعنى: كأن عيني من شدة البكاء وكثرة الدموع عينان في دلوين عظيمين ممتلئتين ماء ، تحملهما ناقة مقتلة مذللة معتادة على العمل من الإبل النواضح التي يستقى عليها، تسقي تلك الناقة جنة سحقا ، أي: نخلا طوالا جهة السماء أو بعيدة عن محل الماء فهي دائمة ذاهبة آية .

(٣) سورة الكهف ، الآية (٣٢) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٦٦) .

-تعالى- لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض[١] ، وقد جاء نسبته إلى الله مجازا في قراءة حمزة[٢] ﴿ بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ ﴾[٣] بضم التاء (٩٠ / ب ) وفي قوله : ﴿ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[٤] . ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾[٥] التقدير: حلوا محل من يتعجب ؛ كقوله :

---

(١) مذهب أهل الحق من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان من الخلف في مثل هذه الصفات التي أخبر الله – تعالى – بها عن نفسه ، أو أخبر عنها رسوله ﷺ: إمرار هذه الصفات كما أتت من غير تكييف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، فهو – سبحانه – ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . وقد ورد في أكثر من حديث في صحاح كتب السنة إثبات صفة العجب لله – تعالى – ومنها : ما رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٣٠١٤٠ ) ، وأبو داود رقم (٢٦٧٧ ) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل" . وروى أحمد في المسند (٤/ ١٥٨ ) وأبو داود رقم ( ١٢٠٣ ) ، وابن حبان رقم ( ١٦٦٠ ) عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ: " يعجب ربك من راعي غنم في رأس الشظية للجبل ، يؤذن للصلاة ويصلي فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني ، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة " . كما روى أحمد أيضا في مسنده (١/ ٤١٦) ، وأبو داود رقم ( ٢٥٣٦)، وابن حبان رقم (٢٥٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٢) عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: " عجب ربنا من رجلين ؛ رجل ثار من وطائه ولحافه من بين حبه وأهله إلى الصلاة ، فيقول الله – جل وعلا: انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم الناس وعلم ما عليه في الانهزام ، وماله في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه " . وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ، والصواب – وهو مذهب السلف الصالح وما عليه أئمة المسلمين – : الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله – تعالى- على مراد الله – تعالى – ونسأل الله – تعالى- أن يهدينا والمسلمين إلى الفهم الصحيح والعقيدة النقية الصافية .

(٢) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام القدوة شيخ القراء أبو عمارة التيمي الكوفي الزيات ، كان إماما قيما لكتاب الله قانتا لله كثير الورع رفيع الذكر عالما بالحديث والفرائض . توفي سنة ست وخمسين ومائة ، وكان من الأئمة العاملين . **تنظر** ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٩٠- ٩٢ ) .

(٣) سورة الصافات ، الآية ( ١٢ ) وهذه قراءة حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ باقي العشرة ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُون ﴾ . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٧/ ٣٥٤ ) ، حجة ابن خالويه (ص:٣٠١) ، حجة أبي زرعة (ص:٦٠٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٩٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص:٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٦) .

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ١٧٥ ) .

(٥) سورة عبس ، الآية ( ١٧ ) .

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ [(١)] أي : حلوا محل من يتحسر عليه .

﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا ﴾ يجوز إثبات الاستفهام في الشرط والجزاء ، ويجوز حذفه منهما ، ويجوز إثباته في الشرط دون الجزاء وفي الجزاء دون الشرط ، وجاء في قوله : ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴾ [(٢)] ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ ﴾ [(٣)] إثباته في الشرط ، وقرئ في هذه الآية بالوجوه الأربع[(٤)].

لما كان وعد الآخرة ثابتا محققا أخبر عنه بالشيء الثابت ؛ كقوله : ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [(٥)] وقال هاهنا : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ ﴾ .

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾

﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ﴾ بالعقوبة استهزاء بها ﴿ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ جمع مثلة ، وهي وقائع الله بالأمم الماضية وعلمهم بذلك لمرورهم على بلاد المهلكين ينبغي أن يكون حاملا لهم على طلب الحسنة والاستغفار من السيئة ﴿ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡ﴾ جملة في موضع الحال ، واحتج به ابن الخطيب[(٦)] على أن الله تعالى يجوز أن يعفو عن أصحاب الكبائر من غير توبة؛

---

(١) سورة يس ، الآية ( ٣٠ ) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٣٤ ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ( ١٤٤ ) .

(٤) قرأ نافع والكسائي ويعقوب «أئذا كنا ترابا إنا» ، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر «إذا كنا ترابا أئنا»، وقرأ باقي العشرة «أئذا كنا ترابا أئنا» . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٥ /٣٦٦)، الحجة لأبي زرعة (ص : ٣٧١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٢٧ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٥٧ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٦ / ٢٧٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ١ / ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ) .

(٥) سورة الانفطار ، الآية ( ١٣ ) .

(٦) **ينظر** : مفاتيح الغيب للفخر الرازي ( ١٩ / ١١ ) .

توبة؛ لقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [(١)] ومن كان مصرا على الكبيرة فهو ظالم لنفسه، وقد ذكر في هذه الآية أنه يغفر لهم مع أنهم ظالمون ، وقد أجرى الله عادته بأن يقرن في كتابه الوعد بالوعيد ، وذكر الجنة بذكر النار ؛ ليكون العبد على خوف ورجاء .

﴿لَوْلَآ﴾ بمعنى هلا ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قيل : هي جملة مستأنفة ؛ كقوله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾ [(٢)] وقيل : ﴿هَادٍ﴾ خبر ثان لقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ أي : وهاد لكل قوم . قيل : ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ ما تلقيه سقطا . وقيل : الغيض والزيادة راجعان إلى كثرة دم الحيض وقلته . والكبير المتعالي متقاربان في المعنى ؛ لأن الكبر والعلو اللذين توصف بهما الأجسام مستحيلان على الله – عز وجل[(٣)] ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ﴾ تقديره: ومن هو سارب بالنهار. ويجوز إضمار الموصول ؛ كما قال حسان بن ثابت [ من الوافر ]:

فَمَنْ يهجو رسولَ اللهِ منْكُمْ ... ويَمْدَحُهُ وينْصُرُهُ سَواءُ[(٤)]

لأن المستخفي بالليل لا يكون ساربا بالنهار ، والسارب مأخوذ من السرب وهو الطريق. (٩١/أ ) ، ومنه قوله ﷺ: " من أصبح معافى في بدنه ، آمنا في سِرْبه ، عنده قوتُ يومِه ، فكأنما حيزتْ له الدنيا بحذافيرها "[(٥)] .

---

(١) سورة النساء ، الآية ( ٤٨ ) .

(٢) سورة النحل ، الآية ( ٣٦ ) .

(٣) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم ، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

(٤) ينظر البيت في : تذكرة النحاة ( ص : ٧٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٥ ) ، الدرر اللوامع ( ١ / ٢٩٦ ) ، ديوان حسان ( ص : ٧٦ ) ، المغني لابن هشام ( ٢ / ٣٥٥ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ١ / ٨٨ ) .

(٥) رواه الترمذي رقم (٢٣٤٦) ، وابن ماجه رقم (٤١٤١)، وابن حبان رقم (٦٧١) ، من حديث أبي الدرداء .

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ ملائكة يتعاقبون في الليل والنهار وأولئك ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ وهي صفة للمعقبات . ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ مفعولان من أجلهما ، والقياس فيه أن يكون فعل فاعل الفعل المعلل ، والخوف والطمع ليسا من فعل الله ؛ فقدر بقوله : ﴿يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ فتخافون وتطمعون .

﴿ٱلسَّحَابَ﴾ اسم جنس وليس بجمع ، وقد وصفه بالجمع ؛ فهو كقوله تعالى : ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ [(١)] وكذلك قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٌ﴾[(٢)] على قراءة الجر. والرعد ملك ، وهو المسبّح لا الصوت ، ويسمَّى صوته رعداً لأن نسبة الأعراض إلى الأعراض محال . ﴿يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ﴾ أي : في وحدانيته ﴿شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ﴾ أي : المماكرة . ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ﴾ إلا كاستجابة باسط ﴿كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ فلا يصل إليه الماء ببسط كفه ، كذلك لا يحصل لداعي الأصنام شيء مما يطلب .

سجود الكره : تفيُّؤ الظلال كما يسجد الجبل والشجر يتفيأ ظلالهما وإن لم يريدا ذلك . ﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ جمع أصيل ، وهو ما بين المغرب والعشاء .

---

(١) سورة الرحمن ، الآية ( ٧٦ ) .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٢١ ) وقرأ نافع وحفص عن عاصم «خُضْرٌ»، وقرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم «خُضْرٍ». **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٣٩٩ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٤٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٤٤٨ - ٤٤٩ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٦٦٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٦٧٣ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٣ / ٢١٩ ) ، النشر لابن الجزري (٢/٣٩٦ ) .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ومتى كان الجواب معلوماً عند السامع ساغ للمتكلم أن يجيب عن السامع .

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾

ضرب الله مثلين للإيمان والكفر، أحدهما : إنزاله الماء من السماء ، وهو مثل للقرآن والوحي ، فحملت أودية منه بقدرها ، فمنها ما حمل الكثير لسعته ، ومنها ما حمل القليل لضيقه ﴿فَٱحْتَمَلَ﴾ ذلك ﴿ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا ﴾ يعلو الماء ، ثم إن الزبد يتعلق بأطراف الوادي وبالأشجار والعيدان فيضمحل . والزبد مثل الشبهات فيصفو الماء عن الزبد ويحصل به النفع . والمثل الثاني: ضرب مثلا بما يسبك من النحاس والرصاص ، فإنه يخرج منه زبد يعلو على وجهه ثم يصفو ذلك الجوهر المسبوك ويحصل به النفع ، فالجوهر من النحاس والرصاص مثل الوحي الحق ، والزبد مثل للباطل ، فمزج أحد المثلين بالآخر . ﴿ جُفَآءً ﴾ يقال : أجفأت القدر إذا رمت بخبثها . والوقف عند قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [١] و﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة .

﴿ وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ ﴾ لسألوا الفدية ؛ لقوله في آية أخرى : ﴿ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ﴾ [٢] (٩١ / ب ) و﴿ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ ﴾ المناقشة على الصغيرة والكبيرة ﴿ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ بئس ما مهدوا ﴿ لِأَنفُسِهِمْ ﴾ .

---

(١) ينظر : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ٢٠١ ).

(٢) سورة المائدة ، الآية ( ٣٦ ).

أكثر ما يأتي لفظ الحق بالألف واللام في صفات الله – عز وجل – وفي الحديث في دعاء النبي ﷺ: " اللهم أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق، والنار حق ، والنبيون حق " [١] فجعل الجنة والنار والأنبياء بغير ألف ولام ، وأدخلها في ذاته سبحانه وقوله ؛ لأنهما صفتا ذات .

**الميثاق** : ما وثق بالأيمان المؤكدة ﴿ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ يريد : صلة الأرحام . وقيل : هو أن يصدق بجميع الأنبياء ، ويصل تصديق هذا بتصديق هذا ، ولا يفرق بين أحد من رسله ﴿وَيَخْشَوْنَ﴾ عذاب ﴿ رَبَّهُمْ ﴾ ﴿ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾ هو المناقشة .

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ ولم يكونوا كما قال الشاعر [ من الكامل ] :

وتجلُّدي للشامتينَ أُريهمُ ... أني لِصَرفِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ [٢]

﴿ وَيَدْرَءُونَ ﴾ يدفعون ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الحسنة ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ ﴾ بدل من ﴿ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ ﴿جَنَّـٰتُ عَدْنٍ﴾ نكرة ؛ لأنها من باب إضافة الشيء إلى صفته ، والتقدير: جنات إقامة ﴿ مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾.

﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٦٣١٧ ) ، ومسلم رقم ( ٧٦٩ ) عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، **ينظر في** : العين للخليل ( ١/ ٧٢ ) ، غريب الحديث للحربي ( ٣ / ٩٢٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٢٥ ) ، لسان العرب ( ضعع ) ، معجم البلدان لياقوت (٥/ ١٣٣) .

قائلين : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ في موضع مصدر تقديره : قائلين هذا القول . وقوله : ﴿ بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ أي: هذه المجازاة بالجنة بسبب صبركم .

﴿ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ ﴾ أي: عليهم ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ أي : ويضيق ﴿ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فرح بطرٍ وأشرٍ . ﴿ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴾ يتمتع به ثم يذهب ، كأثاث البيت . ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ ﴾ هلا أنزل ﴿ عَلَيْهِ ءَايَةٌ ﴾ نقترحها لنؤمن فقل لهم : إيمانكم بتقدير ظهور الآية المقترحة غيب ، والله تعالى يقلب القلوب كيف يشاء ، فإن شاء صرفكم عن الإيمان بعد نزول الآية . وإن شاء هداكم قبل نزولها ، ونظيره ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [(١)] .

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ بدل ﴿ مَنْ أَنَابَ ﴾ ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ﴾ وعد ﴿ ٱللَّهِ ﴾ وثوابه ﴿ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ .

﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾ قيل : هي شجرة في الجنة ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها[(٢)]. وقيل: أصلها طيبى من الطيب .

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ ﴾ (٩٢ / أ) ولم يكن بدعا من الرسل . وكانوا ينكرون اسم الرحمن ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [(٣)] .

وقيل : ليس المراد إنكار اسم الرحمن ، بل المراد أنهم يكفرون بالله ، وقدم المجرور في ﴿إِلَيْهِ ﴾ و﴿ عَلَيْهِ ﴾ للاختصاص . وجواب ﴿ وَلَوْ ﴾ في قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ﴾ محذوف التقدير: لما آمنوا إلا أن يشاء الله ، ويدل عليه قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ ﴾ والآيات المذكورة في القرآن توضح هذا المعنى . وقيل : تقديره : لكان هذا القرآن .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٠٩– ١١١ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٣ / ١٤٨ ) بهذا السياق عن وهب ، ورواه البخاري رقم (٣٠٧٩) عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال : " إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها " بدون ذكر طوبى .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ( ٦٠ ) .

﴿ قَارِعَةٌ ﴾ عقوبة تقرعهم ، كالقتل يوم بدر .

﴿ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ ﴾ سرايا رسول الله ﷺ .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ (٣٤) ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ (٣٥) وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ (٣٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) ﴾

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ تسليةٌ للنبي ﷺ وتهديدٌ للكفار المستهزئين ، وأكثر ما يجيء الأخذ في القرآن للعقوبة ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ [١] ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً ﴾ [٢] ﴿ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [٣] و﴿ كَانَ ﴾ تامة و﴿ عِقَابِ ﴾ فاعل ، ويجوز أن تكون ناقصة دخلت على ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ و﴿ عِقَابِ ﴾ اسم كان ، و﴿ فَكَيْفَ ﴾ الخبر، وجب تقديمه لكونه استفهاماً . ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ كمن ليس كذلك ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أي : عينوهم حتى يتبين أنهم لا يصلحون للإلهية . قرئ ( وصَدوا ، وَصُدُّوا ، وصِدوا )[٤] ومثله في غافر ﴿ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [٥] ( وصَدَّ وصُدَّ وصِدَّ ) .

---

(١) سورة الحاقة ، الآية (١٠) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ٩٥) .

(٣) سورة القصص ، الآية ( ٤٠ ) .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فابن عامر وأبو جعفر " وصَدُّوا " ، وقرأ باقي العشرة " وصُدُّوا " وقرأ ابن وثاب " وصِدُّوا " بالكسر . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٣٩٥) ، الحجة لابن خالويه (ص:٢٠١) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٣٧٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٢٤٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٥٩ ) ، الكشاف للزمخشري (ص:٢/ ٥٣٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٨) .

(٥) سورة غافر ، الآية ( ٣٧ ) وفيها القراءات التي في الرعد ، **وينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٣).

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ صفتها العجيبة الشأن ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ هو كقولك : صفة زيد يعطي المائة من الإبل ويكرم الضيف ﴿ أُكُلُهَا ﴾ ثمرتها لا مقطوعة بالأزمان ، ولا ممنوعة بالأثمان . ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ كعبد الله بن سلام وأمثاله وقوله : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ الذين كذبوا رسول الله ﷺ أي: وكما أرسلنا الأنبياء قبلك أنزلنا إليهم الكتب والصحف ، كذلك أنزلنا القرآن حكماً عربيًّا .

سمى أديانهم أهواءً ؛ لأنهم كانوا يعبدون صنماً فإذا رأوا غيره أحسن منه عبدوه ، وكانوا يقولون : إن النبي ﷺ كثير التزويج ، وليس له همٌّ إلا في النساء ، فأنزل الله - تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ ﴾ إلا وكانوا يقترحون عليه نزول آيات ، فأنزل عليه ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [1] في اللوح المحفوظ .

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ (٣٩) وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ (٤٠) أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ (٤٢) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ (٤٣)﴾

﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ مما نسخ تلاوته ﴿ وَيُثْبِتُ ﴾ ما لم ينسخه . وقيل : يمحو السيئات بالحسنات ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [2] ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [3] وقيل : يمحو الصغائر باجتنابها ، ويمحو الكبائر بالتوبة ، ولا حاجة إلى هذا ؛ لقوله - تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [4] والأمر متعلق بالمشيئة وكذلك في هذه الآية ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ ولم يعلقه بتوبة ولا باجتناب كبيرة .

﴿ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ اللوح المحفوظ ، كتب فيه كل ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهو أم الكتاب ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ ﴾ فترى ما يسُرُّك من عقوبتهم ﴿ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ قبل

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٣ / ١٦٩ ) بنحوه ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٣٣٤ )، والزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٥٣٤ ) قريبا من ذلك .

(٢) سورة هود ، الآية ( ١١٤ ) .

(٣) سورة الرعد ، الآية ( ٢٢ ) .

(٤) سورة النساء ، الآية ( ١١٦ ) .

ذلك فلا يعجزوننا ولا يفوتوننا ، وليس عليك إلا البلاغ ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قيل: هو ما يفتحه الله من بلاد الكفار فتنقص بلادهم ويزداد في بلاد الإسلام ، ويدل عليه في سورة الأنبياء بعد مثل هذه الآية ﴿ أَفَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [١] وهذا بعيد لأن النبي ﷺ كان عند نزول هذه السورة المكية لم يفتح عليه شيء من بلاد الكفار. وقيل : يموت علماؤها وهو بعيد ، فأيُّ عالم تنقص الأرض بموته مع حياة رسول الله ؟! وقيل: هو نقص الثمرات بسبب الظلم ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ [٢] ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ﴾ يتبعه بالنقض .

﴿ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ أي : يأتي وقت حسابه سريعاً ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ ﴾[٣] ﴿ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ الجنة ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ ﴾ كفى الله .

﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ جبريل . وقيل : مؤمنو أهل الكتاب ، وقرئ ﴿وَمِنْ عندِهِ عُلِمَ الكتابُ﴾[٤] .

* * *

(١) سورة الأنبياء ، الآية ( ٤٤ ) .

(٢) سورة الروم ، الآية ( ٤١ ) .

(٣) سورة النحل ، الآية ( ٧٧ ) .

(٤) قرأ بها علي وابن السميقع والحسن وابن عباس ومجاهد وابن جبير. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٠٢) ، تفسير القرطبي (٩/ ٣٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٢٤٨) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٩٢) ، المحتسب لابن جني (١/ ٣٥٨) ، مفاتيح الغيب للرازي (١٩/ ٧٠) .

## سورة إبراهيم [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾﴾

قوله : ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ بأمره ؛ كقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [١] .

من قرأ اسم " الله " بالجر فهو بدل من ﴿ ٱلْعَزِيزِ ﴾ ولا يقف دونها ، ومن رفع[٢] فهو مبتدأ خبره ما بعده . ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ صفة للكافرين ، وعُدِّي ﴿ يَسْتَحِبُّونَ ﴾ بـ "على" ضمنها معنى يؤثرون ؛ كقوله : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ [٣] ومتى كان موضع الضلال بعيدًا كان الظفر بها أبعد ﴿ بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ بلغتهم ﴿ أَنْ أَخْرِجْ ﴾ أي: قائلا ذلك ، أو مقولا له؛ فقائلا (٩٣/أ) لقوله : ﴿ وَذَكِّرْهُم ﴾ ومقولا له لقوله : ﴿ أَخْرِجْ ﴾ ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ لكل مؤمن .

وفي الحديث : " الإيمان نصفان : نصف شكر ونصف صبر "[٤] وسببه أن العبد لا يخلو من أن يكون في نعمة أو في شدة ، والمطلوب منه في النعمة الشكر ، وفي الشدة الصبر، وليس

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٤٥) .

(٢) قرأ نافع وابن عامر برفع لفظ الجلالة " اللهُ " ، وقرأ الباقون " اللهِ " .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٥/ ٤٠٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٥٠ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٦٢)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٣٧) .

(٣) سورة الأعلى ، الآية (١٦) .

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم ( ٩٧١٥ ) عن أنس ﷺ مرفوعا ، وضعفه الشيخ الألباني – رحمه الله – في السلسلة الضعيفة رقم ( ٦٢٥ ) .

يعني بالنصف نصفاً مجرداً ، بل المراد : انقسام الإيمان إلى هاتين الجملتين ، فهو كقوله ﷺ: "تعلموا الفرائض فإنها نصف العلم "(١) .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ يكلفونكم ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ بالواو يدل على أنه أمر زائد على سوء العذاب ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإشارة فيها إلى الإنجاء إن كان المراد بالبلاء النعمة ، وإن كان المراد به النقمة فهو إشارة إلى سوء العذاب والذبح ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ أعلم ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ دال على الجزاء المحذوف ، وليس بجزاء ؛ فإن الله غني حميد سواء كفروا أو شكروا ، والتقدير: إن كفرتم لم يعبأ الله بكم ولم تضرُّوه شيئا ، فإنه غني عنكم محمود في السماء والأرض غني عن حمدكم . قال مالك - رحمه الله: " من عدنان كذب النسَّابون " ؛ لقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ يعني أن النبي ﷺ مضبوط إلى عدنان . ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ أي : ردوا أيدي الرسل إلى أفواه الرسل ليسكتوهم ، أو ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم يشيرون بالسكوت ، أو ردوا أيدي أنفسهم إلى أفواه أنفسهم ، كحال من عليه الضحك ، يستهزئون بما قالت الرسل ، أو ردوا أيدي أنفسهم إلى أفواه الرسل ، ولا يجيء الرابع ، وهو ردوا أيدي الرسل إلى أفواه الكافرين وفيه قول آخر : أن المراد بالأيدي النعم ، أي : فردوا نعم الله ، ويبعده قوله : ﴿فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أكدوا كفرهم بـ " إنَّ " وَقَالُوا : ﴿ إِنَّا

---

(١) رواه ابن ماجه رقم ( ٢٧١٩ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٤ / ٣٣٢ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٦ / ٢٠٩ )، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف ابن ماجه رقم ( ٥٩٤ ) .

كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ وهم لم يؤمنوا بأنهم مرسلون ، ولكنه كقول فرعون : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ مُرِيبٍ ﴾ يدل على أن الريب غير الشك ، وأن الشك يوقع في الريب ، وهو القلق والاضطراب . قوله : ﴿ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ صفة لله ، وقد فصل بين الصفة والموصوف بالمبتدأ ، وقوله : ﴿ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ﴾ يجوز أن يكون اسم كان ضمير شأن مستقر فيها ، ولا يجوز أن يكون﴿ يَعْبُدُ ﴾ خبراً مقدماً و﴿ ءَابَآؤُنَا ﴾ اسمها ؛ لأنه يلزم منه أن يكون في الفعل ضمير جمع ، ولا يصح أن يقال : عما كان آباؤنا يعبد.

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

السلطان : الحجة . ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ فيصطفي من الملائكة رسلا

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ( ٢٧ ) .

ومن الناس ﴿ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم ﴾ بآية تقترحونها ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ .

وقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ أبلغ من ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ لأنه أمر من دخل في حيز المؤمن أن يدوم على التوكل ويستمر عليه ؛ كقوله : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾[1] أقسموا ليكونن أحد أمرين ؛ إما الرجوع إلى دين الكفار وإما الإخراج .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوعد بإهلاك الظالمين وإسكان المظلومين الأرض بعدهم ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ الوعد ﴿ لِمَنْ خَافَ ﴾ مقامه بين يدي ﴿ وَٱسْتَفْتَحُواْ ﴾ واستنصروا ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ ﴾ أي : أمامه ؛ كقوله بعدها : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ وكقوله : ﴿ وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ ﴾[2] أي : أمامهم، وقول الشاعر [من الوافر ] :

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيهِ ... يكونُ وراءَهُ فرجٌ قريبُ[3]

أي : بعده ﴿ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ريحه . الضمير في ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ ﴾ يعود على ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ﴾ أي: بسبب إقامة الحق . ﴿ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أطوع له منكم ﴿ وَبَرَزُواْ ﴾ صاروا في أرض الموقف ، وهو براز ليس فيها جبل ولا جدار ولا حائل ، فقالت الأتباع لكبرائهم ﴿ تَبَعًا ﴾ جمع تابع ، كخدم في جمع خادم ، أو ذوي تبع إن كان مصدراً ، والمحيص : موضع الفرار والمهرب . ويروى أن إبليس ينصب له منبر من نار في جهنم فيقول ما قصه الله . ﴿ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ لما استقر أهل النار في النار ﴿ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ من إضافة الشيء إلى صفته ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن دعاءه إياهم ليس بسلطان عليهم . قرئ ﴿بِمُصْرِخِيِّ ﴾ بكسر الياء[4] وهي لغة قليلة .

---

(١) سورة هود ، الآية ( ١١٢ ) .

(٢) سورة الكهف ، الآية ( ٧٩ ) .

(٣) البيت لهدبة بن الخشرم ، **ينظر في** : أسرار العربية لابن الأنباري ( ص : ١٢٨ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٣٢٨ ) ، شرح أبيات سيبويه ( ١ / ١٤٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/٥٤٦)، مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ٢٥٥ ) همع الهوامع للسيوطي ( ١ / ٤١٧ ) .

(٤) قرأ " بمصرخيِّ " حمزة من العشرة ، وقرأ باقي العشرة " بمصرخيَّ " . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٥/٤١٩) ، الحجة لابن خالويه (ص:٢٠٣) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٣٧٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٦١ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٣٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٢/٣٧٤) ، النشر لابن الجزري ( ٢/٢٩٨، ٢٩٩) .

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٢٤) تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ (٢٧) ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ (٢٩) وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ (٣٠) قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ (٣١) ﴾

﴿ تَحِيَّتُهُمْ ﴾ مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، أي : يحيي بعضهم بعضاً بالسلام ويجوز أن يضاف إلى المفعول ، أي : يحيون بالسلام إمَّا من بعضهم بعضا ، وإما من الملائكة ؛ لقوله : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾ [1] وإمَّا من الله - عز وجل ؛ لقوله : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[2] .

﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ هي النخلة . وقيل : شجرة في الجنة . وقيل : شجرة مفروضة كذلك . ﴿ أُكُلَهَا ﴾ ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍ﴾ كقوله : ﴿ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ [3] ﴿ ٱجْتُثَّتْ ﴾ قطعت من أصلها . ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ بلا إله إلا الله . قيل : تثبيتهم في الحياة الدنيا استمرارهم على التوحيد مُدَّة العمر . وقيل: في القبر ، والحياة القربى مدة البرزخ . (٩٤/أ)

﴿ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ ببعثة الرسل تكذيبا وجحوداً . و﴿ ٱلْبَوَارِ﴾ الهلاك .

قوله : ﴿ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ حذفت النون بلام أمر مقدرة ، أي : ليقيموا الصلاة ؛ كقول الشاعر [من الوافر ] :

مُحَمَّدُ تفدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ[4]

---

(١) سورة الرعد ، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) سورة يس ، الآية ( ٥٨ ) .

(٣) سورة الواقعة ، الآية ( ٣٣ ) .

(٤) هذا صدر بيت للأعشى أو لحسان بن ثابت أو لأبي طالب .

**ينظر في** : الدر المصون ( ٤ / ٢٦٩ ) ، شرح التسهيل لابن مالك ( ٤ / ٦٠ ) ، شرح شواهد المغني (٥٩٧/١ ) ، الكتاب لسيبويه ( ٣ / ٦٢٩ ) .

ولكنه فيما جاء في الكتاب العزيز أبين ؛ لأنه لم يأت حذف النون وإرادة لام مقدَّرة إلا في ثلاثة مواضع ، هذا وقوله في " سبحان " : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [1] ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [2] و﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ فلا ينتظم معنى الشرط فيه ، فجوابه: أن الأمر في هذه المواضع الثلاثة تعلق بقوم من أهل الخير والصلاح ، فإن إضافة العباد إليه يدل على ذلك ، وكذلك وصف المقول لهم بأنهم يؤمنون ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ فنشتري ما يسر ، ونجتنب ما يضر. ولا مخالة تنفع إلا مخالة المتقين ، ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [3] .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣٦) ﴾

﴿ رِزْقًا ﴾ يجوز أن يكون " رزقاً " مصدراً ، على أن يكون قوله : ﴿ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ سدَّ مسدَّ الخبر ، كأنه قال: فأخرج به بعض الثمرات لكي يرزقكم ، فيكون على هذا معمولاً لقوله : ﴿ رِزْقًا ﴾.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ جعل التسخير للفلك ، وقال في أخرى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ ﴾ [4] ثم قال: ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ [5] والتسخير شامل لهما. ﴿دَائِبَيْنِ ﴾ مستمرين. قرئ ﴿ مِّن كُلٍّ﴾ بالتنوين[6] و﴿ مَا﴾ على هذا نافية،

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٣ ) .

(٢) سورة النور ، الآية (٣٠) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية (٦٧) .

(٤) سورة الجاثية ، الآية (١٢) .

(٥) سورة النحل ، الآية (١٤) .

(٦) قرأ بها ابن عباس والضحاك والحسن وقتادة . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٢٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٧٢ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ١١٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٣٧٩ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ٣٦٣ ) .

وعلى المشهور هي موصولة . قيل : إن إبراهيم مرَّ على مكة ولم تكن محل قرار لأحد ، فدعا الله بأن تكون بلداً، وتكون محرَّماً ، ثم مرَّ بها وهي بلدٌ فقال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [١] فدعا لها بالأمن بعد أن صارت بلداً . وقيل : إنه دعا في الموضعين بعد كونها بلداً ، ولهذا لمن رزق ولداً فلك أن تقول له : اللهم اجعله ولداً مباركاً.

﴿ أَضْلَلْنَ ﴾ نسب الإضلال إلى الصنم وهو لم يفعل شيئاً من الإضلال ، لكن كان وجوده سبباً فيه. ﴿ فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾ أي : محسوب من جماعتي، فهو كالجزء مني ، وقال ﷺ: " من غشنا فليس منا "[٢] وقال الشاعر [ من الوافر ] :

فَإِنِّي لستُ منكَ ولسْتَ مني [٣]

﴿ وَمَنْ عَصَانِى ﴾ مع كونه موافقا لي في الدين فاغفر له وكان ذلك قبل نهيه عن الاستغفار للكفار. ﴿ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ يؤيدُ قول النبي ﷺ : " اللهم إن إبراهيم حرم مكة (٩٤ / ب) وإني حرمت المدينة بما حرم به إبراهيم مكة "[٤].

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ (٣٨) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ (٣٩) رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ (٤٠) رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ (٤١) وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ (٤٣)﴾

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ١٢٦ ) .

(٢) رواه مسلم رقم ( ١٠١ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٥٧٥ ) بهذا اللفظ ، ورواه مسلم رقم (١٠٢)، وأبو داود رقم ( ٣٤٢٥ ) ، والترمذي رقم ( ١٣١٥ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٢٢٤ ) بلفظ : " من غش فليس منا " . واللفظان عن أبي هريرة ﷺ .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران ، الآية ( ٣٤ ) .

(٤) رواه مسلم رقم ( ١٣٧٤ ) عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

﴿ فَٱجْعَلْ ﴾ قلوب الناس ﴿ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ مسرعة . ﴿ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ﴾ من الوجد بالولد إسماعيل وتخليته بوادٍ غير ذي زرع .

﴿ عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾ في موضع الحال . ﴿ ٱلدُّعَآءِ ﴾ عبادة تقبل ويثاب عليها وذلك أمر زائد على كون الدعاء مستجاباً ، فدعا إبراهيم بأن يكون دعاؤه مقبولاً عند الله مثابا عليه ، واستغفر لأبيه قبل النهي وقد سبق الاعتذار عنه في سورة التوبة [١]. يوم يقوم الناس للحساب .

وقيل: يقال: قامت السوق إذا كثر البيع والشراء . ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾ يأيها المخاطب بهذا الكلام، وهو كل سامع ، فإن رسول الله ﷺ لا يحسب الله غافلاً وهو كقول الخطيب : " ابنَ آدمَ عندك ما يكفيك وتطلب ما يطغيك " [٢] . وقيل : لا يلزم من النهي عن الشيء كونه فعل ؛ كقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [٣] ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [٤] ﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين ﴿مُقْنِعِى﴾ رافعين ﴿ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴾ محدقين لما يرون ، كما قال : ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [٥] أي : نظرك حادٌّ محدق . ﴿ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي : خالية ، كما قال حسان [ من المتقارب] :

فأنتَ مجوفٌ نَخْبٌ هواءُ[٦]

ولا يراد به الذي يهُبُّ ، فإنه إنما يسمى ريحاً ، ولا يقال : هواء .

---

(١) في سورة التوبة ، الآية ( ١١٤ ) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية ( ٩٤ ) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ٣٢ ) .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ( ١٥١ ) .

(٥) سورة ق ، الآية ( ٢٢ ) .

(٦) هذا عجز بيت لحسان يهجو أبا سفيان قبل إسلامه ، وصدره :

ألا أبلغ أبا سفيان عني ......................

**ينظر في** : تاج العروس للزبيدي ( جوف ) ، تفسير القرطبي ( ٩ / ٣٢١ ) ، العين للخليل (٤/ ١٠٤)، الكشاف للزمخشري ( ٢/ ٥٦٣) ، لسان العرب ( جوف – هوا ) ومجوف ونخب وهواء: خالي الجوف ، أو فارغ القلب من العقل والشجاعة .

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ ﴾ مفعول بـ ﴿ وَأَنذِرِ ﴾ ولا يجوز أن يكون ظرفاً ؛ لفساد المعنى . ﴿ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾[1] ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى ﴾ بعض بلاد ﴿ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ من الكفار حتى يجمع بينه وبين قوله : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾[2] ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ ﴾ اللائق بمثلهم . ﴿ وَعِندَ ٱللَّهِ ﴾ جزاء ﴿ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ ﴾ قرئ بكسر لام كي وفتح لام الفعل ، وقرئ بفتح اللام الأول، وتكون هي الفارقة ، ورفع لام الفعل[3]. وقيل في ﴿ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ﴾ : إنه من باب المقلوب ، وتقديره : مخلف رسله وعده ، وهذا ليس بمقلوب ، وهو مثل قول الشاعر [ من الطويل ] :

ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظِّلَّ رأسَهُ وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجمعُ[4]

إنما المقلوب في المركبات كقوله : ﴿ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾[5] لتنهض بالمفاتح ، ومعنى قوله (٩٥ /أ) ناء بالحِمْلِ ، أي : نهض مائلاً إلى أحد شقيه ، ومثله قوله – تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ﴾ على قراءة من قرأ كذلك[6].

---

(١) سورة النحل ، الآية ( ٣٨ ) .

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٥٢ ) .

(٣) قرأ الكسائي " لَتَزُولُ" ، وقرأ باقي العشرة " لِتَزولَ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٥/ ٤٣٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٠٣ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٣٧٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٢٧٩ ) السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٦٣ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٨٣ ) ، المحتسب لابن الجزري ( ١ / ٣٦٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٠٠ ) .

(٤) **ينظر** البيت بلا نسبة في: أمالي المرتضي ( ١ / ٢١٦ ) ، خزانة الأدب للبغدادي (٤/ ٢٣٥)، الدرر اللوامع ( ٢ / ١٥٦ ) ، شرح أبيات سيبويه (١/ ١٩٢) ، الكتاب لسيبويه (١/ ١٨١).

(٥) سورة القصص ، الآية ( ٧٦ ) .

(٦) سورة الإسراء ، الآية ( ٨٣ ) وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر وأبي جعفر " وناء " ، =

والمقلوب في المفردات كقولهم : شاكِ السلاح ، بمعنى : شائك ، وجرف هارٍ، بمعنى: هائر. ومن المركب قولهم : أدخلت الخاتم في إصبعي .

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني : تبدل صفاتها فتدك جبالها ويسوى منخفضها بالمرتفع حتى تكون ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [1] ومنه قولهم: ذهب بوجه وجاء بوجه غير الذي ذهب به ، ومنه : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾[2] على أحد القولين. وقيل : هو تبديل على الحقيقة ، يخلق الله أرضاً غير هذه الأرض لم يعص الله عليها قط. ﴿ ٱلْأَصْفَادِ ﴾ القيود . والقطران إذا أحرق بالنار كان شديد الحر كثير النتن فيعظم بسببه العذاب .

قيل : لكل كتابٍ عنوان ، وعنوان هذا الكتاب العزيز : ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ .

* * *

= وقرأ جمهور القراء " ونأى ". **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٧٥ ) ، حجة ابن خالويه ( ص:٢٢٠)، حجة أبي زرعة ( ص : ٤٠٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٨٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤٦٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٠٨ ) .

(١) سورة طه ، الآيتان ( ١٠٦ ، ١٠٧ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٥٦ ) .

## سورة الحجر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾

قيل : إن ﴿ رُبَ ﴾ إذا كفت بـ ﴿ مَا ﴾ تصير للتكثير بدليل هذه الآية ، فإن الكفار كلهم يتمنون لو كانوا مسلمين ومنه قول الشاعر [ من المديد ] :

رُبَّمَا أَشْرَفْتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثَوبِي شَمَالاتُ[1]

والأكثرون على أنها باقية للتقليل ، وفيها لغات : تخفيف الباء ، وتشديدها ، ولحوق التاء بعد الباء ، وحذفها .

قيل : إن ﴿ لَوْ ﴾ بمعنى ( أن ) ؛ كقوله : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ ﴾[2] ﴿ ذَرْهُمْ ﴾ أمر تهديد؛ كقوله: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا ﴾[3] ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ﴾[4] ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ سوء عاقبة ذلك. ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ ﴾ أي: أجل كتب في اللوح المحفوظ . ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ بزعمه (لَوْلا) هلا ﴿ تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ يشهدون بصحة دعواك . ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ﴾ بعد تكذيبهم بالرسل إلا بالعذاب .

تولى الله حفظ الكتاب بقوله : ﴿ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ فحفظ من التبديل والتغيير ، ووكّل

---

(١) البيت لجذيمة الأبرش ، ينظر في : الأزهية في الحروف للهروي ( ص : ٩٤ ) ، الأغاني للأصفهاني (١٥/ ٢٥٧) ، خزانة الأدب للبغدادي (١١/ ٤٠٤) ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٥١٨ ) ، مغني اللبيب (١/ ٢٢٤ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ٣٨٨ ) ويروى : ربما أوفيت ، وهي بمعنى : أشرفت ، وعلم : جبل ، والشمالات : جمع الشمال وهي الريح التي تهب من الشمال .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٦٦ ) .

(٣) سورة المرسلات ، الآية ( ٤٦ ) .

(٤) سورة فصلت ، الآية ( ٤٠ ) .

حفظ التوراة إلى الأحبار بقوله : ﴿ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] فضاع وبُدِّل .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾﴾

الشيع : الجماعات . ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ ﴾ أي : ندخله . ( ٩٥ / أ ) ﴿ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ مكذبا مستهزءًا به . ﴿ وَقَدْ ﴾ مضت عادة الله في إهلاك المكذبين . فتح الباب من السماء آية تشاهد بالبصر. وقوله : ﴿ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ جمع بين حسِّ اللمس وحسِّ البصر.

﴿ سُكِّرَتْ ﴾ سُدّت . قيل : البروج : القصور ؛ كقوله : ﴿ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [(٢)] وقيل: هي البروج الاثنا عشر : الحمل والثور... إلى آخرها[(٣)].

﴿ وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ أي : السماء ﴿ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ ﴾ استثناء منقطعٌ . والشهاب : شعلة نارٍ تخرج من الكوكب ، والكوكب باقٍ ، وإلا لفنيت الكواكب على زمان طول الرجم .

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا ﴾ بعد خلق السماء ؛ لقوله : ﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾ [(٤)] أي : بسطها.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ

---

(١) سورة المائدة ، الآية ( ٤٤ ) .

(٢) سورة النساء ، الآية ( ٧٨ ) .

(٣) **وأسماؤها** : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت . **ينظر** : عمدة القاري للعيني ( ١٩ / ٨ ) .

(٤) سورة النازعات ، الآية ( ٣٠ ) .

مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ له قدر ووزن ، ولا يعطف ﴿ وَمَن لَّسْتُمْ ﴾ على قوله ﴿ لَكُمْ ﴾ لأن المضمر المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة حرف الجر إلا في لغة قليلة ، كقوله [ من البسيط ] :

فما بكَ والأيامِ من عجبِ[1]

ولكن التقدير هنا: ومن لستم له برازقين كذلك .

﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ ﴾ إلا في تصرفنا وقبضتنا ، فعبر عن ذلك بكونه في الخزائن عنده ، وفي موضع آخر عبَّر عنه بكون مفاتح تلك الخزائن بيده بقوله : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ [2] ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [3] . ﴿ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ لاقحة للشجر منشئة لسحب المطر .

أسقى بالهمز : جعله سقيا لأرضه وزرعه . وسقاه ماءً : أعطاه شيئا شربه .

المستقدمين والمستأخرين : الأمم الخالية كلهم ، من سبق ومن لحق . وقيل : المستقدمون في الحرب ، والمتأخرون ، وهو بعيد ؛ لأن سورة الحجر مكيّة ، ولم يكن ثمّ قتال .

قيل : الصلصال الذي له صوت . وقيل : هو من صلّ اللحم ، إذا أنتن . فخلقه من طين منتن . والحمأ : الطين الذي في قعر الماء . ﴿ مَّسْنُونٍ ﴾ متغير ، أسن الماء إذا تغيّر . وقيل : مسنون : مصبوب . وفي الحديث عن عمرو بن العاص : " فإذا أنا مِتُّ فسُنُّوا عليَّ التراب سنًّا " [4] .

واذكر إذ قال ربك ﴿ فَقَعُوا۟ لَهُۥ ﴾ أي : فبادروا إلى السجود مسرعين ، كالذي يُلقَ من مكان ومثله: ﴿ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ [5] ﴿ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [6] ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ [7] .

---

(١) تقدم تخريجه في سورة النساء ، الآية ( ١ ) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ٥٩ ) .

(٣) سورة الزمر ، الآية ( ٦٣ ) .

(٤) رواه أحمد في المسند ( ٤ / ١٩٩ ) ، والبيهقي في سننه الكبرى ( ٤ / ٥٦ ) .

(٥) سورة الشعراء ، الآية ( ٤٦ ) .

(٦) سورة يوسف ، الآية (١٠٠) .

(٧) سورة الإسراء ، الآية (١٠٩) .

قيل : كان إبليس من الملائكة ، وكونه من الجن لا ينافي ذلك ، إما أنه من خُزَّانِ الجِنان كان ، أو لاستتارهم عن الأبصار . وقيل : لم يكن من الجن ؛ لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ ( ٩٦ / أ ) الآيتين[1] . تبرأت الملائكة ونسبوا الفعل إلى الجن ، فلو كانت الملائكة جنًّا لقال : فهم منكم . وإنما عتب إبليس والأمر للملائكة لأنه كان مغمورًا في زمرتهم، فغلب اسمهم عليه . وقيل : إنه لم يؤمر بالسجود لآدم كلَّ الملائكة، بل الملائكة المقربون لم يؤمروا بذلك ؛ لقوله : ﴿ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [2] بتقديم المجرور الدال على الاختصاص ، ويقوي ذلك قوله - تعالى : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ [3] أي : من الملائكة الذين رفع قدرهم عن أن يسجدوا لغير الله ، وهذا بعيد ؛ لقوله : ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [4] فجعل إبليس مأموراً وعمم بقوله : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ عدل عن الجواب إلى قوله : ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ بيَّن بذلك علة الامتناع ، وكان القياس في الجواب : إن الفاضل لا ينبغي أن يسجد للمفضول ، وأنا أفضل منه فلا أسجد له.

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا ﴾ من سماء الدنيا إلى الأرض . وقيل : من الجنة .

﴿ رَجِيمٌ ﴾ مرجوم بالشهب . وقيل : مرجوم بمعنى مطرود ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ سأل الخبيث ألا يموت؛ لأنه لا يبقى بعد نفخة البعث موت لأحدٍ ، فأجيب بالنظرة إلى وقت

---

(١) سورة سبأ ، الآيتان ( ٤٠ ، ٤١ ) والآية الثانية : ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾.

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ٢٠٦ ) .

(٣) سورة ص ، الآية ( ٧٥ ) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ( ١٢ ) .

النفخة ليموت مع من يموت بها . ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ فيه ردٌّ على من زعم أنه إذا جاء الوصف بجملة ومفرد قدم الوصف بالمفرد على الجملة ، وهاهنا قد قدَّم ﴿ مِنْهُمُ ﴾ على قوله : ﴿ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ و﴿ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ مفرد صفة لـ ﴿ عِبَادَكَ ﴾ و﴿ مِنْهُمُ ﴾ وإن لم يكن صفة فهي حال معناها معنى الوصف ، ويرد عليه قوله تعالى : ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ ﴾ (٢) .

﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ قيل : إنه استثناء منقطع ؛ لأن إضافة العباد إلى الله تدل على اختصاصهم بخدمته ، فلا يدخل فيه الغاوون ، وإن كان متصلاً ففيه استثناء الكثير وإبقاء القليل ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾(٤) ﴿ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ لموعد الغاوين .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ (٥٠) وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٠) قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ (٧١) ﴾

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٢ ) .

(٢) سورة المائدة ، الآية ( ٥٤ ) .

(٣) سورة يوسف ، الآية ( ١٠٣ ) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ( ١٧ ) .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ لأنهم ليسوا في نفس العيون . ﴿ بِسَلَٰمٍ ﴾ أي : بسلامة، أو يحيون على الواحد والجمع ، ومنه ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [١].

﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى ﴾ [٢] ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ [٣] قال أصحاب علم البيان : سلام إبراهيم كان أبلغ من سلام الملائكة ؛ لأن سلام الملائكة جاء بنصب سلام على المصدر ( ٩٦ / ب ) التقدير: سلمنا سلاماً . والفعل يدل على التجدد والحدوث ، وسلام إبراهيم دالٌّ على الثبوت .

تقول للزرع في مبدأه : هذا الزرع يطول وطال ، فإذا تكامل طوله قلت : زرعٌ طويلٌ ، ولا تقول: يطول . ﴿ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ خافهم لمَّا قدَّم إليهم الطعام فرأى أيديهم لا تصل إليه . وقربه منهم إرادة عذر ﴿ عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ﴾ حال ؛ كقوله : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾[٤] ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ بأي شيء تقع هذه البشارة بما يستحيل عادة !

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ ﴾ فما أمركم المهم الذي هو خطب . قوله : ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ﴾ مستثنى من قوله: ﴿ مُّجْرِمِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾ استثناء ثانٍ من المستثنى منه الأول ، وهم آل لوطٍ ، ولما كانت الأمور العظيمة تجري على أيدي الملائكة نسب إليهم في قوله : ﴿ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ والمقدِّر هو الله . ﴿ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ لا نعرفكم في هذا الإقليم .

﴿ يَمْتَرُونَ ﴾ يشكون . ﴿ وَأَتَيْنَٰكَ ﴾ بالبشارة الحق . ﴿ بِقِطْعٍ ﴾ بجانب من الليل . ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ وكن على ساقتهم ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ لئلا يرى ما يهوله من عذاب الله ، ولأن الله أمره بالتقدم ، والالتفات مخالف لما أمر به . وقوله : ﴿ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴾ تفسير لقوله : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ ﴾ ﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بحصول أضياف حسانِ الصور.

قيل : أراد بناتي لصلبي تتزوجوهن ، وكان يجوز تزويج المسلمة للكافر ، كما زوج النبي

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ( ٢٤ ) .

(٢) سورة الحجر ، الآية ( ٦٨ ) .

(٣) سورة هود ، الآية ( ٦٩ ) .

(٤) سورة الرعد ، الآية ( ٦ ) .

ﷺ ابنته زينب لأبي العاص بن الرَّبيع ، وهو كافر. وقيل : أراد بقوله : ﴿ بَنَاتِيٓ ﴾ نساء أمته؛ لأن النبي لأمته كالوالد . وقرئ " وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وهو أب لهم "[1] .

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾

﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ قسم بحياة لوط . وقيل : بحياة النبي محمد ﷺ . ﴿ مُشْرِقِينَ ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس . ﴿ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ المتبصرين . ﴿ وَإِنَّهَا ﴾ وإن قرى قوم لوط لعلى طريقهم في الأسفار . وقيل : إن عقوبة مَنْ فَعَلَ فِعْلَ قوم لوطٍ أن يعاقب بمثل ما عوقبوا به . قال بعضهم : يلقى من شاهق ويتبع بالحجارة . قيل : ﴿ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ الشجر . وقيل : هو نوع مخصوص من الشجر، وكان شعيب عليه السلام قد بعث إلى أهل مدين وإلى أصحاب الأيكة ، وشعيب من أهل مدين فقال : ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ وقال : (٩٧ / أ ) ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ولم يقل: أخوهم . وأهلك الله أصحاب مدين بالصيحة ، وأهلك أصحاب الأيكة بأن سلط عليهم حرًّا شديداً لا يدفعه لباس ولا بناء ، فخرجوا إلى البرية فأظلتهم غمامة فاجتمعوا في ظلها يرجون برد ظلها ، فأمطرت عليهم ناراً ، وهو عذاب يوم الظلة ﴿ وَإِنَّهُمَا ﴾ وإن المؤتفكات وأصحاب الأيكة ﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ لبطريق واضح . ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ ثمود .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعني الناقة وفصيلها وشربها . وقيل : كانوا طوال الأعمار فلا تبقى الدار مدة عمر أحدهم ، فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا ؛ لطول بقاء بيوت الجبال . ﴿ءَامِنِينَ ﴾ من سقوطها عليهم بإتقانها وإحكامها . وقيل : آمنين من عذاب الله – عز

(١) سورة الأحزاب ، الآية ( ٦ ) وتقدم تخريجها في سورة هود ، الآية ( ٧٨ ) .

وجل- غير خائفين منه ولا مترقبين له. ﴿ مَا ﴾ في ﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ ﴾ يجوز أن تكون نافية ، وأن تكون استفهامية بمعنى الإنكار. ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ بسبب إقامة الحق .

﴿ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ الذي ليس معه عيب ولا إعراض . ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ قيل : هو القرآن كله لتضمنه الثناء على الله بما هو أهله ، أو لأنه ثُنِّيتَ فيه القصص والأمثال والأحكام ويدل على أن المراد الكتاب كله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ ﴾[1].

وقيل : هي السبع الطوال : البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وفي السابعة وجهان : أحدهما : أنها يونس . والثاني : أنهما الأنفال وبراءة وهما كالسورة الواحدة ، ولم يفصل بينهما ( بسم الله الرحمن الرحيم ) . وقيل : هي الفاتحة ، سبع آيات فيها الثناء على الله – عز وجل- وجاء في الحديث في وصف الفاتحة : " هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"[2] وأما الواو في قوله : ﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ﴾ فعلى الأول يكون من عطف الشيء على نفسه؛ كقوله – تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً ﴾[3].

وعلى الثاني عطف الكل على البعض ؛ كقوله – تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[4] وكذلك على الثالث .

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

---

(١) سورة الزمر، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٧، ٤١٢) ، والترمذي رقم (٢٨٧٥) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٨٦١) وأبو يعلى في مسنده رقم (٦٤٨٢) ، من حديث أبي بن كعب . قال الترمذي: حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٣٠٧) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ( ٤٨ ) .

(٤) سورة التحريم ، الآية ( ٤ ) .

﴿لَا تَمُدَّنَّ﴾ نظر ﴿عَيْنَيْكَ﴾ . ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ، وألن جانبك للمؤمنين ، وحذّر الكافرين عذاباً مثل عذاب المقتسمين . وكان كفار قريش قد اقتسموا شعاب مكة في الموسم ويقولون لكل من جاء : لا تقرب هذا الرجل ، يعنون محمداً ﷺ ( ٩٧ / ب ) فإنه كذاب أو مجنون أو ساحر، ولم يتركوا طريقا إلى مكة إلا جلسوا عليه ليصدوا عن النبي ﷺ ، فأهلكهم الله بعذاب من عنده .

﴿ عِضِينَ ﴾ جمع بالواو والنون جمع تعويض ، وأصله : عضة ، والعضهة والعضيهة: الكذب . وقيل : عَضَوا القرآن عضة : جزؤوه أجزاء ، فكان يقول أحدهم : لي سورة العنكبوت ، ويقول الآخر: لي سورة البقرة ، ويقول الآخر: لي سورة الشعراء ، استهزاء منهم بالقرآن ، فجعلوه أجزاءً وأعضاء[1]. ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أبلغه جهراً .

روي أن أعرابيًا سمع هذه الآية فسجد ، فقيل له في ذلك فقال : سجدت لفصاحة قائل هذا الكلام . والمستهزئون جماعة أغراهم الإمهال بالاستهزاء بالنبي ﷺ فعوقب كل واحد منهم بعقوبة كفى الله النبي ﷺ شرّهم بها .

قوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ ﴾ تسلية للنبي ﷺ، وهو كقول الملك لمن بعثه في مهمة: بلغني اجتهادك وجميل سعيك ، فلا يشك السامع بأنه يكافئه على ذلك . ﴿الْيَقِينُ ﴾ الموت .

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ٦٢ ) عن عكرمة .

## سورة النحل [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ ﴾

وتُسَمَّى سورة النعم ، ويروى أنه لما نزل ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ وثب النبي ﷺ وجماعة من الصحابة ، وظنوا أن القيامة قد أتت حتى نزل قوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ فسكن ما بهم [(١)] . والهاء في ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ تعود على الأمر، أو على اسم الله ، والمعنى يختلف ، فالأول تقديره: لا تستعجلوه بالعذاب . والثاني : لا تطلبوا من الله العجلة ، والهاء في ﴿ سُبْحَانَهُ ﴾ في موضع جرٍّ ؛ لأنه لو ظهر لكان مجروراً ؛ لقوله : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ ﴾ [(٢)] ولو ظهر وكان مجرورًا ففي تقديره قولان : أحدهما : تنزَّه اللهُ ، فيكون فاعلاً مرفوعاً ؛ لأنه عطف عليه ﴿وَتَعَالَىٰ﴾ وهو فعل ماضٍ . والثاني: نصب ، تقديره: نزهت اللهَ، وأصل المتنزه: المكان البعيد المنفسَحُ . وقوله ﷺ: " تنزهوا من البول "[(٣)] أي : تباعدوا منه . و﴿مَّا﴾ في ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ مصدرية ، ويستغنى بذلك عن الإضمار ، فإنك إذا جعلتها موصولة كان التقدير: وتعالى عن مشابهة ما يشركونه به. سمَّى الله القرآنَ رُوحاً هاهنا وفي قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [(٤)] ( ٩٨ / أ ) . وفي سورة غافر ﴿ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [(٥)] لأن به حياة القلوب ، كما أن بالروح حياة الجسد. ﴿أَنْ أَنذِرُوا ﴾

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ١٠٧ ) ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عليهما .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٦٨ ) .

(٣) رواه أحمد في المسند ( ٢ / ٣٢٦ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣٤٨ ) ، والحاكم في المستدرك (١ / ١٨٣) عن أبي هريرة ﷺ . وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل (١/ ٣١٠) رقم (٢٨٠) .

(٤) سورة الشورى ، الآية ( ٥٢ ) .

(٥) سورة غافر ، الآية ( ١٥ ) .

أي أنذروا .

﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ ﴾ يستنكف من استصحابها في ثوب أو جسد ، ففاجأ بكونه خصيماً شديد الخصومة . و﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ ﴾ هي الإبل والبقر والغنم ، ومما تفرد به هذا الاسم أنك إن أفردته فقلت : النِّعَم كانت إبلاً محضة ، وإن جمعته فقلت : أنعام . كان إبلاً وبقراً وغنماً. ﴿ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ ﴾ بأصوافها وأوبارها وأشعارها يصنع منها ما يستدفأ به . ﴿وَمَنَٰفِعُ ﴾ سوى الاستدفاء من وقاية حرِّ الشمس . ﴿ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾ أي: من لحومها ، ويجوز أن يراد ومن أجرتها إذا أوجرت ، وألبانها إذا حلبت ، وأصوافها وأشعارها إذا نسجت ، مأكلة لكم تجدون منها القوت ، كقولك : أنا إنما آكل من هذه الدار ، أي: من أجرتها. إذا جاءت النعم من المرعى يفتخر أهلها بها يقولون : هذه نعم بني فلان ، وقدِّم وقت الإراحة ؛ لأنها تعود حُفَّلاً[1] باللبن ، فالجمال بها أكثر من وقت خروجها للمرعى محلوبة .

﴿ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾

حذف مفعول ﴿ تُرِيحُونَ ﴾ و﴿تَسۡرَحُونَ﴾ لدلالة الكلام عليه ، وهو دليل على أن يقال : سرحت النعم . مخففا ، بمعنى سرحتها . ﴿ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ ﴾ لو لم يكن لكم أنعام إلا بمشقة شديدة . ﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ خلق هذه الأنعام وهيأها لمصالحكم .

﴿ وَٱلۡخَيۡلَ ﴾ معطوف على ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ ﴾ وقد احتج به من زعم أن الخيل لا يؤكل لحمها ، ولا حجة فيه ؛ لأن لفظ الآية لا يدل على تحريم ولا تحليل[2] .

وشرط المفعول من أجله أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل ، فإن لم يكن كذلك وجبت اللام فلما كان الركوب فعلاً لغير الخالق أتى فيه باللام في قوله: ﴿ لِتَرۡكَبُوهَا ﴾ ولما كانت الزينة من فعل الله الذي خلق لم يأت باللام[3] ومثله قوله – تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ

---

(١) **حفل** : جمع حافل : أي ممتلئ لبنا . **ينظر** : لسان العرب ( حفل ) .

(٢) **ينظر** : بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ٦٥٥ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٤ / ١٤٩ ) .

(٣) المفعول له ويسمى المفعول لأجله ومن أجله وهو كل مصدر معلل لحدث مشارك له في الزمان والفاعل وذلك كقوله – تعالى : ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ فالحذر مصدر=

لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً ﴾ [(١)] والتذكرة من فعل الله ، والشقاوة من فعل الخلق .

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ قيل في تفسيره أقاويل باطلة ؛ لقوله : ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فلو صحَّ تفسيره بشيء لكان معلوماً ، وفي المثل : " إذا استأثر الله بشيء فاله عنه " [(٢)] .

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٣ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٤﴾

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: الطريق القصد الموصلة إليه ، ومن الطرق ﴿ جَآئِرٌ ﴾ عادل عن السبيل الحق ضالٌ ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ترعاه السائمة من النعم ، تقول : أسمت النعم ، إذا أرسلتها في المرعى المباحة ( ٩٨ / ب ) ومنه قوله ﷺ: " في سائمة النعم الزكاة" [(٣)] وهي مأخوذة من السَّومة ، وهي العلامة إذا أطلقت

---

= منصوب ذكر علة لجعل الأصابع في الآذان ، وزمنه وزمن الجعل واحد ، وفاعلهما أيضا واحد وهم الكافرون ، فلما استوفيت هذه الشروط انتصب ، فلو فقد المعلل شرطا من هذه الشروط وجب جره بلام التعليل . وقال ابن خروف : لا يشترط اتحاد فاعلي الفعل والمصدر المعلل . فلما اختلف الفاعل خفض باللام في قوله - تعالى - هنا: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ فإن " تركبوها" بتقدير لأن تركبوها ، وهو علة لخلق الخيل والبغال والحمير ، وجيء به مقرونا باللام ؛ لاختلاف الفاعل لأن فاعل الخلق هو الله – سبحانه وتعالى – وفاعل الركوب بنو آدم وجيء بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَزِينَةً﴾ منصوبا ؛ لأن فاعل الخلق والتزيين هو الله – تعالى .

**ينظر** تفصيل ذلك في : أوضح المسالك لابن هشام ( ٢ / ٢٢٥ ) ، شرح قطر الندى لابن هشام (١/ ٢٢٦) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٧٣٠).

(١) سورة طه ، الآيتان ( ٢، ٣ ) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الأعراف ، الآية ( ٨٤ ) .

(٣) رواه أحمد في المسند (١/ ١١، ١٢) ، وأبو داود رقم ( ١٥٦٧ ) ، والنسائي ( ١ / ٣٦٦ ) ،=

الإبل للرعي فيها صارت مواضع الرعي علامة أو كالعلامة، ولما كانت النخل ينتفع طلعاً أبيض ، وبلحا أخضر ، وبسراً أصفر وأحمر ، ومطرفا وتمراً ورطباً ، أتى باسم النخل ، ولما كان أكثر منافع الزيتون والعنب إنما هو ثمرتها على حالة واحدة - سُمي شجرها باسم الثمرة ، وإن انتفع بالحصرم من العنب ، وهو انتفاع يسير بالنسبة إلى ثمرة العنب فلذلك سمّى شجرتهما باسم ثمرتهما .

وقوله : ﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ يجوز أن ينوب مناب المفعول ، ويكون التقدير: وينبت لكم بعض الثمرات ، ويجوز أن يكون المفعول محذوفاً ، أي : وينبت من كل الثمرات ما يقتات وما يتفكهُ به . ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ ﴾، لتحصل مصالحكم وقوله ﴿مُسَخَّرَٰتٌ ﴾ أي: بالتسخير صارت مسخرات وهو قريب من قولك : بريت الأنبوبة قلما ، وعملت الخشبة بابا .

﴿ وَمَا ذَرَأَ ﴾ أي: وخلق خلق ﴿ ذَرَأَ ﴾ بمعنى بث يريد : وطعومه وأرايحه ؛ لأن منفعة اللون تعم من أكل من الثمرة ومن لم يأكل ، ومنفعة الأراييح قليلة بالنسبة إلى ما سواها قوله: ﴿ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾ فيه إشعار بأن أطيب السمك الطري منه . ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ وهي اللؤلؤ والجوهر ، وقد يحتج بذلك على جواز تحلي الرجال باللؤلؤ ؛ لأن الله ذكر ذلك في معرض الامتنان[١] .

وقوله: ﴿ تَلْبَسُونَهَا ﴾ جمع للمذكر فإما أن تكون ذكوراً خاصا أو ذكوراً وإناثا وعلى التقديرين فالاحتجاج به حاصل ، والمراد بالفلك هاهنا الجمع لقوله : ﴿ مَوَاخِرَ ﴾ جمع ماخرة ، والماخرة التي تشق الماء . وقيل : التي يسمع لها صوت لشقها الماء .

وقيل : مواخر أي : مقلعات . ﴿ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ بالتجارة والاصطياد .

﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾

---

= والحاكم في المستدرك ( ١/ ٣٩٠) عن أنس بن مالك -رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني في الإرواء (٣/ ٢٦٤ ) رقم ( ٧٩٢).

(١) **ينظر** : الأم للشافعي ( ١ / ٣٧٢ ) ، مغني المحتاج للشربيني ( ١ / ٣٨٩ ) .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جمع راسية، أي: ثابتة. وقوله: ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي: كراهة أن تميد بكم، فتكون الجبال مرسية للأرض. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال قتادة: "خلق الله الكواكب ليهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ولزينة السماء بها، ولرجم الشياطين إذا استرقوا السمع، فمن ادعى فيها أنها تدل على ما يكون من الأمور والوقائع فقد افترى على الله"[١]. وقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ أي: لا تكون الأصنام (٩٩/أ) مماثلة بما شبه الله، وقد سبق نظائره ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[٢]. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾[٣]. ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾[٤] لأن من أشبهك فقد أشبهته و﴿النِّعَمِ﴾ اسم جنس، ولهذا قال: ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ أي: لا تحصوا عددها، ثم بيَّن سبحانه تباعُدَ ما بينه وبين الأصنام، فقال: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ وما تشعر الأصنام متى يكون بعثها، وتكرر في الكتاب العزيز ﴿لَا يُحِبُّ﴾ ولم يقل (يبغض) إلا قليلاً، وجاء في السنة؛ لأن اسم الفاعل من أحب لا يوهم نقصا، واسم الفاعل من أبغض يوهمه، فلا يجوز أن يقال لله: يا مبغض. لقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾[٥].

ولأن المحبة هي الإيثار، وفعل الخير مع من تحبه، ومواهب الله لا تنقطع عنا، فهو محب ولا خير إلا منه، فلو قطع مداد الخير لم يتصل من جهة غيره فلزم من كونه ﴿لَا يُحِبُّ﴾ أن يفوت جميع المصالح بخلاف قول القائل: إنني لا أحب ملك الهند ولا أبغضه. فلا يلزم من بغضي له فوات مصالحته فلا يستوي، ففي حق الآدمي قولي: لا أحب فلانا، وأبغضه. ويستوي في حق الله – تعالى- أن الله لا يحب وأن الله يبغض.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ٩١ – ٩٢ ) عن قتادة.

(٢) سورة البقرة، الآية ( ٢٧٥ ).

(٣) سورة آل عمران، الآية ( ٣٦ ).

(٤) سورة الأحزاب، الآية ( ٣٢ ).

(٥) سورة الأعراف، الآية ( ١٨٠ ).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٢٧) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ (٣١) ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ (٣٥) ﴾

﴿ ذَآ ﴾ في ﴿ مَّاذَآ ﴾ يجوز أن تكون زائدة فيكون جوابها على المختار بالنصب فإذا قال: ماذا صنعت؟ قلت في جوابه : خيراً ، أي : صنعت خيراً وقرئ ﴿ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ بالنصب والرفع [1] على التأويلين ، وفي هذه الآية خاصة أنه قال في حق المؤمنين ﴿ خَيْرًا ﴾ لأن التقدير: أنزل خيراً ، وهم المؤمنون بالإنزال ، وقال في حق الكفار ﴿ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ والتقدير : هذه أساطير الأولين ولو نصبوا ﴿ أَسَٰطِيرُ ﴾ لكانوا مؤمنين بالإنزال وهم كفار به ، والمؤمن تكفر سيئاته بالمصائب في الدنيا بخلاف الكافر فلذلك تبقى أوزار الكفار كاملة لم يكفر منها شيء وتحملوا مثل أوزار الذين يضلونهم ألا قبح ما يحملون .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢١٩ ) وقرأ جمهور القراء " قل العفوَ " بالنصب ، وقرأ أبو عمرو البصري " قل العفوُ". **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ١٥٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٩٦ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص:١٣٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٥٣٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ١٨٢ ) ، الكشاف للزمخشري (١/ ١٣٣) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٧ ) .

﴿ فَأَتَى﴾ تخريب الله، وابتداء ذلك التخريب ﴿ مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ ﴿ يُخْزِيهِمْ ﴾ يهينهم ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ﴾ بزعمكم ﴿ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ ﴾ به الأنبياء والصالحين ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ ﴾ قائلين : ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ فأجابتهم الملائكة ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ ﴾ فلتدخل كل طائفة من باب وهذه حال مقدرة ؛ لأن أول الدخول ليس من الخلود في شيء .

والمثوى : موضع الثواء وهو الإقامة ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ من إضافة الشيء إلى صفته ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ هو المخصوص بالمدح و﴿ عَدْنٍ﴾ معرفة . وقيل : نكرة وتقديره : جنات إقامة ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ لقبض أرواحهم . وقيل : للخروج من القبور يبشرونهم بالثواب (٩٩/ ب ) ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ﴾ قيل : ينتظرون ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ بقيام الساعة ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾ استفهام معناه النفي . لما كان في البعث معنى القول جاءت أن المفسرة وهي لا تأتي مع صريح القول ولا مع ما ليس في معنى القول .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

و﴿ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ كل معبود دون الله . ﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ﴾ أمر بالسبب والمسبب ﴿ عَٰقِبَةُ﴾ فاعل ، أو اسم كان ، والخبر ﴿كَيْفَ﴾ ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ لم يفد حرصك ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ وجمع الناصرين ردًّا لظنهم ؛ لأنهم عبدوا آلهة شتى ، واعتقدوا الانتصار بها وبجماعتهم ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [1] ولقوله: ﴿ أَمْ

---

(١) سورة يس ، الآية (٧٤) .

﴿ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ [(١)] .

قيل: من حلف بالله فقد أقسم جهد اليمين[(٢)] .

﴿ بَلَىٰ ﴾ وعد ذلك ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ ﴾ الوفاء ؛ لإخباره بوقوعه ، يبعثهم ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ وليفضح الكفار بعلمهم أنهم كانوا كاذبين . ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ﴾ وأوذوا أذى أزعجهم إلى الإخراج ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ هي المدينة [(٣)] ولما كان في ذلك أذى الكفار وإيلام لهم ، قال : ﴿ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي : لو علموا ذلك لما آذوا المؤمنين ، وتقديم المجرور في قوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ للاختصاص . ولم يبعث الله رسولاً إلا ذكراً لقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ أصحاب الكتب القديمة[(٤)] .

وقوله : ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ﴾ متعلق بفعل دل عليه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا ﴾ أي : أرسلناهم بالبينات والكتب. وقيل : متعلق بـ ﴿ نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ، واحتج قوم منعوا نسخ الكتاب بالسنة بهذه الآية ، فإنه جعله مبينا وليس المبطل مبينا ولا حجة فيه ؛ لأن النسخ بيان انتهاء مدة الحكم[(٥)]. التخوف : النقص قال الشاعر [ من البسيط ] :

---

(١) سورة القمر ، الآية (٤٤) .

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (٣/ ١٥٣) عن ابن عباس – رضى الله عنهما – بلفظ: "من قال بالله فقد جهد يمينه" .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ١٠٧ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ١٣١ ) لابن المنذر عن الشعبي .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ١٠٨ ) عن مجاهد .

(٥) قال العلامة العيني في عمدة القاري ( ١ / ٢٤٧ ) : " قال الإمام فخر الدين الرازي : قطع الشافعي وأكثر أصحابنا وأهل الظاهر وأحمد في إحدى روايتيه بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة ، وأجازه الجمهور ومالك وأبو حنيفة – رضي الله عنهم ... " ثم قال عن هذه الآية: "المراد بالتبيين : البيان ولا نسلم أن النسخ ليس ببيان فإنه بيان لانتهاء أمر الحكم الأول ولئن سلمنا أن النسخ ليس ببيان وأن المراد منه بيان العام والمجمل والمنسوخ وغيرهما لكن نسلم أن الآية تدل على امتناع كون القرآن ناسخا للسنة " .

تخَــوَّفَ الرَّحْــلُ مِنْهــا تامِكًــا قَــرِداً كَمــا تَخَــوَّفَ عُــوْدَ النَّبْعَــةِ الــسَّفَنُ[1]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ﴾

سجود الذين يعقلون بوضع الجبهة على الأرض ، وسجود ما لايعقل بتفيؤ الظلال عن اليمين والشمائل سجداً طائعين ﴿ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ ذليلون خاضعون .

قوله : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ قيل: فيه استعمال المشترك في معنييه ؛ لأن سجود الملائكة حقيقة ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن السجود له . ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم ﴾ أن يبعث عليهم عذابا من فوقهم ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ فحذف الياء ووصل ( ١٠٠ /أ ) الفعل فصار ما يؤمرونه ، ثم حذف الضمير المنصوب وحذفه مطرد ؛ كقوله : ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[2] .

وقيل : إن " أمر " يتعدى إلى مفعولين والمفعول الثاني هو المضمر ، ولا يحتاج إلى تقدير الباء . ومثل هذا في قوله [ من البسيط ] :

أمرتُــكَ الخَيْــرَ فافعَــلْ مــا أُمِــرْتَ بــهِ فقــدْ تركْتُــكَ ذا مــالٍ وذا نَــشَبِ[3]

---

(١) البيت لابن مقبل أو لذي الرمة ، أو لزهير أو لأبي كبير الهذلي في وصف ناقة أنضاها السير ، **ينظر في** : الأغاني للأصفهاني ( ٦ / ٨٢ ) ، تاج العروس للزبيدي ( خوف ) ، تفسير القرطبي ( ١٠ / ٩٩ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٤ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٠٨ ) ، لسان العرب ( خوف ) .

ويروى الشطر الأول : تخوف السير منها ...... ......................

**والتخوف**: التنقص شيئا فشيئا ، **والتامك**: السنام المرتفع ، **والقرد**: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها ، أو الذي تنقب وفسد من كثرة السفر، **والنبعة**: شجر تتخذ منه القسي ، **والسفن** : المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب. والمعنى: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب وفسد من كثرة السفر كما تنقص المبرد عود النبعة.

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٢٥) .

(٣) البيت لعمرو بن معدي يكرب . **ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٢٢٤ ) ، ديوان عمرو بن معدي كرب ( ص : ٦٣ ) ، الكتاب لسيبويه ( ١ / ٣٧ ) ، وينسب أيضاً لخفاف ابن ندبة في ديوانه ( ص : ١٢٩ ) ، وكذلك ينسب للعباس بن مرداس في ديوانه ( ص: ١٣١ )، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر للسيوطي (٤/١٦ ) ، شرح شذور الذهب لابن هشام ( ص: ٩٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٩٠ ) ، المحتسب لابن جني ( ١/ ٦١ ) ، المقتضب للمبرد ( ٢ / ٣٦ ، ٨٣ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٣ / ١١ ) والشاهد فيه : النصب على حذف حرف الجر ، وأصله : " أمرتك بالخير " فلما حذف الجار انتصب "الخير " .

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ (٥١) وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ (٥٤) لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٥٥) وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ (٥٦) ﴾

قد ينهى الإنسان ولده عن صحبة فاسقين ، ويزيد مع ذلك النهي عن كل واحد ، ويجوز أن ينهاه عن الجمع بينهما ، وأن ينهاه عن الانفراد بصحبة أحدهما فنهاه هاهنا عن اتخاذ اثنين لا عن كل واحد منهما ، فإن الله وحده لا ينهى من عبده وأفرده بالوحدانية ، فلهذا قال : ﴿ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ ليبين أن المنهي اتخاذ اثنين ﴿ فَإِيَّٰيَ ﴾ ارهبوا ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ وقد اشتغلت ﴿ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ بضميرها . قوله : ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ أي : دائماً ، ومنه قوله : ﴿ عَذَابٞ وَاصِبٌ ﴾[1] .

قوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ ﴾ هذه الفاء في ﴿ فَإِلَيۡهِ ﴾ جواب إذا ، وقوله : ﴿ ثُمَّ ﴾ دليل على استبعاد ما فعلوه من اعتقاد الشريك ؛ لأن الله وحده هو المتفرد بسائر وجوه الإنعام ، ولفظة ﴿ ثُمَّ ﴾ دليل عليه ؛ كقوله : ﴿ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[2] ﴿ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ ﴾[3] وقول الشاعر [ من الطويل ] :

ولا يكشفُ الغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ ... يرى غمراتِ الموتِ ثُمَّ يزورُها[4]

﴿ إِذَا فَرِيقٞ ﴾ إذا للمفاجأة وهي جواب لـ ﴿ إِذَا ﴾ الشرطية ﴿ لِيَكۡفُرُواْ ﴾ اللام لام الأمر وهو تهديد كقوله : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ ﴾[5] ﴿ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ إلهيته أو شركته ﴿ نَصِيبٗا ﴾ من

---

(١) سورة الصافات ، الآية ( ٩ ) .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٨ ) وفي الأصل " ثم إليه تجأرون " وليست هذه آية ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٣) سورة الجاثية ، الآية ( ٨ ) .

(٤) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية ( ٥١ ) .

(٥) سورة فصلت ، الآية ( ٤٠ ) .

حروثهم وأنعامهم، وشرح ذلك في سورة الأنعام[١]. وقيل في القسم بالتاء في ﴿ تَاللَّهِ ﴾ إنها لا تقع إلا فيما يتعجب من المقسم عليه ؛ كقوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾[٢] تعجب كيف تيسَّر له كسر أصنام الملك مع عظمة سلطانه وضعف حال النمرود.

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) ﴾

قوله : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ هو كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾[٣] ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾[٤] وليس بمعنى التصيير ؛ لأن الملائكة ما صاروا إناثا ولا صار لله البنات ! ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ من الذكور أي : يجعلون ذلك لأنفسهم .

قوله : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم ﴾ يجوز أن يكون تهكما ؛ كقوله ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٥] لأن ولادة الأنثى للرجل لا يبشر بها ، ويجوز أن تكون البشارة بسلامة الأم وولادة الأنثى تامة الخلق فتكون البشارة على بابها . ﴿ ظَلَّ ﴾ أي: صار نهاراً وزعم الزمخشري[٦] أن أكثر الولادة يقع ليلاً فيحصل التبشير بها نهاراً .

﴿ كَظِيمٌ ﴾ مملوء غضباً وأصل الكظام الخيط الذى ( ١٠٠/ ب ) تشد به القربة ، شبه من امتلأ غضبا . كظيم بمعنى مكظوم . ﴿ يَتَوَارَىٰ ﴾ يتستر يتروّى ﴿ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ ﴾ ترعى الإبل ، أم يدفنها بالحياة ؟! ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ هذا كما يرد على

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ١٣٦ ) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ( ٥٧ ) .

(٣) سورة الزخرف ، الآية ( ١٥ ) .

(٤) سورة الزخرف ، الآية ( ١٩ ) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ٢١ ) .

(٦) **ينظر** : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦١٢ ) .

الشاتم شتمه فيقال : جعلت لله الأدنى ، وجعلت لنفسك الأعلى ، بل لك مثل السوء ولله المثل الأعلى . ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم ﴾ أتى بعد ﴿ لَوْ ﴾ بالفعل المضارع ليدل على تكرر عدم المؤاخذة ، والهاء في ﴿ عَلَيْهَا ﴾ تعود على الأرض ، ولم يجر لها ذكر فيما قرب؛ لأنه مفهوم من السياق ؛ كقوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[(1)] يعني: الشمس ، وكذا قول الشاعر [ من الكامل ]:

حتَّى إذا ألقتْ يداً في كافرٍ وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامُها[(2)]

أراد الشمس. والكافر: البحر. وكان بعضهم يقف على قوله : ﴿ يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ﴾ ويجعل قوله: ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ مستأنفاً قال: لأنه إذا جاء الأجل يستحيل الاستقدام عنه بعد أن يجيء ولا يستحيل التأخير، وجوابه: أن جعله أجلاً مانع من التقدم والتأخر معاً[(3)].

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

﴿ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ من البنات ﴿ وَتَصِفُ ﴾ أي : وتحكي . قرئ ﴿ الكُذُبُ ﴾ بضم الكاف والذال ورفع الباء جمع كذوب ، كصبور وصبر وغفور وغفر ، ويكون ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ هو المفعول ، وعلى القراءة المشهورة ﴿ ٱلْكَذِبَ ﴾ بالنصب[(4)] مفعول ، و﴿ أَنَّ لَهُمُ

---

(١) سورة ص ، الآية ( ٣٢ ) .

(٢) البيت للبيد ، **ينظر في**: تاج العروس ( كفر)، ديوان لبيد ( ص:٣١٦)، غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٤٧)، مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ١٩١)، لسان العرب ( كفر – يدي ) وقوله: ألقت يدا في كافر أي: دخل أولها في الغور. أو بدأت في المغيب ، ويحتمل أن يكون أراد الليل ، أي: بدأت الشمس في المغيب . **وأجن**: ستر.

(٣) **ينظر**: منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص: ٢١٧).

(٤) قرأ بها ابن عباس وأبو العالية ومجاهد وابن محيصن . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان=

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ بدل منه ﴿لَا جَرَمَ﴾ مضى في سورة هود[1] ﴿وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ بكسر الراء متجاوزون الحد، وبفتحها[2] مقدمون إلى النار. ﴿تَٱللَّهِ﴾ يمين مع تعجب ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ للبيان والهدى والرحمة. ومن قرأ ﴿نُّسۡقِيكُم﴾ فهو من سقاه إذا أعطاه شيئا يشربه، ومن ضم النون[3]، فهو من أسقاه إذا جعل له شرباً. وسئل بعضهم عن التوبة الخالصة فقال: هي كما ترى اللبن خالصاً من الفرث والدم لا ترى فيه منهما أثراً.

﴿سَكَرٗا﴾ وصف لفعلهم واتخاذهم، فلا يدل على حلٍ ولا حرمة. وقيل: يدل على الحلِّ لأن سورة النحل مكية والخمر إنما حرمت بالمدينة فيكون تحليلها من قبل مدلولاً عليه بالكتاب.

﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ

---

= (٦/ ٢٠)، تفسير القرطبي ( ١٠ / ١٢١ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٣٣٩ )، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦١٤ )، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١١ ).

(١) سورة هود، الآية ( ٢٢ ).

(٢) قرأ نافع وحده " مُفْرِطون " بكسر الراء، وقرأ الباقون " مُفْرَطون " بفتح الراء.
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٠ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٣٤٠ )، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٧٤ )، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦١٤ ).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم " نَسْقيكُم " بفتح النون، وقرأ الباقون " نُسقيكم " بضم النون. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٥ / ٥٠٧ )، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٣٤١ )، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٧٤ )، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦١٥ ).

أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ ﴾ ألهمها ، فصارت كالمخاطبة بقوله: ﴿ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ ﴿ فَٱسْلُكِى ﴾ ويسر الله عليها سلوك الأماكن البعيدة والهداية إلى أماكنها بعد بعدها عنها وهو قوله : ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ﴾ أي: ميسرة مسهلة من قولهم: دابة ذلول ﴿ فِيهِ شِفَآءٌ ﴾ ولم يقل فيه الشفاء ؛ لأن فيه شفاء بعض الأمراض دون بعض[١] .

وأرذل العمر: الهرم (١٠١/أ) وهو أن يصير كثير النسيان، وتضعف قواه التي في بدنه كلها ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ﴾ فكما لا يشارك العبيد مواليهم في أرزاقهم كذلك لا يشارك الصنم الذي هو مثل العبد مولاه في ذلك ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: من جنسكم. الحفدة: هم الذين يسرعون في المشي حول كبيرهم؛ لأن خطاهم قصيرة، وخطى مواليهم طويلة، فيحتاج الحفدة إلى الإسراع ، ومنه ما جاء في القنوت : " وإليك نسعى ونحفد "[٢] ﴿رِزْقًا﴾ عامل فيه ﴿ شَيْـًٔا ﴾ ومثله ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا ﴾[٣] .

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ أي : لا تجعلوا له الأشباه . وحذف مفعول ﴿ يَعْلَمُ ﴾ و﴿تَعْلَمُونَ ﴾ لأن المراد المصدر وثبوته لله ونفيه عن الخلق ؛ كقوله : ﴿ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾[٤] ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾ هذه الجملة الأخيرة سيقت للذم ؛ كقوله : ﴿ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[٥] ليس المراد تخصيص شيطان رجيم عن آخر ليس برجيم ، فالعبد لا يملك شيئا عند الشافعي ، وقال مالك: المراد تمييز هذا العبد عن عبد يملك[٦] ﴿ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ ﴾ على من يخدمه ﴿ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ لا يستطيعه .

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) تقدم التعليق على ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١٧٩ ) .

(٢) تقدم تخريجه في سورة يوسف ، الآية ( ١٨ ) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية ( ١٠ ) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ( ١٥٦ ) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ٣٦ ) .

(٦) **ينظر**: الأم للشافعي ( ٥ / ٦٩)، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٤٩١ )، المغني لابن قدامة (٤/ ٢٧٢ ).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ۞

﴿ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ علم ما فات فيهما . ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ أفرد السمع وجمع الأبصار وقد ذكر ذلك في أول البقرة [1] . ﴿ ٱلطَّيْرِ ﴾ اسم للجنس ، وواحدها طائر ﴿أَكْنَٰنًا﴾ جمع كن، وهو ما يقي من الحر والبرد ﴿ سَرَٰبِيلَ ﴾ جمع سربال . ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ ولم يذكر البرد إما اكتفاء بأحد القسمين عن الآخر ، وإما لأن وقايتها من البرد أتم فجعل ذلك كقوله : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾[2] وإما لأن بلاد العرب بلاد حارة فاحتياجهم إلى ما يدفع الحر أكثر ، والبأس : الحرب ، والمراد تقيكم شر ما يتقابل به في الحرب ﴿ ثُمَّ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٧ ) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٢٣ ) .

﴿يُنكِرُونَهَا﴾ كقوله : ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا﴾[(١)] وقد ذكر من كل أمة شهيدا نبيها ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ فلا يطلب العتبى . أنكرت الأصنام أن يكون عبدتها قد عبدوها ؛ لأنها لم تعقل العبادة ﴿السَّلَمَ﴾ الاستسلام والانقياد. ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ وهو عذاب الإضلال ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه العباد ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ هي النصفة ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ الزيادة على الإنصاف . ﴿وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ صلة الرحم . ﴿الْفَحْشَاءِ﴾ كل ما قبح من المعاصي ، كالزنى في رمضان في الحرم . ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ كل ما ينكره العقل والشرع . ﴿وَالْبَغْيِ﴾ مجاوزة (١٠١ / ب) الحد ، وأكثر ما يستعمل في مظالم العباد . ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بذلك .

قوله : ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ يجوز أن يخرج مخرج الغالب ، فإن أيمان العهود يستظهر فيها بزيادة استثبات، ويجوز أن توكيده تقويتها وتثبيتها . الواو في ﴿وَقَدْ﴾ واو الحال .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

مثّل حالهم في نقض العهد بمن نقضت غزلها من بعد إتمامه. وقد قيل: إنها امرأة حمقاء كانت تغزل، وتغزل جواريها ثم تنقضه[(٢)] ، ولا يتعلق فرض بوجود تلك المرأة، بل قد يمثل

(١) سورة الجاثية ، الآية ( ٨ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ١٦٦ )، وذكر الفراء في معاني القرآن ( ٢ / ١١٣ ) أن اسمها ريطة، وذكر العيني في عمدة القاري ( ١٩ / ١٧ ) عن مقاتل في تفسيره أن هذه المرأة قرشية اسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وتلقب جعرانة لحمقها ، وذكر السهيلي أنها بنت سعد بن زيد مناة بن تيم بن مرة وقال الثعلبي: «كانت اتخذت مغزلا بقدر=

بما لا يقع في الخارج ، كما يفرض في مسائل الخلطة ومسائل الفداء ، وهذه مسائل ليست واقعة في الخارج ، كقولك : ثلاثون جدَّة وأربعون أخاً لأم وأشباهها .

﴿ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ ﴾ أي: لأن ، يريد أنكم إذا عاهدتم قوماً ثم رأيتم مخالفة غيرهم ، وتركَ الأولين لكثرة الآخرين وقوتهم . ﴿ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ أكثر به [١] أسباب مخالفة الآخرين .

شبه الثابت بما حلف عليه بمن استقرت قدمه فلم تزل عما اعتمدت عليه ، وهذا اللفظ بعموم يشمل من زلت قدمه في الأيمان وفي غيرها من الأعمال . ﴿ بِمَا صَدَدتُّمْ ﴾ بصدكم ويجوز أن يكون (بصدكم ) غيركم ، أو بصدكم أنفسكم . وقال الفقهاء في تمييز الثمن عن المثمن ثلاثة أوجه: أحدها: دخول الباء فإذا قال: اشتريت الجارية بالعبد، فالعبد ثمن، ولو قال : اشتريت العبد بالجارية، فالجارية ثمن ، ولو قال: اشتريت الذهب بالجارية فالجارية ثمن والذهب مثمن ، والثاني: إن كان في العقد نقد فهو الثمن سواء أدخلت عليه أو على قسيمه . والثالث: إن كان فيه نقد فهو الثمن، وإن لم يكن فيه نقد فلا ثمن فيه . واعلم أن كثيراً من آيات القرآن تدل على خلاف القول الأول ، ومنها : هذه الآية[٢]. وقوله : ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [٣] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا ﴾ [٤].

روي أن أم سلمة قالت : يا رسول الله لو كان في النساء خير لذكرن في القرآن كما ذكر الرجال ، فنزل بعد ذلك ﴿ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [٥] ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [٦] .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ قيل في الجنة .

---

= ذراع وسنارة مثل الإصبع وفلكة عظيمة على قدرهما تغزل الغزل من الصوف والوبر والشعر وتأمر جواريها بذلك وكن يغزلن إلى نصف النهار ثم تأمرهن بنقض جميع ذلك فهذا كان دأبها» .

(١) بعدها بياض بالأصل وفي النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٤١٠ ) أي: أكثر عددا وأزيد مالا فتطلب بالكثرة أن تغدر بالأقل بأن تستبدل بعهد الأقل عهد الأكثر.

(٢) تقدم الحديث عن باء الثمنية في سورة التوبة ، الآية ( ٩ ) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ( ١٨٧ ) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ( ٧٧ ) .

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ١٩٥ ) .

(٦) سورة النساء ، الآية ( ١٢٤ ) والحديث تقدم تخريجه في سورة آل عمران ، الآية ( ١٩٥ ) .

وقيل : يرزقه القناعة فلا يضيق صدره لضيق ذات اليد . وقيل : الرضا بالقضاء .

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ (١٠٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) ﴾

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ﴾ أي : أردت أن تقرأ ، وعلل ذلك بعدم سلطنته ( ١٠٢ / أ ) على المؤمنين المتوكلين، وحصر سلطانه على من يتولى الشيطان والذين هم به مشركون . كان الكفار يكفرون بما نسخ ويعتقدون أنه بُدِّل ، فنزلت ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ﴾ [1].

وقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ﴾ يوافق ما قاله أهل علم البيان ﴿ إِنَّمَآ ﴾ تدخل على الجملة التي لا ينكرها السامع ، فقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ﴾ هو عندهم من قبيل الأمر المحقق الذي لا نزاع فيه . وقوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إنما ذكر الأكثر ؛ لأن بعضهم كان معانداً . ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ روح الطهارة ، كان النبي ﷺ يجلس إلى جبر ويسار وكانا نصرانيين فسمع منهما بعض ما عندهما ، فقال الله – تعالى- حكاية عن الكفار : ﴿ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ وأجاب عنه أن المذكورَيْن غلف الألسنة[2]. وإعجاز القرآن إنما هو بفصاحته[3].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٤ / ١٧٤ )، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ١٦٧ ) لابن أبي حاتم عن السدي .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٤١٣ ) ونسبه لحصين بن عبد الله بن مسلم .

(٣) قال البيهقي في كتاب الاعتقاد (١ / ٢٥٩ ) : " واختلف أهل العلم في إعجاز القرآن منهم من قال إعجازه من جهة البلاغة وحسن اللفظ دون النظم . ومنهم من قال : إعجازه في نظمه دون لفظه فإن العرب قد تكلمت بألفاظه . ومنهم من قال إعجازه في إخباره عن الحوادث وإنذاره بالكوائن في مستقبل الزمان ووقوعها على الصفة التي أنبأ عنها . ومنهم من قال : إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله وصرف الهمم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه . وقد ذهب بعض العلماء إلى إثبات الإعجاز للقرآن من جميع هذه الوجوه ولا معنى لقول من زعم أن الإعجاز في لفظه لأن الألفاظ=

﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ يميلون. ﴿ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ ﴾ للنظر في الآيات والأعمال الصالحات.

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٠) ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) ﴾

﴿ يَفْتَرِي الْكَذِبَ ﴾ يقتطعه ويختلقه ، أولئك هم الكاملون في الكذب . ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ ﴾ منشرح القلب بكفره ﴿ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ﴾ والشرط الثاني وهو قوله: ﴿ مَن شَرَحَ ﴾ مخصص لعموم الأول وهو قوله : ﴿ مَن كَفَرَ ﴾ ولهذا اتحد جوابهما .

﴿ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي : مطلوباتها على مطلوبات الحياة الآخرة ، وبسبب أن الله لا يهدي ﴿ الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾. وحد السمع وجمع الأبصار والقلوب وقد ذكر ذلك[1].

---

= مستعملة في كلام العرب ومتداولة في خطابها لأن البلاغة ليست في أعيان الأسماء ومفرد الألفاظ وحسب دون أن تكون هذه الأوضاع معتبرة بمحالها ومواضعها المصرفة إليها والمستعملة فيها ".

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٦ / ٥٨٢ ) : " ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته وإيجازه في مقام الإيجاز ، وبلاغته ظاهرة جدًّا مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة أسلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر هذا إلى ما اشتمل عليه من الإخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ولم يعلم أن النبي ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم وبما سيقع فوقع على وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سامعه وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه مع تيسر حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه ولا ينكر شيئا من ذلك إلا جاهل أو معاند ولهذا أطلق الأئمة أن أعظم معجزات النبي ﷺ القرآن ومن أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الإعجاز وأشهر ذلك تحديه اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه فكان في ذلك أوضح معجزة " .

(١) في سورة البقرة ، الآية ( ٧ ) .

﴿ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ الكاملون في الغفلة . ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ قد ذكر[١] . ﴿ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ﴾ من بعد ما صبروا على أذى المشركين وعقوبتهم وسبهم لهم ، ثم لما فرض الجهاد جاهدوا وصبروا على القتال .

قال ابن عباس : يختصم يوم القيامة الروح والجسد فتقول الروح : يا رب إن هذا الجسد استعمل فطرتي في ملاذِّه من المأكل والمشرب والملبس والجاه ولما فارقته لم أعص ، فيقول الجسد : رب إن هذه الروح استعملتني فيما أرادته ، ولما فارقتها لم أعص ، فيقول الله – تعالى– لهما : مثلكما كمثل أعمى ومقعد دخلا حائطاً ، فالأعمى لا يبصر الثمر ، والمقعد لا يصل إليها فحمل الأعمى المقعد وأخذا وأكلا ، العقوبة عليكما[٢] .

وقوله : ﴿ عَن نَّفْسِهَا ﴾ أي : عن ذاتها ، ولم يرد أن للنفس نفساً .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) في سورة هود ، الآية ( ٢٢ ) .

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ( ٤ / ٥٤ ) ونسبه لابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس. ورواه محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني في كتاب " الإيمان " ( ص: ١٣٤ ) عن عكرمة عن ابن عباس ولفظه: " ما زالت الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى خاصم الروح الجسد فقال الجسد: يا رب إنما كنت مثل الخشبة النخرة ليس لي يدٌ أبطش بها ولا عينٌ أبصر بها ولا أذنٌ أسمع بها ولا رجلٌ أمشي بها ولا عقلٌ أعقل به حتى جاء هذا فدخل فيَّ فنجني منه وخلد عليه العذاب اليوم.وقال الروح : يا رب منك الروح وأنت خلقته إنما كنت كالشهاب لم يكن لي يدٌ أبطش بها ولا عينٌ أبصر بها ولا أذنٌ أسمع بها ولا رجلٌ أمشي بها ولا عقلٌ أعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فخلد عليه العذاب ونجني منه اليوم . فقيل : يضرب لكما مثل مثلكما كمثل أعمى ومقعد دخلا حائطًا دانيةً ثمارها فالأعمى لا يبصر الثمار فيتناول منها والمقعد يبصرها ولا ينالها فدعى المقعد الأعمى فقال: احملني حتى أسددك فآكل وأطعمك. فحمله وسدده فأدركا وهما كذلك فعلى أيهما يقع العذاب قال: عليهما جميعا. قال فالعذاب عليهما ".

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ يعني مكة . ﴿ يَجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ فإن قيل: اللباس لا يذاق ، فكيف قال: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ﴾ قلنا: استعار للإحساس (١٠٢/ب) الذوق ، ولشمول العذاب اللباسَ ، فكأنه قال: فأصابها من الجوع والخوف ما شملها ؛ وأراد بالجوع القحط بدعائه ﷺ . ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ تهييج ﴿ وَٱلدَّمَ ﴾ أي: المسفوح ﴿ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾ وسائر أجزاء الخنزير ، وأصل الخنزير[1]. وأصل الإهلال: رفع الصوت، وكانوا إذا ذبحوا للأصنام رفعوا أصواتهم بذكر الصوت ﴿ غَيْرَ بَاغٍ ﴾ على إمامه . ﴿ وَلَا عَادٍ ﴾ حد الشبع أو حد ما يسد الرمق على اختلاف العلماء فيه . ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ ﴾ يشبه أن تكون لام العاقبة، ويجوز أن يكونوا فعلوا ذلك وتعمدوا الكذب على الله ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ أي: تمتعهم . ﴿ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ﴾ أي: في سورة الأنعام[2]. ﴿ بِجَهَٰلَةٍ ﴾ بجرأة وجهل بمقدار من عصوه، وليس المراد الجهل الذي هو ضد العلم، وهو كقول الشاعر [ من الوافر]:

---

(١) تقدم الكلام على ذلك عند تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١٧٣ ) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ١٤٦ ).

ألا لا يَجْهَلَـــنْ أحـــدٌ علينـــا فنجهـــلَ فـــوقَ جهـــلِ الجاهلينـــا[١]

الأمة : الرجل المتفرد بالدِّين ، كذلك كان قس بن ساعدة ، فقال ﷺ : " إنـه يُبعَـثُ يـومَ القيامةِ أمةً وحدَهُ "[٢]. وقيل : كان يرفع من أعماله كعمل أمة .

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ وهو أن جميع أرباب الملل يدعونه ، ثم هاهنا ما هـو أعظـم مـن ذلك وهو أنا أمرناك باتباعه . ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ كما زعم الكفار، فصوروا صـورة إبراهيم وإسماعيل صنمين في الكعبة ، وفي أيـديهما الأزلام يقتسمان بهـا ، حتـى أخرجهـا النبي ﷺ[٣] . ﴿ ٱلسَّبْتُ ﴾ مصدر ، سبت اليهـود إذا أعظمـت سـبتها ﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ نسختها آية القتال . ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ ﴾ نزلت في شأن حمزة لما رآه رسـول الله ﷺ قد مُثل بأُحُد ، وقطعوا مذاكيره وأذنيه وشقوا بطنه ، فقال النبي ﷺ: " لئنْ ظفرني اللهُ بهم لأمَثِّلَنَّ بسبعينَ منهُم "[٤] فعزاه بذلك وأمره بالصبر . والله أعلم .

* * *

(١) تقدم تخريجه عند تفسير سورة النساء ، الآية ( ١٧ ) .

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ١٨٩، ١٩٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٤٠)، عن سعيد بن زيد بـن عمرو بن نفيل.

(٣) رواه البخاري رقم ( ١٥٢٤ ) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ( ٣ / ١٩٧ ) ، والواحـدي في أسباب النـزول ( ٢٩٠، ٢٩١ ) رقـم (٥٧١، ٥٧٢)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٤ / ١٣٥ ) وعـزاه لابـن سـعد وابـن المنـذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أبي هريرة وفي سنده صالح بن بشير المري وهـو ضـعيف كما قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ٣٥٨) ، وسكت عنه الحـاكم ، وقـال الـذهبي في تلخيص المستدرك ( ٣ / ١٩٧ ) : صالح واهٍ .

## سورة سبحان (الإسراء) [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣)﴾

سرى وأسرى بمعنى واحد، ولهذا جمع بين التعدية بالباء وبين نفسه، وفي قوله: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ دليل على أنه أسري بجسده، إذ لا يطلق على الرُّوحِ اسم العبد[1]. (١٠٣ / أ)

---

(١) قال القاضي عياض : اختلفوا في الإسراء إلى السماوات؛ فقيل: إنه في المنام. والحق الذي عليه الجمهور: أنه أسري بجسده. قلت: اختلفوا فيه على ثلاث مقالات؛ فذهبت طائفة إلى أنه كان في المنام مع اتفاقهم أن رؤيا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وحيٌ وحقٌ، وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن، والمشهور عنه خلافه، واحتجوا في ذلك بما روي عن عائشة - رضي الله تعالى عنها- : «ما فقد جسد رسول الله ﷺ» وبقوله: «بينا أنا نائم». وبقول أنس: «وهو نائم في المسجد الحرام...» وذكر القصة، وقال في آخرها: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام» وذهب معظم السلف إلى أنه كان بجسده وفي اليقظة، وهذا هو الحق، وهو قول ابن عباس فيما صححه الحاكم، وعدد في الشفاء عشرين نفسا قال بذلك من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وهو قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين، وذهبت طائفة إلى أن الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس وإلى السماء بالروح، والصحيح أنه أسري بالجسد والروح في القصة كلها، وعليه يدل قوله - تعالى- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾[الإسراء] إذ لو كان مناما لقال: بروح عبده. ولم يقل: بعبده. ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة . وقال الطبري: " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله، أن الله حمله على البراق حين أتاه به وصلى هنالك بمن صلى من الأنبياء والرسل فأراه ما أراه من الآيات، ولا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده. لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن فيه ما يوجب أن يكون دليلا على نبوته، ولا حجة له على رسالته، ولا كان الذين أنكروا حقيقة ذلك من أهل الشرك وكانوا يدفعون به عن صدقه فيه؛ إذ لم يكن منكرًا عندهم ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل، وبعد، فإن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره". =

وذكر الليل : لأنه أراد بعض الليل . ﴿ مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ من بيت أم هانئ أخت علي ابن أبي طالب[1] . ﴿ ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ بكثرة المياه والأشجار. وقوله: ﴿ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ سد مسد المفعول ، أي : بعض آياتنا . ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ من أولاده: سام وحام ويافث ؛ لقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[2] .

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾

﴿ وَقَضَيْنَآ ﴾ أعلمنا ووصينا ﴿ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ في التوراة[3] ﴿ وَعْدُ ﴾ عقوبة المرة الأولى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ بختنصر وأصحابه . ﴿ فَجَاسُوا۟ ﴾ أفسدوا ﴿ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾ بينها ، وكان الوعد بإفسادهم ﴿وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ .

قيل : النفير جمع نافر ، أي : إذا نفرتم لحرب كنتم عدداً كثيراً أكثر من عدوّكم، قال عليٌّ عليه السلام: " واللهِ ما أحسنتُ إلى أحدٍ قط ولا أسأتُ إلى أحدٍ ثم تلا ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ ﴾

---

= ينظر : تفسير الطبري (١٥/١٦– ١٧) ، عمدة القاري ( ١٥ / ١٢٥ ) .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢ ) ونقل الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٢٥٩ ) عن البيهقي في دلائل النبوة قال : " وقد روي حديث المعراج من طرق كثيرة بأسانيد ضعيفة قال فمنها ما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأسند إلى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقدًا وقد صلى العشاة الآخرة ... " وذكر حديثًا طويلاً.

(٢) سورة الصافات ، الآية ( ٧٧ ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢١ ) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

الآية [١] ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ﴾ عقوبة الإفساد الثانية بعث الله عليهم ملوكاً أُخر فقتلوا وسبوا ودمروا البلاد وما فيها ، والمراد : وعد المرة الآخرة .

و﴿ٱلۡمَسۡجِدَ﴾ هو المسجد الأقصى [٢]. والتتبير : من التكسير ومنه سُمِّي التبر ؛ لأنه يؤخذ قطعاً ، أي: يتبروا ما علوا وظهروا فوقه .

﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ﴾ إلى الإفساد عدنا إلى العقوبة . والحصير : المجلس ، مأخوذ من الحصر .

﴿يَهۡدِي﴾ للطريق التي ﴿هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ﴾ بأن الذين لا يؤمنون بالآخرة معذبون ؛ لأن مساءة العدو سرور لعَدُوِّه . ﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ عند الغضب على نفسه وماله.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ﴾ قيل : وجعلنا الليل والنهار ، ويؤيده قوله : ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ﴾ وقوله : ﴿مُبۡصِرَةً﴾ أي : يستبصر بها ؛ كقوله : ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةً﴾ [٣] وجميع النوق مبصرة بالحدقة [٤]. ﴿وَٱلۡحِسَابَ﴾ وقف تام ؛ لأنا لم نعلم كل شيء فصل تفصيلاً [٥] .

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ﴿١٩﴾ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٦٥٠ ) عن علي بن أبي طالب ﷺ .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٣٤ ) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٩ ) .

(٤) **الحدقة** : السواد المستدير وسط العين ، وقيل : هي في الظاهر سواد العين وفي الباطن خرزتها ، والجمع حدق وأحداق وحداق . **ينظر** : لسان العرب ( حدق ) .

(٥) **ينظر** : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا للأشموني ( ص : ٢٢٢ ) .

﴿ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ حظّه ونصيبه ﴿ حَسِيبًا ﴾ محاسبا ، ولا تحمل حاملة . ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ ﴾ ؛ كقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ الآية[١] . ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ بالطاعة فعصوا. وزعم الزمخشري [٢] أن التقدير: أمرناهم بالفسق ففسقوا. جعل توسعة الأرزاق عليهم والتمكين في البلاد كالأمر بالبطر والفسق. قال: تقول: أمرت زيداً فعصى، فتضمر بالطاعة؛ لدلالة (١٠٣/ب) "فعصى" عليه.

قرئ ﴿ أَمَّرْنَا ﴾ من الإمرة وهي الولاية ، وقيل : ﴿ أَمَرْنَا ﴾ [٣] كثرنا ، قال ﷺ: "خيرُ المالِ سِكةٌ مأبورةٌ أو مُهرةٌ مأمورةٌ" [٤] يعني بالسكة النخل ، وبالمأبورة التي ظهرت ثمرتها من كمامها ، وبالمأمورة المهرة الكثيرة الولادة . قوله : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ ﴾ تقييد لإطلاق قوله : ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ﴾ [٥] وكثيراً ترى قوماً يسألون الدنيا ولا تحصل لهم . والمراد : التقييد بهذين القيدين .

والمدحور : المطرود ، ومنه ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [٦] ﴿ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ. دُحُورًا ﴾ [٧]. أراد ﴿ سَعْيَهَا ﴾ اللائق بها . ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ أي : ممنوعاً .

---

(١) سورة طه ، الآية ( ١٣٤ ) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٥٤ ) .

(٣) قرأ «أمَّرْنا» بالتشديد أبو عثمان النهدي وأبو رجاء وأبو العالية والربيع ومجاهد والحسن وقراءة الجمهور «أَمَرْنا» بالتخفيف .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٠ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢١٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٣٧٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٧٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٥٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٥ ) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ١١٩ ) .

(٤) رواه أحمد في المسند ( ٣ / ٤٦٨ ) ، والبغوي في شرح السنة ( ٥ / ٥٣١ ) ، رقم ( ٢٦٤١ ) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٥ / ٢٦١ ) ، وعزاه لأحمد والطبراني وقال الهيثمي: رجال أحمد ثقات ، وقال البغوي في شرح السنة : " مهرة مأبورة : كثيرة النتاج ، يقال : أمرها الله فهي مأمورة ، وأمرها فهي مؤمرة ، أي : كثرها " وسكة مأمورة : السكة : الطريقة المصطفة المستوية من النخل ، والمأمورة التي قد أبرت ولقحت ، وسميت الأزقة سككا ؛ لاصطفاف الدور فيها.

(٥) سورة الشورى ، الآية ( ٢٠ ) .

(٦) سورة الأعراف ، الآية ( ١٨ ) .

(٧) سورة الصافات ، الآية ( ٨ ، ٩ ) .

﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾

روي: «أن سهيل بن عمرو كان بباب عمر في جماعة من أشراف قريش المسلمين، فخرج الإذن لبلال وصهيب وعمار وفقراء المهاجرين، فتعجب أشراف قريش من تقديم هؤلاء عليهم، فقال سهيل بن عمرو: دعوا ودعينا فأجابوا وأبطأنا، ولَتَقَدُّمُهُمْ في الآخرة أعظم من تقدمهم على باب عمر، ثم تلا ﴿ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الآية»(١).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣ / ٣١٨) رقم (٥٢٢٧).

﴿فَتَقْعُدَ﴾ هي من أخوات كان ، و﴿مَذْمُومًا﴾ خبرها. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي : أمر وأوصى بالوالدين إحساناً . ﴿أُفٍّ﴾ كلمة يتضجر بها، جعل للذل جناحاً ، وجعل خفض الجناح كناية عن اللين .

وقوله : ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾ الكاف للتعليل ، أي : لأجل أنهما ربياني ، كقوله : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا﴾ ثم قال : ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ (١) أي : لأجل إرسال هذا النبي اذكروني . ﴿حَقَّهُۥ﴾ من صلة الرحم .

﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي : يوافقون الشياطين على ما يوسوسون به . ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾ جعل غل اليد كناية عن البخل، وبسط الكف عبارة عن العطاء. ﴿مَّحْسُورًا﴾ قد أعييت ، والمحسور المعيى . ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: يضيق، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ (٢) الإملاق: الفقر ، والخطأ : المعصية، والخطأ ضد العمد . وقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ مستثنى من ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟﴾ وقيل: من ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ أي : لا يقتل غير قاتله . وكانت العرب إذا رأت رجلاً من قبيلة القاتل قتلوه. وقيل : كانوا يقولون : لا نأخذ بالواحد منّا إلا عشرةً منكم . وقيل : فلا يُمثّل بالقتيل. الأشُد : جمع شدٍ ، أي : حتى تقوى قوى أعضائه ، قال عنترة [ من الكامل]:

عهدي به شَدُّ النهارِ كأنما ... خضبَ البنانُ ورأسُه بالعظْلَمِ(٣)

﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي : عنه . وقيل : مسؤولاً ، أي : مطلوباً . وقيل : يسأل العهد [عمَّن] (٤) وفَّى به ، ومن لم يف به . ﴿تَأْوِيلًا﴾ عاقبة ، و﴿وَٱلْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ﴾ إن طاولتها . ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾ ( ١٠٤ / أ ) أعطاكم صفوة الأولاد. ﴿ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ صاحب العرش . قوله : ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ يدل على أن قوله : ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزه .

وقيل: معناها نزهت الله .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ١٥٢ ) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ( ٨٧ ) .

(٣) تقدم في سورة يوسف ، الآية ( ٢٢ ) .

(٤) بالأصل: [ عن من ] .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا (٤٦) نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا (٤٧) ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨) وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢) وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٥٤) وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (٥٥) قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) ﴾

﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴾ حجاب من قدرة الله ، والقدرة مستورة عن أعين الناظرين . وقيل : مستوراً بمعنى ساتر ﴿ نُفُورًا ﴾ مصدر ، وجمع نافر. ﴿ مَّسْحُورًا ﴾ يأكل ويشرب في سحره قالوا : والسحر : الرئة والإنسان لا يأكل في رئته ، إلا أن الرئة مجاورة المعي . وقيل : مسحورا : ساحراً ﴿ فَضَلُّوا۟ ﴾ يجوز أن تكون فاء التفسير ؛ لأنهم ضلوا بضرب الأمثال . ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ إلي الصواب. ﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً ﴾ أي : في الفرض والتقدير ، وليس هذا الأمر مما يمتثل . ﴿ مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ قيل هي السماوات والأرض . وقيل : الموت. ﴿ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ ﴾ إنكاراً واستهزاء ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ ﴾ عسى تامة و﴿ أَن يَكُونَ ﴾ فاعلها. ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ ﴾ أي : تقومون من القبور، أو فيما بين النفختين .

﴿ يَقُولُوا۟ ﴾ الكلمة ﴿ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ مكلّفا لهم للدخول في الإيمان نسختها آية السيف . ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ ﴾ كتاباً مزبوراً ، أي : مكتوباً ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ

زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ المراد بالأمر بهذا الدعاء بيان أن الأصنام لا تنفعهم ولا تدفع عنهم ضرراً. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ يعني : عيسى والملائكة وعزيراً [١] . وقيل : إن العرب عبدوا طائفة من الجن ، ثم أسلمت بعض تلك الطائفة ولم يشعر العابدون بإسلامهم فنزلت ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ ﴾ الآية [٢].

﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ ﴾ التي اقترحوها إلا أن الأولين كذبوا بمثلها فأهلكوا ، ونحن قضينا بتأخير عذاب أمتك إلى يوم القيامة . ﴿ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ يستبصر بها ﴿ فَظَلَمُواْ ﴾ فكفروا.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْۙ ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٠٥ ) عن ابن عباس وابن زيد - رضي الله عنهم .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٠٤ ) عن ابن مسعود ﷺ .

﴿ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ فهم كالذي في قبضته .

﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ ﴾ وهي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ وعلى هذا تكون الرؤيا بمعنى الرؤية[1] . وقيل: هي الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ في النوم أنه يدخل الحرم هو وأصحابه آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ، فتأخر ذلك في تلك السنة فافتتن الناس[2]. ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ هي شجرة الزقوم ﴿ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ أي : الملعون آكلها . ﴿ ءَأَسْجُدُ ﴾ لمن خلقته في أول أمره ﴿ طِينًا ﴾ وقد كرر ﴿ قَالَ ﴾ والمتكلم واحد بقوله : ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ ﴾ يقال : احتنك الجراد الأرض إذا استهلك ما فيها ( ١٠٤ / ب ) .

وقوله : ﴿ جَزَآؤُكُمْ ﴾ غلب فيه الخطاب وإلا فالتقدير : فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم . ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ قالوا : كلٌّ راكبٍ وماشٍ في معصية الله فهو من جنود إبليس. ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ لعبادي في دفع سلطان إبليس عنهم ﴿ يُزْجِى ﴾ يسوق ﴿ جَانِبَ ٱلْبَرِّ ﴾ يريد البر نفسه وكأن للوادي جانبان جانب بحر وجانب بر.

﴿ قَاصِفًا ﴾ التي تقصف الشجر بقوتها . ﴿ تَبِيعًا ﴾ أي : تابعا يطلب لكم ما تلتمسونه.

قوله : ﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ ﴾ احتج به من زعم أن الملائكة أفضل من البشر فإن مفهومه أنه قد بقيَ طائفةٌ قليلةٌ لم يفضل بنو آدم عليهم . ﴿ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ أي : بكتابهم ، ومنه ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [3] وقيل : ﴿ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ بقدوتهم في الاعتقاد . وقيل: الإمام جمع أمّ وزعموا أن الناس في الموقف يُدْعَوْنَ ، فيقال: يا ابن فلانة . وذكروا ثلاث فوائد : إظهار شرف فاطمة ، ولئلا يخيل الأمر في دعاء عيسى ، ولئلا يفتضح أولاد الزنى[4].

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ ﴾ والكفار أيضا يقرءون كتابهم ؛ لقوله – تعالى :

---

(١) رواه البخاري رقم ( ٣٦٧٥ ) ، والطبري في تفسيره ( ١٥ / ١١٠ ) عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١١٢ ) عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٣) سورة يس ، الآية ( ١٢ ) .

(٤) روى الطبري في تفسيره ( ١٥/ ١٢٧) القولين الأولين، وذكر القول الأخير الزمخشري في الكشاف (٢/ ٦٨٢) وقال عنه: ومن بدع التفاسير.

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ ﴾ لكن جواب الشرط محذوف ، أي : يقرءون كتابهم فيجازون بما فيه. ﴿ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ ﴾ أي : أشدُّ عمىً ، وهي أفعل التفضيل. ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ فيه تعظيم للنبي ﷺ فإنَّ ﴿ لَوْ ﴾ تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، و ﴿ لَوْلَا ﴾ تدل على امتناعه لوجود غيره ، فيكون التثبيت قد منع رسول الله ﷺ من أن يكاد قليلاً ما من الركون .

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ﴾ عذاب ﴿ ٱلْمَمَاتِ ﴾ فإن العذاب يكبر بكبر المُعذَّب ، كما يكثر الثواب بسببه ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ الآيتين [١] .

قيل : إن اليهود قالوا للنبي ﷺ : إن الأنبياء كلهم من الشام أو هاجروا إلى الشام ، فإن كنت نبيًّا فهاجر إلى الشام [٢]. فخيم رسول الله ﷺ بظاهر المدينة يريد الشام فنزلت ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [٣].

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ( ٣١ ، ٣٢ ) .

(٢) هذه العبارة مكررة بالأصل .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٣٢ ) عن حضرمي ، وروى أيضا في تفسيره ( ١٥ / ١٣٣ ) عن قتادة ومجاهد: «أنهم أهل قريش، والأرض مكة» ثم قال : " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول قتادة ومجاهد وذلك أن قوله : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ في سياق خبر الله - عز وجل- عن قريش وذكره إياهم ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر فيوجه قوله: ﴿ وَإِن كَادُواْ ﴾ وإن كادوا إلى أنه خبر عنهم فهو بأن يكون خبرًا عمن جرى له ذكر أولى من غيره" .

دُلُوكِ الشَّمْسِ: زوالها . وقيل: غروبها. ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ صلاة الفجر، سماها قرآنا لاشتمال الصلاة عليه ، كما سماها تسبيحًا ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [1].

﴿ نَافِلَةً ﴾ أي : زيادة علي الفرائض ؛ لأن قيام الليل (١٠٥/أ ) كان فرضاً علي النبي ﷺ . ﴿ مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ و﴿ مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ أي : مدخلاً حسناً ومخرجاً حسنا . العرب إذا عظّمت شيئاً وصفته بالصدق ﴿ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [2] ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرِۭ ﴾ [3] قال قتادة : " ما جالس أحدٌ هذا القرآن إلا وقام عنه بزيادةٍ أو نقصان ، ثم تلا ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ " [4].

﴿ وَنَـَٔا ﴾ وبعد ، ومن قرأ ( وَنَأَء ) [5] فمعناه : ونهض معرضًا بجانبه . قيل : الروح التي يحيا بها الجسد . وقيل : هم جند من جند الله ليسوا بإنس ولا جن ولا ملائكة وهم أكثر من هذه الأصناف الثلاثة .

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن

---

(١) سورة الروم ، الآية ( ١٧ ) .

(٢) سورة يونس ، الآية ( ٢ ) .

(٣) سورة القمر، الآية ( ٥٥ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٥٣ ) نحو ذلك عن قتادة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٣٠ ) ونسبه لابن عساكر عن أويس القرني ﷺ.

(٥) تقدم تخريجها في آخر سورة إبراهيم .

دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾

قوله : ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن رحمة الله هادية ، فهي كالمتوكلة بحصول الخير. ﴿ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي : من كل حكم وكل قصة هي في الغرابة كالمثل ، والمَثَل والمِثل والمَثِيل بمعنى واحد .

اقترحوا علي النبي ﷺ أن يفجِّرَ لهم أنهاراً وعيونًا بأرض الحجاز ، وأن يكون له أعنابٌ وثمارٌ ، وأن يسقط السماء قطعاً ، أو أن يأتي بالله والملائكة مقابلةً ، أو يكون لك بيتٌ من ذهبٍ ، أو يرقى في السماء ولا نكتفي بذلك حتى تنزل معك كتاباً من السماء نقرؤه، فأمره أن يجيب: بأنني مأمور ولا أطلب ما لم أعط. وقد أجاب عن ذلك في سورة العنكبوت بقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [1] فإذا صح التعجيز بمعجزة واحدة لم يبق لاقتراح المعجزات وجهٌ ، وقد أنكر الكفار أن يكون الرسول بشرًا مع إجازتهم أن يكون المعبود حجراً .

﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ ﴾ فهو الكامل في الهداية. وفي القيامة مواقف ففي بعضها لا يبصرون وهذه الآية دليله، وفي بعضها يبصرون ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [2] وفي بعضها لا ينطقون ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾ [3] وفي بعضها يتكلمون ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [4] ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ ﴾ ضعف لهبها زدناها اشتعالاً ، ذلك سبب إنكارهم البعث وكفرهم . ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ ﴾ أوَلَم علموا أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾ [5] .

---

(١) سورة العنكبوت ، الآية ( ٥١ ) .

(٢) سورة التكاثر ، الآية ( ٧ ) .

(٣) سورة المرسلات ، الآية ( ٣٥ ) .

(٤) سورة الصافات ، الآية ( ٥٠ ) .

(٥) سورة النازعات ، الآية ( ٢٧ ) .

لو تطلب الأفعال وقوله ﴿ لَّوْ أَنتُمْ ﴾ تقديره : لو تملكون أنتم. ﴿ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾ خشية الفقر ﴿قَتُورًا﴾ مبالغاً في التقتير خوف الفقر.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ (١٠٥/ب ) قيل: هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء وانفراق البحر وحل العقدة من لسانه. وقيل: إن النبي ﷺ سأله اليهود عن ذلك قال: " هي ألا تغلُّوا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان، وعليكم يا معشر اليهود ألا تعدوا في السبت " [1] فجعل الآيات أوامر بالخيرات.

---

(١) رواه أحمد في المسند ( ٤ / ٢٣٩، ٢٤٠ ) ، والترمذي برقم ( ٢٧٣٣ ) ، وابن ماجه رقم (٣٧٠٥ ) ، والحاكم في المستدرك ( ١ / ٩ )عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال قال: «قال يهودي لصاحبه : اذهب بنا إلى هذا النبي. فقال صاحبه : لا تقل نبي، إنه لو سمعك كان له أربعة أعين. فأتيا رسول الله ﷺ، فسألاه عن تسع آياتٍ بيناتٍ،فقال لهم: لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنةً ولا تولوا الفرار يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود أن لا تعتدوا في السبت. قال: فقبلوا يده ورجله فقالا: نشهد أنك نبي. قال فما يمنعكم أن تتبعوني؟ قالوا: إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبيٌّ وإنا نخاف إن تبعناك أن تقتلنا اليهود » . قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . قلت : وفي سنده عبد الله بن سلمة ، وهو صدوق تغير حفظه كما قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣٣٨/٤ ) وقد ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي ( ٥١٧ ) ، وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٢٩٣ ) : " والحديث فيه إشكالان : أحدهما : أنهم سألوا عن تسعة وأجاب في الحديث بعشرة وهذا لا يرد على رواية أبي نعيم والطبراني لأنهما لم يذكرا فيه السحر ولا على رواية أحمد أيضا لأنه لم يذكر القذف مرة وشك في أخرى فيبقى المعنى في رواية غيرهم أي: خذوا ما سألتموني عنه وأزيدكم ما يختص بكم لتعلموا وقوفي على ما يشتمل عليه كتابكم . الإشكال الثاني : أن هذه وصايا في التوراة ليس فيها حجج على فرعون وقومه فأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاء هذا إلا من عبد الله بن سلمة فإن في حفظه شيئا وتكلموا فيه وأن له مناكير ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر كلمات فاشتبه عليه بالتسع آيات فوهم في ذلك والله أعلم" .

﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ أي: ساحراً فقال موسى له : " لقد علمت صدقي ، فيما جئتُ به "، وهذا يدل على أن فرعون كان مكابرا ، عرف الحق وجحده ، وقرئ " لقد علمتُ " [(١)] والقراءة المشهورة أتم ؛ لأن موسى لا يحتج على فرعون بعلمه[(٢)].

﴿ مَثۡبُورٗا ﴾ هالكا ، ﴿ يَسۡتَفِزَّهُم ﴾ يخرجهم ﴿ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من ديار مصر. ﴿ وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ قيل : مصر . وقيل : الشام .

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾﴾

﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ ﴾ أي ملتبسا به. ﴿ فَرَقۡنَٰهُ ﴾ وفرّقْناه[(٣)]: أنزلناه مفصلا ولم ينزل جملة؛ لأن المقصود أن يحفظ في الصدور ، ولهذا قال : ﴿ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾.

﴿ ءَامِنُواْ ﴾ ليس أمرًا يريد الامتثال بل هو كقوله: ﴿ فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [(٤)]. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ ﴾ من أسلم من اليهود يسرعون السجود إذا سمعوه فهو كالذي يخرُّ هاويًا من مكانٍ عالٍ.

ويستحب أن يقول في سجوده هذه الآية: "سبحان من وعده مفعول " ثم يقول:

---

(١) قرأ الكسائي " علمتُ " بضم التاء ، بإسناد الفعل إلى موسى عليه السلام وقرأ الباقون " علمتَ " بإسناد الفعل إلى فرعون – لعنه الله – **وتنظر في** : البحر المحيط ( ٦ / ٦٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤/ ٤٢٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٨٥ – ٣٨٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٦٩٨ ) .

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ( ٤ / ٤٢٥ ) موجِّهًا معنى القراءتين: " علمتُ " بضم التاء، بإسناد الفعل إلى موسى عليه السلام أي: أني متحقق أن ما جئت به هو مُنَزَّلٌ من عند الله ، وقرأ الباقون " علمتَ " بإسناد الفعل إلى فرعون – لعنه الله – أي : أنت متحقق أن ما جئت به هو منزل من عند الله وإنما كفرك عناد . وعن علي رضي الله عنه أنه أنكر الفتح وقال : " ما علم عدو الله قط ، وإنما علم موسى " .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيتان ( ٣١ ، ٣٢ ) .

(٤) سورة الطور ، الآية ( ١٦ ) .

"زادني حبًا ورغبةً في الطاعة ما زاد الكافرين عتوًا واستكباراً "[١].

«سمع أبو جهل النبي ﷺ يقول : " يا الله يا رحمن " فقال : إن محمدًا نهى عن دعاء إلهين وهو يدعو اثنين[٢]، وهذا تجاهلٌ منه ، فإن لفظ : " الله والرحمن " اسمان لمسمىً واحد ، ( ولم يكن له ولد ) يستعين به على دفع الذل ، وكذلك امتناع اتخاذ الولد والشريك ، والولي يحمد الله عليه ، وإن لم يحصل لنا منه شيء[٣]» ( ١٠٦ / أ ).

* * *

(١) قال الإمام السرخسي ( من الأحناف ) في المبسوط : " وبعض المتأخرين استحسن أن يقول فيها : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ لقوله - تعالى : ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ واستحسن أيضا أن يقوم فيسجد ؛ لأن الخرور سقوط من القيام والقرآن ورد به فإن لم يفعل لم يضر " . وقال الخطيب الشربيني ( من الشافعية ) في مغني المحتاج : "ويندب كما في المجموع عن الشافعي أن يقول : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ قال في الروضة : ولو قال ما يقوله في سجوده جاز أي كفى " . **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٤٤٨ ) ، المبسوط للسرخسي (٢/ ١٠)، مغني المحتاج للشربيني ( ١ / ٢١٤ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ١٨٢ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٤٨ ) لابن مردويه عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) **في هامش الأصل** : إلى هنا انتهت قراءتي على المصنف من أول الفاتحة من النسخة التي نقلت منها . كتبه محمد . وقد أخذ من هذه العبارة من قال: إن السخاوي لم يتم تفسيره ، بل وصل فيه إلى الكهف . وقد دللنا على ضعف هذا الاستدلال ، وسقنا أدلة كثيرة وقوية تدل على صحة نسبة الكتاب كاملا إلى الإمام علم الدين السخاوي رحمه الله تعالى . والحمد لله الذي أعان ووفق على إخراجه .

## سورة الكهف [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦) إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨) أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠)﴾

حمد الله نفسه ، واستحمد إلى خلقه بإنزال الكتاب إذ هو كافل بمصالح الدين والدنيا .

وقوله : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ معترض بين فعل ﴿ يَجْعَل ﴾ ومفعوله ﴿ عِوَجًا ﴾ ﴿قَيِّمًا ﴾ قائماً بمصالح العباد [١] ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ ولم يذكر من أنذره ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ثم ذكر إنذار الكفار فبيَّن المنذَر ولم يبين ما أنذروا به ، فقال : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ الآية، وقد صرح بهما في قوله: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ [٢] وحذفهما في قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٣].

وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ إشارة إلى أنه كان يجب ألا تبرز هذه الكلمة من صدورهم ، كما جاء في الحديث : " إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يذكره " [٤] ونصب ﴿ كَلِمَةً ﴾ كما انتصب في قوله: ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ونعم زيدٌ رجلاً. ﴿بَاخِعٌ

---

(١) قال الأشموني في منار الهدى ( ص: ٢٢٨): " الوقف على " عوجا " حسن ، وبين الوقف عليه أن " قيما " منفصل عن " عوجا " .

(٢) سورة النبأ ، الآية ( ٤٠ ) .

(٣) سورة نوح، الآية ( ٢ ) .

(٤) رواه مسلم رقم (١٣٢) عن أبي هريرة قال: " جاء ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذاك صريح الإيمان".

﴿نَفْسَكَ﴾ قاتلها ﴿أَسَفًا﴾ مفعول من أجله ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الناس والنبات والأنهار والثمار. ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أكثر توقياً للحرام أو أكثرهم ذكرا للموت واستعداداً له. ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ قد استهلك ما عليه من النبات بالأكل والرعي والجفاف. ولما سأل الكفار رسول الله ﷺ عن قصة فتية ذهبوا فلم يعرف لهم خبر، وتوهموا أن تلك القصة من أعجب ما يكون وأغربه، فأنكر الله ذلك بقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1]. والرقيم: جانب الوادي. وقيل: هو لوح رقمت فيه قصتهم، وجعلت علي باب الغار حين غلب المؤمنون على أمرهم واتخذوا عليهم مسجداً.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦) ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧)﴾

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ حجبوا عن الإدراك بالحواس فهم مشبهون بمن ضُرب على حواسِّه بشيءٍ يمنعها من الإحساس . كان أهل الكتاب قد تنازعوا في مدة لبثهم ، وفي عددهم ، فأخبر الله نبيه ﷺ بحقيقة الأمر. ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ كما قال - تعالى : ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾[2].

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ ثبتنا قلوبهم حتى اجتهدوا في كتمان أمرهم ، استعار لهم الربط حتى لا ينفلت منهم ما يدل على حالهم . اعترفوا بأن خالقهم خالق السماوات والأرض؛ لأن أحداً لا يدعي في ( ١٠٦ /ب ) خلقهما مشاركة ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩١)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٣٥٧) لابن إسحاق وابن المنذر وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) سورة الأنفال ، الآية ( ٢٩ ) .

﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[(١)] ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ بعيداً عن الصواب، يقال شط المزار: إذا بعد ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾[(٢)] ولا تبعد عن الحق.

﴿قَوْمُنَا﴾ بدل من ﴿هَؤُلَاءِ﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿يَأْتُونَ﴾ على تصحيح عبادتهم ببرهان بيِّن فلا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ وافترى إن كانت بمعنى كذب فـ"كَذِباً" مصدر، وإن كان بمعنى اقتطع واختلق جاز أن يكون مفعولاً.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ وإذ اعتزلتم قومكم بكفرهم. ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ﴾ ما ترتفقون به، سمي المرفق؛ لأنه ارتُفِق بدخول عظم الساعد في عظمي[(٣)] فهيأ بذلك بسط اليدين وقبضهما. قيل: إن الشمس كانت إذا طلعت تميل عنهم خاصة ذات اليمين، وإذا غربت تميل ذات الشمال، وهذا بعيد، بل الصواب أن باب الغار كان في مقابلة بنات نعش[(٤)] فكانت الشمس لا تدخل لهم بكرة ولا عشية ولا في شيء من النهار. واحتج الأولون بقوله - تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ وأجيب بأن المراد بقاؤهم ثلاثمائة سنة من غير غذاء ولا شراب وتهيئة هذا الكهف في فجوة في مكان لا تتسلط عليه الشمس. ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ الكامل الهداية.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ

---

(١) سورة الأحقاف، الآية (٤).

(٢) سورة ص، الآية (٢٢).

(٣) كذا بالأصل ويبدو أن هنا سقطا.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب؛ أربعة منها نعش؛ لأنها مربعة، وثلاثة بنات نعش الواحد ابن نعش؛ لأن الكوكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا: ثلاث أو أربع. ذهبوا إلى البنات. ويقال فيما يعرف ببنات: بنات الدم بنات أحمر، وبنات المسند صروف الدهر، وبنات معي البعر، وبنات اللبن ما صغر منها، وبنات النقا هي الحلكة تشبه بهن بنان العذارى، وبنات بخر سحائب يأتين قبل الصيف منتصبات، وبنات غير الكذب وبنات بئس الدواهي وكذلك بنات طبق وبنات برح وبنات أودك وابنة الجبل الصدى وبنات أعنق النساء ويقال: خيل نسبت إلى فحل يقال له: أعنق. وبنات صهال الخيل وبنات شحاج البغال وبنات الأخدردي الأتن وبنات نعش من الكواكب الشمالية، وبنات الأرض الأنهار الصغار، وبنات المنى الليل، وبنات الصدر الهموم، وبنات المثال النساء والمثال الفراش، وبنات طارق بنات الملوك، وبنات الدو حمير الوحش وهي بنات صعدة أيضا، وبنات عرجون الشماريخ، وبنات عرهون الفطر، وبنت الأرض وابن الأرض ضرب من البقل، والبنات التماثيل التي تلعب بها الصبايا وبنات الليل الهموم". **ينظر**: لسان العرب (بني - نعش).

ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

قيل: كانوا حين ضرب على آذانهم أعينهم مفتحة فظنهم الرائي أيقاظاً ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ حتى لا تأكل الأرض لحومهم إذا استمروا عليها.

قيل: كانوا يقلبون في كل سنة مرة. وقيل: في كل سنة مرتين[١]. وقيل: كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وهذا مما لا دليل عليه[٢].

قوله: ﴿ بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ اسم فاعل بمعنى المضي ، فقياسه ألا يعمل ، لكنه حكاية حالٍ ماضية[٣] والوصيد : الباب .

حكي: «أن معاوية بعث قوماً يستطلعون خبرهم، فلما دخلوا من باب الكهف بعث الله

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٧٣ ) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٧٠٩ ) .

(٣) يشترط جمهور النحاة لعمل اسم الفاعل أن يدل على الحال أو الاستقبال فإذا كان للمضي فلا يعمل ، وأجاز ذلك بعض الكوفيين ، كالكسائي . وفي هذا يقول ابن مالك:

كَفِعْلِهِ اسمُ فاعِلٍ فِي العَمَلِ إنْ كانَ عَنْ مُضِيِّه بِمَعْزِلِ

وأما في هذه الآية ﴿ بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ ﴾ فإنها حكاية حال كما ذكر المصنف هنا ، والمعنى: يبسط ذراعيه ، بدليل ما قبله وهو ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ ولم يقل " وقلبناهم ".

**وتنظر** المسألة في: شرح الأشموني لألفية ابن مالك ( ٢ / ٥٦٢)، اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ( ١ / ٤٣٧ )، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ٥٣ – ٥٥ ) .

ريحًا شديدةً فأخرجتهم وهم كارهون، فبلغ معاوية، فقال له بعض جلسائه: قد منع الله من هو خيرٌ منك من رؤيتهم، فقال: ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾»[(١)].

﴿ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا ﴾ كانوا يظنون أن الشمس غابت [ فقالوا : يوما ] فرأوها لم تغب فقالوا ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وكان معهم دراهم من ضرب دقيانوس الملك المتقدم ثم تغير ذلك الضرب تغييرات كثيرة في مدة ( ١٠٧ /أ ) الثلاثمائة سنة . ﴿ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أرخص أو أحلُّ . ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ وهم يظنون أن الملك دقيانوس يطلبهم . ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ ﴾ إن يغلبوكم ؛ كقوله تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾[(٢)] ﴿ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أطلعنا ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ﴾[(٣)] وكان ملكهم في ذلك الزمان مسلماً وكان يرى ببعث الأجساد والأرواح ، وقوم ينكرون ذلك ، فأقام الملك متضرعا أن يريهم الله آية تدل على بعث الأجسام ، فلذلك قال : ﴿ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ فلما اطلع عليهم تنازع فيهم المسلمون، فغلب الملك والمسلمون عليهم ، فبنوا عليهم مسجدًا . كان ابن عباس يحلف أنه من القليل الذين يعلمون عددهم ، ويقول : هم سبعة وثامنهم كلبهم[(٤)] فإن الله – تعالى– عقب القولين الأولين بقوله : ﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾ ولم يقل ذلك في قولهم الثالث .

وزعم قوم أن هذه واو الثمانية، وليس عند العرب للثمانية واو.

وأما سورة التحريم قوله: ﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[(٥)] فتلك الواو واجبة الدخول، سواء كان ثالثة أو رابعة أو ما سوى ذلك؛ لأنه لو قال: ثيبات أبكارا لاجتمع الضدان. وقد كان

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٤٧٢ )، ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٣٠١ ) للواحدي في تفسيره الوسيط.

(٢) سورة الصف ، الآية ( ١٤ ) .

(٣) سورة المائدة ، الآية ( ١٠٧ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٢٦ )، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٧٥ ) لعبد الرزاق والفريابي وابن سعد وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرقٍ عن ابن عباس ، ونسب للطبراني في الأوسط بسند صحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : " أنا من القليل، مكسلمينا وتمليخا وهو المبعوث بالورق إلى المدينة ومرطوس ونينونس ودردوتس وكفاشطهواس ومنطفواسيسوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير " .

(٥) سورة التحريم ، الآية (٥).

القاضي الفاضل[١] يعتقدها واو ثمانية فرد عليه أبو الجود بما ذكرته فقال: أرشدك الله يا أبا الجود[٢].

وأما سورة الزمر وقوله: ﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾[٣] في صفة أهل الجنة ، فليس ذلك لأن أبواب الجنة ثمانية كما زعموا فإنه لم يسبق ذكر عدد ، وإنما هذه الواو واو الحال والتقدير: جاءوها وقد فتحت أبوابها كما تعد الدار نزلا للضيف وتكنس وتفتح أبوابها[٤].

قوله: ﴿ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ يدل على جواز المماراة إذا ظهر دليلها وإن كان في لسان حملة

---

(١) هو الإمام العلاَّمة البليغ القاضي الفاضل محيي الدين سيد الفصحاء أبو علي عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد بن المفرج اللخمي الشامي البيساني الأصل العسقلاني المولد المصري الدار الكاتب صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة، انتهت إلى القاضي الفاضل براعة الترسل وبلاغة الإنشاء وله في ذلك الفن اليد البيضاء والمعاني المبتكرة والباع الأطول لا يدرك شأوه ولا يشق غباره مع الكثرة، تُوفيَ ليلة سابع ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة.
**تنظر** ترجمته: في سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢١ / ٣٣٨ ).

(٢) هوالإمام المحقق شيخ المقرئين أبو الجود غياث بن فارس بن مكي اللخمي المنذري المصري الفرضي النحوي العروضي الضرير مولده في سنة ثماني عشرة وخمسمائة وتلا بالروايات على الشريف الخطيب أبي الفتوح الزيدي ، وتصدر للإقراء دهرا وانتشر أصحابه منهم الشيخ علم الدين السخاوي وعبد الظاهر بن نشوان والفقيه زيادة وأبو عمرو بن الحاجب والمنتجب الهمذاني أقرأ الناس دهرا ورحل إليه وأكثر المتصدرين للإقراء بمصر أصحابه وأصحاب أصحابه ، وكان ديِّنًا فاضلاً بارعًا في الأدب حسن الأداء لفَّاظًا متواضعًا كثير المروءة ، تُوفيَ في تاسع رمضان سنة خمسٍ وستمائة رحمه الله .
**تنظر** ترجمته في: سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٢١ / ٤٧٣ ) .

(٣) سورة الزمر ، الآية ( ٧٣ ) .

(٤) هناك أربعة مواضع في القرآن سميت الواو فيها بواو الثمانية عند بعض النحاة والأدباء والمفسرين ؛ وهي هذا الموضع من سورة الكهف ، وقوله – تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة:١١٢] وقوله – تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر:٧٣] وقوله – تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم:٥] وقد عددها ابن هشام في مغني اللبيب (١/٥٨٢) وقال: "ذكرها جماعة من الأدباء كالحريري ، ومن النحويين الضعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثعلبي ، ونسب السمين الحلبي في الدر المصون إلى أبي بكر راوي عاصم أنه قال بذلك. ورد المحققون هذه التسمية ونفوا وجود هذه الواو في العربية وقالوا عن ذلك: " وهو قول لا دليل له ولا أصل له ". **وينظر** في ذلك : الجنى الداني للمرادي (ص:١٦٨٩)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٣ / ٥٠٨ ) ، الفصول المفيدة في الواو المزيدة لصلاح الدين العلائي ( ١ / ١٤٠ – ١٤٥ ) .

الشريعة لا يذكرونه إلا مذموماً.

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٦﴾ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ نزلت حين قال رسول الله ﷺ للكفار: " سأخبركم غداً " ولم يقل: إن شاء الله[1]. ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ الاستثناء بالمشيئة ﴿ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ ﴾ مما نسيته ﴿ رَشَدًا ﴾ . ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ ﴾ سنين بدل من ثلاثمائة .

قوله : ﴿ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا ﴾ أي لما انتقل الحساب من السنة الشمسية ( ١٠٧ / ب ) إلى السنين العربية صارت الثلاثمائة الشمسية ثلثمائة وتسعة بالعربية ، وفيها تفاوتٌ يسيرٌ كما قال : ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ ﴾[2] وإنما هو شهران وثلث .

له علم ما غاب في السماوات والأرض. ﴿ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ ﴾ ما أبصر الله بما تفعلون وما أسمعه لما تقولون! ﴿ وَٱتۡلُ ﴾ أي: اقرأ . وقيل: واتبع كقوله: ﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾[3] أي: تبعها في السير. ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم ﴾ وكان عيينة بن حصن وأضرابه من المترفين يكرهون مجالسة عمار بن ياسر وخبَّاب بن الأرت وبلال وابن مسعود ويقولون: اجعل لمجلسنا يوما لا يحضرونه ، فهمَّ رسول الله ﷺ بذلك حرصًا على إيمان المترفين ، فإنهم إذا آمنوا تبعهم خلقٌ كثيرٌ ، فنُهي عن طرد الفقراء ، وأُمِرَ أن يصبر نفسه معهم ، فكان إذا

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٥٧ ) ونسبه لأبي نعيم في الدلائل من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ١٩٧ ) .

(٣) سورة الشمس ، الآية ( ٢ ) .

جلس معهم لا يقوم من مجلسه حتى يبدؤوا هم بالقيام[(١)] .

﴿ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ ﴾ خلقنا الغفلة في قلبه وكان أمره مقدَّما في الشر.

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾

﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ مبتدأ وخبر. ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن ﴾ إذا شاء الله رب العالمين ﴿ وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ إذا شاء الله رب العالمين، فلنا مشيئة نفرق بها بين الفعل الاختياري والاضطراري ولا يقع الفعل إلا بمشيئة الله - تعالى.

الْمُهْلِ: درديُّ الزيت المغلي. وقيل: الذهب والفضة إذا أذيبا. وقوله: ﴿ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ ﴾ أي: يجعل مكان الغوث وإلا فهو ليس بغوث . ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ إذا دنا منها ويقطع الأمعاء إذا شرب ، ويصب من فوق رؤوسهم فيذيب شحم بطونهم .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ و﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ ﴾ جملة معترضة . وقيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ مبتدأ وخبره ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ وعلى هذا دخلت ﴿ إِنَّ ﴾ في خبر ﴿ إِنَّ ﴾ . وقيل بجوازه ؛ كقوله - تعالى- في سورة الحج: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ثم قال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾[(٢)]، وأنشدوا عليه

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه رقم ( ٤١٢٧ ) ، والطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٣٥ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ص : ٣٠٥ رقم ٦٠٠ ) ، والبيهقي في شعب الإيمان ( ٧ / ٣٣٤ رقم ١٠٤٩١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور( ٣ / ٢٧٣ ) لابن أبي شيبة وأبي يعلى وأبي نعيم في الحلية وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن خباب .

(٢) سورة الحج ، الآية ( ١٧) قال السمين الحلبي في الدر المصون ( ٤ / ٤٥٢ ) : " ويجوز أن تكون=

[من البسيط ] :

إن الخَلِيفَــةَ إن اللهَ سَــربَلَه سِربَالَ عِزٍّ بِه تُرجَى الخَوَاتِيمُ[(١)]

﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ إن كانت عدن اسم مكان مخصوص ، فهي معرفة ، وإن كانت من عدن بالمكان إذا أقام به فهي نكرة . قيل: السندس ما رقَّ من الديباج . والإستبرق (١٠٨ /أ ) ما غلظ منه، ولهذا قال : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖ ﴾ [(٢)] ولا يعني بما غلظ من الديباج له ناقص القيمة ؛ لأنه ليس في الجنة ناقص إنما هو نوع من الحرير ينسج ثخينا. ﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ السرر في الحجال . ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم ﴾ ﴿ مَّثَلًا ﴾ و﴿ رَّجُلَيۡنِ ﴾ مفعولان لــ ﴿وَٱضۡرِبۡ﴾ ومعناها : صيِّر ؛ كقولك : ضربت الطين لبنا، وقد سبق أن الزمخشري[(٣)] قال : إن الجنة من النخل ، والفردوس من الكرم ، وظاهر هذه الآية يخالفه ؛ لأنه جعل الجنتين من الأعناب ، ﴿أُكُلَهَا﴾ أي : ثمرتها .

لَمْ تَظْلِمْ: لم تنقص. وكان له أموال مختلفة بثمرها. ﴿ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يراجعه للكلام .

النفر: القوم الذين ينفرون معك إذا استدعيتهم. وقال الزمخشري[(٤)]: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أي: التي لا جنة له سواها، وليس له في الآخرة إلا النار، وزعم أنه إن كان ثم آخرة فنصيبه منها وافر، ولا دليل له على ذلك ولا باعث إلا البطر، وسعة الرزق. جعل صاحبه إنكاره للبعث وقسمه أن جنته لا تبيد، وأنه يؤتى في الآخرة نصيباً وافراً كفراً بالله.

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا

---

= الجملتان أعني قوله : ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ وقوله : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ﴾ خبرين لــ ﴿ إِنَّ ﴾ عند من يرى جواز ذلك ، أعني تعدد الخبر وإن لم يكونا في معنى خبرٍ واحدٍ " .

(١) البيت لجرير ينظر في : أمالي الزجاجي ( ص : ٦٢ ) ، تذكرة النحاة ( ص : ١٣٠ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ١٠ / ٣٦٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٥٢ ) ، ديوان جرير ( ص : ٦٧٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٤٨ ) ، لسان العرب ( ختم ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ١٤٠ ) .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ( ٥٤).

(٣) تقدم في تفسير سورة الرعد، الآية ( ٤ ).

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧٢١ ).

حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾

﴿خَلَقَكَ﴾ أي: خلق أصلك من تراب، ثم جعل نسلك من سلالة من ماء مهين. ﴿وَلَوْلَآ﴾ بادرت حين دخول جنتك فقلت: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ .

وقيل: من أكثر قول هذه الكلمتين في بستانه تضاعف ثمره وأمن الجائحة[1].

والحُسبَان: عذاب. ﴿غَوْرًا﴾ أي: غائرًا. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ هلك. ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ يديه ندماً على خسران ﴿مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ وجعل نفسه مشركاً بذلك من دون الله من سوى الله. ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ بنفسه. ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك الوقت، أو في ذلك الزمان ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بكسر الواو وفتحها[2] لغتان. من رفع ﴿ٱلْحَقِّ﴾ فهو صفة للولاية ومن جرّه[3] فهو نعت لله.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٩٢ ) نحو ذلك ونسبه لابن أبي حاتم عن أنس ﷺ قال : "من رأى شيئا من ماله فأعجبه فقال : ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ لم يصب ذلك المال آفةٌ أبدًا وقرأ ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية" .

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف " الوِلاية " بكسر الواو ، وقرأ الباقون " الوَلاية " بفتح الواو .

تنظر القراءات في: الإتحاف للبنا (٢/ ٢١٦)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٢٥)، البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٣١ ) ، الجامع للقرطبي (١٠/ ٤١١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٤٦٠)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٦٨ - ٤٦٩)، معاني القرآن للفراء (٢/ ١٤٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣١١).

(٣) قرأ أبو عمرو " الحقَّ " بالفتح ، وقرأ الكسائي " الحقُّ " بالرفع ، وقرأ الباقون " الحقِّ " بالجر.

تنظر القراءات في المراجع السابقة .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ (٤٩)

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في حسن إقبالها وسرعة زوالها بجملة ؛ وهي أن ماءً نزل من السماء إلى آخره. ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ أي: اختلط التراب بالماء ، واختلطت أنواع العشب النابتة من الأرض . ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تحمله وتفرقه في نواحٍ شتى .

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ سائر الأعمال الصالحة[١]. وقيل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر[٢]. وقيل: الصلوات الخمس[٣] (١٠٨/ ب).

﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: مأمولا. ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ليس عليها شجر ولا نبات يستر شيئاً منها . ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ لا يترك، ومنه سمِّي الغدير؛ لأن السيل تركه لانخفاض مكانه. وقيل: سمي به لأن المسافرين يمرُّون عليه وهو ملآن، ثم إذا تهيأ عودهم يظنون أن ذلك الماء باقٍ ، فيجدون الرياح قد أذهبته ، فكأنه غدرهم. فعيل بمعنى فاعل وعلَى الأول بمعنى مفعول . ﴿وَوَجَدُواْ﴾ جزاء ﴿مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ ووجدوه مسطورا في صحائف الأعمال. ﴿ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ قيل: اجعلوه قبلتكم . وقيل: اجعلوه إماماً تسجدون لسجوده . والصحيح اسجدوا له تعظيمًا، وتختلف الشرائع في ذلك. ومنه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[٤] .

﴿كَانَ﴾ من خدم الجنة، وبه سمي الجن . وقيل: سمي به لاستتاره عن الأعين ، ولا يتعدى ذلك إلى الملائكة ، فهو مشتق لا يعم كالقارورة والملك والخابية[٥] ﴿فَفَسَقَ﴾ فخرج والفاء لِرَدِّ السببية الباطلة ، كأنه قال : أفمع فعله مع أبيكم هذا تتخذونه وليًّا من دون الله .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٥٦ ) عن ابن زيد .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٥٤ – ٢٥٥ ) عن عثمان ﷺ وغيره .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٥ / ٢٥٤ ) عن ابن عباس – رضي الله عنهما وغيره .

(٤) سورة يوسف، الآية ( ١٠٠ ).

(٥) **الخابية:** هي الخب أصلها الهمزة من خبأت إلا أن العرب تركت همزه قال أبو منصور: تركت العرب الهمز في أخبيت و خبيت وفي الخابية لأنها كثرت في كلامهم فاستثقلوا الهمز فيها.
**ينظر** : لسان العرب ( خبأ ) .

وقوله : ﴿ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ ﴾ احتج بها قوم على أن إبليس تزوج وولد له.

﴿ مَّآ ﴾ أحضرتهم ﴿ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ولا استعنت بهم في خلقهما، ومثله ﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [(١)] واذكر يوم يقول الله : ﴿ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ ﴾ زعمتموهم شركاء ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ أي مهلكا ، وهو سرادق جهنم . وقيل: البين بمعنى الوصل ومنه : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [(٢)] بالضم ، المعنى هنا: وجعلنا تواصلهم في الدنيا سبباً لهلاكهم في الآخرة .

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا (٥٤) وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا (٥٨) ﴾

﴿ فَظَنُّوٓا۟ ﴾ فأيقنوا . وقيل: هو ظن على بابه، والمواقعة مفاعلة من واحد مأخوذ من الوقوع ، فهم يقعون فيها وهي لا تقع فيهم . ﴿ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ من كل حكمٍ أو قصةٍ أو موعظةٍ هي في غرابتها كالمثل.

﴿ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ بالباطل، وفي البخاري: «أنَّ النبي ﷺ طَرَقَ عَلِيًّا وَفاطِمَةَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَا مَضَاجِعَهُمَا فَأَرَادَا أَنْ يَقُومَا فَقَالَ : عَلَى مَكَانِكُما . فَجَلَسَ بَيْنَهُمَا. قَالَ عَلِيٌّ : حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيّ وَفَاطِمَةُ ، ألا تَقُومَانِ اللَّيْلَ ؟ فَقَالاَ : يَا رَسُولَ اللّهِ ، إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللّهِ ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَنا أَقَامَنَا ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُنيمَنَا أَنَامَنَا ، فلم يرجع النبي ﷺ إليهم جواباً . قال عليٌّ: ( ١٠٩ /أ ) فسمعته وهو مولٍّ يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾»[(٣)].

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية ( ٤ ) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٤ ) وتقدم تخريج القراءة هناك .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤٧٢٤ ).

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ ﴾ الإيمان إلا الاستهانة بما ذكّروا به من قصص الأولين . ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ أي: معاينة ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ الرسل ﴿ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ ﴾ ليبطلوا ﴿ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي ﴾ وإنذاري محل هزءٍ أو مهزوًّا به ، أو جعله نفس الهزء مبالغةً ، ولا أحدٌ ﴿ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا ﴾ قدم من الأعمال السيئة حتى جعلته على شفا جرفٍ من النار . الأكنة: جمع كنان ؛ كراهة أن يفقهوا أو لئلا يفقهوا . والوَقر بفتح الواو: هو الثقل في الأذن، وبكسرها الحِملُ ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ﴾ فيلزم من الغفران الرحمة؛ لأن الرحمة أعم والمغفرة جزء منها قد تحصل الرحمة بكشف الشدائد وسعة الرزق وبلوغ الآمال. ﴿ بَل ﴾ لمجازاتهم ﴿ مَّوْعِدٌ ﴾ ﴿ مَوْئِلًا ﴾ أي: منجى.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ عطف بيان أو صفة و﴿ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ الخبر ، ويبعد أن يجعل ﴿ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ خبراً عن ﴿ تِلْكَ ﴾ لقلة الفائدة فيه ، وإن كان قد جاء مثله خبراً ﴿ وَهَـٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾[1] ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾[2] فيه إشارة إلى معاجلتهم بالعقوبة . ﴿ وَجَعَلْنَا ﴾ لوقت إهلاكهم موعدًا.

---

(١) سورة هود ، الآية ( ٧٢ ) .

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٥٢ ) .

روي: «أن موسى عليه السلام خطب الناس ووعظهم موعظةً بليغةً، فقال له رجل: هل تعلم أحدًا أعلم منك ؟ فقال: لا . فعتب الله عليه ، إذ لم يَرُد العلم إليه ، فقال: عبد لنا بمجمع البحرين هو أعلم منك . فقال: يا ربِّ كيف السبيل إلى لقائه؟ قال: خذ حوتاً في مكتل، فحيث فقدت الحوت فهو ثَمَّ ، فتوجه هو ويوشع بن نون فتاه لطلبه، واتخذ حوتاً في مكتل ، فلما وصلا إلى المكان توضأ يوشع من عين، فَأَصَابَ الماء الحوت المشويَّ - وكان قد أكل أحد شقيه - فحيى ، ووقع في الماء، وصار الماء عليه مثل الطاق ، ثم توجها لطلبهما بقية يومهما فوجدا التعب والجوع ، فقال موسى لفتاه : آتنا غداءنا . فأخبره بخبر الحوت ، فقال : ذلك ما كنا نبغي . فرجعا يقصان الأثر ، فوجدا الخضر. وقيل : إنهما دخلا في الماء في المكان الذي دخل فيه الحوت ، فوجدا الخضر جالساً هناك ، فسلَّم موسى عليه ، فقال الخضر: أنَّى بأرضك السلام ؟ فقال: أنا موسى . قال : موسى بني إسرائيل ؟! قال: نعم ، جئتك لتعلمني مما علمت رشدا. وتأدب موسى مع الخضر لما ردَّه بقوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (١٠٩/ب ) فقال له: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فركبا في سفينة ، فلما توسطا البحر خرق الخضر السفينة ﴿شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: منكرًا ، وكذلك ﴿نُّكْرًا﴾ و﴿إِذًا﴾ وكانت الأولى من موسى نسياناً ، فاعتذر عن فعله بنسيانه، فقبل عذره ، ثم وجدا غلاماً صبيح الوجه، فأخذه الخضر فقتله، فأنكر موسى عليه ثانياً ، واختلف في أي الأمرين أشد ؟ فقيل: خرق السفينة؛ لأنه يخشى بذلك هلاك خلق كثير. وقيل: قتل الغلام؛ لأنا تيقنَّا ذهاب روحه بخلاف ركبان السفينة. قال له الخضر مغلظاً عليه: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ فزاد لفظة ﴿لَّكَ﴾ في الثانية دون الأولى، فحكَّمه موسى عليه وقال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى﴾ قال النبي ﷺ: " وددنا لو أن موسى سكت حتى يقصَّ الله علينا من خبرهما " [1].

﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

---

(١) رواه البخاري رقم ( ٤٧٢٧ ) ، ومسلم رقم ( ٢٣٨٠ ) ، وأحمد في المسند ( ٥ / ١١٦، ١١٨، ١١٩ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٧٠٧ ) ، والترمذي رقم ( ٣١٤٩ ) .

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

المراد بالانطلاق: الذهاب ولا يشترط فيه السرعة، وأصله من إطلاق الإنسان أو الدابة الممنوعين عن التصرف. وقوله: ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ يعني موسى والخضر، ولم يجر ذكر يوشع بعد انطلاقهما، وكملت القصة في محاورة موسى والخضر دون يوشع.

﴿ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾ وقد احتج بهذه الآية من أجاز السؤال عند الحاجة، فإن الخضر وموسى استطعما ورُدَّا . وفيه دليل على أن إعطاء المسكين والسائل ضيافة.

وقوله: ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ نسبة الإرادة للجدار مجاز والمراد إشرافه على السقوط. ﴿فَأَقَامَهُۥ﴾ الخضر. وقوله: ﴿ لَتَّخَذْتَ ﴾ قرئ ﴿ لَتَخِذْتَ ﴾ وهما لغتان[١] فلما استكمل موسى ثلاثة أسئلة على خلاف ما شرط عليه في قوله : ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾ الآية قال له الخضر : وفاءً بالشرط ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ﴾ وقد زعم بعضهم البين بمعنى الوصل، احتج بقوله - تعالى : ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ في قراءة من ضم النون[٢].

واحتج الشافعي في قوله : إن المسكين أكثر موجوداً من الفقير بهذه الآية [٣] فجعل لهم سفينة وسماهم مساكين . وقال بعضهم : لما جاز إرادة إفساد السفينة للمصلحة ، وإن كان ضرر ظاهر نسب ذلك إلى نفسه بقوله : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ ولما كان بقاء الكنز في مكانه ليأخذه اليتيم إذا بلغ مصلحة مُجرَّدة نسبه إلى الله - تعالى- فقال: ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ﴾ وقد سأل نافع الأزرق[٤] ابن عباس ﷺ فقال: "كيف جاز للخضر قتل الغلام ولم يحتلم ، وهو لم

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب " لَتَخِذْتَ "، وقرأ الباقون " لاتَّخَذْتَ ".

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٥٢ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٢٨ ) ، ، الحجة لأبي زرعة (ص :٤٢٥)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٧٦ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٣٩٦ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٤٩٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٤ ) .

(٢) تقدم تخريجها في سورة الأنعام ، الآية ( ٩٤ ) .

(٣) ينظر: المبسوط للسرخسي (٣/ ٢)، المغني لابن قدامة ( ٧ / ٣١٣ ).

(٤) هكذا وقع هنا نافع الأزرق، وفي كتب التخريج وفي الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧٣٦ ) أن الذي سأل=

يجر عليه قلمٌ ؟ قال ابن عباس: عَلِمَ منه أنه يكفر إذا بلغ . فقال : إذا غلب على (١١٠/أ) ظن الإنسان ذلك يجوز له أن يقتُل ولم يتحقق منه جناية بعد ؟ فقال ابـن عبـاس: إن علمتَ من الغلام ما علمه الخضر فاقتله"[١].

وقد قيل في الكنز: إنه لوح مكتوب فيه: "عجبتُ لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن رأى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها ، لا إله إلا الله محمد رسول الله "[٢]، وظاهر لفظ الكنز يخالف هذا .

وقيل في الأب الصالح: إن ذلك الولد كان سابع بطن من ذريته، وقد ورد في الأثـر: "إن الرجل الصالح يحفظ في السابع من ذريته"[٣]. والأشد: جمع شد، وبلوغ الأشد هـو تكامـل القوى. وقوله: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ﴾ يريد أن الله أعلمه ذلـك بطريـق مـن طـرق الإعـلام لم يُطلع الله موسى عليه.

---

= ابن عباس عن ذلك هو نجدة الحروري ، وكلاهما من الخوارج ؛ أما نافع فهـو ابـن الأزرق الحـروري من رؤوس الخوارج ذكره الجوزجاني في كتاب الضعفاء ، كان من رؤوس الخوارج وإليه تنسب الطائفة الأزارقة، وكان قد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية ، وكان يخرج في سوق الأهواز ويعترض النـاس بما يحير العقل ، وجعل يقرأ ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ إلى ﴿فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ وكان يطلـب العلـم ، وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء من روايته، وأخرج الطبراني بعضها في مسند ابـن عبـاس مـن المعجم الكبير ، كان قتله في جمادي الآخرة سنة خمس وستين .

**تنظر** ترجمته في: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٦/ ١٤٤).

وأما نجدة الحروري فهو نجدة بن عامر الحروري من رؤوس الخوارج زائغ عـن الحـق ذكـر في الـضعفاء للجوزجاني ، وهو ابن عمير اليمامي خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية وقدم مكة وله مقـالات معروفة وأتباع انقرضوا . ترجمته في: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ( ٦ / ١٤٨ ) .

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ( ١ / ٣٥٢ ) رقـم ( ٣٢٩٩ ) ، وأبـو يعلـى في مـسنده ( ٤ / ٤٢٣ ) رقـم ( ٢٥٥٠ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٢٦ ) ونسبه لأحمد عن عطاء قـال : " كتـب نجدة الحروري إلى ابن عباس يسأله عن قتل الصبيان فكتب إليه إن كنـت الخـضر تعـرف الكـافر مـن المـؤمن فاقتلهم " . ورواه مسلم في صحيحه رقم ( ١٨١٢ ) بلفظ نحو ذلك.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٦ / ٦ ) عن الحسن ، ورواه البيهقي في كتاب الزهد الكـبير (٢/ ٢١٥) عـن علي بن أبي طالب ﷺ وذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٥٠٣ ) عن ابن الكلبي عن أنس.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٦ / ٦ )، وذكره السيوطي في الـدر المنثـور ( ٥ / ٤٢٩ ) ونـسبه لابـن أبـي حاتم من طريق شيبة عن سليمان بن سليم بن سلمة قال: " مكتوب في التوراة: إن الله ليحفظ القـرن إلى القرن إلى سبعة قرون وإن الله يهلك القرن إلى القرن إلى سبعة قرون " .

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾

وقوله - تعالى: ﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ وهو مَلِك مَلَكَ الأرض كلها، ولم يملكها إلا أربعة: مسلمان : ذو القرنين وسليمان ، وكافران : بختنصر والنمرود . واختلف لِمَ سمي ذا القرنين ؟ فقيل : لأنه بعث إلى أمتين في مشرق الأرض ومغربها. وقيل: لأنه بلغ مسيره إلى المشرق والمغرب . وقيل : دعا قومه إلى الله فشَجوا قرن رأسه ، ثم أعاد دعوتهم إلى الله فشجوا القرن الآخر. وقيل: عاش عمر قرنين، والأمة الكبيرة تسمى قرنا ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ [1] ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴾ [2] وقيل: كانت له ذؤابتان حسنتان فسميتا قرنين ، ومن العجيب قول بعضهم: إنه كان له قرنان من نحاس ، فليتني أدري كيف يمتزج النحاس باللحم والدم ، وكيف يأخذ حظه من الغذاء؟![3]

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ يستعين به على الملك ﴿ سَبَبًا ﴾ فإنه لم يؤت السبب إلى ملك السماوات ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ ﴾ الجهة التي تلي مغرب الشمس ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ أي: في نظر عينه قرى حامية، فالهمز يريد به كثيرة الحمأة وهي الطين، وغير المهموز يريد شدة الحر[4]. ﴿ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ ﴾ هؤلاء القوم، وإما أن تفعل فيهم فعلاً حسنًا، فرد عليهم الجواب

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ١٧ ) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ( ٣١ ) .

(٣) ذكر بعض هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ( ٢ / ٥٠٤ ) ، وذكر بقية الأقوال السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٣٩ ) عن وهب بن منبه اليماني ، والزمخشري في الكشاف ( ٢ / ٧٤٣ ).

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم " حمئة " بالهمز ، وقرأ الباقون " حمية " غير مهموز. **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٥٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٨٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٩٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧٤٤ ) .

مفصّلاً فقال: ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ ﴾ فله كذا. ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ومن نصب ﴿جَزَآءً﴾ جعله مفعولاً من أجله . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ عُراة ، وأنهم حين تطلع الشمس ينزلون في الماء حتى ترتفع الشمس فيخرجون .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ أي: بين رأسي الجبلين ، وكان بينهما فرجة متسعة يخرج منها غاشية يأجوج ومأجوج (١١٠/ ب ) فيفسدون في الأرض ويقتلون.

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

فسأل القوم ذا القرنين أن يسدَّ ما بين الجبلين الذي ليس لهم طريقاً غيره، وعرضوا عليه أن يبذلوا له مالاً، فقال: ﴿ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ ﴾ طلب منهم الآلة وهي الحديد حتى جمعوا له ما سد بين الجبلين حديداً، ثم دعا بالنحاس، فأوقد عليه النار حتى ذاب، ثم أفرغه على ذلك الحديد المرصوص، فدخل وهو حار في الخلل الذي بين الحديد، فصار كأنه قطعة واحدة. ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ ﴾ أن يعلوه ولا أن ينقبوه. ﴿ قَالَ هَٰذَا ﴾ السد ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ بمجيء الآخرة ﴿جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ أي: مدكوكاً ومن قرأ ﴿دَكَّآءَ﴾ [١] بالمد والهمز أي: لا رأس له ، يقال: ناقة دكاء أي: لا سنام لها .

قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ ﴾ قيل: الضمير يعود إلى يأجوج ومأجوج وقيل: هو كلام مستأنف يريد به الكفار والظلمة، وشبه اختلاطهم وتظالمهم بتَموج البحر فقال: ﴿يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ والصور: قرن ينفخ فيه إسرافيل، وفي ذلك القرن لوى بعدد أرواح بني آدم ، فيصل إلى كل جسد روحه بتلك النفخة . وقيل: الأرض بمنزلة الصور ينفخ فيها إسرافيل .

---

(١) تقدم في سورة الأعراف ، الآية ( ١٤٣ ) .

وقيل : الصُّوَر جمع صورة [(١)] أي : ينفخ في الصُّور وهو كقولك : بُوص وبوصة، وتوتة وتوت ، وثوم وثومة . ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ ﴾ يراها المؤمنون والكفار . لما لم يعتبروا بآيات الله التي شاهدوها في الآفاق وفي أنفسهم كمن غطيت عيناه فلم تستطع الإبصار فقال : ﴿ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾ وجعلهم في أمر السمع كالصم . ﴿ وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي ﴾ أي: ويسلمون من العقوبة جعل جهنم كالنزل المهيَّأ للضيف وهو تهكم بهم ، و﴿ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ هم الرهبان ، ومن كان على خطأ يَحسب أنه على هدى .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾

وقوله: ﴿ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾؛ كقوله: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [(٢)] وقوله: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ ﴾ الآية[(٣)].

وقوله : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ قال عبيد بن عمير[(٤)]: "يؤتى بالرجل البدين السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة"[(٥)]. ﴿ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ (١١١/أ) يهزءون بهم .

---

(١) قرأ بها الحسن وابن عامر. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٢٧٨)، الجامع للقرطبي (١١/ ٢٤٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤)، الكشاف للزمخشري ( ٢/ ٥٥٣)، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٥٩)، المحرر الوجيز لابن عطية ( ١١ / ١٠٥).

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٢٣).

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١١٧).

(٤) هوعبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكي الواعظ المفسر ولد في حياة رسول الله ﷺ وحدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب وعلي وأبي ذر وعائشة وأبي موسى الأشعري وابن عباس وطائفة وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة، وكان يذكر الناس فيحضر ابن عمر – رضي الله عنهما– مجلسه، توفي قبل ابن عمر بأيام يسيرة وقيل: توفي في سنة أربع وسبعين. **تنظر ترجمته في:** سير أعلام النبلاء (٤/ ١٥٦ ) .

(٥) ورد ذلك مرفوعا رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٤٥٢ )، ومسلم رقم ( ٢٧٨٥ ) عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ .

قال بعض العلماء: لم تمدح الجنة بأحسن من قوله تعالى: ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ لأن الإنسان لو هيأ قصراً من ذهب ، وجمع فيه كل ما يحبه ويملأ عينه ويسر قلبه وأقام في ذلك المكان بعينه مدة فإنه يمله ويود لو انتقل إلى هيئة أخرى من التلذذ[(١)].

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ ﴾ زاد في سورة لقمان ﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾[(٢)] التقدير: لو كان البحر مدادًا تكتب به كلمات ربي.

﴿ ونَفِدَ ﴾ بكسر الفاء والدال المهملة أي : فرغ ﴿ ونَفَذَ ﴾ بفتح الفاء والذال المعجمة[(٣)] .

فمعناه : نفذ ، تقول نفذ السهم أي : خرق إلى الجانب الآخر .

وقوله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ قيل: نزلت في المرائين، وسماهم مشركين وفعلهم شركاً بقوله: ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[(٤)].

* * *

(١) ذكر نحوه ابن كثير في تفسيره ( ٣ / ١٠٩ ) .

(٢) سورة لقمان ، الآية ( ٢٧ ) .

(٣) **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٦٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٨٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٧٥٠ ).

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٦ / ٤٠ ).

## سورة مريم عليها السلام [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦) ﴾

﴿ عَبْدَهُ ﴾ مفعول بـ ﴿ رَحْمَتِ ﴾ ﴿ زَكَرِيَّا ﴾ بدل ﴿ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ أخفاه لبعده عن الرياء، أو أخفاه من بني عمه الذين خافهم، أو خاف أن يلام على طلب الولد مع الشيخوخة ﴿وَهَنَ﴾ الوهن : الضعف . وقيل : هو أشد الضعف ، واحتجوا بقوله - تعالى : ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا﴾ [١] والمعطوف غير المعطوف عليه . ﴿الرَّأْسُ﴾ ولم يقل : رأسي اكتفاء بفهم المخاطب ، إرادة للإضافة . وعند الكوفيين : الألف واللام قامت مقام الإضافة[٢]. ﴿ وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ ﴾ من عادة المحسن أن يبقى له إدلال على من أحسن إليه، وقد عكس زكريا ذلك وجعل تكرار إحسان الله إليه سببا في إدلاله وتكرار سؤاله فقال: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ وحكي أن رجلاً قصد رجلاً فقال القاصد : أنا الذي أحسنت إليَّ يوم كذا وكذا فقال : مرحبًا بمن توسل بنا إلينا [٣].

﴿ الْمَوَالِيَ ﴾ بنو العم ، وخاف تضييعهم للتوراة ولأحكام شريعتهم بعد موت زكريا فسأل ربه ولداً صالحاً يخلفه من بعده في رعاية الإسلام . العاقر: هي الرملة التي لا تنبت فشبهت المرأة التي لا تحمل بها. ﴿ وَلِيًّا ﴾ فعيل إما بمعنى مفعول، أي : تتولاه أنت أو بمعنى فاعل أي: يتولى الله . ﴿ يَرِثُنِي ﴾ بالجزم جوابا للأمر، وبالرفع[٤] على الصفة لـ ﴿وَلِيًّا﴾ ،

---

(١) سورة آل عمران، الآية ( ١٤٦ ).

(٢) أجاز الكوفيون وبعض البصريين وكثير من المتاخرين نيابة " أل " عن الضمير المضاف إليه .

تنظر المسألة في: اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ( ١ / ٤٩٥ ) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٠٠).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤ ).

(٤) قرأ أبو عمرو والكسائي ﴿ يَرِثْنِي ﴾ بالجزم ، وقرأ الباقون ﴿ يَرِثُنِي ﴾ بالرفع .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٧٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٩٢ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٠٧)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥ ).

ويظهره وله - تعالى: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ بالجزم والرفع[1].

﴿ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ أي: النبوة، ومن زكريا الحبورة[2]. ويعقوب هذا هو ابن إسحاق بن إبراهيم. وقيل: غيره[3].

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ۝٩ ﴾

السمي فيه قولان (١١١ / ب) أحدهما: أنه المثل، ومنه قوله تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ أي: مثلاً. والثاني: أنه لم يتسم بهذا الاسم أحد، وفيه مناسبة فإنه ولد بين شخصين كالميتين شيخ وامرأة عاقر كبيرة، قال ﷺ: " نَحْنُ مَعاشِرَ الأنبياءِ، ما منا إلا مَنْ عصَى أو همَّ بمعصيةٍ غير يحيى بن زكريا "[4].

---

(١) سورة القصص، الآية (٣٤) وقرأ عاصم وحمزة « يُصَدِّقُنِي » بالرفع، وقرأ الباقون «يُصَدِّقْنِي» بالجزم. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ١٠٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤ / ٤٩٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٩٤)، الكشاف للزمخشري (٥/٣٤٣).

(٢) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (١ / ٣٠٢) عن ابن عباس في رواية أبي صالح عنه قال: "يرثني أي يرثني الحبورة وكان حبرا، ويرث من آل يعقوب أي: يرث الملك".

(٣) قال الماوردي في النكت والعيون (٢ / ٥١٧): وهو يعقوب بن ماثان وكان فيهم الملك، وكان زكريا من ولد هارون بن عمران أخي موسى، قال مقاتل: ويعقوب بن ماثان هو أخو عمران أبي مريم؛ لأن يعقوب وعمران ابنا ماثان.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤ / ١٩٩): " اشتهر في الخبر " ما منا إلا من عصى أو همَّ بمعصية إلا يحيى بن زكريا " قلت: المشهور بلفظ " ما من آدمي إلا وقد أخطأ أو هم بخطيئة أو عملها إلا يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها " رواه أحمد وأبو يعلى والحاكم عن ابن عباس وهذا لفظه ولفظهما " ما من أحدٍ من ولد آدم إلا قد أخطأ أو همَّ بخطيئةٍ ليس يحيى بن زكريا " وهو من رواية علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران وهما ضعيفان، وله طريق أخرى عند البزار من رواية محمد بن عون الخراساني وهو ضعيف وفي الباب عن أبي هريرة في الطبراني في الأوسط وكامل بن عدي في ترجمة حجاج بن سليمان وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح إلى الحسن عن النبي ﷺ مرسلا وأخرجه عبد الرزاق من طريق سعيد بن المسيب مرسلا أيضا ". قلت: وبهذا اللفظ رواه الإمام أحمد في مسند (١/ ٢٥٤) رقم (٢٢٩٤)، وأبو يعلى في مسنده رقم (٢٥٤٤)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/٦٤٧) رقم (٤١٤٩).

فلذلك لم يكن له مثل في هذه العصمة . فإن قيل: سأل زكريا الولد، فلما بشر به قال: أنى يكون لي ولد ، فاستبعد ذلك . وجوابه: أنه لم يستبعده، وإنما قال: هل أبقى على الشيخوخة وزوجي على العقر ، أو أتغير أنا إلى الشباب والزوجة إلى صلاح الولد ، والعتي: شدة الهرم ويبس الأعضاء ، الكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع ، أي: الأمر مثل ذلك ، أو في موضع نصب ، أي : قولاً مثل ذلك . ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ تفسير للقول ، لقوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآية تفسير لقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾[1] ولم يكن شيئاً أي : لا تستبعد حصول النتاج من وطئك ، فإني أوجدتك من العدم والله على كل شيء قدير.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾

فسأل زكريا آية ترشده إلى أن المرأة قد حملت فقيل له: إنك لا تستطيع الكلام لكن ينطلق لسانك بالتسبيح، وإذا أراد غير التسبيح أشار لما يريد .

﴿سَوِيًّا﴾ أي: لا آفة بلسانك. وقد احتج قوم على أن المعدوم ليس بشيء بقوله : ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ وعورضوا بقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾[2] ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ فأشار. وقيل: كتب على الأرض ﴿سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة . ﴿ٱلْحُكْمَ﴾ العلم. وقيل: النبوة . وقيل: دعاه الصبيان للعب فقال: ما للعب خلقنا[3].

الحنان: الرحمة، وكان رحيماً رفيقاً بأبويه وغيرهما. ﴿وَزَكَوٰةً﴾ طهارة . وقيل: صدقة كان يتصدق على المساكين.

---

(١) سورة الحجر ، الآية ( ٦٦ ).

(٢) سورة الحج ، الآية ( ١ ).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٨٥ ) ونسبه للحاكم في تاريخه من طريق سهل بن سعيد عن الضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: " قال الغلمان ليحيى بن زكريا : اذهب بنا نلعب ، فقال يحيى : ما للعب خلقنا اذهبوا نصلي ".

واعلم أن للإنسان ثلاثة أحوال: حين يكون في بطن أمه ، فإذا جاءت الولادة انتقل إلى عالم لم يأنس به ولم يعلم ما فيه ، فيستوحش لفقد مكانه ، ثم يبقى في الأرض مدة عمره ، ثم يموت فينقل إلى عالم البرزخ ، وفيه ما لا يعرفه فيستوحش ، ثم يجيء البعث فيرى عالماً عظيماً وخطوباً جسيمة فيستوحش ، فسلم الله على يحيى وعيسى في هذه الأحوال التي يستوحش المرء فيها ، فقال : ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾.

قوله - تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ ﴾ بدل اشتمال من مريم ، أي : واذكر مريم زمن انتباذها ( ١١٢/أ ) والاشتمال تارة من المشتمل على ما اشتمل عليه كقوله - تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [(١)] والشهر مشتمل على القتال ، ويأتي بالعكس ؛ لأن زمن انتباذها مشتمل عليها.

﴿ مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ أي: شرقي بيت المقدس، أو شرقي منزلها، وإنما انتبذت لتفلي رأسها، وقيل: لتغتسل من الحيض.

﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ فَٱتَّخَذَتْ ﴾ حجاباً يسترها عن أعين الناظرين . ﴿ رُوحَنَا ﴾ جبريل ، وسمي روحاً لنزوله بالروح الذي هو القرآن ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [(٢)] ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [(٣)]. وقيل: جبريل يسمَّى روحاً؛ لقوله: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [(٤)] وقيل: ﴿ رُوحَنَا ﴾ إكرام وتشريف ؛ كما تقول لمن تحبه : أنت روحي.

﴿ سَوِيًّا ﴾ أي: تام الأعضاء . وقيل: تام الجمال والحسن. تمثل لها في صورة شابٌ أمرد جميل الصورة ، فاستعاذت بالله منه ، وهذا في غاية الخشية من الله ، أن تظفر شابَّةٌ بشابٌ تامٍّ الخلقة فتلتجئ إلى الله في كفٍّ شره . قوله : ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ إن كنت ممن تنفع فيه الاستعاذة

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢١٧ ).

(٢) سورة الشورى ، الآية ( ٥٢ ).

(٣) سورة النحل ، الآية ( ٢ ).

(٤) سورة النحل ، الآية ( ١٠٢ ).

ويعبأ بها . وهذا جواب عن سؤال مقدَّر ، كأن قائلاً قال : لا يستعاذ من التقي ، إنما يستعاذ من الفاجر ، فقال لها جبريل : إنني إنما جئت من جهة الذي استعذت به . قرئ ﴿ لِأَهَبَ ﴾ و( ليهب ) [١] ولما كانت الأفعال الإلهية تجرى غالباً على أيدي الملائكة نسب الفعل إلى الملائكة ؛ كقوله في قصة الملائكة مع إبراهيم[٢]: ﴿ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾[٣] ﴿أَنَّىٰ﴾ بمعنى من أين ؟ بالغت في البعد عن الريبة بقولها: ﴿ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ وهو أبلغ من أن تقول : ولم يطئني، أو لم يضاجعني .

قوله: ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ هاهنا سؤال وهو أن " فعيلا " يأتي بمعنى الفاعل والمفعول ، فإن كانت بمعنى الفاعل دخلت تاء التأنيث فيه ، تقول : رجل رحيم ، وامرأة رحيمة، وإن كانت بمعنى المفعول لا تدخل تاء التأنيث ، تقول : امرأة قتيل ، وطرف كحيل.

وهاهنا بغيٌ بمعنى باغية ، فقياسه : ولم أكُ بغيةً ؟ والجواب: أنهم قالوا : إن أصله فعول وليس من فعيل الذي بمعنى فاعل ، ولكنه من قولهم : امرأة بغوٌ ، كما يقال : فلان نهوٌ عن السِّرِّ . فإن قلت : قد قال - تعالى : ﴿ وَٱلنَّطِيحَةُ ﴾ [٤] وهي منطوحة لا ناطحة؟

فجوابه: أن الهاء في نطيحة وذبيحة (١١٢/ب ) للنقل من الوصفية إلى الاسمية بدليل أنك لو ذكرت اسم الشاة فقلت: شاة نطيحٌ إن أردت المفعول ، ونطيحة إن أردت الفاعل.

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ ﴾

---

(١) قرأ جمهور القراء «لأَهَبَ» ، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وورش وقالون بخلف عنه «ليهب».
**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٠ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٣٦ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٤٤٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٩٦ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٠٨ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٦ / ٥٠٧ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ١٦٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٧ ، ٣١٨ ).

(٢) كذا بالأصل " إبراهيم " والمعروف أن ذلك كان مع نبي الله لوط عليه السلام ، ولكن لعله يريد أنه كان في زمن إبراهيم عليه السلام ، وكانت بداية القصة مع إبراهيم عليه السلام والملائكة ، وسياق القصتين واحد كما ورد في غير موضع من القرآن الكريم .

(٣) سورة الحجر، الآية (٦٠) وسورة النمل، الآية (٥٧).

(٤) سورة المائدة ، الآية ( ٣ ).

قوله : ﴿ قَالَ رَبُّكِ ﴾ مُفسرٌ بقوله : ﴿ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ﴾ وقد حكى لفظه يعني قال : هو عليَّ ولو أراد حكاية المعنى لقال : هو عليه هين ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً ﴾ معطوف على جملة مقدرة ، والتقدير: لنكرمه ولنجعله ؛ كقوله : ﴿ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ ﴾[١] فتقدم جبريل إليها ونفخ في جيب درعها ، فحملت بعيسى . قيل: في ساعة واحدة . وقيل: في ثلاث ساعات. وقيل: لتسعة أشهر. وقيل : لثمان ، ولم يعش مولودٌ لثمان غيره . ومثل هذه الأقوال تشبه التكاذب ؛ لأن الواقعة واحدةٌ والكائن من هذه الأمور واحدٌ[٢].

﴿ مَّقْضِيًّا ﴾ أي : مفروغا منه ، كقول الشاعر [ من الكامل ] :

وعليهما مَسْرَوْدتانِ قضاهُما داودُ أو صنعَ السوابغَ تُبَّعُ[٣]

وفي الكتاب العزيز ﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾[٤] و﴿ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾[٥] ﴿فَٱنتَبَذَتْ﴾ ذهبت ناحية به ، أي : وهو معها حمل في بطنها . ﴿ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ بعيداً عن أعين الناظرين وخوفاً من الفضيحة والتعنيف .

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ فَأَجَآءَهَا ﴾ فألجأها ، وحقيقته جعلها تجيء . و﴿ ٱلْمَخَاضُ ﴾ الطلق لتمخض الولد وحركته عند قرب الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ﴾ نخلة يابسة فقالت : ﴿ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا ﴾ .

فإن قلت : فقد قال النبيُّ ﷺ : " لا يتمنّينَّ أحدُكُمُ الموتَ لِضُرٍّ نزَلَ "[٦] فكيف تمنّته

---

(١) سورة يوسف ، الآية ( ٢١ ).

(٢) تنظر الأقوال في : النكت والعيون للماوردي ( ٢ / ٥٢٠ – ٥٢١ ).

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( قضى ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٣٠١ )، روح المعاني للألوسي ( ٢٢ / ١١٥ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ٢/ ١٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٤٤٨ ) ، لسان العرب ( صنع – قضى ) والدرع المسردة : مستديرة الحلق ، وقضاهما : فرغ من عملهما . والسوابغ : الدروع الطويلة .

(٤) سورة يوسف ، الآية ( ٤١ ).

(٥) سورة مريم ، الآية ( ٣٩ ).

(٦) رواه البخاري رقم ( ٥٦٧١ ) ، ومسلم رقم ( ٢٦٨٠ ) عن أنس ﷺ قال : قال النبي ﷺ: " لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لابد فاعلا فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي".

مريم؟ فالجواب : أن النبي ﷺ نهى عن تمنِّي الموت لضر نزل ، ولم تكن مريم بهذه الصورة ، وإنما خافت أن تسرع إليها التهمة ، فيحصل لخلقٍ كثيرٍ الضَّررُ بوقوعهم في تهمتها ، والنسِيُّ: هو ما يهمل من أثاث البيت عند الرحيل كالعصِيّ المكسورة والصحفة المكسورة ، وأكثر الناس يتركها مهملة ولا يستصحبها في السفر ، وتقول العرب عند السفر لغلمانهم : اجمعوا أنساءكم ، وهو جمع نسي ، كحمل وأحمال وعدل وأعدال . ﴿ فَنَادَىٰهَا ﴾ جبريل ، وكان قد جلس بالقرب منها في أسفل الوادي ويدل عليه قراءة من قرأ ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ ﴾ بكسر ميم[1] ﴿ مِن ﴾ وقيل المنادِي عيسى، ناداها وهو في بطنها والأول أظهر ؛ لأن عيسى لم يوجد بعد .

في السري قولان: أحدهما: أنه النهر، قال لبيد بن ربيعة ( ١١٣/أ ) [ من الكامل]:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيِّ فَصَدَّعا مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُهَا[2]

والثاني: أن السرى هو السيد ، وهو متجه إذا قلنا : إن المنادي عيسى .

وكان الحسن يقول : "كان والله عيسى سريًّا"[3] ، ومنه : سَرَاةُ الناس ، بفتح السين : سادتهم وعلى القول الأول : فكلي من الجَنِيِّ واشربي من السَّرِيِّ ، وقالوا : ما للنفساء أجود من الرطب[4]. وفي نصب ﴿ رُطَبًا ﴾ وجهان : أحدهما : أنه تمييز ، أي : تساقط هذا

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة ورويس " مَنْ تَحَتَها " ، وقرأ باقي العشرة " مِنْ تَحتِها " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٣٧ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٤١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٩٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٠٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٠٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ )

(٢) ينظر البيت في : روح المعاني للألوسي ( ١٦ / ٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣ ) ، لسان العرب ( وسط ) ، معاني القرآن للنحاس ( ٤ / ٣٢٥ ) والبيت يصف فيه الشاعر حمارا وحشيا مضى خلف أتانه نحو الماء ، فتوسطا : الحمار والأتان ، عرض السري : ناحية النهر الصغير وجانبه ، فصدعا : شقا ، ومسجورة : عينا مملوءة ، والقلام -- كرمان - : نوع من النبات ، ومتجاورا قلامها : كثير النبات.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٦ / ٧٠ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٠٢ ) لابن أبي حاتم .

(٤) ورد في ذلك بعض الآثار منها ما رواه الطبري في تفسيره ( ١٦ / ٧٢ ) عن عمرو بن ميمون أنه قال : " ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب " ، وذكر السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٥٠٥ ) ونسبه لعبد بن حميد عن شقيق قال : " لو علم الله أن شيئا للنفساء خير من الرطب لأمر مريم به " . ونسب لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن الربيع بن خيثم قال : " ليس للنفساء عندي دواء مثل الرطب ولا للمريض مثل العسل " .

النوع من التمر . وقيل : هو مفعول بـ ﴿وَهُزِّيٓ﴾ واستبعده الزمخشري[١] ؛ لأن الرطب لا تهز وإنما يهز الجذع . وقيل : منصوبٌ بـ ﴿ تُسَٰقِطۡ ﴾ بضم التاء وكسر القاف .

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ أي: أبشري بما منحك الله – تعالى- من هذا الولد المؤيد بالمعجزات ، وإحياء الموتى ، وقرئ ﴿ تُسَاقِطْ﴾ و( تَتَسَاقط) على الأصل و( تَسَاقَطْ ) خفيفة السين بحذف إحدى التاءين و( تسقط) و( يسقط ) بالياء[٢].

قوله : ﴿ وَقَرِّي عَيۡنٗا﴾ فيه تأويلان : أحدهما : أن دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة ، فيقال للمدعوِّ له : أقرَّ الله عينه ، أي : جعل دمعها بارداً ، وللمدعوِّ عليه : أسخن الله عينه . والتأويل الثاني : أنه من القرار والاستقرار ، يعني : لتستقر عينُك فلا تمتدَّ إلى غير هذه الموهبة .

ما في ﴿ فَإِمَّا﴾ زائدة . ﴿ صَوۡمٗا ﴾ أي : إمساكاً . وقيل : نذرت صوماً ، وكان من شرط صحة صومهم ألا يتكلم الصائم ، وقد نهي عن ذلك في شريعتنا[٣]. ﴿ فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ قيل : كانت تكلم الملائكة . فإن قلت : قد اعتذرت عن الكلام بقولها : ﴿إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا ﴾ وهو كلام ، وقد قال الفقهاء : لو قال : والله لا أكلمك فتنحَّ عني . أنه يجب عليه الكفارة لليمين ؛ لأن قوله: فتنحَّ عني. كلام[٤]. فجوابه: أنها بينت هذا القول بالإشارة لا باللفظ. وقيل: باللفظ، واستثني لها هذا القول.

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣ ) ونسب للمبرد جواز انتصابه بـ " هزي " .

(٢) قرأ حفص " تُسَاقِطُ " ، وقرأ حمزة " تَسَاقَطُ " ، وقرأ يعقوب " يَسَّاقَطُ " ، وقرأ باقي العشرة " تَسَّاقَطُ " ، وقرأ أبو حيوة " تَسقُطْ " ، وقرئ كذلك " يَسْقُط ، ويُسْقِطْ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٤ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ٩٤ ، ٩٥ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٤٤٢)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٠١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٠٩ ) ، الكشاف للزمخشري (١٣/٣) ، فتح القدير للشوكاني (٣٢٩/٣)، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ ).

(٣) روى البخاري في صحيحه رقم ( ٦٣٢٦ ) عن عكرمة عن ابن عباس قال: "بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي ﷺ : مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه " .

(٤) ينظر : المبسوط للسرخسي ( ٦ / ١١٣ ) ، المغني لابن قدامة ( ١١ / ٣٢٧ ) ، المهذب للشيرازي (١٠٠/٢).

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾

والفريُّ مأخوذٌ من الفري وهو القطع ، وكأنهم قالوا : جئتِ بشيء اقتطع عما يعهده الناس . وفي هارون الذي جعلت مريم أخته قولان : أحدهما : أنه ممدوحٌ ، والمراد أخت هارون أخي موسى ، وكانت تشبه به في عبادتها . أو رجلاً صالحاً مشى في جنازته أربعون ألفاً تسمُّوا باسمه تبرُّكًا به . والقول الثاني : أنه مذموم ، وهو فاجرٌ كان في بني إسرائيل ، يعني : قد أشبهته في الفجور وقولهم لها في تبرئة أبيها وأمها تعريضٌ بما أتت به من الأمر العظيم .

﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أنه الذي يجيبكم ، فقالوا : والله ( ١١٣/ ب ) لسخريتها بنا أشد علينا مما فعلت . ﴿كَانَ﴾ زائدة ، أي : مَنْ في المهد ؛ لأن أكثر الناس يربَّى في المهد ، وقول عيسى عليه السلام بأنه عبد الله ردًّا على قول من ادعى فيه الشركة .

وحكي أنه كان يرضع، فلما أشارت إليه مريم أقبل عليهم واعتمد على يده اليسرى ، وخاطبهم مجيباً بسبَّابة اليمنى[1] . قوله: ﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قيل : آتاه الله النبوة وهو يرضع . وقيل : عند بلوغ سنِّ النبوة .

وتعريف السلام في قوله : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ ﴾ لسبقه نكرة في قصة يحيى ، وأنكر بعض العلماء ذلك وقال : كيف يشار في كلام أحدهما إلى كلام الآخر ؟ وكيف يقول عيسى : وذلك السلام الذي سلمه الله على يحيى حاصل على ذلك المحدَّث عنه بهذه القصة ؟ [2] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٩٨ ) ونسبه لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ١٦ ) : " قيل : أدخل لام التعريف ؛ لتعرفه بالذكر قبله ؛ كقولك : جاءنا رجل ، فكان من فعل الرجل كذا ، والمعنى : ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إليَّ . والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام وأعدائها من اليهود . وتحقيقه : أن اللام للجنس ، فإذا قال : وجنس السلام عليَّ خاصة ، فقد عرَّض بأن ضده عليكم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ يعني : أن العذاب على من كذب وتولى ، وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض " .

﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾﴾

قرئ ﴿قَوْل الْحَقّ﴾ برفع اللام ونصبها ، و﴿قُوْلَ الْحَقّ﴾ بضم القاف ، و( قالُ الحقّ ) بضم اللام والإضافة(١)، والقول والقيل والقال بمنزلة الرُّهْب والرَّهْب والرَّهَب.

﴿يَمْتَرُونَ﴾ يَشُكُون ، فتقول : ما كان لزيدٍ أن يفعل ، فيحتمل وجهين : أحدهما : أن ذلك الفعل مستحيلٌ من مثله ؛ كقوله : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾(٢) . والثاني : أن يكون غير جائز شرعا وإن احتمل وجوده عقلاً ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾(٣) ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾(٤) ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾(٥) وأمثلة هذا القسم أكثر. قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ بضم النون ، معطوف على ﴿يَقُولُ﴾ وعلى قراءة النصب(٦) إشكالٌ لأنك إن نصبته جواب ﴿كُن﴾ كان مقولاً، فيكون الله – تعالى- إذا أراد أمراً قال: كن. فيكون ، وهو ظاهر الفساد ، وإن حاول عطفه على ﴿يَقُولُ﴾ فـ ﴿يَقُولُ﴾ مرفوعة ، ولا يعطف المنصوب على المرفوع ، وإنما يتأتى ذلك حيث يكون ﴿يَقُولَ﴾ منصوبة ، كما في قوله : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٧) .

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ

---

(١) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب " قَوْلَ الحقّ "، وقرأ باقي العشرة " قَوْلُ الحقّ "، وقرأ الحسن البصري " قُولُ الحقّ " ، وقرأ ابن مسعود " قالُ الحقّ " . **تنظر** القراءات في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ١٠٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٣٨ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٤٤٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٠٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٠٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٣٣٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ ).

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٦٠ ).

(٣) سورة آل عمران ، الآية ( ١٦١ ).

(٤) سورة التوبة ، الآية ( ١٧ ).

(٥) سورة يوسف ، الآية ( ٣٨ ).

(٦) قرأ ابن عامر من العشرة " كن فيكونَ "، وقرأ الباقون " فيكونُ " .

**تنظر في** : الحجة لابن خالويه ( ص : ٢١١ ) حجة أبي زرعة ( ص : ٣٨٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ٣٥٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٣٧٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤١٠ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٠) .

(٧) سورة النحل ، الآية ( ٤٠ ) .

كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾

قرئ ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ﴾ بالفتح[١]؛ كقوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾[٢] تقديره : ولأن ذلك كذلك فاعبدوه . ﴿ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ أمة عيسى تنقسم إلى ملكائية ويعقوبية ونسطورية، فقوله : ﴿ مِنۢ بَيْنِهِمْ ﴾ أي : تحزبوا كذلك . ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ وضع للظاهر موضع المضمر، والقياس : فويل لهم ﴿ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ والمشهد مصدر ، أي : من مشهود، ويجوز أن يكون مكاناً وزماناً. ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ تعجُّب وهو مستحيل على الله – تعالى- والمراد أنهم حلوا محل من يتعجب منه ؛ كقوله – تعالى : ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ﴾[٣] وحلوا محل من يُتَحَسَّرُ عليه . ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وضعٌ للظاهر موضع المضمر (١١٤ /أ ).

﴿ مُّبِينٍ ﴾ أي : بينٌ أو مبين . ﴿ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ قيل: هو وقت ذبح الموت. وقيل: وقت تصادر الفريقين إلى الجنة أو النار.

وقوله: ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ﴾ حالٌ من الضمير في ﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾ أي: غافلين عن إنذارك. ﴿نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ وهي كانت ملكاً له من قبل ، وإنما شبه انتقال الملك إليه عن موتى بانتقال أموال الموتى إلى ورثتهم ، والله – تعالى- لم يزل مالكاً لما خلقه المورثون. قوله: ﴿ صِدِّيقًا﴾ اختلف فيه ؛ فقيل: من صَدَقَ ؛ لإكثاره من الصدق وهو القياس ، تقول: رجل خمِّير وشريب. وقيل: من التصديق، فإنه صَدَّقَ بأنبياء الله وكتبه وبما جاء به النبيون.

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ، وأبو جعفر ورويس " وأَنَّ الله " ، وقرأ باقي العشرة " وإِنَّ الله " .
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٨٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٣٨ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٤٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٠٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤١٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٠٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٨ ).

(٢) سورة الجن ، الآية ( ١٨ ).

(٣) سورة يس ، الآية ( ٣٠ ).

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾

أراد تبصير أبيه بما الأب عليه من الضلال بالطفِ وجهٍ، واستعطفه بـ ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾. وقوله: ﴿لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ محذوف الفعل وليس مرادًا بل المراد: ليس أهلاً أن يسمع ولا يبصر، ومثله قوله – تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [1] وقوله : ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ يجوز أن يكون ﴿شَيْـًٔا﴾ نعتاً لمصدر محذوف ، أي : لا يغني عنك غناءً شيئا. ويجوز أن يكون ﴿يُغْنِى﴾ بمعنى: ويدفع ؛ كقوله : أغن عني وجهك ، ويجوز في ﴿يَسْمَعُ﴾ و﴿يُبْصِرُ﴾ كذلك . ثم قال لأبيه: إنني لا أدعي عليك مشيخة التعليم ولا إحاطتي بالعلوم، كأنه قال: هب أني لم أحط بالعلوم لكن جاءني شيء من العلم لم يأتك فاتبعني ، ثم نبَّهه على أن ما هو عليه من الاعتقادات الفاسدة والأعمال القبيحة إنما هو من وسوسة الشيطان وأعوانه ، فكأنه لقبوله منه عابد للشيطان .

روي: "أن عدي بن حاتم الطائي دخل على النبي ﷺ وعديٌّ مستمرٌّ على نصرانيته وفي عنقه صليب من ذهب ، فقرأ النبي ﷺ : ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ الآية [2] فقال عدي بن حاتم : إنا لم نتخذهم أرباباً ، فقال النبي ﷺ: أليسوا يحلون لكم الشيءَ مما حرَّمه الله فتحلونه ، ويحرمونَ عليكم ما أحله الله فتحرمونه ؟ فقال عديٌّ : بلي . فقال : فتلك عبادتهم" [3] . واعلم أن العبادة غاية الذلة والخضوع ، فلا تليق إلا لمن جل جلاله ، فتقول : خضعت لزيدٍ ، وذللت لعمروٍ ، ولا تقول : عبدتهما.

﴿أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ﴾ إن قلت : القياس : إني أخاف أن تكون للشيطان وليًّا فيمسك عذاب . قلت: رضوان الله أعظم من جنته، قال الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إلى قوله : ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [4] فإذا ثبت أن رضوانه خير من جنته ثبت أن موالاة الشيطان ( ١١٤ / ب ) أشد من العذاب . ﴿أَرَاغِبٌ﴾ قدَّم الخبر على رأي من يرى أنه خبر للاهتمام ؛ لأنه كان عند والد إبراهيم أهم . وقيل: إن ﴿أَرَاغِبٌ﴾ مبتدأ و﴿أَنتَ﴾ فاعلٌ سدَّ مسدَّ خبر المبتدأ .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ( ١٥٦ ).

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣١ ).

(٣) تقدم عند تفسير سورة التوبة ، الآية ( ٣١ ).

(٤) سورة التوبة ، الآية ( ٧٢ ).

﴿ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ أي : عن عبادة آلهتي . في ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ قولان: أحدهما: لأقتلنك مرجوماً بالحجارة ؛ لأنها قتلة شنيعة شديدة الألم . والثاني : أن الرجم بمعنى الطرد لا بمعنى القتل. وفي ﴿ مَلِيًّا ﴾ قولان : أحدهما: أنه مأخوذ من الملاءة أي : وأنت قادر على الخلاص والهرب من قبل أن أقيدك أو أحبسك . والثاني : أن ﴿ مَلِيًّا ﴾ بمعنى زماناً. والملوان: هما الليل والنهار؛ لأنهما زمانان.

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ ﴾

وقوله : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ سلام موادعةٍ ومفارقة ، وقال بعض أصحاب الشافعي: إن سلام المتاركة لا يجب جوابه على السامع[(١)].

وقوله : ﴿ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ هي الموعدة التي وعد بها إبراهيم أباه ، وقد بسط عذره وشرح قصته في سورة التوبة[(٢)]. الحفي بالأمر: المهتم به، أي: كان معتنياً بي ولطيفاً في تيسير وصول الخيرات إليَّ، ولا يضيع عند الله شيء من الأعمال الصالحة، ولذلك قال: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ ﴾ الآيتين .

﴿ وَمَا تَدْعُونَ ﴾ أي : ما تعبدون ؛ لقوله: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ ترك مصاحبة [ الكفار ] فعوض عنهم بالأولاد النجباء الأبرار، ولسان الصدق هو الثناء الحسن ، قال الشاعر [ من البسيط ] :

لقدْ أَتَتْنِي لِسانٌ لا أُسرُّ بِها[(٣)]

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير ( ٦ / ٣٨٦ ).

(٢) تقدم في تفسير سورة التوبة ، الآية ( ١١٤ ).

(٣) هذا صدر بيت لعامر بن الحارث أو لأعشى باهلة ، وعجزه :

وقوله في موسى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا ﴾ من كسر اللام جعله من قوله : ﴿ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [(١)] ومن فتحها[(٢)] فمن قوله : ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ﴾ [(٣)] ﴿ مِن رَّحْمَتِنَآ ﴾ من أجل رحمتنا . وقيل : بعض رحمتنا . و﴿ أَخَاهُ ﴾ على هذا القول بدل ، و﴿هَٰرُونَ﴾ عطف بيان ؛ كقولك : رأيت رجلاً أخاك زيداً . قوله : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ ليس صدق الوعد مختصًّا به، وإنما هو نشرٌ لفضائله ، كما سمي خليلاً وصديقاً .

وكان إسماعيل يبدأ بأمر أهله بالصلاة والزكاة فوصفه بذلك ، وضمَّ إليه أنه كان مرضيًّا عند الله ، وأما رفعه إدريس إلى المكان العليِّ ففيه قولان : أحدهما : أنه في السماء ، وقد ذكر في بعض روايات (١١٥ /أ) المعراج . والثاني : أن المراد رفعة المكانة والشرف.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ (٥٨) ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا (٦٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا (٦١) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)﴾

﴿ مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ من لبيان الجنس كقوله في سورة الفتح : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ حتى قال : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم ﴾ [(٤)].

وكرر نسبتهم إلى الأنبياء واحداً بعد واحدٍ ليبين شرف أصلهم ، وأن نسبهم بالأنبياء

---

= ................. من علو لا عجب منها ولا سخر

ينظر في : إصلاح المنطق لابن السكيت ( ١ / ٢٦ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٢ ) ، لسان العرب ( سخر ).

(١) سورة النساء ، الآية ( ١٤٦ ).

(٢) قرأ حمزة والكسائي « مُخْلَصًا » بفتح اللام ، وقرأ الباقون « مُخْلِصًا » بكسرها . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ١٩٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤١٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٢ ).

(٣) سورة ص ، الآية ( ٤٦ ).

(٤) سورة الفتح ، الآية ( ٢٩ ).

الصالحين عريقٌ. الخلف بفتح اللام في الخير وبسكونها في الشر[١]. وفي الغي قولان: أحدهما: أنه وادٍ في جهنم . والثاني: أنه ضد الرشاد ، أي : جزاء غيٍّ. وفي ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾ قولان: أحدهما: أنه علم على جنة مخصوصة ، كما جعلوا الفينة وسحر وأمس في من لم يصرفه -- أعلاماً لمعاني الفينة والسحر والأمس . والقول الثاني : أن المراد جنات إقامة ، أي: أرض إقامة ، وهو علم ، ولولا ذلك لما ساغ الإبدال ؛ لأن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة . ﴿ مَأۡتِيّٗا﴾ بمعنى آتياً ، أو مَنْ أتاك فقد أتيته ؛ لأنهم يأتون الجنة. قوله : ﴿ إِلَّا سَلَٰمٗا﴾ هو دعاء بالسلامة ، وأهل الجنة أغنياء عن الدعاء به ؛ لأنه حاصل لهم ، أي: إن قدر في الجنة كلامُ لغوٍ فليس إلا هذا الدعاء بالسلامة . وقيل: هو استثناءٌ منقطعٌ.

﴿ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ يعني به الدوام ، تقول: فلان يأتينا بكرةً وعشيًّا، فلا تريد الوقتين بعينهما، بل تريد الدوَّام وكان المترفة من العرب وغيرهم يأكل أكلتين في النهار، فجرى الكلام على نحو ذلك . ﴿ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ﴾ جاء في الحديث : " أنه لن يدخل أحدٌ النار حتى يرى مقعده من الجنة لو أطاع ، فيقال له : هذا مقعدك ، يعني : الجنة لو أطعت ، وعكسه في دخول الجنة "[٢].

كانت العرب قد رحلوا إلى المدينة وسألوا أحبار اليهود عن نبوَّة محمد ﷺ، وقالوا لهم: أنتم أهل كتاب وعندكم علم الشرائع ، فعلمونا سؤالاً نورده على محمدٍ لا يجد عنه جواباً ، فقالوا : نعم ، سلوه عن ثلاثة مسائل ، فإن أجاب عنها كلها فليس بنبيٍّ وإن توقف عن الجواب في الكل فليس بنبيٍّ ، والصواب الجواب عن بعضها دون بعض، والمسائل : سؤال عن فتيةٍ ذهبوا في الأرض مذاهب ، فلم يعلم لهم خبرٌ، وعن رجلٍ طاف مشرق الأرض ومغربها ، وعن الروح ما هو؟[٣].

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٦ ) وقال الفراء في معاني القرآن ( ٢ / ١٧٠ ) : " وقد يكون في الرديء " خَلَف " وفي الصالح " خَلْف "؛ لأنهم قد يذهبون بالخلْف إلى القرن بعد القرن " .

(٢) رواه أحمد في المسند ( ٢ / ٥١٢ ) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٢ / ٤٧٣ ) عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني . فتكون عليه حسرة ، وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول : لولا أن الله هداني. فيكون له شكر، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ " وقال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) تقدم تخريجه في سورة الكهف ، الآية ( ٩ ).

والروح لا يطلع البشر على حقيقتها، فلا يمكن الجواب ، والمسألتان الأوليان يمكن الجواب ( ١١٥/ب ) فجاء المشركون إلى أهليهم فرحين ، وجاءوا إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال: غداً أجيب . ولم يقل : إن شاء الله ، فتأخر جبريل عن النزول عليه بالوحي بضع عشرة ليلة، حتى قالت اليهود : ودع محمداً ربه وقلاه ، فأنزل الله – تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (١) ونزل عليه قصة أهل الكهف ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ﴾ (٢) القصة إلى آخرها ، وأنزل عليه ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ (٣) القصة وأنزل عليه ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ الآية (٤) وأنزل عليه ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (٥) وقال النبي ﷺ لجبريل : أبطأت عليَّ ، فأنزل الله – سبحانه وتعالى– حكايةً عن مقالة جبريل : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ الآية (٦).

﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ ما نصنعه في المستقبل ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ وما خلَّفنا من الأعمال فحملناه على ظهورنا ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ ﴾ الحال التي نحن عليها. وقيل: ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا ﴾ أي: الأرض التي نستقبلها عند النزول من السماء ﴿ وَمَا خَلْفَنَا ﴾ يعني: السماء إذا خلفناها خلف ظهورنا عند النزول ﴿ وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ ﴾ الهواء الذي بين السماء والأرض . ويُبْعِدُ هذا الثاني قولُه بعد ذلك: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾.

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

---

(١) سورة الكهف ، الآية ( ٢٤ ).

(٢) سورة الكهف ، الآية ( ١٣ ).

(٣) سورة الكهف ، الآية ( ٨٣ ).

(٤) سورة الإسراء ، الآية ( ٨٥ ).

(٥) سورة الضحى ، الآيات ( ١ – ٣ ).

(٦) رواه البخاري رقم ( ٣٢١٨ ، ٤٧٣١ ، ٧٤٥٥ ) ، وأحمد في المسند ( ١ / ٢٣١، ٢٣٣ ، ٣٥٧)، والترمذي رقم ( ٣١٥٨ ) ، والطبري في تفسيره ( ١٦ / ٧٨ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٦١١ ) ، والواحدي في أسباب النزول ( ٣٠٨ ، ٣٠٩ ) ، رقم ( ٦٠٦ – ٦٠٨ ).

﴿ سَمِيًّا ﴾ فيه قولان : أحدهما: المثل ، والثاني : الشبيه . ﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ ﴾ متعجِّباً من إحياء الموتى ، والواو في ﴿ أَوَلَا ﴾ عاطفةٌ، أي : يقول ذلك ولا يذكرُ ﴿ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴾ الآية ﴿ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ﴾ الذين أغووهم . والمحضر في القرآن أكثر ما يجيء في المحضر للعذاب ﴿ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ قيل : جماعات .

وقيل : جاثين على الركب من شدة الهول . ﴿ شِيعَةٍ ﴾ جماعة. ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ أعتى وأظلم يقدم في السقوط في النار، ثم الأشبه فالأشبه . قيل: تلتقطهم النار كما تلتقط الطير الحَبَّ.

﴿ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعني: القيامة ، والورود: الحضور في الموقف ، ومنه: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾ [(١)] وقيل: الورود الدخول ، وكان بعضهم يقول : تيقنا ورود جهنم وشككنا في الخروج ، فأين البكاء ؟ وقيل: إنها يذهب حرُّها بدخول المؤمنين العصاة فيها ، فيقول المؤمنون بعد ( ١١٦/أ ) جوازهم الجسر: إنا قد وعدنا بورود جهنَّم فيقال لهم: أرأيتهم تلك الكيمان السود ، أطفأها نور الإيمان . ويقال: إن جهنم تنادي المؤمن ، فتقول: جُزْ يا مؤمن ، فقد أطفأ نورُك لهبي [(٢)] . وقيل: الحمى الورود، وجاء في الحديث: " الحُمَّي حظ المؤمنِ من النار " [(٣)] . وفي رواية: " الحمَّي من فيح جهنم " [(٤)].

﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ ﴾ أي: ورود عرضة القيامة. ﴿ نُنَجِّى ﴾ أي: نرفع ، وفيه تلويح بأن الجنة في السماء . ويدل على ذلك قوله - تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [(٥)] وسدرة المنتهى في السماء بلا خلاف ، ووجه الاستدلال بهذه الآية أن التنجية هي الرفع ، وقال - سبحانه وتعالى- في حق فرعون: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [(٦)] أي:

---

(١) سورة القصص ، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير ( ٢٢ / ٢٥٨ ) رقم ( ٦٦٨ ) عن يعلى بن منية ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢٤٧٤).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٠٩) وعزاه للبزار عن عائشة وقال: إسناده حسن . وعزاه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ( ٤ / ١٨١٢ ) لابن أبي الدنيا في " المرض والكفارات " وابن عساكر وصححه عن عثمان بن عفان ﷺ .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٢٦٣ )، ومسلم رقم ( ٢٢١٠ ) عن عائشة - رضي الله عنها. ورواه البخاري أيضا رقم ( ٣٢٦٤ )، ومسلم رقم ( ٢٢٠٩ ) عن ابن عمر - رضي الله عنهما.

(٥) سورة النجم ، الآية ( ١٥ ) .

(٦) سورة يونس ، الآية ( ٩٢ ).

أي: نلقيك على مكان مرتفع عن الماء ، وكانت بنو إسرائيل قد قالوا بعد غرق فرعون: ما يموت فرعون أبداً، لما ثبت في قلوبهم من الرُّعب منه ، فألقاه الموج على شاطئ البحر، وكان عليه درعٌ من ذهب معروفة لا يلبسها إلا هو، فعرفوه وتحققُّوا موته.

فقوله: ﴿ نُنَجِّيكَ ﴾ أي: نرفعك على مكانٍ عالٍ ، وإلا ففرعون ما نجا ، وفي المقامات [من البسيط ] :

وكمْ دعاني مُستَنْجٍ فحادثني ... وما أخلَّ ولا أخللتُ بالأدبِ[1]

وأراد بالمستنجي الجالس على المكان المرتفع ، ولم يكن هناك خروج خارج من قُبُلٍ ولا دُبرٍ. ﴿ ٱتَّقَواْ ﴾ أي: الشرك . ﴿ جِثِيًّا ﴾ قيل : جثاة على الركب من الهول . وقيل: الجثي جمع جثوة ، وهي الجماعة ، كما قال : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾[2] ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾[3].

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ ﴾

قوله : ﴿ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ ﴾ الحال فيه غير منتقلة ، وهو دليل على جوازها ؛ لأن آيات القرآن دائمة البيان . وقوله : ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أي : بسبب الذين آمنوا كقوله – تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ ﴾[4] أي : عن إخوانهم ؛ لأنهم لو قالوه لهم لقال : ما متم وما قتلتم .

﴿ نَدِيًّا ﴾ أي: مجلساً يجتمع فيه الأكابر. ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ ﴾ رد لقولهم : ﴿ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا ﴾ ومعنى الكلام : أنهم تفاخروا بجمال المجلس وجمال من يحضر فيه من الأكابر، ولم يغن عنهم ذلك من الله شيئاً ولهذا قال : ﴿ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴾ أي: أحسن صوراً وهيئة.

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ

(١) ينظر البيت في : مقامات الحريري ( ص : ٣٧٧ ).
(٢) سورة النمل ، الآية ( ٨٣ ).
(٣) سورة الزمر ، الآية ( ٧٣ ).
(٤) سورة آل عمران ، الآية ( ١٦٨ ).

ﱡﭐ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلۡغَيۡبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ٧٨ ﱠ

قوله: ﴿ فَلۡيَمۡدُدۡ ﴾ ظاهره أمرٌ، ومعناه الخبر، كأنه قال: من كان في ( ١١٦/ب ) الضلالة مد له الرحمن واستدرجه بالنعمة والنقمة ، وهذا كقوله ﷺ : " إن مما أدرك الناسُ من كلام النبوة : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت " [١] أي : صنعت ما شئت . قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ ﴾ حينئذٍ ﴿ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ ﴾ ناصرا وأقل عدداً ، وهو أيضاً ردٌّ على قولهم : ﴿ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴾.

﴿ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ المراد به الصلوات الخمس . وقيل: المراد سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، والأحسن أن يراد جميع الأعمال الصالحة ، ويدخل فيه الصلاة والتسبيح ؛ لأنه جمع معرف باللام فيقتضي العموم[٢] . روي أن خباب بن الأرت[٣] ﷺ عمل للعاص بن وائل السهمي فماطله بالأجرة، فلما ألحَّ عليه قال: والله لا أعطيك شيئاً حتى تكفر بمحمد، فقال: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث فقال: وإني لمبعوث بعد الموت؟! قال: نعم، قال: فسيكون لي هناك مالٌ وأعطيك هنالك، فنزلت هذه الآية ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ [٤].

وقوله: ﴿ أَطَّلَعَ ﴾ دخلت فيه همزة الاستفهام على ألف الوصل، فسقطت ألف الوصل، كقوله : ﴿ أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [٥] ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ [٦] وجاء في الخبر أن " من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ( ٦١٢٠ )، وأحمد في مسنده (٤/ ١٢١، ١٢٢ ) ، وأبو داود رقم (٤٧٩٦) ، وابن ماجه رقم ( ٤١٨٣ ) ، وابن حبان في صحيحه ( ٢ / ٦٠٧ ) ، عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ .

(٢) تقدم ذكر ذلك في سورة الكهف ، الآية ( ٤٦ ).

(٣) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن خزيمة من بني سعد ، شهد بدرًا مع النبي ﷺ وكان من السابقين الأولين ، وأسلم قديما وكان من المستضعفين ، أسلم سادس ستة وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذابا شديدا لأجل ذلك. مات سنة ٣٧ وهو ابن ٧٣ سنة وهو أول من صلى عليه وقبره علي بن أبي طالب ﷺ حين منصرفه من صفين .

تنظر ترجمته في : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٥٨ ).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ١٩٨٥ ) ، ومسلم رقم ( ٢٧٩٥ ).

(٥) سورة سبأ ، الآية ( ٨ ).

(٦) سورة الصافات ، الآية ( ١٥٣ ).

قال : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وحملة عرشك بأنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك وأنك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير، وإنني لا أثق إلا بعفوك ومغفرتك ، فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد" كتب ذلك في كتاب وطبع عليه بطابع ولا يفتح إلى يوم القيامة وكان ممن اتخذ عند الله عهداً " [١].

﴿ كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ ﴾

عبَّر عن كتابة الحفظة بكتابته بنفسه فقال : ﴿ سَنَكۡتُبُ ﴾ و﴿ وَنَمُدُّ ﴾ يجوز أن يكون مستقبلاً لعطفه على نكتب ، ويجوز أن يكون غير معطوف عليه ، وكذلك إذا وجدت مع أحد الفعلين ظرفاً أو مجروراً وشبههما، فقلت : أعطيت زيداً يوم الجمعة درهماً وعمراً ديناراً يجوز أن يكون إعطاء عمرو يوم الجمعة وأن لا يكون . ﴿ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ ﴾ من المال والولد ﴿ وَيَأۡتِينَا فَرۡدٗا ﴾ مجرَّداً عما كان يباهي به . ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةٗ ﴾ طلباً للعز بهم ، وقد قال الله – تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [٢] ( ١١٧ / ب ) وزادها هنا أن الذي قصدوه حصل نقيضه ، وهو أنهم طلبوا العزة بعبادتهم لها، ويأتوا شفعاء لهم يوم القيامة فجاءوا بالضد من ذلك وصاروا أعداء لمن عبدهم وأنكروا عبادتهم.

الأز والهز: التحريك، أي: نزجهم إلى المعاصي إزجاجاً. ﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ ﴾ أيام أعمارهم ونحصيها عليهم . وقيل: المراد: عدد الأنفاس. الوفد: الركبان ، ويبعثون يوم القيامة ركباناً ، كما يؤتى بالوفد الكرام ، ويساق المجرمون سوق المجرم إذا قيد لسلطانه.

---

(١) رواه أبو داود رقم ( ٥٠٦٩ ) ، والترمذي رقم ( ٣٥٠١ ) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٣)، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٦٩٣ ).

(٢) سورة فاطر ، الآية ( ١٠ ).

وقيل : الورد : العطاش. ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ ﴾ حتى يأذن الله ، كما قال : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [1] وقوله: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ ﴾ يجوز أن يكون المراد: لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ ، فمن اتخذ هو الشافع ، ويجوز أن يراد: لا يملك الشفاعة إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهداً، وهو الإقرار بالشهادتين والإيمان بما جاء به الأنبياء فيكون من اتخذ مشفوعاً فيه لا شافعاً. والإد: هو الشيء المنكر.

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾ ﴾

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ تسقط ، وتندك الجبال لعظم الجريمة التي أتوها ، وهي ادعاؤهم للرحمن ولداً . فهذه الآية دليل على أن من ملك ولدا عتق عليه[2] ، ولا يملك الأب ابنه ، لقوله – تعالى- هاهنا : ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ فلولا أن الولادة تنافي العبودية لصار مثل قولك: زيد لا يصلح أن يكون إماماً للجامع ؛ لأنه لا يحفظ التنبيه. ويجوز الإخبار عن كل بالمفرد ؛ كقوله : ﴿ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ويخبر عنها بالجمع ؛ كقوله: ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾[3].

قوله : ﴿ فَرْدًا ﴾ يشير إلى انفراده عما كان يستكثر به من المال والولد ؛ كقوله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ [4] وقوله : ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ مفسرٌ بما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: " إن الله إذا أحبَّ عبداً قال : يا جبريل إني أحب فلاناً فأحببه . فيحبه جبريل، ثم ينادي في الملائكة : إن الله يحب فلاناً فأحبوه . فتحبه الملائكة، ثم يوضع له القبول في الأرض " [5].

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٥ ).

(٢) تقدم ذلك في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١١٦ ).

(٣) سورة النمل ، الآية ( ٨٧ ).

(٤) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٤ ).

(٥) رواه البخاري رقم ( ٦٠٤٠ ) ، ومسلم رقم ( ٢٦٣٧ ) عن أبي هريرة ﷺ .

واللدُّ: جمع أَلَدّ ؛ كقوله : ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[(١)].

وقوله : ﴿ هَلْ تُحِسُّ ﴾ قرئ ﴿ هَلْ تَحُسُّ ﴾ وهي لغة في أحسَّ[(٢)]، وفيها ردٌّ على من زعم أن الإحساس رباعيٌّ فلا يقال: المحسوسات ؛ لأنها لا تكون إلا من الثلاثي ، وهذه القراءة تردُّ عليه . والركز: الصوت الخفي ، وهو استدلال بانتفاء الأذى على الأعلى ، والله أعلم .

* * *

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٠٤ ) .

(٢) قرأ عامة القراء « تُحِسُّ » من أحسَّ ، وقرأ أبو جعفر وأبو حيوة وابن أبي عبلة « تَحُسُّ » ، وقرأ بعضهم « تُحِسُّ » من حَسَّه ، أي : شعر به ، ومنه الحواس الخمسة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٢١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٥٣١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٨ ).

## سورة طه [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه (١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٤) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٥) ﴾

قوله تعالى : ﴿ طه ﴾ فيه الأقاويل المذكورة في الحروف التي في أوائل السور، ونزيد هاهنا أن ﴿طه ﴾ معناه : يا رجل ، واحتج هذا القائل بقول الشاعر [ من البسيط ] :

إنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلِيقَتِكُمْ     لا قَدَّسَ اللهُ أَرْوَاحَ المَلاعِينِ[(١)]

قالوا: وأثر الافتعال ظاهر على هذا البيت ، فلم تصح نسبته إلى العرب .

وكان النبي ﷺ يكثر من الصلاة بالليل حتى تورَّمتْ قدماه ؛ فقيل له في ذلك ، فقال : " أفلا أكونُ عبدًا شَكُورًا " ؟ ونزلت : ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾[(٢)].

أي : لتكلف نفسك ما لا طاقة لها به . وقوله : ﴿لِتَشْقَىٰٓ ﴾ لا يصح أن يكون مفعولا من أجله؛ لأن علة الفعل هي التذكرة ، وهي فعل فاعل الفعل المعلل ؛ بخلاف الشقاوة ؛ فإنها ليست من فعله ؛ فدخلت في ﴿لِتَشْقَىٰٓ ﴾ دون التذكرة . ﴿إِلَّا تَذْكِرَةً ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن التذكرة ليست من الشقاوة في شيء[(٣)].

وصف نفسه بكونه رحمانا ؛ لكونه خلق الأرض والسماوات العلى ؛ لما في خلقهما من مصالح العباد ؛ فإن أكثر مصالح العالم الجسمانية متعلقة بالأرض والسماء ؛ لما في قرب الشمس في زمن الصيف من إنضاج الفواكه والحبوب ؛ ولما ينزل من السماء في الشتاء من

---

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٤٤ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ١٤٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٠ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٨٣٧ )، ومسلم رقم ( ٢٨٢٠ ) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٠ - ٥١ ): " ويحتمل أن يكون المعنى : إنا أنزلنا عليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من أعداء الإسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من أنواع المشاق وتكاليف النبوة وما أنزلنا عليك هذا المتعب الشاق إلا ليكون تذكرة . وعلى هذا الوجه يجوز أن يكون تذكرة حالا ومفعولا له ".

المطر الذي هو سبب نبات الحب والثمر ؛ ولاختلاف أحوال الشمس في فصل الصيف وفي فصل الشتاء ؛ ولاختلاف أحوال الناس في النوم واليقظة ، كل ذلك من الرحمة .

قوله : ﴿ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ والسماوات والأرض والكرسي في جانب من العرش ؛ كحلقة في فلاة ؛ فإذا استوى عليه استوى على ما حواه .

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾﴾

﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من الملائكة والكواكب والأفلاك ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من الأشجار والنبات والحيوانات. ﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من حيوانات الجو ومن الرعد والمطر وغير ذلك مما لا يحصى.

وقيل: إن المراد بـ ﴿ ٱلثَّرَىٰ ﴾ رمل تحت الأرضين السبع. وقوله: ﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ ﴾ جوابه محذوف تقديره: لم يخف على الله. وقوله: ﴿وَأَخْفَى ﴾ فيه قولان :

**أحدهما:** أنها فعل ، أي: فإنه يعلم السر ، وأخفى عن عباده أحوال القيامة ووقت قيامها.

**والثاني:** أنه اسم، والتقدير: يعلم السر وأخفى من السر ، فقيل: السر ما حدثت به واحدا واستكتمته، وأخفى منه ما لم تُطلعْ عليه ( ١١٨ /أ ) أحدا قال الشاعر [من المتقارب]:

فسِرُّكَ ما كانَ عندَ امرئٍ ... وسِرُّ الثَّلاثةِ غيرُ الخَفِيّ[1]

وقيل: السر ما لم تطلع عليه أحدا، وأخفى منه ما ستحدث به نفسك غدا يعلمه الله الآن . والأسماء الحسنى قد استنبطت من الكتاب والسنة، وجاء في الحديث : " إنَّ للهِ – تعالى– تسعةً وتسعينَ اسمًا مَنْ أحصاها دخَلَ الجَنَّةَ "[2].

وقوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ في وصف الأسماء وهي جمع ، وكان قياسه الحسن ؛ كما قال :

---

(١) البيت للأشعري الجعفي ، ينظر في: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ( ١ / ٥١١ ) ، صبح الأعشى للقلقشندي ( ١١ / ٣٠٨ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٢٧٣٦ ، ٦٤١٠ ) ، ومسلم رقم ( ٢٦٧٧ ) .

﴿وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ وهذا لأن جمع المؤنث الذي لا يعقل يعامل معاملة المفرد المؤنث أو الجمع المؤنث [تقول] : الجبال صعدتها وصعدتهن ، والأسود لقيتها ولقيتهن ، وكذلك قوله : ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ قياسه : الكبر.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ قيل: هل بمعنى قد ، والصواب أنك تقول للشخص: هل رأيت ما صنع فلان ؟ والسامع يعلم ما صنع ولكنه يجعل معناه: إن من العجب خفاء هذا الأمر عنك ، ومثله قوله – تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [1].

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥)﴾

وقول النبي ﷺ لعائشة – رضي الله عنها: " ألَمْ تـرَي إلى مُجَزِّزٍ المُدْلِجِيِّ نظر إلى أسامة وزيد قد غطَّيا رؤوسَهما وبدتْ رجلاهُما ، فقال : إنَّ هذهِ الأقدامَ بعضُها من بعضٍ " [2].

كان موسى عليه السلام حين فرغ من عمل الإجارة ، وهي العمل عشر سنين لتزويج ابنة شعيب أعطاه شعيب غنما وسلم إليه زوجته ؛ فتوجه بالزوجة والغنم يطلب مصر ؛ ليبلغ رسالة ربه ، فأظلم الليل وأمطرت السماء ، وتفرقت أغنامه من صوت الرعد ، وأخذ زوجته الطلق ، واشتد البرد ، فلمح نارا تظهر من بعد ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ لعلي أتوجه إلى هذه النار فأقتبس منها قبسا ، وكان موسى قد تاه عن الطريق في تلك الليلة فهو قوله : ﴿لَعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [3] أي : أجد ما يدلني على الطريق ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ وكانتا من جلد حمار ميت بغير دباغ ؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ أي: المطهر الذي لا يدنس حماه بالنجاسة . ﴿طُوًى﴾ قيل: هو اسم الجبل. ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ فخذ ما آتيتك بالقبول.

قوله – عز وجل: ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ لأني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي؛

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٨ ).

(٢) رواه البخاري ( ٦٧٧٠ ) ، ومسلم رقم ( ١٤٥٩ ) عن عائشة – رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٥٧٢ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٣٥ ).

فلذلك أمرتك بالاستماع لما أرسلتك به . ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ أي: ذل واخضع، والعبادة غاية الذلة والخضوع تقول ( ١١٨ / ب ) : خضعت لزيد وذللت له ، ولا يجوز أن تقول : عبدته ؛ فإن غاية الذلة والخضوع لا تكون إلا لله وحده .

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ جاء في الحديث : " وأقمِ الصَّلاةَ للذِّكْرَى "[(١)] أي : أقم الصلاة لتذكرني فيها . وقيل : وأقم الصلاة وصلِّ الناسية إذا تذكرتها ؛ فإن ذلك وقتها .

﴿أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ قرئ ( أَكَادُ أَخْفِيهَا )[(٢)] أي: أظهرها ؛ تقول: خفا الشيء بمعنى ظهر. ﴿لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ قال بعضهم: التقدير: أكاد أخفيها من نفسي فكيف أطلعكم عليها. وكلٌّ من ألفاظ العموم ، فيجوز أن يستثنى الأنبياء ، ومن يأتي آمنا يوم القيامة ، فذلك يعطى الثواب ويسامح بعقوبة ذنبه .

﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا﴾ هو كقولك : لا أرينك هاهنا ؛ أي : لا تكن هاهنا فأراك ، ولا تكن بحيث يصدك الكفار ؛ لأن الفعل إنما ينهى عنه فاعله لا مفعوله . ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ فتهلك .

﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ إيناس له لما دهش بسماع كلام الله - عز وجل - وقد قيل : إن اسم الإشارة في قوله : ﴿ وَمَا تِلۡكَ﴾ أنها موصولة وما التي بيدك ؛ التقدير : وما الذي بيدك ؟ ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا﴾ أراد موسى أن يعتذر عن إبقاء العصا بيده؛

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ( ٦٨٠ ) ، وأحمد ( ٢ / ٤٢٨ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٣٥ ) ، والترمذي رقم (٣١٦٣ ).

(٢) قرأ سعيد بن جبير ( أَخْفيها ) بفتح الهمزة ، وروي عنه ( أُخْفيها ). قال الفراء عن قراءة الفتح : من خفيت : أظهرت، واستدل بقول امرئ القيس:

فإن تدفنوا الداء لا نخفِه وإن تبعثوا الحرب لا نقعُدِ

يريد : لا نظهره. **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٣٢ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ١٨٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٣٥٩ ) ، الكشاف للزمخشري (٥٦/٣ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٧ / ٣ ) ، المحتسب لابن جني (٤٧/٢ ) ، معاني القرآن للفراء (١٧٦/٢ ).

فذكر منافعها ، وقد عد من جملتها أنه كان إذا نام قاتلت عنه الهوام ، وإذا وصلت إلى بئر ورشاها طويل طالت العصا حتى تصل إلى الماء، وكان إذا اشتهى فاكهة أورقت وأثمرت تلك الفاكهة. وقيل: كانت تمشي إلى جانبه وتحادثه، والله أعلم بصحة ذلك[١].

﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي ﴾ يعني : أرمي الأوراق اليابسة فتأكل الغنم . ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ أي : حاجات ، تقول : لي في كذا مأربة.

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ﴾ فإن قلت : جعلها في هذا المكان حية والحية: الثعبان الصغير ، وفي موضع آخر قال : ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾[٢] والثعبان: الحية العظيمة ، وفي موضع قال: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾[٣] والجان الحية الصغيرة ؛ فكيف الجمع بين هذه الآيات ؟

الجواب من وجهين :

**أحدهما** : أنها كانت في أول أمرها كالجان ، وفي آخر أمرها كالثعبان .

**والثاني** : أن انقلاب العصا حية وقعت مرتين ؛ إحداهما في جبل الطور حين خاطب الله موسى فقلبها له حية ليعتاد انقلابها حية ؛ فلا يستوحش إذا رآها قد صارت ثعبانا كبيرا ، والمرة الثانية انقلبت ( ١١٩/ أ ) العصا حية حين حضر إلى مجلس فرعون وذلك الذي حصل من الانقلاب يراد أن يكون على أتم الوجوه ، وأما انقلابها بين يدي الله عز وجل فالمراد به تعريف جواز ذلك . وقيل : كانت في عظم الثعبان ، وفي خفة الجان في سرعة حركتها.

﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ فاجأه صيرورتها حية ؛ فقال الله له: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ قيل: ولا تكن بصدد أن تفزع وتفر ؛ فإن الخوف لا ينهى عن مثله. ﴿ سَنُعِيدُهَا ﴾ مثل ﴿سِيرَتَهَا

---

(١) هذا من الإسرائيليات وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٥٤ ) ونسبه لأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ( ٣٢ ).

(٣) سورة النمل ، الآية ( ١٠ ).

ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ أي: تحت إبطك، وكانت العرب تكره البياض خوفا من البرص ويكنون عنه بالحمرة، وبه سميت عائشة الحميراء[١]. وقال جميل بن معمر [من المتقارب ]:

تقولُ بُثَيْنَةُ لَمَّا رأتْ قُنُوءًا مِنَ الشَّعَرِ الأحمرِ[٢]

فلذلك قال : ﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾ أي: البياض البريء من البرص وغيره ، وجاء في موضع آخر ﴿بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ [٣] أي : بياضا يستوقف الناظرين من شدة بياضها وانتشار شعاعها .

---

(١) ورد هذا اللفظ في بعض الأحاديث منها الصحيح ومنها الباطل ومن الأحاديث الصحيحة ما رواه النسائي في السنن الكبرى ( ٥ / ٣٠٧ ) رقم ( ٨٩٥١ ) عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : "دخل الحبشة المسجد يلعبون فقال لي : يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ؟ فقلت: نعم فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خده ... " الحديث. قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/ ٤٤٤) : إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا .
وروى الحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٣ / ١٢٩ ) عن أم سلمة - رضي الله عنها- قالت : ذكر النبي ﷺ خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال : انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت إلى علي فقال : إنْ وليت من أمرها شيئا فارفق به" ومن الأحاديث المشهورة في هذا الباب وهو ضعيف وباطل حديث " خذوا شطر دينكم عن الحميراء يعني عائشة " قال المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ( ١٠ / ٢٥٩ ) : "قال الحافظ ابن الحجر العسقلاني : لا أعرف له إسنادا ولا رواية في شيء من كتب الحديث إلا في النهاية لابن الأثير ، ولم يذكر من خرجه وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنه سأل المزي والذهبي عنه فلم يعرفاه وقال السخاوي : ذكره في الفردوس بغير إسناد وبغير هذا اللفظ ولفظه " خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء " وبيض له صاحب مسند الفردوس ولم يخرج له إسنادا ، وقال السيوطي : لم أقف عليه ". وقال الزركشي في كتاب الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة ( ١ / ٥٨ ) : " وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير - رحمه الله- عن ذلك فقال : كان شيخنا حافظ الدنيا أبو الحجاج المزي - رحمه الله- يقول : كل حديث فيه الحميراء باطل إلا حديثا في الصوم في سنن النسائي ... ".

(٢) **ينظر** البيت في : الزهرة لابن داود الأصفهاني ( ص : ٧٧٣ ) ويروى الشطر الثاني :

............ فُنوناً مِنَ الشَّعَرِ الأحْمَرِ

وبعده : كَبِرتَ جَميلُ وَأودى الشَبابُ فَقُلتُ بُثَينَ أَلا فَاقصُري

**وقُنُوءاً** : من قَنَأَ الشيءُ يَقْنَأُ : اشْتَدَّتْ حُمرتُه . و لِحْيَتُه قانِئةٌ ، أَي : شَديدة الحُمْرة .
**ينظر** : لسان العرب ( قنأ ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ١٠٨ ).

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿ٱلْكُبْرَى﴾ يحتمل وجهين :

**أحدهما:** أن يريد الكبرى بمعنى الكبر ؛ تكون نعتا للآيات ؛ كقوله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(١)] والأصل : الحسن .

**والثاني:** أن تكون صفة للآية ، والتقدير : لنريك من آياتنا الآية الكبرى ؛ فإن جمع المؤنث يعامل معاملة المفرد المؤنث تارة ، ومعاملة الجمع المؤنث أخرى ؛ تقول : الدواب سقيتها وسقيتهن ، والجبال علوتها وعلوتهن . ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد حتى ادعى الربوبية . ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ أي: صدري لأجلي ؛ كقوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[(٢)] وقد فُضِّل رسول الله ﷺ على موسى عليه السلام ؛ فإن موسى سأل أن يشرح له صدره ، ونبينا ﷺ بدئ بقوله : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[(٣)] من غير سؤال .

﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ سهله ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ لقصة التمرة والجمرة ؛ اختلف العلماء هل ذهبت تلك العقدة بجملتها ؟ فقال قوم : ذهبت بجملتها ؛ لأن الله – تعالى- قال لموسى بعد سؤاله : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ أن العقدة قد انحلت . وقيل: بقيت منها بقية ؛ قال فرعون : ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[(٤)] ظن بزعمه أنه أفضل من (١١٩/ب) موسى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ أي : لا يبين معنى كلامه لأجل العقدة التي في لسانه . ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ﴾ ﴿هَٰرُونَ أَخِى﴾ عطف بيان.

﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٨٠ ).

(٢) سورة الشرح ، الآية ( ١ ).

(٣) سورة الشرح ، الآية (١).

(٤) سورة الزخرف ، الآية (٥٢).

عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ (٣٩) إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًاۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ (٤٠) وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ (٤٣) فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (٤٤) قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ (٤٥) قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ (٤٦) فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ (٤٧) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٤٨)﴾

﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾ من جعل همزة ﴿ٱشْدُدْ ﴾ همزة وصل جعل ﴿وَأَشْرِكْهُ ﴾ أمرًا بمعنى الدعاء والطلب ، وأشركه بفتح الهمزة . وقرئ " أخي أَشدد " وجعل ألف " أشدد " ألف قطع وجزمه بجواب الأمر ، أو رفعه على الاستئناف[1]. ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ جعل العلة في طلب نبوة أخيه أن يشتركا في التسبيح والتقديس. ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾ وقوله: ﴿ قَدْ أُوتِيتَ ﴾ ليس خبرًا عن ماضٍ، وإنما هو إنشاء للإعطاء ؛ كقولك: بعتك بكذا ؛ فهذا اللفظ هو الذي حصل به البيع ، ثم إن الله تعالى شرع في إبداء مننه على موسى فذكر حالة الرضاع وحالة وضعه في التابوت وإلقاء اليم التابوت إلى الساحل ، وأخذ فرعون له ، وتربيته في يد عدوه الذي كان يقتل الناس من أجله ، وإلقاء محبة الله لموسى في قلب كل من رآه ، وسلامته من قبل القبطي ، ثم أعاد الأمر بالرسالة بقوله : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي ﴾.

وهاهنا نكتة لطيفة؛ وهو أن موسى سأل من الله وزارة أخيه له ، وعلل ذلك بقوله: ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ ثم إن الله – تعالى- ولاه وأعطاه ما سأله ، ثم قال : ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ولا تفترا فيه كما شرطتما على أنفسكما. وقوله: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ مع علم الله – تعالى- بأن فرعون لا يتذكر ولا يخشى، ولا يتأتى منه ذلك ، والمعنى : كونا على رجاء تذكرة وخشية ؛ فإن من ذهب في أمر وهو يعلم أنه لا يُقْضَى لا يجتهد فيه ، وإن

---

(١) قرأ ابن عامر " أَشدد " و" أُشركه " بهمزة القطع والمضارعة في الفعلين ، وقرأ الباقون " اشدد " و" أَشركه " بهمزة وصل الأول وفتح همزة القطع في الثاني على الطلب والدعاء. **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٤٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١٨ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤١٨)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٦١ – ٦٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢١ ).

كان يعلم أنه يُقْضى اجتهد ووسع الحيل فيه ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ منه ضرر ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ فيذكر في حقك ما لا يليق بجلالك . ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا﴾ .

قال ابن عطية – رحمه الله : " بُعِثَ موسى إلى فرعون في أمرين خاصة:

**أحدهما**: التوحيد. **والثاني**: تسليم بني إسرائيل إلى موسى وتخليصهم مما كان يكلفهم إياه من الأعمال الشاقة "(١).

﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ والدليل على صحة رسالتنا أنا ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ (١٢٠/ أ ) والمعجزات دالة على صدق النبي. ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ﴾ استدلت المرجئة(٢) بهذه الآية، وقالوا: لا يعذب الله من قال: لا إله إلا الله أبدا، واحتجوا بقوله: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فمن لم يكذب الرسل ولم يحصل منه التولي فلا يعذب.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾

---

(١) **ينظر**: المحرر الوجيز لابن عطية ( ١١ / ٧٨ ).

(٢) **المرجئة** – بضم الميم وكسر الجيم بعدها ياء مهموزة ويجوز تشديدها بلا همز -: نسبوا إلى الإرجاء وهو التأخير ؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان فقالوا: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولم يشترط جمهورهم النطق وجعلوا للعصاة اسم الإيمان على الكمال وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب أصلا ومقالاتهم مشهورة في كتب الأصول.

وهم ثلاثة أصناف : صنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان وبالقدر على مذاهب القدرية فهم معدودون في القدرية والمرجئة كأبي شمر المرجئ ومحمد بن شبيب البصري والخالدي ، وصنف منهم قالوا بالإرجاء في الإيمان ومالوا إلى قول جهم في الأعمال والأكساب فهم من جملة الجهمية والمرجئة ، وصنف منهم خالصة في الإرجاء من غير قدر وهم خمس فرق : يونسية وغسانية وثوبانية وتومنية ومريسية .

وقال الشهرستاني : والمرجئة أربعة أصناف : مرجئة الخوارج ، ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة ، ومحمد بن شبيب والصالحي والخالدي من مرجئة القدرية وكذلك الغيلانية أصحاب غيلان الدمشقي أول من أحدث القول بالقدر والإرجاء .

**ينظر** عنهم بتفصيل في : الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي (١/ ١٩) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٨) ط . دار المعرفة – بيروت – ١٤٠٤هـ – تحقيق: محمد سيد كيلاني.

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا ﴾ خاطب الاثنين ثم خص الخطاب بأحدهما وهو موسى؛ لأن موسى هو الأصل في نبوة أخيه. ﴿ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ كل حيوان إلى ما يصلحه.

﴿ قَالَ ﴾ فرعون ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ يعني: فما جرى فيها حين كذبوا ؟

﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ﴾ يعني: اللوح المحفوظ. ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى (٥٢) ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾ السبل: الطرق. قوله: ﴿مَآءً فَأَخْرَجْنَا ﴾ عدل فيه عن الغيبة إلى التكلم؛ لأن نزول المطر من السماء وخروج النبات به أمر عظيم لا يقدر عليه إلا الله.

﴿ أَزْوَٰجًا ﴾ أصنافا ﴿ مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ مختلف. أي: وقلنا: ﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ﴾ وهو كقوله : ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[1] ﴿ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ لذوي العقول .

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ ﴾ أي : من الأرض ، ثم فيه وجهان :

**أحدهما**: خلق أبيكم آدم من تراب. والوجه الثاني: أن الله وكل بالولد في الرحم ملكا يأخذ من تربة الأرض التي يدفن فيها ذلك المولود فيذره على النطفة؛ فهذا خلقه من تراب[2] ، ثم فرعوا على هذا أن أصل خلقة أبي بكر وعمر مثل نشأة خلق رسول الله ﷺ؛ لأن الكل دفنوا في مكان واحد[3]، وفي الأرض ﴿ نُعِيدُكُمْ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ (٥٦) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ (٥٧) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى (٥٨) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى (٥٩) فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ (٦٠) قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ (٦١) فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ (٦٢) قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ

(١) سورة النازعات ، الآية ( ٣٣ ).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٨٤ ) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء الخراساني .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول في أحاديث الرسول ( ١/ ٢٦٨ ) عن ابن سيرين – رحمه الله – قال " لو حلفت حلفت صادقا بارا غير شاك ولا مستثن أن الله – عز وجل – ما خلق نبيه ﷺ ولا أبا بكر ولا عمر – رضي الله عنهما – إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة ".

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

﴿ وَلَقَدْ﴾ أرينا فرعون ﴿ ءَايَٰتِنَا ﴾ التي جاء بها موسى ﴿ كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ وهذا يدل على أن فرعون كان يرعد خوفا من موسى. فهل رأيتم ساحرا غلب على إقليم فملكه بسحره واستولى على ذلك الإقليم . ﴿ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ الحسنى. ﴿ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ﴾ فإنه أهيب للعدو أن يأتي صفا. ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ﴾ خيروه في أنه هل يبدأ هو بإلقاء عصاه أو يبدأوا هم ؟ وهذا عادة المدل بصنعته . ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ ﴾ أي : فاجأت حبال السحرة أنها تخيل إلى موسى أنها تسعى ، وكانوا قد (١٢٠/ب) حشوا أجواف تلك الحيات المصنوعات بالزئبق ، ومن شأن الزئبق أنه إذا حمي فاضطربت تلك الحيات لانسداد الأعلى فبقيت تضطرب .

﴿فَأَوْجَسَ ﴾ فأحس ﴿ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً ﴾ ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ ﴾ يعني: لا يلحقك من ذلك ضرر. ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الغالب القاهر لهم . ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ ﴾ هذا تصغير لأمر العصا ، وقد سبق قوله – تعالى– له : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ ﴾ وقال له هاهنا : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ ﴾ ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ كأن ملقيًا ألقاهم من شدة اشتغالهم بالسجود. ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ فجرى فرعون على عادة الملك ، واستنكف أن يظهر أنه مغلوب فشرع في تهديد السحرة ؛ فقال: ﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾.

وقوله: ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ ﴾ يعني به اليد اليمنى مع الرجل اليسرى، أو بالعكس ، وقطع اليد والرجل من خلاف هو من وجه أشد من قطعهما من جهة؛ لأن ذلك الجنب يتعطل ، وهو من وجه آخر أخف ؛ لأنه بقي في كل جانب شيء من الانتفاع ، فسلك فرعون أحد الطريقين ، وهو قطعهما من خلاف.

العذاب متى اجتمع فيه كونه أشد وكونه أطول مدة كان أعظم.

﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾

﴿ قَالُواْ ﴾ السحرة لفرعون : ﴿ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ فنترك ما رأينا من الآيات . قيل : إنهم رأوا الجنة والنار في سجدتهم تلك [١]. ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ يجوز أن يكون قسمًا ، ويجوز أن يكون معطوفا على قوله : ﴿ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا ﴾ ﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾ أي: افعل فينا ما تشاء ؛ فإن لنا رجوعا إلى الله يقتص لنا ممن ظلمنا ؛ إن مدة تسلطك علينا ﴿ هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ روي أن فرعون كان يكره طائفة من الناس على تعلم السحر.

﴿إِنَّهُۥ ﴾ الهاء ضمير الشأن ﴿ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ ﴾ يوم القيامة ، ولم يتب فله جهنم ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا ﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ حياة تنفعه. وقد قالوا: إن الكافر في الآخرة يجد ألم النزع من جميع أعضائه ولا يموت قال الله – تعالى- فيه : ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾[٢] ﴿تَجْرِى ﴾ من تحت أشجارها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أو من تحت غرفها ؛ لقوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [٣] ﴿طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ ( ١٢١ / أ ) من مقتضى الدليل أنه إذا انفلق البحر اثني عشر فرقًا يكون في قعر كل فرق زلق ووحل ، لكن الله – تعالى- جعل موضع الماء صلبا يابساً لا زلق فيه ؛ تيسيراً على

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٨٧ ) ونسبه لابن أبي حاتم عن القاسم بن أبي بزة .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ( ١٧ ).

(٣) سورة الزمر، الآية ( ٢٠ ).

موسى وقومه . ﴿ لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا ﴾ من فرعون ﴿وَلَا تَخۡشَىٰ ﴾ في اليم غرقاً، أو: لا تخشى شيئاً تخافه مطلقاً ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾ أي : أمر عظيم لا يقدر قدره ﴿ وَمَا هَدَىٰ ﴾ إنما جيء به ؛ لأن الذي يضل قد يتفق له تارة أن يحسن ويوفي شيئا من الأفعال ؛ لكن فرعون كان محض الضلال ولا يخلطه بشيء من الإحسان .

فهم موسى من قوله : ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ ﴾ أنه قد عتب عليه كيف تقدم قومه ولم يأت بهم معه ؟ فاعتذر بأمرين : **أحدهما** : أن المكان الذي فارقهم فيه قريب جدا قال : ﴿هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ أي : ليسوا ببعيد مني .

**والثاني**: إنما عجلت لطلب رضاك.

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ ﴾

﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ ﴾ أي : من بعد انطلاقك ﴿ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾ وقرئ في الشاذ ﴿ وَأَضَلُّهُمُ ﴾ بضم اللام[1].

وروي أن السامري حين وصل إلى البحر مع موسى بعث الله جبريل راكبًا فرس الحياة وقد خلق الله الحياة على صورة فرس ، ولا تمر بشيء ولا يجد مسها شيء إلا حيي، وخلق الله الموت على صورة كبش أملح ؛ كما جاء في الحديث أنه " يذبح الموت يوم القيامة ، وقد جيء به على صورة كبش أملح "[2] فرأى السامريُّ فرس جبريل كلما وضعت حافرها على شيء من الأرض اخضر نباتها ، فقال : إن لهذا شأناً ، وأخذ من ذلك التراب شيئا ، وكانت بنو إسرائيل لما أمروا بالخروج من ديار مصر استعاروا حليًا من قوم فرعون ، ولم يتسع لهم الوقت أن يعيدوه إلى أربابه ، فحملوه معهم فلما تجاوز موسى البحر ، وغرق فرعون أمر الله موسى أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليسمعهم خطابه ، فأبطأ عليهم موسى، فأخذ السامري ما معه من تلك التربة التي وطئها حافر فرس جبريل ، وكان

---

(١) قرأ بها أبو معاذ القارئ . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٦٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤٤٣ ).

(٢) رواه مسلم رقم ( ٥٥٨٧ ).

السامري صائغاً فعمل صورة عجل ، وألقى فيه من ذلك التراب فصار العجل يخور خوار الثور، وقال لهم السَّامري : هذا العجل الذي يخور هو إلهكم وإله موسى ، فنسي موسى وذهب يطلبه في الجبل ( ١٢١ / ب ) فرجع موسى إلى قومه وقد أعلمه الله – تعالى- بضلال السَّامري ومن تبعه ، فسمع أصوات عبدة العجل يصرخون ويصفقون ويرقصون ، فقال : هذا صوت الفتنة ، واشتد غضبه حتى ضرب برأس أخيه يجره إليه ، وكان موسى قد أعطاه الله – تعالى- الألواح ، وقد كتب له في التوراة ، فألقى الألواح من يده . قيل: ذهب من التوراة ستة أسباعها بإلقائها على الأرض غضباً[1].

قال موسى لقومه : ﴿ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ﴾ وهو أن يؤتينا الله كتاباً فيه علم ما نحتاج إليه من أمر الدين والدنيا ﴿ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ ﴾ لمدة غيبتي ؟ وكان قد وعده انقضاء ثلاثين ليلة ثم أتمها أربعين ليلة ﴿ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ وقرئ ﴿أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ ﴾ أي : ينزل ، وقرئ (يحِل)[2] من مجيء وقت الشيء ، ومنه حلول الدين ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الذي غذاكم بكرمه ورباكم بنعمته .

﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا (٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩١) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) ﴾

﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴾ لذلك ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا ﴾ أي: أثقالاً والوزر الثقل، سمي الوزير وزيرا؛ لأنه يحمل عن الملك أعباء مملكته.

قوله – عز وجل: ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا ﴾ هو الحلي الذي كان عندهم للقبط ﴿ فَقَذَفْنَاهَا ﴾ في صورة العجل ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾ ما كان عنده من الحلي ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ ﴾ السامري

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٥ / ١٥٧٢ ) رقم ( ٩٠١٦ ) عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

(٢) قرأ الكسائي والأعمش وطلحة بن مصرف ويحيى بن وثاب " يحِل " ، وقرأ الباقون " يحُل " .

**تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٦٠ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٤٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٢٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٧٩)، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢١ ) .

﴿ٱلسَّامِرِيُّ﴾ وقيل : إنه كان فيه روح كروح الحيوان . والقرآن العزيز لا يدل على ذلك . قيل: إنه كان يخور مرة بعد مرة ، وبعض المفسرين يقول: خار خورةً واحدةً ، ولو كان يخور كل يوم لما صلح لما نسبوه إليه من الألوهية ، وهو كقوله -تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾[1] إلى أن قال : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾[2] ولو كانت لهم أرجل وأعين وآذان لما صح نسبتهم إلى الألوهية ، فكيف وهم ليسوا كذلك فقال ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴾ موسى حتى طلبه في جبل الطور ، ثم عنّفهم الله – تعالى- بقوله : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ﴾ أي : ألا يجيب متكلماً يخاطبه .

﴿وَلَا يَمْلِكُ ﴾ دفع ضرر ولا جلب نفع . ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ ﴾ (١٢٢/أ) رجوع موسى ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم ﴾ بعبادة هذا العجل، ودعاهم إلى طاعته في أمره بالتوحيد، فعصوه وقالوا: ﴿ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ ﴾ وأكدوا النفي بـ ( لن ) الدالة على تأكد النفي ، فأقبل موسى على هارون فقال: ﴿ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ ﴾ واستعطف أخاه بالنسبة إلى الأم لأنها أرحم ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ﴾ قيل: قد كان أخذ بأذنيه فاستدل به قوم على أن الأذنين من الرأس، ولا حجة فيه ؛ لأنه يجوز أن يكون موسى قد أخذ بيد هارون أو بعضو آخر ولم يذكر ذلك لنا.

﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾

﴿ إِنِّى خَشِيتُ ﴾ أن أقاتلهم أن يتفرقوا شيعاً، وهو قول موسى: ﴿ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٩٤ ).

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٩٥ ).

فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ وكان موسى قد أوصى هارون فقال: إن رأيت من بني إسرائيل ما لا يسوغ فبالغ في اللطف؛ ليرجعوا عما هم عليه ، وإلا فالحق بي ، فأقبل موسى على السامري ، فقال : ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾ يعني : قد استقر عذر أخي ونطق بما يبرئه ، فما خطبك أنت يا سامري . والخطب: الأمر الذي له قدر وجلالة عند معتقديه. ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ وهو اخضرار الأرض تحت حافر فرس جبريل ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ﴾ حافر فرس ﴿ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا ﴾ في العجل ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ ﴾ أي : زينت أو سهلت .

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ أن لا يمسك إنسان ولا تمس أنت إنسانا إلا وأخذتكما الحمى ، يعني الماس والممسوس ، فكان يخرج في الفضاء ويرفع صوته: لا مساس لا مساس. ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا ﴾ في الآخرة ﴿ لَّن تُخْلَفَهُۥ ﴾ لابد لك من الحضور فيه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ﴾ بزعمك ﴿ ٱلَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ أي: على عبادته وتعظيمه ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ﴾ [1] أي: لنبردنه بالمبرد ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ ﴾ بعد ذلك ﴿فِي ٱلْيَمِّ ﴾ في البحر ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ الأصل : وسع علمه كل شيء ، ثم حول كما في قوله: ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[2] أي: شيب الرأس. ومثل ذلك الاقتصاص ﴿ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ ﴾ [3] من أخبارهم وقصصهم. ثم عظم (١٢٢/ ب ) أمر القرآن بقوله: ﴿ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴾ ثقيلاً ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ﴾ في عذاب جزائه، وقبح ذلك الحمل حملاً .

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ﴾ قال الحسن: الصُّور: جمع صورة [4] أي : نعيد الأرواح في الأجساد. وقيل : الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل ، ويقول : أيتها العظام البالية والأجساد المتلاشية ، والشعور المتمزقة والأوصال المتفرقة ، إن الله أمركن أن تجتمعن لفصل القضاء . وقيل:

---

(١) قرأ ابن جمَّاز: ( لنُحْرِقنَّه ) ، وقرأ ابن وردان: ( لنُحْرُقنَّهُ ) ، وقرأ جمهور القراء: ( لنُحَرِّقنَّهُ ).

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٧٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ٢٤٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥٢ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٥٨ ) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص: ٨٩ ) النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٢).

(٢) سورة مريم ، الآية ( ٤ ).

(٣) سورة هود ، الآية ( ١٢٠ ).

(٤) تقدم في سورة الكهف ، الآية ( ٩٩ ).

الأرض كلها هي الصور ينفخ إسرافيل فيها فتصل أثر نفخته بالأجسام ، فيقومون قائلين : سبحان الله وبحمده[١].

ومنه قوله - تعالى: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ [٢]. قوله: ﴿زُرْقًا﴾ أي: عطاشاً. وقيل: عميًا؛ لأن الأعمى تبقى في عينه زرقة . ﴿ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ ﴾ فإن الخوف يضعف الأصوات .

﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً ﴾ أتمهم عقلا ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ أرخ بالأيام وحق التأريخ أن يكون بالليالي، لكن ذاك يكون إذا اشتمل الزمان على وقتين ليل ونهار، وهاهنا ليس كذلك ؛ لأنهم أرادوا أنهم لبثوا بياض يوم ليس فيه شيء من الليل . ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾ أي: فيذر مواضعها. والقاع: الأرض المستوية المتسعة ﴿صَفْصَفًا ﴾ خالياً أو ممتداً. العوج بالكسر يكون في المعاني وبالفتح في المرئيات تقول: في دينه عِوج، وفي العصا عَوج [٣].

واعلم أن الأرض إذا مسحتها وسويتها بحيث لا يظهر لك فيها اعوجاج، وأنت لو قستها بالمسطرة حصل لك رؤية عوج يسير لا يدركه الطرف، فيلحق ذلك الطرف بالمعاني لكونه غير مرئي، فإذا نفي ذلك لزم منه نفيُ ما هو مرئي بطريق الأولى.

﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ أي: لا ارتفاعاً ولا انخفاضاً. ﴿يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ ﴾ هو إسرافيل ينادي: يا أيتها العظام البالية والأجسام المتلاشية ، والشعور المتمزقة والأوصال المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء . فإذا قاموا من القبور قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحان ربنا العظيم وبحمده[٤] (١٢٣ / أ ) ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٦ / ١٨٣ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور( ٧ / ٦١١ ) عن كعب .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٢ ).

(٣) قال الراغب الأصفهاني في معجم مفردات ألفاظ القرآن ( ص : ٣٦٣ ) : والعَوَج : يقال فيما يدرك بالبصر سهلا كالخشب المنتصب ونحوه ، والعِوَج : يقال فيما يدرك بالفكر والبصيرة . وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ( ٣ / ٣١٥ ) : وهو بفتح العين مختص بكل شيء مرئي كالأجسام ، وبالكسر فيما ليس بمرئي كالرأي والقول . وقيل : الكسر يقال فيهما معا ، والأول أكثر .

(٤) تقدَّم تخريجه قريبا .

﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١] فيه ثلاثة أوجه:

**أحدها**: إن لبثتم ما بين النفختين، فإنه روي: "أن العذاب يرفع عنهم ما بين النفختين فيقومون وفي أعينهم طعم النوم"[٢]، ولهذا قال الله – تعالى– حكاية عنهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾[٣].

**والثاني**: إن لبثتم في الدنيا، تضاءل عندهم اللبث في الدنيا حتى عدوه ساعةً ؛ لأن أيام السرور قصار .

**الوجه الثالث**: إن لبثتم في القبور. قالوا : ولم توصف القيامة بأهول من هذا ؛ فإنهم كانوا في القبور يعرض عليهم مقعدهم بالغداة والعشي بدليل قوله – تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾[٤] ومع ذلك رأوا أيام المقام في القبور كأنه نعمة ، فاستقصروا مدة إقامتهم في القبور.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ واعلم أن لها أحوالاً حالة تسير ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾[٥] وتارة تذهب قوتها فتصير ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[٦] وتارة تصير ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٧] وتارة كالرمل الذي يهال بعضه في إثر بعض ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾[٨] وتارة تسوى بها الأرض فلا يبقى فيها ارتفاع ولا انخفاض ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لا عوج لهم عنه ﴿وَخَشَعَتِ﴾ ذلت

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٢ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٨ / ٢١١ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٧ / ٦٣ ) بنحوه وعزاه لهناد في الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري .

(٣) سورة يس ، الآية ( ٥٢ ).

(٤) سورة غافر ، الآية ( ٤٦ ).

(٥) سورة النبأ ، الآية ( ٢٠ ).

(٦) سورة القارعة ، الآية ( ٥ ).

(٧) سورة الفرقان ، الآية ٢٣ .

(٨) سورة المزمل ، الآية ( ١٤ ).

وخضعت . ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ يعني: صوتاً خفياً. وقيل: لا يُسمع إلا صوت مشي الأقدام إلى المحشر والقيامة ، ففي بعضها ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[(١)]. وفي بعضها ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[(٢)].

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٣) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)﴾

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ لا تقع الشفاعة في الآخرة إلا بعد إذن من الله للشافع أن يشفع؛ لقوله - تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[(٣)] وأيضا لا تنفع الشفاعة في الآخرة إلا فيمن أذن أن يشفع فيه ممن قال لا إله إلا الله؛ لقوله - تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[(٤)] وقوله : ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ فيجازيهم على حسب علمه فيهم. ﴿وَعَنَتِ﴾ خضعت وذلت، والعاني الأسير. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ يجوز أن يراد من حمل كفرا، فلا تنفع فيه الشفاعة فيخيب، ويحتمل أن يريد مع ذلك مظالم العباد .

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ﴾ خبر مجرد ، ومن قرأ ( فَلا يَخَفْ ) (١٢٣/ب) فهو نهي عن الخوف[(٥)] ، وكيف ينهى عنه وهو يأتي بحكم الحال ، ولا يتمكن الإنسان من دفعه عن نفسه ، وهو إما نهي عما يقتضيه النهي من المعاصي والهَضم:

---

(١) سورة الطور، الآية ( ٢٥ ).

(٢) سورة الزمر، الآية ( ٣١ ).

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٥ ).

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ( ٢٨ ).

(٥) قرأ ابن كثير من العشرة ( فلا يخفْ ) ، وقرأ الباقون ( فلا يخافُ ). **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٢٨١)، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٤٧، ٢٤٨ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٦٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٥٨ )، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٢٤ ) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥٤) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٢ ).

النقص. يقال: هضيم الكشح، أي: صغيره، ومثل هذا الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ وقد يوجد فيه كلمات فارسية أو رومية قد عرِّبت وهو كما يقال: هذا ثور أسود، وإن كان في بعض قوائمه عشر شعرات بيض. ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ ليردهم ذلك التصريف عما هم عليه من العناد. ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ تذكُّرًا واتعاظا ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: جلَّ عما يقوله الكفرة من دعوى الشريك والولد له.

وكان النبي ﷺ إذا قرأ جبريل عليه ما نزل عليه من الوحي يلاحق جبريل في القراءة خشية أن يتفلت عنه بعضه ، فأنزل الله – تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [1] وهذه الآية ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي : من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته ، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يسكت حتى يفرغ جبريل من قراءته ، ثم يقرؤها النبي ﷺ فلا يخل منها بشيء[2] .

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ لم يعد بعض المفسرين آدم من أولي العزم ولا يونس ؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[3] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ قيل : جعله قبلة لهم ، والمراد : اسجدوا لجهته .

وقيل: اسجدوا لسجوده، أي: ليكون إماماً لكم وأنتم تقتدون به ، والصحيح أنهم أمروا أن يسجدوا لآدم تعظيماً له، وذلك لا يجوز في شريعتنا، وقد جاء في يعقوب وأولاده ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [4] وقوله : ﴿أَبَىٰ﴾ جملة مستأنفة ، جوابٌ لسؤال سائلٍ سأل فقال: ماذا صنع إبليس؟ فيقول له: أبى أن يسجد .

---

(١) سورة القيامة ، الآية ( ١٦ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٩٢٩ ) ، ومسلم رقم ( ١٤٧، ١٤٨ ).

(٣) سورة القلم ، الآية ( ٤٨ ).

(٤) سورة يوسف ، الآية ( ١٠٠ ).

وقد اختلف فيمن أمر بالسجود لآدم؛ فقال الأكثرون: إن المأمور جميع الملائكة، لم يخرج أحدٌ منهم من الأمر. وقيل: خرج منهم الملائكة المقربون ؛ لقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴾[1].

﴿ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ إن قال قائل : لم لا قال : فتشقيا عن آدم ( ١٢٤ /أ ) وحواء ؟

والجواب من وجهين : **أحدهما** : أن الذي يشقى بالنزول من الجنة هو الرجل دون المرأة فقد روي أن آدم عليه السلام أنزل له ثور من الجنة فحرث عليه حتى عرق جبينه فثبت السعي والتعب إلى آدم خاصة . وقوله : ﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا﴾ كقوله : لا أرينك هاهنا ، **والوجه الثاني** : أنه ما قال : فتشقيا لأجل تأخير رؤوس الآي وهو بعيد ؛ لأن القرآن ليس محل ضرورة . ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴾ القياس أن يُقابل كل شيء لشكله ، فيقال : إنك لا تجوع ولا تظمى ، ولا تعرى ولا تضحى . الضحاء: ممدود [وهو][2] حرُّ الشمس والضحى: مقصور جمع ضحوة . والوسوسة: الصوت الخفي .

﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾

﴿ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ ﴾ قال له إبليس أو أحد ذريته: الشجرة التي نهيت عن أكلها هي شجرة من أكلها خلد في الجنة، فلو أكلت منها لتبقى خالدًا لكان خيرا لك، وكذلك إذا أكلت منها فإنه يحصل لك ملك لا يبيد ﴿ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا ﴾ تساقط اللباس الذي كان عليهما، وشرعا يأخذان من أوراق الأشجار. ﴿ فَغَوَىٰ ﴾ الغيُّ: ضد الرشاد

(١) سورة ص ، الآية ( ٧٥ ).

(٢) ليست بالأصل.

﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ﴾ اصطفاه واختاره فهداه إلى التوبة والرجوع إلى الله. ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا﴾ وفي موضع آخر ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾ [(١)] المأمور بالهبوط آدم وحواء، وفي الآية الأخرى آدم وحواء وإبليس. ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ ( ما ) زائدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُم﴾ شرط ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ﴾ شرط ثان. ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ جواب للشرط الثاني، والشرط الثاني وجوابه جواب للشرط الأول. ﴿ضَنكٗا﴾ أي: ضيقة حرجة. ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ فتركت العمل بها، وقد استدل بذلك على إثم من نسي القرآن بعد حفظه، ولا حجة فيه؛ فإن أصل حفظ القرآن ليس بواجب[(٢)].

﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ تترك في العذاب ؛ كقوله: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡ﴾ [(٣)] وقوله : ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡ﴾ [(٤)] ومتى كان العذاب شديداً ولكنه قصير المدة فقد يتجلد المعذب وينتظر انقضاء الأمل القريب ، أما إذا كان العذاب دون ذلك ولكن أمده متطاول أو أشدُّ (١٢٤/ ب) من الأول ، فعذاب الآخرة في نفسه أشدُّ وهو أدوم. ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ﴾ أفلم يتبين ، والفاعل ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ ﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ فيرون آثار المهلكين المكذبين فيعتبروا ويرجعوا ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ جمع نهية وهي العقل ؛ لأنه ينتهي عن الفواحش ، كما سمي عقلا فإن عقال البعير يمنعه من الذهاب كيف مشى ، وسمي حجراً لأنه يحجز عن المعاصي ، أي : يمنعها .

﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٣٨ ).

(٢) يستحب حفظ القرآن إجماعا وحفظه فرض كفاية إجماعا وهو أفضل من سائر الذكر وأفضل من التوراة والإنجيل وبعضه أفضل من بعض ويجب منه ما يجب في الصلاة ويبدأ الصبي وليه به قبل العلم فيقرأه كله إلا أن يعسر والمكلف يقدم العلم بعد القراءة الواجبة كما يقدم الكبير نفل العلم على نفل القراءة في ظاهر كلام الإمام والأصحاب ويسن ختمه في كل أسبوع وإن قرأه في ثلاث فحسن ولا بأس به فيما دونها أحيانا وفي الأوقات الفاضلة كرمضان خصوصا الليالي اللاتي تطلب فيها ليلة القدر والأماكن الفاضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من قراءة القرآن اغتناما للزمان والمكان ويكره تأخير الختم فوق أربعين بلا عذر ويحرم إن خاف نسيانه ـ قال أحمد: ما أشد ما جاء فيمن حفظه ثم نسيه . **ينظر**: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ( ١ / ٢٦٤ ) ، الإقناع للبهوتي (١/١٤٨).

(٣) سورة التوبة ، الآية ( ٦٧ ).

(٤) سورة السجدة ، الآية ( ١٤ ).

رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ ﴾

﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير عذاب الكفار إلى البعث ﴿ لَكَانَ ﴾ التعذيب لازماً لهم ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴾ بتأخير العذاب على من كفر إلى يوم القيامة. ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ معطوف على ﴿كَلِمَةٌ﴾ أي: ولولا كلمة وأجل مسمى. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر ، وقبل الغروب: صلاة الظهر والعصر ﴿ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ ﴾ المغرب والعشاء. وآناء الليل: ساعاته. ﴿ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ وقرأ الكسائي وأبو بكر (لَعَلكَ تُرْضَى) بضم التاء[1]. ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ استحسانا إلى ما زينه أهل الدنيا من المساكن والملابس والمراكب؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك لينظر إليه ويستحسن .

﴿ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقرئ ( زَهَرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا ) بفتح الهاء[2] زَهَرَة: جمع زاهر، ككاتب وكتبة . ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ في الجنة . ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ وكان بعض السلف إذا دهمه خطب فزع إلى الصلاة وتلا هذه الآية[3] . ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ ﴾ الحميدة ﴿لِلتَّقْوَىٰ ﴾ ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا ﴾ هلا ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ وهو القرآن المجيد المصدق لما سبقه من الكتب ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي : من

---

(١) قرأ الكسائي وشعبة عن عاصم " لعلك تُرْضَى "، وقرأ باقي العشرة " لعلك تَرْضَى" .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٩٠ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٤٨ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٤٦٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٦٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٢٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٥٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٢ )

(٢) قرأ بها يعقوب ، وقرأ العامة " زهْرة " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٩١ ) ، تفسير القرطبي (١١/ ٢٦٢)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٦٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٩٨ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٢ ).

(٣) وورد هذا مرفوعا للنبي ﷺ رواه البيهقي في شعب الإيمان ( ٣ / ١٥٣ ) عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام قال : " كان رسول الله ﷺ إذا نزل بأهله شدة - أو قال: ضيق - أمرهم بالصلاة وتلا ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ الآية " .

قبل بعثة الرسل وإنزال الكتب ﴿لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ بالعذاب ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ به.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ (١٣٥)﴾

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي: أنتم تنتظرون هلاكي، وأنا أنتظر أن يبتليكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا. ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ (١٢٥/أ) هو كقوله - تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1].

* * *

---

(١) سورة الإسراء، الآية (١٥).

## سورة الأنبياء [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾

﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ عبر بالحساب عن المجازاة وكان اقترابه ما حل بهم في وقعة بدر من القتل والأسر. وقيل : أراد حساب يوم القيامة ، وفي قربه وجهان:

**أحدهما** : أنه آتٍ ، وكل ما هو آت قريب .

**والثاني** : أن معناه أن زمان بقاء العالم قد بقي أقلّه وهو انقضاء أيام البقاء في الدنيا . وقوله : ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ أي : اقترب منهم . ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ المراد بقوله : ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي : يشتغلون بدنياهم ، وقال - تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [1] وقيل : ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي : يلهون . وقيل : يشتغلون بالقدح فيه والاعتراض عليه . وقوله : ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ جملة حالية ، وقوله : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ جملة أخرى ، فالأولى حال من واو ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾ والثانية فيها وجهان:

**أحدهما** : أنها حال من واو ﴿ ٱسْتَمَعُوهُ﴾ .

**والثاني** : أنها حال من الضمير في ﴿ يَلْعَبُونَ ﴾ فتكون الحالان متداخلتين ، وعلى الأول تكونان مترادفتين .

وفي معنى ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ وجهان :

**أحدهما** : مشتغلين عن الذكر بالطعن في القرآن .

**والثاني** : مشتغلين بالباطل عن الحق .

وفيه وجه ثالث قاله المتصوفة : أنها غافلة عما يراد بها ومنها.

---

(١) سورة محمد ، الآية ( ٣٦ ).

وقوله – عز وجل : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ﴾ أي : أخفوا فيما بينهم التناجي بالباطل .

**وقيل** : أسروه : أظهروه . قال الماوردي[1]: وأَسَرَّ يستعمل في الإخفاء والإظهار ، وإن كان الظاهر استعماله في الإخفاء حقيقة إلا بدليل .

قوله: ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ ﴾ قيل : أفتقبلونه وأنتم تعلمون أنه سحرٌ ؟ وقيل: أفتعدلون إلى الباطل وأنتم تعلمون الحق ؟ الواو في ﴿وَأَسَرُّواْ ﴾ يجوز أن تكون دالة على جمع الفاعلين ولا تكون ضميراً. وقيل: هي على لغة من يقول : أكلوني البراغيث[2].

وقيل: أسروها للذين ظلموا فحذف الجار ومثله ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [3] والتقدير: قائلين: ﴿ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾.

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

وقوله : ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمِۭ ﴾ أي ( ١٢٥/ ب ) تهاويل أحلام . وقيل: ما لا يفسر من الأحلام ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ قيل : هم أهل التوراة والإنجيل . وقيل: علماء المسلمين . وقيل: من أسلم من علماء اليهود والنصارى .

قوله – تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا ﴾ الآية قيل : معناه وما جعلنا الأنبياء قبلك أجساداً ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ ولا يموتون كذلك ، فعلى هذا يكون الجسد ما لا يأكل ولا يشرب، ويكون قوله: ﴿ لَّا يَأْكُلُونَ ﴾ تفسيرا لـ « جسد ».

---

(١) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٣٧ ).

(٢) تقدم في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ٧١ ).

(٣) سورة المائدة ، الآية ( ٧١ ) .

وقيل: المراد أنهم ليسوا أجساداً ، والجسد ما يأكل ويشرب ، وأفرد الجسد ؛ لأن المراد التمييز بهذا الجنس ، وهو كقوله - تعالى: ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [(١)] قوله - عز وجل: ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفكم ؛ لنزوله بلغتكم أولاً ، مشتمل على ذكر مصالحكم في دينكم ودنياكم

قوله : ﴿ مِّنْهَا ﴾ أي : من القرية . وقيل: من العذاب. قوله: ﴿ أُتْرِفْتُمْ ﴾ أي: نُعِّمْتُم . قوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴾ أي : من دنياكم شيئا قالته الملائكة استهزاء بهم[(٢)].

وقال ابن بحر[(٣)]: لعلكم تسألون عما كنتم تعملون من الذنوب حتى استوجبتم هذا التعذيب[(٤)].

﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ ﴾ بالثبور والويل حتى هلكوا. وقوله: ﴿تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ معرفتان يجوز جعل كل واحدة منهما اسماً لـ ﴿ فَمَا زَالَت ﴾ والأخرى خبرا والحصيد: الاستئصال ، والخمود : الهمود ، يقال: خمدت النار إذا انطفأت ، فشبَّه خمود الحياة بخمود النَّار ، كما يقال لمن مات: قد طفي. قوله : ﴿لَهْوًا﴾ قيل: ولداً . وقيل: زوجة. وقيل: المراد الداعي إلى الشهوات، وأنشد الماوردي [ من الطويل ] :

.......................... وللهوِ داعٍ دائبٌ غيرُ غافلِ[(٥)]

---

(١) سورة غافر ، الآية ( ٦٧ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٨ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٦١٨ ) لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٣) هو ابن بحر بن بري البابسيري يروي عن ابن عيينة توفي سنة أربع وثلاثين ومائتين ( ٢٣٤ هـ ).

تنظر ترجمته في : اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ١٠٠).

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٣٩ ) عن ابن بحر .

(٥) هذا عجز بيت للأحوص ، وصدره :

ويلحينني في اللهوِ ألا أحبَّهُ ..........................

ينظر في : تفسير الطبري ( ١ / ١١٢ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ٩٥ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٣٩ ).

قوله عز وجل : ﴿ مِن لَّدُنَّآ ﴾ أي : من عندنا . قال ابن جريج[(١)]: أي : لاتخذنا ولداً ونساءً من أهل السماء لا من الأرض[(٢)] . قوله: ﴿ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ أي: لاتخذناه من السماء بحيث يخفى علمه عليكم . قوله: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ ﴾ الحق هو المشروع ، والباطل هو المدفوع . وقيل: الحق: القرآن ، والباطل : إبليس .

وقيل: الحق المواعظ، والباطل: المعاصي، جعل الباطل كصورة صنمٍ سقط عليه حجر ثقيل فوصل إلى دماغه فهلك ( ١٢٦ /أ ) والشجة إذا وصلت إلى أم الدماغ وخرقتها تسمى دامغة، جعل ذلك مثلاً لهلاك الباطل وأمن لمآثر الإسلام ، والباطل الشرك. ﴿زَاهِقٌ ﴾ أي: هالك .

قوله: ﴿ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ لا يتعبون ولا يعيون ، يقال: حسر البعير: إذا أعيا ، ومنه قوله: ﴿ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [(٣)] قوله : ﴿ يُنشِرُونَ ﴾ أي : يحيون الموتى ، ومنه قوله - تعالى : ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ [(٤)] وقوله : ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ [(٥)] ومعناه : أن الإله يجب أن يكون قادراً على إحياء الموتى .

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ

---

(١) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو خالد وأبو الوليد القرشي الأموي المكي صاحب التصانيف وأول من دون العلم بمكة ، كان ثقة حافظا لكنه كان يدلس بلفظة "عن" وقد كان صاحب تعبد وتهجد وما زال يطلب العلم حتى كبر وشاخ ، ومات سنة خمسين ومائة. **تنظر** ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٦ / ٣٢٥ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٠ ).

(٣) سورة الملك ، الآية ( ٤ ).

(٤) سورة عبس ، الآية ( ٢٢ ).

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٩ ) وهذه قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو " ننشرها " بالراء ، وقرأ الباقون " ننشزها " بالزاي. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ / ٢٩٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٦٢٧ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:١٨٩) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٠٧ ).

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ قيل: ﴿إِلَّا﴾ بمعنى سوى. وقيل: بمعنى الواو، تقديره: لو كان فيهما آلهة إلا الله ومعهم الله لفسدتا، فعلى الأول يكون إبطالاً لاتخاذ الشريك، وعلى الثاني يكون إبطالاً لإلهية غير الله لعجزه عما يقدر الله عليه.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ قيل: لا يُسأل عن قضائه، والخلق يُسألون. قوله: ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: بإبطال الشريك ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ أهل الكتاب، يشهدون بالتوحيد. قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا. وقيل: ما قدَّموا وأخروا. وقيل: ما قدموا: ما عملوا، وما أخروا: ما لم يعملوا. قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ أي: في الدنيا ﴿إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ وقيل: في الآخرة.

قوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من الملائكة ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ﴾ دون الله، احتجَّ به قوم زعموا أن الأنبياء ليسوا بمعصومين، وكذلك قصة هاروت وماروت، وقصة إبليس وامتناعه من السجود لآدم. قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ﴾ معناه: أو لم يعلم، فإنهم علموا ذلك من جهة الوحي. قوله: ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا﴾ متصلتين ففتق بين السماوات والأرض بالهواء. وقيل: كانت كل واحدة من السماوات ومن الأرضين مرتقة متصلة، ففتق بينهن. وقيل: المعنى بفتق السماوات إنزال المطر من السماوات، وإخراج النبات من الأرض. قوله - عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ قيل: جعل حياة كل الحيوان بالماء. وقيل: جعل كل حيوانٍ مخلوقاً من النطفة. وقيل: جعل بقاء الحيوانات بالماء وهو عامٌّ مخصوص (١٢٦/ ب).

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ

ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾ أي : ثابتات. وقيل : مثبتات ، فإن الجبال هي التي أرست الأرض . ﴿ أَن تَمِيدَ ﴾ أي : تضطرب . وقيل: تزول . الفجاج : الطريق الواسعة بين جبلين . وقيل : إنها الأعلام التي يهتدى بها ، وفي السبل وجهان :

**أحدهما** : الطرق . **والثاني** : طرق الاعتبار .

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ أي : من أن تقع على الأرض .

وقيل : محفوظاً من الشياطين . قوله – عز وجل : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ قيل : الفلك السماء . وقيل: هو القطب المستدير يدور بدورانه الفلك ، ثم قيل : إن السماء تستدير فتستدير بدورانها الكواكب والشمس والقمر . وقيل: السماء لا تتحرك ، إنما المتحرك هو الفلك الدائر بالنجوم والكواكب .

وقوله تعالى: ﴿ وَنَبْلُوكُم ﴾ أي : نعاملكم معاملة المختبر . قوله ﴿ بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ ﴾ قيل : الشدة والرخاء . وقيل: الشر : الفقر والمرض. والخير: الغنى . وقيل: الشر: غلبة الهوى على النفس . والخير: العصمة . وقيل: ما تحبون وما تكرهون ؛ ليعلم شكركم فيما تحبون وصبركم على ما تكرهون.

قوله عز وجل: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ قيل : الإنسان آدم ، خلقه ولم ينفخ فيه الروح فسأل ربه إحياءه . وقيل : العجل الطين ، قال الشاعر [ من البسيط ] :

والنخلُ تنبتُ بينَ الماءِ والعَجَلِ[١]

قوله تعالى : ﴿ يَكْلَؤُكُم ﴾ أي : يحفظكم ، قال الشاعر [ من المنسرح ] :

إنَّ سُليْمَى واللهُ يكلؤُها ضَنَّتْ بشَيْءٍ ما كانَ يرزَؤُها[٢]

وظاهر الآية الاستفهام ، ومعناها النفي ، أي : لا يكلؤكم أحد . قوله - تعالى : ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ أي : لا يجارون ، ومنه قوله : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾[٣] .

وقيل : يحفظون . وقيل : ينصرون . وقيل : ولا يصحبون من الله بخير.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا

---

(١) هذا عجز بيت وصدره :

النبعُ في الصخرةِ الصماءِ منبتُهُ ..................

ينظر في : تهذيب اللغة للأزهري ( ١ / ٣٦٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٥٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١١٧ ) ، لسان العرب ( عجل ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٤٥ ) والنبع : شجر تتخذ منه القسي ، والصماء : الصلبة ، والعجل : الطين بلغة حمير .

(٢) البيت لابن هرمة ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني ( ٣ / ٢٣٦ ) ، البيان والتبيين للجاحظ (١/ ٣٢٠) ، تاج العروس للزبيدي ( كلأ ) ، تفسير القرطبي ( ١١ / ٢٥٥ ) ، لسان العرب ( كلأ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٤٥ ).

(٣) سورة المؤمنون ، الآية ( ٨٨ ).

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله – تعالى: ﴿ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قيل : بفتح بلاد المشركين . وقيل: بنقصان أهلها وقلة بركتها . وقيل : بموت فقهائها وعلمائها ، والقول الثاني والثالث مشكلان ، أما الثاني فلقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴾ ولم يكن قد ظهر على المسلمين فتح بلاد ؛ لأن هاتين الآيتين من سورتين مكيتين ، ولم يحصل فتح في ذلك الزمان . وأما الثالث وهو موت الفقهاء فأي فقيه يتأثر الناس بموته مع حياة رسول الله ﷺ . (١٢٧ / أ)

﴿الْفُرْقَانَ ﴾ في أصله مصدر فرق يفرق ، ويجوز إطلاقه على كل فرق . فقيل: هو التوراة. وقيل: هو البرهان الذي أتى به موسى ، ففرق بين حقِّ موسى وباطل فرعون[١] .﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ وقيل : موعظة. وقيل: هو نصر موسى وأشياعه وهلاك فرعون وأتباعه. قوله: ﴿ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ ﴾ هو النبوة . وقيل: هو أَنْ أوتي العلم صغيراً ، فجادل قومه في إبطال مذهبهم بالكوكب والقمر والشمس .

قوله: ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ أي : من قبل إيتاء النبوة . وقيل: من قبل موسى وهارون. ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ وكنا بصلاحيته للنبوة وإيتاء الرشد عالمين . قوله: ﴿ جُذَاذًا ﴾ أي : قطعاً. قوله: ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ أي: بمرأى منهم . قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ أي : يشهدون بما جرى من إبراهيم من الحجة ، ومن النمرود من الجدال بالباطل .

وقيل: لعلهم يشهدون عليه بما جرى منه من انتقاص أصنامهم . قوله – تعالى : ﴿كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ مشروط بشرطٍ ، هو ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ أي: إذا صلحوا للجواب عن ذلك صلحوا لكسر الأصنام. قوله – عز وجل: ﴿ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ قيل: هو حقيقة أن فكَّر كلٌّ واحدٍ في نفسه وشاور رفيقه في ذلك . وقيل: رجع بعضهم إلى بعضٍ؛ كقوله : ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ﴾ [٢] أي: لا يخرج بعضكم بعضا.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٣٤ ).

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٨٤ ).

قوله - عز وجل: ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ في عبادة من لا يستطيع جواباً.

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ رجعوا إلى الباطل بعد اعترافهم بالحق . وقيل: رجعوا إلى مجادلة إبراهيم وقالوا: ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ وقيل: طأطأوا رؤوسهم حين وردت عليهم حجة إبراهيم، فإمَّا أن يكون ذلك تعظيما لما جاء به إبراهيم ، أو تحقيراً له .

قوله - تعالى: ﴿ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا ﴾ إن سألتموه النفع ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتم عبادته. ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ مذكور في سبحان[1]. قوله - تعالى: ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ تعريض بنسبتهم إلى الجهل، أي: مَنْ جادل هذه المجادلة فلا عقل له. وقال ابن عمر ومجاهد وابن جريج: القائل كان كرديًّا مقيماً ببلاد فارس. وقيل: إنه رجل قال ذلك فخسف الله به الأرض - قاله الماورديُّ - فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[2]. (١٢٧ / ب ).

وقيل : إن إبراهيم لما أوثق ليلقى في النار قال : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك[3]. وقال ابن عمر: كانت كلمة إبراهيم حينئذ: حسبي الله ونعم الوكيل[4]. وقيل: فما أحرقت النار منه إلا وثاقه[5]. قال ابن جريج: ألقي إبراهيم في النار وعمره ست وعشرون سنة[6]. قال الكلبي: بنوا له أتوناً وألقوه فيه بعد أن ملئ ناراً، ثم

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ٢٣ ).

(٢) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٤٨) ورواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٤٣ ) عن مجاهد.

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٤٨ ).

(٤) وقع في الأصل ابن عمر، وهو ما ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣/ ٤٨)، وذكره في السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٣٩) ونسبه لابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو . ورواه البخاري رقم ( ٤٢٨٨ ) عن ابن عباس قال: " كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار حسبي الله ونعم الوكيل ".

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٤٤) عن قتادة ، ورواه كذلك وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٣٩ ) ونسبه لابن أبي شيبة وابن المنذر عن كعب .

(٦) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٤٨ ) بهذا اللفظ، ورواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٤٥ )=

فتحوه من الغد، فإذا هو لم يحترق منه شيء ، وأرض الأتون باردة[١].

قال أبو العالية : لو لم يقل : ﴿ وَسَلَٰمًا ﴾ لأتلفته ببردها ، ولو لم يقل: ﴿ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ لكانت برداً على الناس كلهم إلى يوم القيامة[٢].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾

ولوط هو ابن أخي إبراهيم، فآمن بإبراهيم ، ومنه قوله - تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ ﴾[٣] وهاجر معه لوط إلى أرض الشام ﴿ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴾ قيل: هي مكة. وقيل: بيت المقدس. وقيل: من أرض العراق إلى أرض الشام. وفي بركتها وجوه:

**أحدها:** أن أكثر الأنبياء بعثوا من بيت المقدس . وقيل: بكثرة خصبها ونموِّ نباتها.

وقيل: بعذوبة مائها وتفرقه في الأرض من تحتها . وعن بعضهم: ما من عين تظهر في الأرض إلا وينبوعها من بيت المقدس . ﴿ نَافِلَةٗ ﴾ولد الولد ، وكان يعقوب ولد ولد إبراهيم ، والمراد هاهنا ذلك . وقيل : إنها الزيادة في العطاء وإسحاق ويعقوب كلاهما نافلة؛ لأن إبراهيم دعا بطلب الولد فأجيب دعاؤه .

قوله: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا ﴾ قيل: هو القضاء بالحق . وقيل: النبوة ﴿ وَعِلۡمٗا ﴾ يعني

---

= عن شعيب الجبائي قال: " ألقي إبراهيم في النار وهو بن ست عشرة سنة ".

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٤٨).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٤٨) بهذا اللفظ . ورواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٤٥ ) عن أبي العالية بنحو ذلك ، ورواه عن كعب وغيره بنحو ذلك .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٢٦).

فقهاً. قوله - تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾ قيل : هو اللواط .

وقيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم ، ويفعلون الفاحشة التي هي اللواط بحضرة بعضهم لا يتحاشون من إظهارها[1]. ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ أي: من قبل إبراهيم قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[2].

﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ والخسف بمدائنهم ورميهم بالحجارة ، ويحتمل: ونجَّاه من أذى قومه بإغراقهم ، ويحتمل أن نجَّاه من رؤية المعاصي في الأرض . قوله - تعالى: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ ﴾ خلصناه ، وإذا جاء معها "من " فهي للتخليص ، وإن جاء معها "على" فهي للظهور والاستعلاء . ﴿ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ كان زرعاً وقعت فيه الغنم ليلاً. وقيل: كان كرماً ظهرت عناقيده. ﴿ نَفَشَتْ فِيهِ﴾ رعته (١٢٨/أ ) والنفش: الرعي ليلاً ، والهمل : رعي النهار[3]. قوله - تعالى: ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ فيه قولان:

**أحدهما**، وهو قول الأكثرين: أن حكم داود وسليمان كان حكما واحداً صواباً اختلف فيه الفهم، فأصاب سليمان ، وخفي الصواب عن داود ، والأنبياء لا يعصمون من الخطأ ولكن لا يقرون عليه . **والثاني** : أنه كان حكماً اتفقا عليه ؛ لأن الله - تعالى- أثنى عليهما.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾

وقوله: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ ففضله على داود ؛ لأن سليمان أوتي الحكم صغيراً ، وداود أوتيه كبيراً، وكان داود قد قضى بالغنم لصاحب الزرع ، استدراكاً لما أفسدته غنمه ، وأما سليمان فرأى أن يكلف صاحب الغنم أن يزرع زرعاً ، فإذا أدرك الزرع وصار بمنزلته يوم رعي أعيدت الغنم لصاحبها ، واستقر الزرع بيد الآخر . وهذه الأحكام كانت في

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٤٥ ) عن عائشة - رضي الله عنها .

(٢) سورة نوح ، الآية ( ٢٦ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٥٣ ) عن قتادة .

شريعة من قبلنا فلا يلزمنا العمل بها .

قوله : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴾ قيل : كان تسبيحها أن تسير معه إذا سار . وقيل: صلواتها معه[1]. وقيل: هو تسبيح مسموع مفهوم كان داود يسمعه؛ لأنه أوتي علم منطق الطير. قوله – عز وجل: ﴿ صَنْعَةَ لَبُوسٍ ﴾ قيل: اللبوس الدروع . وقيل: آلات الحرب كلها. ﴿ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ إذا حاربتم أعداءكم . ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ استبطاء لشكرهم ، وهو استفهام معناه الأمر. ﴿ عَاصِفَةً ﴾ شديدة. وقيل : أصلها أن الريح العاصفة تحمل التبن وتفرقه في أماكن . والعصف: اسم للتبن ، ومنه قوله : ﴿ رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾[2] ﴿ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴾[3] ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾[4].

﴿ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ببعث الأنبياء ؛ فإن أكثرهم مبعوث من الشام ، أو لأن سائر منابع الماء في الأرض أصله من تحت صخرة بيت المقدس . وقيل: بالخصب والبركات.

قوله – عز وجل: ﴿ وَأَيُّوبَ ﴾ كان له مال وولد فهلك جميعهم ونحل جسده ، وانقطع عنه من كان يزوره ، وسعى الدودُ في جسده وهو لا يقطع ذكر الله وتسبيحه ، فاستشار إبليس ذريته فيما يبتلي به أيوب ، فقالوا له : إنما عصى آدم من قِبَلِ ما وَسْوَسْتَ لزوجته فافعل مثل ذلك بأيوب وكانت امرأة أيوب تتصدَّق من الناس وتطعم أيوب ، فجاء إبليس (١٢٨/ ب) على صورة عظيمة ، فقال لها : لولا أن ربك غضب على أيوب ما ابتلاه بهذا البلاء ، اذبحوا على اسمي وأنا أبرئه لك من المرض ، فجاءت إلى أيوب وقالت : يا أيوب أين المال وأين الولد وأين لونك ؟ اذبح هذه السخلة على اسم أبي مُرةَ . فقال لها : أتاك الشيطان ووجدك قد أصغيت إليه ، والله لئن عوفيت لأجلدنك مائة جلدة ، وحرام عليَّ أن آكل مما تحضريه شيئاً ، فانقطعت عنه وبقي ملقىً على كناسةٍ ، فسجد لله وقال : ﴿ مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ فأصلح الله جسده ، وردَّ من فُقِدَ من أولاده .

وقوله: ﴿ مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ﴾ قيل: هو المرض. وقيل: انقطع عنه الوحي أياماً فخشي على

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ٥٤ ) عن قتادة.

(٢) سورة يونس، الآية (٢٢).

(٣) سورة الرحمن، الآية (١٢).

(٤) سورة الفيل، الآية ( ٥).

نفسه هجران ربه. وقيل: هو الشيطان؛ لقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[(١)].

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

وأفتى الله أيوبَ أن يضربها بشيء من الضغث وهو الحشيش البالي، ويكون عدده مائة ضغثا ففعل ذلك، وأحيا الله ذريته على ما وصفنا، أحياهم بأعيانهم ، ورزقه مثلهم معهم وقيل : أعاد له أمثالهم ولم يعدمهم بأعيانهم .

قوله: ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قيل: هو نبي وهو اليسع . وقيل: ليس نبيًا، بل كان قد كفل لنبي قيل: إنه اليسع بأن يقوم مقامه فوفى بذلك. وقوله - تعالى: ﴿مُغَٰضِبًا﴾ أي: للملك، وكان رجلاً لا بأس به. وقيل: مغاضباً لقومه. وقيل: لربه. ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ أي: وصاحب الحوت؛ كقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾[(٢)] وسبب مغاضبته لقومه أنه كان من شرعهم أن من كذب قتل، وكان يونس قد وعد قومه بمجيء العذاب بعد ثلاثة أيام ، ثم رفع الله عنهم العذاب بدليل قوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[(٣)] وقيل: مغاضبته أنه كان في خلقه حرج فتوجه ذاهباً عن قومه من غير استئذان لربه ، فكانت تلك معصيته. وقيل: لما حُمِّل النبوة تفسخ تحتها تفسخ الرُّبَعُ[(٤)] تحت الحمل الثقيل، وقال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[(٥)]. وقوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نضيق، وقرأ ابن عباس: ﴿أَن لَّن نُّقَدِّرَ عَلَيْهِ﴾ بالتشديد[(٦)] ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة

---

(١) سورة ص، الآية (٤١).
(٢) سورة القلم ، الآية ( ٤٨ ).
(٣) سورة يونس ، الآية ( ٩٨ ).
(٤) **الرُّبَعُ**: الفصيل يُنْتجُ في الربيع، والفصيل: ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه، انظر المعجم الوسيط (مادة : ربع).
(٥) سورة القلم ، الآية ( ٤٨ ).
(٦) قرأ بها ابن عباس والزهري وعمر بن عبد العزيز، وقرأ يعقوب من العشرة " يُقْدَرَ "، وقرأ باقي العشرة " نَقْدِرَ " **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٣٣٥ )، تفسير القرطبي (١١/ ٣٣٢ )، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ١٠٥)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣١ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٤).

الليل والبحر وبطن الحوت. وقيل: إن حوتا ابتلع الحوت الذي فيه يونس، وأجاز الماوردي[١] أن يراد ظلمة الخطيئة والشدة والوحدة، لكن فيه حمل المشترك على معانيه، وهو لا يجوز (١٢٩/أ) على المختار ولم يكن ابتلاء يونس عقوبة؛ لأن الأنبياء لا يجوز أن يعاقبوا، بل كان تأديباً، وقد يؤدب من لا عقاب عليه، واستجابة الداعي ثواب من الله للداعي.

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله - تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ﴾ قيل: هو من ظلمة الخطيئة، وقيل: من غمٍّ بطن الحوت، وروي أن الله - تعالى- أوحى إلى الحوت ألا يكسر له عظماً ولا يخدش له جلداً، وأني جعلت حبسه تأديباً، وجعلت بطنك محبساً له، ولم أجعله غذاء لك[٢].

قيل: أقام في بطنه أربعين يوماً[٣]. وقيل: ثلاثة أيام. وقيل: من ارتفاع النهار إلى آخره[٤]. وقيل: أربع ساعات[٥]. قوله - تعالى: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ قيل: كانت عاقراً فصارت ولوداً. وقيل: كانت سيئة الخُلق فحسَّنَ الله خُلقها له. ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ يبادرون ﴿ رَغَبًا ﴾ في ثوابنا ﴿ وَرَهَبًا ﴾ من عقابنا. وقيل: ﴿ رَغَبًا ﴾ ببطون الأكف، و﴿ وَرَهَبًا ﴾ بظهورها، ويحتمل: رغبةً في الخير واستدفاعاً للشر، قاله الماورديُّ[٦].

﴿ خَٰشِعِينَ ﴾ متواضعين. وقيل: هو وضع اليمين على الشمال والنظر إلى موضع

---

(١) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٩).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٥٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣ / ١٠١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ١٢٧) لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن السدي عن أبي مالك.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسير (١٠ / ٣٢٢٩)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧ / ١٢٧) لعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم عن الشعبي قال: " التقمه الحوت ضحى ولفظه عشية ما بات في بطنه".

(٥) ذكر بقية الأقوال الماوردي في النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٨ - ٥٩).

(٦) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي (٣ / ٥٩).

السجود في الصلاة.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ بالعفاف ، فامتنعت عن الفاحشة . وقيل: منعت جيب درعها من جبريل قبل أن تعلم أنه رسول الله - عز وجل.

قوله - عز وجل: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أضاف الروح إليه تشريفاً. قيل: نفخ جبريل في جيب درعها فحملت لوقتها.

قوله - عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنها حملت من غير مسٍّ ذكر، وتكلم في المهد بالوحدانية ، وبراءة والدته عن الفاحشة ، فجعل مجموع ذلك آية ، ولو قال : آيات. لجاز. قيل: ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ دينكم، ومعناه: أنكم كلكم أمة واحدة فلا تكونوا إلا على دين واحد. قوله - عز وجل: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا في أديانهم .

قوله - عز وجل: ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ قيل: معناه: وحرام على قرية وجدناها هالكةً بالذنوب أنهم لا يرجعون إلى التوبة. وقيل: لا يرجعون إلى الدنيا. ﴿ فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ أي: فتح سَدُّهم . وعن أم سلمة: « استيقظَ رسولُ الله ﷺ من نومٍ محمرةً عيناهُ ، فقال : لا إله إلا الله ( ١٢٩/ب ) ثلاثاً ، ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقتربَ، فُتِحَ اليومَ من ردمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثل هذه الإبهام والتي تليها»[1]. يأجوج ومأجوج من أولاد نوح، واسمهما مشتق من: أجَّة النار: صوتها إذا اشتعلت. وقيل: من الماء الأجاج. وهما بعيدان؛ لأن يأجوج ومأجوج غير مصروفين ، وهما أعجميان ، فكيف يشتق العجم من لغة العرب ؟ وكذلك قال من اشتق إبليس من الإبلاس ونوحاً من النياحة وقابيل وهابيل وغيرهما من الأسماء الأعجمية.

وقيل: إنهم يزيدون على من سواهم بالضِّعف. الحدب: ما ارتفع من الأرض.

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٣٣٤٦ ) ، ومسلم رقم ( ٢٨٨٠ ) عن أم سلمة - رضي الله عنها .

وقيل: الحدب الفجاج والطرف وهو مأخوذ من حدب الظهر. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون، والنسلان: ضرب من السَّير، وفي الذين ينسلون وجهان:

**أحدهما**: يأجوج ومأجوج يخرجون إذا فتح ردمهم.

**والثاني**: أنهم الناس يحشرون إلى الموقف.

﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (٩٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣)﴾

قيل: الواو في ﴿وَاقْتَرَبَ﴾ زائدة؛ لأنها جواب الشرط ولا مدخل للواو فيه[١].

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قيل: وقودها. وقيل: حطبها، وقرأ ابن مسعود (حَضَبُ جَهَنَّم) بالضاد المعجمة الساقطة[٢] يقال: حضبت النار، إذا ألقيت فيها ما يشعلها بعد همودها ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ قيل: الطاعة لله - تعالى - وقيل: السعادة من الله - تعالى.

وقيل: الجنة. وقيل: قبول التوبة وهو احتمال للماوردي[٣]. ﴿مُبْعَدُونَ﴾ أي: عن جهنم

---

(١) ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم بن برهان من البصريين، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز.

**ينظر** تفصيل المسألة في: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ( ١ / ٤٠٧ )، المسألة ( ٦٤ )، شرح المفصل لابن يعيش ( ٨ / ٩٣ )، المغني لابن هشام ( ١ / ٥٨١ ).

(٢) قرأ بها ابن عباس. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٣٤٠ )، تفسير القرطبي (١١ / ٣٤٣ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١١٣ )، فتح القدير للشوكاني ( ٣ / ٤٢٨ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣٦ )، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٦٦ )، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٦٢).

قال الفراء: ذكر لنا أن الحضب في لغة أهل اليمن: الحطب، ووجه إلقاء الأصنام في النار مع كونها جمادات لا تعقل ذلك ولا تحس به: التبكيت لمن عبدها وزيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم.

(٣) **ينظر**: النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٦٢ ).

قيل: هم عيسى والعزير والملائكة الذين عُبدوا من دون الله كارهين[(١)].

وقيل: هم عثمان وطلحة والزبير، رواه النعمان بن بشير عن علي بن أبي طالب[(٢)].

وقيل: هي عامة في كل من سبقت له من الله – تعالى – الحسنى[(٣)].

قيل: لما نزل قوله – تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قال المشركون: فقد عبدت الملائكة وعيسى والعزير فلآلهتنا بهم أسوة، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾[(٤)]. ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ ذبح الموت. وقيل: النفخة الأخيرة. وقيل: إطباق جهنم على من فيها.

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾

﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ الصحيفة تطوى على ما فيها من الكتابة، قيل: ملك يكتب أعمال العباد. وقيل: هو رجل إنسي كان يكتب لرسول الله ﷺ. ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ الكتب التي أنزلها الله – تعالى – على جميع الأنبياء و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ (١٣٠/أ) التوراة وقيل: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ زبور داود و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ توراة موسى.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٦) عن مجاهد وأبي صالح.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٨١) ونسبه لابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه عن النعمان ابن بشير ﷺ.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٦).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ٩٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٦٧٩) للفريابي وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس – رضي الله عنهما.

قوله - عز وجل: ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ أرض الجنة[١]. وقيل: هي الأرض المقدسة[٢]. وقيل: هي أرض الدنيا ترثها أمة نبينا ﷺ[٣].

﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا ﴾ أي: القرآن. وقيل: التوراة ﴿ لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ يثبطهم عن المعاصي ويرغبهم في الطاعة . عابدون : مطيعون . وقيل : عالمون . ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ هي الهداية والتوفيق . وقيل: هي ما رفع عن هذه الأمة من عذاب الاستئصال.

فإن قيل: من المراد بالرحمة ؟ قلنا : إن كان المراد بالهداية الرحمة فالمراد الخصوص ، وهم المؤمنون . وإن كان المراد ما رفع عنهم من عذاب الاستئصال فهو باقٍ على عمومه. قوله - تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: عن الرسول ، أو عن القرآن . قوله - تعالى: ﴿ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: على استواءٍ في الإعلام به ، والهاء في ﴿ لَعَلَّهُۥ ﴾ تشير إلى تأخير العذاب . ﴿ فِتْنَةٌ ﴾ أي: هلاك. وقيل: امتحانٌ. ﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ قيل: المراد إلى القيامة. وقيل: إلى الموت. وقيل: إلى أن يحكم الله فيهم بما يشاء.

قوله - عز وجل: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [٤] أي : عجِّل الحكم بالحق . وقيل: افصل بيننا وبين المشركين بما تظهر به الحق للجميع.

﴿ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ قيل : على ما تكذبون . وقيل: على ما تكتمون.

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٠٤ ) عن ابن عباس وغيره .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٠٥ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٠٥ ).

(٤) قرأ حفص عن عاصم ( قال ) بالماضي ، وقرأ عامة القراء ( قل ) بالأمر . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٣٤٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١١٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٣١ - ٤٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤٠).

## سورة الحج [ فيها مكيٌّ وفيها مدنيٌّ ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ ﴾ قيل: هي زلزلة تقع في الدنيا، وهي من أشراط الساعة. وقيل: إن زلزلة الساعة تكون في وقت النفخ في الصُّور. ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ﴾ أي: لغير فطامٍ وتضع كل ذات حمل حملها لغير تمامٍ.

﴿ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ ﴾ أي: في دينه بالباطل. وقيل: يَردُّ النصَّ بالقياس. قيل: نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث[1]. ﴿ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ ﴾ فاعلموا أنا قادرون على أعجب منه وهو صيرورة المني منتقلاً إلى علقة ثم مضغة، والمضغة: قدر ما يمضغ من اللحم. ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ أي: أطفالاً. وقوله: ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ المخلقة التي (١٣٠/ ب) تكامل خلقها، وغير المخلقة ما دفعته الأرحام من غير تمام خلق. وقيل: مصورة وغير مصورة. وقيل: المخلقة التي تمت أشهر حملها، وغير المخلقة ما لم يكمل ذلك منها. ﴿ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ كيف بداية خلقه وانتقاله في الأطوار. ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إلى تمام خلقه.

قوله - تعالى: ﴿ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ تفسير الأشد مذكور في سورة يوسف[2]. ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ أي: قبل أن يبلغ أرذل العمر. وقيل: قبل بلوغ الأشد ﴿ أَرْذَلِ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧/ ١١٥)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦/ ٨ ) لابن أبي حاتم.

(٢) سورة يوسف، الآية (٢٢).

﴿ٱلْعُمُرِ﴾ قيل: هو الهرم. وقيل: إلى مثل حاله حين خروجه من بطن أمه في الضعف. وقيل: ذهاب العقل ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ قيل: لا يستذكر وينسى ما كان عالماً به.

وقيل: لا يعقل بعد عقله الأول شيئاً. ﴿هَامِدَةً﴾ يابسة لم تنبت. وقيل: الدارسة، والهامد: الدارس. ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ استبشرت. وقيل: اهتز نباتها. ﴿وَرَبَتْ﴾ قيل: معناه: أضعف نباتها. وقيل: انتفخت لظهور نباتها فعلى هذا الوجه يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: فإذا أنزلنا عليها الماء ربت واهتزت، وعلى الأول لا تقديم فيه ولا تأخير. والزوج: الصنف، أي: أنبتت أصنافاً مختلفة. ﴿بَهِيجٍ﴾ يعني: حسن الصورة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾

قوله - تعالى: ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾ أي: لاوٍ عنقه إعراضاً عن الله - تعالى - ورسوله ﷺ. وقيل: عادل جانبه كبراً عن الإجابة، والجانب يسمى عطفاً، يقال: فلان ينظر في أعطافه، أي: في جوانبه. ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بتكذيبه للرسول وإعراضه عن القبول. وقيل: كانت له قينة وكان إذا رأى شخصاً قد مال إلى الإسلام أحضره طعامه وشرابه وغنته مغنيته، ويقول له: هذا خير لك مما يدعوك إليه محمد ﷺ[1]. ﴿مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي: على شك. وقيل: على طمع. وقيل: على ضعف في العبادة كالقائم على حرفٍ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ فيه قولان:

**أحدهما**: أن قوماً من المنافقين آمنوا بألسنتهم ثم ارتدُّوا بعد إسلامهم . **والثاني**: ناس

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٠٤ ) ونسبه لجويبر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : «أنزلت في النضر بن الحارث ... » فذكره .

ممن حول المدينة قالوا: نأتي محمداً، ونعتبر أحواله فإن ظهر لنا صدقه اتبعناه وإلا رجعنا إلى أماكننا (١٣١/أ) فالرجوع على العقب - على القول الأول - هو الردة ، وعلى **الثاني** : رجوعهم إلى أهليهم . وقيل: إن ناساً كانوا يسلمون وينتظرون ما يتجدَّد فإن ولدت امرأة الرجل غلاماً وولدت فرسه مهرة ونتجت ماشيته- استمرَّ على دين الإسلام ، وقال : هذا دين مبارك . وإن ولدت امرأته أنثى وفرسه مهراً وقل نفع ماشيته من درِّها ونسلها رجع إلى مكانه الأول ولم يستقر على دين الإسلام[١].

المولى والعشير: المراد بهما الصنم ، والعشير: المعاشر ، ومنه سمي الزوج عشيراً ، قال النبي ﷺ في النساء : « إنَّهُنَّ يُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ويكْفُرْنَ العَشيرَ »[٢].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ﴾ الضمير في ﴿يَنصُرَهُ﴾ المراد به الرسول ﷺ. وقيل: ﴿لَّن يَنصُرَهُ﴾ لن يرزقه، يقال: أرض منصورة إذا مُطِرَتْ[٣]. والضمير على ( من ظن ) وقيل: لن ينصر الله أرضه: أي: لن يمطرها ، والنصر في غير هذا المكان في الدنيا هي الغلبة ، وفي الآخرة بظهور الحجة ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ﴾ الآية ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ذات الكواكب ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ الوحي عن أن ينزل على النبي ﷺ إن استطاع ذلك . وقيل: فليمدد بحبل إلى سماء بيته وهو سقفه فليعلق نفسه فيه ثم ليقطع الحبل، فإن ذلك لا يفيده فيما

---

(١) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٤٦٥ ) ، والطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٢٢ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٣٠٤ ) ، ومسلم رقم ( ١٣٢ - ٧٩ ).

(٣) يقال : نَصر الغيثُ الأَرض نَصْراً غاثها وسقاها وأَنبتها ، ونَصَر الغيثُ البلَد إذا أَعانه على الخِصْب والنبات . قال ابن الأَعرابي : النُّصْرة المَطْرَة التَّامّة . قال أَبو عبيد : نُصِرَت البلاد إِذا مُطِرَت فهي مَنْصُورة أَي : مَمْطُورة ونُصِر القوم إِذا غِيثُوا . **ينظر**: لسان العرب ( نصر ).

طلب ، ولا يزيل غضبه فيما غضب لأجله . قوله - عز وجل: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ أي: فيدخله النار ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ينجيه ويدخله الجنة . وقيل: يكرم من يشاء يجعله في ديوان أهل السعادة ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ ينقله إلى ديوان السعادة . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ أي: من ثواب وعقاب.

وقيل : يهين من يشاء بالانتقام ويكرم من يشاء بالإنعام .

الخصمان هاهنا فريقان ، نزلت في المشركين والمسلمين حين اقتتلوا ببدر. وقيل: نزلت في الذين بارزوا يوم بدر ، وهم ثلاثة من المسلمين قاتلوا يوم بدر ، برز إليهم عليٌّ وحمزة وعبيدة بن الحارث ، وبارزهم عتبة وشيبة والوليد ابن عم رسول الله ﷺ ، فقتل علي وحمزة خصمهما ، واختلف ابن الحارث وغريمه ضربتين فقطع عبيدة يد خصمه وكرَّ عليٌّ وحمزة على الخصم الباقي فقتلاه بعد أن انقطعت رجله فتفاخر أقرباؤهم ، فنزلت الآية(١).

وهذا القول يدل على أن هذه الآية مدنية ، والمشهور أن السورة مكية . وقيل: نزلت في المسلمين وأهل الكتاب (١٣١/ب) قال أهل الكتاب: كتابنا ونبينا أسبق ، فقال المسلمون : نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقضي على كتابكم فنزلت(٢) . وقيل: نزلت في الكفار غير أهل الكتاب لاختلافهم في البعث والجزاء(٣).

وقيل: اختصمت الجنة والنار ، فقالت النار: خلقت لعقوبة من كفر بالله ورسوله ، وقالت الجنة : خلقت لثواب أهل البر وأولياء الله(٤) . ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ أحاطت بهم كإحاطة الثوب بلابسه. ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحار ، قال الشاعر [من المتقارب] :

كأنَّ الحميمَ على مَتْنِها إذا اغْتَرَفَتْهُ بِأَطْساسِها
جُمَانٌ يجُولُ على فِضَّةٍ جَلَتْهُ حَدَائِدُ دُوَّاسِها(٥)

والتعذيب بالماء الحار غير التعذيب بالنار ؛ لأن الماء الحار ينضج لحومهم والنار تحرقها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٣١ ).
(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٣٢ ).
(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٣٢ ).
(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٣٣ ).
(٥) تقدم في سورة يونس ، الآية (٤).

﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ يُصْهَرُ ﴾ أي : يذاب . وقيل: ينضج . ﴿ ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ لا إله إلا الله .

وقيل: الإيمان. وقيل: القرآن. وقيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ قيل: هو لا إله إلا الله. وقيل: هو الإسلام.

﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ ﴾ فقوله: ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ﴾ يريد به المحيط بالكعبة، وجعله للناس، أي: قبلة لهم ومنسكاً للحج . وقيل: جعلناه للناس سواءً في شرعية الطواف واستقبال القبلة. وقيل: الناس سواء في دور مكة لا يجوز بيعها وهو مذهب أبي حنيفة. وقيل: الناس سواء في تحريم صيد الحرم وعضد شجره [1] . والإلحاد: الميل عن الحق والباء في ﴿ بِإِلْحَادٍۭ ﴾ زائدة ؛ كزيادتها في قوله : ﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ ﴾[2] .

قيل : ومن خواص الحرم : أنه يؤاخذ الإنسان بما يريد أن يفعله من المعاصي ، فيؤاخذ بإرادتها ، وظاهر الآية الأول ، قال الشاعر في زيادة الباء [ من الرجز]:

نَحْنُ بنو جَعْدَةَ أَصْحَابُ الفَلَجْ نَضْرِبُ بالسَّيْفِ ونَرْجُو بِالفَرَجْ[3]

أي: نرجو الفرج. الإلحاد بالظلم: الشرك بالله – تعالى– وقيل: هو استحلال الحرام فيه. وقيل: هو احتكار الطعام بمكة.

---

( ١ ) ينظر: المغني لابن قدامة (٣ / ٣٥١) ، مغني المحتاج للشربيني ( ٢ / ٣٥ ).

( ٢ ) سورة المؤمنون ، الآية (٢٠).

( ٣ ) البيت للنابغة الجعدي ، ينظر في : أدب الكاتب لابن قتيبة ( ص : ٥٢٢ ) ، الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (١/ ٢٦١ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٩ / ٥٢٠) ، رصف المباني ( ص :١٤٣)، شرح شواهد المغني ( ١ / ٣٣٢ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١/ ١٨٥ ) ، ملحق ديوان النابغة الجعدي ( ص : ٢١٦ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٧٤ ) والفلج: موضع لبني نجدة بن قيس بنجد .

وقيل: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب ومن معه من المشركين ، صدوا رسول الله ﷺ عن عمرته عام الحديبية[١] .

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾

قوله – عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي: عرفناه مكانه ، بأن بعث الله سحابة (١٣٢/أ) فوقفت حيال موضع الكعبة ، وقيل لإبراهيم: ابنِ على ظلّها .

وقيل: بعث الله ريحا فكنست موضع الكعبة خاصة[٢] . ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ أي: من الشرك. وقيل: من الفرث والدم ، وكانوا يبقون ذلك في المسجد إذا ذبحوه قربانا للكعبة وقيل: من قول الزور. قوله – عز وجل: ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ أي : في الصلاة .

وقيل: المقيمين بمكة والركوع والسجود في الصلاة. وفي هذه الآية تلويح بأن الصلاة في البيت جائزة. وقيل: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ يعني: قلبك. وقيل: وطهره بالقيام بحجج الله – تعالى– وإبطال الشبهِ عنها[٣] . ﴿وَأَذِّن﴾ أي: أعلم ، فروي أن إبراهيم صعد جبل أبي قبيس وقال : يأيها الناس إن الله قد بنى بيتاً فحجُّوه ، فلا يحجه إلى يوم القيامة إلا من أجاب دعوة إبراهيم[٤] . وقيل: أولُ من أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا[٥] .

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ

---

(١) روى هذه الأقوال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤١ – ١٤٢) ، والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٧ – ٢٩) وقال ابن جرير الطبري : « وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع كل معصية لله وذلك أن الله عم بقوله : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه » .

(٢) روى هذه الأقوال ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤٣) والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٠ – ٣١).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٧٥).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٤٥) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٧٥).

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾

وقيل : الخطاب في قوله : ﴿ وَأَذِّن ﴾ لنبينا محمد ﷺ ، أُمرَ أن يُعرف الناس بوجوب الحج عليهم[١]. ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ أي : مشاة ، والرجال : جمع راجل .

﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ أي: ركباناً على كل جمل مهزول ، وهو المراد بالضامر ؛ لأنه لا يصل البعير إليه حتى يصير ضامرًا . ﴿ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ ﴾ أي: طريق ﴿ عَمِيقٍ ﴾ أي: بعيد. ﴿ مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ قيل: هو شهود المواقف وقضاء المناسك. وقيل: هي مغفرة الذنوب. وقيل: هي التجارة في الدنيا والأجر في الآخرة. قوله – عز وجل: ﴿ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾ قيل: إنها عشر ذي الحجة وآخرها يوم النحر، وهو مذهب الشافعي.

وقيل: هي أيام التشريق الثلاثة. وقيل: هي يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر[٢]. ﴿ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ أي: على ما رزقهم من تحليل ذبائح الأزواج الثمانية من بهيمة الأنعام.

قوله – عز وجل: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ﴾ قيل: الأكل والإطعام واجبان. وبه قال أبو الطيب بن سلمة[٣]. وقيل: مستحبان. وبه قال الشافعي رحمه الله، فإن أطعم جميعه جاز وإن أكل الكل لم يجزه ، وهذا كله في الدماء المستحبة ، أما ما كان فدية لشيء من محظورات الحج لا يحل أكل شيء منه ، بل يفرق جميعه على الفقراء[٤] .

---

( ١ ) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٧٥ ) قال العيني في عمدة القاري ( ٩ / ١٢٨ ) : « والتوفيق بين القولين أن النبي ﷺ إنما أمره الله بذلك إحياء لسنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام » .

( ٢ ) **ينظر**: بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٤٥٨ ) ، المغني لابن قدامة ( ٢ / ٢٤٥ ) ، مغني المحتاج للشربيني (١/ ٥٠٥).

( ٣ ) هو الإمام أبو الطيب محمد بن الفضل بن سلمة بن عاصم البغدادي واشتهر بأبي الطيب بن سلمة نسب إلى جده.قال الخطيب البغدادي: كان من كبار الفقهاء ومتقدميهم. قال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله: كان أبو الطيب هذا معروف النسب في الفضل والأدب وصنف كتبا عدة وتُوفي في المحرم سنة ثمان وثلاثمائة. **تنظر** ترجمته في: تهذيب الأسماء للنووي ( ٢ / ٥٢٦ ).

( ٤ ) **ينظر** : الأم للشافعي ( ٢ / ٣٤٨ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٤ / ٢١٩ ) ، المغني لابن قدامة ( ١١ / ١٠٩ ).

﴿ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ﴾ قيل: الفقير: الزَّمِنُ [١]. وقيل: الفَقِيرَ: الذي به ضر الجوع .

وقيل: الذي يستنكف (١٣٢/ب ) من مجالسته.

﴿ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾

﴿تَفَثَهُمۡ﴾ التفث: مناسك الحج.

وقيل: حلق الرأس . وقيل: رمي الجمار. وقيل: إزالة الأجرام من تقليم ظفر وأخذ شعر واستعمال طيب. ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ طواف الركن ، ويسمى طواف الإفاضة ، ركن من أركان الحج ، فمن تركه بقي على إحرامه إلى أن يأتي به ، وأما طواف القدوم فَسُنة، كتحية المسجد إذا دخله بركعتين ، وأما طواف الوداع ففيه قولان مشهوران للشافعي [٢] .

وسُمِّي البيت عتيقاً لأن الله – تعالى– أعتقه من استيلاء الجبابرة. وقيل: عتق من الغرق في الطوفان؛ لأن الله – تعالى– رفعه إلى سمائه قبل الطوفان. وقيل: لأنه قديم ، وهو أول بيت وضع للناس ، بناه آدم وأعاده إبراهيم عليه السلام بعد الطوفان . قوله – تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: ففعل ما أمر به وانتهى عما نهي عنه .

قوله – تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي : تحريمه من المنخنقة والموقوذة وما بعدها .

وقيل: من البحائر والسوائب [٣] . ﴿ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾ هو عبادتها ، أي: اجتنبوا عبادة الأوثان. وقيل: معناه : اجتنبوا الأوثان ، فإنها من الرجس .

﴿قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ قيل: هو الشرك . وقيل: هو شهادة الزور ، وفي الحديث : « عدلتْ

---

( ١ ) **الزمن** : ذوالزمانة والزمانة : العاهة . ورجل زمن أي : مبتلى بين الزمانة ، والجمع : زمنون وزمنى **ينظر** : لسان العرب ( زمن ).

( ٢ ) **ينظر**: الأم للشافعي ( ٢ / ٢٧٣ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٣٣٢ ) ، المبسوط للسرخسي (٤/ ٣٤ ).

( ٣ ) تقدم تعريف البحائر والسوائب في سورة الأنعام ، الآية ( ١٣٨ ).

شهادةُ الزُّورِ الإشراكَ باللهِ »[1] وتلا هذه الآية . وقيل: هو الكذب . وقيل: هو أعياد المشركين . وقيل : هو النفاق؛ لأن المنافق يقول بلسانه ما ليس في قلبه وهو كذب .

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مسلمين لله . وقيل: مخلصين . وقيل: حجاجا .

﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ﴾ أي : غير مرائين بأعمالكم . وقيل: هو نهيٌ عما كانت العرب تقوله في التلبية ، يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك .

قوله – عز وجل: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أي : فرائضه . وقيل: معالم دينه، فقيل: هي مناسك الحج، وهي البدن المشعرة ، وتعظيمها: استحسانها واستسمانها . وقيل: هي دين الله كله، وتعظيمها: التزامها. ﴿مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ أي: من إخلاصها.

قوله – تعالى : ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إن أريد الهدى فالأجل النحر ، وإن أريد الحجُّ فالمراد التحلل . ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (١٣٣/ أ ) أي : محل ذبحها .

قوله – عز وجل : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ والمنسك في كلام العرب : الموضع المعتاد ، ومناسك الحج مواضع معتادة يتردد إليها الحاجُّ . ﴿لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ فيه وجهان :

**أحدهما** : أنه الهدي ، إذا قيل : المنسك الحج . **والثاني**: الأضاحي إذا قيل المنسك العيد.

---

( ١ ) رواه أحمد ( ٤ / ١٧٨، ٢٣٣، ٣٢٢ ) ، والترمذي رقم ( ٢٢٩٩ ) وقال : غريب . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٣٩٩ ).

قوله – عز وجل : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ قيل : المطمئنين . وقيل: المتواضعين .

وقيل : الخاشعين ، والفرق بين الخشوع والتواضع أن الخشوع في الأبدان ، والتواضع في الأخلاق . وقيل : المخلصين . وقيل: المجتهدين في العبادة . وقيل : هم الذين لا يظلمون ، وإن ظُلِمُوا لم ينتصروا. ﴿ وَٱلْبُدْنَ ﴾ المشهور أنها الإبل . وقيل : الإبل والبقر وقيل: هي الإبل والبقر والغنم وهو شاذ ، حكاه الماوردي[(١)] عن ابن شجرة[(٢)].

وعن بعض المتصوفة أن البدن: تطهير بدنك من المعاصي ، والشعائر : استشعار تقوى الله – تعالى– وطاعته[(٣)] . ﴿ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ﴾ قيل: أجر. وقيل: منفعة ، إن احتاج إلى ظهرها ركب أو إلى لبنها شرب .

قوله: ﴿ صَوَآفَّ ﴾ وهي قراءة الجمهور معناها: قائمة تُصَفُّ بين أيديها بالقيود .

وقيل: معقولة. ومن قرأ ( صوافي) أراد الصَّفاءَ من الشَّبه، ومن قرأ ( صوافن )[(٤)] فهي القائمة على ثلاثة من الخيل الصَّافنات الجياد. قوله – تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِنْهَا ﴾ أمر استحباب عند الجمهور، وقال ابن سلمة: هو للوجوب[(٥)] ﴿ ٱلْقَانِعَ ﴾ السائل ﴿ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ المتعرض

---

( ١ ) **ينظر** : النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٨١ ).

( ٢ ) هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي تلميذ ابن جرير الطبري ، ولد سنة ستين ومائتين ، كان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر والتواريخ وله في ذلك مصنفات ولي قضاء الكوفة . قال الدارقطني : كان متساهلا ربما حدث من حفظه بما ليس في كتابه وأهلكه العجب كان يختار لنفسه ولا يقلد أحدا . توفي ابن شجرة سنة خمسين وثلاثمائة وله تسعون سنة . **تنظر** ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٥ / ٥٤٤ – ٥٤٥ ).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٨١ ).

(٤) قرأ الحسن والأعرج ومجاهد وزيد بن أسلم وأبو موسى الأشعري « صوافي » ، وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبو جعفر ومحمد بن علي « صوافن ». **والصوافي** : الخوالص لله ، لا يشركون في التسمية على نحرها أحداً ، **والصوافن**: جمع صافنة وهي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل ؛ لئلا تضطرب . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٣٦٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١٢ / ٦١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١٤٩ – ١٥٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣/ ٤٥٤ )، الكشاف للزمخشري ( ٣/ ١٥٨ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢/ ٨١ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢/ ٢٢٦ ).

(٥) **ينظر**: الأم للشافعي ( ٢ / ٣٦٣ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٣٨٨ ) ، بداية المجتهد لابن رشد (١ / ٦٠٨ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٤ / ٢١ ) ، المغني لابن قدامة (١١/١٠٩).

الذي لا يسأل . وقيل: القَانِع الجالس في بيته لا يسأل ، وَالْمُعْتَرّ الذي يسأل .

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

قوله - عز وجل : ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا ﴾ أي : لن يصعد إليه لحومها ﴿ وَلَا دِمَآؤُهَا ﴾ وكانوا في الجاهلية إذا نحروا الهدايا استقبلوا بدمائها الكعبة ولطخوا بدمائها الكعبة ، فأراد المسلمون أن يفعلوا مثل ذلك فنهوا عنه.

قوله - عز وجل: ﴿ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ﴾ أي: ذللناها لكم ﴿ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أي: لتذكروا اسمه عند الذبح ﴿ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾ أي: أرشدكم إليه من حجكم ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ أي : بالقبول. وقيل: بالجنة. قوله - عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ أي: بنور السنةِ ظلماتِ البدعة. قوله - عز وجل: (١٣٣/ ب) ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ يعني: المشركين بالمسلمين. وقيل: ولولا دفع الله - تعالى- عن الدين بالمجاهدين وقيل: ولولا دفع الله بشهادة الشهود عن الحدود. وقيل: ولولا دفع الله عن النفوس بالقصاص . وقيل: ولولا دفع الله المنكر بالمعروف. الصَوَامِع للرهبان. وقيل: مصلى الصابئة ، وسميت صومعة لانضمام طرفها والمنصمع: المنضم ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ قيل: هي متعبد النصارى. وقيل: كنائس اليهود ، والبيعة اسم أعجميّ عُرِّبَ . والصلوات كنائس اليهود، يسمونها صلوات. وقيل: وتركت صلوات المساجد للمسلمين ، ومعنى الدفع أنه لولا دفع الله الكفار بالمجاهدين لاستولى الكفار على بلاد المسلمين وهدموا مساجدهم . وقيل: لهدِّمت صوامع في أيام شريعة موسى، وبيع في أيام شريعة عيسى ، ومساجد في أيام شريعة محمد ﷺ، ويكون المراد: لَهُدِّمَ في كل شريعة الموضع الذي يعبد الله - تعالى- فيه .

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾

**البئر المعطلة**: قيل: هي التي غار ماؤها. وقيل: هي الخالية من أهلها لهلاكهم.

وقيل: لعدم الرشاء والسَّقاء[١] . المشيد : الحصين . وقيل: عالي البناء . وقيل: المشيد المجصص ، وتقديره : وقصر مشيد معطل ، وأصحاب القصور ملوك الحضر، وأصحاب الآبار ملوك البدو ، أي : وأهلكنا هؤلاء وهؤلاء ﴿ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ فيه دليل على أن محل العقل هو القلب[٢] . ﴿ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ أخبار الأمم المكذبين المهلكين . ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ﴾ أي عن الهدى . ﴿ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ ﴾ عن الاهتداء . وقيل: لا تعمى الأبصار عن الاعتبار ، ولكن القلوب عن الانزجار. وقيل: نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى ، وهو عبد الله بن زائدة[٣] .

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ ﴾ أي: يستبطئون نزوله بهم استهزاءً منهم . ﴿ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ أي: لن يؤخر عذابه عن وقته. قوله - عز وجل: ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ﴾ أي: من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض . وقيل: إن طول يومٍ من أيام الآخرة كطول ألف سنة (١٣٤/أ ) من أيام الدنيا. وقيل: إن التعذيب في يومٍ من أيام الآخرة كألف سنةٍ من التعذيب في الدنيا ، أي : في الشدَّةِ .

﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن

---

( ١ ) **الرشاء**: الحبل الذي يستخرج به الماء من البئر، والسقاء: ظرف الماء من الجلد ويجمع على أسقية.
**ينظر**: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ( ٢ / ٣٨١ ).

( ٢ ) وهو قول الجمهور ، وقيل : محله الدماغ . وفي المسألة قول ثالث: أنه مشترك بينهما. قاله العيني في عمدة القاري ( ٢ / ١٤٤ ) .

( ٣ ) تقدمت ترجمته في تفسير سورة النساء ، الآية ( ٩٥ ).

رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ أي : بتكذيب القرآن وعنادهم في الدين. قوله – عزَّ وجل: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ ومن قرأ ﴿ مُعَجِّزِينَ ﴾ [١] أي : مشاقين . وقيل: مسارعين. وقيل: معاندين.

قوله – عزَّ وجل: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ أي: إذا حدَّث نفسه بشيء ألقى الشيطان في أمانيه. وقيل: ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ أي: قرأ ألقى الشيطان في قراءته، قال الشاعر [ من الطويل ] :

تَمَنَّى كِتابَ اللهِ أولَ ليلةٍ ... وآخِرَها لاقى حِمامَ المَقادِرِ[٢]

وروي أن النبي ﷺ لما نزل عليه سورة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ قرأها النبي ﷺ في المسجد ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [٣] ألقى الشيطان على لسانه « تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى» حتى ختم وسجد ، وسجد معه المسلمون والمشركون ، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى وجهه فسجد عليه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود ، ورضي بذلك كفار قريشٍ ، فأنكر جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ما قرأه من الزيادة ، وشقَّ ذلك عليه ، فأنزل الله – تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ [٤] أي : يرفعه ﴿ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ أي : يثبتها ، وما

---

( ١ ) قرأ جمهور القراء « معاجزين » ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو « مُعَجزين » .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٣٧٩)، حجة ابن خالويه (ص:٢٥٤) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٤٨٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١٥٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٣٩ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٢٩ )، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٧ ).

( ٢ ) البيت لكعب بن مالك يرثي عثمان بن عفان – رضي الله عنهما – **ينظر في** : تاج العروس للزبيدي (مني ) ، تفسير القرطبي ( ٢ / ٨ ) ، الفائق للزمخشري ( ٣ / ٣٩٢ ) ، العين للخليل ( ٨ / ٣٩٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ١/ ١٦٣)، الكشاف للزمخشري ( ١ / ١٥٧ ) ، لسان العرب ( مني ).

( ٣ ) سورة النجم ، الآية ( ٢٠ ).

( ٤ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٨٧ ) ، والواحدي في أسباب النزول (٣١٩ رقم ٦٢٣ ) ، وذكره السيوطي في ا الدر المنثور ( ٤ / ٣٦٧ ) ، ونسبه لابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبي العالية وغيره .=

قرأه النبي ﷺ كان على وجه السهو. وقيل: قرأه في نعاسه. وقيل: إن بعض المنافقين قرأه فتخيل الناس أنه من قراءة النبي ﷺ . وقيل: إنما قال: كالغرانيق العلى يعني: الملائكة، شَبَّهَهُنَّ بهن، وإن شفاعتهن لترتجى، أي: في اعتقادكم[١].

قوله – عز وجل: ﴿مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ فيه قولان:

**أحدهما** : أن المعنى في اللفظين سواء ، وإنما جمع بينهما ؛ لأن الأنبياء من البشر خاصة والرسل يكونون من الملائكة ومن الناس . وقيل: معناهما مختلف وأن الرسول أعلى منزلة

---

= وكل طرقه مرسلة ومنقطعة . وهو حديث ضعيف ومنكر وباطل. **ينظر** نقده والكلام عليه في : كتاب الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير لمحمد محمد أبي شهبة ( ص٣١٤-٣٢٢ ) ، نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق للشيخ الألباني – ط . المكتب الإسلامي – بيروت -١٩٩٦م.

( ١ ) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ( ٨ / ٤٣٩ – ٤٤٠ ) : « وكلها سوى طريق سعيد بن جبير إما ضعيف وإلا منقطع لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين ». ثم نقل الحافظ ابن حجر عن ابن العربي تضعيفه ورده للقصة وقال معقبا : « وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على أن لها أصلا وقد ذكرت أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض وإذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى ؛ فإن ذلك لا يجوز حمله على ظاهره لأنه يستحيل عليه ﷺ أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس منه وكذا سهوا إذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته ، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك فقيل : جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة وهو لا يشعر فلما علم بذلك أحكم الله آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة ، ورده عياض بأنه لا يصح لكونه لا يجوز على النبي ﷺ ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم . وقيل : إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره ورده ابن العربي بقوله – تعالى– حكاية عن الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة في طاعة . وقيل : كان النبي ﷺ يرتل القرآن فارتصده الشيطان في سكتة من السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها ، قال : وهذا أحسن الوجوه ويؤيده ما تقدم في صدر الكلام عن ابن عباس من تفسير تمنى بـ « تلا » وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال قبله : إن هذه الآية نص في مذهبنا في براءة النبي ﷺ مما نسب إليه قال : ومعنى قوله في أمنيته أي في تلاوته فأخبر – تعالى– في هذه الآية أن سنته في رسله إذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاده في قول النبي ﷺ لا أن النبي ﷺ قاله. قال: وقد سبق إلى ذلك الطبري لجلالة قدره وسعة علمه وشدة ساعده في النظر فصوب على هذا المعنى وحوم عليه ».

من النبي فالرسول من أتاه الوحي (١٣٤/ب) على لسان ملكٍ، ولا يشترط في الملك ذلك، والنبي هو الذي يوحى إليه في منامه. وقيل: إن الرسول هو المبعوث إلى أُمَّةٍ. وقيل: الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام. والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره.

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ قيل: محنةً. وقيل: اختباراً ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ والذين في قلوبهم مرض: المنافقون، و﴿وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ الكفار. ﴿فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ﴾ أي : في شكٍّ . ﴿حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ قيل : هي القيامة.

وقيل: ساعة موتهم . ﴿يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾ أي: يوم القيامة. وقيل: وقعة بدر، والعقيم قيل: هو الشديد. وقيل: الذي لا مثل له ولا عديل لقتال الملائكة فيه. قوله عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ قيل: نزلت في قومٍ من المشركين لقوا جماعة من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم، فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون اللهَ ألا يقاتلونهم في الشهر الحرام فأبوا ، فأظهر الله – تعالى– المؤمنين عليهم[١] . وقيل : مثَّلَ المشركون بمن قُتِلَ في وقعة أحد من المسلمين ففعل بهم رسول الله ﷺ مثل ذلك[٢] .

قوله – عز وجل : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ﴾ الحَقّ هو الله – تعالى– وقيل : معناه أن الله ذو الحق . وقيل: معناه أن عبادته حق . ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ قيل : هو إبليس. وقيل: الأوثان . ﴿مَنسَكًا﴾ أي : عيدا . وقيل: مواضع الحج والعمرة . وقيل : المذبح . وقيل : المنسك : المتعبَّدُ في سائر أنواعه وأماكنه .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾

قوله – عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾ المراد به ما يأتي من سلب الذباب ما على الأصنام من الطيب . وقيل: ليس هاهنا مثل مضروب ، ومعنى الكلام : أنهم ضربوا لله

---

( ١ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٧ / ١٩٥ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٧١ ) لابن أبي حاتم .
( ٢ ) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٨٨ ).

مثلاً في عبادة غيره ، قاله الأخفش(١) وهو بعيد ؛ لقوله : ﴿ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قيل: هم الأصنام. وقيل: هم كبراؤهم ، وهم الذين أطاعتهم السفلة في التكذيب . وقيل: الشياطينُ الموسوسون بالضلال. وإنما خص الذباب بالذكر لحقارته واستقذاره ، وأنه إذا ذُبَّ آبَ ( ١٣٥/أ ) فإذا كان بهذه المثابة في الحقارة ولم يقدر كبراؤهم على استنقاذ ما أخذه الذباب منهم ، فكيف تعبدون غير الله ؟! ﴿ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ قيل: الطالب: الآلهة، والمطلوب: ما استنقذه الذباب . وقيل: الطالب : هو الذي استنقذ منه الذباب والمطلوب : هو المسلوب . قوله - عز وجل: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ أي : ما عظموه حق عظمته . وقيل: ما عرفوه حقَّ معرفته.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ أي: من أمر الآخرة ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ أي: من أمر الدنيا.

وقيل: ﴿ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ من أمور السماء ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ من أمور الأرض . ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ أي : اعملوا لله - تعالى- حق عمله . وقيل: أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

وقوله : ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ كقوله - تعالى : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾(٢).

قيل : نسخت بقوله - تعالى : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٣) وقيل : هي محكمة ، والمراد فيما استطاعوا . ﴿ ٱجْتَبَىٰكُمْ ﴾ اختاركم لدينه ﴿مِنْ حَرَجٍ ﴾ أي: من ضيق. جاء في الحديث: « بُعِثْتُ بالحنيفيَّةِ السمْحةِ » (٤) فوسع أمر المعاصي بالتوبة، وأمر الأيمان بالكفارة . وقيل: هو

---

(١) ينظر : معاني القرآن للأخفش ( ٢ / ٦٣٧ ) وعبارته : « فإن قيل : فأين المثل ؟ قلت : ليس هاهنا مثل؛ لأنه - تبارك وتعالى- قال : ضرب لي مثل فجعل مثلا عندهم لي فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في قولهم ، واتخاذهم الآلهة ، وإنهم لن يقدروا على خلق ذبابة ولو اجتمعوا له ، وهم أضعف لو سلبهم الذباب شيئا فاجتمعوا جميعا ليستنقذوه منه لم يقدروا على ذلك ، فكيف تضرب هذه الآلهة مثلا لربها وهو رب كل شيء، الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو مع كل شيء ، وأقرب من كل شيء ، وليس له شبيه ولا مثل ولا كفء وهو العلي العظيم الواحد الرب الذي لم يزل ولا يزال » .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ( ١٠٢ ).

(٣) سورة التغابن ، الآية ( ١٦ ).

(٤) رواه أحمد في المسند ( ٥ / ٢٦٦ ) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٥ / ٢٧٩ ) من حديث أبي أمامة ولفظه : « إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفسي بيده =

قصر الصلاة والفطر في الصوم في السفر، والصحيح العموم في جميع ذلك . قوله - تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي : وسَّع عليكم في الدين كما وسَّع على أبيكم إبراهيم في الدين . وقيل: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ كفعل أبيكم إبراهيم. وقيل: إن دين إبراهيم لازم لأمة محمدٍ ﷺ وداخلة في دينه قوله - تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل نزول القرآن . ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ أي: وفي هذا القرآن يشير به إلى قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [(١)].

قوله - عز وجل: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ أي: في إبلاغ الرسالة ﴿وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بأنكم بلغتم إليهم ما بلغتكم الرسل . وقيل: ليكون الرسول شهيداً عليكم بأعمالكم ، وتكونوا شهداء على الناس بأن الرسل قد بلغوا إليهم ما بلغتهم من الرسالة .

قوله - عز وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي: امتنعوا بالله. وقيل: تمسكوا بدين الله - تعالى. ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ (١٣٥/ب) أي : مالككم . وقيل: متولي أموركم .

قوله - عز وجل: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ حين لم يمنعكم الرزق بالمعاصي. ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ حين أعانكم لَمَّا أطعتموه ، والله أعلم بالصواب.

* * *

---

= لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة » . وقال : رواه أحمد والطبراني ، وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف . لكن صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ( ٢٩٢٤ ).

وله طريق آخر عن جابر ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم ( ٢٣٣٦ ).

(١) سورة البقرة ، الآية ( ١٢٨ ).

## سورة المؤمنون [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الفلاح البقاء ، قال لبيد [من السريع] :

لَوْ كَانَ حَيٌّ مُدْرِكَ الفَلاحِ ... أدْرَكَهُ مُلاعِبُ الرِّماحِ[1]

قيل: أراد بقاءهم في الجنة. وقيل: بقيت لهم أعمالهم فلم تبطل. وقيل: الفلاح الفوز بالجنة. وروى عمر ﷺ قال: «كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي يُسْمَعُ عند وجهه دويٌّ كدويِّ النحل، فأنزل عليه مرَّة، فلما سُرِّيَ عنه استقبل القبلة ورفع يديه، وقال: اللهمَّ زِدْنا ولا تُنقِصنا، وأعطِنا ولا تحرمْنا، وأكرمْنا ولا تُهنّا، وآثرْنا ولا تُؤثرْ علينا ، وأرضِنا وارضَ علينا ، ثم قال: لقد أُنزلَ عليَّ عشرُ آياتٍ مَنْ أقامهنَّ دخلَ الجنةَ ، ثم قرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾»[2] ﴿خَاشِعُونَ﴾ قيل: خائفون. وقيل: خاضعون. وقيل: غضُّ البصر وخفض الجناح. وقيل: أن يجعل نظره إلى موضع سجوده، ولا يجاوزه. وفي محل الخشوع قولان: **أحدهما**: القلب. **والثاني**: القلب والبصر معاً.

﴿اللَّغْوِ﴾ الباطل. وقيل: الكذب. وقيل: الشتم، وكان كفار مكة يشتمون المؤمنين فَأُمِرَ المؤمنون بالإعراض عن شتمهم[3]. قوله - عز وجل: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: « ما مِنْكُم إلا مَنْ له منزلانِ: منزلٌ في الجنَّة، ومنزلٌ في النارِ، فإنْ ماتَ ودخلَ

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة، الآية (٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (١/ ٣٤)، والترمذي رقم ( ٣١٧٣ )، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٢) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٢٠).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٩٣) عن النقاش.

النارَ ورثَ أهلُ الجنةِ منزلَهُ ، وإن ماتَ ودخلَ الجنةَ ورثَ منزلَهُ ، فذلك قوله - عز وجل: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ ثُمَّ بيَّن ما يرثون فقال: ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾ [1] الفِرْدَوْسَ: اسم من أسماء الجنة. وقيل: هو أعلى الجنان. وقيل: جبل في الجنة تتفجر أنهار الجنة من تحته. وقيل: هو البستان، وهو روميٌّ عُرِّبَ. وقيل: هو الكَرْم وهو عربيٌّ[2].

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ قيل: أراد آدم خلقه من تراب. (١٣٦/أ) وقيل: المراد كل إنسان؛ لأنه يرجع في نسبه إلى آدم وهو من التراب. وقيل: لأن كل إنسانٍ استُلَّ من نطفة أبيه. والسلالة من كل شيء: صفوته التي تستل منه.

وقال الزجاج[3] السلالة: القليل مما ينسل، وحكى الكلبي أن السلالة: الطين الذي إذا اعتصرته بين أصابعك خرج منه شيء . وقيل: السلالة: التراب [4]. قال أمية بن أبي الصلت [ من الكامل]:

خَلَقَ البريةَ مِنْ سلالةِ مُنْتِنٍ ... وإلى السُّلالَةِ كلُّها ستعودُ[5]

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾ النطفة هي بعض ماء الذكر المصبوب في الرحم، وقد ينطلق اسم النطفة على كل ماء . والقرار: الرحم، والمَكِين أي: قد هيئ لاستقراره فيه.

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٤١) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/ ٣٢٧): إسناده صحيح، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان وابن مردويه في تفسيره عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) روى هذه الأقوال الطبري في تفسيره ( ١٨ / ٦ ) والماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٩٣ ).

(٣) **ينظر**: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٨).

(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٩٤ ) عن الكلبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٩٠ ) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

( ٥ ) **ينظر** البيت في: النكت والعيون للماوردي (٣/ ٩٤).

الْعَلَقَة: الدمُ الطريُّ الذي خلق من النطفة ، سمي علقةً ؛ لأنه أول أحوال العلوق ، وإنما عرَّفنا الله – تعالى– كيفية انتقال الولد في الأطوار ؛ ليعلمك عظيم النعمة في إيجادك ونقلك من حالٍ إلى أكمل منها . ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ أي: بنفخ الروح فيه . وقيل: بنبات الشعر. وقيل: بأنه ذكر أو أنثى. وقيل: بتكامل أسنانه . وقيل : بالعقل والتمييز. وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ : أنه لما نزلت هذه الآية إلى قوله – تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ قال عمر ﷺ: فتبارك الله أحسن الخالقين فنزل قوله – تعالى : ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [(1)].

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾

﴿ سَبْعَ طَرَآئِقَ ﴾ أي: سبع سماوات ﴿طَرَآئِقَ﴾ قيل: مطابق بعضها فوق بعض.

وقيل: لأن مدارات الأفلاك متعددة ، ولكلِّ واحدٍ طريقة في سيره . ﴿ غَٰفِلِينَ ﴾ أي: من سقوط السماء عليهم. قوله – عز وجل: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ ﴾ هي شجرة الزيتون، خصَّها بالذكر لعموم منافعها في الاستصباح والادِّهان والائتدام بها .

---

( ١ ) ذكره بهذا السياق الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٢ / ٤٠١ ) ونسبه لابن مردويه في تفسيره عن ابن جبير وابن عباس ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٩٤) ونسبه للطبراني وابن مردويه عن ابن عباس ، وذكره في (٦/ ٩٢) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن صالح أبي الخليل ، مرفوعا وفي آخره قال ﷺ : «والذي نفسي بيده إنها ختمت بالذي تكلمت يا عمر».

﴿سَيْنَآءَ﴾ هي البركة، فكأنه قال: شجرة مباركة. وقيل: هي الحسنة المنظر.

وقيل : الكثيرة الشجر . وقيل: اسم الجبل الذي كلَّمَ الله – تعالى- عليه موسى .

وقيل : المرتفع[1] مأخوذ من قولهم : هذا سيني ، أي : مرتفع القــدر ؟ وسـيناء أعجمـيٌّ مُعَـرَّبٌ ، أو عربيٌّ ؟ فيـه وجهـان. قولـه: ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ أي: يأتدمون به قولـه – عـز وجل: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا﴾ ( ١٣٦/ ب ) قيل : مـا سمعنـا بمثـل دعوتـه. وقيـل: مـا سمعنا بمثله بـشيرا أتـى برسـالة ربـه ، وفي قولـه ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ وجهـان : **أحـدهما** : أنـه أول أبٍ[2]؛ لأنه أول أب ولدَكَ . **والثاني**: أنه الأدنى؛ لأنه أقرب فصار هو الأول.

قولـه – عـز وجـل: ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إلى أن يـستبين جنونـه. ﴿التَّنُّورُ﴾ تنـور الخبز. وقيل: طلوع الفجر. وقيل: هـو مثـل ضـربه الله – تعـالى، ولا فـوران ثَـمَّ ولا تُنُّـورَ، وكذلك قول النبي ﷺ: «الآنَ حينَ حَمِيَ الـوطيسُ »[3] والـوطيس التنـور وكقـولهم: قامـت الحرب على ساقٍ ، ولا ساق ثَمَّ .

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٤٥) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)﴾

---

( ١ ) روى هذه الأقوال الطبري في تفسيره ( ١٨ / ١٣ ).

( ٢ ) في النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٩٦ ) أنه الأب الأبعد ؛ لأنه أول أب ولدك .

( ٣ ) رواه مسلم في صحيحه رقم ( ١٧٧٥ ) في حديث غزوة حنين .

فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴿٥٠﴾﴾

﴿مُنزَلًا﴾ بضمِّ الميم بمعنى المصدر، أي: نزولاً، ومن فتح الميم[1] أراد موضع النزول.

قوله – عز وجلَّ: ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ قيل: إن نوحا ﷺ قال ذلك حين ركب في السفينة فدعا بالبركة والسلامة. وقيل: قاله عند نزوله من السفينة ودعا بحصول الماء والشجر والبركة فيه.

﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا﴾ يموت قوم ويحيا قوم . وقيل : يموت قوم ويولد قوم . وقيل : فيه تقديم وتأخير، ومعناه : ونحيا ونموت ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ ﴿غُثَآءٗ﴾ هلكى ، والغثاء : البالي من الشجر . وقيل: ورق الشجر إذا ابتلَّ وجفَّ. وقيل: هو ما احتمله الماء من الزبد والوسخ . قوله – عز وجل: ﴿فَبُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وضع المظهر وهو ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ موضع المضمر، وتقديره : فبعدا لهم من الرحمة . وقيل : المراد بالبعد : الزيادة في العذاب والهلاك . قوله – عز وجل : ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ قيل : هم قوم صالحٍ أرسل إليهم صالحاً . وقيل : قوم هود أرسل إليهم هودا .

﴿تَتۡرَا﴾ أي: يتبع بعضهم بعضاً. وقيل: منقطعين بين كل اثنين زمن طويل وتترى مشتق من الوتر، وهو الفرد. وقيل: من وتر القوس لاتصاله بمكانه. وقيل: هو من التواتر. قوله – عز وجل: ﴿عَالِينَ﴾ أي: متكبرين. وقيل: قاهرين. وقيل: ظالمين.

﴿وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ مطيعون. وقيل: خاضعون. وقال الحسن: كان بنو إسرائيل يعبدون فرعون ، وفرعون يعبد الأصنام[2].

الربوة: ما ارتفع من الأرض، ولا تسمَّى ربوة إلا إذا اخضرَّت بالنبات، وإن لم تنبت قيل

---

(١) قرأ عاصم في رواية أبي بكر عنه « مَنْزِلا»، وقرأ الباقون « مُنْـزَلا». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٠٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ١٨٠) ، السبعة لابن مجاهد ( ص: ٤٤٥)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٨٥) ، النكت والعيون للماوردي (٣/ ٩٧).

( ٢ ) ذكره بهذا السياق الماوردي في النكت والعيون (٣/ ٩٨)، ورواه الطبري في تفسيره (٩/ ٢٥) بنحوه.

لها نشز. (١٣٧/أ) وقيل: الربوة الرَّمْلة. وقيل: دمشق. وقيل: بيت المقدس. وقيل: مصر[١].

﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: ذات ثمار. وقيل: ذات معيشة تستقرون بها فيها وقيل: ذات منازل. المعين: الجاري. وقيل: الظاهر المرئي بالعين وهو مشتق من الإمعان، إذا قيل إنه عبارة عن الجري. وقيل: مشتق من الماعون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ بَل لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّۚ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ أي: فرقوا دينهم وكانوا شيعا ﴿زُبُرٗا﴾ أي: قطعاً. وقيل: كتبًا أي: أخذ كلُّ قومٍ كتاباً آمن به وكفر بما سواه. ﴿بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي: بما اختاروه من الكتب. وقيل: بأموالهم وأولادهم. ﴿فِي غَمۡرَتِهِمۡ﴾ أي: في ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى الموت. وقيل: إلى وقعة بدر.

﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ﴾ رجاء مسارعة لهم في الخيرات؟ ليس الأمر كذلك، ولا يعلمون أنه استدراج. قوله - عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ﴾ أي: الزكاة.

وقيل: أعمال البر. ﴿وَجِلَةٌ﴾ خائفة. قوله - عز وجل: ﴿أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ أي: يخافون عقوبة ربهم. وقيل: يخافون ألا يتقبل عملهم، روته عائشة - رضي الله عنها- مرفوعا[٢]. ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾ يسابقون. وقيل: يستكثرون من عمل البر. ﴿وَهُمۡ لَهَا﴾ أي: إلى الجنّة

---

(١) روى ذلك الطبري في تفسيره (١٨ / ٢٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٠١ - ١٠٢).

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٠٩٩)، وابن ماجة رقم (٤٣٢٧) عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت :=

﴿سَٰبِقُونَ﴾ وقيل: إلى فعل البر سابقون. ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ أي: غطاء.

وقيل: في غفلة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: من هذا القرآن. وقيل: من هذا الحق. ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: من دون الحق. ﴿مُتْرَفِيهِم﴾ ( المترفون ) الموسع عليهم بالخصب.

وقيل: بالمال والولد. ﴿يَجْـَٔرُونَ﴾ يرفعون أصواتهم بالاستصراخ. وعن قتادة: نزلت هذه الآية في قتلى بدر[1] ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ راجعين عما كنتم عليه من الكفر.

﴿ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ

---

= سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة : هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال : لا يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات » . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٧٣).

( ١ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ١٠٧ ) ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ (٩٥)﴾

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ أي: بالحرم[1]. السمر: الحديث ليلاً، والسمر: ضوء القمر.

قوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾ أي: تهجرون الحق بالإعراض عنه. وقيل: تهجرون بالقول القبيح من الكلام[2]، وفي المعنى قولان: **أحدهما**: إنكار تسامرهم بالإزراء على الحق في ظهوره لهم. **والثاني**: إنكارُ أمنهم حتى تسامروا في ليلهم والخوف أحق بهم.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾ الحق هو الله - تعالى، قاله الأكثرون. وقيل: ( ١٣٧/ ب ) إنه التنزيل، أي: لو نزل القرآن بما يريدون لفسدت السماوات والأرض. قوله - عز وجل: ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ لأنها مخلوقة بالحق، فالباطل أفسد لها.

قوله - عز وجل: ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: بشرفهم؛ لأن القرآن نزل بلغتهم والرسول ﷺ منهم. وقيل: بتذكيرهم وموعظتهم. ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ أي: لمعرضون قوله - عزَّ وجلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ نصرةُ المؤمنين على الكفار ببدر. ﴿ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلقكم . وقيل: خلقكم ونشركم.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: الطول والقصر. قوله - عز وجل: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: خزائنه ، والملكوت مبالغة في الملك .

﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ أي: يمنع ولا يُمْنَعُ منه في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله - عز وجل: ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ أي: فمن أي وجه تُصْرَفون عن التصديق بالبعث.

---

( ١ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٨ / ٣٨ ) عن ابن عباس قال : «﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد » .

( ٢ ) وهذا على قراءة « تُهْجِرون » وقرأ بها نافع وابن محيصن وابن عباس ، وتنظر القراءة في : الإتحاف للبنا ( ٢ / ٢٨٦ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤١٣ ) ، الجامع للقرطبي ( ١٢ / ١٣٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ١٩٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٦ ) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٩٦)، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٣٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٨ ).

وقيل: فكيف تكذبون فيخيل إليكم الكذب حقًا.

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله - تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالإغضاء عن إساءة المسيء. وقيل: ادفع الفحش بالسلام. وقيل: ادفع المنكر بالموعظة. وقيل: امح السيئة بالحسنة، وهذه الآية وإن كانت خاصة بالنبي ﷺ فالمقصود به جميع الأمة.

قوله - عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: من وسوستهم.

وقيل أذاهم بالصرع. ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾ أي: من قُدَّامهم. ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز، ومنه قوله: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [1] والمراد بالحاجز: ما بين الموت والبعث. وقيل: بين الدنيا والآخرة. وقيل: بين الميت ورجوعه إلى الدنيا. وقيل: هو ما بين النفختين، وهو أربعون سنة[2]. ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: لا يتعارفون؛ لشدة الهول ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: لا يسأل أحد أحدا أن يعينه. وقيل: لا يسأل أحد أحداً عن خبره لاشتغاله بنفسه. قوله - عز وجل: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٠).

(٢) روى البخاري في صحيحه رقم (٤٦٥١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون. قال: أربعون يوما. قال: أبيت. قال: أربعون شهرا. قال: أبيت. قال: أربعون سنة. قال: أبيت. قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

﴿عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ فيها وجهان:

**أحدهما**: الهوى (١٣٨/أ). **الثاني**: حُسْنُ الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق.

الخاسئ: الصاغر الذليل. وقيل: المبعد. ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ أي: في رفع العذاب عنكم. وقيل: إنهم زُجِروا عن الكلام غضبا عليهم. قال الحسن: فهو آخر كلام يتكلم به أهل النار[١]. ﴿سِخْرِيًّا﴾ بالضم من التسخير، وبكسر السين من الاستهزاء، وقد قرئ بهما[٢].

﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في مدة حياتكم في الدنيا. استقصروها؛ لشدة عذاب الآخرة. وقيل: سؤال عن لبثهم في القبور.

﴿ٱلْعَآدِّينَ﴾ قيل: هم الملائكة. وقيل: الحُسَّاب. قوله - عز وجل: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: إن حسابهم على الله - تعالى. وقيل: إن مكافأتهم على ربهم، ومنه قولهم: حسبي الله، أي: كفاني. والله أعلم.

* * *

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٢٠) ونسبه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف «سُخْرِيا»، وقرأ باقي العشرة «سِخْرِيا». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٢٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٥٨)، حجة أبي زرعة (ص:٤٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٠٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٤٨)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٤)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٣)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٩).

## سورة النور [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)﴾

قوله - عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ خصَّها بهذا الافتتاح ؛ لأن المقصود بها الزجر، فافتتحت بجلد الزاني وحد القاذف ولعان الزوج إذا لم يكن له بينة على قذفها ، فابتدئت بالأغلظ كما في قوله - تعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [١] وقيل : بُدئ بها تشريفا للنبي ﷺ ببراءة زوجاته مما قذفن به.

والسورة اسم للمنزلة الشريفة قال الشاعر [ من الطويل ]:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ [٢]

قرئ ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ بالتشديد والتخفيف[٣]، فمن قرأ بالتشديد فمعناه التكثير فيما فرض فيها، ومن قرأ بالتخفيف فمعناه التقدير، كقوله - تعالى: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ [٤].

وقيل: أراد بالتخفيف ما فرض فيها من الأحكام، وفصل من الحلال والحرام.

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)﴾

وبدأ بذكر الزانية؛ لغلبة الشهوة على النساء، أو لأنه من النساء أقبح وأضر؛ لما يخشى من

---

( ١ ) سورة التوبة ، الآية ( ١ ).

( ٢ ) البيت للنابغة الذبياني ، ينظر في : تاج العروس للزبيدي ( سور ) ، تفسير القرطبي ( ١ / ١٠٢ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ٣٤ ) ، صبح الأعشى للقلقشندي ( ٢ / ٦٤ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٥ ) ، لسان العرب ( سور ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ١٠٧ ).

( ٣ ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو « وفرَّضناها » وقرأ الباقون « وفرَضناها».
تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٢٧)، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٥٩ ) ، حجة أبي زرعة (ص : ٤٩٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٠٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٥٠ ) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٤٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٠ ).

( ٤ ) سورة البقرة ، الآية ( ٢٣٧ ).

الحبل وإلحاق الولد . جَلْدُ مائةٍ حدُّ الزاني البكر، وأضافت إليه السُّنَّةُ التغريب، ولم توجبه على الثَّيِّبِ. ومنع أبو حنيفة من ثبوت الجلد على البكر؛ لأن الله – تعالى– اقتصر على مائة جلدة والزيادة على النص نسخ عنده[1]، والحجة في نفي الجلد عن الثيِّب أن النبي ﷺ رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما، ورجمت الصحابة بعده ولم يجلدوا [2] ( ١٣٨/ ب ) قوله – عزَّ وجلَّ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي: تنفذون حكم رسول الله ﷺ. قوله – عز وجل: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيل: أقلهم أربعة، قاله مالك والشافعي. وقيل: ثلاثة فصاعداً، قاله الزهري. وقيل: اثنان، قاله عكرمة. وقيل: واحد، قاله الحسن، وهو ضعيف؛ لأن الواحد لا يُسمَّى طائفة[3]. قوله – عز وجل: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ﴾ الآية، قيل: نزلت مخصوصة في رجلٍ معيَّنٍ من المسلمين استأذن رسول الله ﷺ في امرأةٍ يقال لها أم مهزول، وكانت بغيًّا ، وكان لها راية ، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك ، وشرطت له أن تنفق عليه ، فأنزل الله هذه الآية فيه[4].

وقيل: نزلت في أهل الصُّفةِ ، كانوا في صفة المسجد ، وهم نحو من أربعمائة رجلٍ ، وكان بالمدينة بغايا معلنات بالفسق ، فالتمسوا أن يتزوجوا منهن ليأووا في مساكنهنَّ ويأكلوا من طعامهنَّ ، فنهوا عن ذلك[5]. وقيل: معناه: أن الزاني لا يزني إلا بزانية، والزانية لا يزني بها إلا زان. وقيل: كان ذلك حكما في أول الإسلام فنسخ بقوله – تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [6]. وقال الحسن : المراد : الزانية والزاني المحدودين فلا ينكح المحدود غيرَ محدودةٍ،

---

( ١ ) ينظر: الأم للشافعي ( ٧ / ٢٨٦ )، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ١٢٣٢)، المبسوط للسرخسي (٥/ ٤٣).

( ٢ ) تقدم الحديث عن ذلك وتخريج الحديث في تفسير سورة النساء ، الآية ( ١٦ ).

( ٣ ) نقل هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ١٠٨ ).

وينظر: الأم للشافعي ( ٦ / ٢١٥ )، بدائع الصنائع للكاساني ( ٥ / ٥٢٨ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ١٢٣٢ ) ، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٣٣).

( ٤ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٨ / ٧١ ) ، و الحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٢ / ٢١١ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ١٢٧ ) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

( ٥ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ١٢٧ ) ونسبه لابن أبي حاتم عن مقاتل.

( ٦ ) سورة النساء ، الآية (٣).

ولا تنكح المحدودة غير محدودٍ ، روي ذلك مرفوعا[١].

قوله - عز وجل: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ قيل : الزنى . وقيل : نكاح الزواني.

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ﴾ يعني بالزنى، وحدُّ القذف بالزنى ثمانون ، وهو حق للآدمي يسقط بعفوه عند الشافعي رحمه الله ، وقال أبو حنيفة : هو من حقوق الله - تعالى . وقيل: هو مشترك بين حق الله - تعالى- وحق الآدمي[٢]. والتوبة من القذف تدفع الفسق ولا تسقط الحد، قال مالك والشافعي والجمهور: إذا تاب القاذف قبلت شهادته قبل الحدِّ وبعده لارتفاع فسقه. وقال القاضي شريح: لا تقبل شهادته أبداً لا قبل الحدِّ، ولا تقبل بعده. وقال النخعي[٣]: تقبل شهادته بعد الحد ولا تقبل (١٣٩/ أ ) قبله.

---

( ١ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦/ ١٣٠ ) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن الحسن . والمرفوع رواه أبو داود رقم (٢٠٥٢ ) ، وذكره السيوطي في الدر ( ٦ / ١٣٠ ) وزاد نسبته لابن المنذر وابن عدي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « لا ينكح الزاني المحدود إلا مثله » . وعند أبي داود « المجلود » . قال الطبري في تفسيره ( ١٨ / ٧٥ ): « وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني بالنكاح في هذا الموضع الوطء وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذا كان ذلك كذلك أنه لم يعن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة ، وإذ كان ذلك كذلك فبين أن معنى الآية الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحل الزنى أو بمشركة تستحله ، وقوله : ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يقول: وحرم الزنى على المؤمنين بالله ورسوله ، وذلك هو النكاح الذي قال - جل ثناؤه: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ ».

( ٢ ) **ينظر**: بدائع الصنائع للكاساني ( ٥ / ٥٣٠ )، المبسوط للسرخسي ( ٦ / ١١٩ )، المغني لابن قدامة (١٠ / ١٧٨).

(٣) هو إبراهيم بن يزيد النخعي يكنى أبا عمران كوفي ثقة، وكان مفتي الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف. مات سنة ٩٦ هـ.

تنظر ترجمته في: الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي (١/ ٢٢٧ ) ط . دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - ١٩٩٢م - تحقيق: محمد عوامة.

وقال الشَّعْبيُّ[١]: تقبل توبته ولا تقبل شهادته[٢]. والتوبة من القذف أن يندم على ما فرط فيه، ويصلح أعماله ولسانه. وقيل: توبته إكذابه نفسَه [٣] وهو ضعيف؛ لأنه قد يكون صادقاً في قذفه، فإذا أكذب نفسه فإكذابه نفسه كذب. وأبيح للزوج إذا قذف زوجته أن يلاعن فيسقط الحد عن نفسه وتَبِينُ منه المرأة، وفي سبب ذلك قولان:

**أحدهما**: أنها نزلت بسبب هلال بن أمية جاء إلى النبي ﷺ فقال: «جئت إلى أهلي فوجدت مع امرأتي رجلاً، رأيتُ بعيني وسمعتُ بأذني، فنزلت هذه الآية[٤]».

**والثاني**: أنها نزلت بسبب عويمر العجلاني قال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلاً أيقتله فتقتلونه به ؟ أم كيف يَصنع ؟ فنزلت هذه ، فقال النبي ﷺ : «قد أنزل الله – عزَّ وجلَّ – فيك وفي صاحبَتِك فتلاعنا» [٥] .

ثم قيل: اللعان يمين ، عبر بالشهادة عن القسم ، ولو كان شهادة ما جاز أن يشهد لنفسه.

﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ

---

(١) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشَّعبي ، ثقة مشهور فقيه فاضل ، أدرك خمسمائة من الصحابة وقال : ما كتبت سوداء في بيضاء قط ، ولا حدثني رجل بحديث فأحببت أن يعيده علي ، ولا حدثني رجل بحديث إلا حفظته ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه . مات سنة ثلاث ومائة أو أربع أو سبع أو عشر . **تنظر** ترجمته في : تقريب التهذيب لابن حجر ( ١ / ٢٨٧ ) ، طبقات الحفاظ للسيوطي ( ١ / ٤٠ ).

( ٢ ) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ١١٠ ) **وينظر** : الأم للشافعي ( ٧ / ٥٣ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ١ / ١٢٣٧ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٦ / ٣٦٣ ) ، المغني لابن قدامة (١٢/ ٧٥ ).

( ٣ ) وروى ذلك الشافعي في الأم ( ٧ / ٨٩ ) قال: أخبرنا ابن عيينة قال: سمعت الزهري يقول: زعم أهل العراق أن شهادة القاذف لا تجوز فأشهد لأخبرني – ثم سمَّى الذي أخبره – أن عمر بن الخطاب – رضي الله تعالى عنه – قال لأبي بكرة: تب تقبل شهادتك، أو إن تبت قبلت شهادتك، قال سفيان: شككت بعد ما سمعت الزهري يسمي الرجل فسألت، فقال لي عمر بن قيس: هو سعيد بن المسيب، فقيل لسفيان: شككت في خبره ؟ فقال: لا هو سعيد إن شاء الله تعالى ».

( ٤ ) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٤٧٠ ).

(٥) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٤٦٨ ).

﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾

وقال أبو حنيفة: اللعان شهادة فردَّ لعانَ الكافر والعبد، ولو كانت شهادة ما جاز أن يشهد لنفسه، فإذا لاعنت المرأة سقط حد الزنى عنها[١] لقوله - تعالى: ﴿وَيَدْرَؤُا﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ الآية، قيل: ﴿الْعَذَابَ﴾ الحد. وقيل: الحبس.

قوله - عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ قيل: المراد بـ ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ الإسلام، وبـ ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ القرآن. وقيل: المراد بـ ﴿فَضْلُ اللَّهِ﴾ منته، ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ نعمته. قوله - عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أي: بالكذب. وقيل: الإثم. العصبة: المراد هاهنا زعماء الإفك الذين خاضوا فيه، وهم حسان بن ثابت الشاعر، ومسطح بن أثاثة، وعبد الله بن أبي بن سلول، وزيد بن رفاعة، وحمنة بنت جحش[٢]. وفي المراد بقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ قولان:

**أحدهما**: يا عائشة وصفوان[٣] لأنهما المقذوفان. **والثاني**: أن المراد به النبي ﷺ وأبو بكر وعائشة - عليهما السلام[٤]. قوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾ الكبر بضم الكاف: معظم الشيء، وبكسر الكاف[٥] مأثمه. وفي الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ قولان:

**أحدهما**: أنه عبد الله بن أبي بن سلول والعذاب العظيم: جهنم[٦]. **والثاني**: أنه مسطح

---

(١) **ينظر**: الأم للشافعي (٥/ ١٩٤)، بدائع الصنائع للكاساني (٣ / ٣٧٦)، المبسوط للسرخسي (٥/ ٥٣)، المغني لابن قدامة (٩ / ٥).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ٨٦) عن عروة بن الزبير، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٥٢) لابن أبي حاتم والطبراني عن سعيد بن جبير.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨ / ٢٥٤٤) عن سعيد بن جبير.

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٦ / ١٥٠) للطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٥) قراءة العامة «كِبره» بكسر الكاف، وقرأ أبو رجاء والحسن والزهري وتروى عن أبي عمرو والكسائي «كُبره» بضم الكاف. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢١٢)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢١٧).

(٦) رواه البخاري رقم (٤٤٧٩)، ومسلم رقم (٢٤٧٠) في حديث الإفك.

ابن أثاثة والعذاب العظيم: ذهاب بصره في الدنيا[1]. ﴿لَّوْلَا جَآءُو﴾ أي: هلاً جاءوا- لو كانوا صادقين- بأربعة شهداء يشهدون بما قالوه ( ١٣٩/ ب ).

قال بعض المفسرين: لم يحد رسول الله ﷺ أحداً من أهل الإفك ؛ لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة، وأما إخبار الله – تعالى- بإفكهم فلا يقام به الحد ، وإن كان العلم فيه قطعاً ، كما لا يقتل المنافق وإن أخبر الله بنفاقه .

وقال آخرون: حد رسول الله ﷺ في الإفك عبد الله ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ولبعضهم في ذلك [من الطويل]:

لَقَدْ ذاقَ حَسَّانُ الَّذي كانَ أهْلُهُ وحَمْنَةُ إذْ قالا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ[2]

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ

---

( ١ ) هكذا بالأصل « مسطح » وهو ما ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ١١٤ ) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ١٥٨) ونسبه لمحمد بن سعد عن محمد بن سيرين أن عائشة كانت تأذن لحسان بن ثابت وتدعو له بالوسادة وتقول : لا تؤذوا حسان فإنه كان ينصر رسول الله ﷺ بلسانه وقال الله : ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وقد عمي والله قادر أن يجعل ذلك العذاب العظيم عماه . قال ابن جرير الطبري ( ١٨ / ٨٩ ) : « وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الذي تولى كبره من عصبة الإفك كان عبد الله بن أبي وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير أن الذي بدأ بذكر الإفك وكان يجمع أهله ويحدثهم عبد الله بن أبي بن سلول وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر » .

( ٢ ) **ينظر** في : تفسير القرطبي ( ١٢ / ١٧٦ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٨ / ١١٦ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ١١٥ ) وذكر الماوردي هذه الأقوال .

ويروى الشطر الأول : لقد ذاق عبد الله ما كان أهله ..........

وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

قوله – عز وجل: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: تشيعون ذكره في المجالس حتى ينتشر. وقيل: تتلقونه بالقبول إذا حُدِّثَ به ولا تنكرونه ، وروي عن عائشة – رضي الله عنها– أنها كانت تقرأ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ بكسر اللام وتخفيف القاف[1] ، ومعناه : ترددونه وهو مأخوذ من الولق ، وهو الإسراع ، أي: تسرعون في الكذب وغيره . ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ آثاره. وقيل خطاياه. وقيل: يُخطِّي الشيطان الإنسان من الطاعة إلى المعصية.

قوله – عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ أي: لا يقصر. وقيل: لا يحلف، من قوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[2] أي: يحلف . وقرئ ( وَلا يَتَأَلَّ )[3] أي: لا يحلف.

وفي الحديث: « مَنْ يَتَأَلَّ عَلى اللهِ يُكَذِّبْهُ »[4] وهذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ كان ينفق على مسطح بن أثاثة، فلما خاض في الإثم ونشره حلف أبو بكر ﷺ أن لا يبّره، وكان ابن خالته، فنزلت الآية، فقال أبو بكر: «والله إني أحب أن يغفرَ الله لي» فعاد إلى برِّه وكفَّر عن يمينهِ[5].

﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

قوله – عز وجل : ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الآية فيه ثلاثة أقوال :

---

( ١ ) تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٣٦ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢١٣ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢١٩ ).

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٢٦ ).

(٣) قرأ « يتألَّ » أبو جعفر من العشرة، وقرأ الباقون « يأتل ». تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦/ ٤٤٠)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢١٤ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٦ ) ، المحتسب لابن جني (٢/ ١٠٦ ) معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٤٨ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣١ ).

( ٤ ) رواه ابن السري في كتاب الزهد ( ١ / ٢٨٦ رقم ٤٩٧ ) عن عبد الله بن مسعود من خطبة طويلة له.

( ٥ ) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٦٣٠١ ).

**أحدها**: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. **والثاني**: الخبيثات من الأعمال للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الأعمال، والطيبات من الأعمال للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الأعمال. **الثالث**: أن الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام (١٤٠/أ) والطيبون من الكلام للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى الطيبين، أو إلى أهل البيت .

وقالت عائشة - رضي الله عنها: « أُعْطيتُ تسعاً ما أُعْطَيْتُهُنَّ امرأة: نزلَ جبريلُ بصورتي في راحته حين أمر رسول الله ﷺ، وتزوجني بكراً ، وتوفي ورأسُه في حجري ، وقُبِرَ في بيتي، وحفَّتْ به الملائكةُ في بيتي ، وكان ينزلُ عليه وهو معي في لحاف ، وإني لابنة خليفة رسول الله ﷺ وصدِّيقه ، ونزل عذري من السماء ، وخلقتُ طيبةً عند طيبٍ ، ووعدتُ مغفرةً ورزقا كريما »[١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿تَسْتَأْنِسُواْ﴾ من الاستئناس نقيض الاستيحاش؛ لقوله - تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[٢] وقيل: هو بمعنى الاستعلام والاستكشاف، استفعل من قولهم: أنس بالشيء. إذا علمه ظاهراً منكشفاً؛ كقوله: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ [٣] ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [٤]. تقول: استأنست فلم أر أحداً. أي: حتى يظهر لكم الإذن، ويجوز أن يراد أن يتعرَّف هل ثم إنسان ؟

وروي « أن يتكلم بكلمةٍ أو يتنحَّم فيظهر له أنَّ ثمَّ إنسان »[٥] والتسليم يستحب فيه أن

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده رقم ( ٤٦٢٦ ) ، ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٩ / ٢٤١ ) وقال : وفي الصحيح وغيره بعضه وفي إسناد أبي يعلى من لم أعرفهم .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ( ٥٣ ).

(٣) سورة النساء ، الآية ( ٦ ).

(٤) سورة القصص ، الآية ( ٢٩ ).

(٥) ذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ١٧١ ) ونسبه لابن أبي شيبة والحكيم الترمذي وابن أبي حاتم=

يكون ثلاث مرات. وروي أن النبي ﷺ قال: « الاسْتِئْذانُ ثلاثٌ »[(١)].

و«استأذن رجل على النبي ﷺ فقال: أألجُ ؟ فأشار إلى امرأة يقال لها روضة: قومي إلى هذا فعلّميهِ كيف يستأذنُ يقول: السَّلامُ عليكُمْ أأدخلُ ؟»[(٢)].

وكان الرجل في الجاهلية إذا جاء منزل قومٍ يقول: حييتم صباحاً، وحييتم مساءً. فجاء الإسلام بالاستئذان والسلام، وهذا باب من آداب الشريعة قد أهمله الناس.

وروي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «إن أمي ليس لها خادم غيري ، أأستأذن عليها ؟ قال: أتحب أن تراها عريانة ؟ قال الرجل: لا، قال: فاستأذن»[(٣)].

﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله - عز وجل: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾ لأنه تصرف في ملك الغير بغير إذنه. قوله - عز وجل: ﴿فَارْجِعُوا﴾ أي : لا تُلحُّوا في طلب الإذن ، ولا تقفوا على الأبواب تنتظرون الإذن ؛ فإنَّ ذلك يشق على أصحاب الإذن ، ومنه قوله - تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ﴾[(٤)] فإن عرض عارض من حريق أو ظهور منكر أو سارقٍ فهذا مستثنىً بالدليل .

ثم توعَّد المخاطبين بهذه الأحكام بأنه أعلم بما يقولون (١٤٠/ ب ) وبما يذرون فيجازيهم استثنى من البيوت المسكونة الخانات والفنادق والربط، فأجاز دخولها بغير

---

= والطبراني وابن مردويه عن أبي أيوب قال: قلت: «يا رسول الله، أرأيت قول الله ﴿حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت » .

( ١ ) رواه البخاري رقم (٦)، ومسلم رقم ( ٢١٥٣ ) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

( ٢ ) رواه بهذا السياق الطبري في تفسيره ( ١٨/ ١١٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ١٧٢ ) عن عمرو بن سعيد الثقفي، ورواه أبو داود رقم ( ٥١٧٧ ) بنحوه .

( ٣ ) رواه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣ ) رقم ( ١٧٢٩)، والطبري في تفسيره ( ١٨ / ١١١ ).

( ٤ ) سورة الحجرات ، الآية (٤).

استئذان، والمتاع: الانتفاع والاستكنان من الحر والبرد وصيانة المتاع عن المطر والثلج ، و﴿مِنْ﴾ في قوله : ﴿مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ مزيدة عند الأخفش دون سيبويه[١] ومع ذلك احترز به عن أول نظرة ، وعن استعراض الجارية في البيع ، ورؤية الوجه واليدين في المعاملة ، وغير ذلك مما استثنى ، وقال أبو زيد : كل ما في القرآن من حفظ الفرج المراد به الصيانة عن الزنى إلا هاهنا ، فإن المراد هاهنا التستُّر[٢].

والنساء مأمورات بغض الأبصار. وروي: «أن النبي ﷺ دخل عليه ابن أمٍّ مكتوم وعنده

---

( ١ ) قال الأخفش في معاني القرآن ( ١ / ٩٨ - ٩٩ ) عند قوله - تعالى - في سورة البقرة، الآية (٦١) ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا﴾: « دخلت فيه « من » كنحو ما تقول في الكلام: أهل البصرة يأكلون من البر والشعير . وتقول: دعيت فأصبت من الطعام ، تريد : شيئا ، ولم تذكر الشيء ، كذلك : يخرج لنا مما تنبت الأرض شيئا ، ولم تذكر الشيء . وإن شئت جعلته على قولك: ما رأيت من أحد. تريد: ما رأيت أحدا. وهل جاءك من رجل ؟ تريد: هل جاءك رجل؟ فإن قلت: إنما يكون هذا في النفي والاستفهام ! فقد جاء في غير ذلك، قال: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [ البقرة:٢٧١ ] فهذا ليس باستفهام ولا نفي . وتقول: « زيد من أفضلها » تريد: هو أفضلها. وتقول العرب: قد كان من حديث فخلٍّ عني حتى أذهب، يريدون: قد كان حديث ونظيره: قولهم: هل لك في كذا وكذا، ولا يقول: حاجة، ولا عليك، يريدون: لا بأس عليك ».

وقال سيبويه في الكتاب (١/٣٨): « وليست عن وعلى هاهنا بمنزلة الباء في قوله: « وكفى بالله شهيدا» و« ليس بزيد» ؛ لأن عن وعلى لا يفعل بها ذاك ، ولا بـ « مِن » في الواجب . ونقله عن سيبويه ابن يعيش في شرح المفصل ( ٧ / ١٣ )، ونقل عن الأخفش جواز زيادتها في الواجب.

قال العكبري في « اللباب في علل البناء والإعراب » ( ١ / ٣٥٥ - ٣٥٦ ) - معللا رأي سيبويه ومؤيدا له - : « ودليلنا أن « مِن » حرف ، والأصل في الحروف أنها وضعت للمعاني اختصارا من التصريح بالاسم أو بالفعل الدال على ذلك المعنى كالهمزة ، فإنها تدل على الاستفهام ، فإذا قلت : أزيد عندك؟ أغنت الهمزة عن « أستفهم » ، وأخذت من المال ، أي : بعضه . وما قصد به الاختصار لا ينبغي أن يجيء زائدا ؛ لأن ذلك عكس الغرض ، وإنما جاز في مواضع لمعنى من توكيد ونحوه. ولا يصح ذلك المعنى هنا. ثم رد على الأخفش ومن وافقه احتجاجه بقوله - تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [ البقرة : ٢٧١ ] و ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [ الأحقاف: ٣١ ] والمراد : الجميع. ثم قال العكبري: والجواب: أن « مِن » هنا للتبعيض، أي: بعض سيئاتكم؛ لأن إخفاء الصدقة لا يمحي كل السيئات. وأما « من ذنوبكم» فللتبعيض أيضا؛ لأن الكافر إذا أسلم قد يخفى عليه ذنب وهو مظالم العباد الدنيوية. أو تكون « من » هنا لبيان الجنس». ا هـ من اللباب للعكبري.

وينظر في ذلك أيضا: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ٢٦٠) ، الجنى الداني للمرادي ( ص : ٣١٧ - ٣١٨ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٧ / ١٣) ، المغني لابن هشام ( ١ / ٣٢٣ - ٣٢٤ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ٣٧٩ - ٣٨٠).

( ٢ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٨ / ١١٦ ) عن أبي العالية .

ميمونة وأخرى من نساء النبي ﷺ وذلك بعد أن أمر بالحجاب، فدخل علينا فقال: احتجبا، فقلنا: يا رسول الله: أليس أعمى لا يبصرنا ؟ قال: أفعمياوان أنتما ؟ أَلَسْتُما تُبْصِرانِهِ »[١] ؟ وقدَّم النهي عن النظر ومدَّ البصر على حفظ الفرج؛ لأنه وسيلة إلى الزِّنى، وأكثر الوقوع في الزِّنى إنما هو بسبب النظر.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾

قوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الزينة: ما يُتَزَيَّنُ به، فإن كانت العورة تظهر بظهوره فهو حرام ، وإلا فلا يحرم ، كالقراميل[٢] وهي ما يعمل في الشعر من العقاص المذهبة ، وقدم النهي عن الزينة مطلقاً ولم يفصل ، ليعلم أن النساء مأمورات بزيادة التحفظ ، فإذا نهين عن الزِّينة فالموضع الذي تقع عليه الزينة أولى بالتحفظ ، ألا ترى أن الزينة لو وقعت على الأرض ولم ينكشف شيء من العورة فلا مقال في حِله .

وقوله: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي: ما جرت العادة بظهوره. كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن، وكن يسدلن الخمار من ورائهن، فأمرن أن يسدلنه من أمامهن، قالت عائشة: « رحمَ اللهُ نساءَ الأنصارِ لما سمِعْنَ بنزولِ هذه الآيةِ قطعنَ من خمرهنَّ ما سدلْنَهُ من أمامهنَّ وسترنَ الصدورَ والنُّحورَ»[٣]. وقرئ ( جِيُوبِهِنَّ ) بكسر الجيم[٤] لأجل

---

( ١ ) رواه أحمد ( ٦/ ٢٩٦ ) ، وأبو داود ( ٤١١٢ ) ، والترمذي ( ٢٧٧٨ ) ، وفي سنده نبهان مولي أم سلمة وهو مجهول وضعفه الشيخ الألباني في الإرواء ( ٦/ ١٨٠٦ ).

( ٢ ) **القَراميل** من الشعر والصوف : هي ما تصل به المرأة شعرها ليطول ، وما تشدُّه المرأة في شعرها .
**ينظر**: لسان العرب ( قرمل ).

( ٣ ) رواه البخاري ( ٤٧٥٩ ) ، وأحمد ( ٦/ ١٨٨ ) ، وأبو داود ( ٤١٠٠، ٤١٠٢، ٤١٠٣ ) ، عن عائشة .

( ٤ ) قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وابن ذكوان « جِيوبهن » بالكسر، وقرأ الباقون « جُيوبهن » بالضم .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٤٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢١٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٦٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٢٦ ).

الياء، كالبيوت والعيون، وعن ابن عباس ﷺ: لا يحل لامرأة مسلمة أن تتكشف بين يدي كافرة ؛ عملا بقوله – تعالى : ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾ [١] أي : نساء المؤمنات . وأجازه آخرون قياسا.

قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ وأباح للمرأة (١٤١/أ) أن تُظْهِرَ عليها عبدَها ، وقالت عائشة لعبدها ذكوان : « إذا دفنتني وتركتني في القبر فأنت حر »[٢] . وهناك من منع من ذلك لحصول الفتنة فيه. وروي: «أن معاوية دخل على زوجته ميسون بنت بحدل الكلابية ومعه خصي ، فتسترت الزوجة منه ، فقال معاوية لها : هو خصي ، فقالت : أترى المثلة به تحلل ما حرم الله ؟[٣].

ومنع أبو حنيفة من بيع الخصيان واستخدامهم ، ولم ينقل عن أحد من السلف إمساكهم، واحتج أبو حنيفة بأنه إذا خصي العبد ازداد في ثمنه للدخول على النساء ، فيكون الخصاء سببا في المثلة ، فمنع منه[٤].

فإن قيل: روي أنه أهدي لرسول الله ﷺ خادم فقبله[٥].

قلنا: الحديث ضعيف، وإن صح فهو محمول على أنه قبله ليعتقه[٦].

﴿ٱلْإِرْبَةِ﴾ الحاجة، يعني: الذين يتبعونك ليصيبوا من طعامك، ولا حاجة بهم إلى النكاح . وقيل: الشيوخ الهرمون، وقرئ ( غَيْرَ ) بنصب الراء على الاستثناء أو الحال، وبالجر[٧] على الوصفية.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٧٧ ) ونسبه لسعيد بن منصور والبيهقي بنحوه .

(٢) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم ( ٣٨٢٤ ) بلفظ: « إذا غيبني أبو عمرو ودلاني في حفرتي فهو حر».

(٣) ذكر هذه القصة ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ( ٧٠ / ١٣٠ ) في ترجمة ميسون وقال عنها: ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية، زوج معاوية بن أبي سفيان وأم يزيد بن معاوية، روت عن معاوية، وروى عنها محمد بن علي وكانت امرأة لبيبة.

(٤) **ينظر**: الأم للشافعي ( ٦ / ١٤١ )، بدائع الصنائع للكاساني ( ٤ / ٢٩٣ ).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٤ / ٤١ ) عن مصعب بن عبد الله الزبيري قال: ثم تزوج رسول الله ﷺ مارية بنت شمعون، وهي التي أهداها إلى رسول الله – ﷺ – المقوقس صاحب الإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخصيا يقال له مأبور فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت... » الحديث.

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٣٢ ).

(٧) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم وأبو جعفر « غيرَ » بالفتح، وقرأ الباقون « غيرِ » بالكسر. **تنظر في**:=

﴿لَمۡ يَظۡهَرُواْ﴾ قيل: المراد لم يقووا، من قوله: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [(١)] أو من ظهر على الشيء: اطلع عليه، كأنهم لا يفرقون بين العورة وبقية الجسد، من قوله – تعالى: ﴿وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ [(٢)] أي: وأطلعه. قيل: لم يذكر العم والخال؛ لأنهما قد يصفانه لابنيهما، وذلك ليس بمحرم، لكنه قد يدعو إلى ما لا يحل، وهو مما أمر النساء به لزيادة التحفظ. وقيل: كانت المرأة تضرب بإحدى رجليها الأخرى ليعلم ذلك، فنهين عنه.

واعلم أن أوامر الله – تعالى– ونواهيه لا يقدر العبد الضعيف على أن يوفيها حقها من التحفظ؛ فلذلك وصى المؤمنين جميعاً بالتوبة والاستغفار. قوله – عز وجل: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ التوبة واجبة بهذا الأمر، قال بعضهم: يجب على الإنسان كلما ذكر المعصية أن يجدد التوبة؛ لأن الاستمرار على الندم على المعصية واجب.

وقرئ ( أيهُ الْمُؤْمِنُونَ ) بضم الهاء[(٣)].

﴿وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٣٢﴾﴾

﴿ٱلۡأَيَٰمَىٰ﴾ جمع أيم، وهي التي لا زوج لها، والنكاح مستحب، وأوجبه داود. والأحاديث والآثار تشهد لاستحبابه، فمن ذلك قوله ﷺ: « مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي» [(٤)] ولأنه قضاء لذة تصبر النفس عنها فلم تجب ، كأكل الطيب ، ولبس الناعم، وربما كان (١٤١/ب) واجب الترك إذا أدى إلى معصية أو مفسدة . وواجب الفعل إذا دعت المرأة إلى تزويجها من كفء فيجب على الولي إجابتها[(٥)] . فإن قيل: لم خص الصالحين في قوله:

---

= البحر المحيط لأبي حيان ( ٦/ ٤٤٩ )، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٣٦ )، الحجة لابن خالويه (ص:٢٦١)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢١٧)، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٥٥)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٦٢)، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٢ ).

(١) سورة الصف ، الآية ( ١٤ ).

(٢) سورة التحريم ، الآية ( ٣ ).

( ٣ ) قرأ « أيهُ » ابن عامر، وقرأ باقي العشرة « أيها ». **تنظر** في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٥٠)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٧)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢١٧ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٥٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٣)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٤٢).

( ٤ ) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم ( ١٠٣٧٨ )، وأبو يعلى في مسنده رقم ( ٢٧٤٨ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٧ / ٧٧ )عن عبيد بن سعد عن النبي ﷺ قال : « من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح » . وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٥٠٩).

( ٥ ) **ينظر**: بدائع الصنائع للكاساني (٢/ ٤٨٢)، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ٦٧٠)، المغني لابن قدامة=

﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ﴾؟ قلت: ليحصن دينهم، ويحفظ عليهم صلاحهم.

قوله - عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ ذو سعة ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يبسط الرزق له.

﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٣﴾﴾

﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ﴾ وليجتهد في العفة ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح: ما ينكح به من المال.

﴿وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يطلبون الكتابة، وفي إعراب « الَّذِينَ » قولان: الرفع [على الابتداء] والنصب بإضمار فعل يدل عليه قوله : ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ﴾ ﴿وَءَاتُوهُم﴾ وفي المأمور بإيتائه قولان :

**أحدهما**: الزكاة ؛ لقوله - تعالى : ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [١] أو يحط عن المكاتب بعض ما عليه وذلك واجب عند الشافعي ، ويجوز عند أبي حنيفة إن كان على مال حالٌ ومؤجل ، ومنجَّم وغير منجَّم ؛ لأن الله – تعالى- أطلق جواز الكتابة . وعند الشافعي لابد من تأجيله ، وأقل آجاله نجمان فصاعداً ، وإجابة المكاتب إلى الكتابة سنة . وقيل بوجوبها[٢] .

قوله - عز وجل: ﴿إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ أي : قدرة على الكسب . وقيل: أمانة ، ويجوز للسيد أن يأخذ من المكاتب ما تصدق به عليه .

وكان لعبد الله بن أُبي رأس النفاق ست جوار يُكْرِهُهُنَّ على البغاء، وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن إلى النبي ﷺ ، فنزلت[٣] . وكنى بالفتى والفتاة عن العبد والأمة،

---

= (٧/ ٣٣٤ )، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ١٢٥ )، المهذب للشيرازي ( ٢ / ٤٢٣ ).

( ١ ) سورة التوبة، الآية ( ٦٠ ).

( ٢ ) **ينظر**: الأم للشافعي (٨/ ٣٧ )، بدائع الصنائع للكاساني ( ٣ / ٥٩٧ ) ، بداية المجتهد لابن رشد (١/ ١١٧٤ ) ، المغني لابن قدامة ( ١٢ / ٣٣٩ ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ١٢٧ ).

( ٣ ) رواه مسلم رقم ( ٣٠٢٩ ) نحو ذلك دون ذكر عدد الجواري . وله روايات كثيرة عند الطبري في تفسيره ( ١٨ / ١٣٢ – ١٣٣ ).

وفي الحديث: «لا يَقُلْ أحَدُكُمْ عَبْدي ولا أَمَتي، فإنَّ كُلَّكُم عبيد الله»[١]. وإنما زاد قوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ فإن الإكراه على البغاء لا يتصور مع إرادتهن له. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لهن. قيل: لهم ولهن.

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٣٤) ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)﴾

﴿ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ أي: آيات هذه السورة، أو آيات القرآن. وقرئ ﴿مُّبَيِّنَٰتٍ﴾ بكسر الياء[٢]. ﴿وَمَثَلًا﴾ من أمثال من قبلكم أو قصة عجيبة من قصصهم.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: هادي من في السماوات والأرض. وقيل: خالق نورهما من شمس وقمر، والأول أظهر؛ لقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ و﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ وقد جعل نفسه نوراً مبالغة، ونظير هذه الآية: زيد جود محض يعين الفقير، ويجبر الكسير (١٤٢/أ) شبه الحق في ثبوته وظهوره بالنور ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ كصفة مشكاة، وهي الكوة في الجدار غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ضخم ثاقب. ﴿ٱلزُّجَاجَةُ﴾ شديدة الصفاء شبيهة بالدراري الكبار كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل.

﴿يُوقَدُ﴾ هذا المصباح ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ أي: أن ماءَهُ من شجرة مباركة. يعني: كثيرة المنافع، أو لأنها تنبت في الأرض التي بارك الله فيها. يتعاقب عليها الشمس والقمر وهو أضوأ لِدُهْنِها. وقيل: ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها فقط أو غروبها فقط بل تصيبها بالغداة والعشي جميعاً، يعني أن هذا النور قد اجتمع فيه صغر المشكاة وانسداد صدرها، وصفاء الزجاجة فصارت كالكوكب، وصفاء الزيت بحيث ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ فإذا اجتمعت هذه الأوصاف صلح أن يُشَبَّهَ به نور الله في القلب، فهو تشبيه مفرد بمركب،

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٢٤٩)، وأبو داود رقم (٤٩٧٥)، عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه وخلف «مبيِّنات»، وقرأ الباقون «مُبيَّنات». **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٣)، حجة أبي زرعة (ص: ٤٩٨) الدر المصون للسمين الحلبي (٢ / ٣٣٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٢٣٠)، النشر لابن الجزري (٢٤٨/٢).

ومن لم يتدبر فهو كالأعمى .

وعن علي ﷺ: نشر الله فيها الحق وبثه فأضاءت بنوره ، أو نور قلوب أهلها به [١]. وعن أبي بن كعب : مثل نور من آمن به[٢] . وقرئ ( زَجَاجَة ) بفتح الزاي[٣] وقرئ ( دِرِّيء ) بكسر الدال والهمز[٤] ، أي : دفاع للظُّلمة ؛ كقوله : ﴿ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ [٥] أي: يدفعه . ﴿ فِي بُيُوتٍ ﴾ يتعلق بما قبله، أي : كمشكاة في بعض بيوت الله ، وهي المساجد . وقيل: متعلق بما بعده، أي: يُسبحُ له في بيوت. قوله - عز وجل: ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ أي: يرفع بناؤها ؛ كقوله : ﴿بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا ﴾ [٦] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [٧].

وعن الحسن: ما أمر الله أن ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم[٨].

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ ﴾

﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ قيل: يُتْلَى فيها كتابه ، وقرئ ( يُسَبَّحُ ) بفتح الباء[٩] على البناء للمفعول ، ويسند الفعل إلى أحد الظروف الثلاثة أي: له ، وفيها ، وبالغدو . و﴿رِجَالٌ﴾

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٤٢ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٨ / ٣٦ ).

(٣) قرأ بها ابن أبي عبلة ونصر بن عاصم وابن مجاهد.
**تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٥٦ ) ، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٦١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٢٠ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٨ ) ، المحتسب لابن جني (٢/ ١٠٩).

( ٤ ) قرأ أبو عمرو والكسائي « دِرِّيءٌ » ، وقرأ حمزة وشعبة عن عاصم « دُرِّيٌّ » ، وقرأ الباقون « دُرِّيٌّ ».
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٥٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١٢ / ٢٣٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٦٢ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٤٩٩ ) الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٢٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٦٨ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢/ ٣٣٢ ).

( ٥ ) سورة النور ، الآية ( ٨ ).

( ٦ ) سورة النازعات ، الآيتان ( ٢٧ ، ٢٨ ).

( ٧ ) سورة البقرة ، الآية ( ١٢٧ ).

( ٨ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٨ / ١٤٥ ) وقال : « وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله مجاهد وهو أن معناه أذن الله أن ترفع بناء ؛ كما قال جل ثناؤه : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية ».

(٩) قرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم « يسبَّح » ، وقرأ الباقون « يسبِّح » . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٥٨ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص: ٢٦٢) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥٠١ ) الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٢١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٦٨ )، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٢ ).

مرفوع بما دل عليه ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي: يسبحه رجال. ﴿وَٱلْآصَالِ﴾ جمع أصيل، وهو العشي وقرئ (بالإيصال)[١] وهو الدخول في الأصيل. التجارَة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشتري للربح، ويجوز أن يريد: لا يشتغلون بالتجارة؛ لأنه لا مال لهم فيتجرون به، ويحتمل أن يشتغلوا (١٤٢/ب) بالتجارة، ولكن لا يشغلهم ذلك عن ذكر الله.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أصله: إقامة الصلاة. وتقلب القلوب والأبصار أي: زاغت عن محلها كقوله: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[٢] ويحتمل أن يقال: صارت بصيرة بعد أن كان مغشياً عليها، والقلوب صارت مبصرة بعد أن كانت مختوماً عليها. ﴿أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: أحسن جزاء أعمالهم. ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ أي: يخافون عقابه. السَّرَابُ: ما يُرى وقت الهاجرة، كأنه ماء يتسرب على وجه الأرض. والقِيعَة: بمعنى القاع، أو جمع قاع، وهو المنبسط المستوي من الأرض، كالجيرة في جمع جار، وقرئ (بقيعات) بتاء ممدودة[٣] كديمات وقيمات، شبه ما يعمله من لا يتبع الإيمان، ولا يعتقد الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها تنفعه عند الله، وتنجيه من عذابه، ثم يخيب في العاقبة أمله، ويلقى خلاف ما قدَّر – بسراب يراه الكافر بالسَّاهرة، وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه ماءً، فيأتيه فلا يجد ما رجا، ويجد زبانية الله عنده فيعتلونه إلى جهنم، فيسقونه الحميم والغساق، وهم الذين قال الله – تعالى- فيهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٤] ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[٥] ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[٦] فقيل: نزلت في

---

(١) قرأ بها ابن مجلز وسعيد بن جبير. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٥٨)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٨)، المحتسب لابن جني (٢/ ١١٣).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (١٠).

(٣) قرأ بها مسلمة بن محارب. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٦٠)، تفسير القرطبي (١٢/ ٢٨٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٢٢)، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٦٩)، المحتسب لابن جني (٢/ ١١٣).

(٤) سورة الكهف، الآية (١٠٤).

(٥) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٦) سورة إبراهيم، الآية (١٨).

عتبة بن ربيعة كان قد تنصَّرَ في الجاهلية ولبس المسوح ، وطلب الدين الحق ، فلما جاء النبي ﷺ كفر به[١] .

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾

اللجي: العميق الكثير الماء، وفي ﴿أَخْرَجَ﴾ ضمير الواقع فيه دل عليه السياق، كقوله: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾[٢] يعني الشمس ، ولم تذكر قبل ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: لم يرها ولا قَرُبَ من رؤيتها ، شبه أعمالهم أولاً في فوات نفعها وحصول ضررها بسرابٍ لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ، ثم وجد الزبانية عنده ، فألقوه في النار، وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة ، وفي خلوِّها عن نور الحق - بظلمات متراكمة من لجج البحر والأمواج والسحاب . وقرئ ﴿سَحَابٌ﴾ بالرفع والتنوين و﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ بالجر والتنوين[٣] بدل من قوله ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ﴾.

قوله - عز وجل: ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ (١٤٣/أ) أي: قد علم الله صلاة ذلك الطائر وتسبيحه.

وقيل: كلُّ طيرٍ قد علم ما وظف عليه من التسبيح والصلاة فقام به ولم يؤخره، والله - تعالى- ألهم هذه الحيوانات تعظيمه كما ألهمها مصالحها.

﴿يُزْجِي﴾ يسوق ﴿رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعضٍ و﴿ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ، و﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٣٤) وفيه « شيبة » بدل عتبة .

(٢) سورة ص ، الآية (٣٢).

(٣) قرأ قنبل « سحابٌ ظلماتٍ » ، وقرأ البزي « سحابُ ظلماتٍ » ، وقرأ جمهور العشرة « سحابٌ ظلماتٌ » .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٦٢) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٦٣) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥٠٢) الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٢٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٥٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٧٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٢).

على زيادة الباء ؛ كقوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى﴾ [(١)] فإن قلت : متى رأى رسول الله ﷺ تسبيح من في السماوات والأرض والطير ودعاءه ، وتنزيل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؟ قيل: علم ذلك من جهة الوحي.

فإن قلت: ما الفرق بين ﴿مِنْ﴾ الأولى والثانية والثالثة ؟ قلت: الأولى لابتداء الغاية ، والثانية للتبعيض ، والثالثة لبيان الجنس . وقوله : ﴿مِن جِبَالٍ﴾ يجوز أن يخلق الله – تعالى– في السماء جبالاً من بردٍ ، كما خلق في الأرض جبالاً من حجرٍ ، ويحتمل أن يراد بالجبل الكثرة، تقول : عند فلان جبال من ذهب.

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾﴾

ولما كان اسم الدابة يقع على من يعقل ومن لا يعقل غلب ما يعقل في قوله : ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ و﴿مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ وهما لا يعقلان ، فقال فيهما : ﴿مَّن﴾ والقياس: ما يمشي .

وخلق الله – سبحانه وتعالى ﴿مِّن مَّآءٍ﴾ هو النطفة ؛ كقوله : ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [(٢)] وسمى الزحف على البطن مشياً استعارة ؛ كقولك : مشى هذا الأمر. وقوله: ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشارة إلى القائلين: ( آمنا وأطعنا ) أو إلى المعرضين منهم ، وعرف المؤمنين إشارة إلى أنهم ليسوا بالكاملين في الإيمان المطيعين للأوامر.

معنى ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي: إلى رسول الله – ﷺ – كقولك: أعجبني زيد وكرمه، أي: كرمُ زيدٍ، ومنه قوله [ من الرجز ]:

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسي وَمِنْ إِشْفَاقِها[(٣)]

---

( ١ ) سورة البقرة ، الآية ( ١٩٥ ).

( ٢ ) سورة الرعد ، الآية (٤).

( ٣ ) ينظر بلا نسبة في : غريب الحديث لابن قتيبة ( ١/ ٢٦٣ ) وتكملته ومناسبته قال ابن قتيبة : =

وروي أنها نزلت في بشر المنافق خاصم رجلاً من اليهود ، فطلب اليهودي المحاكمة عند النبي ﷺ وطلب المنافق عند كعب بن الأشرف ؛ لعلمه أن كعباً يقبل الرّشا[1].

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (٥٠) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ (٥٢) ﴾

قوله تعالي: ﴿يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ الجار والمجرور متعلق بـ « يَأْتوا» وأتى وجاء سُمِعا متعديين. وقيل: متعلق بـ « مُذْعِنِينَ ». قسم الأمر في إعراضهم بين أن يكونوا مرتابين في قلوبهم مرض، أو يخافوا منك الحيف عليهم، ثم إنه أبطل خوفهم وبين أن تأخرهم (١٤٣/ ب) عن طاعته ما كان إلا ظلماً بقوله: ﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قرئ بالرفع والنصب[2] على اسم كان وخبرها، والنصب أفصح؛ لأن قوله: ﴿أَن يَقُولُوا۟﴾ أدخل في التعريف ؛ لأنه لا يمكن تنكيره .

فإن قلت: ما فاعل « لِيَحْكُمَ » ؟ قلت : هو إيقاع الحكم ؛ كقولك : فرق بينهما وجمع بينهما ومثله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ في قراءة النصب[3] أي : أوقع التقطيع . ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ قرئ بكسر الهاء ليتولد منها ياء ، وقرئ بحذف الياء ، وقرئ بسكون القاف[4] شبه « تَقِه » بـ

---

= ومثل قول الأعرابي - وكان يطرد الطير عن زرع في سنة جدب [ من الرجز ] - :

عجبت من نفسي ومن إشفاقها
ومن طرادي الطير عن أرزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها
حمراء تبري اللحم عن عراقها
والموت في عنقي وفي أعناقها

( ١ ) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء ، الآية (٦٠).

( ٢ ) قرأ جمهور القراء « قولَ » بالنصب ، وقرأ علي والحسن وابن أبي إسحاق « قولُ » بالرفع ، وذلك على أنه الاسم و«أن» المصدرية وما في حيزها : الخبر . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٦٨ ) ، تفسير القرطبي ( ١٢ / ٢٩٥)، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٦٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٢٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٧٢) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١١٥ ).

( ٣ ) تقدم تخريجها في سورة الأنعام ، الآية ( ٩٤ ).

( ٤ ) قرأ أبو عمرو البصري وشعبة « يَتَّقِهْ » وقرأ حفص عن عاصم « يَتَّقْهِ » وقرأ ابن كثير وورش وابن ذكوان وخلف عن حمزة وعن الكسائي « يَتَّقِهِ » مع إشباع الهاء. **تنظر** في: البحر المحيط لأبي حيان =

«كَتِف» فسكن أوسطه ، كـ«كَتِف » في « كَتِف » وقال الشاعر [ من الرجز ] :

قالتْ سُلَيْمَى اشْتَرْ لَنا سَويقا [1]

وعن ابن عباس: « ومن يطع الله في فرائضه، ورسوله في سننه، ويخش الله على ما مضى من ذنوبه، ويتقه فيما يستقبل ».[2]

وسأل بعض الملوك عن آية كافيةٍ ، فقيل له هذه .

﴿ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله – عز وجل: ﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أي: بلغوا الجهد فيها، ومن قال: بالله فقد وفَّى باليمين جهده. وأصله: أقسم بجهد نفسه في اليمين جهدا وحكم. قوله: ﴿جَهْدَ﴾ أي: جاهدا حال من فعل مضمر، أي: أقسم جاهدا.

قوله – عز وجل: ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ ذلك كذب؛ لأنهم يفعلون ما لا يوافق قولهم من المخالفة. وقيل: هو من كلام الله ، أي: طاعة معروفة صحيحة خير لكم من الافتراء.

---

= ( ٦ / ٤٦٨ ) ، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٣ ) ، حجة أبي زرعة ( ص: ٥٠٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٢٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٥٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٧١ ) ، النشر لابن الجزري ( ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ).

( ١ ) هذا صدر بيت لرجل من كندة وعجزه :

............ وهاتِ خبزَ البرِّ أو دقيقا .

ويروى : قالت لُبَيْنى ........ وهات بُرَّ البخس ..........

ينظر في: تاج العروس للزبيدي ( بخس )، تفسير القرطبي (١/ ٤٤٠) ، روح المعاني للألوسي (١٨/ ١٩٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٤٩ ) ، لسان العرب ( بخس ) والسويق: ما كانت تعمله العرب من الحنطة والشعير. والبخس: الأرض التي تنبت من غير سقي.

( ٢ ) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٥٠ ).

وقرأ اليزيدي ( طَاعَةً مَعْرُوفَةً ) بالنصب[١] على معنى: فأطيعوا، صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب التفاتاً وهو أبلغ في تبكيتهم . ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فإن توليتم فما ضررتموه، وإنما ضررتم أنفسكم، فإنه ما على الرسول سوى إبلاغ ما حُمِّل ، وما له نفع في قبولكم في طلب عَرَضٍ من أعراض الدنيا . ومعنى كون البلاغ مبيناً أنه قامت على تصديقه الحجج والبينات ، وأن يمكّنَ الدين المُرْتَضَى .

قوله - عز وجل: ﴿مِنكُمْ﴾ لبيان الجنس، كالتي في آخر سورة الفتح[٢] وقوله: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ اللام فيها جواب قسم محذوف، أي: والله ليستخلفنهم. وقيل: جعل وعده بذلك بمنزلة المقسم عليه فتلقّى باللام كما يُتَلقَّى القسم. ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ النبي والصحابة، أي: أن يجعلهم خلفاء الأرض، ويُذْهِبَ عنهم ما كانوا عليه من خوفٍ ، فإن الصحابة كانوا بمكة في خوفٍ ، وكذلك في أوائل قدومهم إلى المدينة لا يخلون من لباس السلاح ، فقال رجل : أترى (١٤٤/أ) يخلص لنا يوم نسلم فيه من لباس السلاح ، فقال النبي ﷺ: « لا يمضي عليكُمْ إلا زمنٌ قليلٌ حتى يجلسَ أحدُكُمْ في ملأ عظيمٍ ينصرُ الحقَّ وأهلَهُ»[٣]. وصدقَ اللهُ وعدَهُ، وأعطاهم مُلْكَ الأكاسِرَةِ، وملكوا خزائنَهُمْ.

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ يجوز أن يكون مستأنفاً لا موضع له من الإعراب، ويجوز أن يكون حالاً، أي: وعدهم بذلك عابدين غير مشركين ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أي: هذه النعم. ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ الكاملون في الفسق. وفي هذه الآية دليل على أن الخلفاء الأربعة داخلون في هذا الوعد. أو: هم المقصودون به ؛ فإن الله - تعالى- استخلفهم ومكنهم فعدلوا .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)﴾

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[٤] أن أحدا يعجز الله، أو لا يحسبن الذين كفروا

---

(١) وقرأ بها أيضا زيد بن علي على المصدر لفعل محذوف أي: أطيعوا طاعةً، وقراءة الجمهور « طاعةٌ معروفةٌ» تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٦٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥/ ٢٣١)، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٤٦)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٧٣ ).

(٢) في قوله - تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، الآية (٢٩).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٢١٥ ) ونسبه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن أبي العالية.

(٤) قرأ حمزة وابن عامر« يحسبن » بياء الغيبة، وقرأ باقي العشرة « تحسبن » بتاء الخطاب . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٧٠ ) ، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٣)، حجة أبي زرعة (ص:٥٠٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٣٢) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٢).

أنفسهم معجزين.

أمر بأن يستأذن العبيد. وقيل: العبيد والإماء والصغار ثلاثَ مَرَّات في اليوم والليلة؛ لأنها أوقات نومٍ، وربما دخل في شيء من هذه الأوقات فتبينت له بعض عورة النائم، فأمروا بالتحفظ، وسُمِّيَ كلُّ وقت من هذه الأوقات عورة لخللها، والعورة الخلل، ثم بين العذر في جواز الدخول للمذكورين فيما سوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ يعني: أن بكم وبهم حاجة إلى الدخول؛ لأنهم طوافون عليكم.

روي أن مدلج بن عمروٍ كان غلاما أنصاريًا أرسله رسول الله - ﷺ - وقت الظهيرة إلى عمر ﷺ، فدخل عليه وهو نائم، وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر ﷺ: لوددتُ أن الله - عز وجل- نهى آباءنا وأبناءنا وخدمنا عند الدخول علينا هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية[1]، وهي إحدى الآيات الثلاثة المنزلة بسبب عمر[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٨ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٥٩﴾

﴿ٱلْحُلُمَ﴾ بسكون اللام[3] وقرئ (ثلاثَ عَوْرَاتٍ) بالنصب بدلاً عن ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ أي

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول ( ٣٣٩ ) ( ٦٤٨ ) ، والماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ١٤٠ ) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٥٥ ) لابن أبي حاتم .

(٢) روى البخاري في صحيحه رقم ( ٣٨٧ ) عن أنس قال: قال عمر: « وافقت ربي في ثلاث ؛ فقلت : يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥] وآية الحجاب قلت : يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥] فنزلت هذه الآية ».

(٣) قرأ بها الحسن وأبو عمرو في رواية. **تنظر** في: البحر لأبي حيان ( ٦ / ٤٧٢ )، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٣٤)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٣ ).

أوقات ثلاث عورات. وعن الأعمش[1] ( عَوَرَاتٍ) بفتح الواو على لغة هذيل ومحل ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ﴾ على قراءة (ثلاثُ عَوْرَاتٍ ) بالرفع[2] الرفع على الوصف، وإذا نصبت لم يكن له محل، وكان كلاماً مقرراً للأمر بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة.

وقوله: ﴿بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ويجوز أن يرتفع ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بـ ( يطوف ) مضمراً لدلالة ﴿طَوَّٰفُونَ﴾ عليه (١٤٤/ب ) ﴿ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أي : من الأحرار دون المماليك .

﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بلغوا الحلم من قبلهم أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ الآية[3] وهذه الآيات مما الناس عنه في غفلة ، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة ، وعن ابن عباس : « ثلاث آيات جحدهن الناس : الإذن كله ، وقوله : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [4] فقال الناس : أعظمكم بيتا ، وقوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[5] ».

﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا

---

( ١ ) هو سليمان بن مهران الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين أبو محمد الأسدي الأعمش ، كان من النساك وكان محافظا على الصلاة في جماعة وعلى الصف الأول وهو علامة الإسلام ، له قراءة شاذة ليس طريقها بالمشهور، مات الأعمش في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة .
**تنظر** ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٦ / ٢٢٦ ).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية شعبة عنه وخلف « ثلاثَ » وقرأ باقي العشرة « ثلاثُ » وقرأ الأعمش « عَوَرات» . **تنظر** في : البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٧٢) ، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٤)، حجة أبي زرعة ( ص: ٥٠٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٣٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٥٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٧٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٣ ).

(٣) سورة النور ، الآية ( ٢٧ ).

(٤) سورة الحجرات ، الآية ( ١٣ ).

(٥) سورة النساء، الآية ( ٨ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥/١٠٢ ) ، وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ﴾ أي: عن الحيض والولد غير طامعات في التزويج. ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ أي: عن وضع الثياب ، وأراد بالتبرج إظهار ما يجب إخفاؤه والبَرَجُ : سعة العين . كان المسلمون يذهبون بالضعفاء وأصحاب العاهات إلى منازلهم ليصيبوا من طعامهم . وقيل: كانوا يذهبون بأصحاب العاهات إلى منازل أقاربهم فيأكلوا من طعامهم، فخاف الآكلون أن يلحقهم حرج في ذلك فنزلت[١].

وقيل: كان الرجل يسافر ويدع على منزله واحداً من هؤلاء ، وترك بعضهم رجلاً يقال له: مالك ابن زيد في بيته ، فلما جاء صاحب المنزل وجد مالكاً مهزولاً فقال : ما أصابك؟ فقال: لم يكن عندي شيء ، ولا يحل أكل مالك بغير إذنك ، فنزلت[٢] .

وقيل: ليس على هؤلاء حرج في ترك الجهاد. فإن قلت: ما وجه دخول ترك الجهاد في هذه الآية؟ قلت : هما يشتركان في نفي الحرج . وقيل في القول الأول: إن مجالسة هؤلاء وقت الأكل قد تكره، أما الأعمى فلأنه قد تسبق يده إلى ما سبقت إليه عين غيره ، وأما الأعرج فلأنه يتفجع في جلوسه ، وأما المريض لا يخلو من رائحة من فيه أو أذنه أو جرح يسيل في باطنه . فإن قلت : لِمَ لَمْ يذكر الأولاد ؟ قلت: قد دخلوا في قوله: ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ لأن ولد الرجل بعضه ، وحكمه حكم نفسه.

﴿مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي: إذا كان ماله تحت يدك ومفاتحه عندك فلا جناح عليك أن تشرب من لبن ماشيته، وتأكل من ثمرة بستانه. وقيل: بيوت المماليك؛ لأن مال العبد لمولاه.

قوله – عز وجل. ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ أي: أصدقائكم. والصديق والرفيق يخبر به عن الواحد والجمع، ومنه قوله –تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٣] ولم يقل : رفقاء .

---

( ١ ) روى ذلك الطبري في تفسيره ( ١٨ / ١٦٩ ) ، والماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ١٤٢ ).

( ٢ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٢٢٥ ) ونسبه للثعلبي عن ابن عباس ، وفيه « خالد بن زيد » بدل « مالك».

( ٣ ) سورة النساء ، الآية ( ٦٩ ).

ويحكى عن الحسن: «أنه دخل (١٤٥/أ) داره فوجد جماعة من أصدقائه قد أخرجوا سلالاً من تحت سريره فيها أنواع من الحلوى وهم مكبون يأكلون، فتغرغرت عيناه وقال: هكذا وجدناهم، هكذا وجدناهم» يعني: كبار الصحابة. وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته عن كيسه فيأخذ ما شاء منه ، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سروراً بذلك [١]. وقالوا إذا دلت قرينة الحال على الإذن قام ذلك مقام الإذن الصريح، وربما قبح الاستئذان واستكره كمن قُدِّمَ إليه طعامٌ فاستأذن صاحبه في الأكل منه. قيل: كان بنو الليث بن عمروٍ من كنانة يتحرجون أن يأكل أحدهم وحده ، فربما قعد منتظرا نهاره إلى الليل ، فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . وقيل : في قوم من الأنصار إذا نزل بهم ضيف لا يأكلون إلا مع ضيفهم . وقيل : تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل ، وزيادة بعضهم على بعض [٢] .

فإذا دخلتم بيتاً من هذه البيوت فسلموا على أهلها ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ مشروعة من جهته وعن أنس بن مالك قال: «أوصاني رسول الله - ﷺ - بثلاث خصال ؛ أن أسلم على من لقيته من المسلمين ، وإذا دخلت بيتي أن أسلم عليهم يكثر خير أهل البيت وبصلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين» . وإذا لم يكن في البيت أحد فليقل : السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله [٣] . وعن ابن عباس: «إذا دخلت المسجد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» [٤].

---

( ١ ) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٥٧).

( ٢ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٨ / ١٧٣ ) وقال : « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل من الفقير وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا وبسبب غير ذلك ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل » .

( ٣ ) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٢٢٧ ) ونسبه للبزار وابن عدى والبيهقي في شعب الإيمان.

( ٤ ) رواه الطبري في تفسيره ( ١٨ / ١٧٤ )، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/٤٣٦)، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ /٢٢٧ ) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢) لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ (٦٤)﴾

بيَّن – سبحانه– عظم الذنب في القيام عن مجلس رسول الله ﷺ بغير إذنه، وذلك بتقديم «إنما» الدالة على الحصر، وقرن ذلك الوصف بالإيمان بالله والرسول ، ثم أعاده على نمط آخر بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ والأمر الجامع: الذي يجتمع الناس عليه ، فجعل الأمر جامعاً مجازا والأمر المهم اجتماع الكبراء في قصد عدوٍ ، أو في نقض عهدٍ . وقيل: نزلت في حفر الخندق ، وكان قوم يتسللون ذاهبين بغير إذنٍ وقالوا : كذلك ينبغي أن يكون الناس (١٤٥/ب) مع أئمتهم ، ولا يذهبون عنهم بغير إذنهم ، ولا ينادوه باسمه ، فيقولوا: يا محمد ، بل: يا رسول الله، ويا نبي الله ، أو: لا تهملوا وجوب حضوركم إليه ودعاءه إياكم ﴿كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ إن شئتم أجبتم ، وإن شئتم تركتم . ومعنى ﴿ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: يصدون، تقول: خالفت الرجل إلى المنزل أي: ذهبت إليه ولم يذهب هو. وقوله : ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ الضمير عائد إلى الله . وقيل: إلى الرسول.

وقوله – عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ دخلت (قد) للتكثير. كما إذا دخلت ﴿مَآ﴾ على (رُبَّ) صارت للتكثير. ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ (١).

وقول الشاعر [ من البسيط ] :

قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أنامِلُه ......................... (٢)

[ ومن الطويل ]:

---

(١) سورة الحجر ، الآية ( ٢ ).

(٢) تقدم في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١٤٤ ).

وقَــدْ أغْتَــدي والطَّيْــرُ في وُكناتِهــا ............................[1]

لم يُرد القلة في شيء من ذلك.

* * *

(١) تقدم في تفسير سورة البقرة، الآية (١٤٤).

## سورة الفرقان [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا (٢) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (٣)﴾

**البركة**: الخير وزيادته، وفيه معنيان: **أحدهما**: تكاثر خير الذي نزل الفرقان.

**والثاني**: تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله.

و﴿الْفُرْقَانَ﴾ مصدر فرق؛ كالغفران والشكران ، وسمي به القرآن ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ، أو لأنه نزل مفرقا مفصلاً ؛ لقوله : ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ الآية [(١)] .

وقرئ ( على عِبَادِه ) [(٢)] يعني النبي ﷺ وأمته؛ لقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا﴾ [(٣)] ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [(٤)]. ﴿لِيَكُونَ﴾ الرسول أو القرآن، ويعضد عوده إلى القرآن قراءة من قرأ "على عِبَادِهِ" .

﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس ﴿نَذِيرًا﴾ بمعنى: منذراً، أي: مخوفاً أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار، ومنه ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [(٥)] ﴿الَّذِي لَهُ﴾ رفع على الإبدال من ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ أو على المدح، أو نصب عليه، وجاز الفصل بين البدل والمبدل منه؛ لأنه ليس بأجنبي. فإن قلتَ: في الخلق معنى التقدير فكيف قال بعده: ﴿فَقَدَّرَهُ﴾؟

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ١٠٦ ).

(٢) قرأ بها عبد الله بن الزبير . **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٢) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١١٧) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ١٤٨ ).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ( ١٠ ).

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٦ ).

(٥) سورة القمر ، الآية ( ١٦ ) .

قلتُ: الخلق فيه معنى التقدير فكأنه قال: قدر كل شيء، يعني: أحدث كل شيء على مقتضي الحكمة أي: أوجده غير متفاوتٍ. وقيل: معناه فقدر له مدة لبقائه. ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ لا تقدر على جلب نفعٍ ولا (١٤٦/أ) دفع ضرٍّ ولا إيجاد مخلوق.

﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ﴾ إحياء ولا إماتة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾

﴿قَوۡمٌ ءَاخَرُونَ﴾ اليهود. وقيل: عدَّاس مولى حويطب بن عبد العزَّى، ويسار مولى العلاء بن الحضرمي، وأبو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث[1]. جاء وأتى يستعملان بمعنى فعل فيعديان تعديته، ويجوز أن يكون بمعنى ورد ظلماً، تقول: جئت المكان، ويجوز أن يحذف الجار، أي: جاءوا بظلم وزور، وظلمهم أن جعلوا أفصح العرب يتلقى من الرومي وقد أتاهم بكتاب أعجز العالم بفصاحته، والزور: نسبتهم إياه إلى الافتراء الذي هو بريء منه.

﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أحاديث سطرها المتقدمون، كأحاديث رستم واسفنديار[2]، جمع أسطورة، كأحدوثة. ﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾ أي: استدعى كتابتها لنفسه، وقرئ (اكْتُتِبَهَا) على البناء للمفعول[3] أي: كتبها له كاتب؛ لأنه كان أميًّا لا يكتب ﴿تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ﴾ أي: تلقى عليه ليحفظها؛ لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب.

وعن الحسن أنه قول الله - سبحانه- يكذبهم، وإنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة على الاستفهام في معنى الإنكار[4] كقول الشاعر [ من المنسرح ]:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٨٢).

(٢) من ملوك الفرس.

(٣) قرأ بالبناء للمجهول طلحة بن مصرف.

**تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٤٣)، فتح القدير للشوكاني (٤ / ٦١)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٦٤)، المحتسب لابن جني (٢ / ١١٧).

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف (٣ / ٢٦٤).

أَفْـــرَحُ أنْ أُرْزَأَ الكِـــرامَ وأنْ أُرْزَقَ ذَوْدًا شَصائِـــصًا نَـــبَلا[1]

﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ ﴾

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: يعلم كل سرٍّ خفي فيهما، ومنه كيدهم برسول الله ﷺ وتمحلهم للطعن في الدين.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ هذا المعنى ؟ قلت : من عادته - سبحانه وتعالى- أن يقرن الوعد بالوعيد أو : غفور رحيم لم يعاجل بالعقوبة على ما صنعتموه ، لكنه أمهل وما أهمل .

﴿مَالِ هَٰذَا﴾ وقع في المصحف فصل اللام عن الهاء ، والأصل وصلها ، وخط المصحف سنة لا تغير. وقولهم " ما لهذا " : فيه تحقير واستهانة بجانب النبوة ومثله قوله - تعالى: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [2] وتسميته بالرسول سخرية منهم، ومنه قول فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [3].

و﴿وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ لطلب المعاش، يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن ذلك، ثم نزلوا فقالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ ( ١٤٦/ ب ).

قوله - عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ وضع للظاهر موضع المضمر والنصب في " فَيَكُونَ " جواب ﴿لَوْلَآ﴾ التي للتحضيض. القائلون كفار قريش؛ النضر بن الحارث وعبد

---

(١) البيت لحضرمي بن عامر يخاطب جزء بن سنان حين اتهمه بسروره بأخذ دية أخيه المقتول .
**ينظر في** : تاج العروس للزبيدي ( شصص ) ، تهذيب اللغة للأزهري ( ١١ / ٢٦٣ ) ، جمهرة اللغة (ص : ٣٧٩ ) ، العين المنسوب للخليل ( ٨ / ٣٢٩)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٦٤ ) ، لسان العرب ( شصص ) ، مقاييس اللغة ( ٥ / ٣٨٣ ) ويروى " أورث " بدل " أرزق". أي : أأفرح أن أعطى قطيعا من الإبل بعد موتهم ، **والذود** : ما بين الثلاثة إلى العشرة وعبر بها عن الدية استقلالا وتحقيرا لها ، **والشصائص**: جمع شصوص وهي الناقة قليلة اللبن ، **والنبل** : جمع النبيل وهو الصغير من الإبل.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ( ٣٦ ).

(٣) سورة الشعراء، الآية ( ٢٧ ).

الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم. ﴿مَّسۡحُورًا﴾ سُحِرَ فَغُلِبَ على عقله، أو ذا سَحَر وهو الرئة، عنوا أنه بشر لا ملك.

﴿ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾ أي: قالوا فيك تلك الأقوال ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن طريق الحق فلا يجدون طريقا إلى سلوكه. جاء بكل بركة ﴿ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرًا﴾ وقرئ (ويَجعَلُ) بالرفع عطفاً على ﴿جَعَلَ﴾ لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع[1] وقرئ بالنصب[2] على أنه جواب الشرط بالواو.

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتۡهُم مِّن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظٗا وَزَفِيرٗا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلۡقُواْ مِنۡهَا مَكَانٗا ضَيِّقٗا مُّقَرَّنِينَ دَعَوۡاْ هُنَالِكَ ثُبُورٗا ﴿١٣﴾ لَّا تَدۡعُواْ ٱلۡيَوۡمَ ثُبُورٗا وَٰحِدٗا وَٱدۡعُواْ ثُبُورٗا كَثِيرٗا ﴿١٤﴾﴾

﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ أي: أتوا بما هو أشد من ذلك كله وهو تكذيبهم بالبعث ﴿سَعِيرًا﴾ النار الشديدة الاستعار. وقيل: هو اسم من أسماء جهنم. ﴿إِذَا رَأَتۡهُم﴾ من قولك: دورهم تتراءى أي: تتقابل، ومنه قوله ﷺ: "لا تَراءَى ناراهُما" [3].

كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز، والمعنى: إذا قربت منهم سمعوا صوت غليانها، وشبهه بصوت المتغيظ والزافر ويجوز أن يراد: إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضباً. والكرب مع الضيق كما أن الفرج مع السعة، ولهذا قال ﴿مَكَانٗا ضَيِّقٗا﴾ ووصف الله الجنة

---

(١) **ينظر**: الإنصاف لابن الأنباري ( ٢ / ٦٢٨ )، شرح ابن عقيل للألفية ( ٤ / ٣٥ )، المغني لابن هشام (١/ ٥٠٥ ).

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة عن عاصم (ويجعلُ) وقرأ الباقون (ويجعلْ). وقرأ عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمان (ويجعلَ).
**تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٤٨٤ )، حجة ابن خالويه ( ص:٢٦٤ ) ، حجة أبي زرعة (ص:٥٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥/ ٢٤٤ )، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٦)، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٦٣) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٣ ).

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم ( ٢٦٤٥ )، والترمذي رقم ( ١٦٠٤ ) عن جرير بن عبد الله قال: "بعث رسول الله ﷺ سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود فأسرع فيهم القتل ، قال : فبلغ ذلك النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العقل وقال : أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قالوا : يا رسول الله لم ؟ قال: لا تراءى ناراهما " . وقال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم ( ٢٣٠٤ ): صحيح دون جملة العقل.

بأن عرضها السماوات والأرض. جمع الله للكفار ضيق محلهم حتى قيل: إنه يزج الكافر في جهنم كما يزج الوتد في الحائط، وهم مغلون في أعناقهم وفي أرجلهم الأصفاد، وهي القيود وقد قرنت أيديهم مع أعناقهم. وقيل: قرن كل إنسان مع شيطانه في الدنيا بالسلاسل.

الثُّبور: الهلاك، ودعاء الثبور أن يقال: واثبوراه، أي: تعال يا ثبور، فهذا حينك وزمانك. ﴿لَّا تَدْعُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك، أو هم أحقاء بأن يدعوا الويل والثبور وإن لم يكن ثم قول، ومعنى ﴿وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ أي: ليس ثبوركم ثبورا واحداً، بل هو متعدد إما لتعدد أسبابه، أو لتعدد أنواع العذاب، أو لأنه كلما بدلوا جلودا غير الأول تضاعفت عقوبتهم، وكثر ثبورهم والضمير الرابط في قوله: ﴿الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ محذوف، أي: وُعِدَها.

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْئُولًا (١٦) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (١٧) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا (١٨)﴾

قوله: ﴿جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾ ذكر المصير في الجنة (١٤٧/أ) ولم يذكره في النار؛ لأن السرور التام إنما يحصل لموافقة المسكن الغرض وسلامته من الغثاثة، فذكره من جزاء الخير وعداً من الله، حقه أن يسأل، وقد سألته الملائكة والصالحون من الإنس، قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ﴾[1] وقال الصالحون: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾[2] وقرئ (يَحْشِرُهُمْ) بكسر الشين، و(نَحْشُرُهُمْ) و (نَقُولُ) بنونين[3]. وجائز ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يريد: المعبودين من الملائكة والمسيح وعزير[4]. وعن الكلبي: يُنطِق

(١) سورة غافر، الآية (٨).

(٢) سورة آل عمران، الآية (١٩٤).

(٣) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم وأبو جعفر ويعقوب (يحشرهم) وقرأ الباقون (نحشرهم). وقرأ ابن عامر (فنقول) وقرأ الباقون (فيقول). **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦ / ٤٨٧)، حجة ابن خالويه (ص: ٢٦٥)، حجة أبي زرعة (ص: ٥٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٤٦)، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٦٣)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٨)، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٣٣).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨ / ١٨٩) عن مجاهد.

الله الأصنام ويسألها[١]. ويجوز أن يعم الجميع، وإذا اجتمع ما يعقل وما لا يعقل غلب العاقل ، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ وذكر الفاعل لأنه ليس الإنكار على الفعل فإن عبادة الأصنام قد وقعت ، وإنما السؤال عن فاعلها فيبهت وتنقطع حجته فيبادرون إلى الإنكار ، ويقولون : بل أنت يا ربنا متعتهم بالأموال والبنين حتى نسوا الذكر وهلكوا بسبب ذلك . والبوار: الهلاك، والبور: الهالكون ، فإذا تبرأت الملائكة وصلحاء الإنس والجن عن ذلك بهت الكفار وقالوا: أنت الذي أنعمت عليهم فبطروا وجعلوا بدل الشكر كفرانا .

وقوله: ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تعجب منهم مما قيل لهم. وقرأ أبو جعفر المدني ﴿أَن نُّتَّخَذَ﴾ بضم النون وفتح التاء والخاء[٢] ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ ذكر الله والإيمان به، أو القرآن.

﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسۡتَطِيعُونَ صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗاۚ وَمَن يَظۡلِم مِّنكُمۡ نُذِقۡهُ عَذَابٗا كَبِيرٗا (١٩) وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا (٢٠)﴾

وقرئ ( بِمَا يَقُولُونَ ) بالياء والتاء ، و( فما يَسْتَطِيعُونَ ) بالتاء والياء[٣] صرف العذاب عنكم ولا تخليصًا . الجملة الواقعة بعد إلا محذوفة وهي في موضع مفعول ، والتقدير: وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا إنهم ؛ كقوله: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾[٤] أي : وما منا أحد .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٦٨ )

(٢) قرأ بها أبو جعفر وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وأبو رجاء والحسن ، وقرأ الباقون " نَتَّخِذَ " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٨٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٤٧)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٠)، المحتسب لابن جني (٢/ ١١٩) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٦٤ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٣ ).

(٣) قرأ حفص عن عاصم ( تستطيعون )، وقرأ الباقون (يستطيعون). **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٩٠)، حجة أبي زرعة ( ص: ٥٠٩ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٤٨)، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٦٣ ) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧١ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٤).

(٤) سورة الصافات، الآية ( ١٦٤ ).

وقرئ: ( يُمَشُّونَ فِي الأسواق )[١] أي: تمشيهم حوائجهم، أو يمشيهم الناس. وقيل: هذا ردٌّ على من قال: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾.

﴿فِتۡنَةً﴾ محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله ﷺ على ما قالوه. الرجاء يكون بمعنى الخوف، كقول الشاعر في رجلٍ يجني العسل فتلسعه زنابير العسل [من الطويل]:

إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها[٢]

أي : لم يخف ، ويراد به رجاء الخير ( ١٤٧/ ب ) كقوله - تعالى : ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾[٣] ويجوز أن يراد الأمران : أمل الخير وخوف الشر.

﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا ٢٢ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ٢٤﴾

﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ فيخبرونا بصدقك يا محمد ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ عياناً فيخبرنا بصدقك ، وسواء كانوا عالمين بأن الله لا يبعث الملائكة إلا لقضاء الأمر ونزول عذاب أو لا يعلمون ذلك فهم على كل حالٍ يسعون في إبطال الرسالة .

ومعنى قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ أنهم أنكروا الرسالة ، ومنعهم كفرهم واستكبارهم من طاعة النبي ، كما قال : ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾[٤] ﴿وَعَتَوۡ﴾ تجاوزوا الحد في الظلم ، وهذه الجملة وهي قوله : ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ فيها تعجيب من حالهم بغير صيغة التعجب ، كأنه قال : ما أشد استكبارهم .

وقوله: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ﴾ ظرف، العامل فيه ﴿لَا بُشۡرَىٰ﴾ وقيل: العامل فيه ما دلَّ عليه ﴿لَا

---

(١) هذه قراءة علي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود . وقراءة الجمهور " يَمْشونَ " .

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٩٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٤٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٩٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٨٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٠ ).

(٢) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية ( ٧ ).

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٧ ).

(٤) سورة غافر، الآية ( ٥٦ ).

﴿بُشْرَىٰ﴾ كأنه قال : يوم يرون الملائكة يضعون أو يعدمون البشرى . ويجوز أن ينتصب قوله : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ بقوله «اذكر» فيكون مفعولاً به لا ظرفاً .

وقوله: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ يريد: لا بشرى لهم ، أو لا بشرى لأحدٍ من المجرمين . ويدخل في هؤلاء ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا﴾ وقال سيبويه[1]: حجر من المصادر المتروك إظهار عاملها قال الراجز:

قالتْ وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ     عَوْذٌ بربي منكُمُ وحُجْرُ[2]

وأصل الحجر: المنع، ووصفه بكونه محجوراً مبالغة في المنع ، كما قالوا : ذيل ذايل ، ومعناه : حرام محرم عليكم المغفرة والجنة ، تقوله الملائكة عند الموت ، أو يوم القيامة ولا بشرى لهم يومئذ .

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾ أي: قصدنا، والهباء: ما يظهر من الكوة مع ضوء الشمس، وصفه بكونه ﴿مَّنثُورًا﴾ تحقيراً له، ونحوه ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[3] لم يكتف بتشبيههم بالعصف حتى جعله مأكولاً، ولا بأعمالهم بالهباء حتى جعله منثوراً، وأصل همزة هباء واو، لقولهم: الهبوة.

روي أنه يفرغ من الحساب في مقدار نصف يوم فلا يجيء وقت القيلولة إلا وقد فرغ منه ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ فيه إشارة إلى ما اشتمل عليه مقيل أهل الجنة من المحاسن التي يقصر الوصف عنها.

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾

وقرئ ( تَشَّقَّقُ )[4] وأصله: تتشقق، فحذف بعضهم التاء وبعضهم أدغمها ولما كان

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه ( ١ / ١٦٣ ).

(٢) ينظر بلا نسبة في: تاج العروس للزبيدي ( عوذ )، تهذيب اللغة للأزهري ( ٣ / ١٤٧ )، ديوان الأدب ( ١ / ١٥٢ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٤ )، لسان العرب ( عوذ ) ، المخصص لابن سيده ( ١٢ / ٢٩٩ ) والحيدة : الصدود ، وذعر: فزع ، والعوذ: التعوذ ، وحجر: امتناع وتحصن.

(٣) سورة الفيل، الآية (٥).

(٤) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (تشَّقَّقُ) وقرأ الباقون (تَشَقَّقُ). =

انشقاق السماء بسبب نزول الملائكة جعل الغمام كأنه الذي (١٤٨/أ) شقها، ونظيره قوله: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾[(١)] والمعنى: أن السماء تتفتح بغمام يخرج منها، وفي الغمام الملائكة معهم صحف أعمال العباد. وقيل: هو غمام أبيض رقيق كالضبابة، ولم يكن إلا لبني إسرائيل في التيه. ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ الثابت في أن كل ملك غير مُلكِ الله، فإن مفهوم قوله: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ أنه يسير على المؤمنين، ومثله: ﴿يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾[(٢)].

عض اليدين كناية عن شدة الغضب. وقيل: إن عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة رسول الله ﷺ. وقيل: صنع ضيافة فدعا رسول الله ﷺ أن يأكل منها فأبى حتى ينطق عقبة بالشهادتين، فتلفظ بهما فعتب على ذلك فقال: استحييت منه حيث لم يأكل من طعامي فأجبته، وكان أبيُّ بنُ خلف صديقه فقال له: وجهي من وجهك حرام إن لم تأت محمداً فلم تطأ قفاه، ولم تبصق في وجهه، فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله ﷺ: « لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوتُ رأسَك بالسيفِ» وقدم ليقتل يوم بدر فقال: يا محمد لمن الصبية؟ وطعن رسول الله ﷺ أبيا بأحد فرجع إلى مكة ومات"[(٣)].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

واللام في ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ يراد به المعهود، وهو عقبة، أو للجنس. تمنى أن لو صحب الرسول وسلك معه طريق الحق. فلان: كناية عن اسمه العلم، فإن أريد بـ ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ عقبة كان كناية عن اسمه، وإن أريد به الجنس فكل واحد منهم اسم علم، ففلان كناية عن ذلك الاسم.

---

= تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٩٤)، الحجة لابن خالويه (ص:٢٦٥)، حجة أبي زرعة (ص:٥١٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٥١)، السبعة لابن مجاهد (ص:٤٦٤)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٥)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٣٤).

(١) سورة المزمل، الآية (١٨).

(٢) سورة القمر، الآية (٨).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦ / ٢٥٠) ونسبه لأبي نعيم من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

﴿عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق و﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إشارة إلى خليله أو إلى إبليس، أو الجنس، أو كل من تشيطن من الجن والإنس، وهذا الكلام من كلام الظالم أو كلام مستأنف.

﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ وقومه قريش حكى شكاية رسول الله ﷺ من قومه وكان الأنبياء إذا التجأوا إلى الله فيمن ظلمهم عذبوا ولم يمهلوا، ثم سلاَّه فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ (١) أي: قبلك أعداء ﴿مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿مَهْجُورًا﴾ أعرضوا عنه وهجروه. وقيل: الهجر هو (١٤٨/ ب) الكلام القبيح. جعل القرآن محلاًّ للتكذيب، أي: مهجوراً فيه؛ كقوله: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ (٢) وقيل: قالوا: إنه أساطير الأولين ومفترى. والعدو: يجوز أن يكون واحداً وجمعاً ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ﴾ (٣) ﴿نُزِّلَ﴾ هاهنا بمعنى أنزل، قالوا: لِمَ نزل متفرقا، ولم ينزل جملة كالتوراة والإنجيل والزبور؟ والقائلون قريش. وقيل: اليهود. أي: كذلك أنزل مفرقاً لتحفظه وتقرأه على الناس على مكثٍ، وكان رسول الله ﷺ أميًّا لا يحسن الكتابة، ولو كان كاتباً لارتاب به المبطلون، وكان ينزل بحسب الحوادث، وبعضُه ينسخ بعضًا. وذلك لا يتأتى إلا فيما نزل مفرقا، ومعنى نزوله سورة بعد سورة وآية بعد آية.

وقيل: أُمِرنا بترتيله إذا قرئ، والترتيل مأخوذ من ترتيل الأسنان، وهو تفليجها، يقال: ثغر رتل، ويفسر بنور الأقحوان في تفليجه.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٣) ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧)﴾

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ بسؤالٍ عجيبٍ من سؤالاتهم الباطلة التي كأنها مثل في البطلان، ووصفُ السبيل بالضلال من الإسناد المجازي، فإن الضالَّ سالكُه. الوزارة لا تنافي النبوة؛ فقد كان

---

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

(٢) سورة فصلت، الآية (٢٦).

(٣) سورة الشعراء، الآية (٧٧).

يبعث في الزَّمن الواحد أنبياء ، ويؤمرون أن يؤازر بعضهم بعضاً ، والمعنى : فذهبا إليهم فكذبوهما .

﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ كقوله: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾[1] ﴿لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ﴾ إما لأن كلَّ من كذَّب نبيًّا فهو كمن كذَّب الأنبياء كلهم، أو كانوا كالبراهمة[2] لا يعتقدون جواز بعثة نبيٍّ.

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ وجعلنا إغراقهم أو قِصَّتهم. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ لقوم نوحٍ، أو للعموم ، وعطف (عَاداً) على ( هم) في قوله : ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ أو على ( الظالمين ) لأن المعنى: ووعدنا الظالمين.

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

---

(١) سورة الشعراء، الآية (٦٣).

(٢) **البراهمة:** قبيلة بالهند فيهم أشراف أهل الهند ويقولون: إنهم من ولد برهمي. ملك من ملوكهم قديم ولهم علامة ينفردون بها وهي خيوط ملونة بحمرة وصفرة يتقلدونها تقلد السيوف وهم يقولون بالتوحيد على نحو قولنا إلا أنهم أنكروا النبوات. وعمدة احتجاجهم في دفعها أن قالوا: لما صح أن الله – عز وجل– حكيم وكان من بعث رسولا إلى من يدري أنه لا يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث فوجب نفي بعث الرسل عن الله – عز وجل– لنفي العبث والعنت عنه وقالوا أيضا: إن كان الله – تعالى– إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به في حكمته وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به قالوا: فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضا ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع ". وقد رد العلامة ابن حزم في كتابه الفصل في الملل على هذه الحجج الواهية لهم وأورد قول الحق لأهل السنة والجماعة الذين يرون أن الإيمان بالرسل أحد أصول الإيمان التي لا يصح ولا يقبل إلا بالإيمان بها جميعا. **وينظر** عنهم وعن عقائدهم الباطلة: تلبيس إبليس لابن الجوزي ( ١ / ٨٧ ) ط. دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٨٥م – تحقيق: د. السيد الجميلي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٦٣ ) ط. مكتبة الخانجي – القاهرة، الملل والنحل للشهرستاني ( ٢ / ٢٤٩ ).

وقرئ (وثَمُودَ) بغير تنوين[١] بتأويل القبيلة، وأمَّا صرفه فعلى تأويل الحيِّ أو الأب الأكبر.

قيل في « أَصْحَابَ الرَّس» إنهم قوم من عبدة الأوثان، أصحاب آبارٍ ومواشٍ. وقيل: هم بقية من قوم شعيب. وقيل: هم أصحاب النبي حنظلة بن صفوان[٢]، وكان عندهم العنقاء، سميت به لطول عنقها، وكانت تنقضُّ على أولادهم فتأخذهم لتهلكهم، فدعا عليها حنظلة فهلكت وانهارت بهم البئر. وقيل: رسُّوه في البئر، أي: دفنوه فيها. وقيل: هم أصحاب الأخدود، والرسُّ هو الأخدود (١٤٩/أ) وقيل: الرس بأنطاكية، قتلوا فيها حبيبًا النجَّار[٣].

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بين أولئك المذكورين. ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ بينا له القصص العجيبة. والتَّتْبير: التكسير والتفتيت، ومنه التِّبْر، وهو كسار الذهب والفضة، و﴿وَكُلًّا﴾ الأول منصوب بما دل عليه ﴿ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ وهو أنذرنا أو حذرنا أو منصوب بـ« تَبَّرْنَا » لأن الفعل مفرَّغ له. أراد بـ ﴿الْقَرْيَةِ﴾ سدوم، وهي إحدى قرى قوم لوط، وكانت خمساً، أهلك الله أربعاً بأهلها وبقيت واحدة.

قوله - تعالى: ﴿أُمْطِرَتْ﴾ إمَّا القرية وإمَّا أهلها، ولذلك جاء ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم﴾[٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾[٥] وكانت قريش كثيراً ما تمرُّ على تلك الآثار. ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ في مِرَارِ مرورهم، بلى مرُّوا ونظروا ولكن كانوا لا يؤمنون بالبعث فلم ينفعهم نظر العين. ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ أي: لا يؤملون خيرًا، ولا يخافون عاقبة.

﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ﴾ ما يتخذونك ﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مهزوءاً به، أو محلاً للهزء، أو نفس الهزء مبالغة. وقوله: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي﴾ استصغار، وقولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ إن مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة، وفي الكلام دليل على مبالغة رسول الله ﷺ في دعائهم حتى كادوا

(١) قرأ حفص عن عاصم وحمزة ويعقوب (وثمودَ)، وقرأ الباقون ( وثمودًا ). تنظر في: إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ١ / ٣٢٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ١١١)، السبعة لابن مجاهد ( ص: ٣٣٧ )، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٨٠)، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٨٩ - ٢٩٠ ).

(٢) قال العيني في عمدة القاري ( ١٧ / ٧٢ ): " من الأنبياء في الفترة حنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس قال ابن عباس: كان من ولد إسماعيل عليه السلام وكان في فترة ".

(٣) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٨٠ ).

(٤) سورة الأعراف، الآية ( ٨٤ ).

(٥) سورة هود، الآية (٨٢).

أن يطيعوه مع شدَّة شكيمتهم في الكفر.

﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا﴾ ثبتنا على ديننا. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: لابد لهم من العقوبة على كفرهم. وقوله: ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ كالجواب عن قولهم: ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٦) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا (٤٧) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا (٤٨) لِّنُحْۦِىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا (٤٩)﴾

﴿أَفَأَنتَ﴾ تجبر هذا الكافر على الإسلام، وهو مطبوع على قلبه؟ كقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[1] ﴿أَمْ﴾ هذه منقطعة، أي: هذه المذمَّةُ أشد مما قبلها، وقدم المفعول الثاني وهو ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾ للعناية. وقوله: ﴿أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ ولم يقل: كلهم؛ لأنه كان فيهم من لا يرده عن الدخول في الإسلام إلا الكبر، وجعلوا أضل من الأنعام؛ لأن الأنعام تنقاد لأربابها وتجتنب ما يضرها بخلاف هؤلاء.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ ألم تنظر إلى صنيع ربك؟ وجعل الظل يمتد وينبسط لينتفع الناس به. ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ في أصل كل مظللٍ من جبلٍ أو شجرٍ أو غيرهما، والظِّلُّ تتصرف الشمس فيه بالزيادة والنقصان.

﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ﴾ الظل (١٤٩/ ب) بالتقلص يسيراً يسيراً حتى صار في مكانه ضوء الشمس. ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي: كاللباس الذي يغشى الجسد، و(السَّبت) القطع، يقال: سبت رأسه إذا حلقها، وسمي يوم السبت؛ لأن الله - تعالى- فرغ من المخلوقات في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة ولم يخلق شيئاً يوم السبت، وجعل القيام من النوم كالقيام من القبور. ﴿نُشُورًا﴾ إحياء، و( نشرا ) جمع نشور، وهي المحيية للأرض بعد موتها ويبسها. قوله - عز وجل: ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: بين يدي المطر. ﴿طَهُورًا﴾ بليغاً في طهارته. وقيل: هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره. قوله: ﴿بَلْدَةً﴾ وإن كان مؤنثاً لفظاً فهو أيضاً بلد مذكر، ولهذا قال : ﴿مَّيْتًا﴾ ولم يقل : ميتة.

---

(١) سورة ق، الآية (٤٥).

وقرئ ( وَنَسْقِيَه ) بفتح النون[١] وسقى وأسقى بمعنى. وقيل: سقاه أعطاه ماءً ليشربه، وأسقاه: جعل له سقياً لأرضه ودوابّه، قال الله - تعالى : ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾[٢] (الأناسي) أصلها أناسين وقوم من العرب يقلبون النون ياءً، ويحذفونها تخفيفاً فيقولون : أناسي وأناسيُّ بالتشديد والتخفيف.

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٥٠) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا (٥١) فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا (٥٢) ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا (٥٣) وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (٥٤) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا (٥٥) وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٥٦) ﴾

قوله - عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن في الكتب المنزلة كلها. ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ فقالوا: مطرنا بنوء كذا ونوء كذا، وعن ابن عباسٍ: « ما من عامٍ أقل مطراً من عامٍ ولا أكثر، ولكن الله - تعالى- قسم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا هذه الآية »[٣]. فإن قلت: هل يكفر من ينسب الأمطار إلى الأنواء ؟

قلت: إن كان لا يراها إلا من الأنواء، ويجحد أن تكون هي والأنواء من خلق الله - تعالى- فهو كافر، وإن كان يرى أن الله خالقها وقد نصب الأنواء دلائل وأمارات عليها - لم يكفر.

﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخففنا عنك أعباء الرسالة فبعثنا ﴿فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ لكنا عظمناك وجعلناك رسولاً إلى الجميع فقابل ذلك بالتشدد ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما يقترحون عليك ﴿وَجَٰهِدْهُم﴾ بالقرآن وبحججه وجعل الجهاد به كبيرا؛ لما يتحمل فيه من المشقة الشديدة. سُمّي كلُّ واحدٍ من الماءين الكثيرين بحراً، والفرات: الشديد الحلاوة، والأجاج:

---

(١) قرأ بها أبو عمرو وعاصم في رواية عنهما، وقراءة الباقين " ونُسقيَهُ ".

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥٠٥ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٥٧ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨٥ )، مجمع البيان للطبرسي ( ٧ / ١٧١ ).

(٢) سورة الحجر، الآية ( ٢٢ ).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٦٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٦٤) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

الشديد المرارة، ومرجهما (١٥١/أ) خلاَّهما متجاورين، وبينهما حاجز من قدرة الله - تعالى- يمنعهما التمازجَ والاختلاطَ.

﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ هي الكلمة التي قالتها الملائكة لمن وقع في شدة لا يجد منها مخلصاً والمعنى: كأن كلَّ واحدٍ من البحرين يتعوَّذ من صاحبه أن يبغي عليه ، ومنه قوله - تعالى : ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [1] أراد قسمة البشر قسمين : ذكوراً وإناثاً من نطفة واحدة ، وهو كقوله : ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [2]. الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون ، والمعنى : أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة . قيل: نزلت في أبي جهل [3] .

ويجوز أن يراد بالظهير الجمع ، كما جاز في الصديق والعدو ، ومنه قوله - عز وجل : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [4] أي : ظهراء ، ويجوز أن يراد بالظهير ما خلف خَلْفَ الظهر فلم يُعْبأْ به ؛ كقوله : ﴿لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ [5] مثال قوله : ﴿إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ﴾.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ الرَّحْمَٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

والمراد فعل من شاء أن يتخذ، واستثنى به عن الأجر قولُ ذي شفقةٍ عليك قد سعى لك في تحصيلِ مال: ما أطلب منك ثواباً على ما سعيت إلا أن تحفظ هذا المال ولا تضيعه، فيجعل حفظه ثواباً وليس بثواب، ولكنه صوَّره بصورة الثواب، فأفاد ذلك أمرين:

**أحدهما**: أنه قد أنهى السعي في حفظ المال نهايته .

**والثاني**: سرورهم ببقائه لك، حتى جعله كأنه حاصل له ثواباً . وقيل: المراد النفقة في

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٢٠).

(٢) سورة النجم.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٩ / ٢٧ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٢٦٧ ) ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس ، ولابن أبي حاتم عن الشعبي ، ولابن المنذر عن عطية .

(٤) سورة التحريم ، الآية ( ٤ ).

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ٧٧ ).

سبيل الله. أمره بأن يتوكل على الله ويثق به، وعرَّفه بأن الحيَّ الذي لا يموت حقيق بأن نتوكل عليه وحده، فإنه إذا مات من يتوكل عليه فاتت مقاصد التوكل. ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ مطلعاً على أعمالهم وأقوالهم. ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مقدار ستة أيام.

وقيل: ستة أيام من أيام الآخرة ، وكل يومٍ ألف سنةٍ ، والأول أظهر . وعن مجاهدٍ: أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة[1]. ووجهه أن يسمي الله – تعالى- لملائكته تلك الأيام المقدَّرة بهذه الأسماء، فلما خلق الشمس وأدارها جرت التسمية على هذه الأيام.

وعن سعيد بن جبير: خلقها في ستة أيام مع قدرته على خلقها في لحظة، ليعلِّم عباده التثبت. وقيل: اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عيداً للمسلمين[2]﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبره، أو هو صفة لـ ﴿ٱلْحَيِّ﴾ و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ خبر (١٥١/ ب) مبتدأ محذوف، أو بدل عن المستتر في ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾.

وقرئ ( الرَّحْمَنِ ) بالجر[3] صفة لـ ﴿ٱلْحَيِّ﴾. الباء في ﴿بِهِۦ﴾ كقوله: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[4] وقد تكون ( عن ) صلته في نحو قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[5].

وقيل: تقديره: فاسأل عنه رجلاً يخبرك بصفاته، أو فاسأل بسؤاله خبيراً؛ كقولك: رأيت به أسداً، أو حالاً عن الهاء، يريد فاسأل عنه عالماً بكل شيء، و﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ اسم من أسماء الله – تعالى- وهو مذكور في الكتب القديمة والصحف المنزلة، أي: فاسأل عن هذا الاسم من أهل الكتاب يخبروك بأنه موجود في كتبهم، ولم يتسمَّ بهذا الاسم أحد، وكانوا يقولون لمسيلمة: رحمان اليمامة. وقيل: كانوا ينكرون إطلاق اسم الرحمن على الله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾

---

(١) ذكره النسفي في تفسيره ( ٣ / ١٧٤).

(٢) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٨٨ ) ، وذكر قول ابن جبير العيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ( ٢٥ / ١٤٤ ).

(٣) قرأ بها زيد بن علي ، على أنه نعت للحي ، أو الموصول . وقراءة الجمهور ( الرحمنُ ).

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦/٥٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨٩ ).

(٤) سورة المعارج ، الآية ( ١).

(٥) سورة التكاثر ، الآية ( ٨ ).

﴿لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ للذي تأمرناه ؛ كقوله [ من البسيط ]:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ[١]

وقرئ ( يَأْمُرُنَا ) بالياء[٢] أي: لما يأمرنا محمد ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذكر اسم الرحمن ﴿نُفُورًا﴾ البروج: منازل الكواكب السيارة ، مأخوذ من التبرج وهو الظهور ؛ كقوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾[٣] وسميت بروجاً ، مأخوذ من تسمية القصور بروجاً ؛ كقوله : ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[٤] لأنها منازل للكواكب ، كالقصور للإنس والجن .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾

وقرئ ( سُرُجاً ) وهي الشمس والكواكب الكبار معها. ومن قرأ ﴿سِرَٰجًا﴾[٥] أراد به الشمس، وقرأ الأعمش والحسين ( وَقُمْرا )[٦] وهو جمع ليلة قمراء، كأنه: وذا قُمْرٍ منيراً ؛ لأن الليالي تكون قُمْراً به فأضافها إليه ، ومثله قول حسان [ من الكامل ] :

بَرَدَى يُصَفِّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[٧]

---

(١) تقدم تخريجه في سورة النحل، الآية (٥٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي ( يأمرنا) ، وقرأ الباقون ( تأمرنا ) .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥٠٩ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٦ ) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥١١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٠ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٤ ).

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٣ ).

(٤) سورة النساء ، الآية ( ٧٨ ).

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف ( سُرُجا) ، وقرأ الباقون ( سيراجا) .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥١١ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٦ ) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥١٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٦٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٤ ).

(٦) **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥٠٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٦٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٨٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٠ ).

(٧) هذا عجز بيت لحسان يذكر أيام ملوك الشام الغسانيين ، وصدره :
يُسْقَوْنَ مِنْ وِرْدِ البَرِيصِ عَلَيْهِمُ ...................... =

أي: ماء بردى ولا يبعد أن يكون القُمْرُ لغة في القَمَرِ، كالرُّشْدِ والرَّشَدِ، والعُرْب والعَرَب. الخلفة: من خلف، كالرِّكبة من ركب، أعني: الحال التي هو عليها، أي: جعلهما ذوي خلفة، يذهب هذا ويأتي هذا. وقيل: يخلفه: يقوم مقامه في أداء الوظائف من فاته ورده بالليل قضاه بالنهار، أو بالنهار قضاه بالليل. ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ لأنه إذا رأى حركتهما علم أن لهما محركاً قادراً عالماً بالمصالح وشكر الله – تعالى- على النعمة بهما.

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ مبتدأ خبره آخر السورة، وهو ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ ويجوز أن يكون خبره ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ﴾ وأضافهم إلى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ تخصيصاً وتفضيلاً.

وقرئ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[(١)] ﴿هَوْنًا﴾ أي: يمشون مشياً ليِّناً، إلا أن في وضع المصدر (١٥٢/ أ) موضع الصفة مبالغةً، والهون: الرفق واللين، وفي الحديث: " أحببْ حبيبَكَ هونًا ما عَسى أن يكونَ بغيضَكَ يومًا ما "[(٢)]. وقوله: " المُؤمنونَ هيِّنونَ ليِّنونَ "[(٣)].

---

= **ينظر في**: تاج العروس للزبيدي ( صفق )، خزانة الأدب للبغدادي ( ٤ / ٣٨١ )، ديوان حسان (ص:١٢٢ )، شرح المفصل لابن يعيش ( ٦ / ٢٥ )، لسان العرب ( برد )، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ٤٢٩ ) **والبريص**: اسم واد، وبردى: علم لنهر بدمشق، أو جبل بالحجاز، أو بحر، **ويصفق**: يمتزج. **والرحيق**: الصافي، **والسلسل**: السهل المساغ. والمعنى: أن كل من ورد عليهم البريص يسقونه ماء بردى ممتزجا بالرحيق الصافي.

(١) قرأ بها اليماني. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥١٢ )، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٢)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩١ ).

(٢) رواه الترمذي رقم ( ١٩٩٧ )، والخطيب البغدادي في تاريخه ( ١١ / ٤٢٧ ) وابن حبان في المجروحين ( ١ / ٣٥١ ) عن أبي هريرة ﷺ.

قال الترمذي: غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه وقد رواه الحسن بن أبي جعفر بإسناده عن علي عن النبي ﷺ وهو ضعيف أيضا والصحيح أن هذا عن علي موقوفاً. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ( ١٧٨ ).

(٣) رواه القضاعي في مسند الشهاب ( ص:١٣٩)، والعقيلي في الضعفاء الكبير ( ٢/ ٢٧٩ )، من حديث عبد الله بن عمر، ورواه القضاعي في مسند الشهاب ( ص : ١٤٠ )، وابن المبارك في كتاب الزهد (ص:٣٨٧ )، عن مكحول مرسلا. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ( ٩٣٦ ).

وفي المثل: " إذا عز أخوكَ فَهُنْ "[١]، أي: إذا عسَّر فيسِّر، أي: يمشون بسكينة ووقار وتواضعٍ. وكره بعض العلماء الركوب في الأسواق؛ لقوله: ﴿وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾[٢] ﴿سَلَٰمًا﴾ أي: لا نستعمل الجهل معكم فيسلمون بذلك عن الإثم والجهل والسفه، قال عمرو بن كلثوم [ من الوافر]:

ألا لا يَجْهلَنْ أحدٌ علينا ... فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا[٣]

وعن أبي العالية: نسختها آية القتال ، ولا حاجة إلى ذلك ، لأن الأمر بحسن الخلق ومقابلة الغليظ من القول باللين محمود في الشرع والعقل والمروءة ، وأبعد عن الوقوع في الحرج[٤]. يقال: بات فلان عند فلانٍ إذا أدركه الليل عنده نِمْتَ أولم تنم . قالوا: من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قلَّ باتَ ساجداً أو قائما. وقيل: هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء[٥] ، والظاهر أنه أراد وصفهم بإحياء الليل أو أكثره ، يقال : فلان يظل صائماً ويبيت قائماً[٦].

﴿غَرَامًا﴾ هلاكاً مُلِحّاً لازماً، ومنه الغريم لإلحاحه. وصفهم بإحياء الليل ساجدين وقائمين وهم مع ذلك خائفون من الله يبتهلون إليه بصرف العذاب عنهم.

﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ ﴾ ﴿سَآءَتْ﴾ مثل بئست، وفيها ضمير مبهم يفسره ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ والمخصوص بالذم محذوف، تقديره:جهنم، ويجوز أن تكون ﴿ سَآءَتْ ﴾ بمعنى أحزنت، وفيها ضمير اسم إنَّ و﴿مُسْتَقَرًّا﴾ حال أو تمييز، والتعليلان

---

(١) ينظر المثل في: تهذيب الأسماء للنووي ( ٣ / ٢٠٤ ) ، لسان العرب ( عز ) ونقلا عن ثعلب في كتابه الفصيح أن معناه : إذا تعظم أخوك شامخا عليك فالتزم له الهوان ، قال أبو إسحاق : هذا خطأ من ثعلب إنما هو فهِن بكسر الهاء معناه : إذا اشتد فهن من هان يهين إذا صار هينًا لينًا فإن العرب لا تأمر بالهوان لأنهم أعزة أباة للضيم .

(٢) سورة الفرقان ، الآية ( ٢٠١ ) ويروى هذا القول عن الإمام أحمد بن حنبل ، ذكره أبو نعيم في ترجمة الإمام أحمد في حلية الأولياء ( ٩ / ١٨٤ ) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة ( ٢ / ٣٤٨ ).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء، الآية (١٧).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩١ ).

(٥) هذا قول الفراء في معاني القرآن ( ٢ / ٢٧٧ ).

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩٢ ).

يصحُ أن يكونا متداخلين أو مترادفين، وأن يكونا من كلام الله – تعالى- حكاية لقولهم.

﴿ وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ ﴾

﴿يَقْتِرُواْ﴾ بكسر التاء وضمها و﴿يَقْتُرُواْ﴾ بتخفيف التاء وتشديدها[١]، وهي نقيض الإسراف الذي معناه مجاوزة الحدِّ في الإنفاق، وهو كقوله – تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾[٢] وقيل: الإسراف إنما هو في المعاصي، فأما في القرب فلا إسراف. وقال قائل: لا خيرَ في السرَفِ، فقيل له: لا سَرَفَ في الخير. وقيل: أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة (١٥٢/ب) ولا يلبسون ثوباً للجمال والزِّينة، ولقد كانوا يأكلون ما يسد جوعتهم، ويعينهم على عبادة ربهم ، ويلبسون ما يستر عوراتهم، ويُكِنهُمْ من الحرِّ والقُرِّ.

وقال عمر ﷺ: «كفى سرفا ألا يشتهي الرجل شيئا إلا اشتراه وأكله»[٣].

والقوام: العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين وقرئ ( قِوَاماً ) بالكسر[٤]، وهو ما يقام به الشيء ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ يجوز أن يكونا خبرين لكان، وأن يجعل « بين ذلك » لغوا ،

---

(١) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ( يُقْتِروا ) ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ( يَقْتِروا ) ، وقرأ باقي العشرة ( يَقْتُروا)، وقرأ العلاء بن سيابة واليزيدي ( يُقَتِّروا ) . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٤ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٦ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥١٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٦٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٢ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٧١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٤ ).

(٢) سورة الإسراء ، الآية ( ٢٩ ).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ( ٢ / ٤٦٧ ) ونسبه لعبد الرزاق ، كما نسبه له السيوطي **في** الدر المنثور ( ٦ / ٢٧٥ ) عن الحسن عن عمر ﷺ .

(٤) قرأ " قِواما " حسان بن عبد الرحمن ، وقراءة الجمهور " قَواما " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥١٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٤ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٨٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٥ ).

و«قَوَاماً» مستقرا ، وأن يكون الظرف خبراً و« قَوَاماً» حال مؤكدة ، وأجاز الزجاج[١] أن يكون ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ اسم كان، على أنه مبني لإضافته إلى غير متمكن ، كقول الشاعر [من البسيط] :

لم يمنعِ الشُّرْبَ مِنها غَيْرَ أنْ نَطَقَتْ حَمامةٌ....[٢]

وهو حَسن من جهة الإعرابَ، ولكن المعنى ليس بقوي؛ لأنَّ ما بين الإسراف والتقتير قوام لا محالة، فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة[٣].﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: حرَّم قتلها، و﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بهذا القتل المحذوف، أو بـ ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ﴾. وذكر نفي هذه القبائح بعد وصفهم بتلك المحاسن العظيمة تعريض بالكفار؛ كأنه قال: وعباد الرحمن الفاعلون للخير المبرؤون مما نسب إلى هؤلاء، و﴿يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ﴾ يدخل فيه الوأد وغيره. وقرئ (يلْقى) بإثبات الألف[٤]. والآثام: جزاء الإثم. ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: جزاء آثام. وقرأ ابن مسعود (أياما) [٥] أي: شدائد. يقال: يوم ذو أيام، لليوم العصيب.

---

(١) **في الأصل**: الزجاج ، والصواب المثبت كما في الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٣ ) وهذه عبارته ، وكلام الفراء في معاني القرآن ( ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣ ) ولم أجده في معاني القرآن للزجاج ، فلعله سبق قلم من الناسخ أو وهم .

(٢) هذا صدر بيت لأبي قيس بن الأسلت يصف ناقة ، وعجزه:

.............. .... في غصونٍ ذاتِ أوقالِ

**ينظر في** : الإنصاف لابن الأنباري ( ١ / ٢٨٧ ) ، الدرر اللوامع ( ٣ / ١٥٠ ) ، ديوان أبي قيس ( ص : ٨٥ ) ، شرح أبيات سيبويه ( ٢ / ١٨٠ ) ، شرح شواهد المغني ( ١/ ٤٥٨ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٣ / ٨٠ ) ، الكتاب لسيبويه (٢/٣٢٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤٢٢ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١ / ١٥٩ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ١٧٣ ) والشرب - بالكسر: النصيب من الماء، وبالضم : المصدر من شرب ، والأوقال : جمع وقل وهي الحجارة ، أو بقايا جذع الشجرة بعد تقليم بعض أغصانها . والشاهد فيه : نصب " غير " حيث أضيف إلى " أن " فبنيت ، وهذا جائز ، ويروى " غيرُ " بالضم على الفاعلية ، ولا يكون فيه شاهد حينئذ .

(٣) هذا كلام الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩٣ ).

(٤) قرأ بها ابن مسعود وأبو رجاء. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥١٥ )، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٤)، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٤ ).

(٥) وقرأ بها أيضا الحسن البصري. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥١٥ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٤ )، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٨٨ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٤ ).

﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

﴿يُضَٰعَفۡ﴾ بدل من ﴿يَلۡقَ﴾ لأنهما بمعنى واحد، وقرئ ( وَيُخلد ) على البناء للمفعول، مخففاً ومثقلاً[١] ومعنى مضاعفة العذاب تكثيره لاختلاف موجباته من الكفر والمعاصي.

﴿يُبَدِّلُ﴾ ما كانوا عليه من التقصير بما وفقهم له من التوْبة النصوح واستدل أصحاب السوء بأصحاب الخير، واستبدال السيئات بالحسنات. ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يرجع إليه مرجعاً حسناً، وهو الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين. ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ أي: لا يحضرون مواضع الفسق والفجور؛ صيانة لدينهم عما يثلمه، ولذلك امتنعوا من حضور أعياد المشركين. ﴿وَإِذَا مَرُّواْ﴾ بمن يتكلم باللغو والفاحشة أعرضوا عنه وأكرموا أنفسهم أن يحضروا مثل ذلك المكان. ﴿لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا﴾ ليس للخرور وإنما هو إثبات له (١٥٣/أ) ونفي للصمم والعمى، كما تقول: لا يلقاني زيدٌ مسلمًا. هو نفيٌ للسلام لا للقّاء، والمعنى: مسارعتهم إلى الخرور ومبادرتهم إليه بآذان سامعة وقلوبٍ واعية، وقرئ (قُرَّات أَعْيُن)[٢] سألوا ربهم أن يرزقهم ذرية صالحة عاملين لله وليس شيء أقرَّ لعين المسلم من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله.

وقيل: سألوا أن يُلحِق اللهُ بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم. أراد أئمة

---

(١) قرأ ( يُخْلَد ) أبو عمرو في رواية عنه ، وغلطها الفارسي من جهة روايتها . وقرأ (ويُخَلَّدُ ) أبو حيوة .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٥) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥١٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٤)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٦٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩٤) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٤ ).

(٢) قرأ بها ابن مسعود وأبو الدرداء وأبو هريرة .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٦) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٦ ) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٤).

فاكتفى بالواحد في قوله: ﴿إِمَامًا﴾ لدلالته على الجنس، ولعدم اللبس ؛ كقوله : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾[١] أو اجعل كل واحدٍ منا إماماً ، أو أراد جمع آم ، كصائم وصيام ، أو أراد واجعلنا إماما واحداً لاتحادنا واتفاق كلمتنا ، وفيه دليل على أن الرياسة ينبغي طلبها قيل : نزلت الآية في العشرة المبشرين بالجنة[٢].

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا﴾ يجوز أن تكون للبيان، كأنه قال: هب لنا قُرَّةَ أعين، ثم بيَّن ذلك في الذريَّة والأزواج، كقولك: رأيت منك أسداً، وأن تكون لابتداء الغاية، أي: هب لنا من جهة الأزواج والذرية، وإنما نكر القرَّة لأنها مضافة إلى النكرة، وذكر جمع القلة؛ لأن المتقين قليل بالإضافة إلى غيره؛ لقوله - تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧)﴾

وقوله: ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ اكتفى فيه بالواحد للدلالة على الجنس؛ كقوله: ﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾[٤] ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أي: بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم وعلى الفقر.

وقرئ ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ كقوله: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾[٥] وقرئ ( يَلْقَوْن)[٦] مخففاً؛ كقوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾.

---

(١) سورة غافر ، الآية ( ٦٧ ).

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون (٣/ ١٦٨)، والزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩٦ ).

(٣) سورة سبأ ، الآية (١٣).

(٤) سورة سبأ ، الآية ( ٣٧ ).

(٥) سورة الإنسان ، الآية ( ١١ ).

(٦) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية حفص عنه وأبو جعفر ويعقوب ( ويُلَقَّونَ )، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم وخلف ( ويَلْقَونَ ).

**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥١٧)، حجة ابن خالويه (ص : ٢٦٧ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥١٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٦٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٦٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٥ ).

التحية: دعاء بالحياة وطول العمر، والسلام: دعاء بالسلامة.

تقول: ما عبأت به، أي: ما تحملت عنه ولا اكترثت به. لولا أنه دعانا إلى الإسلام والخير. ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ أي: إذا كنت لا أعبأ إلا بدعائكم فقد كذبتم وأبطلتم الطريق الموصِّلة إلى الاكتراث بكم.

وقيل: ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهةً؟ والخطاب للمؤمنين والكفار جميعاً، خوطبوا بما وجد في جنسهم من العناد والتكذيب ﴿فَسَوْفَ﴾ أي: فسوف يكون العذاب ﴿لِزَامًا﴾ أي: لازماً.

وقرئ ( لَزَاماً ) بالفتح[1] بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت (١٥٣/ب ).

* * *

(١) قرأ ( لَزاما ) بفتح اللام أبو السمال وأبان بن تغلب، وقراءة الجمهور ( لِزاما ) بكسر اللام.
**تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٥١٨ )، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٦ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٧ )، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ١٠٥ ).

## سورة الشعراء [ مكية ، وفيها مدني ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون وإدغامها ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ الظاهر إعجازه والمراد به السورة أو القرآن . ﴿بَٰخِعٌ﴾ قاتل بقطع البخاع، وهو عرق مستبطن للقفا . و"لعل" للإشفاق ، يعني : أشفق على نفسك ، ولا تقتلها غمًّا بسبب تأخرهم عن الإيمان. وقرئ ﴿ بَٰخِعُ نَفْسِكَ ﴾ (١) .

﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ أراد آية ملجئة إلى الإيمان ؛ كنتق الجبل فوق رؤوسهم كالظلة . ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ﴾ معطوف على الجزاء ؛ لأنه لو قيل : أنزلنا . لكن صحيحاً ونظيره : ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ (٢) كأنه قيل : أصدق . وقرئ ( فتظلُّ أعناقُهم ) (٣) .

فإن قيل : ما وجه ﴿خَٰضِعِينَ﴾ بجمع السلامة والأعناق لا تعقل ؟ قلنا : الأصل فظلَّ أصحاب الأعناق كقولك : ذهبت أهل اليمامة ، كأن الأهل غير مذكور .

وقيل : إنما خصَّ الأعناق ؛ لأنها محلُّ الخضوع . وقيل : أعناق الناس رؤساؤهم ، كما قيل لهم: الرؤوس والنواصي والصدور، قال الشاعر [ من البسيط ] :

في مَحْفِلٍ مِنْ نَواصي النَّاسِ مَشْهودُ(٤)

وقيل : جماعة من الناس ، تقول : أتانا عنق ، أي : جماعةٌ . وعن ابن عباس : نزلت هذه

---

(١) قرأ قتادة وزيد بن علي " باخعُ نفسِك " على الإضافة ، وقراءة الجمهور " باخعٌ نفسَك " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤ / ٤٣٤ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٩٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٨ ).

(٢) سورة المنافقون ، الآية ( ١٠ ).

(٣) قرأ بها طلحة . تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٧ ) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٩٩).

(٤) هذا عجز بيت لأم قيس الضبية ، وصدره : ومشهد قد كفيت الناطقين به ......................
ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٧ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٢ / ١٣٨ ) ، الفائق للزمخشري ( ٣ / ٤٣٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٤٢٨ ).

الآية فينا وفي بني أمية ، ستكون لنا عليهم الدولة ، فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبةٍ ، ويلحقهم هوانٌ بعد عزة [(١)].

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم ﴾ وما يجدِّدُ الله لهم بوحيه موعظةً وتذكيرًا إلا أعرضوا عنه ، وخالف بين الألفاظ والغرض واحد وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء ، والغرض وإن تقارب فهو مختلف ؛ لأنهم حين أعرضوا فقد كذبوا ، ولما كذبوا شرعوا في الاستهزاء . ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ تهديد معناه : سيعلمون في الآخرة خبر ما كذبوا به ، وهو القرآن ، فإنه الفصل الحق الذي لا محيد عنه . ﴿ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ الكريم : وصف لكل ما يحمد ويُرضَى به ، تقول وجه كريم : مرضيٌّ في جماله ، وكتاب كريم : مرضيٌّ في معانيه وفوائده .

وقال [ من المنسرح ] : حَتَّى يَشُقَّ الصُّفوفَ مِنْ كَرَمِهْ[(٢)]

أي : من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه . والنبات الكريم : المرضيٌّ فيما يتعلق به من المنافع . ﴿ إِنَّ فِي ﴾ إنبات تلك الأصناف ﴿لَآيَةً ﴾ دليلاً على أن مُنْبِتَها قادرٌ على إحياء الموتى ، وقد علم الله أن أكثرهم مطبوعٌ على قلوبهم غير مرجوٍّ إيمانهم .

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ الغالب﴿ الرَّحِيمُ ﴾ من آمن وعمل صالحاً ( ١٥٤/أ )

فإن قيل : ما معنى الجمع بين كل وكم ؟ ولو قيل : كم أنبتنا فيها من زوج كريم ؟

قلنا : قد دل " كل " على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل ، ودلت " كم " على أن هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة ، ونبه بذلك على كمال قدرته ، ووصفُ الزوجِ بالكرم يحتمل وجهين :

**أحدهما** : أن النبات على قسمين : نافع وضار ، فذكر النافع وترك الضار .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٢٩٩ ).

(٢) هذا عجز بيت لرجل من حمير يمدح قومه ، وصدره : ولا يخيم اللقاء فارسهم ..................

**ينظر في** : ديوان الحماسة ( ١ / ١٢٣ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٩ / ٦٢ ) ، الفائق للزمخشري (٣/ ٣٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٠ ) ولا يخيم : لا يجبن عن اللقاء . ومن كرمه : من شجاعته وجرأته .

والثاني : أن يريد جميع النبات من نافعٍ وضارٍ ؛ لأنه تعالى حكيم ما يفعل شيئا إلا بمقتضى حكمةٍ ولابد في النوع الضار من منفعةٍ ، إما بقتل طاغيةٍ من الطغاة أو يستعمل اليسير منه للأمراض الخطرة وغير ذلك .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ ولم يقل : لآياتٍ ، مع أن النبات متكثر لوجهين :

**أحدهما** : أن المراد إن في كل واحدٍ لآية .

**والثاني** : أن يكون الضمير عائداً على الإنبات ، إن في إنبات ذلك .

سجل عليهم بالظلم بأن وصفهم به أولاً ، ثم عطفهم على ﴿ الظَّالِمِينَ ﴾ عطف البيان كأن حقيقة الظالمين إنما هي هؤلاء ، وكأنهما لفظان مترادفان ، إن شئت فسمِّهم بالقوم الظالمين ، وإن شئت فسمهم بقوم فرعون ، وهم ظلمة من وجهين :

**أحدهما** : شركهم ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[1].

**والثاني** : ظلمهم بني إسرائيل لاستعبادهم .

قوله: ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ قرئ بكسر النون أصله : يتقونني ، فحذفت إحدى النونين لاجتماع المثلين تخفيفا ، وقوله : ﴿ أَلَا يَتَّقُونَ ﴾ كلام مستأنف . لما وصف قوم فرعون بالظلم فعجب الناس من جرأتهم على الله وأنهم لا يخافون عقابه ، ومن قرأ ( أَلا تَتَّقُونَ )[2] فهو التفات عن الغيبة إلى الخطاب ، وأجرى الوحي إلى موسى بذلك مجرى خطاب الكفار به وكم آيةٍ أنزلت في حق الكفار والقصد بها تسميع المؤمنين .

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ ﴾

---

(١) سورة لقمان ، الآية ( ١٣ ).

(٢) قرأ " تتقون " بالخطاب عبيد بن عمير وأبو حازم ، وقرأ الجمهور " يتقون " بالغيبة .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٩٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٦٩) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠١ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٧ ).

قرئ ﴿وَيَضِيقُ﴾ ﴿ وينطَلِقُ ﴾ بالرفع فيهما ؛ [ لأنهما معطوفان ] [١] على خبر " إن " وقرئ بالنصب[٢] لعطفهما على صلة أنْ ، والفرق بينهما في المعنى أن الرفع يفيد أن فيه ثلاثة علل : خوف التكذيب ، وضيق الصدر ، وامتناع انطلاق اللسان ، والنصب على أن خوفه متعلق بهذه الثلاثة . فإن قلتَ : في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة ، وفي جملتها نفي انطلاق اللسان ، وحقيقة الخوفِ إنما هو غمٌّ يلحق الإنسان لأمرٍ سيقع وذلك (١٥٤/ب) كان واقعاً ، فكيف جاز تعليق الخوف به ؟

قلتُ : قد علق الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه ، وضيقُ الصدرِ والحبسةُ في اللسانِ زيادة على ما كان به ، على أن الحبسة التي في لسانه قد زالت بدعوته .

وقيل : بقيت منها بقية يسيرة . فإن قلت : اعتذارك هذا يرده الرفع ؛ لأن المعنى : إني خائف ، ضيقُ الصدرِ ، غير منطلق اللسان !

قلت : يجوز أن يكون هذا قبل الدعوة بإطلاق لسانه واستجابتها ، ويجوز أن يريد القدر اليسير الذي بقي منها ، ويجوز ألا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء ، فإن العقدة انحل بعضها وبقي منها بقية ، ولذلك قال فرعون عن موسى : ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢﴾ [٣] أي : لا يفصح عما يريد أن يتكلم به .

﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ أرسل إليه جبريل واجعله نبيًّا ، وهذا اختصار للقصة ؛ كقوله : ﴿ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦﴾ [٤] فاقتصر على ذكر طرفي القصة . فإن قيل : كيف ساغ لموسى أن يعتذر بعد أمر الله له بمشاركة هارون في النبوة وهي رتبة عظيمة ؟ قلتُ : موسى لم يعتذر ، وإنما قصد إزاحة علته وأن موسى رجلٌ واحدٌ فقيرٌ ، وغريمه فرعون بلغ من كبره أنه ادعى الإلهية ، وكفى بطلبه العون بأخيه دليلاً على أنه قبل ولم يعتذر .

---

(١) في الأصل: لأنه معطوف. والمثبت هو الصحيح.

(٢) قرأ يعقوب من العشرة " ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني " وقرأ الباقون " ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٩٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٢ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٥ ).

(٣) سورة الزخرف ، الآية ( ٥٢ ).

(٤) سورة الفرقان .

أراد بالذنب قتله القبطي ، أي : ولهم عليَّ تبعةُ ذنب ، وهي قَوَدُ القتل[1] سُمِّيَ جزاءُ التبعةِ ذنبا مجازاً ، وأراد أنه خائف أن يقتل قبل أداء الرسالة ، فيفوت القصد

﴿قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

وقوله :﴿كَلَّا﴾ أي : ليس يقدر على قتلك . وقوله :﴿فَٱذْهَبَا﴾ إجابة لموسى في جعل هارون نبيًّا معه وزيرا . قوله عز وجل :﴿مَعَكُم﴾ و﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ خبر لـ " إن " وهذا من مجاز الكلام يعني : إنني أشاهد ما يجري منكما وأنا قادر على دفعه عنكما .

ومن صفات الله تعالى السميع ، ولكن لا يسمى مستمعاً ؛ لأن المستمع هو المصغي ، والاستماع من السمع ، كالنظر من الرؤية ، فإن قيل : لم أفرد ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾وقال في موضعٍ آخر : ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [2] ؟ قيل : أراد بالإفراد المصدر، كأنه قال : إنا ذويا رسول ربك ، فأفرد كما يفرد المصدر ؛ كقوله [ من المتقارب ] :

أَلِكْني إِلَيْها وخيرُ الرَّسو ... لِ أَعْلَمُهُم بِنَواحي الخَبَرْ [3]

وكقوله ( ١٥٥/أ ) [ من الطويل ] :

لقَدْ كَذَبَ الواشونَ ما فُهْتُ عِنْدَهُم ... بِزُورٍ ولا أَرْسَلْتُهُم بِرَسولِ [4]

---

(١) **القَوَد :** قتل النفس بالنفس ، والقود : القصاص ، وأقدت القاتل بالقتيل : قتلته به.

**ينظر :** لسان العرب ( قود ).

(٢) سورة طه ، الآية ( ٤٧ ).

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي **ينظر في :** شرح أشعار الهذليين ( ص : ١١٣ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٠٤ ) ، لسان العرب ( لوك ) ، المخصص لابن سيده ( ١٢ / ٢٢٥ ) وألكني : أرسلني . والرسول هنا مصدر فجاز إفراده مع تعدد معناه ، ولذلك عاد إليه ضمير الجمع في " أعلمهم " ، وشبه الخبر بمكان ذي جهات على الاستعارة المكنية .

(٤) البيت لكثير عزة **ينظر في :** تهذيب اللغة للأزهري ( ١٢ / ٣٩١ ) ، ديوان كثير ( ص : ١١٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٤٤ ) ، لسان العرب ( رسل ) ، النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ١٧٢ ) ويروى : ما بحت عندهم بسر ....... **والواشون :** الذين يخلطون الصدق بالكذب ويحرفون الكلم عن مواضعه ، ورسول : رسالة .

وقيل: أفرده لأن هارون وزيرٌ لموسى يشتوران على أمرٍ واحد ويعزمون عليه (١٥٥/أ) .

﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾

﴿أَنْ أَرْسِلْ﴾ بمعنى : أي أرسل ؛ لتضمن الرسول معنى الإرسال ، وهي قوله يُفسَّر بأي ومعنى الإرسال ههنا التخلية والإطلاق ، ويمكنهم أن يذهبوا مع موسى إلى فلسطين ويروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون ولم يؤذن لهما سنة ، حتى قيل لفرعون : إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول الله ، فقال : ائذن له لعلنا نضحك منه ، فدخلا عليه وأديا الرسالة ، فعرف فرعونُ موسى ، فإنه تربَّى في حجره ، فقال :﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾الوليد الصبي لقرب عهده بالولادة ، وقرئ بسكون الميم من﴿ عُمُرِكَ ﴾ [١] .

قوله :﴿ سِنِينَ﴾ قيل : مكث عندهم ثلاثين سنة وفر منهم على إثرها .

عدد فرعون على موسى نعمته عليه بالتربية ، ووبخه بقتل خبازه ، وعظم ذلك بقوله : ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ﴾ ويجوز أن يكون قوله :﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ جملة حاليةً ، أي : وأنت من الكافرين بنعمتي ، ويجوز أن يكون كلاماً مستأنفاً نسب به فرعونُ موسى إلى الكفر، وقد افترى عليه ؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر ، أو: كافر بأمر فرعون ، أو كان ممن يكفر بإلهية فرعون ، فقد قيل : إنه كان لهم أصنام يعبدونها ؛ لقوله تعالى :﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[٢].

﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

فأجاب موسى : بأني إنما قتلت القبطي وأنا جاهل بالحكم .

---

(١) قرأ بها أبو عمرو البصري . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٥ ).

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٢٧ ).

وقرأ ابن مسعود ( مِنَ الْجَاهِلِينَ )[١] أي : فعلت فعل أولي الجهل والسفهِ ، كما قال يوسف لإخوته : ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٢] أو المخطئين ، أي : لم أتعمد القتل ، بل كنت مخطئا أو الناسين﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾[٣] ثم كرر موسى على إبطال ما عدد فرعون عليه من النعيم ، يعني إن هذا الذي عددته نعمة هو نقمة على التحقيق ، فإنه ما أُكرِمَ من أُهينَ قومُهُ .﴿ وعَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾اتخذتهم عبيدًا . وقوله : ( إِذَنْ ) جزاء وجواب فما وضعه وقوله :﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ﴾ كأنه قال : وجازيتني على حسن التربية قتلت خبازي ، وأما الجواب فهو حاصل .

وأفرد في قوله :﴿تَمُنُّهَا﴾ وفي﴿مِنكُمْ ﴾جمع ، وكذلك ( ١٥٥/ ب ) قوله : ﴿خِفْتُكُمْ﴾ لأن الخوف والفرار لم يكونا من فرعون وحده ، ولكن منه ومن ملئه﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [٤] وأما الامتنان والتعبيد فمن جهة فرعون خاصة .

قوله :﴿وَتِلْكَ ﴾ إشارة إلى خصلةٍ شنعاء مبهمةٍ لا تعرف إلا بتفسيرها ، وقد فسرها بقوله :﴿ أَنْ عَبَّدتَّ ﴾. وقال الزجاج[٥]: إنما ألقي موسى في اليم للخوف عليه حين كان يبقي الغلمان ، ويقتل الذكور ، فلو لم تفعل ذلك لكفلني أهلي .

وقول فرعون : ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ سؤال عن حقيقة ذاته ، فأجاب موسى بأن الذي يعرف من صفات الله مخلوقاته وآثاره ، فأما ذاته سبحانه تعالى فلا سبيل إلى معرفتها إنه شيء لا كالأشياء ، ومعنى سؤال فرعون إنكارٌ أن يكون للعالمين إلهٌ سواه .

تعجب فرعون والحاضرون من جواب موسى ، حيث نسب الربوبية إلى غيره ، ولما ثبت موسى على التعريف بآثار الله ومخلوقاته جننه فرعون وقال :﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

---

(١) وقرأ بها أيضا ابن عباس .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١١ ) ، تفسير القرطبي (١٣/ ٩٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٩٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٠٥ ) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٧٩).

(٢) سورة يوسف ، الآية ( ٨٩ ).

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ٢٨٢ ).

(٤) سورة القصص ، الآية (٢٠).

(٥) **ينظر** : معاني القرآن للزجاج ( ٤ / ٨٧ ).

﴿لَمَجۡنُونٌ﴾ وأعاد موسى الجواب بمثل ذلك فقال: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ولوَّح موسى بالجواب عن إساءة فرعون بنسبة موسى إلى الجنون فقال: ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ يعني: أنتم أحق أن تنسبوا إلى الجنون.

قيل: كان حوله خمسمائة رجلٍ في أيديهم الأساور، وكانت للملوك خاصة – أعني الأساور – وعم بقوله: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ فلم خص بعد ذلك الآباء؟ لأن أقرب المنظور إليه أبو الإنسان وخاصته، ثم خصصَ المشرق والمغرب؛ لأن تعاقبهما بالشروق والغروب يدل على قادرٍ يحركهما عالم بالمصلحة في ذلك، وهو مما لا يستطيع البشر المشاركة فيه، ولظهور هذا الدليل انتقل إبراهيم الخليل عن الاستدلال بالإحياء والإماتة إلى قوله: ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ﴾ [1] فلاينهم، فلما أغلظوا له في القول ونسبوه إلى الجنون قابل ذلك بقوله: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ و﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾.

﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾

قال له فرعون: ﴿لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ ولم يقنع بأن يقول: لأسجننك وأراد ﴿مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ الذين عرفت خبرهم، وكان من عادته أن يلقي المسجون في هوَّةٍ ذاهبةٍ في الأرض وحده لا يسمع ولا يرى. الواو في قوله: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ﴾ (١٥٦/أ) واو الحال دخل الاستفهام عليها، أي: أتفعل بي ذلك ولو جئتك بحجة ظاهرة وآية بينة؟

وقوله: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ محذوف الجزاء، أي: إن كنت من الصادقين فأت به.

﴿ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ﴾ أي: ظاهرٌ كونه ثعباناً، وليس كالمصنوع المزوَّر. روي أنها انقلبت حية ورفعت رأسها إلى السماء قدر ميل ثم انحطت وقصدت فرعون، وقالت لموسى: مرني بما شئت، فقال فرعون لموسى: أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٨).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٩ / ٧١)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ٥١١) لأبي الشيخ عن المنهال.

﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ يدل على أن بياضها كان شديداً يستوقف النظار؛ لتعجبهم منه لخروجه عن البياض المعتاد . قيل : كان لها ليده شعاع يغشى الأبصار ويسد الأفق و﴿حَوْلَهُۥٓ﴾ منتصب بوجهين : **أحدهما** : أنه ظرف ، وفي الظرف ضمير هو صاحب الحال .

**والثاني** : النصب على الحال ، ولقد تحيَّر فرعون لما أبصر الآيتين وبقي لا يدري أي طرفيه أطول ؟ حتى زل عنه ذكر دعوى الإلهية ، ورعدت فرائصه حتى احتاج إلى مشاورة الذين هو إلههم بزعمه . قوله :﴿لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ قول باهت قد انقطعت حججه .

﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿تَأْمُرُونَ﴾ من المؤامرة وهي المشاورة ، أو من الأمر ضد النهي ، جعل العبيد آمرين وإلههم مأمور لما لحقه من الدهش و﴿فَمَاذَا﴾ منصوب ، إما لكونه في معنى المصدر ، وإما لكونه مفعولاً به كقوله [ من البسيط ] : أَمَرْتُكَ الخَيْرَ ............ [1]

أرجأته وأرجيته إذا أخَّرْته ، وهم لغتان ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون : هم مرجئون لأمر الله[2]. والمعنى : أخره ومناظرته ليجتمع السحرة .

وقيل : احبسهما . ﴿حَٰشِرِينَ﴾ شُرُطًا يجمعون السحرة . وأتوا بلفظة ﴿بِكُلِّ﴾ وبلفظ ﴿سَحَّارٍ﴾ للمبالغة في تطمين نفس فرعون .﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ﴾ هو يوم الزينة ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾ استبطاء لإجابتهم ﴿نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ﴾ إن غلبوا موسى ، وليس القصد إلا الطمع في أن يغلب فرعون موسى . قوله :﴿ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ جزاء وجواب .

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النحل ، الآية ( ٥٠ ).

(٢) تقدم الحديث عن المرجئة في تفسير سورة طه ، الآية ( ٤٨ ).

أقسموا بعزة فرعون ، ولا يجوز القسم بغير الله ولو كان معظَّما في الشرع ، كالنبي والكعبة ، فكيف بفرعون ( ١٥٦/ ب ) وعزته ؟! وقد استحدث الناس جاهلية؛ يحلف أحدهم بالله وبصفاته فلا يقبل منه حتى يحلف برأس سلطانه ، فهي عندهم جهد اليمين[١] .

﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ ما يقلبونه عن الحق بالسحر والتخييل . أو : ما يكذبون ، جعل أفعالهم كذباً مجازاً. ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ ﴾لأنهم لم يتمالكوا حين رأوا ما رأوا أن أسرعوا في السقوط .

﴿سَاجِدِينَ﴾ فاعل إلقائهم هو الله الذي قذف في قلوبهم الإيمان ، أو إيمانهم ، أو ما رأوه من الآيات . ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وبال ما فعلتم .

﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿لَا ضَيْرَ﴾ أي : لا ضرر علينا في ذلك بل هو أعظم نفعٍ ، وهو نصرة دين الحق . أو لا ضير علينا فيما تعذبنا به ؛ لأنه لا بد من لقاء الله حتى يأخذ كل ذي حق حقه ، وخبر﴿لَا ضَيْرَ﴾ محذوف ، أي : لا ضير علينا في ذلك﴿أَن كُنَّا﴾ لأن كنا ، وكانوا أول جمعٍ أسلموا حينئذ .

وقيل : أول جمع من قوم فرعون أو من المشهد ، وقرئ ﴿أَن كُنَّا﴾ بالكسر[٢]، وهو من الشرط الذي يقوله من يدل بحصوله ، ومنه قوله تعالى :﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي﴾[٣]

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣١٢ ) ومثل هذا ما يقع من بعض الجهال من القسم بالطلاق والشرف وغير ذلك ، وقد يكون عنده وعند من يقسم له أن القسم بذلك أشد وآكد من القسم بالله تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا من الطامات التي أصيب بها المسلمون ، ومن المعلوم أن القسم لا يكون إلا بالله كما قال النبي ﷺ : " من كان حالفا فليحلف بالله أو ليسكت " وورد في ذلك الكثير من الأحاديث **تنظر في** كتب الحديث .

(٢) قرأ بها أبان بن تغلب وأبو معاذ . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٧ ).

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ( ١ ).

ويقول الصانع بعد فراغه مما استأجر عليه : إن كنت عملت لك فأعطني حقي.

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ معناه : يتبعكم فرعون وقومه ، فأغرقهم وأنجاكم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ محكي بعد قول مضمر ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ جماعة قليلة ، وثوب شراذم ، أي : منقطع ، ووصفهم بالقلة مع ذلك ، وجمعهم جمع سلامة وهو دليل القلة ، وأراد فرعون بهذا القول ألا تضعف حرمة فرعون عند الرعايا بما جرى له مع موسى من العصا واليد البيضاء .

سمَّى ما أخرجهم منه كنزاً ؛ لأنه لم ينفق في طاعة الله .﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ أي : المنابر . وقيل : السُّرُرُ . وقيل : المنازل الحسنة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ في محل الكاف ثلاثة أوجه :

**أحدها** : النصب ، أي : أخرجناهم إخراجاً مثل ذلك . **والثاني** : الجرُّ على الصفة لمقام . **والثالث** : الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوفٍ ، أي : الأمر كذلك . ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾ فلحقوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشمس .﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلى طريق النجاة .

﴿تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أبصر كل فريق أصحابه (١٥٧/ أ) قرئ ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ بتشديد الدال وكسر الراء[١] من ادَّركَ الشيء : إذا تتابع وهلك . قرئ ( كل فلق )[٢] والفلق والفرق بمعنى واحد ، والطود : الجبل العظيم .

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ﴾ حيث انفلق البحر ﴿ٱلْآخَرِينَ﴾ قوم فرعون ، أي : قربناهم من بني إسرائيل .

وقرئ ﴿وَأَزْلَقْنَا﴾ بالقاف[٣]، أي : أزللنا أقدامهم ، ويحتمل أن يكون الله تعالى جعل البحر لبني إسرائيل طريقاً يبساً ، ولفرعون وأصحابه زلقاً . قيل : كان جبريل بين صفي موسى وفرعون فكان يقول لبني إسرائيل : ليلحق آخركم أولكم ، ويقول لأصحاب فرعون :

---

(١) قرأ بها الأعرج وعبيد بن عمرو . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٦ ) ، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ١٠٧ ).

(٢) **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٦ ).

(٣) قرأ بها أبي وابن عباس وعبد الله بن الحارث ، والمعنى : وأذللنا وأهلكنا . وقراءة الجمهور "وأزلفنا" . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٧٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٦ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٩ ).

دونكم يلحق آخركم أولكم ، فلما وصل موسى إلى البحر قال له مؤمن آل فرعون : أين أُمِرْتَ فهذا البحر أمامك والعدو خلفك ، وقد غشيك آلُ فرعون قال : أُمِرْتُ بالبحر، ولا يدري موسى ما يصنع ، فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقاً ، لكل سبط طريق[(١)].

وروي أن موسى لما أجاب يوشع خاض يوشع في البحر تصديقا لقول موسى ، فلما انفلق البحر بضرب العصا وجدوا يوشع في موضع الماء الذي خاض فيه لم يبتل له ثوب ولا عدة فرس[(٢)]، وهذا البحر بحر القلزم . وقيل : بحر من وراء مصر يقال له: إساف[(٣)].

قوله عز وجل :﴿ لَآيَةً ﴾ أي : آية عظيمة . كان إبراهيم يعلم أنهم عبدة أوثان ، وإنما سألهم ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ ليبكتهم .

﴿ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾

فإن قيل : هم سئلوا عن المعبود فكان يكفي في الجواب أن يقولوا : أصناماً ؛ كقوله : ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا ﴾[(٤)] وكقوله :﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾[(٥)] وكقوله :﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ﴾[(٦)] قلنا : هؤلاء أتوا بالقصة على وجهها ، ولهذا قالوا :﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾ كما لو قلت لرجلٍ : ما تلبس من الثياب ؟ فيقول : البُرْد الأتْحَمِيُّ[(٧)] فأجرره بين

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ١ / ٢٧٨ ) ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٠٤ ) لابن عبد الحكم وعبد بن حميد عن مجاهد ﷺ.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ١٩ / ٨٠ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ٧٨ ).

(٤) سورة النحل ، الآية ( ٣٠ ).

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ٢١٩ ).

(٦) سورة سبأ ، الآية ( ٢٣ ).

(٧) **الأَتْحَمِيُّ** : ضرْب من البُرود . ويقال تَحَمْت الثوبَ إذا وَشَّيْته . وفرس مُتَحَمُ اللَّوْن إلى الشُقرة كأنه شبه بالأَتْحَمِيِّ من البرود وهو الأحمر ، وفرس أَتْحَمِيُّ اللَّون، وروي عن الفراء قال : التَّحَمَةُ البُرود المخطَّطة بالصُفْرة . **ينظر** : لسان العرب ( تحم ).

جواري الحي ، وذلك يدل على ابتهاجه بهذا اللباس ، وعلى ابتهاج قوم إبراهيم بعبادة الأصنام . وإنما قالوا : نظل . لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل .

لابد في ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ من تقدير ، وهو هل يسمعون دعاءكم ؟ فإنك لو قلتَ : سمعتُ زيداً. لم يستقم حتى تقول : سمعته يقول أو يحدث . وقرئ ﴿يُسْمِعُونَكُمْ﴾ بضم الياء[1]، أي : هل يسمعونكم جواباً ؟ وجاء بـ ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ فيما مضى متكرراً دعاؤكم (١٥٧/ب) إياهم ، ولم يجيبوا قط في حالٍ من الأحوال ، فلما أجابوا إبراهيم باتباع التقليد قال لهم : انتهوا بالتقليد إلى غاياته ، وهو تقليد الأقدمين من آبائكم وصور المحاكمة في نفسه فقال : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ كأنه قال : وجدت عبادتي للشيطان متابعة لعدوٍ، وقد أخبرنا الله بعداوته لنا ، وهذه نصيحة بدأت فيها بنفسي . العدو : واحد أتى به في موضع الجمع كما في المصادر ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قيل : هو استثناء منقطع معناه لكن ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ هدى كل حيوان إلى مصالحه .

وقال : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل : أمرضني ؛ لأن أكثر الأمراض تحصل من سوء تصرف العبد في زيادة أكل أو نقصه أو في جنس المطعوم . وقيل : استعمل الأدب مع الله تعالى ، فنسب الأمراض إلى نفسه ونسب العافية إلى الله .

قوله : ﴿خَطِيٓـَٔتِي﴾ ما يندر وقوعه من الأنبياء عليهم السلام من الصغائر . وقيل : هو قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [2] وقوله للقمر : ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [3] وقوله لسارة : هي أختي ، وما هذه إلا معاريض ، فهي حق وليست كذباً ، والصغائر تقع مكفرة باجتناب الكبائر عند المعتزلة وعندنا أمرها راجع إلى المشيئة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[4] وإنما استغفر إبراهيم عند المعتزلة تواضعاً وتعليماً لأمته ، وطلب المغفرة يوم الدين والمغفرة ممكنة في الدنيا ؛ لأن ظهور أثر المغفرة إنما يظهر في الآخرة [5].

---

(١) قرأ بها قتادة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/٢٧٦) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٨ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٢٩ ).

(٢) سورة الصافات ، الآية ( ٨٧ ).

(٣) سورة الأنعام ، الآية ( ٧٦ ).

(٤) سورة النساء ، الآية ( ٤٨ ).

(٥) تقدم الحديث عن ذلك في سورة النساء ، الآية ( ٣١ ).

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾

﴿حُكْمًا﴾ أي : حكمة . وقيل : سأل الإصابة في الحكم بين الخلق . وقيل : النبوة . والإلحاق بالصالحين : أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملة الصالحين . ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ ولا تُهنّي ، أو لا تجعلني مستحيياً . ﴿يُبْعَثُونَ﴾ فيه ضمير إلى العباد أو إلى الضالين ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ إلا حال من أتى الله ، وهو كقوله [ من الوافر ] :

تَحِيَّةُ بيْنِهِم ضَرْبٌ وجيعُ (١)

كما تقول : هل لفلانٍ مال ؟ فيقال : مالُهُ سلامةُ قلبِهِ ، مرادك : نفي المال عنه ، ويجوز أن يراد : إلا غنى من أتى الله . وقيل : إلا مال من أنفق ماله في الخير وأولاد من علمهم الخير والقرآن . وقيل : السليم الملسوع تألُّماً على ما سلف منه من التقصير ، وهو من بدع التفاسير (٢) .

رتب إبراهيم الكلام مع الكفار فاستفهم عما يعبدونه وهو يعلم أنهم يعبدون الأصنام ثم أبطل إلهية ( ١٥٨/أ ) أصنامهم بأنها لا تنفع ولا تضر ، ورد تقليد آبائهم الأولين ، ثم عدد نعم الله عليه بالهداية والإطعام والسقي والشفاء من المرض وغير ذلك ، ثم تضرع إلى الله أن يلحقه بالصالحين ، وأن يجعل له ذكرا جميلاً إلى يوم القيامة ، ثم وصله بذكر يوم القيامة .

﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب ، وصدره : وخيلٍ قد دلفت لها بخيلٍ ....................

**ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي ( ٤ / ٥٣ ) ، الخصائص لابن جني ( ٤ / ٣٥ ) ، ديوان عمرو بن معدي كرب ( ص : ١٣٧ ) ، شرح أبيات سيبويه ( ١ / ٣٦٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٦٠ ) ( ٣ / ٣٢٠ ) ، المقتضب للمبرد ( ٢ / ٢٠ ) أي : وأصحاب خيل تقدمت لها بمثلها ، والتحية بالضرب الوجيع على سبيل التهكم .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣٢١ ).

﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ يريد الأحقرين واسترذلوهم لفقرهم . وقيل : لصناعتهم الدنية كالحاكة والأساكفة[1] .

﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله :﴿وَمَا عِلۡمِي﴾ يريد انتفاء علمه بثبوت إيمانهم وأنه ليس مسؤولاً ( ١٥٨/ ب ) عن ذلك ، وإنما عليه البلاغ . ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ﴾ طمعاً في إيمانكم ، وإنما عليَّ الإنذار ، وأقنع ممن يتابعني بالإيمان الظاهر .

﴿فَٱفۡتَحۡ﴾ أي : فاحكم . والفتاحة : الحكم ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن يطلق على الواحد والجمع ، ونظيره الهجان والدلاص[2] للواحد والجمع .﴿ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ المملوء .

والريع بكسر الراء وفتحها[3] المكان المرتفع ، ومنه قولك : كم ريع أرضك ؟ أي : كم ارتفاعها ؟ و﴿لَأٓيَةٗ﴾ العَلَم ، وكانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم ، فاتخذوا في طرقهم

= (٧/ ٣١) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٣١ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٨١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٥ ).

(١) **الحاكة** : جمع حائك وهم الذين ينسجون ويخيطون الثياب ، **والأساكفة** : جمع الإسكاف وهو الصانع أيًا كان وخص بعضهم به النجار . **ينظر** : لسان العرب ( حيك – سكف ).

( ٢ ) **الدِّلاصُ من الدُّروع** : الليِّنة ودِرعٌ دِلاصٌ برّاقة ملساء ليِّنة بَيِّنَةُ الدَّلَصِ والجمع دُلُصٌ . وقد يكون الدِّلاصُ جمعاً مكسَّراً وليس من باب جُنُب لقولهم: دِلاصان. حكاه سيبويه قال: والقول فيه كالقول في هِجَان وحَجر دِلاصٌ شديد الملُوسة ويقال: دِرْعٌ دِلاصٌ وأَدْرُعٌ دِلاصٌ الواحد والجمع على لفظ واحد . **ينظر** : لسان العرب ( دلص ).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣٢٥ ) : وقرئ بالفتح والكسر .

يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾

﴿ ٱلْجَنَّةُ ﴾ تكون قريبة من موقف السعداء ، وهو معنى قوله : ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ ﴾ أي : قربت للمتقين ، وقال : ﴿ فَكُبْكِبُوا۟ ﴾ وهذه الصيغة كرر فيها الكب ، ونحوه الصلصلة لتكررها ، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى.

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ ﴾ متبعوه من شياطين الإنس والجن ، يجوز أن ينطق الله الأصنام فيختصموا مع عابديها ، ويجوز أن يكون المراد العصاة ممن عبد ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾ بأنهم تبين لهم أنهم مفترون في كون آلهتهم تشفع لهم ، فأخبر عنهم أنهم لا يشفعون ولا ينفعون ، وما لا ينفع فهو في حكم المعدوم . الْحَمِيمُ : هو الذي يهمه ما أهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص ، وجمع الشفعاء وأفرد الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق ، فمن وقع في شدةٍ يستشفع بالصديق وغير الصديق .

وسئل بعضهم عن الصديق فقال : اسم لا معنى له ، ويجوز أن يراد بالصديق الجمع كما في العدو. الْكَرَّةَ : الرجعة إلى الدنيا و﴿ فَلَوْ ﴾ ها هنا للتمني كأنهم قالوا : يا ليتنا نرد ويجوز أن تكون " لَوْ " على بابها ويحذف الجواب ، أي : لو أن لنا كرة لأطعنا .

﴿ قَوْمُ ﴾ مؤنثة وتصغيرها : قويمة . ونظير قوله : ﴿ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ والمراد نوح وحده قولك : فلان يركب الدواب ويلبس البرود ، وما له إلا دابة وبرد .

قوله عز وجل : ﴿ أَخُوهُمْ ﴾ أي : في الدين لا في النسب ، وكذلك قولهم : يا أخا بني تميم ﴿ وَأَطِيعُونِ ﴾ فيما أدعوكم إليه . ﴿ عَلَيْهِ ﴾ أي : على هذا الأمر ، وكرر الأمر بالتقوى ليؤكده عليهم ؛ ولأنه علل الأمر الأول بكونه أميناً ، وفي الثاني حسم طمعه عنهم .

وقرئ ﴿ وَأَتْبَاعُكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾ [١] جمع تابع ، والواو للحال ، و" قد " بعدها مضمرة

---

(١) هذه قراءة يعقوب من العشرة . وقراءة الجمهور " واتَّبعك " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان=

﴿ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ يريد الأحقرين واسترذلوهم لفقرهم . وقيل : لصناعتهم الدنية كالحاكة والأساكفة[1] .

﴿قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣٥﴾ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾

قوله :﴿وَمَا عِلۡمِي﴾ يريد انتفاء علمه بثبوت إيمانهم وأنه ليس مسؤولاً ( ١٥٨/ ب ) عن ذلك ، وإنما عليه البلاغ . ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ﴾ طمعاً في إيمانكم ، وإنما عليَّ الإنذار ، وأقنع ممن يتابعني بالإيمان الظاهر .

﴿فَٱفۡتَحۡ﴾ أي : فاحكم . والفتاحة : الحكم ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن يطلق على الواحد والجمع ، ونظيره الهجان والدلاص[2] للواحد والجمع .﴿ٱلۡمَشۡحُونِ﴾ المملوء .

والريع بكسر الراء وفتحها[3] المكان المرتفع ، ومنه قولك : كم ريع أرضك ؟ أي : كم ارتفاعها ؟ و﴿لَأٓيَةٗ﴾ العَلَم ، وكانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم ، فاتخذوا في طرقهم

---

= (٣١/٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٣١ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٨١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٥ ).

(١) **الحاكة** : جمع حائك وهم الذين ينسجون ويخيطون الثياب ، **والأساكفة** : جمع الإسكاف وهو الصانع أيًا كان وخص بعضهم به النجار . **ينظر** : لسان العرب ( حيك – سكف ).

( ٢ ) **الدِّلاصُ من الدُّروع** : الليِّنة ودِرعٌ دِلاصٌ برّاقة ملساء ليّنة بَيِّنةُ الدَّلَصِ والجمع دُلُصٌ . وقد يكون الدِّلاصُ جمعاً مكسَّراً وليس من باب جُنُب لقولهم: دِلاصان. حكاه سيبويه قال: والقول فيه كالقول في هِجَان وحَجر دِلاصٌ شديد المُلُوسة ويقال: دِرْعٌ دِلاصٌ وأَدْرُعٌ دِلاصٌ الواحد والجمع على لفظ واحد . **ينظر** : لسان العرب ( دلص ).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣٢٥ ) : وقرئ بالفتح والكسر .

أعلاماً طوالاً فنسبوا إلى العبث ؛ لأنهم كانوا مستغنين بالنجوم عن العلامات .

وقيل : أراد بيوت الحمام . وقيل : القصور المشيدة والحصون ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ ترجون الخلود في الدنيا ، أو يشبه حالكم حال من يخلد . وقرئ ﴿ تَخْلُدُونَ ﴾ بضم التاء مشدداً ومخففا [1] والبطش بالسيف والصوت من الجبروت والعلو . وقيل : الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب . وقيل : تبادرون عند الغضب إلى البطش من غير تثبتٍ ونظرٍ في العواقب ، واستشهد بعلمهم بما أنعم به عليهم ، وقرن الأولاد بالنعم ؛ لأنهم الذين يعينون آباءهم على اقتنائها .

﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ ﴾

من قرأ ﴿ خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ بالفتح فمعناه : إن ما جئت به اختلاق الأولين ، ومن قرأ بضم الخاء واللام [2] فالمراد : عادة الأولين ، قام فيهم قوم ادعوا النبوة فلم يثبت لهم أمر .

وقوله : ﴿ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ لأنهم طلبوا أن الرسل لا يصلح أن يكونوا من الواعظين ، فهو أبلغ من قولهم : أو لم تعظ . قوله : ﴿ أَتُتْرَكُونَ ﴾ إنكار أن يخلدوا في

---

(١) قرأ " تُخَلَّدون " بالتشديد قتادة ، وقراءة الجمهور " تُخْلَدون " بالتخفيف . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٨١ ) ، فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٢٢) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٦ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٣٠ ).

(٢) قرأ أبو عمرو والكسائي وابن كثير وأبو جعفر ويعقوب " خَلْقُ " ، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف " خُلُقُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٣ ) ، حجة ابن خالويه (ص:٢٦٨) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٥١٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٨٢ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٥ ).

نعيمهم ، ويجوز أن يكون إنكارا لتركهم لا يجازون أجمل النعم في قوله :﴿مَا هَٰهُنَآ﴾ ثم فسرها بقوله :﴿ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ قوله : ﴿وَنَخْلٍ﴾ هو داخل في قوله :﴿ جَنَّٰتٍ﴾ يجوز أن يكون من عطف الخاص على العام ويجوز أن يراد بالجنات ما سوى النخل ثم يعطف عليه النخل ، والهضيم : الضامر ، وطلع الإناث من النخل ألطف وألين من طلع الفحال ، ويجوز أن يريد أن هذه النخيل أصابت أرضاً طيبةً ، فحملت الحمل الكثير، وإذا أكثر الحمل ضمر. الفراهة : الكيس والنشاط .

وقوله : ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ ( ١٥٩/أ ) يريد أن فسادهم لا ينفع فيه شيء من الصلاح .﴿ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ الذي سحر كثيراً فغلب على عقله . وقيل : هو من السَّحْرِ وهو الرئة .

الشرب : النصيب من الماء . سألوا صالحاً أن يخرج لهم من هضبة ناقة عشراء وتلد سقبا فصلى صالح ركعتين ودعا الله ، فتمخضت الهضبة وانشقت عن ناقة لا يعلم قدرها إلا الله ، ثم تمخضت فنتجت سقباً يقاربها في العظم[(١)] ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بنحرٍ أو بعقرٍ أو غيرهما ، وعظم اليوم والمراد تعظيم ما وقع فيه .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٨ / ٢٢٦ ) والسقب : ولد الناقة ، وقيل : الذكر من ولد الناقة بالسين لا غير وقيل : هو سقب ساعة تضعه أمه . قال الأصمعي : إذا وضعت الناقة ولدها فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى ، فإذا علم فإن كان ذكرا فهو سقب وأمه مسقب .

ينظر : لسان العرب ( سقب ).

أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾

وقوله :﴿ فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ . فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ فندموا على ما فعلوا من مخالفة صالح ، ولم يكن ندمهم توبة ؛ لأنهم ما ندموا على العصيان ، وإنما ندموا على فساد رأيهم ، واللام في﴿ الْعَذَابُ ﴾ إشارة إلى عذاب يومٍ عظيم . أراد بـ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ الناس مع كثرتهم وغلبة إناثهم على ذكورهم في الكثرة والعالمون على هذا كل ما ينكح من الحيوان

و﴿ مِنَ ﴾ في قوله : ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ ﴾ لبيان الجنس أو للتبعيض . ويراد بـ ﴿مَا خَلَقَ ﴾ العضو المباح منهن . وقرئ " مَا أصلح لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ " [١] وكأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم﴿ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ قد تجاوزوا الحد في العصيان بل أنتم عادون في جميع المعاصي . ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ ﴾عن إنكارك لما نحن عليه لتكونن من جملة من أخرجناه من المدينة . قوله :﴿مِنَ الْقَالِينَ ﴾ أبلغ من أن يقول : إني قالٍ لعملكم . والقلي أشد البغض ، كأنه يقلي الفؤاد بحرقته .

﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾من إتيان الذكران . وقيل : أمدني بالعصمة . قوله : ﴿إِلَّا عَجُوزًا ﴾ استثناها لأنها هلكت لرضاها بفعل قومها . قيل : إنها هلكت مع من خرج من القرية بما أمطر عليهم من الحجارة .

وكان أصحاب الأيكة أصحاب شجر ملتف ، وشجرهم الدوم . ﴿بِالْقِسْطَاسِ ﴾ الميزان . وقيل : العدل ، ونهاهم عن الفساد في الأرض وقطع الطريق و﴿وَالْجِبِلَّةَ ﴾ الخلقة ، ودخلت الواو في قوله :﴿ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ ﴾ ولم تدخل في قصة صالحٍ ، فإذا دخلت كانوا قد أنكروا أمرين ، وإذا لم تدخل كانوا لأمرٍ واحدٍ ، والسماء : السحاب ، أو المظلة . وإنما طلبوا ذلك

---

(١) قرأ بها ابن مسعود . **تنظر في** : تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٣٠ ).

إفحاماً لشعيب وتعجيزاً له ، لو تصوروا صورة سقوطها لما أخطر ذلك ببالهم ( ١٥٩/ ب ) يروى أنه حبس عليهم الريح سبعاً فخرجوا إلى البرية ، فأظلتهم سحابة ، فأووا إلى بردها ، فأمطرت عليهم ناراً . وكرر في أول كل قصة وآخرها ما كرره من المواعظ الحسنة لِعِلةٍ ، لَعلَه أن يفتح آذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً ، وهكذا فائدة التكرير.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

وقوله : ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾ أي : ذو تنزيل ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي : لتحفظه . ﴿بِلِسَانٍ﴾ إما أن يتعلق بـ﴿ٱلْمُنذِرِينَ﴾ أي: من المنذرين باللسان العربي ، وهم خمسة : هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلوات الله عليهم . وإما أن يتعلق بـ ﴿نَزَلَ﴾ أي : نزله بلسان عربي قوله : ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي : وإن ذكره ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي : كتبهم . وقيل : إن معانيه فيها ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ احتج به أبو حنيفة على جواز قراءة القرآن بالعجمية [(١)].

وقيل : الهاء في ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ عائد إلى النبي ﷺ .

قرئ ﴿يَكُن﴾ بالتذكير ، و﴿ءَايَةً﴾ بالنصب على أنها خبره ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ هو الاسم ، وقرئ ﴿يَكُن﴾ بالتأنيث[(٢)]، وجعلت ﴿ءَايَةً﴾ اسما و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ خبرا ، وليست كالأولى ؛ لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبراً ، وقد خرج لها وجه آخر للتخلص من ذلك ، فقيل في ﴿يَكُن﴾ ضمير القصة و ﴿ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ جملة واقعة موقع الخبر ، ويجوز على هذا أن تكون ﴿لَّهُمْ ءَايَةً﴾ هي جملة الشأن و﴿أَن يَعْلَمَهُۥ﴾ بدلاً عن ﴿ءَايَةً﴾ ويجوز مع نصب الآية تأنيث

---

(١) **ينظر** : بدائع الصنائع للكاساني ( ١ / ٢٩٦ ) ، المبسوط للسرخسي ( ١ / ٣٥ ).

(٢) قرأ ابن عامر من العشرة " تكن " بالتاء للمؤنث ، وقرأ الباقون " يكن " بالياء للمذكر .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٤١ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٢٦٨ ) ، حجة أبي زرعة (ص : ٥٢١) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٨٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٣٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٦ ).

(تكُنْ ) كقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ﴾ (١) .

و ﴿ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ من آمن منهم كعبد الله بن سلام ﴿ سَلَكْنَٰهُ ﴾ أدخلناه ومكناه مكذبا. ودخلت الفاء في قوله : ﴿ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً ﴾ يعني يترتب هذا على هذا ، ولم يرد أنه يقع عقيبه ﴿ مَآ ﴾ في قوله : ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم ﴾ أي : لم يغن عنهم .

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾

وقوله ها هنا : ﴿ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ وقال في الحجر : ﴿ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (٢) فأثبت الواو، إنما كان ذلك ؛ لأن الأصل حذف الواو ؛ لأن الجملة بعدها صفة للنكرة ، والأصل في الصفات ألا تعطف بالواو (٣) .

قوله : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ المراد به كل سامعٍ ، وروي أنه لما نزل قوله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا فنادى قبائل العرب بطنا بطناً ، فاجتمعوا إليه ( ١٦٠/أ ) فذكرهم وحذرهم فقال أبو لهبٍ : تبت يداك ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ (٤) .

الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه ، وإذا أراد أن يطير نشره ، فقيل له :

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ٢٣ ).

(٢) سورة الحجر، الآية ( ٤ ).

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط ( ٧ / ٤٤ ) : " وإنما تدخل الواو في الصفات جوازا إذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو : مررت بزيد الشجاعِ والشاعرِ " .
**وينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٢٩٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٣٨ – ٣٣٩ ).

(٤) سورة المسد ، الآية ( ٤ ) والحديث رواه البخاري رقم ( ٤٩٧١ ) ، ومسلم رقم ( ٢٠٨ ).

﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ ﴾ أي : أَلِن جانبك ، وكانت المتكاهنة كشق وسطيح يسمعون إلى الملأ الأعلى وينزلون بأخبار السماء ، فعزلوا عن ذلك ، ومنعوا من استراق السمع.

وقرأ عيسى بن عمر[(١)] «والشُّعَرَآءَ» بالنصب[(٢)] ، بإضمار فعلٍ .

قال أبو عبيد[(٣)] : كان الغالب عليه حُبَّ النصبِ ، قرأ« حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ » [(٤)] و «والسَّارِقَ والسَّارِقَةَ» [(٥)] و«سُورَةً أَنزَلۡنَهَا» [(٦)] .

وقرئ «يَتَّبِعْهُمُ» بسكون العين[(٧)] تشبيها له بـ " عضد ".

---

(١) هو عيسى بن عمر الثقفي ، أبو عمرو ، من أئمة اللغة ، وهو شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء ، أول من هذب النحو ورتبه ، كان يكثر من استعمال الغريب ، له مصنفات من أشهرها الجامع والإكمال . مات سنة ١٤٩ هـ . قال بعض الشعراء فيه :

بطل النحو جميعا كله     غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع     فهما للناس شمس وقمر

**تنظر ترجمته في :** خزانة الأدب للبغدادي ( ١ / ١١٦ ) ، وفيات الأعيان ( ٣ / ٤٨٦ )

(٢) **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٤٨ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٥٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٩٣ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٢١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٤٤ ).

(٣) نقله عنه الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣٤٤ ).

(٤) سورة المسد ، الآية ( ٤ ) وقرأ بها عاصم ، وقرأ الباقون " حمالةُ " . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٥٢٦ ) ، حجة ابن خالويه ( ص : ٣٧٧ ) ، حجة أبي زرعة ( ص : ٧٧٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٥٨٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٧٠٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٢٩٧ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٣ / ٢٩٨ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٤٠٤ ).

(٥) سورة المائدة ، الآية ( ٣٨ ) وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي عبلة " والسارقَ والسارقةَ " بالفتح ، وقرأ الجمهور" والسارقُ والسارقةُ " بالرفع . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان ( ٣ / ٤٧٦ ) ، تفسير القرطبي ( ٦ / ١٦٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٢ / ٥٢٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٧٧ )

(٦) سورة النور ، الآية ( ١ ) وقرأ " سورةً " بالنصب عيسى بن عمر الثقفي ومجاهد وأبو حيوة ، وقرأ الجمهور" سورةٌ " **تنظر في :** البحر المحيط لأبي المحيط ( ٦ / ٤٢٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٢٠٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٠٨ ).

(٧) قرأ بها الحسن ورويت عن أبي عمرو ، وقرأ " يَتْبَعُهُم " نافع ، وقرأ الباقون " يَتَّبِعُهم " .

**تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٤٨ ) ، حجة ابن خالويه ( ص:٢٦٩ ) ، حجة أبي زرعة (ص:٥٢٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٢٩٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧٤ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٧٤ ).

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾

ذكر الوادي والهيوم لذهابهم في كل شعب ، ومدحهم من لا يستحق حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة ، وأبخل الناس على حاتم .

وعن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله [ من الوافر ] :

فبِتْنَ بجانبَيَّ مُصَرَّعاتٍ وبِتُّ أفُضُّ أغْلاقَ الخِتامِ[1]

فقال : قد وجب عليك الحدُّ . فقال : يا أمير المؤمنين، قد درأ الله عني الحد : ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[2]. قوله :﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ لما استثنى المؤمنين من الشعراء المذمومين ، وهم الذين لا يقولون شعرا يكسبون فيه إثماً ، وينظمون الحكم والآداب وينافحون عن النبي ﷺ وهم أربعة : عبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، وكعب بن مالك .

﴿وَانتَصَرُوا ﴾ على من ظلمهم وهجاهم من الكفار.

ختم الله هذه السورة بتهديد بليغ وهو ما في السين من قوله :﴿ وَسَيَعْلَمُ ﴾ وعمَّ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وما منا إلا من عصا ربه وظلم ، فعلى العاقل أن يجعل هذه الآية نصب عينيه ، والله سبحانه وتعالى أعلم . ( ١٦٠/ ب )

* * *

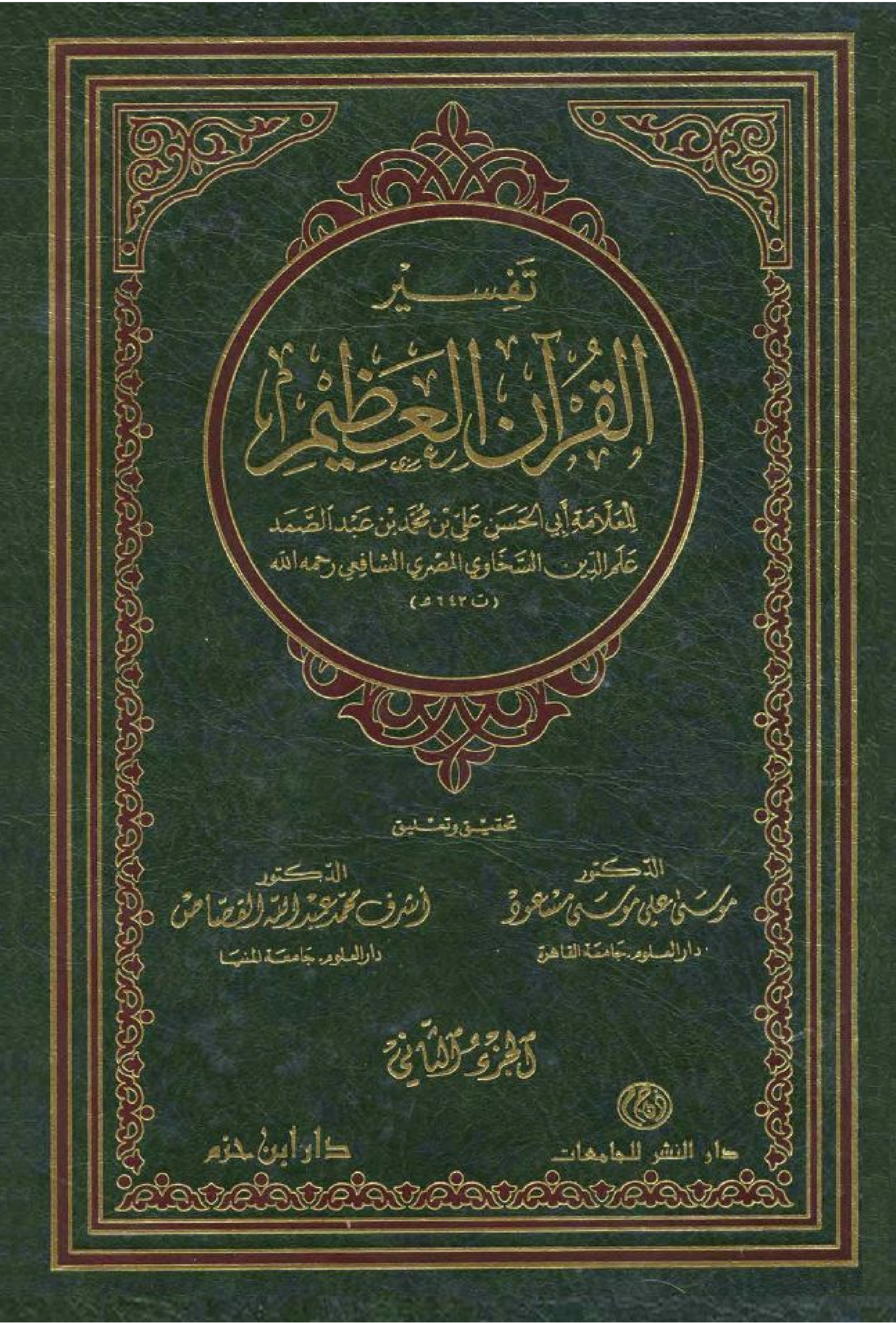
---

(١) البيت للفرزدق ، ينظر في : الأغاني للأصفهاني ( ١٠ / ٣٧٥ ) ، تاج العروس للزبيدي ( غلق ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٣٧ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١٩ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٤) ، لسان العرب ( غلق ).

(٢) ذكر القصة الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣٤٤ ).

# فهرس الجزء الأول

الموضوع الصفحة


تفسير
القرآن العظيم
للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
(ت ٦٤٣ هـ)
تحقيق وتعليق
الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم. جامعة القاهرة
الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم. جامعة المنيا
الجزء الثاني
دار النشر للجامعات
دار ابن حزم


تفسير
القرآن العظيم
٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# تفسير
# القرآن العظيم

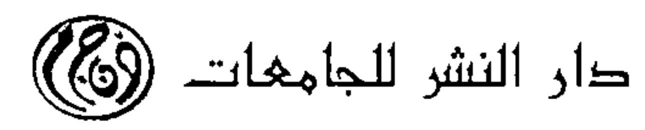
للعلامة أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد
علم الدين السخاوي المصري الشافعي رحمه الله
( ت ٦٤٣ هـ )

تحقيق وتعليق

الدكتور
موسى علي موسى مسعود
دار العلوم - جامعة القاهرة

الدكتور
أشرف محمد عبد الله القصاص
دار العلوم - جامعة المنيا

## الجزء الثاني



**بطاقة فهرسة**

**فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية**
**إدارة الشئون الفنية**

السخاوي، علي بن محمد بن عبد الصمد، ١١٦٣ - ١٢٤٥م
تفسير القرآن العظيم / لأبي الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي؛ تحقيق وتعليق موسى علي موسى مسعود، أشرف محمد عبد الله القصاص. - ط١ - القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٨.
تدمك X ٢٨٠ ٣١٦ ٩٧٧
١ - القرآن - تفسير
أ- مسعود، موسى علي موسى (محقق ومعلق).
ب- القصاص، أشرف محمد عبد الله (محقق ومعلق).
جـ- العنوان ٢٢٧

تاريخ الإصدار: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م





رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٦٧٥٧م

الترقيم الدولي: ISBN: ٩٧٧ - ٣١٦ - ٢٨٠ - X

الكود: ٢/٢٠٠







دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
ت: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - ٢٦٣٢١٧٥٣ ف: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net

## سورة النمل [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾

﴿تِلْكَ﴾ إشارة إلى آيات السورة . والكتاب المبين : اللوح . وإبانته : أنه مبين فيه كل شيء . أو السورة ، أو القرآن ، وإبانتهما : أنهما بينا ما اشتملا عليه من الأحكام والحكم وإضافة الآيات إلى القرآن تعظيم ؛ فإن الإضافة إلى العظيم تعظمه ، ونُكّر الكتاب المبين ؛ ليكون أفخم له ؛ كقوله : ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1] وإذا أريد به القرآن فهو من عطف الصفات بعضها على بعض ؛ كقولك : هذا فعل السخي والجواد والكريم ، والتقدير : آيات القرآن ، وآي كتاب مبين ، والمعطوف بالواو تارة يكون تقديم أحد الأمرين على الآخر لمزية ظاهرة ؛ كقوله : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾[2] وتارة لا مزية فيه ؛ كقوله : ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾[3] ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[4].

﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ إما نصب على الحال ، أي : هاديًا ومبشرًا . وإما رفع على إضمار هو أو على البدل من " الآيات " أو على أن يكون خبرا بعد خبر .

وقوله : ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يجوز أن يكون من تمام الصلة عنده ، ويكون جملة اعتراضية ؛ كأنه قيل : وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة ، وتكرير " هم " يقوي هذا المعنى .

نسب الله التزيين إليه بقوله : ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وإلى الشيطان بقوله : ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ

---

(١) سورة القمر، الآية ( ٥٥ ).

(٢) سورة آل عمران ، الآية ( ١٨ ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ١٦١ ).

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ٥٨ ).

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [(١)] إلا أن الإضافة إلى الله حقيقة وإلى الشيطان مجاز . ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ القتل والأسر يوم بدر . ﴿لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ لتؤتاه من عند أيِّ حكيم عليم ، وهو معنى تنكيرهما .

﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ﴾ اذكر إذ قال موسى لأهله . قيل : لم يكن معه سوى زوجته ، فأتبع ذلك بورود الخطاب بلفظ الجمع في قوله : ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ [(٢)].

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾

الشهاب : الشعلة . والقبس : النار المقبوسة . ومن قرأ ﴿بِشِهَابِ قَبَسٍ﴾ بالإضافة [(٣)] لأن الشهاب يكون قبسا وغير قبس ، ومن نون الشهاب جعل القبس بدلا أو صفة .

﴿سَـَٔاتِيكُم﴾ ( ١٦٢/ أ ) جزم فيه بحصول القبس . وفي طه قال ﴿لَّعَلِّيٓ﴾ [(٤)] فجعله مترجيًا لذلك ؛ لأن المهتم بالأمر إذا ظن حصوله يقول : سأفعل كذا ، وسأصنع كذا . وأتى بلفظة " أو " ؛ لأنه بنى الأمر على حصول أحد الأمرين ؛ النار وهداية الطريق . ولقد وجدهما معا ، وحصل له عز الدنيا وعز الآخرة . " أن " في قوله : ﴿أَنۢ بُورِكَ﴾ مفسرة ؛ لأن النداء فيه معنى القول . ولا يجوز أن تكون مخففة من الثقيلة ؛ لأنه لابد فيه من " قد " ولا يجوز إضمارها ؛ لأن فيها فائدة تذهب بحذفها ، ومن البركة في تلك البقعة

﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ إرسال موسى نبيًا ، وكلام الله تعالى له ، وظهور المعجزة . ورب خير يظهر في بعض البقاع فينشر الله بركته في أقاصيها وأدانيها . وقيل : المراد بالمبارك : موسى والملائكة الحاضرون ، وإنما نودي بذلك بشارة لموسى بأنه يقع أمر عظيم وبركة شاملة ،

---

(١) سورة النمل ، الآية ( ٢٤ ).

(٢) سورة القصص ، الآية (٢٩).

(٣) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر " بشهابِ قبس " وقرأ الباقون " بشهابٍ قبس " .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٥٥ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٥٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٦٩ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٢٣ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٧٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٧ ).

(٤) سورة طه ، الآية ( ١٠ ).

وكذلك قوله : ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وفيه تعجيب لموسى – عليه السلام – من عظم البركة التي تنتشر من هذه البقعة . الهاء في " إنه " ضمير الشأن . ﴿أَنَا ٱللَّهُ﴾ وتفسير للشأن ، ويكون المراد : إن مناديك ومخاطبك أنا الله العزيز الحكيم . وعطف قوله : ﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَ﴾ على ﴿بُورِكَ ﴾ لأنه نودي بهما جميعا . قوله عز وجل :﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ﴾ استثناء من غير الجنس ، أي : ولكن من ظلم نفسه منهم في وقوع شيء مما يجوز على الأنبياء ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ ﴿بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾ أي: توبة ﴿بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ بعد معصية .

﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ أي : اذهب في تسع آيات ، ويجوز أن يكون المعنى : وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات ، أي : في جملة تسع آيات وعدادهن ، وهي العصا واليد البيضاء والقمل والضفادع والدم والجراد والجدب في البوادي والطوفان والطمسة وانفلاق البحر والنقصان في مزارعهم فتكون إحدى عشرة ؛ إلا أن الجدب قد ينازع في كونه آية.

﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾

المبصرة : الظاهرة البينة ، وجعل إبصار أهلها بها كأنه إبصارها ، ويجوز أن يراد أنها سبب في استبصار كل من رآها أو ( ١٦٢/ ب ) في استبصار فرعون وجنوده ، ولأن كلمة الحق تهدي ، وكلمة الباطل تضل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ (١)

الواو في " واستيقنتها " واو الحال ، و" قد " بعدها مضمرة . والعلو : الكبر والترفع عما جاء به موسى ، كقوله :﴿وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ﴾ (٢) وفائدة ذكر الأنفس ، والعدول عن قوله : ﴿وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ ﴾ للدلالة على أنهم قد رسخ ذلك في قلوبهم واستقر في بواطنهم .

( علما ) أي : نوعا من العلوم . وقيل : أراد تعظيمه ، أي : علما سنيا .

قوله : ﴿عَلَىٰ كَثِيرٖ ﴾ يريد من لم يؤت علما ، أو لم يؤت مثل علمها . وفيه دليل على

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ١٠٢ ).

(٢) سورة المؤمنون ، الآية ( ٤٦ ).

شرف العلم ، وتقدم حملته وأهله ، ويجب عليهم شكر الله تعالى على ما وهبهم من العلم ، ويجب على من وهب العلم أن يعتقدوا أنهم وإن فضلوا على كثير فقد فضل عليهم غيرهم وقد قال عمر : " كل الناس أفقه من عمر "(١) هضما لنفسه .

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ﴾ : من أبيه، ورث منه النبوةَ والملكَ دون سائر بنيه. وكانوا تسعة عشر، وكان داود أكثر تعبُّداً ، وسليمان أقضى وأشكر لنعمة الله .﴿ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ تشهيراً لنعمة الله وإظهاراً لها ؛﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٢) وطلب من الناس تصديقهم بهذه المعجزة بعد النظر فيها . و﴿مَنطِقَ﴾ كل ما يُصَوَّت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد ، وقد ترجم يعقوب (٣) كتابه بـ " إصلاح المنطق " وما أصلح فيه إلا مفردات الكلم(٤) . والذي

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النساء ، الآية ( ٢٠ ).

(٢) سورة الضحى ، الآية ( ١١ ).

(٣) هو شيخ العربية أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي النحوي المؤدب مؤلف كتاب إصلاح المنطق، ديِّن خيِّر، حجة في العربية ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني وطائفة ، روى عنه أبو عكرمة الضبي وأحمد بن فرح المفسر وجماعة ، وكان أبوه مؤدبًا فتعلم يعقوب وبرع في النحو واللغة وأدَّب أولاد الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر ثم ارتفع محله وأدب ولد المتوكل ، وله من التصانيف نحوًا من عشرين كتابا . ولابن السكيت شعر جيد . ويروى أن المتوكل نظر إلى ابنيه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت: من أحب إليك هما أو الحسن والحسين؟ فقال: بل قنبر . فأمر الأتراك فداسوا بطنه فمات بعد يوم وقيل: حمل ميتًا في بساط .. قال ثعلب : أجمعوا أنه لم يكن أحد بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت، وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز فلما حضر قال له ابن السكيت: بم تحب أن تبدأ قال: بالانصراف. قال فأقوم. قال المعتز: فأنا أخف منك. وبادر، فعثر، فسقط ، وخجل فقال يعقوب :

يموت الفتى من عثرةٍ بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل
فعثرته بالقول تذهب رأسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل

قيل : كتاب إصلاح المنطق كتاب بلا خطبة وكتاب أدب الكاتب خطبة بلا كتاب . قلت – أي: الذهبي . إصلاح المنطق كتاب نفيس مشكور في اللغة . مات ابن السكيت سنة أربع وأربعين ومائتين .
تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ( ١٤ / ٢٧٣ ) ، سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/١٦– ١٩ ).

(٤) قال حاجي خليفة في كشف الظنون ( ١/ ١٠٨) : " إصلاح المنطق من الكتب المختصرة الممتعة في الأدب ولذلك تلاعب الأدباء بأنواع من التصرفات فيه ؛ فشرحه أبو العباس أحمد بن محمد المريسي المتوفَّى في حدود سنة ستين وأربعمائة ، وزاد ألفاظا في الغريب ، وأبو منصور محمد بن أحمد الهروي المتوفَّى سنة سبعين وثلاثمائة ، وشرح أبياته أبو محمد يوسف بن الحسن بن السيرافي النحوي المتوفَّى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ، ورتبه الشيخ أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفَّى سنة ست عشرة وستمائة على الحروف ، وهذبه أبو علي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير المتوفى سنة اثنتين =

علمه سليمان من منطق الطير ما يعرف به مقاصدها . ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يريد : تفنُّنه في العلوم ، وهو كقوله في بلقيس :﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ . ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ شكر لم يقصد به المباهاة ، وهو كقوله عليه السلام : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " (١).

قوله :﴿ عُلِّمْنَا﴾ و﴿وَأُوتِينَا﴾ بنون العظمة ، وليس حقيقا بالتعظيم ؛ لأنه أراد نفسه وأباه ولأن الملك يراد من صفاته أن يكون له هيئة حسنة ، وكلام جزل لتقوى بذلك حرمته وتنفذ كلمته ، وقد أمر رسول الله ﷺ بحبس أبي سفيان حتى تمرّ عليه الكتائب (٢).

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

روي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة ، خمسة وعشرون للإنس (١٦٣/أ) وخمسة

---

=وأربعين وأربعمائة ، والشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي المتوفّى سنة اثنتين وخمسمائة وسماه التهذيب ، وعلى تهذيب الخطيب رد لأبي محمد بن عبد الله أحمد المعروف بابن الخشاب النحوي المتوفى سنة سبع وستين وخمسمائة ، وعلى الأصل رد لأبي نعيم علي بن حمزة البصري النحوي المتوفّى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، ولخصه أيضا أبو المكارم علي بن محمد النحوي المتوفّى سنة إحدى وستين وخمسمائة ، وناصر الدين عبد السيد المطرزي المتوفّى سنة عشرة وستمائة ، وعون الدين يحيى بن محمد ابن هبيرة الوزير .

(١) رواه أحمد في المسند ( ٣ / ٢ ) ، والترمذي رقم ( ٣١٤٨ ) ، وابن ماجه رقم ( ٤٣٠٨ ) ، عن أبي سعيد الخدري . وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ( ١٥٧١ ).

(٢) روى البخاري في صحيحه في المغازي ، في غزوة الفتح رقم ( ٣٩٤٤ ) من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال : " لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح بلغ ذلك قريشا ، فخرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مرَّ الظهران ، فرآهم ناسٌ من حرس رسول الله ﷺ فأخذوهم فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس : احبس أبا سفيان عند حطم الخيل ؛ حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان فمرت كتيبة فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : غفار . فقال: ما لي ولغفار . ثم مرت جهينة ، فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هذيم ، فقال مثل ذلك ، ومرت سليم فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال : من هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، ثم جاءت كتيبة ، وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية النبي ﷺ مع الزبير ... " الحديث بطوله .

وعشرون للطير ، وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للجن ، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة ، وسبعمائة سرية ، ونسجت له الجن بساطاً من ذهب وإبريسم [١] فرسخاً في فرسخ ، وكان يوضع منبره في وسط البساط ، وهو من ذهب – فيجلس الناس حوله ، والجن حول الناس ، وتظلّه الطير بأجنحتها ؛ حتى لا تقع عليه الشمس ، وترفع ريح الصَّبا ذلك البساط ، فيقطعوا بالغداة مسيرة شهر ، وفي العشي مسيرة شهر ، وكان يأمر الريح العاصف برفعه ، ويأمر الريح اللينة وهي الرخاء فتسيره ، فأوحى الله إليه: أني زدت في ملكك لا يتكلم أحد بشيء إلا حملت الريح ذلك إلى سمعك . فحكي أنه مرَّ بحَرَّاثٍ فقال : لقد أوتي آل داود ملكاً عظيماً . فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى إلى الحراث ، وقال : إنما مشيت إليك لئلا تتمنَّى ما لا تقدر عليه ، ثم قال : لتسبيحة واحدة يقبلها الله خيرٌ مما أوتي آل داود .

﴿يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم حتى يلحقهم آخرهم ؛ لأن اجتماعهم أهيب وأوقع في النفوس .

﴿وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ بالشام وهو كثير النمل .

قرئ ﴿ٱلنَّمْلُ﴾ بضم الميم وهي لغةٌ ، وكذلك النَّمُلة[٢] ، وإنما عُدِّي ﴿أَتَوْا﴾ بـ ﴿عَلَىٰ﴾ لأن إتيانهم الوادي كان من فوق ، أو لأنه يراد قطع الوادي وبلوغ آخره ، يقال : أتى على الشيء . إذا أكمله ، وكان سليمان قد أراد أن ينزل عند منقطع الوادي ، وإلاَّ فما داموا فوق البساط لا يتأذى به النمل ولا غيره من الحيوانات .

ويحكى أن قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال : سلوا عمَّا شئتم . وكان أبو حنيفة غلاماً فقال : سلوه عن نملة سليمان ؛ أكانت ذكراً أم أنثى ؟ فأفحم قتادة ؛ فقال أبو

---

(١) **الإبريسم** : الحرير ، وهو معرب ، وفيه ثلاث لغات ، قال ابن السكيت : هو الإبريسم بكسر الهمزة والراء وفتح السين وقال : ليس في كلام العرب إفعيلل مثل إهليلج و إبريسم ، وهو ينصرف ، وكذلك إن سميت به على جهة التلقيب انصرف في المعرفة والنكرة ؛ لأن العرب أعربته في نكرته ، وأدخلت عليه الألف واللام وأجرته مجرى ما أصل بنائه لهم . **ينظر** : لسان العرب ( برسم ) .

(٢) قرأ الحسن وطلحة ومعتمر بن سليمان " النَمُل " و " ونَمُلة " بضم الميم وفتح النون ، وقرأ سليمان التيمي بضمتين فيهما وهي لغات في الواحد والجمع . وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٦١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٠٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٥٥ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٨ ) .

حنيفة كانت أنثى ؛ لقوله تعالى : ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ولم يقل : قال نملة ، ولأن النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى ، فيميَّز بينهما بعلامةٍ تقول : حمامة ذكر وحمامة أنثى [١] ولمَّا وصف النملة بالقول أجراها مجراهم في قوله :﴿مَسَٰكِنَكُمْ﴾ و ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ وهو كقوله ( ١٦٣/ ب ) ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [٢] يريد الشمس والقمر .

وقوله : ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يجوز أن يكون جواباً للأمر ، وأن يكون نهياً .

﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ﴾ والمراد جنوده ، أو المجموع ؛ كقولك [ من الرجز ] :

عجبت من نفسي ومن إشفاقها[٣]

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ أخذ في الضحك ؛ لأنه تجاوز حدَّ التبسم منتهيا إلى الضحك وهذا هو الضحك النبوي ، وأما ما روي " أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه " [٤] فهو مبالغة في ضحك النبوة ، وإنما ضحك سليمان من قولها كاشفةً لعذر سليمان بقولها : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني : أنهم لو شعروا لم يفعلوا ، وسروراً بما وهبه الله تعالى من إطلاعه على كلام بصوتٍ خفيٍّ من نملة حتى وعاه سليمان وعرفه .

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

ولا جرم دعا ربَّه فقال :﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ ﴾ ومعنى ﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ اجعلني أزع شكر نعمتك

---

(١) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٣٥٦ ) ، والسمين الحلبي في الدر المصون ( ٥ / ٣٠٢ ).

(٢) سورة يوسف ، الآية ( ٤ ).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور ، الآية ( ٤٨ ).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٤٨١٨ ، ٧٤١٤ ، ٧٤١٥ ، ٧٥١٣ ) ، ومسلم رقم ( ٣٠٨ ، ٣٠٩ ) ، والترمذي رقم ( ٣٢٣٨ ) ، وأحمد في المسند ( ١ / ٤٢٩ ، ٤٥٧ ) ، عن ابن مسعود رضي الله عنه .

وأكفه وأجعله مرتبطا ؛ حتى لا أزال شاكراً لك ، وأدرج ذكر والديه ؛ لأن النعمة على الولد نعمة على الوالد ؛ خصوصاً النعم الدينية . وروي أن النملة أحسَّت بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء ؛ فأمر سليمان عليه السلام الريح فوقفت ؛ لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن . قوله :﴿ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾أي : واجعلني من أهل الجنة

( أم ) هي المنقطعة . نظر سليمان إلى مكان الهدهد فلم يره فقال :﴿مَالِيَ لَا أَرَى ﴾ على تقدير أن الهدهد حاضر وسليمان لا يراه بل كان غائبا . وروي أن سليمان نزل بصنعاء فرأى أرضاً مخصبة فنزل بعسكره يستريح فطار الهدهد حين نزل سليمان فلقي هدهداً آخر فتواصفا ملك صاحبيهما وفي ذلك الوقت تفقَّد سليمان الهدهد فلم يره . وقيل : نزلت الشمس على سليمان فرأى موضع الهدهد خاليا ؛ فقال :﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي : ليكونن أحد هذه الأمور الثلاثة ، فطلب العُقَابَ ، وقال : ائتني بالهدهد ، فتوجه لطلبه ، فلما أدركه قصد إليه فقال له الهدهد : أسألك بالذي أقدرك عليَّ وأضعفني إلاَّ تركتني . فقال له العقابُ : إن سليمان قال كذا وكذا ، فرجع مع العقاب إلى سليمان ، فلمَّا رأى الهدهد سليمان أرخى جناحيه ذُلاًّ بين يدي سليمان (١٦٤/أ ) فقال له : أين كنت عن موقفك ؟ فقال :﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ من خبر بلقيس ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾الآيات .

والمرأة بلقيس بنت شراحيل ، وكان عرشها قوائمه من ذهب ، وكان مكللاً بالجواهر المختلفة . فإن قلتَ : كيف وصف الهدهد عرش بلقيس بالعظم ، وقد رأى ملك سليمان وعظمته ؟ قلتُ : استصغر بلقيس عن أن تملك مثله ؛ فعَظُمَ بالنسبة إليها ، ويجوز ألا يكون لسليمان مثله ، وإن عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء لا يكون مثله للملك . وقوله: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي : من كل شيء يحتاج إليه الملك ؛ لأنه عطف على الملك خاصةً ، وقول سليمان : ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: من النبوة والحكمة والمعجزة ؛ لأنه عطف على قوله : ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ إلى آخر الآية . وألهم الله الهدهد وعلمه أن بلقيس وقومها لا يهتدون ، وأن الشيطان زين لهم ذلك كما ألهم جميع الحيوانات مصالحها .

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧)

ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ أي : لأن ، ويجوز أن تكون " لا " زائدةً ، وسمي المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وجميع ما خبأه الله عز وجل من غيوبه ، وقوله : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟﴾ من كلام الهدهد . وقيل : من كلام الله تعالى . وقرأ الكسائي " ألاَ " مخفَّفاً [1] " يا اسجدوا " أي : يا قوم اسجدوا ، وسجدة التلاوة مطلق به في القراءتين جميعاً ؛ لأن الطلب إمَّا بأمر أو بثناء على فاعله أو ذمٍ لتاركه ، وإحدى القراءتين أمر ، والثانية ذمٌّ لمن تركه ، وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع إليه [2] . ووصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إلى مملكتها ووصف عرش الله تعالى بالعظم بالنسبة إلى جميع المخلوقات . قوله : أَصَدَقْتَ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أبلغ من أن يقول : أم كذبت ؛ لأنه أراد الانخراط في سلك الكاذبين . ﴿تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ تنحَّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ؛ ليكون ما يقولون بمسمع منك ، وهذه معجزة عظيمة ، حيث صار الهدهد يفهم كلام بني آدم ويؤديه إلى سليمان .﴿ فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ بالجمع ، وإنما ألقاه على بلقيس ؛ لأنه قال : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا﴾ أي : ألقه إلى القوم الذين هذا شأنهم .﴿كَرِيمٌ﴾ مضمونه حسن . وقيل : مختوم . وفي الحديث : " كرم الكتاب ختمه " [3].

---

(١) قرأ بها الكسائي وأبو جعفر ورويس ، وقرأ باقي العشرة " ألا يسجدوا " بتشديد اللام . قال الكسائي : ما كنت أسمع الأشياخ يقرؤونها إلا بالتخفيف على نية الأمر . وعلى هذه القراءة تكون " ألا " حرف تنبيه واستفتاح ، وما بعدها حرف نداء ، و " اسجدوا " فعل أمر ، وكان حق الخط على هذه القراءة أن يكون هكذا ( ألا يا اسجدوا ) ولكن الصحابة – رضي الله عنهم – أسقطوا الألف من " يا " وهمزة الوصل من " اسجدوا " ووصلوا الياء بسين " اسجدوا " فصارت صورة الخط : " ألا يسجدوا " .

**و تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٦٨ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٧٠ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٢٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٤٥) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٧ ).

(٢) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ١١٥ ) وعبارته : ومن قرأ بالتخفيف فهو موضع سجدة من القرآن ، ومن قرأ بالتشديد فليس بموضع سجدة . وفي الأصل " غير مرجوح " والمثبت كما في الكشاف وهو الأنسب .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ( ٣٨٧٢ ) عن ابن عباس ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٠٢) ونسبه للطبراني وقال : وفيه محمد بن مروان السدي وهو متروك . وذكره العجلوني في=

أو لأنه من ملك كريم . وقرأ ابن عباس " ألاَّ تغلو عليَّ " بالغين المعجمة[١] وكانت كتب الأنبياء جملاً وجيزة ، وكتاب رسول الله ( ١٦٤/ب ) ﷺ مختصرٌ أيضاً . قيل : ألقاه عليها وهي مستلقية على ظهرها ، وقد غلقت الأبواب عليها . وقيل : ألقاه إليها بمحضر من جنود مملكتها فرفرف عليها بأجنحته حتى رفع الناس رؤوسهم فرأوه فألقاه حينئذ إليهم .

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ منقادين أو مؤمنين .

الفتوى : الجواب في الحادثة ، واستعطفت جندها بقولها :﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا﴾. ﴿ أُوْلُواْ قُوَّةٖ﴾ في أجسادنا ، وقوة بآلات الحرب . والبأس : النجدة والبلاء في الحرب . ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ من كلام الله تعالى ؛ تصديقاً لها ، أو من كلام بلقيس ؛ لأنها نشأت في الملك القديم ؛ فسمعت ورأت .

﴿مُرۡسِلَةٌ﴾ رسلاً﴿بِهَدِيَّةٖ﴾ فأرسلت خيلاً وجواري وغلماناً ولبناً من الذهب والفضة وغير ذلك[٢] ؛ فأمر سليمان فأحضر إليه طوائف الجن وأولادهم ، وجلس سليمان على سريره وجنوده على يمينه ، وطوائف الجن صفوفاً كثيرة على يساره والطير يظله ، وقال

---

= كشف الخفا ( ٢ / ١٦٠ ) رقم ( ١٩٢٣ ) ونسبه للقضاعي وقال : بسند فيه متروك .

(١) قرأ بها ابن عباس – رضي الله عنهما – وأشهب العقيلي وابن السميقع ، وهي من الغلو وهو مجاوزة الحد

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧٢ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ١٩٣ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٣٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٤٦ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٣٩ ) ، مفاتيح الغيب للرازي ( ٢٤ / ١٩٦ )

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٥٧ ) لابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

للرسول : ارجع إليهم ، فعاد الرسول إليها وأخبرها ، فقالت : هو نبيٌّ وما لنا به طاقة ، فشخصت إليه ومعها اثنا عشر ألفاً . الهدية : اسم المُهدَى ؛ كالعطية اسم المُعْطَى فيضاف إلى المُهدي والمُهدَى إليه في قولك : هذه هدية فلان .

قوله : ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ أي : من الملك والجاه والدين وطاعة الجن والإنس وتسخير الطير والوحش شيء لا يحتاج إلى الزيادة عليه . ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ بما يهدي إليكم فرح افتخار . ويجوز أن يكون المراد : بل أنتم بهديتكم هذه التي أتيتم بها تفرحون بردها إليكم . ﴿ٱرْجِعْ﴾ خطاب للرسول ، وقيل : للهدهد مُحَمَّلاً كتابا آخر . ويروى أنها أمرت عند تجهزها للقدوم على سليمان فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات ووكلت به حرسا يحفظونه . قيل : إن سليمان بلغه استيثاقها بحفظ العرش فأراد أن يبين لها ما وهبه الله من التمكين والقدرة . وقيل : أراد أن يجعل ذلك عنوانا لقهره وقوة سلطنته .

﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله : ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ الآية ؛ قال قتادة : يجوز عرشها قبل أن تسلم لأنها إذا أسلمت حرم عليه أخذ شيء من مالها قهراً [1] . ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ العفر والعفرية والعفارية (١٦٥/أ) القوي من الرجال ، الذي يعفر أقرانه ، ومن الشياطين الخبيث المارد ، وقالوا : كان اسمه ذكران .

﴿لَقَوِىٌّ﴾ على حمله ﴿أَمِينٌ﴾ على ما حواه من الجواهر . ٱلَّذِى ﴿عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ . ملك أيد الله به سليمان . وقيل : آصف بن برخيا كاتب سليمان . وقيل : هو سليمان ؛ كأنه استبطأ العفريت ؛ فقال : أنا أحضره في أقل مما ذكرت . وقيل : هو رجل كان يعرف اسم الله الأعظم ، وهو : يا حيُّ يا قيوم . وقيل : يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحداً لا إله إلا

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٥٩ ) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة .

أنت . و" آتيك " في الموضعين يجوز أن يكون فعلاً واسم فاعل .

**الطرف** : تحريك الأجفان عند النظر . جعل مكان المنظور إليه ، والمعنى: أنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش . فبرز العرش عند سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه ، ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصار مدة المجيء به ؛ كما تقول لصاحبك : افعل ذلك في لحظة . ﴿يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي : تعود منافع الشكر له .

وقيل : الشكر صيد النعمة المفقودة . وقيل : النعمة الموجودة .

﴿غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ، كريم : بالإنعام على من يشكر ؛ تلقى سليمان النعمة بالشكر؛ كعادة الأنبياء قبله . ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي : اجعلوه متنكراً متغيّراً فلا تعرفه ، قالوا : وسَّعوه وجعلوا مقدمه مؤخره ، وأعلاه أسفله .

قرئ ﴿ نَنظُرْ ﴾ بالجزم على الجواب ، وبالرفع على الاستئناف [1] ﴿ أَتَهْتَدِىٓ ﴾ لمعرفته ، أو للجواب الصواب ، أو للإيمان لسليمان إذا رأت تلك المعجزة .

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿أَهَٰكَذَا﴾ ثلاث كلمات : ها للتنبيه ، والكاف للتشبيه ، وذا اسم إشارة ، ولم يقل : أهذا عرشك ؟ لئلا يكون تلقينا ؛ فلم تقطع في أمر العرش بشيء ؛ كأنها قالت : قويّ الشبه ، وترددت في الجواب . ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ من كلام سليمان وملئه ، قالوا لها حين أجابت بهذا الجواب : أصابت ، وعلمت اللفظ المخلص فأتت به ، وقال الحاضرون - سليمان وجنوده- : أوتينا العلم بالله تعالى وقدرته ، وتواتر آياته ، ولم نزل على دين الإسلام ، شكراً لله على تفضيلهم عليها .﴿ وَصَدَّهَا﴾ هي عن دين الإسلام أنها من أولاد الكفار ، نشأت على ذلك . ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ من كلام بلقيس (١٦٥/ ب ) موصولاً بقولها :﴿ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ ، والمعنى : وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوّة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة ، يعني : ما تبيَّنت من الآيات عند وفده المنذر ، ودخلنا في

---

(١) قرأ الجمهور من القراء " ننظرْ " وقرأ أبو حيوة " ننظرُ " . **و تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٤١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٤٩ ) ، مفاتيح الغيب للرازي ( ٢٤ / ١٩٩ ).

الإسلام ، وصدها ضلالها عن اتباع سليمان . وقيل : صدَّها عمَّا كانت تعبد فحذف حرف الجر ، وقرئ﴿ إِنَّهَا ﴾ بفتح الهمزة [(١)] أي : لأنها .

الصرح : القصر . وقيل : صحن الدار . وأمر سليمان قبل قدومها أن يُتَّخَذَ قصرٌ شديد الصفاء من زجاجٍ أملسٍ وأجرى من تحته الماء ، وألقى فيه من دوابّ البحر --السمك- ووضع سريره في صدره . وقيل : إن الجن خافوا أن يتزوجها سليمان فتأتي بولدٍ يملكهم بعد سليمان ، فقالوا [له][(٢)] : إن في عقلها شيئًا، وهي شعر الساقين ، ورجلها كحافر حمار فاختبر عقلها بالعرش فقالت : كأنه هو ، واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجلها ؛ فكشفت عنهما ؛ فإذا هي أحسن الناس فاتخذوا النورة [(٣)] . وتزوجها سليمان ، وأقرها على ملكها ، وأمر الجن فبنوا لها سيلحون[(٤)] وعمدان ، وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ، وولدت له ، وقيل : بل زوجها ذا تبع ملك همذان وسلطه على اليمن ، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه ؛ فبنى له المصانع ، ولم يزل أميراً حتى مات سليمان .

﴿ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ تريد : بكفرها فيما تقدم ، وقيل : حسبت أن سليمان يغرقها في اللُّجَّة ، فقالت : ظلمت نفسي بسوء ظني لسليمان .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا

---

(١) قرأ بها سعيد بن جبير وابن أبي عبلة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٧٩ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٢٠٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٤١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٠ ).

(٢) في الأصل: «لها» والمثبت هو الصحيح.

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ١٩ / ١٦٩ ) والنورة : من الحجر الذي يحرق ، ويسوى منه الجير ، ويحلق به شعر العانة . وفي الوسيط : هي أخلاط من أملاح الكلسيوم والباريوم تستعمل لإزالة الشعر .
**ينظر** : لسان العرب ( نور ) ، المعجم الوسيط ( نور ).

(٤) **سيلحون** - بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح لامه ثم حاء مهملة وواو ساكنة ونون - وقد يعرب إعراب جمع السلامة فيقال : هذه سيلحون ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين ، ومنهم من يجعله اسمًا واحدًا يعربه إعراب ما لا ينصرف فيقول : هذه سيلحين ورأيت سيلحين ومررت بسيلحين . وهي موضع باليمن قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية . **ينظر** : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٣ / ٢٩٨ ).

شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كل فريق : الحق معي . ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ العقوبة ، و﴿ٱلْحَسَنَةِ﴾ التوبة . وإنما قال :﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ وإنما يكون ذلك إذا كانا متوقعين . وتنازعوا في القَبْلِيَّة لأنهم كانوا يعتقدون بجهلهم أن التوبة تنفعهم عند نزول العذاب فبقوا على ضلالتهم ، وخوطبوا بنحو ذلك .

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ﴾ هلاَّ ، كانت العرب إذا أرادوا سفراً أو الدخول في أمرٍ نفَّرُوا طائراً من وكره ، فإن مرَّ على جهة اليمين تيمَّن به ، وإن مرَّ على جهة الشمال تشاءم به ، وفي الحديث : " أقروا الطير في وكناتها ؛ فإنها لا تجلب ضرراً ولا نفعاً " [١] فقيل فيه : تطيَّر فلان ، وتيمَّن ، ومنه قوله :﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [٢] أي : هو (١٦٦/ أ ) الفعل لما ينفعكم ويضركم .﴿ تُفْتَنُونَ﴾ أي : تعذبون أو تختبرون .

الرهط : من الثلاثة إلى العشرة . أو من السبعة إلى العشرة ، والنفر : من الثلاثة إلى التسعة . قوله : ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ أي : إن شأنهم الفساد المحض ؛ كما ترى [ بعض المفسدين ] [٣] لا يفعل فعلاً فيه شيء من صلاح . قوله :﴿ تَقَاسَمُوا۟﴾ يجوز أن يكون أمرا ، وأن يكون خبرا في محل الحال و" قد " مقدرة . وقرئ " ليبيتنه " بالياء وعلى هذا لا يكون إلا خبرا ، وقرئ " لتبيتنه " بالتاء و" لنبيتنه " [٤] بالنون .

---

(١) رواه أحمد في المسند ( ٦ / ٣٨١ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٨٣٥ ) ، وابن حبان رقم ( ٦١٢٦ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٤ / ٢٣٧ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٩ / ٣١١ ) وصححه ابن حبان والحاكم .
والوكنات : موضع عش الطائر ووكره . وقيل : مواقع الطير حيثما وقعت .
**ينظر** : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ( ٥ / ٢٢٢ ) .

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٤٧ )

(٣) زيادة من الكشاف ( ٣ / ٣٧٢ ) مناسبة للسياق وليست في الأصل .

(٤) قرأ " ليبيتنه " - بالياء - مجاهد وابن وثاب والأعمش ، وقرأ " لتبيتنه " - بالتاء - حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ بقية العشرة " لنبيتنه " . و تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٨٤ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٧٢ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٣٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣١٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٣٨ )

وعلى هذين الوجهين يجوز أن يكون أمرًا وخبرًا . والبيات : الهجوم على العدو ليلا . وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات ، فقال : ليس من دين الملوك استراق الظفر .

قرئ ﴿مَهْلِكَ﴾ بضم الميم من " أهلك " و ﴿مَهْلِكَ﴾ من هلك [١] .

﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

﴿مَكْرِهِمْ﴾ تدبيرهم كيف يقتلون صالحا ومن معه . ومكر الله : إهلاكهم من حيث لا يشعرون . ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾ من قرأ بكسر الهمزة فهو استئناف ، ومن فتحها [٢] جاز أن يكون خبرا لـ " كان " . أي : كان عاقبتهم التدمير . وقيل : اللام مقدرة ، أي : لأنا دمرناهم ، أو بدلا من العاقبة . روي أن قومًا من أبناء أشراف قوم صالح قالوا: إن صالحًا يزعم أنه يفرغ من هلاكنا في ثلاثة أيام ، فنحن نسبق إلى قتله وقتل جماعته قبل الأيام الثلاثة ، فأخذوا أسلحتهم ودخلوا إلى مغارة في طريق صالح إلى مسجده ينتظرون صالحًا ليقتلوه إذا مر بهم ، فأرسل الله صخرة عظيمة سدت باب الغار ، فهلكوا فيه ولم يعلم لهم أحد خبرًا . قرئ

---

(١) قرأ جمهور القراء " مُهْلَكَ " وقرا عاصم في رواية حفص عنه " مَهْلِكَ " وفي رواية شعبة عنه "مَهْلَكَ" .

وتنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٨٤ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٧٢ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٣١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١١ ) .

(٢) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر " إنا دمرناهم " بالكسر ، وقرأ بقية العشرة " أنا دمرناهم " بالفتح . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٨٦ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٧٢ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٣٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٢٠ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٨٣ )

﴿جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ بالرفع ، والنصب أحسن[(١)].

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن القاذورات كلها فينكرون هذا العمل لكونه من القاذورات ويغيظنا إنكارهم . وعن ابن عباس : هو استهزاء[(٢)]. ﴿قَدَّرْنَٰهَا﴾ قدرنا كونها من الغابرين ، والتقدير واقع على الغبور في المعنى .

﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

أمر الله رسوله ﷺ أن يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته وحكمته وإنعامه ، وأن يستفتح بحمده ، والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده ، وفيه تعليم حسنٌ وتنبيه على أدب جميل وبعث على التبرك بذلك ، ولقد توارث الخطباء والعلماء والوعاظ كابرًا عن كابر فبدأوا بحمد الله وثنّوا بالصلاة على نبيه وعلى أوليائه وعلى الأنبياء أمام كل علم مفاد ، وقبل كل عظة وتذكرة . (١٦٦/ب ) وتبعهم المترسلون في كتابة مهماتهم . وقيل : هو متصل بما قبله ، وأمر بالتحميد على إهلاك الظالمين ؛ كقوله تعالى : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [(٣)] وقيل : الخطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك قومه ، ويسلم على كل مصطفى من عباده .

معلوم أنه لا خير فيما أشركوه به حتى يوازن بينه وبين خالق الموجودات كلها ، وإنما ذلك للتبكيت والاستهزاء بهم ؛ لأنهم آثروا عبادة أصنامهم على عبادة الله ، وإنما يكون الإيثار لمقتض اقتضاه ، وسبب ساق إليه ؛ كما قال فرعون : ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ

(١) قرأ جمهور القراء " جوابَ " بالنصب ، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش والحسن " جوابُ " بالضم .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٨٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٢١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٤٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٣ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٧ / ٢٢٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٤١ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١ ) ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٤٩٦ ) للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن مجاهد وليس عن ابن عباس .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ( ٤٥ ) .

﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾[١]. مع علمه أنه ليس لموسى أنهار تجري من تحته ، ثم عدّد سبحانه الخيرات والمنافع التي خلقها لعباده ، ثم قال : ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم:٤٠] وروي أن النبي ﷺ كان يقول إذا قرأها: "بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم"[٢] .

فإن قلتَ : ما الفرق بين " أم " و " أم " في قوله :﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ و﴿أَمَّنْ خَلَقَ﴾؟

قلتُ : الأولى متصلة ؛ لأن معناها : أيهما خير ؟ وهذه منقطعة بمعنى: بل. والهمزة لما قال : أما يشركون ، قال : بل أمن خلق السماوات والأرض خير. وقرئ "أمن" بالتخفيف[٣] ووجهه أن يجعل "من" بدلا من اسم الله ؛ كأنه قال : أمن خلق السماوات والأرض خير أمَّا يشركون . وإنما التفت عن الغيبة إلى الخطاب في قوله :﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾ لأن إنبات الحدائق المختلفة الألوان والطعوم والروائح مع كونها تسقى بماء واحد أدل على القدرة ، ولهذا خصَّ هذا النوع بقوله :﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ ومعنى ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ما ينبغي وما يتأتى ؛ كقوله : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾[٤] ومعنى﴿مَا كَانَ﴾ في هذين الموضعين الاستحالة عقلا ، وقد تأتي للمنع شرعًا ؛ ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[٥] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[٦]﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾[٧].

والحديقة : البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة ، وكذلك لا يسمى حائطًا إلا إذا حوط .﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ كقولك : النساء ذهبت . والبهجة : الحسن ؛ لأن الناظر يبتهج به . ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾أغير الله يصلح أن يتخذ معه شريكًا .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ( ٥٢ ) .

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ( ١٣ / ٢٢١ ) مرفوعا ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٧٠ ) لعبد ابن حميدعن قتادة .

(٣) قرأ بها الأعمش . تنظر القراءة في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٨٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٣٢١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٤٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٥ ) ، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ١١٠ ) ، مفاتيح الغيب للرازي ( ٢٤ / ٢٠٦ ) .

(٤) سورة مريم ، الآية ( ٣٥ ).

(٥) سورة آل عمران ، الآية ( ١٦١ ).

(٦) سورة التوبة ، الآية ( ١٧ ).

(٧) سورة يوسف ، الآية ( ٣٨ ).

وقرئ ﴿أَءِلَٰهٗ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[(١)]. بمعنى : أتدعون أو تشركون ، ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط بينهما مدَّة ، وتخرج الثانية بين بين . ( يعدلون ) (١٦٧/أ) به غيره ، أو يعدلون عن طريق الحق .

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣﴾

﴿أَمَّن جَعَلَ﴾ وما بعده بدل من ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ﴾ ﴿قَرَارٗا﴾. دحاها وسواها للاستقرار عليه . ﴿حَاجِزًا﴾ كقوله : ﴿بَرۡزَخٗا﴾[(٢)] الضرورة : الحالة المحوجة إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها ، والفاعل والمفعول منه مضطر ، والمضطر هاهنا : الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجوء والتضرع إلى الله . وقيل : المذنب إذا استغفر .

فإن قلتَ : كم من مضطر يدعو فلا يستجاب له ؟! قلتُ : الإجابة لها شرط ، وهو ألا يكون في المدعو به مفسدة ، فإذا فقد الشرط فقدت الإجابة ، ولذلك لم يجب كل مضطر، والمضطر : اسم جنس يقع على الواحد وعلى الكثير .

﴿خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها، والتصرف فيها قرنًا بعد قرن ، أو أراد بالخلافة الملك والتسلط .﴿ مَّا﴾ مزيدة في قوله :﴿ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي : تذكرون تذكرًا قليلا ، والمعنى: نفي التذكر . والقلة تستعمل في معنى النفي . ﴿يَهۡدِيكُمۡ﴾ بالنجوم في السماء ، والعلامات في الأرض . وقال :﴿ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وهم ينكرون الإعادة ؛ لأنهم مقرون بالنشأة الأولى أنها من عند الله ، والنشأة الثانية تلزمهم ، ولازم القول قولٌ فهم كالمقرين بها . ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر و﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنبات إن ﴿كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أن مع الله إلهًا فأين دليلكم عليه ؟

﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾

---

(١) تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٢٣ ) .
(٢) سورة الفرقان ، الآية ( ٥٣ ) .

قوله :﴿ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن الله ليس فيهما ، وكان حقه أن ينتصب ، وهذا على لغة بني تميم ؛ حيث يقولون : ما في الدار أحد إلا حمارٌ ، يريدون : ما في الدار إلا حمارٌ ؛ كأن أحدًا لم يكن ، ويقولون : ما أتاني زيدٌ إلا عمرو، وما أعانه إخوانُكم إلا إخوانُه ، وإنما عدل إلى اللغة التميمية دون الحجازية ليصير الكلام في تقدير: إن كان الله في السماوات والأرض فهم يعلمون الغيب ، لكنه ليس كذلك ؛ فلا يعلمون الغيب ؛ كقول الشاعر [ من الطويل ] :

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ[1]

يعني : إن كنت تعد فلول السيف من قراع الكتائب عيبا .

كذلك قوله [ من الرجز ] :

وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إِلا اليَعَافِيرِ وَإِلا العِيسُ[2]

أي : إن كنت تعد اليعافير والعيس أنيسا فتلك البلدة بها أنيس . فإن قلتَ : هلاَّ زعمت أن الله ممن في السماوات والأرض كما يقول المتكلمون : الله في كل مكان ، على معنى أن علمه في الأماكن كلها ؛ فكأن ذاته فيها حتى لا نحمله على لغة بني تميم ؟ قلتُ : يأبى ذلك أن كونه في السماوات والأرض مجاز ، وكونه فيهن حقيقة ، وإرادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز ممتنع ، على أن قولك : من في السماوات والأرض ، وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه إيهام تسوية ، والإيهامات مزالة عنه وعن صفاته ؛ ألا ترى كيف قال – عليه السلام – لمن قال : ومن يعصهما فقد غوى– : " بئس خطيب القوم أنت "[3]. وقيل : نزلت في الكفار حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت مجيء الساعة.﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى متى ، ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ، ولكان مصروفًا ؛ لأن النون أصلية . وقرئ " إيان " بكسر الهمزة[4].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة المائدة ، الآية ( ٥٩ ) .

(٢) البيت لجران العود ، **ينظر في** : التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري ( ١ / ٣٥٣ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ١٠ / ١٥ ) ، الدرر اللوامع للشنقيطي ( ٣ / ١٦٢ ) ، ديوان جران العود ( ص : ٩٧ ) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي ( ٢ / ١٤٠ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٢ / ١١٧ ).

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم ( ٨٧٠ ) ، وأبو داود في سننه رقم ( ١٠٩٩ ) ، وأحمد في مسنده ( ٤ / ٢٥٦ ، ٣٧٩ ) ، والحاكم في المستدرك ( ١ / ٢٨٩ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ١ / ٨٦ ) عن عدي بن حاتم .

(٤) قرأ بها السلمي . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٩٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي =

﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

ومعنى ﴿ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ﴾ تكامل ، وتدارك : تتابع واستحكم ومعناه : أن النظر قد أدّى إلى أن قيام الساعة من جملة الحكمة ، وأنه حق لا ريب فيه وهم في شك من ذلك . ﴿عَمُونَ﴾ عن إدراكه ، يريد : الكفار ونسبهم إلى السماوات والأرض ؛ لأن من كان في أحد شيئين فهو فيهما ؛ كما تقول : بنو فلان ، قالوا وفعلوا ، ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا﴾ [(١)] والقاتل عدد قليل ، ومعنى الكلام أنه نفي لعلمهم واستهزاء بهم ؛ كما تقول للجاهل : ما أعلمك ؛ تستهزئ به ، يعني أنهم قد علموا الدليل الدالَّ على وجوب قيام الساعة ، فما أجهلهم ؛ حيث أنكروا الطريق الدال عليها.

وفي ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ و﴿ٱدَّٰرَكَ﴾ معنى آخر وهو أن يكون بمعنى فني ؛ يقال : أدركت الثمرة إذا تناهت لأنها عند ذلك تعدم ، وقد قال الحسن : إن معناه اضمحل[(٢)] ، ويقال : تدارك بنو فلان ، إذا تتابعوا في الهلاك ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي : في شأنها ، ومعنى ﴿بَلِ﴾ وتكرارها : الانتقال من أمر إلى أمر ، لا إبطال الأول .

فإن قلتَ : قدّم في هذه الآية ﴿هَٰذَا﴾ على ﴿نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ وفي آية أخرى قدَّم ﴿نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا﴾ على ﴿هَٰذَا﴾ [(٣)] ؟ قلتُ : العرب تقدم ما هم ببيانه أعنى ؟

﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ الضّيقُ والضَّيْق بمعنى ، ويجوز أن يكون الضَّيْق بمعنى الضّيِّق ، وقد يكون الضَّيْقُ مخففًا من ضيّق .

﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ

---

= (٥/ ٣٢٤) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٤٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٥٦ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٤٢ ).

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٧٢ ).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٩ / ٢٩١٤ ) ، ونسبه له السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٣٧٥ ).

(٣) في قوله تعالى : ﴿ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ ﴾ سورة المؤمنون ، الآية ( ٨٣ ).

وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ ﴾

﴿رَدِفَ لَكُم﴾ ردف : يتعدى بنفسه ، ولا يجوز دخول اللام على المفعول المتأخر من فعل متعدٍ ، وزيدت اللام في ﴿لَكُم﴾ كزيادة الباء ؛ كما في قوله :﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [(١)] وقد يعدى بـ" من" ( ١٦٨/أ ) كقول الشاعر [ من الطويل ] :

فلما ردفنا من عميرٍ وصحبِهِ تولوا سِراعًا والمنيةُ تُعنِقُ[(٢)]

أو ضمن ﴿رَدِفَ﴾ معنى فعلٍ يتعدى باللام ؛ نحو: دنا. من عادة الملوك إذا اطلعوا على نصيحة عبد لهم قالوا : يكون الخير ، وطب نفسا فيطمئن إلى ذلك وينزله منزلة الوعد الصريح ، وكذلك جرت عادة ملك الملوك وهو الله عز وجل، يرد بـ " عسى " و" لعل " وليستا من التصريح في شيء . الفضل والفاضلة والإفضال معناه : وإن ربك لذو فضل على عباده بتأخير العقوبة . يقال : كننت الشيء وأكننته . ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ﴾ وكذلك خافية أي : ما من قضية ، والتاء فيهما للمبالغة ؛ كالعلامة والنسَّابة ؛ كالتاء في الذبيحة والنطيحة ، المعنى : ما من شيء شديد الغيبة والخفاء إلا وهو معلوم عند الله .

لما بُعثَ عيسى – عليه السلام – اختلفت الملل فيه ، فاتبعه قوم وكذبه آخرون ، وقذفه وأمَّه آخرون ، فأنزل القرآن بيان ما هو الحق في ذلك .﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن لهدى ورحمة لمن آمن منهم أو من غيرهم . قوله :﴿ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ﴾أي : بعدله ؛ لأنه لا يحكم إلا بالعدل ؛ فيسمى المحكوم به حكمًا مع أنه لا يجوز أن يقال : ضرب زيد بضربه ، ولا قتل بقتله ؛ لأن المعنى فيهما واحد ؛ بخلاف قوله : ﴿ يَقْضِى بِحُكْمِهِۦ﴾ .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ١٩٥ ).

(٢) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٩٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٢٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٨١ ) ، وردفنا : دنونا . وتعنق : تسرع .

﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾ الثابت ، وفيه بيان أن صاحب الحق عليه أن يتوكل على الله ؛ لأنه علل الأمر بالتوكل بـ ﴿إِنَّ﴾ الدالة على التعليل .

وقوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ علل ترك اتباعهم بأنهم مختوم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم فجعلهم موتى وصُمًّا ؛ لأن إنذاره ثَمَّ لا يحصل لهم به نفع ؛ لكن رسول الله ﷺ يؤدي به ما وجب عليه من البلاغ ، والأعمى إذا ولى عنك هاربًا كان بعيدًا من فهم ما تقوله ؛ فلذلك قال : ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . ﴿إِن تُسْمِعُ ﴾ أي : ما يجدي إلا من آمن بآيات الله وهو منقاد إلى ما يؤمر به . سمي مؤدى القول ومعناه قولاً في قوله : ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾ وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب . ﴿ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً ﴾ دابة الأرض هي : الجساسة لا يدركها طالبٌ (١٦٨/ ب ) ولا يفوتها هاربٌ ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾ أي : بخروجي لأنها من آيات الله ؛ فهذا من كلامها. وعن السُّدِّي : تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام . وقيل : معها خاتم سليمان وعصا موسى عليهما السلام ، تنكت المؤمن في وجهه فيستنير وجهه حتى يصير كالكوكب الدري ، وتنكت وجه الكافر فيسودُّ وجهه[1]. وقيل : إنها تخرج من الصفا . وقرئ ﴿تُكَلِمُهُمْ﴾ بالتخفيف[2] أي : تجرحهم ، وكذلك من قرأ ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ بالتشديد[3] يجوز أن تكون متابعة في ﴿تُكَلِمُهُمْ﴾ ؛ كما تقول : تجرَحهم وتجرِّحهم .

قوله: ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تبكيت بليغٌ ، جعل فيه صدر الكلام هو المقصود ، وهو قوله : ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا ﴾ وجعل بقية الكلام تشبيهًا بكلام المغضب الذي يقول لوكيله الخائن : أنت كنت تأكل مالي ، أم ماذا كنت تصنع ؟ ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا﴾ أي : القول ، وهو العذاب .

﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

---

(١) رواه الترمذي رقم ( ٣١٨٧ ) ، والطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٥ ) وقال الترمذي : حسن غريب .

(٢) وهي قراءة ابن عباس وابن جبير ومجاهد وأبي زرعة والجحدري . **تنظر في** : الإملاء للعكبري (٢/ ١٧٥) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٧/ ١٠٠ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٢٣٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٢٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٦٠) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٤٤ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٣٠٠ ) .

(٣) قرأ بها جمهور القراء . تنظر في المراجع السابقة .

﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله : ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي : يبصر به ؛ كقوله : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [(١)] وإنما قال : ﴿ فَفَزِعَ ﴾بلفظ الماضي ؛ لأن أحوال القيامة تأتي في كتاب الله بالماضي؛ إشارة إلى تحقيق ما قرن به . ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [(٢)]﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [(٣)] وغير ذلك . قوله :﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل : هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل [(٤)]. وقيل : هم الشهداء [(٥)]. وقيل : الحور وخزنة النار وحملة العرش [(٦)] . وعن جابر : منهم موسى ؛ لأنه جزي بصعقته في الطور [(٧)].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٩).

(٢) سورة الزمر ، الآية ( ٦٨).

(٣) سورة الأعراف ، الآيات ( ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٠ ).

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٤ / ٢٩ ) مرفوعا عن النبي ﷺ وعن السدي . وفيه : "ملك الموت" بدل " عزرائيل " . والثابت في الأحاديث ذكر ملك الموت بغير تسمية ، أما تسميته في بعض الكتب فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ( ٣ / ٤٥٨) في تفسير قوله تعالى في سورة السجدة : ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ : " الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر وقد سمي في بعض الآثار بعزرائيل وهو المشهور قاله قتادة وغير واحد " .

وقال الحافظ ابن حجر في كتاب " الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع " ( ١/ ١٠٨ ) : " تسمية ملك الموت عزرائيل اشتهر ذلك بين الناس وقد راجعت مبهمات القرآن لأبي القاسم السهيلي فلم أجد ذلك فيه ثم راجعت تفسير القرطبي فوجدته ذكر أن اسم ملك الموت عزرائيل ولم ينسبه لقائل ولا ذكر فيه أثرا ، ثم راجعت تفسير الثعلبي فوجدته حكى أن اسمه عزرائيل وعزاه لتفسير مقاتل وتفسير ابن الكلبي ، ثم تتبعت الآثار في ذلك فوجدت في كتاب العظمة لأبي الشيخ ، ثم نقل الحافظ عن أبي الشيخ بسنده حديث وفيه أن اسم ملك الموت عزرائيل ، ثم قال الحافظ ابن حجر : " ضعيف ورجال هذا السند يوثقون ولكن أشعث شيخ عنبسة هو ابن جابر الحراني وهو تابعي صغير والحديث معضل . وقال السيوطي في شرحه لسنن النسائي ( ٤/ ١١٨ ) : " لم يرد تسميته في حديث مرفوع وورد عن وهب بن منبه أن اسمه عزرائيل رواه أبو الشيخ في العظمة " .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٤ / ٣٠ ) مرفوعا ، وعن سعيد بن جبير .

(٦) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٧ / ٢٥١ ) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة رضي الله عنه .

(٧) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٧ / ٢٥١ ) لابن المنذر عن جابر رضي الله عنه .

الداخرون : الصاغرون . ﴿جَامِدَةً﴾ أي : واقفة في مكانها ، يقال : جمد في مكانه إذا لم يتحرك ، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ﴾ مرًّا حثيثًا ؛ كما تمرُّ السحاب وكذلك الأجرام العظام المتكاثرة العدد ؛ قال الشاعر [ من الطويل ] :

بِأَرْعَنَ مِثْلِ الطَّوْدِ تَحْسبُ أَنَّهُمْ وُقُوفٌ لحاجٍ وَالرِّكَابُ تهملِجُ[1]

﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ من المصادر الموحدة ، ومثله : ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[2] و﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾[3] و﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾[4]. وهذا المصدر يقصد به المبالغة ، ولهذا أتبع كل واحد منهما بما يقويه ،﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[5].﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾[6].﴿وَعْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[7].

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٨٩) وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٠) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩١) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٣)﴾

قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ يريد الإضعاف ، وقوله :﴿خَيْرٌ﴾ ليس من أفعل التفضيل في شيء ؛ إذ لا شيء أفضل من لا إله إلا الله قال النبي ﷺ : " أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له "[8].

---

(١) البيت للنابغة الجعدي ، **ينظر في** : تفسير الطبري ( ٢٠ / ٢١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٨٧ ) ، لسان العرب لابن منظور ( صرد ) والأرعن : الجبل العالي . والطود : الجبل العظيم . وحاج : اسم جمع واحده حاجة والركاب : المطي . وتهملج : تسرع ، والمعنى : حاربنا العدو بجيش عظيم ، تظنهم واقفين لحاجة لكثرتهم ، والحال أن ركابهم تسرع السير .

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٨ ).

(٣) سورة الرعد ، الآية ( ٣١ ).

(٤) سورة النساء ، الآية ( ٢٤ ).

(٥) سورة النمل ، الآية ( ٨٨ ).

(٦) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٨ ).

(٧) سورة الرعد ، الآية ( ٣١ ).

(٨) رواه أحمد في المسند ( ٢ / ٢١٠ ) ، والترمذي رقم ( ٣٥٨٥ ) ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ( ١٥٠٣ ).

والمراد : فله خير يتجدد منها ؛ لأن العمل ينقطع والجزاء يدوم . وقرئ ﴿ يَوْمَئِذٍ ﴾ بالفتح مع الإضافة إلى غير المتمكن ؛ كقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [(١)]. وقرئ منصوبًا مع تنوين ﴿فَزَعٍ ﴾ [(٢)] والفرق بين الفزعين أن الأول هو ما لا يخلو منه أحدٌ عند الإحساس بشدة تقع من رعب وهيبة وإن كان آمنًا في حصول الضرر؛ كما يدخل الداخل على الملك بصدر مملوء هيبة . وأما الثاني فللخوف من العذاب ، ونكَّر ( الفزع ) على قراءة من قرأ بنصب ﴿ يَوْمَئِذٍ﴾ وتنوين ﴿فَزَعٍ ﴾ لأن المراد نوعٌ واحدٌ من الفزع ، وهو خوف العقاب لا الخوف عند استشعار أمر عظيم ؛ فإن البشرية تقتضيه ولا يخلو منه أحد ، ويحتمل أن يريد نوعًا شديدًا من الفزع فيكون للتعظيم . ﴿ءَامِنُونَ﴾ أمن يتعدى بنفسه تارة ؛ كقوله : ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾[(٣)] ويتعدى بحرف الجر تارة أخرى ، تقول : أمنت من زيد .

وقيل : ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الإشراك . يعبر عن الجملة بالوجه والرأس والرقبة ؛ فكأنه قال : فكبُّوا فيها ؛ كقوله : ﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴾[(٤)]. ويجوز أن يكون ذكر الوجوه إيذانًا بأنهم يكبون على وجوههم ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾[(٥)]. ويجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكبِّ بإضمار القول . أمر رسوله أن يقول : ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ ﴾ يعني : أن الله أمر نبيه أن يعبده ويوحده ، وأثنى على نفسه بأنه ربُّ مكة وجعل ملكه لسائر الموجودات تبعًا لملكه لمكة .﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الثابتين على الإيمان . ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ يجوز أن يريد : وأن أقرأ القرآن ، ويجوز أن يريد : وأن أتبع ما في القرآن من الأمر والنهي من قوله : ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[(٦)]. أي : تبعها ، و﴿ٱلْبَلْدَةِ ﴾ مكة الذي حرم

---

(١) سورة الذاريات ، الآية ( ٢٣ ) .

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر ( من فزع يومئذ ) بالإضافة وعدم تنوين وفتح ميم " يومئذ " . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ( فزع يومئذٍ ) بالإضافة وكسر ميم وتنوين " يومئذ " وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ( من فزعٍ يومئذٍ ) بالتنوين وفتح ميم " يومئذ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠٢ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٢٤٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٧٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٤٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٢٩ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٤٨٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٦٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٠ ) .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ٩٩ ) .

(٤) سورة الشعراء ، الآية ( ٩٤ ) .

(٥) سورة القمر ، الآية ( ٤٨ ) .

(٦) سورة الشمس ، الآية ( ٢ ) .

صيدها وقطع شجرها واختلاء خلاها .

وقرئ " التي حرمها "[١] ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ وهو ما حلَّ بهم يوم بدر من القتل والأسر، وما حلَّ بهم قبل ذلك من القحط والدخان (١٦٩/ ب ) .

وقيل : هو كقوله : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ [٢].

* * *

(١) قرأ بها ابن عباس وابن مسعود . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠٢ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٢٤١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٣٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٦٣ ) ، مفاتيح الغيب للرازي ( ٢٤ / ٢٢٢ ) .

(٢) سورة فصلت ، الآية ( ٥٣ ) .

## سورة القصص [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿طسٓمٓ (١) تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (٢) نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ (٦) وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٧)﴾

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾ أي: نتلو عليك بعض نبأ موسى وفرعون .﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لمن سبق في علمنا أنه مؤمن ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ طغى فيها ، وعنى بالأرض أرض مملكته ، وجاوز الحد .﴿ شِيَعًا ﴾ فرقًا يشيعونه على ما يريد ، أو يشيع بعضهم بعضًا في طاعته ويسخرهم في البنيان وغيره ومن لم يستعمله ضرب عليه خراجًا. أو فرقًا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو إسرائيل والقبط ، وبنو إسرائيل هم المستضعفون ، وسبب ذبحه الأبناء أن كاهنًا قال له : سيولد في هذا العام مولود يكون هلاكك وزوال ملكك على يده ؛ فأمر بذبح الأبناء واستبقاء المولودات .

﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ حال من الضمير في جعل .﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾وذلك لأن الكاهن إن صدق لم يغن الحذر ، وإن كذب فلا معنى للذبح ؛ فكان القتل فسادًا .

﴿ وَنُرِيدُ﴾ حكاية حال ماضية ، ويجوز أن يكون حالا من ﴿يَسْتَضْعِفُ﴾ أي: يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمنَّ عليهم .﴿أَئِمَّةً ﴾ مقدمين في الدين والدنيا . وقيل: ملوكًا .

﴿ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ يرثون فرعون وقومه وأموالهم . ﴿ٱلْيَمِّ﴾ البحر . وقيل : نيل مصر . قوله :﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ أي : من أمر الذباحين فاسكني إلى وعد الله بنجاته .

وقوله ثانيا : ﴿وَلَا تَخَافِى﴾ أي : لا تخافي عليه الغرق ، أو من الذباحين ، أو أن يقع في يد

بعض العيون . والفرق بين الحزن والخوف أن الخوف غمٌّ يلحق الإنسان لمتوقع ، والحزن غم يلحق لواقع ، وهو فراقه وإلقاؤه في البحر ، ويروى أنه ذُبح في طلب موسى سبعون ألفًا ، وكانت بعض القوابل من جملة عيون فرعون ، وكانت مصافية لأم موسى؛ فقالت لها أم موسى : لتنفعني محبتك اليوم. فلما وضعته ظهر معه نور بين عينيه، فعظم في قلبها وأحبته فلم تنم على الولد ، فلما خرجت دخل الذباحون، فأخذت ابنها من الدهش[1] فألقته في التنور والنار مشتعلة فيه ، ولا تدري ما تصنع ، فلما خرج الذباحون لم تدر أين ولدها ، فسمعت بكاءه في التنور ، فوجدته قد صار عليه بردًا وسلامًا ، فلما ألحَّ فرعون في قتل الولدان (١٧٠/أ ) أوحى الله إليها أن تلقيه في اليم . وروي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله .

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله :﴿ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ﴾ " ليكون " منصوب بلام كي التي للتعليل ، في مثل قوله: ضربت بَنِيَّ للتأديب ، ولكن التعليل – ها هنا- مجاز؛ لأن التقاطه لم يكن ليكون لهم عدوًّا؛ فإن الالتقاط لا ينتج العداوة ، ولكن لما كانت العداوة قرينة لهذا الفعل استعير له التعليل كما يستعار لفظ الأسد للشجاع . وقرئ " وحُزْنًا " [2] وهما لغتان ؛ كالعدم والعدم .

﴿كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ ﴾ فليس خطؤهم في تربية موسى ببدع أو كانوا مجرمين خاطئين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم .

فلما وقع التابوت في أيديهم عالجوا فتحه فلم يستطيعوا فدنت آسية امرأة فرعون فعالجته ففتحته فرأت بين عينيه نورًا هالها عظمه فأحبته محبة شديدة ، وكان موسى عليه السلام لا

---

(١) **الدهش** : ذهاب العقل من الذهل والوله . وقيل : من الفزع ونحوه ، ودهِش الرجل بالكسر دهشا: تحير . **ينظر** : لسان العرب ( دهش ).

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ بقية العشرة " وحَزَنا " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٧٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٣٢ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٩٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٦٦ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٤١).

يراه أحد إلا أحبَّه ، وقد قال الله تعالى في حقه :﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً ﴾ [(١)] وكانت لفرعون ابنة برصاء ، قالت له الكهنة : إن هذا المرض لا يزول إلا بشيءٍ يجيء من قبل البحر شبيه بالإنسان ، لعابه شفاؤها ؛ فأُخِذَ من ريقه ولطخوا ذلك البرص فبرئ .

وقيل : لما نظرت إلى وجه موسى برأت فقالوا : إن هذه لنسمة مباركة فأحبُّوه ، وهمَّ فرعون بقتله فمنعته آسية واستوهبته منه . قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حال من آل فرعون ، والتقدير : فالتقطه آل فرعون وهم لا يشعرون أنه المولود الذي يكون هلاكهم على يديه . وقوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ إلى قوله : ﴿خَاطِئِينَ﴾ جملة معترضة .

﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١٠) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١١) ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٢) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٤) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) ﴾

﴿فَارِغًا﴾ صفرًا من العقل لشدة ما دهمها من وقوع موسى في يد فرعون . ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ لتصرِّح به .﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا ﴾ بإلهام الصبر ؛ كما يربط على الشيء المتفلت.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ من المصدقين بالوعد ، وهو قوله : ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ ويجوز: وأصبح فؤادها فارغًا من الهمِّ حين سمعت أن فرعون أحبه وتبناه .﴿كَادَتْ﴾ تبدي بأنه ولدها لسرورها بما سمعت﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الواثقين بوعد الله .

﴿قُصِّيهِ﴾ قصي أثره ، وتتبعي خبره . وقرئ " فبصِرَت " [(٢)] (١٧٠/ ب ) وهما

---

(١) سورة طه ، الآية ( ٣٩ )

(٢) قرأ " فبصِرَتْ " بكسر الصاد عيسى بن عمر ، وقرأ " فبصَرَتْ " بفتح الصاد ، وقرأ الجمهور "فبصُرَتْ" بضم الصاد . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٣٤ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٦١ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٥٩).

لغتان ، بمعنى علمت . و﴿عَن جُنُبٍ﴾ أي : عن جانب ؛ يقال : قعد على جنبه وإلى جانبه ، أي : نظرت إليه مزوِّرة ؛ حتى لا يحسبوا أنها أخته . التحريم استعارةٌ للمنع وذلك أن الله تعالى منعه قبول المراضع ، فلم يقبل ثدي امرأة حتى جاءت أمه ووجد ريحها ارتضع حتى امتلأ جنباه .﴿ٱلْمَرَاضِعَ﴾ جمع مرضعة . وقيل : جمع مرضع ، وهو موضع الرضاع من قبل قصها أثره .

روي أنها لما قالت :﴿ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾قال هامان : إنها لتعرفه ، فقالت : إنما أردت وهم للملك ناصحون ، والنصح : خلاص العمل من شوائب الفساد فجاءت أخته بأمه فوجدت موسى على يد فرعون يبكي ، ويطلب الرضاع ؛ فدفعه إليها وأجرى عليها رزقًا وذهبت به إلى بيتها وأنجز الله وعده في قوله :﴿ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ ﴾فعند ذلك استقرَّ عندها أنه سيكون مرسلا في قوله :﴿مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [1] وجاز لها أن تأخذ ما أعطاه فرعون لأنه مال حربي مباحٌ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنه حق فيرتابون ، وفيه تسميع لأم موسى حيث لحقها الجزع حين وقع ولدها في يد فرعون .

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ واعتدل ، وبلوغ الأشد : أربعون سنة وهي التي يبعث فيها الأنبياء .

﴿حُكْمًا﴾ السنة ، و﴿وَعِلْمًا﴾التوراة . وقيل : معناه : آتيناه سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه . ﴿ٱلْمَدِينَةَ﴾ مصر . وقيل : ريف من ضياع مصر و " حين غفلتهم " : ما بين العشاءين . وقيل : وقت القائلة . وقيل : يوم عيدهم وهم مشتغلون بلهوهم فيه . وقيل : لما استحكم عقله شرع يتحدث في إبطال المذاهب الفاسدة فنهوه عن ذلك .﴿ شِيعَتِهِۦ﴾ ممن شايعه على دينه من بني إسرائيل .﴿مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ من مخالفيه من القبط ، وكان يسخر الإسرائيلي بحمل الحطب إلى مطبخ فرعون .

والوكز: الدفع بأطراف الأصابع . وقيل : بجميع الكف ، وجعل قتل الكافر ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ لأنه وقع من غير إذن فيه .

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن

---

(١) الفرقان: آية ٢٠ .

تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله : ﴿بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ يجوز أن يكون قسمًا؛ أقسم بما أنعم الله عليه . ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾ ويجوز أن يكون استعطافا ؛ كأنه قال : رب اعصمني بما أنعمت عليَّ من المغفرة ؛ فلن أكون - إن تعصمني - ظهيرا للمجرمين ، وأراد بمظاهرة المجرمين : إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته (١٧١/أ) وتكثير سواده ، وكان عند فرعون كالولد ، وإمَّا مظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم كما أدت نصرة الإسرائيلي إلى القتل . وقيل : معناه : بما أنعمت عليَّ من القوة فلن أستعملها إلاَّ في مظاهرة أولئك . ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ المكروه ، وهو طلب القود[1] منه ، أو يترقب الأخبار وما يقال عنه .

﴿بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ القبطي ؛ لأنه ليس على دينهما . والجبار : الذي يقتل ويضرب عند الغضب . وقيل : المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله . ولما قال هذا وصل آل فرعون وهموا بقتله . قيل : الرجل : مؤمن آل فرعون ، وكان ابن عم فرعون .

﴿يَسْعَىٰ﴾ يجوز أن يكون ارتفاعه وصفًا لرجل وانتصابه حالا منه ؛ لأنه قد تخصص بأن وصف من قوله : ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾. ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ قصدها ونحوها ، ومدين : قرية شعيب عليه السلام ، سميت بذلك ؛ لأن مدين بن إبراهيم نزلها ولم تكن في سلطان فرعون، بينها وبين مصر ثمانية أيام ، وخرج وهو لا يدري كيف الطريق ، بل وثق بربه وهدايته فقال : ﴿ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي : وسط الطريق . وقيل : حماه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به إلى مدين . ﴿مَآءَ مَدْيَنَ﴾ الماء الذي يستقون منه ، وكان بئرًا . ووروده : الوصول إليه . ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ وجد فوق شفيره ومستقاه . ﴿ أُمَّةً﴾ جماعة كثيرة العدد من الناس من أناس مختلفين . ﴿ مِن دُونِهِمُ﴾ من مكان أسفل من مكانهم . والذود :

---

(١) تقدم معنى القود في تفسير سورة الشعراء ، الآية ( ١٤ ) .

الطرد والدفع ، وكان على الماء من هو أقوى منهما ؛ فلا يتمكنان من السقي . ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾أي : حتى يذهب . ﴿كَبِيرٌ﴾ كبير السن لا يقدر على السقي . ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ فسقى عنهما لأجلهما . وقيل : إن الرعاة كانوا يضعون حجرًا على البئر لا يقله إلا سبعة . وقيل : عشرة . وقيل : أربعون . وقيل : مائة فأقله موسى وحده ، وساغ لشعيب عليه السلام أن يستعمل ابنتيه في سقي المواشي ، وذلك لا يليق برفعة قدرهن ؛ لأن العوائد في ذلك مختلفة .﴿إِنِّي﴾ لأي شيء أنزلته إليَّ من قليل أو كثير لفقير، وإنَّما عُدّي﴿ فَقِيرٌ﴾ باللام ؛ لأنه ضُمِّنَ معنى سائل وطالب . قيل : ذكر ذلك وخضرة البقل ترى في بطنه من الهزال ، ما سأل الله إلا أكله (١٧١/ ب) ويحتمل أن يريد : إني فقير من الدنيا ، غنيّ بما آتيتني من النجاة من الظالمين ومن العلم والحكمة ، وكان الظل ظل شجرة .

﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَـٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي : مستحيية متخفرة [١] قد استترت بكم درعها، وإنما ماشى موسى ابنة شعيب ؛ لأن هذه الحالة يقطع فيها بالأمن من الفتنة ، نبيٌّ كريم وابنة نبي .

وقوله : ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾ لم يقبله موسى على أنه أجرة ؛ بل ضيافة وكرامة لما علم أنه من أولاد إبراهيم ، ومثله من يكرم ويحتفل بأمره .

وقولها : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كلام حكيم جامع لا مزيد عليه ؛ لأنه إذا حصل في وكيلك الأمانة والكفاية فقد تفرغ بالك من جهته . قوله عز وجل :﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ قصد بنفي علمه بإله غيره نفي وجود معناه : ما لكم من إله غيري ؛ كقوله تعالى عن ذاته المقدسة :﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [٢] ؛ لأن العلم تابع للمعلوم يتعلق به على ما هو عليه ، ويجوز أن يكون المراد أن إلهًا آخر غير معلوم عنده ، ولكنه مظنون كما قال في آخر الآية : ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين ، بل عالمًا بصحة قول موسى عليه السلام ؛ لقول موسى له : ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [٣] لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولا تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه إلى إله موسى ، وإن كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته ؛ حيث حسب أنه في مكان ، وأنه يطلع إليه كما كان يطلع إليه إذا قعد في عليته ، وليت شعري أكان يضحك على أهل بلاده ويسخر منهم ، أم كان هو بهذه الصفات ؟! فإن صح ما يروى من عود النُشَّابَة[٤] إليه ملطوخة بالدم فتهكُّمٌ به بالفعل ؛ كما جاء التهكُّم بالقول في آيات كثيرة ، ويجوز أن يفسَّر

---

(١) الخفر بالتحريك : شدة الحياء ، وخفرت المرأة خفرا وخفارة ، فهي خفرة على الفعل ومتخفرة ، وتخفرت : اشتد حياؤها . **ينظر** : لسان العرب ( خفر ).

(٢) سورة يونس ، الآية ( ١٨ ).

(٣) سورة الإسراء ، الآية ( ١٠٢ ).

(٤) **النشابة** بضم النون وتشديد الشين المعجمة وموحدة وبتاء التأنيث ودونها: السهم . لسان العرب (نشب).

الظن على القول الأول باليقين ، ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادَّعاه من العلم واليقين ، وإنما قال : ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ﴾ ولم يقل : اطبخ لي الآجُرَّ ؛ لشدة اهتمامه ببناء الصَّرح ومناداة هامان الوزير بالأمر بالطبخ ، ودخول حرف النداء في وسط الكلام دليل التعظُّم والتجبُّر . وعن عمر ﷺ : أنه حين سافر إلى الشام ورأى (١٧٢/أ) القصور المتخذة بالآجُرّ قال: " ما علمت أن أحدًا بنى بالآجر غير فرعون "[١]. والطلوع والإطلاع بمعنى الصعود . والاستكبار بالحق إنما هو لله - عز وجل - فهو المتكبر على الحقيقة .

وعن رسول الله ﷺ فيما حكى عن ربه - عز وجل - : " الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري ، فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار "[٢].

﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالضم والفتح[٣]. قوله :﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ من الكلام الفخم الدالّ على العظمة ؛ شبهَّهم مع كثرتهم بحصياتٍ أخذهن آخذٌ في كفه فطرحهن في البحر، ومثله قوله - تعالى - : ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[٤]. ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٥] وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره ، وإن كل مقدور وإن عظم وجلَّ فهو حقير بالنسبة إلى قدرته سبحانه وتعالى .

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٢٤٤ ) ونسبه لعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم بنحوه .

(٢) رواه أحمد في المسند ( ٢ / ٢٤٨ ، ٣٧٦ ، ٤١٤ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٠٩٠ ) ، وابن ماجه رقم ( ٤١٧٤ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٣٢٨ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه ابن ماجه رقم ( ٤١٧٥ ) ، وابن حبان رقم ( ٥٦٧٢ ) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) قرأ بفتح الياء والبناء للمعلوم " يَرْجِعون " نافع حمزة والكسائي ، وقرأ الباقون " يُرْجَعون " بالضم والبناء للمجهول تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٠٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٤٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٩٤ ).

(٤) سورة الحاقة ، الآية ( ١٤ ).

(٥) سورة الزمر ، الآية ( ٦٧ ).

﴿ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾ أي: دعوناهم بهذه السمة ؛ كقوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [1]. لم يصيروهم إناثا ، بل : وصفوهم بذلك .

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ كما ينصر الأئمة الدعاة إلى الحق . ﴿مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ من المطرودين . البصيرة : نور القلب ؛ كما أن التبصر نور العين ؛ سماها بصائر؛ لأنها سبب في الاهتداء بكشف الغطاء عن الحقائق . ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأنهم لو عملوا بها لوصلوا إلى نيل الرحمة . يجوز أن يكون المراد : ترجّي موسى هدايتهم ؛ كقوله : ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [2]. ﴿ٱلْغَرْبِىِّ﴾ المكان الواقع في شق الغرب ، وهو موضع خطاب الله لموسى ، وقوله عز وجل : ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ أي : خاطبناه بالأمر والنهي ، وثواب المطيع وعقاب العاصي ، والمعني بقوله : ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا﴾ الاستدراك ، أي : أنشأنا بعد عهد الوحي إلى عهدك . ﴿قُرُونًا﴾ كثيرة ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ إلى القرن الذي أنت فيه ، واندرست العلوم فوجب إرسالك إليهم فأرسلناك ، فذكر سبب الوحي الذي هو طول الفترة ودلَّ به على المسبب ، وإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده ، ودلَّ (١٧٢/ب) هذا الكلام على أن بعثة الرسل حق ، ولمّا كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي جعل كل عمل من كسب الأيدي وإن كان من أعمال القلوب ، والمعنى : ولولا كراهة أن تصيبهم مصيبة فيقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فبعث الرسل لقطع المعاذير ؛

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ( ١٩ ).

(٢) سورة طه ، الآية ( ٤٤ ).

لقوله ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[(١)]. ﴿فَلَمَّا﴾ جاءتهم الرسل تعنتوا واقترحوا على الرسل بعد ظهور معجزاتهم أن يؤتى كل رسول مثل ما جاء به موسى ؛ فأنكر الله ذلك عليهم بقوله :﴿ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ وقالوا في حق موسى وهارون : ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ﴾ واحدٍ منهما﴿ كَافِرُونَ﴾. وقيل : قالوا : في محمد وموسى – صلى الله عليهما وسلم . وقيل : في التوراة والقرآن ﴿سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾.

﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

هذا الشرط في قوله :﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾يقوله المدلُّ لصحة قوله ؛ كما يقوله الصانع لمن عمل له عملاً : إن كنت قد عملت لك فأعطني حقي .فإن قلتَ : ما الفرق بين الاستجابة في الآية ، وبينها في قول الشاعر [ من الطويل ] :

وَدَاعٍ دَعَانَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[(٢)]

حيث عدّي في الآية باللام ، وفي قول الشاعر بغير لام ؟ قلتُ : إذا عدّي باللام فالمراد

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ١٥ ).

(٢) البيت من بحر الطويل ، لكعب بن سعد الغنوي .

ينظر في الأصمعيات ( ص :٩٦) ، تاج العروس ( جوب ) ، جمهرة أشعار العرب ص (١٣٤) ، خزانة الأدب للبغدادي (١٠/٤٣٦) ، لسان العرب ( جوب).

ويروى الشطر الثاني منه : .............................. فلم يستجب عند النداء مجيب

قال البغدادي في " خزانة الأدب " : والمعنى : رب داع دعا : هل من أحد يمنح المستمنحين ؟ فلم يجبه أحد . ومعنى الندى : الغاية ، وبعد ذهاب الصوت ، والجود . كما في " الصحاح " .

استجابة المدعوّ ، فيكون معنى قوله : ﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ﴾ ، أي : لم يستجيبوا لأجلك ، وإذا عدّي الفعل بنفسه ، كما في قول الشاعر: فلم يستجبه - جاز دخول اللام وحذفها ، تقول : استجاب الله دعاءك ، ولا يكادُ يقال : استجاب الله لك دعاءك .

فإن قلتَ : فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء هاهنا ؟! قلت : قوله :﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ﴾ استدعاء للإجابة . ﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾ في موضع الحال﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أي : أنزلناه متواصلاً ؛ وعدًا ووعيدًا وعبرًا . ( ليتفكروا ) قيل : نزلت في أربعين من مسلمي أهل الإنجيل ؛ اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من الشام ، والضمير في﴿ مِن قَبْلِهِۦ﴾للقرآن . ﴿مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ وكل من اتبع نبيًا فهو مسلم . ﴿بِمَا صَبَرُواْ ﴾بصبرهم على إيذاء الكفار ، أو بثبوتهم على دين الحق . ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ﴾الطاعة .﴿ٱلسَّيِّئَةَ﴾ (١٧٣/أ) المعصية المتقدمة . ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلام متاركة .﴿ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ لا نريد مخالطتهم وصحبتهم .﴿ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لا تقدر على أن تدخل في الإسلام من طبع على قلبه . قال الزجاج [(١)]: أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب ، وذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة قال له النبي ﷺ : " يا عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاجُ لك بها عند الله " فقال : أما والله إني لأعلم أنك صادق ولولا أن تعيرني نساء قريش لأقررت بها عينك ؛ فقال له بعض من حضر : أنت على دين آبائك ، فكان آخر ما قاله هو على ملة الأشياخ[(٢)] .

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ ﴾

وقالت الكفار للنبي ﷺ : إنا نخاف إن اتبعناك أن تتخطفنا العرب . فأجاب الله تعالى وقال: قد مكنت لخدمة البيت﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ وهم كفار فإذا ضموا إلى ذلك الإيمان كانوا

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ١٤٩ ) ، وفيه : أجمع المفسرون .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٣٦٠ ، ٣٨٨٤ ، ٤٦٧٥ ) ، ومسلم رقم ( ٢٤٢٥ ) ، وأحمد ( ٥ / ٤٣٣ ) .

أولى أن يحفظوا . وسخر لهم في واد غير ذي زرع أن جلب إلى مكة أنواع الثمرات .

وقوله : ﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي : أكثرها ؛ فإن بعضها لا يتيسر نقله إليها .

وقوله :﴿رِّزۡقٗا﴾ إن جعلته مصدرًا انتصب بأنه مفعول له ، وإن جعلته اسم المرزوق ، كان مفعولاً به معمولاً لـ ﴿يُجۡبَىٰٓ﴾. ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ منصوب بحذف حرف الجر ، أي: بطرت في معيشتها ، أو : بتقدير حذف الزمان ، أي : بطرت في زمن معيشتها . أو ضمن "بطرت" معنى : كفرت وغمطت . بطر النعمة هو ألا يُرعى حق الله فيها . ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ من السُّكنى ، أي: لا يسكنها إلا المسافر ، ومارُّ الطريق يقضي فيها وطره ثم يرحل .﴿ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾لتلك المساكن ، قال الشاعر [ من الكامل ] :

تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُدْرِكُهَا الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ [1]

﴿حَتَّىٰ يَبۡعَثَ﴾ في القرية التي هي أمٌّ لما سواها .﴿ رَسُولٗا﴾ لإلزام الحجة وقطع المعاذير وقيل : المراد بأم القرى : مكة ؛ فإن الأرض دحيت من تحتها . ﴿لَٰقِيهِ﴾ أي : يلقاه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [2]﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [3] .

﴿مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ الذين أحضروا للنار ، ولا تكاد تجد في القرآن لفظ المحضر إلا ومعناه : المحضر للعذاب ﴿ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾[4] ﴿فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴾ [5] قيل : نزلت في رسول الله ﷺ وفي أبي جهل[6]. وقيل : في علي وحمزة[7]. (١٧٣/ ب) وقيل : في عمار ابن ياسر والوليد بن المغيرة[8]. والفاء في قوله : ﴿ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ﴾ معناها : أبعد هذا البيان

---

(١) البيت للمتنبي، **ينظر في** : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٢٤ ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري (١/ ٧١٢ ) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه لأبي الحسن الجرجاني ( ٢٤٦ ) ، وفيات الأعيان لابن خلكان ( ١٢٣٧ ) ، والبيت الذي قبله :

أين الذي الهرمان من بنيانه ما قومه ما يومه ما المصرع

(٢) سورة الإنسان ، الآية ( ١١ ).

(٣) سورة مريم ، الآية ( ٥٩ ).

(٤) سورة الصافات ، الآية ( ٥٧ ).

(٥) سورة الصافات ، الآية ( ١٢٧ ).

(٦) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ٩٧ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٣١ ).

(٧) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ٩٧ ).

(٨) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٢٥ ) .

البيان نسوّي بين رتب المؤمنين والكافرين .

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦) فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٧) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٦٩) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠) ﴾

قوله :﴿ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ ﴾ على زعمكم ، ومفعولا﴿ تَزْعُمُونَ ﴾ محذوفان ، أي: الذين تزعمونهم شركاء .﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ أي : الشياطين ، أو أئمة الكفر الداعون إلى النار. ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ مبتدأ ، و﴿الَّذِينَ أَغْوَيْنَا ﴾ خبره . ومعنى الكلام : أنا لم نُكْرِه الذين أغويناهم ؛ فلا فرق حينئذٍ بين غيِّهم وغيِّنا ، فقال الله تعالى - حكاية عن إبليس في جهنم- : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ [(١)].

وقوله :﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ﴾ من سوء عملهم وجحدوا عبادتهم لهم فقالوا : ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ . والخيرة : من التخير ، أي : هو المتخير . قيل : السبب في قوله :﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾قول الوليد بن المغيرة : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [(٢)]. والتقدير : ما كان لهم فيه الخيرة ، والمعنى: أن تخيُّرَ الرسول ليس إليهم وإنما هو لله وحده .﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ ﴾ من عداوة رسول الله ﷺ وحسده .﴿وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ من مطاعنهم فيه . ﴿ وَهُوَ اللَّهُ ﴾ المستأثر بالإلهية المختص بها ، ومعنى الحمد في الآخرة قوله - تعالى - :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ [(٣)] ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ ﴾ [(٤)]. والتحميد هنالك على وجه اللذة والتفكه .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ( ٢٢ ).

(٢) سورة الزخرف ، الآية ( ٣١ ).

(٣) سورة فاطر ، الآية ( ٣٤ ).

(٤) سورة الزمر ، الآية ( ٧٤ ).

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معناه : أخبروني من يقدر على هذا ؟ والسرمد : الدائم المتصل ، مأخوذ من السرد وهو المتابعة . كان قارون حسن الصورة ، وكان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ، ولكنه نافق وقال : إذا كانت النبوة لموسى والحبورة لهارون فما لي ؟ ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ من البغي وهو الظلم . قيل : ملّكه فرعون على بني إسرائيل . وقيل : إنه خاطب موسى فقال له: إذا كانت النبوة لك والحبورة لأخيك فما لي ؟ فقال له موسى : هذا من أمر الله ، وليس لي فيه صنع . فقال : والله لا أصدقك حتى تأتي بآية . فجمع موسى عصيّ الصلحاء والأبرار وربطها وجعلها في قبة كان الوحي ينزل على موسى ، فيها فأصبحت عصا موسى وحدها عليها ورق أخضر ، وليس على عصيّ غيره شيء ، فقال قارون : ما هذا بأعجب مما تأتي به من السحر .﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ ؛ كقوله : ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1] قال الشاعر(١٧٤/ أ) [ من الوافر ] :

أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ ... تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ ارْتِحَالا[2]

﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من الغنى والثروة والسعادة . ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تفعل فيه أفعال

---

(١) سورة الحديد ، الآية ( ٢٣ ).

(٢) البيت لأبي الطيب المتنبي ، **ينظر في** : تفسير البيضاوي ( ٤ / ٣٠٣ ) ، روح المعاني للألوسي ( ١ / ٢٠٥ ) و ( ٢٠ / ١١٢ ) ، فيض القدير للمناوي ( ٣ / ١٥٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٣٠ ) .
ويروى : ....... ........... تيقن عنه صاحبه انتقالا

الخير من أصناف الواجب والمندوب . ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ﴾ وهو أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك . ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله . ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ وقيل : أحسن شكرك وطاعتك لله ، كما أحسن الله إليك . والفساد في الأرض : الظلم والبغي . قيل : القائل موسى عليه السلام . قوله : ﴿وَٱبْتَغِ﴾ قرئ ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ [1] قوله : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: على بصر بالتجارة . وقيل : علم الله موسى علم الكيمياء ؛ فعلَّم يوشع بن نون ثلاثة ، وكالب بن يوفنا ثلاثة ، وقارون ثلاثة ، فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبًا وفضة . قوله : ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ﴾ يجوز أن يكون نفيًا لعلمه بذلك ، ويجوز أن يكون إثباتًا ؛ لأنه قد علم ذلك من التوراة ومن صحف إبراهيم وموسى ، وسمعه من نقلة الأخبار ، يعني : فمع علمه بذلك كيف يعصى الله ويخالف ، وعلى الأول يكون قد نفي عنه العلم بذلك لما تعظَّم بالعلم ، وزعم أن الذي هو فيه من العلم عنده ، فقيل له : لا علم عندك . ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: لا يحتاج في العلم إلى سؤال واستعلام .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

﴿فِى زِينَتِهِۦ﴾ قيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان [2] وعليها سرج من ذهب ، ومعه أربعة آلاف على زيِّه . وقيل : في تسعين ألفًا عليهم المعصفرات . ومن الغبطة قوله تعالى : ﴿ يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ ومن الحسد قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ

---

(١) ذكرها الأخفش كما في : تفسيرالألوسي ( ٢٠ / ١١٢ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ١٨٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٩١ ).

(٢) **الأرجوان** : الثياب الحمر . والأرجوان : صبغ أحمر شديد الحمرة . قال أبو عبيد : الأرجوان : الشديد الحمرة لا يقال لغير الحمرة أرجوان ، وقال غيره : أرجوان معرب أصله أرغوان بالفارسية فأعرب قال: وهو شجر له نور أحمر أحسن ما يكون وكل لون يشبهه فهو أرجوان . **ينظر** : لسان العرب ( رجا ).

بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[(١)]. والحظ : البخت والدَّولة . قوله :﴿ وَيۡلَكُمۡ ﴾ أصله الدعاء بالويل ، ثم استعمل في الردع والزجر ، وإنما يكون ذلك للإفراط في الاعتماد على ما لا ينبغي . وقوله : ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضمير فيها يرجع إلى الكلمة التي قالها أهل العلم أو الحسنة أو للسيرة . ﴿ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ على الطاعات وعن المعاصي وعند الشدائد. ﴿مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ﴾ من المنتقمين من موسى ، أو: من المتخلصين من عذاب الله .

قوله : ﴿بِٱلۡأَمۡسِ﴾ لا يراد به اليوم الذي قبل يومك ، وإنما (١٧٤/ب) المراد الإخبار عن مدة ماضية قريبة . ﴿مَكَانَهُۥ﴾ منزلته .

" وي " مفصولة عن " كأن " وهي كلمة تنبيه على الخطأ ، وهو مذهب الخليل وسيبويه، وعند الكوفيين أن ( ويك ) بمعنى ( ويلك ) ويجوز أن تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى ( وي ) كقول عنترة [ من الكامل ] :

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا قَوْلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقدِمِ[(٢)]

و" أنه " بمعنى لأنه ، ومن الناس من يقف على " وي " ويبتدئ " كأنه " ، ومنهم من يقف على " ويك " [(٣)].

وقرئ ( لولا مَنُّ اللهِ علينا )[(٤)]. وقرئ ( لَخَسَفَ بنا )[(٥)] يعني : الله عز وجل .

وعن عمر بن عبد العزيز: أنه كان يكرر هذه الآية حتى قبض[(٦)]. وعن عليﷺ : " إن

---

(١) سورة النساء ، الآية ( ٣٢ ).

(٢) **ينظر البيت في** : الجنى الداني للمرادي ( ص : ٣٥٣ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٦ / ٤٠٦ ) ، ديوان عنترة ( ص : ٢١٩ ) ، شرح الأشموني ( ٢ / ٤٨٦ ) ، شرح شواهد المغني ( ص : ٤٨١ ) ، شرح المفصل ( ٤ / ٧٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ١ / ١٦ ) ، وبلا نسبة **في** مغني اللبيب ( ص : ٣٦٩ ).

(٣) **ينظر تفصيل ذلك في** : البيان في غريب القرآن لابن الأنباري ( ٢ / ٢٣٧ ) ، التبيان للعكبري ( ٢ / ١٨٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٥٤ ) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ١٥٦ ).

(٤) قرأ بها الأعمش . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٣٥ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٣١٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٩٣ ).

(٥) قرأ بها حفص عن عاصم ويعقوب ، وقرأ بقية العشرة " لَخُسِفَ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٣٥ ) ، تفسير القرطبي ( ١٣ / ٣١٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٥٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٩٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٩٣ ).

(٦) رواه عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد ( ١ / ٣٠٩ – ٣١٠ ) قال : " أخبرنا جرير بن حازم قال=

الرجل ليحب أن يكون شراك نعله حسنا فيدخل في هذه الآية"[1].

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

وزعم قوم أن قوله : ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا﴾ لما صنع فرعون في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [2]. وأن المراد بالفساد ما صنعه قارون لقول قومه له : ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولا دليل على التخصيص ، واللفظ عام لكل من علا وأفسد .

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

وضع ﴿ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ موضع المضمر. وهو بابٌ من أبواب البلاغة .

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه ، يعني : إن الذي حملك صعوبة التكليف . ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ نكَّرَهُ للتعظيم ، أي : معاد وأيُّ معادٍ ؛ قيل: المراد به مكةُ ، أي : وعده بردِّه إليها يوم الفتح ظاهرا عليها منتصرا على أعدائه ، والسورة

---

= حدثني مغيرة بن حكيم قال: قالت لي فاطمة: "كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار. قالت: فقلت له يوما يا أمير المؤمنين، ألا أخرج عنك عسى أن تغفى شيئا فإنك لم تنم. قالت: فخرجت عنه إلى بيت غير البيت الذي هو فيه. قالت: فجعلت اسمعه يقول: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ يرددها مرارا ثم أطرق فلبث طويلا لا أسمع له صوتا فقلت لوصيف له كان يخدمه : ويحك انظر. فلما دخل صاح ، قالت : فدخلت عليه فوجدته ميتا قد أقبل بوجهه على القبلة ووضع إحدى يديه على فيه والأخرى على عينه " . ورواه أبو نعيم في حلية الأولياء ( ٥ / ٣٣٥ ) بهذا السياق .

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٢٢ ) ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٤٤ ) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم ( ١ / ١٢٢ ) : في إسناده نظر .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٢٤ ).

مكية ، وأصحاب النبي ﷺ مستضعفون ، فوعده وأتاهم بالنصر والغلبة[١] .

وقيل : نزلت عليه بالجحفة ، فنزل جبريل وقال : أتحب مكة ؟ قال : نعم ؛ فقال : إن الله سيعطيك إياها ، وتلاها عليه : ﴿ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الآية[٢] . ﴿ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ بعد وقت نزولها . و" إذ " يضاف إليه أسماء الزمان ؛ كقولك : حينئذٍ وساعتئذٍ .

﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ إلا إيَّاه ، والوجه يعبر به عن الذات .

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٢٥ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٤٥ ) لابن أبي شيبة وعبد ابن حميد والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٣٦ ) .

## سورة العنكبوت [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

الحسبان : لا يجوز أن يتعلق بالمفردات لكن يتعلق بمضامين الجمل، والجملة ها هنا هي قوله : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾ . وليس الأمر كما حسبوه (١٧٥/أ) بل لابد من الامتحان بالأمر والنهي والوعد والوعيد . قوله :﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ﴾ بالامتحان﴿ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ﴾ في الإيمان . ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ فيه . فإن قلتَ : كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل ؟ قلتُ : لم يزل يعلمه معدومًا ولا يعلمه موجودًا إلا إذا وجد، والمعنى : وليتميزنَّ الصادق منهم من الكاذب . وقيل : ليرى . وقيل : ليعلم العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب ، وأنه تعالى لا يثيب ولا يعاقب إلا على ما وجد .

وقرئ﴿ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ﴾ [1] أي : ليُطْلِعن المؤمنين على بواطنهم بعلامة يعرفون بها من بياض وجوه المؤمنين ، وسواد وجوه الكافرين ، وزرقة عيونهم . ﴿أَن يَسۡبِقُونَا﴾ أن يفوتونا ، وهم لم يعتقدوا أنهم يعجزون الله ، لكن فعلهم فعل من يظن ذلك ، ومنه : ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴾ [2] ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ مثل للوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وابتداء الشروع في المجازاة . ﴿يَرۡجُواْ﴾ يؤمل أو يخاف .﴿ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿لَأٓتٖ﴾ لا محالة .

---

(١) قرأ بها علي بن أبي طالب وجعفر ، وقراءة الجمهور " وليَعْلمن " .

**تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٤٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٩٦ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٢٧١ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٥٩ ).

(٢) سورة الأنفال ، الآية ( ٩ ) .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

قوله : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ إما أن يكون في قوم من المسلمين سيئاتهم مُكفَّرة بالحسنات ، وإما قوم من المشركين آمنوا فمعاصيهم تكفر بالإسلام .

﴿وَوَصَّيْنَا﴾ بمعنى عهدنا . ﴿حُسْنًا﴾ أي : أمرًا ذا حسن ، أو جعل الوصية الحسنى؛ مبالغة . ويجوز أن يكون حسنًا مفعولاً بفعل مضمر ، أي : أوصل إليهما حسنًا ؛ كما تقول : ضربًا . إذا أمرت شخصًا بالضرب . قيل : نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وامتناع أمّه أن يُظلها سقف حتى يكفر بمحمد [(١)] . وقيل : في عياش بن أبي ربيعة ، خدعه أخواه ، وقالا : ارجع إلى أمك ؛ فإنها في شدَّةٍ لفراقك ، فرجع معهما قاصدًا مكة ؛ فربطاه ، وضربه كلُّ واحدٍ منهما مائة سوط ، ورجعا به إلى أمه ؛ فقالت : لا يزال في عذاب حتى يرجع عن دينه [(٢)] .﴿فِي الصَّالِحِينَ﴾ في زمرتهم ، ووصف الصلاح من أتم الأوصاف ، قال في إبراهيم :﴿ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [(٣)] .

وقال يوسف :﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [(٤)] أو في مدخل الصالحين وهو الجنة ؛ كقوله : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم...﴾ الآية[(٥)] .

قوله عز وجل : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا﴾ (١٧٥/ ب) فإذا آذاه المشركون أطاعهم برجوعه إلى الشرك وهو المراد بقوله :﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾

---

(١) رواه مسلم رقم ( ٤٤٣٢ ) ، والترمذي رقم ( ٣١١٣ ) ، و الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٣١ ).

(٢) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٣ / ٤٢ ) للبزار في مسنده ولابن هشام في السيرة عن ابن إسحاق .

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٠ ).

(٤) سورة يوسف ، الآية ( ١٠١ ).

(٥) سورة النساء ، الآية ( ٦٩ ).

سلقوكم بألسنة حداد وطلبوا الشركة في المغانم ؛ فأكذبهم الله – تعالى – بأنه هو العالم بما في صدور هؤلاء ، وبما في صدور جميع العالمين ثم هدد هؤلاء الكفار بقوله : ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي : ليجازينهم . قوله : ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ أمروا أنفسهم بحمل خطاياهم، أي: تتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ونرى بعض [ المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك ، فإذا رأى صاحبه مترددا][1] في الإقدام على أمر عظيم ، فيقول له صاحبه : افعل هذا وإثمك في عنقي. فربما اغتر به[2].

ويروى: أن أبا جعفر المنصور طلب منه رجل حوائج فلما قضاها له قال: يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى ، وهي الشفاعة لي في الآخرة . فقال له عمرو بن عبيد[3] : يا أمير المؤمنين لا تغتر بهؤلاء ؛ فإنهم قطاع الطريق في المأمن. وسماهم كاذبين ؛ إما لأنهم أشبهوا الكاذبين في مخالفة أقوالهم لأفعالهم، وإما لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين .

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

---

(١) ما بين المعقوفين بياض في الأصل ، وأثبتناه من الكشاف ( ٣ / ٤٤٤ ).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٤٤ ).

(٣) هو عمرو بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين له رسائل وخطب وكتب منها : التفسير والرد على القدرية . توفي سنة ١٤٤ هـ . تنظر ترجمته في : البداية والنهاية ( ١٠ / ٧٨ ) ، تاريخ بغداد ( ١٢ / ١٦٦ ) ، وفيات الأعيان (١/ ٣٨٤).

قوله :﴿ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا ﴾ هي الضلال الذي حملوا عليه أضدادهم فيجتمع عليهم إثم الضلال والإضلال .

﴿وَلَيُسْأَلُنَّ﴾ سؤال تقريع ﴿عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ أي: يختلفون من الأكاذيب والأباطيل. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا ... ﴾(1) . قيل : كان عمر نوح ألفًا وخمسين سنة ، أربعون قبل النبوة وستون بعد الطوفان ، وفي قومه تسعمائة وخمسون وقوله :﴿ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ ﴾ ولم يقل: تسعمائة وخمسين ؛ لأنه لو قال مثل ما قلت لتطرق إليه المجاز، وأيضًا فذكر عقد الألف أهيب وأدل على الكثرة . فإن قلتَ : فلم جاء المميز أولا بالسنة وثانيا بالعام ؟

قلتُ : لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد مما يمجُّه السمع . و﴿الطُّوفَانُ﴾ ما أحاط وأطاف بكثرة وغلبة من سيل أو ظلام ليل أو نحوهما ، والضمير في ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ للسفينة أو للقصة ، ونصب ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ ﴾ بإضمار اذكر ، وأبدل عنه " إذ " بدل الاشتمال . ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ هو تسميتهم الأصنام آلهة . ونكر الرزق الأول ، وعرف الرزق الثاني ؛ لأنه أراد: لا يقدرون على شيء ؛ فاطلبوا الرزق كله من الله الذي لا رزاق إلا هو .

﴿ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ ﴾ سبقكم غيركم بتكذيب الأنبياء ، فهلكوا .

وهذه الآيات (١٧٦/ أ ) إلى قوله : ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ يجوز أن تكون من كلام إبراهيم صلوات الله عليه ، وأن تكون آيات معترضة في شأن رسول الله ﷺ وقريش ، بين أول قصة إبراهيم وآخرها ، وإذا كانت من كلام إبراهيم فوجه مجيئها معترضة أن المراد بها تسلية رسول الله ﷺ على ما كان يلقاه من الكفر .

وقوله : ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ليس بمعطوف على ﴿يُبْدِئُ﴾؛ لأنها ليست معلومة للمخاطب ، وصلة﴿الَّذِينَ﴾ لابُد من العلم بها . قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ لو كنتم فيها . وقيل : ولا مَنْ في السماء بمعجزين ؛ كقول حسان [من الوافر ] :

أَمَنْ يَهجُو رَسَولَ اللهِ مِنْكُمْ ويَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ(2)

---

(١) انظر الكشاف (٣/ ٤٤٤) .

(٢) **ينظر في** : تذكرة النحاة لأبي حيان ( ص : ٧٠ ) ، الدرر اللوامع على همع الهوامع لأحمد الأمين الشنقيطي ( ٥ / ١٨٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٥ ) ، ديوان حسان بن ثابت (ص :٧٦) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ص : ٦٢٥ ) ، همع الهوامع للسيوطي (١ / ٨٨ ).

أو: لا تعجزون أمره الجاري في السماء والأرض أن يجري عليكم حكمه . وقيل : ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ لو تغلغلتم في أعماق الأرض أو علوتم في القصور المشيدة .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ بدلائله على قدرته وصدق رسله وعلى البعث .﴿ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي ﴾ أي : في الآخرة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾ [(١)].

لا يجوز للمسلم أن ييأس من رحمة الله وروحه . قرئ ﴿جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ﴾ بالنصب والرفع[(٢)]. وروي: أنه لم يُنتفع بالنار يوم ألقي إبراهيم فيها ؛ لذهاب حرِّها.

قرئ ﴿ مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ بنصب المودة[(٣)]. ليكون ذلك سببا لتوادِّكم ومحبتكم ، أو اتخذتموها مودة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[(٤)].

وقرئ بالرفع[(٥)] خبرًا لـ " إنَّ " على أن " ما " موصولة ، وقرئ بنصب﴿ بَيۡنِكُمۡ﴾ مع الإضافة[(٦)] كقوله :﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ ﴾ [(٧)]. بفتح ﴿بَيۡنَكُمۡ﴾ وهو فاعل .﴿ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ تكون تلك المودة بغضا ولعنة .﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ كما زعمتم أنهم

(١) سورة الروم ، الآية ( ١٢ ).

(٢) تقدم تخريج القراءة عند تفسير سورة النمل ، الآية ( ٥٦ ).

(٣) قرأ بها عاصم في رواية حفص عنه ، وحمزة وروح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٤٨ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص :٢٧٩ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٥٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣٦٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٤٩٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٠٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٣ ).

(٤) سورة البقرة ، الآية ( ١٦٥ ).

(٥) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس . تنظر المراجع السابقة .

(٦) قال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٦٤ ) : نقلت عن عاصم .

(٧) سورة الأنعام ، الآية ( ٩٤ ).

شفعاؤكم عند الله .

﴿ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

كان لوط ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، وهو أول من آمن له حين رأى النار لم تؤثر في إحراقه ، وقال إبراهيم﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ ﴾ من لوثى وهي من ضياع الكوفة إلى حرَّان ثم منها إلى فلسطين . ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ إلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه ، وكان معه سارة زوجته ولوط ابن أخيه في هجرته .﴿ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا﴾ الثناء الحسن ، والصلاة عليه إلى يوم القيامة .

فإن قلتَ : ولِمَ لم يذكر إسماعيل عليه السلام ؟ وذكر إسحاق وذريته ؟! قلتُ : ذكر إسماعيل في قوله : (١٧٦/ ب )﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ ﴾ والمراد بالكتاب جنس الكتاب فيدخل فيه التوراة والإنجيل والزبور والفرقان .

﴿وَلُوطًا﴾ معطوف على﴿ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ أو على ما عطف عليه . والفاحشة : الفعلة البالغة القبح . وقطع السبيل : هو فعل قطاع الطريق . وقيل : هو الإتيان في غير المأتي ؛ فإنه ليس محل حرث ، ولا بذر . والمنكر : هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق . والدَّفعة بالأصابع ، ومضغ العلك والسواك بين الناس ، والسباب والفحش في المزاح .

وعن عائشة رضي الله عنها: "كانوا يتضارطون"[1]. وقيل : السخرية ممن يمر بهم . وقيل: المجاهرة في ناديهم بذلك العمل . وكل معصية فإظهارها أقبح من سترها ، وكانوا يحملون الناس على الفاحشة التي يعملونها طوعًا وكرهًا . أراد لوط عليه السلام أن يؤكد السؤال في هلاك قومه فوصفهم بالفساد ، والفساد تُستَحق العقوبة بسببه.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٤٥ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٦١ ) للبخاري في تاريخه ولابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها .

﴿بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالولد، والنافلة وهما إسحاق ويعقوب، وأضاف ﴿مُهۡلِكُوٓاْ﴾ إلى أهل القرية إضافة تخفيف لا تعريف، والقرية سدوم، وهي التي يقال فيها: أجوَرُ من قاضي سدوم[1].

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادٗا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

---

(١) سدوم: فعول من السدم وهو الندم مع غم. قال أبو منصور: مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له: سدوم. وقال أبو حاتم في كتاب المزال والمفسد: إنما هو سذوم بالذال المعجمة. قال: والدال خطأ. قال الأزهري: وهو الصحيح وهو أعجمي. وقال الشاعر:

كذلك قوم لوط حين أضحوا كعصف في سدومهم رميم

وهذا يدل على أنه اسم البلد لا اسم القاضي إلا أن قاضيها يضرب به المثل فيقال: أجور من قاضي سدوم.

ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٣ / ٢٠٠)، معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (٣/ ٧٢٩).

﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ اعتراض على الملائكة ، حيث قالوا : ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ ، أي: فيها من لا يستحق العقوبة ، فأجابته :﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ ووعدوه نجاة لوط وأهله، ثم جددت الملائكة استحقاق الوعيد على قوم لوط ؛ فقالوا :﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا ﴾أي : عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ . قوله عز وجل : ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾مثل مضروب بقصير اليد لو أمدها ليأخذ شيئًا لم تصل . ومثل القويّ بطويل إذا مدَّ يده إلى شيء وصل إليه . الرجز والرجس : العذاب ؛ من قوله : ارتجز وارتجس: إذا اضطرب . ﴿مِنْهَآ﴾ أي : من القرية . ﴿ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً ﴾آثار هلاكهم . قوله : ﴿لِّقَوْمٍ﴾ يتعلق بـ ﴿تَّرَكْنَا﴾ أو بـ ﴿بَيِّنَةً﴾ ﴿وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ أي : افعلوا ما تستحقون به النجاة من العذاب . وقيل : هو من الرجاء ؛ بمعنى الخوف .

﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ، وعن الضحاك : صيحة جبريل عليه السلام ؛ لأن القلوب رجفت لها[1] . ﴿فِى دَارِهِمْ﴾ في بلدهم ( ١٧٧/أ ) وأرضهم . ﴿جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب .

قوله : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟﴾ منصوب بإضمار: أهلكنا ؛ لأن قوله :﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ يدل عليه . ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ ذلك من هلاك مساكنهم ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾الآية[2].﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ عقلاء قادرين على النظر في مصالح دينهم ؛ فأهملوا ذلك . وقيل : كانوا متثبتين أن العذاب نازل بهم ؛ لأن ذلك قد بين على ألسنة الرسل ، ولكنهم لجوا حتى هلكوا﴿ سَٰبِقِينَ﴾ فائتين ، أدركهم أمر الله فلم يفوتوه .

الحاصب لقوم لوط : وهو ريح عاصف فيها حصباء . وقيل : ملك كان يرميهم . والصيحة لمدين وثمود ، والخسف لقارون ، والغرق لقوم نوح وفرعون . الغرض تشبيه ما اتخذوه مثلا ومعتمدًا في دينهم ، وتولوه من دينه بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ولذلك قال : ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ . فإن قلت : كل أحد يعلم وهن بيت العنكبوت ؟ قلتُ : معناه :﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ أن

---

(١) ذكره البيضاوي في تفسيره ( ٤ / ٣١٦ ) ، والشوكاني في فتح القدير ( ٤ / ٢٠٢ ).

(٢) سورة الفرقان ، الآية ( ٤٠ ).

هذا مثلهم إذا شابه دينهم نسج العنكبوت ثبت أن دينهم أوهن الأديان ، وهذا زائد على ضرب المثل بالعنكبوت ؛ لأنه لم يجعل ما اتخذوه من عبادة أوثانهم شيئًا.

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ فإن قلت : كم من مصل لم تنهه صلاته؟

قلتُ : الصلاة التي تنهى هي التي يدخل فيها خاشعًا مستحضرًا أنه بين يدي ربه سائلاً منه التوفيق والهداية . روي: أن رجلا كان يصلي مع النبي ﷺ ولا يدع شيئًا من المعاصي إلا ركبه ، فوصف حاله للنبي ﷺ فقال : ستنهاه صلاته ، فلم يمض إلا يسير حتى تاب وأصلح وترك ما كان يرتكبه من المعصية [١] . وأراد بـ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ﴾ الصلاة ؛ يريد أنها أفضل أعمال البر .

وعن ابن عباس : ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته[٢].

﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ بالخصلة التي هي أحسن .﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ إلا الذين آذوا رسول الله ﷺ . وقيل : إلا الذين دعوا لله ولدًا وشريكًا. وعن قتادة : منسوخة بآية السيف[٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند ( ٢/ ٤٤٧ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٢٥٦٠ ) ، والبزار ( ٧٢٠ - كشف الأستار ) عن ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٢ / ٢٦١ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال الهيثمي : ورجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٠ / ١٥٦ ) ، وأبو السعود في تفسيره ( ٧ / ٤٢ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٦٦ ) للفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن ربيعة عن ابن عباس - رضي الله عنهما .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٢٨١ ) ونسبه لابن جرير وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

وعن النبي ﷺ : " ما حدثكم به أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ الآية فإن كان باطلاً (١٧٧/ ب) لم تصدقوهم وإن كان حقًا لم تكذبوهم "[(١)]. ومثل ذلك الإنزال﴿ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي : مصدقًا لسائر الكتب السالفة تحقيقا لقوله :﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه .﴿ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة. ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظهورها﴿ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ المتوغلون في الكفر . وقيل : هم كعب بن الأشرف وأصحابه .

﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِۚ وَلَوۡلَآ أَجَلٞ مُّسَمّٗى لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَيَأۡتِيَنَّهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ﴾ لأنه لو كان قارئًا لقالوا : وجد هذه القصص التي [ يقصها ] مذكورة في كتب الأولين فارتابوا أو شكوا .﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ كما جاء في بعض الآثار : " أناجيل أمتي في صدورهم "[(٢)].

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ﴾ نقترحها ؟ فأجابهم الله بقوله :﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا﴾ الآية . والقرآن معجزة باقية على وجه الدهر . ﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ كلفت الإنذار ولست آتي من المعجزات إلا بما أنزل عليَّ ، ولست أقترح على الله آيات معينات ؛

---

(١) رواه أحمد ( ٤ / ١٣٦ ) ، وأبو داود رقم ( ٣٦٤٤ ) ، وابن حبان رقم ( ٦٢٥٧ ) ، والبغوي في شرح السنة ( ١ / ٢١٨ ) رقم ( ١٢٤ ، ١٢٥ ) ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم ( ٩٣٩٦ ).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٢٨٣ – ٢٨٤ ) ونسبه للدارمي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

إنما أنا نذير أبلغ ما أمرت بإبلاغه . وروي أن ناسا أتوا رسول الله ﷺ بكتف كتبوا فيه شيئًا منقولا عن اليهود في التوراة ؛ فقال عليه السلام : " كفى بقوم حماقة أن يتركوا ما جاء به نبيهم ويسألوا عمَّا لم يأت به نبيهم "[١] . ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ أني قد بلغتكم ما أرسلت ﴿بِهِۦ﴾ إليكم ، وأنذرتكم ، وأنكم قابلتموني بالجحد والتكذيب .

﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ أي عاجلاً ، والمراد بالأجل : الآخرة ؛ لأن الله تعالى وعد نبيه ﷺ ألاَّ يعذب قومه ولا يستأصلهم ، وأن يؤخِّر عذابهم إلى يوم القيامة .

وقيل : الأجل : يوم بدر . وقيل : وقت فنائهم بآجالهم . ﴿لَمُحِيطَةُۢ﴾ أي : ستحيط بهم . ﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ . وقيل : هي محيطة بهم في الدنيا ؛ لأن الأعمال التي توجبها محيطة بهم .﴿ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي جزاؤه . والمعنى : أن الإنسان إذا لم يتهيأ له في بلد إصلاح شأنه في دينه ولا من يعينه عليه فليرحل عنها إلى حيث يتيسر له . وقال الزمخشري: جربنا وجرب الأولون منا فلم نر ما هو أجمع للخاطر وأعون على التقوى من المجاورة بحرم الله[٢] .

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ (٥٨) ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٦٠) وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ (٦١) ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ (٦٢) وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ (٦٣) وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ (٦٤) ﴾

وعن النبي ﷺ : " من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض ، وإن كان قدر شبر (١٧٨/أ) وجبت له الجنة ، وكان رفيق إبراهيم ومحمد "[٣] . وقيل: نزلت في المستضعفين من

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٧ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٧١ ) للدارمي وأبي داود في مراسيله وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة رضي الله عنه .

(٢) **ينظر** : الكشاف ( ٣ / ٤٦١ ).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري ( ١ / ٣٥١ ) تفسير سورة النساء ، ( ٣ / ٥٠ ) تفسير سورة العنكبوت ، ونسبه للثعلبي في تفسيره . وقال : مرسل .

المؤمنين ؛ كانوا بمكة لا يتمكنون من إقامة شعائر دينهم فدلهم الله على الهجرة . والتقدير في الآية : وإياي اعبدوا فاعبدون . ومعنى الفاء في ﴿ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ جواب شرط مقدر ؛ المعنى : إن لم يتيسر لكم القيام بوظائف الدين في أرض فأخلصوا لله العبادة في غيرها. المعنى : أنها تحس بالموت إحساس الذائق . ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾ لننزلنهم ، وقرئ ﴿لَنُثْوِيَنَّهُم ﴾ [1] والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين ، وإلى العرف إجراؤه مجرى لننزلنهم ولنثوينهم ، وتقديم المجرور في قوله :﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يدل على الاختصاص . الدابة : اسم لكل نفس دبت على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل .

قيل : كان المسلمون إذا أمروا بالهجرة قالوا : كيف نذهب إلى بلدٍ ليس لنا فيه رزق ولا معيشة ؟ فنزلت﴿ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ﴾لضعفها عن حمله .﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ ﴾ .

وقيل : لا تحمل رزقها ، أي : لا تدخر شيئًا لغد . قوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم ﴾ يريد : أهل مكة .

﴿يُؤۡفَكُونَ ﴾ يصرفون عن التوحيد . قدر الرزق وقتره : إذا ضيقه ، يحتمل أن يراد : ويقدر له : يجمع له بين التوسعة والتقتير ، وأن يكون المراد شخصين في وقتين .﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ ﴾ كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون .﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ﴾ الدائمة . والحيوان : مصدر وهذا الوزن الحركة والاضطراب ؛ كالنزوان والغليان والضربان ؛ فهو أبلغ من أن يقول : لهي الحياة .

﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ وَلِيَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

---

(١) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرأ الباقون " لنبوئنهم " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٥٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٨١ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٥٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٦٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٠٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢١٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٤ ).

﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ الفاء في قوله : ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ﴾ أي : هم على ما هم عليه من دعوى الشرك فإذا دهمهم أمر عظيم التجأوا إلى الله وحده ، وسماهم ﴿مُخْلِصِينَ﴾ تهكمًا بهم .

اللام في ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ ، و﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ يجوز أن تكون لام كي ، وأن تكون لام الأمر للتهديد . وجاء قوله : ﴿وَلِيَتَمَتَّعُواْ﴾ إيذانا بفساد ذلك الإخلاص الذي أخلصوه في الشدة . كانت العرب حول مكة يغير بعضهم على بعض ، ويأكل القوي منهم الضعيف ، وكان أهل الحرم آمنين في رحلتي الشتاء والصيف ؛ فذكرهم الله تعالى هذه النعمة .

قوله : ﴿لَمَّا جَآءَهُۥ﴾ أي : كذبوا به لما جاءهم ، ولم يتثبتوا ؛ بل بادروا إلى التكذيب .

﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ أي : بالصبر على قتال الكفار وأذاهم . وقوله : ﴿فِينَا﴾ أي : في طاعتنا.

قوله : ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾ لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير . وعن أبي سليمان الداراني [١]: والذين جاهدوا فيما عملوا لنهدينهم إلى ما لم يعملوا [٢]. وقيل : إن الذي ( ١٧٨/ ب ) يُشاهَد فينا من جهلنا بما لا نعلم إنما هو من تقصيرنا فيما عَلِمنَاه . ﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لناصرهم ومعينهم .

* * *

(١) هو الإمام زاهد العصر عبد الرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان الداراني من أهل داريا وهي ضيعة إلى جنب دمشق كان أحد عباد الله الصالحين ومن الزهاد المتعبدين ، ورد بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل : سنة خمس ومائتين .
**تنظر ترجمته في :** تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠ / ٢٤٨ ) ، حلية الأولياء لأبي نعيم (٩/ ٢٥٤) ، سير أعلام النبلاء للذهبي ( ١٠ / ١٨٢ ) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٦٥ ) .

# تفسير سورة الروم [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢)﴾

كان المسلمون بمكة يحبون أن يظهر الروم على فارس ؛ لأن الروم أهل كتاب ، وأهل فارس مجوس يعبدون النار؛ فجاء الخبر أن الروم تواقعوا هم والكفار فغُلِبت الروم وانتصرت فارس ، فعيَّر الكفارُ المؤمنين ؛ هؤلاء الكفار من أهل الروم إخوانكم وقد ظهرنا عليهم ، وليظهرننا الله عليكم ، فقال أبو بكر للقائل : والله لتغلبن الروم فارس ؛ فقال له أُبيُّ بنُ خَلَفٍ : ناحِبْني[1] على ذلك - أي : راهنِّي - فناحبه على ذلك ، وأن على كل من غُلِب بعد ثلاث سنين عشر قِلاص[2] فبلغ أبو بكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال له : " زِدْ فِي الرَّهْنِ وَزِدْ فِي المُدَّةِ ؛ فَإِنَّ البِضْعَ يَكُونُ تِسْعَ سِنِينَ "[3] فراهنه على مائة قلوص وعلى مائة من الإبل ، يكون ذلك على من غُلِب منهما، فغَلبت الرومُ فارس يوم الحديبية . - وقيل : يوم بدر - وأخذ أبو بكر- رضي الله عنه - القلاص من تركة أبي بن خلف ، وجاء به إلى النبي ﷺ فقال : تصدَّق به ، وكان ذلك بعد تحريم القمار[4].

والغَلْبُ والغَلَبُ مصدران ، والذي في الآية يجوز أن يكون مضافاً إلى الفاعل وإلى المفعول ؛ بناء على القراءتين ؛ فمن قرأ : ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾ فهو مضاف إلى الفاعل ، ومن قرأ بضم الغين[5] فهو مضاف إلى المفعول، وهذا الخلاف مثل الخلاف في قوله :

---

(١) ناحبني : من المناحبة وهي المخاطرة والمراهنة . ينظر : لسان العرب ( نحب ).

(٢) القلاص : جمع القلوص : وهي أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تثني فإذا أثنت فهي ناقة ، والقعود: أول ما يركب من ذكور الإبل إلى أن يثني فإذا أثنى فهو جمل ، وربما سموا الناقة الطويلة القوائم قلوصا ، وقد تسمى قلوصا ساعة توضع ، والجمع من كل ذلك : قلائص و قلاص و قلص و قلصان جمع الجمع وحالبها القلاص . ينظر : لسان العرب ( قلص ).

(٣) رواه الترمذي رقم ( ٣١٩١ ) ، والطبري في تفسيره ( ٢١ / ١٧ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٢٩٠ ) لابن أبي حاتم والبيهقي . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٦٢٤ ).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٧٩ ) ونسبه لأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٥) قرأ جمهور القراء " غُلِبَت " بالبناء لما لم يسم فاعله وقرأ علي بن أبي طالب وأبو سعيد الخدري=

﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [١]. واحتج أبو حنيفة ومحمد بقصة أبي بكر مع أُبي بن خلف على أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلم والكافر [٢].

﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٦ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٧ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ۝٨ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ۝٩ ﴾

وقرئ ﴿مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ على الجر [٣] من غير تقدير مضاف إليه ؛ كأنه قيل : قبلاً وبعداً ؛ بمعنى : أولاً وآخرًا .

ويوم تَغْلِب الرُّوم على فارس ﴿يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِنَصۡرِ ٱللَّهِ﴾. وقوله :﴿ لَا يَعۡلَمُونَ يَعۡلَمُونَ﴾ أبدل " يعلمون " من ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ليعلمك أن علمهم كلا علم .

---

= ومعاوية بن قرة وابن عمر وأهل الشام " غَلَبَت "بالبناء للمعلوم .

**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٦١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٧١) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢١٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٩٧ ) ، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٣٧ ) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣١٩ ).

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٨٥ ).

(٢) **ينظر**: المبسوط للسرخسي ( ١٤ / ٥٦ , ٥٧ ) ، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي (٧/ ٣٨ , ٣٩ ) ط . دار الفكر – بيروت .

(٣) حكاها الفراء وغلطه النحاس ، وحكى الكسائي " من قبلٍ ومن بعدُ " ، وقراءة عامة القراء " من قبلُ ومن بعدُ " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٦٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٣٧١)، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢١٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢١٤ ) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٢٠ ).

قوله عز وجل : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم ﴾ يجوز أن تكون " في " ظرفية ، والتقدير: أو لم يُجَدِّدُوا أو يحدثوا التفكُّر في قلوبهم ؛ كما تقول : اجعل هذا في نفسك . وأن يكون محلاً للتفكر ، وهو ظاهر . و﴿مَّا خَلَقَ﴾ معمول للقول ( ١٧٩/أ ) المقدر؛ تقديره : فيقول ما خلق ... الآية . وقيل : لا تحتاج إلى إضمار " فيقولوا " لأن السياق يدلُّ على القول .

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ مصحوبة بالحكمة وبالتأجيل إلى أجل معلوم ، وهو النفخة الأولى .

﴿وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ﴾ حرثوها ، ومنه قوله : ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ [1]. ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ قريش كما عمرها من كان قبلهم ، وليس في أرض قريش موضع حرث إلا يسيرًا ؛ لأنها جبال وأودية . وقوله : ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ تهكم بهم وبحرثهم .

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تأنيث الأسوأ ، وهو الأفصح ؛ كما أن الحسنى تأنيث الأحسن ، والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالتكذيب فدمروا و﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ بمعنى : لأن كذبوا ؛ أي : دُمِّرُوا لأجل التكذيب ، ويجوز أن يكون " أن " بمعنى أي ؛ لأنه إذا كان تفسير الإساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول ؛ نحو : نادي وكتب وما أشبه ذلك . ويجوز أن يكون ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مصدر أساءوا ؛ أي : اقترفوا السيئات ، و﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ عطف بيان ، وخبر كان محذوف ؛ كما يحذف جواب ( لما ) و ( لو ) ؛ إرادة الإبهام .

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي : إلى دار جزائه . الإبلاس : أن تبقى ساكتا متحيرًا لا تهتدي إلى طريق الجواب بالحق ، ومنه : الناقة المبلاس : التي لا ترغو . وقيل : يبلس - بفتح اللام - من : أبلسه ، إذا أسكته ، وكانوا في الآخرة مبلسين ، وتنكر الأصنام عبادتهم لها ، ومنه قوله تعالى : ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [2] فيبلس الكفار حينئذٍ . وقيل : كانوا في الدنيا مبلسين بشركهم والضمير في قوله :﴿ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ للمسلمين والكافرين

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٧١ ).

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٦٣ ).

معًا؛ بدليل السياق . وقيل : أراد بالتفرق : أن الأبرار في عليين ، والفجار أسفل السافلين . وعن قتادة : فرقة لا اجتماع بعدها[١] . ﴿فِي رَوْضَةٍ﴾ من رياض الجنة ، وتنكيرها للتعظيم . ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون ، يقال : حبره ، إذا سرَّه سرورا يظهر عليه أثره وتهلل له وجهه ، ثم اختلفت هذه الأقاويل لاختلاف وجوه المسرة . فقيل : يكرمون . وقيل : ينعمون . وقيل : التيجان على رؤوسهم . وعن وكيع : السماع في الجنة[٢] .

وفي الآثار: أن رجلاً سأل النبي ﷺ أن في الجنة سماع ؟ قال : " نعم ؛ إن في الجنة أجراساً (١٧٩/ ب ) من فضة ، فإذا أراد ولي الله السماع هبت ريح من تحت العرش فتصوت تلك الأجراس تصويتا لو سمعه أهل الدنيا لماتوا طرباً "[٣].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿مُحْضَرُونَ﴾ في العذاب لا يغيبون عنه ، وقلما يجيء لفظ المحضر في القرآن إلا لعقوبة ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[٤]. ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[٥]. لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل إلى الوعد ، وينجي من الوعيد فقال : ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ الآيات، قيل : المراد بالتسبيح : ظاهره ، وهو قوله : سبحان الله وسائر الأذكار . وقيل : الصلاة . وسئل ابن عباس : هل تجد في القرآن الصلوات الخمس ؟ فقال: نعم ؛ وتلا هذه الآية : ﴿تُمْسُونَ﴾ صلاة المغرب والعشاء و﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الصبح ، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر﴿ وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر[٦] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٨٥ ) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبري في التفسير ( ١٠ / ١٧٢ ).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٧١ ) بهذا السياق ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٨٦ ) نحو ذلك .

(٤) سورة الروم ، الآية ( ١٦ ).

(٥) سورة الصافات ، الآية ( ٥٧ ).

(٦) رواه الطبري في تفسيره ( ٣ / ١٠٣ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٤٨٨ ) ونسبه =

وقوله : ﴿وَعَشِيًّا﴾ متصل بقوله : ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ، وقوله : ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض بينهما ، ومعناه إن على المميزين من أهل السماوات والأرض أن يحمدوه . وروي عن الحسن أنه قال : هذه الآية مدنية ؛ لأنه كان يقول : إن الصلوات الخمس فرضت بالمدينة ، وكان الواجب في مكة في كل صلاة أن تصلى ركعتين . والقول الأكثر أن الخمس فرضت بمكة [١] .

وعن عائشة – رضي الله عنها – : " فرضت الصلاة ركعتين ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أقرت صلاة السفر ، وزيد في الحضر " [٢]. وعن رسول الله ﷺ : " من سرَّه أن يكال له بالقفيز الأوفى فليقل : ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أدرك ما فاته من يومه ، ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته من ليلته " [٣].

وقرئ ﴿حِينًا تُمْسُونَ وَحِينًا تُصْبِحُونَ﴾ [٤] والمعنى : تمسون فيه ، وتصبحون فيه ؛ كقوله: ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [٥]. بمعنى : فيه .

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

---

= لعبد الرزاق والفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه عن أبي رزين رضي الله عنه قال: جاء نافع بن الأزرق إلى ابن عباس رضي الله عنهما ... فذكره .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٧٢ ) بهذا السياق ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ( ١ / ٣٥٩ ) عن الحسن في باب أول فرض الصلاة بنحو ذلك .

(٢) رواه البخاري رقم ( ٣٥٠ ، ١٠٩٠ ) ، ومسلم رقم ( ٦٨٥ ) ، وأبو داود رقم ( ١١٩٨ ) ، وأحمد في المسند ( ٦ / ٢٧٢ ، ٢٧٤ ) ، والنسائي ( ١ / ٢٢٥ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٢٧٣٦ ) ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٧ ) ، ونسبه للثعلبي في تفسيره عن أنس ، وفي سنده بشر بن الحسين وهو ساقط .

(٤) قرأ بها عكرمة ، **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٦٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٧٣ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢١٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢١٦ ) مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٢٩٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٦٣ ).

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ٤٨ ).

أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الطائر من البيضة . ﴿ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ البيضة من الطائر وإحياء الأرض إخراج النبات فيها . وقيل : المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ أي : ومثل (١٨٠/أ) ذلك الإخراج تخرجون من القبور.

﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ خلق أصلكم ، وهو أبوكم آدم ، وإذا للمفاجأة : ثم فاجأكم وقت كونكم بشرًا تنتشرون في الأرض وتنبثُّون فيها . ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي : من جنسكم؛ لأن حواء خلقت من ضلع آدم ؛ وذلك لما يحصل عند اتحاد الجنس من الأنس والمحبة ، وعند اختلاف الجنس بخلاف ذلك .

وعن الحسن : المودة كناية عن الجماع ، والرحمة عن الولد[١] ؛ لقوله : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [٢] ثم ذكر قصة الولد له . يقال : سكن إليه واطمأنَّ إليه . وقيل : إنَّ المودة والرحمة بين الزوجين من جهة الله عز وجل ، وأن التباغض من الشيطان ؛ لكن نسبته إلى الله حقيقة ، وإلى الشيطان مجازٌ خلافًا للزمخشري[٣].

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

الألسنة : اللغات أو أجناس النطق وصفاته . ومن بدائع آياته سبحانه وتعالى أن جعل هذه الصفات مختلفة ؛ فلا تكاد تسمع شخصين يتكلمان فيشبه صوت أحدهما صوت

---

(١) ذكره بدر الدين العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري ( ١٠ / ١٣٩ ) ، وأبو جعفر النحاس في معاني القرآن ( ٥ / ٢٥٣ ) ، والزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٧٣ ) ، والشوكاني في فتح القدير (٤/ ٢١٩ ).

(٢) سورة مريم ، الآية ( ٢ ).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٧٣ ) : " وقيل : إن المودة والرحمة من قبل الله وإن الفرك من قبل الشيطان " .

الآخر، أو شكله ، وكذلك الصور وتخطيطها والألوان وتنويعها ؛ ولاختلاف ذلك وقع التعارف ؛ فإنك لو رأيت توأمين متشابهين لا يتميز عندك أحدهما عن الآخر إلا بجهد ؛ فعند ذلك تعرف نعمة الله تعالى في الاختلاف ، وفي ذلك آية بينة ؛ حيث ولدوا من أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدة ، وفرعوا من أصل فردٍ ، وهم على الكثرة التي لا يعلمها إلا الله مختلفون ومتفاوتون .﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ قرئ بفتح اللام وكسرها[1] . ويشهد للكسر قوله تعالى :﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[2].﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ بالنهار، إلا أنه فصل بين الفريقين الأولين بالفريقين الآخرين لأنهما زمانان والزمان الواقع فيه كالشيء الواحد ، ويجوز أن يراد : منامكم في الزمانين ، وابتغاؤكم فيهما ، والأول هو الظاهر ؛ لتكرره في القرآن . قوله : ﴿يُرِيكُمُ﴾ فيه وجهان : أحدهما : إضمار " أن " ، أي : ومن آياته أن يريكم . والثاني : إنزال الفعل منزلة المصدر ؛ كقولهم في المثل: تسمع بالمعيدي لا أن تراه[3]. وقال الشاعر [ من الوافر ] :

وقالوا ما تشاء ؟ فقلت ألهو إلى الإصباح آثر ذي أثير[4]

﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة أو من الإخلاف .﴿ وَطَمَعًا﴾ في الغيث . وقيل : خوفًا للمسافر ( ١٨٠/ب ) وطمعًا للحاضر ، وهما منصوبان على المفعول له . وحق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل ، والخوف والطمع ليسا كذلك ؟ وفيه وجهان : أحدهما : أن المفعولين فاعلان في المعنى ؛ لأنهم راؤون وطامعون ؛ فصار التقدير: لجعلكم رائين خوفًا وطمعًا. والثاني : أن يكون على تقدير حذف المضاف أي : إرادة خوف وإرادة طمع ؛

---

(١) قرأ عاصم في رواية حفص عنه ﴿ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ بالكسر وقرأ بقية القراء " للعالَمين " بالفتح . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٦٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٨٢ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٥٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٧٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٠٧ )، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢١٨ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٤ ) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ( ٤٣ ).

(٣) **ينظر المثل في** : جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ( ١ / ٢١٥ ) ، مجمع الأمثال للميداني ( ١ / ٨٦)، المستقصى من أمثال العرب للزمخشري ( ١ / ٣٧٠ ).

(٤) البيت لعروة بن الورد ، **ينظر في** : تذكرة النحاة لأبي حيان ( ص : ٥٣٦ ) ، الخصائص لابن جني (٢/٤٣٣) ، الدرر اللوامع (١/ ٧٥ ) ، ديوان عروة بن الورد ( ص : ٥٧ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٢ / ٩٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٧٤ ) ، لسان العرب ( سرر ) ، معجم البلدان ( ٣ /٢١٨).

فحذف وأقيم المضاف إليه مقامه ، ويجوز أن يكونا حالين ؛ أي : خائفين وطامعين ﴿أَن تَقُومَ﴾ تقديره : قيام السماء ، أي : بغير عمد .

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بقوله : كونا قائمتين . وقوله : ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بمنزلة قوله : ﴿يُرِيكُمُ﴾ في إيقاع الجملة موقع المفرد ؛ التقدير : ومن آياته أن تقوم السماء ثم تخرجون إذا دعاكم الملك: يا أهل القبور اخرجوا . والمراد سرعة وجود ذلك بلا توقف ؛ كما يجاب الداعي المطاع ، وعطف هذا بـ ( ثم ) دليل على عظمة هذا الخروج . وقوله : ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مكان المدعو لا الداعي ، هو متعلق بـ ﴿دَعَاكُمْ﴾ لا بقوله: ﴿دَعْوَةً﴾ . وفي المثل : إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل[1] . و﴿إِذَآ﴾ الأولى للشرط والثانية للمفاجأة . وقرئ ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بضم التاء وفتحها[2] .

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿قَٰنِتُونَ﴾ منقادون لوجود أفعاله فيهم . ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ عندكم ؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء كان أهون عليه من إنشائها .

الإعادة مؤنثة ، وعبر عنها بـ ﴿هُوَ﴾ ؛ لأن لها مصدرًا آخر مذكور ، وهو العود ، وقدم المعمول في قوله ﴿هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ [3] ؛ لأن المراد اختصاص الله تعالى بذلك ، وههنا المراد : الإخبار بأن ذلك على الله هيِّن .

قوله :﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني الوصف العظيم الذي ليس لأحد مثله . وعن مجاهد : المثل الأعلى قول : لا إله إلا الله .

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن

---

(١) **ينظر المثل في** : روح المعاني للألوسي ( ٢١ / ٣٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٧٦ ) .

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان " تَخْرُجُون " ، وقرأ الباقون " تُخْرَجون " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٦٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٢٠ ) .

(٣) سورة مريم ، الآية ( ٢١ ) .

نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

و﴿مَن﴾الأولى للابتداء ، والثانية للتبعيض ، والثالثة زائدة ، ومعنى الآية : هل ترضون أن مماليككم المساوين لكم في البشرية والعقل والتمييز أن يشاركوكم فيما وهبكم الله من الجاه والمال ، وتخافوهم كما تخافون من غيرهم ؛ كذلك كل من عبد من دون الله لا يساويكم أيها الأحرار الملاك ، ولا تخافونهم كخيفتكم من أمثالكم .﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أشركوا ؛ كقوله تعالى :﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [1]﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فإن العالم إذا ركب هواه ربما ردعه علمُه وكفَّه ، وأما الجاهل فإنه يخبط عشواء (١٨١/أ) لا يدري طريق الصواب . ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ فقوّم وجهك له من غير انحراف ولا ميل ، و﴿حَنِيفًا﴾ حال من المأمور أو من الدين .﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ الزموا فطرة الله ، أو: عليكم فطرة الله . والفطرة : الخلقة ، والمعنى : أنه خلقهم قابلين للتوحيد والاعتقادات الصحيحة ، لولا أن آباءهم لقَّنوهم الضلال ، حتى لو تُركوا لما اختاروا عليه دينًا آخر، ومن كفر منهم فبإغواء الشياطين، وفي الحديث الصحيح أيضًا : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه " [2].

ووحَّد الخطاب في قوله : ﴿فَأَقِمْ﴾ وجمعه في قوله :﴿مُنِيبِينَ﴾ لأن الخطاب للرسول ﷺ خطاب لأمته ؛ كقوله – عز وجل – : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [3]. ﴿ٱلدِّينُ﴾

---

(١) سورة لقمان ، الآية ( ١٣ ) .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم ( ١٣٥٨ ) ، ومسلم رقم ( ٢٦٥٨ ) ، وأبو داود رقم ( ٤٧١٤ ) ، والترمذي رقم ( ٢١٣٨ ) ، والنسائي ( ٤ / ٥٨ ) ، وابن حبان رقم ( ١٢٨ ، ١٢٩ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) سورة الطلاق ، الآية ( ١ ) .

بدل من المشركين .﴿ فَرَّقُواْدِينَهُمْ ﴾ تركوا دين الإسلام، وقرئ .﴿ فَرَّقُواْدِينَهُمْ ﴾ [(١)]. أي : جعلوه أديانا مختلفة . ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ فرقًا ، كل فرقة تشايع إمامها الذي أضلها .﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم فرح بمذهبه مسرور بباطله يحسبه حقًا ، ويجوز أن يقطع الكلام عند قوله : ﴿شِيَعًا ﴾ وتبتدئ من قوله : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾. الضر : الشدة ، والرحمة : الخلاص من الشدائد ، واللام في ﴿ لِيَكْفُرُواْ﴾ لام العاقبة﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ نظير قوله :﴿ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ﴾ [(٢)]﴿سُلْطَٰنًا﴾ أي : كتابًا .﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ ويخبر بحقائق الأمور ؛ كقوله : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ﴾ [(٣)]. يعني : فالقرآن شاهد بكذبهم و" ما " في قوله :﴿ بِمَا كَانُواْ﴾ مصدرية ؛ أي : بكونهم ، ويحتمل أن يكون قوله :﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ أي : ذا سلطان ، وهو ملك معه برهان بذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه يشركون .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً ﴾ أي نعمة من مطر أو سعة أو صحة . ﴿فَرِحُواْ بِهَا﴾ فرح أشر وبطر . ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ ﴾ هؤلاء أن الله هو القابض والباسط والرازق ، فما لهم لا يرجعون إليه ويتوبوا ! حق ذي القربى : صلة الرحم ، وحق المسكين وابن السبيل : نصيبهما من الصدقة المسماة لهما ، وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله بهذه الآية على وجوب نفقة سائر المحارم[(٤)]. ولما ذكر الله تعالى أفعال المتقين أتبعهم بذكر ما (١٨١/ب) يتقرب به إليه ، والنهي عن الربا

---

(١) قرأ حمزة والكسائي " فارقوا " وقرأ الباقون " فرقوا " . تنظر في : إتحاف فضلاء البشر للبنا (ص: ٣٤٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٧٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٢٢ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٣٠٤ ) ، النشر ( ٢ / ٢٦٦ ).

(٢) سورة فصلت ، الآية ( ٤٠ ).

(٣) سورة الجاثية ، الآية ( ٢٩ ).

(٤) ينظر : المبسوط للسرخسي ( ١٤ / ٥٦ , ٥٧ ) ، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد ( ٧ / ٣٨ ، ٣٩ ).

وكل ما يباعد من رحمته .

﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ ذاته، أو: رحمته وجانبه ، أو: يقصدون جهة التقرب إلى الله لا جهة أخرى [1]. ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ليزيد ويُنمّى .﴿ فَلَا يَرْبُواْ﴾ فلا يزداد عند الله .

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ذووا الإضعاف ، ونظير المضعِف : المقوي والموسر لذي القوة واليسار . وقيل : نزلت في ثقيف ، وكانوا يربون . وقيل : المراد : أن يهب الرجلُ الرجلَ ، أو يهدي إليه ليعوضه أكثر مما وهب أو أهدى .

وقوله : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفات حسن ، وهو أنه تعالى خاطب بقوله : ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم﴾ ثم عدل إلى أن أخبر ملائكته بفضل درجة هؤلاء المضعفين، أي : الكاملين في الإضعاف .

﴿ ٱللَّهُ﴾ مبتدأ ، وخبره :﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾. ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ الذين اتخذتموهم آلهة هَلْ ﴿مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ ثم نزه نفسه عن ذلك ؛ فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التقدير: عما يشركون به . قوله : ﴿مِن شُرَكَآئِكُم﴾ ﴿مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ من الأولى والثالثة زائدتان ، وجعل الزمخشري الثانية كذلك والظاهر أنها للتبعيض[2].

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بالجدب والقحط ، ووقوع الموتان في الناس[3] وقلة الريع

---

(١) هذه الآية من آيات الصفات التي سبق التعليق عليها غير مرة .

(٢) قال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٨٣ ) : ومن الأولى والثانية والثالثة ؛ كل واحدة منهن مستقلة بتأكيد ؛ لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم .

(٣) قال أهل اللغة : " الموتان بفتح الميم والواو هو الموات ؛ قال الأزهري في شرح ألفاظ المختصر : يقال للأرض التي ليس لها مالك ولا بها ماء ولا عمارة ولا ينتفع بها إلا أن يجري إليها ماء وتستنبط فيها عين أو تحفر فيها بئر: موات وميتة وموتان. بفتح الميم والواو وكل شيء من متاع الأرض لا روح فيه فهو=

من الزراعات وغير ذلك ، وقالوا: إذا انقطع عميت دواب البحر .

وعن عكرمة : العرب تسمي المدينة بحرًا[١] . وعن قتادة : كان ذلك قبل البعث ؛ فلما بعث رسول الله ﷺ رجع راجعون عن الضلال والظلم [٢] . ويجوز أن يراد ظهر الفساد بكثرة المعاصي . قوله :﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا ﴾ كقوله : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ [٣] .

لما ذكر فساد البر والبحر عقَّبه بأن الكفار يرون آثار المهلكين ولا يتعظون بهم .

قوله : ﴿ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ يجوز أن يرجع إلى قوله :﴿ أَن يَأْتِىَ ﴾ أي : يأتي من الله عقوبة ما فعلوا ، ويجوز أن يتعلق بـ ﴿ لَّا مَرَدَّ ﴾ أي : لا يرده أحد من الله ولا ينقذه منه .

﴿ يَصَّدَّعُونَ ﴾ يتفرقون . ﴿ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾ ووباله مخصوص به .﴿ فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ كما يمهد للصبي موضع نومه في توطئة . و﴿ لِيَجْزِىَ ﴾ متعلق بـ ﴿ يَمْهَدُونَ ﴾ ؛ تعليل له .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا

---

= موتان ، ويقال : فلان يتبع الموتان . فأما ما كان ذا روح فهو الحيوان ، وأرض ميتة : إذا يبست ويبس نباتها ، فإذا سقاها الماء صارت حية بما يخرج من نباتها ، ورجل موتان الفؤاد : إذا كان غير ذكي ولا فهم يعني بإسكان الواو ، ووقع في المال موتان وموات يعني بضم الميم فيهما وهو الموت الذريع ". ينظر : تهذيب الأسماء للنووي ( ٣ / ٣٢٢ – ٣٢٣ ).

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٤٩ ) ، والقرطبي في تفسيره ( ١٤ / ٤١ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٤٩ ).

(٣) سورة الشورى ، الآية ( ٣٠ ).

فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ من عطائه : ﴿يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ﴾ وهي الجنوب والشمال ( ١٨٢/أ ) والصبا، وهي رياح الرحمة ، وأما الدبور فريح العذاب ، أرسل الله تعالى رياح الرحمة لأمور منها: البشارة بالغيث ، وإذاقة الرحمة ، وحصول الخصب ، وجريان الفلك في البحر.

قوله : ﴿مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يجوز أن يتعلق بقوله : ﴿مُبَشِّرَٰتٖ﴾ لأن البشارة نوع من إذاقة الرحمة، وأن يتعلق بمحذوف ، التقدير: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ أرسلها .

قوله : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ رفع من شأن المؤمنين ، وأن الله تعالى ضمن لهم حصول النصر في العاقبة ، وتكرير ﴿مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ للدلالة على تعظيم ما منحهم به ، وهذا التكرير كقوله : ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَا﴾ [(١)].

﴿خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ يعني: أن أصل ما بني عليه أصل نشأتكم الضعف . وقيل : من ضعف النطفة ؛ كقوله : ﴿مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾ [(٢)]. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ القيامة ؛ سميت بذلك لأنها تقع في آخر ساعات الدنيا ، أو لأنها تقع سريعًا ؛ لقوله : ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗ﴾ [(٣)]. وصارت الساعة علمًا للبعث ؛ كالنجم للثريا . ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ أي : في القبور ، أو في الدنيا ، أو ما بين النفختين . ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ في اللوح المحفوظ ، أو في علم الله وقضائه ﴿يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ يستعرضون ، وحقيقته : أعتبته ، أزلت عتبه .

---

(١) سورة الحشر ، الآية ( ١٧ ).

(٢) سورة السجدة ، الآية ( ٨ ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ١٨٧ ).

قوله : ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ أي : ما هم ممن قُبِل عذرهم وإعتابهم . ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل قصة غريبة الشأن كالمثل السائر . ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بنصرتك وإعلاء دينك حق لابد من حصوله .﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [1]﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾ ولا يحملنك على الخفة والقلق﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ بالآخرة .

* * *

(١) سورة الزمر ، الآية ( ٢٠ ) .

## سورة لقمان عليه السلام [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة ، أو وصف بصفة الله عز وجل على الإسناد المجازي ، ويجوز أن يكون الحكيم قائله ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فانقلب المضمر المتصل منفصلا .

﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ نصب على الحال ، والعامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة . وقرئ بالرفع [1] على أنه خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الذين يعملون الحسنات الآتي ذكرها من إقامة ( ١٨٢/ ب ) الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والإيقان بالآخرة . وحكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي ؟ فلم يزد على إنشاد البيت وهو [ من المنسرح ] :

الألمعي الذي يريك من الأمر كأن قد رأى وقد سمعا [2]

والذين يعملون جميع الخصال الحسنة ، ثم خص منها هذه الثلاثة تشريفا لها على ما سواها . اللهو : كل باطل ألهى عن الخير ، وعما يعني .

---

(١) قرأ حمزة " ورحمة " بالرفع ، وقرأ الباقون بالنصب . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ١٨٣) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٨٤ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٦٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٨٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥١٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٢٩ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٦ ) .

(٢) البيت لأوس بن حجر ، **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٨٦ ) ، العين للخليل (٢/ ١٥٦) ، غريب الحديث لابن قتيبة ( ١ ، ٣١٢ ) ، غريب الحديث لابن الجوزي ( ٢ / ٣٣١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٨٩ ) ، لسان العرب ( لمع ) .
وفي الجميع : الألمعي الذي يظن بك الظن ........................

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝٦ ﴾

و﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ باطله ؛ نحو السمر بالأساطير والتحدث بالمضاحيك وفضول الكلام وعلم الغناء والموسيقى[١]. وقيل : نزلت في النضر بن الحارث ، وكان يتجر إلى فارس ويشتري كتب الأعاجم فيحدث بها قريشا ويقول : أنا أحدثكم بهذه الأحاديث وهي أحسن مما جاء به محمد . وقيل : كان يشتري الجواري المغنيات ، وإذا أحس برجل يريد الدخول في الإسلام ذهب به إلى منزله ؛ فيطعمه ويسقيه ويسمعه غناء جاريته ، ويقول : هذا خير مما يدعوك إليه محمد ؛ تقاتل حتى تموت[٢]. ويجوز أن تكون الإضافة للبيان ؛ كقولك : علم نحو ، وثوب خز . ويجوز أن تكون للتبعيض ، أي: يتخذ من اللهو بعضه ، وهو لهو الحديث.

---

(١) قال ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٦٣ ) : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : عنى به كل ما كان من الحديث مُلهيًا عن سبيل الله ، مما نهى الله عن استماعه أو رسولُه ؛ لأن الله تعالى عم بقوله : ﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ ولم يخصص بعضا دون بعض ، فذلكَ على عمومه حتى يأتي ما يدل على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك " .

وقال ابن حزم في المحلى ( ٩ / ٥٥ ) : " ولو أن امرأ اشترى مصحفا ليضل به عن سبيل الله ويتخذه هزوا لكان كافرا فهذا هو الذي ذم الله تعالى ، وما ذم قط - عز وجل - من اشترى لهو الحديث ليلتهي به ويروح نفسه ، لا ليضل عن سبيل الله تعالى ، وكذلك من اشتغل عامدا عن الصلاة بقراءة القرآن أو بقراءة السنن أو بحديث يتحدث به أو ينظر في ماله ، أو بغناء أو بغير ذلك فهو فاسق عاص لله تعالى ، ومن لم يضيع شيئا من الفرائض اشتغالا بما ذكرنا فهو محسن " . ثم قال ابن حزم بعد كلام طويل وإيراده لكل ما ورد من الأحاديث والأقوال في الغناء ملخّصا رأيه فيه : " إن رسول الله - ﷺ - قال : " إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى " فمن نوى باستماع الغناء عونا على معصية الله تعالى؛ فهو فاسق ، كذلك كل شيء غير الغناء ، ومن نوى به ترويح نفسه؛ ليقوى بذلك على طاعة الله - عز وجل - وينشط نفسه بذلك على البر؛ فهو مطيع محسن، وفعله هذا من الحق ، ومن لم ينو طاعة ولا معصية فهو لغو معفو عنه؛ كخروج الإنسان إلى بستانه متنزها، وقعوده على باب داره متفرجا، وصباغة ثوبه ، ومد ساقه وقبضها ، وسائر أفعاله ".

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٠٤ ).

﴿يَشْتَرِي﴾ يجوز أن يكون حقيقة ؛ لأن النضر اشترى الجواري والكتب ، وأن يكون مجازًا ؛ كما في قوله :﴿اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ [(١)].

وعن قتادة : اشتراؤه هو استحبابه وإيثاره على ما سواه [(٢)].﴿ وَسَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام أو القرآن . من قرأ ﴿لِيُضِلَّ﴾ [(٣)] كان معناه من أضل فهو ضال بإضلاله . وقوله: ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنه بإيثاره الضلالة على الهدى من أجهل الناس .

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿ وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ لا يعبأ بها ولا يرفع بها رأسًا ؛ يشبه حاله في ذلك حال من لم يسمع وهو سامع ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ أي : ثقلا ، ولا وقر فيهما .﴿ كَأَنَّ ﴾ الثانية : حال من الأولى، والضمير في﴿ كَأَنَّ ﴾ ضمير الشأن .﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ مصدران مؤكدان ، الأول مؤكد لنفسه ، والثاني لغيره ؛ لأن قوله :﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾كالوعد . ﴿ الْعَزِيزُ﴾ الغالب .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ( ١٧٧ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٦١ ) ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٠٤ ) ونسبه لابن أبي حاتم .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو " ليَضِل " وقرأ الباقون " ليُضِل " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٨٤ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٦٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٨٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٣٠ ) مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٣١٢ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٩).

قوله عز وجل : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي : هو وحده خلق هذه المخلوقات العظيمة ، فكيف بآلهتكم ؟ ثم أضرب عن ذلك إلى تبكيتهم بتورطهم في ضلال لا يقدرون على التخلص منه . ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ ﴾ هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب . وقيل : كان من أولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام ( ١٨٣/أ ) وأخذ عنه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داود ، فلما بعث قطع الفتوى ؛ فقيل له في ذلك . فقال : ألا أكتفي إذا كفيت ؟! وأكثر الأقاويل أنه كان حكيما لا نبيًّا[1] . وقيل : كان أسود خياطًا . وقيل : كان نجارًا . وقيل : راعيًا . وقيل : كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة .

﴿غَنِيٌّ﴾ عن الشكر ﴿حَمِيدٌ ﴾ يحب أن يحمد .﴿ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ أي : حملته تهن وهنًا على وهن ؛ كقولك : رجع عودًا على بدء ، وهو منصوب على الحال . وقيل : ضعفًا متزايدًا ؛ لأن الحمل متى طالت مدته ازداد ثقله . ﴿فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ بالأدب والإحسان حسنا بخلق جميل ، وحلم وبرٍّ وصلة ، وما يقتضيه الكرم والمروءة .

﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ ﴾ هم المؤمنون ، ولما ذكر الله تعالى الوالدين وما لقيا من التعب في التربية بدأ بالأم ؛ لأنها تلقى من المشاق ما لا يلقاه الأب أولاً، ثم ذكرت وحدها بعد ذلك . فإن قلتَ : ما معنى توقيت الفصال بعامين ؟ قلتُ : الأغلب على حال الولد أنه حينئذ يقوى على الفطام . وعن أبي حنيفة رحمه الله : أن مدة الرضاع ثلاثون شهرا ؛ فإن أرضعت بعد ذلك لم يفد تحريمًا[2] .

---

(١) قال السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥١١ – ٥١٢ ) : " وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه قال : خير الله تعالى لقمان بين الحكمة والنبوة ، فاختار الحكمة على النبوة ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فأصبح ينطق بها ، فقيل له : كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟ فقال : لو أنه أرسل إلي بالنبوة عزمة لرجوت فيها الفوز منه ولكنت أرجو أن أقوم بها ، ولكنه خيرني فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي . وأخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه رضي الله تعالى عنه أنه سُئل: أكان لقمان عليه السلام نبيًّا ؟ قال: لا، لم يوح إليه، وكان رجلا صالحا . وأخرج ابن أبي حاتم عن ليث رضي الله تعالى عنه قال: كانت حكمة لقمان عليه السلام نبوة . وأخرج ابن جرير عن مجاهد رضي الله تعالى عنه قال: كان لقمان عليه السلام رجلا صالحا ولم يكن نبيًّا . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عكرمة رضي الله تعالى عنه قال : كان لقمان عليه السلام نبيا " .

(٢) **ينظر:** بداية المبتدي للمرغيناني ( ١ / ٦٦ ) , الدر المختار لابن عابدين ( ٣ / ٢١٠ ) ، لسان الحكام لإبراهيم بن أبي اليمن الحنفي ( ١ / ٣٢٣ ).

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾

قرئ ﴿ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ ﴾ بالنصب والرفع[١]. فمن نصب كان الضمير للحبة الواحدة ، ومن رفع فعلى اسم كان أو على أن كان تامة ، و﴿ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ ﴾ اسمها . ﴿فَتَكُن فِي﴾ أقصى المخلوقات وأخفاها .﴿يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ؛ إنه على كل شيء قدير . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ يتعلق علمه بكل معلوم وإن لطف ودق . وعن قتادة : ﴿لَطِيفٌ﴾ باستخراجها﴿خَبِيرٞ ﴾ بمستقرها ومستودعها[٢]. وإنما أنث المثقال لإضافته إلى الحبة ؛ كقوله [من الطويل ] : .......... كما شرقت صدر القناة من الدم [٣].

وروي أن ابن لقمان قال له : أرأيت الحبة تكون في مقل البحر ، أي: في مغاصه ، أيعلمها الله ؟ قال: إن الله يعلم أصغر الأشياء في أخفى الأمكنة ؛ لأن الحبة في الصخرة أخفى منها في الماء . وقيل : هي الصخرة التي تحت الأرض ، وهي سجين يكتب فيها أعمال الكفار. وقرئ﴿ فَتَكِن ﴾ [٤] بكسر الكاف من : وكن الطائر يكن : إذا استقر في وكنته ؛ قال امرؤ القيس [ من الطويل ] :

وقد أغتدي والطير في وكناتها ........................ [٥]

---

(١) قرأ نافع وأبو جعفر " مثقالُ " بالرفع ، وقرأ الباقون " مثقالَ " بالفتح .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ /١٨٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٨٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٦٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٨٨ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٥١٣) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٣٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٢٤ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٧٢ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور( ٦ / ٥٢٢) ونسبه لابن أبي حاتم .

(٣) هذا عجز بيت للأعشى ، وصدره : وتشرق بالقول الذي أذعته .........................
**ينظر في** : الأزهية في الحروف للهروي ( ص : ٢٣٨ ) ، الأشباه والنظائر للسيوطي ( ٥ / ٢٥٥ ) ، خزانة الأدب للبغدادي ( ٥ / ١٠٦ ) ، ديوان الأعشى ( ص : ١٧٣ ) ، الكتاب لسيبويه ( ١ / ٢٥ ) ، لسان العرب ( شرق ) ، والشاهد فيه : اكتساب المضاف " صدر " التأنيث من المضاف إليه " القناة " ولذلك أنث الفعل " شرقت " وذلك جائز إذا صح حذفه وكان بعضا أو كبعض .

(٤) قرأ بها عبد الكريم الجحدري . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٨٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٨٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٣٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ /٢١٣ ).

(٥) هذا صدر بيت ، وعجزه : .................... بمنجرد قيد الأوابد هيكل =

وهي مقره ليلا ، والأول أظهر ؛ أن المراد أي حبة كانت في أي صخرة كانت من السماوات والأرض .

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ ( ١٨٣/ ب ) مطلق في الأمر بكل صبر . وقيل : المراد واصبر على ما أصابك من إيذاء من نهيته عن المنكر .

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ مما عزمه الله من الأمور ، أي : قطع به ، ومنه قوله- عليه السلام- : " لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل "[١]. وقوله - عليه السلام - : " إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه "[٢]. وقوله : "عزمة من عزمات ربنا "[٣].

ومنه : عزمات الملوك ، وهو أن تقول للشخص : عزمت عليك لتفعلن وحقيقته أنه من تسمية المفعول بالمصدر ، أي : من معزومات الأمور ، ويجوز أن يكون مصدرًا بمعنى الفاعل؛ كقوله تعالى :﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [٤]. وصدق القتال ، وهذا تعظيم لما ذكر من هذه العبادات ، وأنها أمر مقطوع به لا محيد عنه . ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ ﴾ولا تصعر[٥] ؛ تقول : عالى

---

= ينظر في : خزانة الأدب ( ٣ / ١٥٦ ) ، ديوان امرئ القيس (ص : ١٩) ، شرح المفصل ( ٢ / ٦٦ ) .

(١) رواه أحمد ( ٦ / ٢٨٧ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٤٥٤ ) ، والترمذي رقم ( ٧٣٠ ) ، والنسائي (٤/١٩٧)، وابن ماجه رقم ( ١٧٠٠ ) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم ( ١٩٣٣ ) ، عن أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها . وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل رقم ( ٩١٤ ).

(٢) رواه أحمد ( ٢ / ١٠٨ ) ، وابن حبان رقم ( ٣٥٤ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى ( ٣ / ١٤٠ ) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما . وصححه الألباني في الإرواء رقم ( ٥٦٤ ) .

(٣) رواه أبو داود رقم ( ١٣٤٤ ) ، والنسائي رقم ( ٢٤٠١ ) ، وأحمد رقم ( ١٩١٦٥ ) وذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ( ٤ / ٨٨ )، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ( ٤٢٦٥ ).

(٤) سورة محمد ، الآية ( ٢١ ).

(٥) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم " ولا تصعر " بغير ألف ، وقرأ الباقون " ولا تصاعر " بألف .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٨٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٨٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥١٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٤٩٧ ).

البناء وأعلاه بمعنى ، والصعر والصيد : هو ميل العنق ، وأصله داء يصيب الإبل ، فتميل أعناقها ، والمعنى : أقبل على الناس بوجهك تواضعًا ، ولا تولهم شق وجهك كما يفعل المتكبرون .

﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أراد : ولا تمش تمرح مرحًا ، أي : أوقع المصدر موقع الحال يعني مارحًا ؛ كقولك : جاء زيد ركضًا ، أي : راكضًا ، ويجوز أن يريد المفعول من أجله ؛ أي : لا تمش في الأرض لأجل المرح ، ومنه قوله : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا﴾ [1] .

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ أي : ليكن مشيك متوسطًا بين الإسراع والوثوب ومشي المتماوتين. وقول عائشة في عمر : " كان إذا مشى أسرع "[2] تعني : سرعة مرتفعة عن مشي المتماوتين .

يقال : شيء نكر تنكره النفوس ، ومنه : ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾ أي : أحقها بالإنكار . والحمار مثل لمن يرفع صوته فوق الحاجة ، ولفظ الحمار مستنكر حتى عدوا من جملة الآداب ألا يذكر لفظ الحمار في مجلس فيه أكابر الناس ، ويكنون عنه بطويل الأذنين . ومنه لفظ الكلب لما ضرب به المثل في الكفار قال﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ [3] وقال في التمثيل بالحمار : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [4]. وقوله : ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [5].

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ( ٤٧ ).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ( ٣ / ٧٦ ) وقال : غريب . وفي النهاية لابن الأثير عن عائشة قالت: " كان عمر إذا مشى أسرع وإذا قال أسمع وإذا ضرب أوجع " .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ( ١٧٦ ).

(٤) سورة الجمعة ، الآية ( ٥ ).

(٥) سورة المدثر ، الآية ( ٥٠ ).

وتمثيل رافعي الأصوات بالحمير وأمرهم بخفض الصوت ، وتمثيل أصواتهم بالنهاق ، ونقل الكلام عن التشبيه إلى الاستعارة إنكار بليغ عليهم . وأفرد الصوت ؛ لأن المراد أن كل واحد من هذا الجنس ، وصوته منكر وليس المراد أن أصواتها إذا اجتمعت تشبه بشيء مجتمع .﴿ مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ من الشمس والقمر والنجوم والسحاب ( ١٨٤/ أ ) ﴿وغير ذلك وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ البحار والمعادن وما لا يخفى .

﴿وَأَسْبَغَ﴾ قرئ بالصاد [١] وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف ؛ تقول في سلخ : صلخ ، وفي سقر: صقر ، وفي سالغ : صالغ [٢]. فإن قلتَ : ما النعمة ؟

قلتُ : كل نفع قصد به الإحسان . والله تعالى خلق العالم كله نعمة ؛ لأنه إما حيوان وإما غير حيوان ، فأما الحيوان فالنعمة عليه بالإيجاد ، ونفخ الروح ، ولأنه لولا ذلك لما تهيأ منه الانتفاع بنعمة فهو نعمة ، وما ليس بحيوان نعمة على الحيوان وقد أكثر الناس في معنى الظاهرة والباطنة ؛ فقيل : الظاهرة : ما ترى العين ، والباطنة : ما تعلم بالاستدلال.

وقيل : الظاهرة : أعمال الجوارح ، والباطنة : أعمال القلوب . وعن الحسن : الظاهرة : الإسلام ، والباطنة : الستر[٣]. وعن الضحاك : حسن الصورة ، وامتداد القامة ، وتسوية الأعضاء ، والباطنة : المعرفة[٤]. روي أن موسى عليه السلام قال : " إلهي دلني على أخفى نعمة أنعمت بها على عبادك ، فقال : أخفى نعمتي عليهم النفس "[٥]. وروي: أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس[٦] .

---

(١) قرأ جمهور القراء " وأسبغ " بالسين ، وقرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة " وأصبغ " بالصاد .
**تنظر القراءات في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٤١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢١٤ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٣١٨ ) ، المحتسب لابن جني (١٦٨/٢).

(٢) يقال : سلغت الشاة والبقرة تسلغ سلوغا وهي سالغ : تم سمنها . وقال الأصمعي : هي بالصاد لا غير، وغنم سلغ كصلغ ، وسلغت البقرة والشاة تسلغ سلوغا إذا أسقطت السن التي خلف السديس فهي سالغ ، وصلغت فهي صالغ الأنثى بغير هاء وذلك في السنة السادسة . **ينظر** : لسان العرب (سلغ).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٢٥ ).

(٤) رواه الطبري ( ٢١ / ٧٨ ) ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٢٥ ).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٤٩٩ ).

(٦) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ( ٣ / ٧٧ ) وقال : غريب جدًا .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ (٢١) ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ (٢٢) ﴾

أتتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير ، أي : في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب . وقرأ علي بن أبي طالب﴿ وَمَن يُسَلِّمْ ﴾ [1] بالتشديد ، يقال : سلم أمره إلى الله وأسلمه ، وقد عداه ها هنا بـ " إلى" وعداه باللام في قوله:﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾ [2] لأن المراد عندما تعدى باللام أنه جعل وجهه أي: ذاته خالصة لله ، وأما تعديته بـ " إلى" فكقولك : سلمت المال إلى زيد . ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ من باب التمثيل . جعل من أراد الدخول في أمر فهيأ له سببا قويًا شبيهًا بالعروة المستوثق منها ، فمن استمسك به سلم .﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ كقوله :﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [3].

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٢٣) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٤) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٧) ﴾

﴿ نُمَتِّعُهُمْ ﴾ زمانًا قليلا بدنياهم﴿ ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ الغلظ حقيقة في الأجسام ، مجاز في المعاني .﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله .﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أن ذلك إلزام لهم على إقرارهم . ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ عن حمد الحامدين﴿ٱلْحَمِيدُ ﴾ الذي يجب حمده في السماوات والأرض .

---

(١) وقرأ بها أيضا السلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٩٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٤٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢١٥ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٣٢٩ ).

(٢) سورة آل عمران ، الآية ( ٣٠ ).

(٣) سورة هود ، الآية ( ١٢٣ ).

قرئ ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ بالنصب عطفا على اسم " إن " والرفع[1] عطفا على (١٨٤/ب) اسم " إن" ومعمولها . ﴿وَلَوْ﴾ ثبت أن الأشجار أقلام ، وثبت أن البحر ممدود بسبعة أبحر أو على الابتداء ، والواو واو الحال ، بمعنى : ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدودًا ، والمعنى : ولو أن الشجر أقلام ، والبحر ممدود بسبعة أبحر ، وكتب بهن كلام الله لما نفدت الكلمات . فإن قيل : كيف جاز أن يكون قوله ﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ﴾ حالاً ولا ضمير فيه يعود إلى صاحب الحال ؟ قلتُ : هو كقوله [ من الطويل ] :

وقد أغتدي والطير في وكناتها[2]

وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ، ويجوز أن يكون المعنى : وبحرها والضمير للأرض ؛ فإن قلتَ : لم أفرد قوله :﴿شَجَرَةٍ﴾ ولم يقل : من الشجر ؟

قلتُ : لأن المراد إذا استقريت شجرة بعد شجرة لم توجد إلا مبرية أقلاماً . فإن قلت : لم جمع الكلمات جمع قلة ، والمراد ها هنا الكثرة ؟ قلتُ : معناه : أن كلماته لا تفي بها كتبة ذلك ، فكيف بكلمة واحدة ؟!

وقيل : إن اليهود قالوا : أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء. فأجيبوا بقوله :﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية . وقيل : قال المشركون : إن هذا الذي يأتي به محمد كلام سينفد ، وأنه يتقوله فنزلت . وقيل : إن اليهود علَّموا المشركين أن يقولوا للمؤمنين : أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء[3].

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ

---

(١) قرأ أبو عمرو ويعقوب " والبحرَ " وقرأ الباقون " والبحرُ " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٩١ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٨٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٦٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٠ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥١٣ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٣٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٧ ) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١٤٤ ) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ٨٢ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٢٦ – ٥٢٧ ).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي : إلا كخلق نفس واحدة وبعثها ؛ لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن ، وهو يحاسب زيدًا في وقت محاسبته لعمرو ، ويبعث زيدًا في وقت بعثه لعمرو. ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ هو كقوله : ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [(١)]. وقيل : ما نقص من أحدهما زيد في الآخر. والأجل المسمى : يوم القيامة ؛ لأنه لا ينقطع جريهما إلى ضد ذلك . وقوله :﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ توقيت . وقوله : ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ انتهاء للغاية .

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي يوحى إليك من هذه الآيات بسبب بيان الله هو﴿ٱلْحَقُّ﴾ وأن إلها غيره باطل.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ عن أن يشرك به شيئا . قرئ﴿ٱلْفُلْكَ﴾ بضم اللام[(٢)] وكل فعل يجوز فيه فُعُل ؛ كما يجوز في كل فُعُل فعْل على مذهب التعويض ، وبنعمات الله - بسكون العين- ووزن فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون ، وٱلْبَحْرِ ﴿بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾ بإحسانه ورحمته . يكثر الموج ويتراكم فيصير كالظلل ، والظلة : كل ما أظلك من سحاب أو جبل أو غيرهما . ﴿فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ المقتصد : المتوسط في الإخلاص ، يعني: (١٨٥/أ ) أن ذلك الخوف حين كان في البحر لا يعود إلى الخائف . والمقتصد : قليل نادر . وقيل : مؤمن قد ثبت على ما عاهد الله عليه في البحر . والختر : أشد الغدر ، ومنه المثل : إنك لا تمد لنا شبرًا من غدر إلا مددنا لك باعًا من ختر[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ٥٤ ).

(٢) قال السمين الحلبي في الدر المصون ( ٥ / ٣٩١ ) قرأ بها موسى بن الزبير .

(٣) **ينظر المثل في** : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٠٣ ) ، لسان العرب ( ختر ) قال ابن منظور في اللسان : **الختر**: الغدر، ختر يختر فهو خاتر وختار للمبالغة . والختر : الفساد يكون ذلك في الغدر وغيره ، يقال : خترہ الشراب إذا فسد بنفسه وتركه مسترخيا ، والختر كالخدر ، وهو ما يأخذ عند شرب دواء أو سم حتى يضعف ويسكر .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾

﴿لَا يَجْزِي﴾ عنه ، لا يقضي عنه شيئًا ، ومنه قوله في جذعة ابن نيَّار: " تجزي عنك ولا تجزي عن أحد بعدك " [١]. والغرور : الشيطان . وقيل : الدنيا . وقيل : تمنيكم في المعصية المغفرة بغير توبة . وقيل : هو ذكرك لحسناتك ، ونسيانك لسيئاتك غرة . وقرئ بضم الغين[٢] وهو مصدر غر غرورا ؛ فإنه جعل الغرور غارًا . قوله :﴿ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ أكد نفي الإجزاء عن الوالد للولد ؛ لأن أكثر الصحابة أسلموا وآباؤهم على الكفر فأكد نفي الانتفاع بشفاعتهم في الآخرة . روي أن أعرابيًا سأل النبي ﷺ عن هذه الخمس ؛ فأنزل الله هذه الآية[٣]. وعن ابن عباس : " من ادعى معرفة هذه الخمس فقد كذب ، إياكم والكهانة؛ فإن الكهانة تدعو إلى الشرك ، والشرك أهله في النار " [٤].

وروي أن المنصور أهمه معرفة ما بقي من عمره ، وكان يدعو أن يعلم بذلك عقب كل صلاة ، فرأى في المنام كفًا خرجت من البحر بخمسة أصابع ، فسأل العلماء عن تعبيرها فقال قوم : خمس سنين . وقيل : خمسة أشهر . وقيل : غير ذلك ، حتى قال أبو حنيفة : إن

---

(١) رواه البخاري رقم ( ٥١٣٠ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٤١٩ ) ، الترمذي رقم ( ١٤٢٨ ) ، وابن ماجه رقم ( ٣١٤٥ ) ، وأحمد رقم ( ١٤٣٩٩ ) ، وابن نيار ، اسمه هانئ واسم جده عمرو بن عبيد ، من حلفاء الأنصار ، وشهد العقبة وبدرا والمشاهد وعاش حتى سنة ٤٢ وقيل : ٤٥ هـ . قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح البخاري .

(٢) قرأ بها سماك بن حرب وأبو حيوة وابن السميقع . وقراءة الجمهور " الغَرور " بفتح الغين . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٩٤ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ٨١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٢ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٤٥ )، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٧٢ ).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٣ / ٣٢٦ ) ونسبه لابن مردويه عن أبي أمامة وسلمة بن الأكوع . وروى أحمد في المسند ( ٢٢٠٤٦ ) نحوه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٠٥ ).

هذه الخمس استأثر الله بعلمها ؛ فليس لأحد سبيل إلى معرفتها[١].

وفي الحديث : " خمس لا يعلمهن إلا الله ، وتلا الآية " [٢].

وجعل العلم والدراية للنفس ؛ لما في الدراية من معنى الحيل .

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٠٥ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤٤٠٤ ) ، ومسلم رقم ( ١٠ – ١١ ) ، وهو جزء من حديث جبريل المشهور .

## سورة السجدة [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾

﴿الٓمٓ﴾ على أنها اسم للسورة مبتدأ ، و﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبره ، وإن جعلته تعديدا للحروف ارتفع ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بأنه خبر مبتدأ محذوف ، أو: هو مبتدأ خبره ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ والوجه أن يرتفع ﴿الٓمٓ﴾ بالابتداء ، وخبره :﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ و ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ جملة معترضة ، والضمير في﴿فِيهِ﴾ راجع إلى مضمون الجملة ، أي : في كونه مُنزلا من ربِّ العالمين . أثبت أولا أنه منزل من رب العالمين ، وأنه لا ريب فيه ولا شك ، ثم انتقل إلى تقريعهم على ما يعتقدونه من أنه مفترى .

فإن قلتَ : نفى أن يكون مرتابا فيه ، وأثبت ما هو أشد من ذلك ؛ أن يكون مفترى ؟

قلتُ : إنما نفى الريب لأن القرآن معجزة الرسول ﷺ وإذا ( ١٨٥/ ب ) انتفى الريب عن المعجزة صحَّ الإسلام ، ولا شيء أنفع من صحته ، وأما قوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ فهو إما قول متجاهل يعلم أن الأمر بخلاف ذلك ، أو معاند مكابر لا غيره يقوله ؛ فكان الأول أهم. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ﴾ ؛ كقوله : ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [1].

فإن قلتَ : فإذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة ؟ قلتُ : أما معرفة الله تعالى ووحدانيته وعلمه وقدرته فهو ثابت بأدلة العقل ، وأما ما سوى ذلك فلا .

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن يكون على ترجية النبي ﷺ ؛ كما كان قوله : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [2] على ترجية موسى وهارون . والثاني : أن يستعار الترجي للإرادة ؛ أي : إرادة أن تهتدوا ، وهو بعيد ؛ لأنه لو أراد أن يهتدوا لاهتدوا .

---

(١) سورة يس ، الآية ( ٦ ).

(٢) سورة طه ، الآية ( ٤٤ ).

قيل : إن " لا " في قوله :﴿ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ زائدة ، وليس كذلك ؛ فإنه لو قال : ما لكم من دونه من ولي وشفيع . انتفى مجموع الأمرين ، فإذا وجد الشفيع دون الولي أو بالعكس لم يناقض ذلك . أي : فبطل فكركم الصحيح فلا تتذكرون ، أي : من قدر على خلق الأعلى الأعظم وهو السماوات والأرض فهو على ما سواهما أقدر ؛﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ (١) .﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ﴾الآيات (٢).

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ﴾

﴿ٱلْأَمْرَ﴾ المأمور به من الطاعات ، ينزله مدبرًا من السماء إلى الأرض ، ثم لا يعمل به ولا يصعد إليه ذلك المأمور كما يرتضيه إلا في مدة متطاولة ؛ لقلة عمال الله المخلصين ، وقلة الأعمال الصاعدة ؛ لأنه لا يوصف بالصعود إلا الخالص ، دل عليه قوله على أثره : ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ أو يدبر أمر الدنيا كلها من السماء إلى الأرض لكل يوم من أيام الدنيا وهو ألف سنة ؛ كما قال : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ (٣). ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾أي: يصير إليه ، ويثبت عنده ، ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من أوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الأمر ، ويدخل تحت الوجود إلى أن تبلغ المدة آخرها ثم يدبر – أيضًا – ليوم آخر وهلمَّ جرًّا إلى أن تقوم الساعة . وقيل : ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض ثم يرجع إليه ما كان من قبول الوحي أو ردِّه مع جبريل ، وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة ؛ لأن المسافة في الصعود والنزول مقدار ألف سنة ؛ لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة ، وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل ( ١٨٦/أ ) عليه السلام؛ لأنه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد . وقيل : يدبر أمر الدنيا من السماء إلى الأرض إلى أن تقوم الساعة ، ثم يعرج إليه ذلك الأمر كله ليحكم فيه ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ وهو يوم القيامة ، وقال في موضع آخر﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٤). فعن ابن عباس: " هذه سنون لا أدري ما هي " (٥). وقيل : ﴿ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تقدير عروج الملائكة من العرش إلى الأرض وعكسه مسافة يقطعها الراكب الجد في خمسين ألف سنة ،

---

(١) سورة غافر ، الآية ( ٥٧ ).

(٢) سورة النازعات ، الآية ( ٢٧ ).

(٣) سورة الحج ، الآية ( ٤٧ ).

(٤) سورة المعارج ، الآية (٤ ).

(٥) رواه الطبري في التفسير ( ٢٩ / ٧٢ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٣٧ – ٥٣٨ ) =

من العرش إلى الأرض وعكسه مسافة يقطعها الراكب المجد في خمسين ألف سنة ، وقوله – ها هنا- : ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو لمدة العروج من سماء الدنيا إلى الأرض أو عكسه . وقيل : اختلاف القول في ذلك اليوم يوجب ظنونا مختلفة ؛ فبعض من اشتد عليه الهول يقدره بخمسين ألف سنة ، وبعض من كان أنقص عذابًا يقدره بألف سنة .

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ أي : حسنه ؛ لأنه ما من شيء خلقه إلا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة ، وجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن ؛ كقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [(١)] . وقيل : علم كيف يخلقه ؛ من قولهم : قيمة المرء ما يحسن وقرئ ﴿خَلْقَهُۥ﴾ [(٢)] على البدل من ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي : أحسن كل شيء وخلقه ؛ على الوصف لـ " شيء " . سميت الذرية نسلا ؛ لأنها تنسل من الإنسان ، أي : تخرج من صلبه ﴿مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ من مني مستقذر تكره أن تراه على ثوبك أو بدنك .

---

= لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف والحاكم وصححه عن عبد الله بن أبي مليكة – رضي الله تعالى عنه – قال: "دخلت على ابن عباس أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان –رضي الله تعالى عنه – قال فيروز : يا ابن عباس، قوله : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ فكأن ابن عباس – رضي الله تعالى عنهما – اتهمه فقال : ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ؟ فقال : إنما سألتك لتخبرني . فقال ابن عباس – رضي الله عنهما – : هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما، وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم . فضرب الدهر من ضرباته حتى جلست إلى ابن المسيب – رضي الله عنه – فسأله عنها إنسان فلم يخبر ، ولم يدر ، فقلت : ألا أخبرك بما أحضرت من ابن عباس ؟ قال : بلى فأخبرته ، فقال للسائل : هذا ابن عباس – رضي الله عنهما – أبى أن يقول فيها وهو أعلم مني " .

(١) سورة التين ، الآية (٤).

(٢) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف " خَلَقَه " وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " خَلْقَه " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ١٩٩ ) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٢٨٧ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٦٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥١٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٤١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٧ ) .

﴿سَوَّىٰهُ﴾ قومه ؛ كقوله :﴿ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [(١)]. ودل بإضافته الروح إلى ذاته الشريفة على أنه مخلوق عظيم لا يعلم قدره ؛ كقوله : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ...﴾ الآية [(٢)] . كأنه قال : ونفخ فيه من الشيء الذي اختص بمعرفته .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ (١٠) ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ (١١) وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٢) وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ (١٣) فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (١٤) ﴾

﴿ وَقَالُوٓاْ﴾ أضاف القول إلى جميعهم ، والقائل أُبيْ بن خلف ؛ رضاهم بقوله .

﴿ضَلَلۡنَا﴾ صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الأرض لا نتميز منه ؛ كما يضل الماء في اللبن ، أي : غبنا في الأرض بالدفن فيها ، وقرئ بكسر اللام ، وقرئ ﴿صَلَلۡنَا﴾ [(٣)] بالصاد المهملة ؛ أي : أنتنت أجسادنا تحت الأرض ، وانتصب الظرف في ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا﴾ بما دل عليه ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ﴾ وهو : نبعث ، أو : يجدد خلقنا.

﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ﴾ هو الوصول إلى العاقبة من تلقي ملك الموت وما بعده ، فلما ذكر كفرهم بالإنشاء أضرب عنه إلى ما هو أشد منه وهو كفرهم بالعاقبة لا بالإنشاء وحده ، ألا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع إلى (١٨٦/ ب) الله عز وجل .﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ هو من استيفاء الحق ، يقال : وفيت فلانًا حقه. إذا أعطيته له كاملا . ﴿ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ بقبض أرواحكم . وقيل : إن الأرض بين يدي ملك الموت يقبض منها ما يشاء .

---

(١) سورة التين ، الآية (٤).

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٨٥).

(٣) قرأ بكسر اللام يحيى بن يعمر وابن محيصن وأبو رجاء ، وقرأ " صللنا " بالصاد علي بن أبي طالب والحسن والأعمش وأبان بن سعيد ومعناه : أنتنا . **تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢٠٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٦ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٥٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٢٠ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٧٣ ) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٣١).

معه أعوان من الملائكة ؛ لقوله تعالى :﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [(١)]. وقيل : ملك الموت تعرفه الأرواح فتجيبه ، ثم يأمر أعوانه بقبضها .

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يحتمل أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون تمنيًا ، أي : وليتك تراهم . والثاني : أن تكون شرطية وجوابها محذوف ؛ تقديره : لرأيت أمرًا فظيعًا ، أو : لرأيت أسوأ حال ، ويجوز أن يخاطب غير معين ؛ كما تقول : فلان لئيم ؛ إن أكرمته أهانك ، وإن أحسنت إليه أساء إليك ، فلا تريد به مخاطبًا معينًا ، وكأنك قلت : إن أكرم وإن أحسن إليه ، والمعنى في قوله عز وجل ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ الترك والإهمال ، أي : لم تعملوا للقاء هذا اليوم .﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾ تركناكم ، أي : جازيناكم على نسيانكم ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [(٢)] وقيل : هو بمعنى الترك .﴿ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ العذاب المخلد بسبب أعمالكم القبيحة .

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا ﴾بادروا بوضع جباههم على الأرض ؛ مسارعة إلى الطاعة ، وشكرًا على ما رزقوا من الإسلام .

﴿وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وسبحوا الله تعالى حامدين غير مستكبرين كما يفعل المنافقون من إظهار الطاعة . ﴿ تَتَجَافَىٰ ﴾ترتفع وتتنحى عن المضاجع ، أي : عن الفرش ومواضع النوم ، وفي الحديث : " أن مناديا ينادي يوم القيامة يُسمع الخلائق كلهم : سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم . ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع. فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى في البأساء والضراء. فيقومون وهم قليل ، فيدخلون جميعًا إلى الجنة ، ثم يحاسب سائر الناس " [(٣)] .

وقيل : كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يُصلُّون من صلاة المغرب إلى صلاة

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ٦٥ ).

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ١٩٤ ).

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٣٨ ) للبيهقي في شعب الإيمان ، عن ربيعة الجرشي .

العشاء الآخرة ؛ فنزلت فيهم[١]. وقيل : هم الذين يصلون صلاة العشاء ولا ينامون عنها .

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه - عز وجل - يقول الله - تعالى- : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. اقرؤوا إن شئتم : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [٢]. وعن الحسن : أخفى القوم أعمالهم في الدنيا فادخر الله لهم ، فأخفى الله تعالى لهم ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت[٣]. وقرئ ﴿مَّآ أُخْفِىَ﴾ بسكون الياء ؛ على أنه فعل مضارع ، وبفتحها على البناء[٤] . وقرة العين: سكونها ؛ فلا تمتد لطلب ما ليس لها ، من قر بالمكان أي : استقر به . وقيل : من قرت العين : دمعت دمعًا باردًا ، وهو دمع السرور .

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

---

(١) رواه الطبري في التفسير ( ٢١ / ١٠٠ ) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٤٦ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٣٢٤٤ ، ٤٧٧٩ ) ، ومسلم رقم ( ٢٨٢٤ ) ، وأحمد في المسند ( ٢ / ٤٦٦ ) ، والترمذي رقم ( ٣١٩٧ ) ، وابن ماجه رقم ( ٤٣٢٨ ) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ١٠٦ ) عن الحسن بلفظ : " أخفوا عملا في الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم" .

(٤) قرأ حمزة ويعقوب " ما أخفيْ" وقرأ الباقون " أُخْفيَ " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢٠٢)، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٦٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٣٩٨ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥١٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٤٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٧ ) .

ودمعة الحزن حارة ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾ كلاهما على لفظ " من " ، وهو للإفراد ، و﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ حمل على المعنى في الجمع . ﴿ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ مذكورة في سورة النجم[1] تأوي إليها أرواح الشهداء . النزل : دار الضيافة . ﴿ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ من القتل والأسر يوم بدر ، وما امتحنوا به من القحط سبع سنين . وعن مجاهد : عذاب القبر و ﴿ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ عذاب الآخرة[2] . روي أنه وقع كلام بين علي والوليد بن عقبة بن أبي معيط ؛ فقال له الوليد : اسكت ؛ فإنك صبي ، وأنا أملأ منك حشوًا في الكتيبة ؛ فقال له علي رضي الله عنه : اسكت فإنك فاسق ؛ فنزلت : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا ﴾ الآيات[3] .

قوله : ﴿ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ﴾ أتى بـ " ثم " للاستبعاد ، والمعنى أن الإعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وإنارتها وهدايتها إلى سواء السبيل الفوز بالسعادة بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك : وجدت مثل هذه الفرصة ثم لم تنتهزها .

﴿ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ للجنس ، والضمير في ﴿ لِّقَآئِهِۦ ﴾ لموسى ؛ أي : من لقاء موسى التوراة ، ويجوز أن يكون من لقاء الله تعالى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [4] وقد ذكر . ﴿ يَفْصِلُ ﴾ يميز الحق من الباطل ، أو يحكم ، وأهل اليمن يسمون القاضي المفتصل . وربما سموه فصيلا ؛ فعيلا بمعنى فاعل .

﴿ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ يبين لهم كثرة إهلاكنا ، ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ في موضع المفعول ، ولا يكون فاعلاً؛ لا تقول : لقيني كم رجل . ﴿ ٱلْجُرُزِ ﴾ الأرض التي جرز نباتها ، أي : قطع بحصاد أو رعي أو بآفة سماوية . وقيل : الغليظة . ﴿ فَنُخْرِجُ بِهِۦ ﴾ أي : بالماء في كل من الزرع . ﴿ أَنْعَٰمُهُمْ ﴾ من عصفه و﴿ وَأَنفُسُهُمْ ﴾ من حبه .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٢٩) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ (٣٠) ﴾

---

(١) الآية ( ١٥ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ١١٠ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ١٠٧ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٥٣ ) لأبي الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني والواحدي وابن عدي وابن مردويه والخطيب وابن عساكر .

(٤) سورة يونس ، الآية ( ٩٤ ).

﴿ٱلْفَتْحُ﴾ النصر أو الفصل بالحكومة ؛ لقوله : ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ [١]. وكان المسلمون واثقين بما وعدهم الله تعالى به من النصر ويشيعونه بينهم ؛ فيقول الكفار: (١٨٧/ ب) ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ وهذا يدل على أنه يوم القيامة ، فإنه في يوم بدر لو آمن منهم أحد قُبِل . ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ قيل : نسخت بآية السيف . وقيل : الإعراض عن السفيه ليس بمنسوخ ؛ فهي محكمة[٢]. ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ أي : هم بصدد أن تلقاهم الملائكة يوم القيامة ، فيغلون أعناقهم بالسلاسل ﴿يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾[٣] أجارنا الله تعالى من عذابه ونقمته وأدرج خطايانا في سعة رحمته .

* * *

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ٨٩ ).

(٢) **ينظر** : جمال القراء وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي ( ١ / ٣٠٨ ).

(٣) سورة غافر ، الآية ( ٧١ – ٧٢ ).

## سورة الأحزاب [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ (٤)﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ أي : دُم على التقوى . ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يدعونك إليه . روي أنهم قالوا له : إن العرب لا تحتمل القهر فاعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة ؛ فنزلت [١] . كان رجل من العرب فصيح اللسان يقال له أبو عمرو ، وكان يقول : إن لي قلبين أعقل بكل منهما كما يعقل محمد ؛ فأنزل الله تعالى ذكره ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [٢] . ومثل ذلك بمثالين ؛ أن تكون المرأة أم الرجل وهي زوجته ، وجعل الدعي نسيبًا ؛ فكما لا يجتمع هذان الأمران لا يجتمع أن يكون للرجل قلبان . ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ وكل قول لا يعضده دليل يعبر الله تعالى عنه بأنه قول بالفم ، وإن كانت الأقوال كلها بالفم ، أي : لا يواطئ عليها القلب . وقوله : ﴿فِى جَوْفِهِۦ﴾ زيادة تصوير للأمر كأنك تشاهده ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [٣] . وقوله : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [٤] .

وقد اشتق لفظ الظهار من قوله : أنتِ عليَّ كظهر أمي . وكذلك تأفف الرجل إذا قال : أفٍّ . وإنما عدي " ظاهر " بـ " من " . وكان الظهار طلاقًا في الجاهلية تجتنب فيه المرأة المظاهر منها ؛ لأنه ضمن " تظاهر " معنى " تباعد " فعدي تعديته .

---

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول ( ص : ٣٦٤ رقم ٦٨٨ ).

(٢) رواه الطبري في التفسير ( ٢١ / ١١٨ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٦١ ) للفريابي وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ( ٣٨ ).

(٤) سورة الحج ، الآية ( ٤٦ ).

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ۝٥ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ۝٦ ﴾

وقيل: كانت العرب إذا رأوا من رجل جمالا وسيرة حسنة ضمه رجل منهم إلى نفسه وتبناه ، جعله ابنه وأعطاه ما يعطي أحدًا أولاده ، ثم نسخ ذلك بقصة زيد بن حارثة ، ونزل فيه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ ﴾ الآية[١].

﴿فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ﴾لهم أبًا فهم إخوانكم في الدين ، نَصِفُه بالأخوة ، ولا نَصِفُه بالبنوة .

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ﴾في موضع خفض ، عطفا بلفظة " لكن " على " ما " في قوله : ﴿فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم﴾ ويجوز أن ( ١٨٨/أ ) يكون محله الرفع على الابتداء ، والخبر محذوف تقديره : ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح . وقوله : ﴿فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم﴾ يريد به تسميته الدعي ابنًا قبل التحريم أو بعده على سبيل الإكرام للشخص ، ويجوز أن يراد العفو عن الخطأ به في مسألة الدعي وغيره . فإن قلتَ : ما حكم التبني ؟ قلتُ : إذا استلحق صبيًا في سن تحتمل أن يكون ولدًا له ثبت النسب والميراث ، وإن كان عبدًا عتق مع ثبوت النسب ، وإن كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ، ولكنه يعتق عند أبي حنيفة ، ولا يعتق عند صاحبيه . وأما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني ، وإن كان عبدًا عتق[٢].

قوله : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ تجب طاعته عليهم في المنشط والمكره ، وتقديم أوامره على مصالح أنفسهم ، حتى قال بعض أصحاب الشافعي : يجوز له – عليه السلام – أن يأخذ الماء من العطشان ، وإن لم يكن الرسول ﷺ مضطرًا ، ويجب أن يبذلوا نفوسهم له [٣].

---

(١) رواه الطبري في التفسير ( ٢١ / ١١٩ ).

(٢) **ينظر**: الهداية شرح البداية للمرغيناني ( ٢ / ٥١ ، ٥٢ ) ، البحر الرائق شرح كنز الدقائق لزين بن إبراهيم ( ٢ / ٢٥٠ ).

(٣) **ينظر**: روضة الطالبين للإمام النووي ( ٧ / ٨ ) ، وكذا مذهب الحنابلة ، **ينظر** : الإنصاف للمرداوي ( ٨ / ٤١ ، ٤٢ ) ، كشاف القناع للبهوتي ( ٥ / ٢٧ ).

ويجوز أن يكون المراد : النبي أولى بالمؤمنين بشفقته عليهم والسعي في مصالحهم ، وأرأف بهم وأرحم ؛ لقوله تعالى : ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)].

وعن النبي ﷺ أنه قال : " ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة ؛ اقرؤوا ما شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ " [(٢)]. وفي قراءة ابن مسعود : " النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم " [(٣)]. وقال مجاهد : كل نبي أبو أمته[(٤)] صار المؤمنون إخوة بذلك ؛ لأن النبي ﷺ أبوهم في الدين وأزواجه أمهاتهم . واعلم أن هذه النسبة لا تتفرع تفرع الأنساب ؛ فلا يقال معاوية خال المؤمنين ، وما أشبه ذلك من الأنساب، واختلفوا في نساء النبي ﷺ هل هن أمهات لنساء المؤمنين ؟ على وجهين . ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ في بعض الأحكام ؛ وهي تحريم نكاحهن بقوله تعالى : ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [(٥)]. واحترامهن ، وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الأجنبيات . وقول عائشة رضي الله عنها : " لسنا أمهات النساء "[(٦)] تريد به أن تحريم زوجات النبي ﷺ إنما يظهر في الرجال ؛ لأن المرأة بالنسبة إلى المرأة لا توصف بحل ولا حرمة . وقد تزوج عثمان ابنتي رسول الله ﷺ وتزوج علي فاطمة ، ولم يقل لأحد منهم إنه تزوج أخته من أبيه . وكان المسلمون في ابتداء الإسلام يتوارثون بالحلف والنصرة والهجرة ، ثم نسخ ذلك بقوله : ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ (١٨٨/ ب ).

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ عني : اللوح المحفوظ ، أو : فيما أوحى الله إلى نبيه وهو هذه الآية ، أو آية المواريث ، أو: فيما فرض ؛ كقوله : ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [(٧)]. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ يجوز أن يكون بيانًا لأولي الأرحام ، أي : الأقرباء من المؤمنين والمهاجرين ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية ( ١٢٨ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٢٣٩٩ ) ، ومسلم رقم ( ١٦١٩ ) ، والترمذي رقم ( ١٠٧٠ ) ، والنسائي (٤/ ٦٦) ، وابن ماجه رقم ( ٢٤١٥ ) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تقدم تخريجها في تفسير سورة هود ، الآية ( ٧٨ ) .

(٤) رواه سفيان الثوري في تفسيره ( ١ / ١٣١ ) ط . دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٣ م.

(٥) سورة الأحزاب ، الآية ( ٥٣ ).

(٦) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٢٣ ) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٦٧ ) ونسبه لابن سعد وابن المنذر والبيهقي في سننه عن عائشة: " أن امرأة قالت لها : يا أمي . فقالت : أنا أم رجالكم ، ولست أم نسائكم " .

(٧) سورة النساء ، الآية ( ٢٤ ).

أي : بعضهم أولى بأن يرث البعض من الأجانب ، ويجوز أن يكون لابتداء الغاية ، أي : أولى بالميراث ، أي : أولى من المؤمنين بحق الولاية في الدين ، ومن المهاجرين بحق الهجرة .

فإن قلتَ : مم استثنى قوله : ﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ﴾ ؟ قلت : من أعم العام في معنى النفع والإحسان ؛ كما تقول : القريب أولى من الأجنبي بالتركة إلا أن يوصى له ، والمراد بفعل المعروف الوصية ؛ لأنه " لا وصية للوارث "[1]. وعدي ﴿تَفۡعَلُوٓاْ﴾ بـ " إلى " لأنه في معنى تسدوا ، والمراد بالأولياء : المؤمنون والمهاجرون ، الولاية في الدين .

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الآيتين جميعًا ، وتفسير الكتاب ما مرَّ آنفًا ، والجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكره من الأحكام .

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ۝٧﴾

واذكر حين أخذنا من النبيين جميعًا ميثاقهم بتبليغ الرسالة والدعاء للدين القيم ﴿وَمِنكَ﴾ خصوصًا ﴿وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ وإنما فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة عن الأشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ، ووفوا به من جملة من أشهدهم على أنفسهم﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [2] بصدقهم في عهدهم وشهادتهم فتشهد لهم الأنبياء بأنهم صدقوا عهدهم ، وأنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه .

أو: ليسأل المصدقين للأنبياء عن تصديقهم ؛ لأن من قال لصادق: صَدَقْ . كان صادقًا في قوله، أو : ليسأل الأنبياء : ما الذي أجابتهم به أممهم ؟ وفائدة سؤال الرسل تبكيت أممهم المكذبين . وقدم رسول الله ﷺ وذكر بعده مشايخ الأنبياء ؛ أما نوح فلأنه الأب الأصغر، والخلق كلهم أولاده ، وأما إبراهيم ؛ فلأنه أبو هذه الأمة ؛ قال الله تعالى :﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [3]. وأما موسى وعيسى ؛ فلأنهما صاحبا الكتابين والشريعتين ؛ لأن هذا الذكر

---

(١) هذا جزء من حديث أبي أمامة في خطبة الوداع ، رواه أحمد في المسند ( ٥ / ٢٦٧ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٨٧٠ ) ، والترمذي رقم ( ٦٧٠ ) ، وابن ماجه رقم ( ٢٥٠٧ ) ، وحسنه الترمذي ، وصححه الشيخ الألباني في الإرواء رقم ( ١٦٣٥ ، ١٦٥٥ ).

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٧٢ ).

(٣) سورة الحج ، الآية ( ٧٨).

إنما هو للتشريف ، وقدم الأشرف فالأشرف . فإن قلت : فقد جرى تقديم نوح مع أنه ليس بأفضل من محمد ﷺ في قوله : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[١].

قلت : سياق تلك ( ١٨٩/ أ ) الآية مخالف لهذا السياق ؛ لأنهم اتبعوا الدين الحق ؛ لقوله تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ ثم قال :﴿ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[٢] فكأنه قال : شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوحًا في العهد القديم ، وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث ، وبعث عليه من توسطهما من الأنبياء والمشاهير. قوله : ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ ليس المراد منه أخذ ميثاقا آخر ؛ بل هوهو ، والتقدير: وأخذنا منهم بأخذ العهد ميثاقا غليظًا.

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

قوله : ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ معطوف على قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾، والتقدير : وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ، وأعتدنا للكافرين عذابًا أليما.﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ يوم الأحزاب وهو يوم الخندق .﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ وهم الأحزاب فأرسل الله عليهم ريح الصبا ؛ قال ﷺ : " نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور "[٣].﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة ، وكانوا ألفًا فبعث الله عليهم ريحًا باردة في ليلة شاتية ، فاشتد عليهم البرد ، وسفت عليهم الريح التراب في وجوههم ، وأمر الملائكة فاقتلعت الأوتاد ، وقطعت الأطناب[٤] وأطفأت النيران، وأكفأت القدور ، وماجت[٥] الخيل بعضها في بعض ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ،

---

(١) سورة الشورى ، الآية ( ١٣ ).

(٢) سورة الشورى ، الآية ( ١٣ ).

(٣) رواه البخاري رقم ( ١٠٣٥ ، ٣٢٠٥٠، ٣٣٤٣ ) ، ومسلم رقم ( ٩٠٠ ) ، وأحمد في المسند (١/ ٣٢٤)، وابن حبان رقم ( ٦٤٢١ ) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٤) **الأطناب** : ما يشد به البيت من الحبال بين الأرض والطرائق (ابن سيده). **الطنب**: حبل طويل يشد به البيت والسرادق بين الأرض والطرائق، وقيل: هو الوتد والجمع أطناب و طنبة . **ينظر** : لسان العرب (طنب).

(٥) **ماج** البحر يموج موجا و موجانا و مؤوجا و تموج اضطربت أمواجه و موج كل شيء و موجانه اضطرابه وماج الناس دخل بعضهم في بعض . **ينظر** : لسان العرب ( موج ).

وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم ، فقال طليحة بن خويلد : أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجا النجا[١] فانهزموا من غير قتال ، وانهزم الأحزاب ، وحين سمع رسول الله ﷺ بقدومهم وإقبالهم حفر الخندق ، وأشار عليه بذلك سلمان الفارسي ، ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب معسكرهم والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذراري والنساء ، فرفعوا الآطام[٢] واشتد الخوف ، وظن المؤمنون كل ظن ، ونجم[٣] النفاق من المنافقين ، حتى قال معتب بن قشير[٤] : كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ، وكانت قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من الأحابيش[٥] وهي كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان ، وخرجت غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد ، وقائدهم عيينة بن حصن (١٨٩/ب) وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير، ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا بالنبل والحجارة ، حتى أنزل الله النصر[٦].

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ

---

(١) **النجا** : السرعة في السير وقد نجا نجاء ممدود ، وهو ينجو في السرعة نجاء وهو ناج سريع و نجوت نجاء أي أسرعت وسبقت وقالوا: النجاء النجاء والنجا النجا فمدوا وقصروا . **ينظر** : لسان العرب ( نجا ).

(٢) **الأطم** : حصن مبني بحجارة وقيل: هو كل بيت مربع مسطح. وقيل: الأطم مثل الأجم يخفف ويثقل والجمع القليل آطام وآجام . **ينظر** : لسان العرب ( أطم ).

(٣) **نجم الشيء** : ظهر وطلع وبابه دخل يقال: نجم السن والقرن والنبت إذا طلعت . **ينظر** : لسان العرب (نجم ).

(٤) هو معتب بن قشير بن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنصاري الأوسي ، ذكر فيمن شهد العقبة . وقيل إنه كان منافقا ، وإنه الذي قال يوم أحد : ( لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ) وقيل : إنه تاب وقد ذكره بن إسحاق فيمن شهد بدرا . **تنظر ترجمته في** : الاستيعاب لابن عبد البر( ٣ / ١٤٢٩ ) ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ( ٦ / ١٧٥ ).

(٥) **الأحابيش** : أحياء انضموا إلى بني ليث في الحرب التي وقعت بينهم وبين قريش قبل الإسلام ؛ سموا بذلك لاسودادهم ، فلما سميت تلك الأحياء بالأحابيش من قبل تجمعها صار التحبيش في الكلام كالتجميع . وحبشي : جبل بأسفل مكة يقال منه سمي أحابيش قريش وذلك أن بني المصطلق وبني الهون بن خزيمة اجتمعوا عنده فحالفوا قريشا وتحالفوا بالله إنا ليد على غيرنا ما سجا ليل ووضح نهار وما أرسى حبشي مكانه فسموا أحابيش قريش باسم الجبل . **ينظر** : لسان العرب ( حبش ).

(٦) رواه الطبري في التفسير( ٢١ / ١٣٠ – ١٣١ ) ، ونسبه له الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٣ / ٩٩ ) وزاد نسبته لابن هشام في السيرة النبوية .

وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾

﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من أعلى الوادي من قبل نجد وهم غطفان ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ من أسفل الوادي قريش ؛ تحزبوا وقالوا : سنكون جملة واحدة ؛ حتى نستأصل محمدًا .

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ مالت عن مستوى نظرها حيرة . وقيل : عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلى عدوِّها من شدة الخوف . الحنجرة : رأس الغلصمة [1] وهي منتهى الحلقوم . وإذا زاد الهم أو الخوف أو البلاء ارتفع القلب إلى الحنجرة ، ويجوز أن يكون تمثيلا للهول ، وإن لم يبلغ الحناجر حقيقة . ﴿وَتَظُنُّونَ﴾ يشمل الظان المخلص والمشكك ، فيقول الظانون بالحق : الله يبتلي عباده بما يشاء ، ويقول الشاكون : لو تيقَّنا الحق لانتصرنا وما انهزمنا . والوعود التي سبقت من النبي ﷺ ما كانت إلا غرورا بالنصر .

﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ قرئت بإلحاق ألف في الوصل ؛ إجراءًا له مجرى الوقف[2] ؛ كقوله [ من الوافر ] :

أَقِلِّ اللَّوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا وقُولِي إنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا[3]

---

(١) **الغلصمة** : رأس الحلقوم ، وهو الموضع الناتيء في الحلق والجمع : الغلاصم . وقيل : الغلصمة : اللحم الذي بين الرأس والعنق . وقيل : متصل الحلقوم بالحلق . **ينظر** : لسان العرب ( غلصم ).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم وأبو جعفر " الظنونا " بإثبات الألف وصلا ووقفا . وقرأ أبو عمرو وحمزة ويعقوب " الظنون " بحذف الألف وصلا ووقفا ، وأثبتها وقفا وحذفها وصلا عاصم في رواية حفص عنه والكسائي وابن كثير وخلف .

**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٢١٧)، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٧٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٠٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥١٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٣ - ٢٥٤ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٧ ) .

(٣) البيت لجرير **ينظر في** : خزانة الأدب ( ١ / ٦٩ ) ، الخصائص لابن جني ( ٣ / ٦٩ ) ، الدرر اللوامع (٥/ ١٧٦ ) ، ديوان جرير ( ص : ٨١٣ ) ، شرح أبيات سيبويه ( ٢ / ٣٤٩ ) ، شرح الأشموني (١/ ٢١ ) ، همع الهوامع ( ٢ / ٨٠ ) .

والمعنى : أن الخوف أزعجهم أشد الإزعاج .

﴿طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ معتب بن قشير ، وأوس بن قبطي . وقيل : عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه ، و﴿يَثْرِبَ﴾ اسم المدينة . وقيل : أرض وقعت المدينة في ناحية منها ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ لا قرار لكم .﴿ فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى بيوتكم ؛ أمروهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ .

وقيل : المراد بـ " ارجعوا " أن يرجعوا إلى دينهم الأول ، ويسلموا محمدًا وإلا فليس هذا المكان مكان حرب﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾ أي : ليست بمحصنة ، والعدو متمكن منها وهم كاذبون ، بل كانت بيوتهم محصنة ؛ كذبهم الله وبين أن ليس قصدهم بذلك إلا الفرار.

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾المدينة . وقيل : بيوتهم ، تقول : دخلت على فلان داره ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ من جوانبها .﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ الرجوع إلى دينهم ، ومن قرأ﴿ لَأَتَوْهَا﴾ بالقصر، أي : لجاءوها ، ومن قرأ بالمد[1] فمعناه : لأعطوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ﴾أي بإعطاء كلمة الكفر . قيل : ما تلبثوا بها ؛ أي : بالمدينة ، فإذا خالفوا (١٩٠/أ) الأمر وأعطوا الكفر غضب الله عليهم فابتلوا وأخرجوا من ديارهم ؛ وذلك لمقتهم الإسلام وبغضهم لأهله ، وكان رسول الله ﷺ قد عاهد الأنصار ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم . وقيل : هم قوم اتفقت غيبتهم عن بدر ؛ فقالوا : فاتنا مغنم بدر وثوابها، والله لئن أشهدنا الله موقفا مع الرسول ﷺ لنبلغن الجهد في القتال ؛ فلما جاءت وقعة أحد انهزموا ، وعتبهم الله بقوله :﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟﴾ الآية ﴿مَسْـُٔولًا﴾ مطلوبا حتى يوفَّى به.﴿ لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ ﴾ مما لابد لكم من نزوله بكم ، وإن منعكم الفرار ومنعتم بالبقاء لم

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر " لأتوها " وقرأ الباقون " لآتوها " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢١٨ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٨٩ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٧٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٠٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٢٠ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٨ ).

يكن زمن تمتعكم إلا قليلا . وروي أن بعض بني مروان مر بحائط مائل فأسرع في الذهاب ؛ فقيل له : ﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال: ذلك القليل أطلب .

فإن قيل : كيف ذكر العصمة وإذا حصلت العصمة انتفى السوء ؟! قلت : حمل الثاني على الأول ؛ لما في العصمة من معنى المنع . وقيل : المراد : أن يعصمكم من السوء إن أردتم رحمة .

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ الذين كانوا يثبطون الناس عن القتال ، ويلقون في مسامع المسلمين : إن إخوانكم من الغزاة قتلوا ، فتعالوا نجتمع ونكن حزبا واحدًا .

و﴿هَلُمَّ﴾ بمعنى تعال ، وأهل الحجاز لا يثنونه ولا يجمعونه ؛ يقولون للرجل وللرجلين وللرجال : هلم وغيرهم يقول : هلمي وهلما وهلموا وهلممن .

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زمانا قليلا . ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في وقت الحرب بخلا بكم ، خشية أن يصيبكم مكروه . ﴿يَنظُرُونَ﴾ إليكم في تلك الحالة ؛ كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرة الموت وحذرًا وخورًا . ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ووقعت القسمة جاءوا يطلبون نصيبهم منها بألسنة حداد وقالوا : وفّروا قسمنا منها . قوله : ﴿أَشِحَّةً﴾ حال ، وإنما ذكر الإحباط في أعمال المنافقين مع أن أعمالهم محبطة من أصلها ؛ لدفع وهم من يظن أن المنافق لإظهار دين الإسلام قد يتخيل له نصيب من الأجر لما أظهر من إيمانه ؛ فقطع مطامعهم بذلك . فإن قيل : ما معنى قوله :﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ وكل شيء يسير عليه ؟ فجوابه أن الرجل الصالح (١٩٠/ ب ) حقيق ألا يناله مكروه ؛ فإن وقع ذلك فهو على مخالفة الدليل . وجاء في الحديث عن الله تعالى أنه قال : " ما ترددت في شيء ترددي في قبض روح

عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه " [(١)].

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ لم ينهزموا وقد انهزموا وانصرفوا عن الخندق راجعين إلى المدينة ؛ لما نزل بهم من الخوف الشديد . ﴿ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ ﴾ كرة ثانية يتمنوا ؛ لخوفهم مما مُنوا به ﴿ لَوْ أَنَّهُم ﴾ خارجون إلى البدو . ﴿ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ ﴾ من كل قادم منهم من جانب المدينة عن أخباركم وعما جرى عليكم . ﴿ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم ﴾ ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال :﴿ مَّا قَاتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ إلا بعلة رياء وسمعة .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ في ثباته مع انهزامكم حتى كسرت رباعيته ، وشج وجهه وقوله : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ فيه وجهان : أحدهما: أن الرسول نفسه أسوة ، أي : يقتدى به ؛ كما تقول : في البيضة عشرون منًا ؛ أي: هي في نفسها هذا المبلغ . والثاني : أن فيه خصلة حقها أن يتأسى بها.

قوله : ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ ﴾ بدل من قول : " لكم " بإعادة الجار ؛ كقوله :﴿ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ ﴾ [(٢)].﴿ يَرْجُوا ٱللَّهَ ﴾ قيل : يخافه . وقيل : يأمله . وقيل: الأمران ﴿ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَٰهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾

وكان رسول الله ﷺ قد قال لأصحابه : " يأتيكم الأحزاب لتسع أو عشر ، يعني : لتسع ليال أو عشر ، فلما جاءوا في العدد الذي ذكره رسول الله ﷺ ﴿ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [(٣)] ﴿ وَمَا زَادَهُمْ ﴾ رؤية ذلك ﴿ إِلَّآ إِيمَٰنًا ﴾ بالله ﴿ وَتَسْلِيمًا ﴾

---

(١) هذا جزء من الحديث القدسي المشهور الذي أوله : " من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ... " الحديث .

رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٦٥٠٢ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٣٤٧ ) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ٧٥ ) .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ( ٣ / ١٠٠ ) عن ابن عباس ، ولم يعلق عليه .

لقضائه . و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الخطب .

نذر جماعة من الصحابة أنهم إن حضروا مع رسول الله ﷺ أن يقاتلوا حتى يقتلوا منهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وغيرهم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ يعني : حمزة ومصعبًا . ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ يعني : عثمان وطلحة . وفي الحديث : "من أحب أن (١٩١/أ) ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة "[1]. وقضاء النحب : الموت فإنه إذا مات انقطع النذر ولم يبق وفاء بالشرط ؛ فعبر عن انقضاء حكم النذر بوفائه ، يقال : صدق وعده إذا صدق . وقولهم : صدقني أخوك وكذبني ، أي : قال لك الصدق والكذب ، وأما قولهم : صدقني سن بكره[2] ؛ فالمراد : صدقني في سن بكره [ بطرح الجار ][3] وإيصال الفعل ، فلا يخلو قوله : ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إما أن يكون مثل " صدقني في سن بكره " أو يجعل المعاهد عليه مصدرًا ؛ كقولك : صدقني الحديث ؛ كأنهم قالوا للمعاهد عليه : سنفي بك وهم وافون به ، فقد صدقوه ، فلو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبًا .﴿ وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهد ، وما غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة .

ولقد ثبت طلحة مع رسول الله ﷺ حتى شلت يده ؛ فقال ﷺ : " أوجب طلحة "[4] أي: وجبت له الجنة ، وفيه تعريض بمن بدل من أهل النفاق ، ومرض القلوب ، وجعل المنافقين كأنهم قصدوا عاقبة السوء ، وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم ؛ لأن كلا الفريقين مسوق إلى ما قضى له من ثواب أو عقاب .

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ

---

(١) رواه الترمذي رقم ( ٣٧٣٩ ) ، وابن ماجه رقم ( ١٢٥ ) ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ( ١٢٥ ) بمجموع طرقه .

(٢) هذا مثل يضرب للصادق في خبره ويقوله الإنسان على نفسه وإن كان ضارا له وأصله : أن رجلا ساوم رجلا في بكر ليشتريه فسأل صاحبه عن سنه ، فأخبره بالحق فقال المشتري : صدقني سن بكره .

**ينظر** : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ( ٢ / ٤١٣ ) .

(٣) زيادة من الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٣٢ ) وليست بالأصل وهي مناسبة للسياق .

(٤) رواه الترمذي في الجامع الصحيح ( ٤ / ٢٠١ ، ٥ / ٦٤٣ ) وقال : حسن صحيح غريب ، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة ( ٢ / ٦٢٨ ) عن الزبير بن العوام رضي الله عنه .

﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) ﴾

الباء في قوله : ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ مثلها في قوله :﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [(١)] ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ وهما حالان مترادفان ، أو متداخلان ، ويجوز أن تكون الثانية بيانا للأولى واستئنافا .﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ بالريح والملائكة ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ من حصونهم . والصيصية : ما تُحُصِّنَ به ، يقال لقرن الثور والظبي : صيصية ، ولمخلب الديك صيصية . روي أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبي ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا سلاحهم ، جاء جبريل على فرسه الحيزوم ، والغبار على وجه فرسه وعلى سرجها ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : من متابعة قريش ، فجعل رسول الله ﷺ يمسح الغبار عن وجه الفرس وسرجه ، فقال : يا رسول الله ، إن الملائكة لم تضع السلاح ، وإن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وإن الله (١٩١/ب ) داقُّهُم دقَّ البيض على الصفا وأنهم لك طعمة ، فأذّن في الناس أن من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء لقول رسول الله ﷺ ذلك" [(٢)] فحاصرهم رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : " تنزلون على حكمي ؟ فأبوا ، فقال : على حكم سعد بن معاذ ؟ فرضوا به ، فقال سعد بن معاذ : حكمت بقتل مقاتلتهم ، وسبي ذراريهم ونسائهم ؛ فكبر النبي ﷺ وقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة " أي : سبع سماوات، وخندق رسول الله ﷺ خندقًا وقدَّمهم فضرب أعناقهم وهم ثمانمائة إلى تسعمائة "[(٣)]. وقيل : كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير.

وقرئ﴿ الرُّعْبَ ﴾ بسكون العين وضمها[(٤)]. وروي أن رسول الله ﷺ جعل عقارهم

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ( ٢٠ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٤١١٩ ) ، ومسلم رقم ( ١٧٧٠ ).

(٣) رواه البخاري رقم ( ٤١٢٢ ) ، ومسلم رقم ( ١٧٦٩ ).

(٤) قرأ أبو عمرو وحمزة وخلف وعاصم ونافع وابن كثير : " الرعْب " ، وقرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب : " الرعُب " . **تنظر القراءات في** : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ص : ٣٥٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢١٦ ).

للمهاجرين دون الأنصار ؛ فقال الأنصار في ذلك ، فقال : أسلم في منازلكم . فقالوا : ألا تخمس كما خمست يوم بدر. فقال: إنما جُعِلت هذه طعمة لي دون الناس . فقالوا: رضينا بما صنع الله ورسوله[١].

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ قيل : فارس والروم[٢] . وقيل : مكة [٣]. وقيل : خيبر[٤] . وقيل : كل أرض لم تفتح إلى يوم القيامة[٥] ، ومن بدع التفاسير أنه أراد نساءهم[٦] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾

أراد نساء النبي ﷺ شيئًا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغاير، فغَمَّ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فنزلت ، فبدأ بعائشة وخيرها - وكانت أحبهن إليه - وقرأ عليها القرآن ، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ، فرئي الفرح في وجه رسول الله ﷺ ، ثم اختار جميعهن اختيارها ، فشكر الله لهن ذلك ؛ فأنزل : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾الآية[٧] . وحكم التخيير في الطلاق إذا قال لها : اختاري . فقالت : اخترت نفسي . أو قال : اختاري نفسك.

---

(١) رواه البخاري رقم ( ٢٩١٤ ) ، ومسلم رقم ( ١١٩٦ ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ١٥٥ ) عن الحسن .

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٩٢ ) لعبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٢١ / ١٥٥ ) عن يزيد بن رومان .

(٥) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٥٩٢ ) للفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة .

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٣٤ ) قال الطبري في تفسيره ( ٢١ / ١٥٥ ) : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم وأرضا لم يطئوها يومئذ ولم تكن مكة ولا خيبر ولا أرض فارس والروم ولا اليمن مما كان وطئوه يومئذ ثم وطئوا ذلك بعد وأورثهموه الله ، وذلك كله داخل في قوله : ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا﴾ لأنه - تعالى ذكره - لم يخصص من ذلك بعضا دون بعض" .

(٧) رواه البخاري رقم ( ٤٧٨٥ ) ، ومسلم رقم ( ١٤٧٥ ).

فقالت : اخترت. لابد من ذكر النفس في قول المخيِّر أو في قول المخيَّر أو المخيَّرة ، وقعت طلقة بائنة عند أبي حنيفة وأصحابه ، واعتبروا أن يكون ذلك في المجلس قبل القيام أو الاشتغال بما يدل على الإعراض ، واعتبر الشافعي اختيارها على الفور ، وهي عنده طلقة (١٩٢/أ) رجعية، وهو مذهب عمر وابن مسعود . وعن الحسن وقتادة والزهري : أمرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره . وإذا اختارت زوجها لم يقع شيء بإجماع فقهاء الأمصار[١].

وعن عائشة – رضي الله عنها– قالت : "خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه ، فلم يعدَّ ذلك طلاقا " وفي رواية : " أفكان طلاقا ؟ "[٢]. وعن علي – رضي الله عنه – : إن اختارت نفسها فهي طلقة واحدة بائنة ، وإن اختارت زوجها فطلقة واحدة رجعية . وفي رواية عنه : إن اختارت زوجها فليس بشيء[٣].

أصل " تعال " أن يقوله من في المكان المرتفع لمن في المكان المستفل ، ثم كثر حتى استوت في استعماله الأمكنة . ومعنى ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد الأمرين، ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن ؛ كما تقول : أقبل يخاصمني ، وأقبل يهددني .

﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أعطكن متعة الطلاق ، فإن قلتَ : ما حكم المتعة ؟ قلتُ : المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد فرض تستحقها واجبة عند أبي حنيفة وأصحابه ، وأما سائر المطلقات فمتعتهن مستحبة[٤]. وعن الزهري : هما متعتان إحداهما : يقضي بها السلطان؛ وهي من طلق قبل ما يفرض ويدخل بها . والثانية : حق على المتقين ، من طلق بعد ما يفرض ويدخل بها. وخاصمت امرأة إلى شريح في المتعة ، فقال: متعها إن كنت من المتقين ولم يجبره . وعن سعيد بن جبير: حق مفروض . وعن الحسن: لكل مطلقة متعة إلا المختلعة والملاعنة[٥]. والمتعة : درع وخمار وملحفة على حسب الطاقة والسعة والاقتدار ، إلا

---

(١) **ينظر** : بداية المبتدي للمرغيناني ( ١ / ٧٢ ) ، المبسوط للسرخسي ( ٦ / ١٠١ ) ، الأم للإمام الشافعي ( ٥ / ٢٥٥ ) ، المهذب للشيرازي ( ٢ / ٨٢ ).

(٢) رواه البخاري رقم ( ٥٢٦٢ ، ٥٢٦٣ ) ، ومسلم رقم ( ١٤٧٧ ).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٣٥ ).

(٤) **ينظر** : الاستذكار لابن عبد البر( ٦ / ١٢٢ ) ، إعانة الطالبين لأبي بكر البكري ( ٣ / ٣٥٦ ) ، بداية المجتهد لابن رشد ( ٢ / ٧٣ ).

(٥) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٣٥ ).

أن يكون نصف مهرها أقل من ذلك ؛ فيجب لها الأقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم عند أبي حنيفة ؛ لأن أقل المهر عنده عشرة ؛ فنصف المهر خمسة[(١)]. فإن قلتَ : ما وجه من قرأ : ﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ بالرفع [(٢)] ؟

قلتُ : وجهه الاستئناف. والسراح الجميل : طلاق السنة .

﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾

﴿مِنكُنَّ﴾ للتبيين لا للتبعيض .

﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ الظاهرة القبح ، وهي الكبيرة ، والمراد : كل ما اقترفن من الكبائر، وقيل : هو عصيانهن رسول الله ﷺ ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه . وقيل : الزنا. والله عاصم رسوله ﷺ من ذلك كما مرَّ في حديث الإفك ، وإنما ضوعف عذابهن ؛ لأن ما قبح من سائر النساء كان منهن أشد قبحًا (١٩٢/ب) لأن زيادة قبح المعصية يتبع زيادة الفضل والمرتبة ، وليس لأحد من النساء من الفضل مثل فضل نساء النبي ﷺ ولا على واحدة منهن من نعم الله ما عليهن، وأَجلُّها تزويجهن النبي ﷺ ، وذم العاصي العالم أشد من ذم الجاهل ؛ ولذلك فضل حد الأحرار [ على حد العبيد ] [(٣)]حتى إن أبا حنيفة وأصحابه لا يوجبون الرجم على الكافر[(٤)]. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ إعلام بأن

---

(١) **ينظر** : شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد السيواسي ( ٣ / ٣٢٧ ) ، فتاوى السعدي (١ / ٢٩٥).

(٢) قرأ جمهور القراء " أمتعْكن وأسرحْكن " بالجزم ، وقرأ حميد الخزاز " أمتعُكن وأسرحُكن " بالرفع على الاستئناف . **تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٢٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ٧٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤١٢ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٧٦ ) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٣٤ ) .

(٣) زيادة من الكشاف ( ٣ / ٥٣٦ ).

(٤) **ينظر** : أحكام القرآن للجصاص ( ٥ / ٩٨ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٧ / ٣٨ ) قال الجصاص : " واختلف الفقهاء في الذميين هل يحدان إذا زنيا؛ فقال أصحابنا والشافعي: يحدان ، إلا أنهما لا يرجمان عندنا ، وعند الشافعي يرجمان إذا كانا محصنين . وقال مالك : لا يحد الذميان إذا زنيا . قال أبو بكر : =

تزويجهن ليس بمغنٍ عنهن من الله شيئًا، بل هو سبب في زيادة الحد ، فكان ذلك داعيا إلى تشديد الأمر عليهن غير صارف عنه . والقنوت : الطاعة ، وإنما ضُعّف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله ﷺ بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وبوقرهن على عبادة الله عز وجل .

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا (٣٢) ﴾

﴿كَأَحَدٖ﴾ أصله : وحد ، وهو الواحد ، ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه . ومعنى قوله :﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي : ليست واحدة منكن كواحدة من النساء ، أي: لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء ، أي : إذا تقصيت أمة النساء جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تعادلكن في الفضل والسابقة ، ومثله قوله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ (١) يريد : بين جماعة واحدة منهم تسوية منهم بينهم في أنهم على الحق المبين .

﴿إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ إن أردتن التقوى ، وإن كنتن متقيات . ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ فلا تجئن

---

= وظاهر قوله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾ يوجب الحد على الذميين ، ويدل عليه حديث زيد بن خالد وأبي هريرة عن النبي ﷺ : " إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها " وقوله ﷺ : " أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم " ولم يفرق بين الذمي والمسلم ، وأيضا فإن النبي ﷺ رجم اليهوديين . فلا يخلو ذلك من أن يكون بحكم التوراة أو حكما مبتدأ من النبي ﷺ، فإن كان رجمهما بحكم التوراة؛ فقد صار شريعة للنبي ﷺ لأن ما كان من شرائع الأنبياء المتقدمين مبقى إلى وقت النبي ﷺ فهو شريعة لنبينا ﷺ ما لم ينسخ ، وإن كان رجمهما على أنه حكم مبتدأ من النبي ﷺ ؛ فهو ثابت إذ لم يرد ما يوجب نسخه . والصحيح عندنا أنه رجمهما على أنه شريعة مبتدأة من النبي ﷺ لا على تبقية حكم التوراة ، والدليل عليه أن حد الزانيين في أول الإسلام كان الحبس والأذى، المحصن وغير المحصن فيه سواء، فدل ذلك على أن الرجم الذي أوجبه الله في التوراة قد كان منسوخا فإن قيل : فإن النبي ﷺ رجم اليهوديين ، وأنت لا ترجمهما فقد خالفت الخبر الذي احتججت له في إثبات حد الزنا على الذميين. قيل له : استدلالنا من خبر رجم اليهوديين على ما ذكرنا صحيح؛ وذلك لأنه لما ثبت أنه رجمهما صح أنهما في حكم المسلمين في إيجاب الحدود عليهما، وإنما رجمهما النبي ﷺ لأنه لم يكن من شرط الرجم الإحصان ، فلما شرط الإحصان فيه وقال النبي ﷺ : " من أشرك بالله فليس بمحصن " صار حدهما الجلد " . انتهى من أحكام القرآن .

(١) سورة النساء ، الآية ( ١٥٢ ).

بقولكن خاضعًا ؛ أي : مثل كلام المريبات والمومسات[1].﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ﴾ أي : ريبة وفجور .﴿ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ بعيدًا من طمع المريب بجدة وخشونة من غير تخنيث أو قولا خشنا مع كونه خَنِثا .

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

وقرئ ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف[2] من وقر يقر وقارًا ومن قرَّ يقرُّ، حذفت الراء الأولى من رائي " اقررن " ونقلت حركتها إلى القاف ؛ كما قيل: ظلن.

و﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ هي القديمة التي يقال لها: الجاهلية الجهلاء . وهي الزمن الذي ولد فيه إبراهيم ، كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ وتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقيل : ما بين آدم ونوح . وقيل : ما بين إدريس ونوح . وقيل : زمن داود وسليمان ، والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم .

ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر ، والجاهلية الأخرى جاهلية الفسوق ، والمراد : لا تحدثن في الإسلام ( ١٩٣/أ ) جاهلية تشبهن فيها بجاهلية الكفر . وأمرهن أمرًا خاصًا بالصلاة والزكاة ، ثم جاء به عامًا في جميع الطاعات ؛ لأن هاتين الطاعتين - البدنية والمالية - هما أصل سائر الطاعات ، والصواب في قوله : جاء بالأمر عامًا لجميع الطاعات. أنه مطلق ولا عموم في المطلقات ، والصلاة والزكاة أصلان لسائر الطاعات؛ من اعتنى بهما اعتنى بسائر العبادات ، وإنما خاطبهن بالأمر وحدهن ؛ ليكون احترازهن عن الوقوع في

---

(١) **المومسات** : جمع المومسة وهي الفاجرة ، وتجمع على ميامس أيضا وموامس . وامرأة مومس ومومسة : فاجرة زانية تميل لمريدها ، وربما سميت إماء الخدمة مومسات ، والمومسات : الفواجر مجاهرة .
**ينظر** : لسان العرب ( ومس ) ، النهاية في غريب الأثر لابن الأثير ( ٣ / ٣٧٣ ).

(٢) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر " وقَرن " بالفتح ، وقرأ الباقون " وقِرن " بالكسر .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط ( ٧ / ٢٣٠ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٩٠ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٧٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤١٥ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٢١ - ٥٢٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٦٠ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٨ ).

المآثم أتمّ ، وليتصونن عنها . واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر؛ لأن عرض المقترف للمعاصي يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالأرجاس ، وأما الحسنات فالعرض منها نقي مصون ؛ كالثوب الطاهر. وفي هذه الاستعارة تنفير للعصاة من اقتراف الذنوب . و ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصب على النداء أو على المدح ، وفيه دليل على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته ، ثم ذكر أن بيوتهن مهابط الوحي ، وأمرهن ألا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع لأمرين : أحدهما : الإعجاز بفصاحته ، والثاني: تعليم علوم الشريعة .﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ علم ما يصلحكم في دينكم ، وأنزل عليكم كتابا يهديكم إلى سبيل الرشاد ، أو علم من يصلح لنبوته ممن لا يصلح ، واصطفى من اختاره لذلك .

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾

وروي أن نساء النبي ﷺ قلن : " يا رسول الله، ذكر الله الرجال في القرآن بخير، وما فينا خير نذكر به ؛ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ ونزل﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ [(١)]. وروي: أنه لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل قال نساء المسلمين كذلك ؛ فنزلت[(٢)]. والمسلم : الداخل في السلم بعد الحرب ؛ المنقاد الذي لا يعاند أو المفوض أمره إلى الله المتوكل عليه ، من أسلم وجهه إلى الله .

والمؤمن : المصدق بالله ورسوله ، وبما يجب أن يصدق به . والقانت : القائم بالطاعة الدائم عليها . والصادق : الذي يصدق في نيته وقوله وعمله . والصابر : الذي يصبر على

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ( ١٩٥) وذكر ذلك الزيلعي في تخريج الكشاف ( ٣ / ١٠٧ ) والمناوي في الفتح السماوي تخريج أحاديث البيضاوي ( ٣ / ٩٣٤ ) وقال : رواه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس نحوه .

(٢) روى الترمذي رقم ( ٣٢١١ ) عن أم عطية الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت : ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم ( ٢٥٦٥ ).

الطاعات وعن المعاصي وعند الشدائد . والخاشع : المتواضع لله بقلبه وجوارحه . وقيل : الذي إذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله . والمتصدق : الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل . وقيل : من تصدق (١٩٣/ ب ) في أسبوع بدرهم فهو من المتصدقين ، ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصائمين .

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه أو بلسانه أو بهما ، وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر . وقال رسول الله ﷺ : " من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته فصليا جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات "[(١)]. والمعنى : والحافظاته والذاكرته ، فحذف لأن السياق يدل عليه . فإن قلت : فأي فرق بين العطفين ؟ أعني: عطف الإناث على الذكور ، وعطف الزوجين على الزوجين ؟

قلت : الأول نحو قوله :﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا﴾ [(٢)]. في أنهما جنسان مختلفان ، فإذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسط العاطف بينهما ، وأما العاطف الثاني فهو من عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع ؛ فكان معناه : إن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾﴾

ولما خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها ؛ فلما نزلت رضيا ؛ فأنكحها رسول الله ﷺ وساق إليها مهرها ستين درهما وخمارًا وملحفة ودرعًا وإزارًا وخمسين مدًّا من طعام وثلاثين

---

(١) رواه أبو داود رقم ( ١٣٠٩ ، ١٤٥١ ) ، وابن ماجه رقم ( ١٣٣٥ ) ، وابن حبان رقم ( ٢٥٦٨ ) ، والحاكم في المستدرك ( ١ / ٣١٦ ) ، وصححه ابن حبان والحاكم . وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ( ٣٣٣ ).

(٢) سورة التحريم ، الآية (٥).

صاعًا من تمر[١]. وقيل : هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وهي ممن هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي ﷺ فقال : "قد قبلت". وزوَّجها زيد بن حارثة فسخطت وأخوها ، وقالت: ما أردت إلا رسول الله ﷺ فزوجني عبده[٢].

والمعنى : وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[٣] يعني : الاختيار ، وحقهم أن يجعلوا إرادتهم واختيارهم تبعًا لرأيه واختياره ، وجمع الضمير في قوله :﴿ أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ حملا على المعنى في جريان ذكر المؤمن والمؤمنة . والخبر﴿لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق هو زيد بن حارثة. ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ يعني: زينب بنت جحش وذلك أن رسول الله ﷺ كان قد تزوج خديجة وذكر لها أنه رأى في السوق غلامًا حسنًا يباع ، وهو زيد بن حارثة ، فاشترته خديجة بمالها، ووهبته للنبي ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ وتبناه وكان أبوه (١٩٤/أ) يطوف عليه البلاد حتى وجده عند عرب .

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٌ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ ... أَحَيٌّ فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَه الأَجَلْ

فَوَاللهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِل ... أَغالكَ بَعْدِي السَّهلَ أَمْ غالَك الجبل

فيا ليت شعري هَلْ إِلَى الدَّهرِ أَوْبة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لي أمل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه إذا غربها أفل

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزني عليه وما وجل

سأعمل نص العيش في الأرض جاهدًا ... ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل

حياتي أو تأتي عليَّ منيتي ... فكلُّ امرئ فانٍ وإن غرَّه أمل

---

(١) رواه الطبري ( ٢٢ / ١١ ).

(٢) رواه الطبري ( ٢٢ / ١٢ ) و ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٦١٠ ) ونسبه لابن أبي حاتم .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو " تكون " بالتاء ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي " يكون " بالياء . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤١٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٢٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٤٠ ).

فقام حارثة وهو أبو زيد فقال : يا نبي الله إني قد أنضيت[١] الرقاب في طلب هذا الغلام، ولو رأيتَ أمَّه وما صنعت بنفسها لأدركتك الرحمة؛ فمُنّ علينا بهذا الولد ؛ فأنت أهل للمعروف . فقال النبي ﷺ : هذا الغلام واقف ، فإن اختار أن يذهب معك سلمته إليك ، وإن اختارني فلا يسعني أن أقصي شخصًا يحب قربي ؛ فدعا رسول الله ﷺ زيدًا ، فقال له : أتختارني أم تختار أباك وأمك ؟ فقال : والله لا أختار عليك يا رسول الله أحدًا أبدًا. فأخذ رسول الله ﷺ بيد زيد ووقف على ملأ قريش وقال : اشهدوا أن هذا ابني يرثني وأرثه. ولم يزل يُدْعَى زيد بن محمد حتى أنزل الله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ الآية[٢] ، فحرم الله التبني . ثم إن زيدًا خطب زينب ، فأجيب فرأى رسول الله ﷺ أن يزوجه زينب ، فزوجه إياها ، فغضبت هي وأخوها وقالا : زوجنا عبده ، ما أردنا إلا هو ! وزوج رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه بابنة عمته زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها – وأمها أميمة بنت عبد المطلب – وأصدقها عشرة دنانير، وستين درهمًا، وخمارًا، ومِلْحَفَة، ودرْعًا، وخمسين مُدًّا من طعام، وعشرة أمداد من تمر، فمكثت عنده قريبًا من سنة أو فوقها، ثم وقع بينهما][٣] فجاء زيد إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، إني أريد طلاق زينب. فقال له النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله . أي : اتق الله ولا تفارق زوجك من غير ذنب، وكان الله قد أوحى إلى نبيه أن زينب ستصير زوجة له ، فعتب الله عليه حيث (١٩٤/ ب) يقول له : أمسك عليك زوجك. وهو يعلم أنها ستصير زوجته، ولا يتأتى ذلك مع أمره بإمساكها ، ولكن جعل الله هذه الواقعة سببًا لثبوت حكم شرعي وهو أن زوجة الابن المتبنى لا تكون بمنزلة زوجة ابن الصلب ؛ بل هي حلال للمتبني، وقد صرح بذلك في هذه السورة بقوله : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾. وقال في سورة النساء: ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ ﴾[٤] يحترز به من زوجة الابن الدعي. فإن قيل: هلاَّ ترك الأمر بالعتب على قوله : ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ وهلا عوتب على أمر يكثر فيه القالة إذا فعله؟ وهلاَّ

---

(١) أنضى فلان بعيره أي : هزله و تنضاه أيضا . و النضو : الدابة التي هزلتها الأسفار وأذهبت لحمها. ينظر : لسان العرب ( نضو ) .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ( ٣ / ٢٣٦ ) وفيه آخر بيت " فيأتي أو تأتي علي منيتي " ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٤٨ - ٣٤٩ ) لابن مردويه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ما بين المعكوفين من عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (٣/ ٤٦، ٤٧).

(٤) الآية ( ١٢٣ ).

صين مقام النبي ﷺ عن ذلك ؟ قلتُ: كم من شيء فيه هجنة لكن ليس فيه في الشرع ما يكره ، ومنه ما في هذه الآية ؛ فإن الله ألقى في قلب زيد بغض زينب حتى يقضي ما علمه من رجوعها إلى رسول الله ﷺ فعادت إليه بعقد صحيح موافق لقواعد الشرع .

وقيل في قوله : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ إنه محبته لزينب . وقيل : العلم بأنها ستصير زوجة له ، وإظهار هذا الأخير فيه هجنة ؛ وهو أن يقول لمن استشاره في أمر زوجته: طلقها ، فأنا أتزوجها لا سيما وقد اقترن بذلك جواز حل زوجة المتبنى ، وهي فائدة جليلة . وأيضًا فإن الصحابة كانوا إذا عرفوا من رجل صالح رغبة في الزوجية نزل له عن إحدى زوجتيه ، فزوجه بها ، وكذلك كان في أول الإسلام حتى ورد المنع من ذلك فإن قلتَ : الواو في قوله : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ما هي ؟ قلتُ : واو الحال ، أي : تقول لزيد : أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك إرادة ألا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بأن تخشى الله ، والله أحق أن تخشاه . إذا بلغ الرجل حاجته على يسر بغير عسر- قيل قد قضى وطره ، والمعنى: فلما فارق زيد زوجته ، وقد قضى منها حاجته وطلقها وانقضت العدة زوجناكها.﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ الذي يريد أن يفعله﴿ مَفْعُولًا ﴾ لا محالة . ﴿فَرَضَ اللَّهُ﴾ قسم وأوجب ؛ من قولك : فرض لفلان كذا .

﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ اسم موضوع للمصدر ؛ كقولهم: [ تربا وجندلا ] [١] أكده بقوله : ﴿ مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (١٩٥/أ) يعني: قد سن الله مثل ذلك في الأنبياء الماضيين، وقد كان لداود مائة زوجة وثلاثمائة سرية ، ولسليمان ثلاثمائة زوجة وألف سرية . ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾ مضوا . ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ قضاء مقضيًّا وحكما مبتوتا.

﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ تعريض بعد التصريح . في قوله : ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾. ﴿حَسِيبًا﴾ كافيا للمخلوق ، أو: محاسبا على الصغيرة والكبيرة فتجب خشيته .﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ وكل نبي فهو أبو أمته ؛ في معنى التعظيم والاحترام لا في معنى الميراث

---

(١) بياض بالأصل ، والمثبت من الكشاف ( ٣ / ٥٤٣ ).

ووجوب النفقة . ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الرجال الذين يصلحون للنبوة ، وقد قال رسول الله ﷺ في ابنه إبراهيم : " لو عاش لكان نبيًّا "[١] ولا يكون نبيًّا ؛ لقوله : ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.

فإن قلتَ : أولاده الذكور الذين ماتوا : الطاهر والطيب وإبراهيم عاشوا في حياته زمنًا، فهل كانوا أنبياء في ذلك الزمن ؟ قلتُ : خرجت نبوتهم بدليلين : أحدهما : قوله :﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ يريد البالغين ، فإن أولاد النبي ﷺ لم يبلغ أحد منهم مبلغ الرجال . والثاني: إضافتهم بقوله : ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ وهؤلاء لم يكونوا من رجال أحد غير النبي ﷺ .

فإن قيل : أما كان الحسن والحسين ابنين له ؟ قلتُ : بلى ، ولكن لم يكونا رجلين حينئذٍ، وهما - أيضًا - من رجاله لا من رجالهم ، وقرئ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ﴾ بالنصب عطفا على قوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ﴾ ، ﴿ وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وبالرفع على قوله : ولكن هو رسول الله [٢]. وقرئ﴿ وَخَاتَمَ﴾ بالفتح بمعنى الطابع ، وبالكسر[٣] بمعنى فاعل الطبع فإن قلتَ : فسينزل عيسى بعد النبي ﷺ . قلتُ : يبعث مقررًا لدين النبي ﷺ . وفي الحديث الصحيح : " كيف بكم إذا نزل عيسى ابن مريم وإمامكم منكم "[٤]

---

(١) رواه ابن ماجه رقم ( ١٥١١ ) قال البوصيري في مصباح الزجاجة ( ١ / ٤٩٣ ) : وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن عثمان . وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم ( ٢٢٠ ).

(٢) قرأ جمهور القراء " رسول " بالفتح ، وقرأ ابن أبي عبلة " رسول " بالرفع .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٣٦ ) ، الدر المصون للسمين ( ٥ / ٤١٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٨٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٦٤ ) ، المحتسب لابن جني (٢ / ١٨١).

(٣) قرأ جمهور القراء " وخاتم " بالكسر ، وقرأ عاصم وحده " وخاتم " بالفتح .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٣٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ١٩٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤١٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٢٢ ) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٢٨٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٦٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٨١ ).

(٤) رواه أحمد في المسند ( ٢ / ٢٧٢ ) عن أبي هريرة رضي الله عنه . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ( ٤٥٩١ ) قال المناوي في فيض القدير : " أي الخليفة من قريش على ما وجب واطرد، أو وإمامكم في الصلاة رجل منكم كما في صحيح مسلم " يقال له: صل بنا ، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء ؛ تكرمة لهذه الأمة " . وقال الطيبي : معنى الحديث : أي يؤمكم عيسى حال كونكم في دينكم وصحح المولى التفتازاني أنه يؤمهم ويقتدي به المهدي، لأنه أفضل، فإمامته أولى، وفي رواية بدل "إمامكم منك" و"يؤمكم منكم" ومعناه يحكم بشريعة الإسلام، وهذا استفهام عن حال من يكونون أحياء عند نزول عيسى كيف يكون سرورهم بلقاء هذا النبي الكريم وكيف يكون فخر هذه الأمة=

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢)﴾

﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أثنوا عليه بأنواع الثناء من تسبيح وتقديس وتحميد وتمجيد، وغير ذلك مما هو أهله، وأكثروا من ذلك. قال النبي ﷺ: " ذكر الله على فم كل مسلم "[(١)]. وعن قتادة: هو قول الرجل: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[(٢)]. وقوله: ﴿ٱذْكُرُوا۟﴾ و﴿وَسَبِّحُوهُ﴾ كلاهما موجه إلى قوله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وهذه كلمات يقولهن البر والفاجر والجنب والحائض، والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختصه بإعادة ذكره لتشريفه؛ كما في قوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[(٣)] لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يليق بجلاله (١٩٥/ ب) ويدل على تعظيم التسبيح ما هو دال على تنزُّهِ الباري عن جميع ما لا يليق بجلاله، ومثاله أن تصف عبدك باجتناب الفواحش وترك الخيانة، وتقدم هذا الوصف على صومه وصلاته.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)﴾

فإن قلتَ: ﴿ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ إن فسرته بالرحمة لم يحسن في حق الملائكة؟

---

= وعيسى روح الله يصلي وراء إمامهم، وذلك لا يلزم انفصال عيسى من الرسالة؛ لأن جميع الرسل بعثوا بالدعاء إلى التوحيد والأمر بالعبادة والعدل والنهي عما خالف ذلك من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار في المصالح من حيث أن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيه صلاح من خوطب به، فإذا نزل المتقدم في أيام المتأخر، نزل به على وقفه، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "لو كان موسى حيًا لما وسعه إلا اتباعي" تنبيهاً على أن اتباعه لا ينافي الإيمان به بل يوجبه.

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣ / ١١٥) وقال: غريب بهذا اللفظ، وروى البيهقي والدارقطني من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: "الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي. قال: اسم الله على فم كل مسلم". وقال الزيلعي (٣ / ١١٦) ورواه ابن عدي في الكامل وأعله بمروان بن سالم الغفاري، وكذلك ابن القطان في كتابه وقال: إنه ضعيف جدًا. وقال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٢٧٧٤): موضوع.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣ / ٥٤٥).

(٣) سورة البقرة، الآية (٩٨).

قلتُ : لما كانت الملائكة دعوتهم مستجابة ؛ فإذا سألوا الرحمة فكأنهم فعلوها ونظيره حياك الله ، أي : أحياك ، وحييتك بمعنى : دعوت لك بأن يحييك الله ، وكذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ بمعنى: سلوا الله له الرحمة .

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ فيه دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة ، وروي أنه لما نزل ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله ، ما خصك الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه : فنزلت[1].

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ وهو من إضافة المصدر إلى المفعول ، أي : تحيتهم الملائكة حين يلقونهم سلام . وقيل : هو سلام ملك الموت وأعوانه عند قبض الروح . وقيل : سلام الملائكة عند الخروج من القبور . وقيل : هو عند دخول الجنة ؛ لقوله : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [2]. والأجر الكريم : الجنة . ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا﴾ أي : شاهدًا على من بعث إليهم ، وعلى تصديقهم وتكذيبهم بمعنى أنه مقبول عند الله قولك عليهم ولهم . فإن قيل : الشاهد إنما يسمى شاهدًا عند تحمل الشهادة أو أدائها ، ووقت الإرسال ليس وقتًا للتحمُّل ولا للأداء ؟ قلتُ : تسميته شاهدًا حال مقدرة ؛ كقولك : جاءني زيد وعلى يده صقر صائدًا به غدًا . فإن قيل : قد فهم من إرساله أنه مأذون له في الدعوة فما فائدة قوله : ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ ؟ قلتُ : الإذن المراد به تيسير الأمر وتسهيله ، ومن ذلك قولهم في البخيل : إنه غير مأذون له في الإنفاق . أي : لا يتيسر عليه ذلك ولا يسهل .

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ جلا الله به ظلمات الشرك ، ونوَّر به قلوب المؤمنين . وقيل : ذا سراج. أي: وصاحب سراج منير ، وهو القرآن ، ويجوز أن يراد : وأعد له فضلا على سائر الأمم ، وذلك الفضل من جهة الله ؛ فإنه آتاهم ما فضلوا به .

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ ﴾

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٣٨٩ ) لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) سورة الرعد ، الآية ( ٢٣ ).

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ أي : دم على امتناعك من قبول رأيهم . ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ يحتمل إضافة المصدر للفاعل وللمفعول ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ مفوضا إليه الأمور .

النكاح : الوطء ، واستعمل في العقد ؛ لأنه سبب موصل إليه ؛ كما سمُّوا الخمر إثمًا ؛ لأنه موصل (١٩٦/أ) إلى الإثم ، وقال الراجز:

يا عارضًا يختال في أثوابه أسنمة الآبال في سحابه[١]

ولم يرد النكاح في كتاب الله تعالى إلا بمعنى العقد ؛ لأنه تصريح ، ومن آداب القرآن الكناية عن الوطء بالمسيس والدخول والغشيان والمباشرة والإتيان والقربان .

فإن قيل : قوله :﴿ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ...﴾ الآية ، وحكم الزوجة الكتابية حكم المسلمة ؛ فما وجه تخصيص المؤمنات بالذكر ؟ قلنا : فائدة ذكر المؤمنات الإشعار بأن حق المسلم أن يترفع عن نكاح الكافرة ، ولا يجتمع ولي الله وعدو الله تحت لحاف واحد ، والذي في سورة المائدة ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[٢] لبيان الجواز ، وهذه لبيان الأفضل . فإن قلت : ما فائدة " ثم " في قوله : ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾ ؟

قلتُ : ذكر ذلك دفعًا لوهم من يتوهم أن من طالت مدة فراقها من الزوج لا عدة عليها بخلاف من قصرت مدتها ، فإن قلتَ : ما حكم الخلوة ؟ قلتُ : الخلوة موجبة لجميع المهر عند أبي حنيفة وأصحابه والشافعي لا يرى ذلك[٣] .

﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾ تستوفون عددها ، وعند الشافعي لا عدة على من لم يدخل بها[٤] وقرئ ﴿تَعْتَدُونَهَا﴾[٥] بالتخفيف ، أي : تعتدون فيها ، كقوله [ من الطويل ] :

---

(١) ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٤١٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٦ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ١ / ٧١٤ ) ، الفائق في غريب الحديث للزمخشري ( ٢ / ٢٧٩ ) ، الكشاف له (٣/ ٥٤٨ ) ويروى الشطر الأول : أقبل في المستن من ربابه .................. في وصف غيث

(٢) الآية ( ٤ ) .

(٣) ينظر : البحر الرائق لزين بن إبراهيم ( ٣ / ١٦٦ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ٢٩٤ ) ، فتاوى السغدي ( ١ / ٣٠١ ) ، مغني المحتاج للخطيب الشربيني ( ٣ / ٢٢٥ ) ، المغني لابن قدامة ( ٦/ ٧٢٤) .

(٤) ينظر : مغني المحتاج للخطيب الشربيني ( ٣ / ٣٨٤ ) .

(٥) قرأ بها ابن كثير في رواية ابن أبي بزّة عنه ، وقراءة الجمهور " تعتدُّونها " بالتشديد .

تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٤٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٢٠ ) ، السبعة=

ويوما شهدناه سليما وعامرا ..................... [(١)]

المراد بالاعتداء مثله في قوله :﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [(٢)] والمتعة مر شرحها في أثناء السورة [(٣)]. ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ من غير ضرار ولا منع واجب .﴿ أُجُورَهُنَّ ﴾ مهورهن، وإيتاؤها : إما تسليمها عاجلاً ، أو ذكرها في العقد . فإن قلت : ما فائدة التقييد بقوله : ﴿مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ ؟ قلت : واللاتي هاجرن معك ، قد اختار الله له شرط الأفضل كغيرهما مما خُصَّ به ، فإن تسمية المهر في العقد أولى من تركها ، وسوق المهر إليها عاجلا خير من تركه وتأجيله ، وكان التعجيل عادة السلف ، ومما لا يعرف بينهم سواه ، وكذلك الجارية إذا حيزت من المغانم كانت أحل مما يُشترى من الأسواق وكذلك المرأة المهاجرة أفضل من التي لم تهاجر مع النبي ﷺ .

وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : " خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قالت : فلم أحل له ؛ لأني لم أهاجر "[(٤)].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ

---

= لابن مجاهد (ص : ٥٢٢ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٩٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٤١ ) قال ابن مجاهد: " وقال لي قنبل : كان ابن أبي بزة قد وهم في " تعتدونها " فكان يخففها فقال لي القواس : صِرْ إلى أبي الحسن فقل له : ما هذه القراءة التي قرأتها ، لا نعرفها ؟! فصرت إليه فقال : رجعت عنها . قال: وقد غلط أيضا في ثلاثة مواضع ؛ هذه أحدها ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾ [التكوير].

(١) هذا صدر بيت لرجل من بني عامر ، وعجزه : ............ قليل سوى الطعن النهال نوافله .

ينظر في : الدرر اللوامع ( ٣ / ٩٦ ) ، شرح المفصل ( ٢ / ٤٦ ) ، وبلا نسبة في : الأشباه والنظائر (٣٨/١ ) ، خزانة الأدب ( ٧ / ١٨١ ) ، مغني اللبيب ( ٢ / ٥٠٣ ) ، المقتضب للمبرد ( ٣ / ١٠٥ ).

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٣١ ).

(٣) في تفسير الآية ( ٢٨ ).

(٤) رواه الترمذي رقم ( ٣٢١٤ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٤٢٠ ) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٥٤/٧ ) ، وحسنه الترمذي ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٦٣٠ ).

عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾

قوله : ﴿وَٱمْرَأَةً﴾ أي : وأحللنا لك امرأة ﴿مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ قرئ بفتح " أن" ( ١٩٦/ ب ) وكسرها[1] فالكسر على الشرطية ، والفتح على أنه مصدر إن أراد هو، قيد في اعتبار الشرط الأول . وفي الكتاب العزيز مواضع أخر اعترض فيها بدخول الشرط على الشرط ؛ كقوله - تعالى - : ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [2] وعند إمام الحرمين[3] : إذا اجتمع الشرطان وقع المشروط . وعند صاحب المهذب[4] : إن قدم الشرط الأول على الثاني لم يقع شيء ، وإن قدم الثاني على الأول وقع . وقوله : ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ شرطٌ في حل الموهوبة أن يريد أن يستنكحها ، فلا تعمل الهبة إلا بعد تحقق شرطها وهو إرادة أن يستنكحها ، فإن قلتَ : لم عدل عن الخطاب في قوله : ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ إلى الغيبة في قوله:﴿ إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ ولم يقل : لك، ثم رجع إلى الخطاب ؟ قلتُ : للإيذان بأن ذلك من خواص النبي ﷺ وقد خُصَّ رسول الله ﷺ بمعنى الهبة . وقال الماوردي : اختلف العلماء فيما خص به رسول الله ﷺ على ثلاثة مذاهب : أحدها : أن الذي خص به انعقاد نكاحه بلفظ الهبة . والثاني: أن الخاصية أنه لا يجب المهر في هذا العقد . والثالث : إذا وقع مفوَّضًا لم يجب فيه المهر لا في العقد ولا في الدخول [5].﴿خَالِصَةً﴾ مصدر مؤكد على وزن الفاعلة ؟ كالعاقبة والعافية

---

(١) قرأ جمهور القراء " إن وهبت " بالكسر ، وقرأ أبي والحسن وعيسى بن عمر " أن " بالفتح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧/ ٢٤٢ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ٢٠٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٢١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٢٩٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٤٢ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٨٢ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٣٦٣ ).

(٢) سورة هود ، الآية ( ٣٤).

(٣) تقدمت ترجمته في سورة الأعراف ، الآية ( ١٠٦ ).

(٤) هو الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف بن عبد الله الشيرازي الفيروزآبادي منسوب إلى فيروزآباد بفتح الفاء ، وهي بليدة من بلاد فارس وهو الإمام المحقق المتقن المدقق ذو الفنون من العلوم ، الزاهد العابد الورع . وكان عامة المدرسين بالعراق والجبال تلاميذه وأصحابه وصنف في الأصول والفروع والخلاف والجدل . توفي ببغداد سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .
**ينظر** : تهذيب الأسماء للنووي ( ٢ / ٤٦٥ ).

(٥) **ينظر** : تفسير النكت والعيون للماوردي ( ٣ / ٣٣٣ ) ونسب هذه الأقوال لأنس بن مالك - رضي الله عنه - وقتادة وسعيد بن المسيب وللإمام الشافعي رحمهم الله تعالى .

والكاذبة والخائنة ؛ خالصًا بمعنى خلوصًا . ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ جملة معترضة ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴾ .

واعلم أن رسول الله ﷺ لما أمر بتخيير نسائه فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فشكر الله لهن ذلك وجازاهن بأن حرم على النبي ﷺ خلافهن وحرم عليه أن يستبدل بهن غيرهن ، فقال : ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ [1] ثم اختلف في أن هذا التحريم هل زال أو بقي ؟ فعن الشافعي رضي الله عنه : " ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له النسوة التي حرمن عليه " واحتج بقوله – تعالى- : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾الآية . وقال أبو حنيفة رحمه الله : كن محرمات عليه إلى حين وفاته ، واحتج ( ١٩٧/أ ) بأن ذلك كان مكافأة لهن على اختيارهن لله ورسوله والدار الآخرة[2].

﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١) لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا (٥٢) ﴾

قوله : ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ وذلك أنهن إذا رأين رسول الله ﷺ يعدل في القسمة مع أنه مباح له ألا يقسم علم من ذلك محبته لجميعهن ، وأنه لا يؤثر واحدة على أخرى فرفع النزاع والشقاق . و"من " في قوله :﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ مزيدة في النفي . وتحريم جميع الأزواج أن يبدل بهن غيرهن . وقيل في قوله :﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ هو كون الرجل ينزل عن زوجته لصديقه أو صاحبه ، ثم نسخ ذلك . وقيل : المراد بقوله :﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ هي أسماء بنت عميس [3].

---

(١) رواه أحمد غي المسند ( ٦ / ٤١ ، ٢٠١ ) ، والترمذي رقم ( ٣٢١٦ ) ، والنسائي ( ٦ / ٥٦ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٦٣٦٦ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٤٣٧ ) ، عن عائشة رضي الله عنها . وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم ( ١٥٦٨ ).

(٢) ينظر: الأم للشافعي ( ٥ / ١٤٠ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٦ / ١٢٨ ) ، تفسير القرطبي (٢٢٩/١٤ ).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٥٤ ).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا (٥٣) ﴾

﴿إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ وما بعدها في معنى الظرف ، أي: لا تدخلوا إلا في وقت الإذن ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ﴾ حال من ﴿لَا تَدۡخُلُواْ﴾ أي : إلا في معنى الإذن أو حال الإذن . وقيل : ﴿إِنَىٰهُ﴾ أكله ؛ لأن المراد : غير ناظرين الأكل ولا وقته . روي: أن رسول الله ﷺ أولم على زينب بتمر وسويق وشاة فلما استوى الطعام بعث يطلب الناس فكانوا يأتون أفواجا ، يذهب قوم ويأتي قوم ، ورسول الله ﷺ يقول : ادعوا الناس . فقال : يا رسول الله : لقد دعوت حتى لا أجد من أدعوه ، فقال رسول الله ﷺ : ارفعوا طعامكم ، وخرج وخرج معه الناس ، ثم رجع النبي ﷺ إلى بيته فوجد ثلاثة يتحدثون في منزله ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج فلما رآه النفر الثلاثة خارجًا استحيوا وخرجوا ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية[1].

﴿فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾ أي : من إخراجكم . ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ لا يمتنع من قوله وفعله ، وقرئ ﴿يَسۡتَحِي﴾ بياء واحدة[2].

الضمير في قوله : ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ﴾ عائد على نساء النبي ﷺ ولم يجر لهن ذكر ، لكن السياق يدل عليهن . روي: أن عمر كان حريصًا على الحجاب وكان يود أن ينزل فيه[3]. وروي: أن رسول الله ﷺ كان يأكل تمرًا مع جماعة ، فوقعت يد رجل منهم على يد عائشة

---

(١) رواه مسلم في صحيحه رقم ( ١٤٢٨ ) ، وأحمد في المسند ( ٣ / ١٦٣ ) ، والترمذي رقم ( ٣٢١٨ ) ، والنسائي ( ٦ / ١٣٦ ) ، والحاكم في المستدرك ( ٢ / ٤١٧ ) ، عن أنس رضي الله عنه .

(٢) قرأ جمهور القراء " يستحيي " بيائين ، وقرأ ابن كثير في رواية عنه " يستحي " بياء واحدة ، وهي لغة تميم . تنظر في : إتحاف فضلاء البشر للبنا ( ١ / ٣٨٢ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ١ / ١٢١ ) ، تفسير القرطبي ( ١ / ٢٤٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ١ / ١٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ٥٥ ) ، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص ١٢ ) ، معاني القرن للأخفش (١/ ٢١٤) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٠٢ ) ، ونسبه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس .

فكره ذلك رسول الله ﷺ فنزلت آية الحجاب[١].

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ ( ١٩٧/ ب ) أي: ولا يتأتى لكم إيذاء رسول الله ﷺ ولا نكاح أزواجه من بعده ، وفيه تطييب لقلب رسول الله ﷺ فإنه إذا قيل للإنسان: قاتل ومعك هذا العبد ، فإنك إذا مت لا يملكه أحد بعدك - طابت نفسه بالزوجة المحترمة المصونة إذا قيل له : إنها لا تستبدل بعدك كان أطيب لنفسه وأقر لعينه .

ولما نزلت ﴿فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ الآباء والأبناء أو نحن نمنع من أقاربنا ؟ فنزلت ﴿لا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ [٢] أي: لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من الآباء والأبناء ، وترك ذكر العم والخال ؛ لأن العم أب ؛ قال الله تعالى : ﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [٣] وإسحاق عم ، والخالة بمنزلة الأم في الحضانة ، وقوله : ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهَ﴾ انتقال من الغيبة إلى التكلم ، وفيه دليل على اهتمام واعتناء بهذه الإباحة .

﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٥٤) لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا (٥٥) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٥٦)﴾

قوله :﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ معناه : إن الله يأمركم ويأمر ملائكته أن تسألوا للنبي ﷺ الرحمة ، وتجب الصلاة على رسول الله ﷺ ؛ لقوله :﴿صَلُّوا﴾ وهو أمر ، والأمر يقتضي الوجوب واختلف في وقت الوجوب ؛ فقيل : تجب كلما ذكر ، وفي الحديث : " من ذكرت عنده ولم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله "[٤].

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٠٢ ) لابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ولابن أبي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٥٧ ) .

(٣) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٣ ) .

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه رقم ( ٤٠٩ ) ، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب رقم ( ٢٤٩٩ ) ونسبه لابن خزيمة وابن حبان . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ( ٧٥ ) وهو جزء من حديث أوله : " أتاني جبريل فقال : يا محمد ، من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين . فقلت : آمين . قال : يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله، =

ومنهم من قال : في كل مجلس مرة ، وإن تكرر ذكره ؛ كما قيل في آية السجدة ، وأنه متى أعاد قراءة الآية التي فيها سجدة سجد ثانيا ، وكذلك تشميت العاطس يتكرر بتكرر العطاس ، وكذلك في كل دعاء في أوله وآخره ، ومنهم من أوجبها في العمر مرة واحدة ، وكذلك في إظهار الشهادتين ، والأحسن وجوبها عند ذكره ؛ للأخبار . والصلاة بمعنى الرحمة ، والقياس أن تجوز الصلاة على كل مسلم ؛ لقوله : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[١]. وقوله ﷺ : " اللهم صل على آل أبي أوفى "[٢].

ولكن للعلماء تفصيل في ذلك ، وهو أن ذلك يجوز تبعًا ولا يجوز استقلالا ، وهو أن تقول : اللهم صل على آل محمد ، فلا يجوز ذلك ؛ لأن هذه الألفاظ صارت شعارًا مخصوصة بجهات ؛ فيقال : الله عز وجل ، ولا يقال : محمد عز وجل ، وإن كان محمد عزيزًا جليلا ، ولا يقال : عمر بن الخطاب صلى الله عليه ، ومعناه : رحمه الله ، ولو دعا له بالرحمة لم يمتنع ؛ ولأن إفراده للصلاة يوهم الرفض إذا صلى على علي وحده[٣] .

---

= قل: آمين. فقلت : آمين . قال : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله قل : آمين ، فقلت : آمين " .

(١) سورة التوبة ، الآية ( ١٠٣ ) .

(٢) رواه البخاري رقم ( ١٤٩٧ ) ، ومسلم رقم ( ١٠٧٨ ) ، وأبو داود رقم ( ١٥٩٠ ) ، والنسائي (٥/ ٣١) ، وابن ماجه رقم ( ١٧٩٦ ) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم ( ٢٣٤٥ ) عن عبد الله بن أبي أوفى .

(٣) قيل في سبب تسمية الشيعة بالرافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر . وقيل : لأنهم طالبوا زيد بن علي بالتبرؤ ممن خالف عليًا في إمامته فامتنع من ذلك فرفضوه فسموا الرافضة .

قال الإمام ابن الجوزي في كتابه " تلبيس إبليس " ( ١ / ٣١ ) : " انقسمت الرافضة اثني عشرة فرقة ؛ العلوية قالوا : إن الرسالة كانت إلى علي وإن جبريل أخطأ . والأمرية قالوا : إن عليًا شريك محمد في أمره . والشيعة قالوا : إن عليًا رضي الله عنه وصي رسول الله ﷺ ووليه من بعده وإن الأمة كفرت بمبايعة غيره . والإسحاقية قالوا : إن النبوة متصلة إلى يوم القيامة وكل من يعلم علم أهل البيت فهو نبي . والناووسية قالوا : إن عليًا أفضل الأمة فمن فضل غيره عليه فقد كفر . والإمامية قالوا : لا يمكن أن تكون الدنيا بغير إمام من ولد الحسين وإن الإمام يعلمه جبرائيل فإذا مات بدل مكانه مثله . واليزيدية قالوا : إن ولد الحسين كلهم أئمة في الصلوات فمتى وجد منهم أحد لم تجز الصلاة خلف غيره برهم وفاجرهم . والعباسية زعموا أن العباس كان أولى بالخلافة من غيره . والمتناسخة قالوا : إن الأرواح تتناسخ فمتى كان محسنا خرجت روحه فدخلت في خلق تسعد بعيشه ومن كان مسيئا دخلت روحه في خلق تشقى بعيشه . والرجعية زعموا أن عليًا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم . واللاعنية الذين يلعنون عثمان وطلحة والزبير ومعاوية وأبا موسى وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم .=

وفي الحديث : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم "(١).

---

= والمتربصة تشبهوا بزي النساك ونصبوا في كل عصر رجلا ينسبون الأمر إليه يزعمون أنه مهدي هذه الأمة فإذا مات نصبوا رجلا آخر" . ثم قال في ( ١ / ١١٩ ) : " وقد اعتقد جماعة من الرافضة أن أبا بكر وعمر كانا كافرين وقال بعضهم : ارتدا بعد موت رسول الله ﷺ . ومنهم من يقول بالتبرئ من غير علي .

ونقل عن ابن عقيل قوله : الظاهر أن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة وذلك أن الذي جاء به رسول الله ﷺ أمر غائب عنا ، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله فإذا قال قائل : إنهم أول ما بدأوا بعد موته بظلم أهل بيته في الخلافة وابنته في إرثها وما هذا إلا لسوء اعتقاد في المتوفَّى فإن الاعتقادات الصحيحة سيما في الأنبياء توجب حفظ قوانينهم بعدهم لا سيما في أهليهم وذريتهم، فإذا قالت الرافضة: إن القوم استحلوا هذا بعده. خابت آمالنا في الشرع ؛ لأنه ليس بيننا وبينه إلا النقل عنهم والثقة بهم ، فإذا كان هذا محصول ما حصل لهم بعد موته خبنا في المنقول وزالت ثقتنا فيما عوَّلنا عليه من اتباع ذوي العقول ولم نأمن أن يكون القوم لم يروا ما يوجب اتباعه فراعوه مدة الحياة وانقلبوا عن شريعته بعد الوفاة ولم يبق على دينه إلا الأقل من أهله، فطاحت الاعتقادات، وضعفت النفوس عن قبول الروايات في الأصل وهو المعجزات، فهذا من أعظم المحن على الشريعة .

ثم قال ابن الجوزي : " وغلو الرافضة في حب علي رضي الله عنه حملهم على أن وضعوا أحاديث كثيرة في فضائله أكثرها تشينه وتؤذيه . ومقابح الرافضة أكثر من أن تحصى وقد حرموا الصلاة لكونهم لا يغسلون أرجلهم في الوضوء والجماعة لطلبهم إماما معصوما وابتلوا بسب الصحابة " .

وقد وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم حيث قال ( ص : ٣٩١ ) : " إنهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا؛ فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد، حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه؛ فيعطلونها عن الجمعة والجماعات، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها" . كما قال في ( ص : ٤٣٩ ) : " الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صريح " .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين ( ١ / ١٦ ) : " وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوفيق، وأنها قرابة، وأنه جائز للإمام في حال التقية أن يقول: إنه ليس بإمام. وأبطلوا جميعا الاجتهاد في الأحكام، وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، وزعموا أن عليًّا رضوان الله عليه كان مصيبا في جميع أحواله، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين ، وأنكروا الخروج على أئمة الجور، وقالوا : ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته " .

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري ( ٣ / ١٣٦ ) وقال : غريب .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ ( ١٩٨/أ ) أي : يخالفن ما أمرا به ، ويعبر عن المخالفة بالإيذاء ، ويجوز أن يكون التقدير : يؤذون أولياء الله ورسوله ، ولو قال قائل : جعل الإيذاء لله مجاز ؛ لأنه لا يتصور أن يستطيعه أحد ، وجعله للرسول ﷺ حقيقة لإمكانه ، فجمع في اللفظ الواحد بين الحقيقة والمجاز وأنه لا يجوز.

وقيل : هو قول اليهود : يد الله مغلولة غلت أيديهم ، وقولهم ثالث ثلاثة ، وقولهم: الملائكة بنات الله ، والأصنام شركاؤهم . وقيل : قول الذين يلحدون في أسمائه وصفاته. وفي الحديث عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : " سبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك ، وآذاني ولم يكن له ذلك ؛ فأما شتمه إياي فقوله : إني اتخذت ولدًا. وأنا أحد صمد ، وأما أذاه لي فقوله : إن الله لن يعيدني كما بدأني "[١].

وقيل : قولهم في النبي ﷺ : كاهن وساحر ومجنون . وقيل : كسر رباعيته ، وشج جبينه يوم أحد . وقيل : طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حيي بن أخطب . و[ أطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين والمؤمنات ][٢] لأن إيذاء الله ورسوله لا يكون إلا غير حق أبدا، وأما إيذاء المؤمنين والمؤمنات فمنه ومنه .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

ومعنى ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ بغير جناية واستحقاق . وقيل : نزلت في ناس من المنافقين يؤذون عليًا رضي الله عنه ويسمعونه . وقيل : في الذين أفكوا على عائشة .

وقيل : في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات . وعن الفضيل : لا يحل لك أن تؤذي كلبا ولا خنزيرا بغير حق ، فكيف بالمؤمنين؟ [٣]. وكان ابن عون لا يكري حوانيته لأهل الذمة ؛ لما فيه من الروعة عند استحقاق الأجرة [٤].

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤١٣ ) ، ونسبه لابن أبي حاتم عن قتادة .

(٢) بدل ما بين المعقوفين في الأصل : وقيل : إيذاء الله : ورسوله المؤمنين والمؤمنات . والمثبت من الكشاف ( ٣ / ٥٥٩ ) وهو الأنسب للسياق .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٥٩ ) .

(٤) ينظر السابق .

الجلباب : ثوب فوق الخمار ودون الرداء ، تديره المرأة على رأسها ، ويبقى منه ما ترسله على صدرها . وعن ابن عباس : الرداء الذي يستر من أعلى البدن إلى أسفله ، وقيل : الملحفة وكل ما يؤتزر به من كساء وغيره ؛ قال أبو زبيد : [ من الوافر ] :

مجلببٌ من سواد الليل جلبابا[1]

ومعنى : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ﴾ يرخين ويغطين وجوهن وأعطافهن ، يقال إذا تقلص الإزار عن وجه المرأة : أدني ثوبك على وجهك ؛ وذلك أن النساء كن على عادتهن في الجاهلية مبتذلات ؛ تبرز المرأة في درع وخمار ولا فصل بين الحرة والأمة ، وكان الفتيان وأهل (١٩٨/ ب) الشطارة يتبعون النساء إذا خرجن بالليل ، وإذا قضين حوائجهن في النخيل والغيطان والخربات يتبعون الإماء ، وربما يتبعون الحرائر بعلة الأمة ؛ يقولون : حسبناها أمة؛ فأمر الحرائر أن يتميزن عن هيئة الإماء بما يعرفن به . ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾ أقرب وأجدر بأن يعرفن فلا يتعرضن لهن ولا يلقين ما يكرهن . فإن قلت : ما معنى " من " في قوله : ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾؟ قلنا : المراد أن تستر ببعض الجلباب ما يخرجها عند حد ملابس الإماء . وقيل: أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع ؛ حتى تتميز عن الأمة . وقال الكسائي : يتقنعن بملاحفهن مضمومة إليهن ، أراد بالانضمام معنى الإدناء[2]. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من التفريط قبل النهي .

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلة ثبات . وقيل : هم الزناة وأهل الفجور ؛ من قوله عز وجل : ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[3].

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ﴾ قوم كانوا يقولون عن سرايا رسول الله ﷺ أنهم قتلوا وأسروا ؛ فيكسرون بذلك قلوب المؤمنين ، يقال : أرجف بكذا إذا أخبر به من غير تحقيق ، والمعنى: لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم ، والفسقة عن فجورهم ، والمرجفون عما يقولون

---

(١) ينظر في : العين للخليل ( ٦ / ١٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٦٠ ) ، لسان العرب (جلب) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٦٠ ) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ( ٣٢ ) .

من أخبار السوء – لنأمرنك أن تفعل بهم ما يسوؤهم ، ثم نضطرهم إلى الخروج من المدينة؛ لأن بقاءهم فيها ضرر على أهلها.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إلا زمنا قليلا بقدر ما يتهيأ لهم التجهز والخروج .﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ نصب على الشتم أو الحال معًا ؛ كما مرَّ في قوله :﴿ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ولا يجوز أن يكون معمولاً لقوله : ﴿أُخِذُوٓاْ﴾ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها. وقيل : ﴿قَلِيلًا﴾ هو منصوب على الحال بمعنى : لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء .

وقوله :﴿ لَا يُجَاوِرُونَكَ ﴾ معطوف على قوله :﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لأنه يجوز أن يجاب به القسم . ألا ترى إلى صحة قوله : لئن لم ينتهوا لا يجاورونك ؟ فإن قلتَ : لو كانت الفاء مكان " ثم " لحصل مراد التعقيب والتسبيب ( ١٩٩/أ ) قلت : لم يجعل الثاني مسببًا عن الأول ، بل عطف عليه ، وليس التعقيب والتسبب ههنا مرادين وإنما عطف بـ " ثم " للتراخي المعنوي ، وقد سبق ذكره مرارًا ؛ لأن الجلاء عن الأوطان أعظم عليهم وأطم ؛ قال الله – تعالى :

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ (١) فاكتفى لهم بالجلاء عن القتل .

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ؛ أي : سنَّ الله ذلك سنة في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا

---

(١) سورة الحشر، الآية (٣) .

حيثما ثقفوا . وعن مقاتل : يعني كما قتل أهل بدر[1] . وكان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استهزاءً ، واليهود يسألونه امتحانًا ؛ لأن الله تعالى عمَّى ذكرها في الكتب المنزلة ؛ فلا أحد يطلع عليها ، ثم بين أنها قريبة الوقوع ؛ تهديدًا للمستعجلين ، وإسكاتًا للممتحنين . قوله : ﴿قَرِيبًا﴾ أي : شيئًا قريبًا أو زمانًا قريبًا ، أو يعبر عن أحوالها وهيآتها ، وطرحهم في النار منكوسين مقلوبين وخصت الوجوه بالذكر لأنها أكرم شيء على الإنسان ، ويجوز أن يكون الوجه عبارة عن الجملة .

﴿كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ﴾ قيل : نزلت في الذين تكلموا في تزويج رسول الله - ﷺ - بزينب بنت جحش [2]. ﴿ءَاذَوْا مُوسَىٰ﴾ ما رتبه قارون مع المومسة أنها تقذفه بنفسها. وقيل : اتهامهم إياه بقتل هارون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هارون هناك، فحملته الملائكة وطافت به عليهم حتى رأوه غير مقتول . وقيل : أحيا الله هارون فأخبرهم ببراءة موسى[3]. وقيل : قذفوه بعيب في جسده وأُدرة[4] فأطلعهم الله عز وجل على أنه بريء منه [5] ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ومنزلة عنده ؛ فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع عنه الأذى . وقوله: ﴿مِمَّا قَالُوا۟﴾ إما أن تكون " ما " مصدرية أو موصولة ، وأيهما كان فكيف تصح البراءة منه ؟ فنقول : المراد بالقول مؤداه ومضمونه هو الأمر المغيب ، ألا ترى أنهم سموا السببية بالقالة ، والقالة بمعنى القول .﴿ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي : يقصد فيه الحق والعدل؛ يقال : سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد ، والمعنى: راقبوا الله عز وجل في حفظ ألسنتكم ، وسداد قولكم ، فإذا فعلتم ذلك حصل لكم الفوز العظيم ، وهو صلاح الأعمال ، ومغفرة الذنوب ونهاهم عن التعريض للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ( ١٩٩/ب ) وعن إيذاء رسول الله ﷺ والمؤمنين ، ثم أمر بحفظ اللسان

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٦١ ) .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٣٤١ ) ونسبه للنقاش ، والزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٦٣ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٢ / ٥١ ) .

(٤) **الأدرة** : بالضم نفخة في الخصية يقال : رجل آدر بين الأدر – بفتح الهمزة والدال – الذي يصيبه فتق في إحدى الخصيتين . وقيل : الأدرة الخصية والخصية الأدراء : العظيمة من غير فتق . ولا يقال امرأة أدراء إما لأنه لم يسمع ، وإما أن يكون لاختلاف الخلقة . **ينظر** : لسان العرب ( أدر ) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٢ / ٥٢ ) .

وتحرير القول قبل أن يبلغ من الفم .

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ وهي التكاليف من الأمر والنهي ، وفيه وجهان : أحدهما : أن هذه الأجرام العظيمة ، وهي السماوات والأرض والجبال قد انقادت لأمر الله -عز وعلا- انقياد مثلها ، وهو مما يتأتى من الجمادات ، وأطاعت له الطاعة التي يراد من مثلها ؛ حيث لم تمتنع عن مشيئته وإرادته إيجادًا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة ؛ كما قال الله عز وجل: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[١] وأما الطاعة فإنها لازمة الوجود ، وعرضها على الجبال وإباؤها وإشفاقها مجاز، وإنما حمل على المجاز ؛ لاستحالة قبول هذه الأجرام لما تخاطب به وعدم فهمها له ، ولا يخاطب ما لا يعقل ، والمعنى بحمل الأمانة : أنه من استودع شيئًا فأبقاه في يده ، ولم يؤده إلى صاحبه يبقى حاملا لها محاسباً عليها ، ولو أداها سقط عنه حملها ولم يبق حاملا لها ، فالإنسان احتمل الأمانة ، ولم يقم بها فبقي حاملا لها ، ولو أداها لم يبق حاملا لها، ومن أمثالهم : تقلدها طوق الحمامة ، أي : بقيت في عنقه كما يبقى طوق الحمامة لا يفارقها. والثاني : حملها على ظاهرها وأنها حلت محل من لو خوطب بذلك لأجاب بهذا الجواب ؛ كما قال :

امْتلأ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي ... مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي[٢]

والقرآن قد نزل بلسان العرب وهذه أساليبهم . وأما قولهم : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ﴾ فهي لام العاقبة والصيرورة ؛ كقوله تعالى : ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[٣]. ولم يلتقطوه لذلك ؛ بل صارت العاقبة إليه ، والله أعلم .

---

(١) سورة فصلت ، الآية ( ١١ ) .

(٢) **ينظر البيت في** : التوقيف على مهمات التعريف للمناوي ( ص : ٥٩٤ ) ، الصحاح للجوهري ( قطن)، العين للخليل ( باب القاف مع الطاء ) ، لسان العرب ( قول ) .

(٣) سورة القصص ، الآية ( ٨ ) .

# تفسير سبأ [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾

﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كله من الله ، فيجب شكر ذلك علينا . تقول : الحمد لله الذي كساني زيد وحملني عمرو ، أي : لله الحمد على ذلك . ﴿يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من النبات والقطر ؛ لقوله : ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [1] ومن الكنوز والدفائن والأموات .

﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الشجر والنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من الأمطار والثلج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة وأنواع البركات . ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من الملائكة وأعمال العباد ، وهو مع ذلك المستمر الرحمة لعباده ، الغافر لمقصرهم (٢٠٠/ أ) عن شكر هذه النعم . قولهم : ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ إنكار واستهزاء ؛ كقولهم : ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [2] . قوله عز وجل : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى﴾ أكَّد تحقق الساعة بالقسم بالرب ، ثم وصف نفسه بالإحاطة بجميع المخلوقات ، ومتى كان المقسم عظيما كان المقسم عليه كذلك . قوله عز وجل : ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: إلا مكتوبًا ، والرزق الكريم : الجنة .

فإن قيل : المنكرون للبعث معتقدون أنه لا يكون ، فقسمه لا يرجع بهم إلى الحق ؟

---

(١) سورة الزمر، الآية ( ٢١ ) .

(٢) سورة يونس ، الآية ( ٤٨ ) .

قلنا : إنما يتوجه السؤال إذا لم يقرن به ما تقوم به الحجة عليه ؛ لقوله تعالى :﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فإن الجزاء من جملة العدل ، وإيصال كل ذي حق إلى حقه. ﴿مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ مقدار أصغر نملة ، وقرئ ﴿وَلَآ أَصْغَرُ﴾ ﴿وَلَآ أَكْبَرُ ﴾ بالرفع فيهما على الابتداء ، وبالنصب على نفي الجنس[1].

قوله عز وجل : ﴿ وَيَرَى﴾ يجوز أن يكون مرفوعًا مستأنفًا ، أو منصوبًا على العطف لـ " يجزي " . قال بعض كفار قريش لبعض :﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون النبي ﷺ يخبركم أنكم إذا مزقتم كل تمزيق ، وصرتم رفاتا تنشأون خلقا جديدًا ، ثم قسَّم الأمر في ذلك بين أن يكون مفتريا على الله ، أو به جنون يغشاه فيداوى منه ، والعامل في﴿إِذَا ﴾ما دل عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ أي : تبعثون ، ولا يعمل فيه ﴿لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ لأن ما بعد "إن " لا يعمل فيما قبلها ، وقد سبق نظيره في سورة النمل .

فإن قلت : ﴿جَدِيدٍ ﴾ بمعنى فاعل أو مفعول ؟ قلت : هو عند البصريين بمعنى فاعل(جد ) فهو مجدود ، ومنه جداد النخل ، وهو قطع ثمرها ، وسقطت همزة الوصل في قوله : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ولم تسقط في قوله :

﴿أَسِحْرٌ﴾ [2] و﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ﴾ [3] لأن مسألة السحر لو سقطت المدة لالتبس الاستفهام بالخبر ، بخلاف ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ؛ فإن الهمزة لو ظهرت لكانت مكسورة . قوله : ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾ مجاز ؛ لأن البعد حقيقة في الأماكن ، وقد نسب البعد -ها هنا- إلى الضلال ، وإنما البعيد هو الضال ؛ قد أبعد عن الطريق فعوده إليها مبطئ مع بُعدِها .

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ

(١) قرأ الجمهور " ولا أصغر من ذلك ولا أكبر " بالرفع ، وقرأ قتادة والأعمش بالنصب .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٥٨ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ٢٦٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٢٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٩ ) .

(٢) سورة يونس ، الآية ( ٨١ ) .

(٣) سورة يونس ، الآية ( ٥٩ ) .

وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ إن في النظر في آيات (٢٠٠/ب) السماوات والأرض. ﴿لَأٓيَةٗ لِّكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ وهو الراجع إلى ربه سبحانه وتعالى المطيع له. قوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾ إما أن يكون بدلا من ﴿فَضۡلٗاۖ﴾ وإما من ﴿ءَاتَيۡنَا﴾ وقوله: ﴿يَٰجِبَالُ﴾ [بتقدير: قولنا يا جبال. أو: قلنا: يا جبال. وقرئ: (أوبي) وأوبي من التأويب، والأوب أي: رجعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه] (١) ومعنى تسبيح الجبال: أن الله يخلق فيها تسبيحًا كما خلق الكلام في الشجرة.

فإن قلت: أي فرق بين هذا النظم وبين أن يقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ﴾ تسبيح الجبال؟ قلت: الفرق بينهما أن الذي في الآية دال على عظمة الله وكبريائه؛ حيث جعلت الجبال مُنَزَّلة مَنْزِلَة العقلاء الذين يُنَادَوْن ويُخَاطَبون. ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ جعلناه ليِّنا كالطين والعجين يصرفه بيده كيف يشاء. وقيل: إن داود عليه السلام كان قويًّا، فكان الحديد في يده كالعجين في يد غيره ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ أي: لا تجعل الحلق ضيقة فتفصم، ولا واسعة فتفلق، والسرد: نسج الدروع ﴿وَٱعۡمَلُواْ﴾ الضمير لداود ولأهله.

﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾ منصوب بـ ﴿سَخَّرۡنَا﴾ المضمر؛ فمن قرأ "الرياح" بالرفع أو "الريح" فهو مبتدأ خبره ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ﴾ ومن نصب فهو مفعول بـ "سخرنا" (٢).

﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾ جريها بالغداة مسيرة شهر، وبالعشي مثل ذلك. ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ النحاس وكان قد أذيب له ينبع من تحت الأرض كما ينبع الماء. ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ بتسخيره. ﴿وَمَن يَزِغۡ﴾ يمل عن أمرنا له بطاعة سليمان. ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ هو عذاب الآخرة. وقيل: كان معه

---

(١) الكشاف (١/١٠١٦).

(٢) قرأ جمهور القراء "الريح" بالنصب، وقرأ شعبة عن عاصم "الريح" بالرفع، وقرأ أبو جعفر "الرياح" بالنصب. **تنظر القراءات في**: البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٢٦٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٩٢)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٨٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٣٤)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ٥٢٧)، الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٨٢)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٤٩).

ملك بيده سوط من نار إذا عصى الجني ضربه به من حيث لا يراه الجني .

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

المحاريب : المساكن والمنازل الشريفة . وقيل : هي المساجد . والتماثيل : الصور من الملائكة والنبيين والصالحين ؛ كان يعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوها ، وإنما أمر سليمان عليه السلام بعمل الصور وهي حرام في شرعنا ؛ لأنه كان مباحًا في شرعهم ، ويجوز أن يراد أنهم كانوا يعملون تماثيل الأشجار وما لا روح فيه . وروي: أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين في أعلاه ، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما ، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما.

والجوابي : الحياض الكبار، قال [ من الطويل ] :

تَرُوحُ عَلَى آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَابِيَةِ الشيخ العِراقِي تفهق[1]

لأن الماء يُجبى ( ٢٠١/ أ ) إليها ، أي : يجمع ، جعل الفعل إليها مجازا وهي من الصفات الغالبة ؛ كالدابة ، وقيل : كانت الجفنة يجلس عليها ألف رجل .

﴿رَّاسِيَٰتٍ﴾ ثابتات . ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ فيه دليل على أن الشكر يكون قولا وفعلا. ﴿ شُكْرًا﴾ مفعول لقوله : ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ أو حال، أو مصدر ؛ كأنه قال : اشكروا شكرا.

﴿ٱلشَّكُورُ ﴾ المتوفر على الشكر ، الباذل وسعه فيه . وقيل : يشكر على الشكر ، أو يرى أنه عجز عن الشكر ، والعجز عن درك الإدراك إدراك ، وعن داود أنه جزَّأ ساعات الليل والنهار على أهله ، فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي .

وسمع عمر رجلاً يقول : " اللهم اجعلني من ذلك القليل ، فقال عمر: كل الناس أفقه

---

(١) البيت للأعشى ، **ينظر في** : غريب الحديث لابن سلام ( ١ / ١٠٦ ) ، الكشاف للزمخشري (٣ / ٥٧٢)، لسان العرب لابن منظور ( حلق ، جبى ) وقال ابن منظور في لسان العرب ( جبى ) : " خص العراقي لجهله بالمياه ؛ لأنه حضري فإذا وجدها ملأ جابيته وأعدها ولم يدر متى يجد المياه وأما البدوي فهو عالم بالمياه فهو لا يبالي ألا يجدها ، ويروى : كجابية السيح ، وهو الماء الجاري " . وتفهق : تمتلئ حتى تكاد تتدفق .

منك يا عمر "[١].

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾

﴿دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ الدويبة التي تكون في الكبت . والمنسأة : العصاة ؛ لأنه بها يطرد ويؤخر ، وقرئ بفتح الميم[٢]. ومنسأة على مفعلة ، ومنسأته من طرف عصاه .

﴿ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ من تبين الشيء إذا ظهر ، و" أن "مع صلتها بدل اشتمال من ﴿ٱلْجِنُّ﴾ كقولك : تبين زيد جهله . والظهور له ، أي : ظهر أن الجن﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾أو علم الجن كلهم علما بيِّنا بعد التباس الأمر على عامتهم وتوهمهم أن كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب ، أو علم من ادعى علم الغيب من جهتهم ، وأنهم لا يعلمون الغيب, وإن كانوا عالمين بتخيل ذلك بحالهم . وقرئ ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾ على البناء للمفعول[٣].

روي أنه كان من عادة سليمان أن يعتكف في بيت المقدس المدد الطوال ، فلما دنا أجله لم يصبح يومًا إلا رأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله ، فيسألها : لأي شيء نبتِّ ؟ فتقول: لكذا ، حتى أصبح ذات يوم ورأى الخرُّوبة[٤] فسألها ، فقالت : نبتُّ لخراب هذا المسجد ، فقال : ما كان الله ليخربه وأنا حيٌّ ، أنت التي على وجهك هلاكي . فنزعها وغرسها في حائط له ، وقال : اللهم عَمِّ على الجن موتي ، حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب ؛ لأنهم كانوا يسترقون السمع ، ويوهمون الإنس أنهم يعلمون الغيب ، وقال لملك الموت :

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٣١ ) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن إبراهيم التيمي عن رجل عن عمر ﷺ .

(٢) قرأ الجمهور من القراء " منسأته " وقرأ ابن ذكوان " منسأْته " بهمزة ساكنة ، وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر " منساته " بألف محضة بدون همزة . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٦٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٤ / ٢٧٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٩٣ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص: ٥٨٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٣٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٢٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٩ ) .

(٣) قرأ بها ابن عباس ورويس ويعقوب . **تنظر في** : تفسير القرطبي ( ١٤/ ٢٧٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٣٧ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٣١٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٤ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٣٨٠ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ١٨٦ ) .

(٤) **الخروبة** : شجرة الخروب شجر مثمر من الفصيلة القرنية، ثمارُهُ قرونٌ تؤكل وتعلفها الماشية. المعجم الوسيط: مادة (خرب).

إذا أمرت بي فأعلمني . فقال : أمرت بك ، وقد بقي من عمرك ساعة . فدعا الشياطين، فبنوا عليه صرحًا من قوارير ليس له باب، فقام يصلي (٢٠١/ب) متكئًا على عصاه ، فقبض روحه وهو متكئ عليها ، وكانت الشياطين تجتمع على محرابه أينما صلى، فلم يكن الشيطان ينظر إليه في صلاته إلا احترق ، فمرَّ به شيطان فلم يسمع صوته ، ثم رجع فلم يسمع ، فإذا سليمان خرَّ ميتًا ففتحوا عليه فإذا العصا قد أكلتها الأرضة[١] فأرادوا أن يعرفوا وقت موته، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت في يوم وليلة مقدارًا منها، فحسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة ، وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيًا، فأيقن الناس أنهم لو كانوا يعلمون الغيب لما لبثوا في العذاب سنة .

وروي: أن داود عليه السلام أسَّس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام، فمات قبل أن يتمَّه فوصى به إلى سليمان، فأمر الشياطين بإتمامه ، فلما بقي من عمره سنة سأل الله أن يعمي عليهم موته؛ حتى يفرغوا، وليبطل دعواهم علم الغيب[٢].

وروي أن أفريدون جاء ليصعد كرسيه، فلما دنا ضرب الأسدان ساقه فكسراها، فلم يجسر أحد أن يدنو منه ، وكان عمر سليمان ثلاثا وخمسين سنة، وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وبقي في ملكه أربعين سنة، وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه[٣].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ إما حكاية لما قال لهم الأنبياء ، وإما قيل بلسان الحال ، أو هم أحقاء بأني قائل لهم ذلك ، ولما قال : كلوا من رزق ربكم واشكروا له ؛ ذكر سبب اقتضاء الشكر ، وهو قوله : ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانت من أخصب البلاد وأطيبها ؛ لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية[٤].

---

(١) **الأرضة** - بالتحريك - : دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع ، قال أبو حنيفة : الأرضة ضربان ضرب صغار مثل كبار الذر وهي آفة الخشب خاصة ، وضرب مثل كبار النمل ذوات أجنحة ، وهي آفة كل شيء من خشب ونبات غير أنها لا تعرض للرطب ، وهي ذات قوائم والجمع أرض . **ينظر** : لسان العرب ( أرض ) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٢ / ٧٥ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٦٨٢ ) لابن أبي حاتم .

(٣) **ينظر** : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٧٤ ) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٧٥ ) عن ابن عباس ، ورواه الطبري في تفسيره ( ٢٢ / ٧٨ ) ،=

﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧) ﴾

﴿الْعَرِمِ﴾ الجرد الذي نقب عليهم السَّكَر ، ضربت عليهم بلقيس بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فخفيت به ماء العيون والأمطار ، وتركت فيه ثلاثة أبواب على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم ، فلما طغوا قيل : بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبيًّا يدعونهم إلى الله ، فكذبوهم وقالوا : ما نعرف لله علينا نعمة ، فسلط الله على سدَّهم الجرذ فنقبه من أسفله فغرقهم .

وقيل : ﴿الْعَرِمِ﴾ جمع عرمة ، وهي الحجارة المركومة . ويقال للكدس من الطعام: عرمة. وقيل : العرم اسم الوادي . وقيل : العرم : المطر الشديد . وقيل : كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد ﷺ . والخمط : شجر الأراك . وعن أبي عبيدة : هو كل شجر ذي شوك[١]. وقال الزجاج : كل نبت أخذ طعمًا من مرارة حتى لا ( ٢٠٢/ ب ) يمكن أكله[٢]. والأثل : شيء يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عودًا . والأثل والسدر معطوفان على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾ لأن الأثل لا أكل له . وقرئ ﴿وَشَيْءٍ﴾ بالنصب[٣] عطفا على ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ لأجل المشاكلة . وعن الحسن قال : السدر ؛ لأنه أجود ما بدلوه[٤].

وقرئ ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [٥] وهل يجازي هذا الجزاء إلا الله ؟ ولا يعذب به إلا

---

= وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٦٨٧ ) ونسبه لابن أبي حاتم عن ابن زيد .

(١) **ينظر** : مجاز القرآن لأبي عبيدة ( ٢ / ١٤٧ ) .

(٢) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٤٩ ) .

(٣) حكاها الفضل بن إبراهيم . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٧١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٠ ) روح المعاني للألوسي ( ٢٢ / ١٢٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣/ ٥٧٦ )، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ١٢١ ) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٧٦ ) .

(٥) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وأبو جعفر " وهل يجازَى " ، وقرأ الباقون " وهل نجازي " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٧١ ) ، تفسير القرطبي (١٤/ ٢٨٨)، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٩٤ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٨٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٢٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٧٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٥٠ ) .

الكافر أو المؤمن . وقيل : يجازي به المؤمن؛ تُكفَّر سيئاته حسناته ، والكافر يُحبِط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء .

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)﴾

﴿الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾هي قرى الشام وكانت متواصلة يُرَى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين الناظرين . أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لا تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم .

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ قيل : كان الحادي منهم يقيل في قرية ، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام ولا يخاف جوعًا ولا عطشًا ولا عدوًا ، ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء .

وقلنا لهم: ﴿ سِيرُوا فِيهَا ﴾ ولا قول ، ولكنهم لما مُكِّنوا من السير، وهُيِّئَتْ لهم أسبابه ، فكأنهم أمروا بذلك ، قيل : ﴿ سِيرُوا فِيهَا وَأَيَّامًا ﴾ متطاولة﴿ لَيَالِيَ ﴾ قيل : ﴿آمِنِينَ ﴾ في ليلكم ونهاركم ؛ فإنكم في كل حين وزمان لا تُلْقَوْن فيها إلا الأمن .

فبطروا النعمة وملُّوا العافية ، وطلبوا الكد والتعب ، كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم عوضًا عن المن والسلوى ، وقالوا : لو كان جنى جناتنا أبعد كان أقرب أن نشتاق إلى السفر ونركب الرواحل فيها ، ونتزود الأزواد فعجل الله لهم الإجابة[١] .

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ﴾فرقناهم في البلاد ، فإنه لما غرقت بلدهم تفرقوا ذاهبين كل فرقة إلى إقليم ؛ فذهبوا إلى الشام واليمن وغيرهما من الأقاليم ، و﴿مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى المصدر، أي : مزقناهم كل تمزيق .

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾لكل مؤمن ؛ قال النبي ﷺ : " الإيمان نصفان ، نصف شكر ونصف صبر "[٢].﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾ بقوله :

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٢ / ٨٥ ).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٣٩ ) للبيهقي في شعب الإيمان ولابن جرير وابن أبي الدنيا ،=

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ (١) فصدقه الله بقوله : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ (٢) فكان ظنه لاتباعهم صادقًا ، ولم يكرههم إبليس على اتباعه .

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ (٢١) قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٢٣) ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٢٤) ﴾

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ ﴾ لنرى أو لنميز، أو نعلم العلم الذي يتعلق به الجزاء . وقوله : ﴿فَٱتَّبَعُوهُ﴾ إما لأولاد سبأ ، أو لبني آدم كلهم ، ثم استثنى نفرًا قليلاً بقوله : ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠٢/ ب ) ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء . إلا بحكمة بينة وهي تمييز الحق من الباطل والمستيقن من الشاك . ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ مفعولا " زعمتم " محذوفان والتقدير: زعمتموهم . والثاني : آلهة . ثم أجاب الله عنهم بقوله :﴿لَا يَمْلِكُونَ ﴾ مقدار ذرة ، وهي النملة الحمراء(٣). والهباء : الذي يظهر في الكوة عند دخول الشمس فيها ، وما لشركائهم شركة في خلق السماوات والأرض ؛ كقوله : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾(٤) ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾ وما لله تعالى من هؤلاء الشركاء من معين يعينه على ما يريده . ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ يجوز أن يراد بالإذن للشافع أن يشفع ، أو للمشفوع له أن يشفع فيه . ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي : كشف .

حكي أن بعض أهل اللغة سقط عن دابته فغشي عليه ، ثم أفاق فرأى الناس مجتمعين عليه ؛ فقال : ما لكم تكأكأتم عليَّ كتكأكئكم على ذي جنة ؟ افرنقعوا عني . فقال رجل من

---

=وفي سنده يزيد بن أبان الرقاشي وهو متروك كما قال النسائي وغيره ، **وتنظر ترجمته في** : ميزان الاعتدال للذهبي ( ٧ / ٢٢٢ ) ولذلك قال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم ( ٢٣١٠ ) ضعيف جدًا .

(١) سورة الأعراف ، الآية ( ١٧ ) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٠٢ ) .

(٣) وقد أثبت العلم الحديث أن الذرَّة أصغر من ذلك بكثير .

(٤) سورة الأحقاف ، الآية ( ٤ ) .

الواقفين عليه : هذه الجنية التي على رأسه تتكلم بالهندي [(١)].

فإن قلتَ : ﴿حَتَّىٰ﴾ غاية لماذا ؟ قلتُ : لما دل عليه الكلام من شفاعة من يشفع ، وانتظار الإذن وتوقع الشفاعة أن ينزل عليه الإذن ، وإذا نزل زال الهم والوجل عن قلوبهم . وقرئ ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ برفع " الحق " [(٢)]. أي : قوله الحق .﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذو العلو والكبرياء فليس لملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم إلا بإذنه . أمره بأن يقررهم بقوله : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ثم أمره بأن يتولى الإجابة والإقرار عنهم بقولهم : يرزقكم ﴿ٱللَّهُ﴾ وذلك إشعارٌ بأنهم مقرون بأن الله رازقهم ، فكيف يعبدون من لا يخلق ولا يرزق ؟ لأن في قلوبهم من العناد ما أخرسها عن النطق بالكذب .﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ هذا تقسيم يسمى تجاهل العارف ، وهو ها هنا في قوله : ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾وهو يعلم أنه على هدى ، وأن الكافر في ضلال مبين ، ومثله قول الشاعر [من الطويل ] :

فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنِ جُلاجِلٍ وبَيْنَ النَّقَا آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ [(٣)]

وقول حسان [ من الوافر ] :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ [(٤)]

---

(١) **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٥ ) ، وذكر ابن منظور في لسان العرب ( كأكأ ) أن صاحب هذه القصة هو عيسى بن عمر وهذا من كلامه .

(٢) قرأ بها ابن أبي عبلة وقراءة الجمهور بالفتح .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٧٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٥٨ ) ، معاني القرآن للأخفش ( ٢ / ٤٤٥ ) .

(٣) البيت لذي الرمة، **ينظر في** : أدب الكاتب لابن قتيبة ( ص : ٢٢٤) ، الأزهية في الحروف للهروي ( ص: ٣٦ ) ، الأغاني للأصفهاني ( ١٧ / ٣٠٩ ) ، الخصائص لابن جني ( ٢ / ٤٥٨ ) ، الدرر اللوامع ( ٣ / ١٧ ) ، ديوان ذي الرمة ( ص : ٧٥٠ ) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي ( ٢ / ٢٥٧ )، شرح المفصل لابن يعيش ( ١ / ٩٤ ) ، الكتاب لسيبويه ( ٣ / ٥٥١ ) ، لسان العرب ( جلل ) ، المقتضب للمبرد ( ١ / ١٦٣ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٢ / ٢٧ ).

(٤) **ينظر في** : تذكرة النحاة ( ص : ٧٠ ) ، الدرر اللوامع ( ١ / ٢٩٦ ) ، ديوان حسان ( ص : ٧٦ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ص : ٦٢٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٨٢ ) ، المقتضب للمبرد ( ٢ / ١٣٧ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ١ / ٢٨٩ ) .

وإنما جعل حرف الجر المعدي لفعل الضلال جره بـ " في " ، وجعل المتعدي إلى الهدى جره بـ " على " لأن (٢٠٣/أ) صاحب الحق كالراكب على جواد مستعليا عليه وصاحب الباطل على شك وتردد .

﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

وقوله :﴿ لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا ﴾ كقوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ [1] حتى زعم زاعمون أن هذه الآية منسوخة وليس ذلك بصحيح ؛ لأن النسخ على خلاف الأصل ، ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره ؛ فهو أولى من الحمل عليه بالنسخ ، والمذكور في هذه الآية وهو قوله : ﴿ لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا ﴾ باقٍ على حكمه لم ينسخ فإنَّ أحدًا لا يسأل عن أحد ، وكذلك قوله : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾ فإن لكل أحد دينه لا لغيره .

﴿ يَفْتَحُ بَيْنَنَا ﴾ يحكم الله بيننا ، وإنما قال :﴿ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم ﴾ مع أن النبي ﷺ كان يراهم ويشاهدهم ؛ لأنه أراد أن يبين لهم خطأهم في دعواهم الشركة لهم .

﴿ كَلَّا ﴾ رد وردع لهم عن اعتقادهم الفاسد بعد ما أوضح بطلانه .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

﴿ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ الرسالة عامة . وقال الزجاج[2] : المعنى كافًا للناس ، والهاء للمبالغة كما تقول : علامة ونسابة ، وحماد الراوية ، ومن جعله حالاً من المجرور فقد أخطأ ؛

---

(١) سورة الكافرون ، الآية (٦) .

(٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٥٤ ) .

لأن معمول المجرور لا يتقدم عليه ، وهو كتقديم المجرور على الجار[١].

قرئ ﴿مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾و﴿مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾ [٢] والميعاد : ظرف الوعد من مكان أو زمان ، وهو ها هنا الزمان ، والدليل عليه قراءة ﴿مِّيعَادُ يَوۡمٍ﴾ فأبدل اليوم من الميعاد ، وجعله هو نفسه وأما من نصب " يومًا " فعلى الظرف ، والعامل فيه محذوف أي : أعني يومًا ، أو خفوا يومًا ، ثم يجوز على هذا أن يرتفع " يوم " بإضمار " هو ". ومن جرَّه فبالإضافة ، وإنما صلح قوله :﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ﴾ جوابا والسؤال عن تعيين الزمان بقوله: ﴿مَتَىٰ﴾ لأنه لم يقصد به الجواب عن تعيين الزمان ، وهم إنما سألوا بـ " متى " استهزاء وتكذيبًا ، فأجيبوا بأن هذا الأمر لم يطلع عليه أحد ، ولا يستطيعون تأخُّرًا ولا تقدُّمًا.

﴿بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ما نزل من الأخبار السماوية قبل نزول القرآن ، وأن كفار قريش سألوا أهل الكتاب الذين بجوارهم ، فأخبروهم أنهم يجدون نعت رسول الله ﷺ في كتابهم فأغضبهم ذلك ، وكفروا بما أنزل على موسى وعلى جميع الأنبياء . وقيل : ﴿بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ القيامة ، والمعنى أنهم جحدوا أن يكون القرآن مُنزَّلا من عند الله وأنكروا الإعادة .

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ خطاب لرسول الله ﷺ ولكل سامع ، والجواب محذوف تقديره : لرأيت أمرًا عظيمًا ( ٢٠٣/ ب ) والمستضعفون هم الأتباع ، والمستكبرون هم الرؤساء والمقدمون، أجاب المستكبرون بإنكار أن يكونوا هم الذين صدوا .

---

(١) قال العكبري في اللباب في علل البناء والإعراب ( ١ / ٢٩٢ ) : " ولا يجوز تقديم حال المجرور عليه ؛ لأن العامل في الحال هو العامل في صاحب الحال ، والعامل في صاحبها هو الحرف المعلق بالفعل فصار كالشيء الواحد فتقديمها على الجار يفصل بين الفعل والحرف ؛ ولأن حرف الجر لا تصرُّف له، وهو العامل في صاحب الحال، وليس له معنى يعمل به، فامتنع قولك : مررت قائما بزيد ، وقائما مررت بزيد والقيام لزيد . وقال بعض النحويين : يجوز تقديمها عليه ، واحتج بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ والجواب : أما كافة فحال من الكاف لا من " الناس " والهاء فيها للمبالغة، والتقدير : ما أرسلناك إلا كافة للناس كفرهم " .

(٢) قرأ الجمهور " ميعادُ يومٍ " ، وقرأ ابن أبي عبلة " ميعادٌ يوماً " وقرئ أيضا " ميعادٌ يومٌ " .
**تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٢٨٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٤٧ – ٤٤٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ /٣٢٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٦٠ ) ، مفاتيح الغيب للرازي ( ٢٥ / ٢٥٨ ) .

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

وأدخلوا حرف الاستفهام على الشخص ، ولو كان الفعل منكرًا لقال : أصددتم ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ و"إذ" ظرف لا يتصرف ، ولا يخرج عن الظرفية ، فكيف أضيفت إليه " بعد "؟ لكن قد اتسع في ظرف الزمان ؛ كما أضيف إلى الجمل ؛ كقوله : جئتك أيام الحَجَّاج أمير.

لما أنكر المستكبرون أنهم تسببوا في ضلال المستضعفين ، ونسبوا ذلك إلى اختيار المستضعفين كرر عليهم المستضعفون بالرد وقالوا : ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي : كنتم تامروننا بالكفر الليل والنهار ، ولولا ذلك ما حصل الضلال ، وقوله : ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تقديره : بل مكركم في الليل والنهار ؛ كقول الشاعر [ من الرجز ] :

يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلَ الدَّار[١]

وقيل : جعلوا الليل والنهار ماكرين مجازًا ؛ كما جعلوهما مهلكين في قوله :﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾[٢] فإن قلتَ : لم حذف حرف العطف من قوله : ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾؟ قلتُ : لأنها مقاولة جرت ، والمقاولة لا يدخل فيها حرف العطف ؛ كقوله : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر المقاولة[٣] وفي سورة الحجر : ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إلى آخر

---

(١) ينظر البيت بلا نسبة في : الأمالي لابن الشجري ( ٢ / ٥٧٧ ) ، خزانة الأدب ( ٣ / ١٠٨ ) ، شرح المفصل ( ٢ / ٤٥ ) ، الكتاب لسيبويه ( ١ / ١٧٥ ) ، المحتسب ( ٢ / ٤٩٥ ) ، همع الهوامع (١/ ٢٠٣) . والشاهد فيه : أن الظرف إذا توسع فيه يجوز حينئذٍ إضافته على طريق الفاعلية ، وهنا الظرف " الليلة " متصرف ، قد أضيف إليه " سارق " وهو وصف . قال سيبويه في الكتاب (١/ ١٧٦) : " فإن نونت فقل : يا سارقاً الليلة أهل الدار . كان حد الكلام أن يكون " أهل الدار " على " سارق " منصوبا ، ويكون " الليلة " ظرفا ؛ لأن هذا موضع انفصال ، وإن شئت أجريته على الفعل على سعة الكلام " . ثم قال : " ولا يجوز " يا سارق الليلة أهل الدار " إلا في شعر ؛ كراهية أن يفصل بين الجار والمجرور " .

(٢) سورة الجاثية ، الآية ( ٢٤ ) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية ( ٢٣ ) .

المقاولة[١] وأما قول المستضعفين فلا جواب له .

والواو في ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ تعود إلى الجنس المشتمل على نوعي المستضعفين والمستكبرين . تندم المضلون على ضلالهم وإضلالهم ، وتندم الضالون على ضلالهم . قيل : ﴿ وَأَسَرُّواْ ﴾ أظهروا . وقيل : أخفوا ؛ مشترك بين الشيء وضده .

﴿فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فجاء بالصريح مبالغة .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾

﴿مُتۡرَفُوهَآ﴾ أغنياؤها وكبراؤها الذين أترفتهم النعمة . هذه تسلية لرسول الله ﷺ أي : إن الأنبياء قبلك كذبوهم قومهم كما كذبوك وأبطرتهم النعمة وقالوا : كثر الله أموالنا وأولادنا ، ولو أراد بنا السوء لما فعل بنا ذلك . ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أرادوا أنهم أكرم على الله عز وجل من أن يعذبهم ؛ نظرا إلى أحوالهم في الدنيا ، وقد أبطل الله عز وجل حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كيف يشاء على حسب ما يراه من المصالح . ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾ (٢٠٤/أ) وقدر الرزق : تضييقه .

﴿رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾ تارة ويقبضه أخرى ؛ لما يعلمه من المصالح التي هو أعلم بها. والأظهر أن ﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ في موضع رفع ؛ إلا إيمان من آمن . و" من " : إما شرطية ، وإما موصولة ، ودخلت الفاء ؛ لأن صلتها فعل ، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلا ، ويكون الضمير في ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ لجميع المؤمنين والكفار.

والزلفى : مصدر ، ومعناه تقربكم قربى . ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ أن يكون حالاً ، والعامل فيه ﴿ءَامَنَ﴾ وكذلك قوله :﴿فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ فيه الوجهان، والمعنى : أن

---

(١) الآية ( ٥٧ ) .

الأموال لا تقرّب أحدًا إلا من أنفقها في سبيل الله عز وجل ، وكذلك الأولاد إلا لمن علمهم الجدَّ في طاعة الله عز وجل . ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول ، كأنه قال : يجازون الجزاء المضاعف . ﴿فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥ﴾ لا يعوضه سواه ، إما عاجلا بالمال ، وإما بالقناعة التي هي كنز لا ينفد ، وإما آجلا بالثواب الذي كل خَلَفٍ دونه .

﴿خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ وأعلاهم رب العزة ، فإن كل من رزق غير الله من سلطانٍ يرزق جنده ، أو سيدٍ يرزق عبده ، أو رجل يرزق عياله؛ فإن الله عز وجل الذي أجراه على أيديهم ، وهو رزق من الله عز وجل . وعن بعضهم : كان يقول : الحمد لله الذي أوجدني، وجعلني ممن يشتهي ؛ فكم من مشتهٍ لا يجد ، وكم من واجد لا يشتهي !

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ (٤٠) قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ (٤١) فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢) وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ (٤٣) وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ (٤٤) وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥) ۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ (٤٦)﴾

﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ هذا الخطاب للملائكة ، وفيه تعيير للكفار ، وقد علم الله أن الملائكة وعيسى لم يؤثروا عبادة غير الله عز وجل ، وهو قوله عز وجل لعيسى : ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ﴾[1] مع علمه تعالى بأن عيسى لم يقل . والموالاة : مفاعلة من الوَلْي ، وهي القرب كما أن العداوة مأخوذة من العَدْو ، وهو البعد ، والولي يطلق على المتولِّي والمتولَّى ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2] . ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[3] . بينوا بموالاتهم لله عز وجل وعداوتهم

(١) سورة المائدة ، الآية ( ١١٦ ) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٩٧ ) .

(٣) سورة المائدة ، الآية ( ٥٦ ) .

لأعدائه أنهم برءاء مما نسب إليهم . وقيل : كانوا يعبدون الجن ؛ يطيعونهم فيما يغضب الله عز وجل . ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معطوف على ﴿لَا يَمْلِكُ﴾ والإشارة الأولى إلى رسول الله ﷺ والثانية إلى القرآن ، والثالثة إلى الحق ، والحق هو أمر النبوة كله، ودين الإسلام . وقوله : ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ( ٢٠٤/ب) دليل على مبادرتهم إلى الإنكار قبل أن يتأملوا الكلام وصحته ؛ فبادروا بجعله سحرًا بيِّنًا لا يخفى . ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ فيها برهان على صحة الشرك وما جاءهم بذلك رسولٌ ؛ كما قال عز وجل : ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ [1]. أو وصفهم بأنهم ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ لا يعلمون من العلم شيئًا . وما بلغ هؤلاء المتأخرون ﴿مِعْشَارَ﴾ ما أوتي أولئك المتقدمون ويجوز أن يراد : ما أوتي المتقدمون معشار ما أوتي المتأخرون من العلم بالشرائع وصفات الله تعالى . والمعشار : كالمرباع ، وهما العشر والربع .

فإن قلتَ : فما معنى ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ ؟ وهو مستغني عنه بقوله : ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ؟ قلتُ : لما كان معنى قوله عز وجل : ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه ؛ جعل تكذيب الرسل مسببًا عنه .

﴿بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا﴾ بدل من قوله عز وجل ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ أو خبر ابتداء محذوف ، أو منصوب بإضمار أعني ، وأراد بالقيام ؛ إما القيام عن مجلس رسول الله ﷺ وتفرقهم عنه وإما القيام [ الذي لا يُراد ][2] به المثول على القدمين ، بل المراد الاهتمام به والانتصاب لقضائه ، والمعنى : أن تقوموا جماعات ومتفرقين ، وإنما اقتصر على ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾ دون غيرهما من الأعداد ؛ لأن الإنسان إذا انفرد وحده بالفكر وعرض ما أدَّاه إليه ذهنه على قواعد صحيحة إذا لم يكن متعسفًا متقيدًا بأشياء يحفظها من قديم الزمان ؛ فربما ظهر له - على الأغلب - الصواب وكذلك الاثنان إذا اجتمعا وتناصفا من غير غرض لهما في البحث مع وجود الفكرة والروية ، فالظاهر أنهما يصلان إلى الحق ، فأما إذا كان العدد أكثر من ذاك ثار العجاج ، واختلفت الآراء ، ويجري كثير من ذلك في المجالس والمحافل ويبعد ظهور الصواب . وأراهم بقوله عز وجل : ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ أن هذا الأمر العظيم

---

(١) سورة الروم ، الآية ( ٣٥) .

(٢) في الأصل : فلا يراد ، والمثبت كما في الكشاف ( ٣ / ٥٨٩ ) وهو أنسب لسياق الكلام .

الذي تحته ملك الدنيا والآخرة جميعًا لا يتصدى لادعاء مثله إلا رجلان ؛ إما مجنون لا يبالي بافتضاحه إذا طلب بالبرهان فعجز ، بل لا يدري ما الافتضاح وما (٢٠٥/أ) رقبة العواقب ؟ وإما عاقل راجح العقل ، مرشح النبوة ، مختار من أهل الدنيا ، لا يدعيه إلا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه ، وإلا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة عليه ، وقد علمتم أن محمدًا ما به من جنة ، بل علمتموه أرجح قريش عقلا ، وأرزنهم حلمًا ، وأثقبهم ذهنًا ، وأصلبهم رأيًا ، وأصدقهم قولاً ، وأشرفهم نفسًا ، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويُمدحون به ؛ فكان مظنة لأن تظنوا فيه الخير ، وتُرجِّحوا فيه جانب الصدق ، وإذا فعلتم ذلك كفاكم أن تطالبوه بأن يأتيكم بآية ؛ فإذا أتى بها تبين أنه نذير مبين .

فإن قلت: بم يتعلق : ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾؟ قلتُ : يجوز أن يكون كلاما مستأنفًا تنبيهًا من الله عز وجل على طريقة النظر في أمر رسول الله ﷺ ، ويجوز أن المعنى : ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم . وقد جوز بعضهم أن تكون " ما " في قوله : ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ استفهامية . ﴿بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ كقوله عليه السلام : " بعثت في أنفاس الساعة "[(١)].

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾

قوله : ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾ جواب لقوله :﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ كقوله : ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾الآية[(٢)]. وفيه معنيان : أحدهما : نفي مسألة الأجر رأسًا ؛ كما يقول الرجل لصاحبه: إن أعطيتني شيئًا فخذه مني ، وهو يعلم أنه لم يعط شيئًا . والثاني : أن يريد بالأجر ما أراد في قوله : ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [(٣)] لأن دعاءهم لتسبيح الله عز وجل ، وتعظيمه نفعه عائد إليهم لا إليه ، وكذلك المودة في القرابة لأنها قد انتظمته وإياهم .

---

(١) رواه الترمذي رقم ( ٢٢١٣ ) وقال : غريب ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم ( ٣٨٨ ) وذكره في السلسلة الضعيفة رقم ( ٦٢٥ ) ونسبه للخرائطي في كتاب " فضيلة الشكر " وللديلمي ، وقال : ضعيف جدا .

(٢) سورة فاطر ، الآية ( ٢ ) .

(٣) سورة الشورى ، الآية ( ٢٣ ) .

القذف والرمي : توجيه السهم[١] إلى المرمى مع تحامل [ ويستعاران من حقيقتهما لمعنى ] [٢] للإلقاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾[٣]. ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾[٤].
ومعنى قوله تعالى : ﴿رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾ يلقيه إلى أنبيائه صلوات الله عليهم ، أو يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه . ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ رفع على " إن " واسمها أو المستكن في ﴿يَقْذِفُ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف . وقرئ بالنصب[٥] صفة لربي ، أو على المدح . الحي لا يخلو في حال حياته أن يبدئ أمرًا أو يعيده ؛ فإذا مات انقطع ذلك ؛ فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد ؛ كناية عن الموت ؛ قال [ من الرجز ] :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ عَبِيدُ     فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ[٦]

وعن ابن مسعود أنه قال : " دخل النبي ﷺ مكة عام الفتح وحول الكعبة ثلاثمائة (٢٠٥/ ب) وستون صنمًا فجعل يطعنها بعود في يده وهو يقول : ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٧] .

" جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد "[٨].

---

(١) في الكشاف : تزجية السهم ، والتزجية : الدفع برفق . **ينظر** : لسان العرب ( زجى ) .
(٢) بياض بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٩١ ) .
(٣) سورة الحشر ، الآية ( ٢ ) .
(٤) سورة طه ، الآية ( ٣٩ ) .
(٥) قرأ عامة القراء بالرفع " علامُ " وقرأ زيد بن علي وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق بالنصب " علام " . **تنظر في** : البيان في غريب القرآن لابن الأنباري ( ٢ / ٢٨٣ ) ، التبيان للعكبري (٢ / ١٩٨)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٥٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٩٦ ) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٥٧ ) .
(٦) البيت لعبيد بن الأبرص ، **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٥٣ ) ، ديوان عبيد ( ص : ٤٥ ) ، العين للخليل ( ٢ / ٢١٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٩١ ) ، لسان العرب ( قفر ) ، معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٤ / ١٩٨ ) .
(٧) سورة الإسراء ، الآية ( ٨١ ) .
(٨) رواه البخاري رقم ( ٤٢٨٧ ) ، ومسلم رقم ( ١٧٨١ ) ، والترمذي رقم ( ٣١٣٨ ) ، وأحمد في المسند ( ١ / ٣٧٧ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٥٨٦٢ ) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

والحق: القرآن . وقيل : الإسلام . وقيل : الباطل هو إبليس ، ولا يبدئ إبليس خلقًا ولا يعيده . وقيل : لا يبدئ ولا يعيد ، أي: لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة .

وقال الزجاج : " ما " في قوله : ﴿وَمَا يُبْدِئُ﴾ استفهامية ، وكذلك ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ [1].

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) ﴾

﴿ضَلَلْتُ﴾ وعدي الضلال بـ " على " بقوله :﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ وجعل قرينه ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي﴾ والقياس : وإن اهتديت فلها ، كقوله : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾[2] لأن الهدى من الله ، وإنما يتيسر بأسباب يسهل بها وقوع الطاعة ، والضلال ؛ كالراكب على الحيوان ، الضابط لنفسه .

وجواب ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ﴾ محذوف ، أي : لرأيت أمرًا عظيمًا ، والأفعال التي هي ﴿فَزِعُوا﴾ ﴿وَأُخِذُوا ﴾ ﴿ وَحِيلَ ﴾ المراد المستقبل وهي ماضية في اللفظ ؛ لأن أخبار القيامة تأتي على صيغة الماضي ؛ لتحققها عند الله كتحقق ما مضى وثبت . ﴿فَزِعُوا﴾ وقت الموت .

وقيل : البعث . وقيل : يوم بدر. وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : " إن جيشًا يغزون الكعبة يريدون هدمها فيخسف بهم "[3]. فجاءت الآية دالة على ذلك ﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ فلا يفوتون الله ، والأخذ ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من الموقف إلى النار إذا بعثوا أو من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا ، أو من صحراء بدر إلى القليب ، أو تحت أقدامهم إذا خسف بهم ، وفيما عطف عليه قوله﴿وَأُخِذُوا﴾ وجهان : أحدهما : على ﴿ فَلَا فَوْتَ ﴾ أي : فلا يفوتون وأخذوا . والثاني : على ﴿فَزِعُوا﴾ والتقدير : ولو ترى إذا فزعوا وأخذوا .

﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ أي : بمحمد ﷺ وقد مر ذكره في قوله :﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ .

---

(١) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٥٨ ) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٤٦) .

(٣) رواه البخاري رقم ( ٢١١٨ ) ، ومسلم رقم ( ٢٨٧٣ ) ، وأحمد في المسند ( ٦ / ١٠٥ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ٦٧٥٥ ) ، عن عائشة ﵂ .

والتناوش : التناول ، إلا أن التناول يقع على ما فيه رفق وما لا رفق فيه ، والتناوش يقع على ما لا رفق فيه أصلا ، وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يتأتى ، وهو قبول الإيمان عند نزول العذاب ؛ كما أن المؤمنين نفعهم إيمانهم قبل مجيء القيامة .

﴿ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ حكاية حال ماضية كقوله :﴿بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [1]﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾هو قبول الإيمان يوم القيامة ؛ لقوله : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾الآية[2].

﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾ من كان على مثل عقيدتهم (٢٠٦/ أ ) ومذهبهم .

﴿مُّرِيبٍۭ﴾ إما أن يكون من أرابه : إذا حصل فيه الريب ، أو من أراب الرجل : إذا صار ذا ريب .

* * *

(١) سورة الكهف ، الآية ( ١٨ ) .

(٢) سورة غافر ، الآية ( ٨٥ ) .

## تفسير سورة فاطر [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ مبتديها ومبتدعها ، وعن ابن عباس : ما كنت أدري معنى الفاطر حتى اختصم رجلان في بئر ؛ فقال أحدهما : هي بئري وأنا فطرتها ، أي : ابتدأتها[١] .

﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ صفة للأجنحة ، وإنما لم ينصرف لتكرر العدل فيها ، والتقدير: أولي أجنحة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة . وزعم الزمخشري[٢] أنه لا يفترق الحال في مثنى وثلاث بين المكررة ، وغير المكررة وفيه نظر ؛ لأن غير المكررة حقيقة بأن تنصرف ؛ لأن مثنى وثلاث المكرر إنما نقل إلى هذا الوزن ليدل على التكرر؛ فالتكرر هو موجب منع صرفها ؛ فلا تستوي المكررة وغيرها .

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ قيل : في عدد الأجنحة . وقيل : في الجناح الثالث والرابع تقوية واستظهار ، والجناحان الأولان هما الأصل .

فإن قلتَ : قياس قسمة الأجنحة أن يكون في كل شق نصفها ، فأين موضع الثالث إذا كانت ثلاثة ؟ قلتُ : يجوز أن يكون الجناح الثاني في الوسط يعطي الجناحين قوة ، ويجوز أن يكون الجناح الثاني لغير الطيران ، قال الزمخشري : " رأيت في بعض الكتب أن بعض الملائكة لهم ستة أجنحة : جناحان يلفون بهما أجسادهم ، وجناحان يطيرون بهما ، وجناحان مرخيان على وجوههم ؛ حياء من الله "[٣] . وروي أن رسول الله ﷺ رأى جبريل وله ستمائة جناح[٤] . وروي أن رسول الله ﷺ رأى جبريل مرة أخرى فغشي عليه،

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٥٨ ) ونسبه لأبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) **ينظر** : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٩٥ ) .

(٣) **ينظر** : الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٥٩٥ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٢٩٩٣ ) ، ومسلم رقم ( ٢٥٣ ) ، والترمذي رقم ( ٣١٩٩ ) .

ثم أفاق وجبريل يسنده ، فقال النبي ﷺ : " سبحان الله ، ما كنت أظن أن خلقًا يكون كذا ، فقال له جبريل : لو رأيت إسرافيل !! فإن أحد جناحيه بالمشرق والآخر بالمغرب والعرش على كاهله وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كالوصع ؛ وهو العصفور الصغير "(١).

وقيل في قوله : ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ إنه الصوت الحسن والوجه الحسن والشعر الحسن. وقيل : الخط الحسن ، والآية أعمُّ ؛ فإنها تتناول كل زيادة من اعتدال وطول وتمام أعضاء وقوة بطش وحصانة العقل وجزالة الرأي وسماحة النفس وذلاقة اللسان ولباقة المتكلم .

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

وحسن بأن استعير الفتح للإطلاق والإرسال ، والمعنى : فلا فاتح له ، أي: ما يفتح الله من رحمة ( ٢٠٦/ ب ) أي : من نعمة أو رزق أو مطر أو غير ذلك من أصناف أنعامه لا يقدر على حصرها إلا هو ، وتنكير ﴿رَّحْمَةٍ﴾ للإشاعة والإبهام ؛ كأنه قال: من أي رحمة كانت من سماوية أو أرضية فلا يقدر أحد على حبسها، وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه . فإن قلتَ : فلم أنّث الضمير أولا فقال : ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ وذكّره ثانيا فقال : ﴿فَلَا مُرْسِلَ لَهُ﴾ ؟ قلتُ : هما لغتان : الحمل على لفظ "ما" لأنه مذكر ، والحمل على معناها ؛ لأنه بمعنى الرحمة . وقيل : لما فسر الرحمة كان الرجوع إلى معناها أقرب من لفظها ، ولما لم يسمها في الثانية ناسب أن يحمل على لفظها.

---

(١) رواه عبد الله بن المبارك في الزهد ( ١ / ٧٤ رقم ٢٢١ ) ، ونسبه له السيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٢٨ ) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٣ / ١٤٦ ) : وهو مرسل جيد . قال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر (٥ / ١٩٠ ) : **الوصع** : يُروى بفتح الصاد وسكونها وهو طائر أصغر من العصفور، والجمع وصعان .

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعد إمساكه . ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ، لكن باللسان وبالقلب ، وحفظها من الكفران ، وشكرها : الاعتراف بإنعام مهديها . والخطاب عام في الأمر بالتذكر ، وعن ابن عباس : " يريد : يا أهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم ؛ حيث أسكنكم حرمه ، ومنعكم من جميع العالم والناس يتخطفون من حولكم " . وعنه : نعمة الله : العافية[١]. ﴿يَرۡزُقُكُم﴾ يجوز أن يكون لا موضع له من الإعراب ؛ لأنه ابتداء كلامٍ ، وأن يكون له موضع إذا كان صفة لخالق . فإن قلت: هل فيه أن ( الخالق ) لا يطلق على غير الله عز وجل ؟ قلت : نعم إذا جعلت﴿يَرۡزُقُكُم﴾ كلامًا مستأنفًا ، و﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مستأنفة لا موضع لها من الإعراب ، ولو وصلتها بـ "يرزقكم " لم يصح ؛ لأنه يصير التقدير: لا خالق يرزق إلا الله فمفهومه : أن من كان خالقًا ولم يكن رازقًا يمكن وجوده وليس كذلك . ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ تقلبون من الحق إلى الباطل ، ومنه تسمية المؤتفكات قرى لوط ؛ لأن الأرض خسفت بهم فقلبت ؛ وسمي الباطل إفكًا لأنه يقلب الحق عن صورته . وقوله :﴿ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ﴾ تسلية لرسول الله ﷺ ونعي على قريش سوء اعتمادهم مع الأنبياء ؛ كانوا رسلا عددهم كثير وعقولهم تامة فصبروا على ما كذبوا وأوذوا فتأسَّ بهم .

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا﴾ كمن لم يزين له ذلك ، وهو كقوله : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾[٢]. أي : كمن لم يشرح ؟ فإن قلت : لم جاء قوله :﴿ فَتُثِيرُ﴾ فعلا مضارعًا دون ما قبله وما بعده ؟

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٥٩٧ ) .

(٢) سورة الزمر، الآية ( ٢٢ ) .

قلت : ليحكي الحال في إثارة الريح السحاب ، ويستحضر تلك الحالة العجيبة الدالة على القدرة الربانية ، ومنه قول تأبط شرًا (٢٠٧/أ) [ من الوافر ] :

بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَسْعَى ... بِسَهْبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَان

فَأَضْرِبُهَا بِلا دَهَشٍ فَخَرَّتْ ... صَرِيعًا لِليَدَيْنِ وَلِلجِرَان[1]

كأنه يريهم إياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جرأته على كل هول، وثباته عند كل شدة ، وكذلك سوق السحاب إلى البلد الميت ، وإحياء الأرض بالمطر بعد موتها لما كان من الدلائل على القدرة الباهرة ، قيل :﴿ فَسُقْنَٰهُ ﴾ و﴿فَأَحْيَيْنَا﴾ معدولاً بهما عن لفظة الغيبة إلى ما هو أدخل في الاختصاص وأدل عليه . والكاف في " كذلك " في محل الرفع أي : مثل ذلك إحياء الموتى ونشورهم . وروي: "أن رجلا سأل النبي ﷺ : كيف يحيي الله الموتى ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال : هل مررت بوادٍ أهلك محيلا ، ثم مررت به يهتز خضرًا ؟ فقال : نعم . فقال : كذلك يحيي الله عز وجل الموتى "[2]. وقيل : يحييهم الله عز وجل بماء ينزله من تحت العرش كمني الرجال حتى تنبت منه أجسادهم وتنشق الأرض عن نفوسهم .

كان الكافرون يتعززون بالأصنام ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴾[3]. والمنافقون يتعززون بالمشركين﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[4]. فلم يجعل لأحد نصيبًا في العزة ؛ فوضع قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ موضع قوله : فليطلبها منه . كما تقول : من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، والمراد:

---

(١) ينظر البيتان في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٠٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٦٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٦٠١ ) ويروى البيت الثاني : فاضربها فاقتلها ............. والسهب : الفضاء المستوي بعيد الأطراف . والصحيفة : الكتاب . والصحصحان : المستوي من الأرض . والجران: مقدم عظم العنق . والمعنى : يا من تنكر وجود الغول إني أخبر إخبارا يقينيا بأني قد لقيتها في مكان متسع مستو ، فجعلت أضربها بلا خوف فسقطت مطروحة على يديها وعنقها .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٦١ ) ونسبه لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٣) سورة مريم ، الآية ( ٨١ ) .

(٤) سورة النساء ، الآية ( ١٣٦ ) .

فليطلبها منهم . ثم عرف أن طريق طالب العزة إنما هو الإيمان والعمل الصالح بقوله :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ والكلم الطيب: لا إله إلا الله ؛ فإذا اقترنت بالأعمال الصالحة كان أجدر لقبولها . وقيل : الرافع الكلم والمرفوع العمل ؛ فإنه لا يقبل عمل إلا مع التوحيد لله عز وجل . وقيل : الرافع الله ، والمرفوع العمل . وقيل :﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ كل ذكر من تسبيح وتهليل وتكبير وقراءة قرآن ودعاء واستغفار وغير ذلك . وعن النبي ﷺ : " هو قولك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن عز وجل "[١]. ( ٢٠٧/ ب ) وعن ابن المقفع[٢]: " قول بلا عمل كزبد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر " . وقرئ ﴿وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [٣] والرافع الله أو الكلم .

و﴿وَمَكْرُ﴾ لا يتعدى وإنما نصب﴿ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ لأنه نعت مصدر محذوف ، أي: مكروا المكرات السيئات ؛ لقوله :﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [٤] وعنى بالمكر مكر قريش بالنبي ﷺ في دار الندوة . ﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الماكرين في دار الندوة حقيق بالدمار والهلاك . قال ابن الزبعري[٥] لما أسلم [ من الخفيف ] :

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٥ / ٤٦٢ ) ونسبه لابن جرير الطبري وعبد بن حميد والطبراني والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات ، عن ابن مسعود .

(٢) **هو عبد الله بن المقفع** أحد البلغاء والفصحاء ورأس الكتَّاب وأولي الإنشاء ، وكان من مجوس فارس فأسلم على يد الأمير عيسى عم السفاح وكتب له واختص به . وكان ابن المقفع مع سعة فضله وفرط ذكائه فيه طيش ، وروي عن المهدي قال : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع . قال الأصمعي: صنف ابن المقفع الدرة اليتيمة التي ما صُنِّفَ مثلها . مات سنة خمس وأربعين ومائة .
**تنظر ترجمته في** : سير أعلام النبلاء للذهبي ( ٦ / ٢٠٨ ) وينظر قوله في الكشاف ( ٣ / ٦٠٣ ) .

(٣) قرأ " والعملَ " بالنصب ابن أبي عبلة وعيسى بن عمر ، وقراءة الجمهور " والعملُ " بالرفع .
**تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٠٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٦١ ) ، فتح القدير ( ٤ / ٣٤١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٠ ).

(٤) سورة فاطر، الآية (٤٣) .

(٥) هو عبد الله بن الزبعري بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي الشاعر ، كان من أشد الناس على رسول ﷺ وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان من أشعر الناس وأبلغهم، يقولون: إنه أشعر قريش قاطبة . قال محمد بن سلام: كان بمكة شعراء، فأبدعهم شعرا عبد الله بن الزبعري . قال الزبير : كذلك يقول رواة قريش: إنه كان أشعرهم في الجاهلية . قال أبو عمر بن عبد البر – رحمه الله – : كان =

يَـــا رَسُـــولَ المَليــكِ إِنَّ لِـسَانِي   رَاتِـــقٌ مَـــا فَتَقْـــتُ إِذْ أَنَـــا بُـــورُ[١]

﴿أَزْوَٰجًا﴾ أصنافًا ، أو ذكرانًا وإناثا .﴿ بِعِلْمِهِۦ﴾ في موضع الحال ، أي : لا معلومة لـه . فإن قلتَ : ما معنى قوله :﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾؟ قلتُ : معناه : وما يعمر من أحـد ، سماه معمّرًا بما هو صائر إليه . فإن قلتَ : الإنسان إما يعمر طويل العمر أو منقوص العمر ، أي : قصيره ، فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال ، فما معنى الآية ؟

قلتُ : هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة بصحة فهم السامعين ، وعليه كلام الناس: أطـال الله بقاءك ، ومدَّ في عمرك . وقيل : الستون حد المعمر ؛ فمن بلغها فمعمـر ومـن لم يبلغهـا فمنقوص العمر . والكتاب : اللـوح ، ويجـوز أن يـراد بكتـاب الله تعـالى علمـه أو صـحيفة الإنسان . ضرب البحرين الحلو والملح مثلين للمؤمن والكافر، ثم استطرد بذكر ما أنعـم بـه في أحدهما أو فيهما من أكل السمك واستخراج اللؤلؤ والمرجان .

---

= يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك، ثم أسلم عبد الله الزبعري عام الفتح بعد أن هرب يوم الفتح إلى نجران، فرماه حسان بن ثابت ببيت واحد فما زاده عليه : لا تعد من رجلا أحلك بغضه نجران في عيش أجد أثيم ، فلما بلغ ذلك ابن الزبعري قدم على رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه واعتذر إلى رسول الله ﷺ ، فقبل عذره، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد ، ومن قوله بعد إسلامه للنبي عليه السلام معتذرا :

يـــا رســـول المليـــك إن لـــساني   راتـــق مـــا فتقـــت إذ أنـــا بـــور

إذ أجاري الـشيطان في سـنن الغـي   أنـــا في ذاك خاســـر مثبـــور

يـشهد الـسمع والفـؤاد بمـا قلـت   ونفـــسي الـــشهيد وهـــي الخـــبير

إن مـــا جئتنـــا بـــه حـــقٌ صـــدقٌ   ســـاطع نـــوره مـــضيء مـــنير

جئتنـــا بـــاليقين والـــصدق والـــبر   وفي الـــصدق والـــيقين الـــسرور

أذهـــب الله ضـــلة الجهـــل عنـــا   وأتانـــا الـــرخاء والميـــسور

في أبيات له ، **والبور** : الضال الهالك وهو لفظ للواحد والجمع ، توفي سنة ( ١٥ هـ ) .

**تنظر ترجمته في** : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ٩٠١ - ٩٠٣ ) .

(١) **ينظر البيت في** : الاستيعاب لابن عبد البر ( ٣ / ٩٠٢ ) ، تفسير ابن جرير الطبري ( ١٣ / ٢١٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ١٦١ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ١ / ٢٠٠ ) .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ شواق الماء بجريها ؛ يقال : مخرت السفينة الماء . ويقال للسحاب: بنات مخر ؛ لأنها تمخر الهواء ، والسفن الذي اشتقت منه السفينة من المخر؛ لأنها تسفن الماء كأنها تقشره .﴿ مِن فَضْلِهِ﴾ الضمير عائد إلى الله تعالى ولم يسبق له ذكر، وإنما أعاد الضمير لما دل عليه الكلام من سياقه . وحرف الرجاء مستعار ، أي: عاملنا معاملة الراجي . و﴿فُرَاتٌ﴾ الذي يكسر العطش . والسائغ : السريع الانحدار إلى المعدة ( ٢٠٨/أ) لحلاوته . و﴿مِلْحٌ﴾على فعل ، والأجاج : الذي يحرق بملوحته ، هذه طريقة الاستطراد وذكر البحرين ، وجر ذكرهما ما فيهما من المنافع ، وتحتمل وجهًا غير الاستطراد : وهو أن الله ضرب البحر الملح للكافر ثم فضل البحر على الكافر بما يستخرج من البحر من اللؤلؤ والسمك ، والكافر خلو من المنفعة بالكلية ؛ فهو كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾[1] . ضرب مثلا للقلوب بالحجارة ثم فضل الحجارة على القلوب بما خلق الله فيها من المياه والمنافع ؛ فقال : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ إلى آخر الكلام .﴿ ذَٰلِكُمُ﴾ مبتدأ﴿اللَّهُ﴾ خبر ﴿رَبُّكُمْ﴾ خبر بعد خبر.

﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ خبر آخر ، ويجوز أن يكون اسم الله عز وجل عطف بيان لـ" ذلكم " ويجوز أن يكون صفة لـ " ذلكم ". والقطمير : لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها. إن تدعوا الأوثان﴿ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾على سبيل الفرض والتمثيل ؛ لأنهم لا يدعون ما يثبتون لهم من الإلهية .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ( ٧٤ ) .

﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي : بإشراككم إياهم ؛ يقولون : ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [١] ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ولا يخبرك بالأمر مخبر وهو مثل خبير ، يريد أن الخبير بالأمر وحده هو الذي ينبئك بالحقيقة دون سائر المخبرين به ، والمعنى أن هذا الذي أحدثكم به من حديث الأوثان هو الحق ؛ لأني خبير بما أحدث به . وإنما جاء باسم ﴿الْحَمِيدُ﴾ مع أن لفظ ﴿الْغَنِيُّ﴾ كاف في مقابلة ﴿أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ لأن الحميد يدل على أنه فعل ما يحمد عليه وإنما يفعل ذلك من تم غناه فلم يفتقر إلى أحد غيره وهو الله عز وجل . ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بممتنع . ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ يطيعونه ولا يعصونه .

الوزر والوقر أخوان ، أي : لا تحمل نفس حاملة حمل أخرى . ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ بالحمل ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ تخفيف ﴿حِمْلِهَا﴾ أو حمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ذا قرابة للداعي . فإن قلتَ : كيف نوفق بين هذا ، وبين قوله : ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[٢] ؟ قلتُ : آية العنكبوت جاءت في الضالين المضلين ؛ يحملون أوزار ضلالهم وأوزار إضلالهم ، والضالون يحملون أوزار ضلالهم خاصة ؛ لأنهم لم يضلوا أحدًا . (٢٠٨/ب ) ألا ترى كيف كذّب الله المضلين فقال: ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ الآيتين[٣] ؟ فقوله : ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: ولا تزر حاملة ، أخص من المثقلة بالحمل فهو أبلغ ، والمثقلة أخص من الحاملة ؛ لأن الحاملة تكون مثقلة وغير مثقلة . إنما ينفع إنذارك ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ . ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾ بفعل الطاعات وترك المعاصي . وقوله : ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ يؤكد قوله : ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ لأن خشية الله تعالى باعثة على الطاعة واجتناب المعصية فإن قلت : كيف اتصل قوله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ بما قبله ؟ قلت : لما غضب عليهم بقوله : ﴿يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أتبع ذلك بالإنذار بيوم القيامة وذكر أهوالها ، ثم قال: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ كان رسول الله ﷺ قد كرر الإنذار فلم يؤثّر فيهم ؛ فنزل ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾[٤].

---

(١) سورة يونس ، الآية (٢٨) .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ( ١٣ ) .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية ( ١٢ ) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٩٠٧ ) .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾

﴿الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ مثل الكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلاً لهما ، والنور والظلمة والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يترتب عليهما من الثواب والعقاب ، والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام ، وللذين لم يدخلوا فيه وأصروا على الكفر.

و﴿الْحَرُورُ﴾ السموم ، إلا أن السموم يكون بالنهار ، والحرور يكون بالليل والنهار. وقيل: بالليل . فإن قلتَ : ما هذه الواوات ؟ [ قلتُ ][1] : بعضها ضمت وترًا إلى وتر ، وبعضها ضمت شفعًا إلى شفع ؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ يعني : أنه قد علم من يدخل في الإسلام ممن لا يدخل . قوله :﴿ بِالْحَقِّ ﴾ حال من أحد الضميرين يعني محقا أو محقين ، أو صفة للمصدر؛ أي : إرسالا مصحوبا بالحق ، أو: صلة لـ ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ أي : بشيرا بالوعد الحق ، ونذيرا بالوعيد الحق . والأمة : الجماعة الكبيرة . فإن قلتَ : كم بين عيسى ومحمد - صلى الله عليهما- من أمة ولم يخل فيها نذير ؟ قلتُ : إنما بقاء دين النبي يعمل به بعده بمنزلة بقائه ، وجميع من اتبعه أمة واحدة . ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات .

﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ التوراة والإنجيل .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

---

(١) زيادة من الكشاف يقتضيها السياق ، وليست بالأصل .

﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ كالمشمش والتفاح وغيرهما، وقيل: ﴿أَلْوَانُهَا﴾ الصفرة والحمرة والخضرة وغيرها. والجدد: الخطط والطرائق، وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (٢٠٩/أ).

﴿وَغَرَابِيبُ﴾ قيل: هي الجبال الطوال السود. فإن قلتَ: يقال: أخضر ناضر، وأصفر فاقع، وأسود حالك وغربيب، وأحمر قاني، فنرى التابع المؤكد متأخرًا، وهاهنا وجد المؤكد متقدمًا؟ قلتُ: الوجه أن تجعل المؤكد متأخرًا وتضمر قبل المؤكد ذكر اللون، ولابد من تقدير مضاف تقديره: ومن الجبال ذوو جدد من بيض وحمر وسود؛ حتى يطابق قوله: ﴿ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أي: بعض مختلف ألوانه. والمراد ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ الذين يعلمون صفاته، وما يجب له وما يستحيل عليه، وفي الحديث: "أعلمكم بالله أشدكم له خشية"[1].

وفي زيادة العلم بالله سبحانه زيادة الخوف من انتقامه. وقد أثَّرت فيه الخشية حتى عرفت فيه. فإن قلتَ: هل يختلف المعنى بين تقديم المفعول على الفاعل وبين تأخيره؟

قلتَ: نعم، فإنك إذا قدّمت اسم الله وأخرت العلماء؛ كان المعنى: أن الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى وصار تقديره: إنما يخاف الله العلماء. ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما سبق قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فذكر ما يستدل به على عظيم قدرته أتبع ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وعن النبي ﷺ: "إني أرجو أن أكون أتقاكم لله وأشدكم له خشية"[2]. ﴿يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يداومون على تلاوته. وقيل: يتبعون ما فيه ويعملون به. وقيل: هم أصحاب رسول الله ﷺ ﴿يَرْجُونَ﴾ خبر "إن". والتجارة: طلب الثواب بالطاعة. وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿لَّن تَبُورَ﴾ وتقديره: تجارة تبقى وتنمى ليوفيهم بها، وإن شئت جعلت ﴿يَرْجُونَ﴾ في موضع الحال، أي: راجين أن يوفيهم وخبر "إن" ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: غفور لهم شكور لعملهم.

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٤٦٩) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن صالح أبي الخليل.

(٢) رواه مسلم رقم (١١١٠)، وأحمد في المسند (٦ / ٦٧، ١٥٦، ٢٤٥)، وأبو داود رقم (٢٣٨٩)، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٤٩٢)، عن عائشة رضي الله عنها.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾ القرآن ، " ومن " للتبيين أو للجنس . ﴿مُصَدِّقٗا﴾ حال مؤكدة ؛ لأن الصدق لا ينفك عنه . ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ لما تقدمه من الكتب ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا﴾ يعني : أورثناك الكتاب ثم أعلمناك أنا نورثه بعدك للعلماء بالقرآن . ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ هم أمة محمد ﷺ ؛ لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم ثم قسمهم إلى ﴿ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ وهو المرجأ لأمر الله، و﴿مُّقۡتَصِدٞ﴾ وهو الذي خلط ( ٢٠٩/ب ) عملا صالحًا وآخر سيئا ، و﴿سَابِقُۢ﴾ من السابقين ، وإنما قدم الظالم على بقية الأصناف ؛ لأنهم أكثر الخلق . ﴿وَلُؤۡلُؤٗا﴾ معطوف على محل ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ﴾ و" من " للتبعيض ، أي : يحلون بعض أساور من ذهب .

وقيل : إن ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ . ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ هو مثل قوله : ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [1]. وقيل : هو حزن الأعراض والآفات . وقيل : حزن الموت . وقيل : حزن إبليس ووسوسته . وقيل : هَمُّ المعاش . وقيل : حزن زوال النعم ، وقد أكثروا حتى قالوا : كراء البيت . وتأويله : لا يحزنهم شيء وإن قل حتى كراء البيت . وفي الحديث: " ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ، ولا في محشرهم، ويؤتى بأهل لا إله إلا الله فيخرجون من قبورهم ، وينفضون التراب عن وجوههم، ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن "[2].

﴿لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ دليل على كثرة حسناتهم . ﴿ٱلۡمُقَامَةِ﴾ الإقامة ، يقال : أقمت إقامة ومقامًا ومقامة . ﴿لُغُوبٞ﴾ تعب وإعياء . وقرئ : ﴿لَغُوبٞ﴾ بالفتح[3] إما مصدر كالقبول

---

(١) سورة الطور، الآية ( ٢٦ ) .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ( ٩٤٤٥ ) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٠ / ٨٥ – ٨٦)، ونسبه للطبراني في الأوسط من حديث ابن عمر . وقال الهيثمي : وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم ( ٤٨٩٨ ) .

(٣) قرأ بها علي بن أبي طالب والسلمي وسعيد بن جبير . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان =

والفرق بين اللغوب والنصب أن النصب : التعب ، واللغوب : ما يحصل بسبب النصب ، والنصب : نفس المشقة ، واللغوب : نتيجته .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧) إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) ﴾

وقرئ ﴿ فَيَمُوتُوا ﴾ [١] عطفا على قوله: ﴿ لَا يُقْضَىٰ ﴾ كقوله: ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [٢] ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ﴾ أي : مثل ذلك الجزاء نجزي . ﴿ يَصْطَرِخُونَ ﴾ من الصراخ ، وهو الصياح بجهد . فإن قلتَ : لم حذف الموصوف في قوله : ﴿ نَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ وأقام الصفة مقامه ؟ وما فائدة قوله : ﴿ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ على أنه يوهم أنهم كانوا يعملون صالحًا غير هذا العمل ؟

قلتُ : لزيادة التحسر على ما فاتهم من العمل الصالح ، وأما الوهم فزائل بسياق الكلام ، ودليل الغضب في قوله : ﴿ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ . ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ﴾ أي: فيقال لهم : أو لم نعمركم ؟ ﴿ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ﴾ وهو يشمل كل من أدرك من عمره وقتًا يمكنه فيه العمل ، إلا أن التوبيخ على صاحب العمر الأطول أولى . وروي أن العمر الذي أعذر الله فيه لمن أدركه ولم يتذكر ستون سنة . وقيل : ما بين العشرين إلى الستين . وقيل : ثماني عشرة سنة . و﴿ النَّذِيرُ ﴾ الرسول . وقيل : الشيب . وعطف قوله (٢١٠/أ)

---

= (٧/ ٣١٥)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٦٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٦ ) ، مختصر الشواذ لابن خالويه ( ص : ١٢٤ ) .

(١) قرأ بها الحسن وعيسى بن عمر . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣١٦ ) ، تفسير القرطبي (١٤/ ٥٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٧٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٣٥٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٧ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٢٠١ ) .

(٢) سورة المرسلات ، الآية ( ٣٦) .

﴿تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ على معنى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ فكأنه قال : قد عمرناكم وجاءكم النذير. ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بمعنى مضمراتها .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ﴾

﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ إن نافية أي : ما يمسكهما من أحد من بعده ؛ كما في قوله تعالى : ﴿بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ (١) وروي: "أن ابن عباس لقي رجلا، أخبره ذلك الرجل أنه لقي كعبًا فسأله : ما سمعت منه ؟ فقال : سمعته يقول : إن السماوات على كاهل ملك . فقال ابن عباس : كذب ، ثم تلا ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ الآية "(٢). روي: "أنه بلغ قريشًا أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم ، فقالوا : لعن الله اليهود والنصارى ، أتتهم رسل فكذبوهم ، والله لئن أتانا رسول﴿لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ فلما بعث رسول الله ﷺ كذبوه . وقوله : ﴿مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ أي : من واحدة منها . وقيل: المعنى لنكونن أهدى من الأمة التي يقال فيها أنها أهدى الأمم ، ومنه قوله ﷺ للمقداد : إحدى سوءاتك يا مقداد " (٣) .

---

(١) سورة الحج ، الآية ( ٦٥ ) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٣ / ٦١٧ – ٦١٨ ) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ( ٣ / ١٥٧ ) : رواه الطبري في تفسيره قال : حدثنا محمد بن بشار، ثنا عبد الرحمن، ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: "جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : من أين جئت ؟ قال : من الشام ، قال من لقيت؟ قال : لقيت كعبا ، قال ما حدثك كعب ؟ قال : حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك . قال : لقد كذب كعب ؛ إن الله يقول : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ﴾ الآية . وهذا سند صحيح وهو كما تراه عن ابن مسعود لا عن ابن عباس، ولعله اشتبه على المصنف عبد الله بعبد الله . قلت : وتبع السخاوي هنا الزمخشري في هذا الوهم والاشتباه .

(٣) رواه مسلم رقم ( ٣٨٣١ ) في حديث طويل عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : "أقبلت أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فليس أحد منهم يقبلنا، فأتينا النبي ﷺ، فانطلق بنا إلى أهله، فإذا ثلاثة أعنز، فقال النبي ﷺ : احتلبوا هذا اللبن بيننا. قال: فكنا نحتلب فيشرب كل إنسان منا نصيبه، ونرفع للنبي ﷺ نصيبه، قال : فيجيء من الليل فيُسلِّم تسليمًا لا يوقظ نائما ويسمع اليقظان، قال : ثم يأتي المسجد فيصلي، ثم يأتي شرابه فيشرب ،=

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ [1] .

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

﴿ٱسْتِكْبَارًا﴾ إما حال أو مفعول من أجله أو مصدر. ﴿سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إنزال العذاب على من كذب منهم ، وجعل استقبالهم لذلك انتظارًا له .﴿ بِمَا كَسَبُوا۟ ﴾ أي: بشؤم

---

= فأتاني الشيطان ذات ليلة وقد شربت نصيبي، فقال : محمد يأتي الأنصار فيتحفونه ويصيب عندهم، ما به حاجة إلى هذه الجرعة، فأتيتها فشربتها، فلما أن وغلت في بطني، وعلمت أنه ليس إليها سبيل؛ قال: ندمني الشيطان، فقال : ويحك، ما صنعت؟ أشربت شراب محمد؟ فيجيء فلا يجده، فيدعو عليك؛ فتهلك فتذهب دنياك وآخرتك ، وعلي شملة إذا وضعتها على قدمي خرج رأسي ، وإذا وضعتها على رأسي خرج قدماي، وجعل لا يجيئني النوم ، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت، قال: فجاء النبي ﷺ، فسلم كما كان يسلم، ثم أتى المسجد فصلى، ثم أتى شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيئا ، فرفع رأسه إلى السماء، فقلت : الآن يدعو علي فأهلك، فقال : اللهم أطعم من أطعمني ، واسق من أسقاني . قال: فعمدت إلى الشملة فشددتها علي وأخذت الشفرة فانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن؛ فأذبحها لرسول الله ﷺ، فإذا هي حافلة، وإذا هن حفل كلهن، فعمدت إلى إناء لآل محمد ﷺ ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، قال : فحلبت فيه حتى علته رغوة، فجئت إلى رسول الله ﷺ، فقال : أشربتم شرابكم الليلة ؟ قال : قلت : يا رسول الله اشرب. فشرب، ثم ناولني، فقلت : يا رسول الله، اشرب ، فشرب، ثم ناولني، فلما عرفت أن النبي ﷺ قد رُوي، وأصبتُ دعوته، ضحكت حتى ألقيت إلى الأرض، قال : فقال النبي ﷺ : إحدى سوآتك يا مقداد . فقلت : يا رسول الله كان من أمري كذا وكذا وفعلت كذا . فقال النبي ﷺ : ما هذه إلا رحمة من الله، أفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها، قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ما أبالي إذا أصبتها وأصبتها معك من أصابها من الناس " .

(١) سورة المدثر ، الآية ( ٣٥ ) .

ذنوبهم . وقيل: بحبس المطر فتهلك الحيوانات . ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ، أو جزاء أعمالهم .

﴿كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ وعيد بالجزاء .

* * *

## تفسير يس [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يس ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٤﴾

﴿يس﴾ بالفتح كـ " أين " وبالنصب بمعنى: اتل يس ، وبالضم كـ " منذ " ، وبالرفع على هذه يس ، وبالجر على حذف حرف القسم وإدغام النون في السين وإظهارها وإمالة ( يا ) وتفخيمها[1] . وقيل : معناها : يا إنسان في لغة طيئ ، وشك بعضهم في صحة الرواية بذلك عن لغة طيئ ، ووجهه إن صح : أنه كان الأصل : يا أنيسين ، فكثر دورانه على الألسنة، وحذف شطره وبقي يا سين .

﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة ، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة ، أو لأنه تنزيل من حكيم . ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ خبر بعد خبر ، أو صلة للمرسلين . فإن قلتَ : قوله ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ خبرًا كان أو صلة أي حاجة إليه والمرسلون لا يكونون إلا كذلك ؟

قلت : ليس الغرض تمييز من هو على صراط مستقيم من الرسل عمن ليس كذلك ؛ بل القصد الإعلام بأنه سالك طريقا لا يقدر قدرها ، ولا يعرف مقدار عظمتها (٢١٠/ب) والتنكير دال عليه .

﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝٨﴾

وقرئ ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وبالنصب على أعني ،

---

(١) قرأ جمهور القراء بسكون النون والإظهار مع الواو ، وأدغم النون في الواو بعدها ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص وقالون وورش بخلاف عنه ، وقرأ بالفتح ابن إسحاق بخلاف عنه وعيسى بن عمر عن الغنوي ، وقرأ الكلبي بالضم ، وقرأ ابن أبي إسحاق وأبو السمال بالكسر ، وأمال " يا " حمزة والكسائي وأبو بكر . **تنظر في** : الإملاء للعكبري ( ٢/ ٢٠١ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٢٣)، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٧٤ – ٤٧٥ ) ، السبعة ( ص : ٥٣٨)، المحتسب ( ٢ / ٢٠٣ ) ، المحرر الوجيز ( ١٣ / ١٨٦ ) .

وبالجر على البدل من القرآن(١) .

﴿قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ما : نافية ، أي : لتنذر قومًا لم ينذر آباؤهم ؛ على الوصف ، ويجوز أن تكون " ما " مصدرية ، أي : لتنذر قومًا إنذارًا مثل ما أنذر آباؤهم .

فإن قلتَ : فالمعنيان يتعارضان ؛ لأن الأول ينفي إنذار الآباء والثاني يثبته ؟ قلتُ: لا تعارض ؛ لأن الأول في نفي إنذار الآباء ، والثاني في إثبات إنذارهم أنفسهم .

فإن قلتَ : ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ بم يتعلق ؟ قلتُ : على الأول يكون متعلقا بـ﴿ مَّآ أُنذِرَ ﴾ أي: ترك الإنذار سبب غفلتهم . وعلى الثاني : متعلقة بـ ﴿ لِتُنذِرَ ﴾ كما تقول : أرسلتك إلى فلان لتنذره فهو غافل . و﴿إِلَى﴾ في قوله ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ على بابها من انتهاء الغاية متعلقة بمحذوف ، التقدير: فهي واصلة إلى الأذقان ؛ لأن ملتقى الغل من أمام الوجه تكون فيه حلقة تمنع مطاطأة الرأس ، فلا يزال رافعًا رأسه مقمحًا ، يقال : أقمح البعير: إذا رفع رأسه من الشرب لبرد الماء ، وهما شهرا قماح وهما كانون الأول وكانون الثاني؛ لأن الماء فيهما يبرد فيحتاج شاربه إلى أن يرفع رأسه قليلا قليلا .

وقد قال قائل : إن الضمير في قوله : ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ راجع إلى الأيدي مضمومة إلى الأعناق وهو بعيد ؛ لأن ذلك لا يكون سببًا في الإقماح المذكور(٢) .

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ

---

(١) قرأ بالرفع نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر ، وقرأ الجمهور بالنصب ، وقرأ بالجر أبو حيوة واليزيدي وأبو جعفر وشيبة . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٢٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٧٥ ) ، السبعة ( ص : ٥٣٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٧٠ ) .

(٢) قال ذلك الطبري في تفسيره ( ٢٢ / ١٥٠ ) وعبارته : " وقوله إلى الأذقان يعني فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم فكني عن الأيمان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلا وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان " .

ورد ذلك الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٦ ) فقال : " ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهرا على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه " .

بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾

وقرئ " إنا جعلنا في أيديهم " ، " وفي أيمانهم " [(١)] وهو ضعيف ؛ لما سبق من كون الغل سببًا في الإقماح . وقرئ ﴿سَدًّا﴾ بالفتح والضم[(٢)]. وقيل : ما كان من فعل الناس فبالفتح ، وما كان من فعل الله فبالضم .

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فألبسنا أبصارهم غشاوة ، أي : غطيناهم . وقرئ (فأعشيناهم) بالعين[(٣)] من العشاء ، وهو تعذر الإبصار بالليل . وقيل : نزلت في بني مخزوم ، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدًا يصلي ليرضخن رأسه ، فجاء النبي ﷺ فصلى فأخذ أبو جهل حجرًا ليرضخ به رأسه كما زعم ، فيبست يده ولصق الحجر بجلده ، فلم يقدر على فكه إلا بجهدٍ ، فقال مخزومي آخر: أنا أرضخه بهذا الحجر فقام ليفعل فأعمى الله بصره[(٤)].

قوله عز وجل : ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ متعلق بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ الآية، أي : لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم ؛ لأجل السد المانع من ذلك ؛ لأنهم متعامون على النظر في الآيات . فإن قلتَ : قوله : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ﴾ (٢١١/أ) إنما يتوجه إذا كان الإنذار حاصلاً ، وقد تقدم قوله : ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ ؟

---

(١) قرأ " في أيديهم " ابن عباس ب ، وقرأ ابن مسعود ﷺ " في أيمانهم " . **تنظر في** : تفسير القرطبي (١٥ / ٧ ) ، فتح القدير ( ٤ / ٣٦١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨١ ) ، معاني القرآن للفراء (٢ / ٢٧٣ ) .

(٢) قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وخلف " سدا " بفتح السين ، وقرأ الباقون " سدا " بضم السين . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٢٥ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٩٨) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٩٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٧٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٣٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣١٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣١٥ ) .

(٣) قرأ بها ابن عباس وعمر بن عبد العزيز والحسن ويحيى بن يعمر وأبو رجاء وعكرمة .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٢٥ ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ١٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٧٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨١ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٤١٤ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٢٠٤ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٢٧٣ ) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٢ / ١٥٢ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٧ / ٤٣ ) للبيهقي في الدلائل .

قلتُ : لما كان المقصود بالإنذار الانكفاف والانزجار فإذا لم يحصل فكأنه لا إنذار ، وإنما ينفع إنذارك من كان غير مطبوع على قلبه ، وخاشيا ربه بالغيب ومنتفعًا بـ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ أي: بالقرآن أو بالموعظة .

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ حمل على الحقيقة . وقيل : يخرجهم من الكفر إلى الإيمان ؛ فجعل المجاز في الإحياء والإماتة .﴿ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ ما أسلفوا من أعمال صالحة ، وما علموه من علم أو صنفوه من كتب أو حبسوه من حبس أو سيئة ؛ كالظلامات التي أحدثها الظلمة، وتعليم الفاحشة والخنا ، وغير ذلك ، ومنه قوله تعالى : ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذِۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾[1] أي: قدم من أعمال ، وأخر من آثاره . وقيل: هي أثر المشي إلى المساجد ، وأراد بعض الصحابة أن ينتقل إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ فقال له : " ابق على مسكنك ؛ فإن خطواتكم إلى المساجد من آثاركم ، وتلا: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾ الآية [2].﴿فِيٓ إِمَامٖ﴾ أي : في كتاب ، وأراد بالكتاب : اللوح المحفوظ .

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾ أي : واجعل أصحاب القرية مثلاً لهم ، وهو كقولك : عندي ضرب من هذا المتاع ، وضربت القصة خاتمًا ، وضربت الطين لبنًا.

و﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ أنطاكية ، و﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ رسل عيسى عليه السلام ، وبعثهم عيسى دعاة إلى الحق . ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا﴾ فقوينا﴿ بِثَالِثٖ﴾ وهو شمعون الصَّفا وكان عيسى قد بعث

---

(١) سورة القيامة ، الآية ( ١٣ ) .

(٢) رواه مسلم في صحيحه رقم ( ١٠٦٨ ) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : " خلت البقاع حول المسجد، فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم : إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم، دياركم تكتب آثاركم " .

اثنين إلى أنطاكية ، فلما بلَّغا الرسالة إلى الملك لم يقبلهما وحبسهما ، ثم بعث عيسى رجلاً ثالثًا وهو شمعون فتحيل حتى اتصل بحاشية الملك وكان يحضر في مجلس الملك فقال يومًا للملك : إنه بلغني أنك حبست رجلين جاءاك برسالة ؟ فقال : نعم ، أحضروهما فأحضروهما ، فسألهما شمعون : فقالا : ربنا الذي يحيي ويميت ، فنحن نبرئ الأكمه والأبرص فأحضر الملك غلامًا أعمى ، فدعوا الله عز وجل فانشق موضع البصر ، ثم أخذا بندقتين من طين فوضعاهما في موضع شق العين ، فصارا مقلتين صحيحتين ؛ فقال شمعون للملك : إن قدر إلههما أن يحيي ميتًا آمنا به ، والملك يحسب أن شمعون من أصحابه ، وكان شمعون يدخل معهم إلى الأصنام فيسجد معهم في سجودهم (٢١١/ب ) ويتضرع إلى الله تعالى ، فقال شمعون للملك : إن أحيا هذان ميتًا قويت حجتهما ، فأحضر الملك غلاما له مات من سبعة أيام ، فأحياه الله تعالى بدعائهم ، وقال : إني أدخلت في سبعة توابيت من نار ، فآمنوا بالله ورسله ؛ فإني رأيت السماء قد انشقت ورأيت شخصًا يشفع لهؤلاء الثلاثة ، فانكشف حال شمعون ، وعرفوا أنه على دين عيسى عليه السلام ، ودعا شمعون الملك إلى الله عز وجل فأجابه وكذبه الآخرون ؛ فأهلك الله تلك القرية كلها ؛ نزل جبريل وأخذ بعضادتي باب المدينة ، وصاح صيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين[١] .

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

﴿تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ تشاءمنا ؛ كما قالوا لصالح وللمؤمنين الذين معه : ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [٢] .﴿لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ﴾ قيل : بالحجارة . وقيل : لنقتلنكم . قالت لهم الرسل جوابًا :

---

(١) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٨ ) .

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٤٧ ) .

﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ يعني أن هذا الشؤم الذي أصابكم إنما هو شؤم معاصيكم .﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾ أعرضتم وتطيرتم بنا . وجاء حبيب النجار من آخر المدينة لما سمع باجتماع الناس لقتل الرسل ، وكان قد آمن من قبل ذلك بالحواريين .﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ على دعائه ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ أتم الناس عقلا وذلك أن التهمة تحصل لمن دعا إلى أمر ينشئه إما بأن له في ذلك غرضًا ، وإما أن يكون في عقله نقص ، فنفى الله هذين المانعين عن الرسل ؛ وقال : ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا﴾ ثم تلطف حبيب النجار في تخليص الرسل بأن فرض الكلام في غلط نفسه وشرع يلومها فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ ولم يقل : ما لكم ؟ ونظيره في التلطف قول مؤمن آل فرعون : ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ثم قال : ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ﴾ فقد قسم الكذب مع علمه بأن الرسول لا يكذب ؛ لأن الملوك لا يخاطبون بما يكرهون . ثم قال : ﴿يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ [1] وإذا كان صادقًا أصابهم كل ما وعدهم به ، ثم صرح حبيب النجار بموافقته لدين عيسى فقال : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ فقتلوه ، فلما وقف بين يدي الله - تعالى - ورأى ما أعده له من الكرامة أدركته الشفقة على قومه فقال :﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ يجوز أن تكون " ما " في ﴿ بِمَا غَفَرَ ﴾استفهامية ، أي : بأي شيء جعل لي الغفران ، وأن تكون موصولة (٢١٢/ أ ) والتقدير: يعلمون أي شيء غفر لي من الذنوب ، وأن تكون مصدرية ؛ أي : بمغفرة ربي ، إلا أنها إذا كانت استفهامية فالغالب حذف ألف الاستفهام ؛ ونحوه : ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾[2]﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [3] ولم يقل: عما،﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[4] ولم يقل: فبما ، ويجوز ثبوت الألف مع الاستفهام ؛ كما قال حسان بن ثابت الأنصاري [من الوافر]:

عَلَى مَا قَامَ يَشْتُمُنِي لَئِيمُ كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمَادِ[5]

---

(١) سورة غافر، الآية ( ٢٨) .

(٢) سورة الطارق ، الآية ( ٥) .

(٣) سورة النبأ ، الآية ( ١) .

(٤) سورة الحجر ، الآية ( ٥٤) .

(٥) **ينظر في** : تفسير الطبري ( ١٩ / ١٥٦ ) ، تهذيب الأسماء للنووي ( ٣ / ٣١٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٠ ) ، لسان العرب ( قوم ) .

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ وما احتجنا في إهلاك قومه إلى أن نبعث جندًا . ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ وما كان هذا من شأننا وعادتنا . ﴿إِن كَانَتْ﴾ إهلاكتهم إلا بصيحة واحدة صاحها جبريل ، فهلكوا أجمعين ، يعني : إن كانت الأخذة أو العقوبة إلا صيحة ، وقرئ بالرفع على التامة وهي بعيدة [(١)] لأن التقدير يصير : وما وجد إلا صيحة .﴿ خَٰمِدُونَ﴾ كالنار إذا طفئت وبقيت رمادًا .

﴿يَٰحَسْرَةً﴾ نادى الحسرة كأنه قال : يا حسرة هذا وقتك فتعالي . وقيل : هم أحقاء بأن يقال عليهم يا حسرة على هؤلاء العباد . ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ ليس معمولا لقوله : ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[(٢)] ، سواء كانت للاستفهام أو للخبر ، إلا أن الفعل عامل في﴿كَمْ﴾ من جهة المعنى ، والتقدير: ألم يروا كثرة إهلاكنا ؛ كما تقول : ألم تر أن أباك المنطلق ، فعملت في المعنى لا في اللفظ . وقوله : ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يبطل قول أهل الرجعة [(٣)]. وروي أن رجلا قال لابن عباس : إن عليا مبعوث فقال : " بئس القوم نحن ، نكحنا نساءه ، وقسمنا ميراثه "[(٤)].

---

(١) قرأ بها أبو جعفر وشيبة والأعرج ومعاذ القارئ . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٣٢ ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٢١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٣٦٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٠ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٢٠٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٤٩ ) .

(٢) وذلك لأن الاستفهام له صدر الكلام ، ولكن يعمل فيه ما بعده ؛ لأنه لا يخرجه عن المصدر في اللفظ . **ينظر** : التبيان في إعراب القرآن للعكبري ( ١ / ١١٠ ، ٢٢٣ ) ، شرح شذور الذهب لابن هشام ( ١ / ١٦٢ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١/ ١٨٩ ، ٥٤٥ ) .

(٣) **أهل الرجعة** ويسمون الرجعية فرقة من فرق الرافضة زعموا أن عليا وأصحابه يرجعون إلى الدنيا وينتقمون من أعدائهم * . ينظر عنهم : تلبيس إبليس لابن الجوزي ( ١ / ٣٢ ) ، مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ( ١/ ١٥ ) .

(٤) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار ( ٣ / ١٦٤ ) للحاكم في مستدركه في فضائل الصحابة عن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن الأصم قال: قلت: للحسن بن علي: إن هذه الشيعة تزعم أن عليا=

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قرئ﴿لَّمَّا﴾ بتخفيف الميم [1]على أن ﴿وَمَا﴾ زائدة ، واللام هي الفارقة بين النافية والمثبتة والمعنى : أنهم محضرون للحساب والجزاء كما مضى في عدة مواضع . فإن قلتَ : لم أخبر عن ﴿ كُلٌّ ﴾ بـ ﴿جَمِيعٌ﴾ ولغتاهما سواء ؟ قلتُ : هما مختلفتان ؛ لأن ﴿ كُلٌّ ﴾ يفيد معنى الإحاطة والشمول ، و﴿جَمِيعٌ﴾ يفيد الاجتماع ، والجميع : فعيل ، بمعنى مفعول ، وتقدم ﴿فَمِنْهُ﴾ على﴿ يَأْكُلُونَ ﴾ لأن الحب فيه قوام الآدميين والحيوانات ، فإذا قل جاء القحط وغلا السعر.﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾هو سقي النبات والأشجار، واستنباط العيون والآبار . وذكر النخيل والأعناب ثم أفرد الثمر في قوله : ﴿لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ لأنه إذا علم حكم النخل في الثمر عرف مثله في الكرم . وقيل : أراد : ليأكلوا من ثمر ذلك ، قال رؤبة في حمر الوحش [ من الرجز ] :

فيها خطوطٌ من سوادٍ وبلقْ كأنهُ في الوجهِ توليعُ البَهَقْ[2]

( ٢١٢/ب ) فقيل له في ذلك ، فقال : أردت : كأن ذلك .

---

= عليه السلام مبعوث قبل يوم القيامة فقال كذبوا ما أولئك شيعة لو كان مبعوثا ما زوجنا نساءه ولا اقتسمنا ماله انتهى وسكت عنه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٧ / ٥٥ ) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي إسحق قال قيل لابن عباس إن ناسا يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة ، فسكت ساعة ثم قال : بئس القوم نحن إن كنا أنكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه أما تقرأون ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة وابن جماز " لمَّا " بالتشديد ، وقرأ الباقون " لَمَا " بالتخفيف .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٣٤ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٩٧ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢١ ) ، مجمع البيان ( ٨ / ٤٢٢ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٢٩١ ) .

(٢) **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٤ ) ، غريب الحديث للحربي ( ٣ / ١٠٣١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ١ / ١٤٩ ، ٤ / ١٥ ) لسان العرب ( بهق ) ، ويروى : كأنه في الجسم توليع البهق . وكأنه في الجلد توليع البهق .

ولك أن تجعل " ما " في قوله : ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ نافية ، أي : ولم تعمله أيديهم .

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠) ﴾

﴿الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها . وفي الحديث : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر "[١]. ونحوه : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[٢] ﴿مُظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام ، يقال : أظلمنا ؛ كما يقال : أعتمنا .

﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ لحد مؤقت . قيل : المستقر : هو مجراها من المشرق إلى المغرب ، ومن المغرب إلى المشرق ؛ فهو مجراها الذي لا تفارقه . وقرئ (تجري إلى مستقر لها) وقرأ ابن مسعود : " تجري لا مستقر لها " [٣] ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ﴾ أي : ترتيب الشمس والقمر في البروج وسيرهما على حساب لا يختل نظمه أي تقدير ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمِ﴾ بالمصالح . قرئ "والقمرُ" [٤] رفعًا على الابتداء ، أو عطفًا على الليل ، ولابد من تقدير مضاف ؛ أي : قدرناه ذا منازل ؛ لأن القمر نفسه لم يصر منازل . ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ هو العذق وشبه به ؛ لأنه يصفر عند يبسه صفرة ليست بنيِّرة كصفرة القمر إذا عاد هلالا وقال

---

(١) تقدم تخريجه في سورة السجدة .

(٢) سورة السجدة ، الآية ( ١٧ ) .

(٣) قرأ ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وزين العابدين وابنه الباقر والصادق بن الباقر " لا مستقر لها " وأما القراءة الثانية فلم أقف على من قرأ بها . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٣٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٥ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٣٦٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨٦ ) ، مجمع البيان للطبرسي ( ٨ / ٤٢٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٢١٢ ) .

(٤) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وروح " والقمر " بالرفع ، وقرأ الباقون " والقمر " بالفتح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٣٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٢٩ ) ، الحجة لابن خالويه (ص:٢٩٨) الحجة لأبي زرعة ( ص : ٥٩٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥ / ٤٨٥ ) ، السبعة ( ص : ٥٤٠ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٣٦٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٢ ) ، النشر (٢ / ٣٥٣ ) .

الزجاج: العرجون : فعلون من عرج ، إذا انعطف ، ثم سير هذين الكوكبين على طريقة لا تنخرم[١] وهو معنى قوله : ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ .

وأقل مدة تتصف بالقدم سنة ، فلو حلف : لا يبقي عنده عبدًا قديمًا . وكان عنده عبد له سنة في ملكه حنث . هكذا قال الزمخشري[٢] وليس ذلك بمذهب الشافعي[٣].

وإنما جعل للشمس معنى الإدراك وللقمرنفي السبق ؛ لأن القمر يقطع الفلك في كل شهر فهو حقيق بأن يوصف بسرعة السير، والشمس لا تقطعه إلا في سنة كاملة فهي حقيقة بعدم الإدراك لبطء سيرها . ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ يطلق على النساء ؛ تقول : سبا ذريته ، أي : نساءه " ونهى النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان "[٤].

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾﴾

وذريتهم أيضًا اسم للآباء والأجداد في قوله تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾أي : حملنا آباءهم في سفينة نوح ، وهم في أصلاب آبائهم .﴿مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي : من مثل الفلك .﴿مَا يَرۡكَبُونَ﴾ من السفن والزوارق . الصريخ : المغيث أو الإغاثة نفسها . ﴿إِلَّا رَحۡمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ إلى أجل يموتون فيه ، قال الشاعر ( ٢١٣/أ) [ من الوافر ] :

وَلَمْ أَسْلَمْ لكَيْ أَبْقَى وَلكنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الْحِمام إلَى الحِمامِ[٥]

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٨٨ ) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٤ / ١٧ ) .

(٣) ينظر: الأم للإمام الشافعي ( ٧ / ٦١ ) .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٣٠١٥ ) ، ومسلم رقم ( ١٧٤٤ ) ، وأبو داود رقم ( ٢٦٦٨ ) ، والترمذي رقم ( ١٥٦٩ ) ، وابن ماجه رقم ( ١٨٤١ ) ، وأحمد في المسند ( ٢ / ٢٢ ، ٢٣ ) ، وابن حبان في صحيحه رقم ( ١٣٥ ) عن ابن عمر ب.

(٥) البيت للمتنبي، ينظر البيت في : تفسير أبي السعود ( ٧ / ١٦٩ ) ، روح المعاني للألوسي ( ٢٣ / ٢٨)، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ١٨ ) .

﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ كقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية[١] . وقيل : المراد : انظروا في أخبار الأولين ، وما جرى على المكذبين، وما خلفكم من أمر الساعة .﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لتكونوا على رجاء رحمة ، وجواب ﴿ وَإِذَا﴾ محذوف مدلول عليه بقوله : ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾أي : أعرضوا . كان المشركون معطلين ، لا يعتقدون البعث ، وكانوا يسمعون المؤمنين يقولون : أفعالنا بمشيئة الله ، ويقولون : لو شاء الله لأغنى فلانا أو لأفقره ، فجرى ذكر الإطعام على هذا النمط ؛ فقال المشركون :﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ استهزاء ، والمؤمنون يقولون ذلك حقيقة ، وقد شارك الزمخشري الكفار في اعتقادهم في هذه المسألة [٢]. وهي عندنا حق ، ولكن وجه إنكارها أنهم قالوها على وجه الاستهزاء ؛ كانوا يقولون إذا قيل لهم أنفقوا : ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ .

وعن ابن عباس : " كان بالمدينة زنادقة إذا قيل لهم : أطعموا الفقراء ، قالوا : لا والله لا نطعم من لو أراد أطعمه ، وكانوا يقولون : الله قادر على إطعام هذا الفقير ، ولو شاء لفعل: فنحن نقتدي بما فعله الله معه "[٣].

﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ قاله الله لهم ، أو قاله المؤمنون ، أو من جوابهم للمؤمنين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

﴿ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قيام الساعة وهم في أسواقهم وخصامهم . وفي الحديث : " لتقومن الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها "[٤]. وقيل : يختصمون في أن الساعة هل تكون أو لا تكون . ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ بل يموتون عند سماع الصيحة ، ثم بعد ذلك

---

(١) سورة سبأ ، الآية ( ٩ ) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ( ٤ / ١٩ ) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ١٩ ) ، ونسبه الماوردي في النكت والعيون ( ٣ / ٣٩٤ ) لقتادة .

(٤) رواه البخاري رقم ( ٦٥٠٦ ، ٧١٢١ ) ، ومسلم رقم ( ٢٩٥٤ ) عن أبي هريرة ﷺ .

يذهبون مهطعين إلى الداعي وهو إسرافيل و﴿ ٱلصُّورِ ﴾ القرن الذي ينفخ فيه .

وقيل: جمع صورة . وقرئ ﴿ٱلصُّورِ﴾ بفتح الواو[١]. و﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ، وقرئ بالفاء[٢]. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يسرعون بكسر السين وضمها[٣] وهي النفخة الثانية . قرئ ( من أهبنا) بمعنى : من أيقظنا ، وقرئ " مِنْ بعثِنا " [٤] على الجار والمجرور ، و" ما " خبر وهي موصولة أو مصدرية . ويجوز أن يكون﴿ هَٰذَا ﴾ صفة للمرقد ، و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أو ﴿مَا وَعَدَ﴾ مبتدأ وخبره محذوف . قيل : إن الكفار يجدون بين النفختين هجعة يُرفَعُ (٢١٣/ب ) عنهم العذاب فيها، فإذا صيح بهم قالوا:﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ وقوله :﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾من كلام الملائكة ، أو كلام المتقين . وقيل: من كلام الكفار ؛ يتذكرون ما سمعوه من الرسل ، فيجيب بعضهم بعضًا به .

وإذا كانت ﴿مَا ﴾مصدرية كان التقدير : هذا ما وعد الرحمن ، ولا يمكن أن يقال : وهذا صدق المرسلين ، فلنرجع إلى القول بأنها موصولة ، والتقدير: هذا الذي وعد الرحمن والذي صدق فيه المرسلون ، من قولك : صدقني سن بَكْرِه[٥] .

وقوله : ﴿مَنۢ بَعَثَنَا ﴾ سؤال عن الباعث ، وجوابه بتعيينه ، لكن طابقه ما بعده ؛ لأن المعنى : بعثكم الرحمن الذي صدق الوعد وأنبأكم به الرسل ؛ كأنه قيل : الأهم بكم السؤال

---

(١) قرأ بها قتادة . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٦ / ٢٧٨ ) ، تفسير للقرطبي ( ١١ / ٢٤٤)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٥٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٢ / ٥٥٣ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢/ ٥٩ ) ، المحرر الوجيز لابن عطية ( ١١ / ١٠٥ ) .

(٢) **تنظر في**: الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٨ ) وقال السمين : وهي لغة في الأجداث .

(٣) قرأ " ينسُلون " بضم السين ابن أبي إسحاق وأبو عمرو في رواية عنه . وقراءة العامة " ينسِلون" بالكسر.

**تنظر في**: الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٨ ) .

(٤) قرأ أبي بن كعب ﷺ " من أهبَّنا " وقرأ ابن عباس ب وأبو نهيك " مِنْ بعثِنا " .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٤١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٨ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٣٧٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٢٨٩ ) ، مجمع البيان للطبرسي (٤٢٨/٨)، المحتسب لابن جني ( ٢ / ٢١٤ ) .

(٥) تقدم تخريج المثل في تفسير سورة الأحزاب ، الآية ( ٢٣ ) .

عن البعث ؛ فليس هذا هو البعث الذي يراد به النوم في الدنيا ؛ بل المراد به البعث الأكبر والحشر الأعظم .

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً ﴾ قرئ برفعها وبنصبها[١] .

﴿فِي شُغُلٍ﴾ وأي شغل ؟! وقيل : في شغل افتضاض الأبكار . وقيل : في سماع ضرب الأوتار . وقيل : في التزاور . وقيل : في ضيافة الله . وقيل : شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه . وقيل : هم في شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم .

والفاكه والفكه : المتنعم ، وسمي المزاح فكاهة ؛ للتلذذ به ، كما يتلذذ بالفاكهة . وقرئ ﴿فَكِهُونَ﴾ و﴿فَكِهُونَ﴾ وقرئ ﴿فَكِهِينَ﴾ [٢]على أنه حال ، والظرف مستقر .

﴿هُمْ﴾ يجوز أن يكون مبتدأ ، وأن يكون مؤكد للضمير في ﴿شُغُلٍ﴾ على أن أزواجهم يشاركون في ذلك الشغل ، وفي التفكه والجلوس تحت الظلال .

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾

والأريكة : هي السرير في الحجلة . ﴿ يَدَّعُونَ ﴾ يفتعلون من الدعاء ؛ أي : يدعون لأنفسهم ؛ كقولك : اشتوى واحتمل : إذا شوى وحمل لنفسه . وقيل : ﴿ يَدَّعُونَ ﴾ يتمنون؛

---

(١) قرأ جمهور القراء " صيحةً واحدةً " بالنصب ، وقرأ أبو جعفر " صيحةٌ واحدةٌ " بالرفع .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٣٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٦ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٥٣ ) .

(٢) قرأ جمهور القراء " فاكهون " وقرأ أبو جعفر والحسن وأبو حيوة وأبو رجاء وشيبة وقتادة ومجاهد " فكهون " وقرأ الأعمش وطلحة بن مصرف " فاكهين " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٤٢ ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٤٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٨٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٤ / ٣٧٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٧ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٢ / ٣٨٠ )، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٥٤ ) .

تقول لمن تكرمه : ادَّع ما شئت . وقال الزجاج : هو من الدعاء ، أي: ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم[١]. ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ بدل من ﴿ مَّا يَدَّعُونَ ﴾ ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ تحية من الله لهم أي : سلام خالص من الشوب والكدر .﴿قَوۡلًا ﴾ مصدر مؤكد ؛ لقوله : ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ والأحسن أن يكون نصبًا على الاختصاص .

﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ﴾ أي : وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة . وذلك حين يساق المؤمنون إلى الجنة ، ونحوه قوله : ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الآيتين[٢].

يقال : مازه فانماز وامتاز . وقيل : اعتزلوا عن كل خير . وقيل : لكل كافر بيت في النار (٢١٤/أ ) لا يرى أحدًا ولا يُرَى . العهد : الوصية ، وعهد الله إليهم : ما ركزه فيهم من أدلة العقل ، وأنزل عليهم من دلالة السمع . وعبادة الشيطان : طاعته .

قرئ : " إعهد " بكسر الهمزة . وباب " فَعِلَ " يجوز في جميع حروف مضارعته الكسر إلا الياء ، وقرئ " أحهد " و " أحَّد " [٣] ومنه قولهم : دحا محا.

﴿ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ ﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ترك طاعة الشيطان ، ولا صراط أقوم من اجتناب الشيطان ، ومنه

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج ( ٤ / ٢٩٢ ) .

(٢) سورة الروم ، الآية ( ١٤ ) .

(٣) قراءة العامة " أعهد " بالفتح ، وقرأ طلحة بن مصرف والهذيل بن شرحبيل الكوفي " إعهد " بكسر همزة المضارعة وهي لغة في حرف المضارعة ، وقرأ ابن وثاب " أحَّد " وهي لغة تميم وحكى الزمخشري " أحهد " وهي لغة هذيل . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٧ / ٣٤٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٩١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٧ ) .

قول كثير [ من الطويل ]:

لَئِن كانَ يُهدَى بَردُ أَنيابِها العُلا لأفقرَ منّي إنني لَفَقيرُ[(١)]

ويجوز أن يراد : هذا هو الصراط المستقيم وما سواه معوج . ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ﴾ الشيطان ﴿جِبِلًّا﴾ و " جُبُلاً " و " جُبْلاً " و" جُبُلاًّ " [(٢)] وهي لغات في معنى الخلق ، جِبِلا جمع جِبْلة كفطرة وفطر . ويروى أن الكفار إذا شهدت عليهم الحفظة أنكروا وكذبوا ، فيختم على أفواههم وتتكلم الجوارح بما عملوا . وفي الحديث : " إن الكافر يقول: إني لا أجيز إلا شاهدًا من نفسي فيختم على فيه ، ويقال لأركانه : انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بعدًا لكُنَّ وتعْسًا ؛ فعنكُنَّ كنتُ أناضل " [(٣)].

**الطمس** : تعفية شق العين حتى تبقى ممسوحة . ﴿فَٱسْتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ أي: فاستبقوا إلى الصراط ؛ فحذف الجار وأوصل الفعل ، أو تضمن معنى ابتدروا ، ويجعل الصراط مسبوقًا لا مسبوقًا إليه ، والمعنى : أنا لو طمسنا على أعينهم فتسابقوا إلى الطريق المسلوك في حوائجهم على عادتهم القديمة – لم يستطيعوا . والمكان والمكانة واحد ؛ كالمقام والمقامة ، أي : لمسخناهم وغيَّرْنا خلقهم فلا يستطيعون مضيًا ولا استقرارًا . وقيل : لمسخناهم قردة وخنازير . أو : لمسخناهم حجارة . ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ نخلقه على خلاف ما خلقناه ؛

---

(١) البيت لابن الدمينة ، **ينظر في** : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ( ١ / ٧٨١ ) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ( ٢٢٢٣ ) ، عيون الأخبار لابن قتيبة ( ٢٦٢٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٢٣ ) قال المرزوقي في شرح الحماسة : " قوله : يهدي يجوز أن يكون من الإهداء الإتحاف ، ويجوز أن يكون من اهداء الزفاف . أنيابها العلى ، يراد به الشريفة العالية الشأن. ويجوز أن يراد بالعلى الأعالي من الأسنان، لأنها موضع القبل . ويعني ببرد الأسنان : عذوبة الرضاب عند المذاق . وقوله : إنني لفقير، فعيل بناء المبالغة ، ولا سيما إذا أطلق إطلاقاً ، فلا يقال فقير إلى كذا وكذا فيخصص. والمعنى: إن كان يتربص بمتسق مضحكها، وواضح مقبلها، وطيب رضابها، وبراد أسنانها، لمن هو أفقر مني إليها ، فإنني الفقير مطلقاً. والمعنى: لا غاية وراء فقري " .

(٢) قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر " جِبِلاًّ " وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ورويس وخلف " جُبُلاً " وقرأ أبو عمرو وابن عامر " جُبْلا " وقرأ روح " جُبُلاًّ " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٤٤ ) ، تفسير القرطبي ( ١٥ / ٤٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٢٩٩ ) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٥ / ٤٩١ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٥٤٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٣ / ٣٢٨ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢ / ٣٥٥ )

(٣) رواه مسلم رقم ( ٢٩٦٩ ) ، والنسائي في السنن الكبرى رقم ( ١١٦٥٣ ) عن أنس ﷺ .

أي: لا يزال يتزايد في القوى إلى أن ينتهي إلى الكهولة ، فيعود من القوة إلى الضعف حتى ينتهي، وفي ذلك دليل على أن من قدر على الطمس والمسخ والنقل من حال إلى حال قادر على أن يخلقه كيف يشاء .

كان عقبة بن أبي معيط يقول : إن الذي يأتي به محمد شعر ، وقد أخطأ عقبة ؛ فليس القرآن على أوزان الشعر ، ولا على قوافيه ، والذي جاء به محمد ليس بشعر، إلا أن القرآن لفظه عربي ؛ كما أن الشعر كذلك . ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي : وما يتأتى له ، وأما قوله :

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب[1]

( ٢١٤/ ب ) وقوله:

هل أنت إلا إصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت[2]

فليس بشعر مقصود ، وقد يتفق في كلام الإنسان كلام متزن لا يقصد به شعرًا [3].

---

(١) قاله الرسول ﷺ في غزوة حنين ، رواه البخاري في صحيحه رقم ( ٢٧١٣ ) ، ومسلم رقم ( ٣٣٢٥ ) .

(٢) قاله ﷺ في إحدى الغزوات ، رواه البخاري رقم ( ٢٥٩٢ ) ، ومسلم رقم ( ٣٣٥٣ ) .

(٣) قال الإمام النووي في شرح مسلم ( ١٢ / ١١٨ ) : " قال القاضي عياض : قال المازري : أنكر بعض الناس كون الرجز شعرا لوقوعه من النبي ﷺ مع قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وهذا مذهب الأخفش، واحتج به على فساد مذهب الخليل في أنه شعر. وأجابوا عن هذا بأن الشعر هو ما قصد إليه واعتمد الإنسان أن يوقعه موزونا مقفى يقصده إلى القافية، ويقع في ألفاظ العامة كثير من الألفاظ الموزونة ولا يقول أحد إنها شعر ولا صاحبها شاعر، وهكذا الجواب عما في القرآن من الموزون كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ ولا شك أن هذا لا يسميه أحد من العرب شعرا لأنه لم تقصد تقفيته وجعله شعرا قال: وقد غفل بعض الناس عن هذا القول فأوقعه ذلك في أن قال الرواية أنا النبي لا كذب بفتح الباء. حرصا منه على أن يفسد الرواية فيستغني عن الاعتذار، وإنما الرواية بإسكان الباء. هذا كلام القاضي عن المازري . قلتُ ( أي النووي ): وقد قال الإمام أبو القاسم علي بن أبي جعفر بن علي السعدي الصقلي المعروف بابن القطاع في كتابه الشافي في علم القوافي: قد رأي قوم منهم الأخفش وهو شيخ هذه الصناعة بعد الخليل أن مشطور الرجز ومنهوكه ليس بشعر كقول النبي ﷺ : " الله مولانا ولا مولى لكم " وقوله ﷺ : "هل أنت إلا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت" ، وقوله ﷺ : "أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب " وأشباه هذا. قال ابن القطاع: وهذا الذي زعمه الأخفش وغيره غلط بين، وذلك لأن الشاعر إنما سُمي شاعرا لوجوه، منها: أنه شَعَر القول وقصده وأراده واهتدى إليه وأتى به كلاما موزونا على طريقة العرب مقفى، =

ولما قال : ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أتبعه قوله :﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي : شرف ورفعة . وقيل : تذكير وموعظة .

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

﴿لِّيُنذِرَ﴾ والمنذر القرآن أو الرسول . ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي : عاقلا أو معلومًا أنه يؤمن فيحيا بالإيمان . ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ تولينا إحداثه ، ولم يقدر على توليه غيرنا . ﴿أَنْعَٰمًا﴾ وهي الإبل والبقر والغنم .﴿ فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ ضابطون ؛ أي: فملكناها لهم ، قال [ من المنسرح ] :

أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا أملكُ رأسَ البعيرِ إن نفرا[1]

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ أي : سخرناها ، ولهذا ألزم الله الراكب أن يشكر هذه النعمة بقوله :

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ [2].﴿وَمَشَارِبُ﴾ من الألبان ، ذكرها مجملة ، والمشارب جمع مشرب ، وهو موضع الشرب والشرب نفسه .

---

= فإن خلا من هذه الأوصاف أو بعضها لم يكن شعرا، ولا يكون قائله شاعرا، بدليل أنه لو قال كلاما موزونا على طريقة العرب وقصد الشعر أو أراده ولم يقفه لم يسم ذلك الكلام شعرا ولا قائله شاعرا بإجماع العلماء والشعراء، وكذا لو قفاه وقصد به الشعر ولكن لم يأت به موزونا لم يكن شعرا، وكذا لو أتى به موزونا مقفى لكن لم يقصد به الشعر لا يكون شعرا، ويدل عليه أن كثيرا من الناس يأتون بكلام موزون مقفى غير أنهم ما قصدوه ولا أرادوه ولا يسمى شعرا، وإذا تفقد ذلك وجد كثيرا في كلام الناس. كما قال بعض السؤال: اختموا صلاتكم بالدعاء والصدقة. وأمثال هذا كثيرة فدل على أن الكلام الموزون لا يكون شعرا إلا بالشروط المذكورة، وهي القصد وغيره مما سبق، والنبي ﷺ لم يقصد بكلامه ذلك الشعر ولا أراده، فلا يعد شعرا وإن كان موزونا، والله أعلم " .

(١) البيت للربيع بن منبع الفزاري ، **ينظر في** : الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٢٨ ) ، لسان العرب ( ضمن ) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية ( ١٣ ) .

اتخذوا الآلهة ليكونوا لهم عزًّا ؛ فكان الأمر على عكس ذلك . ﴿إِنَّا نَعْلَمُ﴾ " إنا " بالكسر: استئناف ، ومن فتح الهمزة وقصد المعنى كفر؛ لأن " أن " وما بعدها بتأويل المصدر، تقول : يسرني أنك حاضر، أي حضورك، فيكون المعنى : فلا يحزنك يا رسول الله قول الكفار عنا: ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وهذا كلام حق لا يحزن منه الرسول ولا المؤمنون ، ومن أراد حذف لام الجر وقصد فلا يحزنك قولهم ؛ لأنا نعلم فلا يكفر ، ومثله قولهم في التلبية: لبيك إن الحمد ، كسرها الشافعي وفتحها أبو حنيفة[١].

قبح الله اعتقاد الكفار عدم البعث والنشور بأن هذا النطفة الحقيرة المستقذرة يخلق منها رجل هو أشد الخصام ؛ كقوله : ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾[٢] ينكر قدرة القادر على ما يشاء من إحداث الأجسام والأعراض . ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ أي : منطيق قادر على الخصام. والرميم : اسم من بلي من العظام ، وهو اسم ليس بصفة ؛ فلا يقال : لم لا يؤنث ، وقد وقع خبرًا لمؤنث ؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ، وقد استشهد بهذه الآية من زعم أن الحياة تحل في العظام ، وفيه خلاف بين العلماء[٣].

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

---

(١) ينظر: الأم للإمام الشافعي ( ٢ / ١٥٥ ، ١٥٦ ) ، المجموع للنووي ( ٧ / ٢١٩ ، ٢٢٠ ) ، الدر المختار لابن عابدين ( ٢ / ٢٨٣ ) ، بدائع الصنائع للكاساني ( ٢ / ١٤٥ ) .

(٢) سورة الكهف ، الآية ( ٥٤ ) .

(٣) قال الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٣١ ) : " ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام ويقول : إن عظام الميتة نجسة ؛ لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها . وأما أصحاب أبي حنيفة فهي عندهم طاهرة ، وكذلك الشعب والعصب ويزعمون أن الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون : المراد بإحياء العظام في الآية : ردُّها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس " .

﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ أو أراد بالشجر الأخضر العيدان التي تقدح الأعراب بها النار، وقالوا : " في كل شجرة نار ، واستمجد ( ٢١٥/أ ) المرخ والعفار "[١] يعني أن هاتين يسهل اقتداح النار منهما . وقيل : إن العناب لا يقدح من شجره نار[٢].

﴿ٱلْأَخْضَرِ﴾ وقياسه : الشجر الخضر ؛ كقوله تعالى : ﴿مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾﴾ [٣] فذكر الضمير وأنثه .

من قدر على خلق السماوات والأرض مع عظم أجرامهما ، وتباعد أقطارهم﴾ ، فهو على خلق الأناسي أقدر منه ؛ ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾[٤]. ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴾[٥].

﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ في الحقارة ؛ لأن من قدر على الأعلى قدر على الأدنى من باب الأولى . ﴿ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الكثير الخلق والعلم .﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ ﴾ شأنه .

* * *

---

(١) **ينظر المثل في** : غريب الحديث للخطابي ( ٢/ ١٤٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤ / ٣١ ) ، لسان العرب ( مرخ ، عفر ) واستمجد أي استكثر. و المرخ والعفار : من شجر النار ، كثير الوري سريعه . وقيل العفار : الزند وهو الأعلى ، والمرخ : الزندة وهو الأسفل . واستمجد المرخ والعفار أي : كثرت فيهما على ما في سائر الشجر وذلك أن هاتين الشجرتين من أكثر الشجر نارا وزنادهما أسرع الزناد .

(٢) نسبه الزمخشري في الكشاف ( ٤ / ٣١ ) لابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) سورة الواقعة ، الآية ( ٥٢، ٥٣ ) .

(٤) سورة غافر ، الآية ( ٥٧ ) .

(٥) سورة النازعات ، الآية ( ٢٧ ) .

## تفسير سورة الصافات [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)﴾

أقسم سبحانه بطوائف الملائكة أو بنفوسهم ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ أقدامها في الصلاة ؛ من قوله : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ (١) أو أجنحتها في الهواء واقفة منتظرة لأمر الله .﴿ فَالزَّاجِرَاتِ﴾ السحاب سوقًا . ﴿ فَالتَّالِيَاتِ﴾ لكتب الله المنزلة وغيرها . وقيل : ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ الطير؛ لقوله : ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ﴾ (٢) والزاجرات : كل شيء نهى عن معصية الله . والتاليات : كل من تلا كتاب الله ، ويجوز أن يراد طوائف العلماء الصافات أقدامهم في قيام الليل وأفعال الخير ، وسائر الصلوات وصفوف الجماعات ؛ فالزاجرات بالمواعظ والنصائح ، فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه ، أو بنفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف ، وتزجر الخيل للجهاد ، وتتلو الذكر ، لا يشغلها عنه شغل . والفاء الواقعة بين أنواع المقسم به إما للترتيب في الوجود ؛ كقول الشاعر [ من السريع ] :

يا ويح زَيَّابةَ للحارث الصـــالح فالغانم فالآيب(٣)

فإن هذه الأمور جاءت على ترتيب الوجود، وإما لترتيبها في الفضيلة ؛ كقولك : اصحب الأفضل فالأفضل ، وافعل الأجمل فالأجمل . وإما على ترتيب موصوفاتها في ذلك ؛ كقوله : " رحم الله المحلقين فالمقصرين "(٤). رتب التقصير على الحلق ؛ فإن الحلق أفضل ؛ فإذا وحدت الصفات كانت على ترتيب الصفات ، وإن ثنيت أو جمعت كانت على ترتيب الموصوفات .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٦٥) .

(٢) سورة النور ، الآية (٤١) .

(٣) البيت لابن زيابة ، **ينظر في** : خزانة الأدب (٥/١٠٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٤ ) ، الدرر اللوامع (٦/١٦) ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي (ص : ١٤٧) ، شرح شواهد المغني (ص : ٤٦٥) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٤١) ، معجم الشعراء (ص : ٢٠٨) ، مغني اللبيب (ص : ١٦٣) .

(٤) أورده بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤) ، وابن هشام في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ١٦٣) ، والمرادي في الجنى الداني (ص : ٦٥) . وأصله في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر ﷺ بلفظ : " اللهم ارحم المحلقين ، قالوا : والمقصرين ، قال : اللهم ارحم المحلقين ، قالوا : والمقصرين ، وفي الثالثة قال : والمقصرين " . [رواه البخاري رقم (١٧٢٧) ، ومسلم رقم (١٣٠١)].

إذا أجريت الصافات على الملائكة وجعلتهم جامعين - أفادت الفاء ترتيبها في الفضل؛ فيكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة ، وإما على العكس (٢١٥/ب) وكذلك إن أردت العلماء وقواد الغزاة . وإن أردت بالصافات الملائكة وأعدت الثانية والثالثة على طوائف أخر ، فقد أفادت ترتيب الموصوفات في الفضل ؛ أعني أن الصافات ذا فضل ، والزاجرات ذات فضل ، والتاليات ، أو على العكس ، وكذلك إن أردت بالصافات : الطير، وبالزاجرات : كل ما يزجر عن معصية الله ، وبالتاليات : كل نفس تتلو الذكر؛ فإن الموصوفات مختلفة .

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٦) ﴾

﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف . والمشارق : ثلاثمائة وستون مشرقًا ، والمغارب مثل عددها ، تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها ، وتغرب في مغرب حتى تنتهي إلى آخر المشارق والمغارب .

فإن قلتَ : ثنى المشارق والمغارب في سورة الرحمن ؛ قال : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٧)﴾[1]. وجمع ها هنا فقال :﴿ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾ ؟ قلتُ : أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما. ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا ﴾ أي : القريبة منكم ، والزينة مصدر ؛ كالمِشْية ، أو اسم لما يزان به الشيء ؛ كالليقة[2] اسم لما تلاق به الدواة ؛ تقول : ألق دواتك ، أي: أصلحها ، وهما محتملان ها هنا ؛ فإن كان مصدرًا فمضاف إلى الفاعل ، أي : بأن زانتها الكواكب ، والمراد : زانتها الكواكب وحسنتها. وإن جعلتها اسمًا غير مصدر - وذلك بأن تتبع الكواكب - بيانًا للزينة ؛ لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها ، وأن يراد مما زُيِّنت به الكواكب ، وروي بالإضافة ، وخفض الكواكب ؛ أي : وضوء الكواكب ، ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة ؛ كالثريا وبنات نعش ، ومسايرها، وقرئ : ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ بتنوين "زينة" وجر " الكواكب " على الإبدال[3] .

---

(١) الآية (١٧) .

(٢) **ليقة الدواة** : هي ما اجتمع في وقبتها من سوادها بمائها ، ودواة ملوقة أي : مليقة إذا أصلحت مدادها . **ينظر** : لسان العرب (ليق) .

(٣) قرأ عاصم في رواية شعبة عنه " بزينةٍ الكواكبَ " وقرأ في رواية حفص عنه وكذلك قرأ حمزة " بزينةٍ الكواكبِ " وقرأ الباقون " بزينةِ الكواكبِ " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان=

﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ وَحِفْظًا ﴾ محمول على المعنى ، أي : إنا زينا السماء الدنيا ، وحفظناها . والمارد : الخارج من الطاعة ، والضمير في ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ لجميع الشياطين ؛ لأنه في معنى شيطان ، يقال : تسمع فسمع ، وتسمع فلم يسمع . وعن ابن عباس : " إنهم يتسمعون ولا يسمعون "[1]. وقوله : ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ ليس بصفة ؛ لأن نفي السمع من شيطان لا يسمع لا فائدة فيه، و﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ ﴾ مستأنف ، التقدير : أن سائلا قال : فما شأنهم عند التسمع ؟ قلتُ : لا يسمعون ، وهم مطرودون عن التسمع . ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ﴾ خطفة فاسترق فعندها (٢١٦/أ) تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب .

فإن قيل : هل يجوز أن يكون أصله : لئلا يسمعوا ؛ فحذفت اللام كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني ، فبقي أن يسمعوا ، فحذفت أن وأقر عملها ؟ قلنا : الحذف في هذين الحرفين معًا منكر ، أما حذف أحدهما فجائز ، ولا يحمل الكتاب العزيز على الشذوذ المنكر؛ تقول : سمعت الحديث بمعنى : أدركته ، وسمعت إلى الحديث بمعنى : أصغيت وأدركت . و﴿ ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ الملائكة ؛ لأنهم سكنوا السماوات ، والملأ الأسفل هم الجن والإنس ؛ لأنهم سكنوا الأرض . وقيل : هم الحفظة من كل جانب من السماء من أي جهة صعدوا للاستراق . الدحور : الطرد ، أي : يرمون بالشهب طردًا ، أو﴿ دُحُورًا ﴾ حال والواصب : الدائم ؛ بمعنى أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب مع أنهم أعد لهم نوع من العذاب دائم لا ينقطع .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

الهمزة تنقل الكلام من الاستفهام إلى التقرير ، ولذلك قيل : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ والضمير

---

= (٣٥٢/٧) ، تفسير القرطبي (٦٥/١٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٦٠٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤٩٥/٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٦) ، النشر لابن الجزري (٣٥٦/٢) .

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧٩/٧) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

لمشركي مكة . وقيل : نزلت في أبي الأشد بن كلدة[١] وكان قويًا . ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يريد ما ذكر من خلائقه من السماوات والملائكة والأرض والمشارق والمغارب والكواكب والشهب والشياطين ، وغلب العقلاء على غيرهم فقال : ﴿أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ .

﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ إما شهادة عليهم بالضعف ؛ لأن ما يصنع من الطين لا يوصف بالقوة وقيل : أمن خلقنا من الأمم السالفة والقرون الخالية وهو بعيد .

﴿ بَلْ عَجِبْتَ ﴾ (بل عجبت) من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة ، وهم ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ يستهزئون بأمر البعث . وقرئ "عجبتُ" [٢] بضم التاء ، أي : عجبت من كثرة مخلوقاتي ومن إنكار هؤلاء البعث ، وجاء العجب في صفات الله تعالى ، وهي الروعة التي تحدث للإنسان عند رؤية ما يستغربه ، والله تعالى منزه عن ذلك ، ومعناه : أنهم حلوا محل من يتعجب منه ويسخر ، وفي الحديث : " عجبَ ربكم من إلّكم وقنوطكم وسرعة إجابتكم إياكم "[٣]. وكان شريح يقرأ بالفتح ويقول : " إن الله لا يعجب من شيء "[٤].

---

(١) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٧) وهو أبو الأشد بن كلدة بن أسد بن خلف الجمحي قتل كافرا كنيته أبو الأعور . **ينظر** : نزهة الألباب في الألقاب للحافظ ابن حجر العسقلاني (٢/ ٢٥١).

(٢) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ، وقرا الباقون " عجبتَ " بالفتح . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٥٤) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٦٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠١) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٣٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٦).

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٧٥) وقال : غريب . قال أبو عبيد في غريب الحديث (٢/ ٧٢) ، الإل : أن يرفع الرجل صوته بالدعاء ، وبعض المحدثين يرويه : " من أزلكم " والأزل : الشدة ، ثم قال : وأراه المحفوظ .

(٤) مذهب أهل الحق من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان من الخلف في مثل هذه الصفات التي أخبر الله – تعالى – بها عن نفسه ، أو أخبر عنها رسوله ﷺ : إمرار هذه الصفات كما أتت من غير تكييف ولا تعطيل ، ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، فهو – سبحانه – ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .
وقد ورد في أكثر من حديث في صحاح كتب السنة إثبات صفة العجب لله – تعالى – ومنها : ما رواه البخاري في صحيحه رقم (٢٨٤٨) ، وأبو داود رقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل " . وروى أحمد في المسند (٤/ ١٥٨) ، وأبو داود رقم (١٢٠٣) ، وابن حبان رقم (١٦٦٠) عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : " يعجب ربك من راعي غنم في رأس الشظية للجبل ، يؤذن للصلاة ويصلي فيقول الله : انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة ، يخاف مني ، قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة" . كما روى أحمد أيضا في مسنده (١/ ٤١٦)، وأبو داود رقم (٢٥٣٦) ، وابن حبان رقم (٢٥٥٧)، والحاكم في المستدرك (٢/ ١١٢) عن ابن مسعود ﷺ =

وهم قوم إذا وعظوا لا يتذكرون.

﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً ﴾ كانشقاق القمر وغيره يستدعون السخرية من غيرهم و﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ﴾ معطوف على محل " إن " واسمها ، أو على الضمير في ﴿ لَمَبْعُوثُونَ ﴾ والذي جوز العطف على المضمر المرفوع بغير (٢١٦/ب) تأكيد - الفصل بهمزة الاستفهام وقرئ بسكون الواو[1] والمعنى : نعم تبعثون . ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ صاغرون ، وفي الكلام محذوف تقديره : فإذا كان ذلك فما هي إلا نفخة واحدة يميت الله بها كل حي ، ثم نفخة أخرى يحيي بها كل ميت . الزجرة : الصيحة ؛ من قولك : زجر الراعي الغنم . إذا صاح عليها ؛ قال الشاعر [من المنسرح ] :

زجرَ أبي عروةَ السباعَ إذا أشفقَ أنْ يختلطنَ بالغنمِ[2]

﴿فَإِذَا هُمْ ﴾ أحياء ﴿يَنظُرُونَ ﴾ .

﴿ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ

---

= عن النبي ﷺ قال : " عجب ربنا من رجلين ؛ رجل ثار من وطأته ولحافه من بين حبه وأهله إلى الصلاة ، فيقول الله – جل وعلا – : انظروا إلى عبدي ثار من فراشه ووطأته من بين حبه وأهله إلى صلاته ؛ رغبة فيما عندي ، وشفقة مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم الناس وعلم ما عليه في الانهزام ، وماله في الرجوع ، فرجع حتى أهريق دمه ، فيقول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه " . وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب ، والصواب – وهو مذهب السلف الصالح وما عليه جمهور المسلمين– : الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله تعالى على مراد الله تعالى ، ونسأل الله تعالى أن يهدينا والمسلمين إلى الفهم الصحيح والعقيدة النقية الصافية .

(١) قرأ قالون وأبو جعفر وابن عامر " أوْ آباؤنا " وقرأ الباقون " أوَ آباؤنا " . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٥٥) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٧١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٧) ، مجمع البيان للطبرسي (٨/ ٤٣٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧) .

(٢) البيت للنابغة الجعدي ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٩٤) ، ديوان النابغة الجعدي (ص : ١٥٨) ، القاموس المحيط لأبي حيان (عرا) ، الكامل للمبرد (٢/ ١٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨) ، لسان العرب (عرا) ، القاموس المحيط لأبي حيان (عرا) .

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٤) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ (٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩) ﴾

ومن قوله : ﴿ يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ إلى قوله : ﴿ احْشُرُوا ﴾ من كلام الله للملائكة .

﴿ وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ أصنافهم : ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أصنامهم ﴿ فَاهْدُوهُمْ ﴾ فعرفوهم طريق النار ، وأمر الله الملائكة أن يقفوهم ويبكتوهم ، فخاطب الملائكة بقوله : ﴿ وَقِفُوهُمْ ﴾ ثم خاطبهم بقوله : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ أي : لا ينصر بعضكم بعضًا .

﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [1] بل قد استسلموا لأن يعذبوا . لما كانت اليمين أشرف العضوين فبها يتحالفون ويتعاقدون ؛ سموها اليمنى ، ومقابلتها الشؤمي ؛ فقيل : ﴿ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ أي : عن الجهة المحمودة فتنهوننا عن النفقة في سبيل الله وما أشبهها من جهات الخير.

﴿ بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ أي : أعرضتم من قبل أنفسكم . ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن ﴾ تسلط (بل كنتم مختارين للطغيان) ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾ العذاب ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ ﴾ فحببنا إليكم الغي على الفساد . ﴿ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾ لتكونوا أمثالنا في الغي . ﴿ فَإِنَّهُمْ ﴾ الأتباع والمتبوعين ﴿ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا ﴾ سمعوا بكلمة التوحيد اشمأزوا . ﴿ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ كقوله : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [2] .

﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) ﴾

---

(١) سورة يس ، الآية (٧٤).

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٣) .

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ﴾لكن عباد الله ، وفسر الرزق المعلوم بالفواكه ، والفاكهة : كل ما يتلذذ به يريد : مستغنون عن الأقوات بما أوتوا من التركيب المحكم ، ويجوز أن يراد بالرزق المعلوم أنه منعوت بأوصاف عظيمة من طعم ولون ورائحة (٢١٧/أ) . وقيل : معلوم الوقت ؛ كقوله : ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾(١) .

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ أي : يقال لهم : إنكم حقيقون بالفاكهة السنية ، ودخول الملائكة عليهم بالتحية . التقابل أتم للسرور والأنس . وقيل : لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض .

يقال للزجاجة فيها الخمر: كأس ، وتقول : شربت خمرها . وقيل : كل كأس في القرآن فالمراد بها الخمر . ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من كأس مشروبها معين .﴿بَيْضَآءَ﴾ صفة للكأس . ﴿لَذَّةٍ﴾ إما مبالغة ، وكأنها عين اللذة أو مضافًا محذوفًا ؛ كأنه قال : ذات لذة .

الغول : من غاله يغوله ، إذا أهلكه ، ومنه الغول الذي في أكاذيب العرب (٢).

و﴿يُنزَفُونَ﴾على البناء للمفعول من نزف الشارب إذا ذهب عقله ، ونزحت الركية حتى نزفتها ، أي : لم أترك فيها ماءً ، وقرئ "يُنزِفون" بضم الياء وكسر الزاي (٣) يقال : أنزف الشارب : إذا ذهب عقله . ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قصرت أبصارهن على أزواجهن ﴿عِينٌ﴾ جمع عيناء ، أي : واسعات العيون ؛ شبههن ببيض النعام المكنونة في الأداحي(٤) وبها تشبه العرب النساء ، وتسميهن بيضات الخدور .

---

(١) سورة مريم ، الآية (٦٢) .

(٢) **قال ابن الأثير** في النهاية في غريب الأثر (٣/ ٣٩٦) : " الغول : أحد الغيلان وهي جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا ، أي : تتلون تلونا في صور شتى وتغولهم : أي : تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله بقوله : " لا غول ولا صفر " . وقيل : قوله : " لا غول " ليس نفيا لعين الغول ووجوده ، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله ، فيكون المعنى بقوله : " لا غول " أنها لا تستطيع أن تضل أحدا " .

(٣) قرأ حمزة والكسائي وخلف " ينزِفون " بكسر الزاي ، وقرأ الباقون " ينزَفون " بالفتح . تنظر القراءة في: البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٦٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٢) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٠٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٠١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٧) .

(٤) **الأدحي** والإدحي والأدحية والإدحية والأدحوة : مبيض النعام في الرمل ؛ لأن النعامة تدحوه برجلها ثم تبيض فيه وليس للنعام عش . ومدحى النعام : موضع بيضها . **ينظر** : لسان العرب (دحا).

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾

وإنما عطف بالفاء في قوله : ﴿فَأَقْبَلَ﴾ في هذه الآية ؛ لأنه لما وصفهم بأنهم مكرمون في جنات النعيم أتبع ذلك حالة المتحدثين على الشراب ؛ يتحدثون بما يسر جلساءهم .

قرئ "لمن المُصَّدِقِينَ" بالتشديد ، أي : يتصدقون على المحتاجين ، وبالتخفيف في الصاد من التصديق[١] . وقيل : نزلت في رجلين تصدق أحدهما بجميع ماله فافتقر ؛ فسأل صاحبه أن يعينه بشيء ، فقال له : وأين مالك ؟ فقال : تصدقت به كله ؛ أرجو به ثواب الله ؛ فقال : ﴿أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ الآية ، والله لا أعطيك شيئًا[٢] .

﴿لَمَدِينُونَ﴾ لمجزيون ، من الدين وهو الجزاء ، قال ذلك القائل وهو في الجنة لأصحابه الذين معه : ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ معي ، فينظرون ﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ أي : في وسط الجحيم، فقال له : تالله لقد كدت أن ترديني وتهلكني . وقيل : القائل الله سبحانه .

﴿إن﴾ هي المخففة من الثقيلة ، وهي تدخل على نواسخ الابتداء ، واللام هي الفارقة بين النافية والمثبتة .﴿وَلَوْلَا﴾ عصمة ربي (٢١٧/ ب) ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في العذاب ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ كما زعمت ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يعني : إن هذا التخلص مما عذب به الكفار ، ومن تبكيت المؤمن للكافر - لهو الفوز العظيم .

﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ خير حاصلا ، وحاصل الرزق المعلوم التلذذ والسرور ، و﴿شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ الحزن والغم. ويجوز أن يكون حالاً ؛ كقولك : هذا رطبًا خير منه بسرًا . والنزل : ما يقام من الطعام والشراب وغيرهما . وقوله : ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ تبكيت على اختيارهم الباطل .

---

(١) قرأ بها حمزة في رواية علي بن كيسة عن سليم عنه . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٦٠) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٠٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٤١) ، معاني القرآن للأخفش (٢/ ٤٥١) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤) ، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٩٠).

﴿فِتۡنَةً﴾ محنة ؛ وذلك أنهم قالوا : كيف يكون في النار شجرة ، ودأب النار أن تحرق الشجر فكذبوا ؟! وقيل : إن منبتها في أصل الجحيم ، وفروعها تأتي على جميع دركاتها ، وشبه الطلع برؤوس الشياطين ، ولم يرها ؛ لأن المركوز في النفوس أن الشياطين في غاية القبح ؛ وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول .

وقيل : الشيطان حية عرفاء لها عرف .

﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبًا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ ﴾

﴿فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ بطونهم ؛ لما غلبهم من الجوع أو يكرهون على أكلها ، وهو نوع من العذاب . يشربون عليها من ماء شديد الحرارة ، إذا صب عليهم أذاب شحم بطونهم ، وجاء بـ " ثم " ليدل على أن بشاعة الشراب أشد من بشاعة الطعام ، ثم إن مصيرهم ﴿ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ﴾ لأنهم قلدوا في عقائدهم الفاسدة آباءهم .

﴿أَلۡفَوۡاْ﴾ وجدوا آباءهم ﴿ضَآلِّينَ﴾﴿ يُهۡرَعُونَ﴾ أي : يذهب بهم ذهابًا شديدًا .﴿ وَلَقَدۡ ضَلَّ﴾ قبل قومك ﴿أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وهم أمم الرسل ﴿مُّنذِرِينَ﴾ أنبياء بعثوا إلى قومهم ؛ فكذبوا فأهلكوا . لما ذكر سبحانه ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ وهم الكفار المكذبون ، شرع في قصة نوح ومن بعده من الرسل كإبراهيم وإسحاق وإدريس ولوط ويونس فقال : ﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ﴾ أي : استغاث بنا ﴿فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ﴾ نحن ﴿ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ﴾ من الغرق . ﴿هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ يعني أنه لم يبق ممن حمله نوح في السفينة ممن له نسل . روي أنه لم يبق ممن جعل في السفينة مع نوح أحد من المؤمنين به [١] .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨) ، والسيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٢٤) بنحو هذا .

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسنًا ، وفي المأثور من رقية العقرب أن يقال في آخرها : سَلَٰمٌ ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [1]، وقوله في العالمين : يعني أن هذا الثناء عليه والتسليم تتعلمه أمم الأنبياء كلهم ؛ فعلل ما أكرمه ، وكونه موصوفًا بهذه الأوصاف بقوله :﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾ (٢١٨/ أ) يعني : من سوى نوح وأولاده ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ نوح ، أي : شايعه في أصول الدين أو فروعه ، أو شايعه على التصلب في دين الله . وقيل : ما كان بين نوح وإبراهيم إلا نبيان : هود وصالح ، وبين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة .

﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾

فإن قلتَ : وبم يتعلق الظرف في قوله : ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾ ؟ قلت : بما في الشيعة من معنى المتابعة ، أو بمحذوف تقديره : اذكر مجيئه ﴿ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي : سليم من آفات القلوب . وقيل : من الشرك ، ولا معنى للتخصيص ؛ لأن الأفعال المذمومة ليس بعضها أولى من بعض بالنهي ، ومعنى المجيء بقلبه أنه أخلص قلبه للطاعة فكأنه جاء بها .

﴿أَئِفْكًا﴾ مفعول له ، أي : أتريدون آلهة غير الله ، وإنما قدم المفعول على الفعل للاعتناء وقدم المفعول له على المفعول به ؛ لأنه كان الأهم عنده أن يواجههم بأنهم على ضلال وإفك ، ويجوز أن يكون ﴿أَئِفْكًا﴾ مفعولا به تقديره : أتريدون أفكًا ، ثم فسر الإفك بقوله : ﴿آلِهَةً دُونَ اللَّهِ﴾ ويجوز أن يكون حالا ، أي : تريدون آلهة دون الله آفكين .

﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ بمن هو الحقيق بالعبادة ؛ لأن من كان ربًا للعالمين استحق أن يعبد ﴿فَمَا ظَنُّكُم﴾ أي : بأي سبب من الأسباب ادعيتم مشاركته في الإلهية ، وأي ظن ذهب بكم إلى ذلك . ويجوز أن يكون المعنى : فما ظنكم برب العالمين أنه يفعل بكم : أيعاقبكم أشد العقوبة أم لا ؟ ﴿فِي النُّجُومِ﴾ أي : في علومها أو في أحكامها .

سئل بعض الملوك عن مشتهاه ؟ فقال : حبيب أنظر إليه ، ومحتاج أنظر له ، وكتاب أنظر فيه . كان القوم نجّامين فأوهمهم أنه استدل بشيء من أحكام النجوم على أنه سقيم .

---

(١) ذكر ابن عبد البر في التمهيد (٢١/ ٢٤١) عن سعيد بن المسيب قال : "وبلغني أنه من قال حين يمسي: (سلام على نوح في العالمين) لم تلدغه عقرب" .

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مشارف للسقم، والسقم: الطاعون، وكان أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون العدوى؛ فهربوا عنه إلى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعل بالأصنام ما فعل، وإنما أخبر بأنه سقيم، ولم يكن كذلك. قالوا: إن الكذب جائز في إصلاح ذات البين، وإرضاء الزوج، وفي المكيدة في الحرب[(١)].

وعند المعتزلة: الكذب حرامٌ ويخلص منه بالتعريض، وقد عرض بما يخالف الكذب؛ لأن من في عنقه الموت فهو سقيم[(٢)]. وفي المثل (٢١٨/ ب) كفى السلامة داء[(٣)]. وروي أن رجلاً مات فجأة فكثر الناس عنده، فقال قائل: مات وهو صحيح، فقال له أعرابي: أصحيح مَن الموت في عنقه[(٤)]. وقيل: أراد: إني سقيم النفس لكفركم.

﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ ﴾ فذهب إليها في خفية، من روغان الثعلب، ﴿ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ ﴾ إلى أصنامهم بزعمهم؛ كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ ﴾[(٥)]. ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ﴾ فأقبل عليهم مستخفيًا، أو فراغ عليهم يضربهم، أو جعل ﴿ضَرْبًا﴾ بمعنى ضاربًا، على الحال. ﴿بِالْيَمِينِ﴾ يريد ضربًا قويًا؛ لأن اليمين أقوى الجارحتين. وقيل: بالقوة. وقيل: بسبب الحلف، وهو قوله ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم ﴾.

﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون، ويجوز أن يقال: أزفوا، أي: دخلوا في الزفيف، أو حملوا على الزف وهو الإسراع. فإن قلتَ: ذكر القصة ها هنا يدل على أنهم أبصروه حالة الزف،

---

(١) روى الترمذي رقم (١٨٦٢) عن النبي ﷺ قال: " لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس ". وحسنه الترمذي. وروى البخاري - رقم (٢٤٩٥)، ومسلم رقم (٤٧١٧) - عن النبي ﷺ قال: " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرا أو يقول خيرا ".

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٩).

(٣) روي هذا من كلام النبي ﷺ؛ رواه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ٣٠٢) رقم (١٤٠٩)، والديلمي في مسند الفردوس (٣/ ٢٩٠) رقم (٤٨٧١) عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كفى بالسلامة داء ". وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٠٩٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩).

(٥) سورة النحل، الآية (٢٧).

والذي في سورة الأنبياء : أنهم تشوفوا إلى أن علموا ؛ فقالوا : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ [١] .

فجوابه : أن الذين طلبوا معرفة كاسرها كانوا فرقة قليلة ، وبعضهم رأى وشاهد فلم ينم عليه ؛ بل عرضوا بقولهم : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ وقيل : جوابه : أنه كان يكسرها ويذهب ولا يشعر به أحد ، ويكون إقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر، وقولهم: ﴿ فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ ﴾ .

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾أي : خلقكم وخلق ما تعملونه من الأصنام ؛ كقوله : ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾[٢] أي : فطر الأصنام . فإن قلتَ : كيف يكون الشيء مخلوقًا لله معمولا لهم ؛ حيث أوقع خلقه وعملهم عليها جميعًا ؟!

قلتُ : الأصنام جواهر ، فأوقع خلق الجواهر لنفسه - سبحانه - وأوقع الصنعة والتشكيل والتخطيط على الصنعة ؛ كما تقول : صنع الصانع السوار ، وصنع النجار الباب .

فإن قلتَ : فهلا جعلت " ما " في قوله ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ مصدرية ، أي : وعملكم ؛ كما تقول المجبرة ؟ قلتُ : أقرب ما يبطل به المذهب أنه يصير التقدير : والله خلقكم وخلق أعمالكم ، فكيف ينكر عليهم شيئًا صنعه الله ؟ [٣]

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٦٠) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٥٦) .

(٣) المجبرة أوالجبرية هم الذين يقولون : إن للعبد قدرة غير أنه لا أثر لها البتة وأفعاله مخلوقة لله وحده ولم يثبتوا كسبا للعبد ولا مقدورا بين قادرين . وهذه مسألة يكثر فيها الخوض ويتحير فيها العقل ويتخبط فيها الفهم وتحتاج إلى كلام كثير، وقد اختلفت أقوال الطوائف في مثل هذا، فمذهب أهل الحق: أن الرب - سبحانه - منفرد بخلق المخلوقات ولا خالق سواه ولا مبدع غيره وكل حادث فإنه محدثه . وقالت المعتزلة: إن جميع أفعال العباد من حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأعمالهم لم يخلقها الله ، ثم اختلفوا فقالت طائفة : خلقها الذين فعلوها دون الله . وقال آخرون : ليست مخلوقة ولكنها أفعال موجودة لا خالق لها . وقال آخرون : هي فعل الطبيعة . وقال الذين زعموا أن العباد خلقوها : إن وقوع الأفعال من العبد على وفق قصده وداعيته إقداما وإحجاما دليل على أنه موجدها ومخترعها ، قالوا : ولولا ذلك لكانت التكاليف كلها واقعة على خلاف الاستطاعة وتكليفها بالمحال وكان لا يحسن مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب وهو خلاف مقتضى العقل والشرع والعرف . ونقل عن الإمامية: هل أفعال العباد خلق لهم أو خلق لله على قولين. ونقل الأشعري عن الزيدية: أنهم فرقتان، فرقة تزعم أن أفعال العباد مخلوقة لله خلقها وأبدعها ، وفرقة تزعم أنها مخلوقة لله وأنها كسب للعباد أحدثوها واخترعوها=

فإن قلتَ : هلا زعمت أن " ما " في قوله : ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ موصولة ويكون المعنى: وخلق العمل الذي تعملونه ؟ قلتُ : يأبى ذلك أن الأولى موصولة قولاً واحدًا ؛ فوجب جعل الثانية كذلك(٢١٩/أ) حتى لا يتفاوت المراد .

﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) ﴾

(الجحيم) النار الشديدة الوقود . وقيل : كل نار على نار ، وجمر على جمر فهي جحيم. أرادوا أن يغلبوه بالحجة ؛ فلقنه الله جوابهم ، ثم أرادوا أن يقهروه ويحرقوه فنجاه الله من النار. أراد بذهابه إلى ربه هجرته ، أراد : مهاجرته إلى أرض الشام .﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ سيرشدني في ديني ؛ كما قال موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [١] وجزم بحصول الهداية بقوله : ﴿سَيَهْدِينِ ﴾ وموسى رجا الهداية بقوله :﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[٢] .

﴿هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يريد الولد ؛ لأن لفظ الهبة غلب في الولد ، وقد جاء في الأخ ؛ كقوله : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [٣] وهناء علي بن أبي طالب لابن عباس حين هنأه بولده علي أبي الأملاك [٤]: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب[٥].

---

= وفعلوها . ومذهب الجمهور أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفسوق واقعة بقضاء الله وقدره ثم اختلفوا فقالت طائفة : إن العبد لا قدرة له البتة وهم الجبرية ومنهم من بالغ فزعم أن حركة العبد بمنزلة حركة الأشجار مع الرياح . وقالت طائفة : العبد غير مجبور على أفعاله بل هو قادر عليها " . وينظر في ذلك : إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد لمحمد بن إبراهيم بن الوزير(١/ ٣٧٧ – ٣٧٨) ط . دار الكتب العلمية – بيروت – ١٩٨٧م ، الكشاف للزمخشري (٤ /٥١ – ٥٢).

(١) سورة الشعراء ، الآية (٦٢) .

(٢) سورة القصص ، الآية (٢٢ ) .

(٣) سورة مريم ، الآية (٥٣) .

(٤) هكذا في الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٣) ولعلها الإملاك وهو التزويج ، ويقال للرجل إذا تزوج : قد ملك فلان ، وشهدنا إملاك فلان وملاكه وملاكه ، أي : عقده مع امرأته . **ينظر** : لسان العرب (ملك) .

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٣) بهذا السياق ، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٣٦٥) بسنده عن علي بن الجعد أخبرني الهيثم بن جماز قال : قال رجل عند الحسن لآخر : ليهنك الفارس ، فقال الحسن : لعله لا يكون فارسا ، لعله يكون بقالا أو جمالا ، ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، بلغ أشده ورزقت بره " والهيثم بن جماز ضعيف ؛ كما في الكامل لابن عدي (٧/ ١٠١) ، وميزان الاعتدال للذهبي (٧/ ١٠٥) .

﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

وتضمنت بشراه ثلاثة أمور: أحدها : أن بشر بولد ذكر، وأن الولد يعيش إلى أن يبلغ معه السعي ، وأنه يكون حليمًا ، وأي حلم أعظم من الصبر على الذبح ؛ حيث قال : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١] . وقيل : ما أثني على نبي بالحلم كما أثني على إبراهيم ؛ لأن الحلم في الناس قليل .﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ في الأشغال والحوائج . وقوله : ﴿مَعَهُ﴾ لا يجوز أن يتعلق بـ " بلغ " ؛ لأنه يقتضي بلوغهما معًا ، ولا بالسعي ؛ لأنه من صلة المصدر ، وصلة المصدر لا تتقدم عليه ؛ فبقي أن يكون معمولاً لفعلٍ دل عليه المذكور ؛ كأن قائلاً يقول : فما السعي الذي بلغه معه ؟ فقيل : أن يسعى في مهماته ومقاصد أبيه . وقيل : كان عمر الذبيح وقت الأمر بذبحه ثلاث عشرة سنة ، وقد حصل منه هذا الحلم العظيم الذي تأباه الطفولية .

أتي في المنام فقيل له : اذبح ابنك ، ورؤيا الأنبياء وحي ، ولهذا قال الذبيح :﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ فجعل ما رآه في المنام أمرًا ، فأصبح إبراهيم يتروى في هذه الرؤيا أهي حق ، أم أضغاث أحلام ؟ فسمي يوم الثامن من ذي الحجة يوم التروية . وقيل : سمي يوم التروية ؛ لأن الناس يتروون من الماء ، ويذهبون إلى عرفات ، ولا ماء في عرفات ، فلما أصبح إبراهيم في اليوم الثاني رأى ما عرف به أن المنام صحيح فسمي ذلك اليوم يوم عرفة ، ثم رأى في الليلة الثالثة مثل ذلك فهم بنحره (٢١٩/ ب) فسمي يوم النحر.

وقيل : إن الملائكة بشرته بغلام ، فقال : هو إذن ذبيح لله ، فلما وضعته امرأته قالت له الملائكة : أوف بنذرك .

فإن قلتَ : لم شاور إبراهيم ولده في الذبح وهو أمر حتم من الله ؟ قلتُ : لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، وإنما شاوره ؛ لينظر ما عنده من القلق أو التثبت .﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا ﴾ أسلم هذا ابنه ، وأسلم هذا نفسه . ﴿وَتَلَّهُۥ﴾ ألقاه بقوة على الأرض . وروي أن ذلك عند الصخرة التي بمنى . وقيل : في الموضع المشرف على مسجد منى . وقيل : في المنحر الذي

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٠٢).

ينحر فيه اليوم . وجواب ﴿فَلَمَّآ﴾ محذوف تقديره : فلما أسلما وتله وناديناه جرى ما لا يحيط به الوصف من [ الخطب ] وحيازة ما لا يقدر قدره من الأجر . ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ الاختبار الذي يضيق فيه العطن ، ويقل فيه الصبر ، أو المحنة الصعبة التي لا شيء أصعب منها . الذِّبْح : اسم لما يذبح . وعن ابن عباس : " هو الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه ، وكان يرعى في الجنة حتى فدي به الذبيح "[1]. وعن الحسن : فدي بوعل أهبط عليه من ثبير[2]. فإن قلتَ : من الذبيح ؟ قلتُ : فيه قولان : أحدهما : أنه إسماعيل وبه قال ابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وجماعة من التابعين محتجين بأن الكبش والذبيح كانا بمكة ، ولم ينقل أن إسحاق وصل إلى مكة ، بل إسماعيل ، وبنى هو وأبوه البيت . والقول الثاني : أنه إسحاق ، وبه قال علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة ، وأن المذبوح هو المبشر به ؛ لقوله تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾[3] وقد قال تعالى : ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾[4] وقد ثبت أن المذبوح هو المبشر به ، ولأن الله تعالى ما ذكر نبيا في هذه السورة إلا سلم عليه ، أو بارك ، وقد بارك على إسحاق بقوله : ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ الآية، ولأن الله بشر إبراهيم بولد ، وبأن ذلك الولد يعيش إلى أن يولد له ولد ، فلو كان الذبيح إسماعيل لكان يقول : إن الله وعدني أن يعيش هذا حتى يرزق ولدًا ، ولم يرزق بعد ولدًا وأكثر العلماء على أن الذبيح إسحاق[5]. فإن قلتَ : الله سبحانه أمر إبراهيم بذبح ولده ولم يذبحه ؟ قلنا : قد بذل وسعه ، وما وصلت قدرته إليه ، إلا أن الله سبحانه أباح له الفداء ، وسمي من فعل ذلك مطيعًا ، ولا يسمى عاصيًا . فإن قلتَ : فالله تعالى هو الفادي ، وإبراهيم فادٍ أيضًا ! قلتُ : الله تعالى أوجب الذبح ، ووهب الكبش (٢٢٠/أ) فيطلق على الله أنه فاد ، وعلى إبراهيم .

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨٦/٢٣) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٥)، **والوعل** : تيس الجبل ، **وثبير** : جبل معروف بمكة .

(٣) سورة الصافات ، الآية (١١٢) .

(٤) سورة هود ، الآية (٧١) .

(٥) تقدم الكلام على ذلك في تفسيرة سورة هود ، الآية (٧١) .

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ وقال : ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ ﴾ فإن قلتَ : إبراهيم قد قضى ما كلف به ، فما وجه الفداء ؟ قلت : أن يوجد الصورة المأمور بها ، وهي الذبح ، وقال في ذكر الأنبياء : ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وفي قصة إبراهيم كذلك ، والمعنى أنه قد سبق ذكر ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾ فأغنى ذكره عن إعادته .

﴿ نَبِيًّا ﴾ حال مقدرة ؛ كقوله : ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (١) فإن قلتَ : المبشر به ها هنا مفقود لم يوجد بعد ، وقوله : ﴿ فَٱدْخُلُوهَا ﴾ المأمور بدخوله موجود ؛ فيبعد تقدير ذكر الحال ؛ لأن الحال حلية ، وصاحب الحلية غير موجود ؟

فجوابه : أنه لابد من تقدير مضاف محذوف ، والتقدير : وبشرناه بوجود إسحاق مقدرًا له النبوة ؛ فيصير مثل قوله : ﴿ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ ﴿ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ حال ثانية ، وهو على سبيل الثناء ؛ لأن كل نبي يكون من الصالحين .

﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ﴾ يعني : شملتهما نعمنا في الدنيا والآخرة .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾

﴿ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ من الغرق أو من فرعون وظلمه لبني إسرائيل . ﴿ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ المستنير ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (٢) ومن جوز أن يكون لفظ التوراة عربيًّا يقول: إنها مشتقة من وري الزند : إذا اقتدح نارًا .

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٧٣) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٤٤) .

﴿إِلْيَاسَ﴾ قيل : هو إدريس النبي ، وفي قراءة ابن مسعود (وإن إدريس)[1] . وقيل : هو إلياس بن ياسين ، من ولد هارون أخي موسى .

﴿بَعْلًا﴾ صنم كان لهم ، يعني : أتدعونه إلهًا ؟ وقيل : كان صنم ففتنوا به وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن ، وجعلوا الأربعمائة أنبياء فكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بالضلال ، والسدنة يحفظونه ويعلمونه الناس ، وهم أهل بعلبك .

وقيل : البعل : الرب .

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾

وقرئ "الياسين"[2] ولعل الياء والنون معنى في لغة السريان ، أو لعله جمع إلياس ؛ كما قال : الخبيبيُّون وهو ولد عبد الله بن الزبير ، والمهلبيُّون في جمع المهلب ؛ وليس ذلك بجمع إلياس ؛ لأنه لو كانت الألف واللام للجمع لعرف بالألف واللام ، ولم يعرف .﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يعني : أسلبتم العقول فلا تعقلون ؟

﴿إِذْ أَبَقَ﴾ سمي هربه من قومه بغير إذن ربه إباقًا على المجاز. والمساهمة : القرعة ، والمدحض : المغلوب . روي أن يونس لما ركب السفينة فقال البحار : إن الله أجرى العادة

---

(١) وقرأ بها أيضا الأعمش ويحيى بن وثاب وقتادة . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧ / ٣٧٢)، تفسير القرطبي (١٥/ ١١٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥١١) ، فتح القدير (٤/ ٣٠٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٢) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٣) .

(٢) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وخلف " إلياسين " ، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب " آل ياسين " . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٧٣) ، تفسير القرطبي (١٥/ ١١٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٣) الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥١٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٤٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٠).

أنه إذا كان في هذا المركب عبد آبق لا تسير ؛ فقال يونس : أنا العبد الآبق ، وزج نفسه في الماء .

﴿مُلِيمٌ﴾ وهو داخل في الملامة (٢٢٠/ب) ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من الذاكرين الله كثيرًا بالتسبيح . وقيل : قوله :﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [(١)] .

وعن ابن عباس : " كل تسبيح في القرآن فهو صلاة " [(٢)] وهذا دليل على أن الله طلب من العبد أن يكثر من ذكره في وقت المهلة ، ويتخذ ذلك عدة للشدائد .﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ ﴾ الظاهر لبثه فيه حيًا إلى يوم القيامة . وقال قتادة : ولولا ذلك لكان قبرًا [(٣)]. وروي أن الله تعالى أوحى إلى الحوت حين ابتلعه : إني جعلت بطنك له سجنًا، ولم أجعله لك طعامًا [(٤)].

قيل في مدة لبثه : أربعون يومًا . وقيل : عشرون . وقيل : سبعة أيام . وعن الحسن: لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه فيه . وروي أنه لبث يسيرًا والحوت يلاحق السفينة ، ويونس يسبح حتى وصل إلى قريب البر فألقاه سالمًا لم ينخدش منه شيء[(٥)]. وروي أن الحوت قذفه من الموصل يقال لها : نينوى[(٦)].

﴿۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾

والعراء : المكان الخالي من الشجر . ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل مما حل به . وروي أن بدنه صار كبدن الصغير حين يولد . واليقطين : كل ما سرح على وجه الأرض وليس له ساق .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٨٧).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٤٣) ونسبه لعبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن المنذر وابن جرير وأحمد في الزهد . وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٨٠) وزاد نسبته لابن مردويه .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٠١) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة رحمه الله .

(٤) ذكر السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٢٧) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير عن شهر بن حوشب رضي الله عنه قال : " انطلق يونس عليه السلام مغضبا فركب مع قوم في سفينة فوقفت السفينة لم تسر فساهمهم فتدلى في البحر فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودي الحوت : إنا لم نجعل يونس لك رزقا ، إنما جعلناك له حرزا ومسجدا " .

(٥) ذكر السيوطي هذه الأقوال في الدر المنثور (٧/ ١٢٧ - ١٢٨) .

(٦) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢) .

وقيل : هو الدباء[1] . وقيل : فائدة الدباء أن الذباب لا يجتمع عليه .

وقيل : التين . وقيل : الموز ، تغطى بورقه وأكل ثمره . وروي أنه مر [ زمان ] [2]على الشجرة فيبست . قيل : فقيل له : بكيت على شجرة ولم تبك على مائة ألف في يد الكافر[3].﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي: أنبتناها عالية عليه حتى يستظل بها . ﴿ وَأَرْسَلْنَهُ ﴾ ليس المعنى أنا جددنا له نبوة ورسالة ، بل هذا تتمة رسالته الأولى . وقيل : هو إرسال ثان إلى قومه الأولين وإلى غيرهم . وقيل : أسلموا فسألوه أن يرجع إليهم فأبى ؛ لأن الأنبياء إذا هاجروا من أرض لبعدهم من المعاصي لا يرجعون إليها .﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ المراد به وصفهم بالكثرة ، أي : ومتى وقع نظر ناظر إليهم قال : هم مائة ألف أو يزيدون .

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) ﴾

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ ﴾معطوف على مثله في أول السورة ، أمر الله رسوله ﷺ باستفتاء قريش عن وجه إنكار البعث أولاً ، ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ، ثم أمره بسؤال عن القسمة الضيزى[4] وهي جعلهم الملائكة بنات الله ، وآيات القرآن مترادفة على إنكار جعل الملائكة إناثًا ، وإنما خص علم المشاهدة بقوله: (٢٢١/أ) لأنه تهكم بهم ، وقد قال تعالى : ﴿أشهدوا خلقهم ﴾ والولد يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ ﴾أي: حجة ، وهذه الآيات دليل على إنكار بليغ وغضب شديد لما ذكروه ، وعن الملائكة وجعلهم بنات الله ، وقد نوع الكلام أنواعًا وبالغ فيه بالوعيد الشديد ؛ فعليك أن تشمر عن ساق للاجتهاد ، وتوقر جلال الله وعظمته عما لا يليق به .

---

(١) **الدباء** : القرع . **ينظر** : لسان العرب (دبى) .

(٢) بياض في الأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٣٣٨) رقم (٣١٨٦٦) ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤ / ٦٢).

(٤) **قسمة ضيزى** : جائرة غير مستوية ناقصة غير تامة ، والعرب تقول: ضزته حقه - بكسر الضاد - وضزته بضمها فأنا أضيزه وأضوزه. وذلك إذا نقصته حقه ومنعته . وضاز في الحكم أي : جار و ضازه حقه يضيزه ضيزا : نقصه وبخسه ومنعه. **ينظر** : لسان العرب (ضيز) .

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ وأراد بالجنة الملائكة ، والملائكة يسمون جنًا ؛ لاستتارهم عن العيون ، وإنما جاء ها هنا بلفظ الجن ؛ لأنه أنقص أسمائهم رتبة ، والمراد في هذا المقام تنقيص قدرهم من أن يبلغوا رتبة ما ادعته قريش من نسبتهم إلى الولادة وأن يخطر ذلك ببال. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ﴾ يعني الشياطين منهم ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع من المحضرين ، والمعنى : لكن المخلصون ناجون ويجوز أن يقع الاستثناء من الضمير في قوله :﴿يَصِفُونَ﴾ أي : سبحان الله عما وصفه الملحدون به ؛ لكن ما وصفه به عباد الله المخلصون فإنه حق .

الضمير في قوله : ﴿عَلَيْهِ﴾ لله – تعالى – والتقدير: فإنكم ومعبوديكم ﴿مَآ أَنتُمْ﴾ جميعًا ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ على الله ، إلا أصحاب النار ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ﴾ مثلكم ، أو هو كما قال الشاعر [من الوافر ] :

فَإِنَّكَ وَالكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَدَابِغَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الأَدِيمُ[(١)]

وقرئ ﴿صَالُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [(٢)] وفيه وجهان : أن يكون مرفوعًا وسقطت الواو ؛ لالتقاء الساكنين ، وأن يكون أصله صايل ، فقلبت إلى صال ؛ كقولهم : شاك السلاح ؛ أي : شايك.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

---

(١) البيت للوليد بن عقبة بن أبي عقبة قاله ضمن أبيات يحرض فيها معاوية بن أبي سفيان ﷺ على قتال علي بن أبي طالب ﷺ . **ينظر في** : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦/ ٦١٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥) ، لسان العرب (حلم) قال ابن منظور : " والحَلَم بالتحريك : أن يفسد الإهاب ، ويقع فيه دود فيثقب ، تقول منه : حلِم بالكسر . والحلمة : دودة تكون بين جلد الشاة الأعلى وجلدها الأسفل . وقيل : الحلمة دودة تقع في الجلد فتأكله فإذا دبغ وَهَى موضع الأكل فبقي رقيقا " وقال في معنى البيت : " يقول له : أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم الذي وقعت فيه الحلمة فنقبته وأفسدته فلا ينتفع به " .

(٢) قرأ جمهور القراء " صالِ" وصلا ووقفا ، وقرأ يعقوب وقفا " صالي " ، وقرأ الحسن وابن أبي عبلة " صالُ" بالضم . **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٧٩) ، تفسير القرطبي (١٥/ ١٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥١٦) ، فتح القدير (٤/ ٤١٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٦)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٢٨) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٤).

﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في العبادة والانتهاء إلى أمر الله ؛ كما قيل في صفتهم: منهم راكعٌ لا يقيم صلبه ، وساجد لا يرفع رأسه .﴿ لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ نصف أقدامنا في الهواء وأجنحتنا في السماء والأرض ننتظر ما نؤمر به . وقيل : إن المسلمين إنما اصطفوا في الصلاة من حين نزلت هذه الآية ، وليس أحد من الملل يصطفون في الصلاة إلا المسلمون والمسبحون : المنزهون أو المصلون . ﴿كَانُوا﴾ [١] مشركو قريش يقولون : ﴿ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ (٢٢١/ ب)، أي: كتابًا من كتب الأولين لأخلصنا العبادة لله ، ونظيره : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ﴾ [٢].﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة تكذيبهم ، و﴿وَإِن﴾ من الثقيلة ، واللام هي الفارقة . وفيه دليل على توكيد الأمر ، وأنهم لا ينفكون عن طاعة الرسول إذا جاءهم .﴿ كَلِمَتُنَا ﴾ هي قوله :﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ . وسماها كلمة وهي كلمات ؛ لأنها في نصرة بعضها بعضًا كالشيء الواحد ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴾ في العاقبة وغالب الأمر.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض وأغمض على أذاهم . ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ وهي مدة الكف عن القتال .

وقيل إلى الموت . وقيل : إلى يوم بدر . ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ وستشاهد ما يحل بهم من النكال وعقوبة الآخرة . ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ ما يقضى لك من النصرة ، والمراد بالأمر بالإبصار كأنه يشاهد الأمر على صورته وأنه كائن لا محالة .﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾ سمي صباحًا ؛ لأنها أكثر ما تكون في وقت الصبح . وقيل : لما جاء النبي ﷺ إلى خيبر وخرجت اليهود بمساحيهم[٣] ومكاتلهم[٤] فرأوا رسول الله ﷺ وأجناده فقالوا : محمد والخميس معه ،

---

(١) هكذا في المخطوط وهي لغة مشهورة في تعرف بلغة " يتعاقبون فيكم ملائكة " وقد مرت أول سورة الأنبياء .

(٢) سورة فاطر ، الآية (٤٢) .

(٣) **المساحي** : جمع مسحاة وهي الجرفة من الحديد والميم زائدة لأنه من السحو: الكشف والإزالة . **ينظر** : لسان العرب (سحا).

(٤) **المكاتل** : جمع مكتل بكسر الميم وهو الزبيل الكبير ، قيل : إنه يسع خمسة عشر صاعا كأن فيه كتلا من التمر ، أي : قطعا مجتمعة . **ينظر** : النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ١٥٠).

ورجعوا إلى حصونهم ، فقال رسول الله ﷺ : " الله أكبر : خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين "[١]. وقيل : أريد بأحد الإبصارين عقوبة الدنيا ، وبالآخرة عقوبة الآخرة . أضيف الرب إلى العزة لاختصاصه بها . وقيل : المراد أنه المتصرف في العزة ، وهو مالكها يؤتيها من يشاء ؛ لقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[٢] وقوله : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ ﴾ خبر ، والمراد : تعليم العباد كيف يسبحون الله وينزهونه . وعن علي بن أبي طالب : "من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليكن آخر كلامه إذا قام من المجلس : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ إلى آخرها "[٣].

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٦١٠ ، ٩٤٧ ، ٢٩٤٤) ، ومسلم رقم (١٣٦٥) ، وأحمد في المسند (٣/ ٢٠٦)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٧٤٥) عن أنس رضي الله عنه .

(٢) سورة فاطر ، الآية (١٠) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٥٤) ونسبه لحميد بن زنجويه في ترغيبه وابن أبي حاتم ، وزاد نسبته الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٨٢) لعبد الرزاق والثعلبي .

## تفسير سورة ص [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

﴿صٓ﴾ على الوقف ، وهو المشهور ، وقرئ بالكسر والفتح[1] كـأمس ، وأيـن ، ويجـوز أن ينتصب بحذف حـرف القـسم واتـصال فعلـه (٢٢٢/أ) كقـولهم : الله لأفعلـن . وامتنـع صرف ﴿صٓ﴾ لأن فيها سببين : العلمية والتأنيث . فإن قيل : ما معنى قولـه :﴿ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾؟ قلت : إذا أريد بـالحروف الـتي في أوائـل الـسور أنهـا لبيـان الإعجاز ، وأن القرآن مركب من الحروف التي تنظمون منها كلامكـم وعجـزتم عـن الإتيـان بمثله ، ويجوز أن يكون المراد : وحق ﴿صٓ﴾ إن القرآن لمعجز لا يمكن أن يقابـل بالتكـذيب والشقاق . ثم القرآن يجوز أن يراد به هذه السورة ، ويجوز أن يراد به جميع ما نزل .

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يكذبون عنادًا وتكبرًا ، وقد أهلك الله تعالى أممًا كذبوا رسلهم كما فعـل قومك ، وسيحل بقومك ما حل بهم في الدنيا والآخرة ؛ كما تقول : مـررت بزيـد والنـسمة المباركة ، ولا تريد غير زيد . والذكر : الشرف أو الموعظـة أو الـشهرة ؛ مـن قولـك : فـلان مذكور ، أي : مشهور ، والتنكير في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدلالـة علـى عظمتهـا وبلوغهـا الغايـة القصوى . وقرئ "في غـرة " بـالغين والـراء[2] أي : في غفلـة . ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وعيـد شـديد لأهل مكة . ﴿فَنَادَوا۟﴾ فاستغاثوا . وقرئ (نادوا بالتوبة)[3] وليس الحين حين مناص ، وتغير بذلك حكمها ؛ حيث صارت لا تدخل إلا على الأزمنة ، ولا يجوز ذكر اسمها وخبرها مـع

---

(١) قرأ أبي بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق ونصر بن عاصم وابن أبي عبلـة وأبـو الـسمال " صـادِ " بكسر الصاد ، وقرأ عيسى بن عمر " صادَ " بالفتح .

**تنظر القراءة في :** البحر المحيط لأبـي حيـان (٧/٣٨٣) ، تفـسير القـرطبي (١٥/١٤٢) ، الـدر المـصون للسمين الحلبي (٥/٥١٩) ، فتح القـدير (٤/٤١٩) ، الكـشاف للزمخـشري (٣/٣٥٨) ، المحتـسب لابـن جني (٢/٢٣٠) ، معاني القرآن للفراء (٢/٣٩٦) .

(٢) قرأ بها الكسائي في رواية سورة وحماد بن الزبرقان وأبو جعفر والجحدري والعقيلي وغيرهم .

**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٧/٣٨٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/٣٥٩).

(٣) نسبها الزمخشري في الكشاف (٤/٧١) للحسن من قوله ، وليست قراءة .

وخبرها مع دخول التاء عند الخليل وسيبويه[١] وإنما يظهر أحدهما . وقيل :﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره : ولا أرى حين مناص ، ويجوز رفع الحين بالابتداء ، أي : ولا حين مناص كائن لهم ، وأنشد أبو زبيد الطائي [ من الخفيف ] :

طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَا أَنْ لاتَ حِينُ بقاء[٢]

والكسر في (أوان) مثله في قوله [ من الوافر ] :

نَهيتُكَ عَنْ طِلاَبِكَ أَمَّ عَمْروٍ بعَافيَةٍ وَأَنْتَ إذٍ صَحيحُ[٣]

في أنه ظرف زمان قطع منه المضاف إليه ، وعوض التنوين ؛ لأن الأصل : ولات أوان صلح . وإذا وقفت على﴿ وَلَاتَ﴾ فالمختار أنك تقف عليها بالتاء ؛ كما تقف على قامت وخرجت . وقال الكسائي : يوقف عليها بالهاء كما تقف على التاء في عائشة وفاطمة [٤]. وأما قول أبي عبيد : إن التاء داخلة على حين فلا وجه له[٥]. والمناص : المنجى .

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم . ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ (٢٢٢/ ب) ولم يقل : " وقالوا " ؛ إظهارًا للغضب والتعجب من تكذيبهم الرسول ﷺ الذي دلت المعجزة على صدقه ، ويتعجبون من التوحيد ، وهو الحق الذي لا محيد عنه .

وروي أن أكابر قريش من الكفار اجتمعوا عند أبي طالب ، وقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا

---

(١) **ينظر** : الكتاب لسيبويه (١/ ٢٩) .

(٢) **ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي (٢/ ١٥٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٢٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧١) ، معاني القرآن للأخفش (١/ ٤٥٦) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٩٨) .

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، **ينظر في** : خزانة الأدب للبغدادي (٦/ ٥٣٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٢٣) ، شرح شواهد المغني (ص : ٢٦٠) ، شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ٣١) ، لسان العرب (أذذ) .

(٤) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٢) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٨) .

(٥) عبارة أبي عبيد في غريب الحديث (٤/ ٢٥٠) : " وهي لغة معروفة يزيدون التاء في الآن وفي حين فيقولون: تلآن وتحين. قال: ومنه قول الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال : إنما هي ولا حين مناص .

وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريدون الذين دخلوا في دين الإسلام ، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ؛ فاستحضر أبو طالب رسول الله ﷺ وقال : يا ابن أخي : هؤلاء قومك يسألونك السواء ؛ فلا تمل كل الميل على قومك فقال ﷺ : ماذا يسألونني ؟ قالوا : ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك ؛ فقال عليه السلام : أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم ، أمعطيَّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ؟ قالوا : نعم وعشرًا ؛ أي : نعطيكم وعشر كلمات معها . فقال : قولوا لا إله إلا الله . فقاموا ، وقالوا ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾أي : بليغ في العجب[1].

وقرئ "عُجّاب" بالتشديد[2] كقوله :﴿ مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ [3]. وهو أبلغ من الخفيف ، وقوله: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ﴾ مثل قوله : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [4] في كون الجعل بمعنى التصيير .

﴿ ٱلْمَلَأُ ﴾ أشراف قريش ؛ يريد : وانطلق الملأ عن مجلس أبي طالب قائلين:﴿ٱمْشُوا۟ ﴾ واصبروا على عبادة آلهتكم ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ يريد الله عز وجل إحكامه وإمضاءه ، وما أراد الله عز وجل كونه فلا مرد له ، ولا ينفع فيه إلا الصبر ، أو أن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر لا مرد له ، أو أن دينكم شيء يراد ، أي : يطلب لتغلبوا عليه ويؤخذ منكم . و﴿إِنَّ﴾ بمعنى أي ؛ لأن المنتقلين عن مجلس المقاولة لا ينفكون عن المجاوزة ببعض ما جرى غالبًا .

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾﴾

﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ملة النصارى ؛ لأنها آخر الملل ، وهم يعتقدون التثليث . ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟

---

(١) رواه أحمد رقم (١٩٠٤) ، والترمذي رقم (٣١٥٦) وقال : حسن صحيح .

(٢) قرأ بها علي بن أبي طالب والسلمي وعيسى بن عمر وابن مقسم .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٨٥) ، فتح القدير (٤/ ٤٢٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣١٧) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٣٠) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٨).

(٣) سورة نوح ، الآية (٢٢).

(٤) سورة الزخرف ، الآية (١٩).

عَذَابِ﴾ بعد ، ولو ذاقوه لما قالوا ذلك . ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ يعني : ليس عندهم تلك الخزائن ، ثم أتى بأبلغ من ذلك فقال : ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى يتصرفوا في اختيار الرسل ، وفي الأمور العظيمة ، أي : إذا كان كذلك ﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ إلى السماوات (٢٢٣/أ) ويدبروا أمرها ، ثم انتقصهم فقال : ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي : ما هم إلا جند من جملة المتحزبين على الرسل وهم منهزمون ؛ كقوله : ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [1] أي: عما قريب فلا تبال بما يقولون ، ولا تكترث بما يهذون ، و" ما " مزيدة في قوله : ﴿جُندٌ مَّا﴾ و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارة إلى المكان الذي وضعوا فيه أنفسهم من الهجوم على مثل ذلك العظيم . قوله :﴿ذُو ٱلْأَوْتَادِ﴾ مأخوذ من ثبات الخيمة بأوتادها ، قيل : ثابت الأوتاد ؛ استعير ذلك لثبات الملك وقوته ؛ كما قال الشاعر [ من الكامل ] :

في ظلِّ ملكٍ ثابتِ الأوتادِ [2]

وقيل: كان يشبح المعذب بين أربعة سوار ؛ كل طرف من طرفه إلى وتد ، ثم يعاقبه فلا يستطيع عن نفسه دفعًا ، ويتركه حتى يموت مشبوحًا[3] . وقيل : يتركه بين أربعة أوتاد ويسلط عليه الحيات والعقارب . وقيل : كانت له أوتاد وحبال وملاعب يلعب بها بين يديه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ إشارة إلى الأمم الذين كذبوا أنبياءهم فهلكوا ؛ فذكرهم أولاً بالعموم ثم خصهم واحدًا واحدًا فقال : نوح وعاد وفرعون وأصحاب الأيكة وغيرهم ، وذلك دليل على الاعتبار بذكر تكذيبهم وعذابهم ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكة أو هو إشارة إلى جميع الملل المكذبة . ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ما لها من

---

(١) سورة القمر ، الآية (٤٥) .

(٢) هذا عجز بيت للأسود بن يعفر وصدره : ولقد غنوا فيها بأفضل عيشة .
ينظر في : غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٠١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٦) ، معجم البلدان (١/ ٢٧٢) .

(٣) المشبوح : البعيد ما بين المنكبين . والشبح : مدك الشيء بين أوتاد أو الرجل بين شيئين ، والمضروب يشبح : إذا مد للجلد . وشبحه يشبحه : مده ليجلده ، وشبحه : مده كالمصلوب .
ينظر : لسان العرب (شبح) .

رجوع ، وقرئ بضم الفاء[1] أي : بمقدار حلب ناقة ، ورضعتي الراضع ، يعني : إذا حلَّ وقتها لم يستأخر هذا القدر من الزمان ؛ كقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾[2] وعن ابن عباس : ما لها من رجوع وترداد ، من أفاق المريض إذا رجع إلى الصحة[3] .
القط : القسط من الشيء ؛ لأنه قطعة منه ؛ تقول : قط الشيء ، بمعنى : قطعه ، ويقال لصحيفة الجائزة : قط ؛ لأنها قطعة من القرطاس ، وقد فسر ذلك قوله عز وجل : ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي : نصيبنا من العذاب الذي وعدت به ؛ كقوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾[4] ووجه مطابقة قوله تعالى:﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾لقوله : ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ أنه عبد عظيم أنعم الله عليه وزل زلة وقع فيها في أمر عظيم حتى ضرب له المثل بالنعاج وسجد يبكي حتى (٢٢٣/ ب) نبت العشب من دموعه ؛ أي : واذكر عبدنا داود ابتلي فصبر .
والأيد : القوة ، ويقال للقوى : أيد .﴿أَوَّابٌ﴾رجاع إلى الله تعالى ؛ من آب يئوب ؛ إذا رجع ، ثم شرع يذكر ما أنعم به عليه فقال :﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾ قوة الشمس وذلك بعد ارتفاعها قيد رمحين وقيل : هي صلاة الضحى ، صلاة الإشراق ، يقال : شرقت الشمس : إذا طلعت ، وأشرقت : إذا أضاءت وصفت تشرق إشراقًا .
وروت أم هانئ أخت علي بن أبي طالب:

" أن النبي ﷺ صلى في بيتها صلاة الإشراق "[5].

ويجوز أن يريد بأشرق أنه دخل في وقت الشروق ؛ كقوله : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾[6].

وقوله عز وجل : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴾[7] وكانت العرب تقول : أشرق ثبير كيما

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف " فُواق " وقرأ الباقون " فَواق " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٨٩) ، تفسير القرطبي (١٥/ ١٥٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٤ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٢٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٦٣) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦١) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (٣٤) .
(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٣٢) .
(٤) سورة الحج ، الآية (٤٧) .
(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٦١) ونسبه لابن مردويه .
(٦) سورة الشعراء ، الآية (٦٠) .
(٧) سورة الحجر ، الآية (٧٣) .

نغير[١]. و﴿يُسَبِّحْنَ﴾في معنى مسبحات ؛ على الحال . والفرق بين " يسبحن " و" مسبحات" أن الفعل المضارع يدل على التكرار ، والتسبيح كان يتكرر من داود من الجبال وأما اسم الفاعل في قولك : مسبحات ، فلا يدل على ذلك ؛ لأن التسبيح صفة ثابتة تقول في الصغير ابن سبع سنين : هذا يطول ، وتقول لابن أربعين سنة : هذا طويل ، فـ "يسبحن " يدل على التكرار .

﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿أَوَّابٌ ﴾ رجاع إلى الله تعالى بالتسبيح والاستغفار ، وقوله تعالى : ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ يجوز أن يرجع الضمير إلى داود ؛ أي : كل يسبح تسبيحه . وقيل : إلى الله تعالى ، أي : كل يسبح الله تعالى . ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قويناه ، وكان يثبت حول محرابه أربعون ألفًا عليهم الزرد[٢]. وقيل : إنما شد ملكه لأن رجلاً ادعى على رجل أنه غصبه بقرة فأنكره ، فسأل داود ربه بماذا يحكم ؟ فأوحى الله تعالى إليه أن اقتل المدعى عليه ؛ فأخبره داود أن الله تعالى أمر بقتله فقال : إني لم أوخذ بهذا الذنب ، ولكني قتلت أبا هذا المدعي ، فقتله داود ، فاشتد ملكه ، وقال الناس : من أذنب ذنبًا أعلم الله تعالى به داود ؛ فعظم ملكه بذلك .﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ الزبور والشرائع . وقيل : كل كلام وافق الحق فهو حكمة . الفصل : التمييز بين الشيئين . ويقال : الكلام البين فصل ؛ بمعنى مفصول ، ويجوز أن يراد بالفصل : الفاصل ؛ تسمية لاسم الفاعل بالمصدر . وقيل : قولك : " البينة على المدعي ، واليمين على المدعى عليه " [٣] وهو من الفصل بين الحق والباطل (٢٢٤/أ) ويدخل فيه قول بعضهم : فصل الخطاب قوله : أما

---

(١) قال ابن قتيبة في غريب الحديث (١/ ٣٥٦) : " قولهم أشرق ثبير : هو من شروق الشمس وشروقها طلوعها يقال شرقت الشمس شروقا إذا هي طلعت وأشرقت إذا أضاءت وإنما يريدون ادخل أيها الجبل في الشروق كما تقول أشمل القوم إذا دخلوا في ريح الشمال وأجنبوا إذا دخلوا في الجنوب وأراحوا إذا دخلوا في الريح وأربعوا إذا دخلوا في الربيع فإذا أردت شيئا من هذا أصابهم قلتَ: شمل القوم وجنبوا وريحوا وربعوا وشرقوا وكذلك غيثوا إذا أصابهم الغيث " .

(٢) **الزرد** : حلق المغفر والدرع، والزردة : حلقة الدرع ، والسرد ثقبها ، والجمع : زرود ، والزراد : صانعها . وقيل : الزاي في ذلك كله بدل من السين في السرد والسراد والزرد مثل السرد ، وهو تداخل حلق الدرع بعضها في بعض . **ينظر** : لسان العرب (زرد) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٤٠) عن شريح ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٥٤) لابن جرير والبيهقي عن قتادة ﷺ .

بعد[١] ؛ لأنها فصلت ما بعدها عما قبلها . ويجوز أن يراد بـ ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ الذي ليس بطويل ممل ، ولا قصير مخل . كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضًا أن ينزل عن امرأته ليتزوجها إذا أعجبته ، وكان لهم عادة في المواساة بذلك ؛ فوقعت عين داود على امرأة رجل يقال له أوريا ؛ فسأله النزول عنها ، فاستحيا أن يرده ، ففعل ذلك ؛ فتزوجها وهي أم سليمان ؛ فضرب له المثل بما في الكتاب العزيز . وقيل : خطبها أوريا فأجابوه ، ثم خطبها داود فاستحيا وليها فزوجها من داود عليه السلام ؛ فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه[٢] . وقيل : إن داود كان يغلق عليه قصره ويتعبد المدد ؛ فأغلق بابه عليه مرة فتسلق شخصان يريدان قتل داود عليه السلام فأحس بهما ، وكان شديد القوة يقدر عليهما فتمحلا كذبة ، وقالا : نحن خصمان بغى بعضنا على بعض ؛ فعلم أنهما تحيلا بدعوى المحاكمة ؛ فأراد قتلهما ، ثم قال : لا أقتلهما بالظن ؛ فاستغفر ربه مما هم به من ذلك . وإذا تأملت القرآن العظيم وجدته يدل على هذا القول الأخير من وجوه كثيرة تقارب ثلاثين دليلا : أولها : قوله : ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ﴾ ولا يقال : اصبر واذكر داود الذي أحب امرأة فسعى حتى حصلت له ، بل معناه : اصبر كما صبر داود على الشلحين[٣] ولم يأمر بقتلهما ، وكذلك قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ ، أي : القوة ، والقوة تعم قوة الدين ، وقوة البدن ، ومن عنده مسكة من دين لا يفعل مثل ذلك ، ومنها قوله : ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ومثل هذا المذكور في صفاته وما وهبه الله عز وجل من الكرامات أمر عظيم لا يقرن بالذم ؛ فإنك لو قلت : زيد عالم خيِّرٌ مخصوص بالكرامات العظيمة أحب امرأة فسعى في فراقها من زوجها حتى تزوجها لم يكن كلامًا متناسبًا .

﴿ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ١٤٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٥٤ - ١٥٥) لابن أبي حاتم والديلمي عن أبي موسى الأشعري ﷺ ، ولسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر عن الشعبي ﷺ أنه سمع زياد بن أبي سفيان ﷺ .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٠ - ٨١)

(٣) قال ابن الأعرابي : الشلح السيوف الحداد . قال الأزهري : ما أرى الشلحاء والشلح عربية صحيحة وكذلك التشليح الذي يتكلم به أهل السواد سمعتهم يقولون شلح فلان إذا خرج عليه قطاع الطريق فسلبوه ثيابه وعروه . **ينظر** : لسان العرب (شلح) .

أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

وقوله : ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟﴾ يدل على ذلك ؛ فإن الملك لا يحتاج إلى التسلق ، وأيضًا قوله : ﴿خَصْمَانِ﴾ لا يليق بالملائكة أن يكذبوا ، ويجعلوا أنفسهم خصومًا ، وكذلك لا يبغي بعضهم على بعض وكذلك قوله : ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ والملائكة لا تكفل غنمًا . ﴿وَعَزَّنِى﴾ (٢٢٤/ب) غلبني تقول العرب : من عز بز[1] أي : من غلب سلب ، والملائكة لا يغالب بعضهم بعضًا ، وإنما استغفر داود من همه بقتل الرجلين بغير بينة . ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ عن الساجد بالراكع ؛ لأنه ينحني كالساجد ، واحتج به أبو حنيفة وأصحابه على قولهم : إن الركوع في سجود التلاوة يقوم مقام السجود[2]. ويجوز أن يكون أحرم بركعتين ليستغفر عقيبهما ما جرى ، والصلاة تسمى ركوعًا وسجودًا . وقيل : إنه أقام ساجدًا أربعين ليلة وكان لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة ، أو ما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه إلى رأسه ، ولم يشرب ماء إلا وثلثاه دمعه ، وجهد نفسه واشتغل بالبكاء والتوبة عن مملكته حتى وثب ابن له يقال له [ إيشا ] [3] على ملكه ، ودعا إلى نفسه ؛ فلما غفر لداود حارب ابنه وهزمه[4]. وروي أنه نقش خطيئته في كفه حتى لا ينساها[5].

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ

---

(١) **ينظر في** : تهذيب الأسماء للنووي (٣/ ٢٠٤) ، غريب الحديث للخطابي (١/ ١٤٥) ، لسان العرب (بزز) والبز : السلب ، ومعناه : من غلب سلب .

(٢) **ينظر:** أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٥٦) .

(٣) بياض بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٨) .

(٤) رواه الطبري في التفسير (٢٣/ ١٤٧ - ١٤٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٥٨) .

(٥) رواه الطبري في التفسير (٢٣/ ١٤٨) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ١٦٤) .

عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ .

﴿خَلِيفَةً﴾ في تنفيذ أحكام الله تعالى . وقيل : خليفة عمن كان ملكًا ، وفيه دليل على أن حاله عادت بعد التوبة إلى ما كانت عليه لم تتغير . وعن عمر بن عبد العزيز : قيل له : إن الخليفة لا يجري عليه القلم . فقال : أيهما أعظم : الخليفة أم النبي ؟ فقيل له : النبي . فتلا عليهم قوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ﴾[1] . قوله :﴿ بَٰطِلًا ﴾ أي : لا لغرض صحيح ولا حكمة ظاهرة ، وهي معاقبة المسيء وإثابة المحسن ، وإلا فنحن نرى رجلاً صالحًا من المسلمين يُظلم ويؤخذ ماله ويبقى فقيرًا إلى أن يموت، ويبقى الظالم غنيًا بما أخذ من المال، فلو لم يكن ثم آخرة يستوفي فيها للمظلوم حقه لكان خلق السماوات والأرض باطلا مخالفًا للحكمة: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي : مظنونهم ، وكانت الكفار معترفين بأن الله جل جلاله خلق السماوات والأرض ، فكيف يزعمون أنه خلقها باطلاً ؟ وإنما كان كذلك لأن من جحد الحكمة في خلق العالم والثواب والعقاب ؛ فقد جعل التصرف باطلا ، ولولا الثواب والعقاب لاستوى حال المؤمن والكافر . والصفون[3] لا يكاد يوجد إلا في الخيل العراب ، ولا يوجد (٢٢٥/أ) في الهجن التي ليس لها أصل في عراقة الخيل . ووصفها بالتمام إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها ، وإذا جرت كانت سراعًا في جريها . وروي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس . وروي أنه ورثها من أبيه ، وأصابها أبوه من العمالقة . وقيل : خرجت من البحر ولها أجنحة فقعد يومًا بعدما صلى الأولى على سريره ، واستعرضها فلم يزل يعرض عليه حتى غربت الشمس ، وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشاء وتهيبوه فلم يُعلِموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها ؛ تقربًا إلى الله تعالى ، وبقي مائة فما في أيدي الناس من الخيل الجياد من نسلها . وقيل : لما عقرها أبدله الله عز وجل خيرًا منها وهي الريح تجري بأمره[4] .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٩) .

(٢) سورة الجاثية ، الآية (٢٢) .

(٣) **يقال** : صفنت الدابة تصفن صفونا : قامت على ثلاث وثنت سنبك يدها الرابع ، وصفن الفرس : إذا قام على طرف الرابعة ، وصفن يصفن صفونا : صف قدميه . **ينظر** : لسان العرب (صفن) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٧٣) .

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ معناها : أنبت ، أي : أنبت فعل الخير ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾أو جعلت حب الخير مجزئا أو مغنيًا ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾وقيل : إن ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ بمعنى لزمت . مثل بعير السوء إذ أحبًا[(١)].

و﴿ٱلۡخَيۡرِ﴾ المال ؛ لقوله : ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾[(٢)]﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾[(٣)] والمال : الخيل التي شغلته عن الصلاة ، أو: سمي الخيل خيرًا ؛ كأنها نفس الخير؛ لتعلق الخير بها قال ﷺ : " الخيل معقود في نواصيها الخير "[(٤)]. وسأل رجل بلالاً عن أناس يستبقون من السابق ؟ فقال : "رسول الله ﷺ . فقال له الرجل : أردت الخيل ؛ فقال بلال : وأنا أردت الخير ﷺ "[(٥)]. والتواري بالحجاب : مجاز في غروب الشمس ، والضمير في الشمس ولم يجر لها ذكر . وقيل : الضمير للصافنات ، أي : توارت بظلمة الليل ، ومن بدع التفاسير أن الحجاب : جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه[(٦)] . ﴿فَطَفِقَ﴾ فشرع يضرب أعناقها بالسيف ، ويقال: كسف عراقيبها بالسيف[(٧)] ، وضرب أعناقها وهي كسف بالسين المهملة ، ومن رواه بالشين فقد وهم . وقيل : مسحها بيده ؛ استحسانًا لها وإعجابًا بها . وقرئ " بالساق "[(٨)] لأمن اللبس .

---

(١) هذا رجز من شعر أبي محمد الفقعسي وقبله : حلت عليه بالقفيل ضربا ضرب بعير السوء إذ أحبا
**ينظر في** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٩٢) ، لسان العرب (حبب)، والقفيل : السوط . وأحب البعير برك . وقيل : الإحباب في الإبل كالحران في الخيل ، وهو أن يبرك فلا يثور .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٣) .

(٣) سورة العاديات ، الآية (٨) .

(٤) رواه البخاري رقم (٢٨٥٢) ، ومسلم رقم (١٨٧٢) .

(٥) أورده الزمخشري في الكشاف (٣/ ٣٧٤) ، ونسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ١٩١) لإبراهيم الحربي في كتابه .

(٦) رواه أبو الشيخ في كتاب " العظمة " (٤/ ١٣٩٥) عن كعب رحمه الله تعالى قال : الحجاب جبل أخضر من ياقوت يحيط بالخلائق فمنه خضرة السماء التي يقال لها الخضراء وخضرة البحر من السماء فمن ثم يقال: البحر الأخضر " ، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٣) .

(٧) كسف الشيء يكسفه كسفا : قطعه ، وخص بعضهم به الثوب والأديم والكسف والكسفة والكسيفة : القطعة مما قطعت . **ينظر** : لسان العرب (كسف) .

(٨) قرأ بها زيد بن علي . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٣٩٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٣٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٢٨) .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قيل : فتن سليمان بعدما ملك عشرين سنة ، وملك بعد الفتنة عشرين سنة ، ورزق سليمان ابنًا فقالت الجن : إن عاش هذا الولد دامت السخرة علينا فنقتله أو نخبله ، فعلم ذلك ؛ فصار يغذوه في السحاب ، فما راعه إلا وقد ألقي على كرسيه ميتًا فتنبه على خطئه في أنه لم يتوكل على الله فاستغفر ربه وتاب إليه . وروي عن النبي ﷺ قال : " قال سليمان عليه السلام (٢٢٥/ ب): " لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله . ولم يقل : إن شاء الله تعالى . فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة فجاءت بشق رجل ، والذي نفسي بيده لو قال : إن شاء الله لقاتلوا في سبيل الله عز وجل فرسانًا أجمعون "[(١)] حكي من أخذ الشيطان خاتم سليمان وجلوسه على كرسي سليمان واجتماعه بنسائه فالله أعلم بصحته[(٢)].

وروي أن سليمان بلغه أن ملك صيدون ، وهي من مدن جزائر البحر وأن لها ملكًا عظيمًا لا يقدر عليه ؛ لتحصنه بالبحر فخرج إليه تحمله الرياح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وسبى بنتًا له يقال لها جرادة ، كانت من أحسن الناس وجهًا؛ فاصطفاها لنفسه ، وأسلمت وأحبها ، وكانت لا يرقأ دمعها ؛ حزنًا على أبيها فمثلوا لها صورة أبيها فكانت إذا خرج سليمان تغدو هي وجواريها فيسجدون له فأخبر آصف سليمان عليه السلام بذلك ، فكسر الصورة ، وعاتب المرأة ، ثم خرج وحده إلى فلاة ففرش له الرماد ، وجلس عليه يبكي ويتضرع ، وكانت له أم ولد يقال لها أمينة ، وكان يضع خاتمه عندها إذا أراد جماع غيرها ، أو دخول الخلاء ، وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يومًا ، وأتاها شيطان في صورة سليمان فأعطته الخاتم ، فأخذه وجلس على كرسي سليمان ، وعكفت عليه الجن والطير والوحش ، وكان قد غيرت هيئته فأتى أمينة يطلب الخاتم فأنكرته وطردته ؛ فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف ، وإذا قال : أنا

---

(١) رواه البخاري رقم (٣١٧١) ، ومسلم رقم (٣١٢٤) ، والترمذي رقم (١٤٥٢) .

(٢) ذكر الحكاية الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٤) ثم قال : " ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا : هذا من أباطيل اليهود ، والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الأفاعيل ، وتسليط الله إياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الأحكام وعلى نساء الأنبياء حتى يفجروا بهن قبيح " .

سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ، ثم عمد إلى السماكين فأعطوه في كل يوم سمكة ، فمكث على ذلك أربعين صباحًا عدد ما عبد الوثن في بيته ، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان ، وسأل آصف نساء سليمان فقلن : ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة . وقيل : بل نفذ حكمه في كل شيء إلا في النساء ، ثم طار الشيطان ، وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ، ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدًا ورجع عليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها ومد عليه أخرى ، ثم أوثقهما بالحديد والرصاص . وروي أنه لما أراد الله فتنته كان الخاتم يسقط من يده فيلبسه ، ثم يعود ويسقط ، فقال له آصف : إنك لمفتون بذنبك والخاتم لا يستقر في يدك فتب إلى الله تعالى . ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله ، وقالوا : كيف يتصور (٢٢٦/أ) تسليط كافر جني على نساء سليمان ؟ ويتمكن من وطئهن ؟ وما روي من الاستغفار من سليمان فهو من تقصيره في عدم كشف أحوال بيته حتى يعبد الشيطان فيها ، وهو لا يشعر ، وأما اتخاذ التماثيل في منزله فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ؛ فيجوز في شريعة دون أخرى ، ومنه قوله : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ ﴾ [1] وأما السجود لغير الله تعالى فلا نظن أن نبيًا يأذن فيه ، وإذا كان بغير علمه فلا لوم عليه ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ ناب عن معنى إنابة الشيطان منابه نبوًا ظاهرًا . قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريًا على عادة الأنبياء والصالحين في تقديمهم أمر دينهم على أمر دنياهم ، ولا يتسهّلون في أمر آخرتهم .

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله : ﴿مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي : من سواي ، فإن قلت : أما يشبه الحسد والحرص ؟ قلت : كان سليمان ناشئًا في بيت النبوة والمملكة وارثًا لهما ؛ فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكًا زائدًا على الممالك المعتادة من كونه خارقًا للعادة بالغًا حد الإعجاز ؛ ليكون ذلك دليلا على نبوته . وقيل : كان ملكًا عظيمًا ؛ فخاف أن يليه بعده من لا يحفظ حدوده ؛ كما قالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ الآية[2] . وقيل : ملكًا لا أسلبه

---

(١) سورة سبأ ، الآية (١٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٣٠) .

ولا يقوم غيري مقامي فيه ، ويجوز أن يكون أُطلع على أن هذه المملكة اشتملت على مصالح عديدة لا يقدر عليها كل أحد . ومن جرأة الحجاج[1] أنه قيل له : إنك لحسود . فقال : أحسد مني من قال : ﴿لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾[2] .

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾﴾

﴿رُخَآءً﴾ لينة طيبة لا تتزعزع . وقيل : رخاء طائعة له . حكى الأصمعي عن العرب :

---

(١) **هو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر** ، أبو محمد الثقفي ، نشأ شابا لبيبا فصيحا بليغا حافظا للقرآن . قال بعض السلف : كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة . وقال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه . ولي الحجاز والعراق وفتح فتوحات كثيرة هائلة منتشرة حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند ففتح فيها جملة مدن وأقاليم ووصلت خيوله أيضا إلى قريب من بلاد الصين . قال ابن كثير في البداية والنهاية : وكان جبارا عنيدا مقداما على سفك الدماء بأدنى شبهة وقد روى عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر ، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها وإلا فهو باق في عهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه فإن الشيعة كانوا يبغضونه جدًّا ، وربما حرفوا عليه بعض الكلم وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات . وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المسكر وكان يكثر تلاوة القرآن ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج وإن كان متسرعا في سفك الدماء فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وسرائرها وخفيات الصدور وضمائرها . وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال : ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وقوله حين حضرته الوفاة : اللهم اغفر لي فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل . وعن الأصمعي قال لما حضرت الحجاج الوفاة أنشأ يقول :

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا ... بأنني رجل من ساكني النار

أيحلفون على عمياء ويحهم ... ما علمهم بعظيم العفو غفار

قال فأخبر بذلك الحسن فقال : بالله إن نجا لينجون بهما . وزاد بعضهم في ذلك :

إن الموالي إذا شابت عبيدهم ... في رقهم عتقوهم عتق أبرار

وأنت يا خالقي أولى بذا كرما ... قد شبت في الرق فاعتقني من النار

توفي الحجاج سنة ٩٥ هـ . **تنظر ترجمته في :** البداية والنهاية لابن كثير(١١٧/٩) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١٠٦/١) ، وفيات الأعيان (٢٩/٢) .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٥) ، والمناوي في فيض القدير (٤١٩/٢).

أصاب الصواب فأخطأ الجواب[١]. وعن رؤبة : أن رجلين من أهل اللغة قصدا له ليسألاه عن هذه الكلمة ، فخرج إليهما فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبتنا ، ورجعا[٢].
ويقال : أصابك الله بخير . ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطف على الريح . و﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ بدل من "الشياطين " ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ معطوف على﴿كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ داخل في حكم البدل ، وهو بدل الكل في الكل . كانوا يبنون له ما شاء من الأبنية ، ويغوصون له يستخرجون الدر ، وهو أول من استخرج الدر من البحر الملح ، وكان يقرن كل شيطانين ماردين في القيود .
والصفد : القيد . وقيل : يجمع أيديهم إلى أعناقهم في السلاسل ، ومنه [ من الطويل ] :

ومن وجد الإحسان قيدًا تقيدا[٣] (٢٢٦/ب)

وتقول : صفده : قيده ، وأصفده : أعطاه ؛ أي : هذا الذي أعطيناك أنواع من العطاء لا تحصى ولا تحصر﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ متعلق بـ ﴿عَطَآؤُنَا﴾ . ﴿فَٱمۡنُنۡ﴾ أي : فأعط من شئت . ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾عمن شئت ، لا تسأل عن ذلك ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ عليك في الآخرة .

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ (٤١) ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ (٤٢) وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٤٣) ﴾

﴿أَيُّوبَ﴾ عطف بيان ، و﴿إِذۡ﴾ بدل اشتمال منه ﴿مَسَّنِيَ﴾ انتقل فيه من الغيبة إلى التكلم والنصب : قرئ بضم النون والصاد وبفتحهما وبضم النون وسكون الصاد[٤]

---

(١) ينظر : التدوين في أخبار قزوين للقزويني (١/ ٥٨) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٦) ، وأورده الخطابي في غريب الحديث (٣/ ٢٩) قال : " وأخبرني أحمد بن أبي ذر أخبرنا ابن دريد أنبأنا أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس قال تناظرنا في قول الله تعالى ﴿رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ﴾ فقيل : ما له إلا رؤبة بن العجاج ، فخرجنا نريده ، فلقيناه يتوكأ على ابنه عبد الله ، فقال : أين تصيبان ؟ فقلنا : كفانا السؤال " .

(٣) هذا عجز بيت للمتنبي وصدره : وقيدت نفسي في ذراك محبة ......................
ينظر في : فيض القدير للمناوي (٤/ ٣٠٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٩٦) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه للجرجاني (ص : ١٧١) ، نهاية الأرب للنويري (١٧١٣) .

(٤) قرأ أبو جعفر " بنُصُب " وقرأ يعقوب " بنَصَب " وقرأ الباقون " بنُصْب " .
تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٠٠) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٠٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٣٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٤ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٧٦) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦١) .

فالنصب والنصب ؛ كالرشد والرشد ، والمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة والعذاب الأليم من المرض . وقيل : النصب في البدن ، والعذاب : ذهاب الأهل والمال ، ونسب المس بالنصب مع أنه ليس له قدرة إلا على الوسوسة ؛ قال في موقف القيامة : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ﴾ الآية[1] ؛ لأن وسوسته كانت سببًا في إغوائهم . وقيل : كان الشيطان يوسوس له ويغويه بالضجر ، فالتجأ إلى الله في أن يكفيه ذلك . وقيل في سبب بلائه: إنه كان له غنم في سلطنة ملك كافر ؛ فداهنه ولم يغزه . وقيل: إن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه . وقيل : أعجب بكثرة ماله .

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ يعني : اركض الأرض برجلك . ﴿مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ يعني : ماء تلك العين التي نبعت فيه منفعتان ؛ الغسل فيه ، والشرب منه . وقيل : نبعت له عينان فاغتسل من إحداهما ، فذهب ما على ظاهر جسده ، وشرب من الأخرى فزال ما في باطنه منه . ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾ مفعول من أجلهما ؛ لأنهما رحمة عليه ، وتذكير لمن عرف حاله ليصبر كما صبر .

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ ﴾

﴿ وَخُذْ ﴾معطوف على ﴿ارْكُضْ﴾ . والضغث : الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان ، أو غير ذلك . وكان قد حلف ليضربن امرأته مائة إذا برئ ؛ فأفتاه الله تعالى بأن يضرب بالضغث امرأته ؛ لأجل خدمتها لأيوب في مرضه ، ورضاه عنها ، وهذه الرخصة باقية في شرعنا . وعن النبي ﷺ : " أنه أتي برجل كان يعبث ببعض إمائهم ، فأمر النبي ﷺ أن يأخذ عثكالا[2] فيه شمراخ "[3]. وكان سبب حلف أيوب أنه بعثها في حاجة فأبطأت .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٢٢) .

(٢) **العثكال** : هو الذي يسميه الناس الكباسة ، وفيه لغتان عثكال وعثكول ، وأهل المدينة يسمونه العذق بكسر العين ، وأما العذق بالفتحة فالنخلة نفسها . **ينظر** : غريب الحديث لابن سلام (١/ ٢٩١) .

(٣) رواه أحمد (٥/ ٢٢٢) ، وابن ماجه رقم (٢٥٧٤) وفي سنده محمد بن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه ، وبه ضعف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ٣١٣) .

وقيل : باعت ذوائبها برغيفين ، وكان أيوب إذا أراد أن يجلس تعلق بالذؤابتين ، فلما أخبرته أنها باعتهما حلف . وقيل : قال لها الشيطان : اسجدي لي سجدة واحدة ، وأنا أرد عليكم أموالكم (٢٢٧/أ) فهمت أن تفعل فأدركتها العصمة ، فذكرت ذلك له فحلف . وقيل : أوهمها الشيطان أنه إذا شرب الخمر برئ ، فعرضت له بذلك فحلف . وقيل : قالت له : تقرب للشيطان بعناق[١] . ﴿وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ علمناه صابرًا ، وسماه صابرًا مع قوله :﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾لأن هذا ليس بتسخط ، ولكنه شكوى إلى الله والتجاء إليه ، وذلك لا ينافي الصبر . ﴿إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ عطف بيان لـ ﴿عِبَٰدَنَآ﴾ . ومن قرأ "عبدنا" [٢] جعل إبراهيم وحده عطف بيان ، وعطف الباقي عليه . لما كانت الأعمال يزاول بعضها بالأيدي جعل الأعمال كلها بالأيدي ؛ كقوله :﴿خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ الآية [٣] وكذلك ها هنا .﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ أي : أولي الأعمال الصالحة . ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ أي : بخصلة خالصة ؛ أبهمها ، ثم فسرها بقوله :﴿ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾أو أخلصناهم بسبب هذه الخصلة ، أو بأنهم أهل لها دون غيرهم .﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خير ، أو جمع " خير " على التخفيف ؛ كأموات في جمع ميت وميت . و﴿وَكُلٌّ﴾ أي : وكلهم من الأخيار . ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ أي : هذا نوع من الذكر ، وهو القرآن لما أجرى ذكر الأنبياء وأتمه وهو باب من التنزيل ، ونوع من أنواعه ، وأراد أن يذكر عقيبه بابًا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها – قال : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ كما يقول الجاحظ في كتابه : " هذا باب " ثم يشرع في غيره . والدليل عليه أنه لما أتم ذكر الجنة وأراد أن يشرع في ذكر أهل النار قال : ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ وقيل : معناه : هذا ذكر جميل وشرف يتميزون به على سائر الملل . وقيل : هذا ذكر من مضى من الأنبياء ، ومن هو في وقت بعثتي .

﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ

---

(١) ذكر كل ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٨) وروى الطبري بعضه في تفسيره (٢٣/ ١٦٧ – ١٦٩).

(٢) قرأ ابن كثير " عبدنا " وقرأ الباقون " عبادنا " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٠١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٥ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٣٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦١).

(٣) سورة يس ، الآية (٧١).

وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾

و ﴿مُّفَتَّحَةً﴾ حال ، والعامل فيها معنى الفعل في قوله : ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وفي " مفتحة " ضمير الجنات ؛ أي : مفتحة هي ، و﴿ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ بدل من الضمير . وقيل: الألف واللام في " الأبواب " بدل من الإضافة ، أي : مفتحة لهم أبوابها ؛ كقوله :﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[(١)].

الأتراب : اللاتي ولدن في زمن واحد . وقيل : هن أتراب لأزواجهن أسنانهن كأسنانهن.

والغساق : ما يغسق من صديد أهل النار . وقيل : الحميم ما يحرق بحره . والغساق : ما يحرق ببرده . وعن الحسن : أن القوم عملوا أعمال (٢٢٧/ب) خير وأخفوها ؛ فأخفى الله جزاءهم ، وعمل العصاة أعمالا فأخفوها ؛ فأخفى الله عنهم جزاءها[(٢)].

﴿ وَءَاخَرُ ﴾ [(٣)] من مثله في الشدة . ﴿أَزْوَٰجٌ ﴾ أنواع وأصناف ﴿مِن شَكْلِهِۦٓ ﴾ [(٤)] من شكل المذوق ، أو العذاب ، ولو قرئ من شكلهما لكان حسنًا ؛ لأن المذكور قبله حميم وغساق وآخر. ﴿ هَٰذَا﴾ تخاصم الأتباع والسادة ، فيقول الأتباع للسادة: ﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ فيقولون : إنما تعذبون بضلالكم وبإضلالكم الغير، وتقول لمن تحبه وتتلقاه : مرحبًا ؛ أي: صادفت منزلا رحبًا واسعًا ، وتقول لمن تدعو عليه : لا مرحبًا ، أي : لم تصادف منزلا رحبًا. وقيل : هذا كلام الزبانية للقادة والسادة معًا . وقيل : هذا من كلام الخزنة يحتجون على أهل النار ، وأما قولهم :﴿ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ ﴾فهذا يقوله الأتباع للسادة ثم يقول الجميع : ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴾ .

---

(١) سورة مريم ، الآية (٤) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢١/١٠٦) عن الحسن بلفظ : " أخفوا عملا في الدنيا فأثابهم الله بأعمالهم".

(٣) قرأ " أُخَر " بالجمع أبو عمرو البصري ، وقرأ الباقون " وآخر " بالإفراد . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠١).

(٤) قرأ جمهور القراء " شَكله " بفتح الشين ، وقرأ مجاهد " شِكله " بكسر الشين .
**تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠١).

﴿رِجَالًا﴾ فقراء المؤمنين ؛ كخباب وبلال وابن مسعود وغيرهم ؛ كانوا إذا مروا بنا نضحك عليهم ، ونقول : هؤلاء من الأشرار ؛ لأنهم يزعمون أنهم أهل المنازل الرفيعة وكنا نعدهم جهلة . ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ دخلت همزة الاستفهام على ألف الوصل ؛ فسقطت في الدرج ، وإذا ابتدأتَ قلتَ : ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾ ومثله : ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ [(١)] وكذلك : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ [(٢)] وقوله : ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ له وجهان : أحدهما : أن المراد أهم في النار ولم نرهم ؟ فيقولون : ما لنا لا نرى . والثاني : أن يكونوا معترفين بأنهم في النار ، ولكن لا يعرفون مكانهم ، ويجوز أن تحذف همزة الاستفهام ، والتقدير : أتخذناهم سخريًا أم زاغت عنهم الأبصار ؟ فتكون " أم " معادلة للهمزة المقدرة ؛ كقول الشاعر [ من الكامل ]

كذبتْكَ عينُك أم رأيتَ بواسطٍ غلسَ الظلامِ من الربابِ خيالا[(٣)] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٦) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٧٠) ﴾

﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ أي : الذي أنبأتكم به من وحدانية الله ، ونبوة الرسل بالإعجاز نبأ عظيم أنتم معرضون عن التصديق به والعمل بمقتضاه . ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي : ما استفدته من كتب العلم ، ولا من مشايخ العلماء ، وإنما استفدته من الوحي ، وما كان لي من علم بالملأ الأعلى واختصامهم . ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ إلا الإنذار ، والأصل : إلا للإنذار فحذف الجار وأوصل الفعل ، أو التقدير : إن يوحى إلي إلا الإنذار.

وقيل : النبأ العظيم : القرآن . وقيل : قيام الساعة (٢٢٨/أ) ومعنى ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ وقت اختصامهم ، و﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ والمراد بـ ﴿بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ أصحاب القصة ؛ آدم والملائكة وإبليس ، والمقاولة ظاهرًا كانت بين يدي الله وبين المذكورين ؛ كلمهم فأجابوه ولكن بواسطة ملك ؛ فلذلك صحت نسبة المقاولة إلى الله وإلى الجماعة المذكورين .

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٢٣) .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٨) .

(٣) البيت للأخطل ، **ينظر في** : تفسير الطبري (١/ ٤٨٤) ، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٠٣) ، لسان العرب (كذب ، غلس) ، معجم البلدان (٥/ ٣٤٨) .

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿فَقَعُوا۟﴾ فخروا . و﴿كُلُّهُمْ﴾ للإحاطة ﴿أَجْمَعُونَ﴾ للاجتماع . وقول الزمخشري[1] : إن ﴿كُلُّهُمْ﴾ للإحاطة ، و﴿أَجْمَعُونَ﴾ للاجتماع في وقت السجود فيه نظر، وقد أنكره المبرد ، وقال : التوكيد يفيد أمرًا زائدًا على ما أكد به [2]. وسجودهم لآدم على وجه الكرامة لا على وجه العبادة ، وإنما استثنى إبليس ولم يكن من الملائكة ؛ لأنه أمر بالسجود معهم لآدم ، فصار مأمورًا كأمر الملائكة ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وصار بما جرى من الكافرين . و﴿وَكَانَ﴾ تدل على اقتران مضمون الجملة بالزمن الماضي ، وليس في ذلك تعرض لانقطاع ذلك المضي أو لدوامه ، وقد تقدم وجه المجاز في قوله :﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[3].

وقيل : قوله : ﴿بِيَدَىَّ﴾ أي : بغير واسطة ، وهو بعيد . وقد أجاب إبليس بأنه من العالين بقوله عن آدم : ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [4] . ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ من الجنة أو السماوات أو من الخلقة التي أنت فيها فافتخر بخلقته ؛ فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض ، وقبح وجهه بعد ما كان حسنًا ، وأظلم بعد ما كان نورًا . والرجيم : المرجوم ، وهو المطرود . وقيل : الرجيم : المقتول . وقوله :﴿ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾يوهم أنه إذا جاء يوم الدين انقطعت اللعنة عنه ، وليس كذلك ؛ فإنه إذا كان يوم الدين موعده وما فيه من الأهوال والعقوبات ؛ فينضاف إلى اللعنة أمور أخر كثيرة ، فينقطع انفراد الجزاء باللعنة . فإن قلتَ : ما الوقت المعلوم الذي أضيف إليه اليوم ؟ قلتُ : الوقت الذي تقع فيه النفخة الأولى ، وذلك الوقت جزء من اليوم .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٥) .

(٢) ينظر : همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٤٣) وقد نقل السخاوي اعتراضه هنا في كتابه المفضل شرح المفصل (٢/ ١٩٥) وجعلنا ذلك من أدلة نسبة التفسير كله له .

(٣) سورة ص ، الآية (٧٥) .

(٤) سورة ص ، الآية (٧٦) .

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٣﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٤﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٧﴾﴾ ﴿٨٨﴾

وقرئ ﴿فَالْحَقَّ وَالْحَقَّ﴾ بنصبهما[١] والأول منصوب على حذف حرف القسم ؛ كقول الشاعر [ من الرجز ] :

إن عليك الله أن تبايعا [٢]

وجوابه : ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ و﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ معترض بين القسم والمقسم عليه ، وبرفعهما على أن الأول مبتدأ محذوف الخبر ؛ كما في : لعمرك . وبجرهما على أن الأول مقسم به محذوف منه حرف القسم ؛ كقولك : الله لأفعلن ، والثاني حكاية قول المقسم . وقرئ برفع الأول وجره مع نصب الثاني[٣]. ﴿مِنكَ﴾ ومن جنسك من الشياطين ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ (٢٢٨/ب) من ذرية آدم . فإن قلت : ﴿أَجْمَعِينَ﴾ توكيد لماذا ؟ قلت : يجوز أن يكون توكيدًا للضمير في ﴿مِنْهُمْ﴾ وللكاف في ﴿مِنكَ﴾ وما عطف عليه ، أي : لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين ، لا أترك منهم أحدًا . ﴿عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ الضمير للقرآن والوحي .

﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ من الذين يتصنعون وينتحلون ما ليسوا من أهله ، وما عرفتموني قط متصنعًا ولا متكلفًا. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

وروي أن رسول الله ﷺ قال : " علامات المتكلف ثلاث : ينازع من فوقه ، ويتعاطى ما لا يناله ، ويقول ما لا يعلمه "[٤]. ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ﴾ أي : في يوم القيامة ، أو عند الموت ، أو عند ظهور الإسلام وفشوه .

---

(١) قرأ العشرة إلا عاصم وحمزة وخلف " فالحقَّ والحقَّ أقول" بنصبهما .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٧ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٥٧ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٤) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٢) .

(٢) **ينظر في** : التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري (٢/ ١١٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٧١) ، الكتاب لسيبويه (١/ ١٥٦) ، المقتضب للمبرد (٢/ ٦٢) ويروى : إن عليَّ الله أن تبايعا .

(٣) قرأ عاصم وحمزة وخلف " فالحقُّ والحقَّ أقول" برفع الأول ونصب الثاني ، وقرأ الحسن وعيسى بجرهما وقرأ ابن عباس ومجاهد والأعمش برفعهما .
**تنظر**: المراجع السابقة والدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٥٤٧) .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠١) ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان وابن المنذر .

## سورة الزمر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾

قرئ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، والجار صلة لـ " تنزيل " كما تقول : نزل من عند الله ، أو غير صلة ؛ كقولك : هذا الكتاب من فلان إلى فلان ، وهو - على هذا - خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره : هذا تنزيل الكتاب ، هذا من الله . أو حال من التنزيل ؛ عمل فيها معنى الإشارة وبالنصب على إضمار فعل ؛ نحو: اقرأ أو الزم [1]. والمراد بالكتاب - على الأول - القرآن ، وعلى الثاني : السور . ﴿مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ مخلصًا من الشرك والرياء ، وبصفته السرد ، وقرئ: "الدينُ" بالرفع [2] وحق من قرأه أن يفتح اللام من "مخلَصًا" ؛ كقوله : ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [3]. والخالص والمخلص بمعنى واحد ، إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه .

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ يجوز أن يكون للمتخذين بكسر الخاء ، وهم الكفرة ، وللمتخذين - بفتح الخاء - وهم الملائكة وعيسى وعزير ، والضمير في " اتخذوا " على الأول راجع إلى " الذين " تقديره : والذين اتخذهم المشركون أولياء ، و﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ مرفوع على الابتداء ، وأما الخبر - فعلى الثاني- : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ﴾ وعلى الأول يجوز أن يكون ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) قرأ بالنصب ابن أبي عبلة وزيد بن علي وعيسى بن عمر ، وقراءة العامة بالرفع .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١٤) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٥) ، مختصر الشواذ لابن خالويه (ص : ١٣١) .
(٢) قرأ جمهور القراء " الدينَ " بالفتح ، وقرا ابن أبي عبلة " الدينُ " بالرفع .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٤٨) ، الكشاف للزمخشري (٤٣/ ٣٨٥) .
(٣) سورة النساء ، الآية (١٤٦) .

يَحۡكُمُ﴾ أو ما أضمر من القول قبل هذه الجملة " يقولون " ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ الآية .

فإن قلتَ : فإذا كان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ﴾ خبرًا ، فما موضع ﴿يَقُولُونَ﴾ المضمر ؟

قلتُ: يجوز أن يكون حالا ؟ أي : قائلين ذلك ، وأن يكون بدلا من الصلة ؛ فلا يكون له محل ؛ كما أن المبدل منه كذلك ، والضمير في قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ لهم ولأوليائهم والمعنى : أنهم كانوا يعبدون الأصنام ويرجون شفاعتها ، وأنها تقربهم إلى الله وتلك الآلهة تسحب في نار جهنم وتعذب بالنار؛ إرغامًا لمن عبدها ، وأنهم أيضًا مختلفون في (٢٢٩/أ) الإعادة ؛ فقوم يقولون : إنها روحانية وجسمانية ، وقوم يقولون : إنها روحانية لا غير . وقيل : يحكم بينهم وبين المؤمنين والكافرين ويجرى على كل واحد ما صح جراية القلم عليه.

﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾

﴿ لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا ﴾ لم يتصور ذلك لاستحالته في نفسه ، وليس إلى ذلك طريق إلا أن يصطفي من مخلوقاته ما يشاء ، وقد فعل ذلك بالملائكة فأقسم به ، وغركم ذلك فادعيتموهن بنات له سبحانه . ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ كل موجود فهو مخلوق له . ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [١] لو كان له صاحبة لكانت من جنسه ، وهكذا التناسل في الحيوانات كلها ؛ الذكر والأنثى من جنس واحد .﴿ ٱلۡقَهَّارُ﴾ الغالب لكل شيء ؛ فيقهر آلهتهم ، والمقهور لا يكون إلهًا . ثم دل بخلق السماوات والأرض ، وتكوير كل واحد من المكورين على الآخر، وتسخير النيرين ، وجريهما لأجل مسمى ، وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة ، وخلق الأنعام ، وكل هذه المخلوقات دليل على أنه لا يشارك في خلق شيء منها قهار لا يغالب . والتكوير : اللف واللي ؛ يقال : كار العمامة على رأسه وكورها ، وفيه وجوه : أحدها: أن الليل والنهار

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٠١) .

يخلف بعضهم بعضًا ؛ يذهب هذا ويجيء هذا ، وإذا غشي مكانه فكأنما ألبسه ، ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ؛ قال الشاعر [ من البسيط ] :

.................. ليَّ المُلاء بأبوابِ التَّفاريجِ [1]

ومنها : أن كل واحد منها يغيب الآخر إذا طرأ عليه ؛ فيشبه بالشيء الذي يلف عليه شيء آخر . ومنها : أن كل واحد منهما يكور على الآخر تكويرًا دائمًا ، فأشبه تكوير العمامة على الرأس . أو لأنه يؤخر عذابهم ؛ فسمي تأخير العذاب مغفرة مجازًا ، وهو يوم القيامة أو إلى قضاء أجل كل واحد . فإن قلت : ما وجه دخول " ثم " في قوله : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ؟ قلت : هما آيتان عظيمتان دالتا على قدرته ووحدانيته ، وشعب هذا الخلق الكثير الذي لا يحصر من رجل واحد ، ثم خلق الزوجة من الرجل ، وجعلها من جنسه ليكون الأنس أتم ، وخلق حواء من قصيراه[2] إلا أن الأول منهما أجرى الله عز وجل فيهما العادة والتوالد بالتناسل . وأما خلق الأنثى من ضلع الرجل فلم تتكرر به عادة ، فكانت أتم وأقوى في كونها آية ؛ فعظمها بـ " ثم " للدلالة على أنها أتم في كونها آية ؛ فهو من التراخي في الرتب . وقيل : التقدير: خلقكم من نفس وجدت ثم شفعها الله تعالى بزوج . وقيل : أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ، ثم خلق بعد ذلك حواء .

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾(٢٢٩/ ب) أي : قضى لكم وقدر ؛ لأن قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء ، وحيث كتب في اللوح المحفوظ كل كائن إلى يوم القيامة . وقيل : لا يعيش الحيوان إلا بالنبات ، والنبات إلا بالماء ؛ فأنزل ما به قوام الحيوان ، وقيل : خلقها في الجنة ثم أنزلها .﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أصناف ، ذكر وأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز . والزوج : اسم لواحد معه آخر فإذا انفرد فهو وتر ؛ قال الله تعالى : ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [3]﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾حيوانًا سويا ، من بعد عظام مكسوة لحمًا ، من بعد عظام عارية ، من بعد مضغ ، من بعد علق ، من بعد نطف .

---

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة يصف السراب ، وصدره : تلوي الثنايا بأحقيها حواشيه ..........
**ينظر في** : العين للخليل (٣/ ٢٥٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١١٢) ، لسان العرب (حقا) وحواشيه : جوانبه . **والملاء** : جمع ملاءة وهي الجلباب ، **والتفاريج** : جمع التفراج : الباب الصغير والثوب من الديباج .

(٢) **قصيراه** : آخر الأضلاع . **ينظر** : غريب الحديث للحربي (٢/ ٤٠٨) .

(٣) سورة الليل ، الآية (٣) .

الظلمات الثلاث : البطن والرحم والمشيمة . وقيل : الصلب والرحم والبطن .

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي نقل النطفة من طور إلى طور. ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فكيف يعدل بكم عن عبادته إلى عبادة مخلوقاته .

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ عن إيمانكم وأنتم المحتاجون إليه لاستبشاركم بالكفر واشمئزازكم من الإيمان .

﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ لأنه يوقع في الهلكة . ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنه يؤدي إلى النجاة ، فإذن ما رضي شكركم ولا كره كفركم إلا لمصلحتكم لا لمصلحة تتعلق به ؛ لأنه الغني مطلقًا الذي لا تجوز عليه الحاجة . وقال أصحابنا أهل السنة : ولا يرضى لعباده الذي يصلح أن تنسب أفعالهم إليه وهم الصالحون ؛ فهو من العام الذي أريد به الخاص ، وعني بهم المذكورين في قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[1] يريد المعصومين ؛ كقوله : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [2] يريد الصالحين منهم ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾

قوله : ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ ﴾ يقال : فلان خايل المال إذا كان يتعاهده ويثمره ، وكان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة . ويجوز أن يكون المراد جعله مختالاً فخورا بالمال ؛ قال الشاعر [ من البسيط ] :

.......................... إن الغنيَّ طويلُ الذيلِ مياسُ [3]

(١) سورة الحجر ، الآية (٤٢) .

(٢) سورة الإنسان ، الآية (٦) .

(٣) ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث (٢/ ٢٧٦) على أنه مثل ، والزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٦) على أنه من قول العرب .

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي : نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى إلى كشفه .

وقيل : نسي ربه الذي كان يدعو إليه ويبتهل ، و﴿مَا﴾ بمعنى ﴿مَن﴾ كقوله : ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾(١) ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾(٢). ﴿لِّيُضِلَّ﴾ قرئ بفتح الياء وضمها(٣) يعني أن نتيجة جعله لله شريكًا أو ندًا حصول الضلال له أو إضلاله ، والنتيجة قد تكون غرضًا في الفعل ، وقد تكون غير غرض . وقوله : (٢٣٠/ أ) ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ أمر تهديد ؛ كقوله : ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(٤) وبالغ في خذلان هذا الكافر في قوله : ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ فأتاه بأمر لا يريد حدوثه منه . قرئ: "أَمَن هو قانت " بالتخفيف على إدخال همزة الاستفهام على " من " وبالتشديد(٥) على إدخالها على " أم " .

و" من " مبتدأ وخبره محذوف ؛ أي : أمن هو قانت كغيره ؟ وإنما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله . وقوله : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقيل : معناه : فأنت أفضل أمن هو كافر ، أو أهذا أفضل أمن هو قانت ؟

والقانت : القائم بما يجب عليه من الطاعة ، ومنه قوله عليه السلام : " أفضل الصلاة طول القنوت "(٦) وهو القيام فيها ، ومنه القنوت في الوتر ؛ لأنه دعاء المصلي .

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ حالان . وقرئ: "ساجدٌ وقائمٌ " برفعهما(٧) على أنه خبر بعد خبر، والواو للجمع بين الصفتين ، وأن من لم يعمل بعلمه فليس بعالم ، ويجوز أن يكون تشبيهًا

---

(١) سورة الليل ، الآية (٣) .

(٢) سورة الشمس ، الآية (٥) .

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس " لَيَضِل " وقرأ الباقون " لِيُضِل " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٨) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩٩) .

(٤) سورة إبراهيم ، الآية (٣٠) .

(٥) قرأ بها نافع وابن كثير وحمزة وقراء الباقين بالتشديد " أمَّن " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١٨) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٣٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٨ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦١٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٦١ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٢) .

(٦) رواه مسلم رقم (٧٥٦) ، وأحمد (٣/ ٣٩١) ، والترمذي رقم (٣٨٧) ، وابن ماجه رقم (١٤٢١) ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٧) قرأ بها الضحاك . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤١٩) ، تفسير الرازي (٢٦/ ٢٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٠) .

أي : كما لا يستوي العالم والجاهل لا يستوي القانتون والعاصون . وقيل : نزلت في عمار ابن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي[١] . وعن الحسن : أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو ، فقال : هذا تمني ، وإنما الرجاء قوله ، وتلا هذه الآية[٢] .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بـ ﴿أَحْسَنُوا۟﴾ لا بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ معناه : للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة في الآخرة ، وهي دخول الجنة ، أي حسنة نكرة تدل على عظمة ما يثابون به وأنه شيء لا يقدر قدره ، وقد علقه السدي بـ ﴿حَسَنَةٌ﴾ ففسر الحسنة بالصحة والعافية[٣] ومعنى تعلقه بـ " حسنة " أنه لو تأخر لكان صفة ؛ فإذا تقدم دل على موضع الصفة فلم يخل التقديم بالتعلق[٤] . ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ لا عذر للمفرطين في الإحسان ، ومن ضاقت يده في بلد عن أن تمتد إلى الإحسان فليهاجر؛ فإن أرض الله واسعة . وقيل : هي للذين كانوا مسلمين ، وهم في بلاد المشركين فأمروا بالمهاجرة .﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾ الآية . وقيل : هي أرض الجنة .

﴿ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ الذين صبروا على فراق أوطانهم وعشائرهم . ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يحاسبون عليه . وقيل : بغير مكيال ولا ميزان يحثى لهم حثيًا (٢٣٠/ب) ويغرف لهم الجنة غرفًا . وعن ابن عباس : لا يهتدي إليه حساب الحُسَّاب[٥] .

وفي الحديث : " يؤتى بأهل الصلاة والزكاة والحج فيوفون أجورهم بالموازين ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ، ولا ينشر لهم ديوان ، ويصب عليهم الأجر صبًا حتى يود أهل العافية أن أجسادهم لو كانت في الدنيا قرضت بالمقاريض لما يرون من أجر الصابرين "[٦] .

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢١٤) لجويبر عن ابن عباس ﷺ .
(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٧) .
(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٣/ ٢٠٣) .
(٤) **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٤/ ١١٧) .
(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١١٨) .
(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٠٥ – ٦٠٦) ونسبه لابن مردويه ، وزاد نسبته الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٠٠ – ٢٠١) للطبراني والثعلبي وأبي نعيم والأصبهاني في الترغيب والترهيب .

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ﴾ بإخلاص الدين . ﴿أُمِرْتُ﴾ بذلك لأجل أن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي : مقدمهم وسابقهم إلى الجنة ، ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت ؛ لـ " أن " أفعل ، ولا تزاد إلا مع " أن " خاصة دون الاسم الصريح ﴿أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي : في زماني ، وأن أكون أول المدعوين إلى الإسلام السابقين إليه ، وأمرت أن أكون أول من سبق قومي إلى الإسلام ، ولا أكون ممن يؤمر بشيء ويفعل خلافه .

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ﴾ أي : أخصه بالعبادة .﴿ قُلْ إِنَّ﴾ الكاملين في الخسران﴿ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ فأوقعوها في الهلكة ، وخسروا أهليهم ؛ لأنهم إن كانوا كفارًا فقد خسروا كخسرانهم ، وإن كانوا مؤمنين فيفرق بينهم تفريقًا لا يجتمعون بعده أبدًا ، ولقد بالغ في خسرانهم حتى جعل جملة مستأنفة ، وصدرها بحرف التنبيه ، ووسط قوله : ﴿هُوَ﴾ وأدخل الألف واللام في ﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ووصفه بكونه مبينًا . ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ هي تحتهم ، وهي ظلل لآخرين معذبين . ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت ؛ يطلق على الجمع وعلى المفرد وعلى المذكر والمؤنث .

﴿ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ وقال في تذكيرها :﴿ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [(1)] وعلى المفرد والجمع : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [(2)]. ﴿أَن يَعْبُدُوهَا﴾ بدل اشتمال من ﴿ٱلْبُشْرَىٰ﴾ ، ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ تبشرهم الملائكة وهم داخلون عليهم من كل باب ، وعند حضور الموت بقولهم : ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [(3)] .

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن

---

(١) سورة النساء ، الآية (٦٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٥٧) .

(٣) سورة فصلت ، الآية (٣١) .

فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ فإذا اتفق واجب وندب اختاروا الواجب ، وإن اتفق مباح ومندوب اختاروا المندوب ، ويدخل تحته العقائد واختاروا أثبتها على السبك وكقول الشاعر [ من البسيط ] :

...................... ولا تكنْ مثلَ عيرٍ قِيدَ فانْقادا [(1)]

يريد المقلد . وقيل : يستمعون القرآن وغيره فيختارون القرآن . والهمزة التي في قوله : ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ هي الهمزة التي في قوله (٢٣١/أ) ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾ كررت توكيدًا ، تقديره : أفأنت مخصوص بإنقاذهم لا يقدر عليه أحد غيرك . ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي : من تحت الغرف ؛ كما تجري في السهل من الأرض من غير تفاوت في ذلك . ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ؛ لأن قوله : ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ وعد .

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل : كل ما في الأرض فهو من السماء ؛ لقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ نظمه ﴿يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عيونًا . والسلك : الخيط الذي يدخل فيه الخرز . ﴿يَهِيجُ﴾ يتم جفافه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ أي : دريسًا وهو إذا تم إدراكه ، وأريد نقل حبه وتخليصه من بينه .

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ نظير ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ في حذف الخبر . ﴿مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي : من أجل ذكره ، معناه : اشمأزت من ذكر الله . وقوله : ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: غلظت وجفت عن الانقياد إليه والطاعة له ،

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ

---

(١) هذا عجز بيت وصدره : شمر وكن في أمور الدين مجتهدا ......................
ينظر في : فيض القدير (٤٤٥/٥) ، الكشاف للزمخشري (١٢٠/٤) .

تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

وقوله : ﴿مَّثَانِىَ﴾ أي : ثنيت فيه القصص والأمثال والثناء على الله . وقيل : ﴿مَّثَانِىَ﴾ أي : مشتملة على الثناء على الله بما هو أهله ، ويجوز أن يكون نصبًا على التمييز تقديره : متشابهًا مثاني ؛ كقولك : رأيت رجلاً حسنًا شمائل ، وإنما كررت القصص والمواعظ ؛ لأنها إذا كررت كانت أوقع لها في النفس وأجدر بالقبول ، وعدي ﴿تَلِينُ﴾ بـ ﴿إِلَىٰ﴾ في قوله : ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي : تنقاد إليه ؛ ضمنها فعلا يتعدى بـ ﴿إِلَىٰ﴾ ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ أَفَمَن يَتَّقِى﴾ محذوف الخبر ؛ كما في نظائره . والخائف من الضرب إذا استقبل بالسيف مسلولا اتقاه بيده ، وأما في الآخرة فالمعذبون مغلولة أيديهم إلى أعناقهم ، فيتقي بوجهه بعد أن كان يتقي عن وجهه . وقيل : المراد بالوجه الجملة . وقالت لهم الخزنة :﴿ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ؛ كقولك : جاءني رجلاً صالحًا ، ويجوز أن ينتصب على المدح . ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ بريئًا من التناقض والاختلاف ، أي : ليس فيه اعوجاج قط . وقال الشاعر [ من البسيط ] :

وقد أتاكَ يقينٌ غيرُ ذي عوجٍ    من الإلهِ وقولٌ غيرُ مكذوبِ[1]

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾[2] لجماعة شتى أحوالهم ، ومقاصدهم مختلفة كل واحد (٢٣١/ ب) منهم يريد من ذلك العبد خدمة تامة ، ومتى تأخر بعض

---

(١) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٢٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٥) .

(٢) في الأصل بدل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وهي الآية (٧٥) من سورة النحل والمثبت هي الآية المقصودة هنا في سورة الزمر .

خدمته شق عليه ؛ فمواليه ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ و﴿رَجُلًا﴾ آخر له سيد واحد قد عرف مقاصده فهمه مجتمع . فأي الرجلين أحسن حالا ؟ وقوله : ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ متعلق بـ" متشاكسون " والتشاكس : الاختلاف وجعله رجلاً ؛ لأن المرأة والصبي قد يغفلان عن مقاصد سيدهما .

قوله : ﴿إِنَّكُمْ﴾ غلب فيه ضمير المخاطب على الغيبة . واختصامهم : يقول الأتباع للسادة : إنا أطعناكم ، ويقول السادة : إنا أطعنا الشياطين . وقيل : اختصام جميع أهل الموقف .

وقد قال عبد الله بن عمر : " لقد مر علينا زمن ونحن نتلوا هذه الآية ونقول : كيف نختصم ونبينا واحد ، وديننا واحد ؟! حتى رأينا بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف ؛ فعرفنا أنها نزلت فينا "[1]. ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾ فاجأه بالتكذيب . ﴿مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يشير به إلى الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق . قوله :﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ يعود إلى النبي ﷺ ومن تابعه ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[2] ويجوز أن يراد بالذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ وبالذي﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أتباعه[3]. وقرأ ابن مسعود ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [4].

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٢٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦١٣) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٢٠٤) : رواه الحاكم في مستدركه في كتاب الأهوال من حديث زيد بن أبي أنيسة عن القاسم بن عوف البكري قال: سمعت ابن عمر. وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (٤٩) .

(٣) رواه الطبري (٢٤/ ٣) .

(٤) **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٢٨) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٦٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٨) .

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ لأن إقدامهم على عصيان الله يجعل فعلهم شيئًا قبيحًا ، وكذلك الحسنة ؛ إذا أخلصها العبد تكون عند الله عظيمة الثواب . وأما تفصيلهم قسمين ؛ فلأن الشيء بالتفصيل أبين وأوضح .

﴿بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ يريد النبي ﷺ ، ومن قرأ ﴿عَبۡدَهُۥ﴾ [1] أراد الأنبياء أو المؤمنين .

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام . وقد بعث رسول الله ﷺ خالدًا إلى العزى ليكسرها ، فقال له سادنها : إني أحذركها يا خالد ؛ إن لها شدة لا يقاومها شيء ، فكسرها خالد ، وهو يقول [ من الرجز ] :

يا عُزَّى كفرانَكِ لا سُبْحانَكِ إني رأيتُ اللهَ قد أهانَكِ[2]

أو ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ من سواه . وقوله : ﴿بِعَزِيزٖ ذِي ٱنتِقَامٖ﴾ وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم . قرئ ﴿كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ و﴿مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦ﴾ بالتنوين على الأصل (٢٣٢/أ) وبالإضافة على التخفيف[3].

وقوله : ﴿هَلۡ هُنَّ﴾ والأنوثة محل العجز ؛ فدل وصفهم بالأنوثة على العجز عن كشف الضر وجلب النفع .

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف " بكاف عباده " وقرأ بقية العشرة " عبده " .
**تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٢٩) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٠٩) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٢٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٢) .

(٢) ذكر القصة الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٥) ، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢٢) ، والهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٧٦) ونسبه للطبراني ، وقال : ورجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل . ونسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٨٣) لابن مردويه في تفسير .

(٣) قرأ أبو عمرو ويعقوب " كاشفاتٌ ضره " ، و" ممسكاتٌ رحمته " ، وقرأ بقية العشرة " كاشفاتُ ضره " و" ممسكاتُ رحمته " بالإضافة . **تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٣٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٩٩) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٣) .

ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي : على تمكنكم . فإن قيل : هلا قيل : إني عامل على مكانتي ؟ قلتُ : فعل ذلك توكيدًا ، أو إيذانًا بأن مكانة رسول الله ﷺ تزداد كل وقت وحين ، ولن يزال راقيا في الدرجات العلى .

قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ أي : يبقي عليها ما هي به دراكة حساسة، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في المنام ، فإذا جاء وقت اليقظة أمسك النفس التي قضى عليها الموت ، وأرسل الأخرى ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى انقضاء آجالها المكتوبة لها . وعن ابن عباس: إن في بدن الإنسان روحًا ونفسًا ؛ فعند النوم تتوفى الأنفس ، وعند الموت تتوفى الأرواح[1] . ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ إنما يعطي الشفاعة بوصفين : أحدهما الإذن من الرحمن عز وجل ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [2] والثاني: أن يكون المشفوع فيه مرتضى ؛ لقوله : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[3].

أتثبتون لهم الشفاعة ؟ ولو كان الذين أثبتوها لهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لا يملكها ولا يعطيها إلا هو . ﴿ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزت ، أي : نفرت وكرهت . قوله :﴿ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ فاجأهم السرور ، وامتلأت قلوبهم فرحًا ؛ فأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يلتجيء إليه ؛ فقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي : شاقق ، ويقال : فطر ناب البعير إذا شق اللحم وخرج . وعن ابن عباس : " ما كنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٠٥) وقال : غريب جدا .

(٢) سورة سبأ ، الآية (٢٣) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٢٨) .

اختصم إليَّ رجلان في بئر ؛ فقال : أحدهما : هي بئري وأنا فطرتها . أي : أبدأت حفرها"[1]. فإن قلتَ : ما العامل في قوله :﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ ﴾ ؟ قلتُ : المفاجأة ؛ كقوله : ﴿ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ رسول الله ﷺ وشق عليه خلافهم ؛ فأمره الله أن يلتجئ إليه . ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ هذا في الوعيد (٢٣٢/ ب) كقوله في الوعد : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [2] .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله :﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ ﴾ أي : حل ونزل بهم ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ به من العذاب .﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ﴾ التخويل مخصوص بالتفضل ؛ تقول : خولني فلان مالا ، أي : أعطاني بغير جزاء . ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي : على علم من الله سبحانه باستحقاقي له ؛ كقول قارون :﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ [3]

وقيل : علم من الله عز وجل بأني أهل لذلك ، والضمير في ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ للنعمة المؤنثة ، و﴿نِعْمَةً مِّنَّا ﴾شيء من النعمة وجزء من أجزائها ، يعني : ليس عطاؤنا إياك تخويلا .

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ أي : هذا الإعطاء إنما هو فتنة ، والفرق بين الواو في قوله في أول السورة : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ﴾ وبين الفاء في هذه الآية : أن الفاء ها هنا وقعت مسببة عن

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٧/ ١٥٩) .

(٢) سورة السجدة ، الآية (١٧) .

(٣) سورة القصص ، الآية (٧٨) .

قولـه : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ الآيـات ، يعـني : فرتبوا على خلاف ما يقتضيه ، فاشمأزوا من ذكر الله الذي ينفعهم ولم يشمئزوا من ذكر من ضره أقرب من نفعه . قوله : ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فلم يغن عنهم كسبهم شيئًا ، وأصيبوا بالقتل يوم بدر، والقحط سبع سنين ، ثم سبع سنين خصب ورخاء فقيل : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ جنوا عليها بالإسراف في المعاصي . وقرأ ابن مسعود : "اللهُ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا " [١] وهذه الآية مطلقة في العفو كما تراه ليس فيها شرط توبة . ﴿ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ كقوله تعالى :﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ﴾ [٢] كراهة ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ فإن قلتَ : لم نكر النفس ؟ قلت : المراد بها بعض الأنفس ، وهي إما المتعالية في الكفر ، وإما الفاعلة للخير؛ فللأولى العذاب العظيم ، وللثانية رحمة الكريم الرحيم .

﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

وقوله : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ ﴾ ليس المراد به نفس واحدة ؛ بل المراد به أنفس ذوات عدد ، ومنه قول الشاعر [ من البسيط ] :

قد أتركُ القرنَ مصفرًّا أناملُهُ .............. [٣]

والجنب : الجانب ؛ يقال : لين الجنب ولين الجانب ، قالوا : فرط في جنبه وفي جانبه ؛

---

(١) وقرأ بها أيضا ابن عباس رضي الله عنهما . **تنظر في** : تفسير الطبري (٢٤/ ١١) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٣) ، معاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢١) .

(٢) سورة الزمر ، الآية (١٨) .

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية (١٤٤) .

قال الشاعر [ من الطويل ] :

أمــا تــتقين الله في جنــبِ وامــقٍ لــه كبــدٌ حــري عليــكِ تقطَّــعُ[١]

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ لم يكفه أن يضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها(٢٣٣/ أ) وموضعه نصب على الحال ؛ تقديره : إني فرطت وأنا ساخر .

قيل : كان في بني إسرائيل رجل له مال سول إليه الشيطان العمل بالمعاصي ، وعزم أن يتوب إذا جاءه ، فلما جاءه الموت تاب فلم تنفعه توبته ، وأنزل الله خبره في القرآن .

فإن قيل : لم فصل بين قوله : ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ وبين قوله: ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى ﴾؟

قلت : حكى أماني النفس على ترتيبها ؛ فحكى التحسر أولا ، ثم تمني الهداية حيث لا ينفع التمني ، ثم سؤال الرجعة حيث لا يجاب ، وقوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾جواب لغير منفي ؛ لكنه في معنى المنفي ؛ فقوله : ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ دال على انتفاء الهدى . قوله :﴿ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾وصفوه بما لا يليق بجلاله من الشريك والولد . ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ في موضع الحال إن كانت رؤية عين ، ومفعول ثان إن كان من رؤية القلب .﴿ بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفوزهم بما طلبوا ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾قيل : لا محل لهذه الجملة ؛ لأنها مستأنفة .

وقيل : هي منصوبة على الحال . ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ﴾ من باب الكناية ؛ كقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا ﴾[٢] قيل : ليس للمقاليد مفرد . وقيل : واحدها مقليد ، وهي المفاتيح . قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ تتمة ؛ نحو قوله : ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾روي أن عثمان بن عفان ﷺ سأل رسول الله ﷺ فقال : " هي لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير "[٣] .

---

(١) البيت لجميل بثينة أو لكثير عزة ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٣٥) ، التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم المصري (١/ ٣٦٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠) ، ديوان جميل بثينة (ص :٧٣) ، الكشاف للزمخشري (٢/ ٣٠٣). ويروى : أما تتقين الله في قلب عاشق ..........

(٢) سورة الحجر ، الآية (٢١) .

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٦٢٥) لأبي يعلى وابن السني وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قال المشركون للنبي ﷺ : اعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة ، فنزلت : ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾ الآية[1] وقوله : ﴿تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ ﴾ أصله : أن أعبد ؛ فحذفت " أن " كما في قوله [ من الطويل ] :

ألا أيها الزاجري أحضرَ الوغَى ..............[2]

فإن قلتَ : لم أفرد ، ثم جمع ، ثم عاد إلى الإفراد بقوله : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ ؟

قلتُ : هو كقولك : كسانا الأمير حلة ؛ أي : كسا كل واحد منا حلة ، ويجوز أن يراد : ولقد أوحي إلى كل واحد واحد من الأنبياء ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾ الآية .

قوله : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ ﴾رد لما أمروه به من عبادة آلهتهم ؛ فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضًا منه .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

روي أن يهوديًا قال بحضرة النبي ﷺ : إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٥٤) لابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) هذا صدر بيت لطرفة بن العبد وعجزه :

.................. وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

**ينظر في** : الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري (٢/ ٩١) ، خزانة الأدب (١/ ١١٩ ، ٨/ ٥٧٩) ، الدرر اللوامع (١/ ٧٤) ديوان طرفة (ص : ٣٢) ، سر صناعة الإعراب (١/ ٢٨٥) ، شرح شذور الذهب لابن هشام (ص : ٨٤) ، الكتاب (٣/ ٩٩ ، ١٠٠) ، لسان العرب (أنن) ، المقتضب للمبرد (٢/ ٨٣) ، همع الهوامع للسيوطي (٢/ ٧١) . والشاهد فيه : نصب الفعل " أَحْضُرَ " بأن بعد حذفها . وهو قول الكوفيين ، ويروى : أحضرُ بالرفع بعد حذف " أن " ، وهذا على الرواية الصحيحة عند البصريين . وينظر تفصيل ذلك في الإنصاف لابن الأنباري المسألة رقم (٧٧) .

إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى والجبال(٢٣٣/ ب) على إصبع ، ثم يهزهن ويقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ تعجبًا مما قال الحبر "[١]. وهذا يسمى في علم البيان : التخييل ، وهو أن يفهم من مساق هذا الكلام تعظيم قدرة الله ، وأن هذه الأجرام العظيمة مطيعة له ؛ كانقياد ما هو على الإصبع من غير تصوير شيء يشبه الإصبع ، ولا شيء يشبه الهز ؛ كذلك لا يتصور وجود قبضة في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ﴾ لا حقيقة ولا مجازًا بل حكاية هذا الكلام بصورة توقع في النفس إجلالا وتعظيمًا ، وكذلك ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ والمراد بالأرض : الأرضون السبع ، ويشهد لذلك قوله : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ وقوله : ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ وإنما قدم﴿ جَمِيعًا﴾ بأول وهلة قبل مجيء الخبر ؛ ليعلم أنه ليس شيء من الأرض خارجًا عن قبضته . والقبضة : المرة من القبض ؛ كقوله : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [٢] والقبضة - بضم القاف- : هو الشيء المقبوض باليد ، وتقول : أعطني قبضة ، بالفتح ؛ تسمية بالمصدر .

﴿مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾ قيل : في طاعته من غير منازع .﴿ بِيَمِينِهِۦ﴾ بقدرته . وقيل: بقسمه ؛ فالله تعالى أقسم ليطوينها ، وإذا عرض مثل هذا التفسير على أصحاب علم البيان تلهوا به ، ولم يرفعوا به رأسًا ، وتراهم يجذبون عقول السامعين له ويستحسونه على منابرهم .

وقرئ "مطوياتَ" على نظم ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ في حكم ﴿وَٱلْأَرْضُ ﴾ودخولها تحت القبضة ونصب "مطوياتَ" [٣] على الحال . وقرئ ﴿ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [٤] يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت إذا دهمه ما يكرهه . وقيل : ينظرون ماذا يفعل بهم ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ ﴾يريد به الوقوف في كل مكان واحد ؛ كالمتحير ما يدري ماذا يصنع . قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾أي : بعدله ؛ كما أن الظلم ظلمات ، وفي الحديث : " الظلم ظلمات يوم القيامة " [٥] . ولما افتتح الله الأرض بالعدل ختمها بقوله :

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨١١ ، ٧٤١٤) ، ومسلم رقم (٢٧٨٦) ، وأحمد في المسند (١/ ٤٢٩) ، والترمذي رقم (٣٢٣٨) ، عن ابن مسعود ﷺ .

(٢) سورة طه ، الآية (٩٦) .

(٣) قرأ بالنصب عيسى بن عمر والجحدري . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٧) .

(٤) قرأ بها زيد بن علي . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٧٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٣٥٧) .

(٥) رواه البخاري رقم (٢٤٤٧) ، ومسلم رقم (٢٥٧٩) ، والترمذي رقم (٢٠٣٠) .

﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾. قوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ أي : صحف الأعمال . وقيل : اللوح المحفوظ . و﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾الذين يشهدون للأمم وعليهم .

وقيل : الشهداء في قتال الكفار . الزمر : الأفواج المتفرقة بعضها في إثر بعض ، وكثر استعمال العرب لفظ الأيام في الحروب والأمور العظيمة ، ومنه :﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [(١)] وقال : ﴿لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾ [(٢)] قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ (٢٣٤/ أ) كقوله : ﴿غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾[(٣)] .

﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أنهم يذهبون إليها راكبين مكرمين ، وسوقهم للاستعجال بهم إلى دار الكرامة ، وسوق الكفار بالهوان . ودخلت الواو في قوله : ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ في سوق أهل الجنة ؛ لأن أهل الجنة تفتح لهم أبوابها قبل قدومهم ، وعادة المنزل للأضياف أن يهيئ منزلهم على أحسن الوجوه قبل قدومهم ، وليست واو الثمانية [(٤)] كما زعموا ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾. قوله تعالى : ﴿ طِبۡتُمۡ﴾ أي : من دنس المعاصي والخطايا . وقوله : ﴿خَٰلِدِينَ ﴾ حال مقدرة . وقوله : ﴿وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ﴾ ملكنا إياها. وقوله : ﴿حَآفِّينَ ﴾ محدقين من حول العرش .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (١٠٣) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٣٠) .

(٣) سورة المؤمنون ، الآية (١٠٦) .

(٤) تقدم الكلام على واو الثمانية في سورة الكهف ، الآية (٢٢) .

## تفسير سورة غافر ( المؤمن ) [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى : ﴿ٱلتَّوْبِ﴾ هو الرجوع عن المعصية ؛ يقال : آب وتاب وثاب ، بمعنى رجع قوله تعالى : ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ الطول : الإفضال والزيادة ؛ يقال : طال فلان على فلان : إذا تفضل عليه. فإن قلت : لم فرقت هذه الصفات ؛ فجعل بعضها نكرة وبعضها معرفة ؟ قلت : أما ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ و﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ فهما معرفتان ؛ لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين ؛ بل هي صفة دائمة ؛ كقولك : سيد العبيد . وأما قوله : ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ فمشكل لأنه في معنى حدوث الفعل ، وقد جعله الزجاج[1] بدلا . والحكم عليه بالبدلية دون ما سواه من الصفات المقترنة تحكُّم . والوجه أن يقال : إذا ثبت أن هذا بدل فدل على أن الكل محكوم عليه بالبدلية ؛ ولأن عذاب الله وشدة عقابه موصوف بالعظم ؛ فيكون الجميع وصفًا[2].

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾

سجل - سبحانه وتعالى - على المجادلين في آيات الله بأنهم كفار والمراد بالجدل : الجدال بالباطل والطعن فيها ، ويدل على ذلك قوله : ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ فأما الجدال فيها بحل مشكلها وتفصيل مجملها ففيه ثواب عظيم لا يقدر قدره ، ومن حق المؤمن ألا يغتر بكثرة إمهال الفاسق ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[3]

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٦٦) .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٤٩) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٧٨) .

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ (١) ثم ذكر من تقدم من الرسل وتكذيب أممهم إياهم ، وعقوبته سبحانه لهم بالتدمير عليهم وإهلاكهم (٢٣٤/ب) قوله: ﴿وَٱلْأَحْزَابُ﴾ هم الذين تحزبوا على الرسل وعاندوهم وعادوهم ، وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم . قوله تعالى : ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ أي : من هذه الأمم ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليأسروه ، والأخيذ : الأسير . قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ في محل رفع بالابتداء ، وتقديره : ومثل ذلك ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾.

روي في صفات حملة العرش آثار تدل على عظم خلقهم ؛ في بعض الروايات : " ما خلق الله خلقًا أعظم من إسرافيل ، وإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يكون كالوصع ، وهو العصفور الصغير "(٢).

وقوله :﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ يدل على أن أحدًا لا يدرك حقيقة ذات الله عز وجل ، بل يؤمنون بها ويصدقون ، وهؤلاء حملة العرش أشرف الملائكة ، وهم يؤمنون بالله ، ولم يقل : يشاهدونه . يسألون الله تعالى المغفرة لبني آدم ، وفي ذلك تشريف لصفة الإيمان ، وأنها من أعظم صفات الصالحين .

قوله : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فيه دليل على أن صفة الإيمان إذا جمعت بين شخصين يجب أن تكون داعية للنصيحة ، وأن يستغفر له بظهر الغيب . وإن تباعدت أماكنهم وتفاوتت أجناسهم ؛ فإنه لا اشتراك بين سماوي وأرضي ، ولا بين ملك وبشر ، ومع ذلك لما جمعتهم صفة الإيمان استغفر أهل السماوات العلى لأهل الأرضين السفلى .

فإن قلتَ: السعة من صفات الأجسام والله متعال عن ذلك ، وقد وصف نفسه بقوله : ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً﴾؟ قلتُ : الأصل : وسعت رحمتك وعلمك كل شيء . فالواسع هي الرحمة والعلم ، وقد اتسع فيه ؛ فجعلت الصفة لهذين الوصفين ، وجعل كأنها وسعًا . فإن قلت : لما ذكر الرحمة والعلم كان القياس أن يقول : فاغفر للذين تابوا وارحمهم ؟ قلت : المغفرة من جملة أنواع الرحمة ؛ وكذلك وقاية السيئات رحمة أيضًا .

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ

---

(١) سورة الفجر ، الآية (١٥ – ١٧) .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة فاطر .

وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾

قوله : ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي : العقوبات . قوله : ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ يقال : صلح فهو صالح وصلح بضم اللام فهو صليح ، والفتح أفصح . قوله : ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ ، خبره ﴿أَكۡبَرُ﴾ وقوله :﴿ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ ﴾ظرف والعامل فيه المقت الأول ، والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم حين تدعون إلى الإيمان فتكفرون مقتًا هو أكبر من مقتكم أنفسكم الآن . وقيل : لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم ؛ فنودوا : لمقت الله إياكم الآن (٢٣٥/أ) أكبر من مقتكم . و﴿ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ ﴾تعليل . والمقت : أشد البغض ؛ فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشده . قوله : ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾أي : أوجدتنا أمواتا ، ثم أحييتنا في الدنيا ، ثم أمتنا فيها ، ثم أحييتنا في الآخرة . وقد حكي عن ابن عباس وأبي ذر أنهما قالا : الإماتتين والإحياءين قوله : ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ﴾ [1]. فإن قلت : كيف صح أن يسميهم وهم في العدم أمواتًا ؟ قلت : هو كقولك : سبحان من صغر جسم البعوضة ، وكبر جسم الفيل ، وتقول لمن يحفر لك بئرًا : وسع أسفله وضيق أعلاه ، وليس المراد التنقل من صغر إلى كبر ، ومن كبر إلى صغر ، ولا من ضيق إلى سعة ولا عكسه ؛ بل المراد : أوجدها على هذه الصفة وكذلك النطف خلقها الله تعالى ولا روح فيها . ومن جعل الإماتتين التي بعد الحياة الدنيا والتي بعد حياة القبر لزمه إثبات ثلاثة إحياءات ، وهو خلاف ما قاله في القرآن ، هكذا قاله الزمخشري [2] وفيه نظر ؛ لأنه لا يتصور أن يكون العدد إحياءين وإماتتين ؛ فإنك إن لم تعد النطف ، وعددت إخراجهم من ظهر آدم كالذر صار معك ثلاثة إحياءات : إحياء من ظهر آدم ، وإحياء في الدنيا ، وإحياء في القبور المساءلة ، وإن لم تعد ذلك ، وعددت الإحياء في الدنيا واحدًا والإحياء في القبر ثانيا ، والإحياء للبعث ثالثًا صارت ثلاثة إحياءات على جميع التقادير، وإن أسقطت واحدًا من الإحياءات حتى تصير اثنتين نقصت من الإماتات واحدة ؛ فأعمل فكرك فيها . قوله :

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨) ، والأثر ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٤١٨) .

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري (٤/ ١٥٥) .

﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ إنما اعترفوا بها ؛ لأنهم رأوا الإحياء والإماتة قد تكررت عليهم ، وهي فعل الله تعالى ؛ فأقروا بما كانوا يكذبون به من نفي الشريك .

قوله : ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ أي : فهل إلى نوع من الخروج من سبيل ؟ أم اليأس واقع دون ذلك ؟

﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

قوله : ﴿ ذَٰلِكُم ﴾ أي : ذلكم الذي وصفناه من كفركم واعترافكم بما أنكرتموه بسبب أن الله إذا ذكر وحده بالوحدانية أنكرتم ذلك ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد . وقيل : إن الحرورية الخوارج قالوا : لا حكم إلا لله من قوله : ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾ (1) .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ

---

(١) الحرورية إحدى فرق الخوارج ، قيل : سموا حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم . قال الإمام ابن الجوزي في تلبيس إبليس (١/ ٢٨) : " وانقسمت الحرورية اثني عشرة فرقة فأولهم الأزرقية قالوا : لا نعلم أحدا مؤمنا ، وكفروا أهل القبلة إلا من دان بقولهم . والأباضية قالوا: من أخذ بقولنا فهو مؤمن ومن أعرض عنه فهو منافق . والثعلبية قالوا : إن الله لم يقض ولم يقدر. والحازمية قالوا : ما ندري ما الإيمان والخلق كلهم معذورون . والخلفية زعموا أن من ترك الجهاد من ذكر أو أنثى فقد كفر . والمكرمية قالوا : ليس لأحد أن يمس أحدا لأنه لا يعرف الطاهر من النجس ولا أن يؤاكله حتى يتوب ويغتسل . والكنزية قالوا : لا ينبغي لأحد أن يعطي ماله أحدا لأنه ربما لم يكن مستحقا بل يكنزه في الأرض حتى يظهر أهل الحق . والشمراخية قالوا : لا بأس بمس النساء الأجانب لأنهن رياحين . والأخنسية قالوا : لا يلحق الميت بعد موته خير ولا شر . والمحكمية قالوا : إن من حاكم إلى مخلوق فهو كافر . والمعتزلة من الحرورية قالوا : اشتبه علينا أمر علي ومعاوية فنحن نتبرأ من الفريقين . والميمونية قالوا : لا إمام إلا برضا أهل محبتنا .

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٧) : " ومن ألقابهم المارقة ومن ألقابهم المحكمة وهم يرضون بهذه الألقاب كلها إلا بالمارقة فإنهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية والسبب الذى له سموا خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب ، والذى له سموا محكمة إنكارهم الحكمين وقولهم لا حكم إلا لله ، والذي له سموا حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم، والذي له سموا شراة قولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله. أي بعناها بالجنة .

مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من السحب والرياح وغيرها . والرزق : المطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ وما يتعظ إلا من يرجع إلى الله ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أيها المنيبون إليه (٢٣٥/ ب) ﴿مُخْلِصِينَ﴾ من الشرك ، وإن غاظ ذلك من ليس على مثل حالتكم .

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾ ثلاثة أخبار لمبتدأ محذوف أي : هو ، أو مبتدآت خبرها محذوف ، وهي مختلفة تعريفًا وتنكيرًا .

قال ابن جبير : سماء فوق سماء ، والعرش فوقهن [1]. ويجوز أن تكون عبارة عن رفيع شأنه وعظيم سلطانه . وقيل : هي درجات المتقين التي ينزلونها في الجنة .

قوله : ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ التي يراد بها الحياة ؛ لأنها من عالم أمر الله ، أو النور الذي يلقيه الله في قلب المتقين . قوله : ﴿لِيُنذِرَ﴾ أي : الله سبحانه وتعالى ، أو الملقى عليه وهو الرسول ، أو إلى الروح . و ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يوم القيامة ؛ لأن الخلائق تلتقي فيه وقيل : يلتقي أهل السماء وأهل الأرض . وقيل : المعبود والعابد .

﴿بَٰرِزُونَ﴾ منكشفون لا يحجب عن أبصارهم شيء ؛ لأن الأرض قاع صفصف ، والمبعوثون عراة ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ﴾ أي : من أحوالهم وأعمالهم ، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه شيء سواء برزوا أو لم يبرزوا ؛ لأنهم كانوا يتوهمون أنهم يستترون ويحتجبون عن نظر العيون ؛ قال الله تعالى : ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ﴾ الآية [2] ينادي يوم القيامة مناد : ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ فيجيبه أهل المحشر : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ وقيل : يجمع الله الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كسبيكة الفضة لم يعص الله عليها فينادي المنادي بذلك ، فيجيب الله نفسه : ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (١٥٦/٤) .

(٢) سورة فصلت ، الآية (٢٢) .

لما ذكر انفراده بالملك ذكر ما يترتب عليه من الجزاء ؛ فقال : ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ﴾ وذكر أن الحساب لا يبطئ ؛ فإن الله سريع الحساب ؛ لأنه لا يشغله شأن عن شأن ، وهو أسرع الحاسبين . وقيل : إذا أخذ في حسابهم لم يقل من القيلولة أهل الجنة وأهل النار إلا في منازلهم . ﴿ٱلۡأٓزِفَةِ﴾ القيامة ، سميت بذلك لقربها ، و(الزلفى) القربى ، ويجوز أن يريد أنهم إذا أمروا بدخول النار التصقت قلوبهم بحناجرهم فلا يموتون ولا يحيون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾[1] ﴿كَٰظِمِينَ﴾ حال من القلوب أو من أصحاب القلوب ، وجمع الكاظمين جمع السلامة ؛ لأنهم وصفهم بوصف العقلاء ، وهو كونهم كاظمين . ويجوز أن تكون حالاً مقدرة من قوله : ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ﴾ مقدرين الكظم .

﴿حَمِيمٖ﴾ المحب المشفق ، والمطاع : مجاز في قبول الشفاعة ، ويجوز أن يراد نفي الشفاعة والقبول معًا (٢٣٦/ أ) وهو أظهر ؛ لأن الذين طلبت منهم الشفاعة ملائكة ، وأولياء ، فلا ترد شفاعتهم ، فيمن هو أهل وإنما أتى بلفظة ﴿يُطَاعُ﴾ لأنه قد يتوهم متوهم أن ثم شفاعة وطاعة فأيأس منهما ، ويقول من عتب على ترك الجهاد : كيف أقاتل ولا فرس لي ؛ أي : ما يأتي لي القتال بغير فرس ، ولا فرس هناك ؛ فلا قتال .

﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾﴾

الخائنة : صفة للنظرة ، أو : مصدر على فاعلة ؛ كالعاقبة والعافية ، والخائنة : الكاذبة ، والمراد : استراق النظر إلى ما لا يحل . فإن قلتَ : بم يتعلق قوله ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾؟

قلتُ : هو من جملة أخبار ﴿هُوَ﴾ في قوله : ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ﴾ وإن طال الفصل .

---

(١) سورة طه ، الآية (٧٤) .

﴿ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّ ﴾ أي : ومن هذه أحواله وصفاته لا يقضي إلا بالعدل والحق ، وآلهتكم لا يقضون بشيء ، وهذا تهكم بهم ؛ لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقضي .

" هم " في قوله : ﴿كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ﴾ فصل ، وإنما دخلت بين معرفة ونكرة ؛ لأن أفعل التفضيل إذا جاءت بصيغة ﴿مِن﴾ تشبه المعرفة في امتناع دخول لام التعريف عليه ؛ فألحق بالمعارف .﴿وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قيل : أكثر آثارًا . وقيل : أظهر وأمكن . كان فرعون يقتل الأولاد الذكور من بني إسرائيل ويبقي النساء ؛ لأن الكهنة أخبرته أنه يولد في تلك السنة مولود يكون هلاكه وزوال ملكه على يده ؛ فلم يغنه حذره ، وسخر فرعون حتى ربى موسى في حجره ، وهو الذي كان يحذره ، ثم لما نبئ موسى وظهرت الآيات على يديه والمعجزات ، قال فرعون : أعيدوا قتل الذكور من بني إسرائيل واستحيوا النساء خدمًا ، وهو معنى قوله :﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ الآية .

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ كان فرعون إذا هم بقتله كفوه ، وقالوا : ما هو بالذي نخافه ، وكان فرعون قد امتلأ من ذلك غيظًا ، وكان يحس من موسى أنه يصير له شأن عظيم ؛ فيقول لأصحابه : ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ وقوله :﴿ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓ﴾ دليل على أن فرعون كان شديد الجزع من موسى وتفاقم أمره ، وهل رأى قط ساحرًا أحدا عليمًا واستولى عليه بسحره حتى يقول : ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ ﴾

لما سمع موسى قول فرعون ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾ قال : ﴿إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ﴾ الآية ، وكانوا يعبدون(٢٣٦/ ب) فرعون ويعبدون أصنامه ؛ بدليل قوله : ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [(١)] وقال : ﴿لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ لأن من لم يؤمن بالجزاء لا يخاف العقاب .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٣٧) .

قرئ: " رجْل "[(١)] بسكون عين الفعل ؛ كعضد وعضد ، وكان ابن عم لموسى قبطيًا آمن بموسى سرًا . وقيل : كان إسرائيليًا . و﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ صفة لـ ﴿رَجُلٌ﴾ أو معمول لـ (يكتم) أي : يكتم إيمانه ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ .

ثم احتج المؤمن على قومه بقوله :﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ فتلطف من وجهين : أحدهما : أنه بدأ بقسم الكاذب مع علمه بصدق موسى . والثاني : قوله :﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ وهو إذا كان صادقًا أصابهم كل الذي وعدهم . وروي أن الذي تولاه أبو بكر من أمر رسول الله ﷺ كان أشد ؛ فمما روي أن أكابر مشركي قريش قالوا لرسول الله ﷺ : أنت الذي تنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا وخنقوه فالتزمه من ورائه ، وقال : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ ولم يزل يدافع عنه حتى أرسلوه[(٢)]. وقيل : قاله أبو بكر جهرًا ، وقاله مؤمن آل فرعون سرًا[(٣)].﴿ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾أرض مصر؛ فلا تتعرضوا لبأس الله وعذابه وقال : ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ ولم يقل : فمن ينصركم ؟ تلطفًا في النصيحة ، ولأنه منهم فينبغي أن يحفظوه كما يحفظون أنفسهم . ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾يعني : ما أشير عليكم إلا بقتله ولا أستصوب إلا هو ، ولقد كذب فيما قال ؛ فإن قلبه كان مملوءًا رعبًا من موسى ، ولكنه كان يتجلد ، ولولا تجلده ما استشار أحدًا .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ

---

(١) قرأ بها الأعمش وعبد الوارث . وتروى عن أبي عمرو .

**تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٦٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٧) ، السبعة (ص: ٥٧٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٨٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٢٣) .

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٢٨٥) لابن أبي شيبة والحكيم الترمذي وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن عمرو بن العاص ﷺ .

(٣) نسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٦٣) لجعفر الصادق .

جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

قوله : ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا على الأنبياء فأهلكهم الله . ﴿مِثْلَ دَأْبِ﴾ لابد من تقدير محذوف فيه ؛ أي : مثل جزاء دأبهم ، و" مثل " الثاني منصوب بكونه عطف بيان للأول . ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ فيعاقبهم بغير ذنب .

﴿ٱلتَّنَادِ﴾ قوله : ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ [(١)]. ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور.

﴿مُدْبِرِينَ﴾ منصرفين عن موقف الحساب إلى النار . قوله : ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ﴾ هو يوسف بن يعقوب . وقيل : هو يوسف بن إبراهيم بن يعقوب ، أقام فيهم نبيًا عشرين سنة وقيل : هو يوسف آخر ، وقولهم : ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ (٢٣٧/أ) مقدمة جميلة تدل على تكذيب الرسل إذا جاءوا .

قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ﴾ بدل من ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ وفي قوله : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ زيادة تعظيم لما فعلوه من الكفر ، ووصف القلب بالجبروت والتكبر ؛ لأنه منبعهما ؛ كما تقول : رأت العين وسمعت الأذن ، وكذلك قوله : ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [(٢)]. والآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف مضاف ؛ أي : على ذي قلب متكبر .

الصرح : البناء الشاهق الذي لا يخفى وإن بعد ، و﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ طرقها.

وقوله : ﴿ٱلْأَسْبَـٰبَ﴾ ثم أبدل منه ﴿أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ لأن الشيء إذا أبهم ثم فسر كان أبلغ ، والذي زين هو الشيطان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [(٣)] أو الله سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [(٤)]. التباب : الخسران . افتتح مؤمن آل فرعون بتحقير أمر الدنيا وأنها شيء يستمتع به زمنًا ثم يضمحل ، وثنى بتعظيم الآخرة ، وذكر

---

(١) سورة الأعراف ، الآيات (٤٤ ، ٥٠ ، ٤٨) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٨٣) .
(٣) سورة النمل ، الآية (٢٤) .
(٤) سورة النمل ، الآية (٤) .

الأعمال وجزائها ، ثم فرق بين دعوته إلى الله ، ودعوة المشركين إلى الأصنام ، فوقى الله المؤمن عقوبات الذين كفروا وحماه وعصمه ، وحل ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ .

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) ﴾

وقوله :﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ يدل على الكثرة ، وأنه ليس مما يحصره العدد ، وإنما كرر نداء قومه ، وأتى بالواو في الثالث دون الثاني ؛ فأما تكرير النداء ففيه زيادة إيقاظ ، وأما دخول الواو في الثالث ؛ فلأنها جملة أجنبية من الأول ؛ بخلاف الثانية مع الأول . تقول : دعوته لكذا ، أو دعوته إلى كذا ؛ كقولك : هداه الطريق وهداه إلى الطريق .﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي : بربوبيته ، والمراد بنفي العلم نفي المعلوم . ﴿ لَا جَرَمَ﴾ لا نفي لما سبق ، و﴿جَرَمَ﴾ فعل ماض ، أي : حق ؛ هذا مذهب البصريين[1] . أي : حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسبت ؛ كقوله : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[2] . ويجوز أن يراد بقوله : ﴿ لَا جَرَمَ﴾ أي : لابد من الجرم وهو القطع ؛ أي : لا ينقطع استحقاقهم للعذاب ؛ بل هو مستمر .﴿ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ ﴾أي : دعوة تجاب ، ومن حق المعبود بحق أن يدعو الناس إلى عبادته . وقوله :﴿ فِي الدُّنْيَا﴾ لأنه في الدنيا جماد ، وفي الآخرة ليس أهلاً للشفاعة التي كانوا يرجونها منه ، أو

---

(١) **قال أبو البقاء العكبري** : لا جرم : فيه أربعة أقوال : أحدها : أن " لا " رد لكلام ماض أي : ليس الأمر كما زعموا ، و" جرم " فعل وفاعله مضمر فيه . والقول الثاني : أن " لا جرم " كلمتان ركبتا وصارتا بمعنى حقا . والثالث : أن المعنى لا محالة . والرابع : أن المعنى لا منع .

**ينظر تفصيل تلك الأقوال في** : التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٢/٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٤/٨٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/١٦٩) ، المحرر الوجيز لابن عطية (٣/١٦١) ، معاني القرآن للزجاج (٣/٤٥) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/٣١٤) .

(٢) سورة المائدة ، الآية (٢) .

جعل الدعوة العارية عن الإجابة كلا دعوة ؛ قال الله تعالى : ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾[1] .

﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحد . ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ أي : يذكر بعضكم (٢٣٧/ ب) بعضًا. ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كانوا قد تهددوه فالتجأ إلى الله في وقاية شرهم .

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ٱلنَّارُ﴾ بدل من ﴿سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ أو خبر مبتدأ محذوف ، أو مبتدأ خبره ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ وعرضهم على النار : إحراقهم بها ، يقال : عرض الأمير الأسارى على السيف أي : قتلهم به .

قوله : ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ في هذين الوقتين يعذبون بالنار ، وفيما سوى ذلك الله أعلم بحالهم ؛ فإما أن يعذبوا بجنس آخر أو ينفَّس عنهم . ويجوز أن يراد بالغدو والعشي الدوام . هذا مدة بقاء الدنيا فإذا جاءت القيامة قيل لهم : ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ فإن قيل : فسرتم قوله تعالى : ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ بالنار ، وهم لم يعذبوا بالنار فلم يحق بهم سيئات ما مكروا ؟ قلنا : يقال : إن من أضمر لشخص أن يحرقه بالنار فغرقه [ لسمي ذلك حيقا ][2] لحصول عقوبة ذنبه ، وإن لم يكن من جنس ما عذب به . وقد استدل بهذه الآية على عذاب القبر .

واذكر محاجة الرؤساء والأتباع ، و﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع ؛ كخادم وخدم ، أو ذوي تبع ، أو : وصفًا بالمصدر، وقرئ: "كلا"[3] على التأكيد لاسم " إن " فإن قلتَ : أيجوز ؟

---

(١) سورة الرعد ، الآية (١٤) .

(٢) بياض بالأصل والمثبت مما فهمناه من السياق وفي الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧٠) نحو ذلك .

(٣) قرأ بها عيسى بن عمر وابن السميقع . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٦٩) ، تفسير القرطبي (١٥/ ٣٢١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٦) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧١) .

قلتُ : لا ؛ لأن الجار والمجرور لا يعمل في الحال متقدمًا[١] تقول : كل يوم لك ثوب ، ولا تقول : قائمًا في الدار زيد . ﴿قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ بحصول الجزاء ؛ إن خيرًا فخير، وإن شرا فشر. قوله : ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ ولم يقل : لخزنتها ؛ لأن اسمها فيه تهويل لا يحصل في الضمائر ، ويحتمل أن يكون ﴿جَهَنَّمَ﴾ اسمًا لمكان مخصوص ، يقال : بئر جهنم ، أي : بعيدة القعر، وقولهم في النابغة : إنه جهنام[٢] ؛ أي : بعيد الغور في الشعر[٣]. وفيها أعتى العصاة وأطغاهم ، ولعل العصاة اعتقدوا أن الخزنة أقرب إلى إجابة الدعوة ؛ ولهذا تعمدوهم بالسؤال ، وامتنع الخزنة من الدعاء ، وعللوه بأن الرسل كانت تأتيكم ومعهم المعجزات فكذبتموهم ، ونحن لا نشفع إلا لمن ارتضاه الله .

﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾

---

(١) هذا قول الزمخشري في الكشاف . ورد عليه أبو حيان فقال : " وهذا الذي منعه أجازه الأخفش إذا توسطت الحال نحو : زيد قائما في الدار ، وزيد قائما عندك ، والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقا في الآية ؛ لأن الآية تقدم فيها المسند إليه الحكم وهو اسم " إن " وتوسطت الحال إذا قلنا إنها حال وتأخر العامل فيها . وأما تمثيله بقوله : ولا تقول : " قائما في الدار زيد " فتأخر فيه المسند والمسند إليه . واختار أبو حيان أن " كلا " على هذه القراءة بدل من اسم " إن " . وقال السمين الحلبي : وفيه نظر . واختار ابن مالك نصب " كلا " على الحال من الضمير المرفوع في " فيها " و " فيها " هو العامل ، وتبع الأخفش في ذلك . **ينظر تفصيل ذلك في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٤٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٤٦) ، ، شرح الكافية الشافية لابن مالك (١ / ٣٣٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٧١) ، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٣٨) .

(٢) **قال النووي** في شرح صحيح مسلم (٢/ ١٢١) : " جهنم : اسم لنار الآخرة عافانا الله منها ومن كل بلاء. قال يونس : وأكثر النحويين هي عجمية لا تنصرف للعجمة والتعريف . وقال آخرون : هي عربية لم تصرف للتأنيث والعلمية ، وسميت بذلك لبعد قعرها ؛ قال رؤبة : يقال بئر جهنام أي بعيدة القعر . وقيل : هي مشتقة من الجهومة وهي الغلظ يقال : جهم الوجه ، أي : غليظة فسميت جهنم لغلظ أمرها والله أعلم " .

(٣) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٧١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله : ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْ﴾ ليس دلالة على مصلحة ؛ لأنهم علموا أن الشفاعة مردودة ، ولا تفيد شيئًا ، وإنما الخزنة أيأسوهم بقولهم : ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ .

﴿هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالحجة والبرهان ، وقد كتب الله أن حزب المؤمنين هم المنصورون ، وإن انتصر الكفار في (٢٣٨/أ) وقت ؛ فأعداؤهم مقضي عليهم بالهلاك والدمار، وأما في الآخرة فظاهر ، و" يوم " الثاني بدل من الأول .﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ يحتمل أنهم يعتذرون فلا يقبل منهم ، أو : لا يتمكنون من الاعتذار ؛ لقوله : ﴿وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ﴾ (1) ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ أي : سوء دار الآخرة . ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ جميع ما آتاه الله من التوراة والعلم والشرائع والمعجزات الخارقة للعادات .

﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة ، ﴿ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ﴾ إرشادًا وموعظة ، وانتصابهما على المفعول له ، أو على الحال ، و﴿لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ المؤمنون العاملون به . ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ فاصبر على أذى المشركين ، ودم على ما أنت عليه من الصبر؛ فإن العاقبة للمتقين . ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ قيل : هما صلاتا العصر والفجر﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾ أي : تكبر أو إرادة دفع الآيات بالجدال .﴿ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ أي : ما هم ببالغي موجب الكبر . وقيل : المجادلون هم اليهود ؛ كانوا يقولون : يخرج صاحبنا المسيخ الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر ؛ فسمى الله تمنيهم ذلك كبرًا . ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ يسمع ما يقولون ، ويبصر ما يفعلون فهو يجازيهم على ذلك . وأما كيفية اتصال ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ﴾ بما قبله ؛ فلأن جدالهم كان في إنكار البعث ؛ فأورد عليهم سبحانه قدرته على خلق السماوات والأرض ؛ كما قال : ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾ (2) ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم .

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا

---

(١) سورة المرسلات ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة النازعات ، الآية (٢٧) .

نَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

ضرب الأعمى والبصير مثلاً للمحسن والمسيء . ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدقون بالساعة .

﴿ادْعُونِي﴾ اعبدوني ، والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ، ولذلك قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ولم يقل : عن دعائي . والاستجابة : الإجابة . وقيل : معناه: اعبدوني أثبكم . وعن الحسن: أنه سئل عن هذه الآية ؟ فقال : اعملوا وأبشروا فإن حقا على الله أن يستجيب للذين آمنوا[١] . وقيل للثوري : أندعو الله ؟ فقال : إن ترك الذنوب هو الدعاء [٢]. وفي الحديث : "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين" [٣]. وروي أن النبي ﷺ قال : " الدعاء هو العبادة " وتلا هذه الآية[٤]. ويجوز أن يراد ظاهر اللفظ ، وأن الدعاء نوع من العبادة (٢٣٨/ ب) وعن كعب " أعطى الله هذه الأمة ثلاثا لم يعطهن إلا الأنبياء : قال للنبي : أنت شاهدي على خلقي ، وقال لهذه الأمة : ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٥] وكان يقول للنبي ﷺ : ما عليك من حرج ، وقال لهذه الأمة: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [٦] وكان يقول للنبي ﷺ : ادعني أستجب لك وقال لهذه الأمة : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٧].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ١٦١) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٠٢) لسعيد بن منصور وابن المنذر عن الحسن رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٩) عن سفيان رحمه الله .

(٣) رواه الترمذي رقم (٢٩٢٦) وقال : حسن غريب . وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (١٣٣٥).

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٦٧) ، وأبو داود رقم (١٤٧٩) ، والترمذي رقم (٢٩٦٩) ، وابن ماجه رقم (٣٨٢٨) ، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٧٩١) ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٣٧٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

(٦) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٧) الآية (٦٠) من سورة غافر ، و الأثر ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٧٥) عن كعب ، ورواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢٣٠٨) عن مجاهد .

﴿دَاخِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي : يبصر فيه ، وحقيقة الإبصار لأهل النهار لا للنهار . فإن قلتَ : قد جعل في صفة الليل :﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ مفعولا من أجله ، وفي ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ على الحال ، وهلا جاء القرينان على حالة واحدة ؟

قلتُ : هما متفقان من حيث المعنى ، ولو أنه قال : والنهار لتبصروا فيه فاتت الفصاحة المأخوذة من المجاز ، ولو قال : والليل سكنًا لم يأت بالمقصود ، والليل يوصف بالسكون حقيقة ؛ يقال : ليل ساج . وقوله :﴿ لَذُو فَضْلٍ﴾ ولم يقل : لمتفضل ولا لمفضل ؛ لأن الغرض تفضيل فضل الله على فضل كل ذي فضل ، ولا يحصل ذلك المقصود إلا بالإضافة ، كرر ذكر الناس بقوله :﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ لأن ذكر الاسم الظاهر أبلغ من الكناية . ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الموصوف : بما سبق هو﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أخبار متوالية ، ثم ذكر أن من جحد بآيات الله وجادل فيها فقد أفك كما أفكوا ، ثم ذكر حجة أخرى وهي جعل الأرض مستقرًا ، والسماء كالقبة المضروبة ؛ لأنها تُرى على هذا الشكل . ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ لم يخلق حيوانًا أحسن من الإنسان ؛ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [1] ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ فاعبدوه ، و﴿ٱلدِّينَ﴾ الطاعة ،

---

(١) سورة التين ، الآية (٤) .

قائلين : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وعن الحسن : " من قال لا إله إلا الله ، فليقل على إثرها : الحمد لله رب العالمين " [1] ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ متعلق بفعل محذوف ؛ أي يبقيكم لتبلغوا ، وأما قوله : ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ فمعناه : وفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو قيام الساعة . ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ فإن فعله يقع من غير تأخر عن وقته الذي قدر فيه ؛ لأن جميع المخلوقات مطيعة لأمره داخلة تحت حكمه . ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ بالقرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من الكتب والصحف . وقوله : (٢٣٩/أ) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾ شبيه بقولك : أريد أن أكرم زيدًا أمس ، لكن الأحوال الآتية عند الله كالكائنة الآن ، ومنه : ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [2] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ﴾ [3] ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [4] ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [5] وأمثلته كثيرة .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

وقرئ " إذ الأغلال فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلِ " بالجر [6] لأنك لو قلتَ : عنقه في الغل ، أو الغل في عنقه كان المعنى مفهومًا ؛ فلك أن تعبر بأي العبارتين شئت ، ومنه قول الشاعر [ من الطويل ]:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٨١) ، ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٢٢١) للحاكم ونقل عنه قوله : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (٦٨) .

(٤) سورة النحل ، الآية (١) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٤٤) .

(٦) قرأ بها ابن عباس وزيد بن علي وغيرهما .

**تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٨٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٠) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٤٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٠) .

مـــشائيم ليـــسوا مـــصلحينَ عـــشيرةً ولا ناعـــبٍ إلا بـــبينٍ غرابُهـــا[١]

كأنـه قيـل: ليـسوا بمـصلحين. ﴿يُسۡجَرُونَ﴾ يوقـدون؛ تقـول: سـجرت التنـور: إذا أوقدته، وقال تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾[٢]. ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ يعني الآلهة فلا نراهم.

فإن قيل: قالوا في قوله: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٣]: إن العابدين والمعبودين في النار، فكيف قالوا: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾؟ قلنا: يجوز أن يضلوا عنهم وقت التبكيت، ويجوز أن يكونوا معهم في كل وقت لكن لما لم ينفعوهم بالشفاعة كأن وجودهم كالعدم؛ ويدل عليه قوله: ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـًٔا﴾ أي: ما كنا نعبد شيئًا يعتد به. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي: مثل ضلال آلهتهم عنهم نضلهم عن الآلهة. ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ وهو الشرك وعبادة الأوثان. ﴿ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾ السبعة المقسومة لكم ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ مثواكم وهو جهنم.

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّن لَّمۡ نَقۡصُصۡ عَلَيۡكَۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلۡحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمَ لِتَرۡكَبُواْ مِنۡهَا وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ

---

(١) البيت للأحوص الرياحي. ينظر في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ١٨٠)، الحيوان للجاحظ (٣/ ٤٣١)، خزانة الأدب (٤/ ١٥٨، ١٦٠)، شرح المفصل (٢/ ٥٢)، لسان العرب (شأم) وينسب للفرزدق في الكتاب (٣/ ٢٩)، وبلا نسبة في: أسرار العربية لابن الأنباري (ص: ١٥٥)، الأشباه والنظائر للسيوطي (٢/ ٣٤٧)، الخزانة (٨/ ٢٩٥)، الخصائص لابن جني (٢/ ٣٥٤)، شرح الأشموني (٢/ ٤٣٥) والشاهد فيه: جر "ناعب" بجار محذوف. وهو معطوف على "مصلحين" وهو منصوب؛ لكونه خبر (ليس)؛ وذلك لتوهم زيادة الباء في هذا الخبر؛ لكثرة زيادتها فيه. وهذا ما يعرف في غير القرآن بالعطف على المعنى أو "على التوهم". ومشائيم: جمع مشئوم، وهو الإنسان الذي يجر الشؤم على قومه. وناعب: صائح، ومصوّت. والغراب: الطائر المعروف، يضرب به المثل في الشؤم. ويروى: ولا ناعباً.

(٢) سورة الهمزة، الآية (٦).

(٣) سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٨٣) ﴾

﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ ﴿وَمَا﴾ مزيدة لتأكيد الشرط . قوله :﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ إما أن يكون معطوفًا على الشرط ، فيبقى قوله : ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ جزاؤه :﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ وقوله : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ لا يدل على هذا الشرط ، وإن جعل الجزاء عن قوله : ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ وحده بقي المعطوف عليه بلا جزاء ، فتقول : ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ متعلق بـ " نتوفينك " وجزاء " نتوفينك " محذوف تقديره : ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ من العذاب . وهو القتل يوم بدر فذاك ، أو ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل بدر ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام . ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ (٢٣٩/ ب) قبل بعث الله ثمانية آلاف نبي : أربعة آلاف من بني إسرائيل ، وأربعة آلاف من سائر الناس . وعن علي : " بعث الله نبيًا أسود فهو ممن لم يقص علينا خبره "[١]. وهذا تسلية لرسول الله ﷺ فإن الله بعث من قبله رسلاً كثيرين فكذبوهم ؛ فدمر الله على المكذبين . ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ﴾مقترحة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات . ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ المعاندون الذين كذبوا بالآيات وسموها سحرًا . ﴿ٱلْأَنْعَٰمَ﴾ الإبل خاصة . فإن قيل : هلا قال : لتركبوا عليها ؟ قلنا : لأن في الركوب عليها يحصل أجر إذا سافر للغزو أو للحج أو لزيارة رجل صالح ، وأما الأكل فإنه من باب المباح لا يرجى فيه ثواب ، والمعنى بـ " من " و بـ " على " صحيح ؛ فلذلك جازت العبارة بأيهما شئت . ﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ جاءت على اللغة المشهورة ، تقول : بأية أرض نزلت ، وبأي أرض نزلت ، وقد جاء بأية آية ، ﴿وبِأَيِّ أَرْضٍ﴾[٢] ﴿وَءَاثَارًا﴾ قصورهم ومصانعهم . وقيل : كانت الأرض تتأثر بوطئهم بأرجلهم لعظم أجسامهم وثقلها .

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ " ما " نافية أو استفهامية ومحلها النصب ، و" ما " الثانية موصولة ، أو مصدرية ، ومحلها الرفع ، التقدير : أي شيء أغنى عنهم كسبهم أو مكسوبهم .

---

(١) رواه مسلم رقم (٦٢) ، وأحمد في المسند (٣/ ٤١٣) ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٢) .

(٢) سورة لقمان ، الآية (٣٤) .

﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ قيل هو استهزاء ، ولا علم عندهم ، وعلمهم الذي تلاشى: زعمهم أن لا بعث وأن الأصنام تشفع لهم . وقيل: المراد علم الفلسفة ، بعلم جدهم يونان. وعن سقراط: أنه سمع بموسى عليه السلام فقيل له : هاجر بنا إليه ، فقال : نحن قوم مهذبون لا حاجة بنا إلى من يهذبنا[١] . وقيل : فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح استهزاء ، وتنقبض لما علمه الرسل من العلم ، ويدل عليه قوله : ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وقيل : فرح الأنبياء : ما عندهم من العلم بهلاك المكذبين وحاق بالكافرين جزاء جهلهم .

﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

و﴿ٱلْبَأْسِ﴾ العذاب الشديد ؛ ومنه ﴿بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍ﴾ [٢]. فإن قيل : لو قيل : فلم ينفعهم إيمانهم . هل كان يقوم مقام قوله : ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ ؟

قلنا : هو مثل ﴿كَانَ﴾ في قوله : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [٣]. والتقدير: فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم إيمانهم . فإن قلتَ : كيف ترادفت هذه الفاءات ؟

قلتُ : أما قوله : ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ﴾ فهو نتيجة قوله : ﴿كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ وأما قوله (٢٤٠/أ) ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم﴾ فجار مجرى البيان لقوله : ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم﴾ كقولك : رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن إلى الفقراء . وقوله : ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا﴾ تابع لقوله : ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ﴾ كأنه قال : كفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا . ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكد ؛ كـ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [٤] و﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [٥] و﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [٦] و﴿هُنَالِكَ﴾ اسم مكان مستعار للزمان ؛ أي : خسروا في ذلك الزمان ، وهو وقت قيام الساعة ، وكذلك قوله : ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾ بعد قوله : ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي : خسروا وقت مجيء أمر الله ، أو: وقت القضاء بالحق .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٨٢) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٦٥) .
(٣) سورة مريم ، الآية (٣٥) .
(٤) سورة الروم ، الآية (٦) .
(٥) سورة البقرة ، الآية (١٣٨) .
(٦) سورة الروم ، الآية (٣٠) .

## تفسير سورة حم السجدة (فصلت) [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون (٣) بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٤) وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون (٥)﴾

إن جعلت ﴿حم﴾ اسما للسورة كانت مبتدأ ، و﴿تنزيل﴾ خبره ، وإن جعلتها تعديدا للحروف كان " تنزيل " خبرًا لمبتدأ محذوف . ﴿كتاب﴾بدل من " تنزيل " أو خبر بعد خبر ، أو خبر مبتدأ محذوف ، وجوز الزجاج[١] أن يكون ﴿تنزيل﴾ مبتدأ و﴿كتاب﴾ خبره ووجهه أن "تنزيلا " تخصص بالصفة فجاز الابتداء به ؛ كقوله﴿ ولعبد مؤمن خير من مشرك ﴾[٢]﴿فصلت آياته﴾ ميزت وجعلت فصولا وأنواعًا مختلفة من وعد ووعيد وأحكام ومواعظ وقصص وأمثال وغير ذلك . ﴿قرآنا عربيا﴾ نصب على الاختصاص والمدح ، أي : أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت . وقيل : هو نصب على الحال ، أي : فصلت في حال كونه عربيا .﴿ لقوم يعلمون﴾ عربيا نزل بلغتهم ، وتعلق قوله :﴿ يعلمون﴾ إما بـ " فصلت " أو بـ " تنزيل " والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده . وقرئ "بشيرٌ ونذيرٌ " بالرفع[٣] صفة للكتاب أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿فهم لا يسمعون﴾أي : لا يفهمون . تقول : شفعت عند فلان فلم يسمع قولي وقد سمعه لكنه لم يقبله . ﴿أكنة﴾ جمع كنان وهو الغطاء ، والوَقر : بالفتح الثقل في الأذن ، والوِقر بكسر الواو : الحمل[٤]﴿ فالحاملات وقرا ﴾[٥] وبعده تمثيلات لنُبُوِّ قلوبهم عن فهمه

---

(١) ينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٧٩) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٢١) .

(٣) قرأ بها زيد بن علي . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٨٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٨٥) .

(٤) قرأ طلحة بن مصرف " وِقرا " بالكسر وقراءة العامة " وَقرا " بالفتح . الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٨٥) .

(٥) سورة الذاريات ، الآية (٢) .

وتدبره كأن بينهم وبين رسول الله ﷺ حجابا منيعا أو حاجزًا من جبل أو نحوه .﴿ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾أمر تهديد وليس إذنا في العمل ، أو: فاعمل على إبطال أمرنا ؛ إنا عاملون على إبطال أمرك . و" من " في قوله :﴿ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ﴾ فيها فائدة وهي أن الحجاب قد سد ما بينهما ، ولو فقدت (٢٤٠/ ب) " من " لكان الحجاب قد ابتدأ من أول البينونة ، ولا يلزم استيعابه لما بينهما .

فإن قلتَ : هلا قيل: على قلوبنا أكنة ؛ كما قيل: وفي آذاننا وقر فيكونان على نمط واحد؟

قلتُ : المعنى واحد ، وإن اختلف اللفظ ؛ لقوله : ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً ﴾ والملاحظة إنما تراعى في المعاني دون الألفاظ .

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾

وقوله : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ﴾ جواب لقولهم : ﴿قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ﴾من حيث إنه قال : لست ملكًا ؛ إنما أنا بشر .

﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ ﴾ أي : أجيبوا إلى الطاعة واسلكوا سبيلا سويا ليس فيه ميل عن الحق، وتوبوا إليه مما سبق منكم من الشرك ، وقرئ " قل إنما أنا بشرًا "[1]. وإنما خص منع الزكاة بالتهديد وقرنه بالكفر بالآخرة ؛ لأن المال شقيق الروح ؛ فإن بذله في طاعة الله فقد جاهد نفسه جهادا كبيرا ، وما خدع المؤلفة قلوبهم إلا بعرض يسير من الدنيا ، وأصحاب مسيلمة الكذاب تظاهروا بمنع الزكاة فكفروا وقاتلهم المسلمون . ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾

---

(١) قرأ بها الأعمش والمطوعي ويحيى بن وثاب . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٨٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٣) .

غير مقطوع . وقيل : غير ممنون بـه . ﴿ذَٰلِكَ﴾ الـذي قـدر علـى خلـق الأرض ومـا فيهـا في يومين هو ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

﴿رَوَٰسِيَ﴾ جبالا ثابتة ، ولو كانت الجبال تحتها كالعمد أو مركوزة فيهـا كالمسامير لمنعـت الأرض الميد والحركـة ، وإنمـا اختـار جعلـها فـوق الأرض ؛ لتكـون المنـافع الـتي في الجبـال حاضرة لمن يطلبها ، والجبال أثقال على أثقال وكلها ممسوكة بقدرة الله .

﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ وأكثـر خيرهـا وأنمـاه ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ كوامـل لا نقـص فيهن . قيل : خلق الله الأرض في يوم الأحد ويوم الاثنين ، وخلق مـا فيهـا في يـوم الثلاثـاء والأربعاء، وقال الزجاج : في تتمة أربعة أيام[1] . قوله ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ جواب لسائل قـال : مـا المدة التي خلقت فيها السماوات والأرض ؟ وقولـه : ﴿فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ يفيـد فائـدة وهـي أن أكثر الأربعة قد يطلق عليه الأربعة ، فإذا قال: ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾. امتنع النقص والزيـادة فيهـا . ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ثم قصد إلى خلقها من غير أن يخلق فيما بينها وبين الأرض شـيئا آخـر ونحـوه قولـه : ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ أي : اقـصدوا عبادتـه مـن غـير اعوجـاج، ومعنـى أمـر السماوات والأرض بالإتيان تكونهما على ما أراد ، وكانتا في ذلك كالمـأمور المطيـع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع ، والغرض سرعة امتثال ما أراد من غير تأخر ولا اعتذار ؛ فقال لهما : ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا﴾ وإلا أتيت بكما كرها .

﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ وليس هناك خطاب ولا قول ؛ قال في المثل : قال الجـدار للوتـد : لم تشقني ؟ قال : سل من يدقني[2] (٢٤١/أ) ويحتمل : وافقا أمري ومشيئتي ، ولا تمتنعا

قوله : ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ انتصابهما على الحال ؛ طائعتين أو مكرهتين ، وإنما قال :

﴿طَآئِعِينَ﴾ ولم يقل : طائعات أو طائعتين ؛ لأنه أخبر عنهما بالطوع وهو صفة من يعقل

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾

---

(١) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٨٣) .

(٢)**ينظر في** : الكشاف للزمخشري (٤/ ١٨٩) .

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ يجوز أن يكون ضميراً مبهما يفسره ما بعده . ﴿أَمْرَهَا﴾ ما فيها من مخلوقات الكواكب والملائكة . ﴿وَحِفْظًا﴾أي : وحفظناها أن تقع على الأرض أو حفظناها من استراق ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ [١] .

ويجوز أن يكون مفعولا له ؛ أي : للحفظ .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ﴾ بعد ما سمعوا من الحجج على وحدانيته فحذرهم أن تصيبهم صاعقة ؛ أي : عذاب شديد الوقع كأنه صاعقة . ﴿مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾أتوهم من كل جانب وأعملوا في أمرهم كل حيلة فلم يروا منهم إلا الإعراض ؛ كما حكى عن الشيطان : ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾[٢] وقيل : أنذروهم بهلاك من هلك من الأمم وبيوم القيامة . " أن " في قوله : ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾مخففة من الثقيلة أو بمعنى (أي) ومفعول﴿ شَآءَ﴾محذوف ، أي : لو شاء ربنا إنزال ملائكة لفعل .

وقوله :﴿ بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ليس إقرارًا بالرسالة ، وإنما هو على زعمكم ؛ كقول فرعون : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٣] .

روي أن أبا جهل قال : التبس علينا أمر محمد ، فلو وجدنا من يكشف عن أمره ؟ فانطلق إليه عتبة بن ربيعة فقال للنبي ﷺ : أنت تسفه أحلامنا وتسب آلهتنا ، فإن كان بك الفقر جمعنا لك مالا تستغني به ، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة من خيار قريش . فقال النبي ﷺ :﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ حتى انتهى إلى قوله :﴿ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾فوضع عتبة يده على فم النبي ﷺ ثم ناشده الله والرحم ألا يفعل ، ثم رجع عتبة إلى منزله ولم يأتهم ؛ فظنوا أنه قد صبأ وأسلم ؛ فجاءوا إليه وعنفوه ؛ فحلف بالله لا يكلم محمدًا أبدًا ، وقال : لقد علمتم صدق محمد ، فلما هددنا بصاعقة عاد وثمود خفت أن ينزل بكم العذاب [٤].

---

(١) سورة الصافات ، الآية (٧) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧) .

(٣) سورة الشعراء ، الآية (٢٧) .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٢٧٨) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣١٠) للبيهقي في الدلائل وابن عساكر عن جابر بن عبد الله ﵄.

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨) ﴾

﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تعظموا فيها واستكبروا بما لا يوجب الكبر من كبر الأجساد وكثرة الأولاد فأهلكهم الله .

﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ كانت عاد ذوي قوة ، كان الرجل منهم يقتلع الصخرة العظيمة فيأتي بها إلى منزله ، ومعنى كونه تعالى قويًّا أنه يفعل ما يعجز أرباب القوى عنه . (٢٤١/ ب) والقوة في الآدميين صحة البنية والتمكن من المقدورات .﴿ يَجْحَدُونَ﴾ كانوا يعرفونها وينكرونها وكانوا فجرة فسقة . الصرصر : الريح التي تصوت في هبوبها .

وقيل : الباردة التي تحرق بشدة بردها تكريرا للصر وهو البرد . الأصل في ﴿نَحِسَاتٍ﴾ نحسات : بكسر الحاء فخفف سكونها أو وصف بالمصدر كرجل عدل وفطر وصوم .

وقرئ "لنذيقُهم "[1] الريح أو العذاب أو الأيام النحسات . و﴿عَذَابَ الْخِزْيِ﴾ إضافة الشيء إلى صفته ؛ كأنه قال : العذاب المخزي ، كما تقول : فعل السوء ، أي : الفعل السيء . قوله : ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ إسناد مجازي ، ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ؛ كما تقول : فلان له شعر ، وله شعر شاعر.

﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فاختاروا الضلالة . فإن قيل : معنى هديته أي : حصلت له الهدى ، فكيف يجتمع ذلك مع قوله : ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ ؟ قلت : نزل السبب منزلة المسبب ؛ فجعل الإيضاح والبيان بمنزلة الرشاد نفسه . ﴿صَاعِقَةُ الْعَذَابِ﴾ داهية العذاب ، و﴿الْهُونِ﴾ الهوان ، وهو إما وصف بالمصدر أو بدل منه.

---

(١) **تنظر القراءة في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٤٩١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٤٩) .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤) ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ ۖ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨) ﴾

﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ الكفار من الأولين والآخرين . ﴿يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم ليلحق آخرهم به . و" ما " في قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ زائدة ، أي : تكون الشهادة عليهم وقت مجيئهم النار ، شهادة الأيدي شهادة بالملامسة المحرمة وكل معصية تتعلق باليد من نقل محرم أو وضع اليد على ما لا يسوغ شرعًا . وقيل : أراد بالجلود الفروج . وقيل : الجلود : الأعضاء كلها . ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ عام مخصوص ، تخصص بالحيوان ، وبما تصح منه الحياة والمعنى أن نطقنا ليس بعجب ؛ كما أن نطق سائر المخلوقات كذلك .

﴿ظَنُّكُمُ﴾ و﴿أَرْدَاكُمْ﴾ خبران لـ ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾ . ﴿فَإِن يَصْبِرُوا﴾ لم ينفعهم الصبر ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا﴾ وإن يطلبوا العتبى وهو العود إلى ما كانوا عليه من الخير فما يجابون إلى ذلك ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ أي : سهلنا لهم قرناء ؛ كقوله : ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [(١)] ﴿مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر العاقبة . و﴿الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب. ﴿فِي أُمَمٍ﴾ في جملة قوم آخرين ، وقوله : ﴿فِي أُمَمٍ﴾ حال من الضمير في﴿ عَلَيْهِمُ﴾أي: حق عليهم القول كائنين في جملة أمم .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٣٨) .

﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾ اللغو : الساقط من الكلام ، أي : لا تسمعوا له عند قراءته ، وتشاغلوا عنه برفع الأصوات بالخرافات (٢٤٢/أ) حتى تخلطوا على القارئ قراءته فلا يتمكن من تفهيمها ، وكان يوصي بعضهم بعضا بذلك . ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني : الذين تواصوا باللغو في القراءة ، ويجوز أن يريد جميع الكفار . وقيل :﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ يوم بدر﴿ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في الآخرة . ﴿ذَٰلِكَ﴾إشارة إلى الأسوأ ، ويجب أن يكون التقدير: أسوأ جزاء الذي كانوا يعملون ، حتى تستقيم هذه الإشارة ، و﴿ٱلنَّارُ﴾ عطف بيان للجزاء ، أو خبر مبتدأ محذوف . ومعنى قوله : ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أن النار في نفسها دار الخلد ؛ كقوله : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [١] .

﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ يلغون فيها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

﴿ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ لأن الشياطين إنسي وجني ؛ قال الله تعالى : ﴿ شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ ﴾[٢] وقيل : هما إبليس وقابيل ، فسن إبليس المعاصي ، وسن قابيل القتل بغير حق . وقرئ: "أرْنا " بسكون الراء[٣] ؛ كقولهم في كتِف وكبِد وفخِذ : كتْف وكبْد وفخْذ .

" ثم " في قوله : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ لتفاوت رتب الاستقامة ، ومثله : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾[٤] والمعنى : ثم ثبتوا .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١١٢) .

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وشعبة ويعقوب والسوسي " أرْنا " وقرأ بقية العشرة " أرِنا " .

**تنظر في** : الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٧) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٣٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٦٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٧٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٢٢) .

(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٥) .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : ثم استقاموا فعلا كما استقاموا قولا . وعنه: أنه سألهم عنها ، فقالوا : لم يذنبوا فقال : حملتم الأمر على أشده ؛ فقالوا : فما تقول ؟ قال : لم يرجعوا إلى عبادة الأوثان "[١]. وعن عمر قال : استقاموا على الطريقة ولم يروغوا روغان الثعالب[٢]. وعن عثمان : أخلصوا العمل [٣]. وعن علي : أدوا الفرائض[٤].

وروي أن سائلا قال : يا رسول الله ، مرني بعمل أعتصم به ؛ فقال : " قل آمنت بالله ثم استقم ، قال : فقلت : ما أخوف ما تخاف علي ؟ قال : فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه فقال : هذا "[٥]. ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾عند الموت بالبشرى . وقيل : للبشرى في ثلاث مواطن : عند الموت ، وفي القبر ، وإذا قاموا من قبورهم . أن مخففة من الثقيلة ، أو بمعنى أي ، والخوف : غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن : غم يلحق على أمر قد فات . وقيل : لا تخافوا على ما تقدمون عليه ، ولا تحزنوا على ما خلفتم . ﴿تُوعَدُونَ ﴾ يتمنون ، والنزل : رزق النزيل ، وهو الضيف ، وانتصابه على الحال .

﴿ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٢٢) لابن راهويه وعبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن جرير والحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٤/ ١١٥) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٢٢) لابن المبارك وسعيد ابن منصور وأحمد في الزهد وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٩٩) عن عثمان رضي الله عنه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ١٩٩) عن علي رضي الله عنه بهذا اللفظ . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٢٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما بنحو هذا .

(٥) السائل هو الصحابي : سفيان بن عبد الله الثقفي ، والحديث رواه مسلم في صحيحه رقم (٥٥) ، والترمذي رقم (٢٣٣٤) ،وأحمد في المسند رقم (١٤٨٦٩) ، وابن ماجه رقم (٣٩٦٢) .

ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) ﴾

﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو رسول الله ﷺ دعا الناس إلى دين الحق . وقيل : هم أصحاب رسول الله ﷺ . وقيل : هي عامة في كل من جمع هذه الأوصاف الثلاثة . ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٤٢/ ب) يعني : اعتقد ذلك .

يعني أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما ؛ فإذا وجدت حسنتين إحداهما أعظم أثرا فاختر ما هو أعظم أثرا ، ومثاله: رجل أساء إليك فالحسن أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته ، وأحسن منه ألا تترك وجها من وجوه الإحسان إلا تفعله معه فإذا فعلت انقلب العدو المبين صديقا ، ثم قال : وما يلقى هذه الخصلة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على جهاد النفس وإلا رجل له حظ عظيم من الخير . وقيل : ﴿وَلَا﴾ مزيدة والمعنى : ولا تستوي الحسنة والسيئة . وقيل : ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ الصبر عند الغضب ، والحلم عند الجهل ، والعفو عن الإساءة . وقيل : نزلت في أبي سفيان بن حرب ، وكان عدوا للنبي ﷺ فصار صديقا موافيا[١].

النزغ والنسغ : هما متساويان بمعنى النخس ، والشيطان يبعث على المعصية كما تبعث الدابة بالنخس ، وجعل النزغ نازغا ؛ كقوله : جدَّ جِدُّه ، جعل الجدَّ جادًّا ، والمعنى : إن صرفك الشيطان عن مقابلة السيئة بالحسنة فاستعذ بالله من شره . والضمير في ﴿خَلَقَهُنَّ﴾ لليل والنهار والشمس والقمر وموضع السجدة عند الشافعي :﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ لأن الكلام تم عندها . وقال قوم : موضع السجدة عند قوله :﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ لأنها الآية التي فيها السجود ، واحتج عليه الشافعي بآية النحل ، وهو قوله :﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٢] وبقوله في النمل : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [٣] السجود عند تمام الكلام في هذه المواضع[٤]. وكان قوم من الكفار يسجدون للشمس والقمر ويعتقدون

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٠٠) .

(٢) سورة النحل الآية (٥٠) .

(٣) الآية (٢٦) .

(٤) **ينظر** : الأم للشافعي (١/ ٢٤٢) ، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٢/ ١٣٠) ، حاشية ابن عابدين (٢/ ١٠٤) ، مغني المحتاج للشربيني (١/ ٢١٥) .

إلهيتهما ، وكان قوم آخرون يزعمون أنهم موحدون لكن هذه الكواكب سبب في اشتراك الرزق ودفع الشدائد وواسطة بين الله وبين خلقه . فقيل لهم : اقطعوا هذه الوسائط ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ خالقها .

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ (٣٨) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ (٤١) لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) ﴾

﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ ﴾ لم يعبأ الله بهم ؛ فإن عنده من الملائكة ما لا يحصى عددهم ، وكلهم يسبحون الله ؛ فهو غنيٌّ عن تسبيح هؤلاء . استعير الخشوع للأرض اليابسة التي لم تمطر ؛ كما وصفها بالربو والاهتزاز إذا أخصبت . يقال : ألحد الحافر ولحد : إذا مال في حفره ؛ فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن .

واتصل قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ ﴾ (٢٤٣/أ) بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ ﴾ لأن كليهما تهديد ، وهو بدل منه ، و﴿بِٱلذِّكْرِ﴾ القرآن . ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ محمي بحماية الله ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [1] ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ لا يتطرق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلا ، وهو مثل . فإن قلتَ : قد طعن فيه الطاعنون وتأول فيه المتأولون ؟ قلتُ : لكن الله تعالى قيض طائفة من العلماء انتصبوا للذب عنه ، وأجابوا عن أسئلتهم عليه ، حتى ظهر ضعفها وانزاح باطلها . ما نقول للكفار قومك من الطعن والأذى إلا مثل ما قيل للرسل من قبلك ، تسلية للنبي ﷺ عما كان يلقى من الكفار .

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لأنبيائه ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لأعدائهم ، ويجوز أن يراد : ما ينزل عليك جبريل من الوحي إلا مثل ما كان ينزل على الأنبياء ، والمقول هو قوله : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته .

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٩) .

كان الكفار يتعنتون ويقولون : هلا أنزل القرآن بلغة العجم ؟ فقيل : لو كان الأمر كما زعمتم لم تتركوا الطعن ولقلتم : لولا أنزل مفصلا ، أي : نزل بلسان العرب ليتفقهوه .

﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ إنكار أن ينزل قرآن أعجمي بلغة العرب ؛ أي: لأنكروا وقالوا: أقرآنٌ أعجميٌّ ورسولٌ عربيٌّ ؟! والأعجميُّ : الذي لا يفصح ، والمعنى : إن هؤلاء القوم لا يقطعون التَّعنُّت . ﴿فَٱخْتُلِفَ﴾ فقال قومٌ : هو حقّ ، وقال آخرون : هو باطل ، والكلمة السابقة هي العدةُ بيوم القيامة . ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أي: فلنفسه مَهَّد ؛ قال الله عز وجل : ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (١) ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي : فعليها جنى .

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إذا سئل عنها قيل : ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ .

الكِمُّ بكسر الكاف : وعاء الطلعة ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ يشير بذلك إلى علمه بالجزئيات والكليات ؛ كقوله : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ (٢) ﴿وَظَنُّوا۟﴾ وأيقنوا . والمحيص : المهرب . والقنوط : الذي يظهر عليه أثر اليأس ، وهذه صفة الكافر؛

---

(١) سورة الروم ، الآية (٤٤) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٩) .

بدليل قوله :﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (١). ﴿هَٰذَا لِى ﴾ أي : حقي وصل إليَّ. وقيل : للكافر أمنيتان يقول في الدنيا : ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ ويقول في الآخرة : ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ (٢) ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾ استعير العرض أيضا للكبر ؛ كما في قوله : ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (٣) وقرئ "ناء" (٤) على القلب من نأى .

قوله :(٢٤٣/ب) ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ فيه وجهان : أحدهما : أن يراد بالجانب ذاته ونفسه كما جاء : ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ (٥). وفي المكاتبات بخدم الحضرة أو المجلس والمراد الذات . والوجه الثاني : أن يراد ازوراره وميله ؛ كما قالوا : ثنى عطفه وتولى بركنه . وقوله : ﴿فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ قائم مقام قوله : منكم .

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ ﴾ هو ما فتح الله وسيفتح على المسلمين وخلفائهم من الأقطار المتباعدة والأقاليم المختلفة من بلاد المشرق والمغرب عموما وفي بلاد العرب خصوصا التي لم يتيسر أمثالها لأحد من الخلفاء قبلهم من استيلائهم على ملوك فارس والروم وغيرهم من الملوك .

قوله : ﴿بِرَبِّكَ ﴾ فاعل ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ ﴾. وهو يطلع على حقائق الأمور فيأتي بها على ما يريد . ﴿مُّحِيطٌۢ ﴾ أي : عالم بجمل الأشياء وتفصيلها ، وهو مجازيهم في لقاء ربهم .

* * *

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٧) .

(٢) سورة النبأ ، الآية (٤٠) .

(٣) سورة هود ، الآية (٥٨) .

(٤) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان " وناء " وقرأ الباقون " ونأى " . **تنظر القراءات في** : الحجة لابن خالويه (ص : ٢٢٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٣٨) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٧٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/٤٥٧) ، النشر لابن الجزري (٢/٤٣ - ٤٤) .

(٥) سورة الزمر ، الآية (٥٦) .

## تفسير سورة حم عسق ( الشورى ) [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٥)﴾

﴿حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الوحي أو مثل ذلك الكتاب ﴿يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله فيما سبق في غيرها من السور ، وأوحاه من قبلك إلى رسله ، على معنى أن الله عز وجل كرر هذه المعاني في القرآن وفي جميع الكتب السماوية ؛ لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم بعباده من الأولين والآخرين . ولم يقل : أوحى إليك ، ولكن على لفظ المضارع ؛ ليدل على أن إيحاء مثل عادته . وقرئ "يوحى إليك " [1] على البناء للمفعول .

فإن قلت : فما رافع اسم الله عز وجل على هذه القراءة ؟ قلت : ما دل عليه "يوحى" كأن قائلا قال : من الموحي ؟ قال : ﴿ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ ؛ كقراءة السلمي : " وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ " [2] كأن قائلا قال : من زينه ؟

قال : شركاؤهم . فإن قلتَ : ومن قرأ : "نوحي" بالنون[3]. قلتُ : يرتفع بالابتداء . و﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ وما بعده أخبارٌ ، و﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ صفتان ، والظرف خبرٌ .

---

(١) قرأ بها ابن كثير ، وقرأ بقية العشرة " يوحي " . **تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥٠٨) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٣) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٧٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٠) ، فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٢٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٥٩) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٣٧) وهذه قراءة ابن عامر أيضا ، وقراءة الباقين : (زَيَّن لكثير من المشركين قتلَ أولادِهم شركاؤهم). **تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٤/ ٢٣١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٣/ ١٨٦) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٢٧٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٨) .

(٣) قرأ بها أبو حيوة والأعمش وأبان . **تنظر :** المراجع السابقة .

وقرئ ﴿ تَكَادُ ﴾بالتاء والياء[١] و﴿يَنفَطِرْنَ ﴾ و(تنفطرن) [٢] فجمع بين علامتي تأنيث ؛ تاء المضارعة ، ونون ﴿يَنفَطِرْنَ ﴾ ومثله : الإبل تتشممن ، ومعناه : يكدن يتفطرن من علوِّ شأن الله تعالى وعظمته ، يدل عليه مجيئه بعد ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ وقيل : من دعائهم له ولدًا ؛ كقوله : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ [٣] فإن قلت لم قال : ﴿مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ ؟

قلت : لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال (٢٤٤/أ) والعظمة فوق السماوات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجَّة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه إلا الله عز وجل من آثار ملكوته العظمى ، فلذلك قال :﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾أي: يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية ، أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السماوات فكان القياس أن يقال : من تحتهن ؛ من الجهة التي منها جاءت الكلمة ، ولكنه بولغ في ذلك ، فجُعلت مؤثرة في جهة الفوق ، كأنه قيل : يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهنَّ دع الجهة التي تحتهنَّ ، ونظيره في المبالغة قوله عزَّ وجلَّ :﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ ﴾[٤] فجعل الحميم مؤثرا في أجزائهم الباطنة .

وقيل : ﴿مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ من فوق الأرضين . فإن قلت : كيف صحَّ أن يستغفروا لمن في الأرض ، وفيهم الكفار وأعداء الله ؟ وقد قال الله – تعالى – : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ [٥] فكيف يكونون لاعنين مستغفرين ؟ قلتُ : قوله :﴿ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يدل

---

(١) قرأ نافع والكسائي " يكاد " ، وقرأ بقية العشرة " تكاد " .

**تنظر القراءات في** : تفسير القرطبي (٤/١٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٨) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٤٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٥٢٨/٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٠) ، الكشاف للزمخشري (٢٠٨/٤) ، النشر لابن الجزري (٣١٩/٢) .

(٢) قرأ أبو عمرو وأبو بكر عن عاصم " ينفطرن " وقرأ الباقون " يتفطرن " ورويت قراءة " تنفطرن " عن يونس عن أبي عمرو . قال السمين في الدر المصون للسمين الحلبي (٧٤/٦) وقال ابن خالويه : وهذا حرف نادر ؛ لأن العرب لا تجمع بين علامتي تأنيث .

وفي الآية (٩٠) من سورة مريم ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم وحمزة " ينفطرن " ، وقرأ الباقون " يتفطرن " .

**ينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (٥٢٨/٤) ، الكشاف للزمخشري (٢٠٨/٤) .

(٣) سورة مريم ، الآية ( ٩٠) .

(٤) سورة الحج ، الآية (١٩، ٢٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (١٦١) .

على جنس أهل الأرض ، وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم ؛ فيجوز أن يراد به هذا وهذا ، وقد دلَّ الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون إلا لأولياء الله وهم المؤمنون ، فما أراد الله إلا إياهم ؛ ألا ترى إلى قوله في سورة المؤمن : ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وحكايته عنهم : ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ﴾ [1] ويجوز أن يراد بالاستغفار للعصاة طلب الحلم عنهم وألا يعجل عقوبتهم ، بل يؤخرها إلى يوم القيامة ، وقد مضى في تفسير قوله : ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ وجهان : **أحدهما** : يتفطرون من إجلال الله وعظمته ؛ فعلى هذا يكون الانفطار من إجلال الله وعظمته كذلك ، والملائكة المعظمون جلال الله الحافون حول العرش عندهم من الخوف من الله فوق ما يظن .

**والثاني** : يتفطرن لدعواهم لله ولدًا ، فعلى هذا يكون المراد : تكاد السماوات يتفطرن من إقدامهم على دعوى الشريك والولد لله مع أن الملائكة الحافين حول العرش دائمون على التسبيح الموظف عليهم ، وعلى الاستغفار لأهل الأرض الذين تبرءوا من هذه الكلمة .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ جعلوا له شركاء وأندادًا . ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ رقيب عليهم . قوله ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ أي : وما عليك إلا البلاغ ، ولست بمسؤول عن هؤلاء ، ولا فوض إليك أن تكرههم على اتباع الحق . ومثل ذلك ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من (٢٤٤/ ب) المفعول به وهو قوله :﴿قُرْءَانًا﴾ . ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل أم القرى ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾عذاب يوم الجمع يجتمع فيه الخلق وأهل السماوات وأهل الأرض . وقيل : يجتمع الظالم والمظلوم . ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾اعتراض لا محل له وقرئ ﴿فَرِيقٌ﴾ و"فريقًا"

---

(١) سورة غافر الآية (٧) .

بالرفع والنصب[1] فمن قرأ ﴿فَرِيقٌ﴾ بالرفع فهو مبتدأ والخبر في المجرور ، ومن قرأ بالنصب نصبه على الحال ، وقد وصفهم في الآية بالاجتماع بقوله : ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ووصفهم بالتفرق عند استقرارهم في داري السعادة والشقاوة .

﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾أي : لو شاء مشيئة اختيار ، ولكنه شاء ضلالهم ، قال :﴿ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] ومعنى الاستفهام في قوله :﴿ أَمِ ﴾الإنكار. ﴿فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ وهو وحده قادرٌ على إحياء الموتى خلاف ما دعوه من الأصنام إلها . ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ﴾ ممكن ﴿قَدِيرٌ﴾ ، ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ﴾ أنتم والكفار في شيء من أمور الديانات فعلمه مفوض إلى الله وحده . وقيل : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ ﴾فتحاكموا فيه إلى رسول الله ﷺ ولا تحكموا فيه غيره . وقيل : وما اختلفتم فيه من معاني القرآن فاعرضوه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما وافق ذلك فهو الحق . وقيل : وما اختلفتم فيه من علم لا يطلع عليه العباد فقولوا : الله أعلم ، وذلك كمعرفة الروح . ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾الآية[3]. ولا يجوز حمله على الخلاف في الفقهيات ؛ لأن الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول ﷺ .

﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾من جنسكم ﴿أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾أي : من أنفسها ﴿أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ﴾ينثركم﴿ فِيهِ ﴾ في هذا التدبير. ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له مفاتيح خزائنها ، وهو من باب التمثيل ؛ شبه بمن سلمت له مفاتيح ملك فهو يتصرف فيه . ﴿وَيَقْدِرُ﴾

---

(١) قرأ جمهور القراء " فريق " وقرأ زيد بن علي " فريقا " .

**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥٠٩) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٧٥) ، فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٦١) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (٣٩) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٨٥) .

ويضيق ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم غير مخصوص لا يشذ شيء عن علم الله. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ هي أصول الشرائع والاعتقادات ؛ بخلاف الفقهيات ؛ فإنها مختلفة باختلاف الشرائع ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾ يعني : والذي وصينا .

هؤلاء الأنبياء الخمسة هم مشايخ الأنبياء حتى قيل : إن أولي العزم من الرسل هم (٢٤٥/أ) هؤلاء الخمسة ، وأخرجوا آدم منهم ؛ لقوله : ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ (١) وكذلك أخرجوا يونس ؛ لقوله : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ (٢) وقد ذكر الله هؤلاء الأنبياء الخمسة مرة أخرى في سورة الأحزاب ، قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ (٣) ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ أي : أقيموا ؛ لأن في معنى ﴿شَرَعَ﴾ معنى القول ، وهو من قولهم : قام بالأمر : إذا أتى به على أكمل الوجوه. ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ ولا تختلفوا . ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من الوحدانية .

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ﴾ يصطفي ويختار ﴿مَن يُنِيبُ﴾ من يرجع إليه بالتوبة والعبادة .

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾

---

(١) سورة طه ، الآية (١١٥) .

(٢) سورة القلم ، الآية (٤٨) .

(٣) الآية (٧) .

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بصحة نبوة محمد ﷺ ﴿بَغۡيَۢا﴾ مفعول من أجله ، وكانوا يظنون أن النبي المبعوث في آخر الزمان من أولاد إسحاق ؛ فيكون من بني إسرائيل ، فلما جاء من ولد إسماعيل حسدوا العرب لكونه منهم . ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب إلى يوم القيامة لعاجلهم بالهلاك . ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ﴾ موقع في الريب والقلق وليس الريب الشك ؛ لقوله : ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ﴾ فجعل الريب موجبا للشك ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ أي : فلهذا الدين الحق ﴿فَٱدۡعُ﴾ أي : الناس إلى اتباعه ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ أي : دم على الاستقامة ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من الكتاب والصحف ؛ لقوله : ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[1] ولقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾[2] ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُ﴾ قيل : اللام بمعنى ﴿وَأَنَّ﴾ كقوله تعالى : ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[3] ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾[4] والمشهور أن " كي " مقدرة قبل ﴿أَن﴾ والتقدير : لأن أعدل . قوله : ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ قال بعض من غلط : إن هذه الآية منسوخة لأنها تُفهِمُ المتاركة ، وقد كُلِّف الرسول والمؤمنون بقتال الكفار ، وهذا غلط ؛ لأن عمل رسول الله ﷺ له وعملهم لهم ، ولم يتغير هذا الحكم ولم ينسخ . قوله : ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ (٢٤٥/ ب) أي : من بعد ما أطاعه الناس وأجابوا . الدحض : الزلق ومزلة الإقدام ، سماها حجة وهي باطلة ليست بحجة لأنهم أجروها مجرى الحجة . قوله : ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ قيل : أنزل الميزان من السماء .

وقيل : نزلت الآية من السماء . ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٞ﴾ أي : ذات قرب ، وقوله : ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[5] مثل ذلك . قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ﴾ أي : يجادلون فيها بالباطل . قوله : ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ يرشدهم إلى ما يصلحهم .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٨٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٥٠) .

(٣) سورة الزمر ، الآية (١٢) .

(٤) سورة المائدة ، الآية (٦) .

(٥) سورة الأعراف ، الآية (٥٥) .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ﴾ما نشاء لمن نريد ؛ حمل المطلق على المقيد . ومعنى الهمزة في ﴿ أَمْ ﴾التقرير ، وشركاؤهم : شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث . وقيل : شركاؤهم : أوثانهم ، وأضيفت إليهم ؛ لأنهم اتخذوهم شركاء لله ؛ فكانت سببا لضلالتهم ؛ كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [1] أي : كانوا سببا للضلال . ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ﴾ أي : بتأخير العذاب إلى يوم القيامة﴿ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين ، أو بين الأصنام وعبدتها . ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ في الآخرة : ﴿مُشْفِقِينَ ﴾ من جزاء ما كسبوا .

قوله : ﴿وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ أي : وباله واقع بهم . الروضة : أطيب بقاع الجنة وأنزهها .

﴿ذَٰلِكَ﴾ الثواب ﴿ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ﴾ به ، فحذف الجار لدلالة الكلام عليه ، ثم حذف الراجع كقوله : ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[2] أي : بعثه الله . قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ يجوز أن يكون متصلا ، والتقدير : إلا أن تودوني لقرابتي منكم ، ولم يكن هذا أجرًا في الحقيقة ، ويجوز أن يكون منقطعًا ، أي : لا أسألكم عليه أجرا قط ، ولكني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم ، ومعنى دخول ﴿فِى﴾ في قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أنهم يجعلون القرابة محلا للمودة ؛ كقولك : لي في فلان مودة ، وليست "في" صلة؛ إنما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به ، والقربى : مصدر بمعنى القرابة وروي أنها لما نزلت قالت الصحابة للنبي ﷺ : من ذوو قرابتك الذين أمرنا بمودتهم ؟ فقال : " عليٌّ

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣٦) .

(٢) سورة الفرقان ، الآية (٤١) .

وفاطمة وابناهما "[١]. وقيل : لم يكن (٢٤٦/أ) بطن من قريش إلا ولرسول الله ﷺ مدخلٌ فيه ، والمعنى: أن تودوني في قرابتي ، أي : لأجلها ؛ كقولك : الحب في الله والبغض في الله ، وإذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حقَّ القربى ولا تميلوا كل الميل وقيل : جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ بمال جمعوه ، وقالوا : يا رسول الله قد هدانا الله بك ، وأنت ابن أخينا وتعروك نوائب وليس لك مالٌ تصرفه فيها ؛ فاستعن بهذا المال على ما ينوبك ، فنزلت ورده[٢]. وقيل :﴿ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ التقرب إلى الله ؛ أي : لا تحبوا إلا الله ورسوله .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ هي مودة آل رسول الله ﷺ والظاهر شمول كل حسنة ، لكنها لما جاءت عقيب المودة في القربى صار كأن الآية نزلت فيهم خاصة .

والشكور في صفة الله مجاز، ومعناه الاعتداد بالطاعة وتوفية الثواب . ﴿أَمْ﴾منقطعة للتوبيخ ، والمعنى : أتضيفون إلى النبي الافتراء على الله ؟ وإنما يقع ذلك ممن ختم على قلبه ، والنبي ﷺ قد سطعت أنوار هدايته كما تقول لمن استخان شخصًا ، وزعم أنه أكل ماله والشخص بريء فيقول : إن كان الله ختم على قلبي أو منعت النظر إلى الصواب واعتماد فعله ، وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله . ومن عادة الله محو الباطل ؛ يعني : لو كان كما يزعمون لغلب الحق على باطله فدمغه فهلك ، ويجوز أن يكون ذلك وعدًا بنصرة رسول الله ﷺ ومتابعيه وخذلان الكفرة وإخزائهم .

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ﴾ بما في صدرك وصدورهم ؛ فهو يجري الأمر على ما تقتضيه حكمته . وقال

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٤٧/٣) ، ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣/٧) من رواية حرب ابن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع، وقال الهيثمي : وقد وثِّقُوا كلهم وضعفهم جماعة وبقية رجاله ثقات . ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٤٨/٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس . وقال : بسند ضعيف .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/٢٥) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٣٤٧/٧) لابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قتادة : ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ ينسيك القرآن ويقطع عنك الوحي[١] ، أي : لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك . وقيل : ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم . ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ مرفوع غير مجزوم . تقول : قبلت عن فلان كذا بمعنى : جعلته أول قبول ، وتقول قبلته عن فلان ؛ أي : جعلته واصلا إليَّ من جهته ، و﴿ٱلتَّوْبَةَ﴾ الندم على ما مضى من التقصير والعزم على الإصلاح في المستقبل وأن يقلع في الحال عن المعصية وإن كان في المعصية حقٌّ لآدمي فلابُدَّ من إيفائه أو من الإبراء منه . وروي أن عليا قال لبعض العرب وقد استغفر الله : إن سرعتك بالتوبة بلسانك توبة الكذابين ، وتوبتك هذه تحتاج إلى توبة ، فقال : وما التوبة ؟ فقال: معنىً يشمل أمورًا ستةً (٢٤٦/ ب) على الماضي من الذنوب الندامة ، ولتضييع الفرائض الإعادة , وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية ، وإذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية ، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته[٢] .

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾أي: يستجيب لهم ، فحذف اللام كقوله ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾[٣] أي كالوا لهم ووزنوا لهم .

وقيل : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فاعل ، والذين آمنوا هم المستجيبون لداعي الله ومناديهم المنادي بالإيمان .﴿ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾لظلم بعضهم بعضًا ، وكفى بحال قارون عبرة ، وقال عليه السلام : " أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها "[٤] . أو من البغي وهو البذخ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٢٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٣٥٠) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ، عن قتادة .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٢) .

(٣) سورة المطففين ، الآية (٣) .

(٤) رواه البخاري رقم (٦٤٢٧) ، ومسلم رقم (١٠٥٢) ، وأحمد في المسند (٣/ ٩١) ، والنسائي (٥/ ٩٠) ، وابن حبان رقم (٣٢٢٥) عن أبي سعيد الخدري ﷺ .

والكبر ، أي : لتكبروا فيها . وقيل : نزلت في قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الدنيا والغنى[١] . وقال خباب بن الأرت : فينا أنزلت ؛ نظرنا إلى أموال الكفار وسعتها وتقلباتهم فيها فتمنيناها فنزلت[٢] .

﴿بِقَدَرٍ﴾ أي : بمقدار معين ، ولو أغنى الناس كلهم لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وهو أعلم بمصالحهم . فإن قلتَ : قد نرى الظالم مستمرًا على ظلمه إلى الموت ، ونرى المظلوم مستمرًا على الاستضعاف ؟ قلنا : لا شبهة في أن البغي مع الغنى أكثر ، فلو أغنى الكل لكثر البطر ، وغلب الفساد . ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ وهي آثار المطر من الخصب وسعة الأرزاق . وعن عمر : أنه قيل له : قحط الناس وقنطوا ، فقال : الآن تمطرون ، وتلا هذه الآية[٣] . ويجوز أن يشير بالرحمة إلى جميع أنواعها .

﴿الْوَلِيُّ﴾ يتولى عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ في السماوات والأرض . ﴿وَمَا بَثَّ﴾ يجوز أن يكون مرفوعًا ومجرورًا . فإن قلتَ :﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا﴾ يوجب أن يكون في السماء دواب وليس كذلك ؟ قلتُ : يجوز نسبة الشيء إلى الشيء وهو لبعضه ، ومنه قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾[٤] وإنما يخرجان من الملح دون العذب ، ويجوز أن تكون الملائكة تمشي مع الطيران ؛ فوصفوا بالدبيب .

﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ فما يؤاخذ به . وعن علي ﷺ : " من عفا الله عنه في الدنيا عفا الله عنه في الآخرة " ورواه مرفوعًا بعضهم[٥] . وعنه : " هذه أرجى آية في القرآن "[٦] .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٣٠) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٤٨٣) عن علي بن أبي طالب ﷺ . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٣).

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٥) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير الطبري وابن المنذر.

(٤) سورة الرحمن ، الآية (٢٢).

(٥) رواه الترمذي رقم (٣٢٥٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٥) لأحمد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٦٤٠).

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٦) .

﴿ بِمُعْجِزِينَ ﴾ بفائتين ما قضى عليكم . ﴿مِن وَلِيٍّ ﴾ متول لأمركم .﴿ ٱلْجَوَارِ﴾ السفن وقولهم : الجوارُ بضم الراء كقولهم : الباز الأشهب . ﴿ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ كالجبال ؛ قالت الخنساء (٢٤٧/أ من البسيط ) : ............ كأنه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ [١]

﴿رَوَاكِدَ﴾ثوابت لا تجري . ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ أي : على ظهر البحر . ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على البلاء ﴿شَكُورٍ﴾ على النعماء .﴿ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ﴾ تركد المراكب على ظهر البحر ويرسل الريح عاصفة فيغرقهن ، فإن قلتَ : علام عطف قوله : ﴿يُوبِقْهُنَّ﴾ ؟

قلتُ : على .﴿ يُسْكِنِ ﴾والمعنى : إن يشأ يسكن الريح فيركدن ، أو يعصفها فيغرقن بعصفها . وإن قلتَ : فلم جزم ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ ؟ قلتُ : لأن المعنى : إن يشأ يسكن أو يوبق . وإن قلتَ : فما موجب الحركات الثلاث في ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾؟ قلتُ : أما الجزم فعلى ظاهر العطف ، وأما الرفع فعلى الاستئناف ، وأما النصب[٢] فللعطف على منصوب محذوف ، والتقدير : لينتقم منهم ، ويعلمَ الذين يجادلون .

وأما قول الزجاج[٣]: النصب على إضمار " أن " لأن قبلها جزاء ، تقول : ما تصنع أن أصنعَ مثله وأكرمَك ، وإن شئت: أكرمُك ؛ على : وأنا أكرمُك ، وإن شئت : وأكرمْك جزمًا ففيه نظر ما أورده سيبويه في كتابه[٤] : واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله : إن تأتني آتك ، وأعطيك ضعيف ، وهو نحو قوله [ من الوافر ] :

سَأَتْرُكُ مَنزلي بَنِي تميم     وَأَلْحَقُ بالحجاز فأَسْتَرِيحا[٥]

---

(١) هذا عجز بيت للخنساء في مدح أخيها صخر ، وصدره : أغر أبلج تأتم الهداة به ............
**ينظر في** : تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (٥٣/ ٤٤١) ، تفسير ابن جرير الطبري (٢٥/ ٣٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢٦) ، معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٤٣٢).

(٢) قرأ نافع وابن عامر بالرفع ، وقرأ عاصم وأبو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي بالنصب وقرئ بالجزم .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٧/ ٥٢١) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣١٨) ، الحجة لأبي علي الفارسي (٦/ ١٢٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٨٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨١) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٧٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٧) .

(٣) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٣٩٩) .

(٤) **ينظر** : الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٩) .

(٥) البيت للمغيرة بن حبناء ، **ينظر في** : خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (٨/ ٥٥٢) ، الدرر اللوامع=

فهذا ليس بجد الكلام ولا وجهه ، إلا أنه بالجزاء صار أقوى قليلا ؛ لأنه ليس بواجب أن يفعل إلا أن يكون من الأول فعل ، فلما ضارع الذي لا يوجبه ؛ كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه ، ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد في الكلام ، ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه ، وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة ، فإن قلتَ : كيف وجه المعنى إذا جزمت ﴿ وَيَعْلَمَ ﴾؟ قلتُ : كأنه قال : أو إن يشأ يجمع بين أمور ثلاثة ؛ هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين .

﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ من مخلص ولا ملجأ .

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم ﴾ ضمنت " ما " معنى الشرط ؛ فدخلت الفاء لذلك .

روي أنه اجتمع لأبي بكر الصديق مال فتصدق به كله في سبيل الله فلامه طائفة من المسلمين وخطأه الكافرون ؛ فنزلت[1]. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ ﴾ عطف على ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ وكذلك ما بعده . و معنى ﴿ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ ﴾ الكبائر من هذا الجنس .

وقيل : ﴿ٱلْإِثْمِ ﴾ الشرك . و﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ هم الأخصاء بالمغفرة عند الغضب ، ومثله قوله : (٢٤٧/ ب)﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [2] . ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾أجابوا دعاء داعيه ونزلت في الأنصار ، وكانوا قبل هجرة الرسول ﷺ إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا ؛ فأثنى الله عليهم بذلك [3].

---

= (١/ ٢٤٠) ، شرح شواهد المغني للأزهري (ص : ٤٩٧) ، شرح المفصل لابن يعيش (٧/ ٥٥) ، الكتاب لسيبويه (٣/ ٣٩) ، الكشاف للزمخشري (١/ ٥٥٧) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ١٧٥) ، المقاصد النحوية (٤/ ٣٩٠) ، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٢٥١) .

(١) نسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٢٨) لعلي رضي الله عنه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) في الآية (٣٩) من هذه السورة .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٣٧) عن يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد وقرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ قال فبدأ : بهم ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ ﴾ =

والشورى : مصدر بمعنى التشاور ؛ كما أن الفتيا مصدر . فإن قلت : أيحمدون على الانتصار ؟ قلتُ : نعم ؛ فإن من أخذ حقه ولم يزد عليه ممدوح عند الله بأنه لم يتعد حدوده .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ (٤٣) ﴾

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ ﴾ كلاهما بمعنى ما يسوء الإنسان ؛ لأن من انتقم منه بالحق ساءه ذلك ولم يهن عليه . ﴿فَمَنۡ عَفَا﴾ عمن ظلمه ، ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ ما بينه وبينه ﴿ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ عدة مبهمة عظيمة المقدار . في الحديث : " ينادي مناد يوم القيامة : من كان له على الله حق فليقم ، فيقوم العافون وهم قليل "[(١)].

وقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فيه تلويح ؛ أن من انتصر لنفسه لا يخلو من تحيف وخصوصًا في حال الحرب فربما كان المجازى من الظالمين ، وهو لا يشعر.

﴿بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول . ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى معنى ﴿ مَن ﴾ دون لفظها . ﴿مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ لمن يذمهم :﴿ وَلَمَن صَبَرَ﴾ على الظلم والأذى ﴿وَغَفَرَ﴾ ولم ينتصر ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ ﴾ أي : لمنه ؛ فحذف الراجع والمراد : إنه من جملة الأمور المعزوم عليها . وروي أن رجلاً سب رجلا في مجلس الحسن ، فكظم المسبوب نفسه عن الجواب وعرق ، ثم قام وهو يتلو هذه الآية ، فقال الحسن : عقلها والله [(٢)]. والغفر مندوب إليه ، وقد ينعكس

---

= الأنصار ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ وليس فيهم رسول الله ﷺ ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ ﴾ ليس فيهم رسول الله ﷺ أيضا " .

(١) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٤٣) وقال : " رواه الطبراني في كتاب مكارم الأخلاق والبيهقي في شعب الإيمان في الباب السابع والخمسين وأبو نعيم في الحلية من حديث الحسن عن أنس أن النبي ﷺ قال : " إذا وقف العباد للحساب ينادي مناد هم من كان أجره على الله فليدخل الجنة . فيقال : ومن ذا الذي أجره على الله ؟ فيقول : العافون عن الناس ، فقام كذا وكذا فدخلوها بغير حساب " ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٠٩) لابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٣٠) .

الحال فيصير الانتصار مندوبًا إليه ، وذلك إذا أريد به قطع مادة الفتنة .

روي أن زينب أسمعت عائشة كلامًا يؤلمها فقالت : وكان النبي ﷺ ينظر إليّ ثم أشار إلى عائشة أنْ دونَك فانتصري ؛ ففعلت[١] .

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ (٤٦) ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ (٤٨) لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾

﴿خَٰشِعِينَ﴾ ذليلين ، وقد تعلق ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ بـ " خاشعين " ويوقف على " خاشعين " .

﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي : يبتدئ نظرهم بحركة أجفانهم حركة خفيفة ؛ كما ترى المصبور[٢] ينظر إلى[٣] السيف . وقيل : يحشرون عميا فلا ينظرون إلا بقلوبهم وهو بعيد

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إما أن يتعلق بـ﴿ خَسِرُوٓا۟ ﴾ ويكون ﴿قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ واقعًا في الدنيا.

﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ لا يرده الله بعد ما حكم به ، أو من صلة ﴿يَأْتِىَ﴾ أي : يأتي من الله ما لا مرد له بعد حكمه به . والنكير : (٢٤٨/ أ) الإنكار ، أي : ما لكم من مخلص ، ولا تقدرون أن تنكروا شيئًا مما اقترفتموه ودُوِّنَ في صحائف أعمالكم .

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٩٣) ، وابن ماجه رقم (١٩٨١) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) **المصبور** : يقال : صبره عن الشيء يصبره صبرا حبسه ، والصبر : نصب الإنسان للقتل فهو مصبور . **ينظر** : لسان العرب (صبر) .

(٣) في الأصل : من ، والمثبت كما في الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣١) وهو الأنسب للمعنى .

والمراد بالإنسان في قوله: ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجنس ؛ لقوله : ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [١] ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ﴾ [٢] . والرحمة : النعمة ؛ من الصحة والغنى وغيرهما ، و﴿سَيِّئَةُۢ﴾ البلاء ؛ من المرض والفقر وغيرهما ، والكفور : مبالغة في الكافر ؛ أي : جاحد النعم ينسى النعم . لما ذكر إصابة النعمة والشدة أتبع ذلك بقدرته على أنه يهب لقوم الذكور من الأولاد ولآخرين الإناث . ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ لا يولد له فإن قيل : لم قدم الإناث على الذكور ؟ ولم عرف الذكور بعد ما نكر الإناث ؟ قلنا : أما البداية بالإناث ؛ فلأنه سبق أنه يفيض على قوم نعمًا وعلى قوم خلافها ، فسياق الكلام يرشد إلى أنه يفعل ما يشاء ، لا ما يشاءون ، فقدم الإناث ؛ لأن العرب كانت تعدهن بلاء ثم عاد إلى تقديم الذكور ؛ جريا على الأصل ، وتنبيها على أن تقديمهن لم يكن لشرفهن ، إنما كان لمقتض آخر ، ونوه بذكر ﴿ٱلذُّكُورَ﴾ بالتعريف ؛ لأنهم الأشهر ؛ كما قال : ﴿خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [٣] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾ [٤] .

وقيل : المراد : الأنبياء ؛ حين وهب لشعيب وللوط الإناث ولإبراهيم الذكور ، ولمحمد ﷺ ذكورا وإناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين .

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ (٥١) وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (٥٢) صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ (٥٣) ﴾

﴿وَمَا كَانَ﴾ وما صح ﴿لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ على أوجه ؛ إما على طريق الوحي وهو الإلهام والقذف في القلوب ، أو المنام ؛ كما أوحى إلى إبراهيم في أمر الذبيح ، وكما أوحى إلى أم موسى ، وإما أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام ؛ كما خلق كلامه في الشجرة ؛ كما قال تعالى : ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [٥] وقوله : ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣٤) .
(٢) سورة العاديات ، الآية (٦) .
(٣) سورة النجم ، الآية (٤٥) .
(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .
(٥) سورة القصص ، الآية (٣٠) .

تمثيل ؛ كما يكلم الملك بعض خواصه من وراء الحجب ؛ بحيث يسمع كلامه ولا يرى شخصه ، والله تعالى متعال عن الحجاب ؛ لأن الحجاب يستدعي جسمًا ومكانًا وهما مستحيلان على الله ، وإما أن يرسل إليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك إليه . وقوله : ﴿وَحْيًا﴾ و﴿أَوْ يُرْسِلَ﴾ مصدران واقعان موقع الحال .﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ظرف واقع موقع الحال . والتقدير : وما صح أن يكلم أحدًا إلا موحيا أو مسمعًا من وراء حجاب أو مرسلا ؛ تقول : قلتُ لفلان كذا . وإنما قاله من سواك .

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ سمي الوحي روحًا ؛ لأن القلوب تحيا به كما تحيا الأبدان بالأرواح (٢٤٨/ ب) فإن قلتَ : قد علم أن رسول الله ﷺ ما كان يدري ما القرآن والشرائع قبل أن يبعث ، فما معنى قوله : ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ولا يجوز أن يكون النبي مخلاً بالإيمان لا قبل النبوة ولا بعدها ؟ قلتُ : أصول العقائد على قسمين : منها ما يدرك بالعقل وحده ؛ كوجود الله وتوحيده وعلمه وقدرته . ومنها ما لا يدرك إلا بالسمع ؛ كقيام الساعة وصفة الجنة والنار؛ فأراد بقوله : ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ما لا يطلع عليه إلا بالوحي ألا تراه قد وصف الصلاة بالإيمان بقوله :﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [(١)] أي : الصلاة لبيت المقدس .

* * *

(١) سورة البقرة ، الآية (١٤٣) .

## تفسير سورة الزخرف [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)﴾

أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن ، وجعل قوله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ جوابا للقسم وهو من الأيمان البديعة ؛ لتناسب القسم والمقسم عليه ، وهو كقول أبي تمام [من الخفيف] :

وثناياكَ إنها إغريضُ .................[(١)]

﴿جَعَلْنَاهُ﴾ وصفناه ؛ كقوله : ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾[(٢)] ﴿جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[(٣)]

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال . و﴿لعل﴾ مستعارة لمعاملتهم معاملة من يريد منهم الإيمان .

﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢)﴾

والمراد بـ ﴿أُمِّ الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ، سمي أم الكتاب ؛ لأنه الأصل الذي كتب منه كل شيء . ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو حكم بالغة ، والفاء عطفت على محذوف تقديره : أنمهلكم

---

(١) هذا صدر بيت وعجزه : ............ ولآل قوم وفرق وميس . **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣٦) قال ابن منظور في لسان العرب (غرض) : " **الإغريض** : كل أبيض مثل اللبن وما ينشق عنه الطلع " . **والميس** : التبختر والتمايل والتثني في المشي . اللسان (ميس) .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (١٩) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٩١) .

فنضرب عنكم الذكر ؟ و﴿صَفْحًا﴾ على وجهين ؛ إما مصدر من : صفح عنه ؛ إذا أعرض ، منتصب على أنه مفعول له ، على معنى : أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضا عنكم ؟ وإما بمعنى الجانب كقولك : نظر إليه بصفح وجهه ؛ بمعنى : أفننحيه جانبا ؟ فينتصب على الظرف . ﴿أَن كُنتُمْ﴾ لأن كنتم . فإن قلتَ : كيف استقام قراءة من قرأ: "إن كنتم" على الشرط [1] وقد كانوا مسرفين حقًا ؟ قلتُ : هو من الشرط الذي ذكرت أنه يصدر عن الحال ؛ تقول : إن كنت قد عملت لك اليوم فأعطني حقي وهو عالم أنه قد عمل ، ولكنه تخيل في كلامه أن هذا المَطْلَ يقتضي أنك شاك في أنني قد عملت لك .

﴿وَمَا يَأْتِيهِم﴾ حكاية حال ماضية مستمرة ، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء قومه . الضمير في قوله : ﴿أَشَدَّ مِنْهُم﴾ للمسرفين ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي : قد سبق ذكر المهلكين وتكذيبهم وعقوبتهم .

فإن قلتَ : قوله﴿ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وما سرد (٢٤٩/أ) من الأوصاف عقيبه إن كان من قولهم ؛ فما تصنع بقوله : ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ؟ وإن كان من قول الله ؛ فما وجهه ؟ قلتُ : هو من قول الله تعالى لا من قولهم ، ومعنى قوله : ﴿لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لينسبن خلقها إلى الذي هذه أوصافه ، وليسندنه إليه

﴿بِقَدَرٍ﴾ بمقدار يسلم معه العباد والبلاد ولم يكن طوفانا . والأزواج : الأصناف .

قوله : ﴿تَرْكَبُونَ﴾ يقال ركبت الدابة وركبت عليها ، وغلب ها هنا المتعدى بنفسه ؛ لأنه أقوى ، ومعنى ذكر نعمة الله ذكرها بالتعظيم والثناء على معطيها بالقلب ويقرن ذلك بالعمل شكرًا لله .

﴿ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

روي " أن النبي ﷺ كان إذا وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فإذا استوى على

---

(١) قرأ " إن " بالكسر على الشرط نافع وحمزة والكسائي وقرأ الباقون " أن " بالفتح .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٩٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/٢٣٧) .

الدابة قال : الحمد لله على كل حال : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا﴾ إلى قوله ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا[١] . قالوا: إذا ركب في السفينة قال : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢] وهذا مشكل ؛ لأن النبي ﷺ لم ينقل أنه سافر في بحر. وروي أن الحسين بن علي رأى رجلاً ركب دابة ، فقال الرجل : سبحان الذي سخر لنا هذا ؛ فقال الحسين : أبهذا أمرتم ؟ قال : فبماذا أمرنا ؟ قال : أن تذكروا نعمة ربكم ؛ كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه[٣]. ﴿مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين ؛ يقال: أقرن الشيء؛ إذا أطاقه ومنه قوله [ من الطويل ] :

وَأَقْرَنْتُ مَا حَمَّلْتني وَلَقَلَّمَا يُطَاقُ     احْتَمالُ الصَّدِّ يا دَعْدُ والهَجْرُ[٤]

فإن قلتَ : كيف اتصل هذا بقوله :﴿ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾؟ قلتُ : لما كان ركوب الخيل والبحر أمرًا مخطرًا ذكَّر الله الإنسان أن يجدد ذكر ذلك لنفسه ، وألا يكون كما حكي أنَّ مترفًا ركب في مركب إلى مكان مسيرة شهر فلم يزل هو وأصحابه يشربون حتى استقر في منزله ولم يشعر بسفره ولا قدومه ، فكم بين هؤلاء وهؤلاء ؟

قوله : ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ متصل بقوله : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾أي : إذا سئلوا عنها اعترفوا بأن الله خالقها ، وهم قد جعلوا له مع ذلك من عباده جزءًا ، وهو قولهم : الملائكة بنات الله ؛ فجعلوهم جزءًا له وبعضًا كسائر الأولاد . ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وزعمهم أن هذه لغة العرب ؛ يخصون الأنثى باسم الجزء وأنشدوا [من البسيط ] :

إن أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلاَ عَجَب     قَدْ تُجزِئُ الحُرَّةُ المذكَارَ أَحيانًا[٥] (٢٤٩/ ب)

---

(١) رواه أحمد في المسند ( ١/ ٩٧ ، ١١٥) ، وأبو داود رقم (٢٦٠٢) ، والترمذي رقم (٣٤٤٦) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٢٦٩٧) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩٨) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٤٩٨) ، وصححه الترمذي والحاكم والشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٧٤٢).

(٢) أورده ابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٥٠٢) وفي سنده جبارة بن المغلس وهو ضعيف ، وفيه كذلك يحيى بن العلاء ومروان بن سالم وهما متهمان بالوضع .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧١٧) ونسبه لابن جرير وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) البيت لابن هرمة ، **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٠).

(٥) **ينظر البيت في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤١) ، لسان العرب (جزأ) .

وأنشدوا [ من البسيط ] :

زَوَّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مُجْزِئَةً[1]

وما هو إلا افتراء على العرب . ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ ظاهر جحوده النعم .

﴿ وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ أَمِ ٱتَّخَذَ ﴾ بل اتخذ ، الهمزة للإنكار ؛ تعجيبًا من حالهم ؛ كيف يتخذ من خلقه ؟! فجعلوا الله الإناث وهو أنقص القسمين .﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾ خصكم بالذكور وهم القسم الأفضل .

﴿بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا﴾ أي : بالجنس الذي جعلوه جزءًا ، ولقد بلغ من بغضهم للبنات أن وأدوهن ، وهم ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾أربدّ وجهه وسخط . وعن بعض العرب أن امرأته ولدت بنتًا فهجر منزل امرأته ، فقالت لتسمعه [ من الرجز ] :

مَال أَبي حَمْزَةَ لاَ يَأْتِينَا   يَظَلُّ في البيْتِ الذي يَلِينَا   غَضْبَانَ أَلاَ نلدَ البَنينا

لَيْسَ لَنا من أمرنا ما شينا   وَإنَّما نأخُذُ ما أُعطينا[2]

والظلول بمعنى الصيرورة ؛ كما تستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها .

وقرئ: "مسود" و﴿مُسْوَدًّا﴾ بالرفع[3] على أن في﴿ظَلَّ﴾ ضمير المبشر، و﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ جملة سدت مسد الخبر . أو يجعل من تربى في النعمة ولم يكن متقدمًا في الفصاحة ولا غالبًا في المحاكمات والخصومات ، أتجعل مثل هذا ولدًا لمالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء . نُقِل قلّما تكلمت امرأة في خصومة إلا نطقت بما هو حجة عليها ، وهو معنى

---

(١) هذا صدر بيت نسبه ابن منظور لأبي حنيفة وعجزه : للعوسج اللدن في أبياتها زجل .
**ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤١) ، لسان العرب (جزأ)
**والمعنى** : امرأة غزّالة بمغازل سويت من شجر العوسج .

(٢) **ينظر الشعر والقصة في** : روح المعاني للألوسي (٢٥/ ٧٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٣) .

(٣) **تنظر القراءة في** : تفسير القرطبي (١٦/ ٧٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٢) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ٢٠٢) .

قوله : ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ وفيه أنه جعل النشأة في النعمة والزينة من المعايب والمذام وأنه من صفات ربات الحجال ؛ فعلى الرجل أن يتبرأ من هذه الصفة وتمثيل قول عمر : " اخشوشنوا "[1] أي : كونوا في عيش خشن ؛ في المأكل والملبس . جمعوا بين ثلاثة أمور منكرة : أن جعلوا لله ولدًا ، وجعلوه من أخس الفريقين وهم الإناث ، وسبوا الملائكة فجعلوهم إناثًا .

﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

ومعنى ﴿جَعَلُوا۟﴾ سموا ، ولم يصيِّرْ لله بنات ؛ كقوله : ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾[2] وقوله : ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ تهكم لأن العلم إنما يكون بالصيرورات أو بالنظريات ، وهذا ليس بواحد منهما فلم يبق إلا أن يكون مشاهدًا ، فتهكم بهم بقوله : ﴿أَشَهِدُوا۟﴾. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ﴾ بما ذُكِرَ من غير مستند ، وقد أضافوا إلى ما سبق عبادتهم الملائكة (٢٥٠/أ) ودعواهم أن ذلك وقع بمشيئة الله ، ولا يقع شيء في الوجود إلا بمشيئة الله ؛ ولكن لا يجوز الاحتجاج على الله بمشيئة ؛ فالغلط وقع بالاحتجاج بالمشيئة لا بنفس المشيئة .

﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ من قبل القرآن شهد بصحة ما قالوه . ثم ذكر استناد عقائدهم إلى عقائد آبائهم بقوله : ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي على دين انفردوا به . و﴿عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ و﴿مُّهْتَدُونَ﴾ خبران ، أو الظرف صلة لـ" مهتدون " . ﴿مُتْرَفُوهَآ﴾ الذين أبطرتهم النعمة فلا يحبون إلا الشهوات . أي : أتتبعون

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/١٧٨) .

(٢) سورة الحجر ، الآية (٩١) .

آباءكم ولو جئتكم بأقوى وأرشد مما عليه آباؤكم ؟ قالوا : نحن لا ننفك عن دين آبائنا. ﴿بَرَآءٌ﴾ يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع والإفراد .

قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ يجوز أن يكون استثناء منقطعًا منتصبًا بذلك ، وأن يكون مجرورًا بدلا من ﴿مِّمَّا﴾ ، وكانوا يعبدون الله مع أوثانهم ، وأن تكون ﴿إِلَّا﴾ بمعنى غير كقوله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١] بمعنى غير الله . قال في موضع : ﴿يَهْدِينِ﴾[٢] وقال ها هنا ﴿سَيَهْدِينِ﴾ والجمع بينهما بأن يكون إبراهيم معترفًا بأن الله هداه وبأنه سيهديه من المستقبل . وجعل إبراهيم هذا الكلام من التوحيد ﴿كَلِمَةً﴾ أي : جملة مفيدة﴿بَاقِيَةً﴾ في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ؛ كقوله : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾[٣] . وقيل : وجعلها الله .

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾متعتهم بالمال والغنى فلم يقوموا بما قرره إبراهيم من التوحيد فكذبوا الرسول به . ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ القريتان : مكة والطائف . وقيل : ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾هما: الوليد بن المغيرة ، وحبيب بن عمير الثقفي . وعن ابن عباس ومجاهد : هما عتبة بن ربيعة وكنانة ابن عبد ياليل[٤] وكان عتبة يقول : لو كان ما يقول محمد حقًا لكنت أنا أحق بالنبوة منه ، أو ابن مسعود الثقفي . وعظموا الرجلين لمالهما وجاههما ، ولم يعلموا أن العظيم من عظمه الله ، وتحكموا في تعيين أحد هذين الرجلين

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٢٢) .

(٢) وهو قوله – تعالى – : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ سورة الشعراء ، الآية (٧٨) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٣٢) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ٦٥)، قال الطبري في تفسيره (٢٥/ ٦٦) : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبرا عن هؤلاء المشركين ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ إذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه ولا على لسان رسوله ﷺ والاختلاف فيه موجود على ما بينت " .

للنبوة . ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ ﴾ الهمزة للإنكار ؛ أي : وإذا كانت الأرزاق والمعايش قد تولينا قسمتها ولم نفوضها إلى أحد ؛ فما ظنك بالنبوة التي (٢٥٠/ب) هي سفارة بين الله وبين خلقه ؛ فالله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ؟

ليسخَّر الغنيُّ من الفقير ، ويسخِّر الغنيُّ الفقيرَ بفضل ذات يده . ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ في الآخرة ﴿ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ في الدنيا . وقيل : ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ﴾ في الدنيا بالهداية ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾﴿ لِبُيُوتِهِمْ ﴾ بدل اشتمال بإعادة العامل ، ويجوز اللامان ؛ كما في قولك : وهبت له ثوبًا لقميصه .

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾

والمعارج : جمع معرج ، أو اسم جمع ، وهي المصاعد ؛ أي : العلالي . ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ يعلون ؛ قال الله : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ (١) ﴿لَمَّا مَتَٰعُ ﴾ اللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة . وقرئ بكسر اللام(٢) أي : الذي هو متاع الحياة الدنيا ؛ كقوله : ﴿مَّا بَعُوضَةً ﴾ (٣) بزيادة " ما " .

﴿ وَلَوْلَآ ﴾كراهة ﴿أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ ﴾ كلهم على ملة واحدة ، وهي الكفر ، لوسعنا على الكفرة أكثر مما وسعنا ؛ لحقارة أمر الدنيا عنده . ﴿ وَزُخْرُفًا ﴾ أي: زينة ، والزخرف : الذهب ، ويريد : وسقفا من فضة وذهب ، وخفض عطفًا على محل ﴿مِّن فِضَّةٍ ﴾ . وفي

---

(١) سورة الكهف ، الآية (٩٧) .

(٢) قرأ بها رجاء بن حيوة . وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلف عنه وابن جماز " لما " . وقرأ بقية العشرة " لَما " بفتح اللام . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٤٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٧) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٢٩١) .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٦) .

الحديث : " لو وزنت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء "[١].

تقول : عُشِيَ فلان : إذا أصاب بصره آفة ، فأما إذا نظر نظرة العَشَى من غير آفة قيل : عشى يعشو ، ونظيره عرج ؛ إذا أصابته آفة ، وعرج - بفتح الراء - : إذا مشى مشي الأعرج ، وقال حاتم الطائي [ من الكامل ] :

أَعْشُو إِذَا مَا جَارَتِي بَرَزَتْ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الخِدْرُ[٢]

وقرئ: "يعشَ " بفتح الشين و﴿يَعْشُ﴾ بضمها[٣] على أن ﴿مَن﴾موصولة ، ومعنى القراءة بالفتح : ومن يعم ﴿عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ﴾وهو القرآن . وأما قراءة الضم فمعناها: ومن يتعام عن ذكره .﴿ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ نيسره . وقرئ "جاءانا " [٤]على أن الفعل له وللشيطان . ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ يريد : المشرق والمغرب ؛ فغلب كالعمرين والقمرين ، والأصل بعد المشرق من المغرب ، وأراد : بعد ما بينهما . ﴿أَنَّكُمْ﴾ في محل رفع على الفاعلية ؛ أي : ولن ينفعكم اشتراككم في العذاب فالمعذب ، إذا وجد آخر مثله يتسلى به ويستأنس . وقد حرم الله على أهل النار لذة التأسي ، وقد قالت الخنساء (٢٥١/أ) [ من الوافر ] :

وَلَوْلا كَثْرَةُ الباكِينَ حَوْلِـي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يبكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلكن أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأَسِّي[٥]

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٣٢٠) ، وابن ماجة رقم (٤١١٠) ، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦) ، وصححه الترمذي ، والشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٦٨٦) .

(٢) **ينظر البيت في** : الاستذكار لابن عبد البر (٨/ ٣٦٧) ، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤) ، تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (١١/ ٣٧٤) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥١) ويروى بدل " أعشو " في الاستذكار : أعمى ، وفي تاريخ دمشق : أغضي . ورواية الكشاف " أعشو " كما هنا .

(٣) قرأ جمهور القراء " يعشُ " وقرأ ابن عباس وعكرمة " يعشَ " . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٨٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٠) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٢) .

(٤) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة وأبو جعفر ، وقرأ بقية العشرة " جاءنا " .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢١) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٨٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٩) .

(٥) **تنظر الأبيات في** : الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٧/ ٦١٦) في ترجمة الخنساء ، البحر=

ولك أن تجعل الفاعل التمني ؛ أي : ولن ينفعكم اليوم التمني ، وهو قوله :﴿ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾.

﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

وقوله : ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ تعليل لامتناع الانتفاع بالتمني . ومعنى قوله : ﴿إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾ إذا صح ظلمكم ، و﴿إِذ﴾ بدل من﴿ٱلْيَوْمَ﴾ ، ومنه قول الشاعر [ من الطويل ] :

إذا ما انتسبْنا لمْ تلدْني لئيمةٌ[(١)]

أي : تبين أني ولد كريمة .

﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ﴾ أي : لا يقدر على إسماعهم إلا الله وحده . ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ ﴾ بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت النون المؤكدة معها ، فإما بقبضك إلينا قبل أن ترى فيهم ما يسرك ؛ فنحن نتولى عقوبتهم في الآخرة ، وإن عوقبوا في الدنيا، وعلمت بذلك سُرِّيَ عنك بعض الغم .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾ أي : لشرف .﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ عن القيام بحقه . ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا ﴾ قيل : انظر في أديانهم وما جاء فيها من الاعتقادات ، هل فيها شيء من أغاليطهم .

وقيل : إن رسول الله ﷺ جمع له الأنبياء ليلة المعراج ، فأمهم . وقيل له : اسأل ، فقال : " إني لم أشك ، فلم يسأل "[(٢)]. وقيل : اسأل أمم من أرسلنا.﴿ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ يسخرون ويستهزئون .

---

= المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٩٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٣) .

(١) صدر بيت لزائد بن صعصعة ، وعجزه : ولم تجدي من أن تقري به بدا .

**ينظر في :** تفسير الطبري (١/ ٣٢٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠) ، معاني القرآن للفراء (١/ ٦١) ، المغني لابن هشام (١/ ٢٥) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٢٦) ونسبه لابن المنذر .

فإن قلتَ : كيف يجوز أن يجاب " لما " بـ " إذا " ؟

قلتُ : إذا للمفاجأة ، والمعنى أنهم بادروا بالاستهزاء قبل التثبت .

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾﴾

ومعنى ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾أي : إلا وهي أكبر مما يقرن بها ، فلا يعارض قوله : هي أكبر من أختها التي فضلت عليها ؛ لأن المقصود وصفها بالكبر والعظم ، فلا تعارض إذن . وربما اختلفت آراء الناس في التفضيل ؛ فبعضهم يرجح هذا وبعضهم يرجح ذاك ، ولهذا فاضلت الأنمارية بين أولادها لما سئلت عن أفضلهم ، فقالت : هم كالحلقة ، لا يدرى أين طرفاها[1] .

لفظ ﴿ٱلسَّاحِرُ﴾ حمل على ظاهره ، وكانوا كاذبين في قولهم :﴿ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ ناوين للخلف ؛ لقوله :﴿ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾. وقيل : إن الساحر كان اسمًا للعالم الفاضل ، وكان السحر أبهة ؛ فعظموه في زعمهم بقولهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ . ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بما أعلمك أن دعوتك مستجابة ، أو بعهده عندك وهو النبوة ، أو عهد عندك فوفيت ، أو : هو الإيمان وشرائعه ، أو : ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أن من تاب (٢٥١/ ب) عن المعصية فقد اهتدى . ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ أمر بالنداء في مجالسهم ومجتمعهم ، ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فرفع فرعون صوته بهذا النداء يشبه النداء . قيل : كانت تجري تحت قصره أو تحت سريره ، أو : تجري بأمره حيث يأمر بكسرها ، ويجوز أن تكون الواو عاطفة الأنهار على ﴿مُلْكُ مِصْرَ﴾ و﴿تَجْرِى﴾ نصب على الحال منها ، وأن تكون الواو للحال واسم الإشارة مبتدأ ، و(الأنهار) صفة لاسم الإشارة ، و﴿تَجْرِى﴾ خبر للمبتدأ .

" أم " في قوله : ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ﴾للاستفهام ؛ لأن المعنى : أتبصرون أم لا تبصرون ؟ فقد

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٥٦) ، والمباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٨ ، ١٣٩) ، والمناوي في فيض القدير (٢/ ١٨٥) **والمعنى** : الكمال ، فلا يفضل طرف على آخر .

أقام بصرهم مقامه أن فيه الخير موجودًا عنده ، ويجوز أن تكون منقطعة والهمزة للتقرير ﴿مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ﴾ يشير إلى موسى ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ لا يفصح عما يريد العبارة عنه للعقدة التي كانت في لسانه ، واختلف العلماء فيها ؛ فقال قوم : إنها زالت لقوله تعالى : ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾[١] ثم قال : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[٢] وقال قوم : إنها ذهب أكثرها وبقي باقيها ؛ ولهذا قال موسى : ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾[٣] فلم يصف نفسه باللكنة ، بل وصف أخاه بالفصاحة .

﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾[٤] أي : هلا سلمت المملكة إليه ، أو: هلا جاء معه الملائكة مقترنين به عند قدومه .

﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

---

(١) سورة طه ، الآية (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) سورة طه ، الآية (٣٦) .

(٣) هذه قراءة عامة القراء " أساورة " بالجمع إلا حفص عن عاصم فقرأ " أسورة " بالإفراد . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٣) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٨) قال الطبري في تفسيره: (٢٥/ ٨٢ – ٨٣) : "وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي ما عليه قراءة الأمصار وإن كانت الأخرى صحيحة المعنى . واختلف أهل العربية في واحد الأساورة والأسورة ؛ فقال بعض نحويي البصرة : الأسورة : جمع إسوار ، والأساورة : جمع الأسورة ، وقالوا : من قرأ ذلك أساورة فإنه أراد أساوير ، والله أعلم ، فجعل الهاء عوضا من الياء مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضا من الياء التي في زناديق . وقال بعض نحويي الكوفة : من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ، ومن قرأ أسورة جعل واحدها سوار ، وقالوا : قد تكون الأساورة جمع أسورة كما يقال في جمع الأسقية الأساقي ، وفي جمع الأكرع الأكارع . وقال آخر منهم : قد قيل في سوار اليد يجوز فيه أسوار وإسوار ، قال : فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه . وحكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول : واحد الأساورة إسوار ، قال : وتصديقه في قراءة أبي بن كعب: "فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب" فإن كان ما حكي من الرواية من أنه يجوز أن يقال في سوار اليد إسوار فلا مؤونة في جمعه أساورة . ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب برواية عنها وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الإسوار الرجل الرامي الحاذق بالرمي من رجال العجم ، وأما الذي يلبس في اليد فإن المعروف من أسمائه عندهم سوارا ، فإذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذي ذكرنا قوله في ذلك " .

(٤) سورة القصص ، الآية (٣٤) .

﴿ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ ﴾ حملهم على الخفة والطيش . ﴿ءَاسَفُونَا ﴾ أغضبونا .

﴿سَلَفًا ﴾ يحدث بحديثهم بعدهم ويهدد بأنه من عصى الله حقيق بأن يقع به مثل العذاب . ولما نزل ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ [(١)] قال ابن الزبعري : اليوم أخصم محمدًا إن خصمته يومًا من الدهر ، فجاء إلى النبي ﷺ ومعه جماعة ؛ فقال : إنك تزعم أنه أنزل عليك ﴿ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ أليس قد عبد المسيح عيسى ابن مريم ؟ أليس قد عبد العزير ، وعبدت الملائكة ؟ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن تكون آلهتنا معهم ! فسكت النبي ﷺ وصفق المشركون وفرحوا ، فأنزل الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ [(٢)] أو من هؤلاء المعبودين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا﴾ عن النار ﴿مُبۡعَدُونَ ﴾

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

والمعنى : ولما ضرب عبد الله بن الزبعري عيسى بن مريم مثلا جادل رسول الله ﷺ بعبادة النصارى إياه﴿إِذَا قَوۡمُكَ ﴾ قريش ﴿مِنۡهُ يَصِدُّونَ ﴾ يرفعون أصواتهم ، ومنه ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗ ﴾[(٣)] (٢٥٢/أ) ومن قرأ "يصُدون " [(٤)] فهو من الصدود . ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ﴾ مثلا ﴿إِلَّا جَدَلَۢا ﴾ مغالبة للحق بالباطل لا تمييزه .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٩٨) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (١٠١) والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٥٣) ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٢) ، وذكره الهيثمي أيضا في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٧) ونسبه لأحمد والطبراني ، وقال : وفيه عاصم بن بهدلة ؛ وثقه أحمد وغيره وهو سيئ الحفظ وبقية رجاله رجال الصحيح . ورواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٣١٤) رقم (٦١٦) و (ص : ٣٩١) رقم (٧٤٠) وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٦٠٧) ونسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وأبي داود في ناسخه والحاكم .

(٣) سورة الأنفال ، الآية (٣٥) .

(٤) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وأبو جعفر وخلف " يصُدون " وقرا بقية العشرة " يصِدون " .

**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٥) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢٢) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٥٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٤) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٨٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٦٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٦٩) .

﴿خَصِمُونَ﴾ شداد الخصومة ؛ كقوله : ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [(١)]

لما رأى ابن الزبعرى لفظًا محتملاً للعموم مع علمه بأن المراد الأصنام ، والظاهر أن لفظة (ما) لغير العقلاء ؛ فتدخل فيه الأصنام .

وقيل : إنهم لما قالوا لما نزل قوله : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [(٢)] قالوا : نحن خير من النصارى ؛ إنهم عبدوا آدميا ، ونحن عبدنا الملائكة ؛ فنزلت[(٣)].

وقوله : ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ﴾ هذا تفضيل لآلهتهم على عيسى ، ويجوز أن يكون "جدلا" حال ؛ أي : جدلين . وقيل : قالت قريش : إن محمدًا يريد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى وهو بشر . وقوله : ﴿أَمْ هُوَ﴾ يعنون محمدًا ﷺ ومقارنة النبي بآلهتهم تنقيص من جانب النبي ﷺ .

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿إِنْ هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة وخلقناه من غير أب ، وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل السائر ، ولو نشاء لفعلنا كل عجيب . ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾ يخلفونكم في الأرض ؛ كما تخلفكم الأولاد .

﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي : هو شرط من أشراط الساعة ، وعلامة من علاماتها ، وسمي الشرط علمًا لحصول العلم به ، وقرأ ابن عباس بفتح اللام[(٤)] أي :

---

(١) سورة مريم ، الآية (٩٧) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (٥٩) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٠) .

(٤) وقرأ بها أيضا أبو هريرة وأبو مالك الغفاري وقتادة ومالك بن دينار والضحاك وزيد بن علي .

**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٦) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٠٥) ، الدر المصون=

علامة . وفي الحديث : " ينزل عيسى على عقبة من الشام يقال لها: أفيق . وبيده حربة يقتل بها الدجال ، ويقتل الخنزير ، وتهلك في أيامه الملل ، ولا يبقى إلا الإسلام "[١] .

وقيل : ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن القرآن لعلم للساعة يعرف بها . ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ﴾ فلا تشكن ﴿وَٱتَّبِعُونِ﴾ أي : هداي أو شرعي أو رسولي . وقيل : هذا أمر لرسول الله ﷺ أن يقوله . ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات ، أو بآيات الإنجيل .﴿ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ بالإنجيل والشرائع . فإن قيل : لم اقتصر على تبيين بعض الذين اختلفوا فيه ؟ قلنا: يريد به أمر الديانات ، ولا يتعرض لما لا ضرورة إليه من أمور الدنيا . ﴿ٱلْأَحْزَابُ﴾ الفرق المتحزبة بعد عيسى .

وقيل : اليهود والنصارى . ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وعيد للأحزاب ، والضمير في﴿ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ يرجع إلى الذين خاطبهم عيسى في قوله :﴿ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ . ﴿أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً﴾بدل من ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ .

وقوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يعطي أمرًا زائدًا على قوله : ﴿بَغْتَةً﴾لأن قوله : ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يظهر في معايشهم وجدالهم في الدنيا ، و﴿بَغْتَةً﴾ بغير موعد ، ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون ليسوا في (٢٥٢/ب) خصام .

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

---

= للسمين الحلبي (٦/ ١٠٦) ، فتح القدير(٤/ ٥٦٢) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٤) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٧) ، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧/ ٢٢٢) .

(١) رواه البخاري رقم (٢٢٢٢ ، ٢٤٧٦) ، ومسلم رقم (١٥٥) ، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٠ ، ٢٧٢) ، والترمذي رقم (٢٢٣٣) ، وابن ماجه رقم (٤٠٧٨) ، وابن حبان رقم (٦٨١٨) .

﴿يَوۡمَئِذِۭ﴾ منصوب بـ "عدو" فتنقطع في ذلك اليوم كل خلة لا يراد بها وجه الله ، وأما الخلة في الله فهي باقية يظهر أثر خيرها في الآخرة . وقيل :﴿ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ الذين اجتنبوا أخلاء السوء . وقيل : نزلت في أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط[1].

وينادي المتقون المتحابون في الله : ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾. و﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾محله نصب ؛ صفة لـ ﴿عِبَادِى﴾ فإنهم صدقوا بالآيات وكانوا مخلصين . وقيل : إذا نادى المنادي : ﴿ يَٰعِبَادِ ﴾ طمع فيها كل أحد ؛ فإذا قال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يئس منها الكفار .

﴿تُحۡبَرُونَ ﴾ تسرون سرورًا يظهر أثره على وجوهكم ؛ كقوله : ﴿تَعۡرِفُ فِى وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [2] وقال الزجاج[3] : ﴿تُحۡبَرُونَ ﴾ تكرمون إكرامًا يبالغ فيه ، والحبرة : المبالغة في كل ما وصف بجميل .

والكوب : الكوز لا عروة له ، وفيها الضمير للجنة . ﴿ وَتِلۡكَ ﴾ مبتدأ ، و﴿ٱلۡجَنَّةُ ﴾ خبر، و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ صفة للجنة ، أو﴿ٱلۡجَنَّةُ ﴾ صفة لقوله: ﴿ وَتِلۡكَ ﴾ و﴿ٱلَّتِىٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ خبر. والباء في قوله : ﴿بِمَا كُنتُمۡ ﴾إما تعليل لإيراث الجنة أو يتعلق بمحذوف ؛ كالظروف التي تقع أخبارًا ، وشبهت في بقائها على أهلها بالميراث الباقي على أهله .

﴿مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ للتبعيض ، أي : لا يأكلون إلا بعضها.﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ لا يخفف ؛ والمبلس : البائس الساكت سكوت يأس . وقيل : يجعل الكافر في تابوت من نار ، ويملأ نارًا ويردم عليه ، فلا يَرى ولا يُرى . ﴿وَهُمۡ﴾ فصل أو عماد . وقيل لابن عباس : إن ابن مسعود يقرأ: يا مال ؛ فقال : ما أشغل أهل النار عن الترخيم[4].﴿لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا﴾ من قضى عليه إذا مات ، والمعنى سل ربك أن يميتنا . والآخرة فيها مواقف ؛ فتارة يبلسون ويسألون ، وتارة ينادون مالكًا ؛ فلا تعارض . ﴿أَمۡ ﴾أبرم مشركو مكة ﴿أَمۡرًا﴾ يكيدونك به ؛ كما جرى في دار الندوة . ﴿فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾ كيدنا كما أبرموا كيدهم . ﴿وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ ﴾ يعني الحفظة . وعن يحيى ابن معاذ[5]: " من أخفى عن الناس ذنوبه وأبداها لمن لا تخفى عليه خافية فقد جعله الله

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٣) .

(٢) سورة المطففين ، الآية (٢٤) .

(٣) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤١٩) .

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٥٥) وقال : غريب .

(٥) **هو يحيى بن معاذ الرازي** من الزهاد المتهجدين والعباد الصالحين ، له كلام جيد ومواعظ مشهورة =

أهون الناظرين إليه وهو من علامات النفاق "[1].

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾

﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ﴾ إن ثبت ذلك ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أول من يعظم ذلك الولد ؛ وهذا كلام أورد على سبيل الفرض والتمثيل ، والغرض المبالغة في نفي الولد ، وأنه علق عبادة الولد بكونه ثابت الولادة ، وذلك الثبوت محال ؛ فالمعلق عليه محال مثله . وقيل : ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ الجاحدين لبنوة ذلك الولد . وقيل : ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ﴾ الآنفين من نسبة الولد إليه (٢٥٣/أ) . وقيل ﴿ إِن ﴾نافية ، أي : ما كان للرحمن ولد ، ثم نزه ذاته الموصوفة بربوبية السماوات والأرض ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من اتخاذ الولد .

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا۟﴾ في دنياهم ، وقوله : ﴿فَذَرْهُمْ ﴾ليس إذنًا في الخوض واللعب ؛ بل هو إنكار بليغ ، وفي قوله : ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ هو كقوله : هو حاتم في طيئ ؛ أي : هو المشهور بذلك . ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ﴾ آلهتهم التي يدعون أنها تشفع فيهم في الآخرة ؛ كقوله : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[2] ولكن ﴿مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ وهو التوحيد وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة بصحة ما شهد به ، وهو استثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلا ؛ لأن في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة .

﴿ وَقِيلِهِۦ ﴾قرئت بالحركات الثلاث[3] فالنصب :

---

= وكان حكيم زمانه ، روت عنه كتب التراجم الكثير من الحكم والمواعظ . توفي سنة ٢٥٨ هـ وله من الكتب كتاب المريدين . **تنظر ترجمته في :** حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠/ ٥١) ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥) ، الفهرست لابن النديم (١/ ٢٦٠) ، وفيات الأعيان (٦/ ١٦٥) .

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٥) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢٨) .

(٣) قرأ بالرفع " وقيلُه " الأعرج وأبو قلابة والحسن ومجاهد . وقرأ بالنصب " وقيلَه " نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو والكسائي . وقرأ بالخفض " وقيلِه " عاصم وحمزة . **تنظر القراءات في :** الإملاء=

قال الأخفش[(١)]: هو معطوف على ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾. وعنه: هو مصدر؛ أي: وقال قيله. وحمله الزجاج[(٢)] على موضع " الساعة " أي: يعلم الساعة، ويعلم قيله؛ كما تقول: عجبت من ضرب زيد وعمرًا، وحمل الجر على لفظ " الساعة " بتقدير حذف المضاف والذي قالوه ليس بقوى في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضًا، وأجود من هذا كله أن يكون النصب والجر على إضمار حرف القسم وحذفه، والرفع على قولهم أيمن الله. وقوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ جواب القسم.

﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ فأعرض عنهم وايأس من إيمانهم، وقل لهم ﴿سَلَٰمٞ﴾ أي: نسلم منكم ومتاركة. ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ وعيد من الله وتسلية لرسول الله ﷺ والهاء في " وقيله " ترجع إلى النبي ﷺ أي: يعلم قول رسول الله ﷺ في شكيته منهم.

* * *

= للعكبري (٢/ ٢٢٩)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٠)، الحجة لابن خالويه (ص :٣٢٣)، الحجة لأبي علي (٦/ ١٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٠٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٨٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٩٨)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٣٨).

(١) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٦٨) وعبارته: وذكر في النصب عن الأخفش أنه حمله على " أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيلَه ".

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٢١).

## تفسير سورة الدخان [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

﴿وَٱلۡكِتَٰبِ﴾ الواو فيه واو القسم إن جعلت ﴿حمٓ﴾ تعديدًا للحروف ، أو اسمًا للسورة مرفوعًا على خبر الابتداء المحذوف ، وواو العطف إن كانت ﴿حمٓ﴾ مقسمًا بها .

وقوله : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ جواب القسم و﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ القرآن ، والليلة المباركة : ليلة القدر . وقيل : ليلة النصف من شعبان ، ولها أسماء أربعة : الليلة المباركة ، وليلة البراءة ، وليلة الصك، وليلة الرحمة . وقيل : بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة . وقيل في تسميتها ليلة البراءة وليلة الصك : إن البَنْدار إذا استوفى خراجه (٢٥٣/ ب) من أهله كتب لهم البراءة ؛ كذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة ، وقيل : هي مختصة بخمس خصال : تفريق كل أمر حكيم ، وفضيلة العبادة فيها ، ونزول الرحمة ؛ قال عليه السلام : " إن الله يرحم من أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب "[(١)].

﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾

وحصول المغفرة ؛ قال عليه السلام : " إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا المتشاجر أو مدمن خمر أو عاق الوالدين أو مصر على الزنا "[(٢)] وما أعطي فيها رسول الله ﷺ من تمام الشفاعة ؛ وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان في أمته ؛ فأعطي الثلث منها ، ثم سأل في الليلة الرابعة عشر فأعطي الثلثين ، ثم سأل في الليلة الخامسة عشر فأعطي الجميع إلا من شرد عن الله شراد البعير[(٣)]. ومن عادة الله أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة . والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة : ليلة القدر لقوله : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[(٤)] ولمطابقة قوله : ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾لقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ

---

(١) رواه الترمذي رقم (٧٣٩) ، وابن ماجه رقم (١٣٨٩) ، وأحمد في المسند (٦/ ٢٣٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٤) ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان بنحوه ، وقال الزيلعي : غريب بهذا اللفظ .

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٦) وقال : غريب .

(٤) سورة القدر ، الآية (١) .

رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ (١) وقوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (٢) وليلة القدر في أكثر الأقوال في رمضان ومعنى إنزال القرآن في هذه الليلة أنه أمر بإنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا ؛ فكان جبريل ينزله من بيت العزة على رسول الله ﷺ نجومًا مقسمًا مفرقًا .

فإن قلتَ : قوله : ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ما موقع هاتين الجملتين ؟ قلتُ : هما جملتان مستأنفتان فسر بهما جواب القسم ، وإنزاله في هذه الليلة تفضيل لها، والمباركة : الكثيرة الخير، ومعنى ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ويكتب كل أمر محكم من أرزاق العباد وآجالهم .

وقيل : يكتب ما يكون في كل سنة من اللوح المحفوظ فيدفع إلى ميكائيل أوراق الأرزاق ، وإلى جبريل أوراق الحروب والزلازل والصواعق والخسف ، وإلى كل ملك ما يغدق به وعن بعضهم : يعطى كل عامل بركة عمله ، فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وفي قلوبهم وده .

ووصف الأمر بالحكيم مجاز ، وحقيقة الحكيم : الحاكم ، والحكيم ها هنا بمعنى: المحكم .

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ نصب على الاختصاص ، وفيه زيادة تعظيم لهذا الأمر. ويجوز أن يراد به الأمر الذي في مقابلة النهي ، ويكون حالا من أحد الضميرين في "أنزلناه" إما من الفاعل ؛ أي : أنزلناه أمرًا ، أو من المفعول ؛ أي: أنزلناه مأمورًا به ويجوز أن يكون تعليلا لـ "يفرق" ولقوله : ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا﴾ أو ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول به ، ووصف الرحمة (٢٥٤/أ) بالإرسال موجود في قوله : ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ﴾ الآية(٣) وقوله : ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ عوض قوله ﴿مِّنَّا﴾ فوضع الظاهر موضع المضمر . قوله : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ يريد أن من شأننا إرسال الرسل ؛ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (٤) ورد قوله : ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بقوله : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ . ﴿يَوْمَ﴾

---

(١) سورة القدر ، الآية (٤) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٨٥) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (٢) .

(٤) سورة الإسراء ، الآية (١٥) .

مفعول به وليس بظرف ؛ لأن اليوم مرتقب ، وليس بمرتقب فيه . واختلف في الدخان ؛ فقيل : هو دخان يأتي قبل يوم القيامة يدخل في مسام الكفار حتى تكون رأس كل كافر كرأس الحنيذ [١]، ويعتري المؤمن منه مثل الزكام ، وتكون الأرض كبيت أوقد فيه ، وليس فيه مكان يخرج الدخان منه . وعن النبي ﷺ : " أول الآيات الدخان ، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر. قال حذيفة : يا رسول الله ، ما الدخان ؟ فتلا الآية وقال : يملأ ما بين المشرق والمغرب ويمكث أربعين يومًا وليلة "[٢]. وقيل : هو دخان يأتي يوم القيامة فبلغ ابن مسعود فقال : " من علم شيئًا فليقل ، ومن لم يعلم شيئًا فليقل : الله أعلم" . إن قريشًا امتنعوا من طاعة رسول الله ﷺ فدعا عليهم النبي ﷺ بسنين كسني يوسف فقحطوا حتى أكلوا الجيف ، وكان الرجل منهم يحدثك فتسمع صوته ولا ترى شخصه من كثرة الدخان "[٣]. وعن ابن مسعود : " خمس قد مضين: الدخان ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللزام "[٤].

﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ﴾هو في محل جر صفة للدخان، وقوله:هَٰذَا عَذَابٌ ﴿هَٰذَا عَذَابٌ ﴾ إلى قوله:﴿مُؤْمِنُونَ﴾ نصب بفعل محذوف ، أي: يغشى الناس وهم يقولون . ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ١١٣) ، عن ابن عمر ﷺ . **والحنيذ** : المشوي .

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٦٦) ونسبه للطبراني .

(٣) رواه البخاري رقم (٤٨٢٥) ، ومسلم رقم (٢٧٩٨) عن ابن مسعود ﷺ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/ ١١٢) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٨٧) لابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن مسعود ﷺ . **واللزام** : فسر بأنه يوم بدر ، وهو في اللغة : الملازمة للشيء والدوام عليه ، وهو أيضا الفصل في القضية ، واللزام : الموت.

**ينظر** : لسان العرب (لزم).

من أين يحصل لهم التذكر ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ﴾ ما هو أشد وأقطع في وجوب الادِّكار من كشف الدخان وهو معجزات رسول الله ﷺ فلم يتذكروا ، و﴿تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي : علَّمه عدَّاس غلام لثقيف . ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾ فبمجرد كشفه يرجعون إلى ما هم عليه ؛ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾[1] فإن قيل : من جعل الدخان قبل يوم القيامة ؛ كيف يجتمع معه ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾؟ قلنا : إذا جاء الدخان ضج المؤمنون والكافرون وسألوا (٢٥٤/ب) الله الرحمة والعفو فيكشف عنهم فيعودون لما كانوا عليه .﴿الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هي يوم القيامة كقوله : ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[2] وانتصب ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ بفعل دل عليه ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ ﴿فَتَنَّا﴾ بكثرة الأموال والأولاد ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ لأن موسى جاء إلى فرعون بأن يرسل معه بني إسرائيل ولا يعذبهم ، فلم يطع لذلك . ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله وعلى عباده المؤمنين ؛ أو : كريم في نفسه ؛ أي : شريف ؛ إن الله لم يبعث نبيًّا إلا من سراة قومه . ﴿أَنْ أَدُّوا﴾ هي المفسرة ؛ لأن إتيان الرسول في معنى القول ، أو : المخففة من الثقيلة ؛ أي : بأن الشأن والحديث ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ وهم بنو إسرائيل ، ويجوز أن يكون ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ منادى ، والتقدير : أن أدوا إلي ، ويوقف عليه ، ويستفتح ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ من اتباع سبيلي وقبول دعوتي ، ثم علل ذلك بكونه رسولاً أمينًا. قوله : ﴿أَمِينٌ﴾ أي: ائتمنه الله على وحيه ورسالته . ﴿لَا تَعْلُوا﴾ فيه الوجهان ، أي: لا تجترئوا على الله باستكباركم على نبيه . ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ تقتلون .﴿ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾ أي : فليس بيني وبينكم اتصال وساهجركم في الله ﴿ فَدَعَا﴾ موسى ﴿رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ قيل : كان من دعائه : ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الآيتين[3] .

﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى

---

(١) سورة الزخرف ، الآية (٥٠) .

(٢) سورة النازعات ، الآية (٣٤) .

(٣) سورة يونس ، الآية (٨٥) .

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٢) وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ (٣٣) إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ (٣٤)﴾

﴿فَأَسْرِ﴾أي : احملهم على السُّرى معي فقد دبر الله هلاك فرعون بأن ينجو المتقدمون ويغرق الآخرون . الرهو : الساكن ؛ أي : يغرقهم البحر ثم يبقى ساكنًا غير مضطرب . وقيل : الرهو: الفجوة الواسعة ، تقديره : اتركه على حاله غير مضطرب .

قوله : ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ المنازل والمجالس . وقيل : المنابر . والنَّعمة بالفتح : من التنعم ، وبالكسر: من الإنعام . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع نصب ، أي : مثل الإخراج أخرجناهم منها﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾أو في موضع الرفع تقديره : الأمر كذلك . ﴿قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ هم بنو إسرائيل كانوا يستضعفون ، فأورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها . كانوا إذا مات رجل كبير منهم قالوا : بكت عليه السماء والأرض ، وبكته الريح ، وأظلمت له الشمس ، وفي الحديث : " ما من مؤمن يموت في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض يبكي عليه (٢٥٥/أ) مصعد عمله في السماء وموضع سجوده في الأرض" [(١)].

﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾ بدل من العذاب المهين ؛ فإن فرعون كان عذابًا مهينًا في نفسه لإفراطه في التعذيب ، ويجوز المعنى : من العذاب المهين واقعًا من جهة فرعون . ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا﴾ كقوله : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [(٢)] الضمير في ﴿ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾لبني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بأهليتهم .﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟﴾أي : امتحان ؛ لأن الله يبلو بالنعم كما يبلو بالمصائب ؛ قال الله تعالى : ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [(٣)] .

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى كفار قريش . فإن قيل : ما معنى : ﴿مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ وكان النزاع في حياة ثانية وموتة ثانية ؟ وما معنى ذكر الأولى في صفة الموتة ؛ كأنهم وعدوا موتة أخرى فجحدوها ؟ قلنا : تقدير كلام المسلمين للكفار: إنكم تموتون هذه الموتة في الدنيا ، ثم يتعقبها حياة فأنكروها وهو قوله ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [(٤)]

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٢٦٨/٣) ونسبه للبيهقي في شعب الإيمان والطبراني .

(٢) سورة القصص ، الآية (٤) .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية (٣٥) .

(٤) سورة البقرة ، الآية (٢٨) .

كأنهم أجابوا : ليست هذه الموتة التي تتعقَّبها حياة ، أي لا موت إلا الموتة التي متناها في الدنيا .

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾[1] ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾[2] أي : يحيون الموتى . ﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ من كلام الكفار للمؤمنين أي : قالوا : إن كنتم تدعون حياة أخرى فأحيوا آباءنا ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾. وقيل : كانوا يلتمسون أن يحيي الله قصي بن كلاب ليشاوروه ، وكان شيخًا كبيرًا من أكابرهم ، وكان يستشار في معاظم الأمور. ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تبع الحميري ، هو ملك .

قالت عائشة : " ذم الله قومه ولم يذمه ؛ حير الحيرة ، وبني سمرقند "[3]. وقيل : كان إذا كتب كتب : باسم الذي ملك برًّا وبحرًا "[4] . وروي أنه ﷺ قال : " لا تسبوا تبعًا ؛ فإنه كان قد أسلم "[5]. فإن قيل: ما معنى قوله:﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ولا خير في الفريقين ؟!

قلنا: معناه : أهم خيرٌ في القوة والمنعة ؛ كقوله : بعد ذكر آل فرعون : ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٩) وهذا على قراءة الراء ؛ فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " نُنْشِرُها " ، وقرأ عاصم في رواية أبان عنه " ننشُرُها " ، وقرأ الباقون " ننشزها " بالزاي .

ينظر : البحر المحيط لأبي حيان (٤/٣١٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١/٦٢٧) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ١٨٩) .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية (٢١) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٥/١٢٨) ، و ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/٤١٥) ، ونسبه للحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها . وروي عن كعب رضي الله عنه أيضا بنحوه .

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥ / ٧٥٠) ، ونسبه للحاكم وصححه .

(٥) رواه أحمد في المسند (٥/ ٣٤٠) ، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٠٣) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٤٩) لابن مردويه .

أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾[1] ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي : بين الجانبين ﴿لَا يُغْنِي مَوْلًى﴾ أي مولى كان من قرابة في النسب أو غيرها . ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينجون من العذاب . ﴿مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ في موضع رفع على البدل من الواو في ﴿يُنصَرُونَ﴾ ويجوز أن يكون منصوبًا على الاستثناء . وروي أن أبا جهل أحضر زبدًا وتمرًا وقال للجماعة : كلوا ؛ فإن هذا الزقوم الذي يهددكم به محمد ؛ فنزلت ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾[2] (٢٥٥/ ب).

﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾

و﴿ٱلْأَثِيمِ﴾ الفاعل للإثم ، وعن أبي الدرداء: " أنه كان يقرئ رجلا فكان يقول : طعام اليتيم ، فلما أكثر من ذلك قال له : قل : طعام الفاجر "[3].﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ هو دردي الزيت[4]. وقيل : هو ما أذيب من النحاس والفضة ، والكاف في قوله : ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ خبر بعد خبر . يقال للزبانية : ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾ اجذبوه بقوة وهوان﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وسطها ، والمصبوب هو الحميم نفسه لا عذابه ، لكن إذا صب عليهم الحميم فقد صب عذابه ، وصب العذاب مستعار وصب الحميم حقيقة ؛ كقوله [ من البسيط ] :

........................ صُبَّتْ عليهِ صُروفُ الدَّهْرِ منْ صَبَبِ [5]

---

(١) سورة القمر ، الآية (٤٣) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٥٢) ونسبه لسعيد بن منصور .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٧٥٢) ونسبه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير الطبري وابن المنذر والحاكم وصححه .

(٤) **دردي الزيت** وغيره : ما يبقى في أسفله ، والدردي : الخميرة التي تترك على العصير والنبيذ ليتخمر ، وأصله ما يركد في أسفل كل مائع كالأشربة والأدهان . **ينظر** : لسان العرب (درد)

(٥) هذا عجز بيت وصدره : كم امرئ كان ذا خفض وذا دعة ........................

**ينظر في** الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٢) وللبحتري بيت يشبهه :

وَالمَرءُ لَو كانَتِ الشِّعْرى لَهُ وَطَناً  حُطَّتْ عليهِ صُروفُ الدَّهْرِ منْ صَبَبِ

وكقوله : ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ [(١)] ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في قومك ﴿ٱلۡكَرِيمُ﴾ على عشيرتك ؛ استهزاءًا واستهانة . وحكي أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ : ما بين جبليها أعز ولا أكرم مني ، فوالله ما تستطيع أن تفعل أنت ولا ربك شيئًا [(٢)]. ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ العذاب أو هذا الأمر ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ﴾ تشكون . المَقام - بالفتح - : هو موضع القيام ، وبالضم : موضع الإقامة ، ووصف المكان بالأمين استعارة ؛ لأن من أقام فيه لا يخاف . السندس : ما رق من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه ، ومعنى كونها عجمية وهي في الكتاب العربي أنها إذا عربت فيه خرجت عن أن تكون عجمية . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي : الأمر كذلك ، أو منصوب على مثل ذلك . ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ قرناهم ، وقرأ عكرمة ﴿بِحُورٍ عِينٖ﴾ على الإضافة [(٣)] يعني : من الصنف الذين هم حور العين ، والأحور: شديد بياض العين ، والعين : الواسعة العين . فإن قيل : كيف استثنيت الموتة الأولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفي ذوقه قبلها ؟ قلنا : لأنه أريد به : لا يذوقون فيها الموت البتة ، إلا إن كنت تعد الموتة الأولى واقعة في الثانية ؛ فهم يذوقون فيها الموت ، وهو من باب التعليق بالمحال .

﴿ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَ﴾ عطاء من ربك ، وقرئ " فضلٌ " [(٤)] أي : ذلك فضلٌ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ﴾ يعني : هذه السورة وضعناها ، ومعناها: ذكرهم بالكتاب المبين ﴿يَسَّرۡنَٰهُ﴾ أي : سهلناه حيث أنزلناه عربيًا ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلغتك ؛ إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ انتظر ما يحل بهم . ﴿إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ﴾ ما يحل بك.

* * *

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٥٠) .

(٢) ذكره الواحدي في تفسيره (٢/ ٩٨٦) ، وأبو السعود في تفسيره (٨/ ٦٥) .

(٣) **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١١٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٥) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦١) .

(٤) **تنظر في** : الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٣٥) .

# تفسير سورة الجاثية [مكية]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾

﴿حمٓ﴾ إن جعلتها (٢٥٦/أ) مبتدأ مخبرًا عنه بـ " تلك " لم يكن بد من حذف مضاف، تقديره: تنزيل حم تنزيل الكتاب، و﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ صلة للتنزيل، وإن جعلتها تعديدًا للحروف كان ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ، والظرف خبرًا. ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهن، بدليل قوله: ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾. فإن قيل: علام عطف: ﴿وَمَا يَبُثُّ﴾ أعلى الخلق المضاف، أم المضاف إليه؟ قلنا: بل على المضاف؛ لأن المضاف إليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه؛ استقبحوا أن يقال: مررت بك وزيد، وكذلك إن أكدوه؛ كقولك: مررت بك أنت وزيد [1].

قرئ ﴿ءَايَٰتٌ﴾ بالنصب والرفع [2] على قولك: إن زيدًا في الدار وعمرًا في السوق، وعمرو في السوق، وأما قوله: ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فمن العطف على عاملين، سواء نصبت أو رفعت فالعاملان إذا نصبت هما: ﴿إِنَّ﴾ و﴿فِى﴾؛ أقيمت الواو مقامهما؛ فعملت الجر في ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ والنصب في ﴿ءَايَٰتٌ﴾ وإذا رفعت فالعاملان الابتداء و﴿فِى﴾ عملت

---

(١) هذا كلام الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٤) وقد اختلف النحاة في هذه المسألة وهي العطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجار على ثلاثة مذاهب: **أحدها**: جواز ذلك مطلقا وهذا مذهب الكوفيين وتابعهم الأخفش ويونس والشلوبين. **والثاني**: جواز ذلك بشرط إعادة الجار، إلا في ضرورة، وهذا مذهب البصريين. **والثالث**: جواز ذلك إذا أكد الضمير بغير إعادة الجار، وإلا فلا يجوز إلا ضرورة، وهو مذهب الجرمي. **ينظر تفصيل المسألة في**: الإنصاف لابن الأنباري (٢/ ٣)، أوضح المسالك لابن هشام (٣/ ٣٩٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٥٢٩)، شرح الكافية لابن مالك (١/ ٥٦١)، المفضل شرح المفصل للسخاوي (١/ ٢٠٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب " آياتٍ " وقرأ بقية العشرة " آيات ". **تنظر القراءات في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٢٥)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٥٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٩٤)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٠٨)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧١).

الرفع في ﴿ءَايَٰتٌ﴾ والجر في ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ﴾. وسمي المطر رزقًا لأنه منبته .

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ (٦) وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ (٧) يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٩)﴾

﴿تِلۡكَ﴾ إشارة إلى الآيات المتقدمة ، و﴿نَتۡلُوهَا﴾ في محل الحال ؛ أي : متلوة عليك بالحق ، والعامل اسم الإشارة ؛ كقوله : ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ [1] .

وقوله : ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ﴾ [2] ﴿يُصِرُّ﴾ يقيم على كفره ؛ من إصرار الحمار على العانة[3] ، ﴿مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ عن الإيمان بالآيات . قيل: نزلت في النضر بن الحارث ، وما كان يشير به من قصص أحاديث العجم ويشغل الناس[4]. والآية عامة في كل من كان مضادًا لدين الله ، ومعنى ﴿ثُمَّ﴾ في قوله : ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ كقول الشاعر [ من الطويل ] :

ولاَ يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إلا ابنُ حُرَّةٍ  يَرىَ غَمَراتِ الموت ثُمَّ يزورها[5]

وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن يفر رائيها ، وينجو بنفسه فأما إقدامه على زيارتها فأمر مستبعد لا يفعله إلا مُذِلٌّ بنفسه .

﴿كَأَن﴾ هي المخففة من الثقيلة والأصل : كأنه لم يسمعها ، والضمير ضمير الشأن والقصة ؛ كما في قوله [ من الطويل ] :

................ كأن ظبيةٌ تعطو إلى قاصي السَّلم[6]

---

(١) سورة هود ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٥٢) .

(٣) **العانة** : القطيع من حمر الوحش، و العانة: الأتان والجمع منهما عون . **ينظر** : لسان العرب (عون) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٦) .

(٥) تقدم تخريجه في سورة يونس ، الآية (٥١) .

(٦) هذا عجز بيت لعلباء بن أرقم ، وصدره : ويوما توافينا بوجه مقسم ..................

**ينظر في** : الأصمعيات (ص : ١٥٧) ، الدرر اللوامع (٢/ ٢٠٠) ، شرح أبيات سيبويه للسيرافي (١/ ٥٢٥) ، المقاصد النحوية (٤ ، ٣٨٤) ، وبلا نسبة في : أوضح المسالك لابن هشام (١/ ٣٧٧) ، جواهر الأدب (ص : ١٩٧) ، شرح الأشموني (١ : ١٤٧) ، شرح قطر الندى (ص : ١٥٧) ،=

ومحل الجملة على النصب على الحال ، أي : يصر مثل غير السامع ، وإذا بلغه شيء من الآيات وعلم أنه منها ﴿ٱتَّخَذَهَا﴾ أي : اتخذ الآيات﴿ هُزُوًا﴾ ولم يقل : اتخذه ؛ إشعارًا بأنه متى سمع شيئًا منها أخذ الآيات هزوا وطعن في كل آية مما يستطيعه ، ويجوز أن يريد أنه متى سمع أدنى شيء يمكن الخصم (٢٥٦/ب) أن يجعله شبهة بادر إلى الطعن بكل طريق ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى شيء علم ، بمعنى أن ذلك الشيء آية أو آيات ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى﴿ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ لعمومه ؛ لأنه في معنى الجمع ، ومنه : ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾[(1)] .

﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

والوراء : الجهة التي يتوارى عنها الشخص سواء كان لخلف أو لقدام ؛ قال سبحانه : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾[(2)] ﴿وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[(3)] .

وقوله [ من الوافر ] :

عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيه   يكونُ وراءَه فرجٌ قريبُ[(4)]

﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا﴾من الأموال ﴿وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا﴾أي : المعبودات التي اتخذوها شركاء . ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ إشارة إلى القرآن ويدل عليه قوله : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي : هذا القرآن كامل في الهداية . الرِّجز: أشد العذاب .

---

=الكتاب (٣/ ١٦٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٦) ، المحتسب لابن جني (١/ ٣٠٨) ، مغني اللبيب (١/ ٣٣) ، همع الهوامع (٢/ ٣٢٦) ويروى آخره : وارق السلم . وناضر السلم . وتعطو : تأخذ وتتناول . ووارق – على الرواية الثانية – : كثير الورق . والسلم : شجر العضاه .

(١) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٢) سورة المؤمنون ، الآية (١٠٠) .

(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١٧) .

(٤) **ينظر البيت في** : تاريخ بغداد (١٤/ ٢٦٤) ، تهذيب الأسماء للنووي (٣/ ٢٠٦) ، حلية الأولياء لأبي نعيم (٧/ ٢٨٩) ، شعب الإيمان للبيهقي (٧/ ٢٠٨) .

﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ بالتجارة . وقيل : بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك . وقوله : ﴿مِّنۡهُ﴾ في موضع الحال ، أي : كائنة منه وحاصلة ، يعني أنه مكونها بقدرته ومستخرجها بحكمته ، ويجوز أن يكون ﴿مِّنۡهُ﴾ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي: كل ذلك منه ، وأن يكون ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ تأكيدًا لقوله : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ ثم ابتدأ قوله : ﴿مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ﴾ وأن يكون ﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ مبتدأ ، و﴿مِّنۡهُ﴾ الخبر . وقرئ ﴿مِّنۡهُ﴾ بكسر الميم وتشديد النون "مِنَّه" أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي : ذلك ، أو هو مَنُّه[1] . ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ حذف المقول في قوله : ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ﴾ لأن الجواب دال عليه ، والمعنى : قل لهم اغفروا يغفروا .﴿لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أي : وقائع الله بالمكذبين . وقيل : لا يرجون بمعنى يأملون ، وكونه وعدهم بالفوز فيها . قيل : نسخت بآية القتال[2] . وقيل : نزلت في عمر- ﷺ - وقد شتمه رجل من غفار ، فهم أن يبطش به . وعن ابن المسيب أن قارئًا قرأها عند عمر؛ فقال : ليُجْزَى عمرُ بما صنع [3].﴿لِيَجۡزِيَ﴾ تعليل للأمر بالمغفرة ، ونكر" قومًا" تفخيمًا لشأنهم ؛ أي :﴿لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا﴾ وأي قوم ، وذلك لصبرهم على أذى الكفار. ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من الثواب . وقيل : لما نزلت الآية قال عمر: وعزة ربي لا ترى الغضب في وجهي[4] .

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ

---

(١) قرأ بها ابن عباس وابن عمر والجحدري وابن محيصن " مِنَّهُ " وقرأ سلمة بن محارب " مَنُّهُ " .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٤) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٧) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٨٨) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٢) .

(٢) قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٥/ ١٤٤) : " وإنما قلنا هي منسوخة لإجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك " .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٨) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٩) وذكر أنه قال ذلك للرسول ﷺ .

وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

و﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ، و﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة والفقه ، أو فصل الحكومات بين الناس ؛ لأنهم كانوا ملوكًا وأنبياء . ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من الحلالات .

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ آيات معجزات﴿ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمر الدين فما وقع بينهم الخلاف ، ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بصحة نبوة النبي - ﷺ - وإنما أخلفوا لبغي حدث بينهم ، أي : عداوة وحسدًا .

﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾ على طريقة ﴿ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ من أمر الدين﴿ فَٱتَّبِعْهَا﴾ أي : اتبع شريعتك الثابتة والبراهين . ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ، وهم رؤساء قريش حتى قالوا لرسول الله ﷺ : ارجع إلى دين آبائك ولا تـوالهم ؛ إنما يـوالي الظـالمين من هو ظالم مثلهم ، وأما المتقون فالله وليهم[1] .

﴿هَٰذَا﴾ القرآن . ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب ؛ كما جعل روحًا وحياة ، وهو ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال . ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ من العذاب وقرئ: "هذا بصائرَ" [2] أي : هذه الآيات ﴿أَمْ ﴾منقطعة ، ومعنى الهمزة فيها إنكار الحسبان . والاجتراح : الاكتساب ؛ ومنه : جوارح الصيد ، ويقال : جارحة أهله ؛ أي: كاسبهم .

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾

﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ﴾ أي: نصيرهم ، وهو من " جعل " المتعدي إلى مفعولين: الأول الضمير والثاني الكاف ، والجملة الثانية التي هي﴿ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ بدل من الكاف ، والجملة

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٨٩) .

(٢) **تنظر في** : تفسير القرطبي (١٦/ ١٦٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٨) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٨) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٢) .

تقع مفعولاً ثانيا فهي في حكم المفرد فهو كقولك : حسبت زيدًا أبوه منطلقٌ ، ومن قرأ ﴿سَوَآءً﴾ بالنصب[1] جعل " سواء " بمعنى مستويا ، وارتفع ﴿مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ على الفاعلية ، وكان مفردًا غير جملة ، ومن قرأ : " ومماتَهم " [2] بالنصب جعل " محياهم ومماتَهم " ظرفين ؛ كمقدم الحاج وخفوق النجم ؛ أي: سواء في محياهم وفي مماتهم ، والمعنى : إنكار أن يستوي المحسنون والمسيئون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم في الدنيا ؛ فالمؤمنون على حق والكافرون على باطل . وقيل : إن المؤمنين والكفار في الدنيا مستوون في سعة الرزق وقلته . وعن تميم الداري أنه قام في الليل يصلي فوصل في تلاوته حتى هذه الآية ، فلم يزل يرددها ويبكي إلى الصباح[3] . وعن الفضيل أنه كان يرددها ويقول : ليت شعري ؛ من أي الفريقين أنت ؟[4].

﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ معطوف على " بالحق " ؛ لأن فيه معنى التعليل ، أو على معلل محذوف تقديره : ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ليدل بذلك على قدرته ﴿وَلِتُجْزَىٰ﴾ .

﴿إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي جهة مالت إليها نفسه (٢٥٧/ب) تبعها ، وقرئ ﴿إِلَٰهَهُۥ﴾ [5] على الجمع ، وكانوا إذا عبدوا صنمًا ثم رأوا غيره أحسن منه رفضوا الأول وعبدوا الثاني فصارت العبادة تبعًا لهوى النفس وصار هوى النفس آلهة شتى . ﴿هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ بمعرفته بما ينبغي اجتنابه ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ﴾ إضلال الله .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف " سواءً " وقرا الباقون " سواءٌ " .
**تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤٧) ، الحجة لابن خالويه (ص :٣٢٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٦١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٩٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢) .

(٢) قرأ بها الأعمش . **ينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٢٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩٠) .

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٥٠) بسنده عن مسروق قال : قال لي رجل من أهل مكة : هذا مقام أخيك تميم الداري لقد رأيته قام ليلة حتى أصبح أو قرب أن يصبح يقرأ آية من كتاب الله عز وجل فيركع ويسجد ويبكي ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٢٩٠) .

(٥) قرأ بها الأعرج . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/٤٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٠) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٢) .

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نموت نحن وتحيا أولادنا ، أو يموت بعض ويحيا بعض ، أو نكون أمواتا في الأصلاب ثم نحيا بعد ذلك ، أو يصيبنا الأمران : الحياة والموت ، يريدون الحياة الدنيا والموت بعدها، وليس بعد ذلك حياة ، وما يقولون ذلك عن علم ؛ ولكن عن ظن ؛ كانوا يزعمون أن هلاك الأنفس بمرور الأيام والليالي ، وينكرون ملك الموت ، وكانوا يضيفون كل الحوادث إلى الدهر ، ونرى أشعارهم ناطقة بذلك وفي الحديث : " لا تسبوا الدهر؛ فإن الدهر هو الله "[1] أي : فإن الله الآتي بالحوادث لا الدهر .

وقرئ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ بالنصب والرفع[2] وسمي قولهم حجة ؛ لأنهم أجروه مجرى الحجة والمراد نفي أن يكون لهم حجة البتة . فإن قيل : كيف وقع قوله : ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ جوابًا لقولهم : ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾؟

قلنا : لما أنكروا البعث ألزموا بأنهم مقرون به من جهة أن الله هو الذي يحييهم ويميتهم وضم إلى إلزام ذلك أمرًا أعظم منه ، وهو جمعهم إلى يوم القيامة ، فمن كان قادرًا على ذلك فهو قادر على إحياء آبائهم ، وهو أهون شيء عليه .

عامل النصب في ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾ " يخسر " ، و" ويومئذ " بدل من ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ﴾.

﴿جَاثِيَةً﴾ باركة على الركب من شدة الهول . وقيل : ﴿جَاثِيَةً﴾ أي : مجتمعة ﴿إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٨٢٦ ، ٦١٨١) ، ومسلم رقم (٢٢٤٦) عن أبي هريرة ﷺ .

(٢) قرأ جمهور القراء " حجتَهم " بالنصب ، وقرأ زيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو "حجتُهم" بالرفع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣١) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٩) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٣) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٢) .

إلى صحائف أعمالها ، ويقال لهم : ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ وقد أضاف الكتاب إليهم بقوله : ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾ وإلى ذاته العلية بقوله : ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة ، وقد لابس الجهتين . ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ ، ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾ في جنته . ﴿أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ﴾ أي : يقال لهم ذلك . ﴿وَٱلسَّاعَةَ﴾ بالنصب ؛ عطف على ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ وبالرفع[1] عطف على إن واسمها. ﴿مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ أي شيء الساعة ؟ ﴿إِلَّا ظَنّٗا﴾ أثبت الظن ونفى كل ما سواه ، وزيد نفي ما سوى الظن بقوله : ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ﴾.

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ أو عقوباتها . ﴿نَنسَىٰكُمۡ﴾ نترككم (٢٥٨/أ) في العذاب ؛ كما تركتم عدة ﴿لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ أي : كما أهملتم كالشيء الذي يطرح وراء الظهر يجعل نسيا منسيا ، ومعنى إضافة اللقاء إلى اليوم الإضافة إلى محذوف ، أي : كما نسيتم العمل للقاء عذاب يومكم هذا . ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ ولا يطلب منهم إزالة العتب ؛ لأنه لا سبيل إليه لأن رضا الله عنهم مستحيل .

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ﴾ فمن كان ربًا للسماوات والأرض كان حقيقًا أن يُحمد ويثنى عليه ، وفي الحديث عن الله عز وجل : " الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في النار "[2].

* * *

---

(١) قرأ حمزة وحده " والساعةَ " بالنصب ، وقرأ الباقون " والساعةُ " بالرفع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٥٩٥) .

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٢٤٨) ، وأبو داود رقم (٤٠٩٠) ، وابن ماجه رقم (٤١٧٤) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٣٢٨) ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣١١) .

## تفسير سورة الأحقاف [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٤﴾

﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلا متلبسًا بالحكمة وبتقدير ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ينتهي إليه ، وهو يوم القيامة .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ به من يوم القيامة وباستعداد العمل له ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يؤمنون . ويجو أن تكون " ما " في قوله ﴿عَمَّآ أُنذِرُوا۟﴾ مصدرية . ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ في خلق السماوات ﴿مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ﴾ أي : من قبل هذا الكتاب ؛ أي : فائتوا بكتاب واحد من كتب الله يشهد بصحة ما ادعيتموه . ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي : بقية ؛ تقول : سمنت الناقة على أثارة من شحم ، أي: بقية من شحم كانت بها من شحم ذاهب . وقرئ " أَثَرة "[1] أي : شيء ، أو أثرتم به .

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ معنى الهمزة فيه إنكار أن يكون في الضلال أحد أضل منه ، وإذا قامت القيامة ، وحشر الناس كانت الأصنام أعداء لمن عبدها ؛ كما قال إبراهيم : ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ

---

(١) قرأ بها ابن عباس وزيد بن علي وعكرمة والسلمي والحسن وأبو رجاء .

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٥) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٨٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٥) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٤) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٥) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٤) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٠) .

لِيٓ﴾[(١)] ويجحدون عبادتهم ، وإنما قال : ﴿مَن﴾ و﴿وَهُمْ﴾ لأنه أسند إليهم فعل العقلاء ، وهو الدعاء والاستجابة . ويجوز أن يراد : كل معبود من دون الله من الجن والإنس والأوثان ، فغلب من يعقل ، وقرئ : " ما لا يستجيب له "[(٢)] ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة ؛ تهكمٌ بها ؛ ونحوه قوله : ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ إلى آخر الآية [(٣)]، اللام في﴿لِلۡحَقِّ﴾ مثلها في قوله :﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾[(٤)] أي : لأجل الذين آمنوا ، ولأجل الحق ، والمراد بالحق الآيات ، وبالذين كفروا : المتلو عليهم ، فوضع الظاهران موضع المضمرين ، أي : بادروه بالرد ساعة أتاهم ، ومن ضلالتهم تسميته سحرًا مبينًا . ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ فيه إضراب عن دعوى (٢٥٨/ب) إنما جاء بسحر إلى دعوى أنه افتراء ، ومعنى الهمزة في " أم " التعجب والإنكار.

﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ﴾ فالله قادر على الانتقام منه ولا أملك من أمره شيئًا ، ومثله : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[(٥)] وقال النبي ﷺ : " يا فاطمة بنت محمد ، لا أملك لك من الله شيئا " الحديث[(٦)]. ثم قال : ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾ أي : تندفعون فيه بكثرة ، ومعنى ذكر العلم والشهادة التهديد البليغ . ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ موعدة بالمغفرة والرحمة لمن تاب .

﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩﴾

البدع : بمعنى البديع ، وقرئ: " بدَعا " بفتح الدال[(٧)] أي : ذا بدع ، ويجوز أن تكون

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٧٧) .

(٢) قرأ بها عبد الله بن مسعود . **ينظر** : الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٦) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٥٠) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (١٤) .

(٤) سورة مريم ، الآية (٧٣) .

(٥) سورة المائدة ، الآية (٤١) .

(٦) رواه مسلم رقم (٢٠٤) ، وأحمد في المسند (٢/ ٣٣٣) ، والترمذي رقم (٣١٨٥) ، والنسائي (٦/ ٢٤٨) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٦٤٦) عن أبي هريرة ﷺ .

(٧) قرأ بها عكرمة وأبو حيوة وابن أبي عبلة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٦) ، تفسير القرطبي (١٦/ ١٨٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٣٦) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٥) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥١٧) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٤) .

صفة على فعل ؛ كقوله سبحانه :﴿دِينًا قِيَمًا ﴾ (١) كانوا يقترحون على رسول الله ﷺ الآيات ، ويطلبون منه إعلامهم بما غاب عنهم ، فقيل له : قل : سبق الرسل من قبل ، وكانوا يسألون عن المغيبات ، ولا يأتون بغير ما آتاهم الله من المعجزات . ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في المستقبل ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي : ما أدري إلى ما يصل أمري وأمركم في الدنيا وأما في الآخرة فقد علم أنه ﷺ من المتقين وأن الذين كذبوه من الظالمين . قال الصحابة لما كثر أذى الكفار لهم ، قالوا : يا رسول الله ، إلى متى نبقى في هذا الهوان ؟ فقيل له : قل لهم : ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ﴾تقديره : أأترك بمكة أم أومر بالهجرة أم بالمهاجرة إلى أرض قد رفعت لي في المنام ؟ (٢)

وقيل : ﴿وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الآخرة ، وهو بعيد(٣) . وقيل : أراد نفي الدراية

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٦١) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧ : ٢٣٦) ونسبه لابن المنذر .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/٦) وروى الطبري عن الحسن البصري قال في هذه الآية : " أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة حين أخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الأنبياء قبلي أو أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ولا أدري ما يفعل بي ولا بكم أمتي المكذبة أم أمتي المصدقة أم أمتي المرمية بالحجارة من السماء قذفا أم مخسوف بها خسفا ثم أوحي إليه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ يقول: أحطت لك بالعرب أن لا يقتلوك فعرف أنه لا يقتل ثم أنزل الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ يقول أشهد لك على نفسه أنه سيظهر دينك على الأديان ثم قال له في أمته: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فأخبره الله ما يصنع به وما يصنع بأمته " .
ثم قال الطبري في تفسيره (٢٦/٨) : "وأولى الأقوال في ذلك بالصحة وأشبهها بما دل عليه التنزيل القول الذي قاله الحسن البصري ، وإنما قلنا ذلك أولاها بالصواب ؛ لأن الخطاب من مبتدأ هذه السورة إلى هذه الآية والخبر خرج من الله عز وجل خطابا للمشركين وخبرا عنهم وتوبيخا لهم واحتجاجا من الله تعالى ذكره لنبيه ﷺ عليهم ، فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن هذه الآية أيضا سبيلها سبيل ما قبلها وما بعدها في أنها احتجاج عليهم وتوبيخ لهم أو خبر عنهم . وإذا كان ذلك كذلك فمحال أن يقال للنبي ﷺ قل للمشركين ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وآيات كتاب الله عز وجل في تنزيله ووحيه إليه متتابعة بأن المشركين في النار مخلدون والمؤمنون به في الجنان منعمون وبذلك يرهبهم مرة ويرغبهم أخرى ولو قال لهم ذلك لقالوا له: فعلام نتبعك إذن وأنت لا تدري إلى أي حال تصير غدا في القيامة إلى خفض ودعة أم إلى شدة وعذاب؟ وإنما اتباعنا إياك إن اتبعناك وتصديقنا بما تدعونا إليه رغبة في نعمة=

المفصلة ، وإنما دخلت﴿ لَا﴾ في قوله : ﴿وَلَا بِكُمْ﴾ لزيادة توكيد النفي و﴿مَا﴾ في ﴿مَا يُفْعَلُ﴾ يجوز أن تكون موصولة منصوبة ، وأن تكون استفهامية مرفوعة . جواب الشرط محذوف ؛ أي : أخبروني .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾والشاهد من بني إسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ فتبصر ما فيه من علامة صحة النبوة فأسلم ، وقصة عبد الله بن سلام معروفة ، والضمير للقرآن . فإن قلتَ : أخبرني عن نظم هذا الكلام ؟ قلت : (٢٥٩/أ) الواو الأولى عاطفة لـ ﴿وَكَفَرْتُم﴾ على فعل الشرط ؛ كما عُطف بـ ﴿ثُمَّ﴾ في قوله : ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾ .

وأما الواو في ﴿وَشَهِدَ﴾ فقد عطفت جملة قوله : ﴿وَشَهِدَ﴾ على جملة قوله : ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ ونحوه قولك : أرأيت إن أحسنت وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت لم يتفق ، والمعنى: أخبروني : إن اجتمع كون القرآن من عند الله وكفرتم به وشهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله ؛ ألستم أضل الناس ؟ وقد جعل إيمانه مسببًا عن شهادة الشاهد ؛ لأنها أوضحت الحق﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لأجلهم ، وهو كلام كفار مكة ، قالوا: عامة من يتبع محمدًا أسقاط الناس . يعنون عمارًا وصهيبًا وخبابًا وابن مسعود ونظائرهم من فقراء أهل الصفة فلو كان خيرًا ما سبقنا إليه هؤلاء الأعبد . وقيل : إنها كانت جارية لعمر كان يعاقبها على إسلامها قبل إسلامه ؛ فتقول كفار قريش : لو كان الإسلام خيرًا ما سبقتنا إليه هذه الجارية . فإن قلتَ : قوله : ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟﴾ ظرف لا يجوز أن يعمل فيه ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ فعل مستقبل ، و﴿وَإِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان ؛ فيتدافعان ؟ قلتُ : العامل في﴿وَإِذْ﴾ محذوف يفهم من السياق كما حذف من قوله : ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ﴾ [1] في قصة يوسف ،

---

= وكرامة نصيبها أو رهبة من عقوبة وعذاب نهرب منه. ولكن ذلك كما قال الحسن ثم بين الله لنبيه ﷺ ما هو فاعل به وبمن كذب بما جاء به من قومه وغيرهم " .

(١) سورة يوسف ، الآية (١٥) .

والتقدير: وإذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم . وقولهم : ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ كقولهم :﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[(١)].

﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ﴾ لما بين يديه من كتاب موسى ، أو لما سبقه من الكتب والصحف . ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾حال من ضمير الكتاب في ﴿مُّصَدِّقٌ﴾والعامل فيه "مصدق" ويجوز أن ينتصب عن ﴿ كِتَٰبٌ﴾ لتخصيصه بالصفة . ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ معطوف على محل ﴿لِّيُنذِرَ﴾. و﴿كُرْهًا﴾أي : ذات كره ، أو كرهًا نصب على أنه صفة للمصدر؛ أي : حملاً كرهًا وهذه الآية دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر[(٢)] .

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ اقتطع منها سنتين بقوله :﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[(٣)] فبقي من الثلاثين ستة أشهر . فإن قلتَ : المراد بيان مدة الرضاع لا مدة الفصال فلم قال : ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ ؟ قلتُ : لما كان الرضاع يلابس الفصال وينتهي به جعل كأنه الرضاع ، فأخبر عنه بأن مدته سنتان ؛ قال (٢٥٩/ب) [ من الخفيف ] :

كلُّ حيٍّ مستكملٌ مدةَ العمـ  ـرِ ومودٍ إذا انتهى أجلُه[(٤)]

وبلوغ الأشد من الثلاثين إلى الأربعين . وقيل : أربعون . وقيل : ثلاث وثلاثون .

وقيل : لم يبعث نبي قط إلا بعد أن صار عمره أربعين سنة والمراد بالنعمة التي استودع الله

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ( ٢٥) .

(٢) قال الخطيب الشربيني في كتاب الإقناع (١/ ٩٩) : " وأقل زمن الحمل : ستة أشهر ولحظتان: لحظة للوطء ولحظة للوضع – من إمكان اجتماعهما بعد عقد النكاح، وأكثره – أي زمن الحمل – : أربع سنين وغالبه تسعة أشهر للاستقراء كما أخبر بوقوعه الشافعي وكذا الإمام مالك " .

(٣) سورة لقمان ، الآية (١٤) .

(٤) البيت للطرماح ، **ينظر في** : تفسير الطبري (٣/ ٢٣١) .

الشكر عليها - نعمة الإسلام والهداية وجمع بين شكر النعمة عليه وعلى والديه ؛ لأن النعمة عليه نعمة على والديه ، وكذلك النعمة على الوالدين نعمة على الولد . وقيل في الأعمال المرضية الصلوات الخمس ، ومعنى ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ اجعلهم محلا للصلاح ، ومنه [ من الطويل ] :

وَإِنْ تَعْتَذِرْ فَالمَحْلُ مِنْ ذي ضُرُوعَها إلَى الضَّيف يَجْرَحُ في عَراقيبِهَا نَصْلي[1]

﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من المخلصين .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

وقوله : ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي : مع أصحاب الجنة وقيل : نزلت في أبي بكر وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده ، واستجابة دعائه فيهم وقيل : لم يكن أحد من المهاجرين والأنصار اجتمع له إسلام أبويه وأولاده إلا هو[2]. ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾ يريد : من كان من هذا الجنس ، ولذلك وقع الخبر مجموعًا . وقيل : المراد عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه ؛ دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان فأبى وقال : أف لكما ، وأنكرت عائشة ذلك ، وقالت : عبد الرحمن رجل صالح فكيف نزلت في حقه ؟[3].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ أي : وجب عليهم كلمة العذاب ، وحكي أن معاوية

---

(١) ذكر جزءا منه المباركفوري في تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٩/ ٢٢٣) ، والمناوي في فيض القدير (٢/ ١٣٤) .

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٠٣) .

(٣) روى ذلك الطبري في التفسير (٢٦/ ١٩) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٤٤) لعبد بن حميد والنسائي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٥٩ - ١٦٠) : " ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه . ثم قال : " وقوله : (أولئك) بعد قوله : (والذي قال) دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك. وقال الحسن وقتادة: هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث " .

بايع ليزيد ولده ، فقال عبد الرحمن بن أبي بكر : لقد جئتم بها هرقلية ، فقال مروان : يا أيها الناس: هذا الذي قال الله في حقه : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ فسمِعَتْ عائشةُ فغضبت وقالت : إن عبد الرحمن رجل صالح ، والله ما هو به ، ولو شئت أن أسميه لسميته ، ولكن هو قصص من لعنه الله[١]. واللام للبيان ؛ أي : هذا التأفف لكما خاصة ؛ كقوله : ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[٢]. ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ أن أبعث وأخرج من الأرض ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى﴾ أي : ولم يأت منهم من يخبرنا عن حقيقة الحال . ﴿يَسْتَغِيثَانِ﴾ يقولان : الغياث بالله منك .

﴿وَيْلَكَ﴾ دعاء عليه بالثبور. (٢٦٠/أ) المراد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك . ﴿فِىٓ أُمَمٍ﴾ ؛ كقوله : ﴿فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ .

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿ وَلِكُلٍّ ﴾ من الجنسين المذكورين ﴿ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ أي : منازل ومراتب لما عملوا من الخير والشر، والجنة درجات ، والنار دركات ؛ فغلب جانب الخير. و﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ تعليل معلله محذوف تقديره : فعل ذلك ليوفيهم ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ﴾ أي : يقال لهم : أذهبتم ، ويقال المحذوفة هي العاملة في الظرف ، والعرض على النار ؛ كقولك : عرضت الحوض عليها . وفي تفسير ابن عباس : يجاء بهم إليها فيكشف لهم عنها[٣].

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ﴾ أي : لم يكن لكم حظ من الطيبات إلا ما أصبتموه في الدنيا ، وقد أخذتموه فلم يبق لكم نصيب في الآخرة . وروي عن عمر أنه قال : لو شئت لكنت أحسنكم لباسًا وأطيبكم طعامًا ، ولكني سمعت الله ينعي لقوم أنهم أخذوا نصيبهم من الطيبات في

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٤٤٤) لابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٢٣) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٠٥) .

الدنيا[١]. ومر النبي ﷺ بأهل الصفة ، وهم يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لهم رقاعًا ، فقال: " أنتم اليوم خير أم يوم يغدى على أحدكم بجفنة ويراح بأخرى ، ويغدو بحلة ويروح بأخرى ؟ فقالوا: ذلك اليوم خيرٌ ؛ فقال النبي ﷺ : " بل هذا خيرٌ "[٢].

﴿ٱلۡهُونِ﴾ الهوان . الأحقاف : جمع حقف ، وهي رمال مستطيلة مرتفعة ، مأخوذة من احقوقف الشيء : إذا اعوج . وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون على رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشحْر[٣] من بلاد اليمن . وقيل : بين عمان ومهرة . والنذر: جمع نذير، بمعنى المنذر، أو الإنذار. ﴿مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ﴾ من قبله ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ من بعده ، والمعنى: أن الله بعثني إليكم لآمركم بالتوحيد ، وأخوفكم العذاب ، وأعلمهم أن الرسل الذين كانوا قبله بعثوا بمثل ذلك ، ولك أن تجعل قوله: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾ اعتراضًا بين ﴿أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ﴾ وبين ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ ويكون المعنى: واذكر إنذار هود قومه عاقبة الشرك ، وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك .

﴿لِتَأۡفِكَنَا﴾ لتصرفنا ؛ يقال : أفكه عن الأمر: إذا صرفه . ﴿عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ عن عبادتها .

﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من معاجلة العذاب .

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ (٢٥)﴾

وإنما طابق قوله : (٢٦٠/ ب) ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لقوله : ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ لأن هودًا هددهم بالعذاب فأنكروه واستهزءوا به ؛ فقال لهم : إنني لا أعلم إلا ما علمني الله ؛ ولكنه تعالى لم يعلمني بوقت العذاب ، وليس علي إلا البلاغ ، وأنتم قوم تجهلون فتضيفون إلى العلم بالمغيبات ، والهاء في ﴿رَأَوۡهُ﴾ ترجع إلى ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ ويجوز أن يكون مبهمًا فسره ما بعده إما تمييزًا وإما حالاً.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢١) .

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ١٢) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير الطبري .

(٣) **الشحر** - بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة - : ساحل اليمن وهو ممتد بينها وبين عمان .

**ينظر** : معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (٣/ ٧٨٣) .

والعارض : السحاب الذي يعرض في أفق السماء ، ومنه : الحبي والعنان من حبا وعنَّ إذا ظهر. وإضافة ﴿ مُسْتَقْبِلَ ﴾ و﴿مُمْطِرُنَا﴾ مجازية لا تقتضي تعريفًا بدليل أنه وصف بهما النكرة . ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾هذا من قول هود . ﴿تُدَمِّرُ﴾ تهلك ﴿ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت به من عاد ودوابهم ، ولم تفن جبالهم ولا أرضهم ، فـ ﴿ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هو عام مخصوص . ﴿لَا يُرَىٰ﴾ الخطاب للرائي كائنًا من كان . وروي: أن الريح كانت تحمل الظعينة في الجو حتى ترى كالجرادة ، وكذلك تفعل بالفسطاط[1]. وروي: أنه أول ما عرفوا أنه عذاب أنهم رأوا ما على الجبل من أنفسهم ودوابهم تحمله الريح بين السماء والأرض. وروي: أن هودًا لما رأى فعل الريح خط على نفسه خطًا إلى جانب عين تنبع عليه وعلى المؤمنين . وقيل : اعتزلوا في حظيرة ما ينالهم من الريح إلا ما تلين عليه الجلود ، وإنها لتمر على عاد بالظعن بين السماء والأرض ، وتدفعهم بالحجارة[2].

وقيل : إن النبي ﷺ كان إذا رأى الريح تغير وجهه ، ودخل وخرج ؛ فقيل له في ذلك ؟ فقال : " إني أخاف أن يكون كما قال قوم عاد ؛ ظنوه رياحًا تأتي بالمطر والخصب ؛ فإذا هي مهلكة لهم ولدوابهم "[3].

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَارُهُمْ وَلَآ أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٦) ، **والظعينة** : الهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن ، والظعينة : المرأة في الهودج سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه . وقيل : سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة ولا تسمى ظعينة إلا وهي في هودج. وعن ابن السكيت: كل امرأة ظعينة في هودج أو غيره والجمع ظعائن و ظعن و ظعن و أظعان وظعنات. والفسطاط : بيت من شعر، وفيه لغات: فسطاط وفستاط و فساط. وكسر الفاء لغة فيهن، وفسطاط مدينة مصر ، والجمع فساطيط . **ينظر** : لسان العرب (ظعن) و(فسطط).

(٢) ذكر ذلك كله الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٠٧ – ٣٠٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٨٣٩) ، ومسلم رقم (٨٩٩) ، وأحمد في المسند (٦/ ٢٤٠) ، والترمذي رقم (٣٢٥٧) ، وابن ماجه رقم (٣٨٩١) ، وابن حبان في صحيحه رقم (٨٦٥).

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ﴿٢٨﴾

﴿إن﴾ نافية أي : فيما ما مكناكم فيه ، وأنكر الزمخشري[1] التمثيل بما الثانية ؛ لأنه يستقبح إعادة اللفظ الواحد إلا لضرورة ، وكان الأحسن أن يقول : فيما لم نمكن ، ويدل عليه أنهم جعلوا " مهما " : " مه " دخلت عليها " ما " فكرهوا أن يقولوا " ماما " فقالوا : مهما وقد جعلت ﴿إن﴾ صلة زائدة مثلها فيما أنشده الأخفش [ من الوافر ] :

يرجِّي المرءُ ما إن لا يراهُ وتعرضُ دون أدناهُ الخطوبُ[2]

وتأويله : إنا مكناكم فيما إن مكناكم فيه ، ومعنى الأول أظهر ، ومثله قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾[3] (٢٦١/أ) ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من الغنى ، وانتصب قوله: ﴿إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ﴾ بقوله: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ ودخلت ﴿إِذْ﴾ وفيها التعليل ؛ كما تقول: ضربت زيدًا لإساءته ، وضربته إذ أساء ؛ فإن التعليل يفهم من اللفظين . ﴿مَا حَوْلَكُم﴾ يا أهل مكة ﴿مِّنَ ٱلْقُرَىٰ﴾ والمراد أهل القرى ؛ لقوله : ﴿لَعَلَّهُمْ﴾. القربان : ما تقرب به إلى الله ، أي : اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله وأحد مفعولي ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ الهاء المضمرة تقديره : اتخذوه . والثاني: ﴿ءَالِهَةً﴾ و﴿قُرْبَانًا﴾ حال ، والمعنى : فهلا منعتهم آلهتهم التي اتخذوها شفعاء من الهلاك ﴿بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ﴾ غابوا عن نصرتهم في الموقف .

و﴿وَذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى منع نصرة آلهتهم لهم ، والإفْكُ والأَفَكُ ؛ كالحِذْرُ والحَذَرُ، وقد قرئ بهما[4]. ﴿صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا﴾ أملناهم إليك . والنفر: دون العشرة . ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾

---

(١) الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٠٨) .

(٢) ينظر البيت في : خزانة الأدب للبغدادي (٣/ ٥٦٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤٢) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤٥) ، مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٤٧) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٦٩) .

(٤) قرأ " أفكهم " بفتح الهمزة ابن عباس . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٦٤) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٠٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٢٤) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٦٨) .

الضمير للقرآن ، أي : فلما كان بمسمع منهم ، أو لرسول الله . ﴿قَالُوٓاْ﴾ قال بعضهم لبعض : ﴿أَنصِتُواْ﴾ اسكتوا . وروي أنه لما بعث النبي ﷺ ازداد الرمي بالشهب وحرس السماء بها ، فقالت الجن: إنما هذا لأمر حدث في الأرض فبعثوا تسعة . وقيل : سبعة من أشرافهم فوافوا النبي ﷺ وهو في بطن نخلة في صلاة الفجر، أو في صلاة الليل ، فاستمعوا لقراءته ، وذلك حين توجه إلى جهة ثقيف يستنصرهم ، فلم يجيبوه وأغروا به السفهاء والصبيان[1] . وعن سعيد بن جبير أنه قال : " لم يقرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ؛ ولكن مروا به وهو يصلي ولا يشعر، فأنبأه الله باستماعهم "[2] .

وروي أن النبي ﷺ ليلة الجن قال لأصحابه : " إني أمرت أن أتلو على الجن القرآن فمن يجيء معي ؟ فلم يقل أحد أنا ، فقال ابن مسعود : أنا يا رسول الله. فخرجنا حتى أتينا وادي الحجون ، فخط لي خطًا ، فقال : اجلس ها هنا ولا تخرج ، ثم ذهب عني حتى غاب عن عيني ، وجاء الجن كقطع السحاب فقرأ عليهم سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾فلما قضى جاءني رسول الله ﷺ وتفرق الجن ذاهبين كقطع السحاب "[3] .

﴿ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

قيل : كان جملتهم اثني عشر ألفًا ، وإنما قالوا : ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ولم يذكروا عيسى ؛ لأن أولئك الجن كان يهودًا لا يصدقون بعيسى ، واختلف في الجن ؛ هل لهم ثواب على الطاعة أم لا ؟ فقيل : لا ثواب (٢٦١/ ب) لهم ، وإنما يجارون من العذاب ؛ لقوله ههنا.

﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ والصحيح أنهم يثابون . ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ في محل الرفع خبر أن ،

---

(١) روى نحوه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٠٣) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور(٨/ ٢٩٧) لابن المنذر .

(٢) رواه الترمذي في سننه رقم (٣٣٢٣) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٤٦) ، والطبري في تفسيره (٢٩/ ١٠٢) ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وقال الترمذي : حسن صحيح.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٣٢) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٤٧) .

ودخلت الباء ؛ لأن الكلام مصدر بالنفي ؛ قال الزجاج[1] : ما علمت أن زيدًا بحاضر جائز. يقال : عييت بالأمر: إذا لم يعرف وجهه ، ومشيت حتى أعييت ؛ من الإعياء وهو التعب . ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي : فيقال لهم ذلك ، وهذا المضمر هو ناصب الظرف .

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أولو الجد والثبات ، و﴿مِنَ﴾ يجوز أن تكون للتبعيض ، ويراد بـ ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ بعض الأنبياء . وقيل : إن " من " لبيان الجنس ، أي : فاصبر كما صبر أولو العزم الذين هم رسل . ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل﴾ لكفار قريش بالعذاب وأنهم يستقصرون مدة مقامهم في الدنيا حتى يجعلوها ﴿سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾.

﴿بَلَٰغٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذا بلاغ ، فلن يهلك إلا الخارجون عن العمل بالواجب .

* * *

(١) **ينظر** : معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٤٤٧) وعبارته : " لو قلت : " ما ظننت أن زيدا بقائم " جاز .

## تفسير سورة محمد ﷺ [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤)﴾

﴿وَصَدُّوا﴾ وأعرضوا ، وامتنعوا عن الدخول في الإسلام ، أو : صدوا غيرهم عنه ؛ قال ابن عباس : هم المطعمون يوم بدر[1]. وقيل : هي عامة في كل من كفر وصد .﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أبطلها ، تقول : ضل الماء في اللبن ؛ إذا لم يبق له طعم . وقيل : أبطل ما مكرو به للنبي ﷺ . ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل : هم ناس من الأنصار . وقيل : هم مؤمنو أهل الكتاب. ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ خص الإيمان بما نزل مع أن ما يجب الإيمان به كثير؛ لينبه بذلك على فضيلة هذا الوصف ، وأن الإيمان لا يتم إلا به وأكد ذلك بالجملة المعترضة وهي قوله ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾. وقيل : ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي : الثابت فإنها شريعة لا تنسخ ، وغيرها من الشرائع نسخ بها . ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي : حالهم وشأنهم بالتوفيق . ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي : إبطال أعمال الكفار وإثابة المؤمنين بسبب ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ و﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ ، وما بعده خبره ويجوز أن ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف ؛ أي : الأمر كما ذكر ؛ فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ، ومرفوعًا على الأول ، والضمير في

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣١٤) ، وروى الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٩٦) عن مجاهد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله -عز وجل- : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ قال : منهم أهل مكة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال : هم الأنصار ، قال : ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ قال : أمرهم " . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

﴿أَمْثَالَهُمْ﴾ راجع إلى الناس أو إلى المذكورين من الفريقين ، ومعنى ضرب الأمثال : أن جعل الكفار بكفرهم (٢٦٢/ أ) كالذين تبعوا الباطل ، والمؤمنين كالذين تبعوا الحق ، وأن جعل الإضلال مثلا لخيبة الكفار ، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين .﴿ لَقِيتُمُ ﴾من اللقاء وهو الحرب . ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ مصدر محذوف الفعل بمعنى الأمر ، وضرب الرقاب كناية عن القتل ولو وقع بغير ضرب العنق كما قلنا : بما كسبت يداك ، ولو كسب بكونه حارس بستان قيل : بما كسبت يداه . ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم القتل فيهم ، مأخوذ من الشيء الثخين ، ومنه :﴿ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾[1] أي: يكثر القتلى فيها ، و﴿الْوَثَاقَ﴾بالفتح والكسر: اسم ما يوثق به . ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾فأسروهم ﴿مَنًّا﴾و﴿فِدَاءً﴾ المصدران فعلاهما مضمران ، ويعني الخيار بعد أسرهم من القتل والمن ، وعند أبي حنيفة يتخير الإمام بين القتل والاسترقاق ، ولا من عنده ولا فداء ، ويقول : كان المن والفداء في ابتداء الإسلام ، وضعف المسلمين ؛ وأما اليوم فقد أعز الله الإسلام . وعند الشافعي: يتخير الإمام بين أمور أربعة : القتل والاسترقاق والمن والفداء، وهو ظاهر القرآن ، وقد منَّ رسول الله ﷺ على أبي عروة ، فادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي[2] .

وأوزار الحرب : آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها . فإن قلتَ : بم تعلق " حتى " ؟

قلتُ : المعنى عند الشافعي : أن لا يزال التخيير بين أمور أربعة ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾. وقيل : حتى ينزل عيسى عليه السلام . وعند أبي حنيفة : المعنى : إذا علق بالضرب والشد : أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب الأوزار، وإذا علق بالمن والفداء ، فالمعنى : أنه يمن عليهم ويفادي حتى تضع الحرب أوزارها[3] .﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمر ذلك ، أو افعلوا ذلك .﴿لَانتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ أي : لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك ﴿وَلَٰكِن﴾أمركم بالقتال ﴿لِّيَبْلُوَ﴾ المؤمنين بالكافرين . وعن قتادة : نزلت في يوم أحد .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية (٦٧).

(٢) **ينظر**: المبسوط للسرخسي (١٠/ ١٣٨ ، ١٣٩) ، بدائع الصنائع للكاساني (٧/ ١١٩ ، ١٢٠ ) ، أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٢٧١).

(٣) **ينظر** : المهذب للشيرازي (٢/ ٢٣٥ ، ٢٣٦) ، الأم للإمام الشافعي (٤/ ٢٨٦).

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ﴾

﴿عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ بينها وأعلمها . وقيل : إن الملك كاتب الأعمال يمشي بين يدي المؤمن ، ويريه جميع ما وعده الله وأنجزه له . وقيل : ﴿عَرَّفَهَا﴾ طيبها ، والعَرفُ : الطيب .

﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾ إن تنصروا دين الله ورسوله : ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ على أعدائكم ﴿ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ في مواطن الحرب على محجة الإسلام . ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يحمل الرفع على الابتداء ، والنصب بما يفسره . ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ (٢٦٢/ ب) كأنه قال : تعس الذين كفروا وعطف قوله : ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ على الفعل الذي نصب ﴿فَتَعْسًا﴾ لأن المعنى : فقال تعسًا لهم ، أو : فقضى تعسًا لهم ، وتعسًا لهم نقيض لَعًا لهم ؛ قال [ من البسيط ] :

فالتعسُ أوْلَى بها منْ أنْ أقولَ لعَا[1]

يريد : فالعثور أقرب لها من الانتعاش والثبوت . وقيل : في الدنيا القتل ، وفي الآخرة التردي في النار .

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ

---

(١) هذا عجز بيت للأعشى ، وصدره : بذات لوث عفرناة إذا عثرت ............ **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٧٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٤٨) ، ديوان الأعشى (ص : ١٠٥) ، العين للخليل (٨/ ٢٣٩) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٥٢) ، لسان العرب (تعس) قال ابن منظور في لسان العرب : " ويدعو الرجل على بعيره الجواد إذا عثر فيقول تعسا ، فإذا كان غير جواد ولا نجيب فعثر قال له: لعا . ومعناه : أنه ينكر من مثلها في سمنها وقوتها العثار فإذا عثرت قيل لها: تعسا . ومعنى ذلك أنها لا تعثر لقوتها فلو عثرت لقلت: تعست . ولم يقل لها: تعسك الله. ولكن يدعو عليها بأن يكبها الله لمنخريها، والتعس أيضا الهلاك " . وذات لوث عفرناة : ناقة ذات لحم وسمن قوية .

مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

﴿كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التكليف والامتناع من الشهوات والملاذ . دمره : أهلكه ، ودمر عليه : أفسد عليه ما يختص به من نفسه وولده وماله .

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمثال تلك العاقبة أو الهلكة أو السنة ؛ كقوله تعالى : ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾[1] ﴿مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وليهم وناصرهم .

روي أن الكفار نادوا يوم أحد : علا هبل ؛ فأجابهم المسلمون : الله أعلى وأجل ؛ فقال المشركون : لنا العزى ، ولا عزى لكم ، فقال المسلمون : الله مولانا ولا مولى لكم[2] وقوله تعالى : ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾[3] هل فيه مناقضة لهذا ؟ قلت : لا تناقض بينهما ؛ لأن الله تعالى مولى جميع العالم ، وأنه خالقه ومدبره ، وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة . ﴿يَتَمَتَّعُونَ﴾ ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا زمنًا قليلا . ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ غافلين كما تأكل الأنعام في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح . ﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾ منزل ومقام . وأراد بالقرية أهلها ولهذا قال : ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ .

ومعنى ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾ كانوا سبب إخراجك . فإن قلتَ : كيف قال : فلا ناصر لهم وإنما هو أمر قد مضى ؟ قلتُ : أجري مجرى الحال المحكية ؛ كأنه قال : أهلكناهم فهم لا ينصرون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ﴾ هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن ﴿كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي : على حجة وبرهان ، وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات، وهو رسول الله ﷺ والمعنى : لا يستوي من اتبع الحجة الصحيحة ومن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا . ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفة الجنة العظيمة الشأن ، وهو مبتدأ وخبره ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ﴾ وقوله : ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾ داخل في حكم الصلة ؛ كالتكرير لها ؛ لأنك لو قلت : مثل الجنة التي فيها أنهار لكان صحيحًا . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف ، أي : هي فيها أنهار ؛ كأن (٢٦٣/أ) قائلاً قال : وما مثلها ؟ فقيل : فيها أنهار ، وأن يكون في موضع الحال ؛ أي : مستقرة فيها

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٣٨) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٤/ ١٠٥) و (٢٦/ ٤٤) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (٦٢) .

أنهار ﴿مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾ كما تتغير ألبان الدنيا بالحموضة ﴿لَّذَّةٍ﴾ تأنيث لذ، وهو اللذيذ أو وصف بالمصدر.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ (١٦) وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ (١٧) فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ (١٨)﴾

كان المشركون والمنافقون يحضرون مجلس رسول الله ﷺ ولا يجعلون إصغاءهم إلى ما يقول فكانوا يسألون أهل العلم عما قال النبي ﷺ ﴿ءَانِفًا﴾ يعني: ماذا قال الآن. قال الزجاج: هو من قولك: استأنفت الشيء: إذا ابتدأته؛ كأنهم قالوا لأولي العلم: أخبرونا عما قال محمد ابتداء[1].

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ أعانهم عليها، أو آتاهم جزاء تقواهم. وعن السدي: بين لهم ما يتقون[2]. وفاعل ﴿زَادَهُمْ﴾ هو قول الرسول ﷺ أو الاستهزاء من المنافقين. ﴿أَن تَأْتِيَهُم﴾ بدل اشتمال من الساعة. قوله عز وجل ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ﴾ ﴿ذِكْرَىٰهُمْ﴾ متعلق بـ ﴿فَأَنَّىٰ﴾ أي: من أين لهم التذكر، وبعد نزول الآيات لا ينفع التذكر. الأشراط: العلامات، ومن أشراطها: بعثة محمد ﷺ وانشقاق القمر، والدخان. وعن الكلبي: كثرة المال، وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام[3].

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ (١٩) وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ (٢٣)﴾

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١٠).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٢٣).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٢٣).

لما بين حال المؤمنين والكافرين قال للنبي ﷺ : فاثبت على ما أنت عليه من التوحيد ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ ولذنوب أمتك . ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾ في الدنيا ، ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في القبور . وقيل : والله يعلم أحوالكم وتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ في الجنة والنار ، ومن كان موصوفًا بالعلم بجميع المعلومات حقيق بأن يتقى ويخاف عقابه ، وأن يستغفر ويسترحم . وقد قدم الله العلم في قوله : ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ على الأعمال المذكورة بعد العلم ؛ قال : ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ الآية [1] وقال : ﴿۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾[2] قدم العلم وجعل العمل بعده . كان المؤمنون يتمنون الإذن لهم في القتال فلما أذن لهم جبن بعضهم عن الكفار، وقال بعضهم :﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾[3] وقال ها هنا: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ الآية ، فصارت أعينهم تدور دورانًا مثل دوران أعين الذي يغشى عليه من الموت . ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ من لم يكن ثابت (٢٦٣/ ب) القدم في الإسلام .﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ بمعنى : ولي لهم ، وهي أفعل من الولي ، وهو القرب ، وهو دعاء عليهم بأن يليهم المكروه . ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾) كلام مستأنف ، أي : خير لهم . وقيل : هي حكاية قولهم ، أي : قالوا طاعة وقول معروف ، بمعنى : أمرنا طاعة وقول معروف . ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي : جد . والعزم والجد لأصحاب الأمر ، وإنما يسندان إلى الأمر إسنادًا مجازيًا ، وهو كقوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[4] ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ فيما زعموا من الحرص على الجهاد ، أو: فلو صدقوا في إيمانهم، وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم . ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب التفاتًا ومعنى هل عسيتم أن تفسدوا أي : هل يتوقع منكم الإفساد ، والله عالم بما كان وما يكون فمعناه : فهل يرتجى منكم إذا علم باطن أحوالكم ورخاوة عقيدتكم أن يكون هؤلاء حقيقيون بذلك . ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ حرصًا على الدنيا وعلى الملك . وقيل : إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله ﷺ وسنته أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور وقطع الأرحام بمقاتلة بعضكم بعضًا ووأد البنات .

---

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٠) .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٤١) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٧٧) .

(٤) سورة لقمان ، الآية (١٧) .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ إشارة إلى المذكورين ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ لإفسادهم وقطعهم الأرحام ، ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين المخلصين ، وأنهم يتشوقون إلى الوحي إذا أبطأ عليهم ؛﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ في معنى الجهاد ، رأيت المنافقين فيما بينهم يتضجرون منها .

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ أي : لا يتصفحون معانيه ، ووعيده للعصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ، ثم قال : ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أم بمعنى بل ، وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر . وعن قتادة في قوله : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ لو تدبروه لوجدوا فيه شفاء لما في صدورهم[١] .

فإن قلتَ : لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها ؟ قلتُ : أما تنكير القلوب فلأحد وجهين : أحدهما : تعظيم أمر الغشاوة التي استولت على قلوبهم . أو : على قلوبٍ وأي قلوبٍ!! وأما إضافة الأقفال إليها فإنه يريد الأقفال المختصة بها ، وهي أقفال الكفر.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ خبر إنَّ ، أي : سهل لهم ركوب العظائم ، وهو من السول الذي هو استرخاء الإراقة ؛ قاله بعض الناس ، وأنكره الزمخشري (٢٦٤/أ) وقال: وهو لا يوافق قواعد التصريف[٢].﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ وأمد لهم ؛ من الإمداد ، وهم اليهود ؛ كفروا بمحمدٍ عليه السلام بعد تبيُّنِ صحة نبوته ونعته في التوراة ، وقيل : هم المنافقون .

وقوله :﴿قَالُواْ﴾ يريد اليهود ، والذين ﴿ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ﴾ المنافقون . وقيل : هو قول المنافقين لقريظة والنضير: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾الآيات [٣]. وقيل : ﴿بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ التكذيب برسول الله ﷺ أو بـ " لا إله إلا الله " أو بترك القتال معه . وقيل : هو قول أحد الفريقين للمشركين : سنطيعكم في التظافر على عداوة رسول الله ﷺ أو على

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٥٧) .

(٢) الكشاف (٤/ ٣٢٦) وعبارته : " وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا " .

(٣) سورة الحشر ، الآية (١١) .

القعود عن الجهاد معه، ومعنى ﴿فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: بعض ما تأمرون به ، أو : الأمر الذي يهمكم . ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ قالوا ذلك سرًا فيما بينهم ، فأفشاه الله عليهم ؛ فكيف يعملون ؟!

﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٢) ﴾

وعن ابن عباس : " لا يتوفى أحد على معصية الله إلا تضربه الملائكة في وجهه ودبره "[١] .

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ إشارة إلى التوفي الموصوف . ﴿مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ من كتمان بعث رسول الله ﷺ و﴿رِضْوَانَهُ﴾ الإيمان برسوله . ﴿أَضْغَانَهُمْ﴾ أحقادهم ، وإخراجها : إبرازها لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ، وإظهارهم على العداوة ، وكانت صدورهم تغلي حنقًا عليهم .

﴿لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ لعرفناك بهم ، ودللناك عليهم لا يخفون عليك . ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم، وهو أن يسمهم الله بعلامة يعلمون بها . وعن أنس : " ما خفي على رسول الله ﷺ بعد هذه الآية شيء من المنافقين ؛ كان يعرفهم بسيماهم ، ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكون الناس ، فباتوا ذات ليلة فأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوبٌ هذا منافق "[٢]. فإن قيل : أيُّ فرق بين اللامين في " فلعرفتهم " و" لتعرفنهم " ؟

قلتُ : الأولى هي الداخلة في جواب ﴿وَلَوْ﴾ التي في ﴿لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ كررت في المعطوف ، وأما اللام في ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف . ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ في نحوه ، وعن ابن عباس : هو قولهم : ما لنا إن أطعنا من الثواب ؟ ولا يقولون : ما علينا إن

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٢٧) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٢٧) .

عصينا من العقاب ؟ [١]. وقيل : اللحن : أن تلحن بكلامك : أن تميله إلى نحو من الأنحاء ؛ كالتورية . ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ ما يحكى عنكم ؛ إن حسنًا (٢٦٤/ ب) فحسن وإن قبيحًا فقبيح . ﴿وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾ التي عملوها في دينهم فرجعت بلا ثواب ؛ لأنها مع الكفر باطلة ، وهم قريظة والنضير ، أو : وسيحبط أعمالهم ؛ أي : مكائدهم التي كادوها برسول الله ﷺ أي : سيبطلها فلا يصلون منها إلى أغراضهم ، ولا تثمر إلا القتل والجلاء عن أوطانهم . وقيل : هم رؤساء قريش المطعمون يوم بدر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٤) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ (٣٥) إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ (٣٧) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (٣٨)﴾

﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ أي : بالرياء والسمعة . وقيل : بالشك والنفاق . ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ قيل : هم أصحاب القليب ، والظاهر العموم . ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي : لا تضعفوا ولا تدعوا إلى السلم ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ الأغلبون﴿ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي : ناصركم . و﴿وَتَدْعُوا﴾ مجزوم ؛ لأنه في حكم النهي ، أو منصوب بإضمار "أن" .

تقول : وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو غيره وحقيقته : أفردته من قريبه أو ماله وفي الحديث : "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله "[٢] أي : أفرد عنها . ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ ثواب إيمانكم وتقواكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾أي: لا يطلبها جميعها إنما يجب فيها مقدار ربع العشر.

﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ أي : يجهدكم ، والإحفاء : المبالغة في كل شيء ؛ يقال : أحفاه في المسألة: إذا بالغ في الطلب وكرره . ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾ وكرهتم دينًا يخرج أموالكم عنكم،

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٣/ ٥٢٨) .

(٢) رواه البخاري رقم (٥٥٢) ، ومسلم رقم (١٤١٦) قال النووي في شرح مسلم : " ومعناه : انتُزع من أهله وماله ، على البناء للمجهول ، وهو تفسير مالك بن أنس " .

والضمير في " يُخرج " لله ، أو للبخل لأنه سبب الأضغان . ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ موصول بمعنى الذين ، صلته ﴿تُدۡعَوۡنَ﴾ فكأنه قيل : هذا وصفكم ؛ فقيل : وما وصفنا ؟ فقال : تدعون . قيل : هي النفقة في الغزو . وقيل : الزكاة . ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ الذي لا يفتقر والحاجات كلها ترجع إليه . ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ المحتاجون .

﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ﴾ معطوف على ﴿وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ ﴿يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ يخلق قومًا على خلاف صفتكم . قيل : هم الملائكة . وقيل : الأنصار . وقيل : العجم .

وقيل : فارس والروم . وسئل رسول الله ﷺ عن القوم ، وكان سلمان إلى جانبه ، فقال : " هذا وقومه ، وضرب على فخذ سلمان " [1].

* * *

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٦٠) وصححه الشيخ الألباني بمتابعاته في السلسلة الصحيحة رقم (١٠١٧) .

## تفسير سورة الفتح [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١)﴾

هو فتح مكة ، وقد نزلت مرجع النبي ﷺ من مكة عام الحديبية (٢٦٥/أ) عدة له بالفتح وجيء بها بالفعل الماضي على عادته سبحانه في أخبار الآخرة ؛ كقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ﴾[١]﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ﴾[٢]﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾[٣]وجعل فتح مكة علة للمغفرة ولما انضم إليه ، وهو إتمام النعمة عليه وهدايته والنصر على الأعداء ، ويجوز أن يكون فتح مكة -من جهة كونه جهادًا- سببًا للثواب والغفران ، والفتح والظفر بالبلد عنوة أو صلحًا بحرب وغير حرب . وقيل : فتح الحديبية ؛ ولم يكن فيها قتال شديد ، ولكن تراموا بسهام وحجارة . وعن ابن عباس : رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم[٤]. وقيل: ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح . فإن قلتَ : كيف يكون صلحًا وقد أحصروا حتى نحروا الهدي بالحديبية وهي من الحل ؟ قلتُ : كان ذلك قبل الهدنة ، فلما تم الصلح وثبت كان فتحًا مبينًا . وقيل : قال رجل عند مرجع النبي ﷺ من الحديبية : ما هذا بفتح ؛ لقد أحصرنا وصُدَّ هَدْيُنا فقال النبي ﷺ: " ليس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتوح ؛ قنع المشركون أن يدفعوكم بالراحات ، وسألوكم القضية ، ورغبوا إليكم في الأمان ، ورأوا منكم ما يكرهون "[٥].

قال الشعبي : بويع له بيعة الرضوان ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وظهرت الروم على فارس ، وبلغ الهدي محله ، وأطعموا نخل خيبر، ونزحت بئر الحديبية فمضمض النبي ﷺ ومج فيها فجاشت بالماء حتى أروت كل من نزل بالحديبية[٦].

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٦٨) .

(٢) سورة النمل ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الفجر ، الآية (٢٢) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٣٢) .

(٥) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٣٠٥) للبيهقي في دلائل النبوة .

(٦) رواه البخاري رقم (٣٣١٢) ، وأحمد في المسند رقم (١٧٨٢٨) .

وقيل : إنها لم تنزح من ذلك الوقت إلى اليوم . وقيل : فتح الروم . وقيل : فتح الله له بالإسلام والنبوة والدعوة والسيف ، ولا فتح أبين منه . وقيل : قضينا لك قضاء بينا ، على أن تدخل مكة أنت وأصحابك من قابل ؛ لتطوفوا بالبيت ، من الفتاحة ، وهي الحكومة .

﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَٰتِ الظَّآنِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾

﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ يريد : جميع ما فرط . وقيل : ما تقدم في الجاهلية وما بعدها . وقيل: ما تقدم من حديث مارية . ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ من امرأة زيد [(١)].

﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾ فيه عز . وقيل : وصفه بصفة المنصور، أو عزيزًا صاحبه .

﴿السَّكِينَةَ﴾ السكون ، أي : ما جاء به النبي ﷺ من الشرائع .﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ بالشرائع مقرونًا بإيمانهم وهو التوحيد . وعن ابن عباس : أول ما أوجب الله التوحيد ، ثم بعد ذلك أنزل الصلاة والزكاة والحج ثم الجهاد ؛ فازدادوا (٢٦٥/ ب) إيمانًا إلى إيمانهم[(٢)]. أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله . وقيل : أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد إيمانهم . ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ يسلط بعضها على بعض ، وكان من قضايا حكمته إنزال السكينة في قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح عليهم بلادًا كثيرة ، وإنما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله ، ويعذب الكافرين والمنافقين بما غاظهم من ذلك وكرهوا .

يقال في الأفعال الصالحة: فعل صدق . وفي الأفعال الفاسدة: فعل سوء .

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٣٣) . قلت: لمجرد وقوعها في قلبه ﷺ لا أكثر. والله تعالى أعلم.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٧٢) ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥١٤) لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس- رضي الله عنهما .

﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ يعود وبال مكرهم عليهم والسُّوءُ والسَّوْءُ ؛ كالضُّعف والضَّعْفِ، والكُرْهِ والكَرْه ؛ إلا أن المفتوح استعمل فيما يراد ذمه من كل شيء ، وأما المضموم فجار مجرى الشر نقيض الخير. ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ تشهد على أمتك ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟﴾ الضمير للناس. ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ بالنصرة ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ من التسبيح ، والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله : تعزير دينه ورسوله ، ومن فرق الضمائر فقد أبعد .

وقرئ: (لتؤمنوا ، وتعزروا ، وتوقروا) [1] بالتاء لله . وقيل : لرسول الله ولأمته .

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ قيل : صلاة الفجر والعصر .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ لما قال : إنما يبايعون زاد ذلك المجاز توكيدًا بقوله : يد الله فوق أيديهم ، والمعنى : إن تقرير العهد مع رسول الله ﷺ كتقريره مع الله ؛ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [2]. ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ لا يعود وبال نكثه إلا عليه ، قال جابر : بايعنا رسول الله ﷺ على الموت ، وألا نفرّ ، فما نكث إلا الجدُّ بين قيس ، وكان منافقًا ؛ اختبأ تحت إبط بعيره [3].

---

(١) قرأ بذلك ابن كثير وأبو عمرو وقرأ الباقون " ليؤمنوا ، ويعزروه ، ويوقروه " بالياء . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٩١) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٦٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٢٩)، الحجة لأبي زرعة (ص : ٦٧١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٠) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٦٠٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٢) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢١) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٨٠) .

(٣) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٣٥) وما ثبت عند مسلم وغيره خلاف هذا فقد روى مسلم في صحيحه رقم (٣٤٤٩) عن جابر قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه ، وعمر آخذ =

يقال وفيت وأوفيت ثلاثيا ورباعيا .﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾نزلت في الأعراب الذين تخلفوا عن السفر عام الحديبية وهم : أشجع ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأسلم ؛ لأن النبي ﷺ لما توجه إلى مكة عام الحديبية استفزَّ الأعراب من أهل المدينة وأهل البوادي ؛ حذرًا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه ، وأحرم رسول الله ﷺ وساق معه الهدي ليعلم أنه لم يأت لقتال ، وإنما جاء (٢٦٦/أ) معتمرًا ؛ فتأخر كثير من الأعراب ، وقالوا : نذهب إلى قوم غزونا في بلادنا وظهروا علينا ، وظنوا أنه لا ينقلب إلى المدينة ، وأن العدو يستأصلهم ، واعتلوا بالشغل بأهليهم ، وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم ؛ فكذبهم الله في الاعتذار بالأشغال ، وإنما كان سبب التخلف النفاق ، وكذلك طلبهم الاستغفار ليس بصادر عن حقيقة . ﴿فَمَن يَمْلِكُ﴾ أي : فمن يمنعكم من قضاء الله إن أراد بكم ما يضركم أو ما ينفعكم من قتل أو هزيمة أو نصر أو غنيمة ، والأهلون : جمع أهل ، وجاء في جمعه : أهلات ؛ كأرض وأرضات ، وأما أهال فاسم جمع كـ " ليال ". والبور: من بار؛ كالهُلك من هلك ، وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ويجوز أن يكون جمع بائر ؛ كعائذ وعوذ، والمعنى : وكنتم قومًا فاسدين الأحوال والعقائد . وقيل : وكنتم هلكى في حكم الله . ونكر ﴿سَعِيرًا﴾ تعظيمًا لشأنها ؛ كما نكر ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [1] .

﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

---

= بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال : بايعناه على أن لا نفر ، ولم نبايعه على الموت " . وروي أيضا في صحيحه بعد هذا الحديث عن أبي الزبير أنه سمع جابرا يُسأل: كم كانوا يوم الحديبية ؟ قال : كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره " .

(١) سورة الليل ، الآية (١٤) .

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ عن التوجه إلى الحديبية . ﴿إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾ أي : غنائم خيبر . ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ موعد الله لأهل الحديبية ؛ لأنه قدر أن غنائم خيبر لمن شهد الحديبية خاصة . ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم ، وكرر﴿ بَلْ﴾ لأن الأول إضراب عن أن حكم الله ألا يتبعوهم ، وإثبات للحسد ، والثانية إشعار بأن المؤمنين هم الذين ادعوا حرمانهم ، والباعث عليه الجهل . ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ عن الحديبية : ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب ، وهم مرتدون ؛ لأن الكفار الموصوفين بالوصف الآتي هم المرتدون ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ، وهذا دليل على صحة إمامة أبي بكر ؛ لأن الله أخبر أنهم سيدعون إلى قتال هؤلاء القوم وأخبر أنهم يدعون إلى القتال ، وأخبر أن الداعي تجب إجابته ، ولم يكن مثل ذلك إلا وقعة بني حنيفة . وقيل : المراد فارس والروم ، وعند أبي حنيفة : تقبل الجزية من مشركي العجم[1] .﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ معطوف على ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ وليست بمعنى : إلى أن . ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾عن التوجه إلى الحديبية .

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية نفى الحرج عن هؤلاء المتخلفين من أرباب الأعذار.

﴿يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ (٢٦٦/ ب) بهذه الآية سميت بيعة الرضوان ، وذلك أن النبي ﷺ لما نزل بالحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعي رسولا إلى أهل مكة فهموا به ، فمنعه الأحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه فقال : إني أخافهم على نفسي ، ولكن أدلك على شخص هو أكرم بها مني ؛ عثمان بن عفان ؛ فبعثه إليهم فأخبرهم أن رسول الله ﷺ لم يأت بحرب ، وإنما جاء زائرًا ومعظمًا لهذا البيت ، فوقروه وقالوا : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأطوف به قبل رسول الله ﷺ واحتبس عندهم ، فأرجف

---

(١) **ينظر:** بدائع الصنائع للكاساني (٧/ ١١٨ ، ١١٩) ، بداية المبتدي للمرغيناني (١ / ١٢١) ، تحفة الملوك في فقه الإمام أبي حنيفة لمحمد بن أبي بكر الرازي (١/ ١٨٨) .

بأنهم قتلوه ، فقال رسول الله ﷺ : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة ، وكانت سمرة ، فقال رسول الله ﷺ : " أنتم اليوم خير أهل الأرض. وكان عدد المبايعين ألفًا وأربعمائة "[١]. وقيل : ألفًا وخمسمائة وخمسة وعشرين . وقيل : ألفًا وثلاثمائة .

﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الإخلاص فيما بايعوا . ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي : الطمأنينة بسبب الصلح على قلوبهم . ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو مال خيبر. وعن الحسن : هو فتح هجر ، وهو أجل فتح اتسعوا بثمره[٢]. ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ هي خيبر ، وكانت أرضًا ذات عقار وأموال فقسمها بينهم ، ثم أتاه عثمان بالصلح فلما تمَّ الصلح نحر بالحديبية وحلق .

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ وهو ما بقي على المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ أي : خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي : أهل مكة وخيبر وحلفاءهم من غطفان وأسد حين جاءوا لنصرتهم ، فكف الله أيديهم عن المؤمنين . ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هذه الكفة ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل : رأى رسول الله ﷺ فتح مكة في منامه ، ورؤيا الأنبياء وحي ، فتأخر ذلك إلى السنة القابلة ، فجعل فتح خيبر علامة لفتح مكة[٣]. ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا﴾ يزيدكم بصيرة . ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ هي مغانم هوازن في غزوة حنين وقال : ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ لأن هوازن كانوا قومًا رماة فرموا المسلمين بالسهام فانهزموا ، ثم ناداهم النبي ﷺ فتراجعوا ونصرهم الله . ﴿أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ قدر عليها (٢٦٧/ أ) ويجوز أن يكون في ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ ضمير يفسره ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ وأما ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ فصفة لـ ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ ويجوز فيها الرفع على الابتداء ؛ لكونها موصوفة ، و﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ خبر للمبتدأ ، أو الجر بإضمار " رب " و﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ جملة معترضة ، أي : وفعل ذلك لتكون آية، ويجوز أن يكون وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة ، وكف الأعداء ، أي : لينفعكم بها ، ولتكون آية للمؤمنين إذا وجدوا الإخبار بها صادقًا .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٨٣٩) ، ومسلم رقم (٣٤٥٣) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٠) .

(٣) نسبه الحافظ ابن حجر في فتح الباري باب : رؤيا الصالحين ، للفريابي وعبد بن حميد والطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من أهل مكة ولم يصالحوا لهزمهم الله .

﴿ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ ﴾ في موضع المصدر المؤكد ، أي : سن غلبة أنبيائه . ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ أيدي أهل مكة ، وروي أن عكرمة بن أبي جهل خرج في خمسمائة ، فبعث رسول الله ﷺ من هزمه[1] . وعن ابن عباس : أظهر الله المسلمين عليهم فرموهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت[2] . وقرئ ﴿ وَٱلْهَدْيَ ﴾ بالنصب عطفًا على المفعول ؛ أي : صدوكم وصدوا الهديَ وبالجر[3] عطفًا على ﴿ ٱلْمَسْجِدِ ﴾ . ﴿ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ ﴾ أي : محبوسا عن أن يبلغ محله . ﴿ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾ يعود على الرجال والنساء ؛ فغلب المذكر ، و﴿ أَن تَطَـُٔوهُمْ ﴾ بدل اشتمال منهم ، أو من المضمر المنصوب في " تعلموهم " والوطء : الأخذ بقوة . والمعرة : مفعلة بمعنى عرَّاه، إذا وهَّاه . ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ متعلق بـ﴿ أَن تَطَـُٔوهُمْ ﴾ وقال رسول الله ﷺ :

" آخر وطئة وطئها الله بوج "[4] يعني : آخر وقعة أوقعها الله بالكفار بـ " وج " .

و" وج " : واد بناحية الطائف[5] .

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٩٥) ، و نسبه له الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣١٢) ، وكذا نسبه له السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٣٣) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٢) .

(٣) قرأ جمهور القراء بفتح الياء " والهديَ " وروي الجر عن أبي عمرو . **تنظر القراءات في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٩٨) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٨٤) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٣) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٣) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٤٧) .

(٤) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٩٠٤).

(٥) **وج** : هو الطائف وأراد بالوطأة الغزاة ها هنا وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ . وقيل : سميت وجا بوج بن عبد الحق من العمالقة ، وهو أخو أجإ الذي سمي به جبل طيء وهو من الأمم الخالية وقيل : من خزاعة ، وكانت الطائف تسمى قبل ذلك وجا .
**ينظر** : معجم البلدان (٤/ ٩) و (٥/ ٣٦١) .

وروي أن النبي ﷺ حرم صيده[(١)]. وحذف جواب ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون قوله: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ كالتكرير لقوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ ويكون ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ الجواب. فإن قيل: أي معرة تصيبهم إذا قتلوهم وهم لا يعلمون؟ قلتُ: تصيبهم الدية والكفارة وسوء قالة المشركين: أن هؤلاء أوقعوا بأهل دينهم؛ إذا جرى منهم بعض التقصير! و﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تفرقوا.

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾

روي أن قريشًا بعثت سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك ويعود في العام الذي يليه، ولا يكون معه شيء من آلة الحرب، وكتبوا بينهم كتابًا، فقال عليه السلام لعلي: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا: ما نعرف هذا؛ ولكن اكتب: باسمك اللهم، ثم قال: اكتب (٢٦٧/ ب) هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقالوا: لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، ولكن اكتب محمد ابن عبد الله، فقال لعلي " اكتب ما يريدون؛ فإني أشهد أني رسول الله وأني محمد بن عبد الله. فهم المسلمون بأن يأبوا ذلك، فأنزل الله على رسوله السكينة وعلى قلوب المؤمنين"[(٢)]. ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾ لما جبلوا عليه من الخير، واشرأبت قلوبهم من تعظيم حرمات الله وطاعة رسوله. وعن الحسن: ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الوفاء بالعهد[(٣)]. روي أن رسول الله ﷺ رأى قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين محلقين ومقصرين؛ فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم يدخلونها في عامهم، وقالوا: إن رؤيا رسول الله ﷺ حق،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١/ ١٦٥)، وأبو داود رقم (٢٠٣٢)، ولفظه " إن صيد وج وعضاهه حرام محرم لله " وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (١٨٧٥).

(٢) رواه البخاري رقم (٣١٨٢)، ومسلم (٥/ ١٧٥ – ١٧٦)، وأحمد في المسند (٣/ ٤٨٦).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٤٤).

فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي، ورفاعة بن الحارث : والله ما حلقنا وما قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام ؛ فنزلت[1]. وقوله : ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ أي: متلبسًا به ، وذلك ما فيه من التمييز بين المؤمنين والكافرين ، ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالاً منها ، ومعناه أنها لم تكن أضغاث أحلام ، ويجوز أن تكون باء القسم ، ويكون قوله : ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قسمًا ، إما بالحق الذي هو نقيض الباطل ، أو بالحق الذي هو من أسمائه . ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ جوابه ، وعلى الأول: هو جواب قسم محذوف . فإن قيل : ما وجه دخول المشيئة في أخباره سبحانه ، وهو عالم بما كان وما يكون ؟ قلنا : فيه وجوه : أن تعلقه بالمشيئة تعليمًا لعباده ، أو هو حكاية ما قاله رسول الله ﷺ لأصحابه وقص عليهم ، أو أن يريد لتدخلن جميعًا. ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى العام القابل .﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي : من دون فتح مكة . ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فتح خيبر .

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾

﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ بدين الإسلام ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ يريد : الأديان المختلفة . وقيل : عند نزول عيسى . وقيل: الإظهار بالحجج والآيات . ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ما وعد .

﴿مُّحَمَّدٌ﴾ إما خبر مبتدأ محذوف ، وإما مبتدأ و﴿رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ عطف بيان ، وقرئ: "رسولَ الله " بالنصب[2] على المدح . ﴿سُجَّدًا﴾ أي : من آثار ما يفعله السجود (٢٦٨/أ) في الجبهة . ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوصف ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أي : العجيب الشأن في الكتابين جميعًا ﴿كَزَرْعٍ﴾ يريد مثلهم كزرع . وقيل : تم الكلام عند قوله : ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ ثم ابتدأ : ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى

(١) نسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣١٦) للبيهقي في دلائل النبوة في باب قصة الحديبية.

(٢) تروى هذه القراءة عن ابن عامر . **تنظر** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٠١) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٠) .

﴿ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ﴾ ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة مبهمة أوضحها بقوله: ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ كقوله: ﴿وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ﴾ الآية[1].

﴿شَطۡـَٔهُۥ﴾ فراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ من المؤازرة وهي المعاونة ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ فصار من الدقة إلى الغلظ، وقرئ: "فأزره"[2] ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ فاستقام على قصبه. وقيل: في الإنجيل: سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ومن التكلف قول من زعم أن قوله: ﴿أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ أبو بكر ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ عمر ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ عثمان ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ علي. ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ إلى آخرها: بقية الصحابة ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ لأنهم إذا سمعوا هذه الصفات والثناء على أصحاب النبي ﷺ وغيرهم من المؤمنين شق ذلك عليهم وغاظهم[3]. ﴿مِنۡهُم﴾ من الجنس لا التبعيض؛ لأن المؤمنين كلهم قد آمنوا وعملوا الصالحات فكلهم موعود بالمغفرة والأجر العظيم.

* * *

---

(١) سورة الحجر، الآية (٦٦).

(٢) في الأصل بفراخه، وهو خطأ ولعله سبق قلم، والمثبت كما في الكشاف، وبقية مراجع القراءة، وقرأ جمهور القراء "فآزره" بالمد، وقرأ ابن ذكوان وأبو حيوة وحميد بن قيس "فأزره" بالقصر.
**تنظر القراءات في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٠٣)، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٥)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٠)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٧٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤٨)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥).

(٣) روى القزويني في التدوين في أخبار قزوين (٢/ ٤٦٢) عن سفيان الثوري عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ عمر بن الخطاب ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ عثمان بن عفان ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ علي بن أبي طالب ﴿يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا﴾ طلحة والزبير ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ﴾ أبو عبيدة بن الجراح ﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾ أبو بكر ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ بعمر ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ يعني عثمان ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ علي بن أبي طالب.

## تفسير سورة الحجرات [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ①﴾

يقال: قدَّمه وأقدمه ، وهما منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدَّمه إذا تقدَّمه ، ومنه قوله : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ (١) ونظيره نقلا ومعنى : سلَّفه وأسلفه .

ولم يذكر مفعولا لقوله : ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ إما ليراد عمومه في كل تقدم ، وإما أن لا يريد له مفعولا ؛ كقوله : ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾(٢) ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم ؟ كوجَّه وبيَّن ، ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة ، ويعضده قراءة من قرأ: "تَقدَّموا" بحذف إحدى التاءين ، والأول أحسن ، وقرئ " تَقْدِموا "(٣) من القدوم؛ أي : لا تقدموا على أمر قبل قدومهما ، وحقيقة ذلك كقولك : جلست بين يديه : أن تجلس بين الجهتين المسامتين ليمينه وشماله فسميت الجهتان يدين ؛ لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعًا ؛ كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوره ، ويسمى في علم البيان: التمثيل ، ولو قال : لا تكونوا كالذين تقدموا كان تشبيهًا ، وفيها فائدة جليلة ، وهي تصوير هجنة ما صنعوا ، والمعنى: لا تقطعوا أمرًا إلا بعدما (٢٦٨/ ب) يحكم الله ورسوله به فتكونوا إما عاملين بالوحي المنزل عليه أو مقتدين بالرسول، عليه الصلاة والسلام ، ويجوز أن يكون كقوله [ من الرجز ] :

عجبتُ من نفسي وإشفاقِها(٤).

---

(١) سورة هود ، الآية (٩٨) .

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٦) .

(٣) قرأ يعقوب من العشرة " لا تقَدَّموا " ، وقرأ بقية العشرة " لا تُقدِّموا " وقرئ " لا تَقْدِموا " .

**تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٠٥) ، تفسير القرطبي (١٦/ ٣٠٠) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٦٨) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ٥٥٢) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٧٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٥) .

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة النمل .

وقولك : عجبت من زيد وكلامِه في قضية كذا ، وفائدة هذا الأسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ، وأن التقدم بين يدي رسول الله ﷺ تقدم بين يدي الله . وعن مسروق: دخلت على عائشة في اليوم الذي يشك فيه ؛ فقالت للجارية : اسقيه عسلا ، فقلت : إني صائم ، فقالت : قد نهى الله عن صوم هذا اليوم ، وفيه نزلت(١).

وروي أن ناسًا ذبحوا يوم الأضحى قبل الصلاة فأمرهم رسول الله ﷺ أن يعيدوا ذبحًا آخر(٢). وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله : يجوز إذا مضى قدر الصلاة(٣). وعن الحسن أيضًا: لما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة أتته الوفود من الآفاق وأكثروا عليه المسائل فنهوا أن يبتدئوه بالمسألة حتى يكون هو المبتدئ(٤). وعن قتادة: ذكر لنا أن ناسًا كانوا يقولون : لو أنزل في كذا وكذا لكان حسنًا ؛ فنهوا عن ذلك ؛ فنزلت الآية(٥). وقيل : هي عامة في كل قول وفعل إذا جرت مسألة في مجلس رسول الله ﷺ فلا يتكلم فيها أحد قبل رسول الله ﷺ .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فإنكم إذا اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهي عنها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

وإن حدثتموه وهو ساكت فاجعلوا صوتكم كصوت المشاور ، وإن حدثكم وهو رافع صوته فلا تبلغوا برفع صوتكم رفع صوته ، بل لابد من مراعاة علو صوت النبي ﷺ وأعاد النداء عليهم استدعاء لتيقظهم ، وتكرير تنبيه على الأغنياء بما كلفوه من ذلك . وقيل : المعنى : لا تنادوه باسمه فتقولوا : يا محمد ، وخاطبوه بالنبوة فقولوا : يا أيها

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٥٠) وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣٢٤) : غريب .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ١١٧) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٤٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن ﷺ . ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣٢٥) لعبد الرزاق في تفسيره .

(٣) ينظر: الهداية شرح البداية (٤/ ٧٢) ، بدائع الصنائع للكاساني (٥/ ٦٢) ، المجموع للنووي (٨/ ٢٨٢ ، ٢٨٣) ، الإقناع للشربيني (٢/ ٥٩١).

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٣٢٥) عن الحسن وقال : غريب .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٤٦) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

الرسول، يا أيها النبي ، فلما نزلت قال أبو بكر : والله لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله [١] وعن عمر مثل ذلك لا يسمعه النبي ﷺ حتى يستفهمه [٢] وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على النبي ﷺ وفد بعث إليهم من يعلمهم كيف يسلمون عليه[٣]. وليس المراد بالنهي عن رفع الصوت رفعه بالاستهانة والاستخفاف ؛ فإن ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون ، وإنما المراد صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به (٢٦٩/ أ) العظماء ، ويوقر به الكبراء ، فيتكلف الغض منه ، وليس المراد أيضًا النهي عن الجهر عند حضور مصلحة ، وقد قال النبي ﷺ للعباس عمه : " اصرخ بالناس "[٤]. وكان العباس صيتًا يروى أنه صاح مرة فأسقطت الحوامل[٥]. وفيه يقول الشاعر [ من المنسرح ] :

زَجْرَ أَبي عُرْوَةَ السِّبَاعَ إِذَا  أَشْفَقَ أَنْ يَخْتَلِطَن بِالغَنَمِ[٦]

والمراد نهيهم عما كانوا يعتادونه من رفع الأصوات . قيل : نزلت في ثابت بن قيس بن شماس ، وكان في سمعه ثقل ، وكان جهوري الصوت فكان إذا كلم النبي ﷺ رفع صوته[٧]. والحبوط : مأخوذ من قولهم : حبطت الإبل : إذا أكثرت من أكل الخضير فانتفخت أجوافها ، وربما هلكت .

وفي الحديث: " إن مما ينبت الربيع ما يقتُل حَبطًا أو يُلِم "[٨].

وقد دلت الآية على أمرين عظيمين : أحدهما : أن في أعمال المؤمنين ما يقتضي حبوط العمل الحسن ، وأنه ربما ظن أن الشيء حسن وهو عند الله يحبط ؛ فعليه أن يتوقي كمن يمر في طريق كثير الشوك ؛ فهو يتوقى إصابته .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٧٤) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٠٣) رقم (٧٥٦) وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال : حصين واهٍ . وهو حصين بن عمر الأحمسي وهو متروك كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١١١) .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٤٦٧) ، والترمذي رقم (٣١٨٩) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٥٢) .

(٤) (٥) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٣٢٧) .

(٦) تقدم تخريجه في تفسير سورة الصافات .

(٧) رواه البخاري رقم (٣٣٤٤) ، ومسلم رقم (١٧٠) .

(٨) رواه البخاري رقم (١٣٧٢) ، ومسلم رقم (١٧٤٤) .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ من قولك: امتحن فلان لأمر كذا ؛ فهو مضطلع به وغير وان عنه ، والمعنى أنهم صبروا على التقوى وتحمل مشاقها ، أو وضع الامتحان موضع المعرفة ؛ لأن الامتحان سبب المعرفة واللام كالتي في قولك : أنت لهذا الأمر ، أي : كائن ، وقول الشاعر [ من الرجز ] :

أنتَ لها أحمدُ من بينِ البشرْ[1]

وهي مع معمولها منصوبة على الحال ، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى . وقيل : خلصها للتقوى ؛ من قولهم : امتحن الذهب إذا ألقاه ليذهب خبثه . قيل : نزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر وغضهما أصواتهما حتى صارا كأخي السرار ، وفي تنكير المغفرة والأجر ما يدل على أنه لا يقدر قدره ، وتنبيه على شرف الشيخين رضي الله عنهما ، وارتضاء لما صنعاه من غض الصوت .

والوراء : الجهة التي يواريها شخصك ، سواء كانت من خلف ، أو من قدام ؛ فالنهي وقع عن مناداته وهو في الدار ؛ كما ينادي الأجلاف بعضهم بعضًا . والحجرة : القطعة من الأرض المحجوزة بحاجز، وحظيرة الإبل تسمى الحجرة ، وهي فعلة بمعنى مفعولة ، وجمع الحجرات يدل على أنهم تفرقوا حول حجر النبي ﷺ (٢٦٩/ ب) فهذا يناديه من حجرة ، وذاك يناديه من أخرى ، ويحتمل أنهم اجتمعوا فنادوه من حجرة ثم اجتمعوا فنادوه من أخرى ، ويجوز أن يكون جمع الحجرات إجلالا للنبي ﷺ والفعل يجوز أن يتولاه بعضهم ، وكان الباقون راضين ، فلذلك أضيف إلى جميعهم ؛ كقوله : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾[2] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ

---

(١) هذا صدر بيت للحرمازي ، أو لعبد الله بن الأعور بن قراد في مدح المنذر بن الجارود ، وعجزه :
............ داهية الدهر وصماء الغبر ، **ينظر في** : تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله (٥٦/ ٥٠٣ ) ، الكشاف للزمخشري (٣/ ١٩٢) ، لسان العرب ( غبر) ويروى : أنت لها منذر من بين البشر .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٦١) .

يَمُوسَىٰ ﴾ (١)﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ ﴾ (٢) وقد ذكر أن الذي ناداه عيينة بن حصن بن بدر الفزاري ، والأقرع بن حابس التميمي .

قوله : ﴿أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ يجوز أن يكون المراد متظاهرة وهو خروج بعضهم عن أن ينسب إلى عدم العقل ، ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدًا إلى نفي أن يكون فيهم من يعقل ؛ فإن القلة تقع موقع النفي في كلامهم .

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾

﴿أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ﴾ في موضع رفع بالفاعلية ، أي : لو ثبت صبرهم . والصبر : حبس النفس عن أن تسارع إلى هواها . وقولهم : صبر عن كذا محذوف المفعول ، أي : صبر نفسه ؛ أي : حبسها ، وقال بعضهم: الصبر مر ، ولا يتجرعه إلا حر .

وقوله:﴿ إِلَيۡهِمۡ ﴾ يقتضي أنه لو خرج ولم يعلموا أنه خرج إليهم ألزمهم الصبر حتى يعلموا أنه خرج إليهم ، وفي ﴿لَكَانَ﴾ ضمير يعود إليه اسم كان ، أو يرجع الضمير إلى مصدر ﴿صَبَرُواْ﴾ لقولهم : من كذب كان شرًا له .

روي أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة مُصَدِّقًا إلى بني المصطلق ، وكان بينه وبينهم شحناء فخرجوا يتلقونه وظن أنهم خرجوا لقتاله فرجع إلى النبي ﷺ وقال : منعوني الزكاة فجاءوا وقالوا : نعوذ بالله من غضبه ومن غضب رسوله ، فقال لهم : لئن لم تنتهوا لأبعثن عليكم رسولا يقتل مقاتليكم ويسبي ذراريكم ، فبعث خالد بن الوليد فوجدهم مطيعين لم يخطر ببالهم غدر بأحد ؛ فنزلت ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (٣) ، وفي تنكير الفاسق والنبأ دليل على أنه أي فاسق جاء بأي نبأ كان ، فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الأمر وانكشافه

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٧٢) .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (٧٧) .

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٠٤ – ٤٠٧) وفي سنده معلى بن عبد الرحمن ؛ قال عنه ابن حبان في المجروحين (٣/ ١٧): يروي عن عبد الحميد بن جعفر المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد.

والفسوق: الخروج من الشيء ؛ يقال : فسقت الرطبة عن قشرها ، ومن مقلوبه : فقست البيضة ، إذا كسرتها وأخرجت ما فيها ، ثم استعير لسلوك غير طريق الحق ، قال رؤبة [من الرجز ] :

فواسقًا عن قصدِها جوائِرا [١]

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال ؛ كقوله : ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [٢] أي: جاهلين بحقيقة الأمر ولا يريد صبح النهار ؛ بل الصيرورة . والندم : ضرب (٢٧٠/أ) من الغم يتجدد كلما تجدد له ذكرٌ ندم عليه .

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

﴿لَوْ﴾ متعلقة بما قبلها ؛ حال من أحد الضميرين في ﴿فِيكُمْ﴾ وهو المستتر المرفوع ، أو البارز المجرور ، والمعنى : أن فيكم رسول الله لو أطاع كل قائل وعمل بقول كل مشير لوقعتم في العنت والمشقة ، وفيه دليل على أنه كانت تبدو منهم فرطات ، وكذلك في قصة الوليد صدر من بعض الصحابة أن يشير على النبي ﷺ بتصديق الوليد وتكذيب بني المصطلق . والعنت : المشقة ؛ يقال : عنت الرجل : إذا جبر عظمه المكسور فجاء العظم معوجًا ، وأنه يكسر العظم ليجبر مستقيما ، وذلك هو العنت ، وإنما قدم خبر﴿ أَنَّ﴾ لأن سياق هذا الكلام يقتضي إنكار فعله من داخل رسول الله ﷺ في الرأي ، فكان ذكرهم أهم . فإن قيل : لم قال : ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ ولم يقل : لو أطاعكم ؟ قلتُ: لأن الفعل المضارع يدل على التكرر؛ كقولك : فلان يحمل الكَلَّ ويصل الرحم. ودخلت " لكن " مع أن شرطها مخالفة ما بعدها لما قبلها ؛ لأن هؤلاء صفتهم غير صفة الذين قبلهم[٣] . والكفر : تغطية نعم الله وسترها بالجحود ، والرشد : الاستقامة على طريق الحق مع تصلُّب فيه من

---

(١) **ينظر الرجز في** : تفسير الطبري (١٥/ ٢٦١) قال ابن جرير : " يعني بالفواسق : الإبل المنعدلة عن قصد نجد ، وكذلك الفسق في الدين إنما هو الانعدال عن القصد والميل عن الاستقامة " .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٢٥) .

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٦٢) .

الرشادة . و﴿فَضۡلٗا﴾ مفعول له ، أو مصدر من غير فعله وقوله :﴿ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ ﴾ الله تعالى فاعل النعم ، وإفضاله : إنعامه ، فصح إذن شرط المفعول من أجله ، وهو أن يكون فعل فاعل المعلل .

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ (٩) إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ (١١) ﴾

وروي أن رسول الله ﷺ ركب حمارًا ، ومر على ملأ من الأنصار فيهم عبد الله بن أبي المنافق ، فبال حمار النبي ﷺ فغطى عبد الله بن أبي أنفَه وقال : أخر حمارك عنا فقد آذانا نتنه؛ فقال عبد الله بن رواحة : حمار رسول الله ﷺ أفضل منك ، وبوله أطيب من مسكك؛ فتقاولا وجاء كل واحد منهما قومه من الأوس والخزرج ، فجاء النبي ﷺ فأصلح بينهم فنزلت ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ ﴾ [1].

والبغي: الاستطالة وإباء الصلح و﴿تَفِيٓءَ﴾ ترجع ، وإنما قال : ﴿ٱقۡتَتَلُواْ﴾ ولم يقل: اقتتلتا ؛ حملا على المعنى ؛ فإن الطائفتين في معنى الجماعتين ، وفي قتال أهل البغي تفاصيل مذكورة في كتب الفقه . أمر بالقسط على سبيل العموم ، وحكم بأن المسلم أخو المسلم ، فإذن أوجبت أخوة النسب النصرة والمصافاة ، فأخوة الدين أولى . وقيل : المراد بالأخوين الأوس والخزرج (٢٧٠/ ب) وهو بعيد . روي أن نساء النبي ﷺ [ عيروا أم سلمة ][2] بالقصر؛ فأنزل الله تعالى﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ﴾الآية [3]. القوم : الرجال خاصة ؛ لأنهم القوام بأمر قبيلتهم وعشائرهم ، وقول زهير [ من الوافر ] :

[ وما أدري وسوفَ إخالُ أدري ] أقومٌ آلُ حصنٍ أمْ نساءُ [4]

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٩١) ، ومسلم رقم (١٧٩٩) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٠٨ - ٤٠٩) .

(٢) ما بين المعقوفين بياض بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٧٠) .

(٤) ورد الشطر الأول في الأصل : فوالله ما أدري وإن كنتُ داريًا ، وهو بيت آخر من بحر الطويل كما في=

ودخول النساء في لفظ القوم في قوله : ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [(١)] وقوله : ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [(٢)] فبطريق التبعية .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

و(الغيبة) من الاغتياب ؛ كالغيلة من الاغتيال ، وهي ذكر السوء في الغيبة ، وسئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال : " أن تذكر أخاك بما يكره ؛ فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته " [(٣)] . ولما ذكر الله تعالى أن الغيبة بمنزلة أكل لحم أخيك . عقب ذلك بقوله : ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أي : فقد تحققت الكراهة وقد ركز في الطباع كراهية أكل لحم الميت ، أي : فاتركوا الغيبة كما تتركوا أكل لحم الميت .

وقوله : ﴿مَيْتًا﴾ إما حال من ﴿لَحْمَ أَخِيهِ﴾ أو من الأخ ، وعدي ﴿كَرِهَ﴾بـ ﴿إِلَى﴾ في قوله : ﴿كَرِهَ﴾وبنفسه ها هنا لأن القياس تعديته بنفسه قبل التثقيل ؛ تقول : كرهت الشيء وكرهته غيري ، وأما تعديته بـ " إلى " فإجراء " كره " مجرى " بغض " والمبالغة في التواب ؛ لكثرة من يتوب الله عليه من عباده ، أو لأنه ما من ذنب إلا وهو مغفور بالتوبة.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بالندم على ما فرط وامتثال أوامره . روي أن سلمان كان يخدم رجلين ويسوي لهما طعامهما ، فغفل سلمان عن شأنه ؛ فبعثاه إلى رسول الله ﷺ يطلبان منه إدامًا، فأتى أسامة - وكان على طعام رسول الله ﷺ فلم يجد عنده شيئًا ، فأتاهما

---

= لسان العرب (شعث) وعجزه : ......................... شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر
وما أثبتناه هو صدر البيت المستشهد به هنا كما في المصادر التي خرجناه منها وهو من بحر الوافر .
**ينظر في** : غريب الحديث للخطابي (١/ ٥٢٦) ، لسان العرب (قوم) .

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٠٥) .

(٢) سورة هود ، الآية (٦٠) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه رقم (٤٦٩٠) ، والترمذي رقم (١٨٥٧) ولفظه فيهما : عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول . قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته " .

فأخبرهما بذلك، فقالا : لو بعثناه إلى بئر سُمَيْحَةَ[١] لغار ماؤها! ثم جاء إلى رسول الله ﷺ فقال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم على أفواهكما ؟! فقالا: ما أكلنا لحمًا ! فقال لهما: إنكما اغتبتماه . فنزلت" [٢] . قوله : ﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ أي : من آدم وحواء ، أي : كل إنسان من ذكر وأنثى . والشعب : أعلى البطون ؛ فإنه للقبيلة العظيمة ، ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ؛ فأعلاها الشعب ، وخزيمة شعب وكنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعباس فصيلة ، ورتبهم هذا الترتيب ليتعارفوا لا ليتفاخروا بالأجداد ، ثم بين الخصلة التي يحصل بها الشرف والكرم عند الله فقال :﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٢٧١/أ).

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾

الإيمان : هو التصديق مع الثقة ، والإسلام : الدخول في السلم والخروج من أن يكون حربًا للمسلمين . ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ لا ينقصكم .

وعن ابن عباس: أن نفرًا من بني أسد قدموا المدينة فأغلوا أسعارها وأفسدوا الطريق بالعذرات ، وهم يقولون لرسول الله ﷺ : قدمنا بالأثقال والعيال. يريدون الصدقة ، فنزلت ﴿أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [٣]. أي : على زعمكم .

---

(١) سميحة - بلفظ تصغير سمحة بالحاء المهملة - : موضع . وقيل : بئر بالمدينة . وقيل : بئر بناحية قديد وقيل : عين معروفة ، وقيل : سميحة : بئر قديمة بالمدينة غزيرة الماء .
ينظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ( ٣/ ٢٥٥) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٧٤) ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣٤٨/٣) : غريب وبمعناه رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب الترغيب والترهيب .

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤١٢) رقم (٧٦٧) ، وابن كثير في تفسيره ونسبه للبزار عن ابن عباس رضي الله عنهما .

# تفسير سورة ق [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾

جواب القسم كما في " ص ". و﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾ ذو الشرف على غيره من الكتب، ومن اتبع أوامر القرآن فقد مجد عند الله وهو بسبب من الله المجيد؛ فجاز اتصافه بصفته .

أنكر تعجبهم مما ليس بعجب وهو أن يبعث الله رسولا إلى خلقه ويؤيده بالمعجزات، وإذا علم ذلك الرسول أن خطبًا شديدًا يدهمهم بإدراك إنذارهم وتحذيرهم فكيف بما هو أشد المحذورات وهو بعث الكفار معهم الكفر. والعجب تعجبهم من ذلك وهو خلقهم أول مرة وأنه خلق السماوات والأرض وهو أكبر من خلق الناس، ووضع الكافرون موضع المضمر للدلالة على أن إقدامهم على هذا التعجب كفر، ولفظة ﴿هَٰذَا﴾إشارة إلى الرجعة و﴿أَءِذَا﴾ منصوب بمضمر تقديره: أنبعث إذا كنا ترابًا ؟ وقوله ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾إما من كلام الله، أو حكاية عنهم أنهم قالوه، وقرئ " إذا "[1] على الخبر، وهو أيضًا منكرٌ من كلامهم، والدليل على إنكاره: ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾وقيل: إن الرجع بمعنى الرجوع؛ فيكون العامل في الظرف محذوفًا وهو الذي دل عليه المنذر. ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾رد على استبعادهم الرجعة؛ لأن من اتسع علمه حتى علم ما تأكله الأرض من لحومهم وأجزائهم ولم يخف عليه أين تلك الأجزاء وكان قادرًا لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض قدر على أن يحيي الموتى.

قوله: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾أي: محفوظ من الاختلاف والتغيير، أو من الشياطين، أو حافظ لما وضع فيه.﴿بَلۡ كَذَّبُواْ﴾ إضراب عن الإنكار الأول؛ لأن الثاني أشد من الأول وهو تكذيبهم الرسل المؤيدين بالمعجزات في أول وهلة، ولم يتدبروا ولم يتفكروا؛ بل كذبوا في أول

---

(١) قرأ بها ابن عامر في رواية عنه وأبو جعفر والأعمش والأعرج. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٨١) .

وهلة ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ مختلف مضطرب يقولون تارة: شاعر. وأخرى: كاذب. وأخرى: كاهن. لا يصرون (٢٧١/ب) على شيء، وقرئ: "لِما جاءهم"[١] بكسر اللام، و﴿مَا﴾ على هذا مصدرية. وقيل: ﴿بِالْحَقِّ﴾ القرآن.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾

وقيل: الإخبار بالبعث ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟﴾ آثار قدرة الله في خلق العالم؛ من السماء برفعها بغير عمدٍ، وترتيب كواكبها وما فيها من الملائكة والآيات. ﴿مِن فُرُوجٍ﴾ من فتوق، يعني: أنَّها ملساء سليمة من العيوب، ومن الأرض وبسطها وما ألقي فيها من الجبال والأنهار. ﴿مَدَدْنَـٰهَا﴾ دحوناها. ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لولاها لانكفأت.

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل صنف يبتهج من يراه ﴿مُّبَـٰرَكًا﴾ كثير المنافع ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ وحب الزرع الذي من شأنه أن يحصد. ﴿رِّزْقًا﴾ مصدر لأن الإنبات في معنى الرزق. وقيل: مفعول لـ " نزلنا " ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً﴾ ﴿بَاسِقَـٰتٍ﴾ طوالاً.

وقرئ: "باصقات"[٢] بالصاد لأجل القاف. ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ متراكم بعضه فوق بعض، أو متراكم ما فيه من الثمر. ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ من القبور بعد الموت، والكاف في موضع رفع على الابتداء. أراد بـ ﴿وَفِرْعَوْنُ﴾ قومه؛ كقوله: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾[٣] و﴿كُلٌّ﴾ يجوز أن

---

(١) قرأ بها الجحدري. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٢) .

(٢) قرأ بها قطبة بن مالك. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٢)، تفسير القرطبي (١٧/ ٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٢) .

(٣) سورة يونس، الآية (٨٣) .

يرجع إلى كل واحد؛ لأن كل واحد منهم كذب الرسل كلهم، وأن يراد تكذيب كل أمة رسولها، ووحد الضمير المصحح لـ " كل " على اللفظ دون المعنى.

﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب وحل. عيي بالأمر: إذا لم يهتد لوجه الصواب فيه، والمعنى أنهم علموا أن الله قدر على إيجادنا أول مرة فهو يقدر على إيجادنا ثانيا. ﴿فِي لَبْسٍ﴾ أي: في اختلاط وشبهة، وقد لبس عليهم الشيطان أمرهم؛ فإنه أثبت في أذهانهم أن إحياء الموتى لا يتصور، وإنما نكر في ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأنه أراد خلقًا جديدًا له شأن بخلاف تعريفه في أول السورة.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾

الوسوسة: الصوت الخفي، ومنه: وسواس الحلي، ووسوسة النفس: هو ما يخطر ببال الإنسان، والباء في قوله: ﴿تُوَسْوِسُ بِهِ﴾ مثلها في: همس به وصوَّت به، ويجوز أن تكون الباء للتعدية، والضمير للإنسان؛ أي ما يجعله موسوسًا، و" ما " مصدرية. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ يعني، قرب مجاز، وقوله: ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ أي: من حبل العاتق، وهو مثل في القرب؛ كما يقال: هو مني مقعد القابلة ومعقد الإزار، قال ذو الرمة [ من السريع ]: والموتُ أدنى لي مِنَ الوريدِ[1] (٢٧٢/ أ) .

والوريدان: عرقان مكتنفان بصفحتي العنق في مقدمها، متصلان بالوريد، يردان من الرأس إليه، وإضافة الحبل إلى الوريد يشبه إضافة الحبل إلى نفسه وجاز ذلك كما قالوا: بعير سائبة، والسائبة هو البعير، أو يراد حبل العاتق؛ فيضاف إلى الوريد كما يضاف إلى العاتق؛ لاجتماعهما في عضو واحد.

و﴿إِذْ﴾ منصوب بـ ﴿أَقْرَبُ﴾ لأن الظروف تعمل فيها المعاني متقدمة ومتأخرة.

وروي في الحديث: " إن مقعد ملكيك على ثنيتك، ولسانك قلمهما، وريقك مدادهما، وأنت غافل عن ذلك "[2]. والتلقي: التلقن بالحفظة والكتبة، والقعيد: المقاعد كالجليس

---

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة، وصدره: هل أغدون في عيشة رغيد ..................

**ينظر في:** تفسير البيضاوي (٥/ ٢٢٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٨٣) .

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في الكشاف (٣/ ٣٥٧) ونسبه للثعلبي بإسناده إلى علي بن=

والعشير، والتقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد؛ كقول الشاعر [ من الطويل ]:

.... كنتُ منهُ ووالدي بريًّا...............[١]

﴿رَقِيبٌ﴾ملك يرقب عمله. ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر، واختلف فيما يكتبان الملكان، فقيل: يكتبان كل شيء حتى الأنين في المرض. وقيل: لا يكتبان إلا ما تعلق به ثواب أو عقاب وروي أن كاتب الحسنات على اليمين وكاتب السيئات على الشمال، وكاتب اليمين أمين على كاتب اليسار؛ فإذا عمل العبد حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا كسب سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يستغفر أو يتوب، فإذا مضت سبع ساعاتٍ، فإن تاب وإلا كتبها واحدة.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ (٢٠) وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٢)﴾

لما ذكر إنكارهم للبعث أعقبه بذكر كيفية ما يخشى وقوعه من عذاب يوم القيامة، ودل على قربه للعبارة عنه بالماضي بقوله: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ وسكرة الموت: شدته الذاهبة بالعقل، والباء في﴿ بِٱلْحَقِّ﴾ للتعدية. وقيل: للمصاحبة، وقرأ ابن مسعود: "وجاءت سكرة الحق بالموت"[٢] والباء على هذه القراءة للتعدية؛ لأنها سبب

---

=أبي طالب عن النبي ﷺ وفي آخره: " وأنت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ".

(١) جزء من بيت لابن أحمر، وقيل: للأزرق بن طرفة بن العمرد الفراصي، وتكملته:

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريا ومن جول الطوي رماني

ينظر في: تفسير الطبري (١١/ ٨٦)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٢)، لسان العرب (جول)، معجم البلدان (١/ ٣٩٠) وجول الطوي: جدار البئر. قال ابن منظور في اللسان: " قال ابن بري: أي رماني بأمر عاد عليه قبحه؛ لأن الذي يرمي من جول البئر يعود ما رمى به عليه، ويروى: ومن أجل الطوي قال: وهو الصحيح؛ لأن الشاعر كان بينه وبين خصمه حكومة في بئر فقال خصمه: إنه لص ابن لص. فقال هذه القصيدة وبعد البيت: دعاني لصا في لصوص وما دعا بها والدي فيما مضى رجلان

(٢) وقرأ بها أيضا أبو بكر الصديق ﷺ . تنظر في: تفسير القرطبي (١٧/ ١٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٣)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٧٨) .

حصول الموت، ولأن الموت يعقبها فكأنها أتت به. ويجوز أن يكون المعنى: جاءت ومعها الموت. وقيل ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ هو الله، وأضيفت إلى الله؛ تعظيمًا لشأنها وتهويلا .

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخطاب للإنسان ملتفتًا عن قوله: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ وما بينهما اعتراض. وقيل: هو خطاب للكافر، والإشارة إلى الحق. وسئل زيد بن أسلم عن قوله: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾؟ فقال: هو خطاب لرسول الله ﷺ فبلغ ذلك صالح بن كيسان فأنكره، فبلغ ذلك الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس فقال: أخالفهما؛ هو لكل بر وفاجر[١].

﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ﴾ أي: ذلك يوم إنجاز الوعيد (٢٧٢/ب) والإشارة إلى مصدر "ونفخ" ﴿سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ ملكان أحدهما يسوقها إلى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله. وقيل: هو ملك واحد يسوق ويشهد، ومحل ﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ النصب على الحال من ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾.

﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ﴾ وقرئ: " لقد كنتِ " بكسر التاء ، و " عنكِ عطاءكِ فبصركِ " بكسر الكاف[٢] شبه حاله بشيء قد غطى عليه تغطية موثقة؛ فصار لا يبصر شيئًا، ثم كشف عنه ذلك الغطاء؛ فصار بصره حديدًا.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قَرِينُهُۥ﴾ شيطانه؛ كقوله: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾[٣] ويشهد له قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قال الشيطان وهو مقرون معه في السلسلة: هذا الشخص الذي لدي قد أعتدته[٤] وهيأته لدخول جهنم بإغوائي. ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ يجوز أن تكون ﴿مَآ﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٨٦) وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٢٥): " فالصحيح أن المخاطب بذلك الإنسان من حيث هو. وقيل: الكافر، وقيل غير ذلك ".

(٢) قرأ بذلك الجحدري وطلحة بن مصرف. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢) .

(٣) سورة الزخرف، الآية (٣٨) .

(٤) أي: جهزَّته وحضَّرته. عتيد: مهيأٌ حاضرٌ. المعجم الوسيط / عتد .

نكرة موصوفة أي: هذا شيء لدي، و﴿عَتِيدٌ﴾ صفته، ويجوز أن تكون موصولة و﴿ لَدَيَّ﴾ صلتها و﴿عَتِيدٌ﴾ خبر بعد خبر أو بدل، أو خبر مبتدأ محذوف .

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ إن كان السائق والشهيد واحدًا ففيه وجهان:

أحدهما عن المبرد: أن تثنية الفاعل بمنزلة تثنية الفعل؛ كأنه قال: ألق ألق[1].

والثاني: أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان؛ فكثر على ألسنتهم أن يقولوا: خليلي وصاحبي، وقفا واسعدا. وقال الحجاج لبعض حرسه: يا حرسي اضربا عنقه؛ فجرى ذلك على عادة كلامهم. وقرأ الحسن: " وَأَلْقِيَنَا "[2] أبدل النون الساكنة ألفًا، ويجوز أن يكون ﴿أَلْقِيَا﴾ إجراء للوصل مجرى الوقف؛ فأثبت الألف عوضًا عن النون في حال الوصل. ﴿عَتِيدٌ﴾ بمعنى معاند؛ كعشير وجليس. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كثير المنع. قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة؛ كان يقول: من دخل في دين محمد لم أنفعه بشيء أبدًا [3].

﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في الله وفي دينه. ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ مبتدأ خبره: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ وأدخلت الفاء على الخبر لتضمنه معنى الشرطية، ويجوز أن يكون ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ بدلاً منصوبًا من ﴿ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ ويكون ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ تكريرًا للتوكيد، ودخلت الواو في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ﴾ لأنه لم يكن مقاولة سؤالا وجوابًا بخلاف قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ فإنها حكاية جواب وكذلك جاء في مقاولة موسى وفرعون: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [4] كررها تسع مرات بغير واو (٢٧٣/أ) وقوله ها هنا: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ أجراه مجرى المقاولة؛ لأنه لما قال: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ دل على أنه كان قد جرى بينهم مقاولة.

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ﴾

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٨٧) .

(٢) تنظر قراءة الحسن في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٦)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٧٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٢)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٤) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٨٧) .

(٤) سورة الشعراء، الآية (٢٣) .

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ فأعذب من لا يستحق. الباء في قوله:﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ مثلها في قوله ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾ [(١)] إذا قرئت بضم التاء الأولى[(٢)] ويجوز أن تكون للتعدية إذا جعلت تقدم مطاوعًا لمعنى قدم، ويجوز أن يكون الفعل واقعًا على الجملة؛ وهي قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ﴾ ويكون قوله: ﴿بِٱلۡوَعِيدِ﴾ حالاً، أي: قدمت متلبسًا بالوعيد قوله: ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ﴾ جملة وقعت حالا من ﴿تَخۡتَصِمُواْ﴾ مضارع و﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ﴾ ماض، وهذه الحال لا يمكن اجتماعها مع صاحب الحال، ومعناه: لا تختصموا وقد صح عندكم أني قدمت إليكم بالوعيد. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ﴾ نفي للمبالغة، ولا يلزم من نفي المبالغة نفي أصل الفعل ؟ **وجوابه من وجوه: أحدها:** أن يكون " ظالما وظلاما " بمعنى واحد على لغة قوم. **والثاني:** أن معناه: لو عاقبت من لا يستحق العقاب لكنت بليغ الظلم. **والثالث:** أنه جمعٌ لجميع العبيد؛ تقول: أغلقت الباب وغلقت الأبواب، ولا تقول: غلقت الباب؛ كذلك ها هنا لو قال: وما أنا بظلام لعبد لورد السؤال. وانتصاب اليوم بظلام، أو بإضمار فعل نحو اذكر وغيره، أو بـ ﴿نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ .

﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾ وعلى هذا يشار بذلك إلى ﴿يَوۡمَ نَقُولُ﴾ ولا يقدر حذف مضاف. وسؤال جهنم وجوابها من باب المجاز الذي يراد به تقوية المعنى في النفس، وفيه وجهان: أحدهما: أنها تمتلئ حتى لا يبقى فيها سعة لمكان واحد مع اتساعها وتباعد أطرافها. والثاني: أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع المزيد، ويجوز أن يكون﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ﴾ استكثار لمن دخلها أو غضبًا على الكفار والعصاة، والمزيد إما مصدر كالمحيد، وإما اسم مفعول كالمبيع. ﴿غَيۡرَ بَعِيدٍ﴾ نصب على الظرف، أي: مكانًا قريبًا، أو على الحال، أو على حذف الموصوف، أي: شيئًا غير بعيد، ومعناه التوكيد، أي: قريب غير بعيد.

﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٢٠) .

(٢) قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو ورويس وابن محيصن والجحدري وروح والحسن. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٤٠١)، الحجة لابن خالويه (ص: ٢٥٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٤٤٥)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٩)، المحتسب لابن جني (٢ /٨٨)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٢٨) .

مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ بدل من قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ بتكرير الجار، و﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى الثواب أو إلى مصدر﴿ أُزْلِفَتْ ﴾ ﴿مَّنْ خَشِيَ﴾ بدل بعد بدل تابع لـ ﴿لِكُلِّ﴾ ويجوز (٢٧٣/ ب) أن يكون بدلاً غير موصوف﴿ أَوَّابٍ ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾ ولا يجوز أن يكون في حكم ﴿أَوَّابٍ ﴾ و﴿حَفِيظٍ﴾ لأن " من " لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات إلا بالذي وحده، ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ﴾ لأن " من " في معنى الجمع، ويجوز أن يكون منادى كقولهم: من لا يزال محسنًا أحسن، وحذف حرف النداء للتقريب.﴿ بِٱلْغَيْبِ﴾ مضى في أول البقرة[1].

﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ﴾ أي: سالمين من العذاب، أو مسلمًا عليكم من الله وملائكته. ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ يوم تقدير الخلود؛ كقوله: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ أي: مقدرين الخلود. ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وهو ما لم تبلغه آمالهم ولم يخطر ببالهم حتى يشاءوه. وروي أن السحابة تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور العين فيقولون: نحن المزيد الذين قال الله عز وجل فيه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [2].
التنقيب: التنقير عن الأمر والبحث والطلب؛ قال الشاعر [ من الخفيف ]:

نقَّبوا في البلادِ من حذرِ المو تِ وجالوا في الأرضِ كلَّ مجالِ[3]

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾أي: شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب، وقرئ: "فَنَقِبُوا" بالتخفيف وكسر القاف[4] أي: نقبت أخفاف إبلهم من كثرة أسفارهم، ورأوا في آثار المهلكين ما يكفي للاعتبار. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾ هل من مخلص من

---

(١) عند تفسير الآية (٣) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩٠) .

(٣) البيت لعدي بن زيد، أو للحارث بن حلزة، **ينظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨١)، الدر المنثور للسيوطي (٧/ ٦٠٨)، صفة الصفوة لابن الجوزي (٤/ ٢٥٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩٠) .

(٤) قرأ بها أبو العالية ويحيى بن يعمر. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٩)، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٨٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١١) .

الله أو من الموت. ﴿لَهُۥ قَلْبٌ﴾ أي: واع ؛ لأن من لا يحضر ذهنه كالغائب، وإلقاء السمع: الإصغاء. ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: حاضر. وقيل: أي: شاهد على صحته وأنه من الله، أو هو بعض الشهداء في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[1].

وقيل: شاهد من أهل الكتاب على صدقه وصحة ما جاء به في كتب الأولين فصدق به وآمن. اللغوب: الإعياء، وقرئ بالفتح[2] كالقبول والولوع؛ كذب الله اليهود في هذه الآية حيث زعموا أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام أولها الأحد، وآخرها الجمعة، ثم استراح يوم السبت، واليهود مشبهة، والمشبهة من هذه الأمة أخذوا تلك العقائد من اليهود.

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا﴾ يقول اليهود ويكيدونك به. وقيل: على أذى جميع المشركين. وقيل: نسخت بآية السيف، والصحيح أنها ليست منسوخة؛ فإن الصبر مطلوب مثاب عليه لم ينسخ[3].

﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ حامدًا له، وقيل: المراد: الصلاة. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ (٢٧٤/أ) صلاة الصبح. ﴿وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ صلاة الظهر والعصر. ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ صلاة المغرب والعشاء. وقيل: قوله ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ المراد به التهجد ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ التسبيح في آثار الصلوات، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة. وقيل: النوافل بعد المكتوبات. وعن علي رضي الله عنه: الركعتان بعد المغرب[4]. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: " من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم ركعتين كتبت صلاته في عليين "[5].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٢) قرأ بها السلمي وعلي بن أبي طالب وطلحة بن مصرف ويعقوب. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٢٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١١)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٨٥).

(٣) **ينظر:** الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩٢).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ١٨٢).

(٥) قال الحافظ ابن حجر في " الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف " (ص: ١٥٩) " رواه ابن أبي=

وقيل: هو الوتر بعد العشاء الآخرة. و﴿وَأَدْبَٰرَ﴾ جميع دبر، وقرئ " إدبار "[١] من أدبرت الصلاة: إذا قضيت وتمت؛ كقولهم: آتيك خفوق النجم وغروب الشمس.

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَٱسْتَمِعْ﴾ يعني: ما أخبرك به من حال ﴿يَوْمَ﴾ وفي ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به وانتصب ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ بما دل عليه ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ أي: يوم ينادي المنادي يخرجون و﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ و﴿يُنَادِ﴾ إسرافيل، يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة: إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. وقيل: إسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر. ﴿مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ من صخرة بيت المقدس، وهي أقرب الأرض إلى السماء باثني عشر ميلاً، وهي وسط الأرض. وقيل: من تحت أقدامهم. وقيل: من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة: يا أيتها العظام البالية. و﴿ٱلصَّيْحَةَ﴾ النفخة الثانية ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالصيحة، والمراد به: البعث والحشر. ﴿عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ حال من المجرور. ﴿عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ تقديم الظرف يدل على الاختصاص؛ يعني: لا يتيسر ذلك الأمر العظيم إلا على القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن، كما قال: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[٢] ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تهديد لهم وتسلية لرسول الله ﷺ. ﴿بِجَبَّارٍ﴾ كقوله: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾[٣] حتى تقسرهم على الإيمان، إنما أنت داع وباعث.

---

= شيبة وعبد الرزاق من رواية عبد العزيز بن عمر عن مكحول مرسلا "... ثم قال الحافظ: " وقد روي موصولا عن أنس وعن عائشة – رضي الله عنهما – أما حديث أنس فرواه الدراقطني في غرائب مالك من رواية أحمد بن سليمان السدي عنه عن الزهري عن أنس به وأتم منه. وقال الحافظ: هذا موضوع على مالك. وأما حديث عائشة فرواه ابن شاهين في " الترغيب " وفي إسناده جعفر بن جميع ".

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وحمزة وأبو جعفر وخلف، وقراءة الباقين " وأدبار " بالفتح.

**تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٣٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣١)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٧٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ١٢)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٦) .

(٢) سورة لقمان، الآية (٢٨) .

(٣) سورة الغاشية، الآية (٢٢) .

وقيل: أريد الحلم عنهم، وترك الغلظة عليهم، ويجوز أن يكون من: جبره على الأمر، بمعنى أجبره، أي: ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان، و﴿عَلَىٰ﴾ مثلها في قولك: زيد عليهم، أي: واليهم. ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾[1] لأن التذكير لا يؤثر إلا فيه دون المصر على الكفر، والله تعالى أعلم (٢٧٤/ ب) .

* * *

---

(١) سورة النازعات، الآية (٤٥) .

## تفسير سورة الذاريات [ مكية ]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا (١) فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا (٢) فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا (٣) فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ (٥) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ (٦) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ (٧) إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ (٨)﴾

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ الرياح؛ لأنها تذرو التراب والهشيم، ومنه: ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾[1] .

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ السحاب تحمل المطر. ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ المراكب تجري جريا ذا يسر. ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ الملائكة؛ لأنها تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، أو تفعل التقسيم مأمورة به. وقيل: متولي الانتقام من الكفار جبريل، وميكائيل للرحمة، وملك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ. وقد قيل: المقسمات: الكواكب السبعة السيارة. ويجوز أن يراد الرياح لا غير؛ لأنها تقسم السحاب وتقله وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب. وأما دخول الفاء فعلى القول الأول جاء للتعقيب أقسم بالرياح فبالسحاب فبالفلك التي تجريها بهبوبها، فبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن الله من الأمطار وتجارات البحر ومنافعه. وعلى القول الأول: الرياح تذرو التراب في أول أمرها فتجري في الجو باسطة له فتقسم المطر. ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ " ما " مصدرية أو موصولة. ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء ﴿لَوَٰقِعٞ﴾. ﴿ٱلۡحُبُكِ﴾ الطرائق، مثل حبك الرمل، ولا ندركها لبعد المسافة، والدرع محبوكة لأن خلقها مطرق طرائق، ويقال: إن خلقة السماء كذلك. ﴿لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ﴾ في أمر الرسول ﷺ فقائل: هو كاهن، وقائل: شاعر، وقائل: كذاب .

﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ (٩) قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ (١٠) ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ (١١) يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ (١٢) يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ (١٣) ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ (١٤) إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ (١٦)﴾

﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ﴾ الضمير في ﴿عَنۡهُ﴾ للقرآن أو الرسول، أي: يصرف عنه الصرف الذي لا شيء أعظم منه، أو: يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك، ويجوز أن يرجع الضمير

---

(١) سورة الكهف، الآية (٤٥) .

إلى قوله: ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ و﴿عَنْ﴾ مثلها في قوله: ينهون عن أكل وعن شرب؛ أي: يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب؛ أي: يؤفك عنه من هو مصروف عن الحق، وكانت القبائل من العرب تبعث إلى مكة؛ يقولون: اكشف لنا أخبار محمد، فيأتي مكة فتقول له قريش: احذره فإنه مجنون.

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الكذابون، دعاء عليهم؛ كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [1] وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح، و﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ الكذابون المقدرون ما لا يصح، واللام إشارة إليهم؛ كأنه قيل: هؤلاء الخراصون.

﴿فِى غَمْرَةٍ﴾ في جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عما أمروا به. ﴿يَسْـَٔلُونَ﴾ متى ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ وأضاف ﴿أَيَّانَ﴾ إلى يوم مع أن (٢٧٥/ أ) الظروف أدعية للحوادث لا للأزمنة لأن التقدير: يسألون أيان وقوع يوم الدين، وينتصب قوله: ﴿يَوْمَ﴾ بفعل مضمر تقديره: يقع ذلك ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ ويجوز أن يكون مفتوحًا؛ لإضافته لغير متمكن.

﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون ويعذبون، فتنت الذهب في النار: إذا أحرقته لتعلم جودته أو رداءته، ومنه الفتين وهي الأرض ذات الحجارة السود؛ فإنها شبيهة بالمحرقة. ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾ في محل الحال؛ أي: مقولا لهم هذا القول. ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ و﴿ٱلَّذِى﴾ وصلته خبر أي: هذا العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ويجوز أن يكون " هذا " بدلا من " فتنتكم " أي: ذوقوا هذا العذاب. ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ﴾ قابلين لكل ما أعطاهم راضين به، ويجوز ارتفاعه على الفاعلية، وفيه مبالغات.

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

لفظ الهجوع، وهو السِّنَةِ اللطيفة؛ قال الشاعر [ من السريع ]:

قد حصَّتِ البيضةُ رأسي فما أطعمُ نومًا غيرَ تَهْجاعِ [2]

---

(١) سورة عبس، الآية (١٧) .

(٢) البيت لأبي قيس بن الأسلت، ينظر في: غريب الحديث لابن سلام (٤/ ٢٧١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٩٨)، لسان العرب (هجع) وحصت: حلقت شعر رأسي، والبيضة: الخوذة التي تلبس على الرأس في الحرب، والتهجاع: النومة الخفيفة.

وقوله: ﴿قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ لأن الليل وقت السبات والراحة وكانوا يحيون الليل بالأعمال الصالحة؛ فإذا جاء السحر استغفروا كأنهم مذنبين، وقوله: ﴿ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ أي: هم أحقاء بالاستغفار الصادر عن صحة النية، وكأنهم المختصون به لاستدامتهم له، وقال قائل في: ﴿ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ ما: نافية، ومعناه: لا ينامون قليلا ولا كثيرا، وهو غلط ؛ لأن ما بعد " ما " لا يعمل فيما قبلها؛ تقول: زيدًا لم أضرب، ولا تقول: زيدًا ما ضربت. السائل: هو المصرح بالسؤال، والمحروم: الذي يحسب لتعففه غنيا، فيحرم الصدقة لتعففه، وعن النبي ﷺ: " ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، قالوا: فمن هو ؟ قال: الذي لا يجد ولا يفطن له فيتصدق عليه "[1].

وقيل: المحارف الذي لا يهتدي للتجارة.

﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ ﴾ دالة على قدرة الله تعالى ورحمته حيث هي مدحوَّة كالبساط لما فوقها؛ كما قال: ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا ﴾[2] وفيها المسالك والفجاج لمن يتقلب فيها وهي مجزأة من سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة، وهي الطروقة تلقح بألوان النبات والثمر المختلفة الألوان والطعوم والروائح ﴿ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ ﴾ الآية[3] وما فيها من العيون المفجرة، والمعادن المختلفة والدواب (٢٧٥/ ب) المنبثة في برها وبحرها. ﴿ لِّلۡمُوقِنِينَ ﴾ الموحدين، فهم ناظرون بعين الاعتبار؛ كلما أرادوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا إيمانًا مع إيمانهم، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركب فيها من العقول وحفت به وبالألسن، وبالنطق، ومخارج الحروف، والأسماع، والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له، وما سوِّي في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني؛ فإنه لو يبس واحد منها لعجزوا، وإذا استرخى أناخ الذل فبان أنه أحسن الخالقين.

﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ۝٢٣ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ ﴾

---

(١) رواه مسلم رقم (٢٣٩١)، وأبو داود رقم (١٦٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) سورة طه، الآية (٥٣) .

(٣) سورة الرعد، الآية (٤) .

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ يعني المطر؛ لأنه سبب الأقوات. وعن سعيد بن جبير: هو الثلج[١]. وعن الحسن: أنه كان إذا رأى السحاب قال فيه: والله رزقكم، ولكنكم تحرمونه بخطاياكم[٢]. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ هي الجنة؛ لأنها فوق السماء السابعة وتحت العرش، أو أراد أن الأرزاق في السماء والأرض إنما هي بأمر الله وتقديره.

﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ من فتحه فبالإضافة إلى غير متمكن، ومن ضمه فهو نعت لـ "حق"[٣] وهو كقول الناس: إنه حق مثل ما أنك ترى وتسمع، والضمير في ﴿إِنَّهُۥ﴾ يرجع إلى الآيات المذكورة والرزق. وعن بعض العرب أنه سمع قارئًا يقرأ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فنحر ناقته وفرقها على الفقراء، ثم لقيه ذلك القارئ فقال: هل معك من ذلك الذي تلوته شيء ؟ فقال: نعم، وتلا عليه الآية: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ فصاح وقال: من أغضب الكريم حتى فعل ؟! ثم صرخ صرخة فخرجت فيها روحه، رحمة الله عليه[٤].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من جهة ما يأتي به رسول الله ﷺ وإنما هو بلاغ من الله ورسالاته. والضيف: يقع للواحد والجمع. وقيل: كانوا اثني عشر ملكًا وقيل: تسعة عاشرهم جبريل. وقيل: ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما، وجعلهم ضيفًا لأنهم كانوا في صورة الضيف، وإكرامهم أن إبراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم زوجته وعجل لهم القرى، أو سماهم مكرمين لأنهم كرام على الله ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[٥].

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٥) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٥)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٤٠١) لأبي الشيخ عن الحسن رحمه الله.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالرفع " مثلُ " وقرأ الباقون بالنصب " مثلَ ".

**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٣٧)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٨٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٠٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٠) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٠) .

(٥) سورة الأنبياء، الآية (٢٦) .

فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

﴿إِذْ دَخَلُوا۟﴾ متعلق بما في الضيف من معنى الفعل.

﴿سَلَٰمٌ﴾ تقديره: سلمنا سلاما، وأما ﴿سَلَٰمٌ﴾ فتقديره: عليكم سلام، والرفع أمدح؛ لأنه يدل على دوام السلامة لهم (٢٧٦/أ) بخلاف الفعل الماضي في قوله: سلمنا؛ فإن الفعل الماضي لا يدل على التكرر بخلاف المضارع.

قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي: ليسوا على هيئة القوم الذين نعرفهم، أو لأنه توهم فيهم ما دله على ذلك، أو رأى لهم حالا وشكلا غير الحالة التي عهدها. ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾فذهب إليهم في خفية، ومن أدب المُضيف أن يخفي ما يريد أن يضيفه للضيف، وأن يبادر بالقرى من غير أن يُشعر الضيف به؛ وحذرًا من أن يكفه ويعذره. قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر [١] والهمزة في ﴿أَلَا﴾ إنكار عليهم؛ حيث لم يأكلوا طعامه ولما لم يتحرموا بطعامه ظن أنهم يريدون به سوءًا؛ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾) أي: يبلغ، وعن الحسن: نبي [٢] والمبشر به إسحاق ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾: في جماعة. وقيل: في صرخة. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾المرأة التي لا تحبل، وأصله: الرملة العقيم أو العاقر؛ فإنها لا تنبت، وصر القلم أي: صوت، ومحله النصب، أي: صارخة؛ قال الحسن: أقبلت إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم؛ لأنها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء [٣]. وقيل: فأخذت في صرة؛ كقولك: عذلته فأقبل يلومني. وقيل: صرتها: قولها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ [٤] وعن عكرمة: رنتها[٥].

﴿فَصَكَّتْ﴾فلطمت تبسط يديها. وقيل: ضربت بأطراف أصابعها جبهتها؛ فعلا للتعجب ﴿عَجُوزٌ﴾ أنا ﴿عَقِيمٌ﴾ فكيف ألد ؟! ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مثل قولنا ﴿قَالَ رَبُّكِ﴾أي: هذا

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٠) ونسبه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٢) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٢) .

(٤) سورة هود، الآية (٧٢) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٦/ ٢٠٩) عن قتادة، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٧) وقال: قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثوري والسدي .

الذي قلنا ليس من جهتنا، وإنما نحن مبلغون عن الله تعالى فالله تعالى قادر على ما تستبعدين.

لما علم إبراهيم أن أضيافه ملائكة قال: فما شأنكم ؟ وما الذي أحوجكم إلى أن نزلتم ؟

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾ إلى قوم لوط .

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾

﴿حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾ السجين: طين يطبخ كالآجر، ويصير في صلابة الحجر. ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة بعلامة تعرف بها من السومة وهي العلامة؛ على كل واحدة اسم من يهلك بها. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا.

سماهم مسرفين لتجاوزهم ما قدر لهم في الأحكام. ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا﴾ أي: في القرية، ولم يجر لها ذكر، وفي ذلك دليل على أن الإيمان والإسلام (٢٧٦/ب) واحد، وأنهما صفتا مدح. قيل: البيت الذي من المسلمين هم لوط وابنتاه. وقيل: كان الذين نجوا ثلاثة عشر. قال قتادة: لو كان فيها أكثر لنجوا؛ ليعلم أن وصف الإيمان غير مضيع عند الله[1]. ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ﴾ أي: علامة يتعظ بها الخائفون من الله ومن عذابه.

قيل: هي صخر منضود فيها. وقيل: ماء أسودُ منتن. ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ عطف على قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ﴾ أو على قوله: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ﴾ والمعنى: في موسى آية كقوله [من الرجز]:

علفتها تبنًا وماء باردًا ............[2]

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧/ ٢)، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٠) لابن المنذر .

(٢) هذا صدر بيت وعجزه:

حتى شتت همالة عيناها

ويروى: حتى غدت همالة عيناها.

**ينظر في:** الأشباه والنظائر للسيوطي (٢/ ١٠٨)، الخصائص لابن جني (٢/ ٤٣١)، شرح الأشموني (١/ ٢٢٦)، شرح شذور الذهب (ص: ٣١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٣)، لسان العرب (علف)، مغني اللبيب (٢/ ٦٣٢)، المقاصد النحوية (٣/ ١٠١)، همع الهوامع (٣/ ١٥٩) .

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ﴾ أدبر وأعرض؛ كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [(١)]. وقيل: تولى بما كان يتوقى به من جنوده وعدده. ﴿مُلِيمٌ﴾ قد أتى بما يلام عليه، والجملة مع الواو حال من الضمير في ﴿فَأَخَذْنَـٰهُ﴾ فإن قلتَ: سمي ها هنا فرعون مليمًا وفي موضع آخر سمي يونس بذلك، فقال: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾[(٢)] قلت: مراتب المعاصي متفاوتة، ويصدق على الكل اسم واحد. ﴿ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ لا يلقح شجرًا ولا ينزل مطرًا، وهي ريح الهلاك وهي الدبور. وقيل: النكباء. وقيل: الجنوب.

﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

و﴿كَٱلرَّمِيمِ﴾ البالي من عظم أو نبات وغير ذلك. ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يفسره قوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [(٣)].

﴿ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾استكبروا عن امتثاله، و﴿ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ النازلة.﴿ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ كانت نهارًا يعاينونها، وروي أن العمالقة كانوا معهم في الوادي فأهلكت ثمود ولم تضر العمالقة. ﴿ فَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ ﴾لم يقدروا على النهوض. وقيل: هو من قولك: ما يقوم فلان بهذا الأمر؛ أي: ما يستطيع دفعه ﴿مُنتَصِرِينَ﴾ ممتنعين من العذاب.

﴿بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ بقوة، والأيد: القوى. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون؛ يقال: ما هذا في وسع فلان؛ أي: في قدرته. وقيل:﴿ لَمُوسِعُونَ﴾ الرزق بالمطر. وقيل: جعلنا بين السماء والأرض سعة. ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾ نحن. ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين، وذكر للحسن ذلك فقال: السماء

---

(١) سورة الإسراء، الآية (٨٣) .

(٢) سورة الصافات، الآية (١٤٢) .

(٣) سورة هود، الآية (٦٥) .

والأرض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة، وقال: كل واحد منها زوج، والله تعالى فرد لا مثل له [(١)]. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ تعرفون بذلك الخالق فتعبدونه وحده. ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى طاعة الله. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ذلك، وذلك إشارة إلى تكذيبهم الرسول وقولهم فيه (٢٧٧/ أ) الأقاويل المختلفة، ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بـ " أتى " لأن " ما " النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ يعني الكفار الأولين والكفار المتأخرين بهذا القول وهو نسبته إلى السحر والجنون. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ تجاوزوا الحدَّ ولم يتواصوا. ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا، ولا تدع التذكير بالمواضع زمنًا بعد زمن بعد ما بلغت وأديت ما عليك. ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تحثهم وتبعثهم على زيادة التذكر وروي أنه لما نزل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ حزن رسول الله ﷺ وظن أن الوحي قد انقطع من السماء فنزل ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [(٢)].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليعرفون، ولو خلقهم ليعبدوه لعبدوه الكل؛ فإنه سبحانه فعال لما يريد.

﴿ٱلْمَتِينُ﴾ الشديد القوة، قرئ بالرفع نعتًا لقوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ وبالجر [(٣)] على معنى الاقتدار. الذنوب: الدلو الكبير، وأصله في السقاة يتزاحمون على الموارد فيجعل لهذا ذنوب ولهذا ذنوب، ثم نقل ذلك فصار بمعنى النصيب؛ قال الشاعر [ من الرجز ]:

---

(١) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٤)، ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٨) مختصرا عن الحسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٢٣) عن مجاهد.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١١) .

(٣) قرأ جمهور القراء بالرفع، وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش بالجر. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٤٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٩٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢١)، المحتسب لابن جني (٢ / ٢٨٩)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٩٠) .

لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ  فإن أبيتمْ فلنا القليبُ[١]

والمعنى: فإن للذين ظلموا نصيبًا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم.

وعن قتادة: سجلاً من عذاب الله مثل سجل أصحابهم[٢] والسجل: الدلو العظيم.

﴿مِن يَوۡمِهِمُ﴾ من يوم القيامة أو يوم بدر.

* * *

---

(١) **ينظر في**: تفسير الطبري (٢٧/ ١٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٧)، لسان العرب (ذنب) وفيه: لها ذنوب ولكم ذنوب ...............

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٤) .

# تفسير سورة الطور [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وَالطُّورِ﴾ الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وهو بمدين. أقسم الله تعالى بما كتبه لموسى والرق: الصحيفة أو الكتاب الذي تكتب فيه الأعمال، وهو ما كتبه الله لموسى. وقيل: القرآن، ونكر الكتاب تعظيمًا لشأنه. ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ الصراح، وهو في السماء على حيال الكعبة في الأرض، وعمرانه: كثرة غشيان الملائكة.

وفي الحديث: " يدخل كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه "[١] وقيل: ﴿وَالْبَيْتِ﴾ الكعبة و﴿الْمَعْمُورِ﴾ بالملائكة والإنس، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ السماء؛ لقوله: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [٢]. ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ المملوء. وقيل: الموقد؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [٣]. وروي: أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارًا توقد بها نار جهنم [٤]. وروي: أن عليًا سأل يهوديًا: أين تجد موضع (٢٧٧/ ب) النار في كتابكم ؟ قال: في البحر ثم ولَّى؛ فقال علي: ما أراه إلا صادقًا[٥].

عن جبير بن مطعم: " أتيت النبي ﷺ أكلمه في الأسارى فسمعته يقرأ: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ فأسلمت خوفًا أن ينزل بي العذاب "[٦].

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٠٧، ٣٨٨٧)، ومسلم رقم (٤٠٩، ٤١٥) وهو جزء من حديث الإسراء الطويل عن أنس رضي الله عنه.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٢) .

(٣) سورة التكوير، الآية (٦) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٨) .

(٥) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٥٩) للطبري من رواية داود بن أبي هند عن سعيد بن المسيب.

(٦) قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠): " لم أجده هكذا والذي جاء في الصحيح أن ذلك في صلاة المغرب وأنه قال - لما سمع ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: كاد قلبي يطير ".

﴿تَمُورُ﴾ تضطرب وتذهب وتجيء، وقال ابن فارس[1] في المجمل: غلب الخوض في الاشتغال بالباطل والكذب، ومنه: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [2] ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾[3]. الدع: الدفع العنيف.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾﴾

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ وذلك أن خزنة جهنم يغلون أعناق المعذبين ويجمعونها إلى أيديهم، ويدفعون إلى النار دفعًا، أو يقال لهم هلموا إلى النار مدعوعين؛ يقال لهم: ﴿هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ أي: ما رأيتموه من التهويل لجهنم هو أيضًا سحر ؟ ودخلت الفاء لهذا المعنى. ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ كما كنتم في الدنيا مبعدين عن فهم هذه الأمثال، و﴿هَٰذِهِ﴾ تهكم وتقريع.

﴿سَوَاءٌ﴾ مبتدأ، وخبره محذوف، والتقدير: سواء عليكم الصبر وعدمه، وتعليله بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأن الصبر إنما يطلب لما يترتب عليه من الجزاء، ولا يكون كقول الشاعر [ من الكامل ]:

---

(١) هو الإمام العلامة اللغوي المحدث أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني المعروف بالرازي المالكي اللغوي نزيل همذان وصاحب كتاب المجمل كان رأسا في الأدب بصيرا بفقه مالك مناظرا متكلما على طريقة أهل الحق ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين جمع إتقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر. وله مصنفات ورسائل وتخرج به أئمة وكان من رؤوس أهل السنة المجردين على مذهب أهل الحديث. ومات بالري في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. **تنظر ترجمته في:** سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ١٠٣)، **وينظر قوله في:** الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٠٩)، لسان العرب (خوض)، وجاء في معجم المقاييس لابن فارس (٢/ ١٧٣) مادة (خوض) قال: " الخاء والواو والضاد أصلٌ واحد يدلُّ على توسُّطِ شيء ودُخولٍ. يقال: خُضْتُ الماءَ وغيرَه. وتخاوَضوا في الحديثِ والأمرِ، أي تفاوَضُوا وتداخَل كلامُهم ".

(٢) سورة المدثر، الآية (٤٢) .

(٣) سورة التوبة، الآية (١٩) .

وتجلُّدي للشامتينَ أُريهِمُ      أني لريَبِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ[١]

فأما الصبر الذي لا يراد به وجه الله فلا جزاء فيه، ومنه قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [٢]

وقرئ: (فاكهين وفكهين وفاكهون) [٣] فمن نصبه جعله حالاً، ومن رفعه جعله خبرًا وجعل الظرف لغوًا، وعطف قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمۡ﴾ على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٖ﴾ أي: استقروا ووقاهم، ويجوز أن تكون ﴿مَا﴾ مصدرية، أي: فرحين بالإيتاء والوقاية.

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾

﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾أكلاً وشربًا هنيئًا، وهو الذي لا تنغيص فيه، وقرئ: بعيس عين[٤].

والعيساء: التي يعلو بياضها حمرة. ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم﴾ قرناهم. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: وقرناهم بحور عين، والمؤمنين المجالسين لهم والمرافقين؛ فيتمتعون تارة بملاعبة الحور، وتارة بمحادثة المجالسين.

﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم﴾ [٥] جاء في الحديث: " إن الرجل ليرفع في درجة أبويه وإن لم يعمل

---

(١) تقدم تخريجه في سورة الرعد، الآية (٢٢) .

(٢) سورة المدثر، الآية (٧) .

(٣) قرأ جمهور القراء " فاكهين "، وقرأ أبو جعفر " فكهين " وقرأ خالد " فاكهون " بالرفع. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٤٨)، تفسير القرطبي (١٧/ ٦٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٣)، النشر لابن الجزري (٢ / ٣٥٤)

(٤) قرأ بها ابن مسعود وإبراهيم النخعي. **تنظر في:** الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٤)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٠) .

(٥) قرأ أبو عمرو " وأتبعناهم " وقرأ ابن عامر ويعقوب " وأتبعتهم ذرياتهم " وقرأ الباقون " واتبعتهم ذريتهم ". **تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٤٩)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٨٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ١٩٩)، السبعة لابن مجاهد (ص:٦١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٤)، معاني القرآن للفراء (٣/ ٩١)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٧٧) .

مثل عملهما لتقر بذلك أعينهم، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية "[1]. ومعنى تنكير الإيمان إيمان عظيم مستقر في القلوب، ويجوز أن يراد بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لهذه الدرجة التي نالوها. ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾ أي: وما نقصناهم، يعني: وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب (٢٧٨/ أ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء. وقيل: معناه: وما نقصناهم من ثوابهم شيئًا نعطيه الأبناء؛ ليلحقوا بهم، وهو من ألت يألت، ومن ألات يليت؛ كأمات يميت، وآلتناهم من: آلت يولت؛ كآمن يؤمن، وولتناهم من: ولت يلت، وهي لغات ومعناهن واحد. ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ كأن نفس المؤمن مرتهنة عند الله بالعمل الصالح؛ فإن عمل صالحًا فكّها وإلا أوبقها. ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾ في وقت بعد وقت. ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم ﴿كَأْسًا﴾ لا يحصل في شربها ﴿لَغْوٌ﴾ كما في خمر الدنيا، ولا إثم عليهم في شربها؛ بخلاف خمور الدنيا.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ أي: في الصدف، وبقاؤه في الصدف أبقى لطراوته، قيل: هذا شأن الخادم، فما شأن المخدوم ؟! فقال: قال رسول الله ﷺ : " إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب "[2]. يجلسون ويتحدثون بما كان منهم

---

(١) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) للبزار وابن عدي وأبي نعيم في الحلية وابن مردويه، من طريق قيس بن الربيع عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا. وقال البزار: تفرد قيس برفعه وروي موقوفا.

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) لعبد الرزاق عن معمر عن قتادة، وللثعلبي عن الحسن مرسلا.

في الدنيا، ومنه: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾[١] .

﴿ٱلسَّمُومِ﴾ الريح الحادة الحارة التي تدخل المسام؛ فسميت بها نار جهنم. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل القيامة ﴿نَدْعُوهُ﴾ أن يكشف عنا عذابها. ﴿ٱلْبَرُّ﴾ المحسن، ﴿ فَذَكِّرْ﴾ أي: فدم على التذكير والموعظة. ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ بحمد الله كاهنًا ولا مجنونًا. ﴿ٱلْمَنُونِ﴾ في الأصل فعول من منَّه إذا قطعه؛ لأن الموت قطوع، قالوا: ننتظر بمحمد نوائب الزمان وتقلبات الدهر كما مات الشعراء قبله.﴿ مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي.﴿أَحْلَٰمُهُم﴾ عقولهم. ﴿طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحد في العناد، وقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ﴾ لأن عقولهم أدتهم إلى طاعة الشيطان وعصيان الرحمن. ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه، وقرئ: "بحديثِ مثله"[٢] بالإضافة، والضمير عائد على النبي ﷺ ﴿ أَمْ خُلِقُواْ﴾ أم أحدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير مقدر.

﴿أَمْ﴾ هم ﴿خَلَقُواْ﴾ أنفسهم؛ حيث لا يعبدون الخالق. ﴿ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ التي هي أكبر من خلق الناس، وهم معترفون أن الله خالقها، وهم شاكون فيما يقولون. ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ وقيل: أخلقوا من أجل لا شيء من جزاء ولا حساب ؟ ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ حتى يعطوا النبوة (٢٧٨/ب) من شاءوا، أو عندهم خزائن الأرزاق فيوسعوا على من شاءوا. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ الأرباب الغالبون حتى يكرهوا الناس على ما يريدون.

﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾

---

(١) سورة الصافات، الآية (٥١) .

(٢) قرأ بها الجحدري وأبو السَّمَّال. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥٢)، تفسير القرطبي (١٧/ ٧٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٦)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٢) .

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾منصوب فيصعدون فيه حتى يأتوا بأخبار السماوات.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ بحجة تدل على صدقه. ﴿مَّغْرَمٍ﴾ يطلب منهم ما يثقل عليهم. ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾أي: اللوح المحفوظ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ما فيه؛ حتى يقولوا: لا نبعث، ويطلعون على الغيب فيخبرون الناس به. ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ كما قال: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [(١)] .

الكِسف: القطعة، وهو جواب قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [(٢)] يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطت السماء عليهم كسفًا لقالوا: سحاب متراكم بعضه فوق بعض يمطرنا، ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب. ﴿يُصْعَقُونَ﴾ يموتون، وذلك عند النفخة الأولى نفخة الصعق ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾أي: قبل ذلك، وهو قتال من قتل منهم يوم بدر والجوع والقحط سبع سنين وعذاب القبر.﴿بِأَعْيُنِنَا﴾بمرأى منا، وإنما قال: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بصيغة الجمع؛ لأن الضمير بلفظ الجمع، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [(٣)]﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من أي مقام قمت. وقيل: من منامك.

﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾إذا أدبرت من آخر الليل، وقرئ: "وأدبار النجوم" [(٤)] أي: في أعقاب النجوم إذا غربت. ﴿وَسَبِّحْ﴾ المراد به: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وقيل: المراد بالتسبيح: الصلاة.

* * *

---

(١) سورة القلم، الآية (٤٥) .

(٢) سورة الإسراء، الآية (٩٢) .

(٣) سورة طه، الآية (٣٩) .

(٤) قرأ بها سالم بن أبي الجعد ومحمد بن السميقع والمنهال بن عمرو. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥٣)، تفسير القرطبي (١٧/ ٨٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤١٥)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٢) .

# تفسير سورة والنجم [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾

النجم: الثريا، وهو اسم غالب لها؛ قال [ من السريع ]:

إذا طلعَ النجمُ عشاءً اشترى الراعي كِساءً[١]

أو الجنس. ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غرب أو استتر يوم القيامة، أو النجم الذي يرجم به ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا انقض، أو النجم من نجوم القرآن؛ فإنه نزل منجمًا في عشرين سنة ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا نزل، أو النبات ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ إذا سقط إلى الأرض، وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبي لهب، وكان متزوجًا بنت رسول الله ﷺ أراد السفر إلى الشام فقال: لآتين محمدًا ولأوذينه فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ (٢٧٩/أ) ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله ﷺ: " اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك، وكان أبو طالب حاضرًا فوجم لها، وقال: ما كان أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه، وأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من الدير فقال: إن هذه أرض مسبعة، فقال أبو لهب لأصحابه: أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة؛ فإني أخاف على ابني دعوة محمد؛ فجمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله "[٢].

وقال حسان بن ثابت [ من السريع ]:

---

(١) ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٧) بغير " إذا "، الدر المصون (٦/ ٢٠٣) وفيه الشطر الثاني: أتبع الراعي كساء، وقال السمين: ومنه قول العرب، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤١٥) وفيه: ابتغى الراعي كساء. وورد في لسان العرب (بيع):

إذا الثريا طلعت عشاء فبع لراعي غنم كساء .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٣٨ – ٣٣٩) من طريق عباس بن الفضل الأزرق عن الأسود بن شيبان عن أبي نوفل بن أبي عقرب عن أبيه قال: " كان لهب بن أبي لهب يسب النبي ﷺ .... فذكره " وقال البيهقي: كذا قال عباس بن الفضل الأزرق وليس بالقوي؛ لهب بن أبي لهب وأهل المغازي يقولون: عتبة بن أبي لهب، وقال بعضهم: عتيبة. ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦٠) لأبي نعيم في دلائل النبوة وللحاكم والبيهقي في " دلائل النبوة ".

منْ يرجعُ العامَ إلى أهلِهِ فما أكيلُ السبعِ بالراجعِ(١)

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ يعني محمدًا ﷺ والخطاب لقريش وهو جواب القسم، والضلال: نقيض الهدى، والغي: نقيض الرشد؛ أي: إن صاحبكم مهتد، وليس بضال كما زعمتم وليس ما يأتيكم به من القرآن شيئًا يأتيكم به من جهة نفسه، إنما هو ﴿وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ ويحتج بهذه الآية من لا يجوز الاجتهاد، ويجاب بأن الله تعالى إذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يترتب عليه كله وحيًا. ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ ملك شديدة قواه، فمن قوته أنه قلع مدائن قوم لوط ثم قلبها عليهم، وصاح صيحة بثمود فأصبحوا في ديارهم جاثمين، وكان صعوده إلى السماء ونزوله على الأنبياء في أسرع وقت، ورأى إبليس يكلم عيسى على عقبة من عقبات الأرض المقدسة فنفخه نفخة فألقاه في أقصى جبل بالهند.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ ذو قوة شديدة ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ على كمال قوته، وكان ينزل في صورة دحية، وذلك أن النبي ﷺ التمس منه أن يراه على صورته التي خلق عليها فتمثل له في أفق السماء من جانب المشرق فسد الأفق. وقيل: ما رآه أحد على صورته التي خلق عليها إلا محمد ﷺ رآه على هيئته مرتين؛ مرة في السماء ومرة في الأرض(٢). ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من رسول الله ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي: فتعلق به في الهواء، ومنه: تدلت الثمرة، ودلى رجليه في السرير، والدواني: الثُمرُ المعلقة، وفي المثل: هو كالقرلى؛ إن رأى خيرًا تدلى، وإن لم ير شيئًا تعلى(٣).

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ

---

(١) **ينظر البيت في**: الكشاف للزمخشري (٤/٤١٨)، وذكره الأصبهاني في دلائل النبوة (١/ ٢٢٠) وفيه:
............ فما أكيل الليث بالراجع .

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٤٧٧)، ومسلم رقم (٢٥٩) .

(٣) **ينظر في**: لسان العرب (قرل) وفيه: " كن حذرا كالقرلى إن رأى خيرا تدلى وإن رأى شرا تولى " قال ابن منظور: " قال ابن بري: القرلى: طائر صغير من طيور الماء يصيد السمك. وقيل: إن قرلى طير من بنات الماء صغير الجرم سريع الغوص حديد الاختطاف لا يرى إلا مرفرفا على وجه الماء على جانب يهوي بإحدى عينيه إلى قعر الماء طمعا ويرفع الأخرى في الهواء حذرا " .

يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦)﴾

﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ القاب والقيب والقاد والقيد والقيس: المقدار (٢٧٩/ب). وفي الحديث: " لقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها "[1] والمعنى: فكأن مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات. ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾على تقديركم.

﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ إلى عبد الله، وإن لم يجر لاسم الله ذكر؛ كقوله:﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[2]. ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ تعظيم لما أوحى به إليه؛ كقوله: ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾قيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

﴿مَا كَذَبَ﴾ فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل، أي: ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك، ولو قالها لكان كاذبًا؛ لأنه عليه السلام رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ مأخوذ من المراء، وهو المجادلة. وقرئ: "أفتمرونه "[3]من: ماريته فمريته، أو لما فيه من معنى الغلبة عدي بـ " على " كما تقول: غلبته على كذا. ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ نصب نصب الظرف، أي: نزل عليه جبريل نزلة أخرى في صورة خلقته، فرآه عليها، وذلك في ليلة المعراج. ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش، ثمرها كقلال هجر، وورقها كآذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار، يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها، والمنتهى: بمعنى موضع الانتهاء، أو نفس الانتهاء؛ كأنها منتهى الجنة وآخرها. وقيل: لم يتجاوزها أحد، ولم تعلم الملائكة ما وراءها. وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء. ﴿جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ الجنة التي يصير إليها المتقون. وقيل: تأوي إليها أرواح الشهداء.﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾أي: ستره بظلاله ودخل فيه، وعن عائشة أنها أنكرته وقالت: من قرأ بها فأجنّه الله[4].

﴿مَا يَغْشَىٰ﴾ تعظيم وتكثير لما يغشاها، وقد تضمن ذكر هذه السدرة وجنة المأوى ذكر

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٩٣)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٨٢ – ٤٨٣) .

(٢) سورة فاطر، الآية (٤٥) .

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وخلف ويعقوب، وقرأ الباقون " أفتمارونه ". **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٥٩)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٥)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٦٨٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٢٩)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٥) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩) .

أمور لا يكتنهها الوصف. وقيل: تغشاها الخلائق من الملائكة يعبدون الله عندها.

وعن النبي ﷺ : " يغشاها رفرف من طير خضر "(١) وعن ابن عباس: " يغشاها فراش من ذهب "(٢).

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ مَازَاغَ ﴾ بصر رسول الله ﷺ ﴿ وَمَاطَغَىٰ ﴾ ما تجاوز الحد ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ الآيات التي هي كبراها وعظماها؛ يعني حين رقي به إلى السماء فرأى عجاب الملكوت. ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ (٢٨٠/أ) أصنام كانت لهم مؤنثات فاللات لثقيف بالطائف. وقيل: كانت بنخلة تعبدها قريش، وهي فعلة من لوى؛ لأنهم كانوا يعكفون عليها للعبادة، أو يلتوون عليها؛ أي: يطوفون، وقرئ: " اللاتّ " (٣) بالتشديد، وزعموا أنه كان رجلاً يلت السويق بالطائف، وكانوا يعكفون على قبره، فجعلوه وثنًا.

و ﴿وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ كانت بغطفان، وهي سمرة، وأصلها تأنيث الأعز، وبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فقطعها فخرجت شيطانة ناشزة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها؛ فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول [ من الرجز ]:

يا عزّى كُفْرانَكِ لا سُبْحانَكِ  إني رأيتُ اللهَ قدْ أهانَكِ(٤)

ورجع فأخبر الرسول ﷺ فقال: " تلك العزى ولا تعبد أبدًا "(٥).

﴿ وَمَنَوٰةَ ﴾ صخرة كانت لهذيل وخزاعة، وقرئ: "ومناءة" (٦) لأن دماء النسائك كانت

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩) وقال الحافظ ابن حجر (ص: ١٦١) لم أجده.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٣٩) ونسبه لابن مسعود وغيره.

(٣) قرأ بذلك ابن عباس ومجاهد ومنصور بن المعتمر وأبو الجوزاء وأبو صالح وابن كثير في رواية عنه. تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٨) .

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر.

(٥) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) لابن مردويه وابن سعد في الطبقات. قال: وأصل هذه القصة رواها النسائي وأبو يعلى والطبراني وأبو نعيم في " دلائل النبوة ".

(٦) قرأ العامة " مناة "، وقرأ ابن كثير " ومناءة ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٥) .

تذبح عندها، و "مناءة" مأخوذة من النوء، وكانوا يستمطرون بها الأنواء و﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ ذم، وهي المتأخرة؛ كقوله: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾[1] أي: وضعاؤهم لأشرافهم، ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾

وكانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله، وكانوا يعبدونها ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات؛ فقيل لهم: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ ويجوز أن يراد أن اللات والعزى ومناة إناث، وقد جعلتموهن لله شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن إليكم؛ فكيف تجعلون هؤلاء الإناث لله أندادًا، وتسمونهن آلهة ؟! ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ جائرة من ضازه يضيزه، إذا ضامه، والأصل: ضِوْزي؛ ففعل بها ما فعل بـ " بِيْض " لتسلم الياء وقرئ: "ضئزى" من ضأزه بالهمزة، "ضَيزى"[2] بفتح الضاد.

﴿هِىَ﴾ ضمير الأصنام؛ أي: ما هي إلا أسماء ليس تحتها على الحقيقة مسميات؛ لأنكم تدعون الإلهية لما هو أبعد شيء منها وأشد منافاة، ونحوه قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾[3] أو ضمير الأسماء، وهي قولهم: اللات والعزى ومناة.

﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ من حجة وبرهان. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في دعوى إلهيتها ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ إلا التوهم أن ما هم عليه حق (٢٨٠/ ب) وكانوا إذا هووا صنمًا عبدوه؛ فإذا أحبوا غيره تركوا

---

(١) سورة الأعراف، الآية (٣٨) .

(٢) قرأ ابن كثير " ضئزى "، وقرأ الباقون " ضيزى " وقرأ زيد بن علي " ضَيزى ". **تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٠٩)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٥)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٥) .

(٣) سورة يوسف، الآية (٤٠) .

الأول وعبدوا الثاني، هذا وقد جاءت الأوامر من الله تعالى والأدلة القاطعة على أنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه. ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أو هل جعل الله لكل أحد أن يعبد ما تمناه ؟ ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ فهو يحكم فيهما بما يشاء. وكثير من الملائكة في السماوات لا يحصى عددهم لا تنفع شفاعتهم لأحد إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة له ﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ يقولون: أنثى بني فلان، وإذا قالوا: الملائكة بنات الله؛ فقد سموا كل واحدة منهن أنثى. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ﴾ في دعوى إلهيتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي﴾ في أصول الدين والعقائد ﴿شَيْئًا﴾ لكنه يغني في مسائل الفروع؛ لأن الصحابة عملوا بالقياس وهو ظن.

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ (٣٢) أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ (٣٤) أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ (٣٥) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) ﴾

﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ وهو حذقهم في التجارات وتقليب المكاسب. ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ بعملهم أو بالذي عملوا. ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ هو ما قبح منها، ثم أعاد ذكر الفواحش تخصيصًا بعد التعميم للمبالغة والتعظيم. وقيل: كبير الإثم: الشرك بالله. ﴿اللَّمَمَ﴾ ما قل وصغر، ومنه: المس من الجنون؛ تقول: ألم بالمكان: إذا قل لبثه فيه، وألم بالطعام: إذا قل منه أكله. وقيل: ﴿اللَّمَمَ﴾ ما لم يذكر الله له عقابًا. وقيل: عادة التصيد الحين بعد الحين. ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [١] ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ فلا تنسبوها إلى زكاء العمل، أو: فلا تثنوا عليها واهضموها؛ فقد علم الله الزكي منكم والتقي أولا وآخرًا قبل أن يخرجكم من صلب آدم، وقبل أن يخرجكم من بطون أمهاتكم. وقيل: كان قوم يعملون بالطاعات ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا، فنزلت[٢]. وهذا إذا كان على سبيل الإعجاب والرياء، فأما من اعتقد أن هذه

(١) سورة النساء، الآية (١١٦) .

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/٤٢٦) .

الأعمال بتوفيق الله وتيسيره ولم يقصد بها الرياء والمفاخرة - فليس من الذين نهوا عن تزكية أنفسهم؛ لأن المسرة بالطاعة طاعة، وذكرها شكر.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ [النجم] روي أن عثمان رضي الله عنه كان ينفق ماله في الخير، فقال له عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وهو أخوه من الرضاعة -: يوشك ألا يبقى لك شيء، فقال عثمان: إن لي ذنوبًا وخطايا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله وأرجو عفوه، فقال عبد الله: أعطني ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها، فأعطاه عثمان وأشهد عليه وأمسك عن العطاء؛ فنزلت[1] ومعنى ﴿تَوَلَّىٰ﴾ فارق المركز يوم أحد، فعاد عثمان إلى أحسن من ذلك وأجمل. ﴿فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ فهو يعلم ويعتقد أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق.

﴿وَفَّىٰٓ﴾ قرئ مخففًا ومشددة [2](٢٨١/أ) والتشديد مبالغة في الوفاء؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [3] وأطلق وفاء ولم يذكر له مفعولا ليعمَّ كل وفاء، هذا معتقد الزمخشري[4] والصواب أن المطلق لا عموم له، وهو كثيرًا ما يكرر هذا المعنى؛ ومن ذلك: تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده، وعلى نار نمرود، وقيامه بأضيافه، وخدمته إياهم بنفسه، وأنه كان يخرج كل يوم من بيته فيمشي فرسخًا لعله يجد ضيفًا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم.

وعن الحسن: ما أمره الله بشيء إلا وفى به[5]. وقيل: كان بين نوح وإبراهيم يؤخذ الرجل بجريرة أخيه، أو بجريرة قريبه، ويقتل بابنه وأبيه وعمه وخاله، والزوج بامرأته والعبد بسيده، فأول من خالفهم في ذلك إبراهيم.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤١٦) رقم (٧٧١) ونسبه لابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك، وذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢٧).

(٢) قرأ عامة القراء بالتشديد وقرأ أبو أمامة الباهلي وابن محيصن وابن السميقع وسعيد بن جبير " وفى " بالتخفيف. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦٧)، تفسير القرطبي (١٧/ ١١٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢١٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٣٣)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٤).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٠٤).

(٤) **ينظر:** الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٢٧).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢٧).

وقيل: عهد إبراهيم ألا يسأل أحدًا شيئًا، فلما ألقي في النار قال له جبريل وميكائيل: ألك حاجة ؟ فقال: أما إليكما فلا "[١].

وعن رسول الله ﷺ : " وفى عمله كل يوم بأربع ركعات في صدر النهار، وهي صلاة الضحى "[٢]. وروي أن النبي ﷺ قال: " ألا أخبركم لم سمى الله خليله بالذي وفى ؟ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى: ﴿ فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿تُظْهِرُونَ ﴾ [٣].

﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ (٤١) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤) وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ (٤٦) وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ (٤٩) ﴾

﴿أَلَّا تَزِرُ ﴾أنه لا تزر، والضمير للشأن، ومحل ﴿أَلَّا تَزِرُ ﴾ ، وما بعدها الجر؛ بدلا من بِمَا ﴿فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴾ ويحتمل الرفع بتقدير: هو ألا تزر وازرة؛ كأن قائلاً قال: وما في صحف موسى وإبراهيم ؟ قيل: ألا تزر.

﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ إلا سعيه، وقد صح في الحديث: الصدقة عن الميت والحج عنه [٤]. وفيه

---

(١) نسبه الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢) لعطاء بن السائب.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٢)، ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) للطبري وابن أبي حاتم وغيرهما من رواية جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعا وأتم منه .

(٣) سورة الروم، الآية (١٧، ١٨) والحديث رواه أحمد والطبراني وابن السني والطبري وابن أبي حاتم كما قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١) .

(٤) ومن ذلك ما رواه مسلم رقم (٢٣٢٣) في الصدقة عن عائشة – رضي الله عنها – أن رجلا أتى النبي – ﷺ – فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها ولم توصي وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال " نعم ". وفي الحج روى أبو داود رقم (١٨١١)، وابن ماجه رقم (٢٩٠٣) عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة، فقال رسول الله ﷺ: من شبرمة ؟ قال ": قريب لي، قال: هل حججت قط ؟ قال: لا، قال: فاجعل هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمة ". وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣١٢٨) .

جوابان: أحدهما: أن سعي غيره لم ينفعه إلا مبنيا على سعي نفسه، وهو أن يكون صالحًا، ولكن إذا نواه به حصل له، والوكيل قائم مقام الموتى.

﴿ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ﴾ ثم يجزى سعيه؛ يقال: جزاه الله عمله، وجزاه على عمله، ويجوز أن يكون الضمير للجزاء لوصفه بالجزاء الأوفى، أو لبدله عنه. ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله في الصحف، وبالكسر على الابتداء [١] وكذلك ما بعده .

و﴿ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ بمعنى النهاية، أي: ينتهي إليه الخلق. ويرجعون إليه؛ كقوله:﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [٢] ﴿أَضْحَكَ﴾ أهل الجنة في الجنة ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ أهل النار في النار.

وقيل: خلق الضحك والبكاء. ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ أي: تراق في الرحم؛ يقال: مني وأمنى. وقيل: يخلق من مني الماني، أي: قدر المقدر. ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ﴾ التزمها بوعده.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾ (٢٨١/ ب) أعطى القِنية وهو المال الذي تأثلته وعزمت ألا تخرجه من يدك ﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ اثنتان: الغميصاء والعَبور، وأراد العَبور، وكانت العرب تعبدها، زين لهم ذلك أبو كبشة؛ رجل من أشرافهم، وكانت قريش يقولون لرسول الله ﷺ : ابن أبي كبشة . تشبيهًا له به؛ لمخالفته إياهم في دينهم؛ يريد: أنه رب معبودهم.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾

﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ قوم هود، وعاد الأخرى: إرم. وقيل: ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ بمعنى القدماء؛ لأنهم أول الأمم هلاكًا بعد قوم نوح، أو لأنهم المتقدمون في الدنيا الأشراف. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ لأنهم كانوا يضربون نبيهم ويؤذونه حتى لا يبقى فيه حراك، وينفرون الناس عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم منه، وما أثر دعاؤه فيهم قريبًا من ألف سنة. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾

---

(١) العامة على الفتح " وأن " وقرأ أبو السمأل بالكسر " وإن ".

**تنظر القراءات في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٦٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢١٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٢)، معاني القرآن للفراء (٣/ ١٠١) .

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٨) .

قرى قوم لوط. ﴿أَهْوَىٰ﴾ أسقطها من العلو ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ أمر عظيم لا يدرك قدره ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ فبأي نعم ﴿رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ أي: تشك؛ عدد الله سبحانه نعمًا ونقمًا، وسماها آلاء؛ لأن كل واحدة منها حث على الطاعة وتنفير من المعصية. و﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جملة ﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ فلا وجه لإنكاره، أو ﴿هَٰذَا﴾ الرسول ﴿نَذِيرٌ مِّنَ﴾ جملة المنذرين الأولين، وقال: ﴿ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ على تأويل الجماعة.

﴿أَزِفَتِ﴾ قربت ﴿ٱلْأَزِفَةُ﴾ القيامة، لقوله جل جلاله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ (١) ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ أي: مبينة متى تقوم؛ لقوله: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ (٢).

وعن رسول الله ﷺ: أنه لم يُرَ ضاحكًا بعد نزولها (٣).

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ شامخون متبرطمون متكبرون. وقيل: لاهون لاعبون، وقال بعضهم لجاريته: أسمدي لنا؛ أي: غني، وقال الشاعر [ من الوافر ]:

فإنك لو شهدتَ بكاءَ هندٍ ... و[ رملة ](٤) إذ يصكان الخدودا

إذ لشهدتَ معولةً ثكولا ... أباحَ الدهرُ واحدَها الفقيدا

رمي الحدثانُ نسوةَ آلِ حربٍ ... بمقدارٍ سمدنَ له سُمودا

فردَّ شعورَهنَّ السودَ بيضًا ... وردَّ وجوههنَّ البيضَ سودا(٥)

---

(١) سورة القمر، الآية (١) .

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٧) .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٣) وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١): رواه أحمد في الزهد والثعلبي من حديث صالح بن أبي خليل، ورواه ابن مردويه من طريق سعيد بن جبيرعن ابن عباس بإسناد ضعيف.

(٤) بياض بالأصل والمثبت من تاريخ مدينة دمشق لابن هبة الله (١٠/ ٤٧).

(٥) ينظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢١٩)، وذكره أبو القاسم بن هبة الله الشافعي في تاريخ مدينة دمشق (١٠/ ٤٧)، غريب الحديث لابن قتيبة (٢/ ٥٩٨)، لسان العرب (سمد) والبيتان الأولان في تاريخ دمشق: وإنك لو سمعت بكاء هند ... ورملة حين يلطمن الخدودا

بكيت بكاء معولة ثكول ... أصاب الدهر واحدها الفريدا

## تفسير سورة القمر [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٍ مُّسۡتَقِرٌّ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ۝٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡۘ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦﴾

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ روي أن أنس بن مالك قال: " إن أهل مكة (٢٨٢/أ) سألوا رسول الله ﷺ آية، فأراهم القمر قد انشق نصفين، وحراء بينهما "[(١)].

وقيل: إن الماضي يعني المضارع؛ أي: ينشق يوم القيامة، وفي قراءة حذيفة: (وقد انشق القمر)[(٢)] كما تقول: أقبل الأمير؛ إذا جاء المبشر بقدومه، وعن حذيفة: أنه خطب بالمدائن، فقال: " ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق على عهد نبيكم ﷺ "[(٣)].

﴿وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ﴾ يرده، وكفى به رادًا، ﴿مُّسۡتَمِرٌّ﴾ أي: دائم، وكل من دامت طريقته مستمر. لما رأوا تواتر المعجزات قالوا: هذا سحر مستمر وقيل: ﴿مُّسۡتَمِرٌّ﴾ قوي؛ من قولهم: استمر مريره؛ أي: تضاعفت قوته. وقيل: هو من قولهم استمر الشيء: إذا اشتدت مرارته، أي: هو مر في حلوقنا لا نستطيع أن نسيغه؛ كما لا يساغ المر الشديد المرارة، أي: مستبشع عندنا، مر لهواتنا.

﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ بدفع الحق بعد ظهوره. ﴿وَكُلُّ أَمۡرٍ مُّسۡتَقِرٌّ﴾ أي: كل الأمر لابد أن يصير إلى غاية أو ﴿وَكُلُّ أَمۡرٍ﴾ من أمرهم فله قرار مستقر عندهم. ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ

---

(١) حديث انشقاق القمر رواه البخاري رقم (٣٦٣٦، ٣٨٦٩)، ومسلم رقم (٢٨٠٠) .

(٢) تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧٣)، تفسير القرطبي (١٧/ ١٢٥)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٢٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٣)، المحتسب لابن جني (٢/ ٢٩٧) .

(٣) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص: ١٦١ - ١٦٢) للحاكم والطبراني وأبي نعيم من رواية ابن علية عن عطاء بن السائب عن ابن عبد الرحمن، ونسبه لعبد الرزاق من وجه آخر عن عطاء، ولأحمد من رواية شعبة عن عطاء.

﴿هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾[(١)] أو: كل أمر ذو مستقر، أو: ذو موضع استقرار، أو زمان استقرار.

﴿مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ﴾ من القرآن، وأنباء الآخرة. ﴿مُزۡدَجَرٌ﴾ ازدجار، أو: موضع ازدجار. ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ نفي أو إنكار، أي: فأي غنى تغني النذر. ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ لعلمك أن الإنذار لا ينفع فيهم؛ لأنهم مطبوع على قلوبهم. نصب ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ﴾ بـ" يخرجون " أو بإضمار اذكر، والداعي: إسرافيل أو جبريل. ﴿نُّكُرٍ﴾ أي: منكر تنكره النفوس لأنها لم تعهد مثله.

﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ۝٨ ۞ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ۝١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ۝١٣﴾

﴿خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ حال من " يخرجون " وخشوع الأبصار عبارة عن الذلة؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز يظهران في عيونهما. ﴿مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ﴾ مثل في الكثرة والتموج، يقال: جاء الجيش كالجراد منتشر في كل مكان. ﴿مُّهۡطِعِينَ﴾ مسرعين مادي أعناقهم. وقيل: ناظرين إليه لا يميلون بأبصارهم عنه، ومنه قول الشاعر [من الطويل]:

تعبَّدني نمرُ بنُ سعدٍ وقد أرى ... ونمرُ بنُ سعدٍ لي مطيعٌ ومهطعُ[(٢)]

﴿قَبۡلَهُمۡ﴾ قبل أهل مكة ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾ أي: نوحًا. فإن قلتَ: ما معنى قوله: ﴿فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا﴾ بعد قوله: ﴿كَذَّبَتۡ﴾ ؟ قلتُ: معناه: كذبوا فكذبوا عبدنا، أي: كذبوه تكذيبًا عقب تكذيب، كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب، أو: كذبت قوم نوح المرسلين فكذبوا عبدنا، ولما كانوا مكذبين للرسل جاحدين (٢٨٢/ب) للنبوة رأسًا كذبوا نوحًا؛ لأنه من جملة الرسل. ﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾ وانتهر بالشتم والضرب.

وقيل: ﴿وَٱزۡدُجِرَ﴾ زجرته الجن واختطفت فهمه وعقله، أي: فانتصر لي، وإنما دعا بذلك

---

(١) سورة غافر، الآية (٣٩).

(٢) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٥)، العين للخليل (١/ ١٠١)، لسان العرب (نمر) و (هطع)، والمعنى: كان ذليلا لي فصار فوقي.

حين استمر عنادهم، فلا يلدوا إلا فاجرًا كفارًا؛ لأنه كان يلقاه الرجل منهم فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه، فإذا أفاق قال: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. ﴿مُّنْهَمِرٍ﴾ منصب في كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يومًا. ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي: وجعلناها كلها كأنها عيون ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ يعني: مياه السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ على حال قدرها الله كيف شاء.

وقيل: ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي: كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ على سفينة، وهي من الصفة القائمة مقام الموصوف، لا يفصل بينها وبينها. والدسر: الدفع، والدسار: ما يدفع به من مسمار ونحوه.

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿جَزَآءً﴾ مفعوله. والذي كفر هو نوح؛ لأن النبي ﷺ نعمة من الله؛ قال الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)].

وقرئ: " جَزَآءً لِّمَن كَانَ كَفَرَ " بفتح الكاف والفاء[(٢)].

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً﴾ الضمير للسفينة أو للفعلة، وبقيت على جبل الجودي. وقيل: بأرض الجزيرة حتى أدرك السفينة أوائل هذه الأمة. والمدكر: المعتبر، أي: فهل من معتبر، والنذر: جمع نذير، وهو الإنذار. ﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ سهلناه للادكار والاتعاظ، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد. وقيل: سهلناه للحفظ فهل من راغب في حفظه، ويجوز أن يكون يسره بمعنى هيأه؛ قال الشاعر [ من الطويل ]:

فقمتُ إليهِ باللجامِ ميسّرًا    كذلك يجزيني الذي كنتُ أصنعُ[(٣)]

لأن التوراة والإنجيل وسائر الصحف لا تحفظ عن ظاهر القلب وإنما ينظر فيها وتقرأ.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧) .

(٢) قرأ بها يزيد بن رومان وعيسى وقتادة. **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٧).

(٣)**البيت للأعرج ينظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٧٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٨) .

﴿وَنُذُرِ﴾ وإنذاري بإنذار الرسل. وقيل: بإنذاراتي في تعذيبهم لمن بعدهم.

﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ أي: يوم شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم إلى أن فرغ من هلاكهم، كانوا يفرون من الريح فيدخلون في الشعاب والحفر العميقة في الأرض فتخرجهم الريح وتدق رقابهم.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنقَعِرٍ﴾ كأنهم أصول نخل ﴿مُنقَعِرٍ﴾ منتزع من أصله، وكانوا أقوامًا طوالاً؛ فإذا سقطوا على الأرض كانوا كالنخلة السحوق إذا سقطت. وقيل: شبهوا بالنخل المنقعر؛ لأن الريح كانت تقتلع رؤوسهم فيبقون كأنهم نخل بغير رأس، وذكر صفة النخل بقوله: ﴿مُنقَعِرٍ﴾ وأنثها في قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1]؛ حملاً على اللفظ (٢٨٣/أ) والمعنى.

﴿ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾

﴿أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ نصب بفعل مضمر يفسره ﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾

وقرئ: "أبشرٌ" بالرفع[2] على الابتداء، و﴿نَّتَّبِعُهُۥ﴾ الخبر. كان صالح يقول: إن لم تتبعوني كنتم في ضلال. وسعر: جمع سعير، وهي النار المتقدة، فعكسوا عليه، وقالوا: إن اتبعناك كان الأمر كما تقول. وقيل: السعر: الجنون؛ يقال: ناقة مسعورة.

وقال [ من الطويل ]:

كأنَّ بها سُعرًا إذا الريحُ هزَّها ... ذميلٌ وإرخاءٌ من السيرِ مُتْعِبُ[3]

---

(١) سورة الحاقة، الآية (٧) .

(٢) قرأ بها أبو السمأل. تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٣٧) .

(٣) **ينظر البيت في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٨٠)، تفسير القرطبي (١٧/ ٩٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٢٩)، غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٢) وفيه:

تخال بها سعرا إذا العيس هزها ... ذميل وتوضيع من السير متعب

**والذميل**: ضرب من سير الإبل. وقيل: هو السير اللين ما كان. وقيل: هو فوق العنق، قال أبو عبيد: إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم ". من لسان العرب (ذمل) .

وأنكروا أن يكون الرسول بشرًا، وكونه منهم أيضًا؛ لأن البشرية جنس جامع له ولهم، وكونه واحدًا فقالوا: كيف تتبع هذه الأمة كلها رجلاً واحدًا ؟ ﴿أَشِرٌ﴾ بطر طالب للرياسة علينا. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ عند نزول العذاب، أو يوم القيامة. ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ أصالح أم من كذبه ؟ وقرئ: "ستعلمون" بالتاء[1] على حكاية ما سألوا. ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ وامتحانا.

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ فانتظرهم، وما هم عليه. ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على أذاهم، ولا تعجل حتى يأتيك أمري. ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ مقسوم ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[2] وذكر ﴿بَيْنَهُمْ﴾ تغليبا للعقلاء. ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ أي: محضور لهم وللناقة. ﴿صَاحِبَهُمْ﴾ قدار بن سالف، وقيل: الناقة أو السيف. ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ صيحة جبريل. والهشيم: الشجر اليابس المتهشم، والمحتظر: الذي يعمل الحظيرة. ﴿حَاصِبًا﴾ ريحًا تحصبهم بالحجارة.

﴿بِسَحَرٍ﴾ بقطع من الليل، وهو السدس الأخير منه. وقيل: هما سحران، والسحر الأعلى قبل انصداع الفجر، والآخر عند انصداعه، وصرف لأنه نكرة، ويقال: لقيته سحر؛ أي: بسحر يومك.

﴿نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿نِّعْمَةً﴾ أنعمناها؛ مفعول له: ﴿مَن شَكَرَ﴾ نعمة الله بالإيمان والطاعة ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوط عليه السلام ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾ وكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾. ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ فمسحناها وجعلناها كسائر الوجوه لا يظهر فيها شق. روي أنهم عالجوا باب لوط ليدخلوا؛ فقال لهم: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾[3] فقالوا له: إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟

---

(١) قرأ بها ابن عامر وحمزة وهبيرة عن حفص عن عاصم، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم " سيعلمون " بالغيبة. تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٨٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٣٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٨) .

(٢) سورة الشعراء، الآية (١٥٥) .

(٣) سورة هود، الآية (٨٠) .

﴿إِلَيْكَ﴾[(١)] فمسح جبريل بجناحه وجوههم فصار موضع العين لحمًا مساويا لجميع الوجه، فلم يهتدوا للباب حتى أخرجهم لوط. ﴿بُكْرَةً﴾ إن نكرته فالمراد (٢٨٣/ ب) بُكْرَةً من جملة البُكَر، وإن عرفته ولم تصرفه أردت بكرة يومك. فإن قلتَ: ما فائدة تكرير قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ ؟ قلتُ: فائدته أن تبقى هذه المواعظ نصب أعينهم ويستحضروها بقلوبهم ولا يغفلوا عنها، ونظيره تكرير: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ في سورة الرحمن[(٢)]. وفي المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[(٣)]. النذر: موسى وهارون وغيرهما؛ لأنهما عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون، أو: جمع نذير، وهو الإنذار.

﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ بالآيات التسع. ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾ لا يغالب ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض. ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ الكفار المعدودين وهم قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط وآل فرعون، يعني: أكفاركم خير من أولئكم في القوة والعدة والمال والبسطة، أو أقل عنادًا ؟ بل قومك أكثر عنادًا وأبعد عن الانقياد. ﴿أَمْ﴾ أنزلت عليكم ﴿بَرَاءَةٌ فِي﴾ الكتب المتقدمة أن من كفر منكم كان آمنا من عذاب الله فأمِنتُم بها ؟! ﴿نَحْنُ﴾ جماعة أمرنا مجتمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ ينصر بعضنا بعضًا. وروي أن أبا جهل قال يوم بدر: اليوم ننتصر من محمد وأصحابه فنزلت ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[(٤)]. روي: أن رسول الله ﷺ خرج يوم بدر وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[(٥)] أي: الأدبار؛ كما قال [ من الوافر ]:

كُلُوا في بعضِ بطنِكُمُ تَعِفُّوا[(٦)]

---

(١) سورة هود، الآية (٨١) .

(٢) الآيات (١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧) .

(٣) الآيات (١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٨٠) ونسبه لابن أبي شيبة وابن منيع وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس – رضي الله عنهما – بنحو هذا.

(٥) رواه البخاري رقم (٢٦٩٩)، وأحمد في المسند رقم (٢٨٨٥) .

(٦) هذا صدر بيت وعجزه:............. فإن زمانكم زمن خميص.

**ينظر في:** البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/ ٤٢٨)، تفسير أبي السعود (١/ ١٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٥/ ٤٣٨)، الكشاف للزمخشري (١/ ٤٧٩) .

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾

﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ والداهية: الأمر المنكر الذي لا يهتدى لدواهيه. ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ سقر اسم علم لجهنم. ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر، والقدر: التقدير.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ إلا كلمة واحدة سريعة التكوين﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ يريد قوله:

﴿كُن﴾. ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم من الأمم. ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ في دواوين الحفظة. ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي: في اللوح ﴿وَنَهَرٍ﴾ أي: وأنهار؛ اكتفى باسم الجنس. وقيل: هي السعة والضياء من النهار؛ وأنهر الدم: أخرجه بكثرة. ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مكان مرضي. ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ أي: مقربون عند ملك عظيم القدرة والمملكة؛ فلا منزلة أتم من تلك المنزلة، ولا مقعد أكمل منه، ولا مقتدر أعظم منه.

* * *

# تفسير سورة الرحمن [مدنية]

(٢٨٤/أ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾

بدأ سبحانه بتحديد نعمائه على العالمين، فبدأ بنعمة الدين، وبدأ من نعم الدين بما هو في أعلى مراتبها وأشرف مناصبها وهو تعليم القرآن، وهو من أعظم حرمات الله، وهو الحبل المتين، والصراط المستقيم، ثم ثنى بنعمة إيجاد الإنسان، وما خلق فيه من عجائب التربيب وحسن النظم والترتيب، وما وهبه له من المنن والمصالح فقال: ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ وفي ﴿ الْبَيَانَ ﴾ قولان: قيل: هو النطق. وقيل: هو الكتابة؛ كقوله: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1] وقوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ مبتدأ، وهذه الأفعال المعطوفة أخبار، ولم يأت بينها بعاطف؛ لأنه جعلها كالجملة الواحدة؛ تقول: زيد أغناك بعد فقر، أعزك بعد ذل، جبرك بعد كسر، فعل بك ما لم يفعل أحد بأحد؛ فأي شيء تشكر من إنعامه ؟!

﴿ بِحُسْبَانٍ ﴾ يجريان بحسبان معلوم؛ يجريان في بروجهما ومنازلهما، وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها: علم السنين؛ لقوله عز وجل عن القمر: ﴿وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ [2] ومنها إنضاج الفواكه ويبس الحبوب المزروعة.

و﴿ وَالنَّجْمُ﴾ النبات الذي ليس له ساق يبقى سنة ثانية، و﴿وَالشَّجَرُ﴾ كل ما له ساق ويبقى إلى سنة ثالثة وأصله قائم. وسجودهما: انقيادهما لما خلق الإنسان من أجله تشبيهًا بالمكلفين في انقيادهم بالسجود لله تعالى، والضمائر العائدة في الأخبار إلى ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾ استغني عنها بقوة الكلام، والتقدير: يجريان بحسبانه ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ له.

وقيل: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾ جعله آية وعلامة على صدق الرسول. وقيل: ﴿الْإِنسَانَ ﴾ آدم. وقيل: محمد ﷺ . وعن مجاهد: ﴿ وَالنَّجْمُ﴾ نجوم السماء [3].﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها

---

(١) سورة العلق، الآية (٤، ٥).

(٢) سورة يونس، الآية (٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٠٠).

مرفوعة. ﴿وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾ خفضه؛ لأن به يحصل العدل والتناصف، ويدخل فيه المكيال؛ لأنه يعرف به وفاء الحق، وكذلك القرسطون وهو القبان.

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ ﴾ أي: لئلا تطغوا، أو هي " أن " المفسرة، أي: فقلنا: لا تطغوا. ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي: وقوّموا وزنكم ﴿وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ أي: لا تنقصوه، وكرر لفظ " الميزان " تأكيدا لوجوب الاحتياط في الوزن. ﴿وَضَعَهَا﴾ خفضها مدحُوَّة على الماء. ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق، وهو كل ما ظهر على وجه الأرض من دابة. وقيل: الأنام: الإنس والجن.

(٢٨٤/ ب) ﴿فَٰكِهَةٌ﴾ أنواع ما يتفكه به، والأكمام: كل ما يتغطى به من ليفه وسعفه وقشر طلعه، وكله ينتفع به؛ كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه. وقيل: الأكمام: أوعية الثمر، الواحد: كم، بكسر الكاف. ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع. وقيل: التين، ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ الرزق، وهو اللب؛ أراد أن فيها ما يتفكه به، وفيها ما يتغذى به وهو الرزق. وقرئ: "والريحان" بالجر[1]؛ عطفًا على ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ أي: فيها ما تأكلون أنتم وأنعامكم؛ كما قال: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[2] وقال: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾[3]. وقيل: وفيها الريحان الذي يشم، والخطاب في ﴿رَبِّكُمَا﴾ للجن والإنس بدلالة الأنام عليها، وقوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾

الصلصال: الطين اليابس له صلصة. والفخار: الطين المطبوخ بالنار، ومعنى الآية: أنه

---

(١) قرأ بالكسر حمزة والكسائي، وقرأ بالرفع ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو.
**تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٣٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦١٩).

(٢) سورة النازعات، الآية (٣٣).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٢٧).

خلق الإنسان من تراب، ثم جعل نسله من ماء مهين، ثم جعله طينا ثم صلصالا ثم حمأ مسنونًا، أي: منتنا. ﴿ٱلۡجَآنَّ﴾ أبو الجن. وقيل: إبليس، والمارج: اللهب الصافي الذي لا دخان له. وقيل: المختلط بسواد النار؛ من مرج الشيء إذا اضطرب واختلط، ومعنى قوله: ﴿مِّن نَّارٍ﴾ بيان المارج؛ كأنه قيل: من صاف من نار أو مختلط من نار؛ أراد: من نار مخصوصة. ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متساويين في مرأى العين. ﴿بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿لَّا يَبۡغِيَانِ﴾ لا يتجاوزان حديهما، ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾﴾

و﴿وَٱلۡمَرۡجَانُ﴾ هذا الخرز الأحمر وهو البسذ[1]. وقيل: اللؤلؤ كباره، والمرجان صغار اللؤلؤ[2].

وقال: ﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا﴾ مع أنه لا يخرج إلا من الملح خاصة؛ لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يعبر عنهما بالتثنية والإفراد؛ كما تقول: أخرجت الشيء من البحر، وأنت لا تخرجه من جميع البحر؛ بل من بعضه، وتقول: خرجت من البلد، وإنما خرجت من محلة منه؛ بل من دار واحدة من دوره. وقيل: لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب. ﴿ٱلۡجَوَارِ﴾ السفن، ﴿وَٱلۡمُنشَـَٔاتُ﴾ المرفوعات الشُرُع ﴿وكَٱلۡأَعۡلَٰمِ﴾ الجبال. ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا﴾ أي: على الأرض. ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ﴾ أي: ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات[3]. ومساكين مكة تقول: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان؛ أي: من الجوع. ﴿ذُو ٱلۡجَلَٰلِ﴾ الذي يجله

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣١) عن كعب الأحبار. و البسذ: ليس بعربي، وهو المرجان: جوهر أحمر. قال ابن بري: والذي عليه الجمهور أنه صغار اللؤلؤ كما ذكره الجوهري. **ينظر**: لسان العرب (بسذ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٣١) عن عكرمة.

(٣) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم (٢٨٥/أ) أو الذي يقال له: ما أجلك وأكرمك، أو: من عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده، وهذه الصفة من أعظم صفات الله تعالى، ولقد قال ﷺ: " أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام "[١]. ومر رسول الله ﷺ برجل يصلي، وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام فقال: " قد استجيب لك "[٢].

فإن قلتَ: لم قال عقيب هذه الآية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وأي نعمة في هذا ؟

قلت: فيه أعظم النعم، وهو مجيء وقت الجزاء وانتصاف كل مظلوم ممن ظلمه.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾﴾

كل ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مفتقرون إليه ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ أي: كل وقت يجدد أحكامًا لتجدد أمور، وروي أن النبي ﷺ سئل عن هذه الشؤون؛ فقال: " يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويضع قومًا ويرفع آخرين "[٣].

وعن ابن عباس: " الدهر كله عند الله يومان، فما مضى من الزمان فشأنه فيه الأمر والنهي والأخذ والإعطاء والمنع، والآخر: يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب "[٤]. وقيل: نزلت في اليهود حين قالوا: لا يقضي في يوم السبت شيء. وقيل: إن ملكًا سأل وزيره عنها فلم يجبه، فأمهله ثلاثا فلم يجب، فقال غلام الوزير: أنا أفسره وأعلمُه فأعلمَه؛ فقال: من شأنه أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويخرج الحي من الميت، ويخرج

---

(١) رواه أحمد في المسند رقم (١٦٩٣٥)، والترمذي رقم (٣٤٤٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٢٥٠).

(٢) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٠٤٤)، والترمذي رقم (٢٤٣٢) وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب رقم (١٠١٨) و لظ بالمكان، وألظ به، وألظ عليه: أقام به وألح، وألظ بالكلمة: لزمها. والإلظاظ: لزوم الشيء والمثابرة عليه، ولظ بالشيء: لزمه، وألظوا – في الحديث – أي: الزموا هذا واثبتوا عليه وأكثروا من قوله والتلفظ به في دعائكم. لسان العرب (لظظ).

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١٩٨) وقال البوصيري في مصباح الزجاجة في التعليق على سنن ابن ماجه: إسناده حسن. وحسن الشيخ الألباني إسناده في تحقيق سنن ابن ماجه رقم (٢٠٢).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤٧).

الميت من الحي، ويشفي سقيما ويسقم سليمًا، ويبتلي معافي ويعافي مبتلي، ويعز ذليلا ويذل عزيزًا، ويفقر غنيًا ويغني فقيرًا، فقال الملك: أحسنت؛ فأمر الوليد أن يخلع له بباب الوزارة؛ فقال: يا مولاي: هذا من شأن الله. ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ مستعار من قول الرجل لمن يتهدده: سأتفرغ لك؛ أي: لا أجعل لي شغلا غير عقوبتك، ومراده: التوفر على ذلك والاهتمام به. ﴿ٱلثَّقَلَانِ﴾ الإنس والجن؛ سميا بذلك لأنهم مثقلان بالذنوب. ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾ أي: إن قدرتم أن تخرجوا من ملكوتي فافعلوا، لا تطيقون ذلك إلا بسلطان يقهر من يمنعكم. وروي: أن الملائكة تنزل يوم القيامة فيحيطون بأقطار الأرض فيهرب أهل الموقف من شواظ النار ولهبها فلا يأتون جهة من الجهات إلاّ وجدوا الملائكة يردونهم بالمقامع.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾﴾

والشواظ: اللهب الخالص، والنحاس: الدخان. وقيل: الصفر المذاب يصب على رؤوسهم. وعن ابن عباس: إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظٌ (٢٨٥/ ب) إلى المحشر[١].

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ أي: فلا تمتنعان ﴿وَرْدَةً﴾ حمراء ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ كدهن الزيت كما قال: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾[٢] وهو دردي الزيت، وهو جمع دهن، أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام وقيل: الدهان: الأديم الأحمر. المراد: لا يسألون عن ذنوبهم. ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: بعلامات يعرفون بها من سواد الوجوه وزرقة العيون، وأما قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣] ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[٤] فلأن يوم القيامة فيه مواطن، ففي بعضها يسألون وفي بعضها لا يسألون، وفي

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٤٩)، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧٠٢) ونسبه لابن أبي شيبة عن الضحاك ﷺ قال: "نار تخرج من قبل المغرب تحشر الناس حتى إنها لتحشر القردة والخنازير تبيت حيث باتوا وتقيل حيث قالوا".

(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

(٣) سورة الحجر، الآية (٩٢).

(٤) سورة الصافات، الآية (٢٤).

بعضها يختم على أفواههم فتتكلم جوارحهم بما صنعوا.

﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى﴾ أي: يشد بسلسلة من خلف ظهره إلى قدميه. وقيل: تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بنواصيهم، وتارة تأخذ بالأقدام. ﴿حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ ماء حار قد انتهى حره ونضجه يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم. وقيل: إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم. وقيل: إن واديًا من أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها، وقد أحدث الله سبحانه لهم جلدًا جديدًا. وعد ذلك نعمًا؛ لأن الإنسان بالإنذار ينجذب قلبه إلى الطاعة خوفًا. ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب، ونحوه: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى﴾[١] ويجوز أن يراد بـ ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أن ربه قائم عليه مطلع لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء. وقيل: هو مقحم؛ كما تقول: أخاف جانب فلان، وقول الشاعر [ من الوافر ]:

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنهُ        مقامَ الذئبِ للرجلِ اللعينِ[٢]

وقوله: ﴿جَنَّتَانِ﴾ خطاب للجن والإنس، للخائف من مقام ربه من الإنس جنة، وللخائف من الجنِّ جنة. وقيل: إحدى الجنتين للإيمان والأخرى لترك المعاصي. والأفنان: الغصون خصت بالذكر؛ لأنها التي تثمر، ومنها تتفرع العروق وتغدق الأغصان.

وقيل: الأفنان: جمع فن؛ أي: أنواع من الفواكه؛ قال الشاعر [ من الطويل ]:

ومنْ كلِّ أفنانِ اللذاذةِ والصبا        لهوتُ به والعيشُ أخضرُ ناضر[٣]

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

---

(١) سورة إبراهيم، الآية (١٤).

(٢) البيت للشماخ بن ضرار، **ينظر في:** تفسير الطبري (١/ ٤٠٨)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥١)، لسان العرب (لعن).

(٣) **ينظر البيت في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٨٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٢).

﴿ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾﴾

﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ في الأعالي والأسافل؛ كما يختارون. وقيل: تجريان من عينين

(٢٨٦/ أ) إحداهما التسنيم، والأخرى السلسبيل. ﴿زَوْجَانِ﴾ صنفان: صنف معروف وصنف مجهول. ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ نصب على المدح للخائفين أو حال منهم؛ لأن ﴿مَنْ خَافَ﴾ في معنى الجمع. ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ وهو ما غلظ من الديباج، وإذا كانت هذه البطائن، فما ظنك بالظهائر. وقيل: ظهائرها من سندس. وقيل: من نور. ﴿دَانٍ﴾ قريب يناله القائم والقاعد. ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في هذه الآلآت المعدودة ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساء قصرت أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن إلى غيرهم، في هذه الآية دليل على أن الجن تطمث كما يطمث الإنس. وقيل: هن في صفاء الياقوت والمرجان، وصغار الدر أنصع بياضًا وقيل: إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك كله؛ كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء. ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ في العمل ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ في الثواب، وعن محمد بن الحنفية[1]: إنهما للبر والفاجر؛ من أحسن أحسن إليه، ومن أساء أسيء إليه[2].

﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: ومن دون الجنتين اللتين ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ جنتان، وجنتان أخريان دون تلك الجنتين المتقدمتين لمن دونهما من أصحاب اليمين. ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ قد اشتدت خضرتهما، والأخضر يرى من البعد أسود، ومنه سمي سواد البصرة.

و﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ فوَّارتان بالماء، والنضخ - بالخاء المعجمة - أقوى من النضح؛ لأن النضح بالحاء المهملة شبيه بالرش، وإنما ذكر النخل والرمان بعد ذكر الفاكهة اعتناءً بذكرهما؛ كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾[3] وهما من الملائكة؛ ولأن

---

(١) في الأصل: محمد بن الحسن، والمثبت كما في الكشاف وبقية المراجع.

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٧١٤) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن محمد بن الحنفية في قوله: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ قال: هي مسجلة للبر والفاجر". قال البيهقي: يعني: مرسلة.

(٣) سورة البقرة، الآية (٩٨).

النخل ثمره فاكهة وقوت، وهو التمر، وأما الرمان فإنه فاكهة ودواء؛ فلم يخلص للتفكه، ومنه قال أبو حنيفة: إذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانًا أو رطبًا لم يحنث، وخالفه صاحباه[1].

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

﴿خَيْرَٰتٌ﴾ خيرات مخفف؛ كقوله عليه السلام: " المؤمنون هينون لينون "[2] وأما خير الذي هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات، وقرئ: "خَيِّرات" [3] على الأصل، والمعنى: فاضلات الأخلاق، حسان الخلق.

﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ قصرن في خدورهن، يقال: امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة: مخدرة وقيل: إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة. ﴿قَبْلَهُمْ﴾ قبل أصحاب الجنتين، ودل عليهم ذكره الجنتين. ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ (٢٨٦/ب) نصب على الاختصاص. والرفرف: ضرب من البسط. وقيل: الوسائد. وقيل: كل ثوب عريض رفرف. وقيل: لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف، ورفرف السحاب: هيدبه[4]. والعبقري: المنسوب إلى عبقر، يزعم العرب أنه بلد الجن فينسب إليه كل شيء عجيب، وقرئ: "رُفرُف" بضمتين[5]. ﴿وَعَبْقَرِىٍّ﴾ بفتح القاف

---

(١) **ينظر:** تفسير القرطبي (١٧/ ١٨٦)، عمدة القاري للعيني (١٩/ ٢١٤).

(٢) نسبه السيوطي في الجامع الصغير لابن المبارك عن مكحول مرسلا، وللبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر – رضي الله عنهما – وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم (٦٦٦٩).

(٣) قرأ بالتشديد " خيِّرات " ابن مقسم والنهدي وبكر بن حبيب.

**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٩٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٤٩).

(٤) **الهيدب:** السحاب الذي يتدلى ويدنو مثل هدب القطيفة. وقيل هيدب السحاب: ذيله. وقيل: هو أن تراه يتسلسل في وجهه للودق ينصب كأنه خيوط متصلة، وهيدب السحاب: ما تهدب منه إذا أراد الودق كأنه خيوط. **ينظر:** لسان العرب (هدب).

(٥) قرأ بها عثمان بن عفان ونصر بن عاصم وعاصم الجحدري.

**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٩٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٠).

ومنع الصرف، وهذا لا وجه لصحته[١]. فإن قلتَ: كيف تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن الأولين؛ حتى قيل: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ ؟

قلتُ: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ دون ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، ﴿ونَضَّاخَتَانِ﴾ دون ﴿تَجْرِيَانِ﴾ و﴿فَٰكِهَةٌ﴾ دون ﴿مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ وكذلك صفة الحور والمتكأ. وقرئ: "ذو الجلال"[٢] صفة للاسم.

* * *

(١) قال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٠) وهي مشكلة؛ إذ لا مانع من تنوين ياء النسب، وكأن هذا القارئ توهم كونها في " مفاعل " يمنع من الصرف. وقد روي عن النبي ﷺ وجماعة " وعباقريٌ " منونا.

(٢) قرأ بها ابن عامر وحده، وقراءة الباقين بالياء " ذي الجلال ".

**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ١٩٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٠)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢١).

# تفسير سورة الواقعة [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي : كانت الكائنة، وسميت الواقعة؛ لوقوعها فإنها كائنة بلا شك، يقال : وقع ما كنت أتوقعه؛ أي : نزل ما كنت أرتقب نزوله، وانتصبت ﴿إِذَا﴾ بقوله : ﴿لَيْسَ﴾ أي : إذا وقعت كان كيت وكيت، أو بإضمار اذكر؛ أي : إذا وقعت ليس نفس تكذب، واللام مثلها في ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [1] أو : ليس لها نفس تكذبها أوهي من قولهم : كذبت فلانًا نفسُه في الخطب العظيم. وقيل : كاذبة مصدر كالعافية والعاقبة؛ بمعنى التكذيب؛ من قولك : حمل على قرنه فما كذب، أي : فما جبن، وتحقيقه أنه ما كذَّب نفسه، فيما كانت تمنِّيه أنه يقدر على الخلاص منه.

﴿خَافِضَةٌ﴾ أي : هي خافضة ﴿رَّافِعَةٌ﴾ ترفع أقوامًا وتضع آخرين، وإما لأن الأشقياء يخفضون إلى الدركات، والسعداء يرفعون إلى الدرجات، وإما لأنها تزلزل الأشياء من مقرها فتخفض بعضًا وترفع بعضًا حيث تسقط السماء كسفًا، وتنتثر الكواكب، وتسير الجبال، وتمر في الجو مر السحاب. ﴿رُجَّتِ﴾ حركت تحركًا شديدًا، حتى لا يبقى شيء على وجهها. ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾ أي : فتّت. وقيل : هو من بس الغنم إذا ساقها.

﴿مُّنبَثًّا﴾ متفرقًا، وقوله : ﴿إِذَا رُجَّتِ﴾ بدل من ﴿إِذَا وَقَعَتِ﴾ ويجوز أن يكون المراد أن ينتصب بـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي : ترفع وتخفض وقت رج الأرض وسير الجبال. ﴿أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا؛ يقال للأصناف التي اجتمع بعضها مع بعض أزواج.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ الذين يؤتونها بشمائلهم، أو : أصحاب المنزلة السنية (٢٨٧/أ) وأصحاب المنزلة الدنية، وذلك لتيمنهم

---

(١) سورة الفجر، الآية (٢٤).

بالميامن، وتشاؤمهم بالشمائل، ولذلك اليمنى من اليمن، وسميت الشمال الشؤمي وقيل : يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ المخلصون الذين سبقوا إلى ما دعاهم الله إليه. وقيل : الناس ثلاثة : رجل ابتكر الخير من حداثة سنه فلم يزل عليه حتى مات فهذا السابق، ورجل ابتكر الذنب في حداثة سنه ثم تراجع في آخر عمره بالتوبة فهذا صاحب اليمين، ورجل ابتكر الذنب في حداثة سنه، ثم لم يزل عليه حتى مات فهذا صاحب الشمال.

﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ و﴿مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾

يريد : والسابقون من عرفت حالهم، وقد جعل﴿ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الثانية توكيدًا، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ خبرًا، وليس بذاك، ووقف بعضهم على﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ وابتدأ ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ [1].

﴿ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِٕ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ ﴾

والثلة : الجماعة؛ قال الشاعر [ من الطويل ] :

وجاءتْ إليهم ثلةٌ خندفيةٌ تجيشُ كتيارٍ من السيلِ مزبدِ[2]

﴿وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ كفى به دليلا على الكثرة، وهي من الثل وهو الكسر، والأمة من الأم وهو الشج، والمعنى : إن السابقين كسر من الأولين، وهم الأمم من لدن آدم إلى النبي ﷺ.

---

(١) قاله الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٥٨) .

(٢) ينظر البيت في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٨) وفي الدر : من البحر مزبد .

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وهم أمة محمد ﷺ. وقيل: ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ من متقدمي هذه الأمة، ﴿مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ من متأخريها.

وروي مرفوعًا: " الثلتان جميعًا من أمتي "(١). وروي أنها لما نزلت شق على الصحابة فلم يزل النبي ﷺ يسأل حتى نزلت ﴿وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (٢) وأنكر صاحب الكشاف ذلك؛ لأن المذكور في الآية خبر، والأخبار لا تنسخ؛ ولأن هذه الآية واردة في السابقين الأولين وهذه في أصحاب اليمين(٣). وقيل: سابقو الأمم أكثر من سابقي أمتنا، وتابعو الأمم مثل تابعي هذه الأمة (٤). و﴿ثُلَّةٌ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هم ثلة. ﴿مَّوْضُونَةٍ﴾ موصولة بالذهب، مشبكة بالدر والياقوت؛ قد دخل بعضها في بعض، كحلق الدرع. وقيل: متواصلة، أدني بعضها من بعض. ﴿مُّتَّكِئِينَ﴾ حال من المجرور، أي: استقروا عليها ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض. ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ باقون على صفة الولدانية. (٢٨٧/ ب) لا يشيبون ولا يهرمون. وقيل: هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها. وفي الحديث: " أولاد الكفار خدام أهل الجنة "(٥)

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٩١) وصححه، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٩) لابن المنذر وابن مردويه والطبراني ومسدد في مسنده، وقال السيوطي: بإسناد حسن.

(٢) روى الطبري في تفسيره (٢٧/ ١٩١) عن عمران بن حصين عن عبد الله بن مسعود قال: تحدثنا ليلة عند رسول الله ﷺ حتى أكرينا أو أكثرنا. ثم ذكر نحوه إلا أنه قال: فإذا الظراب ظراب مكة مسدودة بوجوه الرجال. وقال أيضا: فإني رأيت عنده أناسا يتهاوشون كثيرا. قال: فقلنا: من هؤلاء السبعون ألفا فاتفق رأينا على أنهم قوم ولدوا في الإسلام ويموتون عليه. قال: فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: لا ولكنهم قوم لا يكتوون وقال أيضا: ثم قال رسول الله ﷺ: إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبر أصحابه ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة. فكبر أصحابه ثم قال: إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة. ثم قرأ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠)﴾.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٥٩).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٥٩) عن الحسن.

(٥) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٤) وقال: "روي من حديث سمرة ومن حديث أنس؛ فحديث سمرة رواه البزار في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والوسط والبخاري في تاريخه الوسط كلهم من حديث عيسى بن شعيب ثنا عباد بن منصور عن أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن جندب قال: سألنا رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال: " هم خدم أهل الجنة". =

﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أواني بلا عرى. والإبريق: ما له عروة. ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾أي: بسببها، وحقيقته: لا يفرّقون عنها، ولا يصدر صداع عنها. ﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ يأخذون خيره وأفضله. و﴿يَشْتَهُونَ﴾ ﴿يَشْتَهُونَ﴾يتمنون، وقرئ ﴿وَحُورٌ﴾ بالرفع[1] على: فيها حور، أو للعطف على ﴿وِلْدَانٌ﴾. ﴿جَزَآءً﴾ أي: يفعل بهم ذلك جزاء.﴿ سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ إما بدل من﴿ قِيلًا﴾ بدليل قوله: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾[2]. السدر: شجر النبق، والمخضود: الذي لا شوك فيه. وقيل: المراد: الموقر الذي تنثني أغصانه من كثرة حمله،

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾

والطلح: شجر الموز، وقيل: هو شجرة أم غيلان[3] وهي في الآخرة طيبة الريح. وقيل: هو شجر يشبه أم غيلان، ولكن له ثمر أحلى من العسل، وقرأ علي﴿وَطَلْحٍ﴾وقال: "ما لي وللطلح"[4].

---

= وقال البزار: لا نعلمه يرويه عن النبي إلا سمرة ولا رواه عنه إلا أبو رجاء العطاردي. وقال الطبراني في معجمه الأوسط ولا رواه عن أبي رجاء إلا عباد بن منصور. وقال البخاري: عيسى بن شعيب بصري صدوق. وأما حديث أنس فرواه البزار في مسنده ثنا الفضل بن سهل ثنا الحجاج ابن نصير ثنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد بن جدعان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: " أطفال المشركين خدم أهل الجنة ". وسكت عنه وهذا مناقض لقوله: لا نعلمه يرويه عن النبي إلا سمرة. وله طريق آخر؛ رواه أبو داود الطيالسي في مسنده ثنا الربيع بن صبيح عن يزيد بن أبان الرقاشي قال: قلنا لأنس بن مالك: يا أبا حمزة ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله ﷺ: " لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها ولم يكن لهم حسنات فيكونوا بها من أهل الجنة هم خدم أهل الجنة ". وبهذا السند رواه أبو نعيم في الحلية في ترجمة الربيع بن صبيح عن الطبراني بسنده إلى الربيع ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن أنس.

(١) هذه قراءة جمهور القراء، وقرأ حمزة والكسائي " وحورٍ عينٍ " بالجر. **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٠٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢٢).

(٢) سورة مريم، الآية (٦٢).

(٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٤/ ٣٨): " طلح بالفتح ثم السكون والحاء مهملة وهو شجر أم غيلان له شوك معوج وهو من أعظم العضاه شوكا وأصلبه عودا وأجوده صمغا ".
وفي لسان العرب (غيل): أم غيلان: شجر السمر.

(٤) **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٠١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٩).

وقرأ قوله : ﴿ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ [(١)] فقيل له : آي القرآن تحول ؟ فقال : آي القرآن لا تهاج ولا تحول. والمنضود : نضد من أسفله إلى أعلاه بالثمر؛ فليس يبين من ساق شجر الجنة شيء. ﴿مَّسْكُوبٍ﴾ يسكب لهم أين شاءوا كيف شاءوا. وقيل : دائم الجري لا ينقطع. وقيل : دائم يجري على الأرض من غير أخدود. ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ﴾ بل هي دائمة. وقيل : لا مقطوعة بالزمان. ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بالأثمان، وقرئ: "وفاكهةٌ " [(٢)] على: وهناك فاكهة ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ نضد بعضها فوق بعض أو مرفوعة على الأسرة. وقيل : النساء؛ لأن المرأة يكنى عنها بالفراش ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ على الأرائك؛ قال تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [(٣)] .

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾ ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدًا من غير ولادة؛ فإما أن يراد اللاتي ابتدئ إنشاؤهن، أو : كنَّ من الحور العين أو اللاتي أعيد إنشاؤهن إن كن من الإنسيات كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارًا، وروي أن عجوزًا قالت : يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال : " إن الجنة لا يدخلها العجائز؛ فولت وهي تبكي؛ فقال النبي ﷺ : (٢٨٨/أ) أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية " [(٤)]. ﴿عُرُبًا﴾ متحببات لأزواجهن ﴿أَتْرَابًا﴾ مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك؛ قال النبي ﷺ : " يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا بيضا جعادًا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين " [(٥)].

﴿ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ

---

(١) سورة ق، الآية (١٠) .

(٢) قرأ " وفاكهةٌ " بالرفع زيد بن علي وأبو عبد الرحمن.
**تنظر في** " الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٥٧).

(٣) سورة يس، الآية (٥٦).

(٤) حسنه الشيخ الألباني في مختصر الشمائل (ص : ١٢٨).

(٥) رواه أحمد في المسند (٧٥٩٢) واللفظ له، والترمذي رقم (٢٤٦٨) وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٠٧٢)، وجردا : لا شعر على أجسادهم. ومردا : لا شعر في أذقانهم، وجعادا: قصيري شعر الرأس. ويقصد بذلك حسنهم وجمالهم.

مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

واللام في ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ من صلة " إنشاء " و" جعلنا ". ﴿فِي سَمُومٖ﴾ في حر نار تتقد في المسام. ﴿وَحَمِيمٖ﴾ ماء حار متناهي الحرارة.

﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾ من دخان أسود بهيم. ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾ نفي لصفتي الظل عنه؛ سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه. وفيه تسميع أن الكفار ظلهم ﴿لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ﴾ وإنما يستحق هذا الوصف المؤمنون والسابقون وأصحاب اليمين.

و﴿ٱلۡحِنثِ﴾ الذنب العظيم، ومنه قولهم : بلغ الغلام الحنث؛ أي : بلغ أن يؤخذ بالمآثم.

﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف. [ فإن قلتَ : ] كيف حسن العطف على الضمير في ﴿لَمَبۡعُوثُونَ﴾ من غير توكيد بـ ﴿نَحۡنُ﴾ ؟ قلتُ : حسن للفاصل الذي هو الهمزة. ﴿إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم، والإضافة بمعنى من، ومنه مواقيت الإحرام. ﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ عن الهدى ﴿ٱلۡمُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث، وهم أهل مكة ﴿مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ﴾ ﴿مِّن﴾ الأولى لابتداء الغاية، والثانية لبيان الجنس ﴿شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ﴾ الهيام : داء يأخذ الإبل فتشرب ولا تروى. وقيل : الهيم : الرمال. فإن قلتَ : كيف صح عطف الشاربين على الشاربين، وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان، وهو عطف الشيء على نفسه ؟ قلتُ : لأن الشرب الأول مما يتعجب منه؛ لأن الماء الذي انتهى حره و﴿يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ﴾ [(1)] كيف يقدرون على شربه مع تلك الحالة، وأعجب منها أنهم يشربونه شرب الهيم !! فلما عظمت كل صفة منها صار ذلك كالتعجب فعطف على ما قبله؛ لاختلاف المعنيين. النزل : الرزق الذي يعد للنازل تكرمة، وفيه تهكم بهم؛ كقوله : ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [(2)] ﴿فَلَوۡلَا تُصَدِّقُونَ﴾ فهلا تصدقون.

﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ

---

(١) سورة الحج، الآية (٢٠).

(٢) سورة الانشقاق، الآية (٢٤).

بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦١) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٢) أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) ﴾

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ ما تصبون في الأرحام من المني. ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ بشرًا عالمًا قويًا. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ لذات الإنسان وصفاته.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ وقهرنا العباد به ﴿وَمَا نَحْنُ﴾ بمغلوبين ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾ في الأرض خلقًا (٢٨٨/ ب) أطوع لله منكم ويخلقكم خلقًا على غير الصفة التي أنتم عليها الآن. ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ أن من قدر على عمل فعل فهو على إعادة مثله أقدر، وهم كانوا يعتقدون أن الله خالقهم؛ فلما لم يعملوا بهذا الاعتقاد كانوا كالمكذبين؛ فلهذا قال: ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ﴾ أي: توجدونه وتصورونه. ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ﴾ المعايش، وقدرنا بينكم الموت على تفاوت في طول العمر وقصره.

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ قومًا يخالفونكم في الخلقة والصفات والاعتقادات، وفي هذه الآية دليل على صحة القياس، حيث أنكر عليهم [ أنهم ] لم يقيسوا النشأة الثانية على الأولى[1]

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٢٩٧): " قال ابن بطال: وأول من أنكر القياس إبراهيم النظام وتبعه بعض المعتزلة وممن ينسب إلى الفقه داود بن علي، وما اتفق عليه الجماعة هو الحجة فقد قاس الصحابة فمن بعدهم من التابعين وفقهاء الأمصار وبالله التوفيق. وتعقب بعضهم الأولية التي ادعاها ابن بطال بأن إنكار القياس ثبت عن ابن مسعود من الصحابة، ومن التابعين عن عامر الشعبي من فقهاء الكوفة وعن محمد بن سيرين من فقهاء البصرة. وقال الكرماني: عقد هذا الباب وما فيه يدل على صحة القياس وأنه ليس مذموما لكن لو قال من شبه أمرا معلوما لوافق اصطلاح أهل القياس قال: وأما الباب الماضي المشعر بذم القياس وكراهته فطريق الجمع بينهما: أن القياس على نوعين صحيح وهو المشتمل على جميع الشرائط، وفاسد وهو بخلاف ذلك فالمذموم هو الفاسد وأما الصحيح فلا مذمة فيه، بل هو مأمور به.

وقد ذكر الشافعي شرط من له أن يقيس فقال: يشترط أن يكون عالما بالأحكام من كتاب الله تعالى وبناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه ويستدل على ما احتمل التأويل بالسنة وبالإجماع فإن لم يكن فبالقياس على ما في الكتاب فإن لم يكن فبالقياس على ما في السنة فإن لم يكن فبالقياس على ما اتفق عليه السلف وإجماع الناس ولم يعرف له مخالف، قال: ولا يجوز القول في شيء من العلم إلا من هذه الأوجه ولا يكون لأحد أن يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف وإجماع الناس واختلاف العلماء ولسان العرب ويكون صحيح العقل ليفرق بين المشتبهات، ولا يعجل=

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ لزراعة الحب؛ معنى ﴿تَحْرُثُونَ﴾ تبذرون حبه ﴿ءَأَنتُمْ﴾ تنبتونه وتجعلون له مادة من الشرب إلى أن ينتهي إلى غايته.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾

وعن رسول الله ﷺ : " لا يقولن أحدكم زرعت؛ فإن الله هو الزارع، ولكن يقول : حرثت " قال أبو هريرة : انظر إن شئت : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[1]. ﴿حُطَٰمًا﴾ كالفتات والجذاذ، أسماء لما انهشم وتفتت.

﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ تعجبون. ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ أي : عدمنا وغرمنا النفقات على هذا الزرع وحرمنا بركته. وقيل : المحروم : من زرع زرعًا فلم ينجب أو أنشأ بستانًا فلم ينجب؛ قال الله تعالى في قصة البستان : ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ إلى أن قال : ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[2] أي : لسنا من أصحاب الحظ، ولو كنا منهم لأنجب زرعنا. وقيل : الغرام : الهلاك، ومنه قوله : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾[3]

﴿ٱلْمُزْنِ﴾ السحاب، واحدته مزنة. وقيل : هو السحاب الأبيض، الأجاج : الشديد الملوحة؛ لا يقدر على شربه، وإنما دخلت اللام في قصة الزرع ولم تدخل في قصة المزن؛ لأن الجملة الثانية دخلت على جملتين إحداهما مرتبطة بالأخرى؛ فأشبهت الشرط فجعلت اللام في جواب " لو " علمًا على شبه الشرطية؛ فإذا استمر استعمالها صارت اللام المحذوفة كالثابتة؛ قال الشاعر [ من الرجز ] :

---

= ويستمع ممن خالفه؛ ليتنبه بذلك على غفلة إن كانت وأن يبلغ غاية جهده، وينصف من نفسه حتى يعرف من أين قال ما قال ". انتهى، من فتح الباري.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٥٧٢٣)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٥٢١٧) وضعفه، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٣) للبزار وابن جرير وابن مردويه وأبي نعيم، عن أبي هريرة.

(٢) سورة القلم، الآية (٦٧).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٦٥).

حتى إذا الكلابُ قال لها كاليومِ مطلوبًا ولا طالبا[١]

أي : لم أر كاليوم، وأيضًا فإن ثبات اللام في أحد الموضعين دليل على إثباته في الآخر (٢٨٩/أ) ﴿تُورُونَ﴾تقتدحون نارها، والعرب تأخذ عودين فتحك أحدهما بالآخر فتقدح نارًا، وترى مع المسافرين منهم عودين برسم ذلك تقتدح بهما النار.

﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾ المسافر النازل في القواء، وهي الأرض الخالية. ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا﴾ يعني النار المقتدحة بعيدان الشجر. ﴿تَذْكِرَةً﴾تذكر بنار جهنم، وفعلنا ذلك ليتذكر العصاة بهذه النار ما يعذبون به في الدار الآخرة. وفي الحديث : " ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم، قالوا : يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال : فإنها تفضل عليها بتسعة وستين جزءًا "[٢]. وقيل : المقوي : هو الذي خلت أوعية زاده فلم يبق له زاد.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾أي : فأحدث التسبيح باسم ربك، أو أراد : تذكر اسم ربك ﴿رَبِّكَ﴾ ﴿الْعَظِيمِ﴾ صفة للمضاف أو للمضاف إليه؛ أي : اذكر الإله الذي خلق من المني بشرًا، ومن الحب زرعًا، ومن السحاب مطرًا، ومن الشجر الأخضر نارًا. ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ معناه : فلأنا أقسم و "لا" زائدة؛ كقوله : ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾[٣] وكقوله : ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[٤] والتقدير : فلأنا أقسم، ولا يجوز أن تكون اللام جواب القسم؛ لأن جواب القسم بالمضارع يلزمه النون؛ تقول : حلفت لأفعلن، وحذفها قبيح في الكلام، ولأن جواب القسم يراد به الاستقبال، وها هنا المراد به الحال. ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ بمساقطها إذا رجم بها الشياطين، ويجوز أن تكون الملائكة، ولأولياء الله في هذه الأوقات عبادات مخصوصة؛ ولأنه وقت الاستغفار بالأسحار ونزول رحمة الرب سبحانه إلى سماء الدنيا قائلا : " هل من داع

---

(١) **ينظر البيت في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٦٥)، الكشاف للزمخشري (٢/ ٢٨٨).

(٢) رواه مسلم رقم (٥٠٧٧)، والترمذي رقم (٢٥١٤)، وابن ماجه رقم (٤٣٠٩).

(٣) سورة القيامة، الآية (١).

(٤) سورة الحديد، الآية (٢٩).

فأستجيب له، أو مستغفر فأغفر له، أو من تائب فأتوب عليه "[١]. واستعظم القسم بها بقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾. واعلم أن في هذه الآية جملة معترضة متعلقة بجملة أخرى معترضة؛ فالجملة الأولى : " وإنه لقسم عظيم " والجملة الثانية : ﴿لَّوْ تَعْلَمُونَ﴾فإنه لو قال : وإنه لقسم لاستقام. وقيل : المراد بالنجوم : نزول القرآن على رسول الله ﷺ منجمًا ﴿كَرِيمٌ﴾ حسن مرضي في جنسه من الكتب، أو كثير النفع أو كريم على الله. المكنون : الكتابة في اللوح المحفوظ، مصون من غير المقربين من الملائكة. ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ من جميع الذنوب، ومن النقائص والمعايب، وهم المطهرون (٢٨٩/ ب) في قوله : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ إن جعلت الجملة الثانية صفة للكتاب، وإن جعلتها صفة للقرآن فالمعنى أنه لا ينبغي أن يمسه إلا من هو على الطهارة من الناس، ومن الناس من حمله على القراءة أيضًا. وعن ابن عمر أنه قال : أحب إلي ألا يقرأ إلا وهو طاهر[٢]. وعن ابن عباس أنه أباح قراءة القرآن للجنب[٣]. ومنه قول رسول الله ﷺ : " المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه "[٤] أي : ينبغي أن يكون كذلك.

---

(١) رواه بهذا اللفظ أحمد في المسند رقم (١٧٢٢٨)، ورواه البخاري في صحيحه رقم (١٠٧٧)، ومسلم رقم (١٢٦١) بلفظ " ينزل ربنا – تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له ". وهذا لفظ البخاري. وهذا الحديث معروف بحديث النزول وهو من صفات الله تعالى التي أخبر عنها النبي ﷺ في هذا الحديث الثابت، وقد أشرنا من قبل إلى أن مثل هذه الصفات الثابتة لله – تعالى – يجب إثباتها كما أتت من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تأويل ولا تعطيل، وهذه هي عقيدة السلف الصالح – رضي الله عنهم – ومن تبعهم بإحسان.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٦٩).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٦٩) قال العيني في عمدة القاري (٣/ ٢٧٤) : " ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأسا، هذا الأثر وصله ابن المنذر بلفظ أن ابن عباس كان يقرأ ورده وهو جنب وقال ابن أبي شيبة حدثنا الثقفي عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان لا يرى بأسا أن يقرأ الجنب الآية والآيتين، وكان أحمد يرخص للجنب أن يقرأ الآية ونحوها، وبه قال مالك، وقد حكي عنه أنه قال : تقرأ الحائض ولا يقرأ الجنب؛ لأن الحائض إذا لم تقرأ نسيت القرآن؛ لأن أيام الحائض تتطاول ومدة الجنابة لا تطول، وأراد البخاري بإيراد هذا وبما ذكره في هذا الباب الاستدلال على جواز قراءة الجنب والحائض لأن الذكر أعم من أن يكون بالقرآن أو بغيره وبه قال الطبري وابن المنذر وداود ".

(٤) رواه البخاري رقم (٢٢٦٢)، ومسلم رقم (٤٦٧٧).

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

﴿تَنزِيلٌ﴾ صفة رابعة للقرآن؛ أي: منزل من رب العالمين، أو وصف بالمصدر؛ لأنه منجم من بين سائر الكتب؛ فكأنه في نفسه تنزيل؛ ولهذا قالوا: نطق به التنزيل، وجاء به التنزيل. ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ أي: متهاونون بالقرآن لا تعظمونه وواجب تعظيمه. ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ حظكم منه التكذيب، التقدير: وتجعلون بدل شكركم النعمة التكذيب بها. ﴿فَلَوْلَآ﴾ فهلا، والمعنى: فهلا ترجعونها إن كنتم صادقين، وفصل بين ﴿فَلَوْلَآ﴾ وما تعلقت به بالشرط. ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ أي: غير مجزيين، كما تدين تدان؛ أي: كما تفعل تجزى.

* * *

# تفسير سورة الحديد [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١)﴾

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ جاء في بعض الفواتح بلفظ الماضي، وفي بعضها بلفظ المضارع، وكلا المعنيين صحيح؛ أي : عادتهم التسبيح، وشأنهم أن يسبحوا لـه ويعظمـوه، وقـد جـاء تـارة بـاللام، وتارة بغير لام؛ كقوله : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [1] ومعنى سبحت لله، أي : جعلت التسبيح خالصًا لوجهه. ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من يتأتى منه التسبيح.

﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٥) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٦) ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨) هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠)﴾

قوله : ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ يجوز ألا يكون له محل، وأن يكـون مـستأنفًا وأن يكـون مرفوعًـا بخبر مبتدأ محذوف، أي : هو يحيي ويميت، وأن يكون منـصوبًا؛ حـالاً مـن المجـرور في ﴿لَهُۥ﴾ والجار عاملا فيها؛ ومعناه : يحيي النطف والبيض والموتى.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء﴿ وَٱلْءَاخِرُ﴾ بعـد كـل شـيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلـة الدالـة عليـه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ لكونه غير مدرك بالحواس، ومعنى دخول الواو في قوله : ﴿ وَٱلْءَاخِرُ﴾ أنـه الجـامع بين هاتين الصفتين، وأما الثالثة فدخلت الواو؛ لتدل على أنه جامع بين الصفتين الأخيرتـين،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٤٢).

وأما الوسطى فدخلت لتدل على اجتماع الأول مع الثاني (٢٩٠/أ) والثالث مع الرابع.

وقيل: الغالب؛ لقوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾[١] ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يريد أن الأموال التي بأيديكم ملك لله وأنتم تتصرفون فيها بإذنه كالوكلاء والنواب، فأنفقوا منها في حقوق الله وليهن عليكم الإنفاق منها؛ كما يهون على الرجل إذا أنفق من مال غيره، أو جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم في المال الذي بأيديهم وأيديكم، فاعتبروا بحالهم؛ كيف انتقل منهم إليكم؛ وسينقل منكم إلى غيركم ! ولا تبخلوا، وارفعوا بالإنفاق منها أنفسكم.

﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في الجار والمجرور، والواو في ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال؛ فهما حالان متداخلتان، وقد مضى ذكر نظيره في أوائل ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[٢] أي: قد ركب فيكم العقول التي تؤديكم إلى العلم بصفاته وأنه يثيب على الإنفاق أضعافًا مضاعفة. ﴿أَلَّا تُنفِقُواْ﴾ أي: أي شيء لكم في ترك النفقة ؟!

﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ سينتقل من أيديكم انتقال المال الموروث بعد هلاك صاحبه. ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم﴾ أي: قبل فتح مكة، وكان الإسلام ضعيفًا، فالنفقة في ذلك الوقت أصابت محلاً قابلا، أي: ومن أنفق بعد ذلك؛ أي: بعد ما عزَّ الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فحذف ذكر القسم الثاني؛ لوضوح دلالة الكلام عليه.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: المثوبة الحسنى، وقرئ: "كلٌّ" بالرفع[٣] مع أن الفعل لم يشتغل بضميره، وهو جائز؛ ولكنه قليل الاستعمال[٤]. وقيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله

---

(١) سورة الصف، الآية (١٤).

(٢) سورة الأنبياء، الآية (١).

(٣) قرأ بالرفع ابن عامر وحده والباقون بالنصب " وكلا ".

**تنظر في**: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٧٤)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٢٥).

(٤) قال ابن مالك في شرح الكافية الشافية (١/ ١٤٧): " الجملة المخبر بها إن كانت نفس المبتدأ في المعنى فحكمها في الاستغناء عن ذكر يرجع إلى المبتدأ حكم المفرد الجامد، ولأجل ذلك لم يفتقر ضمير الشأن إلى ما يرجع إليه من الجملة المخبر عنه بها. فإن لم تكن الجملة نفس المبتدأ في المعنى وجب اشتمالها على ضمير يعود على المبتدأ، أو ما يقوم مقامه، وقد يحذف العائد إذا كان عند حذفه لا يجهل، فإن كان العائد مفعولا وكان المبتدأ " كلا " أو شبهه جاز الحذف، وبقاء المبتدأ مبتدأ بلا خلاف، ومن ذلك قراءة ابن عامر " وكل وعد الله الحسنى " وكذا إذا كان المبتدأ شبيها بـ " كل " في العموم أو=

عنه - لأنه أول من أسلم وأول من أنفق في سبيل الله[(١)].

﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾

القرض الحسن : الإنفاق في سبيله؛ شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز؛ لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه. ﴿ فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ ﴾ أي : يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفًا. ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي : ذلك الأجر المضاعف أجر عظيم قبل أن ينضاف إليه المضاعفة. ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف والعامل فيه الاستقرار في قوله : ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ﴾ أو منصوب بمضمر تقديره : يوم ترى يكون كيت وكيت. يؤتى السعداء صحائف أعمالهم من بين أيديهم وبأيمانهم (٢٩٠/ ب) ونور تلك الصحائف ينوِّر لهم هاتين الجهتين، ويؤتى الأشقياء صحفهم بشمائلهم من وراء ظهورهم، وإذا تجاوز السعداء الصراط سعوا في أنوار أعمالهم وصحائفهم، ويكون ذلك شعارًا بفوزهم، وتقول لهم الملائكة الذين يتلقونهم ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾.

﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

---

= الافتقار إلى متمم للمعنى، وكذا المشبه " كلا " بالافتقار إلى متمم دون عموم. فإن كان المبتدأ غير " كل " والعائد مفعول لم يجز عند الكوفيين حذفه وبقاء المبتدأ مبتدأ، بل يوجبون نصبه بمقتضى المفعولية إلا في ضرورة شعر، وخالفهم البصريون بإجازة رفع غير " كل " في الاختيار". قال السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٢٧٤) - بعد أن نقل عن ابن مالك إجماع البصريين والكوفيين على جواز ذلك إن كان المبتدأ " كلا " أو ما أشبهها في الافتقار والعموم - : " وهذا لم أره لغيره ".

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٤).

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ﴿انظُرُونَا﴾ انتظرونا؛ لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركائب تسرع بهم، والأشقياء مشاة. وقيل: ﴿انظُرُونَا﴾ انظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، واستنارت الطريق للمنافقين، وجعل اتئادهم في المشي ليلحقهم المنافقون أنظارًا. ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستضيئوا بهم. ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ طرد لهم وتهكم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورًا بتحصيل سببه وهو الإيمان، أو ارجعوا خائبين، وقد علموا أنه لا نور لهم؛ وإنما هو طرد وإقنات.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ بين المؤمنين والمنافقين. ﴿بِسُورٍ﴾ أي: بحائط. قيل: ذلك السور: الأعراف، لذلك السور ﴿بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ أي: ما يخص المؤمنين ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ ما بدا للمنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ أي: من جهته، وهو الظلمة ينادى المنافقون المؤمنين فيقولون: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدنيا في الجهاد والصلوات؟ فيقول المؤمنون: كنتم معنا ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أوقعتموها في الفتنة ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالموت الدوائر ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ شككتم في الدين الحق ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾ طول العمر والطمع ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ﴾ الموت و﴿الْغَرُورُ﴾ الشيطان. ﴿فِدْيَةٌ﴾ ما يفتدى به ﴿مَوْلَاكُمْ﴾ أي: أولى بكم، وحقيقة الكلام: النار هي أولى بكم أن تكونوا فيها، وهو كقولهم: مئنة.

وفي الحديث: " إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه "[1]. أي: محل يقال فيه: إنه لفقيه، ومنه قوله: ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ [2] فسماه إغاثة. وقيل: تتولاكم جهنم؛ كما توليتم في الدنيا أعمال الفجور.

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يحن، يقال: أنى الشيء يأنى إناء؛ إذا جاء وقته. قيل: كانوا بمكة مجدبين مضيقًا عليهم في ذات اليد، فلما هاجروا إلى المدينة اتسع لهم العيش ففتروا عما كانوا عليه؛

---

(١) رواه مسلم رقم (١٤ ٣٧)، وأحمد في المسند رقم (١٧٥٩٨) ومئنة: كقولك: مخلقة لذلك، ومجدرة لذلك ومحراة ونحو ذلك. قال الأصمعي: قد سألني شعبة عن هذا، فقلت: مئنة يقول: هي علامة لذاك خليق لذاك. قال أبو عبيد: يعني أن هذا مما يعرف به فقه الرجل ويستدل به عليه وكذلك كل شيء دلك على شيء فهو مئنة له. **ينظر**: غريب الحديث لابن سلام (٤/ ٦١).

(٢) سورة الكهف، الآية (٢٩).

فنزلت الآية[١]. (٢٩١/أ) وعن ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين[٢]. وعن ابن عباس : استبطأ الله قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن[٣]. وعن الحسن : أما والله لقد استبطأهم وهم يحفظون من القرآن أقل مما تحفظون، ويعملون من أعمال الخير أضعاف ما تعملون، وحدث فيكم من الفسق ما لم يكن في الأولين[٤].

وروي أن هذه الآية قرئت بين يدي أبي بكر الصديق، وعنده ناس من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدًا؛ فقال أبو بكر: هكذا كنا حتى قست القلوب[٥]. وكانت بنو إسرائيل إذا سمعوا التوراة خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوه من التغيير والتبديل وغيره. ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يجوز أن يراد بهما شيء واحد وقيل : ذكر الله أعم، وما نزل من الحق أخص، ويجوز أن يراد خضوعها لذكر الله؛ كقوله : ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [٦] أراد بـ﴿ٱلْأَمَدُ﴾ الأجل؛ كقوله [ من البسيط ] :

ولا يمهلُ حيٌّ إذا انتهى أمدُه[٧]

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ تمثيل لإثراء الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض. ﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ هم المتصدقون، وقرئ: "إن المصَدِّقين" بالتخفيف[٨] وهم

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٨) لابن المبارك وعبد الرزاق وابن المنذر عن الأعمش.

(٢) رواه مسلم رقم (٥٣ ٥٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٨) لابن المنذر وابن مردويه والطبراني والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير عن ابن مسعود.

(٣) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٨) لابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٧).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٧٧).

(٦) سورة الأنفال، الآية (٢).

(٧) **ينظر في** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٧٧).

(٨) قرأ ابن كثير وعاصم في رواية أبي بكر عنه " المصدقين والمصدقات " بتخفيف الصاد، وقرأ الباقون وحفص عن عاصم " المصدقين والمصدقات " بتشديد الصاد.

**تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٧٨)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٢٦).

الذين صدقوا الله ورسوله، والقراءة الأولى بمعنى إخراج الصدقة.

﴿وَأَقْرَضُوا﴾ معطوف على معنى المتصدقين؛ كأنه قيل: إن الذين تصدقوا وأقرضوا.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٤) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾

﴿أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ وهم الشهداء؛ أي: هم عند الله بمنزلة الشهداء، ويجوز أن تقف على قوله: ﴿هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ وتبتدئ ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ نبه سبحانه وتعالى أن الدنيا إنما هي أمور محقرات من لعب ولهو وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد ثم مثل حالها في سرعة زوالها بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾ أي: الزراع؛ لأن الزارع يستر الحب الذي يبذره، والكفر: الستر ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ثم ييبس، فترى ذلك الزرع الأخضر صار أصفر، ثم عن قليل يصير حطامًا.

وقيل: ﴿الْكُفَّارَ﴾ الجاحدون لنعم الله تعالى، وهم مثلُ أصحاب الجنة الذين ابتلاهم بإحاطة الله بزرعهم[1] وكما فعل بأصحاب الجنتين في سورة الكهف[2].

﴿سَابِقُوا﴾ سارعوا إلى أعمال الجنة سعي المسابق ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

---

(١) ورد ذكرهم في الآيات (١٧ - ٣٣) من سورة القلم.

(٢) ورد ذكرهم في الآيات (٣٢ - ٤٣).

(٢٩١/ ب) أي : كعرض السماوات السبع والأرضين السبع، وذكر العرض دون الطول؛ لأن عرض كل شيء أقصر من طوله، ويجوز أن يراد بالعرض الكثرة؛ كقوله :﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [١].

﴿مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ نحو الجدب وآفات الزرع. ﴿وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بالأعلال والأمراض ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ أي : قبل أن نخلقها؛ فإن الله هو البارئ المصور، والضمير في ﴿نَّبْرَأَهَآ﴾ يرجع إلى الأرض أو النفس أو المصيبة.

إن إثبات ذلك يسير على الله، يعني : إذا علمتم بأن كل شيء مكتوب عند الله خفت الهموم، وعلم أن كل ما قدر كائن. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم عنده اختال وافتخر به وتكبر على الناس. فإن قلتَ : ما نرى أحدًا يملك نفسه ويمنعها عن الفرح بما يتجدد من خير ولا يمنعها من التألم إذا ناله ما يسوءه ؟

قلتُ : المراد ذم الفرح الذي يخرج إلى الفخر والخيلاء ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ . ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني الملائكة إلى الأنبياء. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي : بالحجج والمعجزات. ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي : الكتب؛ كقوله : ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [٢] أي : الكتب.

وقيل : الكتاب. الخط بالقلم، تقول : كتبت كتابًا وكتابة. وروي أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فأعطاه نوحًا، وقال له : مر قومك يزنوا به [٣]. ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ قيل : نزل آدم ومعه خمسة أشياء من حديد : السندان، والكلبتان، والمطرقة، والإبرة [٤]. وقيل : ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ خلقناه؛ كقوله : ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [٥] .

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ فالبأس الشديد : القتال به، والمنافع ظاهرة. قيل : ما من عمل من الأعمال إلا وفيه آلة من الحديد. ﴿وَجَعَلْنَا وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي : بإعداد آلة

---

(١) سورة فصلت، الآية (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨٠).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٣٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) سورة الزمر، الآية (٦) .

الحرب من السيف والرمح وغيرها.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾

﴿فَمِنْهُم﴾ أي: من الذرية. وقيل: من المرسل إليهم، دل عليه ذكر الإرسال والمرسلين، ونحو وصفهم بأن في قلوبهم الرأفة والرحمة قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [1]. والرهبانية: ترهُّبُهم في الجبال فرارًا من الفتنة. وروي أن الجبابرة (٢٩٢/أ) ظهروا على أصحاب عيسى بعد أن رفعه الله إليه فقاتلوهم مرارًا، وقتل الكفار أكثر أصحاب عيسى، وبقي منهم قليل فخافوا أن يفتنهم الكفار فاختاروا الترهب والانقطاع [2]. وانتصابها بفعل مضمر يفسره "ابتدعوها" أي: أحدثوها من عند أنفسهم، ولم يأتهم أمر من الله بذلك.

﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: ما فرضناها عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ استثناء منقطع؛ أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله. ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يريد أهل الرأفة الذين اتبعوا عيسى.

﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ لم يحافظوا على ما ابتدعوه من الرهبانية، ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة، و﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ صفة لها في محل النصب، أي: وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم، والمعنى: وفقناهم للرحمة بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهم الذين حافظوا على ما ابتدعوه من الرهبانية. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يحافظوا على ما التزموه من الرهبانية.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن

---

(١) سورة الفتح، الآية (٢٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٨١)، وروى الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٣٩) نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي : بموسى وعيسى ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ ﴾ بمحمد ﷺ .

﴿يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ﴾ أي : نصيبين؛ لإيمانكم به وبمن قبله ﴿مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ يوم القيامة بخلاف المنافقين الذين حرموا النور.

﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ " لا " : زائدة؛ أي : لأن يعلم ﴿ أَلَّا يَقۡدِرُونَ ﴾ " أن " مخففة من الثقيلة أصله : أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله. ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، وإن كان قوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾ خطابًا لغيرهم فمعناه : اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسوله ﷺ ﴿يُؤۡتِكُمۡ ﴾ ما وعد المؤمنين وهما الكفلان من رحمته.

روي أن رسول الله ﷺ بعث جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعا النجاشي فأجابه فقال جماعة من عظماء أهل اليمن للنجاشي : ائذن لنا أن نتوجه إلى محمد ﷺ ونواسيه بأموالنا فأذن لهم، وقدم جعفر إلى النبي ﷺ ومعه أربعون رجلاً فواسوا المؤمنين بأموالهم ووسعوا عليهم، فنزلت الآية[1] والله أعلم (٢٩٢/ ب).

* * *

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ٢٤٢)، وذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٣/ ٤١٩) وقال : وهذا مرسل.

# تفسير سورة المجادلة [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها : " الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد كلمت المجادلة رسول الله ﷺ في جانب البيت وأنا عنده لا أسمع، وسمع قولها "[١].
والمرأة خولة بنت ثعلبة، امرأة أوس بن الصامت، رآها وهي تصلي، وكانت حسنة الجسم، فلما سلَّمت راودها عن نفسها فأبت فغضب، وكان به خفة فظاهر منها؛ وأتت رسول الله ﷺ فقالت : إن أوسًا تزوجني وأنا شابة مرغوب فيَّ، فلما أفنى شبابي ونثرت أفلاذ كبدي جعلني عليه كأمه. وروي أنها قالت : إن لي صبية صغارًا إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إلي جاعوا؛ فقال ﷺ : " ما عندي في أمرك شيء "[٢].

وروي أنه قال لها : حرمت عليه فقالت : أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، كلما قال رسول الله ﷺ : حرمت عليه شكت. فنزلت: ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ في شأنه[٣]. يسمع كل مسمع ويبصر كل مبصر. ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم﴾ في ﴿مِنكُم﴾ توبيخ للعرب، وتهجين لعادتهم في الظهار. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ أي : ليسوا بأمهات لهم وقد جعلها المظاهر أمًا؛ فكأن هذا القول ﴿مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ منكرًا تنكره الحقيقة، وتنكره الأحكام الشرعية، ﴿وَزُورًا﴾ كذبًا باطلاً، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ لما سلف إذا تيب عنه

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ

---

(١) رواه أحمد رقم (٢٣٠٦٤)، والنسائي رقم (٣٤٠٦)، وابن ماجه رقم (١٨٨) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه رقم (١٥٥).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٢٣) وقال : رواه البيهقي والدارقطني في سننيهما بروايات مختلفة وفي سنن أبي داود منه شيء يسير وكذلك الطبراني في معجمه.

(٣) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٢٣).

فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ كانوا يظاهرون في الجاهلية؛ فلما جاء الإسلام تركوا ذلك، ثم عادوا بعد ذلك فظاهروا. وإذا ظاهر من امرأته لم يحل له وطؤها حتى يكفر؛ لقوله تعالى:﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ والمعنى : أن تدارك هذا القول بالكفارة وإحسان الصحبة بعد ذلك، والمماسة : الجماع، وما يقرب منه من الاستمتاع، والظهار أن يشبه امرأته بأمه، أو بعضو من أعضائها، أو بأخته، أو غيرها من المحارم، أو يشبهها بعضو من أعضاء الأم غير الظهر، إلا أن أبا حنيفة يقول : إن شبهها بعضو يسمى به الجسد كله؛ كالرأس والرقبة، وعنده أيضًا: إذا لم يكفر المظاهر فللمرأة مطالبته بالتكفير لتحل، وعند الشافعي : إذا امتنع لا ترافعه المرأة ولا تستحق عليه الوطء[1]. ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ التي لا يجوز تعديها. ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ (٢٩٣/أ) الذي لم يقوموا بما يوجبه الظهار ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿يُحَادُّونَ﴾ يعادون﴿ كُبِتُوا﴾ أُخْزوا. ﴿كَمَا كُبِتَ﴾ من عادى الرسل قبلهم. قيل : أراد كبتهم يوم الخندق. ﴿وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ تدل على صحة الرسول وصحة ما جاء به ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بهذه الآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ منصوب بـ " الكافرين " أو بـ " مهين " أو بإضمار اذكر؛ تعظيمًا لليوم ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين؛ أي : كلهم، والمراد : اجتماعهم في مكان واحد في ذلك الوقت.

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ تخجيلاً لهم وتوبيخًا، يتمنون عنده المسارعة إلى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الأشهاد ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أحاط به عددًا. ﴿وَنَسُوهُ﴾ أنهم تهاونوا به. ﴿مَا يَكُونُ﴾أي : ما يوجد، وهي كان التامة، والنجوى تأنيثها غير حقيقي، وهي

---

(١) ينظر: بداية المبتدي للمرغيناني (١/ ٨١، ٨٢) ، المبسوط للسرخسي (٦/ ٢٣٠).

التناجي. ﴿مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ بإضافة ﴿نَّجْوَىٰ﴾ إلى﴿ ثَلَٰثَةٍ﴾ أو جعلهم نفس النجوى مبالغة، وقرأ ابن أبي عبلة: "ثلاثةً" و "خمسةً" بالنصب[1] على الحال، أو بإضمار "يتناجون " روي أن اليهود والمنافقين كانوا إذا رأوا المؤمنين تغامزوا وتضاحكوا وتناجوا فنهاهم رسول الله ﷺ ففعلوا ثم عادوا، فنزلت ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾[2] أي : يقولون : السام عليك، والسام : الموت. والتناجي بالبر والتقوى : أن تقولوا يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ولا تقولوا : السام عليك. ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون : إن كان محمدٌ نبيًّا؛ فلم لا يعذبنا الله بما نقول ؟ فقال الله : ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم، ويجوز أن يكون للمؤمنين وللمنافقين، يعني: إذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك ﴿وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾

روي أن النبي ﷺ قال : " لا يتناج اثنان دون ثالث؛ فإن ذلك يحزنه "[3].

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾اللام في " النجوى " إشارة إلى التناجي بالإثم والعدوان؛ بدليل قوله :

﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾وليس الحزن بضار الذين آمنوا﴿شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ﴾، ﴿ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾[4] أي : توسعوا فيه، والمراد : مجلس رسول الله ﷺ كانوا يتضامُّون فيه؛ تنافسًا على القرب منه وسماع كلامه ﷺ . وقيل : هي مجالس القتال؛ كما سميت مقاعد في قوله:

---

(١) **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٨٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٨٩) .

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٤).

(٣) رواه البخاري رقم (٥٨١٤)، ومسلم رقم (٤٠٥٢) .

(٤) قرأ " في المجلس " بالإفراد جمهور القراء ، وقرأ " في المجالس " عاصم وحده.

**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٣٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٨٩)، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٢٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٤٩٢).

﴿مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [(١)](٢٩٣/ب) ﴿يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ مطلق في كل ما يراد التوسع فيه، وهو المجلس والقلب والرزق وغير ذلك. ﴿ٱنشُزُوا۟﴾ ارتفعوا لتوسعوا على المقبلين، أو ارتفعوا عن مجلس رسول الله ﷺ إذا أمرتم بالنهوض عنه، أو انهضوا إلى الصلاة والجهاد وأعمال الخير إذا استنهضتم ولا تفرطوا. ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ﴾ المؤمنين بامتثال أوامر رسوله والعلماء منهم خاصة. ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ بما تعلمون. عن ابن مسعود أنه كان إذا قرأها قال : يا أيها الناس : افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم [(٢)].

وعن النبي ﷺ : " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب "[(٣)]. وعنه : " يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء "[(٤)]. فأعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله ﷺ وفي كلام بعض الحكماء : ليت شعري، أي شيء فات من أدرك العلم، ليت شعري؛ أي شيء أدرك من فاته العلم ؟

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ استعارة ممن له يدان، والمعنى : قبل نجواكم . ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ التقديم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لأن الصدقة طهرة. روي أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله ﷺ حتى أملوه فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمروا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة، قال علي : فدعاني رسول الله ﷺ لما نزلت؛ فقال : ما تقول في دينار ؟ قلتُ: لا يطيقونه، قال : كم ؟ قلت : حبة أو شعيرة، قال : إنك لزهيد. فلما رأوا ذلك اشتد عليهم وكفوا؛ أما الفقير فلعسرته، وأما الغني فلشُحِّه[(٥)]. قيل : كان ذلك عشر ليال فنسخ وقيل : ما كان إلا ساعة

---

(١) سورة آل عمران، الآية (١٢١).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٢) وذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٣) ونسبه لابن المنذر عن ابن مسعود قال : " ما خص الله العلماء في شيء من القرآن ما خصهم في هذه الآية فضل الله الذين آمنوا وأوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم ".

(٣) رواه أحمد رقم (٢٠٧٣٣)، وأبو داود رقم (٣١٥٧)، والترمذي رقم (٢٦٠٦)، وابن ماجه رقم (٢١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٩٧).

(٤) رواه ابن ماجه رقم (٤٣٠٤) وقال الألباني في ضعيف الجامع رقم (٢١٤٨) موضوع.

(٥) رواه الترمذي رقم (٣٢٢٢) وقال : حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦٥٢).

من نهار[(١)].

وعن علي : " إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي، ولا عمل بها أحد بعدي كان لي دينار فصرفته، فكنت إذا ناجيته تصدقت بدرهم "[(٢)]. وعن ابن عمر : " كانت لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم : تزوجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى "[(٣)]. وقال ابن عباس : " هي منسوخة بالآية التي بعدها. وقيل : هي منسوخة بالزكاة "[(٤)].

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٨) ﴾

﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ ﴾ أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الخوف من الفقر ؟ وأن الشيطان يعدكم الفقر. ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما أمرتم به ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (٢٩٤/ أ) وعذركم ورخص لكم في ألا تفعلوا فلا تفرطوا في الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

كان المنافقون يقولون : اليهود هم الذين غضب الله عليهم في قوله : ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[(٥)] ونقل المنافقون إلى اليهود أخبار المؤمنين. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا مسلمين ﴿وَلَا مِنْهُمْ ﴾

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي ﷺ.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٢٠)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٤) وصححه، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٤) لسعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن علي ﷺ .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٥).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٨٤) ونسبه لأبي داود في ناسخه وابن المنذر من طريق عطاء الخراساني عن ابن عباس.

(٥) سورة المائدة، الآية (٦٠).

أي: من اليهود؛ كقوله : ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الآية [(١)] ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ أي : يقولون : والله إنا لمسلمون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن المحلوف عليه كذب. وكان ابن نبتل يكثر مجالسة النبي ﷺ وينقل أخباره إلى اليهود، فقال رسول الله ﷺ : " يدخل عليكم إنسان وجهه وجه إنسان وقلبه قلب جبار، وينظر نظر شيطان، فدخل ابن نبتل؛ فقال له النبي ﷺ : علام تشتمني أنت وأصحابك ؟ فحلف بالله العظيم أنه لم يكن ذلك، فنزلت ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [(٢)].

﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ نوعًا من العذاب شديدًا؛ نكره تعظيمًا له. ﴿سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بمعنى: أنهم كانوا في الزمن الماضي على هذه الحال، أو هي حكاية ما يقال في الآخرة. ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ وقرئ بكسر الهمزة[(٣)]. جُنَّةً أي : وقاية. ﴿فَصَدُّواْ﴾ فأعرضوا أي: صدوا الناس عن الدخول في الإيمان. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من عذاب الله. ﴿شَيْـًٔا﴾ قليلاً من الإغناء، روي أن رجلاً منهم قال : لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا. ﴿فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ﴾ أي : لله سبحانه على أنهم مسلمون. ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ في الدنيا. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من النفع، وليس العجب من حلفهم في الدنيا؛ فإنها محل المغالبة والإنكار، والحلف الكاذب والانتفاع بالكذب، ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ هو حكاية عن استمرارهم على الضلالة، حتى اتصل ذلك بالآخرة.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ

(١) سورة النساء، الآية (١٤٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) قرأ بها الحسن. **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٩٠).

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) ﴾

كما قال : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾استولى عليهم واحتوى؛ من حاذ الحمار العانة[١] إذا جمعها، أي : ملكهم الشيطان حتى جعلهم رعيته وحزبه. ﴿فَأَنسَاهُمْ﴾ أن يذكروا الله لا بقلوبهم ولا بألسنتهم. قال أبو عبيدة : حزب الشيطان جنده[٢].

﴿فِي الْأَذَلِّينَ ﴾ في جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدًا أذل منهم (٢٩٤/ ب) ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة والسيف، أو بأحدهما. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾من باب التخييل؛ أي : نبه أن من الممتنع أن تجد قومًا مؤمنين يوالون المشركين والغرض أن ذلك لا ينبغي أن يقع؛ ولأن العهد بذلك لا يستقيم، وزاد ذلك توكيدًا بقوله : ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾ وجعلهم حزب الشيطان، وقابله بقوله :﴿ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾فلا شيء أدخل في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه. ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ﴾أثبت فيها. ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ بنور قذفه في قلوبهم، ويجوز أن يكون الضمير للإيمان.

﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي : من الإيمان؛ على أن الإيمان نفسه روح؛ إذ به تحيا القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح. قيل : كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان.

وعن النبي ﷺ أنه كان يقول : " اللهم لا تجعل لفاسق ولا لفاجر عندي نعمة؛ فإني وجدت فيما أوحيت إلي : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾[٣]. وروي أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أباه أبا قحافة سب رسول الله ﷺ فصكه صكة سقط منها؛ فقال له رسول الله ﷺ : " أو فعلته ؟ فقال : نعم. قال : فلا تعد؛ فقال : والله لو كان السيف قريبًا مني لقتلته "[٤].

---

(١) **العانة** : القطيع من حمر الوحش. **ينظر** : لسان العرب (عون).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٦).

(٣) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٤٩٣) عن معاذ بن جبل، بلفظ : " اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة أكافئه بها في الدنيا والآخرة "،. وذكره بهذا اللفظ الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٧) ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٣٢) لابن مردويه في تفسيره.

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٣٣) وقال : غريب. ونقله الثعلبي عن ابن جريج قال: حدثت أن أبا قحافة إلى آخره. وزاد: فأنزل الله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية. وكذلك ذكره الواحدي في أسباب النزول نحوه سواء. وذكره أبو جعفر الطبري في الرياض النضرة (٢/ ١٠٢) ونسبه للواحدي وأبي الفرج.

## تفسير سورة الحشر [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾

صالح رسول الله بني النضير على ألا يكونوا عليه ولا له، فلما ظهر رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا : هو النبي المذكور في التوراة فلا ترد له راية، فلما انهزم المسلمون يوم أحد شكوا وارتابوا فخرج كعب بن الأشرف وهو كبير اليهود فحالف على رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري أن يقتل كعبًا فقتله، وكان محمد بن مسلمة أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة، ثم جاء النبي ﷺ على حمار خطامه من ليف، فأمرهم أن يخرجوا من البلاد، فقالوا : الموت أهون من ذلك، فاستمهلوا رسول الله ﷺ عشرة أيام فأمهلهم، ثم تنادوا بالحرب فدس المنافقون من يقول لليهود : إن أمركم محمد بالخروج من البلاد فلا تفعلوا، فإنا معكم ننصركم ونعينكم عليه، ولئن خرجتم لنخرجن معكم، فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، فلما قذف الله الرعب في قلوبهم وأيسوا من نصر (٢٩٥/ أ) المنافقين لهم طلبوا الصلح فأبى عليهم رسول الله ﷺ إلا أن يخرجوا من البلاد، وهو الجلاء، على أن يحمل كل ثلاثة أبيات ما يحمل جمل، فجلوا من البلاد إلى أذرعات وأريحا من أرض الشام إلا بيتين وهما لأبي الحقيق وحيي بن أخطب؛ فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة من اليهود بالحيرة[(١)].

واللام التي في قوله : ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ لام التاريخ[(٢)] كما في قوله : ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ

---

(١) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٤٩٨)، وذكر نحوه السيوطي في الدر المنثور(٨/ ٩٣) ونسبه لعبد الرزاق وعبد بن حميد، وأبو داود وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

(٢) هكذا سماها الفيروزآبادي في القاموس المحيط (١/ ١٤٩٧) فقال : بمعنى عند " كتبته لخمس خلون "، وتسمى لام التاريخ، وسماها السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٢٩٢) لام التوقيت.

لِحَيَاتِي﴾ [١] أي : في زمن حياتي، ومنه قولك : جئتك لوقت كذا؛ أي : أخرج الذين كفروا عند أول الحشر وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب إلى الشام، وهذا أول حشرهم، والحشر الثاني إجلاء عمر أهل خيبر. وقيل: : آخر حشرهم يوم القيامة؛ لأن المحشر يكون بالشام.

وعن عكرمة : من شك أن المحشر يكون بالشام فليقرأ هذه الآية[٢]. وقيل : لأول حشر وقع معهم؛ فإنهم لم يقاتلوا قبل ذلك. ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا﴾لقوة حصونهم وكثرة العدد والآلات عندهم. ﴿وَظَنُّوٓا﴾ أن حصونهم تنجيهم من عذاب الله.﴿ فَأَتَىٰهُمُ ﴾أمر ﴿ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ حتى خربوا ديارهم بأيديهم؛ فإنهم صالحوا على أن يحمل كل ثلاثة أبيات حمل جمل؛ فكانوا يجدون الخشبة الحسنة مدهونة فلا يسهل عليهم تخليتها للمسلمين، ولا يجدون ما يحملونها عليه، فيكسرها اليهودي صاحبها؛ حسدًا للمسلمين أن ينالوها، ويكسرها المسلم إرغامًا للكافر وهي معنى قوله :﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله : ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ هو قذف قلوبهم، وتمكين المسلمين من هدم بنيانهم، وأوقف المنافقين الذين حلفوا لليهود على نصرتهم؛ ألقى في قلوبهم الجبن؛ فكفوا عن قتال المسلمين ونصرة اليهود، وهذا كله لم يكن في حسابهم. وقوله : ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾ أبلغ من قول القائل : وظنوا أن حصونهم تمنعهم؛ فإن ذلك الظن يضعف الحصون عن المنع، والذي في هذه الآية يدل على أنهم ظنوا في نفوسهم القدرة والقوة على دفع المسلمين. و﴿ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف الذي ترعد منه الفرائص. والقذف : الإلقاء بقوة، ومنه قيل للأسد إنه مقذف؛ أي : قذف باللحم قذفًا، لتداخل أعضائه. والتخريب والإخراب : الإفساد بالنقض، والخربة : الفساد كانوا يخربون بواطنها، والمسلمون ظواهرها؛ لما أراد الله (٢٩٥/ب) من استئصال شأفتهم، وألا تبقى في المدينة لهم دار، ولا يوجد فيها منهم ديار. وقيل : تخريب بيوتهم بأيدي المؤمنين أن المؤمنين كانوا هم السبب، والفعل ينسب إلى المتسبب فيه والمعين عليه؛ كقولك : ضرب الأمير اللص. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾من نصر الله المؤمنين وتمكينهم من تخريب ديارهم. وقيل : وعد رسول الله ﷺ أن يملكهم الله بلاد

---

(١) سورة الفجر، الآية (٢٤).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٩٢) لعبد بن حميد عن عكرمة، ونسبه في (٨/ ٨٩) للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الكفار وأموالهم وحصونهم وإراحة المسلمين من مجاورتهم.

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ ﴾وعوقبوا بالبعد عن ديارهم لما قنع لهم بالجلاء وكفى بالجلاء عن الأوطان عقوبة.

﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل؛ كما فعل بإخوانهم بني قريظة؛ يعني: إن نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة. ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ ومحل ﴿مَا﴾ نصب بـ ﴿قَطَعْتُم﴾ والتقدير: أي شيء قطعتم، وأنث الضمير العائد على ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾لأنه في معنى اللينة، واللينة: النخلة، من الألوان التي هي ضروب النخل، ما خلا العجوة والبرنية، وهما من أجود النخيل، وياؤها منقلبة عن واو لانكسار ما قبلها؛ كثياب ومياه. وقيل: اللينة: الكريمة؛ كأنهم اشتقوها من اللين وجمعها لين.

وقرئ ﴿أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] أي: قطعها بإذن الله ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ليذلهم ويغيظهم؛ فإنهم قالوا: إن محمدًا كان ينهانا عن الفساد في الأرض، فما بال النخيل تقطع وهي لم تذنب، فنزلت هذه الآية[2]. وفيها دليل على جواز الاجتهاد من رسول الله ﷺ فإنه نهاهم عن قطع النخيل، ثم أمر به وأذن فيه، واحتج به من يقول إن كل مجتهد مصيب[3].

---

(١) قرأ بها عبد الله بن مسعود والأعمش وزيد بن علي.

تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٩٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠١).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٩٧) للبيهقي في الدلائل عن مقاتل بن حيان.

(٣) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٤): " اختلف العلماء في أن كل مجتهد مصيب أم المصيب واحد وهو من وافق الحكم الذي عند الله تعالى والآخر مخطئ لا إثم عليه لعذره، والأصح عند الشافعي وأصحابه أن المصيب واحد، وقد احتجت الطائفتان بهذا الحديث، وأما الأولون القائلون كل مجتهد مصيب فقالوا قد جعل للمجتهد أجر فلولا إصابته لم يكن له أجر. وأما الآخرون فقالوا: سماه مخطئا ولو كان مصيبا لم يسمه مخطئا وأما الأجر فإنه حصل له على تعبه في الاجتهاد. قال الأولون: إنما سماه مخطئا لأنه محمول على من أخطأ النص أو اجتهد فيما لا يسوغ فيه الاجتهاد كالمجمع عليه وغيره.=

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٦) مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٧) لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٩)﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ أي: جعله خاصة له فيئًا. وأوجفت الدواب إذا أسرعت في السير؛ لأن هذا الفيء ما عاد إليهم بقتال، بل حصل للمسلمين بغير تعب؛ فهو لرسول الله ﷺ يصرفه كيف يشاء، وأتى بالواو في الأولى؛ لأنها عاطفة لها على جملة سابقة تماثلها، وأتى في الثانية بغير واو؛ لأنها كالتفسير والشرح.

الدُّولة والدَّولة بمعنى واحد. وقيل: بضم الدال للشيء الذي يتداول؛ كاللقمة والغرفة. والدَّولة بالفتح: المصدر، والمعنى أن الله (٢٩٦/أ) تعالى أمر أن يكون الفيء للمصالح، ولا يفعل فيه كما يفعل الظلمة في اختصاصهم بمال الفيء.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ أي: وما أعطاكم ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ وقيل: إن قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ عام في كل ما أمر به من القسمة وغيرها، وكذلك

---

= وهذا الاختلاف إنما هو في الاجتهاد في الفروع فأما أصول التوحيد فالمصيب فيها واحد بإجماع من يعتد به ولم يخالف إلا عبد الله بن الحسن العنبري وداود الظاهري فصوبا المجتهدين في ذلك أيضا، قال العلماء: الظاهر أنهما أراد المجتهدين من المسلمين دون الكفار والله أعلم ".

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٤٠٩): " والمشهور أن الجمهور ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد وخالف الجاحظ والعنبري وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضا: المصيب واحد. وقد ذكر ذلك الشافعي وقرره ونقل عن الأشعري أن كل مجتهد مصيب، وأن حكم الله تابع لظن المجتهد. وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية: هو مصيب باجتهاده وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ وله أجر واحد ".

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٨/ ٥٤): والحق أن كل مجتهد مصيب من الصواب لا من الإصابة.

﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ وهذا القول أجود؛ لأن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ بدل من قوله: ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ والمعطوف عليه، والذي منع الإبدال من ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ والمعطوف عليهما - وإن كان المعنى لرسول الله - أن الله أخرج رسوله من الفقراء في قوله: ﴿ وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ وأنه يرتفع رسول الله ﷺ عن التسمية بالفقر، وأن الإبدال على ظاهر اللفظ خلاف الواجب في تعظيم الله عز وجل. قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ يعني: الأنصار، والمعنى: تبوءوا الدار، وأخلصوا لله الإيمان؛ لأن الإيمان لا يتبوأ؛ وكقوله [ من الرجز ]:

علفتُها تِبنًا وماءً باردًا[1]

وقوله [ من الوافر ]: وزجَّجْنَ الحواجِبَ والعُيونا[2]

أي: وكحلن العيون. وقوله: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: من قبل المهاجرين. وقيل: من قبل هجرتهم. قوله: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: طلب محتاج إليه مما استأثر به المهاجرون من الفيء وغيره. والخصاصة: الفقر والحاجة مأخوذ من خصاص الباب، وهي شقوقه، وكان رسول الله ﷺ قد قسم أموال بني النضير على المهاجرين. ولم يعط الأنصار شيئًا إلا ثلاثة نفر؛ صحابيين: أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل، والحارث بن الصمة، وقال للأنصار: " إن شئتم جمعنا أموالكم وهذه الغنيمة وقسمناها بينكم وبين المهاجرين، وإن شئتم أبقينا أموالكم لكم، وخصصنا هذه الغنيمة بالمهاجرين. فقالت الأنصار: بل نقسم لهم أموالنا وديارنا، ونؤثرهم بهذه الغنيمة فلا نشاركهم فيها؛ فنزلت[3].

والشح: اللوم، وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع، كما قال [ من الطويل ]:

يمارسُ نفسًا بين جنبيهِ كزّةً إذا هم بالمعروفِ قالتْ لهُ مَهْلا[4]

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الذاريات.

(٢) عجز بيت وصدره: إذا ما الغانيات برزن يوما، **ينظر في**: تفسير الطبري (٢٧/ ١٧٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٩٠)، غريب الحديث للخطابي (١/ ٣٣٠)، لسان العرب (زجج).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٤١).

(٤) **ينظر البيت في**: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٥)، فيض القدير للمناوي (٥/ ٤٦٥) وهو في وصف رجل بخيل، وكزة: شحيحة منقبضة عن فعل الخير، إذا غلبها وأراد المعروف دعته إلى البخل وحجبته عن البذل فكأنها قالت له: أمهل فيطاوعها.

وأضيف إلى النفس؛ لأنه غريزة فيها، وأما البخل فهو المنع نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [1] (٢٩٦/ب) ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ومن غلب نفسه على هواها فلم يطعها في المنع فذلك هو المفلح.

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ عطف على المهاجرين، وهم الذين هاجروا من بعد المهاجرين الأولين قائلين: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ الآية. وقيل: هم التابعون بإحسان. ﴿غِلًّا﴾ الغل والغمر والحقد [بمعنى] [2]. ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ﴾ حالفوهم على قتال المشركين معهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ الآيات، وقد استنبط من هذه الآية معنى حسن وهو أن من فعل فعلا أو قال قولا وهو يعتقد بطلانه فكان صحيحًا وانتفع به المسلمون يكون عاصيًا بذلك. وإن هؤلاء المنافقين وعدوا اليهود النصرة، وغشوهم في ذلك، فلما رأوا أنهم مغلوبون خذلوهم، وقصدوا بذلك الخذلان تخليصهم من عهدة اليمين، ولم يقصدوا نفع المسلمين فانتفع المسلمون بذلك الخذلان، وذم الله تعالى الكفار عليه. قوله: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ﴾ أي: في ترك نصرتكم، أو ترك خذلانهم. ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ الآيات.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾

---

(١) سورة النساء، الآية (١٢٨).

(٢) ما بين المعقوفين ليس بالأصل وأضيف لإتمام المعنى والسياق. وقرئ "غمرا" بدل "غلا" كما في الكشاف للزمخشري (٥٠٦/٤).

قوله : ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾ أي : على طريق الفرض والتقدير بعد قوله : ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ الآية - فيه دليل على أن الله تعالى يعلم ما لا يكون؛ أن لو كان كيف يكون. قوله : ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ أي : المنافقون يولون مدبرين واليهود المحاربون أيضًا منهزمون. قوله : ﴿رَهْبَةً﴾ مصدر للفعل المبني على ما لم يسم فاعله؛ كأنه قيل : لأنتم أشد مرهوبية. قوله : ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ تلويح بنفاقهم؛ لأنهم يظهرون أنهم يخافون الله، وأنتم في صدورهم أهيب من خوف الله. فإن قيل : فيه دليل على أنهم كانوا يخافون الله، ولكن خوفهم منكم أشد، فجوابه : أن الخوف الذي يظهرونه من الله أضعف من الخوف الذي يخافونه منكم. ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ لا يعلمون قدرة الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته. ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ لا يقدرون على مقاتلتكم. ﴿جَمِيعًا﴾ مجتمعين يعني : اليهود والمنافقين، إلا كائنين ﴿فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق والدروب ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ﴾ يعني : إذا اقتتل بعضهم مع بعض ظهرت الجلادة والقوة، فإذا قاتلوكم حصل الرعب في قلوبهم. ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ متفرقة، يعني : أن بينهم إحنا وعداوة فلا يتعاضدون حق (٢٩٧/أ) التعاضد، وهذا تشجيع لقلوب المؤمنين وحث على قتالهم.

﴿لَّا يَعْقِلُونَ﴾ أن تشتيت القلوب يوقع الوهن وقلة الثبات. ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي : مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب. فإن قلت : بم انتصب ﴿قَرِيبًا﴾ ؟

قلت : بـ ﴿كَمَثَلِ﴾ على كوجود مثل أهل بدر. ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبته، بمعنى : ذاقوا عذاب القتل في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة عذاب النار. مثَّلَ المنافقين في إغرائهم اليهود وخذلانهم إياهم وقت الحاجة بحال الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ ثم تبرأ منه عند الحاجة، والمراد به قوله لقريش يوم بدر : ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ الآية [١] وقرئ: "خالدان فيها " [٢] على أنه خبر إنَّ.

كرر الأمر بالتقوى إما توكيدًا، وإما لأن الأول في أداء الطاعات، والثاني في اجتناب المعاصي، والسياق يدل عليه.

---

(١) سورة الأنفال، الآية (٤٨).

(٢) قرأ بها ابن مسعود والأعمش وزيد بن علي وابن أبي عبلة.

**ينظر** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٢٩٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٧).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿لِغَدٖ﴾ لأقرب الأيام إليك، ما زال يقرب أمر الساعة حتى جعلها غدًا كأن الدنيا والآخرة يومان يوم وغد، وأمَّا قوله : ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ﴾ نكرة، فلقلة الناظرين فيما عملوه وقدموه للآخرة، وأما تنكير الغد فلتعظيم أمره، وأنه يوم لا يقدر قدره. وقيل : مكتوب على باب الجنة : وجدنا ما عملنا؛ ربحنا ما قدمنا، خسرنا ما خلفنا. ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ فأهملوها إهمال الناسي؛ فلا ينظرون فيما قدموه ليوم القيامة، أو رأوا من أهوال الساعة ما نسوا به أمر الدنيا، جعلهم كالناسين فلا يدرون الفرق بين أهل الجنة وأهل النار. وقد استدل أصحاب الشافعي على أن المسلم لا يقتل بالكافر، وأن الكفار إذا غلبوا على أموال المسلمين لم يملكوها، والغرض تقريع الإنسان على قلة تحفظه، وقلة نظره لنفسه[1]. الغيب : المعدوم، والشهادة : الموجود المدرك؛ كأنه يشاهده. وقيل : ما غاب عن العباد وما شاهدوه. وقيل : السر والعلانية، القدوس : بالضم والفتح، وقد قرئ بهما[2] البليغ في النزاهة عما يستقبح. ونظيره : السبوح والسلام بمعنى السلامة، وبه سميت الجنة دار السلام؛ بليغ في السلامة من الظلم، أو : في كونه سليمًا من النقائص، أو : في إعطائه السلامة، وقرئ: "المؤمَن" بفتح الميم[3]. بمعنى: المؤمن به على حذف الجار. والمهيمن : الرقيب على كل شيء الحافظ له،

(١) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٦/ ٢٥)، الوسيط لأبي حامد الغزالي (٦/ ٢٧٣)، روضة الطالبين للنووي (١٠/ ٢٩٣، ٢٩٤)، التنبيه للشيرازي (ص : ٢٣٥).

(٢) قرأ بالفتح أبو ذر وأبو السمال وقرأ الباقون بالضم.
تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٩).

(٣) قرأ بها أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين. وقيل : ابن القعقاع.
تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٠٩).

مفيعل من الأمن؛ إلا أن همزته قلبت هاء. والجبار : أجبر خلقه على ما أراد.

والمتكبر : البليغ الكبرياء والعظمة. وقيل : المتكبر عن ظلم العباد، والخالق : المقدر لما يريده، والبارئ : المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة (٢٩٧/ ب) والمصور: الممثل الذي يخلق المصورات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم فقال : " عليك بآخر سورة الحشر؛ فأعدت عليه فأعاد عليَّ، فأعدت عليه فأعاد "[١].

* * *

(١) ذكره بهذا السياق الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٤٢) وقال : رواه الثعلبي، وذكر نحوه عن ابن عباس ونسبه للواحدي في تفسيره الوسيط، وهو ما ذكر السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٢٣) ونسبه للديلمي عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : " اسم الله الأعظم في ستة آيات من آخر سورة الحشر ".

# تفسير سورة الممتحنة [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ (١)﴾

روي: أن مولاة لأبي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا، قال : أفمهاجرة جئت ؟ قالت : لا قال : فما جاء بك ؟ قالت : كنتم الأهل والموالي والعشيرة، وقد ذهب الموالي؛ تعني : قتلوا يوم بدر، فاحتجت حاجة شديدة؛ فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة فأعطاها عشرة دنانير وكساها بردًا واستحملها كتابًا إلى أهل مكة نسخته : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة : اعلموا أن رسول الله ﷺ يريدكم؛ فخذوا حذركم، فخرجت سارة، ونزل جبريل بالخبر؛ فبعث رسول الله ﷺ عليًا وعمارًا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد، وكانوا فرسانًا، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها، فأدركوها، فجحدت وحلفت وهموا بالرجوع؛ فقال علي : والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله ﷺ وسل سيفه، وقال : أخرجي الكتاب، أو فضعي رأسك؛ فأخرجته من عقاص شعرها[١].

وروي أن رسول الله ﷺ أمن يوم الفتح جميع الناس إلا أربعة هي أحدهم، فاحتضر رسول الله ﷺ حاطبًا، وقال : " ما حملك على ذلك ؟ فقال : يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت، وما غششتك منذ نصحتك، ولا أحببتهم مذ فارقتهم، ولكني كنت امرءًا ملحقا في قريش، ورأوني غريبًا، وعرفت أن كتابي لا يغني عنهم من الله شيئًا؛ فصدقه وقبل عذره؛ فقال عمر : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. فقال : ما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر، وقال :

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٧٨٥)، ومسلم رقم (٤٥٥٠).

الله ورسوله أعلم، فنزلت[١]. والعدوُّ : من عدا؛ كالعفو من عفا، ولكونه على زنة المصدر؛ عومل معاملته وأوقع على الجمع إيقاعه على الواحد.

ويتعلق ﴿تُلْقُونَ﴾ بالضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ وكان القياس (٢٩٨/أ) حيث رجع الضمير إلى غير من هو له أن يقال : [ تلقون إليهم أنتم ] [٢]، وذلك إنما اشترط في الأسماء دون الأفعال، ولو قلتَ : ملقين إليهم بالمودة. لما كان بد من الضمير البارز، وقوله : ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ أصله : تلقون إليهم المودة، والباء زائدة؛ كما في قوله : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ [٣] على أن مفعول ﴿تُلْقُونَ﴾ محذوف، والتقدير: تلقون إليهم أخبار النبي ﷺ بسبب المودة التي كانت بينكم؛ وكذلك قوله : ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾. وقوله : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ متعلق إما بـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ أو بقوله : ﴿تُلْقُونَ﴾. وقوله :﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾ كالتفسير لكفرهم وعتوهم، أو حال من " كفروا " و﴿أَن تُؤْمِنُوا﴾ تعليل لـ ﴿يُخْرِجُونَ﴾أي : يخرجونكم لإيمانكم، وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا﴾ تعليل لقوله : ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾ وهو شرط وجوابه محذوف دل عليه ما سبق.﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ﴾ومن يفعل هذا الإسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب. وقرأ الجحدري ﴿بِمَا جَاءَكُم﴾ مخففًا[٤] أي : كفروا لأجل ما جاءكم؛ بمعنى : أن ما كان ينبغي أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سببًا لكفرهم.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾إن يظفروا بكم، لا تحصل الصداقة ولا تفيد المودة القديمة، وجاء

﴿يَثْقَفُوكُمْ﴾بالفعل المضارع، وجاء بعده ﴿وَوَدُّوا﴾ ماضيًا؛ لأن الماضي إذا وقع في الشرط صار مستقبلاً؛ كأنه قال : وودوا قبل كل شيء كفركم.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

(١) رواه البخاري رقم (٣٦٨٤) ، ومسلم رقم (٤٥٥٠).
(٢) غير واضح بالأصل والمثبت من الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١٢) وهو مناسب للسياق.
(٣) سورة البقرة، الآية (١٩٥).
(٤) هذه قراءة الجحدري. تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥١٢).

وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾

خطأ رأيهم في موالاة الكفار بما يرجع إلى حال من والوه أولاً، ثم ما يرجع إلى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا؛ ليريهم أن ما أقدموا عليه من أي جهة نظرت إليه وجدته باطلا أي: كان فيهم مذهب حسن مرضي يتأسى به، ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا؛ حيث كاشفوهم العداوة، وأظهروا البغضاء والمقت؛ حيث صرحوا بأنه ما كان من العداوة والبغضاء ليس إلا لكفرهم، ومتى دام هذا السبب دامت العداوة، حتى إذا آمنوا بالله وحده انقلبت العداوة مودة والبغضاء محبة، ولما نزلت هذه الآية تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقاربهم من الكفار، وعلم الله منهم الجد والصبر على تلك المشقة؛ فوعدهم بتيسر أمر المحبة وزوال العداوة بقوله: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ ﴾ الآية. فلما فتح الله مكة أسلم خلق كثير من أهلها، وزالت الحقود وتحابوا.

وقيل: هو تزويج رسول الله ﷺ (٢٩٨/ب) أم حبيبة بنت أبي سفيان فلانت عند ذلك عريكة أبي سفيان، وكانت أم حبيبة قد أسلمت، وهاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش إلى أرض الحبشة، فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها، ومات زوجها فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فخطبها وساق عنه إليها أربعمائة دينار، وبلغ ذلك أباها أبا سفيان، فقال: ذلك الفحل لا يقدع أنفه[(١)].

﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةًۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ

---

(١) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٥٤): غريب بهذا اللفظ. وروى أبو داود والنسائي من حديث عروة بن الزبير عن أم حبيبة: " أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش، فمات بأرض الحبشة فزوجها النجاشي النبي ﷺ، وأمهرها عنه أربعة آلاف درهم، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل بن حسنة ". قلت: رواه أبو داود رقم (١٨٠٢)، والنسائي رقم (٣٢٩٨).

ولا يقدع أي: لا يرتدع، وفحل لا يقدع أي: لا يضرب أنفه، وذلك إذا كان كريما. قال ابن الأثير: يقال: قدعت الفحل، وهو أن يكون غير كريم فإذا أراد ركوب الناقة الكريمة ضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكف ". **ينظر**: لسان العرب (قدع)، النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٤).

﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾

و﴿عَسَى﴾وعد من الله على عادات الملوك؛ حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى، ولعل، فلا يبقى عند المحتاج شبهة في ذلك، أو قصد به إطماع المؤمنين. ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على تقليب القلوب وتغيير الأحوال. ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ و﴿أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾بدل مما قبلهما.

﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾سماهن مؤمنات لتصديقهن في الظاهر.﴿ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وكان النبي ﷺ يقول للممتحنة: " بالله الذي لا إله إلا هو، ما خرجت من بغض زوج ؟ بالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ؟ بالله ما خرجت التماس دنيا ؟ بالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله "[1]. ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾فإن خبرتم أحوالهن فلا تردوهن إلى الكفار؛ فإنه لا يحل للمرأة أن تبقى على نكاح كافر، ولا لكافر مشرك أن يُبقي مسلمة في عصمته، وأراد بـ "علمتموهن " الخبرة بقدر الطاقة. ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾وأعطوا أزواجهن مثل ما دفعوا إليهن من المهور، وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من أتاكم من أهل مكة رد إليهم، ومن أتاهم منكم لم يرد إليكم، وكتبوا بذلك كتابًا وختموه؛ فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة، والنبي ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر المخزومي. وقيل: صيفي بن الراهب؛ فقال: يا محمد، اردد إليَّ امرأتي؛ فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف؛ فنزلت بيانًا؛ لأن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء. وقيل: كان الشرط بين النبي ﷺ وبين المشركين عهد ألا يأتيك منا امرأة ليست على دينك إلا رددتها إلينا؛ فإن دخلت في دينك ولها زوج أن تردَّ على زوجها الذي أنفق عليها، والنبي ﷺ ينزل عليه من السماء مثل ذلك. وقيل: نسخ هذا الحكم، واستحلفها رسول الله ﷺ (٢٩٩/ أ)

---

(١) رواه الترمذي رقم (٣٢٣٠)، والطبري في تفسيره (٢٨/ ٦٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٣٧) لابن أبي أسامة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الترمذي: غريب. وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٣٣٠٨).

بإعطاء زوجها ما أنفق، وتزوجها عمر[1]. وأراد بالعلم في﴿عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ غلبة الظن بالقرائن والاختبار التام، ثم نفى الحرج في تزويج المهاجرات إذا آتوهن أجورهن بقوله :﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾هذا مذهب الشافعي، وأنه لابد أن تعتد المرأة المهاجرة، وعند أبي حنيفة: أنه لا يجوز إخلاء النكاح عن الصداق، ولا عدة على مهاجرة[2].﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾العصمة: ما يعتصم به من عقد وسبب. وعن مجاهد: أمرهن بطلاق من بقي في دار الحرب منهن [3]﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار. ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾من مهور نسائهم المهاجرات.﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني ما ذكره في الآية.﴿ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ بكلام مستأنف، أو حال من ﴿حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ على حكم الضمير، أي : يحكمه الله، أو جعل الحكم حاكمًا على المبالغة.

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (١١) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ (١٣) ﴾

وروي: أنه لما نزلت أدى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات المؤمنات إلى أزواجهن المشركين، وأبى المشركون أن يؤدوا شيئًا من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ﴾ أي : وإن سبقكم شيء وانفلت منكم زوج من أزواجكم، عبر عنه بالشيء، وعدل عن ﴿أَحَدٌ﴾لأن مراده أن يترك شيء من هذا الجنس، وهي الزوجة المرتدة. ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ من العُقْبة، وهي النوبة. ﴿فَـَٔاتُوا۟﴾ فأعطوا من ذهبت امرأته

---

(١) ذكر ذلك كله الزمخشري في الكشاف (٤/٥٠٨)، وأما زواجها من عمر ﷺ ففيه نظر؛ فقد روى البخاري في صحيحه رقم (٣٦٩١)، ومسلم رقم (٢٧٢٨) " أن سبيعة بنت الحارث كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع ".

(٢) ينظر: الأم للإمام الشافعي (٤/١٩٣، ١٩٤)، أحكام القرآن للإمام الشافعي (٢/٦٨، ٦٩)، بداية المبتدي للمرغيناني (١/٦٦) ، شرح فتح القدير لمحمد بن عبد الواحد (٤/ ٣٣٣، ٣٣٤).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ٧٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/١٣٣) للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

مثل ما ساق إليها من المهر. قيل: جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست؛ فأعطى رسول الله ﷺ لأزواجهن مهورهن من الغنائم.

﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ يريد وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها: هو ولدي منك فذلك هو البهتان؛ لأن بطنها الذي يحل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلد به بين رجليها.

﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ في الذي تأمر به من المحسنات وتنهي عنه من المقبحات، وقيل: كل ما وافق طاعة الله فهو معروف وإنما قال: ﴿فِي مَعْرُوفٍ﴾ ومعلوم أنه ﷺ لا يأمر بالمنكر؛ ليدل على أنه لا طاعة للآمر بالعصيان، وروي أن رسول الله ﷺ لما فرغ (٢٩٩/ب) من مبايعة الرجال جلس على الصفا يبايع النساء، وعمر أسفل منه يبلغهن ما يقول رسول الله ﷺ فقال: " أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئًا، فقالت هند - وكانت واقفة متنكرة؛ لأنها مثلت بعم رسول الله ﷺ حمزة يوم أحد -: ما قمنا في هذا المقام وفي أنفسنا أن نشرك بالله شيئًا. فقال: ولا تسرقن، فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح، وإنه لا يعطيني ما يكفيني وولدي، إلا ما آخذ منه سرًا، فقال: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، فقال: ولا تزنين، فقالت: أو تزني الحرة ؟! فقال: ولا تقتلن أولادكن، فقالت: ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا، وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، وكانت هند قد آلت على نفسها لتمثلن بحمزة؛ فإنه قتل ولدها حنظلة فشقت عن قلبه، وأخرجت كبده فمضغتها، وأرادت أن تبتلعها فلم تقدر؛ فلفظتها، وإنما قالت: ربيناهم صغارًا فقتلتموهم كبارًا؛ لعلمها أن رسول الله ﷺ متألم لما جرى على عمه من المثلة؛ فذكرته ﷺ بالسبب الذي حملها على ذلك، فسري عنه بعض التسرية، وتبسم واستغرب عمر في الضحك "[1].

وقالت عائشة: " بايع النساء بلفظه، والله ما مست يده يد امرأة غير أزواجه قط "[2].

وقيل: غسل يديه ووجهه في قعب[3] مملوء ماء، وكل من بايعت غمست يدها في ذلك

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٢١١، ٢٤٦٠، ٥٣٥٩)، ومسلم رقم (١٧١٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٨٩١)، ومسلم رقم (١٨٦٦).

(٣) **القعب**: القدح الضخم الغليظ الجافي. وقيل: قدح من خشب مقعر. وقيل: هو قدح إلى الصغر يشبه به الحافر وهو يروي الرجل، والجمع القليل أقعب. **ينظر**: لسان العرب (قعب).

الماء[١]. وقيل: كان عمر يصافحهن عنه[٢].

روي أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من بعض ثمارهم فقيل لهم: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أن يكون لهم حظ في الآخرة ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ﴾ من أن يبعثوا أحياء. وقيل: ﴿مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ بيان للكفار، والتقدير: كما يئس الكفار الذين هم في القبور أن ينالهم خير.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢١)، وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٦٣٧) ونسبه لابن إسحاق في المغازي من رواية يونس بن بكير عنه عن أبان بن صالح.

(٢) ذكر ذلك الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢١) قال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣/ ٤٦٤): "رواه ابن حبان في صحيحه عن إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عطية عن جدته أم عطية قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أمر نساء الأنصار فجمعن في بيت، ثم أرسل إليهن عمر، فجاء عمر فسلم علينا، فقال: أنا رسول رسول الله إليكن. فقلن: مرحبا برسول رسول الله ﷺ. فقال: أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن إلى آخر الآية. ثم مد يده من خارج البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت، فقال: اللهم اشهد. فبايعناه. انتهى. وكذلك رواه الطبراني في معجمه والبزار في مسنده والطبري في تفسيره وابن مردويه وأبو يعلى الموصلي في مسنده والنسائي في كتاب الكنى". ثم قال: وفي الصحيح ما يدفع هذه الروايات عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية ﴿عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾. قالت: وما مست يده يد امرأة قط إلا امرأة يملكها". قلت: رواه البخاري رقم (٦٦٧٤)، ومسلم رقم (٣٤٧٠).

## تفسير سورة الصف [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) ﴾

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ تسقط ألف ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرف الجر؛ طلبًا للخفة؛ نحو : فيم وبم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [(١)] ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [(٢)] ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ [(٣)] ويوقف عليها بالهاء ويجوز أن يوقف عليها ساكنة. وقيل : إن المؤمنين طلبوا أن يفترض عليهم القتال وقالوا : نبذل نفوسنا وأموالنا، فأوجب الله ذلك عليهم، ففروا يوم أحد، فعيرهم الله. واللفظ عام في كل من أخلف بفعله قوله: (٣٠٠/ أ) .

وقيل : أبلى رجل من المشركين في المسلمين فابتدره صهيب فقتله، وانتحل قتله رجل آخر، فقال عمر لصهيب : أنت الذي قتلته. فحدث به النبي ﷺ ، فقال له صهيب : إنما قتلته لله ولرسوله؛ فقال عمر: يا رسول الله ما قتله إلا صهيب؛ فقال النبي ﷺ : " أكذلك يا أبا يحيى ؟ فنزلت في ذلك الرجل الذي ادّعى قتله[(٤)].

وقيل : كان الرجل يقول : قتلت وطعنت ولم يفعل، فنزلت. وقيل : نزلت في المنافقين وأما نداؤهم بالإيمان فهو استهزاء بهم وتهكم.

﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ هذا كلام فيه معنى التعجب، وليس من ألفاظ التعجب في شيء؛ كقوله [ من الطويل ] :

وجارةُ جسَّاسٍ أبأنا بنابِها كليبًا غلتْ نابُ كليبٍ بَوَاؤُها[(٥)]

---

(١) سورة التحريم، الآية (١) .

(٢) سورة النبأ، الآية (١) .

(٣) سورة الطارق، الآية (٥) .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٩٢)، ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٦٩) للثعلبي.

(٥) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٢٦١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٠٩)، الكشاف للزمخشري (٣/ ٢٧٣) وهو لرجل من بني بكر؛ قبيلة جساس، يفتخر على بني تغلب : قبيلة كليب بن=

ومعنى هذا التعجب تعظيم الأمر في نفوس السامعين؛ لأن التعجب إنما يكون في شيء خارج عن أشكاله ونظائره، ونصب المقت على التمييز إشعار تعظيم شأن ذلك؛ لأن المقت أشد البغض وأبلغه، وقد وصفه مع ذلك بالكبر، وإذا كبر عند الله تم استحقاق العقوبة عليه. وذكر المحبة بعد ذكر المقت لأولئك كأنه جعلهم في طرفي نقيض.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾

﴿صَفًّا﴾ صفوا أنفسهم أو صفهم صاف حتى وقفوا بغير خلل ولا فرجة بينهم، ويجوز أن يراد أنهم تساووا في الصف حتى كأنهم بنيان قد رصف بعضه إلى بعض؛ مثلٌ لاتفاق ثباتهم في القتال. قالوا : وفيه دليل على استحباب القتال راجلاً؛ لأن ركبان الخيل لا يمكنهم أن يصطفوا كذلك. وقوله : ﴿صَفًّا﴾ كأنهم حالان متداخلتان.

---

= ربيعة أخي مهلهل، وخال امرئ القيس، وجارة جساس : هي خالته البسوس. وأبانا - بالهمز- أي : قابلنا وساوينا كليبا، بنابها : أي : بناقتها المسنة، فقتلناه فيها، ثم قال تعجباً واستعظاما : غلت، أي : ارتفعت وعظمت ناقة مسنة مهزولة بواؤها كليب المشهور، وبواه : كسواء وزنًا ومعنى، أي : كفؤها ومساويها كليب بن ربيعة الشجاع المعروف. وقصة البيت : أن البسوس أتت مع رجل من جرم تزور أختها هيلة أم جساس بن مرة فخرجت ناقة الجرمي ترعى مع إبل بني بكر في أرض تغلب لما كان بينهما من المصاهرة والمودة، فأنكر كليب الناقة وظنها أجنبية، فرماها بسهم فأصاب ضرعها فرجعت تشخب دما، وبركت بفناء جساس، فرأتها البسوس فصاحت : واذلاه، واغربتاه ! فقال جساس : اهدئي، والله لأعقرن فيها فحلا هو أعز على أهله منها، فظن كليب أنه يعني فحلا عنده اسمه عليان، فقال : دون عليان خرط القتاد، لكن جساساً كان يعني نفس كليب، فترقبه يوما ورماه برمحه فصرعه، وتبعه عمرو بن الحارث، فلما رآه كليب قال له : اسقني يا عمرو، فقال : تركت الماء وراءك، وأجهز عليه، فضرب به المثل المشهور :

المستجير بعمرو عند كربته    كالمستجير من الرمضاء بالنار

واشتعلت الحرب بين بكر وتغلب نحو ثلاثين سنة، وضرب المثل السائر : سد كليب في الناقة.

و﴿وَإِذۡ﴾ منصوب بإضمار اذكر، أوحينما قال لهم جرى كيت وكيت. كانوا يؤذون موسى ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ (١).

﴿وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي﴾ وقد علمتم، أي: تؤذونني عالمين علمًا يقينيًا أني رسول الله إليكم، وذلك يقتضي تعظيمي وتوقيري؛ لا أن تؤذوني لأن من عظم رسول الله ﷺ فقد عظم الله، ومن آذاه كان الوعد لاحقًا به. ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ عن الحق طبع الله على قلوبهم. روي أن الحواريين قالوا: يا روح الله، هل بعدنا أمة؟ قال: نعم أمة أحمد؛ حكماء علماء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله بالقليل من الرزق ويرضى منهم باليسير من العمل (٢). وانتصب ﴿مُّصَدِّقٗا﴾ و﴿وَمُبَشِّرَۢا﴾ على الحال أي: بعثت إليكم في حال تصديقي وتبشيري. ولا يجوز أن يعمل شيئًا؛ لأن حروف الجر (٣٠٠/ب) لا تعمل بأنفسها، إنما تعمل بما تضمنته من العامل الذي فيه رائحة الفعل.

مثلت حالهم بحال من ينفخ في ضوء الشمس ليطفئه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ أي: ينصر الحق ويبلغ بحرمته حدَّها.

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ (٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ (١٠) تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (١١) يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (١٢) وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ (١٣) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ (١٤) ﴾

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بالحجة. وقيل: هو إذا نزل عيسى حكم حكمًا عادلاً، ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام. قوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ استئناف؛ كأنهم قالوا: كيف نعمل؟ قال: تؤمنون، وهو خبر معناه الأمر، ولهذا أجيب بقوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُمۡ﴾ مجزومًا، وإنما جاء لفظة ﴿تُؤۡمِنُونَ﴾ على الخبر ولم يأت به على الأمر إعلامًا أن هذا الإيمان والجهاد طريق موصل إلى الجنة قطعًا وكذلك قول الداعي: غفر الله لك؛ كأن الدعاء استجيب؛ فهو يخبر

---

(١) سورة الأحزاب، الآية (٦٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٥).

عن ذلك. وقال الفراء[١] : ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزوم بجواب قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ وهو بعيد؛ لأن " هل " حرف ليس فيه معنى الفعل، فلا جواب له وتأويله أنه دال على دلالته على الأمر بذلك[٢].

وقوله : ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تقديره : إن علمتم ذلك خير فإنكم إذا علمتم ذلك أحببتم الإيمان والجهاد أكثر مما تحبونه قبل ذلك. وفي قوله : ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ شيء من التوبيخ على محبة العاجل. قوله : ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ قيل : هو فتح مكة. وقيل : بلاد فارس والروم. ﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والمراد : كونوا أنصارًا لله كما كان الحواريون أنصار عيسى، متوجهًا إلى نصرة الله أو ذاهبًا إليها، ولا يجوز أن يكون : من أنصاري مع الله؛ لأنه لا يطابق كلام عيسى، والحواريون أصفياء عيسى وأول من آمن به[٣].

﴿فَأَيَّدْنَا﴾ مؤمنيهم على كفارهم ﴿فَأَصْبَحُواْ﴾ غالبين.

* * *

---

(١) معاني القرآن (٣/ ١٥٤)

(٢) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٧) : " فإن قلتَ : هل لقول الفراء أنه جواب " هل أدلكم " وجه؟ قلتُ : وجهه : أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد، فكأنه قيل : هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم ؟ ". وقال السمين الحلبي في الدر المصون ( ٦/ ٣١٢) بعد أن نقل قول الفراء: " واختلف الناس في تصحيح هذا القول؛ فبعضهم غلطه، قال الزجاج : ليسوا إذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا، يعني : أنه ليس مرتبا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة. وقال المهدوي : إنما يصح حملا على المعنى، وهو أن يكون " تؤمنون " و " تجاهدون " عطف بيان على قوله: " هل أدلكم " وكأن التجارة لم يُدرَ ما هي، فبينت بالإيمان والجهاد فهي هما في المعنى، فكأنه قيل : هل تؤمنون وتجاهدون ؟ قال : فإن لم يقدر هذا التقدير لم يصح؛ لأنه يصير إن دللتم يغفر لكم، والغفران إنما يجب بالقبول والإيمان لا بالدلالة ".

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٨) .

# تفسير سورة الجمعة [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤)﴾

قرئت صفات الله - عز وجل - بالرفع [(١)] على المدح، أي : هو الملك القدوس، ولو قرئ بالنصب لجاز[(٢)] كقول العرب : الحمد لله أهلَ الحمد. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك، ومن قبائح أفعال الجاهلية. و﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ القرآن والسنة. و" إن " في قوله - تعالى- : ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ هي المخففة من الثقيلة، واللام في قوله " لفي " هي الفارقة بين النافية والمخففة. ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ معطوف على ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾.

وسئل رسول الله ﷺ عن الذين يجيئون من بعدهم يلحقون بهم فوضع يده على رأس سلمان وقال : " لو كان الدين في الثريا لناله رجال من هؤلاء "[(٣)]. ويجوز (٣٠١/أ) أن ينتصب ﴿وَآخَرِينَ﴾ عطفًا على المضمر المنصوب في " ويعلمهم " أي : ويعلم آخرين. شبهت اليهود في ابتداء أخذهم بالتوراة ثم لم يعملوا بما فيها بالحمار الحامل لكتب لا يدري ما فيها ولا يحس إلا بثقل الحمل، وكل من علم ولم يعمل بعلمه فالحمار مثله.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ

---

(١) قرأ بها أبو وائل وسلمة بن محارب ورؤبة.

**تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣١٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٢٩).

(٢) قاله الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٢٩) وزاد : كقول العرب : الحمدَ لله أهلَ الحمد.

(٣) رواه البخاري في الصحيح رقم (٤٨٩٧)، ومسلم رقم (٢٥٤٦)، وأحمد في المسند (٢/ ٤١٧)، والترمذي رقم (٣٣١٠) عن أبي هريرة ﷺ. قال العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ٢٣٥) : " وقد ظهر ذلك بالعيان؛ فإنهم ظهر فيهم الدين، وكثر فيهم العلماء، وكان وجودهم كذلك دليلا من أدلة صدقه ﷺ ".

أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ﴾

﴿بِئْسَ﴾ مثلا ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ﴾ ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي : بالآيات الدالة على نبوة محمد ﷺ. ومعنى ﴿حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ كلفوا العلم بها والعمل ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ ثم لم يعملوا بها؛ فكأنهم لم يحملوها. ومحل ﴿يَحْمِلُ﴾ نصب؛ أي: حملوها كالحمار حامل الأسفار، ويجوز أن يكون محله جرًا؛ نعتًا للحمار؛ لأنه لم يُقصَدْ حمارٌ بعينه؛ إنما أراد هذا الجنس فهو نكرة؛ فكأنه قال : كمثل حمار حامل للأسفار. دخلت الفاء في قوله : ﴿فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ لأن الكلام فيه معنى الشرط، وهو كقوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ (١) .

حاصله : أن دخول " إن " لا يمنع من دخول الفاء في الخبر؛ بخلاف ليت ولعل (٢).

[ يوم الجُمعَة : يوم الفوج المجموع ] (٣) فإن الفُعَلَة : الذي يُفعَلُ به الفعل؛ فإذا قلتَ :

---

(١) سورة البروج، الآية (١٠).

(٢) قال ابن مالك : " حق خبر المبتدأ ألا يدخل عليه فاء؛ لأن نسبته من المبتدأ نسبة الفعل من الفاعل، ونسبة الصفة من الموصوف، إلا أن بعض المبتدآت تشبه أدوات الشرط، فتقترن بالفاء جوازاً وذلك : إما موصول بفعل لا حرف شرط معه، أو بظرف، وإما موصوف بهما، وإما مضاف إلى أحدهما، وإما موصوف بالموصول المذكور بشرط قصد العموم، واستقبال معنى الصلة، أو الصفة؛ نحو : " الَّذِي يَأْتِينِي، أَوْ فِي الدَّارِ فَلَهُ دِرْهَمٌ ".

فلو عدم العموم لم تدخل الفاء؛ لانتفاء شبه الشرط، وكذا لو عدم الاستقبال، أو وجد مع الصلة، أو الصفة حرف شرط. وربما دخلت في خبر موصول مع عدم العموم، والاستقبال كقوله – تعالى – : ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [ آل عمران : ١٦٦ ]. وإذا دخل شيء من نواسخ الابتداء على المبتدأ الذي اقترن خبره بالفاء أزال الفاء، إن لم يكن (إن) أو (أن) أو " لَكِنَّ " بإجماع من المحققين. فإن كان الناسخ " إنَّ " أو " أَنَّ " أو " لَكِنَّ " جاز بقاء الفاء؛ نص على ذلك في " إنَّ " و" أَنَّ " سيبويه وهو الصحيح الذي ورد نص القرآن المجيد به كقوله – تعالى – : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [ الأحقاف : ١٣ ] وقوله – تعالى – : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ كما ذكر المصنف هنا. ينظر : شرح الكافية الشافية لابن مالك (١/ ١٦٠ – ١٦١)، الكتاب لسيبويه (٣/ ١٠٢)، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٣٤٧).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل ومثبت من الكشاف وبه يستقيم الكلام.

رجل ضُحْكَة؛ فهو يُضحَك منه، وإذا قلتَ : لُعْنَة فهو يُلعن، وأما إذا قلتَ : ضُحَكَة فهو يَضْحَكُ من غيره، وإذا قلتَ : لُعَنَة فهو يلعن غيره، ومثله الهُمَزَة واللمزة. قوله: ﴿مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾تفسير لـ " إذا " والمراد الأذان عند قعود الإمام على المنبر، وكان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد وكان إذا جلس الرسول ﷺ على المنبر أذن المؤذن (١).

وقيل : كذب الله اليهود في ثلاثة دعاوى : أحدها : قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه؛ فكذبهم بقوله : ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًا﴾وافتخروا بأن لهم كتابًا؛ فنزلت ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾(٢) وافتخروا بيوم السبت؛ فقال النبي ﷺ : " خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة "(٣).

﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾أي : فامضوا، ليس المراد السعي على الأقدام، والسعي: العمل ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ (٤)﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ (٥) أراد النهي عن كل ما يشغل عن ذكر الله، لم يأمرهم بتجارة ولا كسب، وإنما أمرهم بالتوفر على العبادة وعيادة المرضى وزيارة أخ في الله وشبهه. وقيل : طلب العلم.

وقيل : صلاة التطوع.

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾

روي أن أهل المدينة (٣٠١/ ب) أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة

---

(١) ذكره بهذا السياق السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٢٦)، ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن السائب بن يزيد، وأصله في الصحيح عند البخاري رقم (٩١٣) عن السائب بن يزيد.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٣٢).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢/ ٤٨٦)، وأبو داود رقم (١٠٤٦)، والترمذي رقم (٤٩١)، والنسائي (٣/ ١١٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٧٨) عن أبي هريرة ﷺ. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٣٣٤).

(٤) سورة الصافات، الآية (١٠٢).

(٥) سورة النجم، الآية (٣٩).

الكلبي بتجارة من زيت الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشوا أن يسبقوا إليه، فما بقي معه إلا يسير. قيل : ثمانية، وأحد عشر، واثنا عشر، وأربعون؛ فقال عليه السلام : " والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعًا لأضرم الله عليهم الوادي نارًا "[1].

وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق؛ فهو المراد باللهو. وعن قتادة : فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل مقدم عير[2].

* * *

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٤٩) رقم (٨٢٠) بغير إسناد، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٣١) ونسبه لابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٠٤)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٦٧) لعبد بن حميد عن قتادة.

# تفسير سورة المنافقون [مدنية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣)﴾

أرادوا بقولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ شهادة واطأت قلوبهم فيها ألسنتهم؛ فقال الله عز وجل: قالوا ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ أن الأمر كما يدلُّ عليه قولهم: ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ إنهم ﴿لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ﴿نَشْهَدُ﴾ وادعائهم فيه المواطأة، وأنهم كاذبون فيه، لأنه إذا خلا عن المواطأة لم تكن شهادة في الحقيقة، فهم كاذبون في تسميته شهادة، أو أراد: والله يشهد إنهم لكاذبون عند أنفسهم؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن قولهم: إنك لرسول الله كذب.

فإن قلتَ: أي فائدة في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾؟ قلتُ: لو قال: " نشهد إنك لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون " لكان يوهم أن قولهم هذا كذب، فوسط بينهما قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ ليميط هذا الإيهام. يجوز أن يكون قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾) قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ فجعل هذا اللفظ يمينًا، وقد اختلف فيه العلماء؛ فبعضهم يقول: هو يمين إذا نواها. وقيل: اتخذوا أيمانهم في معاملاتهم وأحوالهم أن يحلفوا بالله كاذبين. وقوله: ﴿آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ والمنافقون لم تكن لهم حالة إيمان قط - معناه: أنهم آمنوا، أي: نطقوا بالإيمان كما ينطق به المؤمنون المخلصون، أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين، وبالكفر عند الكافرين؛ استهزاءً بالإسلام؛ كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[1] ويجوز أن يراد أهل الردة منهم. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ كان عبد الله بن أبي بن سلول جميل الصورة ممتلئ الجسم، فصيح اللسان، وكانوا يجلسون مع رسول الله ﷺ في المسجد مستندين. قيل: إن (٣٠٢/أ) الخشب إنما ينتفع به إذا كان مستندًا إلى شيء؛ بأن يكون سعفًا لجدران تحمله أو أبواب مغلقة، فما دام خاليًا كان مسندا إلى الحائط؛

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٤).

فشبه المنافقين في قلة نفعهم بالخشب المسند إلى الحائط؛ فإنه في الغالب لا ينتفع به كذلك.

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ يا محمد وأصحابك. وقيل: كان من رآهم وأبصر حسن هيئتهم أعجبهم صورهم وهيئتهم. قوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لجبنهم واستشعارهم الخوف ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ ﴾ [(١)] وقد أخذ الأخطل[(٢)] هذا المعنى فقال [ من الكامل ] :

ما زلتُ تحسبُ كلَّ شيءٍ بعدَهُم خَيْلا تَكُرُّ عليهمُ ورِجالا[(٣)]

فيُوقَفُ على ﴿عَلَيْهِمْ﴾ ويُبْتَدَئُ: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أي: الكاملون في العداوة؛ لأن أعدى الأعداء قد يحبُّك ويُظْهِرُ لكَ المحبةَ.

ويجوز أن يكون: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ المفعول الثاني؛ كما لو طرح الضمير فقال: يحسبون كل صيحة عليهم العدوَّ. وروي أن رسول الله ﷺ حين لقي بني المصطلق على المريسيع وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد؛ أجير لعمر يقود فرسه، وسنان الجهني؛ حليف لعبد الله بن أبي، فاقتتلا فصرخ جهجاه: يا للمهاجرين وسنان: ياللأنصار؛ فأعان جهجاهًا جعال[(٤)]؛ من فقراء المهاجرين ولطم سنانًا؛ فقال عبد الله: أجعال وأنت

---

(١) سورة التوبة، الآية (٦٤).

(٢) هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو، أبو مالك، من بني تغلب. شاعر مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير والفرزدق والأخطل. نشأ في أطراف الحيرة بالعراق واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، كثير العناية بشعره. وكانت إقامته حيناً في دمشق، وحيناً في الجزيرة، توفي سنة (٩٠ هـ) تنظر ترجمته في: تاريخ مدينة دمشق (٤٨/ ١٠٥).

(٣) **ينظر البيت في**: تفسير القرطبي (١٨/ ١٢٥)، روح المعاني للألوسي (٢٨/ ١١١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٢٣١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٤١).

(٤) هو جعال ويقال: جعيل بن سراقة الضمري أو الغفاري أو الثعلبي، كان من فقراء المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا أسلم قديما وشهد مع رسول الله ﷺ أحدا. **ينظر**: الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/ ٤٨١)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٤/ ٢٤٥).

هناك، وقال: ما صحبنا محمد إلا لنلطم، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال: سمِّنْ كلبَكَ يأكُلْكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ؛ يعني بالأعز نفسه، وبالأذل رسول الله ﷺ ثم قال لقومه : ماذا فعلتم بأنفسكم ؟ أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركب رقابكم، ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد؛ فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال : أنت والله الذليل القليل المنقَّص في قومك، ومحمد في عز من الرحمن، وقوة من المسلمين؛ فقال لزيد بن أرقم : اسكت؛ فإنما كنتُ ألعبُ. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال عمر: دعني أضرب عنقَ المنافق يا رسول الله؛ فقال : إذن تُرعَدُ أنوفٌ كثيرةٌ بيثربَ، قال : فإن كرهت أن يقتله مهاجري فمر أنصاريًا؛ فقال : فكيف ! إذن تحدَّث الناسُ أن محمدًا يقتل أصحابه. وقال عليه السلام لعبد الله : أنت صاحب الكلام الذي بلغني؟ قال : والله الذي أنزل عليك الكتاب (٣٠٢/ب) ما قلتُ شيئًا من ذلك، وإن زيدًا لكاذب، فهو قوله تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً﴾ فقال الحاضرون : يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا نصدق عليه كلام غلام لعله قد وهم[١]. وروي أن رسول الله ﷺ قال له : "لعلك غضبت عليه. قال : لا. قال : لعله أخطأ سمعك. قال : لا. قال : فلعله شبه عليك. قال: لا. فلما نزلت لحق رسول الله ﷺ زيدًا من خلفه فعرك أذنه، وقال : وفت أذناك يا غلام، إن الله قد صدقك، وكذب المنافق. فلما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حُباب - وهو عبد الله بن عبد الله، غيَّر رسولُ الله ﷺ اسمه، وقال: إن حبابا اسم شيطان، وكان مخلصًا - وقال: والله لا تدخلها حتى تقول : رسول الله الأعز وأنا الأذل، فلم يزل حبيسًا في يده حتى أمره رسول الله ﷺ بتخليصه[٢].

وروي أنه قال : لئن لم تقر لرسول الله بالعزة لأضربن عنقك؛ فقال: ويحك أفاعل أنت ؟ قال: نعم، فلما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال رسول الله ﷺ لابنه : " جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرًا "[٣].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٠٣).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٠١)، ومسلم رقم (٢٧٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٥٣) رقم (٨٢١).

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾

فلما بان كذب عبد الله قيل له: قد نزلت فيك آيٌ شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك؛ فلوّى رأسه ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت، وما بقي إلا أن أسجد لمحمد. فنزلت ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟﴾ الآيات، ولم يلبث إلا أياما قلائل حتى اشتكى ومات[1]. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لأنهم كفار فلا تقبل عبادتهم؛ لأن الله تعالى لا يتقبلها منهم. ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو يرزق من يشاء ما يشاء. ﴿عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ قيل: الصلوات الخمس[2]. وقيل: عن ذكر الله بالتسبيح والتقديس. وقيل: القرآن. وقيل: الجهاد في سبيل الله[3].

﴿مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ للتبعيض.

* * *

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٧٤) لعبد بن حميد وابن المنذر من طريق الحكم عن عكرمة.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١١٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٨٠) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الضحاك.

(٣) ذكر هذه الأقوال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٤) ونسب القول الأخير للكلبي.

# تفسير سورة التغابن [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣) يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٨) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢)﴾

﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ قدم المجرور ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله، والاختصاص حاصل؛ لأن جميع النعم منه، وهو الذي يعطي الملك من يشاء.

قوله: ﴿فَمِنكُمْ﴾ وقدم الكفر؛ لأنه الأغلب والأكثر ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [1] (٣٠٣/ أ) ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [2] قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ مصحوبة بالحق. أخبر بعلمه بجميع ما في السماوات والأرض ليزيد القلوب مهابة وتعظيمًا لجلاله فلا تقدم على معصيته. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ الخطاب لكفار مكة؛ لم يقنع بالجزاء في الدنيا وبما ذاقوه من الوبال حتى أضاف له العذاب في الآخرة. ﴿بِأَنَّهُ﴾ الهاء ضمير الشأن والقصة ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن يكون الرسول بشرًا وأجازوا أن يكون الإله حجرًا.

---

(١) سورة يوسف، الآية (١٠٣).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧).

﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾ أطلق ليتناول كل شيء. ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ الزعم: نسبة القول إلى الشخص مع البراءة من عهدته، ويتعدى إلى مفعولين، و﴿أَن﴾ مع ما في حيزها سدت مسد مفعول " زعم " و﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أهل مكة. ﴿بَلَىٰ﴾ إثبات لما بعد " أن " وهو البعث.﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وعني بالرسول محمدًا ﷺ وبالنور القرآن، وانتصب اليوم إما بقوله: " لتنبؤن " أو بـ "خبير" لما فيه من معنى الوعيد، أو بإضمار " اذكر ". ﴿لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون. ﴿ٱلتَّغَابُنِ﴾ مأخوذ من مغابنة المتعاملين؛ كل واحد منهما يغبن صاحبه، ويوم القيامة يصير الغابن مغبونًا والمغبون غابنًا، وفي الحديث: " ما من عبد يدخل الجنة إلا رأى مقعده من النار لو كان أساء ليزداد إيمانًا، وما من عبد يدخل النار إلا يرى مقعده من الجنة لو كان أحسن ليزداد حسرة"[1].

﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يشرح صدره للأعمال الصالحات. وقيل: هو قول الرجل عند المصيبة لا حول ولا قوة إلا بالله. وقيل: يهدي قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾

وتقديم المجرور في قوله:﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ ﴾ يدل على الاختصاص عند الزمخشري[2] وعلى الاهتمام عند غيره. إن بعض الأزواج يعادين أزواجهن إما لقلة الإنفاق، أو لاختلاف التدبير والرأي وكذلك الأولاد والضمير في قوله: ﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾للأزواج والأولاد ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾عنهم إذا اطلعتم على عداوة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾يغفر لكم.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٨)، ونسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٧٣) لأبي نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري، وقال: لم أره مرفوعا.

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٦٦٢).

وقيل: إن ناسًا أرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا: تهاجرون وتضيعوننا ؟ فرقوا لهم ووقفوا؛ فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم (٣٠٣/ب) قد تفقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوهم؛ فزين الله لهم العفو.

وقيل: كان عوف بن مالك الأشجعي ذا أهل وولد فإذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا فهم بأذاهم؛ فنزلت[١].

﴿فِتْنَةٌ﴾ بلاء ومحنة؛ لأنهم يوقعون في الإثم ألا ترى أن قوله:﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وفي الحديث: " يؤتى برجل يوم القيامة فيقال: أكل عيالُه حسناتِه "[٢].

وعن بعض السلف: العيال سوس الطاعات. وقيل: إذا جاء وقت الجهاد والهجرة فلا يثبطكم الأولاد والأزواج عنه. ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ حقيقته أن ﴿مَا﴾ مصدرية، وإن سبكت وصارت مصدرًا أضمرنا قبل المصدر ظرفًا أو حالاً.

﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ تلطف في استدعاء الصدقة بجعلها قرضًا ﴿يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ﴾ بالزيادة إلى ما يشاء. ﴿شَكُورٌ﴾ يفعل ما يفعله المبالغ في الشكر من إجزال العطاء.

﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل بالعقوبة.

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٢٥)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٨١).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في الكشاف (٤ / ٤٢) وقال: غريب مرفوعا، وهو في الحلية لأبي نعيم من قول سفيان الثوري رواه في ترجمته.

# تفسير سورة الطلاق [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (١) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)﴾

أفرد النبي بالنداء ثم جمع الضمير في قوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ و﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ لأن الخطاب مع النبي خطاب مع أمته إظهارًا لتقدمه.

﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾ إذا أردتم طلاقهن؛ كقوله - عليه السلام -: " من قتل قتيلا فله سلبه "[1]. والقتيل لا يقتل؛ ومن ثم كان الماشي إلى الصلاة والمنتظر لها في حكم المصلي[2].

قوله: ﴿لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي: مستقبلات الاعتداد. وقرئ: " في قبل عدتهن "[3] وإذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للحيض الأول فقد طلقت مستقبلة للعدة؛ فإن الأقراء عند أبي حنيفة الحيض؛ لقوله ﷺ: " دعي الصلاة أيام أقرائك "[4]. أي: أيام حيضك، وطلاق السنة: أن يطلق الرجل المرأة في زمن طهر لم يجامعها فيه.

﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ واضبطوها. ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ من مساكنهن التي وقعت فيها العدة، سواء كان المنزل مملوكًا للزوج أو مستأجرًا أو مستعارًا، لا تخرجوهن من بيوتهن مكرهات ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ طالعات. ﴿بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قيل: هي الزنى، يعني: إذا زنت

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٢١)، ومسلم رقم (١٧٥١).

(٢) روى البخاري رقم (٦٤٧، ٢١١٩)، ومسلم رقم (٦٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة " وهو جزء من حديث طويل.

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٢٩) قراءة رسول الله ﷺ.

(٤) رواه أبو داود رقم (٢٩٧)، والترمذي رقم (١٢٦)، وابن ماجه رقم (٦٢٥)، عن عدي بن ثابت عن أبيه عن جده. وفي سنده أبو اليقظان واسمه عثمان بن عمير وهو ضعيف جدا، وبه ضعفه أبو داود، وفيه كذلك جهالة جد عدي بن ثابت.

المعتدة جاز إخراجها من المنزل؛ لإقامة الحد عليها. وقيل: هو البذاءة على أحمائها، وروي: أن النبي ﷺ أخرج فاطمة بنت قيس من منزلها لبذاءة كانت فيها على أحمائها [(١)]. وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ﴾ " أن " مع الفعل (٣٠٤/أ) كالمصدر فيسكبه مصدرًا ثم يقدر قبله زمانًا أو حالاً فيصير التقدير إلا زمان إتيان فاحشة مبينة.

قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ أي: رجعة وطيب قلوب من البغض إلى الحب.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أي: انقضت عدتهن، والأجل يطلق على آخر المدة، ويطلق على المدة بجملتها فتقول: آخر الأجل وضع الحمل، وتقول: مدة الأجل مدة الحمل، وهو أن لا يكون لهم غرض في الشهادة إلا إقامة الحد لا مراعاة أحد في الشهادة له أو الكتمان. قوله: ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ أي: من مضايق الفرقة فإنه يصحبها قالة واختلاف قول فيفرّج عنه ذلك كله.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

﴿بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: يبلغ ما يريد ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب. وقوله: ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ في الدم الذي يجيء بعد الإياس فقدر الإياس بستين سنة أو بخمس وخمسين؛ فهذا حكمهن. ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ﴾ عدتهن ثلاثة أشهر، فحذف لدلالة الكلام عليه. وعن ابن عباس: " من شاء لاعنته أن سورة النساء القصرى وهي سورة الطلاق نزلت بعد التي في البقرة "[(٢)]. وروي: أن سبيعة الأسلمية وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال فقال ﷺ: " قد حللت

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٧٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٤٢)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٠٣) لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وأبي داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه من طرق عن ابن مسعود ﷺ وليس عن ابن عباس ﷺ كم ذكر المصنف هنا، فلعله وهم أو سبق قلم من الناسخ.

فانكحي "[١]. وقال بعض العلماء: عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أقصى الأجلين: مدة الحمل أو أربعة أشهر وعشرا؛ أيهما كان أقصى اعتدت به[٢]. " من " في قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ هي للتبعيض ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ تقدير لقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ والوجد: الوسع والطاقة، والنفقة عند أبي حنيفة واجبة للمطلقات كلهن، وعند الشافعي ومالك: ليس لهن إلا السكنى بلا نفقة[٣].

﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ بأن يزاحمها في المسكن، أو يمنعها من الحقوق الواجبة عليه أو يضاجرها لتفتدي من صداقها. فإن قلتَ: ما فائدة قوله: ﴿وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ والنفقة واجبة عند أبي حنيفة سواء كانت حاملاً أو حائلاً. قلتُ: فائدته أن مدة الحمل إذا طالت قد يظن أنها تسقط فنفى ذلك الوهم بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَضَعْنَ﴾. فإن قلتَ: فالحامل المرضع إذا توفي عنها زوجها هل لها نفقة ؟ قلتُ: قد اختلف فيه الصحابة رضي الله عنهم؛ فإن أرضع هؤلاء المطلقات ولد المطلق أعطين (٣٠٤/ب) أجرهن، وكان حكمهن حكم الأجانب، أما ما دامت الزوجية باقية فلا يجوز إجارتها للزوج عند أبي حنيفة ويجوز عند الشافعي[٤].

﴿وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: ليشر بعضكم على بعض بالمصلحة. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ اختلفتم. ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ فسييسر الله - تعالى - لهذا الولد من يرضعه.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧) وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٣١٨)، ومسلم رقم (١٤٨٤).

(٢) **ينظر**: المغني لابن قدامة (٨/ ٩٣) ، الفواكه الدواني للنفراوي المالكي (٢/ ٥٧)، حاشية العدوي (٢/ ١٥٦) ، الأشباه والنظائر للسيوطي (١/ ٤٨٠).

(٣) **ينظر**: الهداية شرح البداية (٢/ ٤٤ ، ٤٥) ، الأم للإمام الشافعي (٥/ ٣٥ – ٤٠) ، التمهيد لابن عبد البر (١٥/ ٤٣).

(٤) **ينظر**: الهداية شرح البداية (٢/ ٤٤ ، ٤٥) ، أحكام القرآن للجصاص (٢/ ١٠٤) ، المهذب للشيرازي (٢/ ١٦٨) ، مغني المحتاج للشربيني (٢/ ٣٤٥).

ﭐلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا (١١) ﴾

وقرئ: "لينفَق" [(١)] أي: شرعنا ذلك لكي ينفق. قوله: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وعد بسعة الرزق على فقراء ذلك الزمان أو على الفقراء من المتزوجين إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا. قوله: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ أي: عتا أهلها.

وكذلك ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ و﴿وَعَذَّبْنَٰهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فتبين المضمر المتقدم. ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ بالمناقشة والاستقصاء، والمراد: حساب الآخرة وعذابها؛ لأن المنتظر من وعد الله ووعيده كائن لا محالة، وقوله: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ تفسير للوعيد السابق، ويجوز أن يراد: أحصينا أعمالهم وكتبناها في كتب الحفظة.

﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ جبريل، وإعرابه أنه بدل من قوله: ﴿ذِكْرًا﴾ وجاز بدل جبريل من الذكر؛ لأنه النازل بالوحي مقترنًا به، أو جعل جبريل ذكرًا لكثرة ذكره الله وعبادته؛ فكأنه هو الذكر.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا (١٢) ﴾

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ مبتدأ وخبره. وقيل: ليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية [(٢)]. وقيل: بين كل سماءين خمسمائة عام[(٣)].

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: يجري حكم الله وقضاؤه بينهن. وعن قتادة: في كل سماء من سماواته وأرض من أرضه بينهن كذلك[(٤)].

* * *

---

(١) قرأ بها معاذ القارئ. تنظر في: الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٣١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦٠).

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦١).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء والإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (١/ ١٢٤) ونسبه للحافظ ابن رجب في كتاب التخويف من النار بسنده عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢٨/ ١٥٤).

## تفسير سورة التحريم [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١)﴾

روي أن رسول الله ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة، وعلمت بذلك حفصة فقال لها: اكتمي وقد حرمت مارية على نفسي، وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي. فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين. وقيل: خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك، واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه، ومكث تسعًا وعشرين ليلة في بيت مارية[1]. وروي أن عمر قال لها: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك، فنزل جبريل وقال: راجعها؛ فإنها صوَّامة قوَّامة وإنها لمن نسائك في الجنة[2]. وروي أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فواطأت عائشة وحفصة فقالتا: إنا نشم منك (٣٠٥/أ) ريح المغافير، وكان رسول الله ﷺ يكره النتن فحرم العسل[3]. فمعناه: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من ملك اليمين أو من العسل. و﴿تَبْتَغِي﴾ إما تفسيرًا لـ " تحرم " أو حال، أو استئناف، وكان هذا سهوًا منه ﷺ فإنه ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله؛ لأن الله جل وعلا إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله؛ فإذا حرم ما أحل كان ذلك قلب المصلحة مفسدة. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قد غفر لك ما سهوت فيه ﴿رَحِيمٌ﴾ قد رحمك فلم يؤاخذك به .

---

(١) رواه البخاري رقم (٥٢٦٦)، ومسلم رقم (١٤٧٤) .

(٢) نسبه السيوطي في الجامع الصغير للحاكم، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٠٧) وقال الشيخ الألباني: " فائدة: دل الحديث على جواز تطليق الرجل لزوجته ولو أنها كانت صوامة قوامة ولا يكون ذلك بطبيعة الحال إلا لعدم تمازجها وتطاوعها معه وقد يكون هناك أمور داخلية لا يمكن لغيرهما الاطلاع عليها ولذلك فإن ربط الطلاق بموافقة القاضي من أسوأ وأسخف ما يسمع به في هذا الزمان الذي يلهج به كثير من حكامه وقضاته وخطبائه بحديث " أبغض الحلال إلى الله الطلاق "، وهو حديث ضعيف كما قال الشيخ الألباني في إرواء الغليل (٢٠٤٠).

(٣) بهذا اللفظ والزيادة في آخره " وكان يكره النتن فحرم العسل " ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار في تخريج الكشاف (٤/ ٦٢) وبدل " النتن ": " التفل ". وأصل الحديث في الصحيحين دون هذه الزيادة؛ رواه البخاري رقم (٤٥٣١)، ومسلم رقم (٢٦٩٤)، وفي رواية للبخاري رقم (٦٤٥٧)، ومسلم رقم (٢٦٩٥) " وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه ريح ".

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ فيه معنيان؛ أحدهما: قد فرض الله لكم الاستثناء في أيمانكم؛ من قولك: تحلل في يمينه: إذا استثنى فيها، ومنه: حلا أبيت اللعن، بمعنى: استثن في يمينك إذا طلقتها، وذلك أن تقول: إن شاء الله عقيبه؛ حتى لا تحنث. والثاني: قد فرض الله لكم تحلتها بالكفارة، ومنه قوله عليه السلام: " لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلَّةَ القَسَمِ "[(١)].

فإن قلتَ: ما حكم تحريم الحلال ؟ قلتُ: قد اختلف فيه؛ فأبو حنيفة يراه يمينًا في كل شيء ويعتبر الانتفاع المقصود من تلك العين؛ فإذا حرم طعامًا فقد حلف على أكله، أو أمة فعلى وطئها، أو زوجة فعلى الإيلاء منها إذا لم يكن له نية؛ في تفاصيل تذكر في كتب الفقهاء[(٢)] وقد أساء الزمخشري الأدب على رسول الله ﷺ المبعوث رحمة للعالمين حيث قال: وكانت زلة من النبي ﷺ وإنما الزلة القبيحة من الزمخشري[(٣)].

---

(١) رواه البخاري رقم (١٢٥١)، ومسلم رقم (٢٦٣٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٤/ ١٠٩)، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٤/ ٢١٧)، بدائع الصنائع للكاساني (٣/ ١٦٨)، التمهيد لابن عبد البر(٢١/ ٢٤٩)، كشاف القناع للبهوتي (٦/ ٢٤٠)، المبدع لابن مفلح الحنبلي (٩/ ٢٧٣)،الهداية شرح البداية للمرغياني (٢/ ١٣).

(٣) ينظر قوله في: الكشاف (٤/ ٥٦٤).

وقولـه: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾أي: حفـصة وعائـشة ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: أطلعـه عليـه. ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾عتبها على أمر ماريـة وتحريمهـا، ولم يـذكر حـديث خلافـة الـشيخين[١]. وعن الحسن: ما استقصى كريم قط في العتاب؛ بل يترك بعض ما يعتب عليـه؛ حتـى يقـول السامع: ما علم بذلك، وهو من أكمل محاسن الأخلاق[٢]. وقيـل: إنما تـرك حـديث ولايـة الشيخين؛ لأنه خشي أن يكثر فيـه القـال والقيـل؛ فقطـع الحـديث كـيلا يكثـر. ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ لا تعطف الكاف في " أهليكم " على الـواو في " قـوا "؛ لأن الـواو في " قـوا " ضمير فاعل مرفوع، والكاف في " أهليكم " مجرور بإضافة الأهل إليها فهي في موضع جر، ولا يعطف المجرور على المرفوع. وتقدير هذا الكلام: قوا أنفسكم، وليق أهلوكم أنفسهم مـن النـار[٣]. قولـه: (٣٠٥/ ب) ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ قيـل: إنهـا حجـارة الكبريـت؛ لـشدة حرهـا واشتعالها، والمشهور أنها هذه الحجارة المعروفة.

وقيل: الأصنام؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[٤]

قوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ مثل قوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾فما فائدة التكرار؟ قلتُ: الجملة الأولى تدل على أنهم يفعلون ما يأمرهم الله به، ويبادرون إلى قبولـه، ومعنـى الثانيـة: حصول فعل ما أمروا به، فهما جملتان مختلفتان.

قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ افتتح الخطاب مع المؤمنين، ثم نقله إلى الكفار، وقد قـال تعـالى في سورة البقـرة: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾[٥] فجعلـها مخـصوصة بهـم، وفيـه وجوه: أحدها: المراد من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه.

والثاني: يحذر من الردة والعود إلى مساكنة الكفـار. والثالـث: أن دركـات النـار متفاوتـة ويشمل الجميـع اسـم جهـنم؛ فهـم مـساكنون للكفـار وإن اختلفـت طبقـاتهم. قولـه:﴿ لَا

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٣٧٠) ونسبه لأبي نعيم في فضائل الصحابة عن الضحاك ولابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢١٩) لابن مردويه عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٦٨): " وقرئ " وأهلوكم "، عطفا على واو " قوا " وحسن العطف للفاصل فإن قلتَ: أليس التقدير: قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم ؟ قلتُ: لا، ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده، فكأنه قيل: قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ".

(٤) سورة الأنبياء، الآية (٩٨).

(٥) الآية (٢٤).

﴿تَعْتَذِرُوا﴾ إما لأجل أنهم لا عذر لهم، أو لأنهم لا يقبل منهم الاعتذار. ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ هو من الإسناد المجازي، وإنما النصوح التائب ينصح نفسه بتوبة لا غش فيها، وعبر المتقدمون عن ذلك: ألا يعودوا إلى الذنب؛ كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وهذا مبالغة ومن تاب توبة مخلصة فقبلت منه، ثم وقع في الذنب مرة أخرى لم تبطل تلك التوبة، ويستأنف العمل في المستقبل.

﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ ومن دخل النار فقد أُخزي بنص القرآن﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾) على الصراط. ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ يقولونه وهم على الصراط، وقد شرح في سورة الحديد[1]. ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بالحجة، واستعمل الغلظة والخشونة في الجهاد السيف والحجة.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

شبه الكفار في انقطاع التواصل بينهم وبين المؤمنين بامرأة نوح وامرأة لوط؛ لم ينفعهما مواصلة رسول الله ﷺ وشبه انتفاع المؤمنين بوُصْلة الإيمان وإن كانوا متقاطعين في الدنيا بامرأة فرعون لم يضرها طغيانه وكفره. وذكر امرأة لم يكن لها وصلة إلى مؤمن ولا كافر فعملت صالحًا؛ فجوزيت عليه أحسن الجزاء بـ ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فأمر الله جبريل فنفخ فيها من روحه (٣٠٦/ أ).

﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ ولم يقل من القانتات؛ كقوله: ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[2] أي: من القوم القانتين انقسموا إلى ذكور وإناث، وهذا التمثيل بامرأة نوح وامرأة لوط تعريض بما جرى من عائشة وحفصة في أمر العسل، أو في أمر مارية.

* * *

(١) عند تفسير الآية (١٢).
(٢) سورة يوسف، الآية (٢٩).

# تفسير سورة الملك [ مكية ]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢﴾

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين. ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾من الممكنات ﴿قَدِيرٌ﴾ وذكر اليد مجاز في الاستيلاء على الشيء والتصرف فيه. والمراد بـ ﴿ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ وجود ذلك منه، والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾ عاملكم معاملة المبتلى والمختبر ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ أخلصه وأصوبه؛ لأنه إذا كان خالصًا غير صواب لم يقبل، وإذا كان صوابًا غير مخلص لم يقبل؛ يعني: أعطاكم الحياة التي تسلطون بها على العمل، وسلط عليكم الموت الذي بعده البعث والجزاء، وذلك هو الذي يوجب اختيار الأعمال الحسنة، واجتناب السيئة، وقدم الموت على الحياة؛ لأن أعبد العباد من نصب الموت بين عينيه.

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾الغالب ﴿ٱلۡغَفُورُ﴾لمن تاب ولمن لم يتب.

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾

﴿طِبَاقٗا﴾ بعضها فوق بعض التفاوت: عدم التناسب. وقوله: ﴿فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ من وضع الظاهر موضع المضمر، والمضمر: ما ترى في خلقه من تفاوت. والخطاب في ﴿مَّا تَرَىٰ﴾للرسول ﷺ أو لكل مخاطب﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ﴾الفاء للسببية، والتقدير: لا تفاوت فيها وإذا ثبت ذلك فردد النظر مرارًا لتستيقن عدم التفاوت.﴿ مِن فُطُورٖ﴾من صدوع وشقوق، مأخوذة من فطر ناب البعير: إذا شق.﴿ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ﴾أي: إذا رجع بعد التأمل والاجتهاد رجع خائبًا لم يظفر بما طلب من الشق والعيب، ويقال خسأت الكلب: إذا طردته، ومنه: ﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [(١)] وحسر يحسر: إذا أعيا، ومنه:

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١٠٨).

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [(١)] لا يعيون، وليس المراد بالتثنية في قوله ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ حقيقتها، بل المراد مرارًا مرارًا كثيرة؛ كقوله: " لبيك وسعديك " [(٢)]. يريد تلبية كثيرة وإسعادًا كثيرًا.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ (٣٠٦/ ب) ليس المراد منها التي في مقابلة الآخرة؛ بل المراد المكان القريب منكم؛ أي: السماء القريبة منكم؛ من دنا الشيء يدنو فهو دان، والمصابيح: السرج سميت بها الكواكب، والناس يزينون مساجدهم ودورهم بالمصابيح. ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ مع كونها زينة ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ مانعة من استراقهم السمع. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاثة أمور: زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما

---

(١) سورة الأنبياء، الآية (١٩).

(٢) رواه أبو داود رقم (٦٤٩) وصححه الشيخ الألباني في تخريج سنن أبي داود رقم (٧٦٠) في حديث طويل ولفظه: " كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبر، ثم قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله لي إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك. وإذا ركع قال: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظامي وعصبي. وإذا رفع قال: سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد. وإذا سجد قال: اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، فأحسن صورته وشق سمعه وبصره، وتبارك الله أحسن الخالقين. وإذا سلم من الصلاة قال: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت أعلم به، مني أنت المقدم والمؤخر لا إله إلا أنت ".

لا علم له به [١] والرجوم: جمع رجم، وهو ما يرجم به، وجعل الكواكب رجومًا؛ أي: ذات رجوم؛ فإن الناس اختلفوا؛ فقال أكثرهم: إن الكواكب لا يرجم بها، بل يخرج منها نار، وهي المسماة ﴿شِهَابًا﴾ يرجم بها الجني ويبقى الكوكب في مكانه لا يتغير. وقال آخرون: يرجم بالكواكب، وهو ظاهر قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا﴾ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ للجن المسترقة في الآخرة ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من الشياطين وغيرهم. ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ ظاهر الآية أن الشهيق الذي يسمع هو من نفَس جهنم. وقال آخرون: الشهيق لمن دخلها. قيل: وقت إلقائهم؛ كقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ [٢] ووجه الجمع بين الآيتين حصول الأمرين معًا. ﴿تَفُورُ﴾ تغلي كما يغلي الحب في القدر، وقوله: ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ شهادة تغيظها عليهم وإرادتها الانتقام منهم لله. ويجوز أن يراد الزبانية وغيظهم على أهل النار؛ كقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ﴾ [٣] ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ إما من كلام الله، أو من كلام الزبانية. وقيل: من كلام الكفار، وهو بعيد. ﴿فَسُحْقًا﴾ أي: بعدًا لهم. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بضمائرها.

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥) أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ (٢٧) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٨) قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٩)﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٤/ ٩١ - ٩٢) عن قتادة.

(٢) سورة هود، الآية (١٠٦).

(٣) سورة الطلاق، الآية (٨).

قوله: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ إنكار على من يزعم أنه لا يعلم الجزئيات، ويرد عليهم: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾[1].

فإن قيل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ مفعول له؛ فلا يصح للاحتجاج كما ذكرتم ؟ قلنا: الخلق تفتقر إلى العلم؛ فإذا قال: ألا يعلم ؟ صار التقدير: ألا يعلم من علم ؟ والشيء لا يعلل بنفسه؛ فلابد أن تقدر مفعولا: ألا يعلم الخالق ما خلقه ؟

المشي في مناكبها مثل لفرط التذلل لا إذن في الاكتساب بالتجارة. ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ فيه وجهان: أحدهما: من في السماء سلطانه؛ لأنها منازل الملائكة المقربين.

والثاني: أنهم كانوا يعتقدون التشبيه، وأن الله في السماء - تعالى عن ذلك - (٣٠٧/أ) فخاطبهم بما يعتقدون[2]. ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: كيف باقية إنذاري. ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ عاد وثمود وغيرهم. ﴿صَافَّاتٍ﴾ باسطات أجنحتهن في الجو ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أي: يضممنها؛ فإن قيل: لم قال: ﴿صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ ولم يقل: قابضات ؟ قلتُ: لأن البسط هو الأصل في الطيران والقبض طارئ عليه، وهو شبيه بالسابح؛ فإن الأصل فيه بسط أطرافه والقبض يظهر بعد. ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ يتولى مصالحكم ورزقكم فيكون عونًا لكم وجندًا. ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ اسم فاعل من أكب، وهذا الفعل من عجائب الأفعال؛ فإنه إذا دخلته الهمزة صار غير متعد، وإذا حذفت تعدى[3]. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي العذاب الذي وعدوا به ﴿زُلْفَةً﴾ أي: قريبًا ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أدركتها المساءة.

كان كفار مكة يدعون على النبي ﷺ وعلى أصحابه بالهلاك؛ فأمر أن يقول لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ﴾ فإذًا نتقلب في الجنة، وإن مَنَّ الله علينا بالنصر عليكم شفي

---

(١) سورة يونس، الآية (٦١).

(٢) هذه الآيات من آيات الصفات وقد تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٨٢) ورد عليه أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٣٠٣) وأغلظ عليه في رده، وأنصفه السمين الحلبي منه في الدر المصون (٦/ ٣٤٧) فليراجع ذلك في موضعه.

الغليل [١]. وقيل: إن أهلكنا الله في الدار الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهم أولى بالهلاك.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿غَوْرًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض، و﴿غَوْرًا﴾ وصفًا بالمصدر مبالغة؛ كقولهم: رجل عدل وصوم وفطر.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٨٣).

# تفسير سورة ن [ القلم ]

## [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿نٓ﴾حرف من حروف المعجم. وقيل: هو الدواة، قال في الكشاف: [1] وأما قولهم: إنه هو الدواة. فلا أدري أهو وضع لغوي، أو شرعي ؟! وإذا كان اسمًا للدواة؛ فإما أن يكون جنسًا، أو علمًا؛ فإن كان جنسًا فأين الإعراب والتنوين، وإن كان علمًا فأين الإعراب ؟ وأيًا ما كان. فإن قلتَ: هو مقسم به وجب أن تجره وتنونه إن كان جنسًا، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة؛ كأنه قيل: ودواة والقلم، وإن كان علمًا أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه؛ للعلمية والتأنيث.

وكذلك تفسيره بالحوت؛ إما أن يراد نون من عرض الحيتان أو علمًا للبهموت الذي زعموا أن الأرض فوقه. والتفسير باللوح من نور أو ذهب، ونهر في الجنة ونحو ذلك، وبالقلم لما فيه من المنافع وضبط العلوم وإتقانها للمنتفعين.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يكتب من كتب. وقيل: ما يسطره الحفظة، و " ما " موصولة أو مصدرية، ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه؛ فيكون الضمير لهم، والمراد: أصحاب القلم ومسطورهم (٣٠٧/ ب) أو سطرهم، ويراد به: كل من يسطر أو يريد به الحفظة. والباء في قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ باء الحال، والتقدير: تبين بنقيضه لو قلت: أنت بحمد الله موفق؛ فإذا قلت: ما أنت بحمد الله بمجنون كانت الباء كما هي في نقيضها فكأنه قال: ما أنت مجنونًا بنعمة الله؛ أعملها في النفي إعمالها في الإثبات؛ كما تقول: ما ضرب زيد عمرًا؛ فتنصبه كما تنصب: ضرب زيد عمرًا. ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال ذلك والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا﴾لثوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾غير مقطوع؛ كقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [2] أو غير ممنون به عليك. استعظم الله

---

(١) ينظر: الكشاف (٤/ ٥٨٤).

(٢) سورة هود، الآية (١٠٨).

خلقه لفرط احتماله ما يؤذى به وحسن مداراته لقومه، وعن عائشة أنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: " كان خلقه القرآن، اقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

﴿بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾

﴿الْمَفْتُونُ﴾ المجنون؛ لأنه فتن، أي: امتحن بالجنون، والعرب تزعم أن الصرع من تخييل الجن، والباء زائدة، و﴿الْمَفْتُونُ﴾ مصدر، كالمعقول والمجلود؛ أي: بأيكم الجنون، أي: بأي الفريقين يوصف بالفتنة: المؤمنون أو الكافرون، وهو تعريض بأبي جهل بن هشام، والوليد بن المغيرة وأضرابهما، وهو كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ بالمجانين على الحقيقة وأعلم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ أو يكون وعدًا ووعيدًا؛ وكانت الكفار قد دعوه إلى دين آبائه؛ فنهي عن ذلك بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ﴾ وقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ لو تلين وتصانع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾. فإن قلتَ: لم رفع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ ولم ينصب بإضمار " أن " وهو جواب التمني الذي دل عليه " لو " ؟ قلتُ: تقديره: فهم يدهنون؛ كقوله: ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾[٣] أي: ودوا إدهانك فهم الآن مدهنون أي: طامعون في حصول الإدهان منك. قال سيبويه: وزعم هارون أنها في بعض المصاحف " فيدهنوا "[٤]. ﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحقّ والباطل، وكفى به زجرًا لمن يكثر الحلف. ومثله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾[٥]

وقوله: ﴿مَّهِينٍ﴾ من المهانة، وهي القلة في الرأي والتمييز، أو أراد الكذاب؛ لأنه حقير بين الناس. ﴿هَمَّازٍ﴾ عيَّاب طعَّان. وعن الحسن: يلوي شدقيه في أقفية الناس إذا ولوا[٦]. والنميم والنميمة: السعاية.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (١) والحديث رواه مسلم رقم (١٢٣٣)، وأحمد في المسند رقم (٢٣٤٦٠)، وأبو داود في سننه رقم (١١٤٤).

(٢) سورة القمر، الآية (٢٦).

(٣) سورة الجن، الآية (١٣).

(٤) الكتاب لسيبويه (١/ ٤٢٢).

(٥) سورة البقرة، الآية (٢٢٤).

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٨٦).

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ يريد به البخل ومنع الواجب من أهله. قيل: هو الوليد بن المغيرة؛ كان موسرًا (٣٠٨/ أ) وله عشرة من البنين، وكان يقول لهم: من أسلم منكم منعته رفدي وقيل: هو أبو جهل. وقيل: الأسود بن عبد يغوث، وقيل: هو الأخنس بن شريق، أصله من ثقيف وعداده في زهرة؛ ولذلك قيل: ﴿زَنِيمٍ﴾ قال الشاعر [ من الطويل ]

زنيمٌ تداعاهُ الرجالُ زيادةً كما زيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ[1]

﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز حده في الظلم. ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام. ﴿عُتُلٍّ﴾ غليظ جاف؛ من عتله: إذا قاده بغلظة وعنف. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد ما عُدَّ له من المثالب والنقائص. ﴿زَنِيمٍ﴾ دعيّ؛ وكان الوليد دعيًا في قريش ليس من أصلهم، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده. وقيل: بَغَتْ أُمُّه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية؛ جعل كونه دعيًا أشدَّ معاتبة؛ لأنه إذا جفا وغلظ ساءت أخلاقه، والغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الناشئ منها، ومن ثم جاء في بعض الروايات: " لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده "[2]. وقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ نظير ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[3] والزنمة: تؤخذ من جلد الماعز وتُخلَّى مدلاةً على وجهها لا تقطع. قوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ أي: لا تطعه؛ لأنه ذو مال مع هذه المثالب، ويجوز أن تتعلق بما بعد؛ أي: لا تطعه لكونه ذا مال مستظهر بالبنين. ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ كذَّب بها، وقال: هذا ما سطره الأولون، ولا يعمل فيه " قال " الذي هو جواب ﴿إِذَا﴾ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله؛ ولكنه يعمل فيه ما دلت عليه الجملة من التكذيب. والوجه أكرم شيء في البدن، والأنف أكرم شيء في الوجه؛ ولذلك شقوا منه الأنفة، وقالوا: الأَنَفُ في الأَنْفِ، وحمي أنفُه، وفلان شامخ العرنين، وقالوا في الذليل: جُدِعَ أنفُه، ورَغِمَ أنفُه؛ فعبَّر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال

---

(١) البيت لحسان بن ثابت، **ينظر في:** تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٥)، الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٢٤٦)، لسان العرب (زنم).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/ ٣٠٨)، وذكره القاري في الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة رقم (١٠٦٨)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ١١٠).

(٣) سورة البلد، الآية (١٧).

والإهانة؛ لأن السمة على الوجه شين وإهانة؛ فكيف بها على أكرم موضع فيه، ولقد وسم العباس أباعرة في وجوهها، فقال رسول الله ﷺ : " أكرموا الوجوه " [(١)]. فوسمها في جواعرها[(٢)] وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة.

وقيل معناه: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة (٣٠٨/ ب) كما عادى رسول الله ﷺ عداوة بان بها عنهم. وقيل: سنشهره بهذه النسبة في الدارين جميعًا فلا يخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم. وعن النضر بن شميل [(٣)]: أن الخرطوم: الخمر، وأن معناه: سنحده على شربها، وهو تعسف، وقيل للخمر الخرطوم؛ كما قيل لها: السلافة، وهي ما سلف من عصير العنب، أي: لأنها تطير في الخياشيم [(٤)].

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّا﴾ بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ عليهم. ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين؛ فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي، وكان يترك للمساكين ما أخطأ المنجل، وما في أسفل

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٧٧) وقال: غريب بهذا اللفظ، وقال الحافظ ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٧٦): لم أره هكذا، ثم ساق نحوه عن ابن حبان.

(٢) **الجواعر:** جمع الجاعرة، والجاعرة: مثل الروث من الفرس. والجاعرتان: حرفا الوركين المشرفان على الفخذين . وقيل: هما ما اطمأن من الورك والفخذ في موضع المفصل. وقيل: هما رؤوس أعالي الفخذين. وقيل: هما مضرب الفرس بذنبه على فخذيه. لسان العرب (جعر).

(٣) هو النضر بن شميل بن خرشة بن زيد بن كلثوم بن عنزة بن زهير بن عمرو بن حجر بن خزاعي بن مازن بن عمرو بن تميم، العلامة الإمام الحافظ أبو الحسن المازني البصري النحوي نزيل مرو وعالمها، كان النضر إماما في العربية والحديث، وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان وكان أروى الناس عن شعبة، وخرج كتبا كثيرة لم يسبقه إليها أحد، وولي قضاء مرو. ولد في حدود سنة اثنتين وعشرين ومائة، ومات في أول سنة أربع ومائتين. **ينظر:** سير أعلام النبلاء للذهبي (٩/ ٣٢٨ - ٣٣١).

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب (خرطم): ومن أسماء الخمر الخرطوم. **والخرطوم:** الخمر السريعة الإسكار وقيل: هو أول ما يجري من العنب قبل أن يداس.

الأكداس[١]، وما أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط الذي ينبسط تحت النخلة إذا صرمت؛ فكان يجتمع لهم شيء كثير، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال، فحلفوا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ في السدق، والسدق: الظلمة المختلطة بالضياء؛ خفية عن المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم، فأحرق الله جنتهم. وقيل: كانوا من بني إسرائيل. ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح مبكرين. ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ ولا يقولون: إن شاء الله. فإن قلتَ: لم سمي استثناءً وإنما هو شرط ؟ قلتُ: لأنه يؤدي معنى الاستثناء من حيث إن معنى قولك: لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد. ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ بلاء وهلاك ﴿كَالصَّرِيمِ﴾ كالمصروم. وقيل: الصريم: الليل؛ أي: احترقت واسودت. وقيل: صريم النهار؛ أي: يبست وذهبت خضرتها. ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ حاصدين. فإن قلتَ: هلا قيل: اغدوا إلى حرثكم ؟ وما معنى " على " ؟ قلتُ: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوًّا عليه؛ كما يقال: يغدى عليه بجفنة ويراح بأخرى. ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ يتساررون وخفي وخفت وخفد بمعنى الكتم، ومنه: الصوت الخفات. ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أن: مفسرة، أي: أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين وهم قادرون على نفعهم؛ طلبوا حرمان المساكين فحرمهم الله الجميع. وقيل: وذهبوا، أي: حصلوا على الحرمان مكان الانتفاع، وقال الشاعر [ من الرجز ]:

أقبلَ سيلٌ جاء من عندِ اللهْ    يحرُدُ حردَ الجنَّةِ المُغِلَّهْ[٢] (٣٠٩/أ)

وقيل: الحرد: الإسراع، أي: ذهبوا إليها مسرعين ﴿قَادِرِينَ﴾ عند أنفسهم على صرامها والاستقلال بغلتها. وقيل: كان اسم الجنة " حرد ".

قالوا في أول الأمر: ﴿إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ عن جنتنا؛ وذلك لما رأوا فيها من الفعل الشديد والهلاك، ثم استبصروا وتأملوا فعرفوا أنها جنتهم؛ فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾

﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وخيرهم؛ قال الشاعر [ من الطويل ]:

---

(١) **الكدس:** العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك، والجمع: أكداس وهو الكديس يمانية. **ينظر:** لسان العرب (كدس).

(٢) **ينظر في:** تفسير الطبري (٢٩/ ٣٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٥٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩١)، لسان العرب (حرد) في وصف سيل، ويحرد: يسرع، والجنة المغلة: البستان كثير الغلة والثمار.

هُمُ وَسَطٌ ترضى الأنامُ بحكمِهِم إذا نزلتْ إِحْدى الليالي بمعْظَمِ[١]

وقوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [٢] أي: خيارًا. ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم. ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ عند ذلك: اذكروا الله وتوجهوا إليه توجهًا كليًا؛ فلو كنتم عظمتم الله حق تعظيمه، ولم تنووا حرمان المساكين لم يصبكم ما أصابكم. وزعم كثير من الناس أن الله أبدلهم جنة تسمى الحيوان يحمل البعير منها عنقودًا. وقيل: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تصلون ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [٣] أي: المصلين.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦)﴾

كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين من ثوابها قال فريق منهم بإنكار الآخرة والتكذيب وقال آخرون: إن كانت فسيكون لنا منها الحظ الأوفر كما هو لنا في الدنيا؛ فقال الله تعالى: أفنحيف في الحكم فنجعل ﴿الْمُسْلِمِينَ﴾ المتصدقين الصابرين على أذى الكفار ﴿كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ثم التفت فقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج؛ كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم، أو جاءكم من الله كتاب بأنكم تخيرون في الآخرة في المنازل في قصور الجنة وثوابها.

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى، ينظر في: البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٤١٨)، تفسير الطبري (٢/ ٦)، تفسير القرطبي (٢/ ١٠٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (١/ ٣٩٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

(٣) سورة الصافات، الآية (١٤٣).

قوله: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ متعلق بقوله: ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ﴾ أي: يستمر ذلك إلى يوم القيامة. ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ قائم به، كفيل بحصوله، قائم بالاحتجاج لنصرته. ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ يقولون بقولهم ويذهبون إلى ما ذهبوا إليه.

الكشف عن الساق: مثل في شدة الأمر وصعوبة الخطب، وأصله في الرَّوع والهزيمة، وكشف المخدرات عن أسوقتهن تجردًا للهرب؛ بمعنى: يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثمَّ ولا ساق، وأما من شبه فهو جاهل بعلم البيان[١] (٣٠٩/ ب) .

وعن ابن مسعود: "يكشف الرحمن عن ساقه فأما المؤمنون فيخرون سجدًا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقًا طبقًا؛ كلما أراد أحدهم أن يسجد انقلب على ظهره "[٢]. ونكر الساق تعظيمًا لذلك الأمر وتهويلاً؛ لقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾[٣].

وعن قتادة: خرج من خراسان رجلان أحدهما شبَّه حتى مثَّل وهو مقاتل بن سليمان[٤]، والآخر نفَى حتى عطَّل وهو جهم بن صفوان[٥].

---

(١) هذه الآية من آيات الصفات، وقد تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾.

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩١٩).

(٣) سورة القمر، الآية (٦).

(٤) هو كبير المفسرين أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي، يروي على ضعفه البين عن مجاهد والضحاك وابن بريدة وعطاء وابن سيرين وعمرو بن شعيب وشرحبيل بن سعد والزهري وعدة، وعنه سعد بن الصلت وبقية وعبد الرزاق وحرمي بن عمارة والوليد بن مزيد وخلقًا آخرهم علي بن الجعد. قال ابن المبارك: وأحسن ما أحسن تفسيره لو كان ثقة، قيل: إن المنصور ألح عليه ذباب، فطلب مقاتلا، فسأله: لم خلق الله الذباب ؟ قال: ليذل به الجبارين. قال ابن عيينة: قلتُ لمقاتل: زعموا أنك لم تسمع من الضحاك ! قال: كان يغلق علي وعليه باب، فقلت في نفسي: أجل باب المدينة. وقيل: إنه قال: سلوني عما دون العرش. فقالوا: أين أمعاء النملة ؟ فسكت، وسألوه: لم حج آدم من حلق رأسه ؟ فقال: لا أدري. قال وكيع: كان كذابا. وعن أبي حنيفة قال: أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطل ومقاتل مشبه. مات مقاتل سنة نيف وخمسين ومائة. قال البخاري: مقاتل لا شيء البتة ".

**ينظر:** سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٠١).

(٥) هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي، الضال المبتدع رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئا، لكنه زرع شرا عظيما. **ينظر:** ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي (٢/ ١٥٩).

وتكليفهم السجود في الآخرة ليس لطلب ثواب ولا خوف عقاب، وإنما هو إظهار لما كانوا يفعلونه في الدنيا من السجود لغير الله تعالى، فمنعوا في الآخرة السجود لله؛ وليوبخوا على ذلك. يقال: ذرني وفلانًا؛ أي: سلّم أمره إليّ فأنا أكفيكه.

استدرجه: إذا كلفه الإتيان إليه درجة بعد درجة، والمراد ها هنا بالاستدراج: الصحة والغنى، ويحسبون الإنعام عليهم إيثارًا لهم على المؤمنين.

﴿أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ (٤٧) فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ (٤٨) لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ (٤٩) فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٥٠)﴾

قوله: أن ﴿ٱلۡغَيۡبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ؛ فهم يكتبون منه ما يريدون، والمعنى: لا تكن مثل يونس بن متى حيث ذهب مغاضبًا ولم يستأذن ربه فيما صنع. قيل: نزلت حين أراد النبي ﷺ أن يدعو على قومه في نوبة أحد. وقيل: في هزيمة المسلمين في نوبة هوازن

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ (٥١) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ (٥٢)﴾

﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ من شدة تحديقهم إليك، ونظرهم شزرًا نظر المتغيظ إذا رأى من عدوه استقامة أمره وحنكته، وهو كقول الشاعر [ من الكامل ]:

يتقارضونَ إذا التقوا في موطنٍ    نظرًا يُزِلُّ مواطئَ الأقدامِ[1]

قيل: كانت العين في بني أسد. وقيل: كان الرجل منهم إذا رأى شيئًا يعجبه فقال: ما رأيت كاليوم قط. هلك ذلك المشار إليه؛ فأحضروا رجلاً من بني أسد، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال: ما رأيت كاليوم قوة وفصاحة. وأراد أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين فردَّ الله كيدَه ونزلت الآية ﴿وَإِن يَكَادُ﴾[2].

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ ختم السورة بما بدأ به أولها: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾. ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ أي: شرف. وقيل: موعظة.

* * *

---

(١) ينظر البيت في: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١/ ٣٤٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩٧).

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٦٣).

## تفسير سورة الحاقة [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤)﴾

﴿الْحَاقَّةُ﴾ الساعة القليلة الوقوع الثابتة (٣١٠/أ) المجيء، أو التي تحق فيها الأمور أي: تعرف على الحقيقة؛ تقول: لا أحق هذا الأمر؛ أي: لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لأهلها، وارتفاعها على الابتداء وخبرها ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾ تفخيمًا لشأنها وتعظيمًا لهولها والأصل: وما أدراك ما هي؛ فأوقع الظاهر موقع المضمر؛ لأنه أهول لها؛ أي: وأي شيء أعلمك؛ يعني: إنك لا علم لك بهولها، فكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك، و" ما " رفع بالابتداء، و﴿أَدْرَاكَ﴾ معلق عنه؛ لأن الاستفهام لا يعمل ما بعده فيما قبله .

والقارعة: التي تقرع الناس بالإفزاع، وتقرع السماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانتثار، ولما فخم أمر الساعة وعظمه أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها تخويفًا لأهل مكة من عقوبة تكذيبهم.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧)﴾

﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾ بالواقعة المجاوزة الحد في الشدة. وقيل: المراد بالطاغية: الصيحة. وقيل: الرجفة. وقيل: الصاعقة. قيل: هلكوا بصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. وقيل: الطاغية: مصدر؛ كالعاقبة والعافية؛ أي بطغيانهم، وليس بالقوي؛ لعدم المطابقة بينها وبين قوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ الصرصرة: الصوت الشديد. وقيل: الباردة؛ من الصَّرِّ وهو البرد؛ كأنها التي ضوعف فيها البرد؛ فهي تحرق بشدة بردها. ﴿عَاتِيَةٍ﴾ شديدة العتو أي: عتت على عاد، فلم يقدروا على ردها بحيلة من استتار بناء أو لياذ بجبل، واختفاء في حفيرة، فإنها كانت تنزعهم من مكانهم. وقيل: عتت على خزانها؛ فخرجت بلا كيل ولا وزن.

وعن النبي ﷺ : " ما أرسل الله سفينة من ريح إلا بمكيال إلا قوم عاد، وقوم نوح؛ لأن الماء يوم إهلاك قوم نوح طغى على الخزان، ثم قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي: في

السفينة "[1]﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾[2] ويجوز أن يكون جمع حاسم؛ كشاهد وشهود، ويجوز أن يكون مصدرًا كـ " الشكور "﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[3] فإن كان جمع حاسم فمعناه أنها حسمت عنهم كل خير، أو متتابعة ما سكنت ساعة، وإن كان مصدرًا فالتقدير: حَسمتهم حسومًا، أو تقديره: ذات حسوم، أو مفعولاً له؛ أي: سخرها عليهم للاستئصال. وقرئ: "حَسومًا " بفتح الحاء[4] بمعنى اسم الفاعل وقيل: هي أيام العجوز، وذلك أن عجوزًا استترت في سرب فأخرجتها الريح (٣١٠/ ب) في اليوم الثامن فأهلكتها. وقيل: هي أيام العجوز وهي عجز الشتاء؛ أي: آخره وأسماؤها: الصن، والصنبر. وقيل: مكفئ الظعن[5]. ومعنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ سلطها عليهم، أي: في الليالي والأيام.﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أي: صدورها.

﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾

﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي: من بقية، أو من نفس باقية، أو من بقاء، و﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ بمعنى الطغيان. ﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ أي: ومن تقدمه، وقرئ: "ومن قِبَلَه"[6] ويؤيدها قراءة من قرأ ومن معه[7]. ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي: بالخطأ، أو الأفعال الخاطئة. ﴿رَّابِيَةً﴾

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٤/ ٨٣)، ونسبه لأبي نعيم في الحلية عن ابن عباس، ونسبه ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٧٧) لابن مردويه والثعلبي، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٤٠٥) لعبد بن حميد وابن جرير والفريابي عن ابن عباس - رضي الله عنهما.

(٢) سورة الشورى، الآية (٣٢).

(٣) سورة الفرقان، الآية (٦٢).

(٤) نسبها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٩٩) للسدي.

(٥) **الظعن:** جمع ظعينة وهي الهودج. **ينظر:** لسان العرب (ظعن).

(٦) قرأ أبو عمرو والكسائي وعاصم في رواية أبان " قِبَلَه "، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة وعاصم في غير رواية أبان. **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٦٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٤٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٠٠).

(٧) قرأ بها أبي وابن مسعود. **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٦٢)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٩٩).

شديدة زائدة في الشدة؛ كما زادتا قبائحهم؛ ربا الشيء يربو: إذا زاد﴿ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[1] ﴿حَمَلْنَكُمْ﴾ حملنا آباءكم في السفينة ﴿ٱلْجَارِيَةِ﴾ لأنهم إذا كان أجدادهم محمولين في الجارية فقد حملوا فيها؛ لأن في ذلك إشارة إلى نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين ﴿تَذْكِرَةً﴾ عظة وعبرة.﴿ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ من شأنها أن تعي ما تسمع، وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما جعلته في وعاء فقد أوعيته. فإن قيل: لم أفرد الأذن ونكرها ؟ قلنا: للإشعار بقلة الواعين لما سمعوه، ولتوبيخ الناس بقلة من يعي، وللإشعار بأن الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت فهي في مقام السواد الأعظم، وأن ما سواها لا يعبأ به، وإن ملأ ما بين الخافقين والنفخات متعددة. ومعنى قوله: ﴿ وَٰحِدَةٌ ﴾ أي: لا تثنى في وقتها، والمراد – ها هنا – النفخة الأولى؛ لأن عندها فساد العالم، وفي رواية: هي النفخة الثانية. وأما قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾مع أن العرض بعد النفخة الثانية؛ فلأن جعل اليوم اسمًا للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان، والصعقة والنشور والوقوف والحساب؛ فلذلك قيل: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ كما تقول: جئتك في عام كذا، وإنما جئت في وقت من أوقاته. ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾أي: بريح لها من القوة أن تحمل الأرض والجبال. وقيل: بل تفعل ذلك بقدرة الله تعالى. ﴿فَدُكَّتَا﴾ يعني حملة الأرض وحملة الجبال فضرب بعضها ببعض؛ حتى تندقَّ وتتفتت، وترجع كثيبًا مهيلا وهباء منبثًا. وقيل: بسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضًا لا ترى فيها عوجًا ولا أمتا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ﴾ جاءت القيامة ﴿وَاهِيَةٌ﴾مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت (٣١١/أ) محكمة. قوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ أي: الخلق الذي يقال له الملك، وأفرده ولم يجمعه. ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ على نواحيها؛ الواحد: رجا مقصور. ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ قيل: هم حملة العرش؛ اليوم أربعة ويوم القيامة يصيرون ثمانية. وقيل: الثمانية أرجلهم في تخوم الأرض السابعة السفلى، ورؤوسهم تحت العرش وهم مطرقون مسبحون.

---

(١) سورة الروم، الآية (٣٩).

وقال الحسن: لا أدري أهم ثمانية أملاك أم صفوف ؟ وقيل: بعضهم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، لك الحمد على حلمك بعد علمك، وآخرون يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك. ويجوز أن يكون الثمانية صفوفًا لا يعلم عددها إلا الله [(١)]. ويجوز أن يكون ذلك العدد من الروح وباقيهم من الملائكة. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [(٢)]

العرض: عبارة عن المحاسبة؛ شبه ذلك تشبيهًا بعرض السلطان الجند، ليتعرف أحوالهم ﴿خَافِيَةٌ﴾ كانت قد خفيت في الدنيا؛ لأن الله أراد سترها، أو كانت مما يجوز أن يخفى؛ لشدة حقارتها، أو حال كانت تستر في الدنيا بستر الله عليكم. هاء: لفظ يصوت به فيفهم منه خذ، أو حدث؛ فعمل فيه ﴿اقْرَءُوا﴾ لأنه أقرب العاملين، وأصله: هاؤم كتابي اقرءوا كتابي؛ كقوله: ﴿آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [(٣)] ولو أعمل الأول لكان التقدير: آتوني قطرًا أفرغه عليه. والهاء في ﴿مَالِيَهْ﴾ و﴿سُلْطَانِيَهْ﴾هاء السكت، وحقها أن تسقط في الوصل، وتثبت في الوقف. والظن: ما يحصل من العلم.

﴿رَاضِيَةٍ﴾ منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل، والنسبة تارة تكون بالحرف، وتارة تكون بالصيغة، أو جعل الفعل لها مجازًا ولصاحبها حقيقة.

﴿عَالِيَةٍ﴾في المكان أو في المعنى.﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ ينالها القاعد والقائم، يقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أي: هنئتم هنيئًا على المصدر بما قدمتم من الأعمال الصالحة.

﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾الماضية من أيام الدنيا. وقيل: في أيام الصيام؛ لخلو الجوف فيه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ لَا يَأْكُلُهُ

---

(١) ذكره الزمخشري هكذا في الكشاف (٤/ ٦٠٢)، ورواه الطبري في تفسيره(٢٩/ ٥٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن عكرمة.

(٢) سورة المدثر، الآية (٣١).

(٣) سورة الكهف، الآية (٩٦).

إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾

الضمير في: " يا ليتها " للموتة؛ كأنه قال: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا لا حياة بعدها ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ لقاطعة للعمر. ﴿صَلُّوهُ﴾ أي: أدخلوه في النار؛ يقال: شاة مصلية: إذا حفرت حفيرة وأوقد فيها النار الكثيرة، ثم أدخلت الشاة السميط فيها وأطبق عليها. سلكه في السلسلة؛ أي: أدخله فيها.

وقوله (٣١١/ ب) ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ لا يريد السبعين؛ بل يريد الكثرة؛ كقوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [1] ولما قدم المعمول من قوله: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ﴾ دل على أنه أراد: لا تسلكوه إلا في هذه؛ وعلة ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ يدفع عنه.

والغسلين: ما يسيل من أبدان أهل النار وجراحاتهم وصديدهم، غسلين من غسل.

﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ الآثمون، وخطئ الرجل: إذا تعمد الذنب، وأخطأ فعله غير متعمد.

قوله: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ قسمٌ بالأشياء كلها؛ لأنها لا تخرج عن قسمين؛ مبصرة وغير مبصرة. وقيل: الدنيا والآخرة. وقيل: الأجسام والأرواح. وقيل: الخلق والخالق. وقيل: النعم الظاهرة والباطنة. إن هذا القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله تعالى. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ كما تدعون والقلة في معنى العدم؛ أي: لا تذكرون قليلاً ولا كثيرًا. ﴿تَنزِيلٌ﴾ هو تنزيل عليه ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. وقيل: ﴿حَٰجِزِينَ﴾ في وصف ﴿أَحَدٍ﴾ لأنه في معنى العموم، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [2] ينطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ الضمير للقرآن. ومعنى ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ محض الحق. ﴿فَسَبِّحْ﴾ الله بذكر اسمه ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ من إيحائه إليك.

---

(١) سورة التوبة، الآية (٨٠) .

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٥) .

# تفسير سورة المعارج [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ (٢) مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥)﴾

ضمن ﴿سَأَلَ﴾ معنى دعا؛ فعدي تعديته؛ كأنه قال: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ﴾ تقول: دعا بكذا؛ أي: استدعاه؛ ومنه قوله: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾[1] وقيل: هو النضر بن الحارث؛ حيث قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ الآية[2]. وقيل: هو رسول الله ﷺ استعجل بعذاب الكافرين، وقرئ : "سال سائل" بغير همزة[3] على وجهين أحدهما: أن يكون مخففًا من "سأل" والثاني: أنه إخبار بأن واديًا من أودية جهنم - أعاذنا الله منها بكرمه - فتح، فسال منه صديد أهل النار؛ فسال بالعذاب، والسيل في معنى السائل؛ كالغور في معنى الغائر، وسأل سائل عن عذاب الله بمن ينزل، ومتى (٣١٢/أ) يقع ؟ فنزلت. عنى واهتم.

فإن قلتَ: بم يتصل قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ؟ قلتُ: متصل بـ " واقع " أي: واقع من عنده، أو بـ " دافع " أي: ليس له دافع من جهته إذا جاء. و﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ المصاعد، ثم وصف المصاعد وبعد مداها بقوله:﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ إلى عرشه، وحيث تهبط منه أوامره ﴿فِى يَوْمٍ﴾ مضى ذكره في سورة السجدة[4]، و﴿وَٱلرُّوحُ﴾ جبريل. وقيل: خلق من خلق الله ليسوا بإنس ولا جن ولا ملائكة، وهم أكثر من الجميع ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[5] و "الروح" حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على بني آدم. وتعلق قوله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾

---

(١) سورة الجاثية، الآية (٥٥).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٣٢).

(٣) قرأ به بغير همز " سال " نافع وابن عامر وأبو جعفر. وقرأ الباقون: " سأل " بالهمز.

**وتنظر القراءتان في:** إتحاف فضلاء البشر للبنا (٢/ ٥٦٠)، الإملاء للعكبري (٢/ ٢٦٨)، البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٣٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٧٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٠).

(٤) عند تفسير الآية (٥).

(٥) سورة المدثر، الآية (٣١).

لأن سؤالهم تعجيل العذاب إنما كان استهزاءً؛ فأمر بالصبر، وقد جعل قوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ من صلة ﴿وَاقِعٍ﴾ أي: يقع ﴿فِي يَوۡمٍ﴾ طويل ﴿مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٍ﴾) إما أن يكون استطالة له لشدة هوله على الكفار، أو هو حقيقة؛ لذلك قيل فيه: خمسون موطنًا، كل موطن ألف سنة، وما قدر ذلك على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر، وتتمة الكلام في سورة السجدة.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

الضمير في ﴿يَرَوۡنَهُۥ﴾ عائد إلى العذاب، أو ليوم القيامة؛ أي: يستبعدونه على جهة الحالة. ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ أي: هو عندنا قريب، أي: من الإنسان، وكذا ﴿بَعِيدًا﴾.

نصب ﴿يَوۡمَ﴾ بـ ﴿قَرِيبًا﴾ أي: يمكن ولا يتعذر، ويجوز أن ينتصب بـ ﴿دَافِعٌ﴾ أو ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ﴾ يجري كيت وكيت، أو هو بدل عن ﴿فِي يَوۡمٍ﴾ عند من علقه بـ " دافع ". ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ كدردي الزيت. وقيل: كالفضة المذابة في تلونها.

العهن: الصوف المصبوغ ألوانًا؛ لأن الجبال مختلفة الألوان؛ ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾ [1] فإذا بست وطويت في الجو أشبهت العهن إذا طيرته الريح. ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: لا يلتمس منه أن يخفف عنه من حمله. ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [2]. ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡ﴾ يبصر يومئذ الأعمى والأكمه، ولا يمنعه من الرؤية عدم الإبصار؛ بل هو يبصره ويتحققه، وهو كلام مستأنف، وإنما جمع بضمير الفعل والمفعول؛ لأن المراد أن هذا الجنس يبصر كل واحد منهم بالآخر.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم، و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعاد الإنجاء، يعني: يود لو كان هؤلاء جميعًا تحت يده وحكمه، وبذلهم في فداء نفسه ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك، وهيهات أن ينجيه. ﴿كَلَّآ﴾ ردع وزجر كلا لا ينجيه ذلك (٣١٢/ب) من العذاب، ثم قال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٧).

(٢) سورة عبس، الآية (٣٧).

أي: النار؛ سميت به لتلظيها واتقادها، وهي مؤنثة. و﴿نَزَّاعَةً﴾ خبر ثان، وقرئ: "نزاعةٌ" [١] نصب على الحال. والشوى: الأطراف، أو جمع شـواء؛ وهـي جلـدة الـرأس فتنتزعهـا نزعًـا فتبتكها[٢] ثم تعاد. وقيل: تناديهم تقول: إلي يا كافر يا منافق.

وقيل: تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الطير الحب، فجـوز أن يخلق الله فيها كلامًا كما يخلقه في جلودهم وأرجلهم وأيديهم.

ويجوز أن يكون دعاء الزبانية. وقيل: تدعو: تهلـك؛ مـن قـول العـرب: دعـاك الله؛ أي: أهلكك؛ قال [ من الوافر ]:

دعاكَ اللهُ منْ رجلٍ بأفْعَى[٣]

﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عنه ﴿وَجَمَعَ﴾ المال فجعلـه في وعـاء؛ فكثـره ولم يـؤد الزكـاة والحقوق الواجبة فيه، ويتشاغل به عن الدين، وَزَهَى باقتنائه وتكبر.

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

أريد بـ ﴿ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ الناس، فلذلك استثنى منه ﴿ٱلْمُصَلِّينَ﴾. والهلع: سرعة الجزع عند مـس المكروه، وسرعة المنع عند مس الخير؛ من قولهم: ناقة هلوع: سـريعة السـير. وعـن أحمـد بـن يحيى[٤] قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر[٥]: مـا الهلـع ؟ فقلـت: قـد فـسره الله ولا يكـون

---

(١) قرأ بها حفص وأبو حيوة والزعفراني واليزيدي وابن مقسم، وقرأ الباقون بالرفع. **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٧٧)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١٠).

(٢) **البتك:** قطع الشيء من أصله، بتكه يبتكه ويبتكه بتكا أي: قطعه، وبتكه فانبتك وتبتك، والبتكة: القطعة منه والجمع بتك. **ينظر:** لسان العرب (بتك).

(٣) هذا صدر بيت وعجزه:

.................... ضئيل تنفث السم الزعافا

**ينظر في:** الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١١)، لسان العرب (دعا) وفيه الشطر الثاني:

.................. إذا نام العيون سرت عليكا

(٤) هو أحمد بن يحيى بن زهير التستري الحافظ الحجة العلامة الزاهد أبو جعفر أحد الأعلام حدث عنه ابـن حبان والطبراني. مات سنة عشر وثلاثمائة. **تنظر ترجمته في:** طبقات الحفاظ للذهبي (١/ ٣٢١).

(٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسن بن مصعب أبـو العبـاس الخزاعـي كـان شـيخا فاضـلا وأديـبا شاعرا وهو أمير ابن أمير ابن أمير ولي إمارة بغداد في أيام المتوكل، وكـان مألفـا لأهـل العلـم والأدب. توفي سنة ثلاث وخمسين ومائتين. **ينظر:** تاريخ بغداد (٥/ ٤١٨).

تفسيرًا أبلغ من تفسيره، وهو الذي إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس[(١)]. و﴿ٱلْخَيْرُ﴾ الغنى والمال. و﴿ٱلشَّرُّ﴾ الفقر، أو الصحة والمرض إذا صح الغني منع المعروف وشح بماله، وإذا مرض جزع وأخذ يوصي، ومعنى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ﴾ أي: لإيثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه؛ كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقي وضروري غير اختياري كقوله: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[(٢)] لأنه حين كان في البطن والمهد لم يكن به هلع؛ ولأنه ذم، والله تعالى لا يذم فعله بدليل استثنائه المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم، وحملوها على المضارَّة، وطلقوها من الشهوات حتى لا يكونوا جازعين ولا مانعين.

وعن النبي ﷺ: " شر ما أعطي ابن آدم شره مانع، وجبن خالع "[(٣)].

وفي لفظ " الكشاف ": شحٌّ هالع[(٤)].

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾

فإن قلت: كيف قال: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ثم ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾؟ قلتُ: معنى دوامهم عليها: لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل؛ كما روي عن النبي ﷺ: "أفضل العمل أدومه وإن قل "[(٥)]. وقوله: ﴿يُحَافِظُونَ﴾ أي: على أدائها في أوقاتها ومنه قول

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٢) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٨٣) لابن المنذر عن الحسن أنه سئل عن قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: اقرأ ما بعدها فقرأ: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ قال: هكذا خلق.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٣٧).

(٣) رواه أبو داود رقم (٢٥١١) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) ينظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١٢).

(٥) رواه البخاري رقم (٥٨٦١)، ومسلم رقم (٧٨٢) عن عائشة رضي الله عنها.

عائشة – رضي الله عنها –: " كان عمل رسول الله ﷺ ديمة "[١]. ومحافظتهم عليها: أن يراعوا (٣١٣/أ) إسباغ الوضوء لها، والإتيان بسننها وآدابها؛ فالدوام راجع إلى نفس الصلاة والمحافظة على سننها وأركانها. ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ زكاة؛ لأنها معلومة النصب، ومعلوم المقدار الواجب منها، والسائل: الذي يسأل، والمحروم: الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيًا فيحرم. ﴿يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ يصدقونه بأعمالهم. وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ جملة معترضة.

كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ حلقًا يستهزئون بقراءته، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لنكونن أحسن حالاً منهم فنزلت[٢]. ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نحوك ﴿عِزِينَ﴾ جماعات متفرقات. و" عزين ": جمع عزة، وأصلها: عزوة؛ كل واحد يعتزي إلى جهة وقيل: كان المستهزئون خمسة.

﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لهم عن طمعهم؛ كأنه قال: هؤلاء لا يصدقون بالجزاء، فكيف يطمعون في نعيم الآخرة ؟

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)﴾

قلت: ويدل على إنكارهم البعث قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ وقوله: ﴿خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من النطف. ﴿الْأَجْدَاثِ﴾ القبور. والنصب: كل ما نصب ليعبد من دون الله. ﴿يُوفِضُونَ﴾ يسرعون.

* * *

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٦٦)، ومسلم رقم (٧٨٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٨٥)

## تفسير سورة نوح عليه السلام [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ۝٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧﴾

قوله: ﴿أَنۡ أَنذِرۡ﴾ أي: بأن أنذر؛ فحذف الجار ووصل. فإن قيل: كيف قال: ﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ مع قوله: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾؟

قلت: قدر الله – مثلا – أن قوم نوح إن آمنوا أمهلهم ألف سنة، وإن استمروا على الكفر أخذهم على رأس التسعمائة فإذا جاءت الألف فلا تأخير لها، وإذا جاءت رأس التسعمائة وآمنوا أمهلوا لتأجيل الأجل الآخر. ﴿لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ دائبًا من غير فتور مستغرقًا به الأوقات كلها. ﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ﴾ جعل دعاءه إياهم سببًا في زيادة طغيانهم؛ كقوله: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [1] و﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ [2] ذكر كيفية إعراضهم لسد مسامعهم ليكون أقبح لإعراضهم عنه. ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ واستفعل في قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ﴾ يدل على أنهم استدعوا ذلك وطلبوه؛ كراهة النظر إلى وجه من ينصحهم. وقيل: لئلا يعرفهم، ونظيره قوله تعالى: (٣١٣/ ب) ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ أَلَا حِينَ يَسۡتَغۡشُونَ ثِيَابَهُمۡ﴾ [3]. الإصرار: مأخوذ من قولهم: صر الحمار على حمر الوحش: إذا قرن أذنيه وأقبل عليها يطلب أن يغشاها؛ لأنه في ذلك الوقت لا يرجع إذا صيح به. وذكر المصدر توكيدًا ودلالة على فرط استكبارهم.

﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ۝٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١﴾

---

(١) سورة التوبة، الآية (١٢٤).

(٢) سورة التوبة، الآية (١٢٥).

(٣) سورة هود، الآية (٥).

أنذرهم سرًا فلم يطيعوا، وأنذرهم جهارًا فلم يرجعوا، فجمع بين الأمرين بقوله: ﴿أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ومعنى " ثم " تنبيه على تباعد الأحوال؛ كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [١] وفيه ترقٍّ؛ لأن الإنذار خفية أخف، والإنذار جهرًا أقوى، والجمع بين الأمرين أتم.

و ﴿جِهَارًا﴾ منصوب بـ ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ نصب المصدر؛ لأن الجهر أحد أنواع الدعاء؛ كقولهم قعد القرفصاء. وقيل: أراد بـ ﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ جاهرتهم جهارًا، ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا، أي: دعوتهم دعاء مجاهرًا به، أو مصدرًا في موضع الحال؛ أي: مجاهرًا. أمرهم بالاستغفار يريد: التوبة عن الكفر والمعاصي، ورغبهم في الاستغفار والتوبة؛ فوعدهم بخير الدنيا وهو المطر والخصب وكثرة الأولاد كما قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [٢]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ الآية [٣]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ الآية [٤] ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم﴾ [٥].

وقيل: لما كذبوه بعد طول المدة أمسك الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروي سبعين، فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله الخصب، ورفع عنهم ما كانوا فيه.

وروي: أن عمر خرج يستسقي فلم يزد على الاستغفار؛ فقيل له: إنك لم تستسق؛ فقال: لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها الغيث، ثم قرأ ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ الآيات [٦]. شبه الاستغفار بالأنواء الصادقة.

---

(١) سورة البلد، الآية (١٧).

(٢) سورة الصف، الآية (١٣).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٦).

(٤) سورة المائدة، الآية (٦٦).

(٥) سورة الجن، الآية (١٦).

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/٩٣) ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/٤٤٢) لابن سعد في الطبقات وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة في المصنف وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والبيهقي في سننه. والجاديح: واحدها: مجدح، وهو نجم من النجوم كانت العرب تزعم أنها تمطر به كقولهم الأنواء وهو المجدح أيضا. وقيل: هو الدبران؛ لأنه يطلع آخرا ويسمى حادي النجوم. **ينظر**: لسان العرب (جدح).

وروي: أن رجلا شكا إلى الحسن قلة الرزق فأمره بالاستغفار، وشكا إليه آخر قلة النسل فأمره بالاستغفار، وشكا إليه آخر الفقر فأمره بالاستغفار؛ فقيل له: التمس قوم منك أمورًا مختلفة فأجبتهم جوابًا واحدًا وهو الاستغفار، فتلا الحسن هذه الآية[١].

والسماء: المُظِلَّة؛ لأن المطر ينزل منها إلى السحاب، ويجوز أن يريد بالسماء السحاب أو المطر؛ كقول الشاعر (٣١٤/ أ) [ من الوافر ]:

إذا نزلَ السماءُ بأرضِ قومٍ رعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا[٢]

والمدرار: الكثير الدرور، شبه بما يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ تقول: امرأة معطار ومذكار ومبيات.

﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾

﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين. ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: لا تأملون له توقيرا أي: تعظيمًا، والمعنى: ما لكم لا تكونون على حالة ترجون فيها الثواب، و﴿لِلَّهِ﴾ بيان للموقر. قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ في موضع الحال؛ أي: خلق أصلكم من تراب، ثم جعل نسله من النطف؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة، فمن آمن بهذا ألزمه الإيمان بقدرة الله على إحياء الموتى؛ أي: لا تخافون لله حلمًا وترك معاجلة العقاب.

وقيل: لا تخافون لله عظمة؛ نبههم على النظر في أنفسهم أولا؛ لأنها أقرب منظور فيه ثم على النظر في العالم وما خلق فيه من العجائب في السماوات والأرض والشمس والقمر. ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: في السماوات، وهو في سماء الدنيا؛ لكن بين السماوات ملابسة فإنها طباق بعضها فوق بعض، والقمر وحده في السماء الأولى فجاز أن يقال: ﴿فِيهِنَّ﴾ وإن لم يكن في جميعهن؛ كما تقول: كنت في الدار، وإنما كنت في جزء منها.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٧).

(٢) البيت لمعوّد الحكماء معاوية بن مالك، ينظر في: لسان العرب (سما)، وللفرزدق في: تاج العروس (سما)، وبلا نسبة في: ديوان الأدب (٤/ ٤٧)، والمخصص لابن سيده (٧/ ١٩٥)، مقاييس اللغة (٣/ ١٩٨).

وعن ابن عباس وابن عمر: إن الشمس والقمر ظهورهما إلينا ووجوههما إلى السماء[١].

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ يبصر أهل الدنيا في ضوئها؛ كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج، والقمر نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس، والضياء أقوى من النور؛ لقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [٢].

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾

الإنبات: الإنشاء في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ والمعنى: فنبتم نباتا، أو نصب بـ" أنبتكم " لتضمنه معنى نبتم.

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ تتقلبون عليها كتقلبكم على البساط ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة منفجة. واتبعوا المتقدمين في الدنيا من أصحاب الأموال. ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ معطوف على قوله: ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ﴾ وجمع الضمير وهو راجع إلى " مَنْ " لأنه في معنى الجمع. والماكرون: الرؤساء، ومكرهم: احتيالهم في الدس لنوح. وقوله: ﴿ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ إلى عبادة قوم نوح. ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ الكبار: أكبر من الكبير، وأكبر من الكبار أيضًا، ونحوه: طوال وطوال (٣١٤/ ب).

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

كانت هذه الأصنام أكبر الآلهة عندهم، وقد انتقلت هذه الأصنام عن قوم نوح إلى العرب فكان ود لـ " كلب " وسمت العرب بعبد ود وعبد يغوث. وقيل: هي أسماء رجال صالحين. وقيل: من أولاد آدم لصلبه ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم: لو صورتم صورهم

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٩٢) لعبد بن حميد وأبي الشيخ في العظمة والحاكم وصححه عن ابن عباس، ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ٩٧)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٩١) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – وليس عن ابن عمر كما ذكر المصنف هنا تبعا للزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٨).

(٢) سورة يونس، الآية (٥).

فكنتم تنظرون إليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم: إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم. وقيل: كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة ، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر.

وقرئ " وُدا " بضم الواو[١]. يجوز أن يريد بقوله:﴿ أَضَلُّواْ ﴾ الأصنام؛ كقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [٢]. قوله:﴿وَلَا تَزِدِ﴾ معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾يحكي قوليه؛ كقولك: نودي بالصلاة فصلى في الجماعة، عطف أحد القولين على الآخر، وتقديمه المجرور في قوله: "مما خطاياهم" [٣] يدل على الاختصاص، أي: لم يكن الباعث على إغراقهم إلا خطاياهم. وعن الضحاك: كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب[٤]. وتنكير قوله: ﴿فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾ إما لتعظيمها، أو لأنها نار معينة أعدت لقوم نوح. ﴿فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾بين أنهم يئسوا من نصرة آلهتهم﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [٥].

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) ﴾

ديار: من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما بالدار ديار وديور، كقيام وقيوم، ولو كان " فعالا " لكان دوارا، لكنه " فيعال " فعل به ما فعل بسيد وميت. سبق إعلام الله – تعالى – لنوح أنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [٦] فلذلك قال: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا

---

(١) قرأ بها نافع وأبو جعفر. وقراءة الباقين بفتح الواو. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٣)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٢٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦١٩)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩١).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٣٦).

(٣) قرأ أبو عمرو البصري والحسن والأعرج وعيسى بن عمر " مما خطاياهم "، وقراءة الباقين ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٥٣)، الحجة لأبي زرعة (ص:٧٢٦) الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٥٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٠).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٢٠).

(٥) سورة الصافات، الآية (٧٤).

(٦) سورة هود، الآية (٣٦).

كَفَّارًا﴾ والتقدير: ألا يلدوا إلا من سيفجر ويكفر، فوصفهم بما يؤول أمرهم إليه؛ كقوله: " من قتل قتيلا فله سلبه "[١].

﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ قيل: هما آدم وحواء. وقيل: لملك بن متوشلح، وأمه: شمخا بنت أنوش وكانا مؤمنين. ﴿بَيْتِيَ﴾ منزلي . وقيل: مسجدي. وقيل: سفينتي. خص أولا من ينتسب إليه؛ لأنهم أولى وأحق بدعائه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٢]. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾[٣].

﴿تَبَارًا﴾ هلاكًا. وإنما غرَّق الله أطفال قوم نوح؛ لتتألم قلوب آبائهم، ويتحسروا على ذلك ويكون ذلك زيادة في عقابهم. وقيل: يهلكون هلكا واحدا، ويحشرون على نياتهم.

وقيل: أعقم الله أرحام نسائهم أربعين سنة، فلم يكن معهم صبي وقت الغرق.

* * *

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الطلاق.

(٢) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٣) سورة مريم، الآية (٥٥).

# تفسير سورة الجن [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾

قرئ " أُحي "[١] وأصله " وُحِيَ " . يقال : أُوحي إليه ووُحي إليه ، فقلبت الواو همزة؛ كما يقال : أُعُد ، وأُزُن " ، "وإذا الرسل وقتت" [٢].

وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضا، كـ " إشاح وإسادة وإعاء أخيه "[٣]. وقرأ ابن أبي عبلة : وُحي على الأصل[٤].

﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ بالفتح ؛ لأنه فاعل " أُوحي " . ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ بالكسر مبتدأ محكي بعد القول ثم تُحمل عليه البواقي ، فما كان من الوحي فتح ، وما كان من قول الجن كسر ،

---

(١) هذه قراءة ابن أبي عبلة وأبي إياس والعتكي وعيسى بن عمر . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٨) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٠٣) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٢) .

(٢) سورة المرسلات ، الآية (١١) وهذه قراءة أبي عمرو البصري ، وقرأ أبو جعفر " وقِتت " بالتخفيف ، وقرأ الباقون " أُقِّتت " بالهمزة . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٦٠) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٤٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٥٥) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٧٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٦ – ٣٩٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٢٢) قال أبو حيان في البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) " وليس كما ذكر ، بل في ذلك تفصيل ؛ وذلك أن الواو المضمومة قد تكون أولا أو حشوا أو آخرا ولكل منها أحكام ، وفي بعض ذلك خلاف ، وتفصيل مذكور في كتب النحو " ثم قال أبو حيان معقبا على قول المازني : " وهذا تكثير وتبجح " . ونقل السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٨) قولين عن المازني في ذلك : أحدهما : القياس ، والثاني : قصر ذلك على السماع . ثم قال السمين معقبا : "ولم يبرح العلماء يذكرون النظير مع نظيره ، ولما ذكر قلب الهمزة باطراد عند الجميع ، ذكر قلبها بخلاف " .

(٤) وقرأ بها أيضا أبو إياس والعتكي عن أبي عمرو . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٦) ، الدر المصون ، للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٨) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٢).

وكلهن من قولهم إلا الثنتين الآخرتين . ﴿وأن المساجد لله ﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ﴾ومن فتح كلهن[١] فعطفا على محل الجار والمجرور في قوله : ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ فكأنه قيل : صدقناه وصدقنا أنه ﴿تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا ﴾وكذلك البواقي .

﴿نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾جماعة منهم ما بين الثلاثة إلى العشرة . وقيل : كانوا من قبيلة من الجن من الشيصبان[٢] وهم أكثر الجن عددا ، وعامة جنود إبليس منهم .

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا﴾أي: قالوا لقومهم حين رجعوا إليهم ؛ كقوله : ﴿فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾[٣] .﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الإعجاز . و﴿عَجَبًا﴾ مصدر يوضع موضع العجب وفيه مبالغة وهو ما خرج من حد أشكاله ونظائره .﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ يدعو إلى الصواب . وقيل : إلى التوحيد والإيمان . الضمير في " به " للقرآن ، ولما كان الإيمان به إيمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا : ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ أي : ولن نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك به في طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله تعالى ؛ لأن قوله " بربنا " يفسره ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته، من قولك : جد فلان في عيني ، أي : عظم .

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾

وفي حديث عمر ﷺ : " كان الرجل منا إذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا " وروي : " في أعيننا " [٤].

---

(١) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وخلف بفتح الهمزة في المواضع كلها ، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسرها في المواضع كلها ، وفتحها أبو جعفر في ثلاثة مواضع " وأنه تعالى – وأنه كان يقول – وأنه كان رجال " . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٧) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٤) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٢٧) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٢) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩١).

(٢) **الشيصبان** : الذكر من النمل ويقال : هو جحر النمل ، وقيل : هو الشيطان الرجيم ، والشيصبان والبلأز والجلأز والجان والقاز والخيتعور كلها من أسماء الشيطان . والشيصبان : أبو حي من الجن . لسان العرب (شصب).

(٣) سورة الأحقاف ، الآية (٢٩).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣) وقال الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٦) غريب . وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٨) لم أره عن عمر بل هو عن أنس .

أو ملكه أو سلطانه أو غناه أو من الجد الذي[١] هو الدولة والبخت ؛ لأن الملوك والأغنياء هم المجدودون ، والمعنى : وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد وذلك لعظمته أو لسلطانه أو ملكوته أو لغناه [٢].

وقوله : ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لذلك . وقرئ " جِد ربنا " بالكسر [٣] أي : صدق ربوبيته ، وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد (٣١٥/ ب) والإيمان نبهوا على الخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه ، واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه .

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ ﴾

سفيههم : إبليس – لعنه الله – أو غيره من مردة الجن . والشطط : مجاوزة الحد في الظلم وغيره . ومنه : أشط في السوم إذا بعد فيه أي : يقول قولا هو في نفسه شطط ؛ لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله . وكان في ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري عليه بما ليس بحق ، وكنا نصدقهم فيما أضافوا إليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم . و" كذبا " : قولا كذبا أي : مكذوبا فيه ، أو نصب نصب المصدر ؛ لأن الكذب نوع من القول . ومن قرأ : " أن لن تقوَّل "[٤] وضع " كذبا " موضع " تقولا " ، ولم يجعله صفة ؛ لأن التقول لا يكون إلا كذبا .

---

(١) في الأصل : التي . والمثبت هو الصواب وهو ما في الكشاف أيضا .

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣).

(٣) قرأ بها عكرمة وأبو حيوة ومحمد بن السميقع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٤٨) ، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٩١) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٠٤) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣).

(٤) قرأ بها الحسن والجحدري ويعقوب . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٩١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٢٣).

الرهق : غشيان المحارم ، والمعنى : أن الإنس باستعاذتهم بهم زادوهم كفرا وكبرا ، وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره ، وخاف على نفسه قال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ، يريد الجن وكبيرهم ، فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا : سدنا الجن والإنس ، فذلك رهقهم . أو : فزاد الجن الإنس رهقا بإغوائهم وإضلالهم ؛ لاستعاذتهم بهم . ﴿وَأَنَّهُمْ﴾وأن الإنس ﴿ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ هو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض . وقيل : الاثنان من جملة الوحي ، والضمير في ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟﴾ للجن ، والخطاب في " ظننتم " لكفار قريش .

اللمس : المس ، فاستعير للطلب ؛ لأن الماس طالب متعرف ، يقال : لمسه والتمسه وتلمسه ، كطلبه واطّلبه وتطلبه .﴿مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ﴾الأبرار المتقون . ﴿وَمِنَّا﴾ قوم ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ محذوف الموصوف ؛ كقوله : ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [1]. ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أي : ذوي مذاهب مختلفة . أو كنا في اختلاف أقوالنا مثل الطرائق المختلفة . والقدة : فعلة من قطع .

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وأن المساجد لله فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾

﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿هَرَبًا﴾حالان ، أي : لن نعجزه كائنين في الأرض وهاربين . ﴿لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾القرآن فهو غير خائف ، ولولا ذلك لقيل : فلا يخف ، وفائدة العدول عن : لا يخف أنه يصير بتقدير ما ذكرناه أخيرا أن من يؤمن بربه فهو لا يخاف وهو حقيق بالأمن لا محالة . ﴿بَخْسًا﴾أي : جزاء بخس أو رهق ، ولا يخاف رهقا وفيه دليل على أن حق من آمن بالله (٣١٦/ أ) أن يجتنب المظالم ، قال النبي ﷺ : " المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم "[2].

---

(١) سورة الصافات ، الآية (١٦٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٣٧٩) ، والترمذي رقم (٢٦٢٧) ، والنسائي (٨/ ١٠٤) ، وابن حبان في صحيحه رقم (١٨٠) ، والحاكم في المستدرك (١/ ١٠) عن أبي هريرة ﷺ .

ويجوز أن يراد : فلا يخاف أن يبخس ولا أن يرهق .﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الكافرون الجائرون عن طريق الحق . ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ " أن " مخففة من الثقيلة وهي داخلة في صلة ما أوحي إلى الجن . وأوحي إلي أن الشأن والطريق لو استقام أبو الجن على ما كان عليه من العبادة في السماء ولم يستنكف عن السجود لآدم لُمطِروا وأخصبوا .

قال عمر بن الخطاب ﷺ : " حيث كان الماء كان المال ، وحيث كان المال كانت الفتنة "[1]. فذلك معنى قوله : ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾فسقيهم الماء الغدق فتنة ولذلك قال – سبحانه – : ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فجعل بسط الرزق وكثرة الماء سببا للفتنة .

﴿عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ عن عبادته أو موعظته أو وحيه .﴿يَسْلُكْهُ﴾ندخله ﴿عَذَابًا﴾ والأصل : نسلكه في عذاب ، تعدى إلى مفعولين إما بحذف حرف الجر وإما على تعديه كما يعدى بالهمزة . الصعد : مصدر من صعد صَعودا وصُعودا . والصعود : بفتح الصاد : ما يصعد به، وبضمها : المصدر . ﴿وأن المساجد لله﴾من جملة ما أوحي ، أو بحذف حرف الجر ، أي : ولأن المساجد لله فلا تجعل فيها إلا الذكر والعبادة ؛ لأنه بيت الله فينبغي أن يجرد للذكر والتوحيد ولذلك قال : ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾

وقيل : المراد : المسجد الحرام ؛ لأنه قبلة المساجد . قيل : كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله ، فأمرنا إذا دخلنا أن نخلص الدعوة لله . وقيل : المساجد : الأعضاء السبعة المذكورة في قوله ﷺ : " أمرت أن أسجد على سبعة آراب "[2]. وهي الجبهة والركبتان والقدمان واليدان . وقيل : هو جمع مسجد وهو السجود .

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢١)﴾

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١١٥) ، وأبو بكر القرشي في كتاب إصلاح المال (١/ ٣٠) رقم (٤٠).

(٢) رواه البخاري رقم (٨١٢) ، ومسلم رقم (٤٩٠) ، وأحمد (١/ ٢٢١) ، وأبو داود رقم (٨٨٩) ، والترمذي رقم (٢٧٣) ، والنسائي (٢/ ٢٠٨) ، وابن ماجه رقم (٨٨٤) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعني النبي ﷺ وإنما عدل عن قوله : رسول الله أو النبي إلى قوله : " عبد الله " ؛ لأن هذا المكان مكان تواضع ومذلة فكان الاسم الذي هو عبد الله الدال على العبودية أحق بهذا المقام ، أو لأن المعنى أن الجن لما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ في صلاة الصبح وركوعه وسجوده وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده عجبوا وابتهجوا بحسن ما سمعوا وتزاحموا وتراكموا عليه معظمين ومتعجبين بحسن الوحي . وقيل : المراد الكفار لما رأوا استقامة أمر رسول الله ﷺ (٣١٦/ ب) وخالفوا كثيرا من العرب أن يكونوا معهم ليقاتلوا رسول الله كاد الكفار يزدحمون عليه ويقتلونه .

اللبد : جمع لبدة . وعن قتادة : تلبدت الإنس والجن على أن يطفئوا هذا الأمر فأبى الله إلا أن ينصره [١] . ومن قرأ " وإنه " بالكسر [٢] . جعله من كلام الجن ، قالوه لقومهم حين رجعوا إليهم . قال للمتظاهرين عليه : ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي﴾ يريد : ما أتيتكم بشيء بدع إنما أعبد ربي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أو قال الجن ذلك لقومهم حكاية عن النبي - ﷺ . ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ ولا نفعا أو أراد بالضر : الغي ، والمعنى : لا أستطيع لكم ضرا ولا نفعا فإن الله هو الفاعل لذلك . ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ استثناء منه أي : لا أملك إلا البلاغ .

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي﴾ الآيات بيان لكونه لا يملك جلب نفع ولا دفع ضر إلا أن يريد الله ذلك . ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملاذا يأوي إليه . والملتحد : الملجأ . وقيل : بلاغا : بدل من ملتحدا ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾: عطف على " بلاغا " والمعنى : لا أملك إلا التبليغ والرسالات .

﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١٨/٢٩) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٨/٨) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة .

(٢) قرأ نافع وعاصم في رواية شعبة عنه " وإنه لما قام " بالكسر ، وقرأ الباقون بالفتح . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٥٢) ، تفسير القرطبي (١٩/ ٢٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٣٨٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٦) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٠) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٢).

وقوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ ؛ كقوله: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ (١). أي: براءة كائنة من الله، ولا يمكن أن يكون متعلقة بـ " براءة من الله ورسوله " كذلك " إلا بلاغا " كائنا من الله، وتعلق "حتى" بقوله: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾. ﴿رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ من يوم بدر أو من يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حينئذ يوم القيامة أو يوم بدر ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من أمر يوم القيامة أو النصرة عليكم. أي: لا أعلم إلا ما علمني الله، وهو غيب لا أطلع عليه. وإني لا أدري أقريب أمد الساعة أو بعده.

﴿أَمَدًا﴾ غاية أي: هو عالم الغيب. ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾ فلا يطلع، و﴿مِن رَّسُولٍ﴾ تبيين لمن ارتضى. قال الزمخشري: " وفيه دليل على إبطال الكرامات والكهانة والنجوم، وادعى أن الله خص الأنبياء بالمعجزات؛ ليدل على صدقهم ولم يجعل للأولياء شيئا، وفساد هذا لا يخفى دليلا ومشاهدة (٢).

﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ﴾ يدي من ارتضى للرسالة. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ أي: حفظة. وعن الضحاك: ما بعث الله نبيا إلا معه جماعة من الملائكة يحفظونه من الشياطين (٣).

﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وحَّد أولا على اللفظ، ثم جمع على المعنى.

---

(١) سورة التوبة، الآية (١).

(٢) الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٢) قال الإمام البيهقي في كتاب الاعتقاد (١/ ٣٠٧) باب القول في كرامات الأولياء: " قال الله عز وجل في قصة مريم عليها السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال في قصة سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ﴾ وآصف لم يكن نبيا، وإنما لا يجوز ظهور الكرامات على الكاذبين فأما على الصادقين فإنه يجوز ويكون ذلك دليلا على صدق من صدقه من أنبياء الله عز وجل وقد حكى نبينا ﷺ من الكرامات التي ظهرت على جريج الراهب والصبي الذي ترك السحر وتبع الراهب والنفر الذين آووا إلى غار من بني إسرائيل فانحطت عليهم الصخرة، وغيرهم ما يدل على جواز ذلك. وقد ظهر على أصحابه في زمانه، وبعد وفاته ثم على الصالحين من أمته ما يوجب اعتقاد جوازه وبالله التوفيق ". وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ٣٨٣): " والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقا، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء ".

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٢٢).

﴿وَأَحَاطَ﴾ بما عند الرسل من الحكم والشرائع . ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ من القطر والرمل (٣١٧/ أ) وورق الأشجار وزبد البحر . و﴿عَدَدًا﴾ حال ، أي : وضبط كل شيء ، أو مصدر في معنى " أحصى " .

* * *

# تفسير سورة المزمل [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾﴾

كان رسول الله ﷺ قد تلفف في قطيفة له ، وهو المتزمل . وهو سبب لاستثقال النوم ، فقيل له : إنك مأمور بدعوة الخلق وهذا النوم الذي ثمته ليس بنوم من يهمه أمر ، فقم الليل وابذل الدعاء وأنشدوا [ من الكامل ] :

أَوْرِدَها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمِلْ    ما هكذا تُوردُ يا سَعْدُ الإبِلْ[١]

وقال ذو الرمة : [ من الطويل ] :

وداءٍ تخطَّتْ ناقتي منْ مَفازةٍ    ومِنْ نائمٍ عنْ ليلِها مُتَزَمِّلِ[٢]

وأمر أن يختار على الهجود التهجد ، وعلى التزمل التجرد ، ولا جرم أن الصحابة

---

(١) ينسب هذا البيت لعلي بن أبي طالب ﷺ وله قصة. **ينظر في** : غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٥٢٩) ، غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٤٧٧) ، لسان العرب (شرع) ، والقصة رواها البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٤) عن أبي عبيد بن سلام قال : سافر رجل مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا، فاتهم أهله أصحابه، فرفعوهم إلى شريح، فسألهم البينة على قتله، فارتفعوا إلى علي ﷺ وأخبروه بقول شريح فقال علي ﷺ : "أوردها سعد وسعد مشتمل يا سعد لا تروي بها ذاك الإبل" ، ثم قال : إن أهون السقي التشريع . قال : ثم فرق بينهم وسألهم فاختلفوا ثم أقروا بقتله فأحسبه قال : فقتلهم به . قال أبو عبيد : حدثنيه رجل لا أحفظ اسمه عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن علي ﷺ قال أبو عبيد : قوله أوردها سعد وسعد مشتمل هذا مثل يقال إن أصله أن رجلا أورد إبله ماء لا تصل إلى شربه إلا بالاستقاء ثم اشتمل ونام وتركها يقول : فهذا الفعل لا تروي به الإبل . وقوله : إن أهون السقي التشريع هو مثل أيضا يقول إن أيسر ما ينبغي أن يفعل بها أن يمكنها من الشريعة. أو الحوض يقول : إن أهون ما كان ينبغي لشريح أن يفعل أن يستقصي في المسألة والنظر والكشف عن خبر الرجل حتى يعذر في طلبه ولا يقتصر على طلب البينة فقط ".

(٢) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٥٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٠١) ، ديوان ذي الرمة (ص : ٦٠٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٣٤) ويروى : وكائن تخطت ناقتي ...

اجتهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيما في وجوههم حتى رحمهم الله وخفف عنهم قيام الليل كله . وقيل : كان متلففا في مرط لخديجة تصلي فيه ، فهو على هذا ليس للتهجين بل هو ثناء عليه بالاجتهاد ، وأمر بأن يدوم على ذلك ، ويواظب عليه . وقد سئلت عائشة -رضي الله عنها- ما كان متزملا به ؟ فقالت : " مرط طوله أربعة عشر ذراعا ، والله ما كان من خزٍّ ولا مَرْعزّي[1] ولا صوفٍ ، كان سُداه شعرا ولحمته وبرا "[2] . وقيل : دخل على خديجة أول ما نزل عليه جبريل فدخل يرجف وبوادره ترعد فقال : زملوني. فزملوه فنزلت ، فبينا هو على تلك الحال ناداه جبريل [3]. وقيل : زمل أمرا عظيما ، أي : حُمِّله . والزمل : الحمل ، وازدمله : احتمله.

قوله : ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾ بدل من الليل و﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ استثناء من النصف ، خير بين أمرين : أحدهما : أن يقوم نصف الليل وأن يقوم أقل منه ، وإن شئت جعلته بدلا من " قليلا " وكان مخيرا بين ثلاثة أمور : أن يقوم نصف الليل بكماله ، أو ينتقص منه قليلا ، أو يزيد عليه قليلا ، ثم إن شئت جعلت الهاء في " نصفه " عائدة إلى النصف ، فيكون مخيرا بين النصف والربع والزيادة على الربع ، ويجوز أن تجعل الزيادة تتمة الثلث ؛ لكونها مطلقة ويجوز أن تجعل الزيادة تتمة الثلث ، فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع .

فإن قلتَ : أكان القيام فرضا أم لا ؟ قلتُ : عن عائشة – رضي الله عنها – : " إن الله جعله (٣١٧/ ب) تطوعا بعد أن كان فريضة "[4]. وقيل : كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ثم نسخ بهن إلا ما تطوعوا به . وعن الحسن : كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة [5]. وقيل : كان واجبا وإنما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ

---

(١) المرعزى والمرعزاء والمرعزى والمرعزاء : اللين من الصوف ، وحكى الأزهري المرعزى : كالصوف يخلص من بين شعر العنز . **ينظر** : لسان العرب (رعز).

(٢) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/١٠٧) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٨) للبيهقي في الدعوات . وقال الزيلعي : غريب .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/٦٣٦) ، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف (٤/١٠٨) : غريب .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٤/٦٣٧).

(٥) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٢٢) لعبد بن حميد عن الحسن رحمه الله .

بعد عشر سنين . وقيل : كان الرجل منهم يقوم الليل كله يقول : ما أدري متى النصف أو الثلث . ومنهم من قال : كان نفلا ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾[1] . ولأنه غير مقدر فهو دليل التطوع ، ولو كان فرضا لكان مقدارا كسائر الفروض .

ترتيل القرآن : قراءته على غير استعجال بتبيين الحروف ، وإشباع الحركات حتى يصير المتلو منه يشبه الثغر الرتل ، وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان ، وألا يهذّه هذًّا[2] ولا يسرده سردا كسرد الشّعر . قال عمر ﷺ : " شر السير الحقحقة ، وشر القراءة الهذرمة "[3].

وسئلت عائشة – رضي الله عنها- عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت : " لا كسردكم هذًّا كهذِّ الشّعر ، لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدَّها "[4].

﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾

﴿قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾القرآن لما فيه من الأوامر والنواهي والتكاليف كثيرة المشقة على المكلفين وهو بهذا الاعتراض ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التي ورد فيها القرآن ؛ ولأن الليل وقت الراحة ، فلابد لمن أحياه من السهر المضاد لطبيعته ، ومجاهدة نفسه . وقيل: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي ثقل عليه ، وتربد له وجهه[5] . وينزل عليه الوحي

---

(١) سورة الإسراء ، الآية (٧٩).

(٢) **الهذ والهذذ** : سرعة القطع وسرعة القراءة ، هذ القرآن يهذه هذا يقال : هو يهذ القرآن هذا و يهذ الحديث هذا أي يسرده . **ينظر** : لسان العرب (هذذ).

(٣) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (١٠٨/٤) لابن عدي ، وقال الزيلعي : غريب . والحقحقة : المتعب من السير . وقيل : هو أن تحمل الدابة على مالا تطيقه . وقال أبو عبيد بن سلام: الحقحقة وهو أن يلح في شدة السير حتى تقوم عليه راحلته أو تعطب فيبقى منقطعا به. وهذا مثل ضربه للمجتهد في العبادة حتى يحسر . والهذرمة : السرعة في الكلام والمشي ويقال للتخليط: هذرمة ، والهذرمة : كثرة الكلام ورجل هذارم وهذارمة كثير الكلام ، وهذرم الرجل في كلامه هذرمة : إذا خلط فيه ، ويقال هو السرعة في القراءة والكلام والمشي. **ينظر** : غريب الحديث لأبي عبيد (٣٨٨/٤) ، لسان العرب (هذرم)، النهاية في غريب الأثر (٤١٢/١ ، ٢٥٥/٥) ، لسان العرب (هذرم).

(٤) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (١٠٨/٤) وقال : غريب .

(٥) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٧٦/٨) للطبراني عن ابن عباس . ونسبه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (١٠٩/٤) لأبي داود الطيالسي في مسنده عن ابن عباس وفيه: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي تربد له وجهه وجسده . ومن طريق الطيالسي رواه أبو نعيم في دلائل النبوة. **وتربد**: تغير واحمرَّ.

في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه الوحي ، وإن جبينه ليتفصد عرقا "[١].

﴿ثَقِيلًا﴾ أي : في التنزُّلِ . وقيل : على المنافقين . وقيل: كلام له وزن ليس بالسفساف[٢].

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ النفس التي تُنشئ القيام ، أو قيام الليل مشتق من نشأ : إذا قام ؛ مصدر على فاعلة ؛ كالعاقبة والعافية . وفسرت عائشة الناشئة بالقيام من المضجع فلا تكون ناشئة الليل إلا لمن قام من فراشه إلى الصلاة . وقيل : هي ساعات الليل كلها . ومنهم من كان يقوم بين المغرب والعشاء ويقول : هي ناشئة الليل .﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾هي خاصة دون ناشئة النهار . ﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ أشد موافقة لما يراد من قراءة أو ذكر . وقيل : أشد وطئا : أشد موافقة بين السر والعلانية ؛ لانقطاع رؤية الخلائق ، والمعنى : أنها أشد ثباتا للقدم ، وأبعد من الزلل وأثقل على المكلفين من صلاة النهار ، قال النبي ﷺ : " اللهم اشدد وطأتك على مضر "[٣]. ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ (٣١٨/ أ) وأشد مقاما ، وأثبت قراءة لهدوء الأصوات .

وقرأ أنس : " وأصوب قيلا " ، فقيل له : إنما هي : " وأقوم " ! فقال : إن " أقوم " وأصوب شيء واحد "[٤].﴿سَبْحًا﴾ تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل

---

(١) رواه البخاري رقم (٢) ، ومسلم رقم (٢٣٣٣) ، وأحمد في المسند (٥٨/٦) ، والترمذي رقم (٣٦٣٤) ، والنسائي (١٤٦/٢) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) الأصل في السفساف : ما تهيأ من غبار الدقيق إذا نخل ، يقال : سفسفت الدقيق : إذا تنخلته ثم شبه به الرديء من كل شيء يقال : رجل سفساف ومسفسف : إذا وصفته برقة المروءة ، وكلام سفساف وثوب سفساف : إذا كان هلهل النسج وهو نعت مطرد في كل شيء لم يحكم صنعه . وسفساف الشعر : رديئه ، وشعر سفساف : رديء ، وسفساف الأخلاق : رديئها . **ينظر** : غريب الحديث للخطابي (٣٠٢/١) ، لسان العرب (سفف).

(٣) رواه البخاري رقم (٤٥٩٠) ، ومسلم رقم (٢٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف للزمخشري (٦٣٩/٤) ، والسمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٤٠٤/٦).

فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل .

لما ذكر أن الليل أعون على قيامه أمره بما يفعل فيه بقوله : ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ أي : بالتلاوة والتسبيح والتقديس والحمد والتهليل والاستغفار ودراسة العلم وكانت أوقات رسول الله - ﷺ - مستغرقة في ذلك . ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ﴾ انقطع إليه انقطاعا . والقياس : تبتلا ، فنقل إلى تبتيلا ؛ لمراعاة الفواصل .

الهجر الجميل : أن تفارقهم بالقلب والهوى وتخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة . وعن أبي الدرداء : " إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتقليهم "[1]. وقيل : هو منسوخ بآية السيف[2].

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ إذا رأيت شخصا قد جنى عليك فقال من يريد نصرتك : ذرني وإياه ، فأنا أكفيكه معناه : لا تتعب أنت في دفعه ، فإني أفعل كلما يدفعه عنك فلا يكون في التهديد أبلغ من ذلك . والنَّعمة بالفتح : التنعيم .

﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ إن عندنا ﴿أَنكَالًا﴾ قيودا ثقالا إذا رفعتهم النار بلهيبها جذبتهم بثقلها إلى أسفل ﴿وَجَحِيمًا﴾ ونارا مشتعلة . ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ من غير هذا الجنس لا يعلمه إلا الله .

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بما في " لدينا " والرجفة : الزلزلة والزعزعة الشديدة . والكثيب من الرمل : المجتمع ، تقول : كثب الشيء : إذا جمعه ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، أي : مكثوب ، أي : كانت الجبال مثل الكثيب من الرمل أهيل هيلا ، أي : نثر وأسيل .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقا قبل رقم (٦١٣١) عن أبي الدرداء ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٢/ ١٦٠): وصله ابن أبي الدنيا. وإبراهيم الحربي في غريب الحديث والدينوري في أعماله ، ونسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (٤/ ١١٠) للبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) آية السيف هي الآية (٢٩) من سورة التوبة قال تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا﴾الخطاب لأهل مكة . ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم . فإن قلتَ : لم نكر الرسول ثم عرف ؟ قلتُ : لأنه أراد أرسلنا إلى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف إشارة إلى المذكور بعينه . ﴿وَبِيلٗا﴾ ثقيلا غليظا من قولهم : كلأ وبيل : وخم لا يستمر لثقله . والوبيل : العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم﴿يَوۡمٗا﴾ مفعول به ، أي : فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله إن بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا ولم تعملوا صالحا . ويجوز أن يكون ظرفا ، أي : فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا . ويجوز أن ينتصب بـ " كفرتم " (٣١٨/ ب) على تأويل جحدتم ، أي : فكيف تتقون الله وتخشونه إن جحدتم يوم القيامة والجزاء ؛ لأن تقوى الله خوف عقابه

و﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد : يوم تشيب نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان أسرع فيه الشيب .

قال أبو الطيب : والهَمُّ يخترِمُ الجسيمَ نحافةً ويشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويهرمُ[(١)]

وقد روي في بعض الكتب: أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال : رأيت القيامة والجنة والنار في المنام ، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار ، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون[(٢)] . ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون فيه أيام الشيخوخة والشيب .

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾﴾

---

(١) **ينظر في** : الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤١) ، فيض القدير للمناوي (٤/ ١٦٨) ، يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر لأبي منصور الثعالبي (ص : ٤٢٦).

(٢) ذكرها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٢).

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ وصف اليوم بالشدة أيضا ، وأن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه ، فما ظنك بغيرها من الخلائق . قرئ " منفطر " و " متفطر "[1] والمعنى : ذات انفطار ، أو على تأويل السماء بالسقف ، والسماء شيء منفطر به مثلها في قولك : فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني : أنها تنفطر بشدة هول ذلك اليوم كما ينفطر الشيء بما ينفطر به ، ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالا يؤدي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله :﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [2]. و﴿وَعْدُهُۥ﴾ من إضافة المصدر إلى المفعول ، والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل وهو الله – تعالى ولم يجر له ذكر ؛ لكونه معلوما﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ الآيات الناطقة بالوعيد الشديد ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ﴾ اتعظ بها ، واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل إليه : التقرب والتوسل بالطاعة .﴿أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ﴾ أقل منهما ، وإنما استعير الأدنى وهو الأقرب للأقل ؛ لأن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الأحياز ، وإذا بعُد كثر ذلك . وقرئ : " ونصفه وثلثه " بالنصب[3] على أنك تقوم أقل من الثلثين ، وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما في أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه(٣١٩/ أ) وبين قيام الناقص منه وهو الثلث ، وبين قيام الزائد عليه وهو الأدنى من الثلثين . ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ وذلك شاق عليكم . ﴿عَلِمَ﴾ استئناف على وجه النسخ . ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ يعني : المفروضات . وقيل : زكاة الفطر ؛ لأنه لم يكن بمكة زكاة . ومن جعلها زكاة مفروضة جعل آخر السورة مدنيا[4] .

﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ يريد أداء الصدقات المفروضة والنفل على أحسن الوجوه ، من أطيب المال وأحله ، ومراعاة النية وابتغاء وجه الله ، واختيار الفقير الصالح المحتاج ، وزمان الحاجات ؛ الفاقة والقحط .

---

(١) تنظر في : الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤٢).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٧٨).

(٣) قرأ بها عاصم وحمزة والكسائي وابن كثير وخلف ، وقرأ الباقون " ونصفِه وثلثِه " بالكسر .
تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٦٦) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣١) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٨) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٣).

(٤) نسب السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١١) لابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال نزلت : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بمكة . ونسب لابن مردويه عن ابن الزبير مثله ، وللنحاس عن ابن عباس قال : نزلت سورة المزمل بمكة إلا آيتين : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾.

# تفسير سورة المدثر [ مكية ]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ (١) قُمۡ فَأَنذِرۡ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ (٤)﴾

﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ لابس الدثار ، وهو ما فوق الشِّعار ، والشِّعار : الثوب الذي يلي الجسد ، وفي الحديث ، قال النبي ﷺ : " الأنصار شِعار ، والناس دِثار "[1]. وأدغمت التاء في الدال في " المدثر " ؛ كما أدغمت التاء في الزاي في " المزمل " .

وقيل : هي أول سورة نزلت . وعن الزهري : أول ما نزل ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[2] ثم انقطع الوحي ، فحزن رسول الله ﷺ وكان يصعد على رؤوس الجبال ، فيهمّ أن يلقي نفسه ، فيعترضه جبريل فيقول : لا تفعل ؛ فأنت رسول الله "[3]. وقيل : سمع من قريش ما يكرهه ، فاغتم فتدثر ، فنزلت ، فأمر ألا يدع إنذارهم . ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أي : من النجاسات واجباً في الصلوات ، ومستحبا في غيرها . وقيل : وطهر ؛ أي : فقصر ، وكانت العرب يجرون ذيلهم وراءهم ، فنهوا عن ذلك . وقيل : أمر بتطهير النفس من سوء الأخلاق ، وجميع المكروهات ؛ لأن الثوب يلابس الإنسان ، ويشتمل عليه ، فيعبر عنه به ، ويبدل منه بدل الاشتمال ، فيقول : أعجبني زيد حسنُه ، وأعجبني زيد عقله ، وأعجبني ثوبه . ويقولون : المجد في ثوبه ، والكرم تحت حُلّته ؛ ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته .

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ (٥) وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ (٧) فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٍ

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٣٣٠) ، ومسلم رقم (١٠٦١) ، عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه .

(٢) سورة العلق ، الآيات (١ – ٥) قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم (٢/٢٠٧) : " قوله : إن أول ما أنزل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ضعيف بل باطل ، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ كما صرح به فى حديث عائشة – رضي الله عنها- وأما ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به فى رواية الزهري عن أبى سلمة عن جابر والدلالة صريحة فيه ، ثم قال : فالصواب أن أول ما نزل " اقرأ " وأن أول ما نزل بعد فترة الوحي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ وأما قول من قال من المفسرين : أول ما نزل الفاتحة فبطلانه أظهر من أن يذكر والله أعلم " .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/١٤٣) .

﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١﴾

﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ العذاب ﴿عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ﴾[1]. والمعنى الثبات على هجره ؛ لأنه كان بريئاً منه . والرجس - بالسين - : الشيء المبعد ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ﴾[2] ﴿تَسۡتَكۡثِرُ﴾ مرفوع ، منصوب المحل على الحال ؛ ولا تعط شيئا ؛ لتأخذ أجود منه ، فيكون نهيا لرسول الله ﷺ (٣١٩/ب) خاصة أن يفعل ذلك ؛ لأن الله اختار له أشرف الأخلاق والآداب ، أو يكون نهي تنزيه لا تحريم . وقرئ " تستكثر " بالجزم[3] وفيه وجوه : أحدها: أن يكون بدلاً من " تمنن " ، وأن يشبه ثرو بعضد[4] فيسكن تخفيفاً ، وأن يعتبر حال الوقف . ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ أي : اجعل الصبر لوجه الله ، ولا تكن كالذي قال [من الكامل]:

وتجلُّدي للشامتينَ أُريهمُ　　　أني لريَبِ الدهرِ لا أتَضَعْضَعُ[5]

قيل : فاصبر على أذى الكفار . وقيل : في مواقف القتال . فبين يديهم يوم عظيم يلقون فيه عاقبة أذاهم ، وتلقى فيه عاقبة صبرك والفاء في " فذلك " للجزاء ، فوقت النقر في الناقور يجيء يوم عسير شديد على الكافرين . والنقر في الناقور : النفخة الأولى . وقيل : الثانية . ويجوز أن يكون " يومئذ " مبنيا مرفوع المحل بدل من " ذلك " . و﴿يَوۡمٌ عَسِيرٌ﴾ خبر ، كأنه قيل : فيوم النقر عسير . فإن قلتَ : ما فائدة قوله :﴿غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ وعسير مغن عنه؟ قلتُ : لما قال : ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فقصر العسرعليهم قال : ﴿غَيۡرُ يَسِيرٖ﴾ ؛ ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم . ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى يسره كما يرجى يسر كثير من العسر في الدنيا . ﴿وَحِيدٗا﴾ حال من الله - تعالى - وفيه معنيان : أحدهما : ذرني وحدي معه فأنا

---

(١) سورة سبأ ، الآية (٦).

(٢) سورة الحج ، الآية (٣٠).

(٣) قرأ بها الحسن وابن أبي عبلة . **ينظر** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٧٢) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤١٢) ، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٢٥) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤٦) ، المحتسب لابن جني (٢/ ٣٣٧) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠١).

(٤) **في الأصل** : يشبه بعضد ، والمثبت كما في الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٤٦) وأن يشبه ثرو بعضد .

(٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة الطور .

أجزيه . والثاني : خلقته وحدي لم يشاركني في خلقي أحد . أو حال من المخلوق ، أي : خلقه وحيدا لا مال له ولا جاه ولا قدرة ؛ كقوله : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] . وقيل : نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان قومه يلقبونه بالوحيد ، ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فإن كان ملقبا به قبل ، فهو تهكم به وبلقبه الذي كانوا يقصدون به تعظيمه ورياسته وتقدمه في الدنيا ، فنقل إلى وجه الذم والعيب فإنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد .

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾﴾

﴿مَّمْدُودًا﴾ مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنعماء ، من قولهم : مد النهر وأمده نهر آخر وكان له الزرع والضرع والتجارة . وقيل : كان له ما بين مكة والطائف مختلف الأنواع . وقيل : كان بستانا بالطائف لا تنقطع ثماره صيفا ولا شتاء . وقيل : كان له عشرة آلاف مثقال . وقيل : ألف ألف .

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ حضورا معه بمكة لا يفارقونه لسفر ولا تجارة (٣٢٠/ أ) لأنهم كان لهم كفاة يقومون بمصالحهم . ويجوز أن يكون معناه : أن له بنين يشهدون معه المحافل ويحضرون في معاظم الأمور . وقيل : كان له عشرة أولاد ذكور . وقيل : ثلاثة عشر ذكورا خاصة ، فمنهم خالد بن الوليد وعمارة وهشام . ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُ﴾ وبسطت له الجاه العريض والرياسة وأتممت عليه نعمتي بالجاه والمال والأولاد .

كان الوليد من أكابر قريش وكان يقال له الوحيد وريحانة قريش . ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ﴾ استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه . يعني : أنه لا مزيد له على ما أعطي . ونقلوا أنه لم يتجدَّد مال ولا ولد بعد هذه الآية ، وهي قوله - تعالى - : ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا﴾ (وكان يقول : إن محمدا صادقا فما خلقت الجنة إلا لي . ﴿كَلَّا﴾ ردع لرجائه وطمعه . ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال : لم لم يزد ؟ فقيل له : إنه معاند لآيات الله وغير شاكر لنعمه ، ومن فعل ذلك لم يستحق المزيد . ﴿سَأُرْهِقُهُ﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من أنواع العذاب . وعن النبي ﷺ : " يكلف أن يصعد عقبة في

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩٤).

النار كلما وضع يده عليها ذابت ، فإذا رفعها عادت ، وإذا وضع رجله ذابت ، وإذا رفعها عادت "[١]. وعنه : " الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه أبدا "[٢].

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠﴾

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ تعليل للوعيد كأن الله عاجله بالفقر بعد الغنى في الدنيا ، وأعد له في الآخرة عذابا عظيما لطغيانه وتكذيبه وقوله في القرآن : ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ ويجوز أن يكون كلمة الردع متبوعة لقوله : ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق إلا له ، وإخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا ويكون قوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ بدلا من قوله : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا﴾ ومعناه : إنه فكر ماذا يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقول . ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه المخزومية الغرض الذي كان تنتحيه قريش ، أو ثناء عليه على سبيل الاستهزاء وهو حكاية لما كرره من قولهم : ﴿قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ تهكما بهم وبإعجابهم بتقديره . ومعنى قول القائل : قاتل الله فلانا ما أشجعه. أنه وصل إلى حد يحق فيه أن يقال : قاتله الله .

روي أن الوليد قال لبني مخزوم : والله لقد (٣٢٠/ ب) سمعت من محمد كلاما ما هو بشعر ولا كهانة ولا من كلام الجن ولا الإنس ، وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه . فقالت قريش : صبأ والله الوليد ، والله لتصبون قريش كلها ، فقال أبو جهل : أنا أكفيكموه. فقعد إليه حزينا فقام فأتاهم فقال : أتزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق ؟ وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا ؟ وتزعمون أنه كذاب فهل رأيتم عليه كذبا ؟ فأجابوه بقولهم : اللهم لا. في كل فعل ذكره ، ثم قالوا : فما تقول ؟ ففكر ثم قال : ما هو إلا سحر يؤثر ؛ أما رأيتموه يفرق بين المرء وزوجه وولده وأهله ؟! وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل ، فارتج النادي فرحا ، وتفرقوا متعجبين من قوله "[٣].

---

(١) نسبه الزيلعي في تخريج الكشاف للزمخشري (٤/ ١٢٠) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف للزمخشري (ص : ١٧٩) للبزار والطبراني في الأوسط والبيهقي في البعث والنشور والطبري وابن أبي حاتم .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٧٥) ، والترمذي رقم (٢٥٧٦) ، والحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٧) ، وقال الترمذي : غريب وفي سنده ابن لهيعة ، وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٤٧٣).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٠٦) ، والواحدي في أسباب النزول (ص : ٤٦٨) رقم (٨٤٢) ، =

﴿ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ وجوه الناس ، ثم قطب وجهه ، ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء . وقيل : قدر ما يقوله ، ثم نظر فيه ، ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل وقيل : قطب في وجه رسول الله ﷺ ثم أدبر عن الحق واستكبر عنه ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾: عطف على ﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ والدعاء : اعتراض بينهما وهو ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾. فإن قلتَ : ما معنى دخول " ثم " في هذه الآيات ؟ قلتُ : لاستبعاد ما أتى به الوليد فجعل بعده عن الحق بمنزلة بعد المسافة . ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ بدل من قوله" سأرهقه " ﴿لَا تُبْقِي﴾ شيئا إلا أهلكته ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ هالكا حتى يعاد . ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ من لاحته الشمس تلوحه : إذا غيرته أي : مغيرة للخلق . ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ أي : يلي أمرها تسعة عشر ملكا . وقيل : تسعة عشر صفا . جعلهم ملائكة ولم يجعلهم من جنس غير الملائكة من الجن والإنس ؛ لأن النفس إلى الجنس أميل وإذا كان المعذِّبون ملائكة والمعذَّبون من غير جنسهم لم تأخذهم الرقة عليهم كما لو كانوا من جنس واحد ؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ، فدل على أنهم ليس عندهم محاباة ولا خروج عن عقوبة تكذيبهم ، والملائكة تؤمن غائلتهم[1] في ذلك . وروي أنه لما نزلت ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال أبو جهل : ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم[2] أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم . فقال الأشد بن أسيد – وكان شديد البأس – : أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين (٣٢١/ أ) فأنزل الله- تعالى- :

---

= ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢٨٢) للبيهقي في الدلائل ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(١) **الغائلة** : الحقد الباطن اسم كالوابلة وفلان قليل الغائلة والمغالة ، أي : الشر والجمع : الغوائل وهي الدواهي . والغيلة بالكسر : الخديعة والاغتيال ، وقتل فلان غيلة أي : خدعة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله . **ينظر** : لسان العرب (غول).

(٢) **الدهم** : العدد الكثير ، وقد دهمونا أي : جاءونا بمرة جماعة ودهمهم أمر إذا غشيهم فاشيا .

**ينظر** : لسان العرب (دهم) ، النهاية في غريب الأثر (٢/ ١٤٥).

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ [١]. وذكر أصحاب الأخبار أن أبا الأشد هذا كان يقف على الأديم العكاظي[٢] ويأمر الناس وإن كثروا أن يجذبوا ذلك الأديم من تحت قدميه فلا يستطيعون ، وينقطع الأديم ورجله ثابتة عليه . فإن قلت : قوله : ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهم المنافقون ولا منافق عند نزول هذه السورة ؛ لأنها كلها مكية ، وإنما نجم النفاق وظهر بالمدينة ؟! قلت : معناه : وليقول الذين في قلوبهم مرض في المستقبل من الزمان ؛ لأنه ذكره بلفظة المضارع وهو " يقول " ولو كان بفعل الماضي لعاد مستقبلا بلام " كي " ؛ لأن النواصب تقلب الماضي مستقبلا .

قوله : ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ مثلا : تمييز لـ " هذا " أو حال منه ؛ كقوله :﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [٣] تشبيها بالأمثال المضروبة ؛ لأنهما يشتركان في الأمور المستغربة . ﴿كَذَٰلِكَ﴾ موضع الكاف فيها نصب ، و" ذلك " إشارة إلى قوله ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ ﴿يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ واختصاص كل فرقة منهم بما اختصت به ، كمساواة عقود الأعداد أو النقص عنها أو الزيادة عليها . ﴿وَمَا هِىَ﴾ يعني القيامة ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ وأعداد النصب والكفارات والصلوات . أو ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لعدم الإحاطة بها لكثرتها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ وقوله : ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ معترض وهو متصل بوصف سقر ، و" هي " ضمير سقر أي : ما سقر وصفتها إلا تذكرة للبشر أو ضمير للآيات التي ذكرت فيها .

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ (٣٢) وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦)﴾

﴿كَلَّا﴾ منع لأن تكون ذكرى للكفار . ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ أو ﴿أَدْبَرَ﴾ [٤] صار كأمس

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٥٩).

(٢) نسبة إلى عكاظ وهو سوق للعرب ، وموسم من مواسم الجاهلية ، وكانت قبائل العرب تجتمع بها كل سنة ويتفاخرون بها ويحضرها الشعراء فيتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون . قال : وهي بقرب مكة كان العرب يجتمعون بها كل سنة فيقيمون شهرا يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون فلما جاء الإسلام هدم ذلك لأن العرب كانت تجتمع فيها . **ينظر** : لسان العرب (عكظ).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (٧٣).

(٤) قرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية شعبة وأبو جعفر " دبر " وقرأ نافع وحمزة وحفص عن عاصم والباقون " أدبر " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٧٨) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الحجة لأبي زرعة (ص : ٧٣٣) ، الدر المصون للسمين الحلبي=

[الدابر ][1]. وقيل : هو من دبر الليل والنهار إذا خلفه . كما جمعت فعلة على " فُعَل " جمعت " فعلى " عليها . أي : لإحدى البلايا الكبر . و﴿نَذِيرًا﴾ تمييز من " إحدى " على معنى : إنها لإحدى الأمور العظائم ؛ كما تقول : هي إحدى النساء عفافا .

وقيل : " نذيرا " متصل بأول السورة في قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ﴾ نذيرا ، وهو من بدع التفاسير . وقرئ " نذيرٌ " بالرفع[2] خبر بعد خبر .

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ (٤٠) عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ (٤٢) قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢)﴾

﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ مرفوع بالابتداء . و﴿لِمَن شَآءَ﴾ خبر مقدم عليه ؛ كقولك لمن توضأ أن يصلي . والمراد السبق إلى الخير والتأخر (٣٢١/ ب) عنه . ويجوز أن يكون ﴿لِمَن شَآءَ﴾ بدلا من ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ .

وليست الرهينة تأنيثا لـ " رهين " ؛ لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وإنما هي اسم للرهن ؛ كالشتيمة بمعنى الشتم ؛ كأنه قيل : كل نفس بما كسبت رهن معناه ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فكوا رقابهم بعمل الطاعات واجتناب المعاصي . وقيل : المراد الأطفال ؛ لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها . وقيل : الملائكة ، وتنكير " جنات " لتهويل أمرها . والقياس : يتساءلون المجرمين : ما سلككم ، إلا أن الكلام جيء به على الحذف والاختصار، ونظيره : ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ﴾[3]. والواهب هو الله – تعالى – وإنما هو

---

= (٦/ ٤١٩) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٥٩) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠٤) ، النشر لابن الجزري (٣٩٣/٢).

(١) زيادة من الكشاف للزمخشري (٦٥٣/٤) غير واضحة بالأصل .

(٢) قرأ بها أبي بن كعب وابن أبي عبلة . **تنظر في :** البحر المحيط لأبي حيان (٣٧٩/٨) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٢٠) ، فتح القدير (٥/ ٣٣١) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٣) ، معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٠١).

(٣) سورة مريم ، الآية (١٩).

حكاية قول الله – تعالى . الخوض : الشروع في الباطل وما لا ينبغي . فإن قلتَ : أتريدون أن كل واحد فعل الأمور الأربعة ، أو هذا فعل بعضا وذاك بعضا ؟ قلتُ : تحتمل الأمرين جميعا . واليقين : الموت ومقدماته لم نقبل ؛ لأن الشفاعة إنما تكون لمن ارتضى ، وهؤلاء مغضوب عليهم غير مرضيين . ﴿عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ﴾ عن الموعظة ، يريد : القرآن وغيره من المواعظ . ﴿مُعۡرِضِينَ﴾ نصب على الحال .﴿مُّسۡتَنفِرَةٞ﴾ شديدة النفار ؛ كأنها تستدعي النفار من نفسها في جمعها له وحملها عليه . وقرئ بالفتح[1] وهي المنفرة المحمولة على النفار . والقسورة : جماعة الرماة الذين يتصيدونها .

وقيل : الأسد ، يقال : ليوث قساور وهي فعولة من القسر والإلجاء .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – : القسورة ركز الناس وأصواتهم[2]. وعن عكرمة : ظلمة الليل [3]. وتشبيههم بالحمر تهجين لحالهم ؛ كما في قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾[4] وشهادة عليهم بالبله . ولا ترى مثل نفار حمار الوحش وأكثر ما يشبه العرب إبلهم في سرعة سيرها بحمار الوحش . ﴿صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ أي : نزلت من السماء ببلوغ الكفار ما يتمنون من النجاة ، وذلك أنهم قالوا : ﴿وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥ﴾ [5] فيه اسم كل واحد منا .

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ فلذلك أعرضوا عن التذكرة . قيل : إن القرآن تذكرة بليغة لا

---

(١) قرأ بها نافع وابن عامر وأبو جعفر ، وقرأ الباقون " مستنفِرة " بالكسر .

**تنظر القراءات في :** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٨٠) ، الحجة لابن خالويه (ص : ٣٥٥) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٢٢) ، السبعة لابن مجاهد (ص : ٦٦٠) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٥٦) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٣).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/ ١٧٠) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٣٩) لسفيان بن عيينة في تفسيره وعبد الرزاق وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٥٦).

(٤) سورة الجمعة ، الآية (٥).

(٥) سورة الإسراء ، الآية (٩٣).

تقدر قدرها . ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وإنه يرجع إلى قوله : ﴿إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾[1] . وإنما أنثه ؛ لأن المراد بالتذكرة : الذكر . ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يتذكروا (٣٢٢/ أ) ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أهل أن يتقى ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أن يغفر لمن اتقى .

* * *

(١) سورة الحاقة ، الآية (٤٨).

# تفسير سورة القيامة [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١)﴾

إدخال " لا " النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم ؛ قال امرؤ القيس [ من المتقارب ] :

لا وأبيكِ ابنةَ العامريّ    لا يدَّعي القومُ أنّي أفِرْ [(١)]

وقال غوية بن سلمى [ من الوافر ] :

ألا نادتْ أمامةُ باحتمالي    لتحزُنني فلا بكِ ما أُبالي [(٢)]

وفائدتها : توكيد القسم .وقيل : هي زائدة ؛ كما في قوله:﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾[(٣)].

وفي قوله [ من الرجز ] :

في بئرِ لا حورٌ سرى وما شَعَر .................. [(٤)]

واعترضوا عليه بأنها إنما تزاد في وسط الكلام لا في أوله . وأجابوا : بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض ، والاعتراض صحيح ؛ لأنها لم تقع زائدة ، والجواب غير سديد ، ألا ترى إلى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته . والمعنى: أن الشيء لا يقسم عليه إلا إعظاما له ، يدل عليه قوله : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [(٥)] كأنه يقول: إعظامي لهذا القسم كلا إعظام ، يعني : أنه يستحق فوق ذلك .

---

(١) ينظر البيت في : خزانة الأدب للبغدادي ( ٤/ ٤٨٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٢٤ ) ، ديوان امرئ القيس ( ص : ٦٨ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/٦٥٨ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢/ ٢٧٣ ) ، مغني اللبيب لابن هشام ( ١/ ٤١٤ ).

(٢) ينظر البيت في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨/ ٣٨٤ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٢٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/٦٥٨ ) ، لسان العرب ( أهل ).

(٣) سورة الحديد ، الآية ( ٢٩ ).

(٤) صدر بيت للعجاج وعجزه : بإفكه حتى رأى الصبح حشر . ينظر في : تفسير ابن كثير ( ١/ ٣٠ ) تفسير ابن جرير الطبري ( ١/ ٨١ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٢٤ ) ، ديوان العجاج ( ص : ١٦ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ٢/١٩٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/٦٥٨ ) ، لسان العرب ( حور ).

(٥) سورة الواقعة ، الآية ( ٧٥ – ٧٦ ).

وقيل : إن " لا " رد لأمر سبق لأنهم أنكروا البعث فقيل لهم : لا وجه لإنكاركم إياه ثم قيل : أقسم بيوم القيامة .

﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾

فإن قلتَ : فقوله – تعالى- : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [(١)] . والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي ، فهلا زعمت أن " لا " التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له ، وقدرت المقسم عليه المحذوف عليه ها هنا منفيا كقولك : لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى ؟ قلتُ : لو قصروا الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول وجه ، ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقى ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾بقوله : ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [(٢)] . وكذلك قوله : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أجيب بقوله : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ [(٣)] .

وقرئ : " لأقسم "[(٤)]. على أنه جعل اللام لام الابتداء ، و " أقسم " خبر مبتدأ محذوف معناه : لأنا أقسم . قالوا : ويعضده أنه في الإمام بغير ألف .

﴿بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ هي النفس المتقية التي تلوم نفسها على التقصير أي : في القيامة . وعن الحسن : إن المؤمن لا تراه إلا لائما نفسه ( ٣٢٢/ ب ) وإن الكافر يمضي فيما هو عليه لا يعاتب نفسه [(٥)] . وقيل : هي نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها . وجواب القسم : ما دل عليه وهو قوله : ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾وهو لتبعثن .

وروي أن الأخنس بن شريق قال للنبي ﷺ : " أخبرني عن القيامة كيف هي ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك فقال : لو شاهدت ذلك بعيني لما صدقتك أو يجمع الله العظم الرميم ؟

---

(١) سورة النساء ، الآية ( ٦٥ ).

(٢) سورة البلد ، الآيات ( ١ – ٤ ).

(٣) سورة الواقعة ، الآيات ( ٧٥ – ٧٧ ).

(٤) قرأ بها ابن كثير في رواية قنبل عنه . **تنظر في** : الإملاء للعكبري ( ٢ / ٢٧٤ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٢١٣ ) ، تفسير للقرطبي ( ١٧ / ١٢٣ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٣٥٦ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٧٣٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٢٦٦ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٦١ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٥٩ ) ، المحتسب لابن جني ( ٢/ ٣٤١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢/ ٢٨٢ ).

(٥) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٩/ ١٧٤ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٨/ ٣٤٣ ) لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس عن الحسن رحمه الله .

فنزلت[١]. التقدير : بلى نجمعها .

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (١٤)﴾

﴿قَٰدِرِينَ﴾ حال من الضمير في " نجمع " أي : نجمعها قادرين .

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أي : أصابعه أو على أن نسوي بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولا من غير نقصان . وقيل : بل نحن قادرون على أن نجمع عظام يديه ورجليه ، ونجعلها عظما واحدا فلا يتأتى به القبض والبسط . وقرئ " قادرون "[٢]. أي : نحن قادرون .

﴿بَلْ يُرِيدُ﴾ عطف على " أيحسب " ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ ليدوم على ما هو عليه من الفجور فيما يستقبله من الزمان . وعن سعيد بن جبير : يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول : سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله[٣].

﴿يَسْـَٔلُ﴾ سؤال متعنت ﴿أَيَّانَ﴾ بمعنى : متى ، أي : يسأل متى يوم القيامة استهزاء وتعنتا. ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ تحير وأصله : من برق الرجل إذا نظر إلى البرق فدهش بصره ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوءه أو ذهب بنفسه . ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ يجمعهما الله – تعالى – يوم القيامة ويطلعهما من المغرب . وقيل : وجمعا في ذهاب الضوء . وقيل : يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار . وقيل : يجمعان ثم يقذفان في البحر فتكون نار الله الكبرى .

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ( ص : ٤٦٩ ) رقم ( ٨٤٣ ) ، نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ( ص : ١٨٠ ) للثعلبي والبغوي والواحدي .

(٢) قرأ بها ابن أبي عبلة وابن السميقع . **تنظر في** : الإملاء للعكبري ( ٢ / ٢٧٤ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٢١٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦ / ٤٢٦ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٥/ ٣٣٦) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٦٠ ) ، مفاتيح الغيب للرازي ( ٣٠/ ٢١٧ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٩/ ١٧٧ ) ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ( ٨/ ٣٤٤ ) نحوه ونسبه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس – رضي الله عنهما .

﴿ٱلْمَفَرُّ﴾ موضع الفرار . ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ . وكل ما التجأت إليه من جبل أو حصن فهو وزرك . ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ خاصة لتقديم المجرور .

﴿يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ أي : يرجع كل أحد إلى ما استقر عليه حكم الله .

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ من عملٍ عمله وبما أخر فلم يعمله . وقيل : بما قدم من ماله فتصدق به أو أخره منه فورث عينه . وقيل : ما قدم من عمل الخير والشر .

﴿بَصِيرَةٌ﴾ حجة بينة وصفت بالبصارة مجازا ؛ كقوله : ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾[(1)] أو عين بصيرة . والمعنى : أنه ينبأ بأعماله وإن لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الإنباء ؛ لأن نفسه شاهدة عليه بما عملت ؛ لأن جوارحه تشهد عليه . ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ الآية[(2)]( ٣٢٣/ أ ) .

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو أكثر من الجدال والمحاجة لم ينفعه ذلك . وقيل : المعاذير : الستور ، واحدها : معذار ؛ لأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المعتذر . فإن قلت : القياس أن يجمع معذار على معاذر ؟

قلت : ليست المعاذير جمع معذار ولكنها اسم جمع ، ونحوه : المناكير في المنكر . والضمير في " به " للقرآن . وكان رسول الله ﷺ إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا أن يتفلت منه فأمر بأن يصغي إليه منصتا مقبلا بقلبه ووعده أن يثبته في صدره فلا ينساه[(3)].

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ جعل قراءة جبريل قراءته . والقرآن : القراءة . ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فكن متبعا له منه ولا تراسله وطامن نفسك ألا يبقى غير محفوظ ؛ فإن الله - تعالى - قد تكفل بحفظه

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ( ٥٩ ).

(٢) سورة النور ، الآية ( ٢٤ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٩/ ٨٨ - ٨٩ ).

وحفظه . ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ إذا أشكل عليك فهم معناه كأنه كان يستعجل في القراءة يراسل جبريل ، ويسأل جبريل عن معانيه كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾(١) كله نهي لرسول الله ﷺ عن العجلة وحثه على التأني فإذا فرغ جبريل من قراءته فاقرأه حينئذ .

الوجه عبارة عن الجملة . والناضرة : من نضرة النعيم . ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لتقدم المجرور . والباسر : السيئ الخلق الشديد العبوس . والباسل أشد منه لكنه غلب استعماله في الشجاع إذا اشتد كلوحه . ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل معها كل خير .

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون إلى الآجلة وإن لم يجر لها ذكر ؛ لدلالة الكلام عليها ما قال حاتم [ من الطويل ] :

أماويُّ ما يغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجتْ يوما وضاقَ بها الصَّدرُ(٢)

تقول العرب : أرسلت. تريد المطر ، ولا تكاد تسمعهم يقولون : أرسلت السماء مطرها

﴿ٱلتَّرَاقِىَ﴾ العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال . ﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ﴾ من يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ ذكرهم صعوبة الموت الذي هو أول منازل الآخرة حين تبلغ الروح التراقي وقد دنا زهوقها . وقال أصحاب المحتضر : ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ أيكم يرقيه مما به .

وقيل : هو قول (٣٢٣/ ب ) الملائكة بعضهم لبعض : أيكم يرقى بروحه ، أملائكة

---

(١) سورة طه ، الآية ( ١١٤ ).

(٢) ينظر في : تفسير الطبري ( ١٣/ ٣٠ ) ، غريب الحديث لابن سلام ( ٣/ ٨٠ ) ، غريب الحديث للخطابي ( ٢/ ٢٣٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٦٣ ) ، لسان العرب ( قرن ).

الرحمة أم ملائكة العذاب . ﴿وَٱلْتَفَّتِ﴾ ساقه بساقه ، والتوت عليها عند قلق الموت . وعن قتادة : ماتت رجلاه فلا تحملانه ، وقد كان عليهما جوالا[1] . وقيل : لشدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة . وقيل : هما ساقاه إذا لفا في أكفانه ﴿ٱلْمَسَاقُ﴾أي : يساق إلى الله وإلى حكمه . ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾يريد الإنسان الذي قال فيه : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ مهملا بغير راع يراعيه .

﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر . وأصله يتمطط ، فقلبت لاجتماع المثلين أي : يتمدد ؛ لأن المتبختر يمد خطاه . وقيل : هو من المطا وهو الظهر . وفي الحديث : " إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم "[2]. يعني : كذَّب رسولَ الله ﷺ وتولى عنه متبخترا يفتخر بذلك . ﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ بمعنى : ويل لك ، دعاء عليه بأن يليه ما يكره . ﴿ فَخَلَقَ﴾ فقدر ﴿فَسَوَّىٰ﴾ فعدل . ﴿مِنْهُ﴾ من الإنسان .

﴿ٱلزَّوْجَيْنِ﴾ الصنفين . ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ ﴾الذي أنشأ هذا الإنشاء ﴿بِقَٰدِرٍ﴾ على الإعادة .

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٩/ ١٩٨ ) .

(٢) رواه الترمذي رقم ( ٢٢٦١ ) ، والبيهقي في دلائل النبوة ( ٦/ ٥٢٥ ) عن ابن عمر رضي الله عنهما . وقال الترمذي : غريب . وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ( ٨٠١ ) .

## تفسير سورة الإنسان [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

﴿هَلْ﴾بمعنى : قد في الاستفهام خاصة . والأصل : أهل ؛ بدليل قوله [ من البسيط ] :

.................... أهلْ رأونا بسفحِ القاعِ ذي الأكمِ[١]

فالمعنى : قد أتى ، على التقدير والتقريب جميعا . ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ أي : بل كان شيئا منسيا . والمراد بالإنسان : الجنس ؛ لقوله :﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ ، وقوله : ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ موضعه نصب على الحال ، كأنه قيل : أتى عليه حين من الدهر غير مذكور ، أو الرفع على الوصف لـ " حين " ؛ كقوله : ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾[٢]. وقرئت عند إنسان فقال : ليتها تمت ، أي : ليتها بقيت على تلك الحال منسية . قوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ كقوله : برمة أعشار ، وبرد أخلاق ، ومشجة ومزجة بمعنى ، معناه : أنه قد خلق من نطفة امتزج فيها الماءان ماء الرجل وماء المرأة .

وعن ابن مسعود : هي عروق النطفة[٣] . وقيل : ألوان وأطوار : نطفة ثم علقة ثم مضغة ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في موضع الحال أي : خلقناه مبتلين له أي : مقدرين له الابتلاء كقولك : مررت برجل معه صقر( ٣٢٤/ أ ) صائدا به غدا . أو يريد : ناقلين له من حال إلى حال . وقيل : فيه تقديم وتأخير ، تقديره : فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف[٤]. وشاكرا وكفورا : حالان من الهاء في " هديناه " . ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي :

---

(١) عجز بيت وصدره : سائل فوارس يربوع لحلته ......... **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٣٦ )، الكشاف للزمخشري ( ٣/ ٣٤٢ ) ويروى الشطر الثاني : أهل رأونا بوادي النت ذي الأكم.

(٢) سورة لقمان ، الآية ( ٣٣ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٢٩/ ٢٠٥ ).

(٤) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٦٦٦ ) وقال السمين الحلبي في الدر المصون ( ٦/ ٤٣٨ ) : وهذا لا حاجة إليه .

عرفناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ؛ كقوله : ﴿وَهَدَيْنَهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [(١)]. ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز . ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعد والوعيد .

﴿سَلَسِلَاْ﴾ قرئ بالتنوين[(٢)] وفيه وجهان : أحدهما : أن يكون التنوين بدل حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف . والثاني : أن يكون صاحب الرواية ممن ضرى برواية الشعر وفيه صرف ما لا ينصرف[(٣)] .

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع بر أو بار وهم الذين لا يؤذون الذر[(٤)]. الكأس : الزجاجة إذا كان فيها خمر ، وتسمى الخمر نفسها كأسا . ﴿كَافُورًا﴾ اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده .

وقيل : يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك . وقيل : يخلق فيها رائحة الكافور وبرده فكأنها مزجت به . و﴿عَيْنًا﴾ على هذا القول بدل من محل ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على تقدير حذف مضاف ، كأنه قيل : يشربون خمر عين أو نصب على الاختصاص . وأتى في الأول بـ "من" ؛ لأن الكأس أول شربهم ، فلذلك قيل : ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ وعداها بالباء في الثاني ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ فمعناه : يشربون الخمر بالماء كقولك : " شربت الماء بالعسل " .

---

(١) سورة البلد ، الآية ( ١٠ ).

(٢) قرأ بالتنوين نافع والكسائي وهشام وشعبة وأبو جعفر وصلا ، وبإبداله ألفا وقفا . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٣٩٤ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٣٥٨ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٧٣٧)، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٣٩ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٦٣ ) ، الكشاف للزمخشري (٤/ ٦٦٧ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢/ ٣٩٤ ).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٦٦٧ ) وقال السمين الحلبي في الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٣٩ ) معقبا : وفي هذه العبارة فظاظة وغلظة لا سيما على مشيخة الإسلام وأئمة العلماء الأعلام وقرئ بها أيضا ، ووقوف هؤلاء بالألف ظاهر " .

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ( ٣/ ٨٤٦ ) ، ونسبه له السيوطي في الدر المنثور ( ٢/ ٤١٥ ) عن الحسن رحمه الله .

﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ يخرجونها من منازلهم حيث شاءوا . وقوله : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ جواب لمن سألهم : فبمَ حصل لهم ذلك ؟ فقال : يوفون بالنذر ، مدحهم على الوفاء به ، ولم يمدحهم على أصل النذر ؛ لأن أصل النذر ليس بمستحب ؛ لأن به يستخرج مال البخيل[(١)] ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشيا منتشرا بالغا أقصى الانتشار . ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ على حب الطعام أو حب الإطعام أو حب الله – تعالى – وكان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيقول لآخذه : أحسن إليه ، فيؤثره على نفسه[(٢)]. وعند عامة العلماء : يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا يصرف إليهم الواجبات . وقيل : كان الأسير في ذلك الوقت المشرك فأخوك المسلم أحق منه فأحسن إليه. وقيل : هو المملوك والمسجون وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : " غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك "[(٣)].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ على إرادة القول ، ويجوز أن يكون قولا باللسان أو بلسان الحال وكانت عائشة – رضي الله عنها – إذا بعثت إلى أهل بيت شيئا ( ٣٢٤/ ب ) قالت للرسول : "احفظ ما يقولون ؛ فإن ذكر دعاء أو ثناء أثنت عليهم بمثله ، ودعت لهم بمثله حتى يسلم لها ما أعطته من غير مكافأة "[(٤)]. ويجوز أن يكون ذلك بيانا لصحة اعتقادهم . وقيل : أما إنهم لم يتكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم . والشكور والكفور : مصدران كالشكر والكفر . ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ يحتمل أن يراد ليس إحساننا إليكم لطلب مجازاة ، بل لطلب رضا الله

---

(١) روى أحمد والحاكم كما ذكر السيوطي في الجامع الصغير رقم ( ٣٧٤٣ ) عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : " إن النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخر وإنما يستخرج به من البخيل " وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم ( ١٩٨٠ ).

(٢) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ( ٤/ ١٣٣ ) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ( ص : ١٨٠ ) ولم يعلقا عليه .

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٦٦٨ ) وقال المناوي في الفتح السماوي تخريج أحاديث البيضاوي (٣/ ١٠٧٠ ) : قال الولي العراقي : لم أقف عليه .

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٦٦٨ ).

وخوفا من عقابه . ووصف اليوم بالعبوس مجازا ما وصف بصفة أهله ؛ كقولك : نهارك صائم وليلك قائم . أو أن يشبه في عبوسه بالأسد العبوس . والقمطرير : الشديد العبوس ، فيقال : اقمطرّت الناقة : إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بأنفسها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة . وأعطاهم بدل عبوس اليوم ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ نضرة في الوجوه وسرورا في القلب . ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ وروي: أن الحسن والحسين مرضا، فقال النبي ﷺ لعلي : لو نذرت نذرا لولدك . فنذر علي وفاطمة وفضة خادمتهم نذرا لذلك ، فلما شفاهما الله - تعالى - لم يكن عند علي شيء ، فاقترض من يهودي ثلاثة آصع من شعير فصنعتها فاطمة خمسة أقراص ، فلما قدموها للإفطار وقف مسكين على باب دارهم وقال : يا أمة محمد مسكين من مساكين أمة محمد جائع أطعمونا أطعمكم الله من ثمار الجنة ، فآثروه بالكل فلما أصبحوا في اليوم الثاني فعلوا كالأمس فجاء وقت الإفطار يتيم وذكر حاجته وفقره فآثروه بالجميع . وفي اليوم الثالث فعل علي كما فعل بالأمس فجاء أسير جائع فآثروه بالكل فجاء النبي ﷺ فرأى ما بهم من الجهد ، فشق عليه ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1] . والزمهرير القمر قال الشاعر [ من الكامل ] :

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكرْ  قطعتُها والزمهريرُ ما زهرْ[2]

وقيل : الزمهرير : شدة البرد .

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار التي في الكشاف ( ٤/ ١٣٣ - ١٣٤ ) ، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ( ص : ١٨٠ ) ، ونسباه للثعلبي في تفسيره عن ابن عباس . وذكره الواحدي مختصرا في أسباب النزول ( ص : ٤٧٠ ) رقم ( ٨٤٤ ) ، ونسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٦/ ٢٩٩ ) لابن مردويه ، ونقل الحافظ ابن حجر عن الحكيم الترمذي قوله : " ومن الأحاديث التي تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس ... فذكره وفيه شعر ثم قال : هذا حديث مزوق مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل . وقال الحافظ ابن حجر كذلك : ورواه ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي عبد الله السمرقندي عن محمد بن كثير عن الأصبغ بن نباتة وقال ابن الجوزي : وهذا لا نشك في وضعه.

(٢) **ينظر البيت في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨/ ٣٩٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٤٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٧٠ ) ، مختار الصحاح ( زمهر ).

ودخلت الواو في قوله : ﴿وَدَانِيَةً﴾ليعلم باجتماع الأمرين وقرئ : " ودانيةٌ " بالرفع[١] على أن " ظلالها " مبتدأ و " دانية " خبر . والجملة في موضع الحال . ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ ﴿وَدَانِيَةً﴾ و﴿لَا يَرَوْنَ﴾كلها صفات للجنة . ويجوز أن يكون قوله : ﴿وَدَانِيَةً﴾ عطفا على " جنة " الأولى ، أي : وجنة أخرى غير تلك الأولى دانية ظلالها ومعنى تذليل القطوف : أنها بحيث لا تمنع ممن يريد( ٣٢٥/ أ ) قطافها .

﴿قَوَارِيرَاْ قَوَارِيرَاْ﴾قرئا بغير تنوين وبتنوين الأولى منهما وتنوينهما[٢] ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَاْ﴾ أي : تكونت قوارير بإذن الله . وقوله : ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي : وجد .﴿ قَدَّرُوهَا﴾ أي : في أنفسهم فكانت على حسب اختيارهم للطائفين بها . ودل قوله : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ على أنهم قدروا شرابها على قدر الري . وهو ألذ للشارب لكونه على قدر حاجته ، سميت الكأس زنجبيلا ؛ لأن فيها طعم الزنجبيل وكانت العرب تحب الزنجبيل[٣] .

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

و﴿سَلْسَبِيلًا ﴾أي : سهلة النفوذ في الحلق يقال : شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ، قيل: معناه : اسأل سبيلا ، وأنشدوا [ من الخفيف ] :

---

(١) قرأ بها أبو حيوة . تنظر في : البحر ( ٨/ ٣٩٦ ) ، تفسير القرطبي ( ١٩/ ١٣٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٤٣ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٥/ ٣٤٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٧١ ).

(٢) قرأ نافع وشعبة والكسائي وأبو جعفر " قواريرًا قواريرًا " وقرأ ابن كثير وخلف " قواريرًا قواريرَ " . تنظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٣٩٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٣٥٨ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٧٣٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٤٤ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٦٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٧١ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢/ ٣٩٥ ).

(٣) الزنجبيل : مما ينبت في بلاد العرب بأرض عمان ، وهو عروق تسري في الأرض ، وليس منه شيء بريا وليس بشجر يؤكل رطبا كما يؤكل البقل ، ويستعمل يابسا ، وأجوده ما يؤتى به من الزنج وبلاد الصين، وقيل : الزنجبيل العود الحريف الذي يحذي اللسان ، والعرب تصف الزنجبيل بالطيب وهو مستطاب عندهم جدا . ينظر : لسان العرب ( زنجبيل ).

سلْ سبيلا فيها إلى جنةِ الخلدِ لتُسقى شرابَها سلْسبيلا[١]

و﴿عَيْنًا﴾ بدل من " زنجبيلا " وقيل : يمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه . وقيل : يخلق الله فيه طعم الزنجبيل . و"عينا " على هذا القول مبدلة من " كأسا " كأنه قيل : ويسقون فيها كأسا كأس عين . شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم بلؤلؤ حالة إخراجه من صدفه وهو أحسن حالاته وأجودها . وقوله : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ، ومعناه : أن بصر الرائي كيفما توجه لا يدرك إلا نعيما﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾واسعا . يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألف عام فيرى أقصاه كما يرى أدناه . وقيل : إذا رأى شيئا كان . وقيل : تسلم عليهم الملائكة وتستأذن عليهم . وقرئ " عالِيْهم " بسكون الياء ، على أنه مبتدأ ، خبره : ثياب سندس ، أي : مما يعلوهم ، وعاليَهم بالنصب[٢] على أنه حال من الضمير في﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أو في ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ أي : يطوف عليهم ولدان مخلدون عاليا للمطوف عليهم ثياب سندس ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع ؛ حملا على الثياب وبالجر ؛ حملا على السندس ، وقرئ " وإستبرق " نصبا[٣] في موضع الجر على منع الصرف ؛ لأنه أعجمي وهو غلط ؛ لأنه يدخله حرف التعريف[٤]﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ﴿إِنَّ هَذَا﴾الذي تقدم ذكره ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ﴾عملكم﴿مَشْكُورًا﴾ عند الله يجازي عليه أحسن الجزاء وقد أكد خبر " إن " بقوله :﴿نَحْنُ﴾. ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾أي : قضائه بتأخير القتال إلى أن يقوى الإسلام ويكثر أهله ، وحينئذ يأمرك بالقتال . فإن قلتَ : لم قال ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ ولم يقل : "وكفورا " ؟ قلتُ : لو قال " وكفورا " جاز طاعة أحدهما فإذا نهاه عن كل واحد امتنع

---

(١) **ينظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٤٦ ) ، والكشاف ( ٤/ ٦٧٢ ) ويروى في الدر :
سل سبيلا فيها إلى راحة النفس براح كأنها سلسبيل

(٢) قرأ نافع وحمزة وأبو جعفر " عالِيْهم " وقرأ الباقون " عاليَهم " .
**تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٣٩٩ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٣٥٩ ) ، الحجة لأبي زرعة ( ص : ٧٣٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٤٧ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٦٤ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٧٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢/ ٣٩٦ ).

(٣) قرأ نافع وحفص عن عاصم " خضرٌ وإستبرقٌ " ، وقرأ ابن كثير وشعبة عن عاصم " خضرِ وإستبرقٌ" ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب " خضرٌ وإستبرقِ " ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف " خضرِ وإستبرقِ " . تنظر القراءات في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨ / ٣٩٩ ) ، الحجة لأبي زرعة (ص:٧٤٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٤٨ - ٤٤٩ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص:٦٦٤)، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٧٣ ) ، معاني القرآن للفراء ( ٣/ ٢١٩ ) ، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٦ ) .

(٤) قاله الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٦٧٣ ).

الجمع من باب الأولى ( ٣٢٥/ ب ) .

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ودم على صلاة الفجر والعصر .﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعض الليل فصل له ، يعني : صلاة المغرب والعشاء وأدخل " من " على الظرف للتبعيض ؛ كما دخل على المفعول في قوله : ﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾[1]. ﴿وَرَآءَهُمْ﴾ أمامهم أو خلفهم وهو هوله . ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه : ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]. الأسر : الربط والتوثيق ومنه : أسر الرجل : إذا أوثق في القيد .﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أهلكناهم وأتينا بقوم آخرين . أو يستبدل بهم قوما أطوع لله منهم . ﴿هَٰذِهِۦ﴾ إشارة إلى السورة أو إلى الآيات القريبة منها . ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾) هم المؤمنون ونصب ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بفعل مضمر يفسره﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

* * *

(١) سورة الأحقاف ، الآية ( ٣١ ).

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٨٧ ).

# تفسير سورة المرسلات [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧)﴾

أقسم الله – سبحانه – بطوائف الملائكة ، أرسلهن بأوامره ، فعصفن في مضيِّهن ، كما تعصف الرياح ، وطوائف منهم نشرت أجنحتها في الجو عند انحطاطهن بالوحي ، أو نشرت الشرائع ، أو نشرت النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ، ففرقن بين الحق والباطل ، فألقين ذكرا ؛ عذرا للمحقين أو إنذارا للمبطلين . أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن ، فنشرت السحاب في الجو ، ففرقن بينه ؛ لقوله : ﴿وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا﴾ [1].

أو بسحاب نشرن الموات ، ففرقن بين من يشكر أو يكفر ، فألقين ذكرا إما عذرا للمحقين وإما إنذارا للذين أغفلوا الشكر ، وينسبون ذلك إلى الأنواء ، وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله . وقوله : ﴿عُرْفًا﴾ أي : متتابعة كشعر العرف ، يقال : جاءوا عرفا واحدا ، أو يكون بمعنى العرف الذي هو نقيض النكر . وانتصابه على أنه مفعول له أي : أرسلن للإحسان ، والأول على الحال ، وإنما جعل إرسال الملائكة إحسانا ومعروفا لكونه إحسانا للأنبياء وللمؤمنين الذين بين ظهرانيهم والعذر والنذر : مصدران ويجوز أن يكون عذرا جمع عذير كالنذر في جمع نذير ، أو بمعنى العاذر والمنذر وانتصابهما على البدل من " ذكرا " أو على المفعول له ، أو على الحال .

إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن واقع لا ريب فيه . وعن بعضهم : أنه مجرور بإضمار رب .

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ

---

(١) سورة الروم ، الآية ( ٤٨ ).

يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) ﴾

﴿طُمِسَتْ﴾ محقت . وقيل : ذهب بنورها موافقا ( ٣٢٦/ أ ) لقوله : ﴿انْتَثَرَتْ﴾ [1]. و﴿انْكَدَرَتْ﴾ [2]. ويجوز أن يمحق نورها ثم تتناثر مسلوبة النور ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ كقوله : ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [3]. وقول الشاعر :

.......... الفارجي بابَ الأميرِ المبهمِ[4]

﴿نُسِفَتْ﴾ كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [5].

وقيل : أخذت بسرعة من أماكنها . قوله : ﴿أُقِّتَتْ ﴾ [6] الأصل الواو والهمزة بدل منها . ومعنى توقيت الرسل : تبيين الوقت الذي يحضر فيه الأنبياء للشهادة على الأمم .﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ تعظيم لليوم وتعجيب من هوله . ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يراد بقوله : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ الوقت الذي عين لحضورهم .

﴿نُتْبِعُهُمُ﴾ بالرفع[7] على الاستئناف وهو وعيد لأهل مكة ، يريد : ثم نفعل بالآخرين كما فعلنا بالأولين .﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ﴾ مثل ذلك الفعل بكل من أجرم وهو تحذير من عاقبة الظلم وسوء أثره . ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى مقدار من الوقت قد علمه الله وحكم به . ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ له نحن . أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه والأول أولى ؛ كقوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴾ [8].

﴿أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

---

(١) سورة الانفطار ، الآية ( ٢ ).

(٢) سورة التكوير ، الآية ( ٢ ).

(٣) سورة النبأ ، الآية ( ١٩ ).

(٤) ينظر البيت في : روح المعاني للألوسي ( ٢٩/ ١٧٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٧٨ ).

(٥) سورة الواقعة ، الآية ( ٥ ).

(٦) تقدم تخريج القراءة في سورة الجن .

(٧) هذه قراءة العامة من القراء ، وقرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو بتسكين العين .

تنظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٥٦ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٧٩ ).

(٨) سورة عبس ، الآية ( ١٩ ).

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢٩) ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ (٣٠) لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ (٣٢) كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ (٣٣) وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ (٣٤) هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ (٣٥) ﴾ .

الكفات : من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه وهو اسم لما يجمع ويضم ؛ كقوله الضمام والجماع وبه انتصب ﴿أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا﴾ كأنه قال : كفاتا لهم أحياء وأمواتا . والمعنى : تكفتهم أحياء على ظهرها ، وأمواتا في بطنها . وإنما نكر أحياء وأمواتا ؛ تفخيما لأمرهم وتعظيما لشأنهم . ويجوز أن يكون المعنى : يكفتكم أحياء وأمواتا فينصبا على الحال من الضمير ؛ لأنه قد علم أنها كفاته للأنس ، والتنكير في ﴿رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ﴾ و﴿مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ للتبعيض لأن في السماء مياها قال الله : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾ [1]. ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ على إرادة القول أي: يقال لهم : ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ من العذاب . وانطلقوا الثانية تكرير . ﴿إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ أي : دخان حميم وهكذا الدخان العظيم يتفرق ذوائب . وقيل : يخرج لسان من النار أي : يحيط بالكفار كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب إلى حيث يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش . ﴿لَّا ظَلِيلٖ﴾ تهكم بهم ﴿وَلَا يُغۡنِي﴾ في محل الجر . ﴿بِشَرَرٖ﴾ أي : على شرره كالقصر . وقيل : هو الغليظة من الشجر . وقرئ : " كالقَصَر " بفتحتين ، وهي أعناق الإبل وأعناق النخل . وقرئ " كالقُصُر " بضمتين[2] جمع " قِصر " ؛ كرهن ورهن . و﴿جِمَٰلَتٞ﴾ جمع " جمال" أو( ٣٢٦/ ب ) جمع جمالة . وقيل : صفر سود . قال عمران بن حطان الخارجي[3]:

دعتْهُمْ بأعلى صوتِها ورمَتْهُمْ  بمثلِ الجبالِ الصفرِ نزاعةُ الشَّوَى[4]

---

(١) سورة النور ، الآية ( ٤٣ ).

(٢) قرأ " كالقَصَر " ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي والحسن ، وقرأ ابن مسعود " كالقُصُر ".
**تنظر في** : البحر المحيط ( ٤٠٧/٨ ) ، تفسير القرطبي ( ١٦٤/١٩ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٤٥٨/٦ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٣٥٩/٥ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٨٠/٤ ) .

(٣) هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوذان بن الحارث بن سدوس السدوسي، ويقال: الذهلي. يكنى أبا شهاب ، تابعي مشهور وكان من رؤوس الخوارج ، مات سنة أربع وثمانين من الهجرة .
**تنظر ترجمته في** : الإصابة في تمييز الصحابة ( ٣٠٣/٥ – ٣٠٥ ) .

(٤) **ينظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٤٠٧/٨ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦ / ٤٥٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٦٨١/٤ ) .

قرئ بنصب " يوم " ونصبه الأعمش[١]. أي : هذا الذي قص عليكم واقع . ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ لا يستطيعون النطق ، أو يقدرون عليه ويصدهم كثرة الهول .

﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عطف على ﴿وَلَا يُؤْذَنُ﴾ ولو جعل الاعتذار مسببا عن الإذن لنصب . ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾ موضح لقوله : ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تقريع لهم على كيدهم لدين الله ، وتسجيل عليهم بالعجز .

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ في موضع الحال من ضمير " المتقين " أي : هم مستقرون في ظلال مقولا لهم : كلوا واشربوا . و﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ حال من المكذبين أي : الويل ثابت لهم في حال يقال لهم : كلوا وتمتعوا ، وعلل ذلك بأنهم مجرمون دلالة على أن كل مجرم يستحق هذا العقاب ، ثم البقاء في الهلاك أبدا ، ويجوز أن يكون ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ خطابا للمكذبين في الدنيا . ﴿ارْكَعُوا﴾ تواضعوا لله واطرحوا الاستكبار , وقيل : ما كان على العرب أضر من الركوع والسجود . وقيل : نزلت في ثقيف ، لما أمروا بالصلاة ، ورأوا فيها الركوع والسجود قالوا : نحب ألا ننحني ، فإنها سبة علينا فقال ﷺ : " لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود "[٢] . ﴿بَعْدَهُ﴾ بعد القرآن .

* * *

---

(١) قرأ بها زيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حيوة وعاصم في رواية عنه . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨/ ٤٠٧ ) ، تفسير القرطبي ( ١٩/ ١٦٦ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٥٩ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٥/ ٣٦٠ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٨١ ).

(٢) رواه أبو داود رقم ( ٣٠٢٦ ) عن عثمان بن أبي العاص . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم ( ٤٧١١ ).

# تفسير سورة النبأ [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)﴾

﴿عَمَّ﴾ أصله : عما . وجاء ثبوت الألف كقول حسان بن ثابت :

على ما قامَ يشتمُني لئيمٌ كخنزيرٍ تمرَّغَ في رمادِ (١)

والاستعمال الكثير حذف الألف وكأنه أشكل عليه حال هذا المتكلم لما رأى من اختلاف حاله ، فشرع عن جنسه ما هو ، والله لا يخفى عليه شيء من ذلك . ثم كثر استعماله فاستعمل في التعظيم والتفخيم ، والضمير لأهل مكة ، كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون غيرهم عنه على وجه الاستهزاء وإذا وقفتَ على " عم " قلتَ: " عمَّه " فتثبت هاء السكت . ومنهم من أثبتها في الوصل وأجراه مجرى الوقف(٢). وقيل : الضمير للكفار وحدهم . وقيل : للمسلمين والكافرين ؛ أما المسلم فليزداد( ٣٢٧/ أ ) خشية وأما الكافر فليزداد استهزاء . والمتساءل عنه القرآن والبعث والنبوة .

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥)﴾

﴿كَلَّا﴾ ردع للسائلين هزءا و﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك . ومعنى " ثم " الإشعار بأن الوعيد الثاني أبلغ من الأول ، واتصل قوله :﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ بما قبله ؛ لإنكارهم البعث وأنهم لما أنكروا البعث قيل لهم : أنتم معترفون بأن الله خالق السماوات والأرض كما قال : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾(٣) فإذا اعترفتم بقدرته على الأقوى كانت قدرته على الأضعف من باب الأولى .

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة يس .

(٢) قرأ " عَمَّهْ " البزي عن ابن كثير . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٦١ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٥/ ٣٦٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٨٤ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢/ ١٣٤ ).

(٣) سورة غافر ، الآية ( ٥٧ ).

﴿مِهَٰدًا﴾ فراشا . ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي : أرسينا بها الأرض كما يرسى البيت بالأوتاد . ﴿سُبَاتًا﴾ موتا . والمسبوت : الميت . ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أي : وقت معاش . وقيل : السبات : الراحة . ﴿لِبَاسًا﴾ يستركم عن العيون ممن أرادكم بسوء أو تريده أنت ، أو يستر من أحواله مما لا يريد أن يطلع عليه غيره . ﴿سَبْعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ جمع شديد أي : محكمة قوية ، لا يؤثر فيها مرور الزمان ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ متلألئا وهو الشمس . ﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ السحب ، وامرأة معصر : دنا حيضها .

وقيل : المعصرات : الرياح ذوات الأعاصير . فإن قلتَ : ما وجه من فسر المعصرات بالرياح ، والرياح ذوات الأعاصير ، والمطر لا ينزل من الرياح ؟ قلتُ : الرياح هي التي تنشئ السحاب ، وتدرّ المطر ، فيصح جعله مبدأ للإنزال ، وقد جاء في بعض الروايات : إن الله يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب ، ثم من السحاب ينزل إلى الأرض[1] . فإن صح هذا فالإنزال منه ظاهر . ﴿ثَجَّاجًا﴾ : منصبا بكثرة . والثج : الصب ؛ " أفضل الحج العجُّ والثجُّ "[2] فالعجُّ : رفع الصوت بالتلبية ، والثجُّ : كثرة صب دماء الهدى . ﴿حَبًّا﴾ أقوات بني آدم وبعض الحيوانات .﴿ وَنَبَاتًا﴾ ما تعتلفه الدواب من الزرع والتبن ، كما قال : ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾[3] .

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾بساتين .﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة الأغصان ، لا واحد له ، وقيل : واحده : لِف . قال الشاعر : جنةٌ لِفٌ وعيشٌ مغدقٌ      وندامى كلُّهم بيضٌ زُهُر[4] ( ٣٢٧/ ب ).

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ( ٦/ ٤٩٩ ) ، والزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٦٨٦ ).

(٢) رواه الترمذي رقم ( ٨٢٧ ) ، وابن ماجة رقم ( ٢٩٢٤ ) ، وابن خزيمة في صحيحه رقم ( ٢٦٣١ ) ، والحاكم في المستدرك ( ١/ ٤٥١ ) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ( ١١٠١ ).

(٣) سورة النازعات ، الآية ( ٢٣ ).

(٤) أنشده ابن علي الطوسي ، ينظر في : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨/ ٤١٢ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٦٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٨٧ ).

﴿كَانَ مِيقَـٰتًا﴾ كان في علم الله وحكمه أن يجعله وقتا للحساب أو حدا للخلائق ينتهون إليه ﴿يَوْمَ يُنفَخُ﴾ بدل من قوله : ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾أو عطف بيان . ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من القبور إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾ أمما . ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ أي : طرقا ﴿. فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ كقوله : ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [(١)]. يعني : أنها تصير شيئا كلا شيء ؛ لتفرق أجزائها .

المرصاد : الحد الذي يكون فيه الرصد ، والمعنى : أن جهنم حد الطاغين الذين يرصدون فيه العذاب . وقيل : كانت مرصادا : طريقا لأهل الجنة . ﴿أَحْقَابًا﴾ كلما مضى حقب تبعهم حقب . ولا يكاد يستعمل الحقب إلا حيث تتابع الأزمنة . ويجوز أن يكون قوله : ﴿لَّا يَذُوقُونَ﴾ متعلقا بـ " لابثين ". التقدير : اللابثين ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾يعذبون بهما ، ثم بعد ذلك يعذبون بأنواع أخرى من التعذيب .

قوله :﴿ إِلَّا حَمِيمًا﴾ استثناء من غير الجنس ؛ لأن المراد بالبرد : ما ينفس عنهم حر النار ، وليس في النار ما يخفف ولا يسكن ولا يخفف عنهم ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[(٢)].

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ أي : ذا وفاق . ﴿كِذَّابًا﴾ تكذيبا . وقرئ: "وكلُ شيء" بالرفع على الابتداء[(٣)].﴿كِتَـٰبًا﴾مصدر في موضع " إحصاء " أو " أحصيناه " في موضع " كتابا " أو يكون حالا في معنى مكتوبا في اللوح . قوله :﴿ فَذُوقُواْ﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب ويدل عليه قوله : ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ على أن الزيادة كالمستحيل ؛ لأن " لن " عند الزمخشري إنما يؤتى بها في نفي المستحيل أو ما يقرب من المستحيل[(٤)]. واحتج بقوله :﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [(٥)] وروي عن النبي ﷺ أنه قال : " هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار " [(٦)].

---

(١) سورة الواقعة ، الآية ( ٦ ).

(٢) سورة الزخرف ، الآية ( ٧٥ ).

(٣) قرأ بها أبو السَّمال . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨/ ٤١٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٦٦ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٥/ ٣٦٧ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٩٠ ).

(٤) **ينظر** : الكشاف ( ١/ ١٠١ ، ٢/ ١٥٤ ) وفيه أن " لن " للنفي في المستقبل ، وهي تفيد التأكيد والتشديد.

(٥) سورة الأعراف ، الآية ( ١٤٧ ).

(٦) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ( ٤/ ١٤٥ ) للثعلبي في تفسيره ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور ( ٦/ ٥٠٣ ) لعبد بن حميد وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩)﴾

﴿مَفَازًا﴾ فوزا أو موضع فوز . وقيل : نجاة مما فيه الكفار . أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده . والحدائق : البساتين الكثيرة الثمار . والكواعب : اللاتي كعب ثديهن .

وأتراب : الذين ولدوا في زمن ولادتك ، سموا أترابا ؛ لأن الأرض مسَّتهم في زمن واحد والدهاق : الملآن المترع . ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بقوله : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ و﴿عَطَاءً﴾ منصوب بـ " جزاء " نصب المفعول به . و ﴿حِسَابًا﴾ صفة ، أي : كافيا .

قرئ: "ربُّ السماوات والأرض" بالرفع على : هو رب السماوات ، أو رب السماوات : مبتدأ ، و" الرحمن " صفته ، و﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ الخبر , أو هما خبران ( ٣٢٨/ أ ). وبالجر على البدل من " ربك " ، وبجر الأول ، ورفع الثاني [١] على أنه مبتدأ ، خبره :

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو هو الرحمن لا يملكون . والضمير في ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لأهل السماوات والأرض ، أي : ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ، ويأمر به خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف المُلاك أو لا يملكون أن يخاطبوا بشيء من نقص العذاب وزيادة الثواب .

﴿يَوْمَ يَقُومُ﴾ متعلق بـ ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أو بـ ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ . و ﴿الرُّوحُ﴾ مخلوق أشرف من بني آدم ومن الملائكة . وقيل : هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه . وقيل : ليسوا بملائكة وهم يأكلون . وقيل : جبريل .

الشفاعة في يوم القيامة بشرطين : أحدهما : أن يكون المشفوع فيه مرتضى﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾[٢] . والثاني : أن يكون بإذن الله في الكلام للشافع ؛ لقوله : ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾

---

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو برفع " رب " و " الرحمن " ، وقرأ ابن عامر وعاصم بجرهما ، وقرأ حمزة والكسائي بجر " رب " ورفع " الرحمن " . **تنظر في** : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٦٨ ) ، السبعة لابن مجاهد ( ص : ٦٦٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٩١ ).

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ( ٢٨ ).

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿ٱلۡمَرۡءُ﴾ هو الكافر ؛ لقوله : ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ﴾ و﴿ٱلۡكَافِرُ﴾ ظاهر وضع موضع المضمر ؛ لزيادة الذم يعني : ما قدمت يداه من الشر . و﴿مَا قَدَّمَتۡ﴾ يجوز أن تكون " ما " مصدرية ويجوز أن تكون موصولة ، والراجع من الصلة محذوف . وقيل : المرء عام وخصص منه الكافر. ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ في الدنيا ، فلم أخلق ولم أكلف ، أو ليتني ترابا فلم أحشر في هذا اليوم . وقيل : يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر أن حاله كذلك [١] .

وقيل : الكافر : إبليس يرى آدم وولده وثوابهم ، فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال : ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [٢].

* * *

---

(١) روى الطبري في تفسيره ( ٣٠/ ٢٦ ) ، والحاكم في المستدرك على الصحيحين ( ٤/ ٦١٩ ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الله الخلائق الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب، حتى تقص الشاة الجماء من القرناء بنطحتها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها : كوني ترابا . فتكون ترابا ، فيراها الكافر فيقول : يا ليتني كنت ترابا " . وقال الحاكم : رواته عن آخرهم ثقات غير أن أبا المغيرة مجهول، وتفسير الصحابي مسند، وروى الطبراني في المعجم الأوسط رقم ( ٩٤٢٨ ) عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن أبي أوفى قال : قال رسول الله ﷺ : " إنه ليبلغ من عدل الله يوم القيامة حتى يقتص للجماء من ذات القرن " . ونسبه له الهيثمي في مجمع الزوائد ( ١٠/ ٣٥٣ ) وقال : وفيه من لم أعرفهم وعطاء بن السائب اختلط .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ( ١٢ ).

## تفسير سورة النازعات [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)﴾

أقسم – سبحانه – بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد وبالطوائف التي تنشطها أي : تخرجها من نشط الدلو : إذا أخرجها ، وبالطوائف التي تسبح في مضيها أو تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم . ﴿غَرْقًا﴾ إغراقا في النزع أي : تنزعها من أقصى الجسد من أناملها وأظفارها . أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها تغرق فيه الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار الحرب ، من قولك : ثورنا نشط : إذا خرج من بلد إلى بلد ، والتي تسبح في جريها فتسبق إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر , وإسناد التدبير إليها ؛ لأنها من أسبابه . أو أقسم( ٣٢٨/ ب ) بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع : أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى المغرب ، والتي تخرج من برج إلى برج ، والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب . وقيل : النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي بإغراق السهام والتي تنشط الأوهاق[(١)]. والمقسم عليه محذوف وهو " لتبعثن " ؛ لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة .

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١)﴾

و﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ منصوب بهذا المضمر . و﴿الرَّاجِفَةُ﴾ الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال وهي النفخة الأولى ، وصفت بما يحدث بحدوثها . و﴿الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية . ويجوز أن تكون الرادفة من قوله– تعالى– : ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾[(٢)]. أي : القيامة التي يستعجلها الكفرة استهزاء ، وهي رادفة لهم لقربها.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٣٠/ ٢٩ ) **والأوهاق** : جمع وهق بالتحريك ، وقد يسكن وهو حبل كالطول تشد به الإبل والخيل لئلا تند . **ينظر** : لسان العرب ( وهق ).

(٢) سورة النمل ، الآية ( ٧٢ ).

وقيل :﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ الأرض والجبال لقوله : ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾[١]. و﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾ السماء والكواكب ؛ لأنها تنشق وتنتثر كواكبها على أثر ذلك . فإن قلت : ما محل "تتبعها"؟ قلت الحال : أي: ترجف تابعتها الرادفة .

فإن قلتَ : كيف جعل ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ ظرفا للمضمر الذي هو " لتبعثن " ولا يبعثون عند النفخة الأولى ؟ قلتُ : معناه : لتبعثن في الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأولى ؛ لأن قوله: ﴿تَتْبَعُهَا﴾جعل حالا عن الراجفة . ويجوز أن ينتصب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾بما دل عليه ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ أي : يوم ترجف وجفت القلوب . ﴿وَاجِفَةٌ﴾ شديدة الاضطراب . والوجيب والوجيف أخوان . ﴿خَٰشِعَةٌ﴾ ذليلة . فإن قلتَ: كيف أضيفت الأبصار إلى القلوب ؟ قلتُ : معناه : أبصار أصحابها بدليل قوله : ﴿يَقُولُونَ﴾.

﴿فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ في الحالة الأولى يعنون : الحياة بعد الموت ، وحقيقة هذه الكلمة أنه يقال: رجع فلان في حافرته أي : في طريقته التي جاء فيها فحفر فيها : أثر فيها بمشيه ، جعل أثر قدميه حفرا ، كما قيل : حفرت أسنانه حفرا : إذا أثر الأكال في أسنانها ، والخط المحفور في الصخر . وقيل : حافرة ؛ كقوله : ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[٢]. أي : مرضية .

ومحفورة ؛ كقوله : " نهارك صائم وليلك قائم " يريد أرجوعا إلى حافرة ؟

وقيل : النقد عند الحافرة ، يريدون : على الحالة الأولى التي هي وقت العقد . يقال : نخر العظم فهو نخر وناخر ؛ كقولك : طمع فهو طمع وطامع ، وفَعِل أبلغ من فاعل . وهو البالي الأجوف الذي تمزقه الريح ، فيسمع له نخير ( ٣٢٩/ أ ) .

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾

و﴿إِذًا﴾ منصوب بمحذوف تقديره : إذا كنا عظاما نرد ونبعث ﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ منسوبة إلى

---

(١) سورة المزمل ، الآية ( ١٤ ).

(٢) سورة الحاقة ، الآية ( ٢١ ).

الخسران ، أو خاسر أصحابها . ﴿زَجۡرَةٞ﴾ من قولهم : زجر البعير: إذا صاح عليه .

والساهرة : الأرض البيضاء المستوية ، سميت بذلك ؛ لأن السراب يجري فيها ، من قولهم : عين ساهرة ، أي : جارية ، وفي ضدها : عين نائمة ، قال الأشعث بن قيس :

وساهرةٍ يُضحي السرابُ مجللا لأقطارِها قدْ جُبْتُها متلثِّما[(١)]

وقيل : ساهرة : جهنم . ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ على إرادة القول . ﴿هَل لَّكَ﴾ في كذا ، وهل لك إلى كذا ، أي : هل ترغب فيه . ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ إلى أن تطَّهر من الشرك .

﴿وَأَهۡدِيَكَ﴾ إلى معرفة ربك فتخشاه ، والخشية إنما تكون بالمعرفة﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [(٢)] وقال – عليه السلام – : " من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل "[(٣)].

بدأ في كلامه بالاستفهام كحال من يعرض على زيد النزول عنده ، فيقول له : هل لك أن تنزل عندنا ، ثم عقبه بالكلام اللين ؛ ليستنزله بالمداراة كما أمر بقوله :﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾[(٤)]. ﴿ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ قلب العصا حية ؛ لأنها كانت أول ما أراه الله من المعجزات ، وكان يتَّقيها بيده ، فقيل له : ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ ﴾ [(٥)] أو أرادهما جميعا ، إلا أنه جعلهما آية واحدة ؛ لأن الثانية تابعة ، سماها سحرا بعد علمه بصحة النبوة .

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ (٢٦) ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (٣٠) أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا (٣١) وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا (٣٢) مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٣) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ (٣٤)﴾

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾فزعا من الثعبان ، وهو معنى قوله : ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾ يفر منه .

---

(١) ينظر في : الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٧٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٦٩٥ ).

(٢) سورة فاطر ، الآية ( ٢٨ ).

(٣) رواه الترمذي رقم ( ٢٤٥٠ ) ، والحاكم في المستدرك (٣٠٧/٤ ) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي رقم ( ٩٥٤ ) .

(٤) سورة طه ، الآية ( ٤٤ ).

(٥) سورة النمل ، الآية ( ١٢ ).

كان فرعون رجلا خفيفا فاستفزه الثعبان على السرعة وحمله على الهرب ، أو أراد بـ " أدبر " أقبل ؛ كقولك : قلت له كذا فاقبل يحدثني . ﴿فَحَشَرَ﴾ فجمع ؛ كقوله : ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [(١)]. ﴿فَنَادَىٰ﴾ بنفسه أو أمر مناديا فنادى بذلك . وقيل : قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كلمته الأولى ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [(٢)]. والآخرة : ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[(٣)].

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾ مثل الله به . ﴿نَكَالَ﴾ مصدر مؤكد ؛ كقوله : ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ [(٤)]. و﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾[(٥)]. كأنه قيل : نكل الله به نكال الآخرة والأولى . والنكال بمعنى التنكيل ؛ كالسلام بمعنى التسليم ، يعني : الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة . وقيل : نكال كلمته الأولى وكلمته الآخرة . الخطاب لمنكري البعث يعني : ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ وإنشاء ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾، ثم بين البناء فقال: ( ٣٢٩/ ب ) ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي : جعل مقدار ذهابها في العلو مديدا مسيرة خمسمائة عام . ﴿فَسَوَّاهَا﴾ فعدل خلقها مستويا لا عوج فيه ولا فطور ملساء . وأصله : سوى فلان أمر فلان ، أي : دبره .

غطش الليل وأغطشه الله . ويقال : أغطش الليل بمعنى أظلم ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ وأبرز ضوء شمسها ، وأضيف الليل والشمس إلى السماء ؛ لأن الليل ظلها ، والشمس هي السراج الوهاج . ﴿مَاءَهَا﴾ عيونها المتفجرة بالماء . ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ موضع رعيها والمراد ها هنا : العشب الذي أنبتته العيون . ونصب " الأرض والجبال " بإضمار " دحا " و" أرسى " ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول من أجله أي : تمتيعا . ﴿الطَّامَّةُ﴾ الداهية التي تطم على الدواهي ، أي: تعلو وتغلب. قيل : النفخة الثانية . وقيل : الساعة التي يساق فيها أهل الجنة والنار إلى منازلهم .

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ( ٥٣ ) .

(٢) سورة القصص ، الآية ( ٣٨ ).

(٣) رواه الطبري في تفسيره ( ٣٠/ ٤١ ).

(٤) سورة الروم ، الآية ( ٦ ).

(٥) سورة البقرة ، الآية ( ١٣٨ ) .

ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ﴾ بدل من ﴿فَإِذَا جَآءَتِ﴾ يعني : إذا رأى أعماله مدونة في كتابه ساءه ذلك ، وتذكر ما كان قد نسيه من أعماله ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [١].

و" ما " في ﴿مَا سَعَىٰ﴾ موصولة أو مصدرية . ﴿وَبُرِّزَتِ﴾ وأظهرت ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾ للرائين جميعا فإذا جاءت الطامة كان كيت وكيت .

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ أي : مأواه . ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمارة بالسوء عن اتباع الهوى ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ متى إرساؤها . ﴿فِيمَ أَنتَ﴾ في أي شيء أنت من أمر الساعة وإخبارهم بوقتها . وقيل: الوقف على قوله : ﴿فِيمَ﴾ ثم يبتدئ ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ [٢] أي : من أشراطها. وكان بعث رسول الله ﷺ من أشراط الساعة [٣].

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ بوقت مجيئها ﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾. ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في القبور أو في الدنيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ فإن قلتَ : كيف صحت إضافة الضحى إلى العشية ؟ قلت : لما بينهما من الملابسة؛ لاجتماعهما في يوم واحد . فإن قلت : فهلا قيل: " عشية أو ضحى " وما فائدة الإضافة ؟ قلتُ : الدلالة على أن مدة لبثهم كأنها لم تبلغ يوما كاملا ، ولكن ساعة من عشيته أو ضحاه، فلما تُرك اليوم أضافه إلى عشية ، فهو كقوله : ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [٤].

* * *

(١) سورة المجادلة ، الآية ( ٦ ).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٦٩٩ ).

(٣) روى البخاري رقم ( ٦٠٢٣ ) ، ومسلم رقم ( ٥٢٤٥ ) ، والترمذي رقم ( ٢١٤٠ ) عن أنس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أنه قال : " بعثت أنا والساعة كهاتين " .

(٤) سورة الأحقاف ، الآية ( ٣٥ ).

# تفسير سورة عبس [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾

أتى رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم . وأم مكتوم : أم أبيه ، واسمه : عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة ( ٣٣٠/ أ ) الفهري من بني عامر بن لؤي ، وعنده صناديد قريش ؛ عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة ، يدعوهم إلى الإسلام ؛ رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم ، فقال : يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله ، وكرر ذلك وهو لا يعلم بتشاغله بالقوم ، فكره رسول الله ﷺ قطعه لكلامه [١].

وكان رسول الله ﷺ يكرمه ويقول إذا رآه : " مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ، ويقول : هل لك حاجة "[٢]. واستخلفه على المدينة مرتين [٣]. وقال أنس : رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء [٤].

﴿أَن جَآءَهُ﴾ لأن جاءه وهو متعلق بـ " تولى " أو بـ " عبس " على اختلاف المذهبين[٥].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره ( ٣٠/ ٥١ ).

(٢) رواه الطبري في تفسيره ( ٣٠/ ٥١ ) ونسبه له الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ( ٤/ ١٥٥ ) ولابن مردويه .

(٣) رواه أبو داود في سننه رقم ( ٥٠٣ ) ، وذكره عمر بن علي الأندلسي في تحفة المحتاج ( ١/ ٤٥٢ ) عن أنس رضي الله عنه " أن النبي ﷺ استخلف ابن أم مكتوم يؤم الناس وهو أعمى " وقال : رواه أبو داود ولم يضعفه، وفي رواية أخرى له : " أنه استخلفه على المدينة مرتين " زاد أحمد في مسنده " يصلي بهم " وفي إسنادهما عمران بن داور بالراء في آخره القطان ضعفه يحيى والنسائي وحدث عنه عفان ، ووثقه وقال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث واستشهد به .

(٤) رواه أحمد في المسند ( ١١٨٩٤ ).

(٥) هذه المسألة تعرف بمسألة التنازع ومعناه : أن يتوجه عاملان متقدمان أو أكثر إلى معمول واحد متأخر أو أكثر كما في هذه الآية ، حيث أن " شيئا " تقدمه عاملان وهما " يعلم وعِلْم " ، وقد اختلف النحاة=

وروي: أنه ما عبس بعدها في وجه فقير قط[١].

﴿تَصَدَّىٰ﴾ في الأخبار والانتقال من الغيبة إلى الخطاب دليل على إنكار ما وقع . وفي ذكر الأعمى نحو من ذلك . وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا ؛ لأنه مصاب بناظريه ، وتأدب الناس بهذا الأدب ، فروي أن الفقراء كانوا في مجلس سفيان الثوري أمراء[٢]. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ ما يؤول إليه حال هذا الأعمى عند التزكية والطهرة . ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أو يتعظ . قرئ: "فتنفعه" بفتح العين[٣] بالنصب في جواب الترجي . وقيل : هو الكافر أي : أنك طمعت في أن يتطهر بالإسلام أو يدَّكَّر فتقربه الذكرى . ﴿تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل . قوله : ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ فيه إشارة إلى الاختصاص ، أي : أنت مع جلالة قدرك وشرفك بالنبوة حقيق بألا تفعل ذلك وإن فعله غيرك .

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧)﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع للمزجور . ﴿إِنَّهَا﴾ إن آيات القرآن وهذه السورة ﴿تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ أي : كان حافظا له غير ناس ، وذكر الضمير ؛ لأن التذكرة في معنى التذكير . ﴿فِى صُحُفٍ﴾ صفة لـ

= في أي العاملين منهما يعمل في المعمول ، الأول أم الثاني ؟ فذهب البصريون إلى أن العامل هو الثاني؛ لقربه من المعمول . وذهب الكوفيون إلى أن العامل هو الأول ؛ لسبقه . ولا يقع التنازع إلا بين فعلين متصرفين أو اسمين يشبهانهما ، أو فعل متصرف واسم يشبهه ، ولا يقع بين حرفين ولا بين حرف وغيره ولا بين جامدين ولا بين جامد وغيره . وإذا جاء الفعل الثاني لمجرد التقوية والتأكيد ، فلا عمل له وإنما يكون العمل للأول ولا يكون حينئذ من باب التنازع . فعلى رأي البصريين يكون العامل في ﴿أَن جَآءَهُ﴾ في هذه الآية : ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ . وعلى مذهب الكوفيين يكون العامل فيه ﴿عَبَسَ﴾ . واختار السمين الحلبي رأي البصريين ورد رأي الكوفيين وذكر علة ذلك فقال في الدر المصون ( ٦/ ٤٧٨ ): "والمختار مذهب البصريين ؛ لعدم الإضمار في الثاني " . **وتنظر المسألة في** : الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٨٧ ، المسألة ١٣ ) ، أوضح المسالك لابن هشام ( ٣/ ١٨٦ ) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ( ٢/ ١٧٥ ) ، همع الهوامع للسيوطي ( ٣/ ٩٤ ).

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٧٠١ )

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ( ٨/ ٣٤٩ ) ، وذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٧٠١ )

(٣) قرأ بها عاصم ، وقرأ الباقون " فتنفعُه " بالرفع . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان ( ٨/ ٤٢٧ ) ، الحجة لابن خالويه ( ص : ٣٦٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٧٨ ) ، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٧٠١ ) .

" تذكرة " أي : هي في أيدي الملائكة منتسخة من اللوح المحفوظ . ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله . ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء ، أو مرفوعة المقدار . ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن أيدي الشياطين ، ولا يمسها إلا أيدي الملائكة مطهرين ﴿كِرَامٍ﴾ على الله أبرار . وقيل : هي صحف الأنبياء ؛ كقوله : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [1].

وقيل : السفرة : القراء . وقيل : أصحاب رسول الله ﷺ . ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ دعاء عليه . والقتل : أشد أنواع العذاب . ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجب من إفراطه في كفران نعمة الله ، ولا ترى أسلوبا ( ٣٣٠/ ب ) أغلظ منه ؛ لأن الله لا يعجب وإذا عجب من أمر فهو غاية العجب[2].

ثم أخذ في وصف حاله ، وفي وصف نشأته إلى أن انتهى .

﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾

قوله : ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ حقيرة؛ مهَّن خلقه ، ثم بين ذلك الشيء بقوله : ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ سبيل الثواب ، يسر دخوله فيه وخروجه منه عند تكميل الخلق ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ فجعل له قبرا يصون جيفته من السباع وهوامِّ الطير . فلما فرغ من وصف الآدمي ونشأته شرع فيما خلقه مادة لبقائه ، وهو إنبات الحب والعنب والقضب[3] والزيتون والنخل والحدائق الغلب ؛ كما قال : ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ أضاف الصب إلى نفسه ؛ لأنه بأمره ، ويجوز أن يكون من شقها بالحرث. والأب : المرعى ؛ لأنه يؤب ، أي : يُؤَم وينتج . والأب والأم أخوان ، قال الشاعر :

جَدُّنا قيسٌ ونجدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمكرَعُ [4]

---

(١) سورة الأعلى ، الآية ( ١٨ ).

(٢) تقدم توضيح ذلك في تفسير سورة الصافات .

(٣) **القضب** : الرطبة ، وأهل مكة يسمون القت القضبة ، والقضب من الشجر : كل شجر سبطت أغصانه وطالت .

**والقضب** : ما أكل من النبات المقتضب عضا . **ينظر** : لسان العرب ( قضب ).

(٤) **ينظر في** : تفسير القرطبي ( ١٩/ ١٤٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٨٢ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٧٠٤ ) ، لسان العرب ( أبب ).

وعن أبي بكر ﷺ أنه سئل عن الأب ، فقال : " أي سماء تظلني أو أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به "[١] . وعن عمر ﷺ أنه قرأ هذه الآية فقال : كل هذا قد عرفنا ، فما الأبُّ ؟ ثم رفض عصا كانت في يده ، وقال : هذا لعمر الله التكلف وما عليك يابن أم عمر ألا تدري ما الأب ؟ ثم قال: " اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه "[٢].

فإن قلتَ : قول عمر يشبه النهي عن تتبع المشكلات والسؤال عنها ؟

قلتُ : كان أهم أمر الصحابة تعلم العلم الذي يقتضي العمل ، فأما ما سوى ذلك فكان من النادر أن يتعرضوا له. وقد فهم من سياق هذه الآية أن الأب نبت أطلقه الله لمصالح هذه الآية ، ولعلف دوابهم .

يقال : صخ لحديثه مثل أصاخ ، فوصف النفخة بالصاخة مجازا ؛ لأن الناس يصيخون لها.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

﴿يَفِرُّ﴾ منه لاشتغاله بما هو أهم ، وما هو مدفوع إليه من الحساب والعرض ، ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئا . وقيل : يفر منهم ؛ حذرا من أن يطالبوه بالتبعات ، فيطلب القريب ما توجبه صلة الرحم ، وكذلك الأب والأم والصاحبة بحقوقها وكذلك البنون . ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ( ٣٣١/ أ ) من خطايا محمولة على ظهره ، وسائق يسوقه إلى الموقف بالغلظة وحيائهم من الله في إقدامهم على معصيته . ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مضيئة نيرة ، يقال : أسفر الصبح : إذا أضاء . وأسفرت المرأة : كشفت نقابها ، وسمي السفر ؛ لأنه يكشف عن أخلاق المرء .

﴿غَبَرَةٌ﴾ غبار يعلوها . ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ أي : سواد . ولا ترى أقبح من اجتماع الغبرة والدخان كما ترى في وجوه الزنوج إذا اغبرت.

---

(١) ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف ( ٤/١٥٨ ) ونسبه لابن أبي شيبة في فضائل القرآن وعبد بن حميد في تفسيره .

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ( ص : ١٨٢ ) للطبري والطبراني في مسند الشاميين، والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

# تفسير سورة التكوير [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝٢﴾

في التكوير وجهان : أحدهما : هو من كوّر العمامة : إذا لفها ، أي : يلف ضوؤها لفا ، فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق ، أو يكون لفها عبارة عن رفعها ، أو يكون من طعنه فكوره فألقاه على الأرض ، فيكون المعنى أنها تلقى . وقوله :﴿كُوِّرَتْ﴾ مرفوع بكونه مفعولا لم يسم فاعله ؛ لأن التقدير : إذا كورت الشمس ؛ لأن الشرط يطلب الفعل[1] .﴿انكَدَرَتْ﴾ انقضت . قال [ من الكامل ] :

أبصرَ خربانَ فضاءٍ فانكدرْ ........................ [2]

ويروى: أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ؛ ليراها من عبدها كما قال : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾[3] .

---

(١) ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسم المرفوع بعد إن الشرطية نحو قولك إن زيد أتاني آته فإنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل والتقدير فيه إن أتاني زيد والفعل المظهر تفسير لذلك الفعل المقدر وحكى عن أبي الحسن الأخفش أنه يرتفع بالابتداء. وأما ما ذهب إليه أبو الحسن الأخفش من أنه يرتفع بالابتداء ففاسد وذلك لأن حرف الشرط يقتضي الفعل ويختص به دون غيره ولهذا كان عاملا فيه وإذا كان مقتضيا للفعل ولا بد له منه بطل تقدير الابتداء لأن الابتداء إنما يرتفع به الاسم في موضع لا يجب فيه تقدير الفعل لأن حقيقة الابتداء هو التعرى من العوامل اللفظية المظهرة أو المقدرة وإذا وجب تقدير الفعل استحال وجود الابتداء الذي يرفع الاسم وبهذا يبطل قول من ذهب من الكوفيين وغيرهم إلى أن الاسم بعد إذا مرفوع لأنه مبتدأ إما بالترافع أو بالابتداء في نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل فلا يجوز أن يحمل على غيره والله أعلم . الإنصاف لابن الأنباري ( ٢/ ١٣٤ ) ، شرح المفصل لابن يعيش ( ٩/ ٩ ) ، المغني لابن هشام ( ١/ ١٢٧ ).

(٢) صدر بيت للعجاج يصف صقرا ، وعجزه :

........................ داني جناحيه من الطود فمر

**ينظر في** : تفسير الطبري ( ٣٠/ ٦٥ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٨٤ ) وفيه : أبصر خربان الفلاة ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٧٠٧ ) ، لسان العرب ( ظفر ).

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ( ٩٨ ).

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾

﴿سُيِّرَتْ﴾ عن وجه الأرض وأبعدت . أو سيرت في الفضاء والجو . و﴿ٱلْعِشَارُ﴾ جمع عشراء ، وهي الناقة الحامل التي لها عشرة أشهر وهو من أنفس أموالهم وكانوا يطرحون عليها العود . ﴿عُطِّلَتْ﴾ يوم القيامة ، ولم يفكر فيها صاحبها ﴿حُشِرَتْ﴾ جمعت من كل ناحية ، قيل : يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص . وقيل : إذا قضي بينها ردت ترابا ، فيقول الكافر وهو إبليس : ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾[1] . ﴿سُجِّرَتْ﴾ أوقدت أو ملئت . ﴿زُوِّجَتْ﴾ قرنت كل نفس لشكلها . وقيل : قرنت الأزواج بالآحاد . وقيل : قرنت نفوس المسلمين بالحور ، والكافرين بالشياطين .

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾ وأد يئد مقلوب من آد يؤود إذا أثقله الحمل . قال الله – تعالى – : ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾[2] . وكانت العرب إذا ولدت لهم بنت فإن أرادوا بقاءها ألبسوها ثوبا من شعر وجعلوها ترعى الإبل في البادية ، وإن أرادوا قتلها صبر أبوها حتى تصير خماسية ثم يقول لأمها : طيبيها لأذهب بها ( ٣٣١/ ب ) إلى أحمائها ، وقد حفر لها حفيرة في تربة ، فيأتي بها إليها ، ويلقيها في الحفرة ، ويلقي عليها التراب حتى تموت .

وقيل : كانت المرأة تتمخض[3] على طرف الحفرة ، فإن وضعت بنتا ألقتها في الحفرة ، وإن وضعت ذكرا أبقته ، وحملهم على ذلك إما خوف لحوق العار ، وإما خشية الإملاق ؛ لقوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾[4] . فإن قلتَ : لم سئلت الموءودة عن سبب قتلها ، ولا علم لها بذلك ، والقياس : ذم الوائد الذي وأدها ؟! قلتُ : سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها ، كالتبكيت في قوله لعيسى : ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ﴾[5] . وقرئ :

---

(١) سورة النبأ ، الآية ( ٤٠ ).

(٢) سورة البقرة ، الآية ( ٢٥٥ ).

(٣) **تتمخض** : من المخاض وهو وجع الولادة وكل حامل ضربها الطلق فهي ماخض ، وقد مخضت تمخض مخاضا وإنها لتمخض بولدها وهو أن يضرب الولد في بطنها حتى تنتج فتمتخض .

**ينظر** : لسان العرب ( مخض ).

(٤) سورة الإسراء ، الآية ( ٣١ ).

(٥) سورة المائدة ، الآية ( ١١٦ ).

"سألت "[1] أي : خاصمت عن نفسها . أو سألت الله أو قاتلها .

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾ صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر يوم القيامة .

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ كشفت . والكشط والقشط لغتان ، فأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة . يقال : ليقت الثريد وليكته ، والكفور والقفور .

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ وتسعر النار على حسب عصيان العصاة في كثرته وقلته .

﴿أُزْلِفَتْ﴾ أدنيت من المتقين . قيل : هذه ثنتا عشرة خصلة ، ستة في الدنيا وستة في الآخرة . و﴿عَلِمَتْ﴾ هو العامل في ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وفيما عطف عليه . فإن قلتَ : قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ كل أحد يوم القيامة يعلم ما أحضره ؛ كقوله- تعالى- : ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾[2] فما وجه قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ ؟ قلتُ : هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به عكس ظاهره ؛ كقوله : ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾[3] كلهم يتمنى ذلك ويوده .

وكقول الشاعر :

قد أتركُ القرنَ مصفرًا أناملُه[4].

أراد كثرة ذلك .

وقرئت هذه الآية في مجلس فيه ابن مسعود فقال : " وانقطاع ظهرياهُ "[5].

﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ الرواجع ، فإن هذه الكواكب الخمسة وهي زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد ترجع في سيرها ؛ لأن لها فلكا يدور غير الفلك الحامل ، فهي تدور في الفلك

---

(١) قرأ بها علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس والضحاك . **تنظر في** : البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٣٣) ، تفسير القرطبي ( ١٩/ ٢٣٣ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي ( ٦/ ٤٨٦ ) ، فتح القدير للشوكاني ( ٥/ ٣٨٩ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٧٠٨ ).

(٢) سورة آل عمران ، الآية ( ٣٠ ).

(٣) سورة الحجر ، الآية ( ٢ ).

(٤) تقدم تخريجه في تفسير سورة البقرة ، الآية ( ١٤٤ ).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف ( ٤/ ٧١٠ ).

الحامل . وهذه البروج مخصوصة بالرجوع لا يرجع من الكواكب سواها. ﴿ٱلْجَوَارِ﴾السيارة . ﴿ٱلْكُنَّسِ﴾ الداخلات في كناسهن ، والكناس : بيت الظبي . وقيل : هي الكواكب كلها ؛ لأنها تخنس بالنهار ، وتظهر بالليل .

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿عَسْعَسَ﴾أقبل . وقيل : أدبر وقيل : هو الصبح ( ٣٣٢/ أ )﴿ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ جعل له تنفسا؛ فإنه إذا طلع الفجر استيقظ أكثر الحيوانات ، وطلب الخروج من وكره ، فجعل ذلك كالتنفس . ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ جبريل – صلوات الله عليه .﴿ ذِى قُوَّةٍ﴾كقوله : ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ ﴾ [1]. قوله : ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾تبيين لمكانة جبريل ، وأنه لو كان ثم مكان لكان جبريل عند الله . ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾تعظيم لأمر الأمانة وأنه أجل أوصاف جبريل . قوله : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ يعني : رسول الله ﷺ . كما اتهمه الكفرة ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي : لقد رأى رسولُ اللهِ جبريل ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ وَمَا هُوَ﴾ يعني : وما محمد فيما يخبر به من الغيب ﴿بِضَنِينٍ﴾ بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ ﴿بِضَنِينٍ﴾ [2] بالضاد الساقطة من الضن ، وهو البخيل . فإن قلت: فلو وضع القارئ الظاء موضع الضاد فما حكمها ؟ قلتُ : هو كوضع الدال موضع الجيم والتاء مكان السين وهو غير جائز .

﴿وَمَا هُوَ﴾ وما القرآن . ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي : تلقيه بعض المسترقية للسمع على قلب محمد . ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ يعني : سلكتم في الظن بالنبي ﷺ طرقا مختلفة بعيدة عن الصواب كما

---

(١) سورة النجم ، الآية ( ٥ – ٦ ).

(٢) قرأ " بظنين " ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ، وقرأ " بضنين " نافع وعاصم وابن عامر وحمزة . **وتنظر القراءتان في** : الإتحاف للبنا ( ٢/ ٥٩٢ ) ، البحر المحيط لأبي حيان ( ٨/ ٤٣٥ ) ، والحجة لابن خالويه ( ص : ٣٦٤ ) ، الحجة لأبي علي الفارسي ( ٦/ ٣٨٠ ) ، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٨٧) ، السبعة لابن مجاهد ( ص :٦٧٣ ) ، الكشاف للزمخشري ( ٤/ ٢٢٣ ) ، النشر لابن الجزري ( ٢/ ٣٩٨ ) .

تقول لمن أبعد في البرية[1] وهو تائه فإنك تقول له : أين تذهب ، مع أنه ليس له مقصد صحيح حتى تسأله عنه . لكن يصير تقدير كلامك : لا مذهب لك فتقصده . هذا معنى قوله : ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ ﴾ القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ شرف أو موعظة .

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله : ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

قال فخر الدين بن خطيب الري[2] " حضرت في مجلس فيه جماعة من المعتزلة ، فقال قائل منهم : كيف تصنع بقوله تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[3] فقد فوض المشيئة في الإيمان والكفر إلى العبد ؟ قلت : هذه الآية حجة لي على مذهبي فإنني أعتقد أن الله - تعالى - يشاء أن يشاء العبد فيشاء العبد فيفعل ، ويدل على ذلك قوله في هذه السورة : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فيكون الفعل موقوفا على مشيئة العبد ، ومشيئة العبد موقوفة على مشيئة الله ؛ لقوله : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ وقال في آخر "هل أتى" : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾[4] (٣٣٢/ ب ) .

* * *

(١) **البرية** : الصحراء والجمع البراري . مختار الصحاح ( ١/ ١٩ ).

(٢) **ينظر كلامه في** : تفسيره مفاتيح الغيب ( ٢١/ ١٢٠ ) وهو محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي ويقال له ابن خطيب الري أحد الفقهاء الشافعية المشاهير كان فريد عصره ومتكلم زمانه رزق الحظوة في تصانيفه التي بلغت نحوا من مائتي مصنف منها تفسير كبير ، سماه مفاتيح الغيب والمحصول والمنتخب وتأسيس التقديس وغيرها . توفي سنة ٦٠٦ هـ . **تنظر ترجمته في** : البداية والنهاية ( ١٣/ ٥٥ ) ، شذرات الذهب ( ٣/ ٢١ ) ، طبقات الشافعية ( ٨/ ٨١ ).

(٣) سورة الكهف ، الآية ( ٢٩ ).

(٤) سورة الإنسان ، الآية ( ٣٠ ).

# تفسير سورة انفطرت [الانفطار]

## [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ (١) وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ (٦)﴾

﴿ٱنفَطَرَتْ﴾ انشقت. ﴿فُجِّرَتْ﴾ فتح بعضها إلى بعض، فصارت بحرا واحدا. وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار[1]. ﴿بُعْثِرَتْ﴾ بعثر وبحثر بمعنى، وهما مركبان من البعث والبحث، مع راء مضمومة إليها، والمعنى: بحثت وأخرج موتاها. وقيل لـ " براءة ": المبعثرة؛ لأنها بعثرت أسرار المنافقين[2]. وقالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه. فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿مَا غَرَّكَ﴾ قوله: ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ ؟

قلت: معناه: أنه لا ينبغي لأحد أن يغتر بكرم الله عليه، والتوسعة عليه، بل ينبغي أن يكون على حذر من الكريم، فالمنتقم الجبار أولى أن يحذر منه.

وقال الحسن: غره شيطانه الخبيث، أي: زين له المعاصي، قال له: افعل ما شئت فربك الكريم الذي عودك من إنعامه ما لا يحصى ولا يحد فهو يغفر لك [3].

وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة فقال: ما غرك بربك الكريم، ماذا تقول ؟ قال: أقول: غرني ستورك المرخاة [4]. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ وليس باعتذار كما يظنه الطماع، ويظن به قصاص الحشوية[5] ويقولون: إنما قال الكريم ليلقنه

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٦٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٢٧) بنحوه.

(٢) وهي سورة التوبة ومن أسمائها أيضًا: الفاضحة والبحوث؛ لأنها تبحث عن أسرار المنافقين. وتقدم التعليق على ذلك في أول تفسيرها. **وينظر**: تفسير القرطبي (٨/ ٤٠).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٥) عن الحسن، ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٨٧) عن قتادة "ما غرك بربك الكريم شيء ما غر ابن آدم هذا العدو الشيطان ".

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٢).

(٥) **الحشوية** - بسكون الشين وفتحها -: هم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وغيره وهم من الفرق الضالة قال السبكي في شرح أصول ابن الحاجب: الحشوية: طائفة ضلوا عن سواء السبيل يجرون آيات الله على ظاهرها ويعتقدون أنه المراد، سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاما فقال: ردوا هؤلاء إلى حشاء الحلقة، فنسبوا إلى حشاء فهم حشوية بفتح الشين وقيل: سموا بذلك لأن منهم المجسمة أو هم هم، والجسم حشو، فعلى هذا: القياس فيه: الحشوية - بسكون=

الحجة، فيقول: غرني كرم الكريم، وأغره غيره: جعله غارا.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ فخلقك سويا سالم الأعضاء. " فعدَّلك "فصيرك معتدلا متناسب الخلق غير متفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول، ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر، وجعلك قائما منتصبا تمشي على رجلين لا كالبهائم. وقرئ: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف[1] وفيه وجهان: أحدهما: أن يراد بالتخفيف معنى التشديد. والثاني: فعدلك: فصرفك عن خلقة غيرك، وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق، أو: فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات.

و " ما " في ﴿مَّا شَآءَ﴾مزيدة في الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، والشبه ببعض الأقارب، وخلاف الشبه. فإن قلتَ: هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها ؟ قلتُ: لأنها بيان لـ " عدلك ". فإن قلتَ: بم يتعلق الجار ؟ قلتُ: يجوز أن يتعلق بـ " ركبك " والمعنى: أنه صورك في أي الصور شاء، ويجوز أن يتعلق بمحذوف حاصلا في بعض الصور، ومحله النصب على الحال (٣٣٣/أ) إذا علق بمحذوف. ويجوز أن يتعلق بـ " عدلك " ويكون في " أي " معنى التعجب أي: فعدلك في صورة عجيبة. ثم قال: ﴿مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ والمعنى: ما شاء من التركيب أي: تركيبا حسنا. ﴿كَلَّا﴾ردع عن التعلق بكرم الله، والطمع في الغفران من غير توبة. ﴿بِٱلدِّينِ﴾بالجزاء، أو بدين الإسلام. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ﴾

---

= الشين – نسبة إلى الحشو. وقيل: المراد بالحشوية طائفة لا يرون البحث في آيات الصفات التي يتعذر إجراؤها على ظاهرها بل يؤمنون بما أراده الله مع جزمهم بأن الظاهر غير مراد ويفوضون التأويل إلى الله، وعلى هذا إطلاق الحشوية عليهم غير مستحسن لأنه مذهب السلف. اهـ من كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي الحنفي (١/٥٤٣).

(١) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف " فعدَلك " بالتخفيف، وقرا الباقون " فعدَّلك " بالتشديد.
**تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٤٣٧)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٤)، الحجة لأبي زرعة (ص:٧٥٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/٤٨٨)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٤)، الكشاف للزمخشري (٤/٧١٦)، النشر لابن الجزري (٢/٣٩٩).

أي: عليكم ملائكة يكتبون أعمالكم، ومنها: إنكار البعث، وتعظيم الحفظة والثناء عليهم تهويل لأمر الجازاة، وأنها كانت لا محالة. وعن الفضيل: كان إذا قرأها قال: ما أشدك من آية على المنافقين [1]. ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ كقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [2].

وقيل: يصلونها يوم الدين وما غابوا عنها قبل ذلك؛ لأنهم كانوا يعذبون في القبور. وقيل: بين الله في هذه السورة أن لابن آدم ثلاثة أحوال: أحدها: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله. وحالته الآخرة وهي دار الجازاة. وحال البرزخ من الموت إلى البعث، يعرض عليه كل يوم مقعده من الجنة أو النار. ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

ولهذا كرر الله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ لا تدفع عنها ضررا ولا تجلب لها نفعا. ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ وحده ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [3].

من رفع " يومُ لا تملك " فهو بدل من ﴿يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ والفتح بإضمار: اذكروا [4].

ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن، وهو في محل الرفع [5].

* * *

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٦) وفيه: الغافلين، بدل المنافقين.
(٢) سورة الحجر، الآية (٤٨).
(٣) سورة هود، الآية (١٠٦).
(٤) تقدم تخريج القراءة آخر سورة المائدة .
(٥) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٧).

## تفسير سورة المطففين [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢)﴾

التطفيف: البخس في الكيل والوزن؛ لأن ما يبخس شيء طفيف حقير. روي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخسر الناس كيلا، فنزلت فأحسنوا الكيل[١]. وقيل: قدم وفيها رجل يعرف بأبي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر[٢]. وقيل: كان أهل المدينة تجارا يطففون وكان من بياعاتهم المنابذة[٣] والملامسة[٤] والمخاضرة[٥] فنزلت، فخرج رسول الله ﷺ وقرأ عليهم وقال: " خمس بخمس، قيل: يا رسول الله وما خمس بخمس. قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة (٣٣٣/ ب) إلا حبس عنهم القطر "[٦].

وروي: أن عليًّا مر برجل يزن زعفرانا فأرجح فقال له: " أقم الوزن بالقسط، ثم زد بعد ذلك ما شئت "[٧]. أمره أولا بالمساواة؛ ليعتاد ذلك أو ليفصل الواجب من النفل.

---

(١) رواه النسائي في تفسيره (٢/ ٥٠٠) رقم (٦٧٢)، وابن ماجه رقم (٢٢٢٣)، وابن حبان في صحيحه رقم (٤٩١٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣) والواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٧٤)، رقم (٨٤٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨)، وابن حبان في صحيحه رقم (٧١٥٦) عن أبي هريرة قال: " قدمت المدينة والنبي ﷺ بخيبر، ورجل من بني غفار يؤمهم في الصبح فقرأ في الأولى كهيعص وفي الثانية ويل للمطففين، وكان عندنا رجل له مكيالان مكيال كبير ومكيال صغير يعطي بهذا ويأخذ بهذا فقلت: ويل لفلان ".

(٣) **المنابذة:** أن ينبذ الرجل ثوبه، وينبذ الآخر ثوبه، ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا فحص ولا تقليب.

(٤) **الملامسة:** لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو النهار ولا يقلبه. وقد ثبت في صحيح البخاري رقم (٢٠٠٢)، ومسلم رقم (٢٧٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة والمنابذة ".

(٥) **المخاضرة:** مفاعلة من الخضرة والمراد بيع الثمار والحبوب قبل أن يبدو صلاحها. فتح الباري (٤/ ٤٠٤)

(٦) نسبه السيوطي في الجامع الصغير رقم (٥٥٥١) للطبراني، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٤٠)

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٨) عن علي، ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١١٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

والضمير في ﴿ كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ منصوب راجع إلى الناس. وفيه وجهان: أن يراد كالوا لهم، أو وزنوا لهم، فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال [ من الكامل ]:

ولقد جنيتُكَ أكمؤًا وعساقِلا    ولقد نهيتُكَ عن بناتِ الأوبرِ[(١)]

بمعنى: جنيت لك. أو يكون على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، والمضاف هو المكيل والموزون. ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا راجعا للمطففين؛ لأن الكلام يخرج به إلى نظم فاسد، والمعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل والوزن هم على الخصوص أخسروا، وهو كلام متنافر؛ لأن الحديث واقع في الفعل لا في المباشر، والتعلق في إبطاله بخط المصحف؛ لأن الواو التي تكتب بعد واو الجماعة غير ثابتة فيه ركيك؛ لأن خط المصحف لم تراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم الخط. قال الزمخشري[(٢)]: على أني رأيت في الكتب المخطوطة بأيدي الأئمة المتقنين هذه الألف مرفوضة لكونها غير ثابتة في اللفظ والخط جميعا؛ لأن الواو وحدها معطية معنى الجمع، وإنما كتبت هذه الألف؛ تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك: " هم لم يدعوا ولم يدعو " فمن لم يثبتها قال: المعنى كاف في التفرقة بينهما ووقف عيسى بن عمر[(٣)]على الواوين وقفة يسيرة؛ ليفرق بينهما وبين ما لا يستحق الألف  فإن قلت: هلا قيل: أو اتزنوا، كما قيل: أو وزنوهم ؟ قلت: كان المطففون لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الموازين؛ لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة؛ لأنهم يحتالون، وإذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا [(٤)].

﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون. يقال: خسر الميزان وأخسره.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ

---

(١) ينظر البيت في: الإنصاف لابن الأنباري (١/ ٢٩٧)، جمهرة اللغة (ص: ٣٣١)، الخصائص لابن جني (٣/ ٥٨)، شرح التصريح (١/ ١٥١)، شرح شواهد المغني (١/ ١٦٦)، لسان العرب (جوت، حجر)، المغني لابن هشام (١/ ٥٢)، المقاصد النحوية (١/ ٤٩٨)، المقتضب للمبرد (٤/ ٤٨).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٧٢٠).

(٣) في الكشاف (٤/ ٧٢٠) عيسى بن عمر وحمزة.

(٤) ينظر: السابق.

ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ إنكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطر ببالهم، ولا يخمنون تخمينا. ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ ومحاسبون (٣٣٤/ أ) على مقدار الذرة. وعن قتادة: " أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك "[١]. وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظيم وقيام الناس فيه خاضعين لله - تعالى - ووصف ذاته برب العالمين بيان لتعظيم الذنب وتفاقم الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، وحث على العمل على السوية والعدل في كل أخذ وإعطاء بل في كل قول وعمل.

وقيل: الظن بمعنى اليقين. والوجه ما سبق. ونصب " يوم " بـ " مبعوثون " وقرئ بالجر[٢] بدلا من " يوم عظيم ". وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قرأ هذه الآية فبكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها[٣].

﴿كَلَّآ﴾ ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة. ﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ ما يكتب من أعمالهم، وجعل كتاب الفجار في سجين ومعناه: أنه كتاب جامع للمعاصي التي فعلوها، وهو كتاب مرقوم بيِّن الكتابة، أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه، وسمي ذلك الديوان سجينا، مأخوذ من السجن والضيق؛ لأنه سبب الحبس والتضييق أو لأنه مطروح، - كما روي- تحت الأرض السابعة في مكان موحش مظلم وهو بيت لإبليس وشهده الشياطين كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون. والسجين: اسم علم منقول عن الصفة كـ " حاتم " وهو مصروف؛ لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف[٤].

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٧/ ١١٨)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦٩٢) ونسبه لابن جرير وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه.

(٢) حكاه أبو معاذ القارئ. تنظر في: البحر المحيط (٨/ ٤٤٠)، الدر المصون (٦/ ٤٩١)، الكشاف (٤/ ٧٢٠)، مفاتيح الغيب (٣١/ ٩٠).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٠).

(٤) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢١).

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن التكذيب. و﴿كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ ما كتب من أعمالهم. و﴿عِلِّيُّونَ﴾ علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع "عليّ" على فعيل، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى الدرجات العلى، وإما (٣٣٤/ ب) لأنه مرفوع إلى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون[1] تكريما له وتعظيما. روي " أن الملائكة تصعد بعمل العبد فيستقلونه، فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى الله إليهم: إنكم استقللتم عمل عبدي، وأنا أعلم بنيته فاكتبوه في عليين؛ فقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل عبد فيزكونه، فإذا انتهوا إلى ما شاء الله أوحى إليهم: أنتم الحفظة على عبدي، وأنا الرقيب على قلبه، وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين "[2].

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرَّة في الحجال[3]. ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما شاءوا مد أعينهم إليه من مناظر الجنة، وإلى ما أولاهم من النعمة والكرامة، وإلى أعدائهم يعذبون في النار، وما يحجب حجاب أبصارهم عن الإدراك. ﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بهجة النعيم، كما ترى في وجوه الأغنياء. الرحيق: الشراب الخالص الذي لا غش فيه. ﴿مَّخْتُومٍ﴾ تختم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطينة. وقيل: ختامه: مقطعه رائحة مسك إذا شرب. وقيل: يمزج بالكافور، ويختم بالمسك. ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فليرغب الراغبون.

﴿تَسْنِيمٍ﴾ علم لعين بعينها مأخوذ من سنمه إذا رفعه؛ إما لأنها أرفع شراب الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوقهم. وروي أنها تجري في الهواء، فتصب حيث شاءوا، و﴿عَيْنًا﴾ نصب

---

(١) **الكروبيون:** سادة الملائكة منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل هم المقربون، والملائكة الكروبيون: أقرب الملائكة إلى حملة العرش. **ينظر:** لسان العرب (كرب).

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن المبارك في الزهد.

(٣) **الحجال:** جمع: الحجلة وهي مثل القبة، وحجلة العروس معروفة وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور. والحجلة بالتحريك: بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار، والجمع حجل و حجال. **ينظر:** لسان العرب (حجل).

على المدح. وقيل: على الحال. وقيل: هي للمقربين يشربونها صِرفا، وتمزج لسائر أهل الجنة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾ مشركو أهل مكة؛ أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم من فقراء المؤمنين. وقيل: مر بهم عليّ ومعه جماعة من فقراء المهاجرين فتضاحكوا منه وقالوا: ملكهم الأجلح فنزلت[1]. ﴿فَكِهِينَ﴾ [2] ملتذين بالسخرية منهم.

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ حال من " يضحكون " منهم ناظرين إليهم، وإلى ما هم عليه من الهوان بعد العزة والكبر، ومن ألوان العذاب بعد النعيم.

وقيل: يفتح للكفار باب إلى الجنة فيقال لهم: اخرجوا إليها. فإذا وصلوا إليها أغلق دونهم، يفعل ذلك بهم مرارا، فيضحك منهم المؤمنون[3].

﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾ هل جوزي (٣٣٥/ أ) الكفار بما كانوا يفعلون.

ثوَّبه وأثابه بمعنى إذا جازاه.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٤).

(٢) قرأ جمهور القراء " فاكهين "، وقرأ حفص عن عاصم وأبو جعفر " فكهين ". **تنظر في**: البحر المحيط لأبي حيان (٨ / ٤٤٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٦)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٥)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٤٩٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٦)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٤).

## تفسير سورة "انشقت" [ الانشقاق ]

## [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

حذف جواب " إذا " ليذهب المقدر كل مذهب، أو اكتفى بما علم في مثلها من سورة التكوير والانفطار. وقيل: جوابها ما دل عليه﴿ فَمُلَاقِيهِ﴾ أي: إذا انشقت السماء لاقى الإنسان كدحه. ومعناه: تنشق بالغمام؛ لقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾ (١).

وعن علي ﷺ: تنشق من المجرَّة (٢).

﴿وَأَذِنَتْ﴾ استمعت له، ومنه قول النبي ﷺ : " ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن" (٣). والمعنى: أنها فعلت حين امتثال أمر الله ما يفعله المجتهد في الطاعة من بذل الجهد. ﴿وَحُقَّتْ﴾ من قولك: هو محقوق بكذا وحقيق به، وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع. والقصد: أن كل من عمت قدرته دخل فيها كل مقدور.

﴿مُدَّتْ﴾ من مد الشيء فامتد، وهو أن تدك جبالها وآكامها. وقيل: مدت مد الأديم العكاظي؛ لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه واستوى. أو من مده بمعنى أمده، أي: زيدت سعة وبسطه. ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ مما دفن في بطنها من الموتى والكنوز.

﴿وَتَخَلَّتْ﴾ وخلت غاية الخلو فكأنها تكلفت أقصى الجهد في الخلو كما يقال: تكرم الكريم وترحم الرحيم، إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة، وتكلفا فوق ما في طبعهما ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ في إلقاء ما في بطنها. الكدح: جهد النفس في العمل، والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده: إذا خدشه، ومعنى﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾جاهد إلى اللقاء وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء. ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ فملاق له لا محالة، لا مفر لك منه.

---

(١) سورة الفرقان، الآية (٢٥).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٥).

(٣) رواه البخاري رقم (٢٥٤٤)، ومسلم رقم (٧٩٢) عن أبي هريرة ﷺ.

وقيل: الضمير في " ملاقيه " للكدح. ﴿يَسِيرًا﴾ سهلا هينا، لا يناقش فيه، ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه، كما يناقش أصحاب الشمال. وعن عائشة – رضي الله عنها –: " هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه "[1]. وعن النبي ﷺ أنه قال: " من يحاسب يعذب " فقيل: يا رسول الله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال: " ذلكم العرض، من نوقش العذاب عُذِّب "[2].

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝١٩ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١﴾

﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين. أو إلى أهله من الجنة من الحور العين.

﴿وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ قيل: تغل يمناه إلى عنقه، ويعطى كتابه بشماله من وراء ظهره.

وقيل: تُخلع (٣٣٥/ ب) يده اليسرى من وراء ظهره.

﴿يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ يقول: واثبوراه. والثبور: الهلاك. ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ فيما كان فيه من الدنيا

﴿مَسْرُورًا﴾ مترفا متنعما كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر آخرتهم.

﴿أَن لَّن يَحُورَ﴾ أن لن يرجع تكذيبا بالمعاد، لا يحور ولا يحول أي: لا يرجع ولا يتغير. ﴿بَلَىٰٓ﴾ إذا بلي بعد الموت أي: بلى ليحورن. ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ الحمرة التي ترى في المغرب بين المغرب والعشاء، وبسقوطه خرج وقت المغرب. وروي عن أبي حنيفة قول: إن الشفق البياض. وروي أنه رجع عن هذه المقالة. وأكثر العلماء على أن الشفق: الحمرة[3]. ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع. ﴿ٱتَّسَقَ﴾ واستوسق: إذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة. ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ والطبق: ما طابق غيره، أي: حالا بعد حال، كل واحدة مطابقة لصاحبتها في الشدة والهول. وموضع " عن طبق " الصفة، أي: طبقا مجاوزا عن طبق. وعن مسروق: " في كل عشرين

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٥٧) لابن المنذر عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم (٤٩٣٩)، ومسلم في صحيحه رقم (٢٨٧٦).

(٣) **ينظر:** حاشية ابن عابدين (١/ ٣٦١)، الحجة للإمام محمد بن الحسن الشيباني (١/ ٨)، المبدع لابن مفلح (١/ ٣٤٤)، المجموع للنووي (٣/ ٤٤)، الموطأ للإمام مالك (١/ ١٢).

عاما يجدون أمرا لم يكونوا عليه "[١]. ﴿لَا يَسْجُدُونَ﴾ لا يخضعون. وقيل: قرأ رسول الله ﷺ يوما ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ [٢] فسجد هو ومن معه، وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر فنزلت[٣]. وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة[٤]. وعن ابن عباس: " ليس في المفصل سجدة [٥]. وعن أبي هريرة: "أنه سجد فيها وقال: والله ما سجدت فيها إلا بعد أن رأيت رسول الله ﷺ – سجد فيها "[٦].

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إشارة إلى المذكورين. ﴿بِمَا يُوعُونَ﴾بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد. أو ما يجمعون في صحفهم من أعمال السوء. ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾استثناء منقطع.

* * *

---

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٦٠) لابن أبي حاتم وابن المنذر عن مكحول.
(٢) سورة العلق، الآية (١٩).
(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٨)، وذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٧٨)، والحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) وقال: لم أجده.
(٤) **ينظر**: نصب الراية للزيلعي (٢/ ١٨٢)، النتف في الفتاوى لأبي الحسن السغدي (١/ ٣٩، ٤٠) ، البحر الرائق لزين بن إبراهيم (٢/ ١٣٨).
(٥) روى البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٣١٣) عن عاصم الأحول عن العريان أو أبي العريان قال: قال ابن عباس: " ليس في المفصل سجدة " قال: فلقيت أبا عبيدة فذكرت له ما قال ابن عباس، قال: قال عبد الله – يعني ابن مسعود – سجد رسول الله ﷺ والمؤمنون والمشركون في النجم فلم نزل نسجد بعد " وروى الترمذي سنن الترمذي رقم (٥٢٤) عن عكرمة عن ابن عباس قال: " سجد رسول الله ﷺ فيها يعني النجم والمسلمون والمشركون والجن والأنس ". قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند بعض أهل العلم يرون السجود في سورة النجم. وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: ليس في المفصل سجدة. وهو قول مالك بن أنس، والقول الأول أصح، وبه يقول الثوري وابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق.
(٦) رواه البخاري رقم (١٠٧٤)، ومسلم رقم (١٢٩٩)، عن أبي هريرة ﷺ.

## تفسير سورة البروج [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤)﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هي البروج الاثنا عشر. وقيل: قصور السماء على التشبيه. وقيل: البروج: النجوم التي هي منازل القمر. وقيل: عظام الكواكب، سميت بروجا لعظمها. ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة. ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فيه، والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق عليهم، والمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائب. وتنكيرها على ما قدمته في قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ [١] وقد اضطربت أقوال المفسرين فيها؛ فقيل: الشاهد: محمد، والمشهود: يوم القيامة. وقيل:(٣٣٦/ أ) عيسى وأمته. فإن قلتَ: أين جواب القسمَ ؟ قلتُ: محذوف يدل عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾. وكأنه قيل: أقسم بهذه الأقسام ليعذبن الله من كذبك، وذلك أن السورة نزلت في ثبات المؤمنين وصبرهم على أذى الكفار، وتذكيرهم بما جرى على غيرهم من المعذبين. قتلت قريش كما ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ والأخدود: الشق في الأرض.

روي أنه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبر ضم إليه غلاما ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب يسمع منه، فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس، فأخذ حجرا وقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فاقتلها. فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الأكمه والأبرص، وعمي جليس الملك فأبرأه، فسأله الملك: من ردَّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. فغضب فعذبه، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار، وأتي بالغلام فذهب به إلى جبل ليلقى من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا الغلام، فذهب به إلى قرقور[٢] فلججوا به[٣] ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم

---

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) **قرقور**: هو السفينة العظيمة وجمعها قراقير. **ينظر**: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير (٤/ ٤٨).

(٣) **يقال**: ألج القوم و لججوا: ركبوا اللجة. والتج الموج: عظم. ولجج القوم: إذا وقعوا في اللجة. ولججت السفينة أي: خاضت اللجة. والتج البحر التجاجا والتجت الأرض بالسراب: صار فيها منه كاللج والتج الظلام: التبس واختلط. واللجة: الصوت. **ينظر**: لسان العرب (لجج).

السفينة ونجا الغلام، فقال للملك: لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول: بسم الله رب الغلام. ثم ترميني به، فرماه فوقع في صدره فوضع يده عليه ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر. فأمر بأخاديد في أفواه السكك فأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرح فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها، فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق. فاقتحمت. وقيل: قال لها: قعي ولا تنافقي. وقيل: ما هي إلا غميصة فصبرت "[1].

وعن علي: أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل الكتاب، وكانوا متمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته، فلما صحا ندم، وطلب المخرج، فقالت له: المخرج أنك تخطب الناس وتقول: أيها الناس إن الله أحل نكاح الأخوات. ثم تخطبهم بعد ذلك: إن الله حرمه. فخطبهم فلم يقبلوا منه، فأمر بالأخاديد، وإيقاد النار، وطرح من أتى فيها، فهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [2].

وقيل: وقع إلى نجران رجل ممن كان على (٣٣٦/ ب) دين عيسى فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير، فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد [3]. وقيل: سبعين ألفاً. وقيل: إن طول الأخدود أربعون ذراعاً، وعرضه: اثنا عشر ذراعاً. وعن النبي - ﷺ - " أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء " [4].

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ

---

(١) رواه مسلم رقم (٣٠٠٥)، وأحمد في المسند (٦/ ١٦)، والترمذي رقم (٣٣٤٠)، من حديث صهيب الرومي.

(٢) نسبه ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لأحمد والبزار والطبري وأبي يعلى وإسحاق بن راهويه. ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٦٩) لعبد الرزاق في المصنف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) نسبه ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن إسحاق في السيرة.

(٤) نسبه ابن حجر في تخريجه أحاديث الكشاف (ص: ١٨٣) لابن أبي شيبة عن الحسن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ (١٤) ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ (١٩) وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ (٢٢)﴾

﴿ٱلنَّارِ﴾بدل اشتمال من الأخدود. ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ وصف لها بالعظم لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وهو الوقود وأبدان الناس. ﴿إِذْ﴾ظرف لـ" قتل "؛ أي: لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها. ﴿عَلَيْهَا﴾أي: متولين أمرها؛ كقولك: هو على البصرة؛ أي متوليها يؤدون بالشهادة يوم القيامة بما فعله الكفار.

﴿وَمَا نَقَمُوا۟﴾ وما عابوا إلا إيمانهم بالله كقول الشاعر [ من الطويل ]:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أن سُيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ [1]

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش: الأخذ بالعنف، فإذا وصف بالشدة، فقد تضاعف وتفاقم.

﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يعني: يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة. ﴿فَعَّالٌ﴾ الفاعل بأهل طاعته ما يفعله المحب في غاية الكثرة.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بدل من ﴿ٱلْجُنُودِ﴾، وأراد بـ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ إياه وآله؛ كما في قوله: ﴿وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ [2] والمعنى: قد عرفت تكذيب الجنود الرسل، وما نزل بهم.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من قومك. ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ واستيجاب للعذاب. ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ عالم بأحوالهم، مقتدر على الانتقام منهم. بَلْ ﴿هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ شريف عظيم.﴿ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ بالجر نعتا للّوح، وبالرفع: نعت للقرآن [3].

---

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النمل.

(٢) سورة يونس، الآية (٨٣).

(٣) قرأ نافع " محفوظٌ "، وقرأ بقية العشرة " محفوظٍ ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٥٣)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٧)، الدر المصون للسمين (٦/ ٥٠٥)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٣٣)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٩).

## تفسير سورة والطارق [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤)﴾

﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه، فينفذ فيه كما قيل: دُرِّيّ؛ لأنه يدرأ الظلمة، أي: يدفعها وهو صفة للطارق؛ لأنه يبدو بالليل، كما يقال للآتي ليلا: طارق. أو لأنه يطرق الجني أي: يصكه، والمراد: جنس النجوم، أو الشهب التي يرجم بها. وأقسم الله – تعالى – بالنجم الثاقب؛ تعظيما له، فأراد أن ينبه على ذلك، فجاء بصفه مشتركة وهو كونه طارقا. وجواب القسم قوله:﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ من قرأ: "لَما" مخففه من الثقيلة (٣٣٧/ أ) واللام هي الفارقة[(١)] و" ما ": زائدة، ومن قرأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد[(٢)] فالمعنى: وما كل نفس إلا عليها حافظ رقيب، ووجه الربط بين قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾وبين قوله: ﴿ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾أنه لما ذكر الحافظ وأنه يحصي عملك أتبعه ما يجب اهتمام المرء به لما خلق له من العبادة والطاعة وليعلم قدرة الله في خلقه الآدمي وإنشائه من نطفة، ونقله في الأطوار حتى تكامل إنسانا كثير الجدال؛ كقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [(٣)].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ (١٠) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)﴾

﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ دخل حرف الجر على الاستفهامية، فحذفت ألفها. ﴿دَافِقٍ﴾ ذي دفق، أو الدفق لصاحبه، ولم يقل: من مائين؛ لامتزاجهما واختلاطهما في الرحم. ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾من

---

(١) قال ابن هشام في شرح قطر الندى (ص: ١٦٤): سميت فارقة؛ لأنها فرقت بين النفي والإثبات.

(٢) قرأ ابن عامر وحمزة وأبو جعفر " لما " بالتشديد، وقرأ بقية العشرة " لما " بالتخفيف.

تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٥٤)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٨)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٨)، الدر المصون للسمين (٦/ ٥٠٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٧٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٣٤)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩١).

(٣) سورة يس، الآية (٧٧).

الرجل ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ من المرأة. وقيل: العظم والعصب من الرجل، واللحم والدم من المرأة.

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للخالق؛ لدلالة ﴿خُلِقَ﴾ عليه. إن ذلك الذي قدر على خلقه ابتداءً ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِۦ﴾ وبعثه. ﴿لَقَادِرٌ يَوْمَ﴾ ظرف منصوب بـ ﴿رَجْعِهِۦ﴾. ومن جعل الضمير ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للماء، وفسره برجعه إلى الصلب والترائب أو إلى الإحليل[١]، أو إلى الحالة الأولى نصب الظرف بمضمر. ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ ما أسر في القلوب من العقائد، وما أخفي من الأعمال. وسمع الحسن رجلا ينشد: [ من الطويل ]

سيبقَى لها في مضمرِ القلبِ والحشا    سريرةُ ودٍّ يومَ تُبْلَى السَّرائرُ [٢]

فقال: ما أغفله عما في ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾[٣].

﴿فَمَا﴾ للإنسان: ﴿مِن قُوَّةٍ﴾. ﴿ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ سمي المطر رجعا، كما سمي أوبا، وذلك أن العرب كانوا يعتقدون أن السحاب يصعد بالمطر من الأرض، ثم يرجع فيصبه فيه. وقيل: تفاؤلا برجوع المطر و﴿ٱلصَّدْعِ﴾ ما تتصدع منه الأرض من النبات.

﴿إِنَّهُۥ﴾ الضمير للقرآن. ﴿فَصْلٌ﴾ فاصل بين الحق والباطل، ومن حقه لما وصف بذلك أن يكون معظما في الصدور من سامعه وقارئه ولا يلمان بهزل، وأن يصور في نفسه أن الجبار خالق السماء والأرض يخاطبه ويأمره وينهاه.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة يعملون المكايد في إبطال أمر الله. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستدرجهم بتعميرهم وسعة الأرزاق. ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تدع بهلاكهم. ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ أي: إمهالا (٣٣٧/ ب) وكرر الإمهال وغير اللفظ دلالة على الاهتمام بهذا الأمر وتفخيمه.

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٢٥)، **والإحليل:** مخرج البول من الإنسان ومخرج اللبن من الثدي والضرع. وإحليل الذكر: ثقبه الذي يخرج منه البول وجمعه الأحاليل. **ينظر:** لسان العرب (حلل).

(٢) **ينظر البيت للأحوص في:** تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم بن هبة الله الشافعي (٣٢/ ٢١٨)، ولمجنون ليلى في الكشاف (٤/ ٧٣٦).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٣٦).

## تفسير سورة "سبح" [ الأعلى ]

## [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ (٥)﴾

تسبيح اسمه – عز وجل –: تنزيهه عما لا يليق به وصونه عن أن يذكر بغير تعظيم ولا توقير، ويجوز أن يكون " الأعلى " صفة للحديث، وفي الحديث: " أنه لما نزل قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [1] قال ﷺ : " اجعلوها في ركوعكم " فلما نزل ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: " اجعلوها في سجودكم "[2].

﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي: خلق كل شيء فسوى خلقه، ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم؛ دلالة على أنه صدر عن عالم حكيم. ﴿قَدَّرَ﴾ أي: قدر لكل حيوان ما يصلحه، وهداه إليه.

يحكى: أن الأفعى إذا مرَّ عليها ألف سنة عميت، فربما كانت في برية وفي مكان بعيد عن نبات الشمر فتسافر المسافة البعيدة حتى تقع على زراعة الرازيانج فتحك به عينها، فيعود إليها بصرها، وهذا نوع عظيم من المصالح[3]. وكذلك هداية الله للإنسان وسائر الحيوان إلى مصالحها.﴿أَحْوَىٰ﴾ صفة لـ ﴿غُثَاءً﴾ أي: أخرج المرعى أنبته فجعله بعد خضرته ورفيفه[4]. ﴿غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ دريناً[5] أسود. ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى، أي: أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ (١٢)﴾

---

(١) سورة الواقعة، الآية (٩٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٥)، وأبو داود رقم (٨٦٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢٢٥) وصححه.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٣٨).

(٤) يقال: **شجر رفيف:** إذا تندى، ويرف رفيفا: يقطر نداه. يقال للشيء إذا كثر ماؤه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا. **ينظر:** لسان العرب (رفف).

(٥) **الدرين:** حطام المرعى إذا قدم وهو ما بلي من الحشيش، وقلما تنتفع به الإبل، وأدرنت الإبل: رعت الدرين وذلك في الجدب وحطب مدرن: يابس. **ينظر:** لسان العرب (درن).

﴿سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ بشره الله بإعطائه آية بينة وهي أن جبريل يقرأ عليه الوحي فلا ينسى مما يقرأ عليه شيئا. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فذهب به عن حفظه برفع حكمه أو تلاوته؛ كقوله: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [(١)]. وقيل: كان يعجل بالقراءة فقيل له: لا تعجل؛ فإن جبريل إذا قرأ فهو مأمور بأن يكرره عليك إلى أن تحفظه فلا تنساه إلا ما شاء الله للقلة والندرة. وقيل: ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ نهي، والألف مزيدة؛ كقوله: ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [(٢)].

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ﴾ قراءتك مع جبريل خيفة السَّلب. ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ من ذلك أو يعلم جميع الظاهر والخفي من الأقوال والأفعال. ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ معطوف على " سنقرؤك " وقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ اعتراض أي: معناه: ونوفقك للطريقة التي هي أيسر. وقيل: الشريعة السمحة. فإن قلتَ: كان رسول الله ﷺ مأمورا بالتذكرة نفعت أو لم تنفع، فما وجه اشتراط النفع ؟ قلتُ: وجهان: أحدهما: أن يكون الرسول قد استفرغ جهده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على التذكرة إلا عتوا. وكان النبي ﷺ حريصا على أن يطيعوا، فقيل له: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾ [(٣)] (٣٣٨/ أ) ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٌ﴾ [(٤)]. ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾ وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير. والثاني: أن يكون ظاهره شرطا وباطنه ذما للمذكرين، واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم؛ كما تقول للواعظ: عظ المكّاسين[(٥)] إن نفعت الموعظة، استبعادا لأن يكون ذلك.

﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ سينتفع بالتذكرة ﴿مَن يَخۡشَىٰ﴾ الله وسوء العاقبة. ويتجنب التذكرة ﴿ٱلۡأَشۡقَى﴾ الكافر؛ لأنه أشقى من الفاسق. ﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ السفلى من أطباق النار. وقيل: الكبرى: نار جهنم، والصغرى: نار الدنيا.

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٠٦).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٦٧).

(٣) سورة ق، الآية (٤٥).

(٤) سورة الزخرف، الآية (٨٩).

(٥) **المكاسون:** جمع الماكس وهو العشار، ويقال للعشار صاحب مكس، والمكس: ما يأخذه العشار يقال: مكس فهو ماكس: إذا أخذ، والمكس: درهم كان يأخذه المصدق بعد فراغه، والمكس: الضريبة التي يأخذها الماكس وأصله الجباية. **ينظر:** لسان العرب (مكس).

ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ﴾ لأن التردد بين الموت والحياة أشد وأفظع من التعذيب بغير ذلك ﴿تَزَكَّىٰ﴾ تطهر من الشرك والمعاصي. أو تطهر للصلاة أو تزكى تفعَّل من الزكاة.

﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصلوات الخمس، نحو قوله:﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [1].

وقيل: هي صدقة الفطر. وقال [ عَلِيٌّ ] [2]: لا أبالي ألا أجد في كتابي غيرها؛ لقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾فأعطى زكاة الفطر، وصلى صلاة العيد[3].

وقيل: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾فكبر تكبيرة الافتتاح، وبه احتج على وجوب تكبيرة الإحرام وعلى أنها ليست من الصلاة وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه – تعالى[4]. وعن ابن عباس: " ذكره معاده وموقفه بين يديه، فصلى له "[5]. وعن الضحاك: " فذكر اسم ربه في طريق المصلَّى "[6]. ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ فلا تفعلون ما تفلحون به. وقرئ " يؤثرون "[7]على الغيبة، ويعضد الأول قراءة ابن مسعود: " بل أنتم تؤثرون "[8].

﴿خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ أفضل في نفسها وأنعم وأدوم. وعن عمر ﷺ: " ما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب "[9].

---

(١) سورة البقرة، الآية (١٧٧)

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت من الكشاف.

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٠) عن علي ﷺ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٨٥ – ٤٨٦) عن بعض الصحابة.

(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٣٧٢) ، التمهيد لابن عبد البر (٩/ ١٨٢، ١٨٥) ، المغني لابن قدامة (١/ ٢٧٥، ٢٧٦)، نيل الأوطار للشوكاني (٢/ ٢٧٧، ٢٧٨).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٠).

(٦) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٠).

(٧) قرأ بها أبو عمرو. وقرأ الباقون " تؤثرون ". تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٦٠)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٩)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥١١)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨٠)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤١)، النشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

(٨) ذكرها الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤١).

(٩) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٩٧)، وابن السري في كتاب الزهد (١/ ٣١٨) عن مسروق قال: خرج عمر ذات يوم وعليه حلة قطن، فنظر إليه الناس نظرا شديدا فقال: " لاشيء مما يرى تبقى بشاشته إلا الإله ويودي المال والولد ، وما الدنيا في الآخرة إلا كنفجة أرنب ". وكنفجة أرنب أي: كوثبته من=

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)﴾

﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ يعني: أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف. وقيل: إن ما في السورة كلها.

روي عن أبي ذر رضي الله عنه: أنه سأل رسول الله ﷺ: كم أنزل الله من كتاب ؟ فقال: " مائة وأربعة كتب؛ منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسون صحيفة، وعلى أخنوخ - هو إدريس - ثلاثون صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان "[1].

وقيل: إن في صحف إبراهيم: " ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شانه "[2].

* * *

---

= مجثمه، يريد تقليل مدتها، يقال: نفج الأرنب: إذا ثار، وأنفجها الصائد: أثارها من مجثمها .
**ينظر:** لسان العرب (نفج).

(١) رواه ابن حبان في صحيحه رقم (٣٦١) في حديث طويل عن أبي ذر رضي الله عنه، وإسناده ضعيف؛ فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى العماني، وهو كذاب كما في الجرح والتعديل لأبي حاتم الرازي (٢/ ١٤٢).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤١)، والمزي في تهذيب الكمال (٦/ ٢٤١).

# تفسير سورة الغاشية [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٣٨/ ب)

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (٤)﴾

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ الداهية التي تغشى الناس بشدائدها، وتلبسهم أهوالها، يعني: القيامة، من قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾[1] وقيل: النار، من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[2] ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾[3]. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم إذ غشيت. ﴿خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ تعمل في النار عملا تتعب فيه، وهو جرها السلاسل والأغلال، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل، وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها. وقيل: عملت ونصبت في أعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾[4] ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[5] وقيل: هم أصحاب الصوامع. ومعناه: أنها خشعت لله، وعملت ونصبت في أعمالها من الصوم الدائب، والتهجد الواصب. وقرئ: عاملةً ناصبةً[6] على الشتم. وقرئ: ﴿تَصْلَىٰ﴾ – بفتح التاء، و"تُصلى" بضمها – وتصلَّى بالتشديد[7]. وقيل:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية (٥٥).

(٢) سورة إبراهيم، الآية (٥٠).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٤١).

(٤) سورة الفرقان، الآية (٢٣).

(٥) سورة الكهف، الآية (١٠٤).

(٦) قرأ بها ابن محيصن وعيسى بن عمر وحميد وابن كثير في رواية عنه. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٦٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥١٢)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٢٨ - ٤٢٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤٢)، المحتسب لابن جني (٢/ ٣٥٦)، مفاتيح الغيب للرازي (٣١/ ١٥١).

(٧) قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية شعبة عنه ويعقوب "تُصْلى" وقرأ أبو رجاء "تُصَلَّى"، وقرأ الباقون "تَصْلى". **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٦٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٢٨)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٦٩)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٥٩)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥١٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨١)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤٢)، النشر لابن الجزري (٢/ ٤٠٠).

المصلى عند العرب: أن يحفروا حفيرا، فيجمعوا فيه جمرا كثيرا، ثم يعمدوا إلى شاة، فيدسوها في وسطه، فأما ما شوي فوق الجمر، أو على المقلى، أو في التنور فلا يسمى مصليا.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥﴾

﴿ءَانِيَةٍ﴾ متناهية في الحر؛ كقوله: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[١]

الضريع: يبس الشرق، وهو جنس من الشوك ترعاه الإبل ما دام رطبا، فإذا يبس تحامته، وهو سم قاتل. فإن قلتَ: كيف قيل: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾. وفي الحاقة: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾[٢]؟

قلتُ: العذاب ألوان , والمعذبون طبقات، فمنهم أكلة الزقوم، ومنهم أكلة الغسلين، ومنهم أكلة الضريع ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[٣]

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعني: أن طعامهم من شيء وليس من مطاعم الإنس، وإنما هو شوك، والشوك مما ترعاه الإبل، وتتولع به. قلتُ: كونه وصفا للطعام لا يصح؛ إذ يصير المعنى: ليس لهم طعام لا يسمن ولا يغني من جوع إلا الضريع، ومفهومه: أن لهم طعاما غيره والغذاء فيه منفعتان: إذهاب الجوع، وإمداد القوى. أو يراد: لا طعام لهم أصلا؛ لأن الضريع ليس بطعام للبهائم، فضلا عن الإنس، كما تقول: ليس لفلان ظل إلا الشمس يريد: نفي الظل. وقيل: قالت كفار قريش: إن الضريع لتسمن عليه إبلُنا، فنزلت[٤].

﴿نَّاعِمَةٌ﴾ ذات بهجة وحسن؛ كقوله: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[٥] (٢٣٩/أ)

---

(١) سورة الرحمن، الآية (٤٤).

(٢) الآية (٣٦).

(٣) سورة الحجر، الآية (٤٤).

(٤) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٣).

(٥) سورة المطففين، الآية (٢٤).

﴿لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ﴾ رضيت بعملها لما رأت ما أداها إليه من الكرامة والثواب. ﴿عَالِيَةٖ﴾ من علو المكان أو المقدار. ﴿لَّا تَسۡمَعُ﴾ يا مخاطب، أو الوجوه. ﴿لَٰغِيَةٗ﴾ لغواً مصدر على فاعلة كالعاقبة. ﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ﴾ يريد: عيونا في غاية الكثرة؛ كقوله: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ [1] ﴿مَّرۡفُوعَةٞ﴾ من رفعة المقدار أو المكان أو السمك ليرى المؤمن عند جلوسه عليها جميع ما خوّله الله من النعم. وقيل: مرفوعة مخبوءة لهم من رفع الشيء: إذا خبأه ﴿مَّوۡضُوعَةٞ﴾: كلما أرادوها وجدوها عتيدة حاضرة لا يحتاجون إلى أن يستدعوها، أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب. ويريد: أنها موضوعة عن حد الكبر إلى حد التوسط. ومساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة[2]، واستند إلى أخرى.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بُسُط عراض فاخرة. وقيل: هي الطنافس[3] التي لها خمل رقيق جمع زربية. ﴿مَبۡثُوثَةٌ﴾ مبسوطة، أو مفرقة في المجالس. ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ﴾ نظر اعتبار. ﴿كَيۡفَ خُلِقَتۡ﴾ على أكمل الأحوال التي ينتفع بها فيها، حيث تنهض بالحمل الثقيل من البروك إلى القيام. ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ﴾ وما فيها من البروج والمنازل ودورانها في الفلك. ﴿وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ﴾ وأرسيت الأرض بها ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ فصارت مهادا للخلق. ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناء منقطع.

وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار، ولا حسابهم إلا عليه.

* * *

---

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) **المسورة:** متكأ من أدم وجمعها المساور. **ينظر:** لسان العرب (سور).

(٣) **الطنفسة** والطنفسة بضم الفاء الأخيرة: النمرقة فوق الرحل، وجمعها طنافس. وقيل: هي البساط الذي له خمل رقيق. **ينظر:** لسان العرب (طنفس).

# تفسير سورة الفجر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٥)﴾

أقسم بالفجر كإقسامه بالصبح إذا أسفر، وقيل: بصلاة الفجر، وأراد بالعشر: عشر ذي الحجة. فإن قلتَ: فما بالها منكرة من بين ما أقسم به ؟ قلتُ: لأنها ليالي مخصوصة من بين جنس الليالي، أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها. فإن قلتَ: هلا عرفت بلام العهد؛ لأنها ليالي معلومة معهودة ؟ قلتُ: لو فعل ذلك لم يستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير؛ لأن الأحسن في الآيات أن تكون متجانسة لئلا يبقى الكلام كاللغز، وبالشفع والوتر: إما الأشياء كلها شفعها ووترها وإما شفع هذه الليالي ووترها، وقد أكثروا في الشفع والوتر. حتى كادوا يستوعبون جميع ما يقع عليه شفع ووتر(٣٣٩/ ب) .

وبعد ما أقسم بالليالي المخصوصة أقسم بالليل على العموم. ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ إذا يمضي وياء ﴿يَسْرِ﴾ تسقط في الدرج، اكتفاء عنها بالكسرة، وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة. وقيل: معنى يسري: يُسْرَى فيه. ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ الذي ذكرته من الآيات محل قسم لذي عقل.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧)﴾

والمقسم عليه محذوف وهو: ليعذبن، يدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

قيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد. كما يقال لبني هاشم: هاشم. ثم قيل للأولين منهم عاد الأولى. وإرم تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم عاد الأخير، فإرم في قوله: ﴿بِعَادٍ (٦) إِرَمَ﴾ عطف بيان لعاد. وإيذان بأنهم عاد الأولى القديمة.

وقيل: إرم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها، ويدل عليه قراءة ابن الزبير: "بعادِ إرم" على الإضافة، وتقديره: بعاد أهل إرم، كقوله: ﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [(١)] ولم ينصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث. وقرأ الحسن: "بعادَ إرمَ" مفتوحتين، وقرئ:" بعادِ إرْم"

---

(١) سورة يوسف، الآية (٨٢).

بسكون الراء على التحقيق، كما قرئ ﴿بوَرِقِكُمْ﴾ (١). وقرئ: "بعادِ إرمَ ذات العماد" (٢) على الإضافة إلى ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ أي: جعل الله ذات العماد رميما، بدلا من " فعل ربك " وذات العماد إذا كانت صفة للقبيلة، فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الأجسام على تشبيه قدودهم بالأعمدة، ذات البناء الرفيع، وإن كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطير.

وروي أنه كان لعاد ابنان: شداد وشديد، فملكا وقهرا، ثم مات شديد، وخلص الأمر لشداد، فملك الدنيا، ودانت له ملوكها، فسمع بذكر الجَنَّة، فقال: أبني مثلها. فبنى إرم في بعض صحاري عدن في ثلاثمائة سنة، وكان عمره تسعمائة سنة، وهي مدينة عظيمة، قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها(٣) من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار، ولما تم بناؤها سار إليها بأهل مملكته، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء، فهلكوا. وعن عبد الله بن قلابة: "أنه خرج في طلب إبل له، فوقع عليها فحمل منها ما قدر عليه، فبلغ خبره معاوية فاستحضره، فقص عليه وبعث إلى كعب فسأله، فقال: هي إرم ذات العماد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير، على حاجبيه خال (٤)، وعلى عقبه خال يخرج في (٣٤٠/ أ) طلب إبل له، ثم التفت فأبصر ابن قلابة، فقال: هذا والله ذلك الرجل" (٥).

﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) سورة الكهف، الآية (١٩)وقرأ بها أبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم، وقرأ الباقون " بوَرِقكم ".
**تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٤/ ٤٤٣)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٣٨٩).

(٢) قرأ الحسن وأبو العالية " بعادِ إرَمَ " على الإضافة وفتح الراء، وقرأ معاذ القارئ " بعادِ إرْم " بالإضافة وسكون الراء، وقرأ جمهور القراء " بعادٍ إرَمَ ". **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٦٩)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٤٤)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥١٨)فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٣٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٤٧).

(٣) **أساطين:** جمع أسطوانة، وهي السارية، وعمود المنزل. **ينظر:** لسان العرب (سطن).

(٤) **الخال:** شامة سوداء في البدن. وقيل: نكتة سوداء فيه والجمع خيلان. **ينظر:** لسان العرب (خول).

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٨).

لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾

﴿مِثۡلُهَا﴾ مثل عاد ﴿فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ عظم إجرام وقوة، وكان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، وكان يأتي الصخرة العظيمة، فيقلبها على الحي فيهلكهم، أو لم يخلق مثل مدينة شداد في بلاد الدنيا. ﴿جَابُواْ﴾: قطعوا، نحتوا الجبال، واتخذوا فيها بيوتا.

وقيل: أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود، وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة. وقيل لفرعون: ﴿ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ ؛ لكثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونها إذا نزلوا، أو لتعذيبه بالأوتاد، كما فعل بماشطة بنته وبآسية.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ﴾ في محل نصب على الذم، أو مرفوعا على هم الذين طغوا، أو مجروراً ردًّا على قوله بعاد وثمود وفرعون، وذكر السوط ليدل على أن ما يعذب به في الدنيا نسبته إلى عذاب الآخرة كنسبة السوط إلى آلات العقوبة.

وكان الحسن إذا قرأها يقول: إن عند الله أسواطاً كثيرة فأخذهم بسوط منها [(١)].

المرصاد: المكان الذي يترقب فيه من يمر أو يأتي، وقيل لبعض العرب: أين ربك ؟ قال: بالمرصاد. وقرأ عمر بن هبيرة هذه السورة على أبي جعفر المنصور، فلما وصل إلى ها هنا قال: إن ربك لبالمرصاد يا أبا جعفر. يعني: إنك من قوم ينذرون بذلك.

قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ متصل بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ فأما الإنسان فلا يهمه إلا العاجلة، وجعل كثرة الرزق ابتلاءً وكذلك جعل ضيقه وتقتيره ابتلاءً؛ لأن الله تعالى يبتلي العبد بالنعمة ليظهر كيف يشكره عليها، ويبتليه بالشدة؛ ليظهر صبره عليها.

﴿جَمّٗا﴾ كثيراً شديداً. ﴿دَكّٗا﴾ بعد دكٍّ. قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء سلطانه، ونفوذ أحكامه وأوامره [(٢)] ﴿صَفّٗا صَفّٗا﴾ تنزل ملائكة كل سماء، فيصطفون صفا بعد صف.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٤٨).

(٢) تقدم الكلام غير مرة أن عقيدة السلف الصالح من أهل السنة والجماعة هي إمرار آيات الصفات=

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام. أي: يتذكر ما فرط فيه الإنسان.

قيل: المراد به أبي بن خلف.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي: لا يعذب كعذاب الله أحد.

﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ مثل وثاقه أحد. وقيل: لا يحمل أحد عن أحد عذابا، ولا تزر وازرة وزر أخرى. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إما أن يكلمها الله؛ إكراماً لها (٣٤٠/ ب) أو على لسان ملك. و﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ التي لا يستقر لها خوف، والمطمئنة إلى الحق المعتقدة له. قيل: يقال لها ذلك عند الموت. وقيل: وقت البعث. وقيل: عند دخول الجنة.

﴿رَاضِيَةً﴾ بما أوتيت. ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله. ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي: انتظمي في سلك عبادي الصالحين. ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معهم. وقيل: النفس: الروح. ومعناه ادخلي في أجساد عبادي. قيل: الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ﴾ لحمزة بن عبد المطلب [١]. وقيل: لخبيب الذي صلبه المشركون [٢].

* * *

= الواردة في القرآن الكريم، وكذلك ما صح من أحاديث النبي ﷺ على ظاهرها من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف، ونؤمن بها على ظاهرها في إطار قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾).

(١) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥١٤) لابن المنذر وابن أبي حاتم عن بريدة رضي الله عنه.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٣).

## تفسير سورة البلد [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾

أقسم سبحانه – بالبلد الحرام، وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق، واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: ومن المكابدة: أن مثلك على عظيم حُرْمَتك تُسْتَحل بهذا البلد الحرام، كما يستحل الصيد في غير الحرم والإحرام، ويستحلون إخراجك وقتلك.

وفيه تثبيت لرسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من الكفار، أو: سلاَّه بالقسم ببلده أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد. واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية قوله: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ يعني: في المستقبل؛ وذلك لأن الله لما فتح عليه مكة أحلها له يفعل فيها ما شاء، فقتل ابن خطل، وقيس بن صبابة، وحرم دار أبي سفيان، وقال: " إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، لا يُختلى خلاها، ولا يعضد شجرها ". فقال العباس: يا رسول الله: إلا الإذخر؛ فإنه لقيوننا [(١)] وقبورنا وبيوتنا، فقال عليه السلام: " إلا الإذخر " [(٢)] والسورة مكية: فأين فتح مكة منها ؟ [(٣)]

﴿وَوَالِدٍ﴾ هو رسول الله: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ذريته، وتنكير ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ للتفخيم.

وقوله: ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ – أي: هو مولود عظيم الشأن؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [(٤)] أي: بأي شيء وضعت. وقيل: هما لآدم وولده. وقيل: ووالد وولد.

---

(١) **القيون:** جمع قين وهو الحداد والصائغ . **ينظر:** النهاية في غريب الأثر (٤/ ١٣٥).

(٢) رواه البخاري رقم (١٥٨٧، ١٨٣٤، ٣١٨٩)، ومسلم رقم (٤٤٥)، والترمذي رقم (٨٠٩).

(٣) قال الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٤) نحو هذا الكلام، وقال: ومثله واسع في كلام العباد، وهو في كلام الله أوسع؛ لأن الأحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة.

(٤) سورة آل عمران، الآية (٣٦).

كبد الرجل كبدا: إذا وضع كبده، قال لبيد [ من المنسرح ]:

يا عينُ هلا بكيتِ أربدَ إذْ قُمْنا وقامَ الخصومُ في كبدِ [١]

أيحسب أن لا بعث، ولا مجازاة، فيسلم من العقاب في ظنه.

﴿مَالًا لُّبَدًا﴾ يفتخر(٣٤١/ أ) بكثرة ما أنفق في الأمور التي كان يعدُّها أهل الجاهلية مكارم. ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي: طريقي الخير والشر. وقيل: الثديين.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: فلم يشكر تلك النعم، والمعنى: أن إطعام اليتيم والمسكين، أوفك رقبة من الأسْرِ أو الملك بالعتق، ووقعت " لا " غير مكررة مع الفعل الماضي، وليست بدعاء، وذلك لا يقع إلا قليلا.

ووجهه أنها متكررة في المعنى والتقدير: فلا اقتحم العقبة، ولا أطعم مسكينا، ولا فك رقبة، ألا ترى المعنى: فلا اقتحم العقبة، ولا آمن. والاقتحام: الدخول في الشيء بعنف. قال الحسن: عقبة والله شديدة؛ مجاهدة الإنسان نفسه وشيطانه وهواه وعدوه[٢].

وروي: أن رجلا قال: يا رسول الله؛ دلني على عمل يدخلني الجنة قال: " تعتق النسمة وتفك الرقبة. قال أوليسا سواء ؟ قال: لا؛ إعتاقها: أن تنفرد بعتقها، وفكها: أن تعين في تخليصها من قود أو غرم " [٣].

وقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ اعتراض. ومعناه: لم تدر كنه صعوبتها على النفس، وكنه ثوابها عند الله. والمسغبة والمقربة والمتربة: مفعلات من سغب وقرب وترب.

وترب الرجل: إذا افتقر، كأنه لصق بالتراب من العدم. ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ مأواه المزابل، وأتى

---

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط (٨/ ٤٧٣)، الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٥٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٢٥)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٠٤)، لسان العرب (عدل).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٦).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٩٩)، وابن حبان رقم (٣٧٤)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢١٧).

بلفظة ﴿ثُمَّ﴾ لتبيِّن فضيلة الإيمان على كل هذه الأفعال كأنه لا يصح شيء من الأعمال إلا به.

والمرحمة: الرحمة. أي: أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الإيمان والثبات، أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن، وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين، أو بها يؤدي إلى رحمة الله.

الميمنة والمشأمة: اليمين والشمال، أو اليمن والشؤم، أي: الميامين على أنفسهم، والمشائيم عليهن. قرئ: " موصدة "[1] – بالواو والهمزة – من أوصدت الباب، وأصدته إذا أطبقته وأغلقته . وعن أبي بكر بن عياش: لنا إمام يهمز ﴿مُؤْصَدَةٌ﴾ فأشتهي أن أسد سمعي إذا سمعته[2].

* * *

(١) قرأ بها نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم في رواية شعبة عنه والكسائي وأبو جعفر. وقرأ أبو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم ويعقوب وخلف " مؤصدة " . تنظر في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٤٧٧)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٧٢)، الحجة لابن خالويه (ص: ٣٧٢)، الحجة لأبي زرعة (ص: ٧٦٦)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٢٦)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٨٦)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٥٧)، النشر لابن الجزري (٢/ ٣٩٠).

(٢) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٥٣٦ – ٥٣٧)، والزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٧).

## تفسير سورة الشمس [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩)﴾

﴿وَضُحَاهَا﴾ ضوءها إذا أشرقت وقام سلطانها، ولذلك قيل: وقت الضحى، وكأن وجهه شمس الضحى. وقيل: وقت الضحوة: ارتفاع النهار. (٣٤١/ب) والضُّحى فوق ذلك. والضَّحى – بالفتح والمد – : إذا امتد النهار.﴿ إِذَا تَلَاهَا﴾ طالعا عند غروبها، آخذاً من نورها، وذلك في النصف الأول من الشهر. وقيل: إذا استدار، فتلاها في النور والضياء.﴿ إِذَا جَلَّاهَا﴾ وذلك عند ارتفاع النهار. وقيل: الضمير للدنيا أو للظلمة أو للأرض، وإن لم يجر لها ذكر. تقول العرب: أصبحتْ باردةً، يريدون الغداة، وأرسلتْ: يريدون السماء. ﴿إِذَا يَغْشَاهَا﴾ فتغيب وتظلم. فإن جعلت الواوات عاطفة فقد وقعت في العطف على عاملين، وإن جعلتها أقساما وقعت فيما أنكره الخليل وسيبويه [(١)]؛ لأن واو القسم مطرح معها إبراز الفعل اطراحا كليا، ولا يكون من العطف على عاملين فكانت الواو قائمة مقام الفعل، والباء سادة مسدهما معا، والواوات العواطف نائبة عن هذه الواو، فحقهن أن يكن عوامل عمل الفعل والجار جميعا؛ كما تقول: ضربَ زيدٌ عمراً وبكراً خالداً، فترفع بالواو، وتنصب؛ لقيامها مقام ضرب، الذي هو عاملها[(٢)]. جعلت " ما " مصدرية في قوله: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾، ﴿وَمَا طَحَاهَا﴾ ، ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ وليس بالوجه؛ لقوله:﴿ فَأَلْهَمَهَا﴾ وما يؤدي إليه من فساد النظم. والوجه أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على﴿مَن﴾ ؛ لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء والقادر العظيم الذي بناها، والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، ونُكِّرت النفس إما لأنه أراد بها نفسا بعينها، وهي نفس آدم، أو أراد كل نفس، ونكّر للتكثير؛ كقوله:

---

(١) **ينظر:** الكتاب لسيبويه (١/ ٣١).

(٢) وهو قول الزمخشري في الكشاف (٤/٧٥٨ – ٧٥٩)، واعترضه أبو حيان في البحر المحيط في بعض ما ذهب إليه، ورد السمين الحلبي بعض ما اعترضه شيخه أبو حيان على الزمخشري.

**ينظر تفصيل ذلك في:** البحر المحيط (٨/ ٤٨٠)، الدر المصون (٦/ ٥٢٩ – ٥٣٠).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ [١] ومعنى إلهام الفجور والتقوى: إفهامهما واعتقادهما.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

وأصل ﴿دَسَّىٰهَا﴾ دسسها، كما قيل في تقصص: تقصّى. وجواب القسم محذوف أي: ليُدَمْدِمَنَّ الله عليهم، ودل عليه قوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾. الباء في ﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ للاستعانة، نحو: كتب بالقلم. وقيل: كذبوا تعذيبهم بالطاغية فعذبوا بها ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ﴾[٢].

قوله: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ منصوب بالتكذيب، أو بالطغوى [ و﴿أَشْقَىٰهَا﴾ قدار بن سالف، ويجوز أن يكونوا جماعة، والتوحيد لتسويتك ][٣] بين الواحد والجمع والمؤنث والمذكر؛ لأن من تولى العقر بنفسه كانت شقاوته أتم.

و﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ منصوب على التحذير؛ كقولك: الأسد الأسد. بإضمار: احذروا.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بما حذرهم منه من العذاب ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ بمعصيتهم (٣٤٢/أ) ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ يعني الدمدمة لم يفلت منها صغير ولا كبير.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ أي: عاقبتها وتبعتها، كما يخاف ذلك المعاقب من الملوك، فيبقي بعض الإبقاء، ويجوز أن يكون الضمير لثمود، أي: فسواها بالأرض.

* * *

---

(١) سورة التكوير، الآية (١٤).

(٢) سورة الحاقة، الآية (٥).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط في الأصل والسياق يتطلبه وهو من الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٦٠).

## تفسير سورة والليل [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ (١٠) وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ (١١) إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى (١٥) ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى (١٧) ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ (١٩) إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ (٢٠) وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ (٢١)﴾

المغشي إما الشمس، من قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ [١] أو النهار من قوله: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [٢] ﴿تَجَلَّىٰ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل، أو تبين وانكشف بطلوع الشمس.

﴿وَمَا خَلَقَ﴾ والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والأنثى من ماء واحد. وقيل: هما آدم وحواء. وقيل: إن الله لم يخلق نوعاً ثالثاً غير الذكر والأنثى. والخنثى وإن أشكل حاله فهو عند الله معلوم، ولو حلف أنه ما رأى ذكرا ولا أنثى، وكان قد رأى خنثى حنث؛ لأنه لم يتجاوز النوعين. ﴿لَشَتَّىٰ﴾ جمع شتيت، أي: مساعيكم أشتات مختلفة، وبيان تفصيلها ما ذكر عقبها. ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ﴾ أعطى حقوق ماله ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله في ترك العصيان. ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ لطريق اليسر، وهي الطريق التي هي أيسر وأسهل؛ كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [٣] ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ وزهد فيما عند الله، كأنه مستغن عنه، فلم يتقه، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة؛ لأنه في مقابلة ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ﴾ يجوز أن تكون نافية، ويجوز أن تكون استفهاما بمعنى الإنكار. ﴿تَرَدَّىٰٓ﴾ هلك، وأصله: السقوط من جبل، أو موضع عال. أو تردى في اللحد: إذا قبر، أو تردى في قعر جهنم. ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾ بيان طريق الحق ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾ فنعطي منهما من نشاء ما نشاء.

فإن قلتَ: لا يصلاها إلا الأشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقي يصلاها، وكل تقي يجنبها، لا يختص بالصلي أشقى الأشقياء ولا بالنجاة أتقى الأتقياء، فقد علم أن أفسق

---

(١) سورة الشمس، الآية (٤).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٥٤).

(٣) سورة الأنعام، الآية (١٢٥).

المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الأتقى منهم خاصة !

قلتُ: الآية واردة في صفة الشخصين؛ أحدهما أشقى، والآخر في مقابلته أتقى، وقد علم منزل الشقي والتقي.

﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ مفعول من أجله ﴿ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ مستثنى من غير جنسه، وهو المنعم، أي: ما لأحد عنده من نعمة، كقولك: ما في الدار أحد (٣٤٢/ ب) إلا فرسا ويجوز أن يكون ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ﴾ مفعولا له على المعنى؛ لأن المعنى: لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه.

* * *

## تفسير سورة والضحى [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦﴾

المراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس، وتلقي شعاعها. وقيل: إنما خص وقت الضحى؛ لأنه الوقت الذي كلم الله فيه موسى، وأُلقي فيه السحرة سجداً لقوله: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[1] .

وقيل: الضحى: النهار كله؛ لقوله – تعالى -: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[2] وقال في مقابلته: ﴿ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾[3] .

﴿سَجَىٰ﴾سكن، وركد ظلامه. ويقال: ليلة ساجية ليس فيها برد ولا حر، فهي ساكنة الريح. ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ ما قطعك قطع المودع.

قيل: الوحي انقطع عن رسول الله ﷺ أياما، فقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه، فنزلت[4]. وقيل: إن أم جميل امرأة أبي لهب قالت للنبي ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد تركك، فنزلت[5]. حذف الضمير من ﴿قَلَىٰ﴾ ما حذف في قوله: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾[6] أصله: والذاكرته.

﴿فَآوَىٰ فَهَدَىٰ فَأَغْنَىٰ﴾: اختصار لفظي؛ لأن الضمير مراد، والتقدير لفظي؛ لظهور المحذوف. فإن قلتَ: كيف اتصل قوله:﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ بما قبله ؟ قلتُ: لما كان في ضمن نفي التوديع أنك عند الله بالمكان الرفيع، وأنه مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب

---

(١) سورة طه، الآية (٥٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية (٩٧).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٩٨).

(٤) رواه الترمذي رقم (٣٣٤٥) وقال: حسن صحيح.

(٥) رواه البخاري رقم (٢٨٠٢، ٤٩٥١)، ومسلم رقم (١٧٩٦).

(٦) سورة الأحزاب ، الآية (٣٥).

الله، والمصطفى من العالم كله، ولا منزلة أعلى من ذلك، أعلمه أن منزلته في الآخرة أعظم. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ ألم يعلمك، متعديا إلى مفعولين، والمعنى: ألم تكن يتيما؛ فإن النبي ﷺ توفي أبوه وهو جنين قد مضى عليه ستة أشهر، وماتت أمه وهو ابن ثماني سنين، فكفله عمه أبو طالب، ومن بدع التفاسير: أنه من قولهم: درة يتيمة. وأن المعنى: ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير، فآواك، أي: فضمك إلى عمك أبي طالب [1].

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

﴿ضَآلًّا﴾ أي غير عالم بالشرائع فهداك للعلم بها. وقيل: ضل في صباه ببعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عبد المطلب. وقيل: أضلته حليمة حين فطمته، وجاءت به لترده على عبد المطلب، فأضلته عند باب مكة. وقيل: ضل في طريق الشام حين خرج مع عمه أبي طالب، فهداك: فعرفك القرآن والشرائع. ومن قال: كان على أمر قومه أربعين سنة. فإن أراد (٣٤٣/ أ)بذلك خلو قومه عن معرفة الشرائع فصحيح، وإن أراد أنه على دينهم وكفرهم فمعاذ الله. وهذا كفر يقتل قائله بالسيف، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الصغائر، فكيف من الكبائر ؟!﴿ عَآئِلًا﴾ فقيرا، فأغناك بمال خديجة، وبما أفاء الله عليك من الغنائم. وعنه عليه السلام أنه قال: " جعل رزقي تحت ظل رمحي " [2].

وقيل: قنعك، وأغنى قلبك. ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ فلا تغلبه على ماله؛ لضعفه.

﴿ٱلسَّآئِلَ﴾ ليس هو الطالب المستجدي، بل هو طالب العلم مُتلقى بالرحب. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ التحدث بنعم الله: شكرها وإذاعتها.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٦٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢/ ٥٠)، وأبو داود رقم (٤٠٣١)، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

## تفسير سورة ألم نشرح [مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤)﴾

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفاد إثبات الشرح، فكأنه قيل: شرحنا لك صدرك، ولذلك عطف عليه ﴿وَوَضَعْنَا﴾ اعتباراً بالموضع، ومعنى شرح الصدر: أنه وسعه لاحتمال الأذى، أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم. والوزر الذي أنقض ظهره حمله على النقيض، وهو صوت الانتفاض والانفكاك لثقله، مثلٌ لما كان يثقل على رسول الله ﷺ ويغمه من فرطاته قبل النبوة، أو من تهالكه على إسلام أولي العناد من قومه، ووضعه: أن غفر له ما تقدم، أو علم الشرائع أو مهد له عذره بعد ما بلغ وبالغ. ورفع ذكره: أن قرن اسمه باسمه في الأذان والإقامة والتشهد والإسلام والخطب. وفي غير موضع من القرآن: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [1]. ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [2]﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [3]. وفي تسميته رسول الله، ونبي الله، ومن ذلك: ذكره في كتب الأولين، والأخذ على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا به.

فإن قلتَ: أي وجه في زيادة﴿ لَكَ﴾ والمعنى مستقلٌ بدونه ؟ قلتُ: ما في الإبهام والإيضاح كأنه لما قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾سأل سائل فقال: ليس طريقه محل الشرح، فقال﴿ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فبين موضع الانشراح.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦)﴾

فإن قلتَ: كيف يتعلق قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾؟ قلتُ: كان المشركون يعيرون رسول الله ﷺ والمؤمنين بالفقر حتى سبق إلى فهمه أنهم قد رغبوا عن الإسلام؛ لافتقار أهله واحتقارهم، فذكره نعمته عليه، ثم قال: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٣٤٣/ ب) أي: إن مع العسر في

---

(١) سورة التوبة، الآية (٦٢).

(٢) سورة النساء، الآية (١٣).

(٣) سورة آل عمران، الآية (١٣٢).

الدنيا يسرا في الدنيا ويسراً في الآخرة.

فإن قلتَ: لفظة " مع " تقتضي المعية، فما معنى قوله ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ وكيف يجتمع العسر واليسر ؟ قلتُ: أراد أن الله تعالى يوسع عليهم بعد مدة قريبة، فبالغ في تقريبها حتى جعلها معية. فإن قلتَ: ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود: " لن يغلب عسر يسرين ". وروي مرفوعا أن النبي ﷺ قال: " لن يغلب عسر يسرين " [(١)]: قلتُ: هذا عمل على الظاهر، وبناءً على قوة الرجاء، وأن وعود الله لا تحمل إلا على أقصى ما يحتمله اللفظ. والقول فيه: أن يحتمل أن تكون الثانية تكريرا للأول كـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [(٢)] مكررا وأن يكون الأول عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة. والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر، فهما يسران على تقدير الاستئناف، وإنما كان اليسر متكررا، ولم يكن العسر مكررا؛ لأن الألف واللام التي في العسر إما أن تكون للعهد، فيكون العسر واحدا، والعسر لخلوه عن اللام مكررا. وإما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد، فهو هو أيضا. وأما اليسر فمتكرر متناول لبعض الجنس، فإذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر، فقد تناول بعضا غير البعض الأول بلا إشكال. فإن قلتَ: ما المراد باليسرين ؟ قلتُ: يجوز أن يراد ما فتح الله لرسوله ﷺ، ولأصحابه من بعده، وما يدّخر لهم في الآخرة. ويجوز أن يكون ما ذكر لهم في الآخرة هو يسر الآخرة، وما فتح عليهم في الدنيا هو يسر الدنيا، فيكونان يسرين، وأن يكون أحد اليسرين في الدنيا، والآخر في الآخرة، ومعنى التنكير في ﴿يُسْرًا﴾ التفخيم، كأنه قيل: إن مع العسر في الدنيا يسراً عظيماً في الدنيا، ويسراً عظيماً في الآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من عبادة ربك ﴿فَٱنصَبْ﴾ في الدعاء. وقيل: فاجتهد في العبادة. ومن بدع

---

(١) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٣٥)لعبد الرزاق، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٦/ ٢١٧)لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان، عن ابن مسعود، ورواه الإمام مالك في الموطأ رقم (٨٥٤)موقوفا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٧٥)عن عمر وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة رقم (٤٣٤٢) .

(٢) سورة المرسلات، الآية (١٥) .

التفاسير: فإذا فرغت من صلاتك فانصب عليًّا للإمامة [1].

﴿فَٱرْغَب﴾: فاجعل رغبتك إليه خصوصا دون من سواه، وأخذ هذا الحصر من تقديم المجرور في قوله: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾.

* * *

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٢)ثم قال بعده: ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.

# تفسير سورة والتين [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢)﴾

أقسم بالتين والزيتون؛ لأنهما عجيبان من بين سائر الثمار؛ روي أن النبي ﷺ (٣٤٤/ أ) أكل تينا، ثم قال لأصحابه: " كلوا فلو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم، فكلوها فإنها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس "[(١)].

ومرّ معاذ بن جبل بشجرة زيتون فأخذ منها غصنا: فاستاك به، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة، تطيب الفم وتذهب بالحفر "[(٢)] وسمعته يقول: " هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي "[(٣)].

وعن ابن عباس: هو تينكم هذا، وزيتونكم[(٤)] وقيل: هما جبلان بالأرض المقدسة، يقال لهما بالسريانية طور تينا[(٥)]، وطور زيتا؛ لأنهما منبتا التين والزيتون[(٦)].

---

(١) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٤١) لأبي نعيم في " الطب "، وذكره الديلمي في مسند الفردوس بمأثور الخطاب (٣/ ٢٤٣)والنقرس - بكسر النون والراء -: ضر معروف وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر، ولا يجتمع مدة ولا ينضج لأنه في عضو غير لحمي.
**ينظر**: التعاريف للمناوي (١/ ٧٠٩).

(٢) رواه الدارقطني في سننه (١/ ٥٨)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٧٧) لابن عدي والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه، عن ابن عباس " وقال الدارقطني: معلى بن ميمون - أحد رواته- ضعيف متروك.

**والحفر**: صفرة تعلو الأسنان، وهو ما يلزق بالأسنان من ظاهر وباطن. **ينظر**: لسان العرب (حفر).

(٣) نسبه الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ٢٤٢) للطبراني في مسند الشاميين وفي المعجم الأوسط.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٣٩) عن أكثر من واحد، وليس عن ابن عباس، وإنما ذكره عن ابن عباس الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٣).

(٥) **في الأصل**: سيناء، والمثبت هو الصواب كما في الكشاف (٤/ ٧٧٣).

(٦) قال ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٤٠): " والصواب من القول في ذلك عندنا قول من قال: التين هو التين الذي يؤكل والزيتون هو الزيتون الذي يعصر منه الزيت، لأن ذلك هو المعروف عند العرب ولا يعرف جبل يسمى تينا ولا جبل يقال له زيتون إلا أن يقول قائل: أقسم ربنا جل ثناؤه بالتين والزيتون. والمراد من الكلام القسم بمنابت التين ومنابت الزيتون فيكون ذلك مذهبا، وإن لم يكن على=

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٤) ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ (٥) إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٦) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ (٧) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ (٨)﴾

والبلد: مكة حرسها الله تعالى.

والأمين: من أمن الرجل: صار ذا أمن، وأمانته أن يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما سُلم إليه. ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول، من أمنه؛ لأنه مأمون. ومعنى القسم بهذه الأشياء: الإبانة عن شرف هذه البقاع. والطور: الجبل الذي نودي عليه موسى. ﴿فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ في أحسن تعديل لشكله وصورته ثم كان عاقبة كونه لم يشكر هذه النعمة، وهو تسوية الخلق، أن رده أسفل سافلين، وأقبح صورة، وهم أصحاب النار.

وقيل: هو الكبر والهرم، وبتقَوُّس ظهره بعد استقامته، وثقل قوة السمع والبصر، والوطء والبطش، فيرد إلى أضداد ذلك. وقوله ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ استثناء متصل على القول، ومنقطع على الثاني، تقديره: لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلا ينقص من وظائفهم التي كانوا يفعلونها في الصحة بل يكتب لهم ثواب تلك الأوراد والأعمال كاملة، وإن لم يفعلوا شيئا منها؛ لأنه إنما عاقهم الكبر والهرم، وهو ليس من فعلهم.

قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ خطاب للإنسان على صورة الالتفات أي: فما يجعلك كاذبا بسبب الدين، والباء في ﴿بِٱلدِّينِ﴾ مثلها في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[1]. أي: فما يكذبك يا إنسان بعد ظهور الدليل على البعث أن تكذب به حتى يجعلك التكذيب من أهل النار. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ يعذب المسيء ويحسن للمحسن.

* * *

=صحة ذلك أنه كذلك دلالة في ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه لأن دمشق بها منابت التين وبيت المقدس منابت الزيتون".

(١) سورة النحل، الآية (١٠٠).

## تفسير سورة العلق [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١)﴾

عن ابن عباس ومجاهد أن سورة القلم أول سورة نزلت، ويدل عليه حديث الصحيحين: أن رسول الله ﷺ (٣٤٤/ ب) " جاءه جبريل في جبل حراء، فقرأ عليه ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ والخبر مشهور [(١)].

وقيل: أول ما نزل سورة الفاتحة. وزعم الزمخشري أنه القول الأصح[(٢)] والمشهور هو القول الذي سبق. وقيل: أول ما نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)﴾ [(٣)]

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (٨) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (١٠) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (١١) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (١٢) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٣)﴾

محل ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ النصب على الحال؛ أي: اقرأ متبركا باسم ربك؛ أي: قل بسم الله، ثم اقرأ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون ﴿اقْرَأْ﴾ لا يضمر له مفعول أي: كن قارئا أو يكون ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ معمولا لـ " اقرأ " ، أي: اقرأ باسم هذا الذي كون الأشياء وأوجدها. وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ تخصيص له دون سائر المخلوقات لأنه أشرفها، والوحي إنما ينزل إليه، وهو المقصود بالخطاب، ويجوز أن يكون المراد الذي خلق الإنسان، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ [(٤)] تفخيما لخلق الإنسان ودلالة على فطرته، فإن قلتَ: لم قال ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ ، ولم يقل " من علقة " ؟ قلتُ: لأن الإنسان في معنى الجمع. ﴿الْأَكْرَمُ﴾ الذي له الكمال في زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم التي لا تحصى.

﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ لأنه لم يضبط أقاصيص الأولين، وشرائع الأنبياء

---

(١) رواه البخاري رقم (٤٩٥٦، ٦٩٨٢)، ومسلم رقم (٢٥٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٤/ ٧٧٥).

(٣) تقدم الحديث عن ذلك في تفسير سورة المدثر.

(٤) سورة الرحمن، الآيات (١-٣).

المتقدمين إلا الكتابة بالقلم. ﴿كَلَّآ﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه. ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ أي: لأن رأى نفسه، وأفعال الشك واليقين يتحد فاعلها ومفعولها؛ تقول: لو رأيتُني وعلمتُني. ولا يجوز ذلك في غيرها [1] ومعنى الرؤية: العلم، ولو كانت بمعنى الإبصار لاقتصرت على مفعول واحد. ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ التفات أيضًا عن الحديث عن الإنسان. و﴿ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ مصدر؛ كالبشرى. وقيل: نزلت في أبي جهل، قال للنبي ﷺ: أتزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا، ونتبع دينك، فنزل جبريل، وقال: إن شئت فعلنا ذلك، ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء؛ إبقاءً عليهم [2]. ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ﴾ بعض عباد الله عن طاعة الله والركوع والسجود. أو يَنْهَى عبداً أمر بالتقوى، فيما يأمر به من عبادة الأوثان.

﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ (١٤) كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ (١٥) نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ (١٦) فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ (١٧) سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ (١٨) كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ (١٩)﴾

﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ مشاهد له على أعماله، ومطلع على نيّاته، فهو يجازيه بحسب ذلك . وقوله: ﴿ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ﴾ مع (٣٤٥/ أ)الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين. فإن قلتَ: فأين جواب الشرط ؟. قلتُ: تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى؛ حذف لدلالة الكلام عليه. فإن قلتَ: فما ﴿أَرَءَيۡتَ﴾ الثانية وتوسطها بين مفعولي " أرأيت " ؟ قلتُ: هي زائدة مكررة؛ للتوكيد. وقيل: هو أمية بن خلف، كان ينهى سلمان عن الصلاة. ﴿كَلَّا﴾ ردع لأبي جهل، وزجر له عن نهيه عن عبادة الله. ﴿لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ لنأخذن بناصيته، ولنسحبنه بها إلى النار. والسفع: القبض على الشيء، وجذبه، واكتفى بلام العهد عن الإضافة، والتقدير: لنسفعنه بناصيته.

﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ بدل من الناصية، وجاز بدلها من المعرفة، وهي نكرة؛ لأنها وصفت فتخصصت. قلتُ: هذا مما لا حاجة إليه؛ فإنه يجوز بدل المعرفة من النكرة، والنكرة من

---

(١) ينظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك (١/ ٢٥١)، همع الهوامع للسيوطي (١/ ٤٩٩).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٧)وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٦): لم أجده.

المعرفة[١]. والزبانية: ملائكة العذاب. ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ وفي الحديث: " أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد "[٢].

* * *

(١) ينظر: الأصول في النحو لابن السراج (٢/٤٦)، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٥٠).
(٢) رواه مسلم رقم (١٠٨٣)، وأبو داود رقم (٨٧٨)عن أبي هريرة ﷺ.

## تفسير سورة القدر [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ (١)﴾

عظم القرآن من ثلاثة أوجه، أحدها: أن أسند إنزاله إليه بقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾. والثاني: أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر، شهادة له بالشاهد، والاستغناء عن التنبيه عليه. والثالث: الرفع من مقدار الوقت الذي ابتدئ النزول فيه. وروي أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزل على رسول الله ﷺ نجوما في ثلاث وعشرين سنة.

وأكثر العلماء على أن ليلة القدر في شهر رمضان، ولعل الداعي إلى إخفائها أن يجتهد من يقوم الليل لطلبها الشهر كله أو السنة كلها؛ ليظفر بها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ (٥)﴾

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ ليلة تقدير الأمور ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [١] وشرفها على سائر الليالي ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ يعني: ولم يبلغ درايتك فضلها ثم بين ذلك بقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ فضَّلها إلى هذه الغاية؛ لما يكتب فيها، وينزل من الملائكة والوحي والرحمة، وروي: أن النبي ﷺ قال في هذه الآية: " إن رجلا من بني إسرائيل حمل السلاح ألف شهر في سبيل الله فسمع (٣٤٥/ ب) أصحاب رسول الله ﷺ، فتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطى الله هذه الأمة هذه الليلة؛ لتقوم مقام الألف الشهر التي حمل فيها ذلك الإسرائيلي السلاح " [٢].

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى سماء الدنيا وقيل: إلى الأرض، أي: تنزل بكل مرضاة الله في تلك السنة إلى قابل. وقيل: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: من أجل كل إنسان.

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ لكثرة من يسلم من الملائكة على بني آدم.

---

(١) سورة الدخان، الآية (٤).

(٢) نسبه الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (ص: ١٨٦) لابن أبي حاتم وغيره من طريق ابن خالد عن أبي نجيح عن مجاهد مرسلا دون قوله: " فتقاصرت إليهم أعمالهم ".

# تفسير سورة لم يكن [ البينة ]

## [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (٧) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (٨)﴾

كان المشركون من أهل الكتاب، وعبدة الأوثان يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك عن ديننا حتى مبعث النبي الموعود بذكره في التوراة والإنجيل. فحكى الله ما كانوا يقولونه ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق، وأنه متى بعث النبي صدقوه وآمنوا به، و﴿رَسُولٌ﴾ بدل من البينة، و﴿الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة. ﴿صُحُفًا﴾ قراطيس مطهرة من الباطل.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ مكتوبات قيمة بمصالح العباد في الدنيا والآخرة. فإن قلتَ: لم جمع أهل الكتاب والمشركين أولا، ثم قال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، فأفردهم ؟

قلتُ: أهل الكتاب كانوا عالمين بأن النبي المبعوث آخر الزمان آت لا محالة، فإذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل في هذا الوصف.

﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي، ولكنهم حرفوا وبدلوا.

﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: دين الله القيمة، ومعنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ أي: وما أمروا بالعبادة والطاعة إلا ليعبدوا الله. ﴿الْبَرِيَّةِ﴾ بالتشديد من غير همز[1]. قيل: لأنهم خلقوا من

---

(١) قرأ نافع وابن عامر من رواية ابن ذكوان: " شر البريئة " و " خير البريئة " مهموزتين، وقرأ الباقون "البرية " بلا همز مع تشديد اليائين. **تنظر في:** الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٥٢)، السبعة لابن مجاهد (ص: ٦٩٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٢ – ٧٨٣).

التراب. والبراء: هو التراب. وقيل: إنه مخفف من البريئة المهموز، وهو بمعنى الخليقة ومن أسمائه – تعالى – البارئ المصور.

* * *

## تفسير سورة الزلزلة [ مدنية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا (٣)﴾

﴿زِلْزَالَهَا﴾ أي: زلزالها اللائق بها، ونظيره: قولك: أكرم التقي كرامته، وأهن الفاسق إهانته، أي ما يليق بكل واحد منهما. الأثقال: جمع ثقل، ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ﴾[1]

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ (٣٤٦/ أ) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل، وتلفظ أمواتها أحياءً، فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨)﴾

فإن قلتَ: ما معنى تحديث الأرض والإيحاء إليها ؟ قلتُ: هو مجاز عما يحدث الله فيها من الأحوال مما يقوم مقام حديث اللسان.

وقيل: ينطقها الله على الحقيقة، فتحدث بما عمل عليها من خير وشر،

فإن قلتَ: ﴿إِذَا يَوْمَئِذٍ﴾ ما ناصبهما ؟ قلتُ:﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ ، وناصبهما ﴿تُحَدِّثُ﴾ ، ويجوز أن تنتصب ﴿إِذَا﴾ بمضمر، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بـ ﴿تُحَدِّثُ﴾.

والباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ﴾ متعلقة بـ ﴿تُحَدِّثُ﴾ والمعنى: أن ما حدثت بما جرى على ظهرها، بسبب أن الله أوحى لها بذلك. قال ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ القرار فاستقرت.

﴿أَشْتَاتًا﴾ جماعات متفرقين بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فزعين، أو يصدرون عن الموقف أشتاتا. ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ ليروا جزاء أعمالهم.

الذرة: النملة الصغيرة. وقيل: الذرة: ما يُرى في شعاع الشمس.

---

(١) سورة النحل، الآية (٧).

## تفسير سورة العاديات [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾

أقسم بخيل الغزاة تعدو، فتضبح. والضبح: صوت أنفاسها قال عنترة [ من الكامل ]:

والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا[(١)]

وانتصاب ﴿ضَبْحًا﴾ على الحال؛ أي: تعدو ضابحات أو بالعاديات. ﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ﴾ تورى ناراً، تقدح بقدح حوافرها الحجارة. وانتصب ﴿قَدْحًا﴾ بما انتصب به ضبحا.

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ﴾ تغير على العدو ﴿صُبْحًا فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ فهيجن بذلك العدو غبارا، والنقع: غبار الحرب. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾ أي: بذلك الوقت. ﴿جَمْعًا﴾ من العدو، أو: فوسطن بالغبار الجمع، أو: وسطن بمعنى: توسطن، ويجوز أن يراد بالنقع: الصياح وقيل: أثرن: مقلوب، وعن علي: إن الله أقسم بالإبل التي يحج عليها[(٢)].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾

﴿فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا﴾ تقدح الحجارة. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ من قوله عليه السلام: " أشرق ثبير كيما نغير "[(٣)]. وقيل: الضبح لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب. وجمع: اسم المزدلفة،

---

(١) ينظر البيت في: البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٠٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٥٧)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٦)، لسان العرب (ضبح).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٧٣).

(٣) رواه البخاري رقم (١٧٨٤)، والترمذي رقم (٨٩٦)، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه صلى بـ " جمع " الصبح ثم وقف فقال: " إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس ويقولون " أشرق ثبير " وإن النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس ". وهذا لفظ البخاري. وظاهر من هذه الرواية أن هذا من قول المشركين، وليس من كلام النبي ﷺ كما قد توهم عبارة المصنف – رحمه الله. وقد تقدم هذا القول ونسبه المصنف إلى كلام العرب في تفسير سورة ص.

وعطف ﴿فَأَثَرْنَ﴾ على الفعل الذي دل عليه ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ [(١)].

الكنود: الجحود، وبه سمي كندة؛ لأنه أنكر أباه، وجحده. وعن الكلبي: الكنود بلسان كندة: العاصي، وبلسان بني مالك: البخيل، وبلسان مضر وربيعة: (٣٤٦/ب) الكفور[(٢)] إنه لنعمة ربه لشديد الكفران. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وإن الإنسان ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ يشهد على نفسه بالكنود. وقيل: وإن الله على كنوده لشاهد، وهو تهديد.﴿ٱلْخَيْرِ﴾ المال؛ كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[(٣)].

والشديد: البخيل، وإنه لأجل حبَّ المال، أي: لأن إيثار الدنيا عنده، وطلبها قوي، أو أراد به: لفعل الخيرات غير منشرح، وأما حبه الدنيا وإيثارها على الآخرة فهو فيه شديد وقوله: ﴿وَحُصِّلَ﴾جمع في الصحف محصلا، ومعنى علمه بهم: أنه يجازيهم يوم القيامة. وقرئ بفتح " أن " [(٤)] وحذف اللام من خبره.

* * *

---

(١) هذه مسألة خلافية حيث أجاز بعض النحاة عطف الاسم على الفعل إذا اتحد المعطوف والمعطوف عليه بالتأويل بأن كان الاسم يشبه الفعل، وهو رأي ابن مالك، واختاره السيوطي في الهمع وقال: يجوز في الأصح. ومنع المازني والمبرد والزجاج عطف الاسم على الفعل وعكسه؛ لأن العطف أخو التثنية فكما لا ينضم فيها فعل إلى اسم، فكذا لا يعطف أحدهما على الآخر. وقال السهيلي: يحسن عطف الاسم على الفعل ويقبح عكسه؛ لأنه في الصورة الأولى عامل لاعتماده على ما قبله فأشبه الفعل، وفي الثانية لا يعمل فتمحض فيه معنى الاسم ولا يجوز التعاطف بين فعل واسم لا يشبهه ولا فعلين اختلفا في الزمان. ونرى أن الراجح هو رأي القائلين بالجواز؛ لما علله السهيلي.

**وينظر تفصيل ذلك في:** الإملاء للعكبري (٢/ ٢٥٦)، البيان لابن الأنباري (٢/ ٤٢٢)، شرح التسهيل لابن مالك (٣/ ٣٨٣)، همع الهوامع للسيوطي (٣/ ١٩١ – ١٩٢).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٨٨).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٠).

(٤) قرأ بها أبو السمال والحجاج. **تنظر في:** البحر المحيط (٨/ ٥٠٥)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٣)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦١)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٨٤)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٨٩).

## تفسير سورة القارعة [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

الظرف في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ﴾ متعلق بما دلت عليه القارعة أي: تقرع القلوب يوم يكون الناس.

شبَّهَهم بالفراش في الكثرة والانتشار، وسمي فراشا؛ لانتشاره، وشبه الجبال بالعهن، وهو الصوف؛ لأنها ألوان، وبالمنفوش منه؛ لتفرق أجزائها.

الموازين: جمع ميزان، والميزان يثقله ثقل ما فيه.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ أي هلكت أمه وجداً عليه، لما ترى من شدة الخطب عليه.

وقيل: الهاوية: من أسماء النار، وجعلت أمًّا له؛ لأنه يأوي إليها. وقيل: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ أي فأم رأسه في النار. وقوله ﴿هِيَهْ﴾ الهاء للسكت فيها، وإذا وصل القارئ حذفها، وإذا وقف أثبتها، وثبوتها في المصحف دليل على أنها أجريت مجرى الوقف، وأثبتت فيه.

* * *

## تفسير سورة التكاثر [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ألهاه عن كذا: إذا شغلَهُ. و﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ التباهي؛ كقوله: ﴿وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [(١)]. وروي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا بعددهم، فكثرت بنو عبد مناف بني سهم، فقالت بنو سهم: إنما أهلكتنا الحروب ونحن أكثر منهم، فهلم فلنعد الأحياء والأموات، فعدوهم فكثر بنو سهم، فأنزل الله - تعالى - شغلكم التكاثر حتى عددتم الأموات[(٢)]. وقيل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾، وهو لا يغني عنكم من الله شيئا، ولا يغنيكم منه أمر. وقيل: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ بالأموال والأولاد، حتى متم وصرتم إلى القبور. قال الشاعر [من المتقارب ] :

زار القبورَ أبو مالكٍ     فأصبحَ ألأمَ زُوارِها [(٣)]

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد، وتكراره ثانيا؛ زيادة في التوكيد، والدليل عليه: أنه أتى (٣٤٧/أ) بـ " ثم "؛ لتباعد ما بين التهديد الأول والثاني، ثم كرر ذلك محذوف الجواب. والوقف على قوله: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ ومعناه: لو علمتم علم اليقين لما شغلكم التكاثر، ولا يجوز أن يكون الظاهر جوابا. وقوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ زيادة للتوكيد والتفخيم ويدل على أن المراد بقوله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ أمر عظيم أشد من التهديد. تسوف عين اليقين؛ أي: لترونها رؤية هي عين اليقين وخالصته.

﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ عن اللهو والتلذذ الذي شغلكم الالتذاذ به عن الدين. وقيل: أراد بالنعيم: التنعم والتفرغ للالتذاذ في الدنيا على ما يزيد في رتبة الدين.

* * *

---

(١) سورة الحديد، الآية (٢٠) .

(٢) ذكره بهذا السياق الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩١)، ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٢٨٣) بنحوه.

(٣) ينظر البيت في: الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٢)، لسان العرب (كثر) .

## تفسير سورة والعصر [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾

أقسم بصلاة العصر؛ لفضلها، وهي الصلاة الوسطى، ولأنها مؤقتة بوقت هو وقت الاشتغال بالمتاجر والمعايش، فالمواظبة عليها أشق. وأقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة. أو أقسم بالزمان؛ لما في مروره من أصناف العجائب والإنسان للجنس. والخسر: الخسران؛ كما قيل الكفر في الكفران. والمعنى: إن الناس في خسر من تجاراتهم إلا الصالحين وحدهم؛ لأنهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجاراتهم، فوقعوا في الخسارة. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ بالأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله. والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة.﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾عن المعاصي، وعلى الطاعات، وعلى ما يبلو الله به عباده.

* * *

## تفسير سورة الهمزة [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾

الهمز: الكسر، كالهزم، واللمز: الطعن. يقال: لمزه وهزه: طعنه، والمراد: الكسر من أعراض الناس، والغض منهم، واغتيابهم، والطعن فيهم، وبناء (فُعَلَة) يدل على أن ذلك عادة منهم، وقد ضرى بها، ونحوهما: الضُّحَكة واللُّعَنة. قال الشاعر [ من البسيط ]:

................... وإنْ أُغيّبْ فأنتَ الهامزُ اللُّمزَة[١]

وقرئ: ويل لكل همْزة لُمْزة، بسكون الميم [٢] وهو المسخرة الذي[٣] يأتي بالأوابد والأضاحيك فيضحك منه ويشتم. وقيل: نزلت في الأخنس بن شريق، وكانت عادته الغيبة والوقيعة [٤]. وقيل: في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة، واغتيابه لرسول الله ﷺ (٣٤٧/ ب)وغضه منه [٥]. ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما؛ ليتناول كل من باشر ذلك القبيح، وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه. ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسبانه. ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾الحطمة: من أسماء جهنم، تحطم ما وقع فيها، ويقال للرجل الأكول حطمة. وقيل: خص الفؤاد؛ لأنه محل الكفر والعقائد الفاسدة.﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مطبقة، والمعنى: إنه يؤكد يأسهم من الخروج منها وتيقنهم بحبس الأبد، فتوصد عليهم الأبواب، ويمدد على الأبواب العمد.

---

(١) هذا عجز بيت لزياد الععجم وصدره:

تدلي بودي إذا لاقيتني كذبا ...................

**ينظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥١٠)، تفسير الطبري (٣٠/ ٢٩١)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦٨)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٥).

(٢) قرأ بها الأعرج والباقر. **تنظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥١٠)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٨٢)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٦٨)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٤٩٣)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٥).

(٣) **في الأصل:** التي، والصواب ما أثبتناه. كما في الكشاف للزمخشري (٤/ ٧٩٥).

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٢٣)لابن أبي حاتم عن السدي.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٥).

## تفسير سورة الفيل [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢)﴾

روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة[١] النجاشي بني كنيسة بصنعاء اليمن، وسمّاها " القليس " وأراد أن يصرف إليها حج العرب، فخرج رجل من كنانة، فقعد فيها ليلا، فأغضبه ذلك، وقيل: أججت رفقة من اليمن ناراً، فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف أبرهة ليهدمن الكعبة فخرج بالجيش، ومعه فيل له اسمه: محمود وكان قويًّا عظيماً، واثنا عشر فيلا. وقيل: ثمانية، وقيل ألف فيل. وقيل: لم يكن معه غير محمود، فلما بلغ المغمّس[٢] خرج إليه عبد المطلب، وعرض عليه ثلث أموال تهامة ؟ ليرجع فأبى، وعبَّأ جيشه، وقدم الفيل، وكانوا كلما وجهوه برك وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيرها من الجهات هرْول، فأرسل الله طيراً سوداً، وقيل: خضراً، وقيل: بيضاً مع كل طائر حجر في منقاره، وحجران في رجليه أكبر من العدسة، وأصغر من الحمصة. وعن ابن عباس أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة، كالجزع الظفاري [٣] فكان الحجر يقع على رأس الرجل، فيخرج من دبره، ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل. وأما أبرهة فتساقطت أنامله، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، وانفلت وزيره أبو يكشوم، وطائر يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه، فلما فرغ من القصة ألقى الطائر عليه الحجر فهلك بين يدي النجاشي [٤].

---

(١) **في الأصل**: أصمحة، والصواب ما أثبتناه.

(٢) **المغمس**: موضع قرب مكة في طريق الطائف مات فيه أبو رغال وقبره يرجم؛ لأنه كان دليل صاحب الفيل فمات هناك. **ينظر**: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ١٦١).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٧)، **والجزع**: ضرب من الخرز. وقيل: هو الخرز اليماني، وهو الذي فيه بياض وسواد تشبه به الأعين، والجزع: الصبغ الأصفر. **والظفاري**: نسبة إلى ظَفَار: مدينة باليمن. والجزع الظفاري: منسوب إلى هذا البلد. **ينظر**: لسان العرب (جزع)، معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري الأندلسي ( ٣/ ٩٠٤).

(٤) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٢٧)لابن أبي حاتم وأبو نعيم في الدلائل.

وقيل: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ بأربعين سنة. وعن عائشة قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان[١]. وقيل: إن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتي بعير (٣٤٨/ أ) فجاء عبد المطلب إلى أبرهة وكان عبد المطلب رجلا وسيما جسيما، فقيل لأبرهة: هذا سيد قريش يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، فقال له أبرهة: ما حاجتك ؟ قال: إبل لي أخذها جندك. فقال له أبرهة: نقصت من عيني، جئت لأهدم ما فيه شرفك وشرف أسلافك، فلم تكلمني فيه، وكلمتني في إبل يسيرة ! فقال: أنا رب الإبل، ولهذا البيت رب يمنعه منك. فقال: ما كان ليمنعه مني. ثم رجع عبد المطلب، وضرب حلقة الباب وقال:

لاهُمَّ إنَّ العبدَ يمنعُ رحلهُ فامنعْ حلالك

لا يغلبنّ صليبهم ومحالهم عَدْواً محالكْ

إن كنتَ تاركهم وكعبتنا فأمرٌ ما بدالكْ

يا ربِّ لا أرجو لهم سواكا يا ربِّ فامنعْ منهمُ حماكا

إن عدوَّ البيتِ من عاداكا.

فبينما هو يدعو إذ جاءت الطير من قبل اليمن. وفي القصة: أن أبرهة احتاط على أموال أهل مكة، وجمع عبد المطلب من أموالهم شيئا كثيراً، فكان سبب يساره[٢].

والمعنى بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أنك رأيت بعض آثار رحمة الله وسمعت الأخبار فيه متواترة، فقامت لك مقام الرؤية. و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله. ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ كقوله: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [٣] وقيل لامرئ القيس: الملك الضليل؛ لأنه ضلل ملك

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٥) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات.

(٢) روى هذه القصة الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٣٥)، والبيهقي في دلائل النبوة (١/ ١١٥ – ١٢٥)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (ص: ١٠٠ – ١٠٨)، وذكرها ابن هشام في السيرة النبوية (١/ ٤٩ – ٥١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ١٧٠ – ١٧٦)، والبيت الأخير من الشعر تكملته عند البيهقي في الدلائل:

إن عدو البيت من عاداكا إنهم لن يقهروا قواكا

(٣) سورة غافر، الآية (٥٠).

أبيه[١]، يعني: أنهم كادوا البيت أولا ببناء كنيستهم " القليس "، وأرادوا أن ينسخوا حاله بصرف الحج إلى كنيستهم، فرد الله كيدهم وأهلكهم، وأرادوا ثانيا أن يهدموا الكعبة.

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

﴿أَبَابِيلَ﴾ جماعات متفرقة الواحدة: إبالة، ومنه المثل: إنها لضغث على إبالة [٢].

و﴿سِجِّيلٍ﴾ علم الديوان أعمال الكفار، كأنه قال: بحجارة من جملة العذاب الذي قدر وقوعه. والعذاب يوصف بالإرسال؛ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا﴾[٣] وأرسل عليهم طيراً أبابيل. ﴿مَّأْكُولٍ﴾ (٣٤٨/ ب) أكلته الدود، أو تبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن؛ كقوله: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [٤].

* * *

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٩)وقال: أي: ضيعه.

(٢) **ينظر في**: القاموس المحيط (ضغث)، لسان العرب (أبل) ومعنى المثل: أي بلية على أخرى كانت قبلها. والضغث: ملء اليد من الحشيش المختلط. وقيل: الحزمة منه وما أشبهه من البقول، **والإبالة**: البلية. وهو مثل يضرب للأمر يتبع الأمر. **ينظر اللسان**: (ضغث – أبل).

(٣) سورة الأحزاب، الآية (٩).

(٤) سورة المائدة، الآية (٥٧).

## تفسير سورة قريش [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ﴾

قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين، ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ لما في الكلام من معنى الشرط.

المعنى: أن نعم الله عليهم كثيرة جدًّا، فلا يحصونها، فإذا لم يعبدوه لنعم كثيرة، فليعبدوه لأجل هذه النعمة. وقيل: المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش.

وقيل: هو متعلق بما قبله، بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾[(١)] وهذا بمنزلة التضمين في الشعر، وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله تعليقا لا يصح إلا به، وهما في مصحف أبيّ سورة واحدة. وروي: أن عمر قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى بالتين والزيتون [(٢)]. والمعنى: إنه أهلك الحبشة الذين قصدوا هدم كعبتهم حتى انتظم لهم الأمر في رحلتيهم، وكانت قريش يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون؛ لأن مكة واد غير ذي زرع، كان أهل مكة آمنين في رحلتيهم لا يعارضهم أحد ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[(٣)]. و﴿قُرَيْشٍ﴾ ولد النضر بن كنانة سموا باسم القرش، وهي دابة عظيمة من البحر تعبث بالسفن. وعن ابن عباس: أنه سئل: لم سميت قريش ؟ قال: بدابةٍ في البحر تأكل، ولا تؤكل، وتعلو، ولا تُعلَى وأنشد [ من الخفيف ]:

وقريشٌ هي التي تسكنُ البحرَ ... بها سميت قريش قريشا

تأكل الغثَّ والسمينَ ولا ... تترك فيه لذي المخالب ريشا

---

(١) سورة الفيل، الآية (٥).

(٢) نسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٥٦) لعبد بن حميد وابن الأنباري في المصاحف عن عمرو بن ميمون قال: صليت خلف عمر بن الخطاب المغرب... " فذكره.

(٣) سورة العنكبوت، الآية (٦٧).

هكذا في الكتابِ حيٌّ قريشٍ  يأكلون البلادَ أكلا كميشـا

ولهم آخرَ الزمـــــانِ نبيٌّ  يكثرُ القتلَ فيهم والحموشا[١]

﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤ ﴾

﴿وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ الجذام فلا يصيبهم ببلدهم، ومن بدع التفاسير: آمنهم من أن تكون الخلافة في غيرهم[٢].

* * *

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٣٠/ ٣٠٦)، ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٣٨) للبيهقي في دلائل النبوة، وذكره أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٥١٣)، والسمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٥٧٣) وفيه: آخر البيت الثاني:

................  لذي جناحين ريشا.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده (٣/ ١٢٩، ١٨٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٧٥)، والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف للمزي (١/ ١٠٢) عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال: "الأئمة من قريش".

# تفسير سورة أرأيت [ الماعون ]

## [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣٤٩/ أ)

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى﴾ يكذب بالجزاء إن تعرفه فهو الذي يدُعُّ اليتيم يدفعه دفعا﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ [1]. ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ولا يبعث أهله على إطعام المسكين، يعني: إنه لو آمن بالجزاء إيمانا يقينا، لما دعَّ اليتيم، ولحثَّ على إطعام المسكين.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الذين يسهون عن الصلاة تهاونا بها، حتى يخرج وقتها، والفرق بين قوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾والمراد: الإعراض عنها وبشأنها، وبين قوله: هو في صلاته ساهٍ، أن السهو يجبر في الصلاة، فتكمل والتي سها عنها حتى خرج وقتها لا يخلص من ذلك إلا بالتوبة. وقوله:

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

﴿يُرَآءُونَ﴾ من باب المفاعلة؛ لأن المرائي يري الناس أنه عمل لله، والناس يرونه الثناء عليه، واستحسان ما يفعل.

﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ الزكاة. وقيل: الماعون: ما يعين الناس به بعضهم بعضا بالعارية، وهي القدر والدلو والمقدحة وغيرها. وقيل: الماء والنار والملح.

* * *

---

(١) سورة الطور، الآية (١٣).

## تفسير سورة الكوثر [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ (٢)﴾

الكوثر: فوعل من الكثرة قال [ من الطويل ]:

وأنت كثيرٌ يا بن مروانَ طيبٌ    وكان أبوكَ ابنُ الأكارمِ كوثرا [(١)]

وقيل: الكوثر: نهر في الجنة. وقيل: ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، حافاتُه الزبرجد وأوانيه من فضة، عدد نجوم السماء، لا يظمأ من شرب منه أبداً، أول وارد عليه فقراء المهاجرين الذين لا يزوجون المنعّمات، ولا تفتح لهم السدد [(٢)] يموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره [(٣)]. وقال ابن الزبير لابن عباس: إن ناسا يقولون: هو نهر في الجنة فقال: " الذي في الجنة من ذلك الخير " [(٤)] وقيل: هي جنس الصلاة. والنحر: وضع اليمني على الشمال. ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ في الدنيا خيراً كثيراً، فجعلناك تابعاً لهداية ملك الملوك. ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ فإن الصلاة عماد الدين[(٥)].

﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ بدنك لله خالصا مخالفا لما كانت العرب ينحرون للطواغيت وأن من يبغضك

---

(١) البيت للكميت بن زيد، **ينظر في:** البحر المحيط لأبي حيان (٨/ ٥٢٠)، الدر المصون للسمين الحلبي (٦/ ٥٧٧)، ديوان الكميت (١/ ٢٧٩)، الكشاف للزمخشري (٤/ ٨٠٦)، لسان العرب (كثر)، وفي الدر:
........................    وكان أبوك ابن العقائل كوثرا .

(٢) **السدد:** البيوت والدور.

(٣) رواه أحمد في المسند رقم (٢١٣٣٣)، والترمذي رقم (٢٣٨٦)عن ثوبان عن النبي ﷺ قال: " حوضي من عدن إلى عمان البلقاء ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكاويبه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا أول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد ". وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٠٦٠).

(٤) رواه البخاري في صحيحه رقم (٦٠٩٢).

(٥) روي في هذا المعنى حديث نسبه السيوطي في الجامع الصغير للبيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب يرفعه بلفظ: " الصلاة عماد الدين " وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع رقم (٣٥٦٦).

ويشنؤك هو دونك.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

وروي أن العاص بن وائل قال: إن محمداً لا عقب له، فسيموت ويخمد ذكره، فإنه أبتر فأنزل الله – تعالى –: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [1].

* * *

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٤ – ٤٩٥) رقم (٨٧٢، ٨٧٣).

## تفسير سورة الكافرون (٣٤٩/ ب)

## [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥﴾

قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون. روي أن رهطا من قريش قالوا: يا محمد هلم فاتبع ديننا، ونتبع دينك، تعبد آلهتنا سنة، ونعبد إلهك سنة. فقال: "معاذ الله أن أشرك بالله غيره"، فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك، ونعبد إلهك، فنزلت[1] فغدا إلى المسجد الحرام، وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم، فقرأها عليهم، فأيسوا منه. ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ في المستقبل. ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ في الماضي ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ في الماضي. وقيل: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا ينبغي أن أعبد ما تعبدون، ولا يتأتي لكم أن تعبدوا ما أعبد. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لكم شرككم، ولي توحيدي.

* * *

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص: ٤٩٦) رقم (٨٧٤).

## تفسير سورة النصر [ مدنية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

﴿إِذَا﴾منصوب بـ " سبح " وهو لما يستقبل من الزمان والإعلام بذلك قبل حضور وقته من أعلام النبوة، وروي: أنها نزلت في أيام التشريق في " منى " في حجة الوداع[1].

النصر: الإغاثة والإعانة على العدو، وأما الفتح: فهو الاستيلاء على الأماكن التي كانت خارجة عن اليد. وكان فتح مكة لعشر مضين من رمضان سنة ثمانٍ ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار، ثم خرج إلى هوازن.

﴿فِي دِينِ اللَّهِ﴾أي: إلى ملة الإسلام. ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات كثيفة، كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحداً بعد واحد، فإن قلتَ: ما محل﴿يَدْخُلُونَ﴾ ؟

قلتُ: النصب إما على الحال، إن جعلت الرؤية رؤية عين، أو على أنه مفعول ثانٍ لرأيت. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فقل سبحان الله، حامداً له. ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ واطلب منه المغفرة. ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾وعن ابن عباس: كان عمر يقدمه ويأذن له مع أهل بدر، فقال له عبد الرحمن بن عوف: أتأذن لهذا الفتى ولنا أبناء مثله. فقال: إنه ممن قد علمتم. ودعاني يوماً، وسألهم عن قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾، ولا أراه سألهم إلا من أجلي، فقال بعضهم: أمر الله نبيه إذا فتح عليه مكة (٣٥٠/ أ) أن يستغفره، ويتوب إليه. قلتُ: ليس كذلك، ولكن نعيت إليه نفسه. فقال عمر: ما أعلم منها إلا مثل ما يعلمه، ثم قال: كيف تلومونني بعدما ترون "[2].

وعن ابن مسعود: " إن هذه السورة تسمى سورة التوديع "[3].

﴿كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: كان في الأزل الذي لا أول له توابا.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦٥٩) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: " هذه السورة نزلت على النبي ﷺ أوسط أيام التشريق بمنى وهو في حجة الوداع ".

(٢) رواه البخاري رقم (٤٩٧٠)، والترمذي رقم (٣٣٦٢) وأحمد في المسند (١/ ٣٣٧).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨١٢).

## تفسير سورة تبت [ المسد ]

## [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾

المراد بقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ هلاك جملته. روي أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] صعد النبي ﷺ الصفا. فقال: يا صباحاه. فاجتمع عليه الملأ من قريش، فقال لهم: " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيَّ ؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك كذبا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[2].

وإنما كنّاه، والكناية تكرمة، إما أن يكون مشتهراً بالكنية دون الاسم، وإما لأن اسمه كان عبد العزى، فعدل عن هذا الاسم القبيح، إلى أبي لهب، وإما لأنه كان ذا مال، وماله إلى نار ذات لهب، فوافقت حاله كنيته.

وقيل: كنى بذلك لتلهب وجنتيه وإشراقهما، فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به، وبافتخاره بذلك. ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ﴾ الذي كسبه وما ورثه من أبيه. ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ تحقيقا للوعيد، وأنه كائن لا محالة، وإن تراخى وقته.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ هي أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك، فتطرحها في طريق رسول الله ﷺ والمؤمنين. وقيل: كانت تمشي بالنميمة، وقد توسل إلى رسول الله بجميل من أحب شتم أم جميل. الجيد: العنق. المسد: الذي فتل من الحبال فتلا شديدا، من ليف أو جلد أو غيرهما، ويحتمل أن يكون حالها في جهنم كحالها في الدنيا، مجموع إليها حزمة من حطب متقدة ناراً عليها؛ لجرأتها بفعلها.

* * *

(١) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

(٢) رواه البخاري رقم (١٣٩٤، ٣٥٢٥)، ومسلم رقم (٣٥٥، ٣٥٦).

## تفسير سورة الإخلاص [ مكية ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن، و﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هو الشأن. وقيل: إن قريشا قالت للنبي ﷺ: صف ربك الذي تأمرنا بعبادته؛ أمن ذهب هو أم من حديد ؟ (٣٥٠/ ب) فنزلت [١] يعني: الذي سألتموني وصفه هو الله أحد.

﴿اللَّهُ﴾ بدل من أحد ﴿الصَّمَدُ﴾ المقصود، مِنْ صمد إليه: إذا قصده، والمعنى: هو الله الذي تقرون بأنه خالق السماوات والأرض. ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأنه ليس بجنس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا؛ كقوله:﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [٢].

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لأن كل مولود محدث، وجسم، وهو قديم لا أول لوجوده، ليس بجسم، ولم يكافئه أحد، أي: لا يماثله ولا يشاكله، ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح؛ نفيا للصاحبة سألوه أن يصفه لهم، فأوحى إليه ما يحتوى على صفاته، فقوله:﴿هُوَ اللَّهُ﴾ إشارة لهم إلى من هو خالق الأشياء. فإن قلتَ: الكلام الفصيح أن يؤخر الظرف الذي هو لغو، ويقدم الاسم، ويؤخر الخبر ؟ قلتُ: هذا الكلام إنما سبق لنفي المكافأة عن ذات الباري، وهذا المعنى مصبُّه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شيء وأعناه وأحقه بالتقديم وأحراه. وتسمى سورة الأساس؛ لاشتمالها على أصول الدين.

* * *

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٣٤)، والترمذي رقم (٣٣٦٤، ٣٣٦٥)، والواحدي في أسباب النزول (ص: ٥٠٠)رقم (٨٨٠)وسنده ضعيف؛ فيه أبو سعد الصاغاني واسمه: محمد بن ميسر، ضعفه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب (٢/ ٢١٢).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠١).

## تفسير سورة الفلق [مكية]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

﴿ٱلْفَلَقِ﴾ هو الصبح، ومنه ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ (١) لأن الليل ينفلق عن الصبح، ولذلك كل شيء انفلق كالحب والنوى، وكالأرض بالنبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر. والأرحام عن الأولاد. وقيل: هو واد، أو جبّ في جهنم لقولهم فيما اطمأن من الأرض: الفلق، والجمع: فِلقان. ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شر خلقه ومضارة بعضهم بعض؛ كالضرب والشتم، والغصب والسرقة، وما يفعله غير المكلفين من الأكل والنهش واللدغ والعض؛ كالسباع والحشرات وما وضعه في الحشرات من أنواع الضرر كالإحراق للنار، والقتل في السم. و﴿غَاسِقٍ﴾ الليل إذا اعتكر ظلامه، من قوله – تعالى-: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ (٢) ووقوبه: دخول ظلامه في كل شيء. ويقال: وقبت الشمس: إذا غابت، والتعوذ بالليل؛ لأن الانبثاث فيه أكثر، والتحذر منه أصعب، وأسند الشر إلى الليل؛ لحدوثه فيه. ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾ النساء السواحر، أو النفوس، أو الجماعات السواحر، وأنكر الحنفية تأثير السحر، وقالوا: هو تخييل؛ (٣٥١ / أ) لقوله – تعالى-: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (٣). واحتج الشافعي على تأثير السحر، بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ (٤) فجعل إبطاله مستقبلا، فدل على تحققه قبل الإبطال(٥). وبأن النبي ﷺ سحر، كما جاء في الحديث الصحيح(٦). ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ إذا حصل حسده، وعمل بمقتضاه.

والحاسد إذا ظهر أثر حسده من شتم وسب أو أذى يؤمله فيأثم؛ لأنه استعان بالله على

(١) سورة الأنعام، الآية (٩٦).

(٢) سورة الإسراء، الآية (٧٨).

(٣) سورة طه، الآية (٦٦).

(٤) سورة يونس، الآية (٨١).

(٥) ينظر: الأم للإمام الشافعي (١/ ٢٥٦، ٢٥٧)، حاشية البجيرمي (٤/ ١٩٧).

(٦) تقدم تخريجه في سورة يونس، الآية (٨١).

أذى غيره، فأما إذا لم يظهر لحسده أثر، فلا إثم عليه.

وقوله: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ يعم جميع ما استعاذ منه، ومعنى ذكر الغاسق والحاسد، فخص من بينها الغاسق والحاسد والساحر؛ لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يشعر. فإن قلتَ: لم عرف بعض المستعاذ منه دون بعضه ؟

قلتُ: لأن كل نفَّاث في العقد آثم، لأنه فعل السحر وهو معصية، وليس الغاسق كذلك، بخلاف الحاسد، قلتُ: قد يحسد ولا يعصي إذا لم يظهر لحسده أثر.

* * *

## تفسير سورة الناس [ مكية ]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ (٣) مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ (٤) ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ (٦)﴾

فإن قلتَ: لِمَ قيل ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ مضافا إليهم خاصة ؟ قلتُ: لأن الاستعاذة وقعت من شر الوسواس في صدور الناس، فكأنه قيل: أعوذ من شر الوسواس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالي إذا دهمه خطب بسيده. فإن قلتَ: ما موقع ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ ؟ قلتُ: هو عطف بيان لرب الناس كقولك: اذكر عمر أبا حفص الفاروق.

بين بـ " ملك الناس " ثم زيد بيانا بـ " إله الناس "؛ لأنه قد يقال لغير رب الناس؛ كقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] وقد يقال: ملك الناس، فقد يطلق على الآدميين، وأما إله الناس، فلا ينطلق إلى على الله وحده. وإنما كرر الناس مع أن الفهم كاف بإثباته في الأول، فلو قال أعوذ برب الناس ملكهم إلههم. وإنما جاء مكررا؛ لأن عطف البيان للبيان، فكان مظنة للإظهار دون الإضمار.

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ اسم بمعنى الوسوسة؛ كالزلزال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوِسواس (٣٥١/ ب) بالكسر – كزِلزال، والمراد به: الشيطان، سمي بالمصدر، كأنه وسوسة في نفسه الخفي، ومنه: وسواس الحلي.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي عادته أن يخنس منسوب إلى الخنوس إذا ذكر الإنسان ربه خنس؛ أي: تأخر، وإذا غفل وسوس. ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾ يجوز في محله الحركات الثلاث، فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الخناس [(٢)] على أن الشيطان ضربان: إنسي وجني.

وقيل: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان والناس ينطلق على الإنسي والجني. وقيل: الذي

---

(١) سورة التوبة، الآية (٣١).

(٢) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨٣٤).

يوسوس تارة يكون إنسيًّا، وتارة يكون جنيًّا، كما قال- تعالى-: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [1] ولو كان اسم الناس ينطلق على القبيلتين وصح ذلك، وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن، وبعده عن التصنع، ثم بين بقوله ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أنهما الثقلان المخصوصان بالتكليف دون سائر المخلوقات

**وليكن آخر الكلام:** الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف السابقين والمصلين، محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين (٣٥٢/أ).

* * *

(١) سورة الأنعام، الآية (١١٢).

# الفهارس العامة



* * *

## أولاً : فهرس القراءات

| الآية | السورة | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ | الرعد: ٥ | ١/ ٤٢٠ |
| ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ | الرعد:١٧ | ١/ ٤٢٣ |
| ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ | الرعد:٣٣ | ١/ ٤٢٦ |
| ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ | الرعد:٤٣ | ١/ ٤٢٨ |
| ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ | إبراهيم:٢ | ١/ ٤٢٩ |
| ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ | إبراهيم:٢٢ | ١/ ٤٣٢ |
| ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ | إبراهيم:٣٤ | ١/ ٤٣٤ |
| ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ | إبراهيم:٤٦ | ١/ ٤٣٧ |
| ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ | النحل:٦١ | ١/ ٤٥٩ |
| ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ | النحل:٦٢ | ١/ ٤٥٩ |
| ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ | النحل:٦٢ | ١/ ٤٦٠ |
| ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ | النحل:٦٦ | ١/ ٤٦٠ |
| ﴿وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ | الإسراء:١٢ | ١/ ٤٧٢ |
| ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ | الإسراء:١٦ | ١/ ٤٧٢ |
| ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ | الإسراء:٨٣ | ١/ ٤٣٧ |
| ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ | الإسراء:١٠٢ | ١/ ٤٨٣ |
| ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ | الكهف:١ | ١/ ٤٨٥ |
| ﴿بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ | الكهف:١٩ | ١/ ٦١٠ |
| ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ | الكهف:٤٤ | ١/ ٤٩٤ |
| ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ | الكهف:٧٧ | ١/ ٤٩٨ |
| ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ | الكهف:٨٦ | ١/ ٥٠١ |
| ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ | الكهف:٩٨ | ١/ ٥٠٢ |
| ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ | الكهف:٩٩ | ١/ ٥٠٣ |
| ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ | الكهف:١٠٩ | ١/ ٥٠٤ |
| ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ | مريم: ٦ | ١/ ٥٠٥ |

* * *

## ثانيًا: فهرس الأحاديث والآثار

| الأحاديث | الراوي | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل | | ١/ ٣٤١ |
| لا يتمنين أحدكم الموت | أنس | ١/ ٥١٠ |
| لا يتناج اثنان دون الثالث | | ٢/ ٤٤٤ |
| لا يتوفى أحد على معصية | ابن عباس | ٢/ ٣٤٨ |
| لا يجوز إخلاء النكاح عن الصداق | أبو حنيفة | ٢/ ٤٦٢ |
| لا يحجب الأم من الثلث إلى السدس إلا ذكور | الحسن البصري | ١/ ١٦٩ |
| لا يحجب إلا ثلاثة إخوة | ابن عباس | ١/ ١٦٩ |
| لا يحل لامرأة مسلمة أن تتكشف | ابن عباس | ١/ ٦٠٨ |
| لا يحل لك أن تؤذي كلبًا | الفضيل | ٢/ ١٣٠ |
| لا يخرجن معنا إلا من كان شهد الوقعة | | ١/ ١٦٠ |
| لا يدخل الجنة ولد الزنا | | ٢/ ٤٩٥ |
| لا يغلق الرهن | سعيد بن المسيب | ١/ ١٣١ |
| لا يقل أحدكم عبدي | أبو هريرة | ١/ ٤١٠، ٦١١ |
| لا يقولن أحدكم زرعت | أبو هريرة | ٢/ ٤٢٩ |
| لا يمضي عليكم إلا زمن قليل | أبو عالية | ١/ ٦١٨ |
| لا يموت لرجل ثلاثة أولاد | أبو هريرة | ٢/ ٤٨٥ |
| لا يهتدي إليه حساب | ابن عباس | ٢/ ٢٣٦ |
| لأي شيء نبتِّ | سليمان عليه السلام | ٢/ ١٣٩ |
| لتأخذوا مصافكم | | ١/ ٣٦٧ |
| لتقومن الساعة وقد رفع | أبو هريرة | ٢/ ١٨٠ |
| لسنا أمهات النساء | عائشة | ٢/ ٩٩ |
| لعلك غضبت عليه | | ٢/ ٤٧٥ |
| لعلكم تسألون عما كنتم | ابن بحر | ١/ ٥٥٣ |
| لعله أخطأ سمعك | | ٢/ ٤٧٥ |
| لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة | أنس | ١/ ١٧٧ |
| لقاب قوس أحدكم في الجنة | | ٢/ ٣٩٨ |
| لقد استسقيت بمجاديح السماء | عمر | ٢/ ٥١٢ |
| لقد أنزل عليّ عشر آيات | عمر | ١/ ٥٨٧ |
| لقد حكمت فيهم بحكم الله | | ٢/ ١٠٨ |
| لقد سقط سيفي من يدي | أبو طلحة | ١/ ١٥٧ |
| لقد علمتم صدق محمد | جابر | ٢/ ٢٧١ |
| لقد مرّ علينا زمن | ابن عمر | ٢/ ٢٤٠ |
| لك بها يوم القيامة سبعمائة | أبو مسعود الأنصاري | ١/ ١٢٣ |
| لكل مطلقة متعة | الحسن | ٢/ ١١٠ |
| لم قتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله | | ١/ ١٩٥ |

| الأحاديث | الراوي | الجزء والصفحة |
|---|---|---|
| هم كالحلقة | الأنمارية | ٢/ ٣٠٥ |
| هم المطعمون يوم بدر | ابن عباس | ٢/ ٣٤١ |
| هما عتبة بن ربيعة وكنانة | ابن عباس و مجاهد | ٢/ ٣٠١ |
| هم متعتان | الزهري | ٢/ ١١٠ |
| هو استهزاء | ابن عباس | ٢/ ٢٠ |
| هو أن يعرف ذنوبه | عائشة | ٢/ ٥٨٦ |
| هو تينكم هذا | ابن عباس | ٢/ ٦١٦ |
| هو خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم | زيد بن أسلم | ٢/ ٣٧٤ |
| هو فتح هجر | الحسن | ٢/ ٣٥٦ |
| هوقول الرجل سبحان الله | قتادة | ٢/ ١٢٠ |
| هوقولك سبحان الله | ابن مسعود | ٢/ ١٥٩ |
| هو قولهم ما لنا إن أطعنا | ابن عباس | ٢/ ٣٤٨ |
| هو الكبش الذي قربه | ابن عباس | ٢/ ٢٠٣ |
| هو كل شجر ذي شوك | أبو عبيدة | ٢/ ١٤١ |
| هي ألا تغلّوا | صفوان بن عسال | ١/ ٤٨٢ |
| هي السبع المثاني | أبيّ بن كعب | ١/ ٤٤٦ |
| هي سواكي | | ٢/ ٦١٦ |
| هي عروق النطفة | ابن مسعود | ٢/ ٥٤٧ |
| هي لا إله إلا الله | | ٢/ ٢٤٥ |
| هي منسوخة | ابن عباس | ٢/ ٤٤٦ |
| هؤلا رأس الضلالة | عمر بن الخطاب | ١/ ٣٢١ |
| وآتي النساء | أنس | ١/ ٢٣٤ |
| و آكل اللحم | أنس | ١/ ٢٣٤ |
| و أقم الصلاة | | ١/ ٥٣٠ |
| والله إني أحب | أبو بكر | ١/ ٦٣٠ |
| والله لا لأعطيك | | ١/ ٥٢٣ |
| والله لا أكفر | | ١/ ٥٢٣ |
| والله لا أكلمك | أبو بكر | ٢/ ٣٦١ |
| والله لأستغفرن | | ١/ ٣٥١ |
| والله لتغلبن الروم | أبو بكر | ٢/ ٦٢ |
| والله لقد آتاني الله | العباس | ١/ ٣٢٢ |
| والله لقد سمعت من محمد | ابن عباس | ٢/ ٥٣٥ |
| والله لو كان السيف | أبو بكر | ٢/ ٤٤٨ |
| والله ما أجلس فيكم | عمر بن الخطاب | ١/ ٧٩ |
| والله ما أحسنت | علي بن أبي طالب | ١/ ٤٧١ |

* * *

# ثالثًا: فهرس الأشعار

## قافية الهمزة

| الشعر | القائل | البحر | الجزء والصفحة |
|---|---|---|---|
| أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْءٍ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاء | حسان بن ثابت | الوافر | ٢/ ١٤٤ |
| إذا طلعَ النجمُ عشاءً... اشترى الراعي كِساءً | | السريع | ٢/ ٣٩٦ |
| طَلَبُوا صُلْحَنَا وَلاتَ أَوَانٍ... فَأَجَبْنَا أَنْ لاَتَ حينُ بقاء | أبو زيد الطائي | الخفيف | ٢/ ١١٢ |
| ألا أبلغ أبا سفيان عني ... فأنتَ مجوفٌ نَخْبٌ هواءُ | حسان بن ثابت | | ١/ ٤٣٦ |
| أَمَنْ يَهجُو رَسولَ اللهِ مِنْكُمْ ويَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ | حسان بن ثابت | | ١/ ٤٢١، ٢/ ٥٢ |

## قافية الباء

| الشعر | القائل | البحر | الجزء والصفحة |
|---|---|---|---|
| إذا نزلَ السماءُ بأرضِ قومٍ<br>رعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا | معاوية بن مالك | الوافر | ٢/ ٥١٣ |
| حتى إذا الكلابُ قال لها كاليومِ مطلوبًا ولا طالبا | | الرجز | ٢/ ٤٣٠ |
| حلت عليه بالقفيل ضربا<br>ضرب بعير السوء إذ أحبا | أبو محمد الفقعسي | الرجز | ٢/ ٢٢٠ |
| خُذي العـــفوَ منى تستديمي مودَّتي<br>ولا تنطقي في سَوْرتي حينَ أغضبُ | أسماء بن خارجة | الطويل | ١/ ١٠٧، ٣٠٨ |
| عسى الكربُ الذي أمسيتُ فيهِ.. يكونُ وراءَهُ فرجٌ قريبُ | هدبة بن الخشرم | الوافر | ١/ ٤٣٢، ٢/ ٣٢٣ |
| أَقِلِّ اللَوْمَ عَاذِلَ وَالعِتَابَا.<br>وقُلْ لِي إنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا | جرير | الوافر | ٢/ ١٠٣ |
| أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَعْطاكَ سُورةً..<br>تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ | النابغة الذبياني | الطويل | ١/ ٥٩٧ |
| أمرتُكَ الخَيْرَ فافعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ<br>فقدْ تركْتُكَ ذا مـــالٍ وذا نَشَبِ | عمرو بن معدي كرب | البسيط | ١/ ٤٥٦ |
| أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب | رسول الله صلى الله عليه وسلم | | ١/ ٣٣١، ٢/ ١٨٥ |
| فاليوم قربت تهجـــونا وتشتمنا<br>فاذهب فما بِكَ والأيامِ منْ عجبِ | | البسيط | ١/ ١٦٥، ٤٤١ |

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| كأنَّ بها سُعرًا إذا الريحُ هزَّها<br>ذميلٌ وإرخاءٌ من السيرِ مُتْعِبُ | | الطويل | ٢/٤٠٩ |
| كم امرئ كان ذا خفض وذا دعة<br>صُبَّتْ عليهِ صُروفُ الدَّهْرِ منْ صَبَبِ | | البسيط | ٢/٣١٩ |
| لدْنٌ بهزِّ الكفِّ يعسِلُ متنَهُ فيه<br>كَمَا عَسَلَ الطَّريقَ الثَّعْلَبُ | لساعدة بن جؤية الهذلي | الكامل | ١/٢٧٦ |
| لنا ذَنوبٌ ولكم ذَنوبُ فإن أبيتمْ فلنا القليبُ | | الرجز | ٢/٣٨٩ |
| مجلببٌ من سواد الليل جلبابا | أبو زبيد | الوافر | ٢/١٣١ |
| وداعٍ دعا يا مَنْ يُجيبُ إلى النَّدَى<br>فلم يستجبــهُ عندَ ذاكَ مُجــيبُ | كعب بن سعد الغنوي | الطويل | ١/٣٧٩، ٢/٤٠ |
| وقد أتاك يقينٌ غيرُ ذي عوجٍ<br>من الإلهِ وقولٌ غيرُ مكذوبِ | | البسيط | ٢/٢٣٩ |
| وكمْ دعاني مُسْتَنْجٍ فحادثني.<br>. وما أخلَّ ولا أخللتُ بالأدبِ | | البسيط | ١/٥٢٢ |
| وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ<br>بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتــائِبِ | النابغة الذبياني | الطويل | ١/٢٢٨،٢٣، ٢٩٤ ، ٢/٥٩٠ |
| وليلة من جمادى ذات أندية<br>لا يبصر العبد فـي ظلمائها الطنبا<br>لا ينبح الكلب فيها غير واحدة<br>تى يلف على خرطوه الذنبـا | | البسيط | ١/٢٧ |
| يا ويح زَيَّابةَ للحارث الصــالح فالغانم فالآيب | ابن زَيَّابةَ | السريع | ٢/١٨٩ |
| يرجّي المرءُ ما إن لا يراهُ وتعرضُ دون أدناهُ الخطوبُ | الأخفش | الوافر | ٢/٣٣٨ |

**قافية التاء**

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت | النبي صلى الله عليه وسلم | | ٢/١٨٥ |
| رُبَّمَا أَشْرفْتُ في عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثوبي شَمالاتُ | جذيمة الأبرش | المديد | ١/٤٣٩ |

### قافية الجيم



### قافية الحاء



### قافية الدال

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| ولقد غنوا فيها بأفضل عيشة<br>في ظلِّ ملكٍ ثابتِ الأوتادِ | الأسود بن يعفر | الكامل | ٢/ ٢١٤ |
| ومشـــــهد قد كفيت الناطقـــــين به<br>في مَحْفِلٍ مِنْ نَواصي النَّاسِ مَشْهودُ | أم قيس الضبية | البسيط | ١/ ٦٤٩ |
| يا عينُ هلا بكيتِ أربدَ<br>إذْ قُمْنا وقامَ الخصومُ في كبِدِ | لبيد | المنسرح | ٢/ ٦٠٥ |

## قافية الراء

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| أصبحتُ لا أحملُ السلاحَ ولا .<br>أملـــكُ رأسَ البعـــــيرِ إن نفرا | الربيع بن منبع الفزاري | المنسرح | ٢/ ١٨٦ |
| أَعْشُو إِذَا مَا جَارتي بَرَزَتْ<br>حَتَّى يُوَاريَ جَارَتِي الخِدْرُ | حاتم الطائي | الكامل | ٢/ ٣٠٣ |
| أغر أبلج تأتم الهداة به.. كأنه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ | الخنساء | البسيط | ٢/ ٢٩٠ |
| أَلِكْني إِلَيْها وخيرُ الرَّسو لِ أعْلَمُهُم بِنَواحي الخَبَر | أبو ذؤيب الهذلي | المتقارب | ١/ ٦٥٣ |
| تقولُ بُثَيْنَةُ لَمَّا رأتْ قُنُوءًا من الشَّعَرِ الأحمرِ | ابن داود الأصفهاني | المتقارب | ١/ ٥٣٢ |
| تَمَنَّى كِـتابَ الله أولَ ليـــلةٍ<br>وآخِرَها لاقَى حِمامَ المَقادِرِ | كعب بن مالك | الطويل | ١/ ٥٨١ |
| جادَتْ بكفَّيْ كانَ منْ أرْمَى البَشَر | | الرجز | ١/ ١٨٢ |
| خَلَقَ البريةَ مِنْ سلالةِ مُنْتِنٍ<br>وإلى السُّلالَةِ كلُّها ستعودُ | أمية بن الصلت | الكامل | ١/ ٥٨٨ |
| سيبقَى لها في مضمرِ القلبِ والحشا<br>سريرةُ ودٍ يومَ تُبْلَى السَّـــــــرائرُ | الأحوص | الطويل | ٢/ ٥٩٠ |
| على لاحبٍ لا يُهتدَى بمنارِهِ.<br>إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِيُّ جَرْجَرَا | امرؤ القيس | الطويل | ١/ ١٦٢ |
| تَرُوحُ عَلَى آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ<br>كَجَابِيَةِ الشيخ العِراقِي تفهق | الأعشى | الطويل | ٢/ ١٣٨ |
| فواسقًا عن قصدِها جوائِرا | رؤبة | الرجز | ٢/ ٣٦٦ |
| قالتْ وفيها حَيْدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بربى منكُمُ وحُجْرُ | | الراجز | ١/ ٦٣٢ |
| لا تُفْزِعُ الأَرْنَبَ أَهْوَالُـــــهَا<br>ولا ترى الضــبَّ بها يَنجَحِ | ابن أحمر | السريع | ١/ ١٢٦ |

| البيت | الشاعر | البحر | الجزء/الصفحة |
|---|---|---|---|
| لقدْ أَتَتْني لِـــــــسانٌ لا أُسِرُّ بِها<br>من علو لا عجب منها ولا سخر | عامر بن الحارث | البسيط | ٥١٧/١ |
| لَئِن كانَ يُهدَى بَرِدُ أنيابِهَا العُلا<br>لأَفقرَ منّي إنني لَفَقِــــــيرُ | ابن الدمينة | الطويل | ١٨٤/٢ |
| النازلينَ بكلِّ معتــرَكٍ<br>والطيبــــــونَ معاقِـــــدَ الأُزُرِ | الخربق بنت بدر | الكامل | ٢٠٩/١ |
| وَأَقْرَنْتُ مَا حَمَّلْتني وَلَقَلَّمَا يُطَاقُ<br>احْتَمالُ الصَّدِّ يَا دَعْدُ والهَجْرُ | ابن هرمة | الطويل | ٢٩٨/٢ |
| وقالوا ما تشاء ؟ فقلت ألهو<br>إلى الإصباح آثر ذي أثير | عروة بن الورد | الوافر | ٢٦٨/١ |
| يَا رَسُولَ المَليكِ إِنَّ لسَاني راتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ | ابن الزبعري | الخفيف | ١٦٠/٢ |
| يَا سَارِقَ اللَّيْلَةَ أَهْلِ الدَّار | | الرجز | ١٤٧/٢ |
| يبكي الغريبُ عليه ليسَ يعرفُهُ<br>وذو قَرابتِهِ في الحيِّ مسرورُ | عثير بن لبيد العذري | البسيط | ١٨٠/١ |
| أبصرَ خربانَ فضاءٍ فانكدر<br>داني جناحيه من الطود فمر | العجاج | الكامل | ٥٧٢/٢ |
| أماويُّ ما يغني الثراءُ عن الفتى<br>إذا حشرجتْ يوما وضاقَ بها الصَّدرُ | ابن سلام | الطويل | ٥٤٥/٢ |
| أنتَ لها أحمدُ من بينِ البشرْ<br>داهية الدهر وصماء الغبر | الحرمازي | الرجز | ٣٦٤/٢ |
| جنةٌ لِفٌ وعيشٌ مغدقٌ ونِدامى كلُّهم بيضٌ زُهُر | ابن علي الطوسي | | ٥٥٩/٢ |
| في بئرِ لا حورٌ سرى وما شَعَر<br>بإفكه حتى رأى الصبح حشر | العجاج | الرجز | ٥٤١/٢ |
| وأنت كثيرٌ يا بن مروانَ طيبٌ<br>وكان أبوكَ ابنُ الأكارمِ كوثرا | الكميت بن زيد | الطويل | ٦٣٧/٢ |
| ولقد جنيتُكَ أكموًا وعساقِلا<br>ولقد نهيتُكَ عن بناتِ الأوبرِ | | الكامل | ٥٨١/٢ |
| وليلةٍ ظلامُها قد اعتكرْ<br>قطعتُها والزمهريرُ ما زهرْ | | الكامل | ٥٥٠/٢ |
| ومنْ كلِّ أفنانِ اللذاذةِ والصبا<br>لهوتُ به والعيشُ أخضرُ ناضر | | الطويل | ٤١٨/٢ |
| لا وأبيكِ ابنةَ العامريّ لا يدَّعي القومُ أنّي أفِرْ | امرؤ القيس | المتقارب | ٥٤١/٢ |

| | | | |
|---|---|---|---|
| لا يَبْعَدَنْ قومـــي الذينَ هُـمُ سـمُّ العُـــداةِ وآفـةُ الجُـــزْرِ | الخرنق بنت بدر بن هفَّان | الكامل | ١/ ٢٠٩ |

## قافية السين

| | | | |
|---|---|---|---|
| أكَرُّ وأحمى للحقيقة مِنْهُمُ . وأضربُ مِنَّا بالسيوفِ القوانِسا | عباس بن مرداس | الطويل | ١/ ٢٦٢ |
| دعِ المكارمَ لا تلمْ بساحتِها واجْلسْ فإنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الكاسي | الحطيئة | البسيط | ١/ ٣٣٨ |
| مُحَمَّدُ تفدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ | صدر بيت للأعشى | الوافر | ١/ ٤٣٣ |
| وَبَلْدَةٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسُ إلا اليَعَافِيرِ وَإِلا العيسُ | جران العود | الرجز | ٢/ ٢٣ |
| وثناياكَ إنها إغريضُ ولآل قوم وفرق وميس | أبو تمام | الخفيف | ٢/ ٣٥ |
| وَلَوْلا كَثْرَةُ الباكينَ حَوْلـي عائشة لَى إخْوَانهمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي وَمَا يبكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلكن أُعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بالتَّأَسِّي | الخنساء | الوافر | ٢/ ٣٠٣ |

## قافية الشين

| | | | |
|---|---|---|---|
| وقريشٌ هي التي تسكنُ البحـرَ بها سميت قريش قريشا تأكل الغثَّ والسمينَ ولا تتـــرك فيه لذي المخالب ريشا هكذا في الكتابِ حيٌّ قريشٍ يأكلون البلادَ أكلا كميشا ولهم آخرَ الزمانِ نبيٌّ يكثرُ القتلَ فيهم والحموشا | ابن عباس | الخفيف | ٢/ ٦٣، ٦٤ |

## قافية الضاد

| | | | |
|---|---|---|---|
| كُلُوا في بعضِ بطنِكُمُ تَعِفُّوا فإن زمانكم زمن خميص | | الوافر | ٢/ ٤١١ |
| مضى الليلُ والفضلُ الذي لكَ لا يمضي ورؤياكَ أحلَى في فؤادي من الغُمْضِ | | الطويل | ١/ ٣٩٨ |

## قافية العين

| | | | |
|---|---|---|---|
| أبيض اللون لذيذ طعمه طيبُ الريقِ إذا الريقُ خدعْ | سويد بن أبي كاهل | الرمل | ١/ ٥٥ |

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| الألمعي الذي يريك من الأمـ(ر)<br>كأن قد رأى وقد سمعا | أوس بن حجر | المنسرح | ٢/ ٧٦ |
| أما تتقين الله في جنبِ وامق<br>له كبدٌ حري عليكِ تقطَّعُ | جميل بثينة | الطويل | ٢/ ٢٤٥ |
| بذات لوث عفرناة إذا عثرت<br>فالتعسُ أوْلَى بها منْ أنْ أقولَ لعَا | الأعشى | البسيط | ٢/ ٣٤٣ |
| تَتَخَلَّفُ الآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا وَيُدْرِكُهَا الفَنَاءُ فَتَتْبَعُ | المتنبي | الكامل | ٢/ ٤٢ |
| ترى الثورَ فيها مُدْخِلَ الظِّلِّ رأسَه<br>وسائرُهُ بادٍ إلى الشَّمْسِ أجمعُ | | الطويل | ١/ ٤٣٧ |
| تعبَّدني نمرُ بنُ سعدٍ وقد أرى<br>ونمرُ بنُ سعدٍ لي مطيعٌ ومهطع | | الطويل | ٢/ ٤٠٧ |
| جَدُّنا قيسٌ ونجدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمكرَعُ | | | ٢/ ٤٧٠ |
| زنيمٌ تداعاهُ الرجالُ زيادةً<br>كما زيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ | حسان بن ثابت | الطويل | ٢/ ٤٩٥ |
| فقمتُ إليهِ باللجامِ ميسّرًا<br>كذلك يجزيني الذي كنتُ أصنعُ | الأعرج | الطويل | ٢/ ٤٠٨ |
| قد حصَّتِ البيضةُ رأسي فما<br>أطعمُ نومًا غيرَ تَهْجاعِ | أبو قيس بن الأسلت | السريع | ٢/ ٣١٠ |
| منْ يرجعُ العامَ إلى أهلِهِ فما أكيلُ السبعِ بالراجعِ | حسان بن ثابت | السريع | ٢/ ٣٩٧ |
| وتجلُّدي للشامتينَ أُريهِمُ<br>أني لِصَرفِ الدهرِ لا أتضعْضَعُ | أبو ذؤيب الهذلي | الكامل | ١/ ٤٢٤، ٢/ ٥٣٣ |
| وخيلٍ قد دلفت لها بخيلٍ بيْنِهِم ضَرْبٌ وجيعُ | عمرو بن معدي كرب | الوافر | ١/ ٦٦٢ |

## قافية الغين

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| وعليهما مَسْرَوْدتانِ قضَاهُما<br>داودُ أو صنعَ السوابغَ تُبَّعُ | أبو ذؤيب الهذلي | الكامل | ١/ ٥١٠ |

## قافية الفاء

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| يـــا محنـــة الله كفـــي<br>إن لـــم تكفـــي فخفـــي<br>أمـــا آن أن ترحمينـــا<br>مـــن طـــول هـــذا التشفي | أبو نصر يوسف بن عمر بن محمد القاضي | | ١/ ٤٩ |

## قافية الميم

| البيت | القائل | البحر | الجزء/الصفحة |
|---|---|---|---|
| وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا<br>قَولُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقدِمِ | عنترة | الكامل | ٢/ ٤٦ |
| وَلَمْ أَسْلَمْ لكَيْ أَبْقَى   وَلكنْ سَلِمْتُ منَ الْحِمام إِلَى الحِمامِ | المتنبي | الوافر | ٢/ ١٧٩ |
| والهَمُّ يخترِمُ الجسيمَ نحافةً<br>ويشيبُ ناصيةَ الصبيِّ ويهرمُ | أبو الطيب | | ٢/ ٥٣٠ |
| ويوما توافينا بوجه مقسم<br>كأن ظبيةً تعطو إلى قاصي السَّلم | علباء بن أرقم | الطويل | ٢/ ٣٢٢ |
| يا خيرَ مَنْ دُفِنتْ بِالقاعِ أَعْظُمُهُ<br>فَطابَ مِنْ طيبِهِنَّ القاعُ والأكمُ<br>نفسي الفِداءُ لِقبرٍ أنْتَ ساكِنهُ<br>فيـهِ العَفافُ وفيـهِ الجودُ والكَرمُ | أعرابي | البسيط | ١/ ١٨٧ |
| يتقارضونَ إذا التقوا في موطنٍ<br>نظرًا يُزِلُّ مواطئَ الأقدامِ | | الكامل | ٢/ ٥٠٠ |

## قافية النون

| البيت | القائل | البحر | الجزء/الصفحة |
|---|---|---|---|
| إذا ما الغانيات برزن يوما<br>وزجَّجْنَ الحواجِبَ والعُيونا | | الوافر | ٢/ ٤٥٣ |
| إذا ما المَلْكُ سامَ الناسَ خسفًا<br>أبيْنا أنْ نُقِرَّ الخَسْفَ فينا | عمرو بن كلثوم | الوافر | ١/ ٢٩٧ |
| إذا هبَّتْ رياحُك فاغتنِمْها   فإن لكلِّ خافقةٍ سكونُ | | الوافر | ١/ ٣١٩ |
| ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا<br>فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا | عمرو بن كلثوم | الوافر | ١/ ١٧١، ٤٦٩، ٦٤٣ |
| امتلأ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي<br>مَهْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي | | | ٢/ ١٣٤ |
| أنا ابنُ جلا وطلاَّعُ الثَّنايا<br>متى أَضَعُ العِمامةَ تعْرفُونـي | سحيم بن وثيل | الوافر | ١/ ٧٨، ١٨٣ |
| إن أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلاَ عَجَب<br>قَدْ تُجزِئُ الحُرَّةُ المذكَارَ أَحيانًا | | البسيط | ٢/ ٢٩٨ |
| إنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلِيقَتِكُمْ<br>لا قدَّسَ اللهُ أَرْواحَ المَلاعينِ | | البسيط | ١/ ٥٢٧ |
| بِأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الغُولَ تَسْعَى<br>بِسَهْبٍ كَالصَّحيفَة صَحْصَحَان<br>أَضْرِبُهَا بِلا دَهشٍ فَخَرَّتْ   صَرِيعًا لليدين وَللجرَان | تأبط شرًّا | الوافر | ٢/ ١٥٨، ٣٨٤ |

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| تخوَّفَ الرَّحْلُ مِنْها تامِكًا قَرِداً<br>كَما تَخَوَّفَ عُوْدَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ | زهير | البسيط | ١/ ٤٥٦ |
| ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنهُ مقامَ الذئبِ للرجلِ اللعينِ | الشماخ بن ضرار | الوافر | ٢/ ٤١٨ |
| رَجُـلانِ مِـنْ ضبّـةَ أخبرانـا<br>إنـا لقينـا رجـلاً عُريانـا | | الرجز | ١/ ١٣٨ |
| رماني بأمر كنت منه ووالدي<br>بريا ومن جول الطوي رماني | ابن أحمر | الطويل | ٢/ ٣٧٣ |
| فإني لستُ منكَ ولستَ منِّي | | الوافر | ١/ ١٣٧، ٤٣٥ |
| قالوا خُراسانَ أقصَى ما يُرادُ بِنا<br>ثمَّ القفولَ فقد جِئْنا خُراسانا | العباس بن الأحنف | البسيط | ١/ ٢٢٠، ٢٧١ |
| كيف تراني قالبا مجني<br>أقلب أمري ظهره للبطن<br>قد قتلَ اللهُ زيادًا عني | لفرزدق | الرجز | ١/ ٢٩٠ |
| مَال أَبي حَمْزَةَ لاَ يَأْتينَا يَظَلُّ في البيْتِ الذي يَلينَا<br>غَضْبَانَ أَلاَ نلدَ البَنينا لَيْسَ لَنا من أمرنا ما شينا<br>وَإِنَّما نأخُذُ ما أُعطينا | | الرجز | ٢/ ٢٩٩ |
| وإنْ حَلَفَتْ لا تَنْقُضُ الدَّهْرَ عهدَها<br>فليسَ لمخضوبِ البنانِ يمينُ | | الطويل | ١/ ٢٩٠، ٣٢٩ |
| ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا<br>لو لا المَلامَةُ أو حَذارُ مَسَبَّةٍ لوجَدْتَني سَمْحًا بـذاكَ مُبينا | أبو طالب | الكامل | ١/ ٢٤٧ |

## قافية الهاء

| البيت | القائل | البحر | الموضع |
|---|---|---|---|
| إذا لَسَعَتْهُ الدَّبْرُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَها | | الطويل | ١/ ٦٣١ |
| أكرُّ علـى الكتيبةِ لا أُبالي<br>أَحَتْفِـي كـانَ فيهـا أمْ سِواهـا | العباس بن مرداس | البسيط | ١/ ١٦٥ |
| إنَّ سُلَيْمَى واللهُ يكلؤُها<br>ضَنَّتْ بشَيْءٍ ما كانَ يرزَؤُها | ابن هرمة | المنسرح | ١/ ٥٥٧ |
| تشرق بالقول الذي أذعته<br>وقد أغتدي والطير في وكناته | الأعشى | الطويل | ٢/ ٨٠، ٨٥ |
| حتَّى إذا ألقتْ يداً في كافرٍ<br>وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظلامُها | لبيد | الكامل | ١/ ٤٥٨ |

## قافية التاء المربوطة



## قافية الواو



## قافية الياء



* * *

## رابعًا: فهرس الأعلام

* * *

# خامسًا: فهرس الأمثال



* * *

# سادسًا: فهرس الأماكن والبلدان



* * *

## سابعًا: فهرس محتويات الجزء الثاني

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

الموضوع | الصفحة

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |


* * *